مجلة الأزهر

٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٩٢

المجلد الثامن والستون ـ القسم الثاني

السنة ١٤١٦هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25899823 / 25907497

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFA TRUST

لبوان ـ ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail: info@saqifat-alsafa.org

بيان من الأزهر الشريف

إلى رحمة الله - عز وجل - شهداء سفارتنا بباكستان

قد رأينا بأعيننا ، وسمعت آذاننا نبأ نسف سفارتنا بباكستان . ونسف أجساد خمسة عشر رجلا ، وتشويه عشرات من موظفى السفارة من مصريين وباكستانيين دون ذنب جنوه ، أو خطأ يستحقون به النكال .

ترى أى إنسان هذا الذى يدفعه جبروته ، ويتسلط عليه طغيانه ، وتسول له نفس خلت من إنسانية البشر ووخز الضمير ـ أن يتحمل استجابة المولى ـ عز وجل ـ لدعوات منكوبى شهداء سفارتنا بباكستان . وهل يظن هذا الأثيم أن الله ـ تعالى ـ تخلى عن مظلوم .. ؟ حاش لله

فليستعد لعدل الله ، عدله ـ تعالى ـ الذى يخشاه الأتقياء .. فكيف بهؤلاء الآثمين .. ؟!

هل تستطيع أيديهم أن ترتفع إلى السماء تقول : يارب .. وقد قطبت وجه الأرض بالدماء ولوثت ظهرها بالمعاصى .

وأى بيت فى مصر ، وفى باكستان هذا الذى لم يشمئز من هذه الجناية .. ولم يشيعها باللعنات .. ؟!

قتلى أبرياء حملهم الناسُ قطعا شتى .. لو استطاعوا أن يغمروهم بدموعهم لفعلوا ؛ فقد وقع بهم تشويه أشد وحشية من التمثيل .

التمثيل الذى نهى الله ـ تعالى ـ عنه فى قتلى الأعداء ؛ فما بال هذه الجريمة لاترعى لله ـ عزوجل ـ حرمة . ولاللإنسانية كرامة . وأى شرعة سهلت للجناة هذه الجريمة .

إنها ليست شرعة الله العادل .. ولا شرعة الإنسان المحدود .. إنها شرعة الشيطان ، مدادها شؤم وقرطاسها ظلم . ودعواها جحود .

وأنتم أيها الشهداء لكم الله ـ عزوجل ـ لكم الله الذى يمهل ولا يهمل .

اهنأوا ـ أيها الشهداء ـ بما لكم عند الله ـ تعالى .

باسم الأزهر الشريف بجميع هيئاته نستنكر هذا الحادث الإجرامى وندين كافة الأعمال التخريبية والإجرامية من هؤلاء الذين لاعهد لهم ولاذمة ، والذين خلت قلوبهم من الرحمة .

فهذه الأعمال لاتقرها شريعة من الشرائع السماوية ولاالأعراف البشرية السوية وهى تدل على وحشيتهم وتجردهم من الإنسانية والانفلات من كل القيم والعاطفة والأخلاق .

نسأل الله الرحمة لشهدائنا الأبرار ، والشفاء العاجل للمصابين ، والمواساة لأسر الشهداء ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ، « وإنا لله وإنا إليه راجعون » .

وكيل الأزهر نائبا عن فضيلة
الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور/ علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل غانمى خفاجة

المراسلات/ باسم مدير التحرير.. إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

الشمس والهلال والنجم وموقعها من الإسلام

شاء الله - سبحانه وتعالى - أن يعيش الإنسان ، وكثيرٌ مما خلق الله فى جزء من الكون ، يتبادله النور والظلمة ، ويتناوله الليل والنهار خِلْفَةً ، وفى هذا الجزء من الكون الواقع فى محيط الإنسان يراه ببصره ، يستكشفه بمختلف ماتوصل إليه من إمكانيات ، يعيش وإطار حياته شيئان : زمان ومكان ، كلاهما بين نور وظلمة ، وفق مشيئة إلهية حددت لكلّ وقتا معلوماً عرفه الإنسان ونظم قوام حياته عليه .

قال ـ تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ سورة القصص

وعاش الإنسان ـ فى البداية ـ على سطح محدود فى هذا الجزء من الكون فَعَمَرَهُ ، وقد « عَلَّمَهُ الله صنعة كل شىء »[1] ثم تزايد نسله ، واتسع عمرانه ، فاتخذ البيوت والقصور والحقول والبساتين ، وشق طرقاً لتنقلاته ، وجداول لمزارعه ، وبنى المدن ، واتخذ الأوطان ، وسعى لرزقه ، وحمل التجارة من أقصى الأرض إلى أقصاها ، وهو ـ فى كل ذلك ـ مسترشد بآيات الله دليلًا يهديه السبيل كيلا يضل فى تيه الأرض ، فكانت النجوم والقمر بأشكاله : هلالًا فبدراً فهلالًا فَمِحاقاً ، والشمس والحر والبرد ، كُلٌّ دليل يعيش به أيامه ولياليه وسنواته . دليل يهديه الطريق ، ودليل يحسب عليه أمور حياته ، وعلى ذلك أرادها المولى ـ عز وجل ؛ فما أرادها آلهة تعبد ، وماجعل لها قوة تخلق ، ولا كان منها لله شريك ، ولا كان له منها ظهير . حاش لله .

قال ـ تعالى : ﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل آية : ١٦] .

وأرشد المولى ـ عز وجل ـ خلقه إلى اتخاذ « علامات » يستدلون بها فى طريقهم ، فكان منها الجبال ، ومنها البحار والأنهار ، ومنها ما اتخذه الإنسان نفسه من علامات ، وبخاصة فى نهاره ، وكان القمر والنجوم دليلًا له فى ليله . ومن رحمته ـ تعالى ـ أن جعل من هذه النجوم نجوماً ثوابت ، استقرت فى مكانها من السماء ، فعرف الإنسان بها ـ فى ظلام الليل ـ شرقه من غربه ، وشماله من جنوبه ، وكان للعرب ـ فى جاهليتها ـ معرفة عجيبة بها وبأوقات بزوغها ... معرفة أدركت بها الصواب فى رحلاتها ... تلك الرحلات التى كانت تستغرق الشهور المتتابعة .

كذلك كان القمر هادياً بنوره ـ وقت ينير ـ ليبصر به الإنسان طريقه ، ودليلًا حسابياً يفوق الشمس فى تحديد الأيام والشهور بدوراته الفلكية : هلالًا فبدراً فهلالًا فمحاقاً ، لايعسر على مميز أمْرُهُ ، وليست كذلك الشمس المتشابهة السطوع والشروق والغروب فى أكثر دورانها .

وما النجوم والشمس والقمر والأفلاك جميعاً إلا خلق من خلق الله ، وآياته مسخرات بأمره ، خاضعة لحكمه ، ذلول لمشيئته ، تعيش ماعاشت منيرة ، ثم يأتيها القضاء فتفنى ، ويذهب مافيها من ضوء ، ثم تتلاشى هباءً منثوراً . قال ـ تعالى :

﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ [المرسلات آية : ٨] .

(١) جزء من حديث صحيح رواه الطبري مرفوعاً حكماً موقوفاً لفظاً ، ورواه عبد الله بن أحمد بن حنبل مرفوعاً صراحة ـ انظر تفسير الطبرى ٣٩٣/١ الحديث رقم ٥٣٧ ط المعارف تخريج أستاذنا : أحمد شاكر .

أى مُحقت أو واستُؤْصِلَ نورها ، وذلك يوم القيامة .
والكواكب كذلك ، قال – تعالى :

﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ ﴾

[التكوير آية : ١ ، ٢] .

أى زال الضوء عنها . وفى ذلك الفناء ، وهو حكم المولى – عز وجل – على كل ماخلق .

﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٨٨ ﴾

[آخر القصص] .

فأما مدة قيامها بأفلاكها ، منيرة بأجسادها ؛ فهى مسخرات بأمر الله لخدمة الإنسان هاديات له . قال – تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾

[الأنعام آية : ٩٧] .

﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ ﴾

[النحل آية : ١٢ ﴾ .

﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾

[يس آية : ٣٩] .

﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ﴾

[الأنعام : ٩٦] .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾

[ابراهيم : ٣٣] .

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾

[فصلت : ٣٧] .

كل تلك الآيات الشريفات من كتاب ربنا – عز وجل – « آيات مكيات » نعلم منها أن قضاياها قد حُسمت فى مكة قبل هجرته – عليه الصلاة والسلام – ؛ فقضت قضاءاً مبرماً على كل عقيدة فاسدة اتخذت من الشمس والقمر ، أو النجوم آلهة تعبد ، أو رموز دينية تُقدَّس .

كل ذلك باطل ، إنما تلك أجرام سماوية أبدعها الخالق ، وسخرها للإنسان هادية له فى ممشاه وأسفاره وتاريخه يستبين بها ليله ونهاره ، وأوقات مختلف حاجاته ، فلا (تُوتمية)[٢] فى الإسلام ، تتخذ من مخلوقات ربنا ـ جل جلاله ـ رموزاً مقدسة لشيء ما ، ومن يفعل ذلك فقد أشرك ، والله ورسوله والمؤمنون بَرَاءٌ منه ، وعلى نفسه جَنَى .

إنما هى علامات تهدى لوقت ، وترشد فى المسير إلى مكان :

ولننظر فى هذه الآثار لنرى تأكيداً لذلك :

١ ـ عن أبى بَصْرَةَ الغفارى ـ رضى الله عنه ـ قال :

صلى بنا رسول الله ﷺ العصر بـ « الْمُخَمَّص »[٣] .. وقال : « إن هذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم فضيعوها ، ومن حافظ عليها كان له أجره مرتين ، ولا صلاة بعدها حتى يَطْلُعَ الشاهد ، والشاهد النجم[٤] .

والأعراب يسمون الكوكب شاهد الليل ، فقوله ـ عليه الصلاة والسلام : « حتى يطلع الشاهد » كناية عن غروب الشمس ، فبغروبها يظهر الشاهد فيحل وقت المغرب[٥] ، ومن هنا نعلم أن رسول الله ﷺ جعل ظهور النجم علامة على بداية الليل ، ليس إلا .

٢ ـ عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ « صلاة الليل مثنى مثنى ، والوتر ركعة . قلت : أرأيت [أى يا رسول الله] إن غلبتنى عينى ، أرأيت إن نمت ؟ قال : اجعل (أرأيت) عند ذلك النجم ؛ فرفعت رأسى فإذا السماك »[٦] .

قال ـ فى (النهاية) : .. فى حديث ابن عمر أنه نظر ، فإذا هو بالسِّماك ، فقال : قد دنا طلوع الفجر فَأَوْتَرَ بركعة .

السماك : نجم فى السماء معروف . اهـ .

وهو سمك السماك الأعزل يطلع مع الفجر ؛ فالحديث الشريف يرشد فيه رسول الله ﷺ إلى

---

(٢) التُوتمية عقيدة لها اتصال وثيق للغاية بالرموز ، وهى رموز منها ماهو جماعى للقبيلة ، ومنها ماهو فردى تصطنع له طقوس معينة يمر بها الفرد فى أحوال معيشية قاسية حتى يرى رؤيا يفسرها على أنها قد أرشدته إلى كائن ما ، فيصطنع لهذا الكائن رمزاً يُديم حمله ويُقَدِّسُ له . راجع للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى : التوتمية ـ الفصل الأول الكتاب رقم ١٩٤ . سلسلة (اقرأ) نشر دار المعارف القاهرة .

(٣) المخمص : اختلف فيه ، مكان هو أم طريق ، لم يرد فى معجم البلدان ولا فى النهاية لغريب الحديث ، وفى النسائى : أنه موضع معروف ، وفى رواية المسند ، أنه واد من أوديتهم ، وفى النووى على مسلم : اسم طريق .

(٤) رواه مسلم والنسائى وأحمد ، واللفظ ـ هنا ـ للنسائى ٢٥٩/١ .

(٥) راجع مسند أحمد ٣٩٧/٦ ط الميمنية ، وشارح النسائى الشيخ حسن محمد المسعودى بموضعه ٢٥٩/١ ط دار إحياء التراث العربى .

(٦) سنن ابن ماجه ٣٧١/١ الحديث رقم ١١٧٥ ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٢هـ .

قرب نهاية الليل بظهور هذا النجم ، وعرف ذلك ابن عمر – فأوتر بركعة عند ظهوره ليكون آخر صلاته من الليل وتراً .

٣ – وعن أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : إن مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم فى السماء ، يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ؛ فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة »[٧] .

معلوم بلاغة أن (وجه الشبه) أقوى فى (المشبه به) منه فى المشبه ، ومنه يعلم موقع النجوم من الإسلام ، إنها ليست إلا علامات هداية للسائرين ، فأما من اقتبس منها علماً ، أو جعلها رمزاً لدين فقد ضل .

٤ – روى ابن عباس – رضى الله عنهما – قال ، قال النبى ﷺ : « من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر ، زاد مازاد »[٨] .

وقد رَدَّ عدىُّ بن أرطاة شهادة عَلَوِىّ كان يبصر فى النجوم[٩] .

ذلك أن السحر شِرْك ، وإنما كان البصر من هذا العلوى فى النجوم لمثل ذلك أو قريباً منه ، وفى الحديث الشريف **عن الحسن البصرى ، عن أبى هريرة – رضى الله عنه . قال ، قال رسول الله ﷺ : « من عَقَدَ عُقْدَةً ثم نَفَثَ فيها فقد سَحَرَ ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تَعَلَّقَ شيئاً وُكِلَ إليه »[١٠] .**

وما أشد الإصابة بقوله – ﷺ :

« ومن تعلق شيئاً وكل إليه » فإن العبارة صريحة فى أن من افتعل شيئاً فأحاطه برموز ليست من الدين فى شىء فقد عمد إلى طلب العون من غير الله – تعالى – وفى ذلك مافيه من الشرك باعتقاد أن له تأثيراً فيما يريد . نعوذ بالله من الشرك ظاهره وخفيه . **وفى الحديث عن جندب – رضى الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « حَدُّ الساحر ضربة بالسيف »[١١] .**

وما القمر ودوراته إلا علامات توقيت :

قال – تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٨٩] .

قال الإمام النسفى – رحمهُ الله عليه :

أى معالم يُوَقِّتُ بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحالَّ ديونهم ، وصومهم وفطرهم ، وعدة نسائهم ، وأيام حيضهن ، ومدة حملهن ، وغير ذلك ، ومعالم للحج يُعرف بها وقته . اهـ .

---

(٧) رواه أحمد بالمسند ١٥٧/٣ ط الميمنية .

(٨) رواه أبو داود السجستانى فى سننه ٣٤١/٢ ، ٣٤٢ ط مصطفى الحلبى ١٣٧١ .

(٩) نفس المصدر ٥٥١/٢ .

(١٠) رواه النسائى بسننه ١١٢/٧ .

(١١) رواه الترمذى بالجامع الصحيح ٦٠/٤ ط مصطفى الحلبى ١٣٨٢هـ .

أنظر تفسيره للآية .

وفى الحديث الشريف :

١ ـ عن قيس بن طلق عن أبيه قال ، قال رسول الله ﷺ : « إن الله جعل هذه الأهلة مواقيت للناس »[١٢] .

٢ ـ وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال :

إن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فقال : **« لاتصوموا حتى تَرَوُا الهلال ، ولاتفطروا حتى تروه ؛ فإن غم عليكم فاقدروا له »[١٣] .**

والحديث قاطع فى الدلالة على مهمة الهلال فى هذا الدين .. إنه ليس إلا علامة يهتدى بها فى معرفة حساب الشهر ، أوله وآخره ، فهو مرشد حسابى إلى جانب نوره الهادى للسائرين .

وهذا رسول الله ﷺ يَنْفِى أن تعبد أمته شمساً أو قمراً أو غيرهما ، أو تتخذ لذلك رمزاً ، إنما خشى على أمته عملًا لاتريد به وجه الله ـ تعالى ـ أو شهوة خفية تصرفها عن طاعته إلى حب ممارستها :

عن شداد بن أوس ـ رضى الله عنه ـ قال ، قال رسول الله ﷺ : « إن أخوف ما أخاف على أمتى الإشراك بالله ، أما إنى لست أقول : يعبدون شمساً ولا قمراً ، ولا وثناً ، ولكن أعمالًا لغير الله ، وشهوة خفية »[١٤] .

لقد كفر بالله من علق وجود شىء بنجم أو قمر أو غيرهما مما خلق ـ سبحانه ـ فى السموات والأرض ، معتبراً أن للنجم وغيره من تلك المخلوقات تأثيراً فى وجوده .

عن زيد بن خالد الجهنى قال :

صلى بنى رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية فى إثر السماء[١٥] ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم : قال : قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال : مُطِرْنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال : مُطِرْنا بـ(نَـوْءِ)[١٦] كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب »[١٧] .

لقد سقنا من الآيات والآثار الشريفة مافيه الدلالة الواضحة على أن النجم أو غيره من شمس

---

(١٢) مسند أحمد ٤/٢٣ ط الميمنية . .

(١٣) رواه البخارى ومسلم والنسائى ، واللفظ ـ هنا ـ للنسائى ٤/١٣٤ .

(١٤) سنن ابن ماجه ٢/١٤٠٦ الحديث رقم ٤٢٠٥ دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٢ .

(١٥) إثر السماء ، أى إثر مطر .

(١٦) النوء : سقوط نجم فجراً فى المغرب ، وطلوع آخر يقابله من ساعته بالمشرق ، قال الإمام النووى ـ بهامش صحيح مسلم : وكانت العرب [أى فى جاهليتها] تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى النوء .

(١٧) صحيح مسلم ١/٥٩ ط ـ التحرير ـ القاهرة ١٣٨٣هـ .

وقمر ليس رمزاً فى الإسلام لشيء ذى علاقة بالعقيدة مطلقاً ، بل لم يحدث ذلك بين المسلمين ، والحمد لله . فليس للإسلام رمز مادى إطلاقاً ، لاشمساً ولا هلالًا ولا غيرهما ، والقرآن الكريم والحديث الشريف شاهدا ذلك .

قال قتادة بن دعامة السدوسى ـ رحمه الله تعالى ـ فى قوله ـ سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾

[الملك : ٥] .

خلق هذه النجوم لثلاث : جعلها زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول بغير ذلك أخطأ ، وأضاع نصيبه ، وتكلف مالا علم له به »[١٨] .

وإذا قد فرغنا من هذا الجانب وبينا ماتعنيه الشمس والقمر والنجم فى ديننا الحنيف ، فلا بد من جولة تاريخية نتعرف من خلالها :

ماكان للراية ـ أعنى الْعَلَم ـ من رمز يمثله فى صدر الإسلام ، ثم نعرج إلى حديث نتبين منه : متى ظهر الهلال والنجم فى العلم ، وأعالى المآذن ، حتى يستبين لكل ذى علم حقيقةُ وضعهما ثَمَّت بأدلة علمية لايضرنا ـ بعد ـ من خالفها ، أو ادَّعى على الإسلام والمسلمين ماهم منه براء .

حدث أن تجهز المسلمون لغزو خيبر بسبب ما أقدم عليه يهودها من غدر بالإسلام والمسلمين ، فلما حَلَّ المسلمون بها فى المحرم سنة سبع من الهجرة وحدثت مناوشة وشيء من المبارزة بين رجال من المسلمين وآخرين من اليهود ، ولم يَتِمَّ فتح ـ أرسل رسول الله ﷺ بفرقة على رأسها أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ « برايته وكانت بيضاء .. إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل فرجع ، ولم يك فتح وقد جَهِدَ ، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل ، ثم رجع ولم يك فتح وقد جهد ، فقال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غداً رجلًا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفَرَّار ... فدعا رسولُ الله ﷺ علياً ـ رضوان الله عليه ... ثم قال : خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك »[١٩] .

فى هذا الخبر دلالتـان :

أولاهما : أن الراية بيضاء لاتحمل نقشاً ما ؛ بل هى بيضاء خالصة .

ثانيهما : أن الراية حملها (قائد الحملة) ، فهى فى يده ، ثم فى يد القائد الذى تلاه وهكذا .

وفى صدر الإسلام أيضاً ، وفى العام الثامن من أعوام الهجرة ، نقضت قريش عهدها مع رسول الله ﷺ بإمدادها قبيلة بنى بكر بن عبد مناة بالسلاح حين اعتدت على قبيلة خزاعة أحلاف رسول الله ﷺ ، فوجب غزو قريش وفتح مكة ، ووفدت لذلك جموع من القبائل المسلمة بأعداد

(١٨) صحيح البخارى ٢/١٨١ ط الوهبية .

(١٩) سيرة النبى ﷺ لابن هشام ـ ٣/٣٨٦ ط دار التراث . القاهرة ـ وانظر صحيح البخارى ـ باب فضائل أصحاب النبى ﷺ ٢/٢٥٨ ـ الوهبيه .

ضخمة إلى المدينة المنورة ، وحتى يتعارف أبناء كل قبيلة على جمعهم فى هذا الصعيد اتخذت كل قبيلة علماً مرشداً لها؛ فكان لمزينة علم ، ولسُلَيْم علم ، ولغِفَار علم ، ولطوائف من تميم ، ومن قيس ، ومن أسد لكل قبيلة علمها[٢٠] ؛ فكانت رايات القبائل تماثل تماماً رايات الأسلحة المختلفة فى الجيش الحديث ، والراية العظمى لرسول الله ﷺ تعتبر اللواء العام للجميع ، وقد روى البراء بن عازب - رضى الله عنه - فى لونها فى هذه الغزوة أنها : « كانت سوداء مربعة من نمرة » أى من كساء ذى خطوط[٢١] .

هذا الخبر يوضح لنا :

أن الراية ، سواء كانت بيضاء أو سوداء ، لم تحمل رسماً لشىء ، وأن لونها يمكن تغييره من وقت لآخر .

وأن القبائل اتخذت (أعلاماً مرشدة) لجمع أفرادها . وهذه أو تلك تخلو من أى رسم كان .

● ● ●

وهنا - أيضاً - ينبغى أن نعرج إلى المآذن ، التى عرفت أول ماعرفت باسم « المنارات » نعرج إليها ؛ لأننا نراها من حولنا ينتهى أعلاها بقرطاس معدنى يحمل هلالاً ، وفى بعض البلاد الإسلامية يحمل هلالاً يحتضن نجماً ..

فهل يعنى ذلك أن الهلال رمز شرعى للعقيدة الإسلامية ..؟

لئن كان كذلك لوجب أن نراه ممثلاً فى صدر الإسلام فى شىء .. فى منارة (مئذنة) مسجد .

فى رسم على مصحف .

فى نقش على خاتم .

فى شعار على رداء .... إلخ .

لكننا لانجد ذلك ، ولا التاريخ يحمله ، ولا أعداء الإسلام - فى صدر الإسلام - تحدثوا به .

● ● ●

لقد أراد رسول الله ﷺ المسجد بناءاً لازخرف فيه ، ولم يكن لمسجده - عليه الصلاة والسلام - منارة خصصت للأذان ، وقال ﷺ : « ما أمرت بتشييد المساجد » أى بتزيينها[٢٢] .

قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل :

(٢٠) أنظر : السيرة النبوية - لابن كثير - ٥٥٢/٣ وما بعدها ط : عيسى البابى الحلبى ١٣٨٥هـ

(٢١) سند أحمد ٢٩٧/٤ . وانظر المعجم الوسيط فى التعريف بالنمرة .

(٢٢) أحمد بن حنبل - الورع . ص ١٨٣ تحقيق د/ زينب القاروط . دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ١٩٨٣/١٤٠٣ ورواه أبوداود بسننه .

« قد سألوا رسول الله ﷺ أن يَكْحَلَ المسجد ، قال : لا ، عريش كعريش موسى » أى سألوا رسول الله ﷺ أن يطلى المسجد ؛ فلم يرخص بذلك[٢٣] .

ورأى عثمان ـ رضى الله عنه ـ أُتْرُجة فى قبلة المسجد فأمر بها فكسرت[٢٤] .

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما : « لتزخرفنها كما زخرفتها اليهود والنصارى »[٢٥] يعنى المساجد .

ولا لبس هنا فى هذه النصوص ، ولا فى دلالتها ، وإن من أول ماتنفيه أن يكون بالمسجد ، أو مكان الأذان نجم أو قمر . أو أى شىء غيرهما .

● ● ●

والنهى عن تحلية المصاحف معروف ـ فى وضوح ـ من نص أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ حيث يقول : « إذا حليتم مصاحفكم ، وزخرفتم مساجدكم ، فعليكم الدبار » أى (الهلاك) ولم توجد الزخارف لدى الصدر الأول .

● ● ●

واتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من فضة نقش عليه عبارة « محمد رسول الله » فى ثلاثة أسطر : « محمد » سطر ، « ورسول » سطر ، « والله » سطر »[٢٧] .

قال أنس بن مالك ـ رضى الله عنه : لما أراد النبى ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل له : إنهم لن يقرءوا كتابك إذا لم يكن مختوماً ، فاتخذ خاتماً من فضة ونقشه : محمد رسول الله »[٢٨] .

● ● ●

وجدير بالذكر أن أول مسجد بنيت له منارة (مئذنة) كان جامع البصرة ، بناها زياد بن أبية عامل معاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله عنهما ـ وذلك سنة خمس وأربعين من الهجرة ، وخمس وستين وستمائة ميلادية ولم يرتفع فوق هذه المئذنة هلال أو نجم .

كذلك بنيت أربع صوامع للأذان بمسجد عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ بمصر من عام سبعة وأربعين إلى اثنين وستين من الهجرة (٦٦٧ ـ ٦٨١م) لم تحمل بدورها شيئاً من هذا القبيل . كانت الصوامع أضخم من المنارات ، ثم امتزج الطرازان فظهرت المئذنة ، وتعتبر مئذنة جامع عقبة

(٢٣) نفس المرجع من الطبعة الأولى ص ١٠٧ .

(٢٤) نفس المرجع من الطبعة الأولى ص ١٠٧ .

(٢٥) سنن أبى داود ١٠٦/١ ط مصطفى البابى الحلبى ١٣٧١ .

(٢٦) نفس المرجع ص ١٠٦ .

(٢٧) صحيح البخارى ٣٢/٤ ط الوهبية .

(٢٨) صحيح البخارى ٣٢/٤ ط الوهبية .

أقدم المآذن الباقية إلى اليوم بـ« القيروان » أنشأها بشر بن صفوان عامل بنى أمية على « القيروان » فيما بين سنتى (١٠٥ و١٠٩هـ ـ ٧٢٤ ـ ٧٢٩م) ولانجد فى شكلها الذى حرص مؤرخو العمارة على توصيفه ـ أدنى إشارة لنجم أو هلال بأعلاها .

وفى مصر ـ فى العصر الفاطمى ـ ظهرت المئذنة ذات ثلاث الشرفات يعلوها (جوسق) شبيه بكرسى صغير ، ثم توج المعمارى المئذنة بقبة زخرفية صغيرة ، أو بكرة فى هيئة العمامة(٢٩) .

ونسير ـ ببطء ـ مع التاريخ ـ حتى إذا كانت سنة ٦٠٩ هـ تسع وستمائة من الهجرة وجدنا مئذنة الجامع الكبير بصنعاء ـ باليمن ـ قد أعيد بناؤها فى عهد الأمير «علم الدين بن وردسار» فوضع بأعلاها نموذجا لسفينة صغيرة(٣٠) ، ومثلها وضع ـ أيضاً ـ على قبة الإمام الشافعى بالقاهرة ، كذلك ظهرت السفينة بأعلى مئذنة الجامع الطولونى بالقاهرة عصر «السلطان لاجين السيفى» عام ٦٩٦ ستة وتسعين وستمائة من الهجرة(٣١) .

ثم عمد المعمارى المسلم ـ بالمغرب ـ إلى المئذنة فأعلاها بُعمُدٍ حديدية ثُبِّتَ بها بعض الكرات المختلفة الأحجام ، وفى قمة المئذنة وضع عامودا من حديد تُرفع به راية بيضاء فى أوقات الصلاة(٣٢) .

إن الحقيقة تملى علينا عدم وجود أهلة فوق المساجد حتى عام ١٠٠٩ من الهجرة ، دليل ذلك مئذنة القيروان ، والأمر كذلك حتى عصر الدولة الفاطمية بمصر ، يقول السيد / أحمد رجب محمد علىّ المدرس بقسم الآثار الإسلامية ـ كلية الآثار الإسلامية ـ جامعة القاهرة :

« تعد قمة مئذنة الجيوشى فوق جبل المقطم ، والتى ترجع إلى عصر الدولة الفاطمية ٤٨٧ هـ أقدم قمة وصلتنا فى عمارة المئذنة المصرية فى مدينة القاهرة وهى متوجة بقبة لا يعلوها هلال »(٣٣) إننا لا نستطيع حتى مجرد افتراض أن الأهلة أو النجوم ذات رمز دينى فى الإسلام ، فهاهو القرآن الكريم والسنة النبوية لا يشيران إلى ذلك ، ولايدلان عليه ، وبهما نتحدى من يدعى ذلك على الإسلام .

ولقد وجدت الأهلة والنجوم على منسوجات لا يمكن أن يرسم عليها رسوم ذات طابع دينى أو تشير إليه من قريب أو بعيد ، فقد وجدناها تظهر على «السراويل» ولا يمكن أن يتخيل مسلم أن يجرؤ مسلم على تصوير رمز دينى على هذا اللون من الملابس ، ولو كان الهلال رمزاً دينياً لكانت كسوة الكعبة أولى باحتوائه فى منسوجاتها ، ولم تشتمل كسوة الكعبة على أهلة أو نجوم فى أى عصر من العصور ، وظهور الأهلة فى المآذن فى العصر المملوكى دليل آخر على انفصام ظهورها عن أى رمز دينى للإسلام(٣٤) ، وإلا فكيف يتأخر ظهور رمز للإسلام عن حياة المسلمين مدى ستة قرون لا يعرفون خلالها .

(٢٩) راجع د/ حسين مؤنس : المساجد من سلسلة (عالم المعرفة) الكتاب رقم ٣٧ إصدار المجلس الوطنى بالكويت .

(٣٠) راجع : أحمد رجب محمد على ـ الهلال فوق المؤذنة مجلة الأزهر عدد ذى القعدة ١٩٩٥ ص ١٤٩٤ .

(٣١) راجع مجلة الأزهر نفس العدد ص ١٤٩٤ .

(٣٢) راجع مجلة الأزهر نفس العدد ص ١٤٩٤ .

(٣٣) نفس المرجع ص ١٤٩٣ .

(٣٤) نفس المرجع عدد ذى الحجة ١٤١٥ ص ١٦٢٩ . وانظر عدد ذى القعدة ١٤١٥ ص ١٤٩٤ .

إنه لينبغى أيضاً لفت النظر إلى آلاف المساجد فى العالم الإسلامى التى لا تحمل مآذنها أهلة على الإطلاق ، فهى إما على شكل مخروط ، أو منتهية بقبة صغيرة ، أو ذات خوذة على هيئة المبخرة .. أفلا يجدر بمدعى أن الهلال رمز دينى فى الإسلام أن يلتزم العلْم والإنصاف ، فيرى فى وجود الهلال فى هذه العصور مايراه دارسو الآثار الإسلامية ، فَيُقِرُّ أنه شكل جمالى رآه المعمارى قمة جمالية يتوج بها المئذنة(٣٥) .

● ● ●

ثم لقد اتخذ الهلال ، والنجم شعاراً فى أعلام دول كثيرة ، والحق يقال : إن الأعلام حملت إلى جانب النجم والهلال حيوانات أيضاً ، فكل من : إثيوبيا وإيران وبوتان وسيلان حملت أعلامها ـ يوما ـ صورة حيوان : أسد أو ثعبان أو غيرهما : وهى لا تمثل معبوداً فى هذه البلاد إنما تمثل رمزاً للقوة . واختيار رسم العَلَم فى الدول جميعا يرجع إلى (أعراف) وحوادث بعينها وعادات أكثر منه رمزاً لديانة ، وأكثر من اتخذ رمزاً لديانة بعض دول الغرب كـ «إيسلندا» و «النرويج» و «اليونان» و «استراليا» و «نيوزيلند» و «دومينكا» و «بنما» و «جاميكا» حيث تحمل أعلام هذه الدول الصليب بصورة واضحة ، بينما حمل عَلَمُ الولايات المتحدة أكثر من خمسين نجما يمثل كل منها ولاية من ولايات الاتحاد ، كذلك ونجد الهلال على عَلَم «سنغافورة» كما تجد شكلا يمثله تماما بعلم قبرص . وهما دولتان غير إسلاميتين(٣٦) .

وإذا لفتنا النظر إلى احتمال أن تغير دولة صورة علمها ، وذلك وقع لدول كثيرة ومنها (مصر) التى كان يحمل علمها يوما هلالا وثلاثة نجوم ، ثم تغير إلى ما هو عليه حالياً ، أمكننا أن نقول : إن الهلال عامة فى أية دولة ليس رمزاً دينيا على الإطلاق .

هذه قصة الهلال نسوقها عِلْماً ونَصَفَهُ والله الهادى إلى سواء السبيل .

د. على أحمد الخطيب

---

(٣٥) نفس المرجع عدد ذى القعدة ص ١٤٩٣ .

(٣٦) راجع فى (الأعلام) الأطلس العربى ـ وزارة التربية والتعليم / جمهورية مصر العربية ط ثالثة ١٣٨٨ / ١٩٦٨ ص ٣ ، ٤ .

نداء وبيان عن القدس من الأزهر الشريف إلى الأمة الإسلامية

بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج

قال الله سبحانه :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الإسراء : ١ .

هذه فلسطين التى اغتصبتها الصهيونية ، وطردت أهلها العرب المسلمين والمسيحيين .

هذه القدس التى شرفت بإسراء الرسول محمد ﷺ إليها مصليا فى مسجدها .. إماما لرسل الله وأنبيائه ، ثم كان معراجه منها إلى حيث كرمه الله ، فأراه من آياته الكبرى .

هذه مأساة المسجد الأقصى ومسجد القبة المشرفة ..

أنها قضية كل مسلم على وجه الأرض ، وليست قضية العرب وحدهم .. وإن كان عليهم عبؤها .

إن العمل من أجل حماية القدس ، ومسجدها الأقصى ، وكل آثارها الإسلامية ، وأهلها ، فريضة قطعية على كافة الدول والشعوب الإسلامية .

إن مسجدها ثالث الحرمين الشريفين .. تشد إليه الرحال فأين نحن المسلمين مما يجرى فى القدس ؟!

أين نحن المسلمين مما يراد بالمسجد الأقصى .. وقبة الصخرة والآثار الإسلامية .. والاعتداء المستمر على هذا الحرم ؟!

أين نحن من هؤلاء البغاة الطغاة الذين استمرأوا صمت المسلمين وقعودهم عن حماية مقدساتهم ؟!

ألم يأن لنا أن نجمع الشمل ، ونجمع على أمر ننقذ به أرضنا ونحمى به عرضنا ؟

نعم .. آن الأوان لتجميع الصفوف وتوحيد الكلمة . وجمع شمل الأمة الإسلامية .

آن الأوان لأن نعرف العدو من الصديق ، وأن نتصادق ونتآخى بدلا من الصراع والخلاف ، وأن نتصافى ونتعاضد بدلا من التباغض والتباعد والاختلاف . آن الأوان لنراجع المواقف التى أدت بنا إلى الخسران وأوقعتنا فى المهالك . آن الأوان لننظر إلى حراس المسجد الأقصى ، وما يقاسونه فى

سبيل الدفاع عنه بأجسادهم ، فقد جُرِّدوا من كل سلاح ، مع أن عدوهم قد تزود بكل الأسلحة المهلكة ، وأخسها : الغدر والخيانة .

أين المساعدات لهؤلاء الحراس حتى يقيموا البنيان ويصدوا العدوان ؟!

ألا نحمى ذمارنا ، ألا ندافع عن حوزتنا وإخوتنا الذين قال قائلهم : إن وطنهم الآن حقائبهم .

ألا ننهض معهم حتى يستردوا قدسهم وأرضهم ؟!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ سورة الصف

أيها المسلمون :

إنكم أهل نجدة وشهامة وأهل عزة وكرامة :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ **(سورة المنافقون : ٨)** فاستعينوا بالله وأجمعوا أمركم ورأيكم ولا تختلفوا .. فقد جَرَّت الخلافات على الأمة الإسلامية فى ماضيها المآسى التى ضاعت بسببها الأوطان .. وتمزق الكيان ، ونجح الأعداء فى تفريق الصفوف ، وإذكاء الفتن ما ظهر منها وما بطن ..

تحاوروا وتشاوروا .. فإن رسول الله ﷺ وهو المؤيد من ربه شاور أصحابه ، ونزل على رأيهم فى كثير من الواقعات نزولا على حكم الله : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ **(سورة آل عمران : ١٥٩)** «والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه» ..

و« **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » .

أليس هذا من وصايا رسول الله ﷺ .

فما بالنا نتصايح بالشرور وعظائم الأمور فيما بيننا .. ولا نتنادى إلى الدفاع عن قدسنا ومقدساتنا ووحدتنا !!.

ثم ما بالنا نصمت وأجزاء من جسد المسلمين تبتر ، وأرضهم تسلب ، ومقدساتهم تنتهك ؟!

ما بال المسلمين لم يفيقوا لما يراد بهم ؟!

استمعوا لنداء الله فى كتابه :

﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ سورة التوبة

شيخ الأزهر الشريف

(جادالحق على جادالحق)

فتــوى للإمام الأكبر فى حــكم

إزالة الزوج بكارة زوجته بغير الوطء الفعلى وآثاره

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

وبعـد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة (عن طريق الفاكس) من السيد م. ن جاء فيها :

لقد تقدم لابنتى البالغة من العمر تسعة عشر عاما دكتور جراحة يبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عاما ، وعقد عليها ودخل بها وظل معها ستة أسابيع ، ولكنه به عيب شرعى ، حيث إنه لم يتمكن من إزالة بكارتها بالعضو الشرعى ، ولكنه أزالها بشىء ما ، ولذلك نرجو بيان حكم الشرع فى هذه القضية ، وما على هذا الزوج من واجبات ، وما للزوجة من حقوق وهذا مختصر ما حدث :

ليلة الدخلة حصل لابنتى نزيف كاد أن يودى بحياتها ، الأهل أصروا على أخذ البنت للمستشفى ، ولكن الزوج مانع وقال : هذا شىء طبيعى ، الأهل لايدرون السبب والابنة لاتقول ما حصل ، والزوج مضطرب وفى حالة ارتباك . توقف النزيف ، وعاد ثانية ومانع - أيضا - ذهابها للدكتورة ، مع أن حالتها الصحية كانت تتدهور يوما بعد يوم ، رفض علاجها ، ورفض أن نأخذها للعلاج ، فما كان من الأهل إلا أن أخذوها لعيادة الدكتورة ، ليعلموا ما سبب النزيف ، قالت الدكتورة : إن هذا النزيف غير طبيعى ويجب تحويل البنت لإخصائية لمعرفة أسباب النزيف الأول ، عند ذلك جن جنونه وقال للأهل ألا تعلموا لو صدر تقرير من الإخصائية سوف يشهروا باسمى فى الجرائد والمجلات وأخسر عملى ؟ تعجبنا من أقواله ، وسألناه هل فعلت شيئا يستوجب ذلك قال : لا ، وأصر على عدم ذهاب زوجته للإخصائية وقال : أنا أعالجها بنفسى ولم يفعل شيئا ، وبعد أسبوع اتصلت البنت بأهلها وطلبت حضورهم وصرحت لهم بأنه ليلة الدخلة لم يستطع أن يزيل بكارتها بالعضو الشرعى ، ولكنه أزاله بشىء ما وكان الألم شديدا ، وهذا ماسبَّب النزيف وأنها رأت الدم على أصابعه وتحت أظافره ، وطوال المدة التى عاشاها معا لم

يستطع القيام بواجباته الزوجية إطلاقا ، وبعد كلامها هذا أخذناها إلى الإخصائية وكشفت عليها وقالت : مازال أثر الجروح موجودا وأن النزيف حصل يدويا أو بأداة ما ، وليس بالعضو التناسلى .

ومع هذا الفاكس تقرير الإخصائية ، وتقرير آخر عن تحليل الدم يؤكد فقدانها لكمية من الدم تسببت إصابتها بالأنيميا ـ وجزاكم الله خيرا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

المرسل
م . ن

والجـــواب

إن البكارة لغة : عذرة الأنثى وهى الجلدة التى تعلو قُبُلَ المرأة(١)
والبكر من النساء اصطلاحا وصف لامرأة لم تجامع بنكاح ولا بغيره .

والأصل والمشروع أن تزول بكارة المرأة بالوطء ، أى بالمباشرة التناسلية بين الرجل وزوجته فى محل الحرث وهو القبل ، وعندئذ تعتبر المرأة مدخولا بها حقيقة .

أما فض البكارة بغير الجماع ، ولغير ضرورة فهو من البدع المنكرة التى تخالف المقصود شرعا من الزواج ، وهى من المنكرات لما يترتب على هذا الفعل من ضرر نفسى وبدنى ، وخروج عن الود والرحمة ، والتشبه بحال الجاهلين ، والنبى ﷺ قال : (لاضرر ولاضرار) .

وإذا كان الحال كما ورد بالسؤال على النحو المشار إليه من فض البكارة بغير المباشرة التناسلية الطبيعية ، كان هذا العمل غير مشروع ، وفى الفقه الحنفى أنه مكروه ويعزر الزوج ، وفى الفقه المالكى أنه حرام ويؤدب الزوج .

ثم إن رفض الزوج علاج زوجته مما أحدثه بها بغير الطريق المشروع وامتناعه عن علاجها ومداواتها طبيا حرام ، إذ فى هذا تعريضها للهلاك ، وقد نهى الله ـ تعالى ـ فى القرآن عن هذا فى قوله ـ تعالى ـ فى سورة البقرة :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٢) .

ولقد أمر رسول الله ﷺ بالتداوى ، فعن أسامة بن شريك قال : (جاء أعرابى فقال يارسول الله أنتداوى ؟ قال : نعم فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمه من علمه ، وجهله من جهله)(٣) .

(١) لسان العرب والمصباح المنير مادة (بكر) . (٢) من الآية رقم ١٩٥ .
(٣) رواه الإمام أحمد .

وفى حديث شريف آخر (قالت الأعراب يا رسول الله ألا نتداوى قال : نعم عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو دواء إلا داء واحد فقالوا : يا رسول الله وما هو ؟ قال الهرم)[٤]

أما عما على هذا الزوج لهذه الزوجة :

فإن ما فعله هذا الزوج على هذا الوجه المشروح فى السؤال ـ بافتراض وقوعه ـ مكروه على النحو المشار إليه آنفا ، ولا يعتبر سببا مباشرا لفسخ عقد الزواج ، وعلى الزوج أن يتوب إلى الله ، وعليه مصروفات علاج ما أحدثه بزوجته من أضرار وأكدار فى ليلة دخوله بها ، وهى ليلة ينتظرها كل عروسين ، وينبغى على الأهل أن يصلحوا بينهما ، فقد يكون قد فعل ذلك رهبة لموقف يواجهه .

وإذا لم يكن قد وصل إليها بالمخالطة التناسلية الشرعية مدة عشرتها له فهى بكر حقيقة وحكما ، ولا أثر لزوال بكارتها بما ذكر ونحوه ، على محل البكارة ، وهذا عند الحنفية والمالكية والحنابلة والقول الأصح عند الشافعية ، والقول الثانى للشافعية ، وهو قول أبى يوسف ومحمد بن الحسن أن البكر فى مثل هذه الحال صارت بهذا الفعل ثيبا حقيقة[٥] .

وعلى هذه الأقوال جميعها فقد تأكدت لها كافة حقوق الزوجة من كامل الصداق واستحقاق النفقة مالم يثبت امتناعها عن القرار فى مسكن الزوجية بدون حق مشروع .

وإذْ كان ذلك :

كان هذا الزوج مرتكبا لعمل منكر وبِدْعِى غير مشروع يدخل فى دائرة المكروه فى قول الفقه الحنفى ، وفى دائرة المحرم فى قول الفقه المالكى ، وهو أى الزوج مُلزم شرعا بإصلاح ما أفسده ، أى بمصروفات العلاج والدواء والطبيب حتى ينتهى العلاج ونزولا عند قول الله ـ تعالى ـ فى سورة النساء :

﴿ .. وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ .. ﴾[٦] .

يجرى الحديث فى الصلح والتجاوز عما حدث ، فإذا لم يتم هذا فالاتفاق على وسيلة رضائية لما تنتهى إليه هذه العلاقة الزوجية فإذا لم يكن فاللجوء إلى القضاء وله إجراءاته .

وهذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

شيخ الأزهـــر
جاد الحق على جاد الحق

(٤) رواه ابن ماجه وأبو داود والترمذى وصححه ـ نيل الأوطار للشوكانى جـ٨ ص ٢٠٠ .

(٥) حاشية الدسوق على الشرح الكبير جـ٢ ص٢٢٣ ، والمغنى لابن قدامة جـ٦ ص٤٩٥ وكشاف القناع جـ٥ ص٤٧ ، وشرح منهاج الطالبين جـ٣ ص٢٢٣ ، وحاشية ابن عابدين جـ٢ ص٣٠٢ وفتح القدير جـ٣ ص١٦٩ ، وتبيين الحقائق وحاشية الاتقانى عليه جـ٢ ص١٢٠ .

(٦) من الآية رقم ١٢٨ .

إسلام الدين

وحدة إيمان .. وإخاء إنسانى

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومى

قال تعالى : ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ آل عمران ـ ٨٣

ونحن إذ نستعرض مفهومية الدين ، نود حصر مسمى الدين فى نطاق الأديان التى أنزلت كتبها من السماء (دين أهل الكتاب) المستندة إلى الوحى السماوى ، وهى التى تتخذ معبودا واحدا ، هو الخالق المهيمن على كل شىء ، فالديانة الطبيعية المستندة إلى محض فلسفات العقل والديانات الخرافية التى هى وليدة الخيالات والأوهام ، وكل ديانة تقوم هى أو جانب منها على عبادة التماثيل ، أو عبادة الحيوانات ، أو النباتات أو الكواكب ، أو الجن ، أو الملائكة .. الخ تخرج بمقتضى هذا الحصر عن أن تكون دينا صحيحا .

أما الأديان السماوية فإنها « **شرعة إلهية** » لها كل ما للإلهيات من ثبات الحق الذى لا تبديل لكلماته ، وصرامة الصدق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم هى فوق ذلك « منحة كريمة » تصل إلى حامليها وسفرائها عفوا بلا كدح ولا تعب ، وتغمرهم من نورها فى فترات خاطفة ، كلمح البصر أو هو أقرب ، ثم هى تعين العقل على تخطى ظلمات الماده ، وإذا التقى العقل والوحى على أمر فقد اتصلت مشاعل الليل بضوء النهار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء .

وكل دين وافتنا به السماء فهو إسلام لرب العالمين ، ودين القيّمة ، لذلك كانت كلمة الدين لا تجمع ولا تؤنث انما يتمايز دين السماء عن دين العقل إما بوصفه بالحق أو الباطل ؛ فيقال : « دين حق » أو « دين باطل » لكن السماء اصطفت له وصفا لا يداخلنا فيه شك أو التباس ، وإذا ما ذكر اتجهنا إلى السماء وهو : « الإسلام » نقدم تلك الكلمة على أن إسلام الدين هو إسلام الوجه لله رب العالمين .

١ ـ الفقه اللغوى للدين :

إن كلمة « الدين » عند العرب تشير إلى علاقة

• بحث دعت اليه الجمعية القومية التركية ـ اليونسكو برئاسة أوليس اربك فى جمادى الأول ١٤١٦/اكتوبر ١٩٩٥ ، إستانبول .

بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له . فإذا وصف بها « الطرف الأول » كانت خضوعا وانقيادا ، وإذا وصف بها « الطرف الثانى » كانت أمرا وسلطانا ، وحكما وإلزاما ، وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هى الدستور المنظم لتلك العلاقة ، أو المظهر الذى يعبر عنها .

يقول د. دراز(1) : إن معنى اللزوم فى الدين هو المحور الذى تدور عليه كلمة الدَّين بفتح الدال . والفرق بين الدين بالفتح ، والدِّين بالكسر هو أن أحدهما يتضمن فى الأصل إلزاما ماليا ، والآخر يقتضى إلزاما أدبيا .

ويقول د. دراز : ونحن نعرف من سنن اللغة العربية فى تصاريفها أنها حين تريد التفرقة بين الحسيات والمعنويات من جنس واحد قد تكتفى بتغيير يسير فى شكل الكلمة مع إبقاء مادتها كما هى مثل : « العِوج والعَوج و الخَلق ، والخُلق و الرؤية ، والرؤيا و الكِبْر ، والكَبَر .

وهكذا يظهر لنا جليا أن هذه المادة ـ بكل معانيها ـ أصيلة فى اللغة العربية . وإن ظن بعض المستشرقين أنها دخيلة ، معربة عن العبرية والفارسية ، فى كل استعمالاتها ، أو فى أكثرها ـــ بعيد كل البعد . ولعلها نزعة شعوبية تريد تجريد العرب من كل فضيلة حتى فضيلة البيان التى هى أعز مفاخرهم .

أما المتدين فانه يؤمن بهذه الصلة إلى حد أنه يجعلها جزاء حيويا من كيانه النفسى ، ولذلك نراه كلما حزبته حاجاته وتعسرت عليه رغباته . تطلع إلى روح أشد قوة ، يلتمس منها تلك الحاجات والرغبات .

يقول محمد فريد وجدى(2) : نعم يستحيل أن نتلاشى فكرة التدين ؛ لأنها أرق ميول وأكرم عواطفها(*) ، ناهيك بميل يرفع رأس الإنسان ؛ بل إن هذا الميل سيزداد . ففطره التدين ستلاحق الإنسان مادام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح ، وستزداد فيه هذه الفطره على نسبة علو مداركه ونمو معارفه .

إن الذين يتشككون فى الدين . لم يكن مبرر التشكيك مفهوما ، ولم يكن شكا منهجيا علميا قائما على درس الخيارات والبدائل المختلفة .

إن الدين ساحته دائما بريئة ، وعلى الذين يتشككون فيه أن يوجهوا سهام تشكيكهم إلى ما لديهم من خلط وقعوا فيه ، فهم يحسبون عادات ـ أفرزتها عصور التخلف ـ دينا .

إن موقف هؤلاء المتشككين الذين لا يحسنون الظن بدينهم ليس بمقبول ؛ بل إنه فى كثير من الأحيان ليس بمفهوم ، ولكن الموقف فى عمومه تمرد على المجتمع وقيمه .

صحيح أن الدين المتمثل فى علمائه ـــ بعضهم ارتبط فى بعض الأحيان بسلطات زمنية وذلك من الحوادث الاستثنائية فى التاريخ ـــ وليس قاعدة ـــ فتخلى فى كثير من الأحيان عن رسالته فى توجيه المجتمع ثقافيا ، وانعزل عن الواقع ليتقوقع فى أطر ضيقة بحكم موجة التخلف التى عمت المجتمع بما فيه المراكز الدينية ، ولكن الدين لم يشترك فى

(1) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ٢٧ ، ٣٢ .

(2) دائرة معارف القرن العشرين مادة « دين » .

(*) كذا فى الأصل ، ولعل العبارة ـ والله أعلم : نعم ، يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين من النفس لأنها أرق ميولها وأكرم عواطفها ... إلخ .

مؤامرة ضد المجتمع والناس ، إننا إذا كنا نملك لحظات مضيئة فى عصور الظلام فذلك عندما كان الدين يستعيد دوره ، ويتبنى رسالة تحرير المجتمع فى مواجهة تدخل خارجى أو فساد داخلى .

من الذى وقف فى وجه الاستعمار ؟ إنه الدين المتمثل فى علمائه . كان الدين دائما موجودا ، وسيظل فى لحظات المواجهة يُخَطِّىءُ هؤلاء الذين يوجهون إليه أصبع الاتهام .

إنه قيمة أصيلة وليس تقليدا رجعيا ، إنه لمعة الفطره ومسيرة كدح دؤوب ، تجدها أى الفطرة فى وجدانك ، إذا أزحت عنه غشاوه الغفلة وحاجب الطغيان ، وذلك هو الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

٣ ـ كلمة اسلام ومعناها القرآنى : وحده كلمة الله :

إذا تتبعنا كلمة « إسلام » بمعناها القرآنى وجدنا أنها العلاقة الرابطة بين دين الإسلام وبين سائر الأديان السماوية . فالإسلام فى لغة القرآن ليس اسما لدين خاص . وإنما هو اسم للدين المشترك الذى هتف به كل الأنبياء ، وانتسب إليه كل أتباع الانبياء ، هكذا نرى نوحا يقول لقومه : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ سورة يونس . ويعقوب يوصى بنيه : ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ سورة البقرة . وأبناء يعقوب يجيبون أباهم : ﴿ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ سورة البقرة . وموسى يقول لقومه : ﴿ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ سورة يونس .

والحواريون يقولون لعيسى : ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران . بل إن فريقا من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن : ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ القصص .

يقول د. دراز : ترى اسم الإسلام شعارا عاما يدور فى القرآن على ألسنة الأنبياء وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصر النبوة المحمدية ، ثم نرى القرآن يجمع هذه القضايا كلها فى قضية واحدة يوجهها إلى قوم محمد ، ويبين لهم فيها أنه لم يشرع لهم دينا جديدا ، وإنما هو دين الأنبياء من قبلهم :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ الشورى .

ثم نراه بعد أن يسرد سيرة الأنبياء وأتباعهم ينظمهم فى سلك واحد ، ويجعل منهم جميعا أمة واحدة لها إله واحد كما لها شريعة واحدة :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ سورة الأنبياء

ليس الإسلام اجترار الماضى وعبادة السلف إنه رؤية دائما إلى الأمام . إن الله لم يجعل أعيننا فى قفانا حتى ننظر إلى الوراء بل جعلها فى مقدمة رءوسنا حتى نسير دوما إلى الامام .

وهناك فرق شاسع بين الماضى الأصيل والماضى بما هو ماض مرفوض . الأصيل منه ضرورى لأننا بدون الأصالة نغدو مقلدين .

٤ ـ الإسلام إيمان بوحدة الوحى الإلهى :

لا يعد الإسلام نفسه دينا جديدا فى مقابل دين

أهل الكتاب لمجرد أنه ـ تاريخيا ـ جاء بعده ؛ بل يرى نفسه إكمالا وتصحيحا للدين إلى الوحدانية المطلقة التى وصى بها إبراهيم بنيه من بعده كما نصت على ذلك آيات كثيرة منها آية الشورى ١٣

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾

وفق ذلك المبدأ التى قررته تلك الآية الكريمة نجد أن الاسلام يبنى صرحه على ذات أسس دين أهل الكتاب مشيدا بأنبياء الله معترفا ومؤكدا بجوهرها فهى ـ إذ أنزلت ـ من وحى واحد .

٥ ـ الإسلام إيمان بوحدة الرسل :

قال تعالى :

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ سورة آل عمران

بذا نستطيع أن نتفهم موقف الإسلام باعتبار أن الإيمان بالرسل والأنبياء والكتب وحدة داخلة فى صميم إيمان المسلم ، وأن إيمانه قائم على تسليم الوجه لله وبوحدة كتبه المنزلة ورسله . فالإسلام يعنى اتصاف المسلم بتلك المعانى الإيمانية :

- إسلام الوجه لله رب العالمين .
- إسلام العبد أموره لله .
- التزام بالأصول التى يؤمن بها اليهودى والمسيحى فى التوراة والإنجيل المُنَزَّلَيْن وهى :

* وجود مخلوقات غير مرئية لنا ـ الملائكة ـ (عالم الغيب والشهادة)

* نزول كتب سماوية على بعض الأنبياء .

* إرسال الله رسله وأنبياءه إلى الأمم .

* القيامة والبعث يوم الحساب .

* القضاء والقدر .

بذلك يكون لفظ « مسلم » ينطوى من حيث إطلاقه على الأصول الإيمانية للأديان السماوية .

فالمسلم ـ فى اللغة العربية والبيان القرآنى ـ هو الذى أسلم نفسه لله رب العالمين ؛ فالإسلام من أجل ذلك ليس دينا محمديا ، ولكنه دين التسليم بإرادة الله .

إن التسليم بقضاء الله الملموح فى خضوع نبى الله إبراهيم وابنه نبى الله إسماعيل للابتلاء العظيم ، كان متمثلا فى التضحية فى كلمة « أسلم » قال تعالى :

﴿ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ ﴾ سورة الصافات

من هنا نستطيع القول بأن الاسلام لا تتركز مبادؤه فى شخصية الرسول ﷺ فيقال : الدين المحمدى .. نسبة إليه وإنما يمثله كتاب ، هذا الكتاب هو القرآن الكريم .

والقرآن فى لغة العرب : القراءة . أما فى الإسلام فإن القرآن هو كلام الله المدون فى المصاحف ، قديم غير مخلوق ، قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الواقعة

- والإسلام نفسه طريقة حياة أكثر من كونه طريقة فى التفكير .
- إن الإسلام ـ فى صيغته المكتوبة أعنى القرآن ـ قد برهن على أنه وحدة طبيعية : من الحب والقوة ، المتسامى والواقعى ، الروحى والبشرى .

● إن موقف الإسلام « الوسط » يمكن إدراكه من خلال حقيقة إن الإسلام كان دائما موضع هجوم من الجانبين المتعارضين : الدين والعلم .

فمن جانب الدين اتهم الإسلام بأنه أكثر لصوقا بالطبيعة والواقع مما يجب ، وأنه متكيف مع الحياة الدنيا ، ومن جانب العلم أنه ينطوى على عناصر دينيه وغيبية .

لذلك كان الإسلام هو الاسم الذى يطلق على الوحدة بين الروح والمادة ؛ وهو الصيغة الاسمى للإنسان نفسه ، وهو أيضا الصيغة المثلى لاكتمال الحياة الفاضلة .

واكتمال الحياة تكمن عندما تشتمل على كل من الرغبات الحسية والأشواق الروحية للكائن البشرى ، وترجع كل الإخفاقات الإنسانية لإنكار الدين إلى الذين تجتاحهم الرغبات المادية الجامحة وينكرون فى سبيلها ـ تبجحا ـ الدين وقيم الحياة الفاضلة ، وكذلك إلى الذين ابتدعوا من عند أنفسهم فلسفات روحية تنكر الاحتياجات المادية لحياة الإنسان ، وفى هذا يكمن المعنى النهائى للإسلام الذى يدعو إلى التوازن بين الجانبين المادى والروحى .

● بهذا يكون الاسلام تسمية لمنهج أكثر من كونه حلا جاهزا .

● ولذلك كان من غير الممكن التعبير عن الإسلام دون استخدام المصطلحات الإسلامية مثل : صلاة وزكاة وخليفة وجماعة ووضوء وغير ذلك من مصطلحات لا يوجد ما يقابلها فى المعنى فى اللغات الأوربية .

● إن الإسلام لم يكن مجرد أمة إنما ـ هو فى حقيقته دائما ـ دعوة إلى أمة « تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر » .

● كذلك يعنى الإسلام بالدعوة إلى خلق إنسان متسق مع روحه وبدنه ، ومجتمع تحافظ قوانينه ومؤسساته الاجتماعية والاقتصادية على هذا الاتساق ولا تنتهكه .

إن الإسلام هو ـ وينبغى أن يظل كذلك ـ البحث الدائم عبر التاريخ عن حالة التوازن « الجوانى والبرانى » . هذا هو هدف الإسلام وهو واجبه التاريخى المقدر له فى المستقبل .

وفى ذلك تأكيد على أن كلمة إسلام إذا ما أطلقت لا تعنى دينا لأمة خاصة ، ولا دينا لبلد بعينه ، ولا دينا يناسب زمنا واحدا . إنما تعنى دينا يتفق مع كل مكان وزمان ، ويصلح لكل قوم ، ولكل حال من أحوال المدنية .

٦ ـ إسلام الدين وعى حضارى :

إن أول ما أوحى إلى النبى ﷺ : سورة العلق كانت أذانا ينادى الإنسان إلى طلب العلم :
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾
سورة العلق

فى ضوء هذا نتفهم أن المسلم العاقل يفكر فى الله وفى خلق الله ، يذكر الله قياما وقعودا ، ويتفكر فى خلق الله السموات والأرض ، يسعى إلى الموضوعية ، ولا يميل إلى الهوى يدفع الشك بالدليل واليقين . هذه الدعوة إلى العلم ساقها الله باستعداد المسلم لاستخدام عقله ، ولقد شهد التاريخ الحضارى على أن الغرب لم يرث الأصول الحضارية ، وإنما الشرق الاسلامى هو الذى ورثها وبعثها وطورها ، وكان الازدهار الحضارى الإسلامى يؤكد على أنه كلما اشتد الوعى الدينى

والاستناره صارت الحاجة إلى العلم أقوى وألزم .

أما ما يشاع فى العصر الحديث ـ وهو زعم الفلسفات المادية : أن الدين يعتبر فى « عصر العلوم الطبيعية صورة متواترة للتخلف العقلى وعجز الإنسان عن حل مشكلاته ، أو التغلب عليها هى فكرة أوربية مادية محدودة الأفق .

وكان هذا مبررا كافيا إلى الدعوة إلى جعل العلم إسلاميا ، ونبذ النمط الغربى جانبا ، والهدف من مصطلح « العلم الإسلامى » هو العلم الذى تسيطر عليه الروح الإسلامية التى تحترم القيم والأخلاق الحميدة .

وكان التاريخ شاهدا على أن عصر الإسلام الحضارى لم يشهد مفكرا مسلما أو متنورا ذا مكانة ما قد تحدى علنا وحدانية الله أو نبوة رسل الله أو قداسة الكتب السماوية المنزلة أو البعث (يوم القيامة) ولم يدع أحد منهم إلى قول : أن الله قد مات .. كما افترضت الحضارة الحديثة على لسان نيتشه .

كان العرب قبل مجىء الإسلام بدوا متناثرين هنا وهنالك .. حتى إنه لم تكن هناك وحدة سياسية أو نظاما اجتماعيا ، بالمعنى الصحيح للكلمة ، فضلا عن المعرفة .

كان عدد الذين يكتبون ويقرأون فى الجزيرة العربية يعد على أصابع اليدين ، ثم جاء الإسلام ليبنى لهم كيانا واحدا ، وولدت حضارة كاملة على أرض البدو ، وحتى بالنسبة للأمم المتحضرة التى دخلت الإسلام كالفرس ، فإن التاريخ لا يذكر لنا أسماء نوابغ قبل الإسلام إلا فى نطاق ضيق جدا كـ « بزرجمهر » فى مقابل مئات الأسماء بعد الإسلام .

إذن كان من الحق ، ومن المنطق أن نشهد فى العالم الإسلامى حركة تدعونا إلى التمسك بهذا الدين لا بالثورة عليه .

إن أى مسلم تال للقرآن يمكن أن يرى بوضوح رأى الدين وتشجيعه للبحث والعلم .

لم تكن هناك مشكلة على الصعيد النظرى .

المشكلة كانت فى مكان آخر ، هو أن المسلم لم يعد يتفاعل مع الدين .

إن إسلام الدين يقضى علينا ، أن نمسح عن فكرنا الصدأ والغبار الذى علاه طوال قرون التخلف والانحطاط .

ونتجاوز تلك الفئة الرجعية التى تعرض الإسلام بشكل تقليدى وهامشى وتاريخى وذهنى بحت .

وتتجاوز أيضا تلك الأخرى المتغربة التى ضيعت ذاتها وهويتها ، ثم بعد ذلك علينا أن نحرر ذاتنا من الضياع والانهزامية والسلبية ، ومن الاغترار بالأمجاد التاريخية ، ومن الإحساس بالعجز والضعف واللاثقة ، ومن أحلام اليقظة والجدليات العقيمة ، ومن ثقافة التبرير ، وتقديس الواقع وعدم الجدية .

● نحن بحاجة للتحرر من النظرة الهامشية للدين .

● إننا بحاجة لتحرير نظرتنا للدين من سجن الهوامش إلى فضاء الشهادة الحية على الحياة .

● إننا إذا حررنا نظرتنا للدين من هذه الرؤى السلبية فسوف نغدو بالدين نافعين للحياة .

هذا هو دور الدين فى الحياة . هذا هو الإسلام الذى يجب أن نرجع إليه شهادة حية على الحياة

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ سورة البقرة ١٤٣

مع سورة يس

أ.د/ ابراهيم خميس

قال تعالى : ﴿ إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وءاثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام
مبين (١٢) واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون (١٣) إذ أرسلنا إليهم اثنين
فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون (١٤) قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل
الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون (١٥) قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون (١٦) وما علينا إلا
البلاغ المبين (١٧) قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب
أليم (١٨) ﴾

وقال مجاهد : المراد بقوله ﴿ في إمام مبين . ﴾ اللوح المحفوظ ، وقال بعضهم : يراد به القرآن ، وهذا ضعيف لمخالفته السياق ، وقيل : المراد به صحف الملائكة ، وهذا مردود لأن ذلك ذكر في قوله : ﴿ ونكتب ما قدموا ﴾ فيكون تكرارا .

ومن أهم ما يدل عليه قوله ﴿ ونكتب ما قدموا وءاثارهم ﴾ أن من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها ، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، وأن من سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ، ووزر من عمل بها بعده إلى يوم القيامة ، روى مسلم عن جرير بن عبد الله البجلي ــ رضي الله عنه ــ ، أن رسول الله ﷺ قال : « من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها ، وأجر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ، ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً » .

وقد لا ينقطع أجر الإنسان على عمل عمله قبل موته ، بل يستمر أجره إلى يوم القيامة ، روى مسلم عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ، أو صدقة جارية من بعده » .

قصة أصحاب القرية

قبل الكلام عن تحليل النص القرآني يحسن أن نذكر كلمة مجملة عن قصص القرآن الكريم .

والقصة في القرآن وسيلة من وسائله الكثيرة إلى أغراضه الدينية .

ويمتاز قصص القرآن بسمو الغاية وشرف المقصد ، تهذب به النفوس وتجمل الطباع ، وتنتشر به الحكمة ، ويشتمل على طرق فى التربية .

وتساق القصة أحياناً مساق الحوار ـ كما فى قصتنا هذه ـ وطورا مسلك الحكمة والاعتبار ، وتارة مذهب التخويف والإنذار . كما حوى كثيرا من تاريخ الرسل مع أقوامهم ، والشعوب مع حكامهم ، وشرح أخبار قوم هدوا فمكن الله لهم فى الأرض ، وأقوام ضلوا فساءت حالهم وخربت ديارهم ، ووقع عليهم العذاب والنكال . يضرب بسيرهم المثل ويدعو الناس إلى العظة والتدبر .

كل هذا قصه الله ـ تعالى ـ فى قول بين وأسلوب حكيم ولفظ رائع وافتنان عجيب ليدل الناس على الخلق الكريم ويدعوهم إلى الايمان الصحيح ويرشدهم إلى العلم النافع بأحسن بيان وأقوم سبيل وليكون مثلهم الأعلى فيما يسلكون من طرق التعليم ، ونبراسهم فيما يصطنعون من وسائل الإرشاد .

وقد اشتملت قصة أصحاب القرية على حوار بين الرسل وأقوامهم . والحوار عنصر هام فى القصص القرآنى نراه واضحاً فى كثير منها .

وفائدة الحوار أنه يضفى على الموقف قوة وبراعة ويجسم القصة كأن الانسان يسمع ويرى .

وبعد هذه الكلمة المجملة عن القصة فى القرآن الكريم أبدأ فى شرح النص وتحليله .

المناسبة :

بينت الآيات السابقة أن الانذار لا ينفع من كان فى علم الله أنه لا يؤمن . وبينت هذه القصة حالة قوم من هؤلاء جاءهم ثلاثة رسل ولم يؤمنوا وصبر الرسل على الإيذاء والقتل . وأنت يا محمد جئتهم واحداً وقومك أكثر من قوم هؤلاء الثلاثة فإنهم جاءوا قرية ، وأنت بعثت إلى العالم

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾

هو عطف على مقدر يفهم من سياق الكلام أى فأنذرهم واضرب لهم مثلا . والمعنى اجعل أصحاب القرية مثلا لهؤلاء فى الغلو فى الكفر والإصرار على التكذيب وطبق حالهم بحالهم .

معانى المثل :

ذكر اللغويون أن للمثل ثلاثة معان :

أحدها : الشَّبه والشِّبه والشبيه .

ثانيها : القول السائر الذى شبه مضربه بمورده .

ثالثها : القصة العجيبة والحالة الغريبة وهو المراد هنا . أى اذكر وبين لهم قصة هى فى الغرابة كالمثل ، وقد ذكر القرآن القرية ولم يسمها : قال ابن عباس وعكرمة وبريدة . القرية « انطاكية » . وهى تقع شمال سورية على ساحل البحر الأحمر .

والمرسلون الذين جاءوا تلك القرية لم تبين الآية أسماءهم . وأكثر المفسرين على أنهم من قبل عيسى عليه السلام من حوارييه . أرسلهم لنشر دعوته .

وإنما قال « إذ جاءها » ولم يقل إذ جاءهم إشارة إلى أن المرسلين أتوهم فى مقرهم .

قال قتـــادة وغيره : هم رسل عيسى من الحواريين بعثهم ليبلغوا دعوته حين رفع إلى السماء ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

هذا الكلام تفصيل وبيان لعدد المرسلين وأنهم ثلاثة . ومعنى « فعززنا » فقوينا وقرىء « فعززنا » بتخفيف الزاى ومعناها فغلبنا .

وجاء فى القصة : أن عيسى أرسل اثنين ، هما : « صادق » و « صدوق » إلى أهل تلك القرية ثم بعث ثالثا ، هو : « شمعون » فأخبر الثلاثة : أهل القرية أنهم مرسلون من قبل عيسى يدعونهم إلى عبادة الإله الواحد وترك ما هم عليه من عبادة الأصنام وإنما أسند الإرسال إلى الله لأن عيسى أرسلهم بأمر الله .

القول الصحيح فى المراد بالرسل وبالقرية :

إن أكثر المفسرين يقولون : إن القرية هى « أنطاكية » وأن الرسل من قبل عيسى ـ عليه السلام ـ ومن حوارييه وعلى الرغم من كثرة القائلين بذلك فإن القول الصحيح الذى أقرره هنا أن هذه القرية غير معروفة وأهلها كذلك . وهذا الذى أقرره يتمشى مع النص القرآنى فهو لم يذكر اسم القرية ولا من هم أصحابها ولم يذكر أن الرسل أرسلهم عيسى بل ذكر أن الله هو الذى أرسل الرسل وقول أهل القرية « ما أنتم إلا بشر مثلنا » يرجح أنهم رسل من قبل الله ـ تعالى ـ وأنها محاورة إنما تقال لمن أدى الرسالة من الله ـ تعالى .

قال بعض المفسرين :

ولم يذكر القرآن من هم أصحاب القرية ولا ما هى القرية . وقد اختلفت الروايات ولا طائل وراء الجرى مع هذه الروايات .

وعدم إفصاح القرآن عنها دليل على أن تحديد اسمها أو موضعها لا يزيد شيئاً فى دلالة القصة وإيحائها ، ومن ثم أغفل التحديد ومضى إلى صميم العبرة ولبابها .

فهى قرية أرسل الله إليها رسولين ، كما أرسل موسى وهارون أخاه ـ عليهما السلام ـ إلى فرعون وملئه فكذبهما أهل تلك القرية ؛ فعززهما الله برسول ثالث يؤكد أنه وأنهما رسل من عند الله ، وتقدموا ثلاثتهم بدعواهم ودعوتهم من جديد فقالوا « إنا إليكم مرسلون » .

وقال ابن كثير ج ٦ ص ٥٥٩ .

وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية هى « أنطاكية » وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلا من عند المسيح ـ عليه السلام ـ كما نص عليه قتادة وغيره وهو الذى لم يذكر عن واحد من متأخرى المفسرين غيره . ثم ذكر أدلة ترد هذا القول وتبطله :

الدليل الأول :

أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله ـ عز وجل ـ لا من جهة المسيح .

كما قال الله تعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ .. إلى أن **قالوا** : ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾

ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح ـ عليه السلام ـ « والله أعلم » ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا « إن أنتم إلا بشر مثلنا » .

الدليل الثانى :

ان أهل « أنطاكية » آمنوا برسل المسيح إليهم وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح ـ عليه السلام ـ فإذا تقرر أن أنطاكية أول مدينة آمنت فأهل هذه القرية قد ذكر الله ـ تعالى ـ أنهم كذبوا رسله ، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخمدتهم فالله أعلم .

الدليل الثالث :

ان قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح

بعد نزول التوراه . وقد ذكر أبو سعيد الخدرى وغير واحد من السلف أن الله تعالى بعد إنزاله التوراه لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم .

ويتبين من هذا أن هذه القرية المذكورة فى القرآن الكريم قرية أخرى غير أنطاكية .

موقف الكفار من الرسل وتكذيبهم إياهم :

ثلاث اعتراضات وجهها أصحاب القرية لرسلهم :

الاعتراض الأول :

« قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا » :

كذب أهل القرية الرسل بحجة أنهم بشر والبشرية تنافى الرسالة ـ فى زعمهم ـ وقد قالوا ذلك رداً على الرسل الثلاثة مكذبين لهم ومنكرين أن يكون البشر رسلا لأنهم والحالة هذه لا مزية لهم عليهم . وهذا منطق غريب وموقف عجيب من أصحاب القرية إذ أنكروا أن يكون الرسول بشراً ولم ينكروا أن يكون الإله حجراً . وإنكار بشرية الرسل من أصحاب القرية منطق مكرور مع كل الرسل من أقوامهم فهؤلاء قوم هود ـ عليه السلام ـ يقول بعضهم البعض ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾ المؤمنون : ٣٤ ، وقوم صالح ـ عليه السلام ـ يقولون ما حكاه القرآن عنهم ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ القمر : ٢٤ ، ٢٥ وفى سورة التغابن يقول الله حاكيا أقوام الرسل لرسلهم ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ﴾ الآية ٦ وقال تعالى : ﴿ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ إبراهيم : ١٠ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ الإسراء : ٩٤ . إن هذا الاعتراض المتكرر على بشرية الرسل تبدوا فيه سذاجة التصور والإدراك . والجهل بوظيفة الرسل . واعتراضهم هذا مبنى على اعتقادهم أن يكون هناك سر غامض فى شخصية الرسول ، مع أن الألغاز والأسرار ليست ملازمة للنبوة والرسالة ، وإن كان هناك سر غامض فإنه يتمثل فى حقيقة إبداع إنسان من هؤلاء البشر : الاستعداد اللدنى الذى يتلقى به الوحى من السماء حين يختاره الله لتلقى هذا الوحى ، وهذه الميزة هى التى يتفوق بها الرسل على سائر البشر . قال تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ الأنعام : ١٢٤ .

ثم هو بعد هذه الميزة فيه كل صفات البشر من أكل وشرب ومشى فى الأسواق ونحو ذلك وقد أمر الله رسوله محمدا ﷺ أن يقول لقومه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ فصلت : ٦ . ثم إن الرسول يقتدى به قومه ولا تتحقق القدوة ولا تكون إلا إذا كان بشرا . لأنه النموذج الذى يدعو قومه إلى الاقتداء به ، وهم بشر .

من أجل هذا كانت حياة الرسول ﷺ مكشوفة لأنظار أمته . وقد سجل القرآن الكريم حياته كلها بتفصيلاتها وأحداثها حتى خطرات قلبه فى بعض الأحيان وذلك لتطلع عليها الأجيال كلها إلى قيام الساعة .

الاعتراض الثانى :

﴿ وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ ﴾ .

والمعنى وما أنزل الرحمن عليهم شيئا من الوحى وقد بين الله ـ تعالى ـ أن اليهود حين أنكروا الرسالات لم يقدروا الله حق قدره ولم يعظموه حق تعظيمه . قال ـ تعالى :

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾

وكيف ينكرون الوحى والرسالات وهم معترفون بإنزال التوراه على موسى ـ عليه السلام . ولذا كان رد الله عليهم ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ الأنعام : ٩١ . وأهل هذه القرية على طريقة هؤلاء اليهود .

وخص أهل القرية « الرحمن » بالذكر دون سائر أسمائه ـ تعالى ـ لزعمهم أن الرحمة تأبى إنزال الوحى لأن الوحى يقتضى ـ حسب زعمهم ـ بعدم التكليف لما فيه من المشقة ، وقولهم : ﴿ **وما أنزل الرحمن من شىء** ﴾ توحى باعترافهم بوجود الله لكنهم ينكرون الرسالة ويعبدون الأصنام لتقربهم إلى الله .

قال تعالى فى سورة الزمر :

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ .

الاعتراض الثالث :

﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ .

أى قد صار الكذب عادة لكم . والتعبير بالمضارع « تكذبون » دون كاذبون للدلالة على التجدد ، وأن الكذب ديدنهم وخلقهم ، وهذه الجملة الأخيرة « إن أنتم إلا تكذبون » نتيجة لما قصده من الجملتين السابقتين .

رد الرسل على الشبه الموجهة إليهم وثقتهم بربهم وبيان وظيفتهم :

﴿ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝١٦ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ .

يرد الرسل على أهل القرية المكذبين لهم فى ثقة المطمئن إلى صدقه ، العارف بحدود وظيفته ، بقوله : ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ أى : الله يعلم انا رسله إليكم ، ولو كنا كذبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام ، ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار ، وفى معنى هذا جاء قوله تعالى : ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٥٢ ﴾ العنكبوت

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝١٧٣ ﴾ سورة الصافات

وقد جاء قوله تعالى : ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ متضمنا للقسم فى قولهم : **ربنا يعلم** وكأن الرسل يقولون للمكذبين كفانا أن الله يعلم أنا قمنا بوظيفتنا ، وتضمن من المؤكدات غير القسم « إن » واللام ، واسمية الجملة بخلاف قولهم أولا : ﴿ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ فقد جاء أقل تأكيداً . فما سر ذلك ؟

السبب فى الجملة الأولى : ابتداء إخبار ، فلم تحتج إلى كثرة المؤكدات . أما الثانية : فهى رد على انكار شديد من أهل القرية فكانت هذه المؤكدات .

وأهل البيان يقولون يجب زيادة المؤكدات فى الجملة الخبرية بحسب تزايد الانكار من السامع فلهذا قال الرسول أولا : **إنا إليكم مرسلون** مقتصرين على إن ، وثانيا : « ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون » مجموعا بين إن واللام وما يجرى مجرى

القسم ولا يخفى أن اليمين بعد إظهار البينة وإفحام الخصم مؤكد قوى .

وفى قولهم ﴿ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ .

بيان لوظيفتهم التى هى البلاغ ، أما تصديق الناس أو تكذيبهم ، فخارج عن وظيفة الرسل والمعنى : إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم ولا يجب علينا إلا تبليغ الرسالة كما أوحى الله بها إلينا ، لا نزيد فيها ولا ننقص منها . وقد جاءت آيات كثيرة تقصر وظيفة الرسل على البلاغ منها قوله تعالى : ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ المائدة : ٩٩ . وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾ سورة الرعد ٤٠ فالأمر ــ بعد التبليغ البين الواضح ــ لله رب العالمين .

تشاؤم أهل القرية بالرسل وتهديدهم لهم :

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٨ ﴾ .

إن المكذبين الضالين لا يطيقون وجود الدعاة إلى الهدى ، فتأخذهم العزة بالإثم ويعمدون إلى العنف والتهديد فى مقاومة الحجة . لأن الباطل يضيق صدره بالحق ، فيلجأ إلى الشتم والوعيد الشديد .

والمعنى : قال الكفار لما ضاقت بهم الحيل : « **إنا تطيرنا بكم** » أى تشاءمنا بكم . وهذا ديدن الجهلة ، حيث يتيمنون ويتفاءلون بكل ما يوافق شهواتهم ، وإن جلب لهم كل شر بما يكرهونه من إصابة ضر إن لم يؤمنوا ، فكانوا ينفرون عنه . قال مقاتل : إنه حبس عنهم المطر ، وقال غيره أسرع فيهم الجذام عند تكذيبهم الرسل ــ عليهم السلام ، وقال « ابن عطية » إن تطير هؤلاء كان بسبب ما دخل فيهم من اختلاف الكلمة وافتتان الناس . والله أعلم بمراده من كلامه .

﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

هذا تهديد من أهل القرية لرسلهم . والمعنى : لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه من الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك لنقتلنكم رجماً بالحجارة . وقال « مجاهد » لنشتمنكم .

وفى المراد من قوله « عذاب أليم » أقوال كثيرة قيل : هو التعذيب المؤلم ، فيجمع لهم بين الرجم والتعذيب ، أو هو من باب ذكر العام بعد الخاص وقيل : هو نوع خاص من العذاب يكون قبل القتل كالسلخ والقطع والصلب ، وقيل : هو عذاب لا يقادر قدره لا تنتهى به الحياة ويتمنون معه الموت وهكذا حين يكشر الباطل عن أنيابه ويسفر عن غشمه ويطلق على الدعاة الهداة تهديده ، ويبغى فى وجه كلمة الحق فيعربد فى التعبير والتفكير وهذا شأنه فى كل زمان وفى كل مكان .

نظرات قرآنية

الإقناع العقلى فى رسالة إبراهيم

٢

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

ذكرتُ فى المقال السباق أن دعوة رسل الله ـ عليهم السلام ـ قبل إبراهيم كانت ذات إقناع عقلى وتأييد برهانى بالدليل المشاهد ، والفكر المستقيم ، وأريد أن أثبت أن دعوة أبى الأبنياء سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ بلغت ذروة الإقناع الصائب ؛ إذ كان من الحجة الساطعة والدليل المطمئن فى الموضع الراجح ، والموقف الواثق .

وصلة إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالإسلام مما لا جدال فيه ، فقد قال الله ـ عز وجل :

﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[١] .

وقال عزّ من قائل :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٢] .

وسيدنا رسول الله ﷺ يذكر فى حديث الإسراء : « أنه رأى موسى وعيسى وإبراهيم فكان خليل الله أقرب شبهاً به عليهما الصلاة والسلام »[٣] ، وإذا كان ـ عليه السلام ـ يعنى الشبه الصورى فى ملامح الوجه واستواء الجسم فإن هذا الشبه يمتد إلى أصول الدعوة الإسلامية ، إذ أن دعوته ﷺ ، **إلى الحنيفية السمحة تجديداً لدعوة أبيه إبراهيم ، وقد اختص أبو الأنبياء بين الرسل قاطبة بالصلاة عليه** باسمه فى الصلوات الخمس عن تلاوة التحيات المباركات ، أما الأنبياء الآخرون فقد شملتهم عبارة (وآل إبراهيم) إذ هم إليه ينتسبون .

الدليل المطمئن

لعلّ أبلغ ما يتضح من سيرة إبراهيم فى دعوته الهادية ، اعتقاده الراسخ فيما يدعو إليه ، واشتغاله الدائب بما يطمئن قلبه فى اعتقاده الإيمانى ، فقد آمن أبو الأنبياء بالبعث عن يقين ، ولكنه مع إيمانه

(١) الحج : ٧٨ .

(٢) آل عمران : ٦٧ .

(٣) رواه مسلم .

الجازم طلب الدليل المحسوس فقال لربه : أرنى كيف تحى الموتى ؟ ويقول المفسرون إن خليل الرحمن قال : كيف تحى الموتى ؟ ولم يقل : هل تحى الموتى ، والسؤال بهل ، غير السؤال بكيف إذ أن السؤال بها تسليم بالإحياء بدءاً ، وطلب للكيفية فحسب ، ولا كذلك السؤال بهل ، فهو يعطى صورة التردد لا الحزم وقد قال له ربه أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبى : فالعمل على هذا الاطمئنان الأكيد يراه خليل الرحمن تثبيتاً لقلبه ، وتأكيداً راسخاً لاتجاهه ، وهو ما سعى إليه حين التجأ إلى ربه بسؤاله الحصيف .

كتب أستاذنا الأستاذ محمد محمد المدنى مقالًا جيداً[٤] عن أبى الأنبياء قال فيه ببعض التصرف : « إن بعض الناس قد ينظرون فى المسائل فيستولى عليهم الخوف النفسى من طرق بعض نواحيها ، ويخيل إليهم أن هذه النواحى حرمٌ مقدس لا يجوز القرب منه فضلًا عن اقتحامه ، ولكن إبراهيم كان مقداماً على ما يعتقد أنه الصواب ، جريئاً فى إنفاذه والعمل عليه ، قوياً فى معالجة قلبه ، لكيلا يطغى على عقله ، فهو لا يعبأ بأى اعتبار من الاعتبارات التى تصرف الضعفاء عن النظر الصحيح ، ولم يكن متردداً فى الإيمان بقدرة الله إيماناً طبعه الله عليه ، ولكنه طلب صورة أخرى من صور اليقين بعد الإيمان بالقدرة ، وليس كل الناس يجرؤ على هذا الطلب ، ولكن إبراهيم يريد أن يصل إلى الاطمئنان ، ويسد على كل من تحدثه نفسه بالشك منافذ الشيطان » .

والموقف بعد لا يختص بإبراهيم ـ وحده ـ فهو مقبل على دعوة قوم ألداء ، وخصوم شداد ؛ إلى الإيمان بالبعث ، وهم مصممون على نكرانه ، ولا ريب أنه سيذكر لهم هذا الدليل الحسى الذى شاهده مشهد العيان حين أخذ أربعة من الطير فضمهن إليه ، ثم جعل على كل جبل منهن جزءا بعد تقطيعهن ، ودعاهن إليه ، فعادت حياتهن ، وأقبلن سعياً إليه ، وقد يكون بين أصحابه من شاهد هذا المشهد ، فإذا تمت هذه الصورة الخارقة ، وأكدها خليل الرحمن لقومه أبلغ تأكيد ، كانت إحدى وسائل الاقناع .

الدعوة بالتى هى أحسن

يتجه الرسل أو أول ما يتجهون إلى ذوى قرباهم ، وقد بدأ إبراهيم ـ عليه السلام ـ بدعوة أبيه ، لأن اهتمامه بصلاح أمره فى دنياه وآخرته كان من القوة بحيث جعل يحاوره فى مواقف شتى دون أن ييأس ، وقد كان من الحصافة بحيث اختار أهدأ الكلمات ، وأقربها إلى النفاذ فى مكامن الإحساس ليستميل أباه إلى دينه الحنيف ، ولم يكن النبى الملهم غافلًا عن مكان الإقناع فى محاورته الهادفة ، فهو يقول له :

﴿ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِى عَنكَ شَيۡـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدۡ جَآءَنِى مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِىٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَـٰنَ إِنَّ ٱلشَّيۡطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَـٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ

(٤) مجلة الأزهر (المجلد العشرون) ص ٦٠١ سنة ١٣٦٨هـ .

﴿ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾(٥) .

والمفسرون يلتفتون إلى قول إبراهيم « عذاب من الرحمن » التفاتاً نفسياً ، فيقول قائلهم : لم يقل إبراهيم « عذاب من الجبار أو القهار » بل قال من الرحمن ليعلم والده أن الله رحيم غفور ، وأنه سيتغمده برحمته ما أسلف من السيئات حين يعجل التوبة من الشرك وقد قابله والده بالجفاء الغليظ حين أعلن أنه إذا لم يتبعه ويترك الدعوة إلى الله سيرجمه ، وهو تهديدٌ قاس لم يكن ينتظره هذا الذى يختار أرق الكلمات لتقع موقع الاستجابة من قلب الوالد العنيد ، ومع هذا التهديد القاسى فلم يسع إبراهيم إلا أن يقول لوالده : ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ .

أليس فى هذا النمط الحوارى نموذج رائع للدعاة ! ألا يعطيهم القدوة الطيبة فى حسن الاستمالة ، وتحمل الإساءة ، بل فى مقابلتها بالاحسان ، إذ يقول ـ لمهدده : ﴿ **سلام عليك سأستغفر لك ربى** ﴾

وإخال أن خيبة أمل إبراهيم فى والده كانت ذات شجن أليم ، أخذ يرن مجلجلًا فى أعماقه ، إذ تابع دعوته ملحاً ، حتى إذا أدركه السأم . اتجه إلى القوم فى مجتمعهم الحافل ، وأبوه من بينهم ، ليعيد ما قاله على الملأ مستعيناً بأقوى الحجج ، وأمضى البراهين ، حين يفضح حقيقة الأصنام المعبودة فيقول ـ لأبيه وقومه : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٦) .

وإذن فقد :

كشف إبراهيم حقيقة الأصنام التى لا تسمع من يدعو ، ولا تملك الضرّ والنفع لأحد ، وبيَّن أنّ اتباع الأبناء ضلال الآباء عبث ضائع ، أما فقد دعا إلى عبادة ، رب العالمين .

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾(٧) .

هذا الآله الخالق الرازق ، المعافى ، المحيى ، المميت الغافر هو الحقيق بالعبادة ـ وحده ـ ولو كان لدى المشركين ذرةٌ من رشاد لعبدوُه حق عبادته : ولكنهم أعرضوا ، فقابلَ إبراهيم إعْراضهم بالدعاء الخالص لربه أن يثبّت إيمانه ، وأن يهب له الحكم ، وأن يَغفر لأبيه إذ كان من الضالين ! ولا تزال قضيّة البعث عالقة بذهنه فهو يذكر بها هؤلاء الجاحدين حين يواصل دعاءه فيقول :

﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾(٨) .

مجاراة الخصم

فى قواعد البحث والمناظره مايُسمّى (بالتسليم الجدلى) مجاراةً ظاهريّةً للخصم ، حتى ينفرج

(٥) مريم :
(٦) الشعراء : ٧٠ ـ ٧٧ .
(٧) الشعراء : ٧٨ ـ ٨٢
(٨) الشعراء : ٨٧ ـ ٨٩

النقاش المتصل ، عن بطلان ما يرى ، وهو نوع من الحوار الهادف يحتاج إلى يقظة بصيرة فى تتبع النقاش ، وملاحقة الثغرات ، وإلجاء المعارض إلى أضيق المسالك حين تُهاجمه الحجج الدامغة فلا يستطيع عنها محيدا ، وحين يرى أنّ سُلّم به مبدئياً كان ذريعةً إلى نقضٍ ما يدافع عنه من الأوهام ، وقد اعتمد إبراهيم ـ عليه السلام ـ هذا المنحى حين واجه من يعبدون الكواكب من قرمة ، ومنهم من كان يُسمّى الأصنام بأسماء الكواكب اعتزازا بنورها الساطع ، والقصة مذكورة فى قول الله ـ عز وجل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٩) .

هكذا اتخذ الخليلُ من مجاراة الخصم سبيلاً إلى إفحامه ، وقد شذَّ منْ قال : إن الآيات تُصوّر مراحل اهتداء إبراهيم إلى فاطر السموات والأرض ، وهذا خطأ محض ، فإبراهيم قد أوتى رشده من قبل ، ومنَ أوتى الرّشد لا تكون له مرحلة ضعفٍ ينتقل منها إلى مرحلة القوة ، فقد خلقه الله مفطورا على التوحيد ، وكأنّى به وقد دبّر هذه المحاورة ليخذلَ من يشركون بالله ، حتّى إذا ظهر الحق ، صاح بهم ﴿ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾(١٠)

صاحَ بهم من منطق القوة ، حيث ظهرت حجته لائحةً حين أفلت الكواكب ولم توال الإشراق ، وحاجة قومه من منطق الضعف لأنهم لم يجدوا دليلاً يقنع ، أو برهانا يدلّ ، وقد اكتفوا بأن خوّفوه مايتوهمونه من سوء العاقبة فجابهم بقوله :

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١١) .

دعــوة هــــود

وفى الأقوياء ذوى النظر القاصر من يخدعهم الحاضرُ عن المستقبل فيعتقدون أن البأسَ دائم ، وأنّ الضعْف مستحيل ، وقد نشأ فيهم من يَدعُوهم إلى خشية الله ، وعبادتَه وحده ، ولم تكنْ يهُودٍ معجزة حسيّة يُقدمّها بين يدىْ دعوته ، فصاحوا به :

﴿ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾(١٢)

وقد أصمّوا آذانهم عن هذا الذى أخذ يُبَصِّرهم بواقعهم ، مستشهدا بما حولهم من الدلائل ، فإذا

(٩) الأنعام : ٧٥ ـ ٧٩

(١٠) الأنعام : ٨٠

(١١) الأنعام : ٨١

(١٢) هود : ٥٣ ـ ٥٤

قالوا له . ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾(١٣) .

صاح بهم .

﴿ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾(١٤)

وأخذ يُمنِّهم بما يبهجهم فى حياتهم فيناديهم .

﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾(١٥) .

ثمّ يرى جحودهم الصارخ فيعالنهم بقوله :

﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾(١٦) .

لقد كان فى كلّ ما قال هود مقنع أى مقنع لمنْ يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولكنّ الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفوا فى الحياة الدنيا لايحفلون بإقناع ملزم ولا حجة مفحمة ، فهم يستهزون حين يقولون .

﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۝٣٥ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝٣٦ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٣٧ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴾(٦) .

وهكذا صمّوا عن الدليل ، وعموا عن الحجة .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١٨)

دعـــوة صـــالح

تَلا صالح «هودا» ، إذا أرسله الله إلى قوم أثرياء أشدّاء كقومه ، فبلغهم مثل رسالته ، ولكنه زاد على هود بالمعجزة الحسيّة فلم تُجْدِ نفعا ، وهى الناقة التى عُقِرت دون ذنب ، فأخذهم الله بما كسبُوا ، وقد جمعت آيات الشعراء خلاصة قصّته حيث قال الله ــ عز وجل :

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٤١ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٤٢ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٤٣ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٤٤ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٤٥ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ۝١٤٦ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٤٧ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۝١٤٨ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ۝١٤٩ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٥٠ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝١٥١ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ، ...... فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ۝١٥٧ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾(١٩)

هذه أمثلة شتىّ لرسل الله ــ قبل إبراهيم ــ عليهم السلام ، تُوضّح ما جاءُوا به من الحجج الساطعة والبراهين الناصعة ، حيث أبلوا أحسن البلاء فى تبليغ الرسالة ، وإيضاح الحجة بالمنطق الفصل ، والبنيان الجزل ، وصبُروا على ما أوذوا حتى أتاهم نصر الله ، ولن يضيع أجر المحسنين .

(١٣) الأعراف : ٧٠
(١٤) الأعراف : ٧١
(١٥) هود : ٥٢
(١٦) هود : ٥٧
(١٧) المؤمنون : ٣٥ ــ ٣٨
(١٨) المؤمنون : ٤١
(١٩) الشعراء من ١٤١ إلى ١٥٨

السنة هـدى ورجالاً

استفت قلبك

للشيخ على حامد عبد الرحيم

عن وابصة بن معبد ـ رضى الله عنه ـ قال :

أتيت رسول الله ﷺ فقال : « جئت تسأل عن البر والإثم ؟ قلت : نعم . قال : استفت قلبك ، البر:ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم:ما حاك فى النفس ، وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » ـ رواه الإمام أحمد . وغيره

ورد هذا الحديث بروايات عدة منها :

١ ـ عن وابصة بن معبد قال : أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد ألا أدع شيئا من البر والإثم إلا سألته عنه . فقال لى : إدن يا وابصة ، فدنوت منه حتى مست ركبتى ركبته . فقال : ياوابصة « أخبرك ما جئت تسأل عنه ... قلت : يارسول الله أخبرنى . قال : جئت تسألنى عنه البر والإثم . قلت : نعم . فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكث بها فى صدرى ، ويقول : يا وابصة استفت نفسك ، البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك فى القلب ، وتردد فى الصدر وإن أفتاك الناس أفتوك » .

٢ ـ « البر ما انشرح له الصدر ، والإثم ما حاك فى صدرك ، وإن أفتاك عنه الناس » .

٣ ـ قال رجل : يا رسول الله ما الإثم ؟ قال إذا حاك فى صدرك شىء فدعه .

٤ ـ البر : حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس .. رواه مسلم عن النواس بن سمعان .

شرح الحديث :

يدور معنى (البر) على الإحسان ، فيقال : فلان بر بوالديه ، أى هو محسن فى معاملتهما ، رفيق بأمرهما . ومنه : الإحسان إلى الخلق عموماً ، وكان عبدالله بن عمر يقول : البر شىء هين : وجه طلق وكلام لين .

وإذا قرن البر بالتقوى كما فى قوله ـ تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ المائدة ٢ ، فقد يكون المراد بالبر: معاملة الناس بالإحسان ، وبالتقوى: معاملة الحق بفعل طاعته واجتناب محرماته . وقد يراد بالبر فعل الواجبات وبالتقوى اجتناب المحرمات .

وقوله-تعالى : ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾: قد يراد بالإثم : المعاصى ، وبالعدوان : ظلم الخلق . وقد يراد-بالإثم : ما هو محرم فى نفسه ، كالزنا والسرقة وشرب الخمر . وبالعدوان تجاوز ما أذن فيه ؛ كأخذ زيادة على الواجب فى الزكاة وغيرها .

ويطلق البر ويراد به : فعل جميع الطاعات

الظاهرة والباطنة . كما فى قوله ـ تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ البقرة : ١٧٧ .

فالبر بهذا المعنى : يدخل فيه الأعمال الباطنة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ويدخل فيه جميع الطاعات الظاهرة كإنفاق المال فيما يحبه الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والوفاء بالعهد والصبر على الأقدار كالمرض والفقر . وعلى الطاعات كالصبر على لقاء العدو .

وقد يكون جواب النبى ﷺ .. فى حديث النواس بن سمعان ـ فيما رواه مسلم ـ البر : حسن الخلق .. لأن حسن الخلق قد يراد به التخلق بأخلاق الشريعة . والتأدب بآداب الله التى أحبها لعباده فى كتابه . حيث قال لرسوله ﷺ : وإنك لعلى خلق عظيم .

فالدين كله خلق ، سئلت عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن خلقه ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن .

إن ما ورد فيه النص الصريح ، ليس فيه مجال للرجوع إلى القلب أو النفس ؛ بل يجب الرجوع فيه إلى النص وإن لم ينشرح له الصدر : لأن أمر الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ أولى بالتقديم من ميل القلوب ، أو هوى النفس .

قال ـ تعالى :
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ سورة الأحزاب ٣٦ . وقوله :
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ٦٥ ﴾ سورة النساء

وكما قال الرسول ﷺ : فيما رواه البخارى ومسلم ـ عن النعمان بن بشير « إن الحلال بين ، وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام . كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » .

فقد ترك الرسول ﷺ أمته على بيضاء نقية ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك وبين لأمته ما أمروا به ، وما نهوا عنه ، لكن بعض الأحكام قد يكون أخفى على من ليس عنده علم . أو قد يكون النص خفيا على بعض الناس . أو قد يختلف من حمل (الأمر) على الوجوب أو الندب . و (النهى) على التحريم أو التنزيه .

فيكون الاشتباه الذى يتطلب القلب الطاهر التقى النقى الذى عمر بالإيمان وتوجه إلى الخير والبر بيان أمره ، كهذا الصحابى ـ وابصة ـ ويقاس عليه كل من كان شبيها به فى طهارة القلب ، وذكاء العقل .

قال ابن حجر الهيثمى : وفى جوابه ﷺ لوابصة إشارة إلى متانة فهمه ، وقوة ذكائه ، وتنوير قلبه ؛ لأنه ﷺ أحاله على الإدراك القلبى ، إذ لا يدرك ذلك إلا من هو كذلك ، وأما غليظ الطبع ، الضعيف الإدراك فلا يجاب بذلك . وإنما يفصل له ما يحتاج إليه من الأوامر والنواهى الشرعية ، وهذا من جميل عاداته ﷺ : يخاطب الناس على قدر عقولهم .

ولقد أرشدنا الرسول ﷺ إلى أن القلوب تصلح وتفسد ؛ فإذا كانت على فطرتها الصافية النقية أرشدت إلى الخير ، وإذا كانت صدأةً معيبة قادت إلى الشر .

روى الإمام أحمد والطبرانى : أن الرسول ﷺ قال : القلوب أربعة :

قلب أجرد فيه سراج يزهـو ؛ فذلك قلب المؤمن .

وقلب أسود منكوس ؛ فذلك قلب الكافر .

وقلب أغلف مربوط على غلافه ؛ فذلك قلب المنافق .

وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق ؛ فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد ، فأى المادتين غلبت عليه حكم له بها ..

والقلب النقى هو القلب الأجرد الذى لا دخل فيـه ولا غش ولا غل ، حيث يضىء فيـه نور الإيمان . فهـو على أصل الفطـرة . والقـــلب المنكوس : المقلوب ، والأغلف : الذى عليه غشاء عن سماع الحق وقبوله ، والقلب المصفح : هو الذى يصاحبه وجهان . فيأتى هؤلاء بوجـه ، وهؤلاء بوجه . فهو متردد بين أهل الكفر وأهل الإيمان .

والقلب المشرق بنور الإيمان ، لا يخفى عليه الشرك الخفى الذى هو أخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء . فلا يخفى على هذا النور خافيـة ، ولا يروج الشيطـان عليـه بشىء من مكائده .

كما أن الحديث لا يراد به ــ والله أعلم بمراد رسول الله ــ أن يترك الناس التفقه فى دين الله ــ تعالى ــ ويكتفى بالاعتماد على خطرات القلوب أو هواتـف النـفس . فإن هذه مزلقـة أودت بالكثير ؛ فباءوا بالخسران والبوار .

ولذلك عاب العلماء ــ ومنهم ابـن رجب الحنبلى ــ على طائفة من الناس يزعمون أن الكشف الروحى عندهم يغنيهم عن الفقه ، وعلم الحلال والحرام مع أن طلب العلم فريضة على كل مسلم .

وفى الحديث تذكير بمكانة الفتوى فى دين الله وخطورتها . وخاصة على أولئك الذين يتجرؤون على الفتوى بغير علم ولا فقه ولا بصيرة .

قال الإمام على ــ رضى الله عنه ــ من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السموات والأرض .

راويان وحديثان

فضيلة الدكتور / محمود سالم الخطيب

عن جابر بن عبدالله قال : أتانا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زائرا فى منزلنا فرأى رجلا شعثا . فقال : (أما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه . ورأى رجلا عليه ثياب وسخه فقال : أما كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه) (١) .

وعن ابن الحنظلية قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم ، وأصلحوا لباسكم ؛ فإن الله ـ عز وجل ـ لا يحب الفحش ولا التفحش) (٢) .

ترجمة راوى الحديث الأول

هو : جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصارى السلمى أبوعبدالرحمن صحابى مشهور له ألـف وخمسمائة حديث وأربعون ، اتفق البخارى ومسلم على ست وخمسين منها ، حضر بيعة العقبة ، وغزا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تسع عشرة غزوة ، مات سنة ٤٨ هـ عن ٧٤ عاما .

وأبـوه عبـدالله صحـابى كريم ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنهما .

ترجمة راوى الحديث الثانى

ابن الحنظلية وهـو : سهـل بن الربيـع بن عمرو ، ويقال : سهل بن عمرو أنصارى حارثى سكن الشام ، والحنظلية : أمه ، وقيل : هى أم جده وهى من بنى حنظلة من تميم .

معانى المفردات

أشعث : أى متفرق الشعر غير مرجل مُغْبَّر الرأس ملبده (٣) .

ومعنى يُسكنُ به رأسه : يَلمُّ شعثه ، ويجمع نفرقه ، فعبّر عنه بالتسكين(٤) .

وسخ الثوب : يسخ واتسخ علاه الدرن ، أى القذر (٥) .

المعنى العام للحديث

يخبر جابر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زاره فى بيته فوجد

(١) رواه أبوداود فى كتاب اللباس جـ ٤ ص ٥١ رقم ٤٠٦٢ .

(٢) من الفتح الربانى ترتيب وشرح الشيخ أحمد الساعاتى جـ ١٧ ص ٢٣٤ .

(٣) النهاية جـ ٢ ص ٤٧٨ ، ٤٨٠ والقاموس المحيط جـ ٣ ص١٦٨ بتصرف فيها .

(٤) الفتح الربانى جـ ١٧ ص ٢٣٤ .

(٥) من القاموس المحيط جـ ١ ص ٢٧٢ بتصرف .

الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنده رجلين . قد أهمل أحدهما شعره فتركه أشعث أغبر غير مرجل (ولا ممشط) ووجد الثانى متسخ الثوب فلم يَسُرَّ ـ عليه السلام ـ بمنظريهما غير المرغوب فيه ، والذى لا يليق بالمسلم ، ولقد رغب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى النظافة وحث عليها فى أحاديث كثيرة ، وأكد ـ عليه الصلاة والسلام ـ أهمية النظافة ووجوبها فى العبادات ، كما حدث ـ عليه الصلاة والسلام ـ عنها فى الملبس والمأكل والمشرب .

أما العبادات فيراد بها : الوضوء والغسل وقبلها يُطهر الإنسان سبيليه .

الحث على طهارة الماء وسلامة الطريق

وأمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالمحافظة على بقاء الماء طاهرا صالحا للتطهير به والشرب منه وشدد النكير على من يلوثه .

عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : (نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يبال فى الماء الراكد) رواه مسلم .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (اتقوا اللاعنَيْن قالوا : وما اللاعنان ؟ قال : الذى يتخلى(*) فى طريق الناس أو ظلهم) رواه مسلم .

فتراه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد أمر بالمحافظة على الماء حتى يظل طاهرا صالحا للاستعمال ، وعلى سلامة الطريق من القاذروات ، وعلى الظل الذى ينتفع به الناس من أذى الحر ، وفى النظافة ما يحول بينهم وبين الأوبئة والأمراض الخبيثة .

أما عن النظافة فى الوضوء فهى مفصلة فى قوله ـ تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ .

سورة المائدة ـ آية : ٦

فقد بين الله فى هذه الآية وجوب الطهارة فى الوضوء وفى الغسل من الجماع .

وقد بين الله ـ تعالى ـ أنه بفرضه الطهارة بالوضوء والغسل ، أنه أراد بها إتمام نعمته على عباده المسلمين ، كما أنه رفع عنهم المشقة فجدير بهم أن يشكروه .

﴿ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ . سورة المائدة

وواضح أن المراد بأعضاء الوضوء : الوجه وفيه العينان والفم والأنف والأذنان فإذا نظفوا عند كل صلاة سلمت أسنان المسلم وأنفه وعيناه وأذناه ، وكذلك من أعضائه : اليدان والرأس والرجلان ، فإذا نظفت كل هذه سلمت حواسه الظاهرة كلها .

فضل السواك والوضوء والغسل

وكذلك عنى الإسلام عناية فائقة بالسواك إلى درجة يمكن القول معها : إن شريعة الإسلام الوحيدة التى حثت على نظافة الأسنان واللسان أيضا لتقضى على (بكتريا) الفم وخطورتها .

روى أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (لولا أن أشق على أمتى ـ أو على الناس ـ لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة) رواه البخارى ومسلم .

(*) أن يتخذ الطريق خلاء لحاجته .

ومعنى : لأمرتهم بالسواك ، أى : أمر إيجاب ، فهو سنة مؤكدة .

وعن حذيفة ـ رضى الله عنه ـ قال : (كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك)[٦] والأحاديث فى استحباب السواك كثيرة ، ومعنى يشوص : يدلك أسنانه بالسواك من علو إلى سفل [٧] .

ومما يدل على فضل الوضوء ما رواه أبوهريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط [٨] .

ومعنى إسباغ الوضوء : غسل العضو جيدا من دلك للوجه ، وتخليل أصابع اليدين والرجلين ، ومعنى الرباط : الجهاد ، وهنا نذكر من نعم الله ـ تعالى ـ أنْ جَعَلَ الوضوء يغفر الخطايا ، روى سيدنا عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ قال : (من توضأ وأحسن الوضوء خرجت خطاياه حتى تخرج من تحت أظفاره) [٩] .

وتقدم وجوب الغسل بعد الجماع ، وقد أكده الإسلام فى الجمعة وعند الاستعداد للإحرام قال : رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (غسل الجمعة واجب على كل محتلم والسواك ويمس من الطيب) [١٠] .

ومعنى واجب : أى متأكد ، ومعنى محتلم أى بالغ .

والنظافة ـ عموما ـ مطلوبة من المسلم والمسلمة ، وبخاصة إذا توجه المسلم إلى المسجد قال ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ .

سورة الأعراف ـ آية : ٣١

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ألبسوا من ثيابكم البياض ، فإنها خير ثيابكم ، وكفنوا بها موتاكم) رواه الترمذى وأبو داود .

من حرمات المسجد :

ولكيلا يلم بالمسجد رِيحٌ خبيث نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك فقال : (من أكل البصل والثوم والكرات فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم) رواه مسلم .

ونهى الإسلام عن البصاق فى المسجد . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه أنس (البصاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها)[١١] .

ومعنى دفنها : أن يسترها .

وعنه أيضا فى النهى عن القاذورات فى المسجد . أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قال : (إن هذه المساجد لا تصلح

---

(٦) رواه البخارى ومسلم .
(٧) من القاموس بتصرف جـ ٢ ص ٣٠٧ .
(٨) مسلم .
(٩) رواه أحمد ومسلم .
(١٠) رواه ابن حبان ، وفيه روايات .
(١١) البخارى ومسلم .

لشىء من هذا البول والقذر إنما هى لذكر الله وقراءة القرآن)[١٢] .

الوقاية فى الأطعمة والأشربة

وبالنسبة للطعام والشراب والمحافظة على الآنية والأسقية ، روى عن جابر قال : ـ صلى الله عليه وسلم ـ (غطوا الإناء وأوكئوا السقاء)[١٣] .

وللمحافظة على ماء الشرب نهى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه أبى قتادة ـ رضى الله عنه قال : (نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يتنفس فى الإناء)[١٤] .

الحث على التجمل

هذه بعض الأحاديث فى حث المسلم على النظافة والتجمل ، وأن يكون على منظر حسن ورُوَاء طلى لا ينفر الناس منه ، والمسلمون من تمام إيمانهم : تنظيف الطريق قال : ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (الإيمان بضع وستون ـ أو وسبعون شعبة ـ أعلاها قوله لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)[١٥] .

ومعنى إماطة الأذى إزالته ، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ (إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود)[١٦] .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ (من كان له شعر فليكرمه)[١٧] .

عشر من الفطرة

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال : ـ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (عشر من الفطرة : قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء ـ يعنى الاستنجاء بالماء ـ قال : زكريا قال : مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة)[١٨] .

ومعنى البراجم : ما بين الأصابع .

طهارة القلب من أمراض الباطن

هذا هو اهتمام الإسلام بالنظافة الحسيه وعنايته بها ، كذلك عنى الإسلام بالنظافة المعنوية والباطنية وهما تطهير القلب من أمراضه المخيفة كالغيبة والنميمة والحقد والحسد والكبر والعجب وسوء الظن إلى غير ذلك .

قال ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ . سورة الحجرات

هكذا شأن الإسلام أراد من المسلم أن يكون على نظافة ظاهرة وباطنة قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ١١٠

ويقرأ بعض المسلمين آيات القرآن التى تحث على النظافة والأحاديث الكثيرة بشأنها ، ومع ذلك يتركون العمل بها فتجد بعض الطرق مَلأى بالقمامة والحجارة والشوك والحفر والماء العفن .. فهلا التزموا بالإسلام علما وعملا .

(١٢) مسلم عن أنس . (١٣) مسلم وأحمد . (١٤) رواه البخارى ومسلم .
(١٥) رواه البخارى . (١٦) رواه الترمذى . (١٧) رواه أبو داود . (١٨) رواه أبو داود .

الإمام الزهـــرى

٢

للدكتور أحمد السيد أحمد حطيبة

شدة حفظه وإتقانه :

ابن مهدى : سمعت مالكا يقول : حدث الزهرى يوما بحديث ، فلما قام قمت ، فأخذت بعنان دابته ، فاستفهمته ، فقال : تستفهمنى ؟! ما استفهمت عالما قط ، ولا رددت شيئا على عالم قط .

ابن المدينى : سمعت عبدالرحمن ، يقول : قال مالك ، حدثنا الزهرى بحديث طويل ، فلم أحفظه ، فسألته عنه ، فقال : أليس قد حدثتكم به ؟ قلنا : بلى ، قلت : كنتَ تكتب ؟ قال : لا . قلت : أما كنت تستعيد ؟ قال : لا . ورواها الإمام أحمد ، عن عبدالرحمن بن مهدى ، تابعه ابن وهب .

قال عثمان الدارمى : حدثنا موسى بن محمد البلقاوى ، سمعت مالكا يقول : حدث الزهرى بمائة حديث ، ثم التفت إلىّ ، فقال : كم حفظت يا مالك ؟ قلت : أربعين . فوضع يده على جبهته ، ثم قال : إنا لله ، كيف نقص الحفظ ؟!، موسى ضعيف .

معمر ، عن الزهرى : ما قلت لأحد قط : أعد علىّ .

مروان بن محمد . سمع الليث يقول : تذكّر ابن شهاب ليلة بعد العشاء حديثا ، وهو جالس يتوضأ ، فما زال ذاك مجلسه حتى أصبح .

أبو مسهر : حدثنا يزيد بن السمط ، سمعت قرة بن عبدالرحمن ، يقول : لم يكن للزهرى كتاب إلا كتاب فيه نسب قومه .

إبراهيم بن سعد : سمعتُ ابن شهاب . يقول : أرسل إلىّ هشام : أن اكتب لبنىّ بعض أحاديثك ، فقلت : لو سألتنى عن حديثين ، ما تابعت بينهما . ولكن إن كنت تريد . فادع كاتبا ، فإذا اجتمع إلىّ الناس فسألونى كتبت لهم ، فقال لى : يا أبا بكر ، ما أرانا إلا قد أنقصناك . قلت : كلا ، إنما كنت فى عرار الأرض ، الآن هبطت الأودية . رواه نوح بن يزيد ، عن إبراهيم ، وزاد فيه : بعث إلىّ كاتبين فاختلفا إلىّ سنة .

ابن وهب : أنبأنا يعقوب بن عبدالرحمن ، أن الزهرى كان يبتغى العلم من عروة وغيره ، فيأتى جارية له ، وهى نائمة ، فيوقظها يقول لها : حدثنى فلان بكذا ، وحدثنى فلان بكذا ، فتقول : مالى ولهذا ؟ فيقول : قد علمتُ أنك لا تنتفعى به ، ولكن سمعتُ الآن فأردت أن أستذكره .

أحمد بن أبى الحوارى : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : خرج الزهرى من الخضراء من عند عبدالملك . فجلس عند ذلك العمود ، فقال : يا أيها الناس ، إنا كنا قد منعناكم شيئا قد بذلناه لهؤلاء . فتعالوا حتى أحدثكم . قال : فسمعهم يقولون : قال رسول الله ﷺ ، وقال رسول الله ﷺ ، فقال : يا أهـل الشام ؛ ما لى أرى أحاديثكم ليست لها أزمة ولا خطم ؟ ! قال الوليد : فتمسك أصحابنا بالأسانيد من يومئذ ، وروى نحوها من وجه آخر : أنه كان يمنعهم أن يكتبوا عنه ، فلما ألزمه هشامُ بن عبدالملك أن يُملى على بنيه ، أذن للناس أن يكتبوا .

معمر . عن الزهرى . قال : كنا نكره الكتاب ، حتى أكرهنا عليه الأمراء ، فرأيت أن لا أمنعه مسلما .

ثناء العلماء عليه :

عبدالرزاق ، سمع معمرا يقول : كنا نرى أنّا قد أكثرنا عن الزهرى . حتى قتل الوليد ، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه ، يقول : من علم الزهرى .

وروى محمد بن الحسن بن زبالة ، عن الدراوردى ، قال : أول من دون العلم وكتبه ابنُ شهاب .

خالد بن نزار الأيلى ، عن سفيان ، قال : كان الزهرى أعلم أهل المدينة .

عبدالوهاب الثقفى ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى قال : عمر بن عبدالعزيز : ما ساق الحديث أحد مثل الزهرى .

ابن عُيينة ، عن عمرو بن دينار ، قال : ما رأيت أحدا أنص للحديث من الزهرى ، وما رأيت أحدا أهون عنده الدارهم منه ، كانت عنده بمنزلة البعر .

أبو سلمة المنقرى : حدثنا ابن عُيينة ، عن عمرو ، قال : جالست ابن عباس ، وابن عمر ، وجابرا ، وابن الزبير ، فلم أر أحدا أنسق للحديث من الزهرى .

قال محمد بن سهل بن عسكر : سمعتُ أحمد ابن حنبل ، يقول : الزهرى أحسن الناس حديثا ، وأجود الناس إسنادا ، وقال أبو حاتم : أثبت أصحاب أنس : الزهرى .

شعيب بن أبى حمزة ، عن الزهرى ، قال : اختلفت من الحجاز إلى الشام خمسا وأربعين سنة ، فما استطرفت حديثا واحدا ، ولا وجدت من يطرفنى حديثا .

ابن عُيينة ، عن إبراهيم بن سعد ، سمعتُ أبى يسأل الزهرى عن شىء من الخلع والإيلاء ؟، فقال : إن عندى لثلاثين حديثا ، ما سألتمونى عن شىء منها .

أبوصالح ، عن الليث : كان ابنُ شهاب ، يختم حديثه بدعاء جامع . يقول : اللهم أسألك من كل خير أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة ، وأعوذ بك من كل شرٍّ أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة . وكان من أسخى من رأيت . كان يعطى ، فإذا فرغ ما معه يستلف من عبيده ، يقول : يا فلان أسلفنى كما تعرف ، وأضعف لك كما تعلم ، وكان يطعم الناس الثريد ، ويسقيهم العسل ، وكان يسمر على العسل كما يسمر أهل الشراب على شرابهم ، ويقـول : اسقونا وحدثونا . وكان يكثر شرب العسل ، ولا يأكل شيئا من التفاح ، وسمعته يبكى على العلم بلسانه ، ويقول : يذهب العلم ، وكثير ممن كان يعمل به ، فقلت له : لو وضعت من علمك عند من ترجو

أن يكون خلفا . قال : والله ما نشر أحد العلم نشري ، ولا صبر عليه صبري ، ولقد كنا نجلسُ إلى ابن المسيب ، فما يستطيع أحد منا أن يسأله عن شيء إلا أن يبتدىء الحديث ، أو يأتي رجل يسأله عن شيء قد نزل به .

روى إبراهيم بن سعد . عن أبيه . قال : ما رؤى أحد جمع بعد رسول الله ﷺ ما جمع ابن شهاب .

الليث ، عن يحيى بن سعيد ، قال : ما بقى عند أحد من العلم ما بقى عند ابن شهاب .

عبدالرزاق حدثنا معمر ، عن رجل : قال عُمَرُ ابن عبدالعزيز : عليكم بابن شهاب هذا ، فإنكم لا تلقون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه .

سعيد بن بشير ، عن قتادة : ما بقى أحد أعلم بسنة ماضية من ابن شهاب ، وآخر ، كأنه عنى نفسه .

سعيد بن عبدالعزيز : سمعت مكحولا ، يقول : ما بقى أعلم بسنة ماضية من ابن شهاب .

وهيب : سمعت أيوب يقول : ما رأيت أحدا أعلم من الزهرى ، فقال له صخر بن جُويرية ، ولا الحسن البصرى ؟ فقال : ما رأيت أحدا أعلم من الزهرى .

الوليد بن مسلم : سمعتُ سعيد بن عبدالعزيز ، يقول : ما كان إلا بحرا ، وسمعتُ مكحولا يقول : ابن شهاب : أعلم الناس .

وقال ابن عُيينة : سمعتُ أبا بكر الهُذلى ، يقول وقد جالس الحسن وابن سيرين : لم أر مثل هذا قط . يعنى : الزهرى .

وقال العدنى : قال ابن عُيينة : كانوا يرون يوم مات الزهرى ، أنه ليس أحد أعلم بالسنة منه .

بقية : عن شعيب بن أبى حمزة ، قيل لمكحول : من أعلم من لقيت ؟ قال : ابن شهاب ، قيل : ثُم مَنْ ؟ قال : ابن شهاب ، قيل : ثُم من ؟ قال ابن شهاب .

قال ابن القاسم : سمعتُ مالكا يقول : بقى ابن شهاب ، وماله فى الناس نظير . وقال معمر : كان الزهرى فى أصحابه كالحكم بن عتيبة فى أصحابه ، قال موسى بن إسماعيل : شهدت وهيبا ، وبشر بن المفضل ، وغيرهما ، ذكروا الزهرى فلم يجدوا أحدا يقيسونه به إلا الشعبى .

قال على ابن المدينى : أفتى أربعة : الحكم ، وحماد ، وقتادة ، والزهرى ، والزهرى عندى أفقههم .

قال سعيد بن عبدالعزيز : جعل يزيد الزهرى قاضيا مع سليمان بن حبيب .

الوليد بن مسلم : عن الأوزاعى ، عن الزهرى ، قال : الاعتصام بالسنة نجاة ، روى يونس بن يزيد عنه نحوه .

وروى الأوزاعى عنه ، قال : أمروا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت .

الليث : عن جعفر بن ربيعة ، قلتُ لعِراك بن مالك : من أفقه أهل المدينة ؟ قال : أما أعلمهم بقضايا رسول الله ﷺ ، وقضايا أبى بكر وعمر وعثمان ، وأفقههم فقها ، وأعلمهم بما مضى من أمر الناس ، فسعيدُ بن المسيب ، وأما أغزرهم حديثا فعروة ، ولا تشاء أن تفجر من عبيد الله بن عبدالله بحرا إلا فجرته ، وأعلمهم عندى جميعا ابنُ شهاب ، فإنه جمع علمهم جميعا إلى علمه .

الحميدى : حدثنا سفيان ، قيل للزهرى : لو أنك سكنت المدينة ، ورحت إلى مسجد رسول الله ﷺ وقبره ، تعلم الناس منك ، قال : إنه ليس

ينبغى أن أفعل حتى أزهد فى الدنيا ، وأرغب فى الآخرة ، ثم قال سفيان : ومن كان مثل الزهرى ؟

قلتُ : كان رحمه الله محتشما جليلا بزى الأجناد ، له صورة كبيرة فى دولة بنى أمية .

روى الأوزاعى عن الزهرى ، قال : إنما يُذهب العلم النسيانُ ، وتركُ المذاكرة .

عبدالرزاق : سمعتُ عُبيدَ الله بن عمر ، يقول : أردتُ أطلبُ العلم ، فجعلت آتى مشايخ آل عُمر ، فأقول : ما سمعت من سالم ؟ فكلما أتيتُ رجلا منهم ، قال : عليكَ بابن شهاب ، فإنه كان يلزمه ، قال : وابن شهاب يومئذ كان بالشام ، فلزمت نافعا ، فجعل الله فى ذلك خيرا كثيرا .

عنبسة : عن يونس ، عن ابن شهاب ، قال : قال لى سعيد بن المسيب : ما مات من ترك مثلك .

مراسيل الزهرى :

قال الذهبى فى السير :

قال يحيى بن سعيد القطان :

مرسل الزهرى شر من مرسل غيره ؛ لأنه حافظ ، وكل ما قدر أن يسمى سمى ، وإنما يترك من لا يحب أن يسميه .

قال الذهبى : قلت : مراسيل الزهرى كالمعضل ، لأنه يكون قد سقط منه اثنان ، ولا يسوغ أن نظن به أنه أسقط الصحابى فقط ، ولو كان عنده عن صحابى لأوضحه ، ولما عجز عن وصله ، ولو أنه يقول : عن بعض أصحاب النبى ﷺ .

ومن عد مرسل الزهرى كمرسل سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ونحوهما ، فإنه لم يدر ما يقول ، نعم مرسله كمرسل قتادة ونحوه .

قال أبو حاتم : حدثنا أحمد بن أبى شريح ، سمعت الشافعى يقول : إرسال الزهرى ليس بشىء ، لأنا نجده يروى عن سليمان بن أرقم .

جرأته فى دفاعه عن الحق عند الخلفاء :

قال الذهبى فى السير ٣٣٩/٥ :

قال الشافعى : حدثنا عمى ، قال :

دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبدالملك ، فقال : يا سليمان : من الذى تولى كبره منهم ؟ .

قال : عبدالله بن أبىّ بن سلول .

قال : كذبت ، هو على بن أبى طالب .

فدخل ابن شهاب ، فسأله هشام ، فقال : هو عبد الله بن أبى ابن سلول .

فقال هشام : كذبت هو علىّ .

فقال الزهرى : أنا أكذب لا أبا لك ؟! ، فوالله لو نادى مناد من السماء : إن الله أحل الكذب ما كذبت ، حدثنى سعيد ، وعروة ، وعبيد ، وعلقمة بن وقاص ، عن عائشة : أن الذى تولى كِبْرَه عبدالله بن أبىّ ، قال : فلم يزل القوم يُغرون به ، فقال له هشام : ارحل ، فوالله ما كان ينبغى لنا أن نحمل على مثلك [٨] ، قال : ولم ؟ أنا اغتصبتك على نفسى ، أو أنت اغتصبتنى على نفسى ؟ فخلِّ عنى ، فقال له : لا ، ولكنك استدنت ألفى ألف ، فقال : قد علمت ــ وأبوك قبلك ــ أنى ما استدنت هذا المال عليك ولا على أبيك ، فقال هشام : إنّا (لا نريد) [٩] أن نهيج

(٨) فى القاموس : حمل على الشىء : أكره عليه .

(٩) ما بين القوسين ليس فى السير ، وسياق الكلام يقتضيه .

الشيخ ، فأمر فقضى عنه ألف ألف فأخبر بذلك ، فقال : الحمد لله الذى هذا هو من عنده .

سخاء الزهرى :

وكان الزهرى رحمه الله عظيم الجود ، شديد السخاء ، ينفق كل ما وجد ، فإن نفد ما عنده استدان لينفق على المحتاجين ، فإذا وجد قضى دينه فأوفى ، وزاد هبة منه .

قال الذهبى فى السير (١٠) :

قال الشافعى : قال عمى : ونزل ابن شهاب بماء من المياه ، فالتمس سلفا فلم يجد ، فأمر براحلته فنحرت ، ودعا إليها أهل الماء ، فمر به عمه فدعاه إلى الغداء ، فقال : يا ابن أخى : إن مروءة سنة تذهبُ بِذُلِّ الوجه ساعة ، قال : ياعم ، انزل فاطعم وإلّا فامض راشدا .

ونزل مرة بماء ، فشكا إليه أهل الماء ، أن لنا ثمانى عشرة امرأة عُمْرية ، أى لهن أعمار ليس لهن خادم ، فاستسلف ابن شهاب ثمانية عشر ألفاً ، وأخدم كل واحدة خادما بألف .

وقال سعيد بن عبدالعزيز : قضى هشام عن الزهرى سبعة الآف دينار ، وقال : لا تعد لمثلها تدان ، فقال : يا أمير المؤمنين ، حدثنى سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة : قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » (١١) .

وعن مالك : قال الزهرى : وجدنا السخى لا تنفعه التجارب .

وقال الشافعى : مرَّ رجل تاجر بالزهرى ، وهو بقريته ، والرجل يريد الحج ، فأخذ منه الزهرى (بضاعة) بأربع مائة دينار إلى أن يرجع من حجه ، فلم يبرح الزهرى حتى فرقها ، فعرف الزهرى فى وجه التاجر الكراهية ، فلما رجع (يعنى من حجه) قضاه الزهرى ، وأمر له بثلاثين دينارا ينفقها .

ولم يكن الزهرى ــ رحمه الله ــ يستدين وهو معسر ، بل كان له ما يقضى منه دينه ، قال الذهبى : قيل للزهرى : إنهم يعيبون عليك كثرة الدين ، قال : وكم دينى ؟ قيل : عشرون ألف دينار ، قال : ليس كثيرا ، وأنا ملىء ، لى خمسة أعين ، كل عين منها ثمن أربعين ألف دينار .

وعن عُقيل بن خالد : أن ابن شهاب كان يخرج إلى الأعراب يفقههم ، فجاء أعرابى وقد نفد ما بيده ، فمد الزهرى يده إلى عمامتى فأخذها فأعطاه ، وقال : يا عقيل ، أعطيك خيرا منها .

وقال سعيد بن عبدالعزيز : كنا نأتى الزهرى بالراهب ، وهى محلة قبلى دمشق ، فيقدم لنا كذا وكذا لونا .

من أقواله :

« القراءة على العالم والسماع منه سواء ــ إن شاء الله » .

« لا يرضى الناسُ قول عالم لا يعمل ، ولا عمل عامل لا يعلم » .

« إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب » .

« إن الكريم لا تُحَنّكُهُ التجاربُ » .

وكان الزهرى يحدث ، ثم يقول : هاتوا من أشعاركم وأحاديثكم ، فإن الأذن مَجَّاجة ، وإن للنفسِ حَمْضَةِ .

(١٠) سير أعلام النبلاء ٥/٣٤٠ .

(١١) متفق عليه .

أحسن الأسانيد عند النسائى :

قال الحافظ فى التهذيب [١٢] :

قال النسائى : أحسن أسانيد تروى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أربعة :

الزهرى عن على بن الحسين عن أبيه عن جده .

والزهرى عن عبيد الله عن ابن عباس .

وأيوب عن محمد عن عبيدة عن على .

ومنصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله .

سر تفوق الزهرى على غيره من العلماء :

قال الحافظ فى التهذيب [١٣] : قال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم : قلت لأبى : بم فاقكم ابن شهـــاب ؟ قال أبى : كان يأتى المجالس من صدورها ، ولا يلقى فى المجلس شابا إلا سائله ، ولا كهلا ولا عجوزا إلا سائله ، حتى يحاول ربات الحجال .

وقال الزهرى : ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشرى ، ولا بذله بذلى .

وعن الليث : ما رأيت عالما أجمع من ابن شهاب ، ولا أكثر علما منه ؛ لو سمعته يحدث فى الترغيب ، لقلت : لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن الأنساب ، لقلت : لا يعرف إلا هذا ، وإن حدَّث عن القرآن والسنة كان حديثه نوعا جامعا .

وقال ابن سعد : كان الزهرى ثقة ، كثير الحديث والعلم والرواية ، فقيها جامعا .

وقال أبو الزناد : كنا نكتب الحلال والحرام ، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع ، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس .

عدد ما له من حديث فى الكتب الستة ومسند أحمد :

له فى المسند ٢١٣٥ حديث .

وفى صحيح البخارى ١٥٣٤ حديث .

وفى صحيح مسلم ١٨٩١ حديث .

وفى سنن أبى داود ٦٤٠ حديث .

وفى سنن الترمذى ٣٧٠ حديث .

وفى سنن النسائى ٩٠٢ حديث .

وفى سنن ابن ماجه ٤٣٠ حديث .

وفـاته :

قال الحافظ الذهبى فى السير : قال يحيى القطان : توفى الزهرى سنة أربع أو ثلاث وعشرين ومائة ، تابعه أبو عبيد ، ويحيى بن معين .

وقال عدة : مات سنة أربع وعشرين ومائة ، قال معن بن عيسى : حدثنا ابن أخى الزهرى : أن عمه مات سنة أربع وعشرين ومائة ، وكذا قال إبراهيم بن سعد ، وابن عيينة ، زاد الواقدى : وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .

وقال ابن سعد وخليفة والزبير : مات لسبع عشرة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة .

وقال ابن سعد : أخبرنى الحسين بن المتوكل العسقلانى : قال : رأيت قبر الزهرى بأدما ، وهى خلف « شَغْب » و« بدًا » ، وهى أول عمل فلسطين ، وآخر عمل الحجاز ، وبها ضيعة للزهرى .

فرحم الله الزهرى رحمة واسعة ، وقدس روحه ، ونور قبره ، بما خدم دين الله وسنة نبيه ﷺ

(١٢) تهذيب التهذيب ٩/٤٤٨ .

(١٣) تهذيب التهذيب ٩/٤٤٩ .

المدونة الكبرى

في الفقه المالكي

(٤)

للأستاذ د. محمود عبد المتجلي خليفة

هذا عرض لبعض ما اشتملت عليه المدونة من أبواب وفصول علما بأن مؤلفها جعل لها عناوين (كتاب كذا) ثم يقسمه إلى عناوين جانبية دون ذكر كلمة فصل .

هذا والمدونة مطبوعة طبعتين :

الأولى بخط كبير ، وهو مايعبر عنه بالبنط ٢٢ ، وتقع هذه الطبعة فى ثلاثة عشر مجلدا من الحجم المتوسط .

والطبعة الثانية بخط عادى ، وهو مايعبر عنه بالبنط ١٨ ، وتقع هذه الطبعة فى أربعة مجلدات من الحجم الكبير كل جزء حوالى (٤٥٠) صفحة .

وبها من هذه الطبعة الأخيرة من الأسفل (كتاب المقدمات الممهدات لبيان مافى المدونة من أحكام ومشكلات) للإمام ابن رشد الكبير .

وهذا هوبيان ما اشتملت عليه المدونة بإيجاز .

كتاب الطهارة : ماجاء فى الوضوء :

قال سحنون : قلت لعبدالرحمن بن القاسم : أرأيت الوضوء : أكان مالك يوقت فيه واحدة أو اثنين أو ثلاثا ؟ قال : لا ، إلا ما أسبغ ، ولم يكن مالك يوقت ، وقال مالك : إنما قال الله ــ تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ المائدة ــ ٦

فلم يوقت تبارك وتعالى ــ واحدة من ثلاث .

الوضوء من النوم :

قال ، وقال مالك : من نام فى سجوده فاستثقل نوما وطال ذلك أن وضوءه منتقض ، ومن نام نوما خفيفا ... الخطرة ونحوها ، لم أر وضوءه منتقضا .

فى الذى يشك فى الوضوء والحدث

قال ابن القاسم : وقال مالك ـ فيمن يشك فى بعض وضوئه يعرض له هذا كثيرا . قال : يمضى ولاشىء عليه وهو بمنزلة الصلاة . قال ، وقال مالك فيمن توضأ فشك فى الحدث ، فلا يدرى أحدث بعد الوضوء أم لا : إنه يعيد الوضوء ، بمنزلة من شك فى صلاته فلايدرى : أثلاثا صلى أم اربعا ، فإنه يلغى الشك .

فى مسح الوضوء بالمنديل

قال : وقال مالك : لابأس بالمسح بالمنديل بعد الوضوء . قال ابن وهب عن زيد بن الحباب عن أبى معاذ عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ كانت له خرقة ينشف بها بعد الوضوء .

فى المسح على الجبائر والظفر المكسى

قال سحنون : وسألت ابن القاسم عن المسح على الجبائر فقال قال مالك : يمسح عليها فأرى إن هو ترك المسح على الجبائر أن يعيد الصلاة أبدا

قال ، وقال مالك ـ فى الظفر يسقط ـ لابأس أن يكسى الرواء ويمسح عليه .

فى اغتسال الجنب فى الماء الدائم أى الراكد

قال : وسمعت مالكا يكره للجنب أن يغتسل فى الماء الدائم قال : وقد جاء فى الحديث : لايغتسل الجنب فى الماء الدائم .

فى الرجل الجنب يصلى ولايذكر جنابته

قال ، وقال مالك ـ فى الجنب يصلى بالقوم ، وهو لايعلم بجنابته ؛ فيصلى بهم ركعة أو ركعتين أو ثلاثا ثم يذكر أنه جنب . قال : ينصرف ويستخلف من يصلى بالقوم مابقى من الصلاة ، وصلاة القوم خلفه تامة . قال : وان فرغ من الصلاة ، ولم يذكر أنه جنب حتى فرغ من الصلاة ؛ فصلاة من خلفه تامة وعليه أن يعيد هو وحده . قال مالك : وقد صلى عمر بن الخطاب بالناس وهو جنب ـ أى وهو ناس للجنابة ـ ثم قضى الصلاة ، ولم يأمر الناس بالقضاء .

ماجاء فى التيمم :

قال ، وقال مالك : التيمم من الجنابة والوضوء سواء . والتيمم ضربة للوجه وضربة لليدين : يضرب الأرض بيديه جميعا ضربة واحدة ؛ فإن تعلق بهما شىء نفضهما نفضا خفيفا .

قلت : أيتيمم فى الحضر إذا لم يجد الماء فى قول مالك ؟ قال : نعم

قال : وسألنا مالكا عمن كان فى القبائل ؛ فخشى إن ذهب يتوضأ أن تطلع الشمس قبل أن يبلغ الماء .. ؟

قال : يتيمم ويصلى .

قال : وسئل مالك عن الحصباء : أيتيمم عليها وهو لا يجد المَدَرَ أى الطوب ؟ قال : نعم .

وقيل لمالك فى الجبل : يكون عليه الرجل ، وهو لا يجد المدر أيتيمم عليه ؟ قال : نعم .

كتاب الصلاة :

ماجاء فى الأذان والإقامة :

قال ابن القاسم : قال مالك : الأذان : الله أكبر الله أكبر . أشهد أن لا اله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله . أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله . قال : ثم يرجع بأرفع من صوته بها أول مرة فيقول الشهادتين .

قال : فهذا قول مالك فى رفع الصوت . ثم حى على الضلاة حى على الصلاة . حى على الفلاح حى على الفلاح . الله أكبر الله أكبر . لا إله إلا الله . قال : وإن كان الأذان فى الصبح قال : الصلاة خير من النوم مرتين بعد : حى على الفلاح .

وقال مالك : ليس على النساء أذان ولا إقامة ، وإن أقامت المرأة فحسن . قال ابن القاسم : والإقامة مفردة إلا التكبير فى أولها وآخرها . فإنه مثنى مع زيادة : قد قامت الصلاة ، بعد حى على الفلاح .

وقال ابن القاسم : وكان مالك لايوقت للناس وقتا إذا أقيمت الصلاة يقومون عند ذلك على قدر طاقة الناس فمهنم القوى ومنهم الضعيف .

فى صلاة المريض :

قال ابن القاسم : قال مالك ـ فى المريض الذى لايستطيع أن يسجد ، وهو يقدر على الركوع قائما ويقدر على الجلوس ، ولايقدر على السجود والركوع جميعا ، ويقدر على القيام والجلوس ، قال : إذا قدر على القيام والركوع والجلوس قام فقرأ ثم ركع وجلس فأومأ للسجود جالسا على قدر ما يطيق ، وإن كان لايقدر على الركوع قام فقرأ وركع قائما فأوما للركوع ، ثم يجلس ويسجد إيماء .

فيمن صلى إلى غير القبلة

قال مالك : لو أن رجلا صلى فانحرف عن القبلة ، ولم يشرق ولم يغرب ، فعلم بذلك قبل أن يقضى صلاته . قال : ينحرف إلى القبلة ويبنى على صلاته ولايقطع صلاته .

قال ابن وهب عن الحارث بن نبهان عن محمد بن عبيدالله عن عطاء عن جابر بن عبدالله قال : صلينا ليلة فى غيم وخفيت علينا القبلة ، وعَلَّمْنا علما ، فلما أصبحنا نظرنا ، فإذا نحن قد صلينا إلى غير القبلة ، فذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : أحسنتم ، ولم يأمرنا أن نعيد .

صلاة الرجل وحده خلف الصفوف

قال : وقال مالك : من صلى خلف الصفوف وحده ؛ فإن صلاته تامة مجزئة عنه ، ولا يجذب إليه أحدا .

كتاب الصلاة الثانى :

ماجاء فى غير الطاهر يحمل المصحف :

قال مالك : لا يحمل المصحف غير الطاهر الذى ليس على وضوء لا على وسادة ولابعلاقة ، ولا بأس أن يحمل المصحف فى التابوت والغرارة والخرج ونحو ذلك وهو على غير وضوء .

الصلاة فى السفينة :

قال ، وقال مالك ــ فى الرجل يصلى فى السفينة وهو يقدر على أن يخرج منها . قال : أحب إلى أن يخرج منها ، وإن صلى فيها أجزأته ، ويجمعون الصلاة فى السفينة يصلى بهم أحدهم .

فى البيع والشراء يوم الجمعة :

قال عبدالرحمن بن القاسم : وقال مالك : إذا قعد الإمام يوم الجمعة على المنبر فأذن المؤذنون ، فعند ذلك يكره البيع والشراء . قال : وإن اشترى رجل أو باع فى تلك الساعة فسخ ذلك البيع .

الصلاة على قاتل نفسه

قال ، وقال مالك : يصلى على قاتل نفسه ، ويصنع به مايصنع بموتى المسلمين ، وإثمه على نفسه .

خروج النساء وصلاتهن على الجنائز :

قلت : هل تصلى النساء على الجنائز فى قول مالك ؟

قال : نعم .

قلت : هل كان مالك يوسع للنساء أن يخرجن مع الجنائز ؟ قال : نعم

فى ذوق الطعام ومضغ العلك والشيء يدخل فى حلق الصائم . قلت : أكان مالك يكره أن يذوق الصائم الشيء ، وكذلك مضغ العلك ـ (اللبان) ومضغ الطعام للصبى فكره كل ذلك . وماسبق إلى حلقة من تراب أو ذباب فلاشيء فيه .

الصيام فى السفر :

قال ابن القاسم : قال مالك : الصيام فى رمضان فى السفر أحب إلى لمن قوى عليه .

فى الذى يصوم متطوعا ويفطر من غير علة :

قلت : أرأيت من أصبح صائما متطوعا فأفطر متعمداً أيكون عليه القضاء فى قول مالك ؟ قال : نعم .

فى الذى يصوم فى رمضان وهو ينوى به قضاء رمضان آخر .

قلت : ما يقول مالك فيمن كان عليه صيام رمضان فلم يقضه حتىٰ دخل عليه رمضان آخر فصام هذا الداخل ينوى به قضاء الذى عليه ؟ فقال : قال لنا مالك فى رجل كان عليه : نذر مشى إلى الحج ، ولم يحج حجة الإسلام فجهل فمشى فى حجته ينوى بحجته هذه قضاء نذره وحجة الإسلام ، فقال مالك : أراه لِنَذْرِهِ ، وعليه حجة الإسلام .

قال ابن القاسم : وأما أنا فأرى فى مسألتك أن ذلك يجزئه وعليه قضاء رمضان الآخر .

فى القراءة فى رمضان :

قال وقال مالك : لا بأس بقيام الإمام بالناس فى رمضان فى المصحف ، وكذلك فى النافلة .

قال ابن وهب : قال ابن شهاب : كان خيارنا يقرأون فى المصاحف فى رمضان ، وأن ذكوان غلام عائشة كان يؤمها فى المصحف فى رمضان .

كتاب الزكاة الأول :

قلت ـ لعبد الرحمن بن القاسم : ما قول مالك فيما زاد على المائتين من الدراهم ، أيؤخذ منه فيما قل أو أكثر بحساب ذلك ؟ فقال : نعم ، ما زاد على المائتين قل أو كثر ففيه ربع عُشْرِهِ .

زكاة الحلى :

قال : وقال مالك ـ فى كل حُلى هو للنساء اتخذنه للبس فلا زكاة عليهن فيه .

قال : فقلنا لمالك : فلو أن امرأة اتخذت حليا تكريه فتكتسب عليه الدراهم لذلك عملته ؟ قال : لا زكاة فيه .

زكاة السلع :

قال : وقال مالك : إذا كان الرجل إنما يشترى النوع الواحد من التجارة أو الأنواع وليس من يدير ماله فى التجارة ، فاشترى سلعة أو سلعاً كثيرة يريد بيعها فبارت عليه ، ومضى الحول فلا زكاة عليه فيها ، وإن مضى لذلك أحوال حتى يبيع ؛ فإذا باع زكى زكاة واحدة .

زكاة القرض وجميع الدين :

قلت : أرأيت لو أنى أقرضت رجلا مائة دينار فمكثت عند الذى أقرضتها إياه سنتين ، ثم ردها على ، ماذا يجب على من زكاتها قال : زكاة عام وهو قول مالك :

زكاة الخضر والفواكه :

قال : وقال مالك : الفواكه كلها : الجوز واللوز والتين وغيرها ، والخضر كلها : القضب والبقل والقثاء وما أشبه هذا من الخضر فليس زكاة ، ولا فى أثمانها حتى يحول على أثمانها الحول .

كتاب الزكاة الثانى :

فى زكاة ماشية المديان :

قال : وقال مالك ـ فيمن كان عليه دين ، وله ماشية تجب فيها الزكاة ، والدين يحيط بقيمة الماشية ولا مال له غير هذه الماشية : أن عليه الزكاة فيها ، ولا تبطل الزكاة عنه فيها بالدين الذى عليه .

ما أخذ الساعى فى قيمة زكاة الماشية :

قال : وسمعت مالكا فى رجل أجبر قوما ـ وكان ساعياً ـ على أن يأخذ منهم دراهم فيما وجب عليهم من صدقتهم ، فقال : أرجو أن تجزىء عنهم إذا كان فيها وفاء لقيمة ما وجب عليهم ، وكانت عند محلها .

كتاب الحج الأول :

ما جاء فى القرآن للمحرم :

قلت ـ لابن القاسم : أى ذلك أحب إلى مالك : القران أم الإفراد بالحج أم العمرة ؟ أى التمتع .

قال مالك : الإفراد بالحج أحب إلى .

قلت : ما قول مالك فى الصبى إذا أحرم به ؟

قال مالك : يجتنب به ما يجتنب الكبير ، وإن احتاج إلى شىء من الدواء أو الطيب صنع به ذلك وفدى عنه .

كتاب الحج الثانى :

قال وقال مالك : لو أن امرأة ـ دخلت بعمرة ومعها هدى ، فحاضت بعدما دخلت مكة قبل أن تطوف بالبيت : أوقفت هديها معها حتى تطهر ، ولا ينبغى لها أن تنحر هديها وهى حرام ، ولكن تحبسه ، حتى إذا طهرت طافت بالبيت ، وسعت بين الصفا والمروة ، ثم نحرت هديها ، وقصرت من شعرها ، ثم حلت .

قال : سألنا مالكا عن المحرم يحمل على رأسه الأطباق والغلال والغرائر وما أشبه ذلك .

فقال : لا بأس بذلك هذا إذا حمل لنفسه ، أما إذا حمل لغيره بأجرة ، أو متبرعاً فلا خير فيه ، وإن فعل فعليه الفدية ، وإنما رخص له لحاجته إليه .

كتاب الحج الثالث :

من لا تجب عليهم الجمعة :

قال : وقال مالك : لا جمعة بِمِنًى يوم التروية ، ولا يوم النحر ، ولا أيام التشريق ، ولا يصلون صلاة العيد . قال : ولا جمعة بعرفة يوم عرفة .

ما نحر قبل الفجر :

قال : قال مالك : الهدايا كلها إذا نحرها صاحبها قبل انفجار الصبح يوم العيد لم تجزه ، وإن كان قد ساقها فى حجه فلا تجزئه .

كتاب الجهاد :

فى قتل النساء والصبيان والرهبان فى أرض العدو :

قلت ـ لابن القاسم : هل كان مالك يكره قتل النساء والصبيان والشيخ الكبير فى أرض الحرب قال : نعم .

قلت : فهل كان يكره قتل الرهبان المحبسين فى الصوامع والديارات ؟ قال مالك : لا يقتل الراهب . وأرى أن يترك لهم من أموالهم ما يعيشون به ، ولا يأخذوا منهم أموالهم كلها فلا يجدون ما يعيشون به فيموتون ، وروى ابن وهب عن جرير بن عبدالله البجلى قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية قال : « باسم الله وفى سبيل وعلى ملة رسول الله ، لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان » .

فى الحربى المستأمن يموت ويترك مالا : ما حال ماله ؟

قلت : أرأيت لو أن رجلا من أهل الحرب دخل إلينا بأمان فمات عندنا وترك مالًا ، ما حال ماله هذا أيكون فيئاً أم يرد إلى ورثته ؟ قال : يرد إلى ورثته .

فى محاصرة العدو وفيهم المسلمون أسارى :

قلت : أرأيت لو أن رجالًا من المشركين فى حصونهم حاصرهم أهل الإسلام ـ وفيهم قوم من المسلمين أسارى فى أيديهم ـ أيحرق هذا الحصن أو يغرق وفيه هؤلاء الأسارى ؟

قال مالك : لا أرى أن تلقى عليهم النار ـ ونهى عن ذلك . يقول الله ـ تعالى ـ فى كتابه العزيز لأهل مكة : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ الفتح ـ ٢٥ .

إنما صرف النبى عن أهل مكة لما كان فيهم من المسلمين .

كتاب الصيد :

قلت ـ لابن القاسم : صف لى الباز المعلم والكلب المعلم فى قول مالك . قال : قال مالك : هو الذى يفقه : إذا زجر ازدجر ، وإذا أشلى ـ أى أرسل ـ أطاع .

كتاب الضحايا :

قلت : أرأيت إن كانت مكسورة القرن . هل تجزىء فى الهدايا والضحايا فى قول مالك ؟ قال مالك : نعم إن كانت لا تدمى فإن كانت تدمى فلا تجزىء لأنه مرض من الأمراض .

كتاب النذور الأول :

فى الرجل يحلف بهدى جميع ماله ، أو بشىء بعينه وهو جميع ماله :

قال : وقال مالك : إذا قال الرجل : إن فعلت كذا وكذا فلله علىّ أن أهدى مالى ، فحنث فعليه أن يهدى ثلث ماله ويجزئه ، ولا يهدى جميع ماله .

الرجل يحلف بعهد الله وميثاقه :

قلت : أرأيت إن قال : علىّ عهدُ الله وذمته وكفالته وميثاقه ؟

قال : قال مالك : هذه أيمان كلها إلا الذمة فإنى لا أحفظها من قوله . قال مالك : إذا حلف بهذه فعليه فى كل واحدة يمين .

كتاب الطلاق :

طلاق الحائض والنفساء :

قلت : أرأيت إن قال رجل ـ لامرأته وهى حائض : أنت طالق أيقع عليها الطلاق وهى حائض أم حتى تطهر ؟ قال : إنها تطلق مكانها ، ويجبر الزوج على رجعتها .

فى عدة الصبية التى لا يجامع مثلها وسكناها من الطلاق والوفاة ؟

قلت : أرأيت الصبية التى لا يجامع مثلها ، وهى صغيرة ، ودخل بها زوجها فطلقها البتة :

أتكون لها السكنى فى قول مالك ؟ قال : قال مالك : لا عدة عليها ولذلك لا سكنى لها ، وعليها فى الوفاة العدة ؛ لأنها من الأزواج ، وقد قال الله ــ تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ البقرة ــ ٢٣٤ .

فهذه زوجة .

كتاب النكاح الأول :

نكاح الشغار :

قلت لعبدالرحمن بن القاسم : أرأيت إن قال : زوجنى مولاتك ، وأزوجك مولاتى ، ولا مهر بينهما أهذا من الشغار عند مالك ؟ قال : نعم .

النصرانى يعقد نكاح ابنته :

قال : سألت مالكا عن النصرانية يكون لها أخ مسلم ، فخطبها رجل من المسلمين : أيعقد نكاحها هذا الأخ ؟

قال مالك : أمن نساء أهل الجزية هى ؟ قلنا : نعم . قال مالك : لايجوز له أن يعقد نكاحها ... ماله ومالها .. ؟ قال الله ــ تبارك وتعالى : ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ سورة الأنفال

قلت : فمن يعقد نكاحها عليها : أهل دينها أم غيرهم ؟

قال ابن القاسم : أرى أن يعقد النصرانى نكاح وليته النصرانية لمسلم .

كتاب النكاح الثانى :

فى الرجل يزوج ابنته ويضمن لها صداقها .

قلت : أرأيت لو أن رجلًا زوج ابنته وضمن الصداق لها . أيكون للبنت أن تأخذ الأب بذلك الصداق فى قول مالك ؟ قال : نعم . قلت : ويرجع به الأب على الزوج ؟ قال : لا يرجع به الأب على الزوج ، لأن ضمانه الصداق عنه فى هذا الموضع صلة منه له ، وإنما التزويج فى هذا على وجه الصلة والصدقة ؛ فلا يرجع عليهم بشىء ومما ضمن عنه . قلت : أرأيت إن مات الأب قبل أن تقبض البنت صداقها ؟ قال مالك : تستوفيه من مال أبيها .

كتاب النكاح الثالث :

نكاح أهل الذمة وأهل الشرك وطلاقهم .

قلت : أرأيت نكاح أهل الشرك وطلاقهم إذا أسلموا . أتجيزه فيما بينهم فى قول مالك ؟

قال : كل نكاح يكون فى الشرك ــ جائزا فيما بينهم ــ فهو جائز إذا أسلموا عليه ، وكان قد دخل بها ولا يفرق بينهما .

كتاب إرخاء الستور :

قلت ـ لعبدالرحمن بن القاسم : أرأيت إن تزوج امرأة وخلا بها وأرخى الستور ، ثم طلقها . فقال : لم أمسها وصدقته المرأة ؟ قال مالك : لها نصف الصداق ؛ لأنها صدقته على أنه لم يمسها ، وعليها العدة كاملة ، ولا يملك زوجها رجعتها ، لأنه قد أقر أنه لم يمسها . قلت : فإن قال : قد جردتها وقبلتها ولم أجامعها . وصدقته المرأة ؟ قال مالك : لا يكون عليه إلا نصف الصداق إلا أن يكون قد طال مكثه معها يتلذذ بها فيكون عليه الصداق كاملاً .

كتاب التخيير والتمليك :

قلت ـ لعبد الرحمن بن القاسم : أرأيت إذا قال الرجل ـ لامرأته وهى مدخول بها : اختارى نفسك .. فقالت : قد اخترت نفسى ؛ فناكرها الزوج ؟

قال : قال مالك : لا تنفعه المناكرة ، وهى ثلاث تطليقات .

قلت : أرأيت : إن قال لها : أمرك بيدك فهذا تمليك ويكون للزوج أن يناكرها فيما زاد على الطلقة الواحدة .

كتاب الرضاع : فى تحريم الرضاعة :

قلت : أرأيت المرأة وخالتها من الرضاعة : أيجمع بينهما فى قول مالك ؟ قال : لا .

فى الظهار لأجل :

قلت : أرأيت إن قال : أنت على كظهر أمى اليوم أو هذا الشهر أو هذه الساعة . أيكون مظاهراً منها إن مضى ذلك اليوم أو ذلك الشهر أو تلك الساعة ؟

قال : قال مالك : هو مظاهر منها ، وإن مضى ذلك اليوم أو هذا الشهر أو هذه الساعة .

د. محمود عبدالمتجلى خليفة
عضو لجنة الفتوى بالأزهر

الرجعة

للشيخ زكريا أحمد محمد نور

الرجعة ـ بفتح الراء وكسرها والفتح ، أفصح من الكسر ـ هى لغة : المرة من الرجوع ، وقد وردت فى القرآن الكريم ، بمعنى الرجعة وبمعنى الرد .

قال ـ تعالى ـ فى كتابه الكريم : ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّى ﴾ (فصلت : ٥٠) ، وقال فى موضع آخر ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى ﴾ (الكهف : ٣٦) ، فرددته ورجعته بمعنى واحد ، ذلك تعريف الرجعة من حيث اللغة .

أما تعريفها ـ فى اصطلاح الشرع فهو : (رد المرأة إلى النكاح من طلاق غير بائن فى العدة على وجه مخصوص) .

وأما الدليل على مشروعيتها فلا خلاف بين الفقهاء على اختلاف مذاهبهم فى ثبوتها بالكتاب والسنة والإجماع . والأصل فى ثبوتها ـ قبل الإجماع ـ قوله ـ تعالى :

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة : ٢٢٨) . وقوله تعالى : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ (البقرة : ٢٢٩) ، وقوله تعالى ـ ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ ﴾ (البقرة : ٢٣١) .

فالرد والإمساك الواردان فى هذه الآيات مفسرات بالرجعة عند جماعة العلماء وأهل التفسير .

وأما ثبوتها بالسنة ؛ فيؤخذ من قول النبى ﷺ أتانى جبريل فقال : راجع حفصة ، فإنها صوامة قوامة ، وأنها زوجتك فى الجنة . (أبو نعيم فى الحلية جـ ٢ ص ٥٠) وما روى أن ابن عمر طلق امرأة وهى حائض ، فسأل عمر النبى ﷺ فقال : « مره فليراجعها » (رواه الترمذى) .. إلى غير ذلك من النصوص الدالة على ثبوتها .

وقد ذكر صاحب مغنى المحتاج (ج ٣ ص ٣٣٥) أن للرجعة أركانا ثلاثة : مرتجع ، وصيغة ، وزوجة ، فشرط المرتجع ـ وهو الزوج ـ أن يكون أهلا لعقد النكاح أى ، بالغا ، عاقلا ، مختارا ، غير مُكْرَهٍ ، وألا يكون مرتدا ؛ لأن الرجعة كإنشاء النكاح لا تصح فى الردة ،

والصبا والجنون ولا من مكره .

ويشترط فى الصيغة ـــ عند بعض الفقهاء ـ أن تكون بألفاظ صريحة ، كراجعتك ورجعتك وارتجعتك ، وأصح منها: رددتك وأمسكتك ؛ لأنهما وردا فى الكتاب ، لكن لاتبطل الرجعة بألفاظ الكناية على الصحيح .

الرجعة والقرآن الكريم :

ولنبدأ بعرض الآيات التى تناولت أحكام الرجعة ، ثم نذكر بعد ذلك آراء الفقهاء فى تلك الأحكام ، وما اشترطوه لصحتها من شروط .

قول الله ــ تعالى : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ إلى قوله ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ﴾ البقرة : ٢٢٨ .

فهذه الآية توضح الحكم الثانى من أحكام الطلاق ، وهو رد الرجل امرأته إلى عصمته قبل انقضاء عدتها ، وبعولة جمع بعل ، وهو الزوج ، يقال : بعل وبعولة ، كما يقال فى جمع الذكر : ذكر وذكورة ، ويسمى الزوج بعلا لعلوه على الزوجة ، بما قد ملكه من زوجية ، فهو بمعنى السيد المالك ، يقال : من بعل هذه الناقة ؟ أى من ربها ، ومنه قوله تعالى ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾أى ربا لعلوه فى الربوبية فى رأيهم .

فالمراد من قوله تعالى : ﴿**وبعولتهن أحق بردهن**﴾ أن الزوج أحق بمراجعة زوجته ، أى : ردها إلى نكاحه ما دامت فى عدتها منه ، وإن كرهت المرأة ذلك ، بشرط أن يكون قد دخل بها وطلقها طلقة واحدة أو طلقتين أما إن كان لم يدخل بها أصلا أو دخل بها وطلقها طلقة أو طلقتين ولم يراجعها حتى انقضت عدتها منه كانت أحق بنفسها منه ، وليس له حق فى ردها إلى عصمته إلا بخطبة جديدة ونكاح جديد ، بمهر جديد بولى وشاهدين «هذا إذا رضيت الزواج منه» ، وهو مايعبر عنه بالطلاق البائن بينونة صغرى .

قال ابن المهلب : «وكل من رجع فى العدة ، فإنه لايلزمه شيء من أحكام النكاح ، غير الشهود على الرجعة فقط وهذا إجماع من العلماء ، لقوله تعالى ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ .

سورة الطلاق

ومما يؤيد وجوب الإشهاد فى الرجعة ما روى عن عمران بن الحصين ، إنه سئل عن الرجل يطلق امرأته ثم يقع بها ، ولم يشهد على طلاقها ، ولا على رجعتها ، فقال : طلقت لغير سنة ، وراجعت لغير سنة ، أشهد على طلاقها ، وعلى رجعتها ولا تعد .

فبهذا الأثر قد استدل من قال بوجوب الإشهاد على الرجعة ، وممن قال بوجوب الإشهاد : مالك والشافعى .

وذهب أبوحنيفة وأصحابه والشافعى فى أصح قوليه إلى عدم الإشهاد على الرجعة واحتج لهم فى نهاية المجتهد بالقياس على الأمور التى ينشئها المرء لنفسه فإنه لايجب فيها الإشهاد ، وقالوا : إن الأثر المروى عن عمران بن حصين لايصلح للاحتجاج به ، لأنه قول صحابى فى أمر من مسارح الاجتهاد ، وماكان ذلك فليس بحجة ، لولا ما وقع من قوله : طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة .

مايكون به الرجل مراجعا :

اختلفت الفقهاء فيما يكون به الرجل مراجعا

فى العدة ، وهل تصح الرجعة بالفعل والقول ؟ أم بالقول فقط ؟

فى ذلك خلاف تشعب إلى أقوال كثيرة ، فمالك ومن وافقه يرون أن الرجل إذا وطأ المرأة ، وهو يريد الرجعة ، وجهل أن يشهد فهى رجعة ، ولكن ينبغى للمرأة أن تمنعه من الوطء حتى يشهد ، وبه قال إسحاق لقوله ـ عليه الصلاة والسلام : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء مانوى» (متفق عليه) .

وقال أبوحنيفة وأصحابه : إن وطئها أو لمسها أو نظر إلى فرجها بشهوة فهى رجعة ، وهو قول الثورى أيضاً ، وفى قول لمالك والشافعى وإسحاق وأبى ثور : لاتكون رجعة ، قاله المنذر .

وقال فى المنتقى : لاخلاف فى صحة الارتجاع بالقول . أما بالفعل فقال القاضى أبومحمد : تصح الرجعة بالفعل ، وبسائر الاستمتاع للذة .

وقال الشافعى : لا تصح الرجعة إلا بالقول ، وإن جامعها ينوى الرجعة أو لم ينوها فليست برجعة ولها عليه مهر مثلها .

وقال مالك : لا شىء لها عليه لأنه لو ارتجعها لم يكن عليه مهر فلايكون الوطء دون الرجعة الأولى من الرجعة . قال أبوعمر : ولا أعلم أحدا أوجب عليه مهر المثل غير الشافعى ، وليس قوله بالقوى لأنها فى حكم الزوجات ترثه ويرثها فكيف يجب مهر المثل فى وطئه امرأة حكمها ـ فى أكثر أحكامها ـ حكم الزوجة إلا أن الشبهة فى قول الشافعى قوية لأنها عليه محرمة إلا برجعة لها ، وقد أجمعوا على أن الموطوءة بشبهة لها مهر ، وحسبك بهذا .

ومما تقدم يتضح لك أن المطلقة طلقة أو طلقتين تبقى محرمة على مطلقها تحريم من بت طلاقها حتى يراجعها بأية صورة من صور المراجعة ، سواء كانت بالفعل أم بالقول ، وهل يحرم الرجعة إرادة الضرر بالزوجة ؟

ظاهر الآية ﴿**إن أرادوا إصلاحا**﴾ فإن كلمة (إن) للشرط فإذا انتفى الشرط انتفى الحكم عند انتفائه فيلزم من ذلك أن إرادة الإصلاح إذا لم توجد كان حق الزوج فى ارتجاع زوجته غير ثابت .

ولكن الإمام الفخر الرازى أجاب عن هذا السؤال فى تفسيره (جـ ٢ ص ٣٧٠) بأن إرادة الإصلاح صفة باطنة لا اطلاع لنا عليه ، فالشرع لم يوقف صحة المراجعة عليها بل جوازها فيما بينه وبين الله موقوف على هذه الإرادة ، حتى إنه لو راجعها لقصد المضارة استحق الإثم ، وقد نهى الله الأزواج عن الإمساك للضرر بقوله ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ﴾ وفى ذلك تصريح بأن ارتجاع المرأة قبل انقضاء عدتها لإيقاع الضرر بها اعتداء من الزوج عليها .

عن السدى قال : نزلت هذه الآية فى رجل من الأنصار يدعى ثابت بن بشار طلق امرأته حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة راجعها ثم طلقها ففعل بها ذلك حتى مضت لها تسعة أشهر فأنزل الله ـ تعالى :

﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ﴾ .

وإن نساء الإسلام لو رجعن إلى دينهن ، وتأملن تعاليمه وماينطوى عليه من حكمة لوجدن فيه إنصافا للمرأة لا يوجد له نظير فى جميع قوانين الأرض ولو تشبثن بمنزلتهن التى دفعهن إليها الإسلام لوجدن أنفسهن أرفع نساء العالمين منزلة

وأرقاهن حضارة وأسعدهن حياة .

وأى إنصاف للمرأة أكبر من أن ترى القرآن الكريم ينهى الزوج عن إيقاع الضرر بها ؟ بل **ويعتبره معتديا ، وطالما قصد بالمراجعة مضارتها** ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ أى : ومن يمسك المرأة بقصد الإضرار بها فقد ظلم نفسه بتعريضها لعذاب الله وسخطه .

إن شريعة الإسلام لم تجعل الحياة الزوجية ومايتعلق بها من حقوق وواجبات ملهاة يلعب بها الطيش ، أو مسلاة يتسلى بها الإنسان ، وكأنها شيء تملكه يده فهو حر فى أن يتصرف فيه كيف يشاء ، أو يسير به حيث يحب ، وإنما للحياة الزوجية فى شريعة الإسلام حدود رسمها الله بحكمته ، لا يجوز لأى كائن من كان أن يتعداها أو يخرج عليها ، وإلا كان فى نظر الإسلام ظالما .

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) ﴾ وهذا وعيد صارم لمن يهملون حدود الله ، فيتجاوزنها إلى حيث تدعوهم إليه شهواتهم وأهواؤهم ، ومن كانوا كذلك كانوا مستحقين للعنة الله، ألا لعنة الله على الظالمين .

وقبل أن نترك الكلام على الرجعة نحب أن نشير إلى أن الإجماع منعقد على أن حق الرجل فى الرجعة مقصور على المطلقة طلاقاً رجعيا لم تنقض عدتها منه ، أما من انقضت عدتها منه فلا حق له فى ارتجاعها إلا برضاها ، وبنكاح مستأنف إن كان الطلاق غير مكمل للثلاث ، أما إن كان بت **طلاقها بالبينونة الكبرى ، فلا خلاف فى أنه لا** حق له فى ارتجاعها إلا بعد أن تنكح زوجا غيره ، وقد تقدم بيان هذا .

الزوجة المطلقة دون الثلاث فى مدة التربص :

قد اختلف الفقهاء كذلك فى المطلقة دون الثلاث فى مدة التربص ، هل حكمها حكم الزوجة أم لا ؟

يقول الإمام مالك ـ رضى الله عنه : إنها ليست كالزوجة فلا تعطى حكمها ، فلا يجوز لمطلقها أن يخلو معها ، أو يدخل عليها من غير إذن ، ولايرى شيئا من محاسنها ، فهى منه بحكم **الأجنبية حتى يراجعها.**

ويقول الإمام أبو حنيفة ـ رضى الله عنه ـ وأصحابه : حكمها فى مدة التربص حكم الزوجة له أن يدخل عليها وأن يباشرها ، لأنها مادامت فى مدة التربص فهى بحكم الزوجة وتكون مباشرته لها رجعة معتبرة ، ونرى أن خلافهم يرجع إلى اختلافهم فى تفسير الآية ، فالمالكية أولوا قوله ـ تعالى : ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ ﴾ بأن الله سماهم بعولة بإعتبار ما كان قبل الطلاق وأن قوله ﴿ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾ معناه أن الأزواج أحق برد أزواجهن إلى الزوجية ، لأن الرد لايكون إلا لشيء قد انفصم .

أما الحنفية فقد اعتبروا الرجعية زوجة فى مدة التربص ، وأن معنى قوله ﴿ **أحق بردهن** ﴾ أن الزوجات كن بهذا الطلاق الرجعى سائرات فى **طريق لولا الرجعة لخرجن به عن الزوجية ، وإنما** الرجعة ردٌّ لهن عن المضى فى هذا الطريق إلى نهايته ، تلك آراء الفقهاء فى حكم ارتجاع الزوجة من طلاق غير بائن ، والله اعلم .

الرسول صلى الله عليه وسلم

وأدب الحوار

للأستاذ الدكتور مصطفى محمد على الشكعة (*)

إن الذى يتابع سيرة رسول الله ﷺ ، لا يكاد ينتهى من استيعاب معنى كريم حتى يصادف معنى آخر أكثر سموًا ويلتقى بموقف أرفع شأنا وأذكى مقاما ، ذلك أن مواقف رسول الله ﷺ على طول سيرته العطرة ، من الوفرة بمكان ، ومن السمو بشأن ومقدار ، بحيث يتحيّر المرء حين الخيار أيها يدع وأيها يختار .

لقد هيأ الله محمدا لكى يحمل أسمى رسالة ويبلغها إلى الناس أجمعين ، فاختاره من بين سائر خلقه للاضطلاع بحمل هذه الرسالة ، وتأدية تلك الأمانة ، وأفاض عليه من أسباب التكريم ما لم يمنحه لغيره من البشر ، وخاطبه بقوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ سورة الأحزاب

ويعده الله سبحانه ـ بألوان أخرى من التكريم فى الآخرة مثل : الشفاعة والحوض والكوثر .

وتتلاحق صنوف التكريم من لدن الخالق الأعظم ـ جل وعلا ـ على رسوله ﷺ فيقول جل من قائل : ﴿ وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ .

وتتابع صيغ الإيثار التى يسبغها المولى ـ سبحانه ـ على رسوله وخير خلقه ومصطفاه على مسار آيات كتابه الكريم ، فيقول جل من قائل : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ .

لقد ذهب أكثر المفسرين فى تفسير قوله تعالى ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾ بأنه إذا ذكر الله ـ سبحانه ـ ذكر محمد ﷺ معه ، يتحقق ذلك فى صيغة الشهادتين التى يرددها كل مسلم ، وفى الأذان خمس مرات كل يوم ، وفى التشهد فى كل صلاة ، وفى الإقرار بعقيدة الإسلام الذى لا يتحقق إلا بقول : « **لا إله إلا الله محمد رسول الله** » .

ويبلغ التكريم الربانى لمحمد ﷺ غايته ، ومداه

(*) الكاتب : عضو مجمع البحوث الإسلامية .

وقمته فى قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ .

تلك نماذج آيات التكريم التى خص الله بها محمداً ﷺ فى كتابه العزيز ، خلع عليه فيها الكثير من علامات الرضا .

لقد كان محمد ﷺ أحسن الناس خلقا ، وأكملهم شمائلا ، يستوى فى ذلك سلوكه قبل المبعث وبعده ، فلما خصه الله بالرسالة قال صلاة الله وسلامه عليه : «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فإذا ما سأله أحد من الصحابة عن حسن أدبه وكمال بيانه قال : «أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

كانت السيدة عائشة أم المؤمنين إذا سئلت عن خلقه قالت : «كان خلقه القرآن » أى التزام ما أمر الله به فى القرآن والكف عما نهى عنه ، ولذلك كانت صفاته العدل والحلم والعفو والعقل والسماحة والشجاعة والنجدة والكرم والزهد والتواضع والفصاحة والبيان والتواضع وأدب الحوار واحترام الناس ، وفى ذلك تقول أم المؤمنين عائشة : ما دعاه أحد من أصحابه إلا قال : «لبيك» .

كان أنس بن مالك خادما لرسول الله ملازما له فى المدينة ، وقد روى أخبارا كثيرة عن أدب رسول الله ﷺ وحلمه ولطفه مع العام والخاص ، وكذلك فعل الصحابة رضوان الله عليهم الذين رووا بدورهم كثيرا من الأخبار حول أدب رسول الله ﷺ وسلوكه . وإنَّ تناول صفة واحدة من صفاته ﷺ يحتاج إلى عشرات الصفحات بل مئاتها ، ومن ثم فقد يكون من المناسب أن نختار فى هذا المقام صفة واحدة من صفاته ﷺ ولتكن أدب الحوار ، وغير بعيد عمن ألفوا القراءة فى سيرة رسول الله ﷺ أن كثيرا من عتاة المشركين قد أعلنوا إسلامهم بعد حوار جرى بينهم وبين الرسول ، وهذا شأن الدعوة كلها ، قامت على الحوار ولم تقم بالسيف كما زعم بعض من لم يقرأوا القرآن . ولم يستوعبوا كنه الإسلام ، ولم ينعموا النظر فى حديث رسول الله ﷺ .

لقد كان محمد ﷺ المعلم الأسمى والمحاور الأرق ، وهو فى ذلك مستجيب لأمر الخالق الأعظم فى قوله عز وجل :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

النحل الآية ١٢٥

فإذا كان الحوار مع أهل الكتاب ، فإن الله يأمر رسوله أن يكون وافر اللطف فى مجادلتهم ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾

العنكبوت ـ ٤٦ .

فى هذه الآية يأمر الله ـ سبحانه ـ محمدا أن يجادل أهل الكتاب بالأسلوب الليِّن كمقابلة الخشونة باللين ، والغضب بالرضى ، والصخب بالهدوء ، وقد فعل هذا الأسلوب الحكيم فعله العظيم بتحول كثير من المعاندين ، فأسلموا بعد كفرهم وآمنوا بعد شركهم .

هكذا كان أسلوب رسول الله ﷺ فى الدعوة إلى الله قائما على الحوار المضىء ، فالحوار الهادىء ضرب رفيع من ضروب الحضارة ، وهو يتفق مع

جلال الإسلام واستقامة دعوته . وما أحوج المسلمين فى العصر الحديث إلى أن يلتزموا منهج الحوار فى الدعوة إلى الإسلام والتعريف بجوهر رسالته بعد أن أساءت قلة من أبناء المسلمين إلى دينهم بانتهاجهم أسلوب الخشونة وسبل العدوان ، مما ساعد خصوم الإسلام وأعداءه على تشويه صورته الوضاءة وتزييف قيمه الرفيعة .

كان سلوك رسول الله ﷺ يتجسم فى حواره مع الآخرين : أفراداً كانوا أم جماعات ، حَضَراً كانوا أم بَدْواً ، مشركين كانوا أم موحّدين ، كتابيين كانوا أم مسلمين ، أنصاراً كانوا أم مهاجرين ، وهذا يقتضى أن نورد أمثلة من حواره ﷺ مع نماذج مختلفة من البشر .

إنه ﷺ يأخذ لكل حالة مقتضاها ، ولكل موقف لبوسه فى نطاق من نصاعة البيان ، وسلاسة القول ، ورقة الحوار ، وسعة الصدر ، وفيض التسامح ، وكظم الغيظ ، ويسر الإقناع ، ضاربا بذلك الأمثال للمسلمين ـ بل للناس جميعا ـ أن يتمثلوا حلمه ، وينتهجوا أدبه ، ويحفظوا قوله ، ويلتزموا سبيله ، ويتبعوا سنته ، ويقتفوا أثره .

فمن النماذج : الحوار الذى جرى بين الرسول ﷺ وبين واحد من البدو من مشركى العرب ، ذلك الحوار الذى أجراه ضِمَامُ بن ثعلبة مبعوث قبيلة سعد بن بكر وأورده ابن هشام على النحو التالى[1] : بعث بنو سعد بن بكر «ضِمَامَ بنَ ثعلبة» وافدا إلى رسول الله ، فقدم عليه ، وأناخ ضمام بعيره على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله جالس فى أصحابه .

وكان ضمام رجلا جلدَاً أشعر ذا غديرتين ، فأقبل حتى وقف على رسول الله فى أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبدالمطلب ؟ فقال رسول الله ﷺ : «أنا ابن عبدالمطلب» ، قال : أمحمد ؟ قال ﷺ :«نعم» .

قال : يا ابن عبدالمطلب ، إنى سائلك ومغلظ عليك المسألة فلا تجدنّ فى نفسك . قال : «لا أجد فى نفسى ، فسل عما بدا لك» .

قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك : آلله بعثك إلينا رسولا ؟ . قال : «اللهم نعم» .

قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك : آلله أمرك أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئا وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : «اللهم نعم» .

وفى رواية أنه قال : يامحمد ، أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك ، قال : «صدق» قال : فمن خلق السماء ؟ قال :«الله» قال : فمن خلق الأرض ؟ قال :«الله» قال : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال : «الله» قال : فبالذى خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال : آلله أرسلك ؟ قال :«نعم» . قال ضمام : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا ؟ قال : «صدق» قال : فبالذى أرسلك : آلله أمرك بهذا ؟ قال : «نعم» .

ثم جعل ضمام يذكر فرائض الإسلام وشرائعه على هذا النحو حتى إذا فرغ قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ،

(١) السيرة النبوية ٢ / ٥٧٣ .

وسأؤدى هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتنى عنه ، ثم لا أزايد ولا أنقص ، وانصرف إلى بعيره راجعا . فقال رسول الله ﷺ : «إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة» فأتى ضمام بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : بئست اللات والعزى !! فقال له قومه : مه ياضمام ، اتق الْبَرَصَ ، اتق الْجُذَام ، اتق الجنون . قال : ويلكم ، إنهما والله لا يضران ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به عما كنتم فيه ، وإنى أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه .

قال : فوالله ما أمسى فى الحىّ من ذلك اليوم رجل ولا امرأة إلا مسلما .

إن المتتبع لهذا الحوار يظن أنه كان من جانب واحد ، ذلك أن ضماما كان يسأل فى صيغة الاستيضاح ، وكان الرسول ﷺ يجيب بما يفيد الإيجاب ، ولكن حقيقة الأمر أن حوارا قد جرى بين ضمام وبعض قومه عن الإسلام حتى إنه استوعب أركانه بشكل إجمالى تجلى فى صيغ الأسئلة التى وجهها إلى النبى ﷺ ، ثم جرى حوار آخر بينه وبين نفسه انتهى به إلى اليقين الذى جعله يؤمن بتلك القيم فيما لو تحقق من أن ما بلغه عن الإسلام صحيح . ثم جاء ضمام بعد ذلك إلى رسول الله الذى قرأ فى وجهه ـ وجه ضمام ـ ملامح الإيمان ، وإذا كانت فراسة المؤمن لا تخيب فإنه يكون من باب أولى ألا تخيب فراسة النبى ، لذلك كان النبى ﷺ فى حوار ضمام معه لا يزيد فى إجاباته عن «نعم» و «اللهم نعم» . وكانت هذه «النعمات» أبلغ إجابة فى هذا المقام ، ولذلك فإن ضماما لم يتردد ولم يضع وقتا ، بل سارع إلى إعلان إسلامه والنطق بالشهادتين وأبدى الامتثال للعمل بأركان الإسلام التى أقره عليها رسول الله ﷺ وانصرف على الفور .

هنا يقول الرسول ﷺ : «إن صدق ذو العقيصتين ـ يعنى الضفيرتين ـ دخل الجنة» . لقد كان ضمام عند صدق فراسة رسول الله ، إذ أنه لم يكتف بإعلان إسلامه وحده ، وإنما بات معه جميع قومه مسلمين .

إن عبدالله بن عباس يعلق على هذا الأمر قائلا : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة .

كان حوار ضمام مع رسول الله ﷺ فيه خشونة البداوة ، ولكن حلم رسول الله تذوب أمامه كل خشونة وتلين حياله كل شدة ، وتلك سمة حواره ﷺ الذى ينتهى بمحاوره إلى شاطىء النجاة .

فإذا ما انتقلنا إلى ذكر حوار آخر ، لوافد آخر عليه ثياب الملك ، وجدنا كرم رسول الله يأخذ لونا مختلفا فى نطاق السماحة التى عرفت عنه ﷺ ، فقد تلطف مع ضيفه واحتفى به ، وكان قد بشر بمقدم هذا الضيف الملكى قبل وصوله بليال ثلاث .

عن وائل بن حُجْر ـ رضى الله عنه ـ قال : بلغنا ظهور رسول الله ﷺ وأنا فى بلد عظيم ورفاهة عظيمة ، فرفضت ذلك ـ أى رفضت الرفاهة ـ ورغبت إلى الله ـ عز وجل ـ وإلى رسول الله ﷺ ، فلما قدمت عليه أخبرنى أصحابه أنه بشّر بمقدمى عليهم قبل أن أقدم بثلاث

ليال ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سلمت عليه ، فرد السلام ، وبسط لى رداءه ، وأجلسنى عليه ، ثم صعد منبره وأقعدنى معه ، ورفع يديه وحمد الله تعالى وأثنى عليه ، وصلى على النبى ، واجتمع الناس إليه فقال لهم : «ياأيها الناس ، هذا وائل بن حُجْر قد أتاكم من أرض بعيدة ، من حضرموت ، طائعا غير مكره ، راغبا فى الله وفى رسوله وفى دين بيته ، بقية أبناء الملوك» فقلت : يارسول الله ، ما هو إلا أن بلغنا ظهورك ونحن فى ملك عظيم وطاعة ، وأتيتك راغبا فى دين الله ، فقال : «صدقت»[1] .

هكذا كان احتفاء رسول الله ﷺ بوائل بن حجر الحضرى الملك بن الملوك ، يجلسه على ردائه ، ويضمه ، ويصعده معه على المنبر ؛ لأنه يعلم أن بقية من رواسب الملك لا تزال تسرى فى دمائه برغم إسلامه ، ولقد كان وائل ـ بالفعل ـ على ما تصوره رسول الله ، فقد أمر ﷺ معاوية بن أبى سفيان أن يرافقه وينزله منزلا «بالحرّة» . يقول معاوية ـ رضى الله عنه ـ : فانطلقت به وقد أحرقت رجلىّ الرمضاء ، فقلت : أردفنى . قال : لستَ من أرداف الملوك .قلت : فأعطنى نعليك ، قال : لا ، إنى لم اكن لألبسهما وقد لبستهما ، قلت : إن الرمضاء أحرقت قدمىّ ، قال : امش فى ظل ناقتى كفاك به شرفا .

قال معاوية : فأتيت النبى ﷺ فأنبأته بقوله : فقال : «إن فيه لَعُبِيَّةً من عُبِيَّة الجاهلين» .

هكذا كان يتعامل رسول الله ﷺ بالوافد أو بالوفود فيتعامل معهم طبقا لطبيعتهم ، ويحاورهم بما يتسق وأحوالهم .

ومن نماذج الحوار الفريد الغريب الذى جرى فى سماحة ووداعة ودفء وإقناع ، : ذلك الذى كان بين رسول الله ﷺ وبين واحد من شباب المسلمين وقع تحت سلطان شهوة البدن فبدا له أن يستأذن رسول الله فى ارتكاب معصية كبرى ، ذلك أن شابا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ، أتأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس بالشاب وهمّوا أن ينالوه بأذى ، ولكن النبى ﷺ قال : «قرّبوه ، ادْنُ منى» فدنا حتى جلس بين يديه ، فقال-عليه الصلاة والسلام : «أتحبه لأمك ؟» . قال : لا ، جعلنى الله فداك . قال : «كذلك الناس لايحبونه لأمهاتهم ، أتحبه لابنتك ؟» قال : لا ، جعلنى الله فداك . قال : «فكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم» وظل الرسول يسأل الشاب حتى ذكر العمة والخالة ، والشاب يقول فى كل مرة : لا ، جعلنى الله فداك ، والنبى ﷺ يقول : «كذلك الناس لا يحبونه» ثم وضع الرسول ﷺ يده الشريفة على صدر الشاب وقال : «اللهم طهّر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه» فلم يكن شىء بعد ذلك أبغض إلى هذا الشاب من الزنا .

إن نماذج الحوار التى اسلفنا التمثيل بها كانت بين الرسول ﷺ وبين أفراد بذواتهم ، بعضهم ممن كان انتوى الدخول فى الإسلام ، وبعضهم كان حديث عهد بالإسلام ، وبعضهم كان ينقصه سلوك راشد فوجد الرشاد والهدى فى حواره مع رسول الله ﷺ .

إن ثمت ألوانا أخرى من الحوار ذات مضامين إيمانية كانت سببا فى دخول بعض أفراد ذوى خطر

(٢) سبل الهدى والرشاد ٦/ ٦٦٥ .

وقدر إلى ساحة الإسلام السمحة ، وتحولوا من صفاتهم كأهل كتاب إلى حقيقتهم كصحابة لرسول الله الذين قال فيهم عليه صلاة الله وسلامه : «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» .

من هذا اللون ذى الطراز المختلف فى مبنى الحوار ومعناه ، وطبيعته ومبناه ، وأسلوبه وهداه ، ذلك الذى جرى بين رسول الله ﷺ ، وبين الحبر بن سُعْنَة اليهودى .

قال الصحابى عبدالله بن سلام : إن الله ــ عز وجل ــ لما أراد هُدَى زَيْد بن سُعْنَة ، قال زيد : ما من علامات النبوة شىء إلا وقد عرفتها فى وجه محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين نظرت إليه إلا اثنتان لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده شدة الجهل إلا حلما ، فكنت أنطلق إليه لأخالطه فأعرف حلمه من جهله ، فخرج ــ أى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوما من الحجرات ومعه على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ ، فجاء رجل يسير على راحلته كالبدوى ، فقال : يا رسول الله ، إن قرية بنى فلان أسلموا ودخلوا فى الإسلام ، وحدثتهم أنهم إن أسلموا أتتهم أرزاقهم رغدا ، وقد أصابتهم سنة ــ يعنى قحط ــ وشدة وقحوط من العيش ، وإنى مشفق أن يخرجوا من الإسلام طمعا ، كما دخلوا فيه طمعا ، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشىء وتعينهم به ، فعلت ، فقال زيد بن سعنة : أنا أبتاع منك بكذا وكذا وَسْقاً فبايعنى ، وأطلقت هميانى ــ يعنى انصرفت ــ وأعطيته ثمانين دينارا فدفعها إلى الرجل وقال : اعجل عليهم بها وأغثهم

فلما كان قبل المحل ــ يعنى حلول السداد ــ بيوم أو يومين أو ثلاثة ، خرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى جنازة بالبقيع ومعه أبو بكر وعمر فى نفر من أصحابه ، فلما صلى على الجنازه ودنا من الجدار ، جذبت بردية جذبة شديدة حتى سقط من عاتقه ، ثم أقبلت بوجه جهم غليظ فقلت : ألا تقضينى يا محمد ؟ فوالله ما علمتكم بنى عبد المطلب لَمُطْل ، وقد كان لى بمخالطتكم علم .

قال زيد : فارتعدت فرائص عمر-رضى الله عنه كالفلك المستدير ، ثم رمى ببصره ثم قال : أى عدو الله ، أتقول هذا لرسول الله ؟ وتصنع به ما أرى ؟ وتقول ما أسمع ؟ فوالذى بعثه بالحق لولا ما أخاف فوته لسبقنى رأسك ، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر فى تؤدة وسكون ، ثم تبسم ، ثم قال : « لأنا وهو أحوج إلى غير هذا : أن تأمرنى بحسن الأداء ، وتأمره بحسن اتباعه » .

ثم قال رسول الله ﷺ : « اذهب به يا عمر فاقض حقه ، وزده عشرين صاعاً من تمر مكان ما رعته » قال زيد بن سعنة : فذهب بى عمر ــ رضى الله عنه ــ فقضانى حقى وزادنى عشرين صاعاً من تمر ، فقلت : ماهذا ؟ قال : أمرنى رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رعتك ، فقلت : أتعرفنى يا عمر ؟ قال : لا ، فمن أنت ؟ قلت : أنا زيد بن سعنة ، قال : الْحَبْر ؟ قلت : الحبر ، قال : فما دعاك أن تفعل برسول الله ﷺ ما فعلت ، وتقول له ما قلت ؟ قلت : يا عمر ، إنه لم يبق من علامات النبوة شىء إلا وقد عرفتها فى وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتان لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، فقد اختبرته منه ، فأشهد

يا عمر أننى قد رضيت بالله ربًّا ، وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً ، وأشهدك أن شطر مالى – فإن أكثرها مالًا – صدقه على أمة محمد ﷺ ، فقال عمر : أو على بعضهم فإنك لا تسعهم كلهم ، قلت : أو على بعضهم .

قال : فرجع عمر وزيد بن سعنة إلى رسول الله ﷺ فقال زيد : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وهكذا لم يستغرق الحوار بين رسول الله وبين زيد أكثر من جمل معدودة ظهر فيها حلم الرسول فى ذروته ، مازاد على أن ابتسم وقت أن هوجم بكلمات شداد ، ثم الكلمات الطيبة الرطيبة يحسن بها توجيه عمر ، ثم سداد الدين ومعه زيادة بدلًا عن الترويع الذى أوقعه عمر فى قلب زيد . لقد آمن زيد وصدق بمحمد ﷺ وبايعه وشهد معه مشاهد كثيرة .

لقد أسهم خُلُقُ رسول الله ﷺ وتعامله مع الناس وحواره معهم فى هدايتهم إلى الإسلام وبناء مجتمع سعادة الدنيا والآخرة

وفى هذا المقام يمكن الإشارة إلى حواره – صلى الله عليه وسلم – مع نصارى نجران ، وحواره مع سفَّانة بنت حاتم الطائى وأخيها عدىّ بن حاتم ، وحواره – صلى الله عليه وسلم – مع الأنصار بعد غزوة حنين ، وحواره مع فقراء الصحابة وقد ظنوا أن الأغنياء قد استأثروا بالثواب دونهم

إن أفضل ما نتقرب به إلى الله تعالى فى مناسبات ذكرى محمد – صلى الله عليه وسلم – هو أن نتمثل خلقه ، وأن نقتدى بسيرته ، وأن نجعل الحوار – نحن المسلمين – بيننا وبين أنفسنا ، وبيننا وبين الآخرين سبيلا للتفاهم ووسيلة للتعريف بفضائل الإسلام وصفاء عقيدته ، وأن نتخذ من محمد – صلى الله عليه وسلم – قدوة وإماماً ، وأن نجعل من الإسلام سلوكا ومنهاجا ، فنلتزم برابطة الأمة الإسلامية ، وأن نحى فريضة طلب العلم ، وأن نجعل شعارنا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن يكون أمرنا شورى بيننا .

الزهــد وتوازن الإســلام

الشيخ معوض عوض إبراهم

من الحقائق التى ظلمها الناس ، ولم يعرفوها على أصح وجوهها من منهج حياة رسول الله ﷺ . وسلف هذه الأمة فى خير العصور ، حقيقة الزهد ، فليس الزهد هو منع النفس مما أحل الله من طيبات المأكل والمشرب والملبس والمركب والمسكن والمناكح . ولكنه التوازن والاعتدال اللذان يظهران بوضوح من حال رسول الله ﷺ ، وقد أكل وشرب ولبس الخشن واللين . وصحيح أنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ما شبع من خبز البر ولا الشعير ثلاثة أيام متتابعة .

أخرج ابن حجر فى المطالب العالية/ جـ ٤ عن مجاهد قال : « إن الرجل من العوالى كان يدعو رسول الله ﷺ شطر الليل على خبز الشعير فيجيبه » .

والحديث مرسل رواه الثقات ، وأخرجه الهيثمى من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ، ورواه الطبرانى ووثقه .

وقد كان يمر الهلال والهلالان والثلاثة أهلة ما توقد نار فى بيوت نسائه وهن تسع ، كل ذلك وأكثر منه كان ، ولكنه ﷺ أخذ من طيبات المأكل والملبس ما زادَهُ شكرا لربه ، وعرفانا لفضله ، وغبطة بأن يرى أضعافه عند أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ وكان يدعو الله لهم بالسَّعَةِ فى الرزق والبركة فى الأهل والولد .

أخرج ابن حجر قول أنس ـ رضى الله عنه : « كان فيما دعا لى النبى ﷺ : اللهم وآته مالا وولدا » ، فما أعلم أحدا أصاب من لِينِ العيش أفضل مما أصبت .. الحديث ، وهو مخرج بنحو هذا بغير هذا اللفظ عند الشيخين وغيرهما .

وقد سقى عمرو بن الحمق رسول الله ﷺ لبنا ، فدعا ﷺ وقال : « اللهم أمْتِعْهُ بشبابه » فمرت عليه ثمانون سنة لم يَرَ شعرة بيضاء ..

أفكان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يدعو لهم إلا بالخير ، وهو يكره لهم ما يكره لنفسه ، ويحب لهم ما يحبه لها ، لكنه لاريب كان أقدر على مواجهة الصعاب ، وأنهض ما يكون بالرضا عن الله ـ تعالى ـ معطيا وآخذا ، وقد كان من دعواته ﷺ : « اللهم أحينى مسكينا ، وأمتنى مسكينا ، واحشرنى فى زمرة المساكين » . (الترمذى وابن ماجة عن أبى سعيد الخدرى) .

ويقول : « اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا » . متفق عليه بلفظ : « آل محمد قوتا » عن أبى هريرة بمعنى : « مايسد الرمق » ، وكأنه ﷺ بذلك يرجو أن يكون عزاء أو سلوى للذين قد

قدر الرحيم الكريم عليهم أرزاقهم حتى يوسع الله عليهم ، ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ سورة الشرح

« ولو كان العسر فى حجر ، لأرسل الله إليه يسرين فأخرجاه » (العجلونى ، كشف الخفاء ج٢) . « ولن يغلب عسر يسرين » .

يقول ابن القيم الجوزى ـ رحمه الله ـ فى زاد المعاد/ جـ ١/ص ٣٥ : ولبس ﷺ القميص ، وكان أحب الثياب إليه ، وكان كمه إلى الرسغ ولبس الجبة والفروج ، ولبس العباء ، ولبس فى السفر جبة ضيقة الكمين ، ولبس الإزار والرداء (قال :) ولبس ﷺ ثوبا أسود ، ولبس الفروة المكفوفة بالسندس ، وروى الإمام أحمد وأبو داود ـ بإسنادهما ـ عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن ملك الروم أهدى النبى ﷺ مستقة من سندس قلبها ، فكأنى أنظر إلى يديه باديتان ..

قال الأصمعى : المساتق فرى «جمع فروة» ،طوال الأكمام .

قال الخطابى : يشبه أن تكون هذه المستقة مكفوفة بالسندس ؛ لأن الفروة لا تكون سندسا .

وماكان هديه فى طعامه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إلا كما قال ابن القيم ـ رحمه الله : «وأكل الحلوى والعسل ، وكان يحبهما ، وأكل لحم الجزور ، والضأن ، والدجاج ، ولحم الحُبَارى ، ولحم حمار الوحش ، والأرنب ، وأكل الشواء ، وأكل الرطب والتمر » إلى آخر ما ذكر صاحب زاد المعاد ..

وصح عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أنه كان ـ إذا انتهى من الطعام ـ حمد الله ـ تعالى ـ كما سمىّ فى أوله ، فيقول ـ عند انقضائه : « الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، غير مكفى ولا مودّع ولا مستغنى عنه ربنا » .

أو يقول آخرا «الحمد لله أوله وآخره» .

وربما قال : «الحمد لله الذى يُطْعِمُ ، منّ علينا فهدانا وأطعمنا وأسقانا ، وكل بلاء حسن أبلانا .

الحمد لله الذى أطعم من الطعام ، وسقى من الشراب ، وكسى من العرى ، وهدى من الضلالة ، وبصّر من العمى ، وفضل على كثير ممن خلق تفضيلا » .

وفى دعائه ـ عليه الصلاة والسلام ـ إضافة دالة على عظيم تقواه لمولاه ـ سبحانه ، وأنه فى النعمة يرى فضل الله ، ويجد فى ميسور رزق الله مبعث رضاه ـ صلوات الله وسلامه عليه .

وكان هدى النبى والخير كثير يأكل ويشرب كما ، قال : المقدام بن معد يكرب العبدى قال قال رسول الله ﷺ : «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم أكْلات ، يقمن صلبه ، فإن كان لابد فاعلا ؛ فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه» . الترمذى ـ وقال : حديث حسن .

وفى جـ ٢ ص ٢٢ من زاد المعاد يقول الإمام ابن القيم : «وكان ﷺ إذا دخل على أهله ربما سألهم : هل عندكم طعام ؟ وما عاب طعاما قط ، إذا اشتهاه أكله ، وان كره تركه وسكت ، وربما قال : أجدنى أعافه» ..

وقد ذكر ـ رحمه الله ـ وذكر غيره أنه كان يعاف الضبّ ، وما عابه ، وربما أكله غيره على مقربة منه ـ صلوات الله عليه .. قال : «وكان يمدح الطعام أحيانا ، لما سأل أهله يوما : هل

عندكم من إدام ؟ فقالوا : ماعندنا إلا خلّ ؛ فجعل يأكل منه ويقول : « نعم الإدام الخلّ » .

ودفع ابن القيم اعتراضا قد يرد ، فقال :

« وليس فى هذا تفضيل للخل على اللبن واللحم والعسل والمرق ، وإنما هو مدح له فى تلك الحال التى حضر فيها . قال : « ولو حضر لحم أو لبن كان أولى بالمدح منه ، وقال هذا تطييبا وجبرا لقلب من قدمه ، لا تفضيلا له على سائر أنواع الإدام » .

وقد كان – صلوات الله وسلامه عليه – إذا أكل اللحم قال – بعده : « الحمد لله ، اللهم بارك لنا فيه ، وارزقنا خيرا منه ، فإذا شرب اللبن ، قال : الحمد لله ، اللهم بارك لنا فيه ، وزدنا منه » .

وهو – صلوات الله وسلامه عليه – وقد سنّ لنا ثلث البطن للطعام ، وثلثه للشراب ، وثلثه للنفَس ، كان ربما أعاد على من قدم له النبى ﷺ اللبـــن أن يشرب مرات ، كما فى حديث أبى هريرة – رضى الله عنه : فما زال يقول للرجل : اشرب حتى قال : « والذى بعثك بالحق نبيا لا أجد له مسلكا » .

فهو – صلوات الله وسلامه عليه – كما قال تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ الأحزاب/ ٦ يسقط الكلفة ، ويرفع الحرج ، ويخفف من هيبتهم له ، ليضاعف من إقبالهم عليه وارتياحهم إليه .

والله – تعالى – يقول : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾

(الأعراف : ٣١ – ٣٢)

وقد أخرج الإمام أحمد بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « كلوا وتصدقوا والبسوا فى غير سرف ولا مخيلة » ..

والمخيلة : العجب والكبر ، وإنما كان أظهر ما فى السرف من معنى أنه الحرام ، وهذا الحديث أخرجه بلفظ متقارب الإمام البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ..

وفى ذلك كفاية من دليل على أن الإسلام دين التوازن والقصد والاعتدال والوسطية ، وذلك هو الزهد الذى نراه فى سنة نبينا ﷺ .. وفى قوله سبحانه : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ الأعراف/ ٣٢

رحم الله صاحب تفسير « روح المعانى » العلامة : الألوسى ، فقد أثلج الصدور بما أورد من حال رسول الله فى الأخذ من أطيب الحلل ، وحال ابن عباس – رضى الله عنهما – وهو يلقى الخوارج مبعوثا من على – رضى الله عنه ، ومن حال تميم الداري وهو يقوم ليلة عند المقام . وحال ثياب أبى حنيفة النعمان ، ووواءم أحسن مواءمة بين كل ذلك ، وحال قميص عمر الخليفة الراشد – رضى الله عنه – وهو وجه وضيء للأئمة والولاة إلى آخر الزمان ؟

القدس وأموال العرب المغتصبة

بقلم الأستاذ
عادل رفاعى خفاجة

زعم رئيس الوزراء الإسرائيلى بالنيابة شيمون بيريز أن « القدس لم تكن أبداً عاصمة عربية » .

إن هذا الزعم لخير دليل على ماتود أن تبتلعه إسرائيل مما تبقى من حقوق المسلمين ـ على مرأى ومسمع من هذا العالم ـ العالم الذى لم يساند الحق يوما فى فلسطين ـ مغمضة أعينها عن هذا التاريخ العريض الذى يثبت الحق الإسلامى والفلسطينى ، ولتثبت ـ أيضاً فى تحدٍ وصلف ـ أن الجشع الإسرائيلى الذى أتخمته أموال العرب منذ عام ١٩٤٨ ، يستعد لالتهام القدس ذاتها .

ترى : لماذا لم يدفعه نفس التبجح إلى القول بأن القدس لم تكن ـ أيضاً ـ إسلامية .. حتى يتم لهذه الأكذوبة من الخرافة أن تكون دائرة وهم فى آذان إسرائيل .

وبين أيدينا ـ وهو حجتنا ـ كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شاهدان على حقوقنا نحن العرب والمسلمين من خلفنا فى ملكيتنا للقدس وغيرهم .

لمحة تاريخية :

تعتبر التوارة المتداولة أحد الأدلة على وجود الشعب العربى الفلسطينى بهذه المنطقة منذ أكثر من ٣٥٠٠ عام تنطق بذلك حروب اليهود بتلك الأرض .

ثم كان الفتح الإسلامى لفلسطين عام ٦٣٨م فى عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ الذى رفض أن يصلى فى إحدى كنائس « أورشليم » بناء على دعوة من البطريرك ، مخافة أن يأتى المسلمون من بعده ، فيتخذوها مسجدا ، ويقولوا : هاهنا صلى عمر ـ رضى الله عنه .

من هذا التاريخ يمكن أن نؤرخ للتاريخ الإسلامى للقدس . أو منذ بسط الإسلام عدالته وسماحته وإنصافه ليعم فلسطين ـ موثقا ـ بكتاب الصلح بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وبين أهل إيلياء إذ يقول فيه :

« هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها ، وسائر ملتها أنه لاتسكن كنائسهم ولاتهدم ، ولاينتقص منها ولا من خيرها ، ولامن صليبهم ولا من شىء من أموالهم ، ولايكرهون على دينهم ، ولايضار

أحد منهم ،، ولايسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .. »[1] ولم يكن ذلك الفتح إلا لتأكيد ذلك الارتباط – بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى – الذى جاء به القرآن الكريم فى قول الحق تبارك وتعالى :

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ①﴾ سُورَةُ الإِسْرَاءِ

فكان الإسراء أولا ، حين أسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ؛ ليؤكد امتداد حق الإسلام فى فلسطين ، وليؤكد ارتباط فلسطين بأرض الإسلام كلها ، وبمكة المكرمة ارتباطا وثقته هجرة إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ؛ ليؤكد الأنبياء بذلك عهدهم الذى أخذه الله منهم وإقرارهم بنبوة محمد ﷺ وميثاقهم الذى وثقوه .

ثم انطلقت كتائب الإسلام من المدينة المنورة ، لتعيد الإسلام إلى فلسطين ، وتعيد فلسطين إلى الإسلام ، إلى أهلها وأصحابها ، إلى الأمة المسلمة الواحدة التى تحمل رسالة الله فى الأرض[2] .

لقد أمر الله – تعالى – المسلمين فى كل أصقاع المعمورة أن يتجهوا فى صلاتهم إلى قبلة واحدة إلى بيت الله الحرام ، ولم يكن الاتجاه إلى بيت المقدس إلا امتحانا وابتلاء لقلوب المؤمنين ، يقول الحق – تبارك وتعالى – : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ البقرة/١٤٣

ولتبقى فلسطين ساحة ابتلاء وتمحيص ، ويظل الإسلام يخوض أشد المعارك فى جهاد كريم . «إنه صراع الإيمان والتوحيد مع الشرك بمختلف ألوانه . إنهم يسمونه أحيانا صراعا بين « الحضارات » ، ليزكى المشركون أنفسهم ، ويعلوا من شأن فسادهم فيسمونه « حضارة » .

إنه صراع بين الحق والباطل ، امتد واتسع وأخذ جميع أشكال الصراع : فمن صراع القنا والرماح والقنابل والمدافع ، إلى صراع الفكر والعقيدة إلى صراع العلم والثقافة ، والكلمة والأدب والسياسة ، وصراع الاقتصاد والمال والمصالح المتشابكة . لقد شهدت فلسطين جميع أنواع الصراع الذى امتد حتى يومنا هذا بأشكاله المختلفة ليجد الإسلام اليوم أعظم تحد عرفه التاريخ ، وأخطر مرحلة يمر بها المسلمون ، ابتلاء منه سبحانه وتعالى[3] . وهو ماأشار إليه النبى الكريم – صلوات الله عليه – فعن أبى أمامة الباهلى قال : قال رسول الله ﷺ : « لاتزال طائفة من أمتى على الدين ظاهرين ، لعدوهم قاهرين ، لايضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك » قالوا يارسول الله وأين هم ؟

قال : « ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس »[4] .

وإذا كانت تلك الصفحة البيضاء الناصعة

(١) يمكن الرجوع إلى نص هذا الكتاب فى : – تاريخ الطبرى سنة ١٥ هـ

(٢) د. عدنان على رضا النحوى : فلسطين بين المنهج الربانى والواقع ص ٣٤ دار النحوى للنشر والتوزيع ط ٣ الرياض/ ١٩٩٢

(٣) د. عدنان على رضا النحوى : المرجع السابق ص ٣٩ : ٤٠

(٤) أخرجه الإمام أحمد .

سطرها الحق بحروف من نور ، نور العدل والمساواة والأمان : الأمان الذى لايخشى معه الراعى على غنمه إلا الذئب . وإذا كانت تلك الصفحة المشرقة قد طويت - لحين - لتنشر صفحة أخرى يسوْدُها الظلمُ ويُسوِّدُها ، ولنرى فلسطين : أرض الرسالات السماوية يسودها إرهاب « بيجن » الذى يقول : « نحن نقاتل ، إذن نحن موجودون ، بالدم ، والنار ، والدموع ، والدخان ، وبنوع جديد من الإنسانية نوع مجهول تماما للعالم ، منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام : اليهودى المحارب »(٥) .

من هذه الرؤية الدموية وتلك الصياغة التى يحلو لمناحم بيجن أن يستخدمها ؛ ليثبت أن القتال فلسفة صهيونية ، وأن التفكير الصهيونى تتكون مفرداته من الدم ، والنار ، والدموع ، والدخان ..!! من هذه الرؤية الدموية يمكن أن نستجلى صورة الكيان الجديد .

نشأة إسرائيل :

ارتبطت نشأة إسرائيل إرتباطا وثيقا بسقوط دولة الخلافة العثمانية الإسلامية ، وتقسيم أراضيها بين « الدول الإمبريالية » خاصة بين بريطانيا وفرنسا بموجب اتفاقية « سايكس - بيكو » .

ثم صدور تصريح (وعد) من « آثر جيمس بلفور » وزير خارجية بريطانيا إلى المليونير اليهودى الانجليزى ، البارون « آدمون دى روتشيلد » فى الثانى من نوفمبر عام ١٩١٧م ، جاء فيه :

« إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، ولسوف تبذل كل مساعيها لتيسير تحقيق هذا الهدف .. على ألا يؤدى هذا إلى المساس بالحقوق السياسية والدينية للسكان غير اليهود الموجودين فى فلسطين أو المساس بالحقوق السياسية لليهود فى أى بلد آخر .. وأكون ممتنا لو أنك نقلت هذا الإعلان (الوعد) إلى علم المنظمة الصهيونية »(٦) .

وهنا نقدم ما لاحظه المفكر الإسلامى رجاء جارودى حيث يقول تعليقا على ذلك الإعلان :

« وهنا ملاحظتان على الأقل بصدد هذه الوثيقة ، التى كانت ذات تأثير حاسم على التاريخ اللاحق لفلسطين :

أولا : من ناحية الواقع التاريخى ، فإن من يطلق عليهم « المجتمعات غير اليهودية » كانوا يشكلون فى ذلك الوقت ٩٢٪ من سكان فلسطين .

وثانيها : من الناحية القانونية : فإن إعلان بلفور يخص أرضا لم يكن لبريطانيا العظمى فيها أى حق ، ومن ثم لم تكن تستطيع أن تتصرف فيها(٧) .

ولم يكن ما أعلن بشأن عدم المساس بحقوق الفلسطينيين - أهل الأرض - هو ما أضمر ؛ إذ جاء فى مذكرة اللورد بلفور مايلى :

« ليس فى نيتنا حتى مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين »(٨)

« إن القوى الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية ، وسواء أكانت الصهيونية على حق أم

---

(٥) رجاء جارودى : فلسطين أرض الرسالات الالهية : ترجمة د/عبدالصبور شاهين ص ٣٥٥

(٦) لواء ا. ح دكتور فوزى محمد طايل : النظام السياسى فى إسرائيل ص ١٤ دار الوفاء للطباعة والنشر - المنصورة ١٩٩٢م .

(٧) رجاء جارودى : مرجع سابق ص٣٣٨ ، ص٣٣٩ دار التراث القاهرة ١٩٨٦

(٨) لواء أ. ح دكتور فوزى محمد طايل : المرجع السابق

على باطل ، جيدة أم سيئة فإنها متأصلة الجذور فى تقاليد «العهد القديم» ، وهى تلبى الحاجات الحالية والآمال المستقبلية ، وهى ذات أهمية تفوق بكثير رغبات وميول السبعمائة ألف مسلم الذين يسكنون الآن هذه الأرض القديمة .

ينبغى أن تكون فلسطين متاحة لأكبر عدد من المهاجرين اليهود ، لذا فإن من المرغوب فيه أن تكون لها السيادة على الموارد المائية التى تحفها بشكل طبيعى ، سواء أكان ذلك عن طريق توسيع حدودها شمالا أم عن طريق عقد معاهدة مع سوريا الواقعة تحت الانتداب»[٩]

ولنا أن نتصور ماينتجه هذا التحالف الأثيم بين الدول الأربع ومايمكن أن تتمخض عنه تلك العلاقة التى تعلن أمام العالم الحرص على مصالح «غير اليهود» ثم تمرر مذكرة فى الخفاء لتؤكد عدم حرصها حتى على مشاعر السكان الفلسطينيين ؟ كانت النتيجة الحتمية لذلك الأسلوب المقيت : زيادة شراهة اليهود للمال والدم العربى .

فتوالت الهجرات والاستيلاء على الأراضى الزراعية ، ثم كانت مذبحة «دير ياسين» التى قُتل فيها معظم السكان العرب يوم ٩ ابريل ١٩٤٨ ، مما أدى إلى نزوح قرابة ٢٠٠,٠٠٠ فلسطينى من الأراضى التى خصصتها توصية الأمم المتحدة لليهود .

لعل فيما سبق استجلاء لجزء من تلك الصورة الظالمة المظلمة التى أوضحت كيف نشأت تلك الدولة الدخلية على النار والدخان والدم والدموع ذلك المناخ المناسب لقيام مثل تلك الكيانات الشيطانية .

يتبع ذلك صفحة أكثر ظلما ، بعد قيام ذلك الكيان الدخيل وبعد أن أصبح له سلطات ، تسن القوانين وتشرع التشريعات .

فنرى فى عام ١٩٥٠م تشريعا باسم (**قانون الغائبين**)[١٠] يُسن خصيصا للاستيلاء على أموال العرب ؛ إذ وضعت أموال العرب تحت الحراسة ، بموجب ذلك القانون ، حيث وضع أموال كل من كان فى ٢٩ نوفمبر ٤٧ خارج فلسطين ، وكل شركة أو جمعية نصف أعضائها ورأسمالها خارج فلسطين تعتبر مالكا غائبا ! وأعطت الحارس صلاحيات لبيع هذه الأملاك ، لتستخدم هذه الأموال فى توطين المهاجرين اليهود !

ثم إصدار تشريع «قانون (استملاك) الأراضى» استهدف استملاك الأراضى العربية تحت ستار الحاجة إليها لأغراض التعمير والإنماء والاقتصاد لشئون تتعلق بالأمن والدفاع .

تبع ذلك قانون «نزع الملكية» أصدر لتتمكن السلطات اليهودية من هدم عشرات القرى وألوف المنازل والبيوت العربية فى القدس الجديدة وحيفا ويافا وصفد وطبريا والرملة وغيرها بحجة التنظيم والتحسين وشق الطرق والشوارع .

ثم «**قانون التصرف**» : وينص هذا القانون على أنه إذا لم يتصرف صاحب الملك بأرضه تصرفا فعليا «أى بنفسه وبيده» وكانت الحكومة محتاجة إليها للأغراض الدفاعية أو لأغراض التوطين ، فإنها تصبح بأمر وزير المالية ملكا للدولة . وهكذا لاتحتاج إسرائيل للاستيلاء على أراضى العرب ـ وبشكل قانونى ـ إلا إصدار قرار بمنع التجول ..

(٩) لواء أ. ح دكتور فوزى محمد طايل : المرجع السابق ص ١٥ ، ١٦

(١٠) د. يعقوب الخورى : أملاك العرب وأموالهم المجمدة فى فلسطين المحتلة ـ الأمانة العامة لجامعة الدول العربية .

ثم يأتى دور وزير المالية ليصادر تلك الأراضى وفقا لقانون التصرف !

لمحة مما جناه الصهاينة من اغتصاب أملاك العرب :

– فى الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٣ أقيمت ٣٧٠ مستعمرة جديدة ، منها ٣٥٠ مستعمرة يهودية أقيمت على أملاك الغائبين العرب .

– إن مدنا كـ (يافا) و (اللد) و (الرملة) و (عكا) و (بيسان) ومئات القرى لم يكن فيها ساكن يهودى واحد ، باتت آهله باليهود .

– بلغ مقدار ماصدرته إسرائيل من بساتين الحمضيات الخاصة بالعرب عام ٥١/٥٢ ١,٢٥٢,٠٠٠ صندوق من الثمار وهو يعادل نصف ماصدرته إسرائيل فى ذلك العام ، كما يعادل ٢٩٪ مما جنته من العملة الأجنبية ثمنا لصادراتها .

– استولت السلطات الإسرائيلة على جميع الأموال المنقولة الخاصة بمليون عربى بما فيها جميع السلع ومحتويات المحلات التجارية ، والحلى والمجوهرات التى سلبها اليهود من المدن العربية التى داهموها على نحو ماحدث فى : اللد والرملة وجميع المدن والقرى فى الجليلين الشرقى والغربى .

– كما استولوا على الأملاك العقارية فى اثنتى عشرة مدينة عربية بالإضافة إلى ٧٠٠ قرية .

وقد قدر الخبراء الثروة العربية فى فلسطين بحوالى ألفى ميلون جنيه استرلينى موزعة كما يلى .

١٠٠ مليون جنيه مزارع الحمضيات بما فيها من أبنية ومحركات .

١ مليون جنيه مزارع الموز .

٢٧٥ مليون جنيه مزارع الفاكهة والزيتون والأشجار الأخرى .

٣٠ مليون جنيه الأراضى نصف الزراعية .

١١٠٠ مليون جنيه العمارات والمبانى والأملاك فى المدن والقرى

٢٠٠ مليون جنيه الأموال المنقولة بما فى ذلك المفروشات والحلى والسيارات .. الخ .

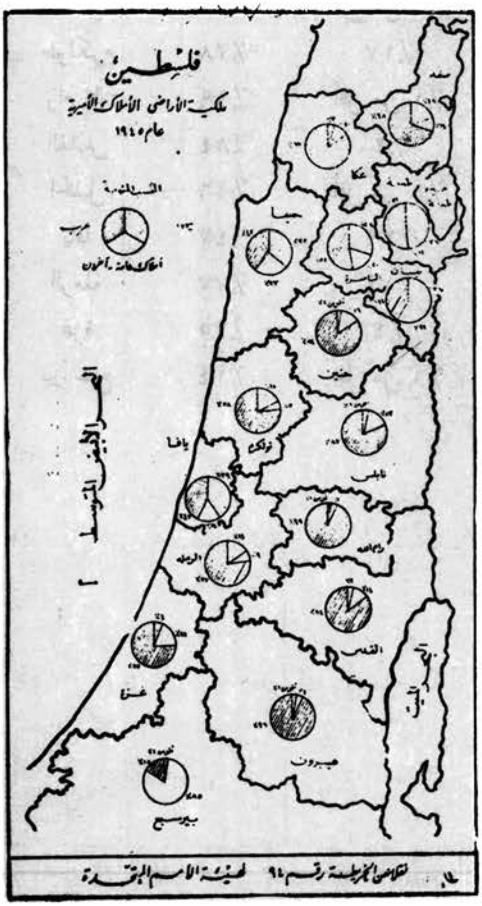

نسب ملكية الأرض للعرب واليهود فى مختلف أقسام فلسطين حتى عام ١٩٤٥ :

القسم	عرب	يهود
صفد	٪٦٨	٪١٨
عكا	٪٨٧	٪٣
طبريا	٪٥١	٪٣٨
بيسان	٪٤٤	٪٣٤
الناصرة	٪٥١	٪٢٨
حيفا	٪٤٢	٪٣٥
جنين	٪٨٤	أقل من ١٪
نابلس	٪٧٦	أقل من ١٪
طولكرم	٪٧٨	٪١٧
رام الله	٪٩٩	أقل من ١٪
القدس	٪٨٤	٪٢
الخليل	٪٩٦	أقل من ١٪
يافا	٪٤٧	٪٣٩
الرملة	٪٧٧	٪١٤
غزة	٪٧٥	٪٤
بير سبع	٪١٤	أقل من ١٪

راجع النسب السابقة وهى نقلا عن الخريطة رقم ٩٤ لهيئة الأمم المتحدة .

ويبدو فيها واضحا أن القدس عربية ؛ حقيقة تقولها أرقام الأمم المتحدة وأن السكان العرب كانوا يمثلون ٨٤٪ من مجموع السكان فى حين كان اليهود يمثلون ٢٪ فقط من ذلك المجموع ![11] .

تُرى ، هل هذه الحقائق كافية لتكف إسرائيل عن إدعائها ؟ وبخاصة والقدس ، ليست قضية أموال أو أراضٍ مغتصبة ، إنما هى مسألة عقيدة فهى مسرى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وفيها أولى القبلتين وثالث الحرمين ودونها يهون كل مرتخص وغال .

وبعد ، فنسأل المولى العلى القدير أن يلهم قادة الأمة الإسلامية إلى لم الشمل وضم الصف لمواجهة هذا الموقف ، متمسكين بقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ سورة آل عمران

(١١) د. يعقوب الخورى : المرجع السابق : ص ٢٢ :٢٨

أسرار التشريع الإسلامى وفلسفته

إعداد وتقديم : د. عبد الفتاح حسين الزيات

أربعة عشر قرنا مضت منذ أن بزغ فجر الإسلام على الجزيرة العربية ، وعم ضوؤه أرجاء المعمورة . وقد جاء بتشريع محكم ، حوى كل الخير للإنسانية .

لقد تناول هذا التشريع الباحثون والمتخصصون والراسخون فى العلم ، شرحا وتحليلا وتفصيلا ، ورأينا ثمار بحوثهم واجتهاداتهم فى رسائل علمية شتىء .

فهل أحاطوا بهذا التشريع علما ، وهل سبروا بحثه غورا .. ؟ أم لا زالت أسرار هذا التشريع خافية تطلب من يكشف عنها حين يريد الله ـ عز وجل .

قد تغيب فلسفةالتشريع الإسلامى عن الأذهان أو تبعد عن بؤرة التصور أو تدق ، حتى يخال الباحث أن ليس لها وجود . وملاك الأمر كله فى يد الله الذى يعطى فضله من يشاء ، لاستكناه هذه الأسرار ، وسير غورها ، وإخراجها إلى حيز الوجود ، لتضاف إلى معجزات الإسلام ، هذا الدين الخاتم والشريعة العامة ، وما ذلك على الله بعزيز ، وهو وحده الذى يعلم حيث يجعل رسالته . يقول الأستاذ :

خلق الله الإنسان مؤلفا من طبيعتين متباينتين : إحداهما ملكية علوية ، والأخرى جثمانية شهوانية ، فمن غلبت شهوته عقله التحق بصنف البهائم ، ومن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة . وقد شرع الله التكاليف امتحانا لخلقه ، ثم قرنها بالزواجر والعظات ؛ لتكون عونا لعقله على التغلب على دواعى الشهوات فيه .

فالتكاليف الشرعية قاصرة على نوع الإنسان كما قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾(١)

وقد فسر أكثر العلماء الأمانة بالتكاليف الشرعية . على أنه لم يقصد من هذه التكاليف تسخير الإنسان أو تحميله ما لا قبل له به ، ولكن

(١) سورة الأحزاب .

أريد بها تطهيره وتخليص جوهره من الكدور التى علقت به ، كما قال تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٢]

وقد عمل المسلمون الأولون بهذه التكاليف فصحت عقولهم وأجسامهم ، وقويت نفوسهم وإراداتهم ، وتقمصتهم روح علوية سموا بها على جميع الأمم المعاصرة لهم حتـــى سادوا عليها وأصبحت لهم خلافة الله فى الأرض .

فإذا كانت هذه الكمالات ثمرة التكاليف الإسلامية ، فكيف لا يحرص عليها المسلمون ويعملون بها ويتدارسونها ويجعلون التواصى بها أمرا محتما على كل منهم فردا فردا ؟

هذا وقد تفضل الله على الإنسان بهبات عظيمة جثمانية وروحانية ، ومتعه بخصائص عالية صورية ومعنوية ، أفلم يكن من حقه عليه أن يشكره على هذه النعم الجليلة ، والعطايا الجزيلة بالإقرار بفضله ، والإخبات لعزته ، والخشية من جبروته ، لذلك وجب علينا أن نقابل هذه الآلاء الإلهية بالشكر الجميل ، وأن نفهم أن الأرواح قبل أن تدنس بالعالم الجسمانى قد خضعت لربها فانطبع فيها الإقرار بالوحدانية ، فالواجب عليها أن تقرّ بها ، وأن تعترف بالعبودية لبارئها ، وأن تبقى حافظة لعهدها القديم ، بعد أن لابستها تلك الأجسام البشرية ، وأحاطت بها إحاطة السوار بالمعصم .

إذاً فالعبادة لله أقدس غاية من غايات الأرواح ، وأسمى مقصد من مقاصدها ، وثمرة العبادة خلاص الإنسان من أسر جثمانه ، وعروجه بروحه إلى أرقى درجات الكمال من وجوده الصورى والروحانى . وهذه غاية يجب أن يعنى بها ،وتراض النفوس لبلوغها ، فإنها أسمى الغايات على وجه الإطلاق .

وقد فرق النبى ﷺ بين الإسلام والإيمان فقال : « الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا » قال :

« والإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقـــدر خيره وشره »[٣] .

والأحاديث صريحة فى أن الأعمال الظاهرة للإنسان من الإيمان ، كقول الرسول ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها : قول لا إله إلا الله ، وأدناها: إماطـــة الأذى عن الطريق »[٤] . وقوله لوفد عبدالقيس : « آمركم بالإيمان بالله وحده ، أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الـــزكاة ، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم »

ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيمانا بالله بدون إيمان القلب ، لما قد أخبر فى غير موضع

(٢) سورة المائدة ،
(٣) رواه الخمسة .
(٤) صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه .

أنه لابد من إيمان القلب ، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان .

وفى المسند عن أنس عن النبى ﷺ أنه قال : « الإسلام علانية ، والإيمان فى القلب » .

وقال سفيان بن عيينة : كان العلماء فيما مضى يكتب بعضهم إلى بعض بهذه الكلمات : « من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه » . رواه ابن أبى الدنيا فى الإخلاص .

وثبت عنه ﷺ من وجوه متعددة أنه قال : « الحياء شعبة من الإيمان » . وهذا من حديث ابن عمر وابن مسعود وعمران بن الحصين .

وقال أيضاً : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » وقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه »(٥) .

وقال ﷺ : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ! » قيل : من يا رسول الله ؟ قال : « الذى لا يأمن جاره بوائقه » . وقال ﷺ : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »(٦)

وقال ﷺ : « ما بعث الله من نبى إلا كان فى أمته قوم يهتدون بهديه ويستنون بسنته ، ثم إنه يخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

وفى الحديث المتفق عليه من رواية أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ ورواه البخارى من حديث ابن عباس قال النبى ﷺ : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب النهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن » .

ثم إن العلماء قد اختلفوا فيما بينهم فى : هل الإيمان يزيد وينقص ؟ ، أو أنه لا يزيد ولا ينقص ؟ وتشعب البحث تشعبا أفضى إلى كثرة من القول مستفيضة . ثم إننا كنا قطعنا مع القراء شوطا بعيدا فى مشروعية النكاح وأسبابه ، ومن يجوز نكاحه ومن لا يجوز ، وقد بقى أن نتكلم عمن حرم نكاحهن المحصورات فى عشرين محرمة .

كذلك كنا قد وعدنا حضرات القراء باستتمام البحث فى حكمة إرسال الرسل . غير أن بحثنا الراهن لا يتسع لكل هذه التفاصيل . لذلك نستميحهم عذرا فى الوقوف بهم عند هذا الحد اليوم من البحوث المتشعبة .

---

(٥) رواه الخمسة إلا أبا داود .

(٦) رواه الخمسة إلا البخارى .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« شـكر .. النعمــة »

النعمة إذا شُكِرت قرّت ، وإذا كُفِرت فرت .

وقيل : لازوال للنعمة إذا شكرت ، ولا بقاء لها إذا كفرت .

وقيل : النعمة وحشية فقيدوها بالشكر . والله – سبحانه – وعد بالزيادة لمن شكر . ولم يستثن فيه ، واستثنى في خمسة أشياء : في الإغناء والإجابة ، والرزق ، والمغفرة ، والتوبة .

فقال – جلَّ وعلا – : ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ﴾ التوبة ٢٨

وقال : ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ ﴾ الأنعام – ٤١

وقال : ﴿ يرزُق مَن يَشاءُ ﴾(٣) آل عمران – ٣٧

وقال : ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ البقرة – ٢٨٤

وقال : ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ﴾ سورة التوبة

وقال – تعالى – في الشكر من غير استثناء : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ، والشكر يكون بالقلب ، واللسان ، والأفعال ، قال الشاعر :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة
يدى ولسنى والضمير المحجبا

« أظلم الناس لنفسه »

روى عن الإمام محمد بن إدريس الشافعى ، أنه قال : أظلم الناس لنفسه : اللئيم ؛ فإنه إذا ارتفع جفا أقاربه ، وأنكر معارفه ، واستخف الأشراف ، وتكبر على ذوى الفضل .

« انبذها .. عنك »

قيل لمعاوية – رضى الله عنه – وهو يداعب بنية له – رضى الله عنهما – : انبذها عنك يا أمير المؤمنين : فوالله إنهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء ، فقال معاوية : لا تقل ذلك ، فما ندب الموتى ، ولا تفقد المرضى ، ولا أعان على الحزن مثلهن .

« نصـــيحة »

لاترغبن إلى من قصرت همته عن همتك ، وزاد حرصه على حرصك ، وكانت حيلته أوسع من حيلتك .

« الحمد لله »

استأذن نصيب بن رباح على عمر بن عبدالعزيز فلم يأذن له ؛ فقال : أَعْلِمُوا أمير المؤمنين أنى قلت شعرا أوله : الحمد لله ، فأعلموه ، فأذن له فأدخل عليه ، وهو يقول :

الحمد لله ، أما بعد : ياعمر
فقد أتتنا بك الحاجات والغدر
فأنت رأس قريش وابن سيدها
والرأس فيه يكون السمع والبصر
فأمـــر له بحليـــة سيفـــه

« قالــوا ... »

إذا غامرت فى أمر مروم
فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير
كطعم الموت فى أمر عظيم

« حقــا »

ربّ قريب أبعد من بعيد ، وبعيد أقرب من قريب ، والغريب من لم يكن له حبيب .

« ماتشتهى ؟ »

قيل لرجل : ماتشتهى ؟ فقال : جنى النخل وجنى النحل ، فقيل : أيهما أحب إليك ؟ قال : أشفاهما وأنقاهما .

« مايهمكم من ذلك » !!

قيل لأبى حازم : غلتِ الأسعار !! فقال : مايهمكم من ذلك ، إن الذى يرزقنا فى الرخص ، هو الذى يرزقنا فى الغلاء .

« لا يتم المعروف إلا بثلاث »

قال ابن عباس ــ رضى الله عنهما : لا يتم المعروف إلا بثلاث : تعجيله وتصغيره وستره ، فإنه إذا عجله هنأه ، وإذا صغره عظمهُ ، وإذا ستره تممه .

« دعـــاء »

اللهم ياعالم الخفيات ، ويارافع الدرجات ، ياغافر الذنب ، وقابل التوب ، نسألك أن تذيقنا بَرْد عفوك ، وحلاوة رحمتك .. يا أرحم الراحمين .

العلوم الكونية

العلوم التقنية فى التراث الإسلامى

٢

عرض وتحليل أ.د/ أحمد فؤاد باشا

واكب انتشار الإسلام واتساع رقعة الدولة الإسلامية قيام نهضة عمرانية كبرى تمثلت فى ظهور مدن جديدة ، ونمو مدن أخرى كانت قائمة قبل الإسلام ، وبنيت الأسوار والحصون ، وأنشئت المساجد والقصور ، و «البيمارستانات» (المستشفيات) والمدارس وخزانات المياه .. وقد أضافت العمارة الإسلامية تقنيات ونظما لم تكن معروفة من قبل ، منها : أنظمة المساجد والأضرحة والمدارس ، كذلك ابتكرت العمارة الإسلامية عناصر كثيرة منها : أشكال العقود والتيجان والقباب والمحاريب والمآذن والمنارات وغيرها .

وازدهرت تقنية الزخارف المعمارية الإسلامية ، واتخذت لها خصائص متميزة ، سواء من حيث تصميمها وإخراجها ، أو من حيث موضوعاتها وأساليبها . واستخدم التقنيون المسلمون خطوطا زخرفية رائعة المظهر والتكوين ، وجعلوا من المجموعات الزخرفية نماذج انطلق فيها خيالهم إلى اللانهاية والتكرار والتجدد والتناوب والتشابك ، وابتكروا المضلعات النجمية وأشكال التوريق وأشكال التوشيح العربى ، الذى أطلق عليه الأوروبيون صفة «الأرابسك» *ARABESQUE* ، ولايزال هذا النسق العربى فى الزخرفة يحظى بالاهتمام فى بلدان عديدة ، منذ ظهر لأول مرة فى الزخرفة الفاطمية ، وفى مسجد الأزهر ، فى منتصف القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى)[1] .

وصاحب ازدهار التقنيات المعمارية الإسلامية نهضة مماثلة فى الحرف والصناعات المعنية بإنتاج التحف الثمينة من الخشب والعاج والخزف والزجاج والمعادن والجلود والمنسوجات الكتانية والحريرية والصوفية .

وسوف نعرض فيما يلى لعدد من تقنيات العمارة الإسلامية بشىء من الإيجاز للوقوف على أهميتها ، ودور علماء الحضارة الإسلامية فى استحداثها أو تطويرها :

(أ) تقنية الصوتيات المعمارية :

يدين علم الصوتيات *ACOUSTICS* بنشأته وإرساء أصوله المنهجية السليمة لعلماء المسلمين فى عصر النهضة العلمية الإسلامية ، وقد أفادوا منه فى مجالات حيوية مختلفة ، من بينها تطوير تقنية

(١) د . أحمد فكرى «فى العمارة والتحف الفنية» فصل فى كتاب «أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية الحديثة» ، إشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .

الهندسة الصوتية ، واستخدامها فيما يعرف الآن «بتقنية الصوتيات المعمارية» .

فقد عرفوا أن الصوت ينعكس عن السطوح المقعرة ويتجمع فى بؤرة محددة ، شأنه فى ذلك شأن الضوء الذى ينعكس عن سطح مرآة مقعرة .

وإذا أجرى حساب دقيق لهندسة السطوح المقعرة ، فإنه يصبح بالإمكان تسليط الأمواج الصوتية المنعكسة ، وتركيزها فى اتجاهات معينة ، بحيث تزيد من وضوح الصوت وشدته . أما إذا لم تراع الحسابات الدقيقة لأماكن السطوح المقعرة وأبعادها ، بالنسبة لأماكن إصدار الصوت واستقباله ، فإنه ينتج عن ذلك «تشويش» لدى السامع . وقد استخدم «التقنيون» المسلمون خاصية تركيز الصوت ***FOCUSING OF SOUND*** فى أغراض البناء والعمارة ، وخاصة فى المساجد الجامعة الكبيرة لنقل وتقوية صوت الخطيب والإمام فى أيام الجمعة والأعياد .

مثال ذلك : مسجد أصفهان القديم ، ومسجد العادلية فى حلب ، وبعض مساجد بغداد القديمة ، حيث كان يُصمَّم سقف المسجد وجدرانه على شكل سطوح مقعرة موزعة فى زوايا المسجد وأركانه بطريقة دقيقة تضمن توزيع الصوت بانتظام على جميع الأرجاء .

وإن هذه المآثر الإسلامية الباقية حتى اليوم لخير شاهد على ريادة علماء الحضارة الإسلامية فى تقنية الصوتيات الهندسية ، وذلك قبل أن يبدأ العالم المعروف «والاس ك سابين» حوالى عام ١٩٠٠م ، فى دراسة أسباب سوء الصفات الصوتية لقاعة محاضرات فى جامعة «هارفارد» الأمريكية ، وتتبع سلوك الخواص الصوتية للقاعات وحجرات غرف الموسيقى[٢] .

ولكى نقف على مدى أهمية تطوير المسلمين لتقنية الصوتيات المعمارية ، تكفى الإشارة إلى أن خاصية تركيز الصوت تستخدم فى الحضارة المعاصرة ، كجزء أساسى من هندسة الصوتيات المعمارية ، حيث تزود المسارح وقاعات الاحتفال الكبيرة ، بجدران خلفية مقعرة ، تعمل على ارتداد الصوت وزيادة وضوحه . ويمكن تحسين الحالة الصوتية فى القاعات باستخدام ألواح من مواد ماصّة للطاقة الصوتية ، مثل «الفلين» و «الجبس» ونسيج «الألياف الزجاجية» ***FIBERGLASS*** ، وتوضع هذه الألواح فى أماكن معينة على السقف والجدران ، بغرض تقليل دوىّ الصوت أو التخلص منه .

(ب) تقنية العقود والقباب :

يقرر أهل الاختصاص فى مجال العمارة الإسلامية[٣] أن أول ما ظهر من عناصر وأشكال التقنيات المعمارية الإسلامية هو «العقد المنفوخ» ، الذى استخدم فى المسجد الأموى بدمشق عام

(٢) س . ج . فوربس وأ . ج . ديكسترهوز ، تاريخ العلم والتكنولوجيا ، الجزء الثانى : القرنان الثامن عشر والتاسع عشر ، الترجمة العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٦ م ، ص ٦٨ . وتجدر الإشارة من جانبنا إلى ما جاء فى هذا الكتاب من اعتبار «سابين» رائداً فى مجال بناء قاعات استماع الموسيقى على أساس علمى ، وكانت الأمانة العلمية والإنصاف يقتضيان أن ينوّه فى الترجمة العربية على الأقل إلى الريادة الحقيقية لعلماء المسلمين فى مجال تقنية «الصوتيات المعمارية» ، ولعل هذا يؤكد أهمية الحاجة إلى تنقية الكتب العلمية المترجمة والمؤلفة من المغالطات التى تسربت أو تتسرب إلى ثقافتنا .

(٣) راجع فى ذلك : د . أحمد فكرى ، مرجع سابق

٨٧ هـ = ٧٠٦ م ، وعُمِّم استخدامه بعد ذلك بحيث أصبح عنصراً مميزاً للعمارة الإسلامية ، وخاصة فى بلاد المغرب والأندلس ، ثم اقتبسه البناة الأوروبيون ، وأكثروا من استخدامه فى بناء كنائسهم وأديرتهم .

كذلك طور المسلمون تقنية «العقود ثلاثية الفتحات» ، التى كان مصدرها فكرة هندسية بحتة قائمة على القسمة الحسابية ، وهو ما استدل عليه الباحثون من رسمٍ باق على جدار فى أطلال مدينة «الزهراء» . وانتشر استعمال هذا النوع من العقود فى الكنائس الإسبانية والفرنسية والإيطالية .

وهناك أيضاً تقنية العقود المفصصة ، أو المقصوصة ، وهى عقود قُصتْ حوافها الداخلية على هيئة سلسلة من أنصاف دوائر ، أو على هيئة عقد من أنصاف فصوص ، ولعل هذا العقد المفصص قد اشتق من شكل حافة المحارة ، غير أنه اتخذ فى العمارة الإسلامية المظهر الهندسى البحت ، وأصبح فيها ابتكارا ، ظهر أول ما ظهر ، فيما تبقى من الآثار ، فى أوائل القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) ، واتضحت معالمه الهندسية كاملة فى بناء قبة المسجد الجامع بالقيروان فى سنة ٢٢١ هـ = ٨٣٦ م .

واحتفظ العقد المفصص بمظهره الهندسى فى تطوره بعد ذلك بالرغم من تعدد أشكاله ، ثم تشابكت العقود المفصصة فى القرون التالية ، وازداد عدد الفصوص ، وتصاغرت ، وتداخلت فيها زهيرات ووريدات ، وأصبح شكلها زخرفيا جذابا ، حليت به المآذن والمحاريب .

ومن المغرب والأندلس استقت العمارة المسيحية فى أوروبا أشكال العقود المفصصة لتزيين واجهات الكنائس .

وإلى جانب هذه الأنواع من العقود ظهرت فى العمارة الإسلامية أشكال أخرى منها : العقود المدببة والصماء والمنفرجة ، وقد انتشر استخدامها فى بلاد المشرق والمغرب على السواء ، وتوجد أمثلة منها فى العمارة الأوربية . فعلى سبيل المثال : انتقل العقد المنفرج إلى العمارة الإنجليزية ، وعمّ استعماله فى القرن السادس عشر باسم «العقد التيودورى» **TUDOR ARCH** ، بينما سبقت العمارة الإسلامية إلى استخدامه قبل ذلك بخمسة قرون فى مساجد : الجيوشى والأقمر والأزهر بالقاهرة . ولا تختلف أمثلة العقد التيودورى فى إنجلترا ، مظهراً وعنصراً ، عن أمثلة العقود المنفرجة فى القاهرة ، وإن كانت أعمدتها هنالك رفيعة وأكثر طولاً ، وهذا أمر طبيعى أملاه التطور التقنى فى غضون خمسة قرون .

أما القباب فقد تطورت كثيراً فى العمارة الإسلامية ، واتخذت فكرتها الهندسية أشكالاً مختلفة فى قبة المحراب بالمسجد الجامع بالقيروان ، ومسجد الزيتونة بتونس ، والمسجد الجامع بقرطبة ، وقد ظهرت آثار هذا التطور بوضوح فى العمارة الأوربية خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين .

(ج) تقنية الزخارف المعمارية :

اتخذت هذه التقنية خصائص مميزة كان لها عظيم الأثر فى إبراز المظهر الحضارى لنهضة المسلمين ، وقد حذق أهل هذه التقنية صنعة

النحت المسطح والغائر على الخشب أو الحجارة أو الرخام ، ومهروا فى استخدام المواد الملونة ، وإجادة النقوش وتنوع التوريق والتوشيح العربى (الأرابيسك) . واحتل الخط الكوفى مكانة ممتازة بين الموضوعات والعناصر الزخرفية العربية .

واقتبس الأوربيون من كل ذلك ما تشهد به تيجان الأعمدة فى كنائسهم ، أو عقود بواباتها ، ولعل من أكثر الآثار الأوربية تعبيراً عن التأثيرات الإسلامية فى العمارة والزخرفة المعمارية ، تلك المجموعة من الكنائس التى بنيت فى مدينة «البوى» فى وسط فرنسا ، فى الربع الأول من القرن الثانى عشر الميلادى . فقد تجمعت فى هذه المبانى أمثلة عديدة من العقود المنفوخة والمفصصة والثلاثية الفتحات ، لا تختلف عن نظائرها فى العمارة الأندلسية ، وظهر على واجهات هذه المبانى وعقودها تناوب الألوان ، منظما بالشكل الذى يبدو عليه تماماً فى قبة مسجد الزيتونة بتونس ، وفى عقود مسجد قرطبة .

وانتشرت فى تلك «الآثار» مجموعة من التيجان الحجرية المنحوتة بالنحت الغائر على غرار منحوتات مدينة الزهراء . واتخذت هذه التيجان شكلاً فريداً ظهر أول ما ظهر فى مسجد قرطبة ، ونجد فوق هذا كله خاتم العروبة والإسلام مطبوعا على إحدى بوابات كاتدرائية «البوى» ينطق بعبارة عربية مقروءة واضحة المعنى هى «الملك لله»[٤] .

ومن الجدير بالذكر أن جماليات العمارة الهندسية الإسلامية امتدت لتشمل القناطر المائية والجسور والقنوات ، وكانت تقنياتها رائعة التخطيط والتنفيذ ، تعطى الماء المار فى القنوات والأنهار بُعداً جمالياً إضافياً عند المشاهدة . وهذا يعنى أن العمارة الإسلامية وتقنياتها الهندسية والجمالية كانت مظاهر طبيعية لعصور الازدهار فى حضارة الإسلام ، أو امتداداً طبيعيا لهذه الحضارة العريقة .

وعن علاقة الحضارة بالعمران يقول ابن خلدون فى مقدمته : « إن الدولة والملك للعمران بمنزلة الصورة للمادة ، وهو الشكل الحافظ لوجودها ، وانفكاك أحدهما عن الآخر غير ممكن على ما قرر فى الحكمة ، فالدولة دون العمران لا يمكن تصورها ، والعمران دونها متعذر ، فاختلال أحدهما يستلزم اختلال الآخر ، كما أن عدم أحدهما يؤثر فى عدم الآخر »[٥] .

ولا يزال للموضوع بقية فى العدد القادم إن شاء الله .

(٤) د . أحمد فكرى ، المرجع السابق .

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ، عن : د . عادل عوض ، «المدينة العربية الإسلامية والمدينة الأوربية » ، مجلة العلم والتكنولوجيا ، معهد الإنماء العربى ، بيروت ــ لبنان ، العدد ٢٧ (١٩٩٢) ، ص ٣٢ .

من أمراض الطفولة

فقر الدم الناجم عن زيادة تحلل كرات الدم الحمراء

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى (*)

تحدثنا فى مقالاتنا السابقة ، عن فقر الدم الناجم عن زيادة معدل تحلل كرات الدم الحمراء ، نتيجة لعوامل داخلية INTRINSIC FACTORS ، تتعلق بوجود خلل فى تكوين كرات الدم الحمراء ناجم عن وجود خلل آخر فى تكوين الغشاء الخلوى ، أو نقص فى أحد الإنزيمات الهامة داخل الخلية ، أو خلل فى تكوين مادة الهيموجلوبين .

واليوم نستأنف حديثنا عن فقر الدم الناجم عن زيادة معدل تحلل كرات الدم الحمراء ، نتيجة لوجود عوامل خارجية EXTRINSIC FACTORS ، بالرغم من عدم وجود أى خلل من تكوين كرات الدم الحمراء :

EXTRINSIC HAEMOLYTIC ANAEMIAS

● أسباب هذا النوع من فقر الدم :

★ فى حالات نقل دم مخالف لفصيلة دم الطفل .

INCOMPATIBLE BLOOD TRANSFUSION

★ تكوين الجسم لأجسام مضادة لكرات الدم الحمراء ، تتحد معها ، وينجم عن هذا تكسر كرات الدم الحمراء .

AUTOIMMUNE HAEMOLYTIC ANAEMIA

يوجد نوعان من تلك الأجسام المضادة وهما :

أ ــ النوع الدافىء من الأجسام المضادة :

WARM ANTIBODIES

ب ــ النوع البارد من الأجسام المضادة :

COLD ANTIBODIES

★ أولاً : فقر الدم الناجم عن تحلل الدم ، نظراً لوجود أجسام مضادة دافئة ، ضد كرات الدم الحمراء .

WARM ANTIBODIES

ويتميز هذا النوع من فقر الدم بوجود أجسام مضادة لكرات الدم الحمراء تكون نشطة وتزيد

(*) ماجستير فى طب الأطفال .

عن درجة حرارة ٣٧ درجة مئوية ، ولهذا أطلق عليها الأجسام المضادة الدافئة .

وهذه الأجسام المضادة تابعة للأجسام المضادة « ج » IMMUNOGLOBULIN G (IGG) واتحادها مع كرات الدم الحمراء لا يحتاج لوجود المتمم **COMPLEMENT** ، وهو بروتين يساعد فى عملية التهام وتحلّل الميكروبات بواسطة الجهاز المناعى .

● **أسباب تكوين الجسم لهذا النوع من الأجسام المضادة :**

١ ــ فى الكثير من الأحيان لا يوجد سبب واضح لتكوين هذه الأجسام المضادة **IDIOPATHIC** .

٢ ــ تناول الطفل لأحد العقاقير مثل :

● المضادات الحيوية : مثل عقار البنسلين **PENICILLIN** والكيفالو سبورينز **CEPHALOSPORINES** حيث يتحدد هذان العقاران بشدة مع الغشاء الخلوى لكرات الدم الحمراء ، المتحدة مع العقار ، تؤدى إلى تحلل كرات الدم الحمراء ، وبالتالى إلى حدوث فقر دم .

● عقار الريفامبيسين **RIFAMPICIN** الذى يتحد مع البروتينات الموجودة فى المصل **SERUM PROTEINS** ، ويقوم جسم الطفل بتكوين أجسام مضادة للعقار ، تتحد معه ، ثم تلتصق بتلك الأجسام المضادة ، المتحدة مع العقار **IMMUNE COMPLEX** ، بسطح خلايا الدم الحمراء ، وفى وجود المتمم **COMPLEMENT** يحدث تحلل لخلايا الدم الحمراء .

● عقار الميثيل دوبا **METHYL DOPA** المستخدم فى علاج ارتفاع ضغط الدم ، ويسبب تحلل كرات الدم الحمراء ، بطريقة غير معروفة .

٣ ــ إصابة الطفل بأحد الأمراض ، التى يحدث فيها خلل فى وظيفة جهازه المناعى ، حيث يقوم بتكوين أجسام مضادة ضد خلايا الجسم نفسه : **AUTOIMMUNE DISEASES** مثل مرض الذئبة الحمراء **(SYSTEMIC LUPUS ERYTHROMATOSIS)** ، ومرض الروماتيد المفصلى .
JUVENILE RHEUMATOID **ARTHRITIS** وغيرها

٤ ــ إصابة الطفل بأحد الأورام الخبيثة مثل الورم اللمفى **LYMPHOMAS** أو سرطان الدم اللمفى **LYMPHATIC LEUKAEMIA** .

٥ ــ إصابة الطفل بأحد الالتهابات ، خصوصاً الفيروسيَّة **VIRAL INFECTIONS** .

● **أعراض المرض :**

يحدث المرض فى صورتين :

● الصورة الحادة المؤقتة .

● الصورة المزمنة .

أ ــ الصورة الحادة المؤقتة :

ACUTE TRANSIENT FORM

● وهذا النوع هو الأكثر شيوعاً عند الأطفال ، وفى العادة يسبقه إصابة الطفل بأحد الالتهابات ، وعادة : التهابات الجهاز التنفسى **RESPIRATORY INFECTIONS** ، ولايكون الطفل مصاباً بمرض عضوى **SYSTEMIC DISEASE** مثل الأورام الخبيثة

أو خلل فى الجهاز المناعى ، كما سبق وذكرنا ، وتتجلى الأعراض فى الآتى :

١ ـ إصابة الطفل بهتان مفاجىء ACUTE PALLOR ، وارتفــاع فى درجـــة الحرارة FEVER .

٢ ـ حدوث اصْفرار فى جلد الطفل ، وبياض عينيه JAUNDICE ، مع إحمرار لون البول .

٣ ـ تضخـــم طحـــال الطفـــل SPLENOMEGALY .

من الجدير بالذكر أن هذا النـــوع الحاد يستجيب للعلاج بعقار الكورتيزون ، ويحدث شفاء تام فى خلال ثلاثة شهور من بدء المرض ، ونادراً ما يؤدى إلى وفاة الطفل .

ب ـ الصورة المزمنة غير المؤقتة :

CHRONIC PROLONGED TYPE

● وهذا النوع هو الأقل شيوعاً عند الأطفال ، ويحدث بصورة تدريجية ، وعادة ما يحدث نتيجة لإصابة الطفل بمرض عضوى ، مثل إصابة الطفل بأحد الأورام الخبيثة ، مثل الورم اللمفى ، أو سرطان الدم اللمفى ، أو حدوث خلل فى وظيفة الجهاز المناعى للطفل ، حيث يقوم جسم الطفل بتكوين أجسام مضادة لكرات الدم الحمراء ، تؤدى إلى تحللها . وتتجلى الأغراض فى الآتى :

١ ـ حدوث شحوب وبهتان للطفل تدريجياً .

٢ ـ تضخم الطحال .

٣ ـ حدوث نزف (داخلى أو خارجى) ، نظراً لوجود أجسام مضادة للصفائح الدموية .

ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من فقر الدم تطول مدته لشهور ، أو سنوات وتختلف استجابته للعلاج بعقار الكورتيـزون من مريض لآخر ، ولكن فى المُجمل تكون أقل استجابة من النوع الحاد المؤقت ، وبالتالى تزداد نسبة الوفيات من هذا المرض عن النوع السابق .

وسوف نستأنف حديثنا عن هذا النوع من فقر الدم فى مقالنا التالى ـ بإذن الله تعالى ـ بإلقاء الضوء على وسائل التشخيص والعلاج الأمثل .

« وَيخلق مَا لا تَعلمُون ... »

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد : د / نجوى السيد أحمد (*)

طريقــة جديدة لعـــلاج الصمـــم

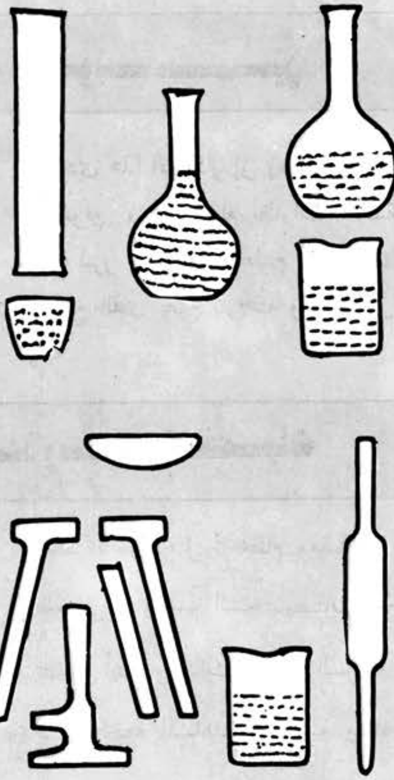

أثبتت البحوث الطبية أن حالات الصمم سببها اضطراب فى الدورة الدموية الدقيقة فى الأذن ، ثم يحدث خلل فى أداء خلايا العصب السمعى ، وأخيراً يحدث موت لهذه الخلايا ، ولذلك قام أحد الأطباء فى الصين باستخدام طريقة جديدة لعلاج الصمم ، وهى عبارة عن جلسات علاج بالموجات الكهرومغناطيسية ، المنبعثة من مصدر للأشعة تحت الحمراء ، ومسح بأشعة ليزر الهيليوم والنيون ، مع تدليك صينى للنقاط الحيوية المرتبطة بالأذن بجهاز للذبذبات ، واستخدام خليط علاجى من الأعشاب لتحسين دوران الدم ولزيادة الطاقة الحيوية ، وكانت النتائج مدهشة ، إذ استعادت بعض خلايا العصب حيويتها ، وانبعثت خلايا جديدة ، واستعاد كثير من المرضى جزءاً من قدرتهم على السمع .

★ باحثة بالمركز القومى للبحوث ـ الدق

اكتشاف علاقة تكافل متميزة بين النمل والفراشات

اكتشف أحد العلماء الأمريكيين ـ بجامعة تكساس ـ علاقة التكافل المتميزة بين النمل ومعظم أنواع الفراشات ، حيث تمكن من تسجيل بعض النداءات الصوتية المحدودة السعة التى توجهها اليرقات إلى النمل ، لتجذبه وتحافظ على استمرار العلاقة بينهما ، ومن بين هذه النداءات تم تمييز نوعين من الأصوات : إحـــداهما : نداءات سقسقات عالية التردد ، والأخرى : إيقاعات طبول منخفضة التردد ، ومن المعروف أن النداءات الترددية يعتمد عليها النمل كثيراً للإبقاء على اتصال أفراده بالأعشاش ، ولقد أثبتت الأبحاث التى قام بها العالم الأمريكى أن نداءات الفراشات هى من نوع النداءات الترددية للنمل ، مما يكشف عن أن هذه الفراشات قد استثمرت نظام الاتصال السمعى عن النمل لتقيم علاقات التكافل والنفع المتبادل معه .

شـــريحة الكترونيـــة للمكفوفـــــين

أعلن فريق من الباحثين الأمريكيين أنهم توصلوا لتطوير شريحة الكترونية خفيفة الوزن جدًّا ومتناهية الصغر ، لا يزيد طولها على نصف سنتيمتر ، تثبت فى شبكية العين ، ويمكنها إرسال إشارات ضوئية بصرية للمخ ، ويأمل الباحثون فى أن يؤدى هذا الابتكار إلى إعادة جزء من البصر للمكفوفين ، باستخدام نظارات خاصة ترسل شعاع ليزر غير مرئى يصطدم بالشريحة ، فتحوله إلى المخ الذى يقوم بترجمته وتحويله إلى صورة مرئية .

تقنيـــة متقدمـــة لوحـــدة رســـم الشخصـيات

أنتجت شركة إنجليزية النموذج الجديد لوحدة رسم الشخصيات للطراز الثلاثى الأبعاد ، الذى يستخدم الحاسب الآلى فى الأداء ، وفى رسم الشخصيات ، بعد إضافة أكثر من ٧٥ ميزة هندسية جديدة ، ويتضمن النموذج الجديد وحدة لتربيط الأشياء مثل : عظام ومفاصل الهيكل العظمـــى ، ورسم الشخصيـــات بوضوح ، ويتضمن أيضاً وحدات المراجعة السريعة ، حيث يمكن مراجعة المشاهدة الساكنة والمتحركة ، باستخدام نظام التظليل النسبى .

آلة تصوير لتسجيل حركة النبات

قام عالم بريطانى باستخدام آلة تصوير مبرمجة بواسطة الحاسب الآلى ، لكى تزيد أو تقلل من سرعة لقطاتها ، مع استخدام اللقطات العريضة والبعيدة حول النبات ، على مستوى لم يعرف له مثيل من قبل ، لعمل تسجيل صور لحركة النبات ، وقد تبدو الفكرة بسيطة ، ولكن الأمر المدهش هو تصور نمو بعض النباتات المائية ، والتغلب على كثير من المشاكل التى تنتج عن الرطوبة ومستويات المياه والضوء وفقاعات غاز الميثان الناتج من التحلل العضوى والرياح المفاجئة وتقلب المناخ .

كبسولة لاستكشاف الأمراض وعلاجها

طور أحد المهندسين الباحثين فى مؤسسة علاجية بفرنسا كبسولة أمكن إنتاجها صناعيا ، ويمكن ابتلاعها واستعادتها بعد عملية الإخراج ، وتتكون من قطع الكترونية صغيرة ، ومحاطة بغلاف من الجيلاتين يذوب بعد ابتلاع الكبسولة ، ويرسل البيانات المطلوبة إلى جهاز الكترونى خارجى ، وتستطيع هذه الكبسولة أثناء سيرها داخل الجهاز الهضمى أن تستكشف أى مرض ، كما يمكنها أن تأخذ عينة من السائل المعوى لتحليلها ، أو أن تصنع علاج كيماوى فى مكان محدد أثناء مسارها .

نظام إنذار جديد يستخدم الدخان

ابتكرت إحدى الشركات البريطانية نظام إنذار جديد يستخدم الدخان فى إرعاب اللصوص ، ويحول هذا النظام المنزل فى لحظة إلى ساحة أشبه بأفلام الرعب ، ويعتمد على إطلاق سحابة من الدخان تملأ المكان بضباب كثيف ، يمنع اللصوص من الرؤية والهروب قبل وصول الشرطة ، والفكرة تعتمد على مرور محلول «جليكول الإيثيلين» على سطح ساخن ، فيتحول المحلول إلى دخان دقيق ينطلق بضغط عال ، وهو غير مضر للإنسان ، ولا للأجهزة الالكترونية ، ولا يترك آثاراً برغم أنه يحتاج إلى وقت طويل نسبيا لكى يتم التخلص منه .

ناقلات للطاقة من «السيراميك»

تمكنت إحدى الشركات الفرنسية من إنتاج ناقلات للطاقة الكهربائية من «السيراميك» المكثف ، وهذا النوع الجديد من « التكنولوجيا» يسمح لناقلات الطاقة أن يكون أداؤها على مستوى عال من الجودة ، فهى حساسة جدًّا ، وتتميز باتساع الحيز ، وأن لها مستوى ممتاز فى عزل الصوت بين العناصر ، وأن درجة ارتداد الصوت ضعيفة جدًّا ، ولها تجانس كهربى صوتى ممتاز بين مختلف العناصر .

صاروخ مضاد للأقمار الصناعية

تقوم الولايات المتحدة الامريكية بإنتاج جيل جديد من الصواريخ المضادة للأقمار الصناعية تستطيع إتلاف أهدافها وإصابتها بالعمى الكامل والدائم بسرعة غريبة وبكفاءة تامة ، وهو يحتوى على « رادار» شديد الحساسية يلتقط أشعة الشمس التى تنعكس من الهدف ويتجه إليه مباشرة ، وهو لا يدمر هدفه ويحوله إلى نفايات فضائية .

طبقات المحققين والمصححين (*)

دراســة وتقويم

للأستاذ الدكتور / الســيد الجميــلى

توطئة :

كان ظهور الطباعة خيراً وبركة للعلم وأهله ؛ فقد فتح ظهورها أبواب المعرفة والثقافة على مصاريعها لينهل منها الدارسون والباحثون ، ويَسَّرت الطباعة الكشف عن كنوز القدماء والأسلاف الكرام من علم محصن نافع فتح أبواب الخير العميم والفضل العظيم ، وكانت قبل ذلك تكاد تكون موصدة إلا على ثرى يملك أن يدفع للناسخ أجره .. هذا الأجر الذى يرتفع مع قيمة الكتاب وسمكه وعدد مجلداته ، حتى ليصل إلى آلاف الدنانير .

من ثم كانت الطباعة صلة مبرورة بين الماضى العريق ، والحاضر المتطور الذى لايستغنى عن علم وتجارب السلف الصالح فى يسر وسهولة .

وأول مطبعة عربية ظهرت فى أرض عربية جاء بها نابليون إلى مصر سنة ١٧٩٨م ـ ثمان وتسعين وسبعمائة وألف من الميلاد ، والحق يقال : إنها كانت النواة الأولى فى عالم الطباعة العربية ، وفى تلك المطبعة طُبِعَ كتاب : « أمثال لقمان الحكيم » مع ترجمته إلى الفرنسية . كما طبع فيها كل المنشورات والأوامر باللغة العربية ، وبعض الرسائل الطبية وغيرها .

(*) يسر كاتب هذه الحلقات أن يدلى فيها كلُّ ذى نصيب من العلم بأمرها ، ويرسل إلى مجلة الأزهر بحقيقة مايعلم فى هذا الموضوع حتى نقضى حقاً واجباً علينا أداؤه إلى هذه الطبقة الكريمة التى كانت همزة الوصل بين الماضى والحاضر .. والتى لولاها لتأخرت نهضتنا العلمية والأدبية سنين لايعلم مداها إلا المولى ـ عز وجل ... ثم بجانب هذا الواجب تعلم الأجيال حقيقة هذه الحقبة لتتوالق الصلة العلمية على يديها بين الماضى والحاضر فلا تقع فى فجوات التاريخ أو عثرات الغموض .

ثم أنشأ محمد على باشا ـ رحمه الله ـ المطبعة الأهلية سنة ١٨٢١م (١٢٨٩هـ) ، ووضع الأوربيون الفهارس الدقيقة التى تحتوى عليها المكتبات وخزائن الكتب المختلفة ، سواء كانت هذه الكتب مخطوطة أم مطبوعة .

والحقيقة الثابتة التى لاخلاف عليها أن الكثرة الكاثرة من مخطوطات لاحصر لها كانت أشلاء متناثرة قد علاها غبار الزمن ، وأكل عليها الدهر وشرب ، هذا فضلًا عن تشتت مخطوطات الكتاب الواحد فى أماكن متفرقة من مكتبات العالم ، وتعذر الوصول إليها جميعاً فى تلك الأوقات لمشقة وصعوبة المواصلات من جهة ، ومايقتضيه البحث عنها من جهد ومن مال من جهة أخرى .

هذا على ماكانت عليه أصلا من أغلاط النساخ من تصحيفات وتحريفات وأخطاء لغوية : نحوية أو صرفية أو إملائية لا حصر لها ؛ لأن أكثر النساخ لم يكونوا من أهل العلم إلا القليل منهم .

من ثم فقد تظاهرت عوامل متعددة على هذا التراث الضخم من المخطوطات ابتداء من ضياع أجزاء من المخطوطة ، أو سقوط فصول منها أوإصابتها بـ (الأرضة) ، مع رداءة أكثر الخطوط ، وإدراج بعض أقوال الناسخين وإدخالها فى المتن الأصلى عن عمد تارة ، أو جهل أخرى .

كل هذه الأحوال ألقت بمسئوليات جسيمة على كاهل العلماء المحققين ، والمصححين المخلصين ، الذين قيضهم الله ليعملوا على إخراج هذه الكنوز الغرية المأهولة ، وتنقيتها وضبطها فى أدق وأتم وأكمل صورة منظورة ، حتى يستوى الكتاب بين يدى قارئيه واضحاً جلياً منزهاً من الأغلاط ، مبرءاً من التخليط والسقط ، وغيره من عوامل التعرية التى أتت عليه أو كادت ، ولكى يكون أقرب شيء جدًّا إلى أصل المؤلف .

ولو أن القارىء رأى مخطوطات الكتاب القديمة التى مرت عليها قرون وقرون ، ثم نظر بعد ذلك فى الكتاب بعد تحقيقه وطبعه وإخراجه ، لعرف مدى مايعانيه المحققون والمصححون من جهد فى الضبط وإحكام النص ، مراجعة وتدقيقاً مرات ومرات قبل وصوله إلى ماكينات الطباعة .

وقد أثار هذه الخواطر فى نفسى حديث ذو شجون مع أخى وصديقى الحميم الأستاذ الدكتور على أحمد الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر ، حيث عهد إلىَّ بالكتابة عن هذه الفترة المفقودة ، غير الجلية وغير الظاهرة ، والتى عمل فيها كثيرٌ من الأعلام والأقطاب الأبطال من المحققين والمصححين الأوائل ، الذين جاءوا على قَدرٍ مع النهضة الطباعية الميمونة المباركة ، ولا زالت أعمالهم الجليلة حتى الآن بين ظهرانينا ناطقة ببراعتهم وإتقانهم وإخلاصهم المشهود .

وقد ذكر لى الأستاذ الدكتور على الخطيب مقولة رائعة مضى عليها نحو ربع قرن أو تزيد قليلًا فى معرض حديث بين فضيلته وبين الأديب الأستاذ أحمد حسن الزيات ـ رحمه الله ـ وكان ـ وقتها ـ رئيس تحرير مجلة الأزهر ، وكان مدار الحديث حول عبارة « إن فلاناً أخذ دكتوراه فى فلان أو فلان » ، فقال الأستاذ الزيات للدكتور الخطيب : « إن الذى يستحق الدكتوراه هم

أولئك المصححون الذين جعلونا نقرأ التراث ، وهو مثل الكناسة » .

وكان ـ رحمه الله ـ قاصداً بأولـــــئك المصححين ـ مصححى « المطبعة الميرية » وأمثالهم ، وهم فى تقسيمنا الطبقة الأولى من المصححين العلماء ، منهم : الشيخ قطة العدوى ، والشيخ حسن العدوى ، ومن فى طبـــقتهم ـ رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة كفاء ماقدموا وأخلصوا وما أسْدَوْا للعلم والعلماء ـ.

هذه توطئة لابد منها ولا يفوتنى تجليته نقطة فى غاية الأهمية ألا وهى أن هذه الدراسة ليست على سبيل الحصر لكل أطراف الموضوع ودقائقه لأسباب شتى ..

منها : إننا لن نتكلم على كل آحاد المحققين والمصححين ، إنما على صفوة الأعلام والمبرزين منهم ، حيث إن كثيراً منهم لم يكن معروفاً عنه غير اسمه وحسب ، وكان كل همهم التفانى فى عملهم بعيداً عن الشهرة ، والظهور والتبريز ...

فكان عملهم فى صمت ناطقاً ومحدثاً بليغاً عما كانوا عليه من علم سابغ ، وتواضع شديد بالغ بدا فى إنكار ذواتهم ، وعدم التعريج على الشكليات « وتلك آثارهم تدل عليهم » ، وهى فى ميزان حسناتهم إن شاء الله ، وسنذكر عن كل واحد منهم ماتيسر لنا من معلومات بعد مشقة وجهد ، والاتصال بأبنائهم وأحفادهم ومعارفهم لتقديم صورة حية ناطقة إحياء لذكرى هؤلاء الأعلام الأحياء فى ضمائرنا ودخائلنا ولا تبعد أسماؤهم طرفة عين عن باحث أو دارس أو قارىء ، فهم غائبون حضور .

ليس ـ كذلك ـ فقط ـ إنما ينبغى أن يعلم القارىء ـ مدى تمكن هذا الرعيل من قراءة مخطوطات خالية من النقط والشكل ، وكل ما يتيح للقارىء أن يسترسل فى قراءته بلا عقبات .

وفى هذا المقام أشكر كل من أمدنى بالوثائق عنهم للمعاونة والمؤازرة ، وعلى رأسهم الدكتور على أحمد الخطيب صاحب الفكرة الأولى ، ثم الأستاذ المحقق الكبير العلامة الدكتور عبد المجيد دياب ، والأستاذ الدكتور نبيل عبد السلام هارون ، والأستاذ الدكتور خالد محمد أبو الفضل ، والأستاذ الدكتور إسحاق كمال مصطفى وغيرهم وغيرهم .

ولا يسعنى إلا أن أشكر قبل كل شىء وبعده مجلة الأزهر فى عصرها الذهبى على ما تقدمه بجهود رجالها العلماء الراسخين من موائد علمية دسمة ، برعاية الإمام الأكبر شيخ الإسلام والمسلمين فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ حفظه الله وسدد خطاه ـ والله المستعان .

وأعتذر سلفاً عما قد يقع من سهو أو تقصير غير مقصود لأحد منهم ، فإننى أعد بأن يُجمع هذا كله إن شاء الله بعد ذلك فى دراسة جامعة تقطع الأمر بحثاً بكل دقائقه ، وهذا عملٌ شاقٌ كل المشقة يحتاج إلى وقت نراه الآن ليس ميسورا .. والله ـ وحده ـ مأمول أن يرزقنا الإخلاص فى القول والعمل .

بداية التحقيق وطبقات المحققين ومراتبهم

بدأ فن التحقيق بنخبة من المصححين العلماء يرأسهم الشيخ محمد قطة العدوى ، وهو ـ رحمه الله ـ ابن الشيخ عبد الرحمن الشهير بـ (قطة العدوى) ، وكان مصححاً فى دار الطباعة المصرية ببولاق .

من أعماله الجليلة :

« فتح الجليل » شرح على شواهد ابن عقيل بهامش شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجرجاوى .

وذيل الفتوحات المكية بترجمة صاحبه ابن عربى .

وغير ذلك من الأعمال الطيبة . وقد توفى إلى رحمة الله سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف من الهجرة المشرفة ـ رحمه الله رحمة واسعة .

ولعل أشهر تحقيقاته كافة : كتاب (خطط المقريزى) .

وجدير بالذكر أنه ـ فى أول الأمر فى مطبعة بولاق ـ كان يُطْلَقُ على المراجع لقب : (مصحح) . وكان محتوماً أن يكون هذا المصحح عالماً من هيئة كبار العلماء ، وليس من أنصاف المتعلمين .

كما كانوا يقولون عادة : « نشره فلان » .

وجدير بالذكر أيضاً أن أول من ذكر كلمة « تحقيق فلان » ـ فيما أعلم ـ هو شيخ العروبة أحمد زكى باشا ـ رحمه الله وأكرم مثواه ـ .

ثم إن أول كتاب ـ أراه ـ ذُكِر عليه كلمه (تحقيق) كان كتاب : « الأصنام » ، ثم كتاب : « أنساب الخيل » .

صدرت أول كتب التحقيق بمطبعة الخانجى متمثلة فى « معجم البلدان » و« معجم العمران » .

اســـتدراك

نشرت مجلة الأزهر فى عدد جمادى الأولى ١٤١٦ هـ قصيدة بعنوان « الأزهر وشيخه » للشاعر محمود محمد شرف الدين وقد نسبت خطأ إلى شاعر افريقى وقد ألقيت فى المؤتمر الدولى للإغاثة .

وقد تلقت المجلة رسالة من بعض الطلاب اليمنيين بقسم الصحافة والإعلام ـ جامعة الأزهر تفيد أن قائل القصيدة يمنى هو وكيل الهيئة العامة للمعاهد العلمية فى اليمن وأحد شعرائها المشاهير .

مع الدكتور عبدالوهاب عزام

فى كتابه مجالس السلطان الغورى

بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

شهدت القاهرة ، منذ سنوات بعيدة ، العديد من الندوات والصالونات الأدبية ، التى كانت تموج بالشعراء والأدباء والنقاد ، وتثرى الحياة الثقافية ـ أسبوعياً أو شهرياً ـ بالزاد الرفيع من المعرفة والفنون المختلفة ، وتتيح للشداة من الناشئين الاحتكاك بالأفذاذ المجلين ، من جيل الأساتذة الأعلام ، فى الشعر والأدب .. وفى ذلك ما فيه من إنتشاء وارتواء ، مما قد لا تحققه القراءة المنفردة الصامتة ، فى أمهات الكتب ..

لقد عمرت القاهرة بالندوات ، ومن هذه الندوات ـ التى مازالت قائمة على قدم وساق حتى اليوم ـ : ندوة (رابطة الأدب الحديث) ، التى تعقد مساء يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، ويتولى رئاستها ـ بعد رائدها الأول المرحوم مصطفى عبداللطيف السحرتى (شيخ النقاد) ـ الأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى ، مد الله فى عمره .

ومن الندوات التى توقفت ـ بسبب رحيل ، أو انشغال ، مديريها عنها ـ : ندوة كامل كيلانى ، وندوة الدكتور محمد بن فتح الله بدران بمنزله بحدائق شبرا ، وندوات ضولت الحلوانى ، وآل عبدالرازق ، وندوة قبة الغورى ، التى كان يديرها المرحوم الدكتور عبدالوهاب عزام ، وكان صديقنا الشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين يغشاها فى صباه ، ليستمتع بسماع نخبة الشعراء الذين كانوا يجتمعون فيها ، ويتبارون فى إلقاء خرائدهم ، بأداء أخاذ .

وربما كانت رئاسة الدكتور عبدالوهاب عزام ـ رحمه الله ـ لندوة قبة الغورى ، هى التى حفزته على البحث والتنقيب ، عن الزمان والمكان ، كدأبه فى تعمق الأمور .. فعمد إلى إصدار كتاب :

(مجالس السلطان الغورى) ، كصفحة من تاريخ مصر ، فى القرن العاشر الهجرى . وهو يذكر فى مقدمة هذا الكتاب[1] ، أنه اطلع منذ سنين على كتاب فى دار الكتب المصرية ، اسمه : (الكوكب الدرى فى مسائل السلطان الغورى) ، يتضمن آراء السلطان الغورى ـ آخر سلاطين المماليك المصريين ـ فى مسائل من الفقه والتفسير ، وغيرهما ، عرضت له فى مجالسه . والكتاب نسخة مصورة ، عن نسخة فى استنبول ، هى نسخة السلطان ، التى كتبت له فى القاهرة ، وأهديت إلى خزانة كتبه ..

يقول الدكتور عزام : « قرأت الكتاب ، وتقريت سيرة السلطان ، فى العلم والأدب ، فعثرت على أبيات له بالعربية ، والتركية » .

إلا أن الدكتور عزام لم يتمكن من العثور على نسخة الكتاب الأصلية . وبعد سنوات ، أتيح له العثور على نسخة تقع فى مجلد ، فيه نصف الكتاب المفتقد ، باللغة التركية (التى كان يجيدها الدكتور عزام) وجده فى مكتبة الأمير إبراهيم حلمى .

وسافر الدكتور عزام إلى استنبول عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) ، وأثناء تنقيبه فى مكتباتها عن (الشاهنامة) التركية ، وكتب أخرى ، انتهى به البحث إلى العثور ـ فى مكتبات السلاطين العثمانيين ، فى سراى (طُوبْ قَبُو) ـ على نسخة كاملة من الكتاب ، فى مجلد واحد ضخم ، فيه صور ملونة جميلة ، واكتشف أنها هى النسخة الأم من هذا الكتاب ، أى النسخة الأولى التى كتبها المترجم بيده فى القاهرة ، وقدمها إلى « السلطان الغورى » .

* * *

وبعد اطلاع الدكتور عزام على مقدمة الكتاب ونهايته ، تبين له مدى عناية السلطان الغورى بالأدب ، ورعاية أهله .

ثم اطلع الدكتور عزام ، بعد ذلك ، على كتاب آخر ، يحمل عنوان : (نفائس المجالس السلطانية) ، يتضمن طرفاً من آراء السلطان ، ومحاوراته فى مجالسه . وبعد استيعاب الدكتور عزام لما جاء بهذين الكتابين ، قام بإعداد بحث عنهما ، ألقاه فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد فى بروكسل سنة ١٩٣٨ .

ثم قام الدكتور عزام ، بعد ذلك ، بطبع مختاراته من الكتابين : (نفائس المجالس السلطانية) و (الكوكب الدرى) ، مقتصراً فى اختياره على ذكر مسائل وافية ، بتصوير مجالس الغورى ، وتبين آرائه ، وآراء العلماء والكبراء ، الذين كانوا يغشون مجالسه ، لتكون ـ بين دفتى كتابه هذا ـ بمثابة صفحات نابضة بالحياة ، من تاريخ بلادنا ، فى القرن العاشر الهجرى .

(١) ط التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤١م .

وفى مستهل الكتاب ، يذكر الدكتور عزام نبذة مستفيضة عن مكانة مصر فى أواخر عصر المماليك ، ومواقفها فى تباشير العصور الحديثة ، بين الشرق والغرب ، وصلاتها بدول أوربا ، والدول الإسلامية ، وخاصة دولة بنى عثمان ..

وكان السلطان الغورى يدير ملكاً واسعاً ؛ هو ملك مصر ، والأقطار التى تتبعها فى أكثر العصور .. ذلك الملك الذى ذكره المتنبى وهو يمدح كافور الأخشيدى ـ (قبل أن يقلب له ظهر المجن) ـ بقوله :

يُدَبِّـــر المُـــلْكَ من مصرٍ إلى عَدَنٍ   إلى العراق ، فأرض الروم ، فَالنُّـوَبِ

وكان للغورى ـ كما يقول الدكتور عزام ـ ، ولسلاطين المماليك من قبله ، الزعامة بين ملوك المسلمين ، لتوليهم خدمة الحرمين الشريفين ، ولمكان الخلافة العباسية فى مصر .

ولاتزال آثار السلطان الغورى ظاهرة فى مصر والحجاز ، ومازال جامع الغورى قائماً بالغورى ، وقد تم بناؤه ـ كما يقول ابن إياس ـ فى غاية الحسن والتزخرف ، وصنع به مئذنة لها أربعة رءوس ، وهو أول من اتخذ ذلك .. « وتجاه الجامع بناء آخر يساميه ويشابهه ، فيه قبة الغورى ، وقاعة كبيرة للدرس » ومن إنشاءات الغورى أيضاً بالقاهرة : خان الخليلى ، وقصر المقياس فى الروضة ، والمكتب والسبيل فى الغورى ، وأحواض فى طريق الحاج عند العقبة ، وغيرها .

* * *

وفى وصف مجالس السلطان الغورى ، يقول الشاعر الشريفى ـ ما ترجمه الدكتور عزام نثراً ـ : « ما أجمل مجلسك أيها السلطان ، إنه يشبه الجنة ، كل شىء مهيأ فى هذا المجلس ، إنه فى الحقيقة : منبع العلوم ، ومجمع الأفاضل بلا ريب .. مجلس تيسر فيه المشاكل ، أى مجلس هذا ؟! : إنه حديقة وبستان ، تقال فيها العبارات ، بكل اللغات ، وتسير على قانونه الرموز والإشارات » .

ومن شعر السلطان الغورى بالعربية ، قوله :

لله فى أيامنـــا نفحـــات   من دهرنـا .. تزكـو بها الأوقـات
فيها : ألا فتعـرضوا وتضرعـوا   فيها : تجاب لكـم بها الدعـوات
هذى مواسمهـا لنـا قد أقبـلت   ودنـا بموعدهـا لنـا ميقـات

* * *

ويقول « حسين بن محمد الحسينى » مؤلف كتاب (نفائس المجالس السلطانية) ـ بترجمة د. عزام ـ : « وقد سجلت كثيرا من مسائل هذه المجالس فى كتابين يصوران تصويرا حسنا ، كثيرا

من أحوال مصر ، فى عهد السلطان الغورى ، منها : (كتاب نفائس المجالس السلطانية فى حقائق الأسرار القرآنية) .

وقد جعل المؤلف كتابه فى مقدمة ، وعشر روضات . والمقدمة قصيرة ، تتضمن كلام بعض السلاطين — ومنهم الغورى — والروضات العشر ، يذكر فى كل واحدة منها ، مجلس السلطان فى شهر . وكانت المجالس تجتمع فى كل أسبوع مرة ، أو اثنتين ، أو ثلاثاً .. وأولها مجلس رمضان ، سنة عشر وتسعمائة .

وربما كانت فكرة (الفوازير) التى درجنا على الاحتفاء بها وتقديمها فى شهر الصيام ، مستقاة من (الألغاز)[٢] التى قيلت فى مجالس السلطان ، ومنها قول الشاعر مُلْغِزًا :

ألا فأخبرونى أى شىء رأيتمـــو — من الطير فى أرض الأعاجم والعــرب
فيــؤكل مطبوخــاً لذيــذا ، وتــارة — فيؤكل مشويا إذا اشتــد فى اللــهب
ولــيس له أيـــد ولـــيس له فم — ولــيس له رجــل ، ولــيس له ذنب
ولـــيس له مخ ولـــيس له دم — ولــيس له عظــم ولــيس له زغب

والجواب : قال مولانا السلطان : هو البيض .

المناسب لهذا المجلس :

أنه قيل : جماعة من الشعراء اجتمعوا فى خدمة سيف الدولة ، وقصدوا إيذاء (المتنبى) ، وقالوا : إنا نبيض فى هذا المجلس !.. (وكان مع كل واحد بيضة مخفية) .. فلما جاءت نوبة المتنبى .. صاح صيحة الديك ، فقال السلطان :

— ما هذا ؟ قال المتنبى : لابد لهذه الدجاجات .. من ديك !

وتستمر الأسمار والأحاديث فى هذه المجالس ، فيذكر أحدهم لغزاً آخر ، فى قول الشاعر :

ومــيت بقبر طعمـــه عنـــد رأسه — إذا ذاق من ذاك الطعــام : تكلمـــا
يقــوم ويمشى : ناطقـــاً بفصاحـــة — ويأوى إلى الــقبر الــذى كان قيمــا

قال : هو القلم ..

(٢) واللغز فى الأصل : جحر يحفره اليربوع ، ملتوياً منحرفاً ، يلجأ إليه حين يُقْصَدُ فى جحره المستقيم ، وقد أريد به ما أخفى معناه من الكلام وألبس — تشبيها بلغز اليربوع . « أنظر عدد مجلة الأزهر الصادر فى غرة صفر سنة ١٣٧٢هـ ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٢ بباب (تعقيبات) للأستاذ محمد على النجار .

ولغز آخر :

خليـــلان ممنوعـــان من كل لذة ... يبيتـــان ، طوال الليـــل ، مجتمعـــان
إذا أمسيـــا كانـــا على النـــاس حارساً ... وعنـــد طلـــوع الفجـــر .. يفترقـــان

قال : هو الباب (بمصراعيه حينما يقفلان ويفتحان) .

ولغز آخر :

وذى سفـــر لا يحب المقـــام ... ولا يسأم السير فى كل حال
يبيـــد الليـــالى فى مرّة ... وتضنيـــه ـ فى مُرِّهـــن ـ الليـــالى

قال : هو القمر .

ولغز آخر :

وآكلـــة بغير فم وبطـــن ... لها الأشجـــار والحيـــوان قوت
إذا أطعـــمتها نعشت وعـــاشت ... وإن أسقـــيتها ماء .. تموت !

قال : هى النار .

ولغز آخر :

وذات ذؤابـــة تنجـــر طولا ... تراهـــا فى المجىء وفى الذهـــاب
ومـــا لبست ، مدى الأيـــام ، ثوبـــاً ... وتـــكسو النـــاس أنـــواع الثيـــاب

قال : هى الابرة . وفى هذا المعنى قلنا من قصيدة لنا : عريانة لكنها تكسو ملايين البشر .

* * *

ومما يدل على سرعة بديهة السلطان الغورى وسعة إطلاعه عندما سئل : ما فائدة الدعاء ، مع أن القضاء لا رد له ؟ فأجاب :

ـ قال الغزالى : « اعلم أن من جملة القضاء ، رد البلاء بالدعاء .. فالماء سبب لخروج النبات ، كذلك الدعاء سبب لرد البلاء ، وليس من شرط الاعتراف بالقضاء ، عدم حمل السلاح ، لأنه ـ تعالى ـ أمرنا بحمله ، بقوله : « فليأخذوا حذرهم وأسلحتهم » .

وعندما سئل : لأى شىء جعل الله الملوحة فى العينين ، والمرارة فى الأذنين ، والماء فى المنخرين ، والعذوبة فى الشفتين ؟ فأجاب : إن الله ـ تعالى ـ خلق العينين ، فجعلهما شحمتين ، وخلق الملوحة فيها لحفظ العين ، ولولا ذلك لذابتا ، فذهبتا .. وجعل المرارة فى الأذنين ، لأنه لو لم يكن كذلك ، لهجمت الدواب وأكلت الدماغ .. وجعل الماء فى المنخرين ، ليصعد منه النفس وينزل ، ويجد منه الروائح الطيبة ، من الروائح الكريهة .

وعندما سئل : إذا قتل ذمى ذميا ، ثم أسلم ، فما حكمه ؟

فأجاب : نقتله وندفنه فى مقابر المسلمين ؛ لأن الإسلام يرفع حق الله ، لا حق الناس .

* * *

ويقول المؤلف فى الكتاب الثانى : (الكوكب الدرى فى مسائل الغورى) : « جمعت شيئا يسيرا ، وفات منى شيء كثير ، فجمعت من بحار فوائده قطرة ، ومن شموس محاسنه ذرة ، ولم أقدر أن أجمع إلا واحداً من ألف ، بل من مائة ألف ؛ لأننى كنت فقير الحال ، متزلزل الأحوال » .

والكتاب المذكور يحتوى على ألفى مسألة وأجوبتها ، من المسائل التى دار البحث فيها ، فى مجالس الغورى . وكما يقول الدكتور عزام : « والمطلع على الكتاب يرى صوراً من أفكار علماء مصر وأمرائها فى ذلك العصر ، يرى المسائل الدينية ، وهى معظم الكتاب ، ومسائل تاريخية وجغرافية ، ويرى انتقال الحديث ، من تفسير آية كريمة أو حديث شريف إلى السؤال عمن بنى الأهرام ، أو عن زرقة السماء ، أو السؤال عن (كيومرث) ، أول ملوك الشاهنامة : أكان قبل نوح ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ أم بعده ؟ أو عن شهر المحرم : لماذا جعل أول التاريخ الهجرى » ..

كذلك يجد القارىء ـ بين الحين بعد الحين ـ فكاهة للسلطان أو نادرة . ونقتصر على ما قدمنا من الشواهد .

وصفوة القول أن هذا الكتاب يصور ، على الجملة ، بعض النواحى الفكرية والاجتماعية ، فى مصر والعالم الإسلامى ، فى ذلك الوقت .

هذا ، ومازالت الندوات الأدبية وفرسانها ـ فى وقتنا الحاضر على أقل تقدير ـ بحاجة إلى تأريخ مدون .. ولعل بعض الباحثين الجادين ، الذين هم فى فسحة العمر وعزم الشباب ، ينهضون للسير قدما فى هذا الطريق الذى عَبَّدَهُ أمامهم الدكتور عبدالوهاب عزام ـ رحمه الله ـ بهمته ودأبه ، لنظفر منهم بكنوز أوشكت على الضياع والاندثار .. مقتفين بذلك أثر الشاعر محمود جبر ، رحمه الله ، الذى أصدر كتابا رائعا عن (الندوة البدرانية) جمع فيه الكثير من أفانين الشعر والنثر التى ألقيت بهذه الندوة ، مع وصف بديع لها ، وللجو الشائق الذى سادها ، كمهرجان أدبى كبير ، يحرص الأدباء والشعراء على التمتع به ، والإسهام فيه ، ببدائعهم وروائعهم .

وبالله التوفيق ..

عرض وتقديم الأستاذ

عبدالســلام ناصــف

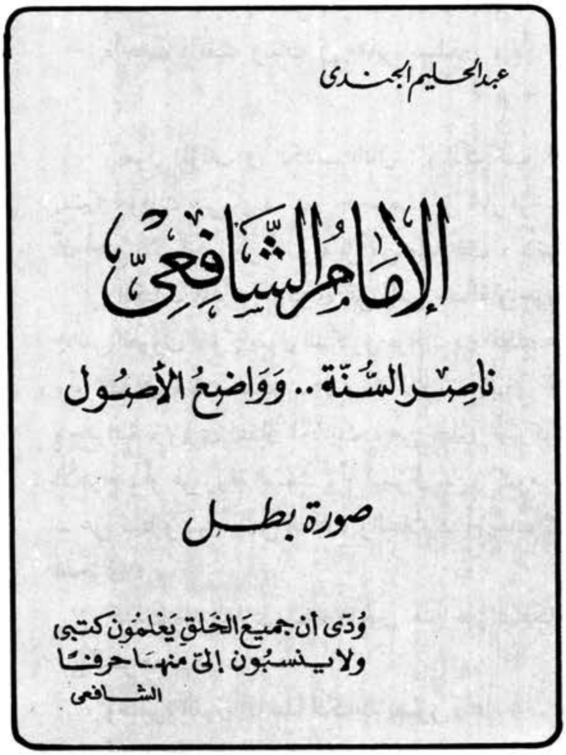

الكتاب الذى بين أيدينا من أنفس كتب التراجم فسيرة الإمام الشافعى الذى ملأ طباق الأرض علما أكثر من أن يحتويها سفر واحد ـ غير أن كاتبها القدير المستشار عبدالحليم الجندى المتخصص فى التنقيب عن فضائل الأئمة الكبار استطاع أن يوجزها فى صفحات هذا الكتاب الذى يزيد عن الأربعمائة من القطع الكبير فى أبواب تسعة مقسمة إلى فصول .

بدأت برسم صورة رائعة لحضارة الدولة الإسلامية فى العصر العباسى خاصة فى عهد الخليفة هارون الرشيد الذى ازدهرت الحضارة فى عهده إزدهاراً يفوق كل تصور فقد عم الكون كله عبق أريجها فقد كثرت المؤلفات والتراجم والكتب فى كل مناحى الحياة ـ كما اتسعت دائرة الترجمة من كل بقاع الدنيا فى ثورة علمية جارفة ـ وإليكم الكتاب .

من رحمة الله بهذه الأمة أنه لم يحرمها من إمام حتى يهبها إماماً آخر ، ففى العام الذى توفى فيه الإمام أبو حنيفة النعمان ولد إمام آخر هو محمد بن إدريس الشافعى ـ رضى الله عنهما ـ فقد ولد الإمام الشافعى القرشى النسب أباً وأماً فى (غزة) أثناء رحلة لوالده فيها للتجارة ـ وشاءت الأقدار

أن يموت خلالها ويتركه طفلا فى رعاية والدته التى عادت به إلى مكة المكرمة موطن أهله وأهلها خوفاً عليه ، وأملا فى الوصول إلى حقه فى النسب وفى الإرث من بيت مال المسلمين « وكان لها الفضل العظيم فى رعايته وتنشئته وتربيته وتعليمه » وراتبه من بيت المال حينذاك لم يكن يكفيه ، فعاش عيشة ضنكا . ومع ذلك أدخلته الكتَّاب ، وتبدت نجابته فى سرعة حفظه فحفظ القرآن الكريم ولم يتعد السابعة واستخدمه المعلم فى تحفيظ الصبيان بالكتَّاب ـ ثم جوده على خير أهله فى المسجد الحرام وكان يُبكى كل من يسمعه « وكان يؤم القوم فى صلاتهم باعتباره أحفظهم » وما أن بلغ الثالثة عشرة حتى جمع كل ما فى مكة من علم ؛ إذ أنكب على حلقات الدرس وتفانى فى التحصيل بغية أن يكون من أهل الرسول الأمين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بعلمه فتتفانى فى دراسة سنته على أعلم المسلمين بها ليصبح الفهم للسنة خصيصيته حتى سما وارتقى بعلمه وتوفيق الله له ، وارتبط فكره بابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أعلم أهل زمانه بما أنزل على محمد ﷺ ، وتعلم على يد تلاميذه شيوخ مكة أمثال سفيان بن عيينة ، والإمام مسلم ، وغيرهما فبرع فى الفقه واللغة واعترف سفيان بعلمه فقال عنه :

إنه أفضل أهل زمانه وأذن له الإمام مسلم أن يُفتى وهو لم يبلغ العشرين لكنه آثر أن يقطع فى العلم أشواطاً وأشواطاً ، فاتجه إلى اللغة العربية وآدابها كمصدر لفهم الكتاب والسنة ، وارتحل إلى قبيلة (هذيل) فى البادية لينتهج النهج العلمى فى التحصيل ، من المنبع حيث التقشف والفصاحة والبلاغة وكان يعتبر الشعر الجاهلى مفتاح اللغة العربية ومن ثم فقد سلم أسلوبه وازدان بالجزالة وارتفع أسلوبه فى الفقه إلى أعلى مستويات البلاغة فصاحة ووجازة ووضوحا إلى جانب حذقه للرياضة والرماية وركوب الخيل . وعلا عن سفاسف الأمور واكتسب المبادرة الهادفة والاتزان فى الانطلاق والتركيز على الهدف والغرض ، فعلا عند الله والناس بعد أن جلس إلى علية القوم فى أعظم البقاع ، وكانت حياته كلها كرما وسخاء وشجاعة وتقوى بتواضع جم وخلق حسن ، وكان يدعو إلى طلب العلم بذلِّ النفس وضيق العيش وكان يميل إلى الوسطية ، وكان مضرب الأمثال فى تأنيه وكان يكره التميمة ويكره قبولها وسماعها .

ولقد تزوج ـ رحمه الله ـ من حفيدة الخليفة عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ فولدت له محمدا المكنى بأبى عثمان وزينب وفاطمة .

ولقد خلف ـ الإمام الشافعى ثروة عظمى من المؤلفات الطوال مقسمة ومبوبة على نسق الكتب العصرية التى تتصدى لأدق العلوم التى أثرى بها التراث الأدبى وفرة وعلوا وكمالا ومعنى تحس فى لغته طعما سائغا فى الفم وتوقيعا بديعا فى الأذن كأنما يسلك الجواهر فى عقود الجمان .

ولقد سبق شعره نثره ، وارتفع بأسلوب الكتابة إلى أعلى مستوى البلاغة باختيار اللفظ الملائم ، والتركيب السائغ واشتقاق الكلمات وإضفاء السلاسة والسلامة والمتعة والفائدة فى إيجاز فسما بالفقه عن ضجة الجدل ، وزحمة الخلق إلى ما يشبه المناجاة ، وأضاف إلى اللغة العربية كنوزاً ألاقة لم يُعرف لها نظائر ومن ثم كان إماماً فى الفقه واللغة .

وعن شاعريته فحدث ولا حرج ، إذ كان أشعر الشعراء فى الحكمة ولولا أنه كان يخشى الشعر فى غير الورع لملأ الدنيا شعراً فهو القائل :

ولـولا الشعـــر بالعلمـــاء يزرى
لكـنت اليـوم أشعـــر من لبيـــد

ولعله كان يتمثل محبة رسول الله ﷺ للشعر الذى كان يقول : (إن من الشعر لحكمة) لكنه اختار الفقه ميدانا لاجتهاداته بعدما هبت رياح بغداد العاصفة على أهل السنن فى مكة ونسائم المدينة تجيئه منعشة ــ فعزم الرحيل إلى المدينة المنورة تبركا وتعلما وقصد إمام دار الهجرة (مالك ابن أنس) ليتزود من (موطئه) ــ وأعجب كل منهما بالآخر فقال مالك عنه : (ما جاءنى قرشى أفهم من هذا الفتى) أما هو فقال عن مالك : (إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب) وتغنى بكتابة الموطأ فقال : ما فى الأرض كتاب فى الفقه والعلم أكثر صواباً من كتاب مالك) . وأصبح كل علماء المدينة أصحابه .

وفى الفصل الثانى من الباب الثالث يحكى المؤلف أن والى اليمن قد اصطحب الشافعى بعد وفاة مالك ليعينه قاضيا فى (نجران) فاستزاد من علم أهلها ودرس الطب والرياضيات ــ ولقد التزم بالعدل فى قضائه لكن عدله لم يرق للمبطلين فمكروا به عند الخليفة الرشيد وكان أعظم حكام الدنيا فى القرون الوسطى فى كل مناحى الحضارة ، فأمر بحملة إليه مكبلا ولما مثل أمامه وكان قاضيه محمد بن الحسن سيد علماء عصره فاستشهد به الإمام فشهد له ، وشاءت العناية الإلهية أن تنقذه من مصير من سبقوه جميعاً إلى المحاكمة والاعدام ــ فبرِّئت ساحته فوقف عالى الرأس ، هادىء النفس ، وازداد يقينا بربه العزيز الحكيم .

صحيح أنه قد ساق حجته على أعلى مستوى يتصوره دفاع عن متهم من شخص الخليفة ، ومن القاضى الفقيه الجالس على منصة الحكم ، ومن كونه قرشى متمكن أن كل نفس زائقة الموت وأنه لا يهابه .. إلا أن هذه إرادة الله عز وجل . فخرج من بلاط الرشيد ليعود لمكة أكثر علما وليصبح فيها أعلم رجل فى الدين والدنيا ــ ولقد استقبلته استقبالا يليق بعلمه فأوسعت له مكانا بجوار مقام الخليل إبراهيم داخل المسجد الحرام حيث كان فى الرابعة والثلاثين فى يده علم العراق وسنن الحجاز فأمسك بأدوات الفقه فى يديه ووازن بينهما واستبط منهما فقها من القرآن والسنة ، فالقرآن بأحكامه ، والسنة يشرحها لمجمل آياته وأسباب نزوله إلى جانب تبحره فى السير والبلاغة والشعر والأدب فصار من أهل القرآن وخاصته ، وجلس يحدث بلسان فصيح حسن التلاوة ، قوى البيان ، مهابا بحس دقيق عميق منبعث من جوار الكعبة ــ فقد كان أقدر الأئمة على تفسير القرآن وأوضحهم حجة بلسان عربى مبين مزوداً بأشعار العرب وآثار السلف من الصحابة والتابعين . ثم عكف على كتب العراقيين فراجعها ونقدها وبوبها وفندها لتظهر مدرسة جديدة فى الفقه بعدما توفر له الإلمام باللغة والنحو والصرف ، والاشتقاق والمعانى ، والبديع ، والقراءات ، والأصول ، وأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والحديث ، والفقه فانطلق يفسر عن علم وثقة وكان مجلسه قبالة ميزاب الكعبة ، وكان يفسر وكأنه شاهد تنزيل .

ولقد جلس الإمام أحمد بن حنبل إليه فى

المسجد الحرام أثناء حجه فى عامى ١٨٧ ، ١٩١ هـ فراعه ما سمعه من علمه وبلاغة وأستاذتيه وكان الناس يتقاطرون عليه من كل صوب من كل أرجاء العالم ، حيث كان يجادل بنصوص الكتاب وبنصوص الأحاديث والسنن ـ عدته وأساس منهجه ـ وكأن الله قد أعاد لمكة سيادة الفقه على يديه وهو العربى القرشى الذى ملأ طباق الأرض علما ، والذى يجتهد فى الرأى ويجاهد فى سبيله فالإسلام عنده علم وعمل .

ولقد أعجب الإمام الشافعى بمدينة العلوم (بغداد) فى عصر الرشيد حين دخلها غير أنه اصطدم بالفرق والمذاهب المتعددة المتنافرة ، وحذر من المعتزلة وآمن بالمشيئة ـ وأن الإيمان قول وعمل وكانت أعماله وأفكاره واضحة وكان يدلل بالكتاب والسنة ، ووضع للقياس ضوابطه وموازينه حتى أطلق عليه (واضع علم الأصول) إذ كان الفقه فى حاجة إلى منهج وكان مناهجه العمل بالرأى أو القياس كأبى حنيفة أو العمل بالنصوص والسنن كمالك وله فيها كتب الرسالة ، وأحكام القرآن ، واختلاف الأحاديث ، والقياس فى جماع العلم ، وكان يرى أن القياس والاجتهاد معنى واحداً يحتاج إلى العلم ، ومن هنا يمكن القول بأنه قد أرسى مناهج الكتاب والسنة والاجماع .

ولقد أخبر عنه الإمام أحمد بن حنبل بأنه أعظم منة على الإسلام وأن الله قد بعثه على رأس المائة الثانية ليقيم لدولة الإسلام أمر دينها ـ وأنه القرشى الذى يملأ طباق الأرض علماً .

وهكذا يمكن القول بأن الشافعى كان تلميذ مالك وأستاذ ابن حنبل وآل إليه علم أبى حنيفة وكان الإمام الذى اجتمع فيه الأئمة الأربعة بالعقل وبالفكر . أى جماع علم أهل السنة .

ولقد غادر بغداد هربا من صراعاتها وعواصفها وفتنها إلى مصر بلد الحضارات الراسخة أملا فى نشر مذهبه حين انشق المصريون على أنفسهم بين مذهبى مالك وأبى حنيفة ، وكانت غريزته تهتف به لتخليد فقههم تخليداً للفكر الإسلامى فى بلاد قانونها تخليد الحضارة وآثارها شاهد على الخلود إضافة إلى خصبة ترتبها وغنى مواردها التى جذبت العرب عامة والعلماء خاصة فاستزاد الشافعى من علمائها الذين اتخذوا من جامع عمرو داراً لهم واتخذ لنفسه حلقة فيه أقبل عليها المسلمون مبهورين وكان يستفتح بالقرآن الكريم ثم بالحديث الشريف ويتبعهما بمناقشات فقهية ، ويختم بعلوم اللغة وآدابها ـ فكانت حلقة متكاملة وكانت قولته الشهيرة : (من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن نظر فى الفقه نبل قدره ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر فى اللغة رق طبعه ومن نظر فى الحساب جزل رأيه ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه) . وكان الحوار طريقه للدرس وكان يقسم ليله بين الكتابة والنوم والصلاة ، وكان لا يميل إلى الجدل ، ويكره التقليد . ولقد ألف أكثر من ١١٣ كتاباً وقيل ١٤٣ فى التفسير والفقه والأدب منها كتاب الأم فى سبع مجلدات لا يرقى إلى مكانته مؤلف آخر .

ولقد كان الشافعى أقرب إلى المحدثين وهم إليه أميل ، وكان أقرب إلى الحنفية بتأييده للقياس والاجتهاد ووضع القواعد لهما فقرب بين المذهبين فظفرت به مصر إماماً اجتمع فيه علم الأئمة الأربعة .

وكان له تلاميذ لزموه وخدموه وسجلوا مسائله كالربيع المرادى والربيع الجيزى ويوسف بن يحيى وغيرهم إلى جانب تلاميذ لهم كانوا امتداداً له فكانوا كالموجات التى يزدحم بها الوجود فى انتظار من يتلقاها لتعمل وتضىء .

لقد كان يعلل الأحكام لتوضيحها ، وكان يستنبطها من القرآن والسنة بعد أن أحاط بالعلوم الدينية فكان علم أصول الفقه ، وكانت له قواعد عملية التزم بها الفقهاء فى شتى المذاهب ، فهو يتكلم عن البيان الوارد بنص فى القرآن الكريم كالفرائض ويستعين بالسنة فيما ليس فيه نص ثم بإجماع المسلمين أو بالقياس . ولقد طلب الحديث ليكون نواة للفقه ومصدراً له متى صح سنده والإجماع حجة بعد الكتاب والسنة وقبل القياس وأوله إجماع الصحابة ثم إجماع أهل العلم . والقياس أن يكون الشىء فى معنى الأصل ، أوله فى الأصول أشباه ، والمصالح المرسلة هى المصالح التى يلمحها العقل ولا يأباها الشرع . وإذا كان المستحسنون يستنبطون أحكامهم لخدمة المسلمين تبعاً للشريعة كما فى الكتاب والسنة وإجماع العلماء ، فلا عليهم .

وبهذا استطاع الفقهاء أن يقعدوا القواعد الفقهية التى جعلت شريعتهم صالحة لكل زمان ومكان ، فمن اعجاز القرآن أن تتفق نصوصه مع مصالح الجنس البشرى فى كل الفروع ومناحى الحياة ، إذ التشريع يهدف إلى تحقيق مصلحة الأمة ودفع الضرر عنها ورفع المشقة عن أفرادها .

وفى الباب قبل الأخير يتغنى ـ المؤلف ـ بحياة الشافعى الملحمة والقدوة التى رسمت للناس أن الدين علم وعمل ، وأن الجزاء الأوفى للعمل ...

ولقد كان ـ رضى الله عنه ـ دائم العمل حتى أصبح مثلا أعلى فى الكفاح بالسهر وبالترحال وبالعبادة ، والزهادة ، والتقشف ، والعطاء ، ونذر حياته لحلقاته وكتاباته فثبت وتعمق . وكان عمله باليد واللسان والقلب لصالح الإسلام فخلف ما يشبه الغيث فسالت أودية بقدرها فى كل فن من فقه وعلم ، وفلسفة ، ولغة . ولقد كان اهتمامه باللغة واستخراج كنوزها يفوق كل تصور ففرض تعلمها وجوبا على كل مسلم حيث كان إماماً فيها وإماماً بها وهو لا يجيز الصلاة بغير العربية لذا لقب بإمام العرب .

ويفرد المؤلف الكبير بابه الأخير من كتابه القيم عن مرض الإمام بعد أن ألح عليه الداء وبعد أن تجمعت عليه آثار الجهد الذى أكل جسمه على أثر النزيف الدامى الدائم ـ فأقعده المرض ـ رضى الله عنه ـ وناجى ربه داعياً :

فلما قسا قلبى وضاقت مذاهبى
جعلت رجائى نحو عفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته
بعفوك ربى ، كان عفوك أعظما
فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منة وتكرما

وأسلم إمام المسلمين وجهه لله ، وكان يمسح على وجهه داعياً : اللهم أعنى على كرب الموت ... فما أحوج ابن آدم لرضى ربه يوم يلقاه .

وصعدت روحه إلى بارئها عند أذان العشاء من ليلة الجمعة التى توافق التاسع والعشرين من شهر رجب سنة أربع ومائتين للهجرة وحمل نعشه

ـ رحمه الله ورضى عنه ـ عصرها إلى مثواه الأخير ودفن بمقبرة القرشيين بالمقطم بالقاهرة .

ولما بلغ ابن حنبل نبأ وفاته توجع واسترجع وقال : رحمه الله كان كالشمس للدنيا وكالعافية للناس .

فانظر .. فهل لهذين من خلف أولهما من عوض .

ولقد انتشر مذهبه فى كل بقاع أرض الإسلام لكنه استبقى مكانته فى قلب شعب مصر حتى اليوم .

فلقد ظل مذهبه يدرس فى حلقات جامع عمرو ابن العاص .. حتى صار الأزهر لكل المذاهب فأقبل عليه الدارسون من كل صوب ، ولقد اهتم بمذهبه القائد صلاح الدين الأيوبى فأسس المدرسة الناصرية ووقف عليها أوقافاً بنى عليها مسجده .

فلقد سعدت مصر بالشافعى حياً وميتاً ـ فهو الذى أفنى حياته فى سبيل وحدة الأمة بالقرآن والسنة والعربية والوحدة . ولقد ضرب البناة على قبره قبة عالية رفعوا فوقها زورقاً دقيق الصنع يسبح سبحاته العليا فى ضمير العصور ، وكأنما يطير أو يشق صفحة الماء زرقاء صافية وسمقت القبة فوق هضاب القاهرة كواسطة العقد ترى للعين المجردة من كل مكان .

فما هو إلا أحرف من نور سطرت بها السماء سطراً من أسطار الخلود للإسلام فى هذه البقعة المباركة من البلد الذى شرف بذكره فى القرآن الكريم .

وبعـد :

فإن الله سبحانه وتعالى قد وهب كاتبنا الكبير المستشار عبدالحليم الجندى مقدرة طيبة فى كتابة السير لاسيما سير الأئمة الأربعة ذوى المناقب السامية ، فقد تخصص فى إبرازها فى صورة بلاغية وأسلوب رشيق وتسلسل أدبى رفيع ، يستسبغه القارىء ويتذوقه ..

ولقد كنا نأمل أن نجد فى طيات الكتاب تاريخ مولد الإمام الشافعى أسوة بما اتبعه سيادته فى التنقيب عن مولد غيره من الأئمة الكبار ، وسيرا على نهج التركيز على تاريخ وفاته ، ولا يفوتنا أن نذكر أن سيادته قد حدد يوم الوفاة بيوم الجمعة الذى يوافق التاسع والعشرين من رجب عام أربعة ومائتين للهجرة ووافقه فى ذلك مسند الإمام الشافعى الذى جاء بمقدمته أنه توفى فى آخر أيام شهر رجب من ذات العام .. وجاء بكتاب (تذكرة الحفاظ) للإمام الذهبى ـ رضى الله عنه ـ أنه توفى فى أول أيام شهر شعبان من نفس السنة فى المجلد الأول منه بصفحة ٣٦٢ ـ ولم يأت بأيهما تاريخ مولده محددا بالشهر واليوم ـ غير أن ذلك لا يقلل من أهمية الجهد الذى بذل فى تأليف واخراج ونشر هذا الكتاب القيم .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

نحو وعى بالاقتصاد الإسلامى

من حين لآخر تثار بعض الشبهات حول « حرمة الربا » سواء كان بحسن نية أو غير ذلك ، وما انفك علماؤنا يتصدون لمثل هذه الشبهات التى يثيرها غير المتضلعين بأحكام الشريعة الإسلامية .

والحقيقة أن الله تعالى هو الذى حرم الربا وهو الذى هدد آكليه بالحرب إذا لم ينتهوا عن التعامل به ، فقال ـ سبحانه : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ البقرة : ٢٧٥ ، وقال ـ أيضاً : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ البقرة : ٢٧٩ ، وبهذا التحريم الإلهى استقرت النظم المالية فى الإسلام ، وصلحت المعاملات مدة ازدهار التعامل به .

ولقد سارع الأزهر الشريف ببيان الحكم الشرعى فيها على وجه التفصيل ، بما أصدر من بيانات عدة وقرارات لمجمع البحوث الإسلامية ، وفتاوى لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، الشيخ/جاد الحق على جاد الحق[1] ، وما قدمه فضيلة الدكتور/على أحمد الخطيب بمجلة الأزهر وهداياها ، من دراسات تخدم هذه القضية للفيف من كبار العلماء[2] ، وغير ذلك من الكتابات الفقهية المتعمقة التى كتبت بأيدى علمائنا ، ونشر بعضها بالصحف والمجلات وبعضها الآخر فى إصدارات وندوات ومؤتمرات متخصصة .

(١) بحوث وفتاوى إسلامية فى قضايا معاصرة ـ جـ٢ باب البنوك وما يتعلق به ، إلى غير ذلك من فتاوى لاحقة .

(٢) هدية مجلة الأزهر عدد شعبان ١٤١٠ هـ : والربا والقضايا المعاصرة ، على سبيل المثال .

ومن ثم فإننا نحيل إليها القارىء الذى يريد أن يتبين وجه الحقيقة من شريعتنا الغرّاء ، كما نحيل غيره من الواقعين تحت تأثير الأفكار المستوردة إلى هذه البحوث والدراسات الفقهية لعلمائنا الأفاضل الذين أنار الله بصيرتهم فاستندوا إلى دليل لا يخطىء وهادٍ لا يضل : « كتاب الله وسنة رسوله ﷺ » ، عسى أن يجدوا فيها ما يبدد الشبهات التى تفتقد الدليل ، ويعين على النهوض باقتصادنا الإسلامى .

وسوف يجد القارىء فى هذا العدد كلمة تسير فى هذا الاتجاه ، كما يجد غيرها من كلمات عديدة بأقلام قرائنا الأعزاء ، إلى جانب الردود والتعليقات والإجابة عن الاستفسارات .

المحـرر

حرمـــة الـــربا فى الإســـلام

وقد تلقى الباب هذه الكلمة عن أهمية تعميم نظام الاقتصاد الإسلامى ببلادنا ، كتبها الأستاذ/يحيى السيد النجار من محافظ دمياط :

قال تعالى :

﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ البقرة : ٢٧٥ ، والاقتصاد الإسلامى يعد ضرورة ملحة .. خاصة بعد اتفاقية (الجات) وعالمنا العربى والإسلامى .. مع بدايات العمل بالمصارف الإسلامية أو شركات الاستثمار الإسلامى منذ ثلاث عقود مضت .. أتساءل ؟؟ عبر مجلة الأزهر هل حققت الأمة نموها الاقتصادى لخلق بيئة اقتصادية ناجحة تعزز التكافل الاجتماعى ، والأمة لازالت تفتقد كثيراً من مجالات التبادل التجارى والاستثمارى ، وكلها سمات تنعش الاقتصاد الإسلامى ، والاقتصاد الإسلامى تنحصر محاوره ومجالات تعاونه بين البلدان العربية والإسلامية .

وبعض القرارات ماتزال حبيسة الأدراج .. ولاتزال الأسواق العربية مفتوحة لكل السلع دون تفضيل للعربى منها .

فهل ينظر الأداء الحالى إلى الاقتصاد الإسلامى نظرة متكاملة ويوجه إليه سياساته على أنه كيان واحد يمثل جسداً واحداً ؟ لعل أهم هدف فى توجيه الاقتصاد على المسار الإسلامى هو : تحقيق التكافل والتضامن فى بنيان الأمة الواحدة ، ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ الأنفال : ٦٠ ، إن الأمة اليوم تواجه تكتلات شديدة التباين والقسوة فى آن واحد ، فهلا وعينا درس الاقتصاد الإسلامى ؟

فضل حــب الله ورســـوله

وكتب الأستاذ/نجاح عبدالقــادر سرور المدرس الثانوى بمحافظة البحيرة ـ كوم حمادة ـ كفر بولين ـ تلك الكلمة :

حب الله نور .. لا يهتدى به إلا المؤمنون المخلصون .. وحب رسول الله ﷺ برهان على حب الله ـ عز وجل ـ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ آل عمران : ٣١ .. لا تقل : نفسى .. فإن حب الله ورسوله أولى ..

لا تقل : أهلى .. فإن حب الله ورسوله أغلى ..
لا تقل : مالى . فإن حب الله ورسوله أحلى ..

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ التوبة

روى البخارى قول رسول الله ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يُقذف فى النار » .. وهذا عمر ــ كما ثبت عند البخارى ــ يقول : والله يا رسول الله لأنت أحب إلىّ من كل شىء إلا من نفسى ؛ فقال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه » فقال عمر : فأنت الآن والله أحب إلىّ من نفسى . فقال ﷺ : « الآن يا عمر » .. أى الآن كمل إيمانك .. أو كما قال .

عاقبـــة الماكريـــن

وكتب الشيخ / سليمان عبدالحميد الفقى شيخ معهد قراءات دمنهور ، هذه الكلمة عن المكر وعاقبته ، جاء فيها :

يقول ــ تعالى : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ الأنفال / ٣٠ ، فى الكون نواميس ثابتة لا تتبدل ولا تتحول والقرآن يقرر هذه الحقيقة ويعلمها للنـــاس كى لا ينظـــروا إلى الحوادث فرادى ولا يعيشوا الحياة غافلين عن سننها الأصيلة : فالمكر معناه الاختيال والخديعة وهو صفة مذمومة غير محمودة وعقوبته معجلة فى الدنيا ، ولا يليق بالمؤمن إن يكون ماكرا أو مخادعا أو غادرا أو باغيا أو يبيت بليل لأخيه المؤمن . فالمكر السيىء لا ينزل إلا بأهله وليعرف كل ماكر أنه مهما دبر فهناك مدبر مطلع على كل شىء ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال

ويقول الله تعالى :
﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ فاطر / ٤٣ .

ويقول عليه الصلاة والسلام : إياك ومكر السيىء فإنه لا يحيق المكر السيىء إلا بأهله(•) ولهم من الله طالب وقال محمد بن كعب القرظى : ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به ما مكر ، أو بغى ، أو نكث ، وتصديقها فى كتاب الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ **٤٣ فاطر** .

﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ ﴿٢٣﴾ **يونس** .

﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ ﴿١٠﴾ **الفتح** .

والمتتبع لآيات القرآن الكريم فى المكر ؛ يجد

(•) مجلة الأزهر حريصة على بيان مصدر الحديث ، نرجو أن يوافينا فضيلة الكاتب بالمصدر لنلحقه بالعدد القادم .

عقوبة المكر : الدمار والخسران وأنه مردود على صاحبه : فقوم ثمود فى مكرهم بسيدنا صالح وإصرارهم على قتله ليلا هو وأهله وأن يقولوا لولى دمه : ما فعلنا ولا شهدنا قتله ، راجع فى ذلك قول الله ـ تعالى ـ فى مكرهم ونجاه سيدنا صالح من هذا المكر: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

الآيات من ٤٨ ـ ٥١ بسورة النمل

ويقول الله ـ تعالى ـ فى تهديد أصحاب المكر : ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥)﴾ **النحل**

زينة الحياة الدنيا

يقول تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨)﴾ سورة الكهف ، سبحان الله ما أوسع زينة الحياة الدنيا وبهجتها فى خدمة الإنسان وتمتعه ، ولعل فى مقدمة هذه الزينة «المال والبنون والنساء» وقد جعلها الله ـ عز وجل ـ من شهواتها التى زُينت للإنسان ، ومن ثم كان حريصا عليها متكالبا على طلبها ، كما يقول تعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤)﴾ آل عمران

ولكن على العاقل أن لايغتر بزينة الدنيا وبهجتها ، وألا ينكب على غرورها وحبها وطلبها وإنما يعتبرها أدوات تذكره بنعم الله عليه فينشغل بطاعته ولا ينصرف بالنعم عن المنعم .

عماد الدين عبدالمنعم
دار طباعة النقد

من إبداعات القراء

من قصيدة : النفس ملأى

للشاعر : محمد ثابت السيد

لا تحزنوا إن قلت شعرى من « سقر »
الحلم .. مات الحلم والسيف انكسر
والنفس ملأى .. بالعذاب وبالضجر
والقدس تحيا فى المعانى والصور
وعلى « سرايفو » دمار ..... مستمر
والقتل فى الشيشان أمر لا يذر
والسيف فى أيدى البغاة قد انتصر

ردود وتعليقــات

الكاتب/ محمد مصطفى الغمرى ـ من أسنيت بنها .

نداؤكم الطيب إلى منهج الإسلام والعمل بمقتضاه منذ كنت طالبا بمعهد القاهرة الأزهرى عام (١٩٤١) ، يعكس مدى حبكم للبحث العلمى البعيد عن شوائب الجمود والعصبية ، منذ ذلك الوقت المبكر ، وكم هو طيب حقا أن يمضى الرجل عمره فى تنمية إدراكه العلمى ، فمن شب على شيىء شاب عليه ، ما أحوج شبابنا إلى هذه الروح العلمية .

● **القارىء/ سيد محمود محمد ـ المرج ـ القاهرة**

نشكركم على فائق عنايتكم بمجلة الأزهـــر ومتابعتكم لمادتها وبعون الله ترون مبلغ العناية بها وهو يزداد شهرا بعد شهر .

● **القارىء/ مُلقّب نفسه بأبى الطيب المصرى**

القارىء/ حسين محمود محمد ـ مدير مدرسة عزبة النصر بديروط

● **القارىء/حمدى محمـد عبداللطيـف .. المدرس بالتربية والتعليم**

تلقينا رسائلكم وماتضمنته من أشعار وهى قيد النظر ، خالص التقدير لمواهبكم ومتابعتكم .

● **القارىء/ أحمد عبدالله أحمد .**

● **القارىء/ على محمد حامد الفشنى ـ دمنهور ـ البحيرة .**

● **القارىء/ سيد عبدالعزيز العيسوى ـ المنيا**

● **القارىء/محمد فتحى نعيم حسن .. كلية الهندسة ـ جامعة المنصورة**

بعض الناس يتعجلون نظم الشعر قبل أن يصقلوا موهبتهم بدراسة العروض ؛ فتختل معهم الأوزان ويميلون إلى النثرية والأفكار المعادة ، لذا لابد من دراسة الأوزان ومعرفة العلل والزحافات قبل هذه المحاولات .. والله المستعان .

● **وبمشيئة الله ـ تعالى ـ سيوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى تلقاها ويتلقاها تباعاً .**

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يشهد حفل ختام الدورة الثلاثين للأئمة من العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جادالحق على جادالحق شيخ الأزهر الشريف بعد ظهر يوم السبت الموافق ٤ جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ ٢٨ أكتوبر ١٩٩٥ م حفل ختام دورة الأئمة والوعاظ من العالم الإسلامى الثلاثين ، حيث قام فضيلته بتسليم أعضاء الدورة شهادات التخرج ومنحهم مكتبات إسلامية تعيينهم على مداومة القراءة والاطلاع حتى يتمكنوا من القيام بواجبهم كدعاة مثقفين . وقد وجه فضيلته إليهم كلمة أكد فيها على : أن طلب العلم فريضة على كل مسلم وأن الله يثيب طالب العلم الذى يبتغى به وجهه - سبحانه وتعالى - ودعاهم إلى أن يكونوا رسل علم يقتدى بهم فى سلوكهم ، وأن يكونوا من الداعين إلى وحدة الأمة ونبذ الخلافات فيما بينهما والعمل بمقتضى : كتاب الله وسنة رسوله - محمد صلى الله عليه وسلم - ودعاهم فضيلته إلى أن يكونوا على صلة دائمة بالأزهر الشريف من خلال ما يصدر عنه من : مؤلفات وفتاوى وتوصيات وقرارات ، عن المؤتمرات التى يعقدها ويشارك فيها .

اشترك فى هذه الدورة أكثر من ثلاثين إماما وواعظا مثلوا دول « زنزبار والكاميرون ونيجيريا وسيراليون وجزر القمر وليبيريا والسنغال » ، حضر الحفل فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر ، والسادة سفراء الدول المشاركة فى الدورة ، ولفيف من قيادات الأزهر الشريف ، وفضيلة المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية التى تستضيف هذه الدورات التى تنظمها اللجنة العليا للدعوة الإسلامية .

الإمام الأكبر يبعث ببرقيتين لرئيس إندونيسيا ونائبه

بعث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ببرقية التعزية التالية لفخامة الرئيس سوهارتو رئيس دولة أندونيسيا :

فخامة الرئيس سوهارتو . رئيس جمهورية أندونيسيا :

هزت مشاعرنا أنباء الزلزال المدمر الذى

أصاب جزءا عزيزا من بلدكم الشقيق جزيرة سومطرة ، وتلقينا النبأ ببالـغ الأسى والحزن الذى أصاب الكثير من إخواننا . وإذ أعرب لفخامتكم وللشعب الأندونيسى باسم الأزهر الشريف ، طلابه وعلمائه وجميع العاملين بكافة هيئاته ، وبـاسمى عن خالص التعازى لأسر الضحايا . أدعو الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يمن على المصابين بالشفاء العاجل وأن يرحم الشهداء ويحفظ الشعب الإندونيسى من كل سوء إنه سميع مجيب .

شيخ الأزهر الشريف
جادالحق على جادالحق

كذلك بعث فضيلته ببرقية مماثلة للسيد نائب الرئيس الإندونيسى هذا نصها :

معالى السيد / ترى سوربستو .. نائب رئيس جمهورية أندونيسيا ، تلقيت ببالغ الأسى والحزن فجيعة الزلـزال المدمر الـذى أصاب جزيـرة سومطرة ، وباسم الأزهر الشريف طلابه وعلمائه وجميع العاملين بكافة هيئاته ، وباسمى نقدم تعازينا لسيادتكم ولأسر الضحايا .

وأدعو الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يمن على المصابين بالشفاء العاجل وأن يرحـم الشهـداء ويحفظ الشعب الإندونيسى من كل سوء .

شيخ الأزهر الشريف
جادالحق على جادالحق

الإمـــام الأكبـــر يســـتقبل وزيـــر العـــدل الباكســـتانى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيـخ الأزهـر الشريف بمكتبه ـ صباح يوم الإثنين ٢١ جمادى الأولى ١٤١٦ هـ ـ ١٦ أكتوبر ١٩٩٥ م ـ السيد الوزير د . ن خان وزير العدل الباكستانى والوفد المرافق له بصحبة السيد السفير منصور علم سفير باكستان بالقاهرة .

. تم خلال اللقاء شرح وجهة نظر الأزهر العلمية والشرعية حول مسألة تنظيم الأسرة التى طرحها السيد الوزير لمواجهة مشكلة التزايد السكانى التى تعانى منها باكستان .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس هيئـة الإفتـاء بنيجيـريا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيـخ الأزهـر الشريف بمكتبه ـ صباح يوم الأربعاء غرة جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ ـ ٢٥ أكتوبر ١٩٩٥ م ـ السيد إبراهيم صالح الحسينى رئيس هيئة الإفتاء بنيجيريا والوفد المرافق لسيادته ، تم خلال اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر الشريف ونيجيريا ، وقد وجه الضيف الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على دعمه المستمر لأبناء المسلمين فى نيجيريا الراغبين فى الدراسة بالأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس وزراء ماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ـ صباح يوم الأربعاء الموافق ٨ جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ ١ نوفمبر ١٩٩٥ م ـ معالى الدكتور عبدالحميد عثمان الوزير بمكتب رئيس وزراء ماليزيا للشئون الدينية والوفد المرافق لسيادته .

فى بداية اللقاء أعرب الضيف عن تقديره وتقدير حكومته للدور الكبير الذى يقوم به الأزهر الشريف لخدمة الإسلام والمسلمين فى شتى بقاع الأرض ، ورعايته الدائمة لعلوم اللغة العربية ، والدين .

وقد تناول اللقاء عدة موضوعات كان من بينها موضوع معادلة الشهادة الثانوية الماليزية بشهادات المعاهد الأزهرية ، حيث تم الاعتراف بمعادلة بعضها ، ومازال البعض قيد البحث والدراسة ، شهد اللقاء السيد سفير ماليزيا بالقاهرة ورجال السلك الدبلوماسى بالسفارة .

الإمام الأكبر يستقبل وفد وزارة الشئون الدينية بإندونيسيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ـ صباح يوم الأربعاء الموافق ٨ جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ ١ نوفمبر ١٩٩٥ م ـ وفد وزارة الشئون الدينية الأندونيسية برئاسة الدكتور قرشى شهاب رئيس الجامعة الإسلامية ، وبموافقة السيد سفير أندونيسيا بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث أوجه التعاون المشترك والمؤسسات الدينية بأندونيسيا فى إطار البرتوكول التنفيذى لاتفاقية التفاهم المشترك التى تم التوقيع عليها أثناء زيارة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لأندونيسيا الشهر الماضى .

هذا وقد تم عقد لقاء بين المسئولين من قيادات الأزهر الشريف بتوجيه من فضيلة الإمام الأكبر والوفد الإندونيسى لبحث تنفيذ اتفاقية التفاهم المشترك لتلبية احتياجات إندونيسيا فى شتى المجالات العلمية .

الإمام الأكبر يستقبل سفير الكاميرون فى القاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ـ صباح يوم الأربعاء غرة جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ ٢٥ أكتوبر ١٩٩٥ م ـ السيد / موشيلى إسماعيل سفير الكاميرون بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث أوجه التعاون بين الأزهر الشريف ودولة الكاميرون والدور البارز للبعثة الأزهرية بالكاميرون والمنح التى يقدمها الأزهر الشريف لأبناء المسلمين من الراغبين فى الدراسة بالأزهر الشريف .

وقد قدم السيد السفير الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة الكاميرون للمشاركة فى الاحتفالات التى تقام بمناسبة مرور مائة عام على دخول الإسلام للكاميرون .

الإمام الأكبر يستقبل مستشار رئيس جمهورية إيران

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ـ صباح يوم الإثنين ٢١ جمادى الأولى ١٤١٦ هـ ١٦ أكتوبر ١٩٩٥ م ـ السيد / مسيح مهاجرى مستشار رئيس جمهورية إيران الإسلامية للشئون الاجتماعية .

تناول اللقاء بحث سبل التوصل إلى وحدة المسلمين وذلك من خلال تبادل وجهات النظر فى هذا الشأن حيث أشار فضيلة الإمام الأكبر إلى ضرورة العمل على وحدة المسلمين بالتوقف عن تصدير المذاهب وترك الحرية للناس كى يتعبدوا وفق مذاهبهم التى تعلموها مؤكدا على ضرورة أن تشكل منظمة المؤتمر الإسلامى نواة قوية بهذه الوحدة ، ومؤكدا كذلك على ضرورة تقوية موقف المنظمة فى المحافل الدولية ، مشيراً إلى أن وحدة المسلمين لها عناصرها القوية المتمثلة فى وحدة قبلتهم ومبادىء وأركان دينهم الحنيف .

النشاط الطلابى بالمعاهد الأزهرية

عقدت الإدارة العامة لرعاية الطلاب بقطاع المعاهد الأزهرية مؤتمرى اتحاد عام طلاب وطالبات المعاهد الأزهرية للعام الدراسى ٩٥ / ١٩٩٦ وذلك يومى ٣٠ ، ٣١ / ١٠ / ٩٥ لانتخاب المكتب التنفيذى على مستوى الجمهورية .

حضر المؤتمرين فضيلة الشيخ محمد بشير عبدالعال رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والأستاذ أحمد القمرى مدير عام رعاية الشباب ولفيف من قيادات الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يستقبل وزير العدل والشئون الإسلامية بجيبوتى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ـ صباح يوم الأحد الموافق ٥ جمادى الآخرة ١٤١٥ ٢٩ أكتوبر ١٩٩٥ ـ السيد الأستاذ / مؤمن بهدون صالح وزير العدل والشئون الإسلامية بجمهورية جيبوتى والوفد المرافق لسيادته والسيد القائم بأعمال سفارة جيبوتى بالقاهرة .

تناول اللقاء بحث سبل دعم التعاون بين الأزهر الشريف ووزارة الشئون الإسلامية بدولة جيبوتى ، كما تم بحث مشروع إقامة معهد أزهرى بالعاصمة جيبوتى يشرف عليه الأزهر الشريف ، وقد أصدر فضيلة الإمام الأكبر توجيهات بسرعة اتخاذ الاجراءات اللازمة لإنجاز هذا المشروع الهام الذى ينتظره أبناء المسلمين فى جيبوتى ، حيث يمهد هذا المشروع لهم الطريق للالتحاق المباشر بجامعة الأزهر الشريف .

كذلك تم خلال اللقاء بحث تخصيص بعض المنح للدراسة بالكليات العملية مثل : الطب والهندسة والصيدلة والزراعة والعلوم وغيرها ، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة الموضوع والعمل على تلبية احتياجات دولة جيبوتى فى هذا المجال فى أقرب فرصة ممكنة .

وفى نهاية اللقاء أعرب الضيف عن شكره وامتنانه للمجهودات التى يقوم بها الأزهر الشريف فى خدمة قضايا الدعوة الإسلامية .

الأنماط الحديثة للرعاية الطبية تحت رعاية الإمام الأكبر

عقد بجامعة الأزهر المؤتمر السابع لكلية الطب تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر تحت عنوان (الأنماط الحديثة للرعاية الطبية) .

وقد شهد فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الجلسة الافتتاحية للمؤتمر نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر ، كما شهدها الأستاذ الدكتور على عبدالفتاح وزير الصحة ، والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ، والدكتور زكريا الشيخة عميد كلية الطب ، والدكتور حمدى السيد نقيب الأطباء .

وقد ألقى فضيلة وكيل الأزهر الشريف كلمة أمام الجلسة الافتتاحية أشار فيها إلى : أن قضية نقل الأعضاء البشرية وزرعها مازالت تحت الدراسة بمجمع البحوث الإسلامية لبيان موقف الشريعة منها ، مؤكدا على أن الآراء التى سوف ينتهى إليها مجمع البحوث ستحال إلى كليات الطب بالجامعات للاسترشاد بها فى هذا المجال .

هذا وقد أوصى المؤتمر فى ختام أعماله بالاهتمام بتوفير المياه الصالحة للشرب ، واتخاذ إجراءات عاجلة وصارمة لحماية مياه النيل من التلوث بكافة أشكاله ، ومحاولة التقليل من تلوث الهواء .

تعيينات جديدة بجامعة الأزهر

أصدر الدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء والوزير المختص بشئون الأزهر القرارات الآتية بتعيين الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق نائبا لرئيس جامعة الأزهر الشريف لفرع البنات ، وتعيين الأستاذ الدكتور محمد حسين عويضة نائبا لرئيس جامعة الأزهر الشريف للدراسات العليا والبحوث . كذلك قرر سيادته تعيين الأستاذ الدكتور محيى الدين أحمد الصافى عميدا لكلية أصول الدين بالقاهرة والأستاذ الدكتور محمد أحمد العزب عميدا لكلية اللغة العربية بالمنصورة والأستاذ الدكتور محمد أبوالنور صقر عميدا لكلية الدراسات الإسلامية العربية بنات المنصورة . والأستاذ الدكتور محمد سعيد محمد عميدا لأصول الدين بالزقازيق .

جاءت هذه القرارات بناء على ترشيحات فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر .

فرع جديد بصعيد مصر

وافق الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر على بدء إنشاء أول فرع للجامعة ببنى سويف على الأرض المخصصة للجامعة منذ عام ١٩٨٢ بمدينة بنى سويف الجديدة وبمساحة قدرها خمسائة فدان .

جاء ذلك خلال استقبال فضيلة رئيس الجامعة لوفد المجالس المحلية بمحافظة بنى سويف حيث أبلغهم فضيلته بقرارات لجنة إعداد استراتيجية التنمية بالجامعة والتى تتضمن إنشاء ثلاث كليات ببنى سويف هى : الدراسات الإسلامية والعربية للبنات والتربية (بنين) وأصول الدين والدعوة .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدي عبد الحميد بشير

فلســـــطين

انسحبت القوات الإسرائيلية من مقر الاحتلال التابع لها فى مدينة جنين بالضفة الغربية فى الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم الإثنين الموافق ٢٠ من جمادى الآخرة ، وذلك تحت جنح الظلام تجنبا لما يمكن أن يحدث من المتاعب ، مثلما حدث عندما انسحبت من قطاع غزة .

وعلى الرغـــم من ذلك تجمـــعت حشود الفلسطينيين هناك احتفالا بهذا الحدث التاريخى الذى طال انتظاره ، كما وصل عدد من رجال الشرطة الفلسطينية لتسلم مقاليد الأمور فى الأراضى المحررة .

جدير بالذكر أن إسرائيل انسحبت مرحليا من ست مدن وآلاف القرى الأخرى وذلك بحلول نهاية هذا العام تمهيدا لانتخابات شهر رمضان المقبل وتنفيذا للاتفاق الموقع بواشنطن فى ٢٨ سبتمبر الماضى .

هذا وقد أنزل العلم الإسرائيلى إعلانا بانتهاء ثمان وعشرين سنة من الاحتلال البغيض ، كذلك انتهت اليوم اجتماعات اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بإصدار بيان يطالب إسرائيل بتنفيذ التزامـــاتها بعمليـــة السلام فى الشرق الأوسط .

وقال مصدر فلسطينى مطلع : إنه يعتقد أن المنظمة وحركة المقاومة الإسلامية (حماس) على وشك الاتفاق .

ويأتى انسحاب إسرائيل الذى قوبل بالفرحة والابتهاج بعد استشهاد رئيس منظمة الجهاد الإسلامى فى مالطة على يد الموساد الإسرائيلى وكذا اغتيال رئيس وزراء إسرائيل الراحل على يد إسرائيلى فى يوم السبت الرابع من نوفمبر الذى يطلق عليه البعض (يوم عيد الحب) بينما يعتبره آخرون يوما لمقارعة الاستكبار العالمى .

وهذا وقد أطلع السيد رئيس منظمة التحرير الرئيس مبارك على الموقف الفلسطينى من مختلف القضايا وفى مقدمتها الانتخابات الفلسطينية فى مطلع شهر رمضان المعظم ، وكـــذا قرار الكونجرس الأمريكى بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس .

أفغانستان

أرغمت القوات الموالية للرئيس الأفغانى قوات حركة الطالبان على التراجع لمسافة ١٠ كم غربى العاصمة « كابول » وقال متحدث باسم وزارة الدفاع هناك أن قوات الحكومة حققت تقدما باتجاه مدينة « ميدان ــ شهر » الواقعة جنوب غرب كابول بعد أن شنت هجوما استولت فيه على ٢٠ قرية وطالبت إيران بوضع حد فورى لهذه المعارك ، وأعرب المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية عن قلق بلاده العميق حيال مقتل الكثير من المدنيين الأبرياء وأضاف : أن الاقتتال لن يساهم فى حل المشاكل الداخلية ، فضلا عن أنه يحرم المتقاتلين من جنى ثمار الكفاح الذى استمر ما يربو على عقد من الزمان ضد الغزاة الشيوعيين .

دكا

نشرت الصحف فى بنجلاديش إعلانات من المغتربين يطالبون فيها بوضع حد للأزمة السياسية فى ذلك البلد الإسلامى . كما دعوا جميع الأحزاب السياسية إلى رفض العنف وبدء المفاوضات . وجاءت تلك الإعلانات فى وقت واصلت فيه أحزاب المعارضة حملتها لإجراء الانتخابات العامة تحت إشراف حكومة انتقالية محايدة . وزعم مراسل لندن فى العاصمة دكا أنه لا توجد أى فرص حقيقية لدخول الحكومة والمعارضة فى محادثات جادة وهو زعم الأيام كفيلة بدحضه .

المنامة

أكد وزراء داخلية دول مجلس التعاون الخليجى الست فى بيانهم الختامى بعد انتهاء اجتماعهم الرابع عشر بالمنامة عاصمة البحرين عزمهم على التصدى للأفكار الهدامة وذلك بتضافر مختلف الأجهزة الأمنية فى محاربة جرائم العنف والإرهاب والتطرف وانتشار المخدرات حيث إنها فى اضطراد بدأ يأخذ طابع الجريمة المنظمة . هذا وكان وزراء داخلية مجلس التعاون الخليجى الست قد اختتموا أعمال مؤتمرهم يوم الأحد ١٩ من جمادى الآخرة، وذلك فى إطار التحضير لقمة قادة المجلس المقرر عقدها فى مسقط عاصمة عمان أوائل ديسمبر القادم .

باكو

انتهت مساء الأحد ١٩ من جمادى الآخرة ١٤١٦ ه أول إنتخابات نيابية لاقرار دستور جديد فى أذربيجان وأعلنت اللجنة المكونة للانتخابات أن نسبة المشاركة بلغت ٥٤,٠٦ من الناخبين البالغ عددهم أكثر من ٤ مليون ناخب . وفور إعلان النتائج الأولية للانتخابات التى شهدها حوالى ٢٠٠ من المراقبين الدوليين وتنافس فيها ٦٠٠ مرشح لشغل ١٢٥ مقعد يمثلون ٨ أحزاب حيث حرم من الانتخابات أحزاب أخرى أهمها الحزب الشيوعى . وتوقع الرئيس حيدر علييف أن يحل النزاع مع أرمينا المجاورة حول مسألة ناجور نو ــ قرابغ قريبا .

الريـــــاض

أجرى الرئيس حسنى مبارك اتصالا هاتفيا بالعاهل السعودى وذلك للاطمئنان عقب حادث الانفجار الذى وقع ظهر الإثنين العشرين من جمادى الآخرة بالعاصمة السعودية حيث عبر سيادته عن أسفه لإصابة الأبرياء وبينهم عدد من أفراد البعثة الأمريكية وهو ما يتنافى مع القيم الإنسانية ومبادىء الأخلاق الكريمة، وقد أعلن: أن القتلى سبعة أفراد منهم ٥ امريكيين، وفلبينى واحد، وسعودى، كما أصيب ٦٠ بإصابات معظمها بسيطة، وأوضح بيان سعودى أنه فى حوالى الساعة ١١,٣٠ صباح الإثنين وقع الانفجار فى أرض لموقف السيارات إلى جانبها بعض العمائر السكنية بشارع الثلاثين بمنطقة العالية بالرياض، وأعلنت منظمة مجهولة تدعى نمور الخليج: مسئوليتها عن الانفجار، وذلك فى مكالمة هاتفية لمكتب وكالة الأنباء الفرنسية نيقوسيا بقبرص .

وأكد أن الانفجارات ستستمر حتى رحيل آخر جندى أمريكى عن الأراضى السعودية .

القاهـــــرة

عقد الرئيس حسنى مبارك والرئيس الرومانى الزائر محادثات هامة بالقاهرة ظهر الإثنين .

وصرح وزير الخارجية عمرو موسى، بأن المحادثات المصرية الرومانية تناولت تطورات عملية السلام فى الشرق الأوسط والأوضاع فى البلقان ودعم العلاقات الثنائية وأضاف سيادته أن حجم التبادل التجارى والاستثمار بين البلدين سيصل هذا العام إلى أكثر من نصف مليار دولار ويتوقع أن تصل إلى مليار دولار .

هذا وقد وقعت ثلاث اتفاقيات بين مصر ورومانيا فى مجالات الصحة والعمل والشئون الخارجية .

باريـــــس

قام الرئيس حسنى مبارك بزيارة لفرنسا استمرت يومين حيث استقبله الرئيس الفرنسى على غداء عمل أقيم على شرفه تم فيه مناقشة المسائل ذات الاهتمام المشترك .

وصرح سفير مصر فى باريس أن الرئيس مبارك استجاب لدعوة مدير عام « اليونيسكو » حيث يلقى سيادته كلمة فى احتفال المنظمة بالعيد الفضى لقيامها وذلك إظهارا لدعم رسالة إحدى المنظمات العامة التابعة لهيئة الأمم المتحدة واهتماما بالدور الحيوى للعلم والثقافة فى حياة الإنسان بشكل عام وفى برامج التنمية المصرية بشكل خاص وكذلك تعبيرا عن مجهودات خلاقة بذلتها المنظمة العربية لانقاذ وترميم التراث المصرى الثمين .

par incapacité ni pour trahison''. Othman accéda au pouvoir et Sa'ad demeura le soldat fidèle dans l'armée musulmane. Puis commencèrent les dissidences entre Ali et Mu'awiya, Sa'ad se retira et ordonna même à ses parents et à son fils de ne lui raconter aucun détail à ce sujet. Quelques uns des compagnons craignant pour la notoriété de l'état vinrent chez Sa'ad avec son neveu Hicham Ibn Otba Ibn Abou Waqad et Abdallah Ibn Omar, ils lui dirent: Ô Oncle! Voilà cent mille épées qui te considèrent comme le plus digne de cela. Sors pour que les gens te prêtent le serment d'allégeance. Sa'ad répondit: "Je voudrais une épée qui: si elle touche le croyant, elle refuse de le tuer et si elle touche l'incroyant elle le tue''. Les compagnons se retirèrent et respectèrent sa retraite. Les jours passèrent et Sa'ad dépassa ses quatre vingts ans, les émigrés moururent l'un après l'autre et Sa'ad était le seul survivant: Quand vint l'heure du départ, son fils tenait la tête de son père dans son giron et le pleurait. Sa'ad lui dit: "Qu'est ce qui te fait pleurer Ô mon fils? Allah ne me punira pas car je suis l'un des élus du paradis. Le Messager d'Allah (b.s.) me l'a annoncé... Ô fils! ouvre cette armoire, tu y trouveras un vêtement de laine, c'est mon linceul. J'ai combattu les polythéistes en le portant le jour de Badr et je l'ai gardé pour ce jour''.

Son âme partit vers son Seigneur, son testament fut exécuté et il fut enseveli dans son vêtement en laine. Les gens le portèrent sur leurs épaules à la mosquée. Marawane Ibn Al Hakam ainsi que les épouses du Prophète (b.s.) firent la prière sur lui. Il fut enterré au cimetière d'Al Baki aux côtés des compagnons purs et admirables, ceux qui l'avaient précédé vers le jour du contentement et le paradis.

Adieu Sa'ad, Adieu héros de Nahawand, conquérant d'Al-Madaïne, celui qui a éteint pour toujours le feu adoré par les polythéistes et de la Perse.

Omar confia le gouvernement de l'Irak à Sa'ad, celui-là instaura l'Islam dans le large pays, protégea les maisons des Musulmans et les frontrières après l'aggrandissement de l'état.

Mais voilà que le feu de l'envie s'alluma dans les coeurs de quelques uns des nouveaux convertis si bien qu'ils envoyèrent leurs plaintes au prince des croyants à Médine en prétendant que Sa'ad ne faisait pas la prière comme il se doit: Omar convoqua Sa'ad à Médine et le questionna, celui-ci lui répondit! Je fais la prière comme le Messager d'Allah (b.s.) la faisait... J'allonge les deux premières Raka'as et je raccourcis les deux dernières". Omar lui dit: "C'est ce que nous pensons de toi, Ô père d'Isaak". Sa'ad retourna à Koufa et Omar envoya des hommes après lui pour s'enquérir de la conduite de Sa'ad. Tous les gens lui rendirent hommages à l'exception d'un homme nommé "Abou-Sa'ada". Celui-ci l'accusa d'avoir prononcé un jugement inéquitable, d'avoir fait un partage irrégulier et de suivre un comportement incorrect: Omar démit Sa'ad. C'est alors que Sa'ad invoqua Allah contre cet homme en disant: "Seigneur! si cet homme a parlé pour se vanter, fais qu'il en soit déshonoré, prolonge sa vie et sa pauvreté et expose le aux tentations". Ses invocations furent exaucées: la vie de l'homme fut longue, si bien que ses sourcils tombèrent sur ses yeux; il s'appauvrit et les gens le virent faire la cour aux esclaves à travers les rues à Koufa. Lorsqu'on le blâmait, il disait: "Un vieillard séduit, frappé par les invocations de Sa'ad".(1)

Après un moment, "Omar voulut que Sa'ad retournât à Koufa. Sa'ad refusa et lui dit: "Tu m'ordonnes de retourner chez un peuple qui prétend que je ne fais pas la prière à la perfection?".

Les jours s'écoulèrent, puis quand Omar le prince des croyants fut poignardé, sur son lit de mort, il désigna six parmi les compagnons du Messager d'Allah (b.s.) pour lui succéder au califat. Ces six sont: Othman, Aly, Talha, Az-Zoubaïr, Abd Ar Rahman Ibn Awf et Sa'ad Ibn Abou Waqas. Il dit à leur sujet: "Le Messager d'Allah (b.s.) est mort satisfait d'eux. Si Sa'ad la détient il en est digne, si un autre la détient qu'il demande à Sa'ad de le seconder... Par Allah! Je ne l'ai pas destiné

1. Hadith cité à la fois par Al Bokhary et Muslim.

Sa'ad Ibn Abou Waqas

par Hoda Hussein Chaâraoui

— 2 — (Suite)

Tous les assistants approuvèrent ce choix. Le prince des croyants lui confia le drapeau et Sa'ad Ibn Abou Waqas sortit pour combattre les Perses. Avant la bataille, le prince des croyants lui envoya une lettre lui disant :

"Ô Sa'ad, ne te leurres pas par le fait qu'on dit de toi que tu es l'oncle (maternel) du Messager d'Allah (b.s.) car nul ne s'apparente à Allah que par son obéissance. Tous les gens, qu'ils soient riches ou pauvres, sont égaux devant Lui... Ils ne se distinguent que par Son pardon et ne recevront Sa grâce qu'à cause de leur obéissance... Ô Sa'ad observe comment le Messager d'Allah (b.s.) s'est comporté depuis qu'il nous fut envoyé et jusqu'à sa mort... Suis son exemple car c'est un ordre... Ô Sa'ad écris-moi pour me faire part de votre état... Où vous campez? où se trouve l'emplacement de votre ennemi par rapport à vous? Que je sois informé par tes lettres autant que si je vous regardais et que si j'étais parmi vous".

Sa'ad exécuta tous les ordres de Omar, lui écrivit chaque jour, lui expliqua tous les détails en demandant son conseil. Les deux armées se confrontèrent. Sa'ad avança à la tête de l'armée sur son cheval, l'épée à la main, en s'écriant: "Avancez vers le Paradis". Il répéta "Allah est le plus grand' 4 fois et mena l'armée musulmane de victoire en victoire dans les batailles du "Jisr" et Nahwand". Il poursuivit les bataillons vaincus, franchit le fleuve du Tigre en disant: "Allah nous suffit: Il est notre meilleur Protecteur! Sa'ad pénétra à Madaïne la capitale de la Perse, s'empara du palais de Cosroès, prit sa couronne, ses bracelets, ses trésors et les envoya à Omar à Médine, car l'état perse fut complètement détruit.

[Il y a sur la terre des lopins voisins, des jardins plantés de vignes, des champs de cultures, des palmiers aux souches communes ou bien dispersées. Ils sont tous arrosés avec la même eau; pourtant nous trouvons les uns plus savoureux que les autres]

Sour. "Al Ra'd" (Le Tonnerre) le sens du verset 4.

Le Corant mentionne egalement cette découverte scientifique moderne: le sol des terres élevées est généralement plus fertile que celui des terres basses :

[Semblable a un jardin sur une colline sur lequel tombe une forte pluie; alors il donne une double quantité de fruits].

Sour. "Al Baqara" (La Vache) le sens du verset 265.

(à suivre)

[De même, les deux ondes ne sont pas égales, celle-ci d'eau fraîche, douce, au boire agréable, et celle - là salée, amère; cependant, de chacune vous mangez une chair fraîche et extrayez des parures que vous portez]

Sour. "Fater" le sens du verset 12.

[Il a fait confluer les deux mers pour qu'elles se rencontrent; mais entre elles il y a une barrière qu'elles ne peuvent dépasser :
Quel est donc celui des bienfaits de votre séigneur que, tous deux, vous nierez ?
Les perles et le corail proviennent de ces deux mers].

Sour. "Al Rahmân" (Le Miséricordieux) le sens du verset 19 à 22.

13. L'agriculture

Lors de l'irrigation des terres agricoles, l'eau s'infiltre dans le sol qui se dilate, enfle, se fissure, et ce mouvement fait vibrer le sous-sol qui bouge avec le mouvement des racines des plantes et des vers de terre qui contribuent à ouvrir les pores de la terre: Tous ces phénomènes -ignorés par les anciens- ne sont pas visibles à l'oeil nu, car ils ont lieu à une échelle infiniment petite; mais il ont pu être déterminés grâce à une observation minutieuse et à des études mises au point par la science moderne. Or, le Coran les décrit en détails :

[Tu vois la terre inerte et sans vie; mais dès que Nous y faisons descendre de l'eau, voilà qu'elle remue, qu'elle gonfle et fait germer des couples de toutes espèces de plantes d'une beauté éclatante]

Sour. "Al Hadj" (Le Pèlerinage) le sens du verset 5.

Les terres agricoles diffèrent totalement d'un lieu à l'autre, par leurs composantes plysiques, par leurs constituants chimiques et biologiques, par leur productivité et par la qualité des récoltes qu'elles donnent, comme le fait constater le verset suivant :

12. Les sources d'eau

Les anciens ignoraient que les fleuves prennent leur source dans les hautes montagnes. Lorsque les nuages se heurtent à leur sommets froids, ils laissent tomber leur charge sous la forme de pluie ou de neige qui fond graduellement.

Alors l'eau coule - par la volonté d'Allah - dans le lit du torrent, jusqu'au lieu fixé par Lui.

Le Coran a en fait souligné le lien qui existe entre les hautes montagnes et les sources des fleuves.

[N'y avons-Nous pas placé des montagnes élevées?
Ne vous-Nous pas donné à boire une eau douce?]

Sour. "Al Morsalat" le sens du verset 27.

D'autre part, les hommes n'ont découvert que récemment que les eaux des puits et des sources jallissant des nappes d'eau souterraines, proviennent également des pluies tombées du ciel et qui s'infiltrent dans les couches souterraines du sol, pour se rassembler et former ces nappes. Le Corant a signalé cela avec une clarté miraculeuse dans le verset suivant :

[Ne vois-tu pas qu'Allah a fait descendre du ciel une eau qu'Il achemine dans la terre vers des sources jaillissantes]

Sour. "Al Zumur" le sens du verset 21.

Dès sa création, l'être humain a connu les fleuves et les eaux souterraines comme sources d'eau douce pour se désaltérer, abreuver les animaux et arroser des plantes.

Il a connu également la mer et les océans comme étant des sources lui fournissant les poissons et les pierres précieuses. Ce n'est que récemment qu'il a découvert que les fleuves d'eau douce contiennent également des pierres précieuses telles que les perles, (dans les Iles Britanniques, la Tchécoslovaquie, et le Japon), ainsi que diverses autres pierres précieuses, telles que les diamants, les rubis, le Zircon, qui se trouvent dans les fleuves et dans divers dépôts fluviaux.

Ainsi s'est réalisé ce qui a été expliqué par le saint Coran :

[Ne vois-tu pas qu'Allah pousse les nuages, puis qu'Il les rattache intimement les unes aux autres]

Sour. "Al Nûr" le sens du verset 43.

Cette accouplement mène à la formation de lourds nuages, prêts à faire tomber la pluie, accompagnée d'une forte décharge électrique, prenant la forme d'orage et d'éclairs.

[C'est Lui qui vous fait voir dans l'éclair la crainte et l'espoir, et qui forme les lourds nuages; et le tonnerre célèbre Ses louanges]

Sour. "Al Ra'd' le sens du verset 12-13.

Les nuages, dans leur extension, prennent deux formes: les uns s'étendent horizontalement (les nuages étendus), et les autres s'étendent verticalement dans le ciel, comme des montagnes (les nuages amoncelés), que le voyageur par avion, à l'époque actuelle, peut voir nettement.

L'expression coranique suivante souligne la différence entre ces deux sortes de nuages, par l'usage du verbe "étendre" pour désigner la première forme,

[Allah est Celui qui envoie les vents qui soulèvent des nuages. Il les étend ensuite dans le ciel]

Sour. "Al Rûm" (Les Romains) le sens du verset 48.

Et les expressions "amoncellement" et "montagnes' pour désigner la seconde forme :

[Ne vois tu pas qu'Allah pousse les nuages puis qu'Il les rattache intimement les uns aux autres, et les amoncelle? Tu vois alors l'ondée sortir de leur profondeur. En Allah fait descendre de la grêle des montagnes qui se trouvent dans le ciel]

Sour. "Al Nûr" (La Lumière) le sens du verset 43.

Ce sont uniquement les nuages amoncelés qui sont susceptibles de faire tomber la grêle, comme le confirme le second verset qui nous signale également que la pluie (l'ondée) tombe du sein des nuages et non de leur surface inférieure comme pourrait le penser la majorité des gens.

Les Preuves Scientifiques de l'Islam

Extrait de l'ouvrage
Traduit par

Dr. Rokeya Gabr

(Suite)

11. La pluie

La vapeur d'eau s'accumule dans l'atmosphère, tout en se condensant autour de noyaux chargés d'électricité, sous l'effet de vents qui activent ces noyaux - par des particules de poussières provenant de la surface de la terre, de buées provenant de la mer, ou de gaz cosmiques ionisés sous l'effet des rayons solaires - formant ainsi des nuages.

Le Coran dit à ce sujet :

[Allah est Celui qui envoie les vents qui soulèvent des nuages]

Sour. "Al Rûm" (Les Romains) le sens du verset 48.

[Allah est Celui qui envoie les vents, lesquels, ensuite, soulèvent des nuages]

Sour. "Fater", le sens du verset 9.

Il semble ici que les vents "fécondent" les nuages grâce à ces noyaux, comme on le trouve mentionné dans le verset coranique suivant :

[Nous envoyons les vents comme fécondateurs, puis Nous faisons descendre du ciel une eau]

Sour. "Al Hijr" le sens du verset 22.

Les vents poussent ensuite les nuages dans le ciel jusqu'à ce que leurs charges négatives et leurs charges positives s'attirent, c'est-à-dire s'accouplent.

REVUE AL-AZHAR

Vol 68 Part VII

Ragab 1416 Higrah — November — December 1995

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

Consider the following examples; Sura 90, Verses 1-2 :

According to the opinion of many exegetes such as Al-Sabuni (1976 : 561) and Al-Muntakhab (1986-908). the /wäw/ which links both verses in the above example, is that of status. However, as we shall see in Khatib's version, as well as in other versions, the /wäw/ is rendered as 'and' as if it were simply a coordinator. Their versions are rendered as follows :

Khatib (808):

"It needs not to swear by this city, and by your lodging in this city."

Y. Ali (1650) :

"1. I do call to witness This city-"

Pickthall (807) :

"1. Nay, I swear by this city -
2. And thou art an indweller of this city -"

Arberry (645) :

"No, I swear by this land, and thou art a lodger in this land;"

Sura 92, Verses, 1-3 :

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾

Sura 93, Verses 1-2 :

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾

B- The /wäw/ used for inception :

The inceptive /wäw/ in Arabic is often used to introduce a sentence or a new thought. An example of such /wäw/ can be illustrated in :

Sura 98, Verse 5 :

وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾

According to Ibn Khalaweih (1989:164) the /wäw/ in the above example is an inceptive particle which introduces the following sentence : ðälik-a dīn-u-l-qayyim-ah/. The /wäw/ in such case has no equivalent in English. This is because the sentence in English, unlike that in Arabic, seldom starts with 'and'. This fact is being understood by the translators in question who dismiss 'and' in their version, unlike Y. Ali who seems to be careful not to dismiss any particle, even if it is not necessary;

Y.Ali (1679) :

"And that is the Religion Right and Straight.'

Other successful versions are represented as follows :

Arberry (653) :

"- that is the religion of the True."

Khatib (816) :

"That is the upright religion.

Pickthall (815) :

"That is true religion."

C. The /wäw/ used for status :

Khatib (806) :

"By the day break, by the ten nights, by the even and the odd, by the night when it pursuses its course."

Arberry (643) :

"By the dawn and ten nights, by the even and the odd, by the night when it journeys on!"

Y. Ali (1644) :

1. By the Break of Day;
2. By the Nights twice five;
3. By the Even And Odd (contrasted);
4. And by the Night When it passeth away -

Nevertheless, perhaps one of the mismatches made by Arberry and Khatib is that they dropped out 'and' completely in their versions which is supposed to link the conjoined oaths together. It should have been mentioned only once before the last oath, as Y. Ali does in his version;

"And by the Night When passeth away."

We may thus realize that these different functional approaches adopted by translators (except for Y. Ali's version) consequently affect the lexical features of the translated versions, and these, in turn, will have a bad effect on the semantic evaluation of the TL text when compared to the SL text.

Similar mismatches apply to the translation of the first seven verses of Sura 91 :

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا
﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾

Al-Muntakhab (1986:910) explains that this Sura starts by giving different oaths : by the sun, the moon, the day, the night, the heaven, the earth and by the human soul.

Further similar attitudes and mismatches relating to the /wäw/ of oath and that of coordination, apply to the translations of :

addition, and that which has other semantic implications. The /wäw/ used for oath, for instance, is often misinterpreted as 'and', and would, therefore, lead to many mismatches on the semantic level, as will be discussed in the following section.

A. The /wäw/ used for oath :

Translators are often confused between the /wäw/ used for oath, and that of coordination, as the following examples illustrate :

Sura 89, Verses 1-4 :

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ

The Sura starts by giving four contrasting oaths to reveal Allah's Power and Justice. This is clear in Al-Muntakhab's exegesis (1986-905) in which he asserts the fact that the first /wäw/ used is that of oath, while the following successive /wäw/s, according to Al-Ansari (n.d. : Vol. 3, 35), are to be considered coordinators which link the oaths together.

The /wäw/ used for oath is usually rendered as 'by' in English. However, by comparing the four translations in question we will find that they have different attitudes regarding the /wäw/ mentioned at the beginning of each of the above verses. Pickthall, for instance, renders the /wäw/ of oath only once in the first verse, whereas in the other three verses, he uses the coordinator 'and'.

Pickthall (805) :

1. By the Dawn
2. And ten nights,
3. And the Even and the Odd,
4. And the night when it departeth.

Perhaps Pickthall, by his attitude, wants to avoid repetition of the particle 'by'. However, it is believed that the coordinator 'and' used by Pickthall in the last three verses, should have been followed by the /wäw/ of oath, rendered as 'by', or else dropped out, as we see in Khatib's, Arberry's and Y. Ali's rendering of the same verses :

Difficulties in Translating coordination in Qur'anic verses

Part VII

Bv Dr. Maha Y. El Tagouri

Semantic Evaluation of Translating Coordinators :

The semantic evaluation of translation is mainly represented in functional and communicative mismatches. These constitute aspects such as wrong selection of coordinators or substitution of one coordinator for another. In the following sections an application of these aspects to each of the four coordinators is presented.

Wrong Selection of Coordinators :

This section mainly deals with the connotative and denotative meaning of coordinators in 'Amma' Part. "Connotation" and "Denotation" are two opposite terms explained by Crystal (1980:82) as parts of the classification of types of meaning. 'Coonotation' is mainly concerned with "the emotional associations (personal or communal) which are suggested by, or are part of the meaning of a Linguistic Unit, especially a LEXICAL ITEM." 'Denotation', by contrast, "covers the relationship between a linguistic unit and the non-linguistic entities to which it refers. "Both terms are distinguished in the two following sections where wrong selection of coordinators exists, and which perhaps constitutes one of the commonest semantic mismatches that lies in the path of translators. This can be clearly illustrated when dealing with the particle /wäw/ which bears several semantic implications, whether as a coordinator or a non-coordinator.

Wrong Selection of Coordinators with the /wäw/ :

Due to the various semantic implications of the /wäw/, it should not always be rendered as 'and', that which implies addition and combination. However, translators may often confuse between the /wäw/ of

fact, became tenants of the Muslims, because when they asked the prophet (PBUH), after their defeat, to allow them to stay on thir land provided that they would plant it and grow their crops upon it in the interests of the Muslims, the prophet accepted their plea and agreed to their request. But, in the meantime, the prophet (PBUH) stressed an important fact, namely that the Muslims would always have the right to expel them from their lands if ever they had reason to do so.

The Jews hatred to the prophet (PBUH) and their hostility to his religion became clearer after the fall of Khaibar and they could not any more hide this vicions hatred, thus they tried to murder him. During his stay in Khaibar, one of the Jewish women prepared for the prophet (PBUH) a dish of poisoned meat. When the prophet tasted a morsel without swallowing it, he spat it out and warned his comrades that it was poisoned. One Muslim, named Bisha Ibn Albora'a, who had already swallowed a mouthful, died immediately. The prophet (PBUH) himself, from the mere taste of it, derived the illness which eventually caused his death, because, he was, apparently, never entirely able to rid his body of the effects of the poison. As for the woman who had cooked the poisoned meat to avenge the humiliation of her people, the prophet (PBUH) forgave her.

As a matter of fact, the same year that witnessed the fall of the treacherous Jews of Khaibar, had witnessed the fulfillment of the prophet's (PBUH) vision, viz visiting the Holy Place at Mecca unopposed. In accordance with the terms of the truce stipulated in the Hudaybiyya treaty, the idolaters evacuated the city and from the surrounding hieghts they watched the religious rituals performad by the Muslims. At the end of the stipulated three days the chiefs of Qureish sent to remind the prophet that the time was up. He then withdrew and the idolaters reoccupied the city.

After the fall of Khaibar and after visiting Mecca for (Al Umra) the lesser pilgrimage, the Muslims were strongly assured that Allah had never and would never forsake them and they would be always victarious because it is Allah's will for as He says :

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ

"Allah did indeed fulfil this promise to you..."
Sura : Ä 'li Imran, 152) (Yousuf Ali, P. 166)

into three separate strongholds; one named 'Alnotat', one 'Alkatiba' and one 'Alshiba'. Each stronghold was sub-divided in turn into three other strongholds. Thus, the prophet (PBUH) came to the conclusion that the Muslim attack should be made against the first group of strongholds which was called 'Alnotat'. Therefore, he ordered his followers to camp to the east of this group of strongholds at a distance which would be out of danger from the reach of the arrows of the Jewish bowmen. After that the prophet (PBUH) ordered his men to cut down their palm trees. Shortly after cutting down almost 400 palm trees, the Muslims launched their initial assault against the Jews who were guarding the strongpoint. For several days, the Muslims kept launching a number of swiftly attacking raids to keep the Jews alarmed. Capturing one of the Jews who was trying to make his way out of the stronghold, the prophet (PBUH) was informed by him that the Jews inside the stronghold were almost at the point of exhaustion. This Jewish captive was of a great help to the prophet (PBUH) for he showed his readiness and willingness to help him in penetrating into this stronghold and also to lead him to the place where the Muslim army could find a mangonel in addition to many shields and swords which would be beneficial to the army in the destruction of the remaining strongholds.

When the Muslims had finally completed their preparations, they launched their massive attack against the strongpoint of the fort and succeeded in storming it. However, the Jews who were defending the stronghold rapidly retreated to the next stronghold. But the Muslims followed them to where they had gone, and, once again, succeeded in storming the strongpoint. In short, the strongholds of Khaibar were reduced one after the other until the Muslim army achieved its ultimate victory. When the Jews had seen the continuous success of the Muslims in storming their strong forts one by one, they felt frustrated and they promptly agreed to surrender, provided that the Muslims would not kill them & would allow them to leave Khaibar. The Muslims agreed to let them go with no harm on one condition that each one of them would not be allowed to carry more than the clothes he wore on his back. It is noteworthy to mention here that the Jews of Khaibar, since the fall and the defeat of their city, became the tenants of the Muslims until the expulsion of the Jews from Arabia in the Caliphate of Omar. The Jews, in

the decision to besiege Khaibar. Therefore, he prepared his campaign and led his followers to a place which was midway between Ghatafan and Khaibar, with the objective of preventing and hindeing Ghatafan from sending support to the Jews of Khaibar. Meanwhile, the prophet (PBUH) was sure that Qureish would not hasten to help the Jews because they had been prevented by their obligation under the Hudaybiyya peace treaty from supporting the Jews against Muslims as well as from taking any part in such a conflict. The Ghatafan, who thought that the prophet (PBUH) was on his way to attack Khaibar, moved swiftly forward towards Khaibar to support their allies. But, to their astonishment, they found that the prophet (PBUH) had sent a mounted force of his men to move swiftly, and attack the tribe of Ghatafan, by surprise, in their own territory. As soon as the warriors of Ghatafan, who were advancing towards Khaibar, knew of the Muslim attack against their own territory, they immediately withdrew to defend their own people. But, then, directly after it was known that the Ghatafans had withdrawn, the prophet (PBUH), at the head of his main army, moved in strength, towards Khaibar, in order to attack it.

It was the normal practice of the prophet, during his military compaigns, to wait for the sun to rise before giving his orders to launch an attack against his enemies. The reason for this, was that if the prophet could hear the call to prayer, he would unimediately refrain from launching his attack because any call to prayer meant that there were Muslims living within the city, otherwise he would give his orders to commente the battle. In the case of Khaibar, the prophet (PBUH) heard no call for prayer so he knew that there were no Muslims living within the city, but only the treacherous Jews whose sole aim was the destruction of the prophet of Allah together with his new religion.

On reaching Khaibar, the Islamic forces completely surrounded the city within 24 hours and it was entirely besieged from all sides. The siege of the Muslim army made the Jews of Khaibar feel great panic and they confined to their strongholds and forts and never dared to come outside the city.

In order to understand the prophet's (PBUH) military craft it is ncessary to know that attacking Khaibar was not an easy mission because of its strong defenses. Khaibar's main defenses were divided

north Arabia, and as time had passed it became a hornets nest of the prophet's (PBUH) enemies.

Concerning Khaibar, it was a big Jewish colony which was some 100 miles distant and to the south-west of Medina. The Jews of this colony had been carefully and quietly supporting the other Jews in their military confrontation against the prophet (PBUH), without being, in any way, involved in these conflicts. However, when the prophet (PBUH) had been able to drive out the treacherous Jews of Bani Qaynuqa'a, An-Nadeer and Quraiza, the Jews of Khaibar became extremely alarmed. They had been fearing the possibility of a direct confrontation which could be prepared by the Muslims against them.

It was the Jews of Khaibar who provoked the prophet (PBUH) to lead a campaign against them in the seventh year of the Hijrah. The real reason for this was that the following year after the Hudaybiyya peace treaty, when the prophet (PBUH) had set out for Mecca to perform his religious ceremonies (A Umra) the Jews of Khaibar quickly took advantage of the opportunity of his absence and made a decision to launch a surprise attack on Medina to seize the prophets family and his companion's families. Moreover, the Jews of Khaibar had, during this time, established an alliance with the tribe of Ghatafan and gained their support against the Muslims.

In the meantime, the Prophet (PBUH) was already convinced that Khaibar was the last remaining strong fort of the treacherous Jews which should be completely destroyed to safeguard Islam. In addition, he was quite aware that any confrontation with Khaibar would not be of the same straightforward nature as those which had been launched against their akin Jews of Bani Qaynuqa'a An-Nadeer and Quraiza. The Prophet (PBUH), because of his deep military insight, was fully convinced that such a task was not an easy one. The main reeson that made such a task a heavy burden was the great distance which separated Khaibar from Medina, and the greatly strengthened defenses and effective weapons which had been installed to defend it. The Muslims were certain that it was very difficult for them to attack and overrun the city.

Though the prevailing conditions were discouraging and though the defeat of Khaibar was a sort of impossibility, yet the Prophet came to

the Arab lands and began to build strong defenses around their villages. Moreover, the Arabs were so divided and different that they had never been able to rid themselves from the Jews or at least stop their increasing widespread and their increasing animosity to Islam even after they became unified as Muslims.

Since the prophet's (PBUH) arrival to Medina, he tried always to avoid the Jews' betrayal and conspiracies by entering into a peace treaty with them. This treaty was to the effect that the Jews had the right to live among the Muslim in peace, they had the right to practice freely their daily life and their own religious duties and they had the right to earn their living. In other words, the peace treaty stipulated peaceful co-existence between both parties, the Jews and the Muslims. In addition, the prophet (PBUH) assured them that their lives, their lands and their possessions were secure but only on one condition that they would not betray the Muslims and collaborate with the idolaters against them. The prophet (PBUH), who was greatly tolerant with them, strongly warned that if it was proven that they had helped or aided the idolaters against the Muslims in any way, they would certainly pay for their treachery.

This may, in fact, explain why the prophet (PBUH) had fought and defeated the Jews of Bani Qaynuqa'a, An-Nadeer and Quraiza. Moreover, this stresses the fact that the Muslims were never agressors or transgressors and they never fought anyone unless for clear obvious reasons, i.e. the Muslim's agression against treachery and paganism had always been justified. There is no doubt that the continuous betrayal of the Jews and their constant treachery to the Muslims together with the failure in converting them to a better way of life, made him finally decide to drive them completely out from the lands of the Arabs so as to ensure the safety of the Muslims and the new religion of Islam.

As we have seen, in the earliest battles of Islam, the prophet (PBUH) had been forced to take punitive action against some of the Jewish tribes because of their treachery. Thus, after the prophet (PBUH) had successfully defeated the Jews of Bani Qaynuqa'a, An-Nadeer and Quraiza, he together with the Muslims became determined to attack and defeat the Jews of Khaibar which was the stronghold of the Jewish tribes in

The Great Battles of Islam

5 — The Defeat and Fall of Khaibar

By: Nahed Mohamed Wasfi Ph.D.

It had been quite evident since the early beginning of Islam that the Jews had only one aim in their life, viz the destruction of this new religion. Though they knew very well that the prophet (Peace Be Upon Him) was the true messenger of Allah, yet they could not conceal their hostility to him and to his new religion. They tried always to take the advantage of any opportunity to undermine this newly born religion. They always endeavoured to create conflicting divisions among the Muslims to the extent that some of them tried to undermine and shake the belief of the Muslims by attributing, to verses of the Qur'an, Biblical interpretations. If we trace the reasons latenting behind this vicious hatred and envy that the Jews had against the Arabs in general and the prophet (PBUH) and his new religion in particular, we will find that the Jews had, as history tells, for a long time been waiting in hope, for a prophet from among their own community. They believed that being the chosen people of Allah, the coming prophet should be from among themselves and not from any other nation. Accordingly, when prophet Muhammad (PBUH) had been sent by Allah to the Arabs and the Jews had come to realize that he was leading humanity along a righteous path, they were filled with an intense hatred against both him and the Muslims.

In order to understand the true character of the Jews and their evil intensions we should briefly cite how they came to Al-Hijaz and managed to live with the Arabs. The Jews were, in fact, mainly small groups had survived from those who had been scattered by the Romans, and who had wandered until they had at last chosen to settle down with the Arabs because they had found security in the Arab lands. But it had not been long before the Jews began to stir up conflicts to disturb the Arabs. They began, as well, to extend their settlements into colonies in

AL-AZHAR MAGAZINE

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION

1 Ragab 1416

Vol 68 Part VII

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah: .
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهــرس

● الافتتاحية (الشمس والهلال ..)
لفضيلة الدكتور / على أحمد الخطيب ٩٤١
● مع الإمام الأكبر ●
● نداء وبيان عن القدس ٩٥٢
● فتوى للإمام الأكبر ٩٥٤
● إسلام الدين .. وحدة إيمان
ا. د/ محمد إبراهيم الفيومى ٩٥٧
● مع سورة عبس
ا. د/ إبراهيم الدسوقى خميس ٩٦٣
● الإقناع العقلى فى رسالة إبراهيم (٢)
ا. د. محمد رجب البيومى ٩٦٩
● استفت قلبك
لفضيلة الشيخ/ على حامد عبدالرحيم ٩٧٤
● راويان وحديثان
د. محمود سالم الخطيب ٩٧٧
● الإمام الزهرى (٢)
د. أحمد السيد حطيبة ٩٨١
● المدونة الكبرى
د. محمود عبدالمتجلى خليفة ٩٨٧
● الرجعة
للشيخ/ زكريا أحمد نور ٩٩٧
● الرسول ﷺ وأدب الحوار
د. مصطفى محمد الشكعة ١٠٠١
● الزهد وتوازن الإسلام
للشيخ / معوض عوض إبراهيم ١٠٠٨
● القدس وأموال العرب المغتصبة
للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ١٠١١
● من روائع الماضى
(أسرار التشريع القرآنى)
إعداد الأستاذ/ عبدالفتاح الزيات ١٠١٧
● طرائف ومواقف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٠٢٠
● العلوم الكونية ●
● العلوم التقنية فى التراث الإسلامى (٢)
ا. د. أحمد فؤاد باشا ١٠٢٢
● فقر الدم
د/ جيهان أحمد مصطفى حافظ ١٠٢٦
● الجديد فى العلم والتقنية
د. نجوى السيد أحمد ١٠٢٩
● اللغة والأدب والنقد ●
● طبقات المحققين
ا. د. السيد الجميلى ١٠٣٢
● مع الدكتور عبدالوهاب عزام
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ١٠٣٦
● الإمام الشافعى
للأستاذ عبدالسلام ابراهيم ناصف ١٠٤٢
● بين المجلة والقارىء
د. محمد عبدالحكيم محمد ١٠٤٨
● أنباء وآراء ●
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للأستاذين : عمر البسطويسى
مصطفى عبدالمجيد ١٠٥٣
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير ١٠٥٨
● القسم الفرنسى ١٠٦٩
● القسم الإنجليزى ١٠٨١

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
أسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
دكتور/ علي أحمد الخطيب
مدير التحرير
علي حامد عبد الرحيم
سكرتير التحرير
عادل غامي غفاجة
المراسلات/ باسم مدير التحرير .. إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت ٥٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩
الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

هل من حقيقة أخيرة بشأن القدس

الأمر كذلك في تقدير الغرب منذ عام ١٩٤٨ م .

ولكن من قبل حديثنا في تقديرات الغرب نقول :

إن قضية القدس قضية إسلامية بحتة ، مثلها — في ذلك — قضية فلسطين نفسها . من هنا توالت بيانات الأزهر الشريف لتُسمع العالم ، والمسلمين — خاصة — واجبهُمْ نحو القدس وفلسطين ، وحتى نؤكد هذه الحقيقة نُحيلهم إلى ما نشرته هذه المجلة من أوائل الثمانينات الهجرية من القرن الماضي (١٣٨٠) منذ بداية المؤتمرات العالمية لمجمع البحوث الإسلامية إلى يومنا هذا ، .. بل إلى آخر عدد صدر من هذه المجلة .

فالقدس بلدة إسلامية ، لا نزاع فى ذلك إلا نزاعا طريقُهُ « عطاء من لا يملك لمن لا يستحق » كما قال الرئيس عبد الناصر ــ يوما .

ولهذا « العطاء » قصته المخزية التى سطرها السيد « جون فوستر دلاس » مندوب الولايات المتحدة ــ حين ذاك ــ فى الأمم المتحدة ، وأودعها كتابه : « حرب أم سلام »[1] ولست أريد هنا أن أمزق نياط قلوبنا بما سطره هذا الرجل عن عام ١٩٤٨ م (أى عام الاعتراف بإسرائيل) وبما رمانا به من خزى نال من كرامة كل عربى ومسلم ، وحسبنا ــ هنا ــ قوله ص ٧٣ ــ من فصل (إسرائيل) :

« وقد سرت الإشاعات فى أروقة (ليك سكس) بأن جيوشا عربية كبيرة ستزحف إلى فلسطين ، وتغمرها بجنود لا حصر لها ، ولكن ذلك لم يحدث لسببين :

الأول : أن العرب لم يكن لديهم الشجاعة الكافية للقيام بهذه المغامرة .

والثانى : أن اليهود ــ فى فلسطين ــ كانوا يكونون عصبة متحدة ومنظمة قوية الشكيمة ، ولم يحدث ذلك ــ أيضا ــ لأن الأمم المتحدة كانت قد منحت تأييدها الأدبى لفكرة إنشاء الدولة اليهودية الجديدة .

وبصدد اتخاذ قرار يجعل إسرائيل أمرا واقعا ، قال ص ٧٥ :

« وأخذت على عاتقى هذه المهمة بمعاونة أعضاء آخرين فى وفد الولايات المتحدة ، وقبل قليل من أخذ الأصوات فى الجمعية [أى الجمعية العامة للأمم المتحدة] أمضيت ليلة مع المندوب العربى الذى يشغل أكبر منصب رسمى فى الوفد العربى ، وكان يعتبر المتحدث الرسمى باسم البلاد العربية ، وشرحت له فى أقوى العبارات : أن دولة إسرائيل ستنشأ ، وأنه من الحمق والخطأ مقاومتها .

وبنفس الصفحة ــ ٧٥ ــ قال :

« وبقى كثير من المسائل دون حل ، وخاصة : وضع مدينة القدس ، والأماكن المقدسة ، ومصير اللاجئين العرب .. » .

ولا تزال هذه المسائل باقية إلى يومنا هذا ، ولا تزال ــ أبدا ــ تثير فينا تاريخ تلك الحقبة الأليمة ، وكنا شبابا نؤمل فى الخير والحق .

ولقد كَذَّبَ الشهيد البطل أحمد عبد العزيز ــ بداية ــ فكر « دلاس » وقاد المتطوعين حتى كادوا يستولون على « تل ابيب » نفسها عاصمة « اسرائيل المزعومة » كذا كان يقال عنها يومذاك ــ حتى إذا كانوا منها على ثمانية عشر كيلو متراً ، توالى الغدر ، فقُتل الشهيد أحمد عبد العزيز ــ أسكنه الله فسيح جناته ورضى عنه وأرضاه ــ وكُشِفَ فجأة الجناح الأيمن لجيشنا المصرى الباسل فضاع منه آلاف الشهداء كما قال وقتها : الأستاذ محمد التابعى ــ رحمه الله .

(١) جون فوستر دلاس ــ حرب أم سلام ــ ط العالمية للطبع والنشر ــ القاهرة .

كانت الحوادث كلها تقول : صدق إسماعيل صدقى — أحد رؤساء وزارات مصر — فيما قبل الخمسينات — فقد حذر قومه ألا يدخلوا جيشا عربيا رسميا أرض فلسطين ، وإنما عليهم أن يمدوا أهلها داخلها بالسلاح ؛ فليس لهم ميدان قتال خارجها .

والحديث شَجَن

فأما عن فلسطين فقد انتشر شعار الصهيونية للتبرع لأهدافها يحمل أربع كلمات : « ادفع دولاراً تقتل عربيا » (كذا) وطاف الشعار الولايات المتحدة ، والتقطه صحفى أمريكى رأى أن يدرس القضية لدى الطرف الآخر .. لدى العرب ، وكتب دراسته تحت عنوان الشعار نفسه ، وأسرع الأستاذ إحسان عبد القدوس — رحمه الله — فنشر الكتاب إلى جانب سلسلته التى كتبها فى الأسلحة الفاسدة ، ليرفع الستار عن حقائق المأساة ، وقد اختفى الكتاب فى لحظات .

وأُحْبِطَ الشباب ، وما أشد الألم فى إحباط الشباب كان إحباطا أشبه بالعاهة المستديمة .

لقد أُمْطِرنا بوابل من الأحاديث الهازجة .. هذا « ألفريد ليلنتال » قدم إلى الناس بصفة اليهودى المنصف يتحدث عن : حق العرب .. حتى « شارلى شابلن » إى — والله تعالى — أدلى بدوره فى الدلاء ، وتبين مِن مكنون السياسة للقدس ؛ ما تحدث به أحد العالمين ببواطن الأمور عن القدس ؛ التى اعتبرها « دلاس » واحدة من القضايا الثلاث المعلقة ؛ فأفصح المتحدث عن مآلها إلى « الفاتيكان » ليعمل (الفاتيكان) على تدويلها .

لكن :

على الفاتيكان أن يعلم أن (القدس) شىء و (فوكلاند) شىء آخر ... والأمر مختلف تماماً .

لقد شرب جيل الأربعينات المرارة ، وهو الذى لم يقصر فى شىء .. له الله ! .. والله من ورائهم محيط .

د. علي أحمد الخطيب

بيان
فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

بمناسبة

الإسراء والمعراج

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بياناً بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج وصف فيه هذا الحدث الجليل بأنه : تكريم لرسول الله ﷺ وتثبيت لإيمان المؤمنين .. وتحدث فيه عن بيت المقدس والمسجد الأقصى وواجب المسلمين لاستردادهما .

بدأ البيان بقول الله ــ سبحانه وتعالى ــ فى القرآن الكريم :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) ﴾ . سورة الإسراء

ثم قال :

هذا الإسراء أى : السير ليلاً بالنبى ﷺ من المسجد الحرام فى مكة ، إلى المسجد الأقصى فى القدس ، تكريم لرسول الله ﷺ وتسرية عنه وخروج به مما أحاط به من متاعب وآلام ، فى سبيل تبليغ الرسالة ، تثبيتا لعزيمته وإمضاء لإرادته بعد إذ وقف يناجى ربه ويناديه ، حين تكاثرت من حوله النائبات ، وتحرش به قومه ، وتربصوا له وحين ذهب إلى الطائف يدعو أهلها إلى دين الله ، لكنهم كانوا كجيرانهم قريش ..، قست قلوبهم ، ولووا رءوسهم فكانت شكواه إلى ربه وتضرعه ومناجاته .

وأضاف البيان : أنه وسط هذه النوازل كانت رحمة الله وعافيته تحوط رسوله وتكرمه فكان الإسراء إلى بيت المقدس رحلة أرضية تحقق عنها هدفان :

الهدف الأول : تثبيت قلوب المؤمنين الذين آمنوا بالله وبرسالة محمد ﷺ ودعوته ، وليكبت المشركين . إذ أنه ما إن عاد الرسول ﷺ من رحلته القدسية وأخبر قومه بأنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس حتى كذبوه وسخروا منه ، بالرغم من أن الرسول ﷺ قد وصف لهم بيت المقدس وصفاً دقيقاً ، مع علمهم بأنه لم يسبق له رؤية هذا البيت قبل هذه الليلة ، بل وأخبرهم بما ضل من رواحلهم

الآتية عن طريق القدس ، وأنه قد شرب مما تحمله من ماء ، وأنبأهم بأن هذه القافلة ستصل قبل طلوع الشمس ووصلت فى هذا الموعد ، ومع هذه المؤكدات لصدقه ، سأل أخبثهم أبا بكر – رضى الله عنه – مستنكراً : « إن صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس » . فقال أبو بكر : قد صدقناه فى خبر السماء أفلا نصدقه فى خبر الأرض ؟ فسمى أبو بكر من هنا بالصديق .

أما **الهدف الثانى** : لهذه الرحلة الأرضية الإسراء فإن الله – سبحانه – جمع الأنبياء والرسل فى بيت المقدس وصلى بهم رسول الله ﷺ إماماً إبرازاً لعهد الله وميثاقه على من سبقه من الرسل فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ سورة آل عمران

ذلك لأن الرسول محمداً ﷺ خاتم النبيين ، وشريعته للناس جميعاً وللعوالم جميعها ، ودعوته عامة لا تختص بزمان ولا مكان ، أما دعوة من سبقه من الرسل فقد كانت خاصة بأقوامهم ، نجد ذلك واضحا فى رسالاتهم التى حدثنا عنها القرآن الكريم ودعائهم على من لم يؤمن بهم من قومهم وهلاك هؤلاء ليكونوا عبرة لمن يأتون بعدهم .

مقاصد المعراج

وكان للمعراج وهو الصعود برسول الله محمد ﷺ إلى السموات مقاصد عالية ومعانى سامية ، فقد شرفه الله بهذه الرحلة ورفعه مكانا عليا ، وأراه من آياته الكبرى ، حتى انتهى إلى سدرة المنتهى بعد أن التقى بالرسل والأنبياء كل فى موقعه من السموات ، وكان له مع كل منهم حوار وثناء وترحيب .

وقد فرضت الصلاة فى هذه الرحلة السماوية ، ومن ثم كانت عماد هذا الدين بحق ، كيف لا ؟ وهى آية ظاهرة على وحدة المسلمين ؛ إذ يتجهون فيها إلى قبلة واحدة فى عبادة موحدة فى أوقات محددة وإذ تعود هذه الذكرى بالمسلمين اليوم .. عليهم أن يذكروا المسجد الأقصى الأسير ، الذى كان أول قبلة للمسلمين ، وكان إليه مسرى الرسول ﷺ ، وصلى فيه إماما للأنبياء والمرسلين ، والذى تسلمه عمر بن الخطاب وظل المسلمون سدنة أعتابه وحراسا فى رحابه ، يعمرونه بالصلاة ، وفيه ترتفع نداءات المؤذن فى وقت كل صلاة . وكم من حلقات للعلم قد انعقدت فى جنباته ، وكم من الفقهاء والعلماء والأدباء قد أفاض الله عليهم فى رحابه علوما نافعة فى الدين والدنيا .

يذكر المسلمون القدس – وأنها دارهم ، وأن عليهم أن يجمعوا أمرهم ليستردوا أرضهم ، وليكونوا صفا واحدا كما كان أسلافهم الذين حافظوا على البلاد وأقاموا أحكام الإسلام .

لنتخذ من هذه الذكرى مددا وسندا لوحدتنا ، وعضدا لقوتنا ولنثق فى وعد الله الذى لا يتخلف . ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة الحج

شهر شعبان

وليلة النصف منه

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

لشهر شعبان فى الإسلام مكانة خاصة بين الشهور ، فهو شهر النفحات والفيوضات والبركات .

ولقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخص هذا الشهر بالكثير من الصوم ، روى النسائى عن أسامة بن زيد ـ رضى الله عنهما ـ قال : قلت يا ر رسول الله ، لم أرك تصوم فى شهر من الشهور ما تصوم فى شعبان . قال : « ذلك شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » .

والمراد أنهم يغفلون عن تعظيم شعبان بالصوم كما يعظمون رمضان ، وكانوا يعظمون شهر رجب فى الجاهلية .

قال الشوكانى : ولعل الحكمة فى صوم شهر شعبان أنه يتعقبه رمضان وصومه مفترض ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكثر من الصوم فى شعبان قدر ما يصوم فى شهرين غيره لما يفوته من التطوع الذى يعتاده بسبب صوم رمضان .

وعن أم سلمة ـ رضى الله عنها : « أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان يصل به رمضان » .

رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه وحسنه .

وعن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يصوم حتى تقول : لا يفطر ، ويفطر حتى تقول لا يصوم ، وما رأيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان ، وما رأيته فى شهر أكثر منه صياما فى شعبان .

وفى رواية : قالت : كان يصوم شعبان كله .. متفق عليه .

وعن أم سلمة ــ رضى الله عنها ــ قالت : « ما رأيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان » رواه الترمذى . وقال حديث حسن وأبو داود ولفظه قال : « لم يكن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يصوم فى السنة شهرا تاما إلا شعبان كان يصله برمضان » رواه النسائى باللفظين جميعا .

وفى الحديث الذى رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه عن معاذ بن جبل ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « يَطَّلِع الله على جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » .

وفى رواية الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو ــ رضى الله عنهما ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « يَطَّلِع الله ــ عز وجل ــ إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا إثنين : مشاحن أو قاتل نفس » .

هذه الأحاديث وغيرها تعلى من شأن ليلة النصف من شعبان ، وتعظم ذلك اليوم وتدعو المسلمين إلى الإقدام على طاعة الله فيها ، وصوم يومها طلبا لرحمة الله ومغفرته واستزادة من مرضاته ، واستقبالا لخيره الذى لا ينقطع عمن تاب إليه وأناب ، فإنه ــ سبحانه ــ يوفى الطائعين الصابرين الصائمين أجرهم بغير حساب ، وخير ما يعبد الله به فى هذه الليلة المباركة الصلاة ، وتلاوة القرآن والدعاء بما يفتح الله به على المسلم فى خشوعه وعبادته ، وخير الدعاء ما علمنا الله إياه فى القرآن ، وما ورد عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلنحرص على إحياء هذه الليلة بالطاعة ، بالصلاة ، وتلاوة القرآن ، والاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير وسائر أنواع الذكر ، وعلى صوم يومها كما أثر عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

هذا : ولم يؤثر عنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ دعاء خاص فى هذه الليلة . ولعل الأولى التأدب بأدب القرآن ، والتزام ما جاء فيه من أدعية جرت بها آياته ، وما أثر عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من جوامع الدعاء ؛ إذ بها تتنزل الرحمات ، وتقضى الحاجات ، وتنغلق أبواب الشرور والآفات .

ومن أدب الدعاء الإخلاص والإقبال على الله ، فادعوا الله مخلصين له الدين وأقبلوا على الله لا سيما فى مواسم الخير والبر يَكُنِ الله معكم .. بالحفظ والرعاية والتوفيق .

ومن الحوادث العظيمة التى وقعت فى هذا الشهر المبارك تحويل القبلة فى الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ففى الصحيحين عن البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ قال : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى نحو المقدس ستة عشر شهرا ـ أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل الله :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٤٤

فتوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس ـ وهم اليهود ـ :

﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٤٢

فصلى مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل ثم خرج بعدما صلى ، فمر على قوم من الأنصار فى صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه توجه نحو الكعبة ، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة .

وقد ضبط أهل الحديث والسير أن الأمر بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام فى قوله تعالى :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ .

هذا الأمر كله كان فى شعبان من السنة الثانية للهجرة ، وقد كان استجابة لدعائه وابتهاله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأمر بالتوجه إلى القبلة التى كان يود التوجه إليها ويرضاها ، وأن ذلك هو الحق من الله ، والكعبة هى قبلة إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

فتوى للإمام الأكبر

حكم ميراث الولد العاق لأبويه أو لأحدهما وتارك الفروض

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله :

وبعد ...

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من رئيس تحرير جريدة الشرق الجديد فى لندن جاء فيه :

برجاء التفضل بإفتائنا عن (حكم الشرع بتوريث الولد العاق تارك الصلاة والزكاة والصوم ، ناهيكم عن حج البيت) وذلك للرد على أسئلة ترد إلينا بهذا الخصوص من قرائنا ، أفادكم الله ، ونفعنا بعلمكم ، وسدد خطانا على أثر أهل العلم من أمثالكم .

بانتظار سريع جوابكم إذا تفضلتم ، دمتم وسلمتم ، والله يحفظكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

عبدالوهاب نتال

رئيس التحرير

والجــواب

أولا : إن للوالدين فضلا عظيما وحقا كبيرا على أولادهما ، يدل على هذا : أن الله سبحانه قد قضى فى القرآن الكريم بتوحيده وعبادته وحده لا شريك له ، ثم ثنى بقضائه بالإحسان إلى الوالدين وطاعتهما ، وحسن الخلق معهما ، وخفض الجناح لهما ، تواضعاً ورفقاً بهما ، ونهى عن الإساءة إليهما ولو بكلمة «أف» تصدر من اللسان تؤذيهما - وبخاصة - إذا تقدمت بهما السن ، واحتاجا إلى الرعاية وحسن المودة ، والإكرام . قال تعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾(١) .

وفى الحديث النبوى الشريف عن عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - قال : سألت رسول الله - ﷺ - أى العمل أحب إلى الله قال : الصلاة على وقتها . قلت ثم أى قال : بر الوالدين . قلت ثم أى قال : الجهاد فى سبيل الله(٢).

وعن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - عن النبى - ﷺ - قال : (رضا الرب فى رضا الوالد وسخط الرب فى سخط الوالد)(٣) .

وقد عدَّ رسول الله - ﷺ - عقوق الوالدين من الكبائر تحذيرا للأبناء من مغبته وسوء عاقبته ، فعن أنس - رضى الله عنه - قال ذُكر عند رسول الله - ﷺ - الكبائر فقال : (الشرك بالله وعقوق الوالدين)(٤).

ثانياً : اصطلح فقهاء الإسلام على تسمية المواريث بعلم الفرائض أخذاً من قول الله تعالى : ﴿ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾(٥) والفرائض جمع فريضة ، بمعنى مفروضة ، أى مقدرة وهى : من الفرض وهو القطع ، يقال فرضت لفلان كذا أى قطعت له شيئاً مقدراً ، وقد حث الرسول - ﷺ - على الاهتمام بعلم الفرائض والعناية به فقد أخرج الإمام أحمد والترمذى والنسائى على الاهتمام بعلم الفرائض والعناية به فقد أخرج الإمام أحمد والترمذىّ والنسائى وصححه الحاكم عن ابن مسعود مرفوعاً : (**تعلموا الفرائض وعلموها الناس فإنى امرؤ مقبوض ، وإن العلم سيقبض حتى يختلف الاثنان فى الفريضة فلا يجدان من يفصل بينهما**) .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ - قال : (أقسموا المال بين أهل الفرائض على كتاب الله تعالى)(٦) .

---

(١) الآيات رقم ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ من سورة الإسراء .

(٢) رواه البخارى ومسلم - الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ١٣٥ .

(٣) رواه الترمذى بسند صالح - التاج الجامع للأصول جـ ٥ ص ٦ .

(٤) رواه البخارى ومسلم والترمذى - الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ١٤١ .

(٥) من الآية رقم ٧ من سورة النساء .

(٦) رواه مسلم وأبو داود - التاج الجامع للأصول جـ ٢ ص ٢٨١ .

ثالثاً : أسباب الميراث : نسب أو نكاح أو ولاء ،

ودليل التوارث بالنسب ؛ قول الله ـ تعالى :

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(٧).

ودليل التوارث بالنكاح قول الله ـ تعالى :

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾(٨) .

ودليل التوارث بالولاء ، وهو عصوبة سببها نعمة المعتق على عتيقه ، ويرث به المعتق وعصبته المتعصبون بأنفسهم ، فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن النبى ﷺ قال : « الولاء لمن أعطى الوَرِق وولى النعمة »(٩) وفى رواية (إنما الولاء لمن أعتق) ومعنى أعطى الورق أى دفع ثمن العبد واشتراه وأولاه نعمة الإعتاق.

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ (مات رجل ولم يترك وارثاً إلا غلاماً كان أعتقه ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ هل له أحد ؟ قالوا : لا إلا غلاماً أعتقه فجعل رسول الله ـ ﷺ ـ ميراث له)(١٠) .

فإذا مات العتيق ولم يترك وارثاً وترك مالًا ، فإنه يرثه : المعتق أو عصبته الذكور بولاء الإعتاق ، وهذا باتفاق ، وأما العتيق فإنه لا يرث من معتقه إذا لم يترك وارثاً وهو رأى الجمهور ، إلا شريحاً وطاووس فورثاه استدلالًا بحديث ابن عباس سالف الذكر .

رابعاً : الموانع التى تمنع الشخص المتصف بها من الإرث هى : اختلاف الدين ، والقتل ، والرق ، وقد جمع هذه الموانع الثلاثة مؤلف كتاب (الرحبية) فى بيتين نظماً فقال :

ويمنع الشخص من الميراث
واحدة من علل ثلاث
رق وقتل واختلاف دين
فافهم فليس الشك كاليقين

وعن أسامة بن زيد ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ ﷺ قال : « لا يرث المسلم الكافر ولا يرث الكافر المسلم »(١١).

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « القاتل لا يرث »(١٢) فالقاتل لا يرث من مقتوله شيئاً ولو كان القتل خطأ ، ولو كان المقتول أصلًا أو فرعاً له وعليه الجمهور ،

(٧) الآية رقم ١١ من سورة النساء .

(٨) من الآية رقم ١٢ من سورة النساء .

(٩) رواه الخمسة ـ التاج الجامع للأصول جـ ٢ ص ٢٩١ .

(١٠) رواه أصحاب السنن بسند حسن المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٩١ .

(١١) رواه البخارى ومسلم والترمذى ـ التاج الجامع للأصول جـ ٢ ص ٢٨١ .

(١٢) رواه أصحاب السنن بسند ضعيف ولكن عامة أهل العلم على العمل به .

وقال مالك والنخعى : إن القاتل خطأ يرث من المال دون الدية[١٣] وحكمة منع الإرث بالكفر والقتل : أن الأرث حق نشأ عن صلة القرابة بالنسب أو الزوجية أو نعمة العتق ، والكفر قاطع للولاء بينه وبين الإسلام ، والقاتل قطع كل صلة بينه وبين مقتوله ، وبانقطاع الصلة انقطع الإرث ، وقُدّم المانع على المقتضى ..

أما المنع بالرق فمعلوم : أن العبد الرقيق مملوك لسيده ، فإن مات سيده والعبد على رقه فلا يرث العبد بل يورث عن سيده لورثته ..

خامساً : عقوق الأبناء لوالديهم معصية كبرى ، وخلق ذميم ؛ لكنه ليس مانعاً من موانع الإرث وعلله الثلاث المبينة سابقاً ، فمن مات أبواه أو أحدهما وكان عاقاً لمن مات منهما والعياذ بالله - فإنه لا يحرم من ميراثهما أو ميراث أحدهما ، ولا يمنع منه مادام مؤمناً بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، ومادام كذلك غير جاحد لفرائض الإسلام الخمسة ، ولم يكن قاتلا لمورثه من أب أو أم ، ومادام حاله على هذا ورث بحق الشرع ، نصيباً مفروضاً ، لا دخل لأحد فيه لأن الميراث تمليك شرعى مضاف لما بعد موت المورث ، لا يتدخل فيه ؛ لأنه بموت المورث قد انتهت ملكيته ، وارتفعت يده عن المال ، وتوقف تصرفه ، وأصبح المال للورثة يقتسمونه بينهم على كتاب الله تعالى ، وقد أرشد لذلك الرسول - ﷺ - بقوله : « اقسموا المال بين أهل الفرائض على كتاب الله تعالى .

والأمر لله من قبل ومن بعد فهو القائل جل شأنه :

﴿ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[١٤]

لما كان ذلك . كان عقوق الوالديـــن أو أحدهما ، وترك أداء الصلاة والزكاة والصوم وحج البيت ، أو واحد من هذه الفروض دون جحود لفرضيته ، كل أولئك غير مانع من الأرث . بل هو كبيرة من الكبائر والإرث مرهون .. يتحقق أحد أسبابه ، الزوجية ، أو النسب ، أو الولاء . على نحو ما تقدم ثبوته بالنصوص المشار إليها من القرآن ، ومن السنة . مع انتفاء وجود مانع من موانع الإرث الشرعية سالفة الذكر ، هذا وننصح أولئك العاقين من البنين والبنات لآبائهم وأمهاتهم أن يتوبوا إلى الله من هذه الكبيرة وأمثالها وأن يطيعوا الله فيما أمر به وأن يقولوا كما علمنا فى شأن الوالدين :

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾

هذا بعد وفاتهما . اما فى حال حياتهما فيكون التعامل معهما على وجه ما قضى الله ورسوله فى النصوص فى الوصية بالوالدين فى آيات القرآن الكريم . وأن يؤدوا كذلك فرائض الله .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

شيخ الأزهر الشريف

جاد الحق على جاد الحق

---

(١٣) شرح التاج للجامع للأصول جـ ٢ ص ٢٨٢ .

(١٤) من الآية رقم ١١ من سورة النساء .

مع سورة يس

أ.د/ إبراهيم خميس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ
يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن
لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن
يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا
يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنتُ
بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي
يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)
۞ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا
كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾

إجابة الرسل على تهديد أهل القرية وتطيرهم بهم :

﴿ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ .

إن الرسل لم يعبأوا بتهديد أهل القرية ووعيدهم وتشاؤمهم بهم ، بل مضوا فى تبليغهم يؤدون الواجب الملقى على عاتقهم لأنهم واثقون بنصر الله لهم فى النهاية ، والمعنى : قالوا رداً على أهل القرية « طائركم معكم » يعنى : سبب شؤمكم معكم لا من قبلنا ـ كما تزعمون ـ وهو سوء عقيدتكم وقبح أعمالكم .

قال ابن عباس « الطائر » هو نفس الشؤم أى شؤمكم معكم ، وهو إصراركم على الكفر . أما نحن فلا شؤم معنا لأنا ندعو إلى التوحيد وعبادة الله ـ تعالى ـ وفيه اليمن والخير والبركة وقال أبو عبيدة والمبرد : « طائركم » أى : حظكم ونصيبكم من الخير والشر معكم من أفعالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

وقوله ـ تعالى : « أئن ذكرتم » أسلوب شرط جوابه محذوف يفهم من سياق الكلام ، والمعنى أئن وعظتم تشاءمتم ؟ ، والاستفهام إنكارى بمعنى النفى أى لا ينبغى أن تتشاءموا من وعظنا إياكم .

وجملة الشرط والجواب مستأنفة ، وبل فى « بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ » وقال قتادة : مسرفون : مجاوزون الحد فى تطيركم وقال يحيى بن سلام : مسرفون فى كفركم . وقال ابن بحر . السرف هنا : الفساد ومعناه بل أنتم قوم مفسدون ، وقيل : « مسرفون » مشركون . والإسراف : مجاوزة الحد والمشرك يجاوز الحد . وكلها أقوال متقاربة .

وموقف أهل القرية فى تطيرهم برسلهم مشابه لموقف كل الكفرة ، مثل قوم فرعون ، حيث قال الله عنهم ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ ﴾ الأعراف : ١٣١ ، ومثل قوم صالح ﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧) ﴾ سورة النمل

ذكرت الآيات السابقة على هذا الحوار الذى دار بين الرسل وبين المكذبين من أصحاب القرية ، وهو مثل أصحاب القلوب المغلقة الذين عناهم بقوله : ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وبقوله : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) ﴾ سورة البقرة

وفى هذه الآيات يذكر نموذجاً للإيمان الصادق فيمن أثر فيه الإنذار وانتفع به وهم من عناهم الله بقوله : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ﴾ .

صديق أهل القرية :

يخبر الله فى هذه الآيات أن رجلاً جاء من أقصى المدينة ـ أى من أبعد أطرافها ـ يسرع المشى لما سمع بخبر الرسل ، وأن أهل القرية عزموا على الفتك بهم ، رَجُلٌ آمن وستر إيمانه عن أهل هذه القرية . جاء ليعظ قومه ويطلب منهم أن يصدقوا الرسل ويتبعوهم ويؤمنوا بدينهم الداعى إلى التوحيد والبعث ، وترك ما هم فيه من عبادة الأصنام : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

أى : اتبعوا رسل الله الذين أتوكم لإنقاذكم من الضلال .

﴿ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ دليل إخلاصهم فى دعوتهم وصدق بلاغهم أنهم لا يسألون على ذلك أجراً ولا يطلبون منفعة دنيوية . وإذا كانوا كذلك فهم صادقون مبلغون عن الله يدعون إلى نهج واضح وعقيدة لا خرافة فيها ولا غموض ؛ فهم مهتدون إلى نهج سليم وطريق مستقيم .

وقد كان كل رسول يذكر لقومه أنه لا يطلب على دعوتهم إلى الحق أجراً ولا يرجو منهم مغنماً . قال الله ـ تعالى ـ على لسان نوح ـ عليه السلام : ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ « هود : ٢٩ »

وقال هود لقومه : ﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥١) ﴾ سورة هود

وقد أمر الله خاتم الأنبياء محمد ﷺ أن يقول لقومه : ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ « الشورى : ٢٣ » .

وكلمة « من أقصى المدينة » توحى بأن الرسل لم يقصروا فى التبليغ والإنذار حتى بلغ خبرهم القاصى والدانى ، وتوحى أيضاً بأنه كان وحده ـ وليس صاحب جاه ولا سلطان ولم يكن فى عزوة من قومه أو منعة من عشيرته .

والقرآن الكريم لم يذكر اسم ذلك الرجل ولاحرفته ولكن قيل : هو (حبيب بن مرى) وكان نجارا ، وقيل إسكافا ، وقيل : قصاراً .

وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل : هو حبيب بن إسرائيل النجار ، وكان ينحت الأصنام ، وهو ممن آمن بنبى ذلك الزمان . وقال وهب : وكان حبيب مجذوماً ، ومنزله عند أقصى باب من أبواب المدينة ، وكان يعكف على عبادة الأصنام سبعين سنة يدعوها لعلها ترحمة وتكشف ضره فما استجابت له . فلما أبصر بالرسل ودعوه إلى عبادة الله فقال : هل من آية ؟ قالوا : نعم . ندعوا ربنا القادر فيفرج عنك ما بك فقال : إن هذا لعجيب أدعو هذه الآلهة سبعين سنة تفرج عنى فلم تستطع ؛ فكيف يفرجه ربكم فى غداة واحدة ؟ قالوا : نعم ، ربنا على ما يشاء قدير ، وهذه الآلهة لاتنفع شيئاً ولا تضر أحداً ، فآمن ودعوا ربهم فكشف الله ما به كأن لم يكن به بأس ، فحينئذ أقبل على التكسب ؛ فإذا أمسى تصدق بكسبه ، فأطعم نصفاً وتصدق بنصف ، فلما هم قومه بقتل الرسل جاءهم:

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ .

قال قتادة : كان يعبد الله فى غار فلما سمع بخبر المرسلين جاء يسعى فقال للمرسلين : أتطلبون على ما جئتم به أجراً ؟ قالوا : لا ، ما أجرنا إلا على الله فاعتقد صدقهم وآمن بهم وأقبل على قومه .

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

وكل هذه الأقوال لم تسند إلى رسول الله ﷺ ، ولا إلى أحد من صحابته ــ رضوان الله عليهم أجمعين ــ فيجب الوقوف عند ماجاء به القرآن الكريم ، فلو كان فى تعيين اسمه فائدة لذكره الله ــ تعالى .

﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

المعنى : وما يمنعنى من إخلاص العبادة لله وحده ، الذى خلقنى وإليه المرجع والمآل يوم الحساب ؛ فيجازيكم على أعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، فقد عاد يحدثهم عن نفسه وعن أسباب إيمانه ؛ ويناشد فيهم الفطرة التى استيقظت فيه فاقتنعت بالبرهان السليم على أن الله أنشأه من العدم ، وأوجده على غير مثال سابق . فالتوجه إليه هو الأولى وهو الأول . والرجل المؤمن يحس كل هذا فى قرارة نفسه فيعبر عنه هذا التعبير الواضح البسيط بلا تكلف ولاتعقيد ؛ فيقول ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ كما يرجع كل شىء إلى مصدره ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

وتفيد العبارة أيضاً التلطف فى الإرشاد بإبرازه فى معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النصح لهم حيث أراهم أنه اختار لهم ما يختار لنفسه ، كما تحمل تقريعاً لهم على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة غيره وفيها مبالغة فى التهديد والوعيد .

ثم أكد سلامة منهجه وفساد ما هم عليه فقال : ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ .

الاستفهام فى «أأتخذ» إنكارى بمعنى النفى ، أى لا ينبغى أن أتخذ آلهة من دون الله ، والمراد بالآلهة كل ماعبد من دون الله من حجر أو شجر أو بشر أو منصب أو جاه .

وقوله «بضر» يعنى بسقم، أو كل ما تنفر منه الطباع من بلاء، ومعنى «ولا ينقذون»: لايخلصونى مما أنا فيه من هذا البلاء.

وفى تعبير الرجل المؤمن دلالة على أنه لن يتخذ من دون الله آلهة يعبدها ويترك من يستحق العبادة، وهو الذى فطره: إن أراده الرحمن بسوء لم تنفعه شفاعة هذه الآلهة التى يعبدونها ولاتخلصه من ورطة السوء فإنها لاتملك من الأمر شيئاً إذ أنها لاتدفع ضراً ولاتجلب نفعاً ولاتنقذ أحداً مما هو فيه فضلاً عن أنها لاتستطيع الدفاع عن نفسها إذا هوجمت واعتدى عليها. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ «الحج

ثم يستمر الرجل فى نصحه لقومه بطريق التلطف والتعريض بهم فيقول: ﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾، والتنوين فى «إذا» عوض عن جملة ـ على طريقة القرآن فى الإيجاز ـ أى إنى إذا اتخذت غير الله إلها أكون فى هلاك بيّن ظاهر، والتعبير بـ «فى» فيه دقة وبلاغة حيث أفادت تمكنه من الضلال وانغماسه فيه كتمكن المظروف من ظرفه بوضعه فيه. فما أبلغ وما أوجز هذا التعبير ومن أصدق من الله قيلا؟

ثم صرح بإيمانه وأعلن عن عقيدته فألقى بكلمته الواثقة المطمئنة، وأشهدهم عليها، وهو يوحى إليهم أن يقولوها كما قالها، ولايبالى بهم ولابإيذائهم بعد تمكن الإيمان من قلبه ووثوقه بربه الذى آمن به، فقال: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ والخطاب للرسل.

قال ابن مسعود: ـ رضى الله عنه ـ خاطب الرسل بأنه مؤمن بالله ربهم، ومعنى «فاسمعون» فاسهدوا لى بالإيمان.

وقيل: إن الخطاب لقومه، قال كعب ووهب: إنما قال ذلك لقومه: إنى آمنت بربكم الذى كفرتم به، وقيل: إنه لمّا قال لقومه ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ رفعوه إلى الملك وقالوا: قد تبعت عدونا فطول معهم الكلام ليشغلهم بذلك عن قتل الرسل إلى أن قال «إنى آمنت بربكم» فوثبوا عليه فقتلوه.

قال ابن مسعود: وطئوه بأرجلهم حتى خرج معاه من دبره، وألقى فى بئر وهو «الرس» وهم أصحاب «الرس» قال تعالى:

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ ﴾ سورة ق

وفى كيفية قتله أقوال كثيرة.

وقيل: لم يقتل بل رفعه الله إلى السماء فهو فى الجنة لايموت؛ فذلك قوله ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ﴾ **فلما شاهدها قال**: ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ وكان قوله هذا من حبه لهدايتهم بالرغم من الإيذاء والتعذيب. فقد أحب هذا المؤمن كشأن كل مؤمن أن يبادر قومه إلى الإيمان بمثل ما آمن به ليحظوا بما حظى به من النجاة والنعيم الأبدى السرمدى.

قال ابن عباس نصح قومه حيا وميتا.

﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ﴾ قول صادر من الله تعالى أومن الملائكة بأمره سبحانه، إخبار منه بأنه وجبت له الجنة لأن دخولها يستحق بعد البعث.

وقال قتادة : أدخله الله الجنة ، وهو فيها حي يرزق . ويكون على هذا من الشهداء الذين قال الله فيهم ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ سورة آل عمران

وفى قوله : ﴿ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ تنبيه عظيم ودلالة واضحة على وجوب كظم الغيظ ، والحلم عن أهل الجهل ، والترؤف على من أدخل نفسه فى غمار الأشرار وأهل البغى ، والتشمر فى تخليصه والعمل على افتدائه ، والاشتغال بذلك عن الشماتة والدعاء عليه . ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل ، وهم كفرة وعبدة أصنام .

فلما قتل الرجل المؤمن غضب الله وعجل النقمة على قومه . فأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم .

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ .

هذه الآية ومابعدها تتمة قصة أصحاب القرية . أبان الله تعالى فيها حال المكذبين رُسُلَهم ، وأوضح سنة الله فى أمثالهم من العذاب الدنيوى ، والجند : الملائكة النازلون للإهلاك والانتقام .

والمعنى : لم ننزل على قوم الرجل المؤمن من بعد قتلهم له بسبب دعوته لهم إلى الإيمان بالله جنداً من الملائكة ، وماكنا بحاجة إلى هذا الإنزال ؛ بل كان أمر إهلاكهم أولى من ذلك .

وقد سبق قضاؤنا بأن إهلاكهم بالصيحة لا بإنزال الجند .

فإذا سأل سائل : لم أنزل الجنود من السماء يوم « بدر » و« الخندق » ؟.

قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ « الأحزاب : ٩ »

وقال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ « الأنفال : ٩ » مع أنه كان يكفى ملك واحد . فقد أهلكت قرى قوم « لوط » بريشة من جناح جبريل وديار ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة .

فالجواب أن الله أرسل ملائكة لمحمد ﷺ فى حربه مع قومه تعظيماً لشأنه وتفضيلاً له على سائر الأنبياء وأولى العزم وأولاه من أسباب الكرامة والإعزاز ما لم يوله أحداً ، وعلى هذا يكون الغرض من قوله ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا ﴾ ومن قوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التى لايؤهل لها إلا مثلك يامحمد .

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وسلم .

وقيل ـ فى معنى الآية : وما أنزلنا عليهم من رسالة ولابعثنا إليهم نبيا من بعد قتل الرجل المؤمن حتى جاء محمد ﷺ ، وهذا المعنى الثانى بعيد كل البعد عن سياق القصة .

ثم بيّن ما عوقبوا به فقال :

﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ .

« إنْ » فى « إن كانت » نافية بمعنى « ما » ، والمعنى : ما كانت عقوبتهم إلا أن صاح بهم جبريل فأهلكهم عن آخرهم .

« خامدون » ساكنون هامدون ميتون فى مكانهم بالصيحة لا يسمع لهم حس كالرماد الخامد ، والمعنى الأصلى للخمود انطفاء النار ، والمقصود به هنا الموت . ووصف الصيحة بأنها واحدة للتأكيد . فإن أمر إهلاكهم هين عند الله تعالى ، وقد شبه إهلاكهم بخمود النار ، وهو

صيرورتها رماداً ؛ لأنهم كانوا كالنار الموقدة فى القوة الغضبية ، حيث قتلوا من نصحهم وتجبروا على من أظهر المعجزة لديهم . وكلمة «فإذا» فى الآية توحى بسرعة الإهلاك لما فيها من المفاجأة ، ولما فى (الفاء) من الترتيب والتعقيب . وكيف لا يكون الإهلاك سريعاً ، والمُهلِك هو الله الذى لا يعجزه شىء . ومن أوصافه الجبار والقهار والقدير .

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

خلاصة لأهم دلالات قصة أصحاب القرية

١ ـ قصة أصحاب القرية قصة حقيقية ، حدثت فى ماضى الزمان ، والمحققون من العلماء على أن قصص القرآن واقعى ؛ وليس رمزياً ، وحقيقى وليس تمثيلياً ، بمعنى أن هذا القصص كان لحوادثه وجود واقعى حقيقى فى سالف الزمان ، وأن أبطاله كانوا أشخاصاً أحياء حقيقيين وأن أحداثه جرت عملياً على وجه الأرض . قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ «يوسف : ١١١» .

وقصة أصحاب القرية والرجل المؤمن لاتخرج عن هذا المضمون ؛ فهى تعرض قصة قوم جرت بينهم الحوادث التى أشارت إليها آيات القصة وكانت حوادث حقيقية واقعية .

٢ ـ ما جاء فى هذه القصة من مبهمات كاسم القرية واسم الرجل الذى جاء من أقصى المدينة يسعى لايقبل فيه إلا ماعينه القرآن أو جاء به الرسول ﷺ أو أحد صحابته ـ رضوان الله عليهم ـ وغير ذلك يكون مردوداً ، وإن جاءت به أكثر التفاسير . وهذه قاعدة يؤخذ بها فى جميع قصص القرآن الكريم .

٣ ـ أصحاب القرية والرجل المؤمن الذى جاء ينصح قومه نموذجان بشريان مكروران فى كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٤ ـ وجوب استفادة الدعاة إلى الله من أسلوب القرآن الكريم فى الدعوة والبيان ، وذلك بإيراد القصص وضرب الأمثال .

٥ ـ الإيمان هو صمام الأمان لصاحبه ، فيبقى مستعليا بإيمانه معتزاً بربه لا يضعف ولايذل ولايجبن . فأنت ترى الرجل المؤمن يجىء من أقصى المدينة غير عابىء بالصعاب والمشاق التى تواجهه ، ولا خائف من تهديد أصحاب القرية ووعيدهم ، ينصحهم ويبين لهم المصير المشئوم إن لم يؤمنوا .

٦ ـ عذاب الله واقع بالمنحرفين المكذبين للرسل فقد أهلك الله أهل القرية بصيحة جبريل وثواب الله واقع للمؤمنين الصادقين كما وقع للرجل المؤمن حيث أدخل الجنة .

٧ ـ لايعدم الحق فى كل زمان أنصار يستمسكون به ويدافعون عنه ويضحون فى سبيله ، وإن كانوا قلة وكان أهل الباطل كثرة .

٨ ـ أن الرسل على حق وهدى لايطلبون على تبليغ رسالتهم أجراً ، وهذا دليل عدم اتهامهم بمأرب دنيوى .

٩ ـ أصحاب القرية الكفار أعماهم البطر والغرور عن رؤية الحق فقتلوا الرجل المؤمن ، وهكذا كل من اغتر بالمظاهر الدنيوية الزائلة .

١٠ ـ يكون الرسل عادة من جنس المرسل إليهم حتى لايبادروا إلى الإعراض بحجة المغايرة والمخالفة . فتكون شبهة الكافرين ببشرية الرسل فى غير محلها ، وإنما الباعث لدى المناهضين لهم هو الاعتزاز بالنفس والاستعلاء والاستكبار .

الإخلاص لله عز وجل

أ.د/ محمود سالم الخطيب

عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « من فارق الدنيا على الإخلاص لله ـ وحده ـ وعبادته لا شريك له ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، مات والله عنه راض » . اخرجه ابن ماجه والحاكم .

ترجمة راوى الحديث

هو أنس بن مالك بن النضر النجّارى ، خدم رسول الله ﷺ عشر سنين . قال أنس : ما قال لى رسول الله ﷺ لشىء صنعته لما صنعت ، ولا لشىء تركته لما تركت . وكان أكثر الصحابة ولداً ؛ لأن أمه قالت : يا رسول خويدمك أنس ادع الله له . قال : « اللهم بارك فى ماله وولده وأطل عمره واغفر ذنبه » . فكان له بستان يحمل فى السنة مرتين ببركة دعائه ـ عليه الصلاة والسلام . قال أنس لقد بقيت حتى سئمت الحياة وأنا أرجو الرابعة .. يعنى المغفرة عاش مائة سنة . وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة سنة ٩٣هـ ، فى زمن الحجاج ودفن فى قصره على بعد فرسخ من البصرة .

روى البخارى له ثمانية وستين ومائتى حديث .

المفردات

معنى فارق الدنيا : مات ، ومعنى الإخلاص تَبَرُّؤُهم من التشبيه والتثليث(١) .

وهو أيضاً قصد العبد بعمله ونيته رضا الله لا يشوبه بشىء من غرض الدنيا(٢) ، حيث لا يطلع على عملك إلا الله ـ سبحانه وتعالى :

معنى « وأقام الصلاة » : أى وفاها حقها وثبت وداوم عليها ، مقرا بوجوبها(٣) وأداها بشروطها وأركانها كما بينها رسول الله ﷺ .

---

(١) المفردات من الراغب ١٥٤ .

(٢) الفتوحات الإلهية بتصرف ٥٨٩ جـ ٣ .

(٣) المفردات للراغب بتصرف ص ٤١٨ .

معنى « وإيتاء الزكاة » : إيتاء بمعنى إعطائها للمستحقين ، والزكاة هى : النمو والبركة التى يضعها الله للمزكى . وعند الفقهاء : مال مخصوص يؤخذ من مال مخصوص بشروط مخصوصة بينها الفقهاء .

المعنى العام للحديث :

يبين لنا رسول الله ﷺ أن الإخلاص مطلوب فى كل الأمور من عقائد وعبادات وجهاد ، وكل عمل يقوم به المسلم .

وهذا الحديث قد تضمن الإخلاص فى العقيدة فى قوله : « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له » فهذا يدل على وجوب الإخلاص لله فى العبادة فيفرده – تعالى – بالربوبية والوحدانية ، ولايعبد صنماً ولا شجراً ولا حجراً ولا إنساناً ولا شيطاناً ، إلى آخر المعبودات الباطلة التى توصل عُبادها إلى النار قال الله – تعالى – لنبيه – عليه الصلاة والسلام :

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥) ﴾[٤]

والمعروف أن فى حديث النبى ﷺ حث وترغيب لأمته ليكون إيمانها على درجة رفيعة من الإيمان بالقدوة – عليه الصلاة والسلام – قال – تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٥]

وقد أمر الله – سبحانه وتعالى – المؤمنين بالإخلاص .. فقال :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[٦] .

وإخلاص الدين معناه : أن المسلم يفعل كل ما أمر به ويجتنب كل ما نهى عنه والحنفاء – فى الآية – جمع حنيف ، والحَنَفُ : هو الميل عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق ، وهو : الإسلام ، فالحنيف : من مال عن كل عقيدة باطلة ، وأسلم وجهه لله – عز وجل .

قال – تعالى :

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[٧]

أقول : إن هذا الحديث تضمن : العقيدة ، وذكر من العبادات : الصلاة والزكاة ، فالإخلاص فى الصلاة : أن يأتى بها الإنسان كاملة الأركان والشروط كما بينها رسول الله ﷺ .

لا يقصد بصلاته إلا وجه الله – تعالى – فلا يقيم وزناً لبشر ولا يبغى سمعة أو شهرة أو مدحاً من أحد ، كما قال ﷺ : « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[٨] . والزكاة عليه أن يؤديها كما بينتها السنة والفقهاء

(٤) سورة الزمر آية : ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .

(٥) سورة الأحزاب آية : ٢١ .

(٦) سورة البينة آية : ٥ .

(٧) سورة الكهف آية : ١١٠ .

(٨) رواه البخارى .

قاصداً بذلك ذات الله ـ تعالى ـ فقط .

ويذكر هذا الحديث الشريف ببقية الفرائض وهى جميعا يلزمها : الإخلاص فى أدائها لله وحده ، ومنها الصيام . قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى الإخلاص فى الصيام عن الله ـ عز وجل : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » إلى آخر الحديث الذى رواه البخارى .

وكذلك الإخلاص فى الحج قال ـ عليه الصلاة والسلام : « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه » المرجع السابق، وفى رواية أخرى : خرج من ذنوبه كما ولدته أمه .

والإخلاص مطلوب فى كل عمل مشروع يؤديه المسلم، فعليه أداؤه على الوجه الأكمل ابتغاء مرضاة الله-تعالى . فعلى من كُلف بأى عمل أو مهنة أو صنعة أن يتقنها ويؤديها كم أمر الله . قال رسول ﷺ : « إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملًا أن يتقنه »(٩) .

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ قال يا رسول الله أوصنى ، قال « أخلص دينك يكفيك العمل القليل »(١٠)

وقال ـ عليه الصلاة والسلام : « طوبى للمخلصين الذين إذا حضروا لم يُعْرَفوا ، وإذا غابوا لم يُفتقدوا أولئك هم مصابيح الهدى تنجلى بهم كل فتنة ظلماء »(١١) .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام .. **من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان »**(١٢) .

قال رسول الله ﷺ : « **إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وعملكم** »(١٣) ومعنى النظر هنا : الإحسان والرحمة والعطف ، أى لا ينظر إلى حسن صوركم وكثرة أموالكم الخالية من الخيرات ، وخص القلوب بالذكر لأنها محل النية والتقوى : اللذان يقوم عليهما الإخلاص .

ولا مخلص للمسلمين مما بهم من الشدائد ولا منقذ لهم من الضيق والتفرق ؛ إلا بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والتمسك بأخلاق الإسلام ، وأهمها : الإخلاص ، فعليهم أن يجددوا العزم ويصدقوا النية مع الله .. قال رسول الله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله . فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه** »(١٤) .

ويؤخذ من الحديث :

١ ـ أهمية الإخلاص فى العقيدة والقول والعمل والجهاد .

٢ ـ نصيحة النبى ﷺ لأمته وحرصه عليها .

٣ ـ أن من مات مطبق لهذا الحديث المذكور أول الباب مات والله راض عنه فيدخله الجنة لطاعته .

---

(٩) البيهقى .
(١٠) البخارى ومسلم .
(١١) أخرجه الحاكم .
(١٢) البيهقى .
(١٣) الترمذى .
(١٤) مسلم عن أبى هريرة .

الآيات البينات

قبس من أنوار النبوة

لفضيلة الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

عن عمرو بن مرة قال : سمعت عبدالله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال يهودى لصاحبه :

اذهب بنا إلى هذا النبى [صلى الله عليه وسلم][1] نسأله عن هذه الآية ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ فقال : لاتقل له : نبى ؛ فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين . قال : فسألاه .

وفى سنن الترمذى :

فأتيا النبى فسألاه ـ فقال النبى ﷺ «لاتشركوا بالله شيئا ، ولاتسرقوا ، ولاتزنوا ، ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ولاتسحروا ، ولاتأكلوا الربا ، ولاتمشوا ببرىء إلى ذى سلطان فيقتله ، ولاتقذفوا محصنة ، وأنتم يايهود عليكم خاصة ألا تَعْدُوا فى السبت» فقبلا يده ورجله .

وفى الترمذى : يديه ورجليه .

وقالا : «نشهد أنك نبى . فقال : مامنعكما أن تسلما» قالا : إن داود ـ عليه السلام ـ دعا أن لايزال من ذريته نبى ، وإنا نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود .

رواه الحاكم وقال ـ حديث صحيح.وقال الذهبى: لا نعرف له علة بوجه من الوجوه والترمذى وقال حسن صحيح ، والنسائى وابن ماجه وغيرهم .

تفسير الآيات التسع

جاء فى «أحكام القرآن» لابن العربى . فى تفسير الآيات ـ التسع التى أعطاها الله عز وجل ـ لموسى عليه السلام ـ خمسة أقوال :

١ ـ قال ابن عباس : هى : يده ، وعصاه ، ولسانه ، والبحر ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم .

٢ ـ أنها : الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والبحر ، وعصاه ، والطمسة ، والحَجَر . قَالَهُ محمد بن كعب لعمر ابن عبدالعزيز فقال له عمر : ماالطمسة قال قوله ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ (٨٨ يونس) .

---

(١) ليست من كلام اليهوديين .

٣ ـ روى ابن وهب عن مالك هى : الحجر ، والعصا ، واليد ، والطوفان : والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والطود .

وقال مالك : الطوفان : الماء .

٤ ـ روى مطرف عن مالك هى ، الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والعصا ، واليد ، والبحر ، والجبل فى أقوال كثيرة .

رواية أخرى للحديث :

روى الترمذى وغيره : عن صفوان بن عسال المرادى : أن يهوديين سألا النبى ﷺ عن التسع الآيات فقال : هى ألا تشركوا بالله شيئا ، ولاتسرقوا ، ولاتزنوا ، ولاتقتلو النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولاتمشوا ببرىء إلى ذى سلطان ليقتله ، ولاتسروا ، ولاتقذفوا المحصنات ولاتولوا الأدبار عند الزحف ، وعليكم خاصة يهود : ﴿**ألا تعْدوا فى السبت**﴾ فقبلا يديه ورجليه ، وقالا : نشهد أنك نبى : فقال : ومايمنعكما أن تتبعانى ؟ فقالا : «إن داود دعا ألا يزال من ذريته نبى ، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود» .

وبعد فليس بعد الشرك ذنب ؛ فإنه الكفر بعينه ، إذ من «الموبقات» أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، وتشرك معه مالا يملك لك رزقا ، ولا خلقاً ولاضرا ولانفعا ، قال : ـ تعالى :

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (يونس) .

فعن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ، قال كنت ردف النبى ﷺ أى يركب خلفه ـ على حمار فقال : «يامعاذ هل تدرى ماحق الله على عباده وماحق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولايشركوا به . وحق العباد على الله ألا يعذب من لايشرك به شيئا» (متفق عليه) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء/ ١١٦) .

٢ ـ ولاتسرقوا : والسرقة : أخذ مال الغير خفية من حرز مثله وللسرقة عقوبتها المقررة فى الإسلام ـ قال تعالى :

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ المائد ٣٨

والسرقة من العادات السيئة التى إذا فعلها المرء مرة تشوق إليها أخرى . ولهذا قال رسول الله ﷺ «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده» رواه أحمد وغيره والمراد : أنه إذ أخذ القليل ابتداء أخذ بعده النصاب الذى تقطع فيه يده وهو ربع دينار من الذهب أو مايساويه : ومن الفضة ثلاثة دراهم أو مايساويها .

ولقد حاول بعض الدعاة للغرب أن يرد عقوبة الإسلام فى السرقة ، إما برفض قطع يد السارق وماإليها من أحكام ، أو بتوجيه القطع إلى المجاز بأن اعتبر سجن السارق قطع ليده عن السرقة بسبب وجوده داخل جدران السجن .

ولقد نسى هذا وأمثاله أن القانون هنا غير رادع ؛ بل هو ناشر للجريمة على أكثر نطاق من جهة عن طريق تعليم السارق غيره كيفية السرقة ، ومن جهة أخرى بممارسته لها بعد خروجه ، ثم إن إيواء السارق مدة حبسه كائنة على أموال الأمة التى سرق أحد أبنائها .

وأيا كان الأمر ؛ فإن هذا الداعى وأمثاله لو سرقوا مرة ، وحرموا من أموالهم وواجهوا المصاعب التى يكابدها المعتدى عليهم لأقروا لله ـ تعالى ـ بالفضل والعرفان .

٣ ـ «**ولاتزنوا**» فالزنا الفاحشة الكبرى ، لا يأتيها الزانى وهو مؤمن ، ولقد تهاون الغرب فى أمرها ، وعدها من صميم الحرية الشخصية ، وأباح القانون فى الغرب كل مايتعلق بأمرها .. وكانت النتيجة ماحدثنا عنه الرسول ﷺ

والإيدز : وغيره من الأمراض كان نتيجة مباشرة لهذه الفاحشة ، ولازال يطوف الأرض ، ويلقى بضحاياه الذين تمردوا على أحكام الله ـ عز وجل .

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة الإسراء

والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم

٤ ـ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ وقتل النفس بغير حق جريمة منكرة ، لايقرها شرع ، ولا يتقبلها وضع ، تنشر الخوف وترفع الأمن ، وتقطع روابط الإخاء . فيها اعتداء على بنية الله وقد توعد الإسلام فاعلها بالعذاب الشديد : قال تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ سورة النساء

قال الله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة ٣٢)

وعن البراء من عازب أن رسول الله ﷺ قال : «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤحق بغير حق» رواه ابن ماجه وغيره .

وفى رواية البيهقى : «لزوال الدنيا جميعاً أهون على الله من دم سفك بغير حق» وزاد الأصفهانى : «ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه اشتركوا فى دم مؤمن لأدخلهم الله النار» .

وقال ﷺ : «لا يحل دم مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وإلى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة» رواه البخارى ومسلم .

٥ ـ «ولاتسحروا» وفى السحر استعانة بالأرواح الخبيثة على الإفساد أو تخبيل العقل أو التفرقة بين الزوجين أو غير ذلك مما يباشره شياطين الإنس مستعينيين على فعله بمردة من شياطين الجن ، وهو من أكبر الكبائر . وقد يؤدى إلى قتل النفس .

قال القرطبى : واختلف الفقهاء فى حكم الساحر ؛ فذهب مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفرا يقتل ولا يستتاب وهو قول أحمد بن حنبل ، وأبى ثور ، وإسحاق والشافعى وأبى حنيفة ، وروى قتل الساحر عن عمر وعثمان وغيرهما ، وعن سبعة من التابعين روى الترمذى عن الحسن مرسلا : عن النبى

ﷺ : حد الساحر ضربه بالسيف .

وقد أمرت أم المؤمنين حفصة بقتل ساحرة .

قال القرطبى : واختلفوا هل يسأل الساحر حل السحر عن المسحور فأجازه سعيد بن المسيب على ماذكره البخارى : وكرهه الحسن البصرى ..

٦ ـ و« ولاتأكلوا الربا » فإنه أشد المعاصى ، يفوق كل الخطايا ـ فيما عدا الكفر بالله ـ عز وجل ـ والعياذ بالله .. وباتجاه الربا إلى جانب استغلال الفقر ومآسى الفقراء كان رذيلة لاتفوقها رذيلة .. وتتسع جوانب الربا الأخرى حتى اخترع لها مايسمى عملية (خلق النقود) ولهذه العملية صور شتى فى معاملات البنوك الربوية يتشعب فيها الكسب الحرام إلى فروع عديدة لأصل واحد فقط ، وكلها تنافى ما فى الإسلام من رحمة وتعاون ، وحسبك رذيلة يعلن فيها المولى عز وجل ـ ورسوله ﷺ الحرب على فاعلها ، ثم يمحق الله تعالى ـ ماله كله ـ قال ـ تعالى :

﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾

البقرة ٢٧٦

٧ ـ « ولاتمشوا ببرىء إلى ذى سلطان فيقتله .

إن الصاق التهم بالأبرياء ـ وإن صغرت ـ كبيرة ، فكيف بها إذا حبكت لبرىء لتقضى عليه ، جاء فى القرآن الكريم قوله ـ عز وجل :

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾

ولايزال المسلم فى فسحة من دينه حتى يصيب وما حراما فإن أصابه فقد أقصى نفسه عن رحمة الله .. ولو كان السبب فى الإطاحة ببرىء كلمة أو جزء كلمة .

٨ ـ والتوالى يوم الزحف ـ أو قذف المحصنات .

وكلاهما من الكبائر . فقد أمد الله المؤمنين بالثبات عند لقاء الذين كفروا وألايولوهم الأدبار . قال تعالى : ﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾ الانفال/ ١٦

وقذف المحصنات من صفات أهل الكبائر . وهم الذين يرمون العفائف من حرائر المسلمين بالزنى . فحدهم الجلد ثمانين جلدة وذلك لأنهم خالفوا أمر الله وخرجوا عن طاعته ففسقوا فيها .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

سورة النور/ ٢٣

٩ ـ وأنتم يايهود عليكم خاصة ألا تعدوا فى السبت : عليكم يايهود ألا تجاوزا حدود الله فى اليوم الذى أمركم الله ـ سبحانه ـ بتعظيمه وهو يوم السبت فى تعدوا فيه ولاتباشروا فيه العمل .

قال الله ـ عز وجل :

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾

سورة الأعراف

أغراهم وجود الحيتان على وجه الماء يوم السبت .. فتركوا التوقف عن العمل وانتهكوا حرمات الله وهذه هى الآيات التسع التى أوتيها موسى عليه السلام والتى أخبر بها رسول الله ﷺ الرجلين ، فصدقاه وقبلا يديه ورجليه .

المدوّنة الكبرى

فى الفقه المالكى

الجزء الأخير

للأستاذ د. محمود عبد المتجلى خليفة (*)

كتاب الإيلاء :

قلت لعبدالرحمن بن القاسم ، أرأيت إن حلف أن لا يطأ امرأته أربعة أشهر أيكون مُوليا فى قول مالك ؟ .

قال : لا . قلت فإن زاد على الأربعة الأشهر ؟ قال يكون مُوليا قلت : أرأيت إن حلف أن لا يغتسل من امرأته من جنابة أيكون مُوليا ؟ قال : نعم يكون مُوليا لأن هذا لا يقدر على الجماع إلا بكفارة .

كتاب المواريث : فى الشهادة على الميراث

قلت : أرأيت إن شهد قوم على رجل ميت أن فلانا ابنه وهو وارثه لا يعلمون له وارثا غيره أيقضى له بالمال فى قول مالك أم لا يقضى له بالمال حتى يشهدوا على البتات أنه لا وارث له غيره ؟.

قال : إذا شهدوا أنه ابنه لا يعلمون له وارثا غيره قضى له بالمال وهو قول مالك .

فى ميراث المسلم والنصرانى :

قلت : أرأيت إن مات رجل من المسلمين وبعض ورثته نصارى فأسلموا قبل قسم الميراث أو كان جميع ورثته نصارى فأسلموا بعد موته قبل أن يؤخذ ماله ؟

قال : قال مالك : إنما يجب الميراث لمن كان مسلما يوم موته ، ومن أسلم بعد موته فلا حق له فى الميراث .

(*) عضو لجنة الفتوى بالأزهر .

قال ، فقيل لمالك : فإن مات نصرانى وورثته نصارى فأسلموا قبل آن يقسم ماله ، علام يقتسمون ماله ، أعلى وراثة الإسلام أم على وراثة النصارى ؟ قال : بل على وراثة النصارى التى وجبت لهم يوم موت صاحبهم .

كتاب الصرف :

التأخير والنظرة فى الصرف :

قلت : أرأيت إن اشتريت حليا مصوغا فنقدت بعض ثمنه ولم أنقد بعضه ـ أى الباق ـ أتفسد الصفقة كلها ويبطل البيع بينا ؟

قال : نعم ، وهو عند مالك صرف .

قلت : أرأيت لو أن لرجل علىّ مائة دينار ذهبا فقلت : يعنى المائة دينار التى لك على بألف درهم ففعل ، فدفعت إليه تسعمائة درهم ، فارقته قبل أن أدفع إليه المائة الباقية ؟ .

قال قال مالك : لا يصلح ذلك وترد الدراهم وتكون الدنانير عليه كلها ، ولو قبض الدراهم كلها كان ذلك جائزا .

التأخير فى صرف الفلوس :

قلت : أرأيت إن اشتريت فلوسا[1] بدراهم فافترقنا قبل أن نتقايض ؟

قال : لا يصلح هذا فى قول مالك ، وهذا فاسد . قال لى مالك فى الفلوس : لا خير فيها نَظِرَة ـ أى تأخيرا ـ بالذهب ولا بالْوَرِق ـ أى الفضة ، ولو أن الناس أجازوا بينهم الجلود حتى تكون لها سِكّة وعين لكرهتها أن تباع بالذهب والورق نَظِرَة .

فى بيع السيف المفضض بالفضة إلى أجل :

قلت : أرأيت السيف المحلى تكون حليته فضة الثلث فأدنى ، أيكون لى أن أبيعه بدراهم نسيئة ؟ .

قال : لا يجوز عند مالك أن تبيعه بنسيئة لا بذهب ولا بورِق إذا كان فيه من الذهب أو الفضة شىء قليل أو كثير .

كتاب السلم الأول

التسليف فى ثمر قرية بعينها :

قلت : أرأيت إن أسلفت فى ثمر قرية بعينها أو فى حنطة قرية بعينها ؟

قال : قال مالك من سلف فى ثمر هذه القرى العظام مثل : خيبر ووادى القرى ، فلا بأس أن يسلف قبل إبان الثمر ، ويَشْترط أن يأخذ ذلك تمرا فى أى (الإبَّان) شاء ، ويشترط أن يأخذ ذلك رطبا فى إبان الرطب أو بسراً فى إبان البسر .

(١) الفَلْس : أقل العملات قيمة وجمعه فلوس .

السلف ـ أى السلمة فى السلعة فى غير إبانها تقبض فى إبانها

قلت : أرأيت إن سلف رجل فى بطيخ أو فى الرطب أو فى القثاء أو التفاح أو ما أشبه هذه الأشياء مما ينقطع من أيدى الناس ، سلف فى ذلك فى غير إبانه ، فاشترط الأخذ فى إبانه ؟

قال : قال مالك : ذلك جائز ، قلت : فإن سلفت فى إبانه واشترطت الأخذ فى غير إبانه قال : لا يجوز .

كتاب السلم الثانى

فى الرجل يسلف ببلد ويشترط أن يقضى بآخر

قلت : أرأيت إن أسلمت إلى رجل فى طعام ، وشرطت عليه أن يوفينى ذلك ببلد من البلدان فلما حل الأجل قال لى : خذ الطعام منى ببلد أخرى ، وخذ منى الكراء إلى البلد الذى شرطت لك أن أقضيكه فيه ؟

قال : قال مالك : لا يصلح ذلك ، لأن البلدان بمنزلة الآجال .

كتاب السلم الثالث :

فى الرجل يسلف فى ثياب موصوفه إلى أجل ، فلما حل الأجل استقاله فأقاله من النصف على أن يأخذ النصف الآخر .

قلت : أرأيت لو أنى أسلمت دراهم فى ثياب موصوفة إلى أجل ، فلما حل الأجل أقلته من نصفها على أن تأخذ النصف الآخر ، أيجوز ذلك ؟

قال : لا يجوز هذا فى قول مالك ، لأن هذا يصير فضة نقدا بفضة وثياب إلى أجل ، فلا يجوز ذلك .

فى بيع الشاة بالطعام إلى أجل :

قلت : أرأيت إن اشتريت شاة أريد ذبحها بطعام موصوف إلى أجل ، أيجوز ذلك فى قول مالك أم لا ؟

قال : إن كانت الشاة حية صحيحة مثلها يقتنى ليس شاة لحم فلا بأس به ، وإن كانت شاة لحم فلا خير فيه إلى أجل ، وكذلك قال لى مالك .

هدية المديان :

قلت : ما يقول مالك فى رجل له على رجل دين ، أيصلح له أن يقبل منه هديته ؟

قال : قال مالك : لا يصلح أن يقبل منه هديته ، إلا أن يكون رجلا كان ذلك بينهما معروفا وهو يعلم أن هديته ليست لمكان دينه فلا بأس بذلك .

كتاب البيوع الفاسدة :

فى الرجل يبتاع بقيمتها أو بحكمهما أو بحكم غيرهما .

قلت : أرأيت إن اشتريت سلعة بقيمتها ، أو بحكمى ، أو بحكم البائع ، أو برضائى أو برضا البائع أو برضا غيرنا ، أو بحكم غيرنا ؟

قال : لا يجوز عند مالك .

كتاب المرابحة :

ما يحسب فى المرابحة وما لا يحسب :

وقال مالك فى البر ـ أى القمح ـ يشترى فى بلد فيحمل إلى بلد آخر .

قال : أرى أن لا يحمل عليه ـ أى لا يضاف إلى ثمنه ليحسب عليه الربح ـ أجر السماسرة ولا النفقة ولا أجر الشد ، ولا أجر الطىّ ولا كراء بيت ، فأما كراء الحمولة فإنه يحسب فى أصل الثمن ، ولا يجعل لكراء الحمولة ربح .

فى الرجل يبيع السلعة بعرض أو طعام فيبيعها مرابحة :

قلت : أرأيت من اشترى سلعة بعرض من العروض ، أو يبيع تلك السلعة مرابحة فى قول مالك ؟

قال : قال مالك : لا يبيعها مرابحة إلا أن يبين . قلت : فإن بين أيجوز ؟ قال : نعم ويكون على المشترى مثل تلك السلعة فى صفتها ، ويكون عليه ما سَمَّياً من الربح .

كتاب الغرر

قلت : أرأيت إن اشترى ثيابا مطوية ولم ينشرها ولم توصف له ، أيكون هذا بيعا فاسدا فى قول مالك ، لأنه لم ينشر الثياب ، ولم توصف له ؟

قال : نعم ، هو فاسد فى قول مالك .

فى الرجل يشترى طريقا فى دار رجل :

قلت : أرأيت أن اشتريت طريقا فى دار رجل ، أيجوز ذلك فى قول مالك ؟ قال : نعم ، قلت : وكذلك أن لو باعه موضع جذوع له من حائط يجعل عليه جذوعا له ؟

قال : نعم هذا أيضاً قوله ، إذا وصف الجذوع التى تجعل على الحائط .

كتاب الوكالات

أخبرنا سحنون بن سعيد قال : قلت ـ لابن القاسم : أرأيت لو أن رجلا أمر رجلا يشترى له سلعة من السلع ولم يدفع إليه ثمنها أو دفع إليه ثمنها فمات الآمر ثم اشتراها ـ وهو لا يعلم بموت الآمر ـ واشتراها ثم مات الآمر ؟

قال : ذلك كله لازم لورثته كلهم ، فإن اشتراها ، وهو يعلم بموت الآمر ، لم يلزم ذلك الورثة ، وكان ضامنا للثمن ، لأن مالكا سئل عن الرجل يوكل الرجل بالبلد يجهز إليه المتاع فيبيع له ويشترى ، وقد مات صاحب المتاع .

فقال : أما ما باع واشترى قبل أن يعلم بموت الآمر فذلك جائز على الورثة ، وأما ما اشترى وباع بعد أن يعلم فلا يجوز ذلك ، فمسألتك مثل هذا لأن وكالته قد انفسخت .

كتاب العرايا

قلت – لابن القاسم : صف لى العرايا ما هى ؟ وفى أى الثمار هى ؟ ولمن يجوز له بيعها إذا أعريها ؟

قال : قال مالك : العرايا فى النخل وفى جميع الثمار كلها مما ييبس ويدخر مثل العنب والتين والجوز واللوز وما أشبهه مما ييبس ويدخر ، يهب صاحبها ثمرتها للرجل ، ثم يبدو لصاحبها الذى أعراها أن يبتاعها من الذى أعريها – والثمر فى رءوس النخل بعد ما طابت أنها تحل لصاحبها الذى أعراها أن يشتريها بالدنانير والدراهم وإن كانت أكثر من خمسة أوسق ، ويشريها بالطعام الذى هو من غير صنفها إذا جدها – أى قطعها – مكانه أو بالعروض نقدا أو إلى أجل ، ويبتاعها بِخَرْصِها – وهو التخمين بمقدار ما فيها من تمر – بصنفها إلى جدادها إذا كانت خمسة أوسق فأدنى ، وإن كانت أكثر من خمسة أوسق لم يصلح بيعها بتمر إلى الجداد ، ولا يصلح بتمر نقدا ، ولا ينبغى له أن يبتاعها بشىء من الطعام مخالف لها إلى أجل .

فى زكاة العرايا وسقيها

قلت : زكاة العرايا على من هى ؟ قال :

قال لى مالك : هى على الذى أعراها ، وهو رب الحائط ، وليس على الذى أعريها شىء . وقال مالك : السقى على رب المال .

كتاب التدليس بالعيوب

فيمن اشترى دارا أو حيوانا فأصاب بها عيبا :

قال ابن القاسم : سئل مالك عن الرجل يشترى الدار وبها صدع فقال : إن كان صدعا يخاف على الدار الهدم منه فإن هذا عيب ترد به ، وإن كان صدعا لا يخاف على الدار منه فلا أرى أن ترد منه ، لأنه قد يكون فى الحائط الصدع ، فيمكث الحائط وبه ذلك الصدع زمانا طويلا ، فلا أرى هذا عيبا ترد الدار منه .

فى الرجل يبيع السلعة ويدلس فيها بالعيب وقد علمه

قلت : أرأيت إن بعت ثوبا من رجل دلست له بعيب وأنا أعلم ، أو كان به عيب لم أعلم به ؟

قال : قال مالك : إذا دلس بالعيب – أى أخفاه – ثم أحدث المشترى فى الثوب صبغا ينقص الثوب أو قميصا أو ما أشبه ذلك ، فإن المشترى بالخيار إن شاء حبس الثوب ورجع على البائع بما بين الصحة والداء ، وإن شاء رد الثوب ولا شىء عليه ، وإن كان الصبغ قد زاد فى الثوب ، فإن شاء حبس الثوب ، ويرجع على البائع بما بين الصحة والداء ، وإن شاء ردَّ الثوب ، وكان شريكا للبائع بما زاد الصبغ فى الثوب .

كتاب الصلح :

الدعوى فى الصلح على دم عمد وأنكر صاحبه !

قلت : أرأيت لو أن لى على رجل دَمَ عمد ، أو جراحات فيها قصاص ، وادعيت أنى صالحته منها على مال ، فأنكر ذلك وقال : ما صالحتك على شيء ؟

قال : ما سمعت من مالك فيه شيئا إلا أن الذى أرى على ما قال مالك فى الطلاق لى أنه لا يُقْتَصُّ منه ، وله عليه باليمين .

كتاب تضمين الصناع

القضاء فى تضمين الصناع :

قلت : أرأيت لو أنى دفعت إلى قصار ثوبا ـ هو مثل من يكوى الثياب ـ ليغسله لى فغسله ، أو دفعت إلى خياط ثوبا ليخيطه لى ففعل ، ثم ضاع بعد ما فرغ من العمل فأردت أن أضمنه ـ فى قول مالك ـ كيف أضمنه ؟ أقيمته يوم قبضه ، أم أدفع إليه أجره وأضمنه قيمته يوم فرغ منه ؟

قال : سألت مالكا ـ أو سمعت مالكا يُسأل عن الرجل يدفع إلى القصار الثوب فيفرغ من عمله ، وقد أحرقه أو أفسده ، ماذا على العامل ؟ قال : قيمته يوم دفعه إليه ، ولا ينظر إلى ما ابتاعه به صاحبه غاليا كان أو رخيصا .

كتاب الجعل والإجارة :

قال عبدالرحمن بن القاسم : قال مالك بن أنس فيمن باع سلعة من رجل بثمن على أن يتجر له فى ثمنها سنة قال مالك : أن كان اشترط إن تلف المال أخلفه له البائع حتى يتم عمله بهما سنه فلا بأس بذلك ، وإلا فلا خير فيه وفسخ ، وهذا يشبه الذى يستأجر رجلًا ليرعى له غنمه هذه بأعيانها ، فهو إن لم يشترط أن ما مات منها فعلى رب الغنم خلفها ، فلا خير فى هذه الإجارة .

فى إجارة المصحف :

قلت : أرأيت المصحف هل يصلح أن يستأجره الرجل يقرأ فيه ؟ قال : لا بأس بذلك قلت : لِمَ جوزه مالك ؟ قال : لأن مالكا قال : لا بأس ببيع المصحف ، فلما جوز مالك بيعه جازت فيه الإجارة .

عن ربيعة بن أبى عبدالرحمن أنه قال : لا بأس ببيع المصحف ، إنما يبيع الورق والحبر والعمل .

باب فى إجارة الخمر

قلت : أرأيت مسلما آجر نفسه من نصرانى يحمل له خمراً على دابته ، أو على نفسه أيكون له من الأجر شيء أم تكون له إجارة مثله ؟

قال : قال مالك : لا تصلح هذه الإجارة ، ولا أرى أنا له من الإجارة التى سمى ولا من إجارة مثله قليلا ولا كثيرا ، لأن مالكا قال فى الرجل المسلم يبيع خمرا ، قال مالك : لا أرى أن يعطى من ثمنها قليلا ولا كثيرا ، فالكراء عندى بهذه المنزلة ، لا أرى أن يعطى من الإجارة لا قليلا ولا كثيرا .

في جُعْل السمسار :

قلت : أرأيت هل يجوز أجر السمسار فى قول مالك ؟

قال : نعم ، سألت مالكا عن البزاز ـ تاجر القماش ـ يدفع إليه الرجل المال يشترى له به بزا ، ويجعل له فى كل مائة يشترى له بها بزا ثلاثة دنانير . فقال : لا بأس بذلك ، وهذا من الجعل .

كتاب كراء الدور والأرضية

فى اكتراء الحمام والحوانيت

قلت : أكان مالك يكره إجارة الحمام أم لا ؟

قال قال مالك : لا بأس بكراء الحمامات .

كتاب المساقاة

قلت ـ لعبدالرحمن بن القاسم : أرأيت إن أخذت نخلا مساقاة على أن لى جميع ما أخرج الله منها ؟

قال : قال مالك : لا بأس بذلك .

قلت : لِمَ أجازه مالك ؟ قال : لأنه بمنزلة المال يدفعه إليك مقارضة على أن لك ربحه ، ولأنه إذا جاز له أن يترك نصف الثمرة بعملك فى الحائط ، جاز أن يترك لك الثمرة كلها .

كتاب الجوائح

ما جاء فى جائحة المقاثىء

قلت لعبدالرحمن بن القاسم أرأيت المقاثىء ـ أى مزارع الخضر ـ هل فيها جائحة فى قول مالك ؟

قال : نعم إذا أصابت الثلث فصاعدا ، وضع عن المشترى ما أصابه من الجائحة .

كتاب الشركة :

فى الصناع يشتركون على أن يعملوا فى حانوت واحد ، وبعضهم أعمل من صاحبه .

قلت : أرأيت الصباغين أو الخياطين إذا اشتركوا على أن يعملوا فى حانوت واحد ، وبعضهم أفضل عملا من بعض أتجوز الشركة بينهم ؟ قال : قال مالك : إذا اشتركوا على أن يعملوا فى حانوت واحد ، فالشركة جائزة .

قال ابن القاسم : والناس فى الأعمال لابد أن يكون بعضهم أفضل عملا من بعض .

كتاب القراض :

القراض بالدنانير والدراهم والفلوس

قال سحنون : قال ابن القاسم : قال مالك : لا تصلح المقارضة إلا بالدنانير والدراهم قلت : فهل تصلح بالفلوس ؟

قال : ما سمعت فيه شيئا ولا أراه جائزا ، لأنها تحول إلى الكساد والفساد فلا تتفق ، وليست الفلوس عند مالك بالسكة البينة ، حتى تكون عينا بمنزلة الدنانير والدراهم .

كتاب الأقضية :

قلت لابن القاسم : ما قول مالك فى الخصمين إذا أتيا إلى القاضى ، فتبين للقاضى الحق لأحدهما فأراد أن يحكم على الذى اتضح الحق عليه ؟

قال : سمعت مالكا وهو يقول : من وجه الحكم فى القضاء إذا أدلى الخصمان بحجتهما وفهم القاضى عنهما ، فأراد أن يحكم القاضى بينهما أن يقول لهما : أبقيت لكما حجة ؟ فإن قالا : لا ، فصل بينهما وأوقع الحكم ، فإن أتيا – بعد ذلك يريدان نقض ذلك لم يقبل منهما إلا أن يأتيا بأمر يرى أن لذلك وجها .

قلت : ما معنى قول مالك : يرى لذلك وجها ؟

قال : معناه أنه إذا أتى بشاهد عند من لا يرى الشاهد واليمين ، وقال الخصم : لا أعلم لى شاهدا آخر فوجه القاضى عليه الحكم ثم قدر على شاهد آخر بعد ذلك أنه يقضى بهذا الشاهد الآخر ، وما أشبه هذا مما قال مالك : يعرف به وجه حجته .

كتاب الشهادات :

فى شهادة المغنى والمغنية والنائحة والشاعر :

قلت : أرأيت شهادة المغنى والمغنية والنائحة والشاعر أتقبل ؟ قال : سألت مالكا عن الشاعر : أتقبل شهادته ؟ قال : إن كان ممن يؤذى الناس بلسانه ويهجوهم إذا لم يعطوه ويمدحهم إذا أعطوه فلا أرى أن تقبل شهادته ، فأما النائحة والمغنية والمغنى فما سمعت فيه شيئا إلا أنى أرى أن لا تقبل شهادتهم إذا كانوا معروفين بذلك .

كتاب الدعوى :

فى المرأة تدعى أن زوجها طلقها ولا تقيم شاهدا : أتحلف على ذلك أم لا ؟

قال مالك : لا يحلف لها إلا أن تقيم المرأة شاهدا واحدا . قلت فإن لم يكن لها شاهد اتحليها له ؟

قال : نعم .

كتاب التفليس :

فى الرجل يقوم عليه بعض غرمائه بتفليسه

قلت لابن القاسم : أرأيت إن كان لرجل على رجل دين فقام عليه فأراد أن يفلسه .

قال : ذلك له عند مالك .

قلت : فإن قال الذى عليه الدين : أن على أموالا لقوم غيب قال : لا يصدق إذا لم يكن أقر بذلك قبل التفليس .

كتاب الكفالة والحمالة :

ما جاء فى الحميل بالوجه يغرم المال :

قلت لابن القاسم : أرأيت إن تكفل رجل بوجه رجل ـ أى باحضاره ـ إيكون هذا كفيلا بالمال فى قول مالك أم لا ؟

قال قال مالك : من تكفل بوجه رجل إلى رجل فإن لم يأت به غرم .

كتاب الحوالة :

فى الرجل الذى يحال بحقه على رجل فيموت المحال عليه ؟

قلت : أرأيت الحوالة ، أيكون للذى احتال بحقه على رجل إن ما شاهدوا المحال عليه فلم يجد عنده شيئا أيكون للذى له الحق أن يرجع على الذى أحاله بحقه أم لا فى قول مالك ؟

قال : قال مالك : إن كانت إحالة الذى أحاله وله على المحال عليه دين ولم يغره من فلس ، فلا يرجع عليه .

قال : قال مالك : وإن كان غره ، أو لم يكن له عليه شىء ، فإنه يرجع على من أحاله إذا أحاله وليس له على الذى أحال عليه دين ، فإنما هى حمالة .

كتاب الرهن

فى الرهن يجوز غير مقسوم

قال سحنون : قلت لابن القاسم : ما قول مالك فى الرهن ، أيجوز غير مقسوم أم لا يجوز إلا مقبوضا ؟

قال : نعم يجوز غير مقسوم إذا قبضه صاحبه وحازه مع من له فيه شرك ، وكان يكريه ويليه مع من له فيه شرك فهو جائز ، وإن كان غير مقسوم ، وهذا قول مالك .

كتاب الغصب :

قلت لابن القاسم : أرأيت لو أنى كسرت صحفة لرجل كسرا فاسدا صيرتها فلقتين ، أو كسرتها كسراً غير مفسد ، أو كسرت له عصا ، أو شققت له ثوبا ؟

قال قال مالك : فى رجل أفسد ثوبا لرجل : إن كان الفساد يسيراً ، رأيت أن يرقوه ، ثم يغرم ما نقصه بعد الرفو ، وإن كان الفساد كثيرا ، فإنه يأخذ الثوب ويغرم قيمته يوم أفسده لرب الثوب وكذا المتاع مثل ما قال مالك فى الثوب فكل الذى سألته عنه هو عندى على مثل هذا المحمل .

كتاب الاستحقاق

فى الرجل يكرى الدار فيستحق الرجل بعضها أو بيتا منها

قلت : أرأيت إن اكتريت دارا فاستحق بعضها أو بيت منها ؟

قال : قال مالك : فى رجل ابتاع دارا فاستُحِقَّ بيت منها أو بعضها : قال : إن كان البيت الذى استحق منها هو أيسر الدار شأناً فأرى أن يلزم البيع ، ويرد من الثمن مبلغ قيمة ذلك البيت من

الثمن ، وإن كان الذى استحق منها نصفها أو جلها فإن أحب أن يردها كلها ردها وأخذ الثمن كان ذلك له ، وإن أحب أن يتماسك بما لم يُسْتَحَقّ منها على قدر قيمته من الثمن فذلك له .

كتاب الشفعة :

باب تشافع أهل الذمة :

قلت ـ لعبدالرحمن بن القاسم : هل لأهل الذمة شفعة فى قول مالك ؟

قال : سألت مالكا عن المسلم والنصرانى تكون بينهما الدار فيبيع المسلم نصيبه ، هل للنصرانى فيه شفعة ؟ قال : نعم ، أرى ذلك له ، مثل ما لو كان شريكه مسلما .

كتاب القسمة

جاء فى بيع الميراث

قلت ـ لعبدالرحمن بن القاسم : أرأيت لو أنى بعث مورثى من هذه الدار ، ولم أُسَمّ ما هو : أخمس أم ربع أم عشر أم نصف ، أيجوز هذا البيع ؟ قال : لا خير فى هذا البيع عند مالك .

كتاب الوصايا :

فى الرجل يوصى للرجل بعشر شياه من غنمه فتهلك غنمه إلا عشرة

قلت : فإن أوصى له بعشرة من هذه الغنم وهى مائة شاة ، فهلكت كلها إلا عشرة منها ، والثلث يحمل هذه العشرة . قال : فله العشرة كلها عند مالك قلت : فإن كانت هذه العشرة تعدل نصف الغنم لأنها أفضل الغنم ، أيعطيه إياها إذا كان الثلث يحملها ؟ قال : نعم .

كتاب الهبات :

فى الرجل يهب حنطة فيعوض عنها حنطة أو تمرا .

قلت : أرأيت لو أن رجلا وهب لى حنطة فعوضته منها بعد ذلك حنطة ، أو تمرا ، أو شيئا مما يؤكل ، أو يشرب ، مما يكال أو يوزن ؟

قال : لا خير فى ذلك ، لأن مالكا قال فى الهبة : إذا كانت حليا فلا يعوضه منها إلا عرضا ، فهذا يدلك على أن مالكا لا يجوز فى عوض الطعام طعاما . قلت : فإن عوضه قبل أن يتفرقا ؟ قال : لا بأس بذلك ، لأن الهبة بيع من البيوع فيعوضه مثل طعامه فى صفته وجودته .

كتاب الحبس والصدقة :

فى الحبس فى سبيل الله ـ تعالى .

قال سحنون : قلت لابن القاسم : أرأيت إن حبس ـ أى وقف الرجل فى سبيل الله فأى سبيل يكون هذا ؟

قال : قال مالك : سبيل الله كثيرة ، ولكن من حبس شيئا فى سبيل الله فإنما هو فى الغزو .

كتاب الوديعة :

فيمن خلط دراهم فضاعت :

قلت : أرأيت الدراهم إذا خلطها فضاع بعضها ، أيكون الضياع منهما جميعا ويكونا شريكين فيما بقى بقدر ما لهذا فيها ؟ قال : نعم إذا كان لا يقدر على أن يميز دراهم هذا من هذا .

وها هى ذى الكتب الباقية من المدونة مع ترك ذكر نماذج منها

كتاب حريم الآبار ـ كتاب الحدود فى الزنا والقذف ـ كتاب الرجم ـ كتاب الأشربة .

كتاب السرقة ـ فيمن سرق مصحفا أو شيئا من الطعام والفواكة :

قلت : أرأيت إذا سرق مصحفا .

قال يقطع .

قلت : أرأيت الطعام البطيخ واللحم والقثاء وما أشبهه من الطعام الذى لا يبقى ؟

قال : يقطع إذا بلغ ربع دينار فى قيمته .

كتاب المحاربين ـ كتاب الجراحات ـ كتاب الجنايات ـ كتاب الديات .

ما جاء فى الفارسين يصطدمان أو السفينتين :

قلت : أرأيت إذا اصطدم فارسان فقتل كل واحد منهما صاحبه ؟ قال : قال مالك : عقل ـ أى دية ـ كل واحد منهما على قبيلة صاحبه وقيمة فرس كل منهما فى مال صاحبه .

قلت : أرأيت إن كانت سفينتان صدمت إحداهما الأخرى فكسرتها فغرق أهلها ؟ قال مالك : إن كان ذلك من الريح غلبتهم أو شىء لا يستطعون حبسها منه ؛ فلا شىء عليهم ، وإن كانوا لو شاءوا أن يصرفوها صرفوها ؛ فهم ضامنون .

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه . والحمد لله رب العالمين .

البيوع

التى تضر بالدين

أ.د/ رمضان حافظ السيوطى (*)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين .

وبعد : فهذا بحث (موضوعه البيوع التى تضر بالدين) ولهذا الموضوع أهميته ؛ فإن الغالب فى هذه البيوع أن ضررها يرجع إلى الدين ، وليس للمال ، كالبيع عند أذان الجمعة ، وبيع الأخ على بيع أخيه ، وبيع العنب لمن يعصر خمراً ، وبيع السلاح لأهل الحرب ، سميت بهذه التسمية إذ الضرر منها حقيقة يرجع للدين ولايرجع للمال ، وقد أشار إلى هذا المعنى من طريق خفى ابن رشد حيث (الباب السادس : فى النهى من فعل وقت العبادات)[1] ، ولاشك أن النهى عن البيع عند أذان الجمعة إنما يتعلق ضرره بالدين وليس بالمال ، وكذا يقال فى البيع الذى يضر بالأنساب ، والبيوع التى تضر بالعقل ، والتى تضر بالأموال ، وهذا أقرب إلى حصر المسائل وفهم المقاصد ، والمقصود الأسمى هو معرفة الحرام كى يتجنبه المسلم ولايقع فيه .

والله الهادى إلى سواء السبيل

الفصل الأول

فى بيع الأصنام والأوثان والصلبان

- حكم بيعها .
- حكم بيعها إذا وقع .
- علة النهى عند بيعها وحكمة ذلك .

المبحث الأول

فى حكم بيع الأصنام والأوثان

إن حكم بيع الأصنام[2] والأوثان حرام شرعاً . قال صاحب (الفتح) : «باب بيع الميتة والأصنام» أى يحرم ذلك . ثم قال : « ويلتحق بها فى الحكم الصلبان التى تعظمها النصارى ، ويحرم نحت ذلك وصنعته »[3] .

دليل تحريم بيعها :

أما دليل تحريم بيعها فالكتاب والسنة والإجماع .

(*) الكاتب أستاذ الشريعة والقانون سابقاً .

(١) بداية المجتهد جـ٢ ص١٦٩

(٢) الأصنام جمع صنم . قال الجوهرى هو الوثن . وقال غيره :الوثن ما كان له جثة . والصنم ما كان مصوراً .

(٣) فتح البارى جـ٤ ص٢٢٤ .

أما الكتاب فقوله ـ تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٤] .

وجه الدلالة :

أن الله تعالى وصف الأنصاب ، وهى : ما نصب من صنم للعبادة بأنها من عمل الشيطان ، وأنها رجس وأمر باجتنابها ، وهذا يدل على حرمة بيعها .

أما السنة :

فحديث جابر ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع النبى ﷺ يقول : « إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام »[٥] .

وأما الإجماع : فقد أجمع المسلمون على حرمة بيع الجميع .

المبحث الثانى
فى حكم بيع الأصنام والأوثان والصلبان إذا وقع

لا خلاف بين العلماء فى أن بيع الأصنام والصلبان حرام شرعاً ، وإنما الخلاف بينهم فى بيعها إذا وقع . هل هو بيع باطل مطلقاً أم صحيح ؟ خلاف بينهم ، وفى هذه المسألة قولان :

القول الأول : أن بيعها باطل مطلقاً سواء كان ينتفع بها بعد كسرها أم لا ، وهو قول الجمهور . وحجتهم فى هذا أنها ليست ينتفع بها شرعاً . يقول ابن دقيق العيد : « وعدم الانتفاع يمنع صحة البيع »[٦] وعلى ذلك فيجب ردّ الثمن للبائع .

القول الثانى : الصحة وهو « قول الرويانى من الشافعية »[٧] قال عنه النووى : وهو قول شاذ .

القول الثالث : التفصيل . وهى إن كانت لاتعد مالا بعد كسرها فلا يجوز بيعها . وإن كانت تعد مالا بعد كسرها ؛ ففيها ثلاثة أوجه حكاها النووى . فقال :

« وان كان بعد رضاضها تعد مالا ففى صحة بيعها وبيع الأصنام والصور المتخذة من الذهب والفضة وغيرها ثلاثة أوجه : أصحها : البطلان . وبه قطع كثيرون .

والثانى : الصحة .

والثالث : وهو اختيار القاضى حسين فى تعليقه والمتولى والغزالى : أنه إن اتخذ من جوهر نفيس صح بيعها . وإن اتخذ من خشب ونحوه فلا »[٨] .

وقال صاحب الفتح : « إن كانت بحيث ينتفع برضاها[*] جاز بيعها عند بعض العلماء من الشافعية وغيرهم »[٩] .

والراجح من هذا : القول الثالث ، وهو أنها إن كانت ينتفع بها بعد كسرها صح بيعها مع الإثم ، فلو كانت مصنوعة من معدن نفيس أو مخلوطة بذهب أو فضة أو كانت من ذهب أو فضة خالصين صح البيع مع الإثم ؛ لأن ما فيها يعتبر مالا متقوما بعد كسرها .

(٤) الآية (٩٠) من سورة المائدة .

(٥) رواه الجماعة . نيل الأوطار ج٥ ص١٤٢ .

(٦) إحكام الأحكام لابن دقيق العيد جـ١ ص١٥٢ .

(٧) المجموع للنووى جـ٩ ص٢٤٤ .

(٨) المجموع جـ٩ ص٢٤٤ .

(*) كذا ، ويبدو ـ والله أعلم ـ أنه برضاضها .

(٩) فتح البارى جـ٤ ص ٤٢٦ .

المبحث الثالث

فى بيان علة النهى عن بيع الأصنام والصلبان

لقد بين العلماء علة النهى عن بيع الأصنام ، ويقاس عليها الصلبان . قال صاحب الفتح : « والعلة فى منع بيع الأصنام عدم المنفعة المباحة » . ثم قال : « فعلى هذا إن كانت بحيث إذا كسرت ينتفع برضاضها جاز بيعها عند بعض العلماء من الشافعية وغيرهم » .. ثم قال : « والأكثر على المنع حملا للنهى على ظاهرة » ثم قال : « والظاهر : أن النهى عن بيعها للمبالغة فى التنفير منها » ثم قال : « ويلتحق بها الصلبان التى تعظمها النصارى »[١٠] .

وقال ابن دقيق العيد : « وأما بيع الأصنام فلعدم الانتفاع بها على صورتها ، وعدم الانتفاع يمنع صحة البيع » . ثم قال :« وقد يكون منع بيعها مبالغة للتنفير منها »[١١] .

وقال الشوكانى : « والعلة فى تحريم بيعها عدم المنفعة المباحة ؛ فإن كان ينتفع بها بعد كسرها جاز عند البعض ومنعه الأكثر »[١٢] .

وقال الصنعانى : « وأما علة تحريم بيع الأصنام فقيل : لأنها لامنفعة فيها مباحة ، وقيل : إن كانت بحيث إذا كسرت ينتفع بأكسارها ــ جمع كسر ــ جاز بيعها ، ثم قال : والأولى أن يقال : لايجوز بيعها وهى أصنام للنهى . ويجوز بيع كسرها . إذ هى ليست بأصنام . ثم قال : ولا وجه لمنع بيع الأكسار أصلا »[١٣] .

وبعد : فيتضح لنا من أقوال الفقهاء أن فى علة النهى عن بيع الأصنام قولين :

القول الأول : أن علة النهى هى عدم المنفعة المباحة شرعاً ، وعليه فتكون العلة متعدية تشمل كل ما لا منفعة فيه فلا يجوز بيعه .

القول الثانى : أن علة النهى هى التحريم تنفيراً من بيعها .

أما حكمة النهى عن بيعها ؛ فإن فى بيعها إعانة على الشرك ، فهو ــ وإن لم يكن بيعها شركا وكفراً ــ فلا أقل من أن يكون معصية ، وأنها تضر البائع فى دينه ، وتعرضه لغضب الله ونقمته حيث اقترف ما نهاه عنه . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[١٤] .

الفصل الثانى

فى البيع عند أذان الجمعة

وفيه خمسة مباحث :

* فى حكم البيع عند أذان الجمعة ودليله .
* فى تحديد وقت حرمة البيع .
* فى بيان من يحرم عليه البيع .
* فى أقوال الفقهاء فى حكم البيع إذا وقع عند أذان .
* فى علة النهى عن البيع عند أذان الجمعة وبيان حكمته .

المبحث الأول

فى حكم البيع عند أذان الجمعة ودليل ذلك

أولاً : حكم البيع :

أجمع الفقهاء على أن البيع عند أذان الجمعة

(١٠) فتح البارى جـ٤ ص٤٢٦ .

(١١) إحكام الأحكام جـ٣ ص١٥٢ .

(١٢) نيل الأوطار جـ٤ ص١٦١ .

(١٣) سبل السلام جـ٣ ص٥ .

(١٤) الآية (٢) من سورة المائدة .

حرام ، وإن كانوا قد اختلفوا فى تحديد هذا الوقت الذى يحرم فيه البيع والشراء .

ثانياً : دليل حرمته :

قد ثبتت حرمته بالكتاب والإجماع .

أما الكتاب :

فقوله ـ تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١٥) .

وجه الدلالة :

أن الأمر فى قوله ـ تعالى ﴿ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ للوجوب ، وهو يقتضى حرمة البيع عند الأذان بنص الآية .

وروى السدى عن أبى مالك قال : كان يوم يجلسون فى بقيع الزبير فيشترون ويبيعون إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة ولايقومون ؛ فنزلت الآية :

﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ﴾(١٦) .

أما الإجماع :

فقد نقله إلينا ابن رشد وابن كثير . يقول ابن رشد : قوله ـ تعالى : ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ ـ وهذا أمر مجمع عليه فيما أحسب ـ فهى مع البيع عند الأذان الذى يكون بعد الزوال والإمام على المنبر(١٧) .

وقال ابن كثير : (اتفق العلماء ـ رضى الله عنهم ـ على تحريم البيع بعد النداء الثانى(١٨) .

فإن قيل : كيف يتحقق الإجماع على منع البيع عند أذان الجمعة وقد نقل الأبوسى عن (الأكمل فى شرح المنار) أن البيع مكروه كراهة تنزيهية ثم قال :

وكأنه مأخوذ من زعم القاضى الأسيمانى أن الأمر فى الآية للندب)(١٩) .

أقول :

والجواب عن هذا من وجوه :

الوجه الأول : أن الإجماع قد وقع قبله فلا تضر مخالفته له ، ولعل عذره أنه لم يطلع عليه .

الوجه الثانى : أن خلاف الأكمل والقاضى الأسيمانى خلاف شاذ عار عن دليل ، ومخالف لقواعد الأصول . إذ الأصل فى الأمر الوجوب ، ولايصرف عن الوجوب إلا بدليل ، ولا دليل عندهما على أن الأمر للندب .

ولهذا قال الألوسى : قول الأكمل إن الكراهة تنزيهية مردود . وقال : قول القاضى الأسيمانى إن الأمر فى الآية للندب زعم باطل ، فهذا الخلاف الشاذ لايضر الإجماع كما يقول السيوطى :

وليس كل خلاف قد جاء معتبراً .
إلا خلاف له حظ من النظر .

الوجة الثالث : أن المراد بالإجماع قول الأكثر فلا تضر مخالفة القليل النادر .

المبحث الثانى

فى تحديد الوقت الذى يحرم فيه البيع والشراء يوم الجمعة

أجمع الفقهاء على أن البيع والشراء وقت الجمعة

(١٥) الآية ٩ من سورة الجمعة .

(١٦) تفسير الطبرى جـ١٨ ص١٧ .

(١٧) بداية المجتهد جـ٤ ص١٦٩ .

(١٨) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٣٦٧ .

(١٩) تفسير الألوسى جـ٢٨ ص٩١ .

حرام ، لكنهم قد اختلفوا فى تحديد هذا الوقت الذى يحرم فيه البيع والشراء : هل هو الأذان الثانى ؟ أو الأول ؟ أو وقته بعد الزوال ؟ خلاف بينهم يتبين لنا هذا من نصوصهم الآتية :

الحنفية : قال صاحب الهداية :

(وإذا أذن المؤذن الأذان الأول ترك الناس البيع والشراء وتوجهوا إلى الجمعة لقوله ـ تعالى : ﴿ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ﴾ ، وإذا صعد الإمام المنبر جلس ، وأذن المؤذنون بين يدى الإمام ، ثم قال : بذلك جرى التوارث ، ولم يكن على عهد رسول الله ﷺ إلا هذا الأذان ، ثم قال : ولهذا قيل هو المعتبر فى وجوب السعى وحرمة البيع ثم قال : والأصح هو الأول إذا كان بعد الزوال لحصول الإعلام به)[٢٠] .

وقال الطحاوى : (وإذا زالت الشمس يوم الجمعة جلس الإمام على المنبر ، وأذن المؤذن بين يديه ، وامتنع الناس من البيع والشراء وأخذوا فى السعى إلى الجمعة)[٢١] .

الشافعية :

قال الخطيب : (ويحرم على من تلزمه الجمعة التشاغل بالبيع وغيره بعد الشروع فى الأذان بين يدى الخطيب حال جلوسه على المنبر ؛ لقوله ـ تعالى : ﴿.. يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ﴾ . ثم قال : فورد النص فى البيع وقيس عليه غيره)[٢٢] .

المالكية :

جاء فى (جواهر الإكليل) : (وفسخ بيع بأذان ثان أى عند الشروع فيه ، وهو الذى عقب جلوس الخطيب على المنبر إلى السلام من الصلاة)[٢٣] .

الحنابلة :

قال صاحب (الشرح الكبير) : (ولايحل البيع بعد نداء الجمعة قبل الصلاة . ثم قال : والنداء الذى يتعلق به المنع هو النداء عقب جلوس الإمام على المنبر . ثم قال : وحكى القاضى عن أحمد أن البيع يحرم بزوال الشمس ، وإن لم يجلس الإمام على المنبر)[٢٤] .

ابن حزم :

قال فى (المحلى) : (ولايحل البيع من نزول[*] الشمس من يوم الجمعة إلى مقدار تمام خطبتين والصلاة)[٢٥] .

وبعد ، فيتضح لنا من أقوال الفقهاء السابقة أن الوقت الذى يحرم فيه البيع يوم الجمعة فيه ثلاثة أقوال :

القول الأول :

أنه وقت الأذان الثانى الذى يكون بين يدى الإمام على المنبر . وهو قول المالكية والشافعية والحنابلة ، وقول الطحاوى من الحنفية .

القول الثانى :

أنه وقت الأذان الأول بشرط أن يكون بعد الزوال . وهو الأصح عند الحنفية .

(٢٠) شرح فتح القدير جـ٢ ص٦٩ .

(٢١) مختصر الطحاوى ص٣٤ .

(٢٢) الإقناع للخطيب جـ١ ص١٥١ .

(٢٣) الجواهر والإكليل على خليل جـ١ ص٩٩ .

(٢٤) المغنى والشرح الكبير جـ٤ ص ٣٩ ، ٤٠ .

(*) كذا ويبدو أن المراد ـ والله أعلم : زوال .

(٢٥) المحلى جـ٩ ص٦٤٧ .

القول الثالث :

أنه بعد الزوال وإن لم يجلس الإمام على المنبر . وهو قول لأحمد كما حكاه عنه القاضى ، وقول ابن حزم .

الأدلة :

دليل الجمهور : استدلوا بما يلى :

أن سبب نزول آية : (وذروا البيـع) مبين للوقت الذى يحرم فيه البيع ، فعن إسماعيل السدى عن أبى مالك قال : كان قوم يجلسون فى بقيع الزبير فيشترون ويبيعون إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة ولا يقومون ، فنزلت .

﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾[٢٦] .

فهذا الوقت الذى أمر فيه بالسعى للجمعة وحرمة البيع فيه عند الأذان الثانى الذى يكون بين يدى الإمام على المنبر ، أما الأذان الأول فلم يكن موجوداً عند نزول الآية ، وإنما حدث فى عهد عثمان ـ رضى الله عنه .

فعن السائب بن يزيد قال : كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبى ﷺ وأبى بكر وعمر فلما كان زمن عثمان ـ رضى الله عنهم ـ وكثر الناس زاد النداء الثانى على الزوراء[٢٧] .

دليل القول الثانى :

استدل الحنفية على أن الوقت الذى يحرم فيه البيع هو عند الأذان الأول بعد الزوال :

أولاً : أن الأذان الأول هو الـذى يحصل به الإعلام ، وأن البيع والشراء عنده يفـوت على المصلى أداء السنة وسماع الخطبة ، وربما تفوته الجمعة إذا كان بيته بعيداً من الجامع[٢٨] .

ثانياً : أن الأذان المعروف الآن على المئذنة ونحوها يوجب السعى إلى الصلاة ويحرم عنده البيع ، لأنه نداء مشروع ، والآية عامة فلم تخصه بالأذان الذى بين يدى الخطيب[٢٩] .

دليل القول الثالث :

لم يذكر صاحب (الشرح الكبير) دليلاً على قول أحمد القائل بأن وقت حرمة البيع بعد الزوال وإن لم يجلس الإمام على المنبر ، ولعل دليله هو أن الحرمة متعلقة بالوقت . ووقت الجمعة إنما هو بعد الزوال ، وأما الأذان فهو إعلام فقط بدخـول وقتها ، فالتحريم تعلق بالوقت لا بالنداء ، فالنداء ليس مقصوداً لذاته وإنما هو مقصود لغيره وهو الصلاة .

بيان القول الراجح :

أقول : والراجح من حيث النظر والأثر ما ذهب إليه الجمهور ، وهو حرمة البيع أو الشراء عند الأذان الثانى الذى يكون بين يدى الخطيب ، وذلك لما يلى :

أولاً : أن الأصل الذى أنيط به وجوب السعى للجمعة وحرمة البيع هو الأذان الثانى الذى كان فى عصر النبوة ، أما الأذان الأول فلم يكن فى عصر النبـى ﷺ ، وإنما استحـدث فى عصر عثمان ـ رضى الله عنه ـ نقل هذا عن الطحاوى وهى حنفى المذهب : قال :

---

(٢٦) تفسير الطبرى جـ١٨ ص١٧ .
(٢٧) شرح فتح القدير جـ٢ ص٦٩ .
(٢٨) الفقه على المذاهب الأربعة جـ١ ص٣٧٦ .
(٢٩) الفقه على المذاهب الأربعة جـ١ ص٣٧٧ .

(المعتبر الأذان عند المنبر بعد خروج الإمام، فإنه هو الأصل الذى كان للجمعة على عهد رسول الله ﷺ، وكذلك فى عهد أبى بكر وعمر. ثم قال: وهو اختيار شيخ الإسلام)(٣٠).

ثانياً: قول الحنفية إن الآية عامة فى تحريم البيع عند سماع الأذان ـ سواء كان الأذان الأول أو الثانى ـ غير مسلم؛ لأن سبب نزول الآية مبين ومخصص للمراد من الأذان، وهو الثانى الذى يكون بين يدى الخطيب..

أما الأذان الأول ففيما يكن موجوداً عند النهى، وهذا هو دليل التخصيص، فالقول بالعموم غير مسلم لوجود ما يخصصه أو ما يدل على أنه غير عام.

ثالثاً: قول أحمد بأن حرمة البيع تعلقت بما تعد الزوال فى الرواية الثانية عنه قول ضعيف وغير مسلم، قال عنه صاحب (الشرح الكبير): (ولايصح هذا، لأن الله ـ تعالى ـ علقه على النداء لا على الوقت، ولأن المقصود بها إدراك الجمعة، وهو حاصل بما ذكرنا دون ما ذكروه.

ثم قال: ولأنه لو اختص تحريم البيع بالوقت لما اختص بالزوال، فإن ما قبله وقت أيضاً)(٣١).

المبحث الثالث

فى بيان من يحرم عليه البيع عند أذان الجمعة

اختلف الفقهاء فيمن يحرم عليه البيع وقت نداء الجمعة:

هل هو من يجب عليه السعى لها؟

أو كل مؤمن ولو لم تجب عليه؟

خلاف بينهم، وإليك أقوالهم:

المالكية:

قال ابن رشد: قال مالك: (وأما على من يفسخ(*) فعند مالك على من تجب عليه الجمعة، لا على من لا تجب عليه)(٣٢).

وقال (صاحب الجواهر): (وفسخ بيع وقع ممن تلزمه الجمعة ولو مع من لم تلزمه)(٣٣).

الحنفية والشافعية:

قالوا: (لايحرم البيع الا على من تجب عليهم الجمعة)(٣٤).

الحنابلة:

قال صاحب (الشرح الكبير): (ولا يحل البيع بعد نداء الجمعة قبل الصلاة لمن تجب عليه الجمعة.

ثم قال: فأما من لا تجب عليه الجمعة من النساء والمسافرين غيرهم فلا يثبت فى حقه هذا الحكم.

ثم قال: وذكر ابن أبى موسى فيه روايتين لعموم النهى، ثم قال: فإذا كان المسافر فى غير المصر أو كان مقيما بقرية لا جمعة على أهلها لم يحرم البيع ولم يكره وجها واحداً، فإن كون أحدهما مخاطباً بالجمعة دون الآخر حرم على المخاطب وكره للآخر لما فيه من الإعانة على الإثم. ثم قال: ويحتمل أن يحرم(٣٥) لقوله ـ تعالى: ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾(٣٦).

---

(٣٠) شرح فتح القديو جـ٢ ص٦٩. ومختصر الطحاوى ص ٣٤

(٣١) المغنى والشرح الكبير جـ٤ ص٣٩، ٤٠.

(٣٢) بداية المجتهد جـ٤ ص١٦٢.

(*) ويعنى فسخ البيع فساده لتحريمه فى هذا الوقت.

(٣٣) الجواهر والإكليل جـ١ ص٩٩.

(٣٤) الفقه على المذاهب الأربعة ج٢ ص٣٧٦.

(٣٥) المغنى والشرح الكبير جـ٤ ص٣٧٦.

(٣٦) الآية ٢ من سورة المائدة.

مذهب أهل الظاهر :

قال ابن حزم : (ولا يحل البيع من نزول الشمس من يوم الجمعة . ثم قال : لا لمؤمن ، ولا لكافر ، ولا لامرأة ، ولا لمريض)[٣٧] .

وقال ابن رشد ـ حاكياً مذهبهم أيضا : (فأما أهل الظاهر فتقضى أصولهم أنه يفسخ على كل بائع)[٣٨] .

وبعد : فيتضح لنا مما سبق أن فى المخاطب بتحريم البيع عند نداء الجمعة قولين :

القول الأول :

أن المخاطب بالتحريم هو من تجب عليه الجمعة ، وهو قول جمهور الفقهاء .

القول الثانى :

أن المخاطب بالتحريم كل مسلم ولو لم تجب عليه الجمعة ، وهو قول الظاهرية وفى رواية عن الحنابلة رواها ابن أبى موسى .

الأدلة :

استدل الجمهور القائل بأن المخاطب بتحريم البيع عند نداء الجمعة هو من تجب عليه الجمعة بما يلى :

قال صاحب (الشرح الكبير) : (إن الله ـ تعالى ـ إنما نهى عن البيع من أمره بالسعى فغير المخاطب بالسعى لا يتناوله النهى .

ثم قال : لأن تحريم البيع معلل بما يحصل به من الاشتغال عن الجمعة ، وهذا معدوم فى حقهم)[٣٩] .

دليل أصحاب القول الثانى :

القرآن : قال ـ تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾[٤٠] .

وجه الدلالة :

عموم النهى فى الآية لكل مخاطب .

وقال ابن حزم : (برهان صحة قولنا قول الله ـ تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ .

ثم قال ابن حزم : فيهما آمران :

السعى إلى ذكر الله ـ تعالى ـ وترك البيع . فإذا أسقط أحدهما بنص ورد فيه كالمريض والخائف والمرأة والمعذور لم يسقط الآخر إذ لم يوجب سقوطه قرآن ولا سنة ـ وجب إلزام الكفار لقوله ـ تعالى :

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[٤١] .

بيان القول الراجح :

والراجح من حيث النظر هو قول الجمهور القائل بأن تحريم البيع مختص بمن تجب عليه الجمعة لما يلى :

أولاً : أن هذا الحكم وهو حرمة البيع عند النداء معقول المعنى ، وهو أن الاشتغال بالبيع قد يفوت على المكلف الصلاة ، وهذا المعنى معدوم فى حق من لم تجب عليه الجمعة .

(٣٧) المحلى جـ٩ ص٦٤٧ .

(٣٨) بداية المجتهد جـ٤ ص ١٦٩ .

(٣٩) المغنى والشرح الكبير جـ٤ ص٤٠ .

(٤٠) الآية (١١) سورة الجمعة .

(٤١) الآية (٤٩) من سورة المائدة

ثانياً : دعوى العموم فى الآية غير مسلمة ؛ بل الأمر بترك البيع عند النداء خاص بمن أمر بالسعى ، وهذا ما يقتضية السياق وهو توحيد الضمائر ، وجعل المخاطب بالسعى هو المخاطب بترك البيع ، وهو أولى من القول بأن الضمير فى (اسعوا) خاص والضمير فى (وذروا) عام لأنه يلزم عليه تفكك الضمائر والتغاير بينها من غير دليل ؛ بل قام الدليل على خلافه ، وهى علة النهى القاضية بأن المخاطب بترك البيع هو المأمور بالسعى للجمعة ، وليس هو كل مؤمن ولو كان عبداً أو امرأة أو مسافراً أو مريضاً ..

المبحث الرابع
فى حكم البيع عند نداء الجمعة إذا وقع

اختلف الفقهاء فى حكم البيع عند نداء الجمعة إذا وقع ، فبعضهم قال بصحته مع الإثم ، وبعضهم قال ببطلانه . وهاك أقوالهم :

الحنفية :

قال صاحب الهدية : (والبيع عند أذان الجمعة . قال – تعالى : ﴿ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ﴾ ثم قال : وكل ذلك يكره ولا يفسد به البيع ؛ لأن الفساد فى معنى خارج زائد ، لا فى صلب العقد ، ولا فى شرائط الصحة)[٤٢] .

المالكية :

جاء فى شرح الرسالة لابن زروق ما نصه : (فإن باع من تلزمه فثالثها المشهور فسخه ما لم يفت بحوالة سوق فأعلى ، فإن فات مضى بالثمن عند المغيرة وسحنون ، وبالقيمة عن ابن القاسم وغيره .

ثم قال : وروى عن ابن وهب إن باع استغفر ، ولا شيء عليه .

وقال عبدالملك : لا يفسخ إلا إذا اعتاد ذلك[٤٣] .

الشافعية :

جاء فى (تكملة المجموع) ما نصه : (إن النهى عن البيع وقت النداء لما لم يرجع إلى ذات العقد لم يقتض الفساد)[٤٤] .

الحنابلة :

جاء فى الشرح الكبير ما نصه : (لا يحل البيع بعد نداء الجمعة قبل الصلاة لمن تجب عليه الجمعة لقوله – تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ﴾ .

ثم قال : فإن باع لم يصح البيع للنهى عنه[٤٥] .

الظاهرية :

جاء فى (المحلى) : (وكل بيع وقع فى الوقت المذكور – يعنى منذ نزول الشمس – فهو مفسوخ)[٤٦] .

وبعد : فقد اتصح لنا من نصوص الفقهاء السابقة أن البيع وقت نداء الجمعة إذا وقع فيه قولان :

القول الأول : أن البيع صحيح مع الإثم . وهو

(٤٢) شرح فتح القدير جـ٤ ص٢٤١ .

(٤٣) شرح الرسالة لابن زروق جـ١ ص٢٤٥ .

(٤٤) تكملة المجموع جـ١١ ص ٢٧٨ .

(٤٥) المغنى والشرح الكبير جـ٤ ص ٣٩ .

(٤٦) المحلى جـ ٩ ص ٤٤٧ .

قول الحنفية والشافعية وقول ابن وهب من المالكية .

القول الثانى : أن البيع باطل ويفسخ ، وهو قول المالكية والحنابلة والظاهرية .

سبب الخلاف :

قد بين صاحب (المقدمات) سبب الخلاف بين الفقهاء ؛ فقال : (ما طابقه النهى ولم يخل فيه بشرط من الشرائط المشترطة فى صحته مثل البيع وقت الجمعة ، وبيع حاضر لباد . وما أشبه هذا من البيوع فيختلف أهل العلم فيها إذا وقعت على قولين : فمن رأى أن النهى لايقتضى فساد المنتهى عنه لم يفسخها . وإن كانت السلعة قائمة . ومن رأى أن النهى يقتضى فساد المنهى عنه فسخها إن كانت قائمة ، وإن كانت فاتت رد قيمتها ، وكان رد قيمتها كَرَدِّ عينها ، ثم قال : وفى هذا النوع من البيوع قول ثالث :إنها تفسخ ما كانت السلعة قائمة فإن فاتت مضت بالثمن ولم ترد إلى القيمة)[٤٧] .

الادلة :

استدل أصحاب القول الأول القائلون بأن البيع عند نداء الجمعة صحيح مع الإثم ، وهم : الحنفية والشافعية وبعض المالكية بما يلى :

الدليل الأول :

ما ذكره (صاحب الهداية) فقال : (لايفسد البيع لأن الفساد فى معنى خارج زائد لا فى صلب العقد ، ولا فى شرائط الصحة)[٤٨] .

وقال صاحب (تكملة المجموع) : (إن النهى عن البيع وقت النداء لم يرجع إلى ذات العقد فلم يقتض الفساد فليس البيع منهيا عنه أصلاً ؛ بل هو من حيث هو مباح والبيع وقت الجمعة منهى عنه لاشتماله على التفويت)[٤٩] .

الدليل الثانى :

القياس وهو أن البيع وقت النداء كالصلاة فى الأرض المغصوبة . قال الآلوسى : (وعامة العلماء على صحة البيع ، وأن حرمة نظيره ما قالوه فى الأرض المغصوبة ، أو فى الثوب المغصوب)[٥٠] .

دليل أصحاب القول الثانى :

استدل المالكية والحنابلة القائلون بأن البيع عند نداء الجمعة باطل ، ويجب فسخه بما يلى :

أن الله ـ تعالى ـ نهى عن البيع وقت نداء الجمعة ، والنهى يقتضى الفساد .

بيان القول الراجح :

أقول : والراجح ـ فى نظرى والله أعلم ـ القول القائل بصحة البيع مع الإثم ، وذلك لما يلى :

أولاً : أن هذا البيع قد استوفى ركنه وشرطه ، وإنما كان الفساد لأمر خارج عن ذات العقد .

ثانياً : أن القول بأن النهى يقتضى الفساد ليس على إطلاقه ؛ فإن علماء الأصول قالوا : إذا كان النهى لذات المنهى عنه اقتضى البطلان، كالزنا ، وإن كان لخارج عنه ، غير ملازم ، لا يقتضى البطلان ، والبيع عند النداء ليس منهياً عنه لذاته ، وإنما لخارج عنه وهو وقوعه وقت نداء الجمعة .

(٤٧) المقدمات لابن رشد البيوع الفاسدة جـ٢ ص٥٤٠ .

(٤٨) شرح فتح القدير جـ٤ ص ٢٣٩ .

(٤٩) تكملة المجموع جـ١١ ص ٢٧٨ .

(٥٠) تفسير الألوسى جـ٢٨ ص٩١ .

المبحث الخامس
فى بيان علة النهى عن البيع عند أذان الجمعة

علة النهى عن البيع والشراء وقت أذان الجمعة هى الخوف من ضياع الصلاة للانشغال بالبيع والشراء . وكل ما يؤدى إلى ترك واجب أو فعل محرم يجب اجتنابه محافظة على الواجبات وبعداً عن المحرمات . ولذا قال صاحب (الشرح الكبير) من الحنابلة : (ولأن تحريم البيع معلل بما يحصل به من الانشغال عن الجمعة)(٥١) .

وقال الكمال مبيناً حكمة النهى : (إن البيع والشراء عنده (يعنى الأذان) يفوت على المصلى أداء السنة وسماع الخطبة ، وربما تفوته الجمعة إذا كان بيته بعيداً من الجامع)(٥٢) .

وبعد :

فقد وضح لنا من هذا أن حكمة النهى عن البيع وقت أذان الجمعة سواء كان هذا البيع عند الأذان الأول أم الثانى أو بعد الزوال : هى الخوف على المسلم من ضياع الصلاة ، ولاشك أن ضياع الصلاة على المسلم ضرر فى دينه ونقص فى إيمانه . يقول (عليه الصلاة والسلام) : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليسع إلى الجمعة ، ومن استغنى عنها بلهو أو تجارة استغنى الله عنه ، والله غنى حميد »(٥٣) .

وقال ﷺ :

(لينتهين أقوام يسمعون النداء يوم الجمعة ثم لا يأتونها أو ليطبعن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين)(٥٤) .

أقول :

ولاشك أن الانشغال عن الجمعة ضرر للمؤمن فى دينه كما أوضحته السنة المطهرة .

- يتبع -

---

(٥١) المغنى والشرح الكبير جـ٤ ص٤٠ .

(٥٢) شرح فتح القدير جـ٢ ص٦٩ .

(٥٣) ، (٥٤) رواهما الطبرانى ، راجع الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى جـ١ ص٥٠٨ .

زكاة المدين في الشريعة الإسلامية

د/ أحمد محمود كريمة

١- المدين بدين العباد

اتفق فقهاء الشريعة الإسلامية على أن المدين بدين ـ أو أكثر ـ للعباد ـ أفراداً أو مؤسسات وما ماثلها ـ فإن كان الباقى من ماله بعد الدين يبلغ النصاب الشرعى (حوالى ٨٤ غرام من الذهب بسعر اليوم الذى يريد إخراج الزكاة فيه) وحال عليه الحول (مرور سنة قمرية كاملة) فإنه تجب عليه الزكاة (فى الباقى بعد الدين) .

واختلفوا فيما لو كان الدين مستغرقاً لجميع المال أو ينقصه عن النصاب . وذلك على أقوال أشهرها ثلاثة :

القول الأول : لا تجب الزكاة فى مال مثل هذا المدين . قال بهذا الحنفية والشافعى فى القديم وأحمد فى رواية[١] .

القول الثانى : تجب الزكاة فى مال مثل هذا المدين . قال بهذا الشافعى فى الجديد والظاهرية[٢].

القول الثالث : تجب الزكاة فى الأموال الظاهرة لمثل هذا المدين ، ولا تجب فى الأموال الباطنة قال بهذا المالكية وبعض الشافعية وأحمد فى رواية[٣].

الأدلة

استدل أصحاب القول الأول على ما ذهبوا إليه بدليل السنة والأثر والمعقول :

أولًا ـ دليل السنة النبوية : حديث معاذ ـ رضى الله عنه ـ لما قال له الرسول ﷺ حينما بعثه إلى اليمن : « .. فأخبرهم أن الله ـ تعالى ـ قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم .. »[٤].

وخبر : « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى »[٥] .

وجه الدلالة : الصدقة تجب على الأغنياء ،

(١) فتح القدير ١٦٠/٢ ، المجموع ٣١٧/٥ ، المغنى ٦٧/٣.
(٢) المجموع ٣١٧/٥ ، المحلى ١٠١/٦ .
(٣) حاشية الدسوق ٤٥٩/١ ، المغنى ٦٧/٣ .
(٤) صحيح البخارى رقم ١٤٩٦ .
(٥) صحيح البخارى رقم ١٤٢٦ .

والمدين ليس بغنى ، فهو فى حاجة إلى سداد دينه ؛ فإذا سدده لا يكون مالكاً للنصاب الذى يتحقق به الغنى وتجب به الزكاة .

ثانياً ـ دليل الأثر : ما روى أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ قال : « هذا شهر زكاتكم ، فمن كان عليه دين فليؤده حتى تخرجوا زكاة أموالكم »[٦].

وجه الدلالة : أمر عثمان المدين قضاء دينه ثم يخرج الزكاة بعد ، وعليه فإن كل الباقي بالغ النصاب . ففيه الزكاة ، وإلا فلا ، وقد قاله بمحضر من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ولم ينكروا عليه[٧]*.

ثالثاً ـ دليل المعقول: بوجوه منها :

ا ـ المدين محتاج إلى المال لسداد دينه دفعاً للضرر فكان ماله فى حكم المعدوم شرعاً ، كالماء المحتاج إليه لشربه أو لشرب نفس محترمة[٨].

ب ـ الزكاة تجب شكراً لله ـ تعالى ـ ومواساة للفقراء ، ومن المعروف أن المدين محتاج إلى قضاء دينه كحاجة الفقير بل أشد ، وليس من الحكمة ولا من المعهود شرعاً تقديم حاجة الغير على حاجة النفس .

● استدل أصحاب القول الثانى على ما ذهبوا إليه من إيجاب الزكاة على المدين بدليل النقل (النص) والعقل :

أولًا: دليل النقل (النصوص القرآنية ، والأحاديث الصحيحة النبوية) الدالة على وجوب الزكاة : مثل قوله ـ تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[٩]. وقوله ﷺ : « وإيتاء الزكاة »[١٠].

وجه الدلالة : النصوص الشرعية الدالة على وجوب الزكاة لم تفرق بين مدين وغيره[١١].

ثانياً ـ دليل العقل ـ بوجوه منها :

أموال المدين مملوكة له تمكنه من التصرف فيها ، ومادامت كذلك وجبت فيها الزكاة[١٢] .

● استدل أصحاب القول الثالث على ما ذهبوا إليه من وجوب الزكاة فى الأموال الظاهرة للمدين وعدم وجوبها بالنسبة للأموال الباطنة على النحو التالى :

أولًا : بالنسبة لعدم وجوبها فى الأموال الباطنة : أدلة القول الأول .

ثانياً : فيما يتعلق بوجوبها فى الأموال الظاهرة : بدليل السنة والمعقول :

١ ـ دليل السنة : ثبت أن رسول الله ﷺ وخلفاءه من بعده بعثوا السعاة لأخذ الزكاة ممن وجبت عليهم بشروطها ، وذلك مما يجدوه ظاهراً .

وجه الدلالة : إن السعاة لم يسألو المزكين عن الدين ، فكان هذا دليلا على وجوبها على المدين[١٣].

٢ ـ دليل المعقول : أن تعلق الزكاة بالأموال الظاهرة يجعل وجوب الزكاة فيها آكد لظهور الأموال وتعلق قلوب الفقراء بها .

(٦) موطأ مالك ٢٤٧/٣ .
(٧) المغنى ٦٧/٣ ، * ويكون اجماعا .
(٨) شرح العناية ١٦٠/٢ .
(٩) سورة البقرة ، الآية ٤٣ .
(١٠) متفق عليه عن ابن عمر .
(١١) المحلى ١٠١/٦ .
(١٢) المجموع ٣١٧/٥ .
(١٣) المغنى ٦٨/٣ ، المقدمات لابن رشد ٢٠٨/٢ .

المناقشة

يناقش أصحاب القول الأول بما يلى :

مناقشة دليل السنة : العبرة بالغنى إنما بحسب الظاهر ، والمدين غنى بهذا الاعتبار ، والصدقة تحتمل صدقة التطوع ، وهى خارجة عن محل النزاع .

يجاب : ملك المدين فى هذه الحال ملك ناقص أو فى حكمه ؛ لأن الدائن مستحق لدينه ، وبعد أخذه يصير المدين فقيراً أو فى حكمه ، فكذلك الحال مع وجود المال تحت يده[١٤].

والصدقة حين تطلق يراد بها الزكاة ، قال الله ـ تعالى :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[١٥]

● مناقشة دليل الأثر : أثر عثمان منقطع فلا يصح الاحتجاج به ، وإن سلم عدم انقطاعه فهو موقوف على عثمان ، وهو قول صحابى فى حجيته خلاف .

● يناقش أصحاب المذهب الثانى بما يلى :

أن النصوص الموجبة للزكاة خرج من حكمها المدين للأدلة التى ساقها أصحاب القول الأول فتكون من قبيل العام الذى دخله التخصيص . وما استدلوا به من دليل المعقول : أن ملك المدين ملك غير تام لأن الدائن مستحق الوفاء لدينه ، ولاشك أن الدين يؤدى ـ غالباً أو عادة ـ من المال .

● يناقش أصحاب القول الثالث بما يلى :

لم ينقل نص شرعى ولم يقم دليل عقلى يعتد به على التفرقة بين المال الظاهر والمال الباطن .

● الرأى المختار : وبعد عرض هذه الأقوال بالأدلة والمناقشة ، فقد اتضح لى رجحان القول الأول من عدم إيجاب الزكاة فى المال الذى يستغرقه الدين أو ينقصه عن النصاب لما يلى :

ـ قضاء الدين ولو استغرق المال كله أولى وأهم ، وهو المجمع عليه فيما يتعلق بالحقوق فى تركة الميت فقَبل تقسيمها بين الورثة تقضى منها الديون ولو استغرقتها فكذا هنا ـ لتحقيقه مصلحة ، والمصالح معتبرة شرعاً .

٢ ـ المدين بدين الله تعالى

إن كان الإنسان مديناً بدين لله ـ تعالى ـ ، فإن كان الباقى من المال بعد أداء حقوق الله ـ تعالى ـ يبلغ نصاباً فلا خلاف فى وجوب الزكاة .

وإن كان الباقى قلّ عن النصاب فهل تجب الزكاة على المدين أم لا ؟ اختلفت كلمة الفقهاء فى ذلك على أقوال ، أشهرها قولان :

القول الأول : تجب الزكاة على مثل هذا المدين . قال بهذا الحنفية والمالكية والشافعية ـ على المعتمد ـ والحنابلة ـ فى أحد الوجهين[١٦].

القول الثانى : لا تجب الزكاة على مثل هذا المدين . قال بهذا الحنابلة[١٧] .

(١٤) شرح العناية ١٦٠/٢ .
(١٥) الآية ١٠٣ من سورة التوبة .

(١٦) حاشية ابن عابدين ٢٦١/٢ ، المجموع ٣١٨/٥ ، تحفة المحتاج ٣٧/٣ .
(١٧) المغنى ٦٩/٣ .

الأدلة

استدل أصحاب القول الأول بدليل المعقول :

الزكاة آكد من الدين المذكور لتعلقها بعين المال ، ولا يسوى بين دين العباد ودين الله ـ تعالى ـ فى هذا ، لتوجه المطالبة بدين العباد .

● استدل أصحاب القول الثانى على ما ذهبوا إليه بدليل السنة والمعقول : ما روى أن « رجلا جاء إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن أمى ماتت وعليها صوم شهر ، أفأقضيه عنها ؟ قال : نعم فدين الله أحق أن يقضى »(١٨).

وجه الدلالة : أن دين الله ـ تعالى ـ أحق بالوفاء .

المناقشة

يناقش أصحاب القول الثانى بما يلى :

ما قالوه غير مسلّم ـ فى وجه الدلالة ـ بإطلاقه ؛ لأن الزكاة من حقوق الله ـ تعالى ـ فكانت أولى بالوفاء ، وتترجح على غيرها من ديون الله ـ تعالى ـ بتعلق حق الفقراء بها .

● الرأى المختارة ما ذهب إليه الجمهور ـ أصحاب القول الأول ـ من وجوب الزكاة على المدين بدين لله ـ تعالى ـ لقوة ما استدلوا به ، وتحقيقه مصالح معتبرة شرعاً .

والله أعلى وأعلم

---

(١٨) صحيح البخارى الحديث رقم ١٩٥٣ ـ باب من مات وعليه صوم .

حقيقة التأمين.. وأركانه.. وأنواعه

للدكتور/ عبدالله مبروك النجار

٣

تعريف المصلحة :

والمصلحة فى التأمين يمكن تعريفها : بأنها فائدة جدية ومشروعة للمؤمن له من عدم تحقق الخطر المراد التأمين منه ، وهذا التعريف يلقى قبولًا من الفقه ، لكن هذا القبول العام لم يتوافر حول انطباق هذا التعريف على حالات التعويض من الأضرار والتأمين على الأشخاص ، ونبين ذلك فى فرعين :

الفرع الأول
المصلحة فى التأمين من الأضرار

اتفق فقهاء القانون على أن المصلحة ركن رابع فى التأمين من الأضرار ، بجانب الخطر والقسط ومبلغ التأمين[١٨] ، وتتوافر هذه المصلحة بالنسبة للمؤمن فى العلاقة المالية بينه وبين محل التأمين بصرف النظر عن القيمة المالية لهذا المحل ، ولا يجب أن يفهم من نص المادة (٧٤٩ مدنى) الذى يشير إلى وجود مصلحة اقتصادية مشروعة تعود على الشخص من عدم وقوع خطر معين ، عدم إمكان تصور وجود مصلحة أدبية للشخص على التأمين من الأضرار[١٩] ، إذ كثيراً ما يؤمن الأشخاص على أشياء عديمة القيمة المالية من الأضرار التى تلحقها ، لأن لهم تعلقاً بها[٢٠] ، ومع ذلك فإن المشكلة الحقيقية التى دفعت المشرع للإشارة إلى المصلحة الاقتصادية هو ما يكتنف إثبات المصلحة الأدبية من صعوبات ، والرأى الراجح فى الفقه أنه يجوز التأمين من الكسب الفائت بثلاثة شروط[٢١] .

---

(١٨) د . أحمد شرف الدين ــ ص ٢٥٥ وما بعدها ، د . خميس خضر ــ فقرة ٢٧٩ ، د . توفيق فرج ــ فقرة ٥٤ ــ د . محمد حسام ــ السابق ، د . عبد المنعم البدراوى ــ فقرة ١٩٥ ، د . محمد على عرفه ــ ص ٦٢ وما بعدها ، د . عبد الرازق فرج ــ ص ٨٧ بيكار وبيسون ــ ص ٥٦ وما بعدها وراجع :
Bout : Ie driot Assuances Edition PUF Quc Sais je?, P. 65 et.s

(١٩) د . محمد حسام ــ ص ٢٢٧ ، د . أحمد شرف الدين ــ فقرة ١٩٧ ، د . خميس خضر ــ فقرة ٢٨ .

(٢٠) راجع فى جواز توافر المصلحة الأدبية : بيكار وبيسون ــ فقرة ٢٦٩ ، وفى جواز التأمين على حياة الزوج والأقارب حتى الدرجة الثانية ، ولو كانت مصلحة المؤمن عليه أو المستفيد مصلحة غير مالية ، راجع د . أحمد شرف الدين ــ ص ١٩٠ وما بعدها ، وقد قضت المحاكم الأمريكية بصحة التأمين الذى تبرمه امرأة على حياة خطيبها مستندة إلى أن الخطبة تعتبر سبباً معقولًا لتوقع الحصول على فائدة مالية من استمرار حياة خطيبها ، راجع : د . عبد الودود يحيى ــ ص ٩٦ هامش ١ .

(٢١) الوسيط للسهورى ــ السابق ــ فقرة ٧٥٩ ، د . حسام الأهوانى ــ ص ٩٣ ومابعدها ، د . محمد حسام لطفى ــ ص ٢٢٧ ، بيكار وبيسون ــ فقرة ١٨٣ ، د . أحمد شرف الدين ــ ص ١٨٦ .

أولها : الاتفاق على ذلك صراحة بين الأطراف ، فإذا تخلف الاتفاق اقتصر أثر التعويض على الضرر الذى وقع بالفعل .

ثانيهما : أن يكون الكسب محققاً ونهائياً ، والمثال التقليدى لهذا الشرط ، هو التأمين على المزروعات من خطر الصقيع ، حيث يستهدف المؤمن له تسويقها بعد جنيها ، فإذا أصابها الصقيع وجب تعويضه عن الضرر الذى حدث ، والربح المؤمل الذى فات .

ثالثها : أن تعين عناصر الكسب الفائت بدقة فى العقد . وإذا تعين ذلك ، وانتهينا إلى جواز التأمين من الضرر الواقع والربح الفائت ، يبقى أن نعرف أصحاب المصلحة فى التأمين من الأضرار ، وقد رأينا أن كل من يرتبط بشىء ذى قيمة معينة مالية أو أدبية ، يكون بها صاحب مصلحة مباشرة أو غير مباشرة فى عدم تحقق الخطر بشأنه ، يمكن أن يبرم عقد التأمين من الأضرار عن هذا الشىء[٢٢] ، وبهذا يمكن اعتبار أصحاب الحقوق العينية الأصلية والتبعية ، لهم مصلحة جدية وأكيدة فى التأمين على الشىء ، وتجعله حريصاً على بقائه[٢٣] ، ويجوز للدائن المرتهن أن يبرم عقد تأمين على الشىء المرهون إذا كان مؤمناً عليه من مدينه بالفعل ، حيث إن له مصلحة فى ذلك لتجنب سقوط حق مدينه فى التأمين لأى سبب من الأسباب ، فهو يضمن بالوثيقة التى يبرمها حصوله على دينه عند هلاك المال المرهون ، ولا يكون للدائن المرتهن مصلحة فى التأمين على الشىء المرهون إذا كان هناك دائنون آخرون يتقدمون عليه فى الترتيب فى استيفاء حقوقهم ، وقد نصت على ذلك صراحة المادة (١/٧٧٠ ، ٢ مدنى مصرى) بقولها : إذا كان الشىء المؤمن عليه مثقلًا برهن حيازى أو تأمينى أو غير ذلك من التأمينات العينية ، انتقلت هذه الحقوق إلى التعويض المستحق للمدين بمقتضى عقد التأمين إذا شهرت هذه الحقوق ، أو أعلنت إلى المؤمن ، ولو بكتاب موصى عليه ، فلا يجوز له أن يدفع ما فى ذمته للمؤمن له إلا برضاء الدائنين ، ورغم ورود هذا النص بشأن التأمين على الحريق ؛ إلا أنه لاخلاف فى سريانه على كل أنواع التأمين[٢٤] .

الفرع الثانى
المصلحة فى التأمين من الأشخاص

رأينا أن هناك شبه إجماع من الفقه على أن

(٢٢) د . محمد حسام – ص ٢٢٨ ، د . أحمد شرف الدين – ص ١٧١ ، الوسيط للسنهورى – فقرة ٧٥٧ ، بيكار وبيسون – فقرة ٢٦٩ ، ويدخل فى هؤلاء المالك وصاحب حق الانتفاع ، ومالك الرقبة والدائن العادى (حيث يستطيع أن يؤمن نفسه من إعسار المدين ، وهو ما يسمى بتأمين الثقة أو التوى) والدائن ذى الحق العينى على عين معينة ، والتأمين لحساب الغير ، والتأمين لحساب من يثبت له الحق فى ملكيته وقت وقوع الكارثة ، راجع : د . عبد الرازق حسن فرج – ص ٩٥ وما بعدها ، د . أحمد شرف الدين – ص ١٧٩ وما بعدها ، وفى جواز تأمين الربح المنتظر – ص ١٨٤ وما بعدها .

(٢٣) د . محمد حسام لطفى – ص ٢٢٨ المرجع السابق – ص ٢٢٩ – وراجع د . عبد الودود يحيى – العقود المسماة – ص ٢٢٦ .

(٢٤) د . حسام الأهوانى – ص ٩٥ ، د . محمد حسام لطفى – ص ٢٢٩ ، د . عبد الحى حجازى – فقرة ٨٠ ، د . توفيق فرج ، ص ٦١ ، د . عبد الرازق حسن فرج – ص ٩٨ .

المصلحة تعتبر ركناً أساسياً فى التأمين على الأشياء ، وهى تتمثل فى كل مصلحة اقتصادية يهدف المؤمن بها إلى بقاء الشىء المؤمن عليه ، ولكن التساؤل قد أثير حول ما إذا كان للمصلحة نفس صفة الركنية فى التأمين على الأشخاص ؛ فذهب رأى فى الفقه إلى القول : بأن المصلحة لاتعتبر ركناً فى التأمين على الأشخاص بصفة عامة ، وفى التأمين على الحياة بصفة خاصة ، وإلى أنها لازمة فى حالة التأمين على الأشياء ، وهذا ما أخذ به المشرع فى قانون التأمين الفرنسى ، إذ أورد المصلحة بين النصوص الخاصة بعقد التأمين على الأشياء ، ونص فى المادة (٥٧ منه) على بطلان التأمين على حياة الغير بدون رضائه كتابة ، أو إذا كان قاصراً لم يبلغ عمره الثانية عشرة أو كان محجوراً عليه أو مختل العقل ، أو محجوزاً فى مستشفى للأمراض العقلية[٢٥] (مادة ٥٨) .

وذهب رأى أخر إلى التمييز فى تأمين الأشخاص ، بين تأمين الشخص على حياة نفسه والتأمين على حياة الغير ، ففى حالة التأمين على حياة الشخص مصلحة فى المحافظة على حياة نفسه أو على سلامته الجسدية ، أو صحته تكون واضحة ، أما فى حالة التأمين على حياة الغير فتبدو المصلحة عنصراً لازماً فى التأمين ، لأن انعدام المصلحة هنا قد يدفع المؤمن له إلى إيقاع الخطر المؤمن منه طمعاً فى مبلغ التأمين ، ولكن المشرع فى سبيل الحيلولة بين المؤمن له ، وبين إيقاع الخطر بالمؤمن عليه ، جعل من الاعتداء على حياة الغير ، المؤمن عليه سبباً لحرمان المستفيد من التأمين (المؤمن له) من مبلغ التأمين ، كما أنه اشترط فى حالة التأمين على حياة الغير موافقة هذا الغير كتابة قبل إبرام العقد .

والراجح فى الفقه أن المصلحة فى التأمين على الأشخاص تعتبر عنصراً فى التأمين ، كما هو الشأن بالنسبة للتأمين على الأشياء ، بدليل أن المشرع حين نص فى المادة (٧٤٩) على شرط المصلحة ، أورد هذا النص فى الأحكام العامة لعقد التأمين ، فينطبق على كل أنواع التأمين ، سواء منها تأمين الأشياء أو تأمين الأشخاص[٢٦] .

ومما يرجح ذلك : أنه فى التأمين على حياة الغير ، يجب أن يهتم القانون من ناحية بوضع الوسائل الكفيلة بتنبيه المؤمن على حياته إلى المخاطر التى يتعرض لها ويمنع المؤمن له أو المستفيد من استعجال وفاة الغير المؤمن عليه[٢٧] ، ومن ناحية أخرى بفرض شروط تباعد هذا التأمين عن نطاق المضاربة غير المشروعة[٢٨] ، ذلك أنه إذا لم يكن للمؤمن له أى مصلحة فى استمرار حياة المؤمن

---

(٢٥) د . أحمد شرف الدين ـ السابق .

(٢٦) من هذا الرأى : د. عبد الحى حجازى ـ فقرة ٨٦ ، د . عبد المنعم البدراوى ـ فقرة ٢٠٠ ، د . حسام الأهوانى ـ ص ٩٧ وما بعدها ، د . توفيق فرج ـ ص ٦٢ ، د . عبد الرازق فرج ـ ١٠٠ ، د . أحمد شرف الدين ص ١٩٢ ، د . محمد على عرفه ، ص ٢٢٨ وقارن : ماذهب إليه الدكتو السنهورى من عدم اعتبار المصلحة فى التأمين على الأشخاص ؛ بشرط الموافقة الكتابية للمؤمن على حياته لأن هذه الموافقة تدل على أن المؤمن عليه لا يخشى تسبب المؤمن له أو المستفيد فى وفاته عمدا ، راجع : الوسيط ـ السابق ـ فقرة ٥٦٤ ، وفقرة ٧٠٦ ، بيكار وبيسون ـ فقرة ١٨١ .

(٢٧) د . محمد على عرفه ـ ص ٢٢٦ .

(٢٨) د . حسام الأهوانى ـ ص ١٠١ ، د . أحمد شرف الدين ـ ص ١٩٤ .

عليه ، فلن يصيبه أى ضرر من وفاته ، فيجد مجالًا واسعاً للمضاربة على هذه الحياة ، كأن يؤمن عليها بمبلغ كبير ، أو يعدد التأمين عليها لدى مؤمنين مختلفين مؤملًا أن يتحقق الخطر بوفاة المؤمن عليه ، خاصة إذا كان متقدماً فى العمر أو كانت احتمالات وفاته أكبر من احتمال حياته ، فيكسب المؤمن له مبلغ التأمين دون أن تسبب الوفاة له أى ضرر ، ومما قد يشجعه على ذلك أن المبدأ التعويضى لا يعمل به فى مجال التأمين على الأشخاص ، فالمؤمن له هنا كالمقامر أو المراهن يعمل على وقوع الخطر ، أو يتمنى وقوعه ، لأن هذا يجلب له ربحاً دون خسارة ، فى حين أن عدم وقوعه يسبب له خسارة دون ربح ، ولا يؤثر فى هذه المضاربة رضاء المؤمن عليه بها ، لأنه قد يوافق على الاشتراك فيها مع المؤمن له فى مقابل مبلغ يدفعه له هذا الأخير ، وإذن فشرط المصلحة يحقق حماية وقائية لحياة الغير طالما أن المؤمن له لن يستفيد من عقد التأمين ، حتى ولو لم يثبت تعمده قتل المؤمن عليه ، متى كان هذا العقد باطلًا بطلاناً مطلقاً منذ البداية لعدم توافر محله وهو مصلحته فى استمرار حياة الغير المؤمن عليه(٢٩) .

وبهذه الإعتبارات مجتمعة ؛ يمكن تفسير نصوص القانون المصرى ، على أنها تشترط لصحة التأمين على حياة الغير ، فضلا عن موافقته الكتابية ، توافر مصلحة المؤمن له أو المستفيد فى بقاء المؤمن عليه حياً(٣٠) .

نوع المصلحة :

والمصلحة فى التأمين على الأشياء كما قلنا يجب أن تكون مصلحة اقتصادية لما لهذا النوع من التأمين من صفة تعويضية ، ومع هذا فإنه فى التأمين على الأشخاص قد يتصور وجود هذه المصلحة ، فقد يكون للمتعاقد مصلحة اقتصادية فى بقاء المؤمن على حياته عند إبرام عقد التأمين ، ففى التأمين على حياة الغير يكون للزوجة مصلحة فى بقاء زوجها الذى ينفق عليها ، وللدائن مصلحة فى بقاء مدينه إذا كان يعتمد فى استيفاء حقه على عمل يقوم به المدين لدى المؤمن له ، وقد يكفى توافر المصلحة الأدبية أو المعنوية كما سبق أن رأينا .

ويشترط أن تكون المصلحة جدية ، فإذا ذكر فى وثيقة التأمين أن للمؤمن له مصلحة فى بقاء المؤمن على حياته ، ثم اتضح من الظروف ما يخالف ذلك كان التأمين باطلا ويترك تقدير هذا للقضاء(٣١)

وقت وجود المصلحة :

.. ونظرا لقيام شرط المصلحه على اعتبارات تتصل بالنظام العام ، فإنه يلزم توافر هذا الشرط ، سواء وقت إنعقاد العقد أو أثناء مدته ، فإذا تخلف هذا الشرط وقت إبرام العقد فإنه يقع باطلا بطلاناً مطلقاً ، ولا ينتج أى أثر من آثاره ، ويستطيع كل ذى مصلحة أن يطلب إبطاله ، ويتعين رد المتعاقدين إلى الحالة التى كانا عليها قبل التعاقد ، أما

(٢٩) د . أحمد شرف الدين ـ ص ١٩٥ .

(٣٠) المرجع نفسه ، د . محمد على عرفه ـ ص ٢٢٨ .

إذا توافر شرط المصلحة وقت إنعقاد العقد ، ولكنه تخلف فيما بعد ، فإن العقد ينعقد ، ويظل صحيحاً فترة وجود المصلحة ، ولكنه ينقضى منذ لحظة زوالها[٣٢] ، كما لو أمن الزوج على زوجته بصفتها هذه ثم يحدث الطلاق بينهما فتزول هذه الصفة ، ينقضى عقد التأمين تبعاً لذلك ، أو أن يؤمن الدائن على حياته مدينه ثم يستوفى حقه منه ، فهنا تزول مصلحة الدائن فى التأمين فينقضى العقد ، ومتى انقضى العقد بقوة القانون فإن التزام المؤمن له بدفع الأقساط اللاحقة يسقط ، ولكنه لا يستطيع أن يسترد ما دفعه من أقساط عن المدة السابقة على زوال المصلحة ، فهذه الأقساط كانت مقابل تحمل المؤمن تبعة الخطر بناء على عقد صحيح خلال هذه المدة[٣٣] .

والخلاصة : أنه يتعين أن تكون المصلحة شرطاً أو ركناً فى عقد التأمين أياً كان نوعه ، وأن المصلحة هى التى تكفل التمييز بين التأمين والمقامرة أو الرهان ، ويجب أن تكون المصلحة جدية ، وإلا انقلب العقد إلى مضاربة غير مشروعة[٣٤] .

المبحث الثانى

أنواع التأمين وتقسيماته

للتأمين أنواع مختلفة ، ومن هذه الأنواع ما يرجع إلى شكل التأمين ، أو الفن المتبع فى إدارة نظامه ، ومنها ما يرجع إلى موضوعه ، وسوف نبين أنواع التأمين من خلال هذا التأصيل وذلك فى مطلبين :

المطلب الأول ـ التقسيم الفنى للتأمين :

وأساس هذا التقسيم كما سبق ، هو الشكل الذى تتخذه هيئة التأمين فى إدارة عمليات التأمين ، فينقسم إلى تأمين تعاونى ، وتأمين بقسط ثابت (التأمين التجارى) .

أولا ـ التأمين التعاونى :

فى هذا النوع من التأمين يتفق مجموعة من الأشخاص فيما بينهم على تعويض الأضرار التى قد تصيب أحدهم عند تحقق خطر معين ، وهذا النوع من التأمين لا تقوم به هيئة مستقلة ، وإنما يقوم به المؤمَّن هم أنفسهم ، ولا يهدف إلى تحقيق ربح .

فالأشخاص المنتفعون به هم الذين يقومون بدور المؤمن والمؤمن لهم ، أما فى التأمين بقسط ثابت ، فإن الذى يقوم بالتأمين فيه شركة من شركات التأمين التى أوجب فيها القانون رقم (١٩٥ لسنة ١٩٥٩) أن تتخذ شكل الشركة المساهمة ، ولهذا التأمين سمات هى :

أولا : من سمات هذا النوع من التأمين أن مقدار ما يدفعه المشترك فيه لا يتخذ طابع الثبات ، وذلك أن مقدار ما يدفعه كل عضو من المشتركين يتوقف على عدد الحوادث التى تقع خلال السنة ومن ثم فإنه يزيد بزيادتها وينقص بنقصانها ، وعلى هذا الأساس فإن كل عضو لا يعلم مقدار ما سيلتزم به مقدماً ، وإذا أضير أحد الأعضاء المشتركين فى هذا النوع من التأمين فإن المستأمن لا يأخذ إلا جزءاً من التعويض .

---

(٣٢) د. أحمد شرف الدين ـ ص١٩٦ ، وقارن : د. عبدالحى حجازى ـ ص١٠٣ .

(٣٣) د. حسام الأهوانى ـ ص١٠٢ ، د. محمد على عرفة ـ ص٦٤ وما بعدها ، د. محمد حسام ـ ص٢٣٤ ، د. عبدالودود يحيى ـ التأمين على الحياة ـ ص٩٤ .

(٣٤) د. توفيق فرج ـ فقرة ٧١ ، د. محمد حسام ـ ص٢٣٥ .

على إحصاءات معينة ، فإذا تبقى منه شيء فإنه يعتبر بمثابة احتياطي يمكن أن يستغل لمواجهة الأخطار والكوارث التي يعجز الحد الأقصى عن تغطيتها .

أما في التأمين بقسط ثابت ، فإنه يحدد به مقدماً مقدار ما سيدفعه كل مشترك .

ثانياً : ومن سمات هذا النوع من التأمين أنه يقوم على فكرة التضامن بين الأعضاء المؤمنين ، فالموسر من الأعضاء يتحمل نصيب المعسر ، ومن المؤكد أن التأمين بقسط ثابت لا يوجد فيه تضامن بين المؤمن لهم ، ويعتبر المؤمن وحده هو الملزم بدفع مبلغ التعويض عند تحقق الخطر المؤمن منه . وذلك لاستقلال المؤمن عن المؤمن له في هذا النوع من التأمين[٣٥] .

نقاط الاتفاق بين النظامين :

ومع وجود تلك الفروق بين هذين النوعين من التأمين ، فإن العمل قد قارب بينهما ، واستعار كل منهما من الآخر بعض مميزاته ، فقلت الفوارق بينهما .

فالتأمين التعاوني أصبحت الأقساط تحدد فيه بصورة ثابتة إلى حد كبير يمكن به مواجهة المخاطر دون طلب زيادة ، مع استخدام المبالغ الزائدة كاحتياطي يلجأ إليه عند الحاجة ، وقد بدأ التأمين التعاوني من هذه الناحية يتحول إلى تأمين ذي قسط ثابت .

ومن ناحية أخرى فقد تأثر التأمين بقسط ثابت ببعض مزايا التأمين التعاوني حين قرر اشتراك المستأمنين في الأرباح وذلك في التأمين على الحياة ؛ وهذا يقترب من نظام التأمين التعاوني ، حيث يسترد الشركاء الفائض عما يغطي الكوارث في حالة استخدام هذا الفائض في تكوين احتياطي .

المطلب الثاني ـ التقسيم الموضوعي للتأمين :

وينقسم التأمين من حيث الموضوع إلى تأمين بري ، وبحري ، وجوي ، وإلى تأمين الأضرار وتأمين الأشخاص ، وإلى تأمين خاص ، وتأمين اجتماعي .

أولا ـ التأمين البري والبحري والنهري والجوي :

من المعروف أن التأمين البحري هو أقدم أنواع التأمين ، ويهدف هذا النوع من التأمين إلى تغطية مخاطر التأمين البحري الخاصة بالسفينة ، أو بحمولتها من البضائع ، ولا يدخل فيه تأمين الأشخاص المعرضين لمخاطر البحر ، وينظم هذا النوع من التأمين المواد من (١٧٣ ـ ٢٣٤) من قانون التجارة البحري ، ويدرس ضمن مؤلفات القانون البحري .

أما التأمين النهري فإنه يهدف إلى تأمين مخاطر النقل في الأنهار والترع العامة بالنسبة للسفينة أو

(٣٥) د. حسام الأهواني : ص٢٢ ، د. أحمد شرف الدين ـ ص٢١ ، د. عبدالرزاق السنهوري ـ ص١٠٩٩ ، د. عبدالودود يحيى ـ ص١٨ ، د. أحمد شرف الدين ـ السابق ص٢١ ، بيكار وبيسون فقرة ٢٠ ، محمد كامل مرسي ، ص٢٩ ، د. محمد علي عرفة ـ ص٢٤ ، د. عبدالمنعم البدراوي ـ فقرة ٢١ ، د. محمد حسام ـ ص٤٢ ، د. عبدالرازق حسن فرج ـ ص٢٠ وما بعدها .

حمولتها من البضائع ، وهذا النوع من التأمين يسرى عليه ما يسرى على التأمين البحرى من أحكام وذلك عن طريق القياس .

وأما التأمين البرى فإنه يغطى المخاطر التى تحدث فى البر ويشمل كل عمليات التأمين مطروحاً منها ما كان متعلقاً بالتأمين البحرى والنهرى والجوى[٣٦] .

وأما التأمين الجوى فهو وارد على خطر النقل بالطائرات من ناحية التأمين على الطائرة أو حمولتها ، وقد ظهر فى القرن العشرين ويدخل ضمن دراسة موضوعات القانون الجوى .

ثانياً ـ تأمين الأضرار :

١ ـ أما تأمين الأضرار : فإنه يهدف إلى تعويض الشخص عن ضرر يصيبه إذا ما تحقق خطر معين ، وهو يشمل نوعين من التأمين :

النوع الأول ـ تأمين الأشياء :

وهو يهدف إلى تعويض المؤمن له عن خسارة تلحق بأحد أمواله ، ولا يوجد فيه فى العادة سوى طرفين هما : المؤمن والمؤمن له ، وهو ذاته المستفيد ، ومنه التأمين ضد الحريق أو السرقة أو الصقيع أو الإعسار أو موت الماشية[٣٧] .

النوع الثانى ـ التأمين من المسئولية :

وهو يهدف إلى حماية المؤمن له من دعاوى التعويض التى قد يرفعها الغير عليه بسبب الضرر الذى يسأل عنه ، أى أنه يؤمن الشخص ضد سلوك خاطىء يمكن أن يسأل عنه مستقبلا ، ويطلب التأمين على مسئوليته عنه فى حدوده ، ومع ذلك فإنه قد يحدد موضوع المسئولية عند إبرامه عقد التأمين كما هو الشأن فى حالة التأمين على العين المستأجرة من الحريق (م ٥٨٤) مدنى ، ففى هذه الحالة الأخيرة يخضع موضوع التأمين من المسئولية لكونه محدداً لقاعدة التخفيض النسبى ، كما هو الحال فى التأمين على الأشياء .

والمؤمن هنا يدفع مبلغ التعويض المقضى به بدلاً من المؤمن له[٣٨] .

وذلك كالتأمين من حوادث السيارات ، وحوادث العمل وحوادث النقل البرى ، وفى هذا النوع من التأمين ثلاثة أطراف هم : المؤمن ، والمؤمن له ، والمستفيد ..

ويلاحظ أن موضوع التأمين من المسئولية غير محدد فى الغالب ولا يمكن فيه معرفة نتائج المسئولية مقدماً ، ولهذا يقوم المستأمن بتحديد مبلغ معين

يتبع

(٣٦) السنهورى ص١١٥٦ ، د. حسام الأهوانى ص٢٣ ، د. أحمد شرف الدين ص٢٢ ، د. عبدالرازق فرج ـ ص٢٣ ، د. عبدالمنعم البدراوى ـ فقرة ١١٦ ، د. محمد كامل مرسى ص٢٤ ، د. عبدالرازق فرج ـ ص٢٣ ، د. عبدالمنعم البدراوى ـ فقرة ١١٦ ، د. محمد كامل مرسى ـ ص٢٤ ، د. أحمد شرف الدين ـ ص٢٢ ، بيكار وبيسون ـ فقرة ١٨ .

(٣٧) د. عبدالمنعم البدراوى ـ فقرة ١٢٠ ، د. أحمد شرف الدين ـ ص٢٤ ، وراجع له كتاب : عقود التأمين وضمان الاستثمار ـ فقرة ٤ ، ٥ .

(٣٨) د. عبدالمنعم البداروى ـ السابق ، د. حسام الدين الأهوانى ـ ص٢٧ ، د. السنهورى ـ فقرة ٥٦٥ ، طبعة ١٩٦٤م ، د. أحمد شرف الدين ـ ص٢٥ .

محاسبة النفس

فضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن
دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ سورة الشمس

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦ إِذْ يَتَلَقَّى
ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ ﴾ سورة ق

كثيرا ما تكون النفس البشرية راضية مرضية صادقة أبية مؤمنة تقية ، تراقب الله سرا وعلانية فى كل قول وفعل ؛ فهى موصولة بالله لاتعبد إلا إياه ولا تزل لأحد سواه ، لإيمانها بأن من طلب العز بغير الله ذل ، وليقينها بأنه لا ملجأ من الله إلا إليه ، ولا اعتماد إلا عليه ، ولعلمها بأن الله هو الواحد الأحد الفرد الصمد ، وهو الذى نقف بين يديه لنقول « إياك نعبد وإياك نستعين » بقلوب ضارعة خاشعة قانتة لله وحده لا شريك له .

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ
۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ
يُحْيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾

سورة الشعراء

ولكن قد تكون النفس خداعة لصاحبها تصرفه عن مواطن النقص فيها حتى يرضى عنها وينصرف عن معالجة أمراضها ، وبهذا يعيش أنانيا شحيحا طامعا ، كل همه أن يشبع نهمه فلا يرضى بالقليل ولا يقنع بالكثير ، وقد استعاذ رسول الله ﷺ من نفس لا تشبع ، لأن الانسان قد أوجده الله على ظهر هذه الأرض ليعيش لنفسه ولوالديه ولولده ولبلده وللأقربين وللناس أجمعين :

وصفوة الناس من الورى رجل
تقضى على يده للناس حاجات
قد مات قوم وما ماتت فضائلهم
وعاش قوم وهم فى الناس أموات

وذلك لأن خير الناس أنفعهم للناس ، ولا خير فيمن لا ينفع نفسه ولا نفع غيره .

« خيركم من طال عمره وحسن عمله ، وشركم من طال عمره وساء عمله » .

ومن رحمة الله بالناس أن جعل لهم باب المتاب مفتوحا ليراجع المرء نفسه بنفسه بضمير حىّ يقظ ، ونفس أوّابة لوامة توابة ، وإحساس وجدانى قوى ، ووازع دينى نقى ، يعاتب ويراقب ويحاسب النفس على ماقدمت وأخرت قائلا لها :

« يا نفس قد بعت القرب من إلهك .. بثمن بخس حقير هالك » .

ورحم الله من شبه النفس بالطفل فقال :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

ولو أن كل ذى عقل سليم وتفكير قويم حاسب نفسه ونهاها عن هواها لاستقام الأمر واستتب الأمن ، فإن لم يتغلب عليها بهداها غلبته بهواها .

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾

سورة النازعات .

وكثيرا مايكون المرء راضيا عن نفسه ، وهى ليست أهلا للرضا ، ومن رضى عن نفسه فى أخطائها كثر الساخطون عليه ، لأنه لم يراقب أعمالها الباطنة والظاهرة ، فخلط عملا صالحا وآخر سيئا ، ومن لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ ، من أجل هذا طَالَبَنَا ديننا بضبط النفس عند الغضب لكيلا تبطش بخصمها وتنزل به الأذى ، وهو غير قادر على دفع هذا الشر عن نفسه .

أى الإسلام أفضل ؟

وقد سئل رسول الله ﷺ : أى الإسلام أفضل ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

وعن عبدالله بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » . رواه البخارى .

وفى رواية : قالوا : أى الإسلام أفضل ؟ قال « من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

وفى هذا الحديث الشريف اختبار للنفس ، وامتحان لها فى أقوالها وأفعالها ، امتحان للمسلم الذى يقول : أسلمت وجهى لله رب العالمين ، ومن قال هذا لا بد أن يكون محسنا ، والإحسان هو « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك » وذلك بأن يترك المسلم هوى نفسه ابتغاء مرضاة الله ليكون رضاه أحب إليه من والديه وولده ونفسه التى بين جنبيه ، إذا تم له هذا فقد أسلم ذاته لله إسلاما صادقا لا خداع فيه ولا ريْب .

والله يقول : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة لقمان

والمعنى أن يقول المسلم لنفسه : أسلمت ذاتى وجوارحى وقواى كلها لربى الله ، فلا أتصرف إلا بما يرضيه وحده ؛ فهو مالكها وخالقها وبيده ملكوت كل شىء ، فلا أغفل عن ذكره وشكره وحسن عبادته وكريم طاعته .

والتوبة انتصار على النفس :

التوبة لغة : الرجوع ، وشرعا : الندم على المعصية مع العزم الصادق على عدم العودة إليها إذا قدر على ذلك « إنما الأعمال بالنيات » ، ونية المرء خير من عمله ؛ فمن تاب من شرب الخمر وإدمان المخدرات لمرض أصابه أو ضعف حل بأعصابه أو عقله أو لإتلاف مال فليس توبة إلى الله ، ولكن التوبة ندم على المعصية التى اقترفها وارتكبها خوفا من آثار المعاصى الكريهة التى تنأى بالإنسان عن ربه اتباعا لخطوات الشيطان ، واحتراما للإيمان

واتباعا للصراط المستقيم ، وطمعا فى مغفرة التواب الرحيم ، القائل : ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ ، والذى يقول :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ . سُورَةُ التَّحْرِيمِ

والتوبة النصوح تقرب العبد من ربه وهو غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى .

متى تحقق الإيمان الصادق من شخص تحقق عليه حكمه ، وهو عصمة النفس والمال ، وهى حق للمسلم « أى العصمة » على سائر المسلمين فلا يعتدى مسلم على أخيه المسلم فى نفسه أو ماله ، ولقد أوجب الله للمسلم حقوقا تكفل القرآن الكريم والسنة المطهرة ببيانها ، وكلها تضع الحواجز بين النفس ونزواتها وهواجسها ووساوسها ؛ فلا شذوذ ولا شرود ولاعدوان على القواعد والحدود لأن المؤمنين إخوة متحابون متعاونون على البر .

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ سُورَةُ الحُجُرَاتِ

والإسلام يعلم المسلمين أنه « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وتلك هى المشاعر الكريمة التى لا تقبل طمعا ولا جشعا ولا طغيانا ولا عدوانا ، لأن الحق أحق أن يتبع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الآية ٩٠ من سورة النحل .

وهذه هى الشمائل الإسلامية التى تصنع الكمال فى نفوس الأبرار وقلوب الأخيار ﴿ وأولئك هم خير البرية ﴾ ، ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ الآية ٢٥ من سورة الإسراء .

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ الآية ١١ من سورة المجادلة .

نفس أمارة بالسوء :

لا ريب أن من النفوس نفسا شريرة خبيثة مدمرة لصاحبها تنأى به عن كل فضيلة وتجره إلى كل رذيلة ؛ فاللوم سجيتها والغدر طبيعتها ، فهى تكذب إذا حدثت وتخلف إذا وعدت وتخون إذا ائتمنت ، تحب المال الحرام لتستحوذ عليه بأية وسيلة وتقتنيه بأية حيلة بالخيانة أو الرشوة أو بالنصب والسلب أوالغصب والغش أو بالسطو ليلا أو نهارا ؛ فنرى فى الصحف ذئابا بشرية تفترس أعراضا أحيانا بغير حياء من الله أو من الناس بلا دين يردع ولا ضمير يمنع ؛ لأن الشيطان قد استحوذ عليهم فأنساهم ذكر الله وأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون .

والنفس الشريرة مصابة بالنفاق والخداع والتضليل ، وقول الزور وقسوة القلب وفقدان العفة والرحمة ، فليس من بينها صغير يوقر كبيراً ، ولا كبير يرحم صغيراً ولو كان يتيماً ضعيفاً ، والنفس الأمارة بالسوء نزاعة للمداهنة ، ميالة للضر والأذى ، تحترف الشر والفجور فهى عدوانية شيطانية حاقدة جاحدة تعيش فى وحدة تنغص عيشها ، فلا تألف ولا تؤلف : فهى فى غمٍّ دائم وحزن مؤلم وهم لا ينقطع ، ولا علاج من هذه العلل إلا بالعودة إلى الله ، واستقامة الحياة ، والإقلاع عن العيوب ، وعدم الرجوع إلى

الذنوب ومطاردة الشيطان والهوى ، ورحم الله القائل :

وخالف النفس والشيطان واعصهما
وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصماً ولا حكما
فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

الضمير حارس أمين :

أقام الإسلام الوازع الدينى (الضمير الحى) حارساً أميناً على تصرفات المسلم فى جميع شئونه وأحواله : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » ، وفى « وخالق الناس بخلق حسن » دليل كمال الأدب مع الآخرين ، ومن الخلق الحسن الحلم والأناة ، ومن الحلم مقابلة خشونة الألسنة باللين وغلظة القول بالرفق ، بأن تقول للمخطىء : إن الصواب فى غير ما نطقت به وأن الحق فى غير ما رأيت ، أو تقول للمفسد : إن الخير فى غير ما أتيت بدل قول سيىء يؤذيه فيستبدل بتعبير كريم يبعده عن اللغو أو التنابز بالألقاب وينأى به عن الإثم ليقتبس غيره منه أخلاقاً سامية ، ومما لا ريب فيه أن الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من جليس السوء ، فلا خير فى مجلس لا يتعاون جلساؤه على البر والتقوى ، ويتعانون على الإثم والعدوان كالقدح فى الأعراض والسعى بالنميمة ويبذرون أوقاتهم فى ارتكاب الاثم ؛ لأنهم لا يعرفون للوقت قيمته .

والعبد مسئول عن عمره : فيم أفناه ؟ وعن شبابه : فيم أبلاه ؟ وعن ماله : من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن عمله : ماذا عمل به ؟ ، فلنتق الله قبل فوات الأوان ، والعمر هو الفرصة الوحيدة للعمل ، وليس بعد انتهاء الأجل عمل يباشره العبد :

﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾

[سورة هود الآيات : ١٠٥ ـ ١٠٨]

والصبر دواء نفسى :

ما أعظم الإسلام فى عقيدته وشريعته ، ما أكمل نظامه وهدايته ، وما أكرم أخلاقه ، وما أجل رسالته ودعوته ؛ لأنه دين أكمله الله .... أكمل به الملة ، وأتم به النعمة ، فلا يقبل تعطيلًا ولا تعديلًا ولا تبديلًا :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾

[سورة المائدة آية : ٣]

استعينو بالصبر والصلاة :

الصبر قوة كبرى يحتملها أهل العزيمة الصادقة ولا يقدر المهازيل على احتمالها .

﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾
[سورة لقمان]

أما بعد

فنقول للباحثين عن العزة والرفعة والجاه :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾

[سورة فاطر الآية : ١٠]

خلق المسلم

بقلم الدكتورة/ فاطمة عمر نصيف(*)

عناية القرآن والسنة بالأخلاق

إن رسالة الإسلام من الكمال والجمال والعظمة والشمول والسمو بحيث شملت كل حقائق الوجود ، وتضمنت كل الكمالات الإنسانية فى كل جوانب الحياة ، بل وفى كل شعيرة من شعائر هذا الدين العظيم ؛ فأصبحت بعظمتها خاتمة الرسالات السماوية واستحقت بجدارة هذا الشرف .

ومع هذه العظمة يظهر واضحاً أن الأخلاق الفاضلة ، والكمالات الإنسانية قد احتلت مكاناً مرموقاً ومنزلة عالية رفيعة فى هذا الدين ، يؤكد ذلك التوجيهات القرآنية والنبوية الكثيرة التى شغلت حيزاً كبيراً من الكتاب والسنة والسيرة العطرة ؛ حتى صارت الأخلاق عنواناً لرسالة الإسلام كلها ، وصفة لصاحب الرسالة العظمى سيدنا محمد ﷺ فقد اجتمعت له ﷺ وهو رسول هذه الأمة مكارم الأخلاق ، فأثنى عليه ربه فى كتابه الكريم بهذا الثناء الفريد .

قال ـ تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ . أى : على دين عظيم . وقال عطية : هو أدب القرآن . وحقيقة الخلق فى اللغة هو : ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب ، فذلك يسمى خلقاً لأنه يصير كالخلقة فيه . فلم يذكر خلق محمود إلا وكان للنبى ﷺ منه الحظ الأوفر ، وقيل سمى خلقاً عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه(٢٦٠) فصار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له ﷺ وخلقاً تطبَّعه ، طبعاً جبلياً ، فمهما أمره القرآن فعله ، ومهماه نهاه عنه تركه(٢٦١) .

(*) الكاتبة : أستاذ مشارك بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة .

(٢٦٠) القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ، م ٩ ، ص ٢٢٧ .

(٢٦١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٤ ، ص ٤٠٢ .

وقد ورد فى الحديث عن سعد بن هشام قال : (سألت عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن خلق الرسول ﷺ فقالت : أتقرأ القرآن ، فقلت نعم فقالت كان خلقه القرآن)[٢٦٢] . فكان كل أمر فى القرآن ، وكل نهى مترجم ترجمه واقعية فى حياته صلى الله عليه وسلم .

وقد عبر عن ذلك خادمه أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً[٢٦٣] .

لقد بلغ ـ عليه الصلاة والسلام ـ القمة فى الكمال الإنسانى وهو الذى ارتقى بسلوكه وأخلاقه إلى هذا الأفق العالى من العظمة ، فاستحق هذه الصفة والتى لها دلالتها فى تمجيد العنصر الأخلاق فى ميزان الله ، وأصالة هذا العنصر فى الحقيقة الإسلامية .

جوانب من صوره المشرقة ﷺ

وسوف أتناول بعضاً من تلك الصور المشرقة .

لقد وصفه الله ـ عز وجل ـ بوصف آخر . قال ـ تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[٢٦٤] .

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : (كان محمد ﷺ رحمة لجميع الناس .. فمن آمن به وصدق به سعد)[٢٦٥] . فهو الرحمة المهداة للبشرية ، وتشهد السيرة بتلك الرحمة التى شملت الأصدقاء ، والأعداء ، والصغير ، والكبير ، والإنسان ، وحتى الحيوان .

فالرحمة ذلك الخلق الرفيع من مستلزمات النبوة ، فالدعوة إلى الله تحتاج إلى لين ورفق ورحمة ورأفة . قال ـ تعالى :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٢٦٦] .

أى لو كنت سيء الكلام ، قاسى القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك ، ولكن الله جمعهم عليك . وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم[٢٦٧] . كما قال عبدالله بن عمرو ، إنى أرى صفة رسول الله ﷺ فى الكتب المتقدمة : إنه ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح[٢٦٨] .

وهذه الصفة ، صفة الرحمة واللين والرأفة تكررت فى القرآن فى أكثر من موضع ، فقال ـ تعالى ـ يصف رحمة الرسول بالمؤمنين :

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢٦٩] .

ولقد استدلت أم المؤمنين خديجة ـ رضى الله عنها ـ بما كان عليه من مكارم الأخلاق على صدق

(٢٦٢) الحاكم النيسابورى أبو عبدالله محمد بن عبدالله ، المستدرك على الصحيحين فى الحديث ت ٤٠٥ هـ ، جـ ٢ ، ص ٦١٣ دار الكتب العلمية بيروت .

(٢٦٣) الترمذى أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره ، توفى عام ٢٧٩ هـ : الجامع الصحيح ، وهو سنن الترمذى دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

(٢٦٤) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .

(٢٦٥) القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ، جـ ٦ ، ص ٣٥٠ .

(٢٦٦) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

(٢٦٧) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٤٢٠ .

(٢٦٨) الحاكم ، المستدرك ، جـ ٢ ، ص ٦١٤ .

(٢٦٩) سورة التوبة آية ١٢٨ .

رسالته ، عندما جاءها رسول الله ﷺ بعد نزول الوحى (أول مرة) يخبرها الخبر وهو خائف يقول لها لقد خشيت على نفسى . فقالت : (كلا لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الدهر)[٢٧٠] .

ومعنى كلام خديجة : إنك لن يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق . وذكرت بعضاً منها ـ كالكرم والشجاعة ، والنجدة ، والحلم ، والصدق ، والأمانة ، وفى هذا دلالة على أن خصال الخير ومكارم الأخلاق سبب السلامة من مصارع السوء[٢٧١] .

كان من حرصه ﷺ على مكارم الأخلاق دعاؤه وطلبه وابتهاله لربه ، فيدعو قائلا : (وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ، إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لاشريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين ، واهدنى لأحسن الأخلاق لايهدى لأحسنها إلا أنت)[٢٧٢] .

وكان يستعيذ بالله من منكرات الأخلاق فيقول : (اللهم انى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء)[٢٧٣] .

وهكذا ، كان ﷺ مبعوثاً ليتمم مكارم الأخلاق ، ومعلماً لمكارم الأخلاق ، فكان القدوة الحسنى ، والأسوة العظمى ، اجتمع فيه ما تفرق فى غيره من مكارم الأخلاق ، فكان مجمع الكمالات الأخلاقية : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .. فكل أقواله وأعماله وتوجيهاته وإرشاداته وسيرته للأخلاق وبالأخلاق .

إن اهتمام القرآن الكريم بالجانب الأخلاقى يبدو واضحاً حتى يكاد الباحث يحس بطغيان هذا الجانب على غيره ، فقد اهتم القرآن الكريم به اهتماماً عظيماً ، حيث قدمه على الجانب التعبدى فى أكثر من موضع دلالة على أهميته ، فعندما وصف ـ سبحانه وتعالى ـ عباده الخُلص « عباد الرحمن » بدأ بصفات خلقية يمتدحهم بها ، وهى التواضع والحلم والقول الحسن ، ثم عقب على هذه الصفات بصفة تعبدية عظيمة وهى صلاة الليل . قال ـ تعالى :

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝٦٣ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾[٢٧٤] .

هؤلاء العباد الذين اصطفاهم الله ورضى عنهم وشرفهم بنسبتهم إليه ، ووعدهم بالدرجات العلى فى الجنة ، بدأ يحليهم ويصفهم وصفاً أخلاقياً سلوكياً ، مزكياً أدبهم الجم وهذا يدل على مكانة الأخلاق ومنزلتها العالية عند الله .

يقول ابن كثير[٢٧٥] . (هذه صفات عباد الله المؤمنين الذين يمشون على الأرض هوناً .. أى بسكينة ووقار) ، كقوله ـ تعالى :

---

(٢٧٠) مسلم صحيح مسلم بشرح النووى ، دار الكتب العلمية ط ١ عام ١٩٣٠م جـ٢ ، ص١٩٧ .

(٢٧١) المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٢٠٢ .

(٢٧٢) الترمذى ، الجامع الصحيح ، جـ٥ ، ص٤٨٤ .

(٢٧٣) الحاكم ، المستدرك ، جـ١ ، ص٥٣٢

(٢٧٤) سورة الفرقان آية ٦٣ ، ٦٤ .

(٢٧٥) تفسير القرآن العظيم ، جـ٣ ، ص٣٢٤ .

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ .

أى إذا سفه عليهم الجهال بالقول السىء لم يقابلوهم عليه بمثله بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيراً ، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً . وكما قال ـ تعالى :

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾(٢٧٦) .

وكذلك عندما وصف الله ـ عز وجل ـ الجماعة المختارة فى أواخر سورة الشورى أعطاها : صفات خلقية رائعة لا تخرج عن نطاق دائرة مكارم الأخلاق ، فلو تأملناها لوجدنا أنها تبدأ بفضيلة الصبر والتوكل ثم طهارة القلب ونظافة السلوك ، ثم خلق السماحة والعفو والصفح .. تأتى بعدها صفة المداومة على الصلاة لحماية تلك الأخلاق ، كذلك كان من صفاتهم أن الأمور تتم بالمشاورة فيما بينهم ، فلا تحكم بالرأى ، ثم بصفة الإنفاق « السخاء والكرم » . ثم صفة العدل ، ثم صفة الاعتدال والتوازن .. وهذا يدل على قيمة الفضائل الخلقية والأخلاق الحسنة الجميلة فى دين الله ، وكذلك نجد صفات خلقية أخرى لعباد الله المؤمنين فى أواخر ـ هذه السورة ـ سورة الشورى .

مكانة الأخلاق فى السنة النبوية

ولقد أكدت السنة النبوية على أهمية الأخلاق ومكانتها فى الشريعة الإسلامية بأحاديث كثيرة وردت عنه ﷺ ، منها : أنه جعلها من دلائل كمال الإيمان ، فقد جاء عنه ﷺ أنه قال : (**من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله**)(٢٧٧) . فالمؤمن لا يكتمل إيمانه إلا إذا اكتملت أخلاقه وحسنت سيرته ، وبذلك يستحق صفة الخيرية فيصبح من خيار المؤمنين . قال رسول الله ﷺ : (**إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً**)(٢٧٨) . ولعل أهم الأحاديث التى وردت فى حسن الخلق هو : قول النبى ﷺ : (**إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً ، وإن من أبغضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة : الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون**)(٢٧٩) .

هذه الأحاديث تدل على أن مكارم الأخلاق هى الجالبة لمحبة الله ولمحبة الرسول ﷺ وهى الموجبة للقرب منه يوم القيامة ، وهل هناك مكانة ومرتبة أعلى من أن يكون المرء مع رسول الله ﷺ ، فى أعلى عليين . وهذا الفهم يكشف لنا سبب تمسك الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بالشيم الكريمة رغبة منهم فى الحصول على هذه المرتبة الرفيعة العالية يوم القيامة ، فكانوا بذلك نجوم الهدى وأئمة تقتدى ـ رضوان الله عليهم أجمعين .

علاقة الأخلاق بالترقيات

إن الحوافز الكثيرة التى وضعها الرسول ﷺ للملتزمين بآداب الإسلام ، المنضبطين سلوكياً ،

(٢٧٦) سورة القصص آية ٥٥ .

(٢٧٧) المرجع السابق .

(٢٧٨) الحاكم ، المستدرك ، جـ١ ، ص٥٣ .

(٢٧٩) ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، جـ١٠ ، ص٤٥٦ .

وأخلاقياً ، كلها تؤكد أن الأخلاق من أفضل الطاعات والقربات . فحسن الخلق سبب في رفع درجات العبد المؤمن يوم القيامة قال ـ عليه الصلاة والسلام : (**إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة قائم الليل صائم النهار**)(٢٨٠) .

وبمكارم الأخلاق يضمن المؤمن بيتا فى أعلى الجنة . قال ـ عليه الصلاة والسلام : (**أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقاً ، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه**)(٢٨١) . فيضمن صاحب الخلق العظيم لصاحب الخلق الحميد بيتا فى أعلى الجنة . بل يجعل الرسول ﷺ حُسْن الخلق : جماع الخير ، فقد جاء فى الحديث عن النواس بن سمعان ـ رضى الله عنه ـ قال : (**سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال : البر : حسن الخلق ، والإثم : ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس**) . فالبر يكون بمعنى الصلة وبمعنى اللطف والمبرة ، وحسن الصحبة والعشرة ، وبمعنى الطاعة .. وهذه الأمور هى مجامع حسن الخلق(٢٨٢) .

ولأهمية حسن الخلق جاء الأمر صريحاً منه ﷺ بالتزامه ، فعن مالك أن معاذ بن جبل قال : آخر ما أوصانى به رسول الله ﷺ حين وضعت رجلى فى الغرز أن (**قال : أحسن خلقك للناس يا معاذ ابن جبل**)(٢٨٣) .

إن توجيهات الرسول ﷺ أخذت مدى أبعد من ذلك ، فاشترط فى الزوج الصالح الخلق الحسن ، فقال : (**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ، قالوا يا رسول الله وإن كان فيه ، قال : إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه ثلاث مرات**)(٢٨٤) .

فالديـن المقصود به : الصلاة والتقـوى والأخلاق الحميدة لدى مريد الزواج هو الذى يضمن دوام العشرة ، ويحقق المودة والألفة ، وهو السياج الذى يحمى الأسرة من عوامل التفكك والانحراف .

كما وردت العديد من التوجيهات الربانية فى تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع على أسس خلقية عظيمة ، كالتكافل والتراحم والتناصح والأمانة والعدل والمحبة والإخلاص والصدق ، وهى صورة لمجتمع فريد فى قيمه ، فلو أننا تصفحنا القرآن لرأينا سوراً بأكملها قد عنيت بهذا الأمر ، واهتمت به ، ومنها : (سورة النساء) فمحور السورة يدور حول تنظيم المجتمع المسلم على تلك الأسس والارتفاع بها إلى مستوى يتميز بها عن سائر الأمم بأخلاقه وعاداته ، ونظمه المستمدة من القرآن الكريم ، فجاءت الآيات تنظم العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم ، وتحمى الفئات الضعيفة فيه ، فجاءت بالتشريعات العملية لحماية اليتامى والنساء وتنظيم الأسرة على غير غرار سابق .

وكذلك جاءت « سورة الحجرات » تمحو ملامح المجتمع الجاهلى ، وترتقى بالأخلاق الإنسانية .

---

(٢٨٠) الترمذى . الجامع الصحيح ج٢ ص١٩٦ .

(٢٨١) الحاكم ، المستدرك . ج١ ص٦٠ .

(٢٨٢) أبو داود : سليمان بن الاشعث الأزرى : سنن أبى داود ، ج٤ ص٢٥٤ مكتبة الرياض الحديثة . الرياض .

(٢٨٣) مسلم . صحيح مسلم بشرح النووى ج١٦ ص١١١ .

(٢٨٤) مالك بن أنس ، الموطأ م٢ ص٩٠٣ . دار إحياء التراث العربى ١٩٥١م .

وكذلك سورة النور التى دارت آياتها كلها تقريباً حول إصلاح النفس الإنسانية وتهذيبها وتقويم الأخلاق وتصحيحها ووقاية المجتمع من الثغرات الخلقية ومواضع الخلل ، بوصف الداء والدواء . وقد أعطى الله ـ تعالى ـ هذه التوجيهات والإرشادات صفة الإلزام ، فبدأت السورة بقوله ـ تبارك وتعالى :

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ..

وفى الآية تقرير : أن كل ما جاء فى هذه السورة من حدود وتكاليف وأخلاق وآداب هى بمثابة فرائض شرعية ، وهذا يدل على اهتمام القرآن بالعنصر الأخلاقى فى الحياة حيث جعله فريضة كباقى العبادات .. ومن هذه الآداب : أدب الاستئذان داخل البيوت وخارجها ، وأدب نقل الأخبار ، وآداب الضيافة ، وآداب معاملة الرقيق .. إلخ .

فالمتأمل لكتاب الله يرى أن مكارم الأخلاق قد شغلت مساحة كبيرة منه حتى لا تكاد تخلو منها سورة ، بل إننا نرى آيات الأخلاق بين آيات العقيدة ، ونراها مع آيات العبادة ، ومعهما مجتمعات ، ومع المعاملات فى كل معاملة .

ومن الملاحظ أيضاً أن أغلب هذه الآداب والمكارم ؛ جاءت على شكل أوامر ونواهى (تكاليف شرعية) مثلها مثل باقى العبادات والطاعات .. ولكن من العجب أن لا نرى صورة الآداب القرآنية والمكارم الخلقية فى المجتمعات الإسلامية كما نرى مظاهر العبادات (ولا أقول جوهرها) ، كالاهتمام الظاهرى بالصلاة والزكاة والصوم والحج ، هذا يدل على ضعف الوازع الدينى واهتزاز العقيدة فى النفوس فهى الدافع والضابط لسلوك الأفراد والجماعات ..

فكل ما يصدر عن الإنسان من سلوك وتصرفات إنما هو ثمرة طبيعية لحقيقة إيمانية ، فمن المظاهر المؤلمة حقاً التى هى نتيجة حتمية لاهتزاز حقيقة الإيمان أن نرى الرجل يصوم ويصلى وفى الوقت نفسه لا يبالى بتجارة يحتكرها ، أو جيران يؤذيهم ، أو عمال يمنعهم حقوقهم ، بل نرى من يبالغ فى الورع والتقوى فلا يكتفى بالفرائض بل يؤدى حتى النوافل ، ومع هذا يعق أمه ويظلم زوجته ويماطل فى دين مستحق . ولقد نعى القرآن الكريم على أمثال هؤلاء بأساليب متنوعة تعرض فى كل مرة لما ينبغى أن يكون عليه المسلم ، ووجوب أن يعيش فى حقيقة الإيمان لا فى صورته . وشتان بين الأصل والصورة والمظهر والجوهر . ولكى يصحح كل مسلم مظهره وصورته فلابد أن يطهر قلبه وينقى سريرته ، فإذا صلحت صلح القلب ، وصلحت الأعمال كلها .. قال ـ عليه الصلاة والسلام : (**إلا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله**)[٢٨٥] .

---

(٢٨٥) الألبانى ، محمد شاحر الدين ، إرواء الغليل ج١ ص٢٦٦ . المكتب الإسلامى .

القدس مفتاح السلام والحرب فى الشرق الأوسط

بقلم د./ مصطفى دسوقى كسبة (*)

أحدث قرار الكونجرس الأمريكى بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس ردود فعل على مستوى العالم الإسلامى ، أفراداً وهيئات وحكومات . حيث إن هذا القرار يحسم مشكلة مدينة القدس كعاصمة أبدية لإسرائيل ، وهذا ليس فى صالح عملية السلام وإدخال إسرائيل فى الهيكل الاقتصادى للمنطقة .

وهذه الدراسة محاولة للتأكيد على أن القدس مهوى الأفئدة للديانات السماوية الثلاث ، وأن الإسلام هو خاتم الرسالات السماوية الثلاثة ، وأن القدس لم تكن تقبل أبداً التقسيم أو التدويل .

والدراسة تنقسم إلى :

تمهيد :

١ ـ موقف الكونجرس الأمريكى من القدس .

٢ ـ تهويد القدس .

٣ ـ أحقية إسرائيل فى القدس كعاصمة أبدية لها .

١ /٣ ـ حقائق التاريخ السياسى لليهود .

٢ /٣ ـ الصهيونية .

٣ /٣ ـ الشخصية الإسرائيلية .

٤ ـ أحقية المسلمين فى القدس .

١ /٤ ـ منزلة القدس عند المسلمين .

٢ /٤ ـ الظروف الدولية التى ساعدت إسرائيل على تهويد القدس .

٣ /٤ ـ الخبرة التاريخية بشأن القدس .

٥ ـ الخاتمة .

تمهيـد :

القدس إحدى حقائق الإسلام الكبرى ؛ فهى التى شهدت اكتمال حلقات عقيدة التوحيد : توحيد الله ، وتوحيد دين الله ، حيث اتجه المسلمون إليها للصلاة ، ثم حين أسرى إليها النبى العربى خاتم الرسل محمد ﷺ على نحو ما ورد فى معجزة الإسراء والمعراج ، وسجل القرآن الكريم ـ

(*) رئيس قسم الاستشارات بمركز الاقتصاد الإسلامى ـ جامعة الأزهر .

هذه الأحداث ، فى قرآن يتلوه المسلمون فى شتى بقاع الأرض ، وحين فتحها المسلمون ، فتحوا أبوابها أمام المسيحيين واليهود ، وحـــرسوا معابدهم ، وعمروا مقدساتهم ، حتى إن الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وبعده صلاح الدين قادوا بأنفسهم أعمال التنظيف والتطهير والترميم لمقدسات أهل الكتـــاب من اليهود والنصارى دون استثناء(1) .

إن القدس ترمز لحقيقة الإسلام ، الدين الذى يعترف بسائر الأديان كما أنزلها المولى عز وجل ، ويجل ما أنزل الله ـ تعالى ـ فيها ، ويحترم رسلها وأنبياءها ؛ بل يجعل الإيمان بهم جزءاً لا يتجزأ من العقيدة نفسها .

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾ سورة البقرة

١ ـ موقـــف الكـــونجرس الأمريكـــى من القدس(2) :

موقف « الكونجرس الأمريكى » من القدس ليس جديداً ، وهو عندما أصدر مشروع قرار بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس لم يكن يتخذ موقفاً ودياً من إسرائيل بمقدار ما أراد أن يتخذ موقفاً لا مبالياً من العرب .

وسواء كانت أكثرية الكونجرس ديمقراطية أو جمهورية ، وأياً كان الرئيس الأمريكى فذلك لا يقدم ولا يؤخر فى رأى الولايات المتحدة الرسمى بالقدس .

الجديد فى قرار الكونجرس الأخير أنه أحدث ضجيجاً أكثر من سابقاته بسبب عيد الأمم المتحدة الخمسين ، وبسبب تزامنه مع بدء الانسحاب الإسرائيلى من الضفة الغربية المحتلة .

وهذه ثالث مرة منذ ١٩٨٠ تبدى الولايات المتحدة رسمياً وخطياً ممانعتها لعروبة القـدس . وتميل إلى الإجراءات اليهودية الرامية ليس فقط إلى تهويد المدينة المقدسة ، بل إلى جعلها عاصمة أبدية لإسرائيل .

وثمة تلميحات إلى أن الرئيس « بيل كلينتون » لن يستخدم فيتو الرئاسة كى يجمد مشروع الكونجرس ، والأرجح أنه يهدف من وراء التلويح بـ(الفيتو) إلى إبلاغ الكونجرس بأن القرار سيلحق الضرر بمحادثات السلام فى الشرق الأوسط ، ولعل الرئيس كلينتون يسجل كسباً انتخابياً كبيراً إذا ما أقنع الأمريكيين بأن مشروع الكونجرس مضر بمصالح أمريكا والشعب الأمريكى فى الخارج ، وفيما يلى سجل بالمواقف الأمريكية بشأن مدينة القدس فى الأمم المتحدة .

المواقف الأمريكية بشأن القدس :

الموقف الأول :

فى ٣٠ يونيه ١٩٨٠م حيث كان الديمقراطيون فى الحكم فى البيت الأبيض ، وفى إسرائيل كان لليكود (مناحيم بيجن) ، صدر عن مجلس الأمن

(1) انظر : كلمة كامل الشريف (الأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة) فى ندوة « القدس مدينة السلام » جامعة الدول العربية ١٢ ـ ١٩٩٥/٣/١٤م ، ص ١ ـ ٢ .

(2) شكرى نصر الله « قراءة فى قرار الكونجرس الأمريكى من القدس » ، الشرق الأوسط ١٩٩٥/١١/٤م .

الدولى القرار رقم (٤٧٠) الذى يعارض إصرار إسرائيل على تغيير الطبيعة المادية والتركيب السكانى وبنية المؤسسات والمركز القانونى لمدينة القدس .. ويعبر عن قلقه العميق من الخطوات التشريعية المتخذة فى الكنيست الإسرائيلى بهدف تغيير صفة ومركز المدينة المقدسة .. وأكد مجلس الأمن على مضمون قراراته السابقة الخاصة بعدم شرعية كل الإجراءات التشريعية والإدارية التى اتخذتها السلطات المحتلة واعتبارها لاغية .

صوت مجلس الأمن على هذا القرار فوافقت عليه الدول الأعضاء الخمس عشرة باستثناء الولايات المتحدة التى امتنعت عن التصويت .

الموقف الثانى :

شهد نفس العام حدثين بالغى الأهمية :

الأول : فى شهر أغسطس ١٩٨٠م عندما وافقت الحكومة الإسرائيلية على قانون أقره الكنيست ينص على ما يلى :

١ ـ أن القدس الموحدة هى عاصمة إسرائيل .

٢ ـ القدس مقر رئيس البلاد ، والكنيست والحكومة ، والمحكمة العليا .

٣ ـ الأماكن المقدسة ستحمى من التدنيس .. إلخ .

٤ ـ تشرف الحكومة على تطوير وإنماء المدينة .. إلخ .

انعقد مجلس الأمن بعد هذا القرار الإسرائيلى بأيام قليلة ، وفى ٢٠ من نفس الشهر صدر عنه القرار رقم ٤٧٨ ، وجاء فيه ما يلى :

١ ـ يستنكر القرار الإسرائيلى .. إلخ .

٢ ـ يؤكد أن إقرار إسرائيل القانون الأساسى يشكل انتهاكاً للقانون الدولى ، ولا يؤثر فى التطبيق المستمر لاتفاقية جنيف الرابعة المؤرخة فى ١٢ أغسطس ١٩٤٩م .

٣ ـ يصمم (مجلس الأمن) على أن جميع الإجراءات التشريعية والإدارية والأعمال التى قامت بها إسرائيل ـ السلطة المحتلة ـ والتى غيرت أو تهدف إلى تغيير طابع المدينة المقدسة ووضعها القانونى ، وخاصة القانونى الأساسى الأخير بشأن القدس : باطلة ولاغية ويجب أن تلغى .

٤ ـ يؤكد أن هذا العمل يشكل عائقاً خطيراً أمام تحقيق السلام .. إلخ .

٥ ـ يقرر ألا يعترف بالقانون الأساسى وبأعمال إسرائيل الأخرى الناجمة عن هذا القانون ، والتى تهدف إلى تغيير طابع مدينة القدس ووضعها القانونى .. ويدعو جميع الدول إلى :

١ ـ أن تقبل بهذا القرار .

٢ ـ أن تدعوا الدول التى أقامت بعثات دبلوماسية فى القدس أن تسحب هذه البعثات .

مرة أخرى جرى التصويت على هذا القرار فأيدته جميع الدول الأعضاء الخمس عشرة باستثناء الولايات المتحدة التى امتنعت عن التصويت .

الموقف الثالث والأخير للكونجرس الأمريكى :

ففى حين نص اتفاق إعلان المبادىء الذى جرى التوقيع عليه فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣م فى البيت الأبيض على ترك مسألة القدس إلى آخر بنود التفاوض بين إسرائيل والعرب ، وفى حين أخذ البيت الأبيض والرئيس الأمريكى بيل كلينتون على عاتقه هو وموسكو رعاية هذا الاتفاق وتطبيقه خرج الكونجرس ليعلن تأييده لنقل سفارة بلاده إلى القدس ، وهو بذلك يريد أن يعترف صراحة

وعلناً بأن القدس هى عاصمة إسرائيل ، ذلك أن العواصم تكون ــ وفى الغالب ــ مقار البعثات الدبلوماسية والحكومة ، ورئاسة الدولـــة ، والمحكمة العليا والبرلمان . وقد احتوى قرار إسرائيل ضم القدس وجعلها عاصمة أبدية لها فى أغسطس ١٩٨٠م بنداً ذكر قبل قليل ، ويتناول بالتحديد أن تكون القدس عاصمة ، ومقراً للحكومة والهيئات الرسمية والبعثات الدبلوماسية والأجنبية .

ومعروف فى واشنطن ــ وفى الكونجرس خصوصاً ــ أن إسرائيل حاولت ضم القدس وجعلها عاصمة لها ومقراً للسفارات الأجنبية منذ عام ١٩٤٨م .

وفى ٢٣ يناير ١٩٥٠م وافقت الحكومة على إعلان القدس عاصمة لإسرائيل ، ونقلت كل وزاراتها إليها ماعدا وزارة الخارجية التى بقيت فى تل أبيب بسبب بقاء السفارات الأجنبية هناك .

بعد حرب ١٩٦٧م استكملت إسرائيل ربط القدس الشرقية بالقدس الغربية ، وقررت أن يكون القسمان قسماً واحداً موحداً .

موقف مجلس الأمن من قضية القدس :

ومنذ ١٩٦٧م حتى ١٩٨٠م تاريخ تشريع ضم القدس .. صدرت عن مجلس الأمن الدولى ستة قرارات برفض واستنكار كل إجراءات إسرائيل فى القدس :

(أ) فى ٢٧ إبريل ١٩٦٨م صدر عن مجلس الأمن القرار رقم ٢٥٠ الذى يدعو إسرائيل إلى الامتناع عن إقامة عرض عسكرى فى القدس .

(ب) فى ٢ مايو ١٩٦٨م صدر القرار رقم ٢٥١ الذى أبدى المجلس فيه أسفه على إقامة العرض العسكرى الإسرائيلى فى المدينة فى نفس التاريخ .

(جـ) فى ٢١ مايو ١٩٦٨م صدر عن مجلس الأمن القرار رقم ٢٥٢ ، وجاء فيه أن مجلس الأمن يعتبر كل الإجراءات الإدارية والتشريعية والأعمال التى قامت بها إسرائيل ، بما فى ذلك مصادرة الأراضى والأملاك التى من شأنها أن تؤدى إلى تغيير الوضع القانونى للقدس .. إجراءات باطلة .

(د) فى يوليو ١٩٦٩ م أصدر مجلس الأمن القرار رقم ٢٦٧ الذى ندد فيه مرة أخرى بكل الإجراءات التى اتخذتها إسرائيل لتغيير معالم القدس واعتبرتها إجراءات لاغية .

(هـ) فى ١٥ سبتمبر ١٩٦٩م أصدر مجلس الأمن القرار رقم ١٧ ، ندد فيه وأدان مسئولية إسرائيل فى حريق المسجد الأقصى .

(و) وفى ٢٥ سبتمبر ١٩٧١م أصدر المجلس القرار رقم ٢٩٨ الذى أكد فيه ــ بعد أن أشار إلى عدم تجاوب إسرائيل مع قراراته السابقة وقرارات الجمعية العامة ــ أن جميع الأعمال التشريعية والإدارية التى قامت بها إسرائيل فى القدس لاغية كلياً ، ولا يمكن أن تغير ذلك الوضع .

واستناداً إلى حوالى (٤٠) أربعين قراراً وتوصية من الجمعية العمومية ومجلس الأمن تدين إسرائيل بأوضح العبارات ، وتعتبر كل إجراءاتها فى القدس وامتلاك الأراضى الفلسطينية لاغية ــ يمكن القول أن ما أصدره الكونجرس الأمريكى أخيراً هو ضربة مزدوجة واحدة لمصلحة إسرائيل الناخب القوى جداً فى الولايات المتحدة ، والأخرى ضد المرشح المقبل (بل كلينتون) ،

وإبلاغه أن الكونجرس بمجلسيه يملك أكثرية مطلقة من الجمهوريين ، وبالتالى فهو يملك ورقة الانتخابات المقبلة .

لكن الخوف أن يطول السكوت وعدم الرد المناسب على إسرائيل عربياً ودولياً فتصبح المسألة أمراً واقعاً ، على الرغم من أن القناعة العربية الشاملة هى أن واشنطن لا تزال تكيل بمكيالين غير عابئة بالغضب الإسلامى والعربى الذى قد ينقلب إلى كارثة حقيقية .

٢ - تهويد القدس :

استهدفت إسرائيل تهويد القدس من خلال ما يلى :

أولًا : محو الملامح والصفات والخصائص العربية والإسلامية للمدينة .

ثانياً : خلخلة الكثافة السكانية وعزلها عن محيطها العربى .

ثالثاً : تكثيف الوجود اليهودى بحيث تصبح لهم الأغلبية المطلقة .

رابعاً : إقامة احتفالات ومهرجانات بمرور ثلاثة آلاف سنة على تأسيس القدس كعاصمة لليهود على يد الملك داود . أعنى (نبى الله داود البرىء من هذه الأفعال - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام) .

أولًا : محو الملامح والصفات والخصائص العربية والإسلامية للمدينة : بالسيطرة على أكبر قدر من الأراضى العربية ، فاستولت على أراضى الأملاك العامة ، وصادرت كثيراً من الأملاك الخاصة ، وفرضت إرادة المحتل على المدينة بخلق أمر واقع لايمكن تغييره ، وذلك من خلال إقامة العديد من المستوطنات التى تشكل مبانيها المقامة على شكل قلاع على رءوس الجبال ، أحزمة أو أطواق تتيح اتساع رقعتها التوسع الدائم لصالح اليهود ، وتحاصر فى الوقت نفسه المواطنين العرب ، وتقضى على أى فرصة لهم للتوسع .

كذلك سنت سلطات الاحتلال القوانين الخاصة بمدينة القدس واعتبرتها جزءاً من أراضيها ، واتخذت العديد من الإجراءات لتغيير طابع المدينة السياسى والدينى[٣] .

* * *

وبهدف إضفاء الطابع اليهودى على المدينة اتخذت الإجراءات التالية :

١ - مصادرة عشرات الآلاف من الدونمات (الدونم = ١٠٠٠ متر مربع) لأراضى تخص المواطنين العرب داخل البلدة القديمة من مدينة القدس وحول هذه المدينة .

٢ - إقامة أحياء سكنية إسرائيلية داخل البلدة القديمة من مدينة القدس ، وإقامة عشرات المستوطنات حول هذه المدينة من الجهات الجنوبية والشرقية والشمالية بحيث تحاصر هذه المدينة وتعزلها عن سائر مناطق فلسطين .

٣ - توسيع مسطح مدينة القدس على حساب الأراضى العربية بهدف إقامة « القدس الكبرى » بحيث تصبح نسبة اليهود عام ٢٠٠٠م حوالى ٧٥٪ من السكان .

---

(٣) انظر : مروة أديب جبرة ، «القدس تحت الاحتلال الإسرائيلى جغرافياً ، وديموغرافياً» ، ندوة « فلسطين عبر عصور التاريخ » ، مركز البحوث والدراسات التاريخية - كلية الآداب جامعة القاهرة ، ٤ - ٥ نوفمبر ١٩٩٥م ، ص ١ .

٤ ـ حرمان السكان العرب من منح رخص بناء لهم ضمن مدينة القدس ؛ لأن الذى يدير مدينة القدس مجلس بلدى إسرائيلى[٤] .

ويمكن إجمال الخطوط العامة للاستيطان كما يلى[٥] .

الطوق الأول ويشمل :

ـ الحى اليهودى :

بدأت عمليات الاستيطان فيه من خلال قيام بعض العائلات اليهودية بالانتقال إلى داخل القدس القديمة ، وشغلها لبعض المساكن التى تركها أصحابها من الفلسطينيين .

وقد أعقب ذلك صدور قرار الحكومة الإسرائيلية فى يوليو ١٩٦٧م لبدء الاستيطان فى المدينة ، وعلى الفور قامت السلطات بإعادة إعمار الحى اليهودى دون انتظار وضع الخطة الشاملة لعملية الاستيطان فى القدس . وقد حاولت هذه السلطات توسيع حدود هذا الحى حتى بلغت مساحة الأراضى التى أقيم عليها ضعفى مساحته عام ١٩٤٨م ، وذلك بإلحاق مجموعة من الأحياء العربية المجاورة بعد تهجير سكانها وهدمها ، والأحياء هى :

ـ حى المغاربة الملاصق لحائط البراق .
ـ باب الشرف .
ـ باب السلسلة .
ـ حى الباشورة .

جعلت هذه الأحياء امتداداً للحى اليهودى بحيث بلغت مساحة الأراضى التى أقيم عليها حوالى (١١٦) دونماً ، تحتوى على (٣٢٠) وحدة سكنية وسوقاً تجارية وكنيسة للصلاة .

الحديقة الوطنية المحيطة بسور القدس من الشرق والجنوب ، واعتبارها حزاماً أخضر يحيط بسور القدس ، ومحاولة إخلاء بعض الأحياء السكنية الواقعة فى الغرب فى « سلوان » و « عين الحلوة » .

المركز التجارى الرئيسى للمدينة ، وذلك لاستكمال محاصرة القدس من الشمال والغرب ،وفصلها عن الأحياء العربية المجاورة . ولتحقيق التحام المدينة بالقدس الغربية من خلال إزالة المنطقة العازلة بين شطرى القدس . ويقوم هذا المركز على الأحياء العربية فى « باب الساهرة ' و « باب الصمود » و « الشيخ جراح » وأجزاء من « حى المصرارة » و« سعد » ، و« سعيد » من المناطق المحتلة عام ١٩٤٨م .

والجدير بالذكر أن هذا الطوق يركز على الاستيطان داخل الأحياء العربية فى القدس القديمة من خلال هدم الأحياء القديمة والتاريخية ، كما يهدف لطرد أكبر عدد ممكن من سكان القدس ؛

---

(٤) انظر : الشيخ عكرمة صبرى (مفتى القدس والديار الفلسطينية وخطيب المسجد الأقصى المبارك) ، « منزلة القدس فى الإسلام وتأثير الاستيطان والحفريات عليها » ، ندوة القدس ـ جامعة الدول العربية ـ القاهرة ١٢ ـ ١٩٩٥/٣/١٤ ، ص ٧ .

(٥) انظر : غازى خلف « القدس والاحتلال » استراتيجية الأطواق وفرض الوقائع » ، مجلة النور لندن ـ السنة الخامسة ـ العدد الثانى والخمسون ـ سبتمبر ١٩٩٥م ـ ص ٨ ـ ٩ ، وانظر أيضاً .

ـ خالد عابد ، « القدس فى إطار الأمر الواقع الإسرائيلى » مجلة الدراسات الفلسطينية ، العدد (١٥) ، بيروت ١٩٩٣م ، ص ١٠١ ـ ١٠٧ .

خصوصاً سكان تلك الأحياء المزدحمة الموجودة فى الوسط .

الطوق الثانى ويشمل :

بناء سلسلة من الأحياء السكنية الضخمة فى جميع المناطق الواقعة ضمن حدود أمانة مدينة القدس لتحيط بالمدينة من ثلاث جهات ، مدعومة بمجموعة من المستوطنات الخلفية على النحو التالى ..

ـ الناحية الشمالية ، وتتكون من مستوطنات .. « رامات أشكول » و« معالوت دفنة » و« حى شابيرا» فى التل الفرنسى ، و« حى سانهدريا » قرب « شعفاط » .

وتستند هذه المستوطنات إلى مستوطنات خلفية أبعد منها ، هى « النبى يعقوب » و« راموت » قرب « النبى صمويل » و« عطاروت الضاعية » قرب « قنلديا » من الناحية الجنوبية ، وتتكون من مستوطنات الحى السكنى لطلبة الجامعة العبرية ، وهى « تل بيوت » قرب « جبل أكملبر » و« صورباهر » . ويستند إلى مستوطنة خلفية هى « جيلو » (شرفات) قرب « صفافا » .

ـ من الناحية الشرقية ، أقيمت هذه السلسلة من بعض الأحياء السكنية التابعة للجامعة العبرية ، ومستشفى « هداسا » ، وكذلك حى « تمضعات همفتار » فى « الشيخ جراح »، ويستند هذا التشكيل إلى مستعمرة خلفية هى « معالية أورميم » فى منطقة الخان الأحمر .

ـ ويهدف هذا الطوق إلى عزل مدينة القدس عن التجمعات العربية فى الشمال والجنوب والشرق ، ومنع اتصال الأحياء العربية فى القدس بالقرى المجاورة ، كما يهدف للحد من نمو الأحياء العربية القليلة المتبقية داخل مدينة القدس ، فضلًا عن إخراج المدينة برمتها من قلب الضفة الغربية ، وجعلها مندمجة مع الوجود الإسرائيلى فى الغرب ، ويشكل هذا الطوق بأبنيته الخرسانية الضخمة حزاماً أمنياً يضع أمراً واقعاً جديداً يصعب على التسوية السياسية تجاهله .

الطوق الثالث يشمل :

وهذا الطوق فى طور التنفيذ العملى ، ويهدف إلى إقامة سلسلة من المستوطنات فى حدود القدس الكبرى « الموسعة » ، ويشمل السيطرة على المنطقة الممتدة من « رام الله » شمالًا حتى أطراف مدينة « الخليل » ، ومن منطقة الخان الأحمر شرقاً حتى « اللطرون » غرباً ، بما يعادل ٣٠٪ فى المائة من مساحة الضفة الغربية ، ويمتد المشروع ليشمل عدة مدن عربية مثل : رام الله ، بيت لحم ، بيت جالا ، وبيت ساحور ، إضافة إلى (٦٠) قرية عربية تضم حوالى ٣٠٠ ألف نسمة .

وتستهدف إسرائيل من وراء هذا المشروع ليس فقط زيادة عدد اليهود فى هذه المناطق ، وتهويد القدس ، وابتلاع مساحات واسعة من أراضيها وتشتيت سكانها ، وإنما ـ أيضاً ـ تمزيق الضفة الغربية ككل ، وشطرها إلى نصفين منفصلين جغرافياً وسكانياً .

ثانياً : السكان ..

استطاعت إسرائيل بما اتخذته من إجراءات تغير النسبة السكانية لليهود فى البلدة القديمة (القدس

الشرقية) من صفر عام ١٩٦٧م إلى ما يزيد قليلًا عن ٥٠٪ عام ١٩٩٣م ، أما القدس الموحدة بشطريها الشرقى والغربى فإن نسبة المواطنين العرب تتراجع لتصبح الأغلبية لليهود .

ومن وجهة نظر « سارة كامفكر » المتخصصة الإسرائيلية فى مجال تخطيط المدن ، (إن الإنجاز الذى حققته إسرائيل فى القدس هو من أعظم التغييرات السكانية فى تاريخ العالم)[٦] .

ومن أهم الإجراءات التى اتخذتها إسرائيل لتحقيق ذلك ..

١ ـ تهجير أكبر عدد ممكن من السكان العرب من القدس إلى خارج حدودها بطرق متعددة .

٢ ـ فرض الضرائب المرتفعة والمتعـددة على السكان العرب فى المدينة لتعجيزهم اقتصادياً .

٣ ـ فرض حصار عسكرى على المدينة المقدسة ، ومنع المسلمين من أنحاء فلسطين من الوصول إلى هذه المدينة ، وحرمانهم من الصلاة فى المسجد الأقصى المبارك ، وبخاصة فى شهـر رمضان المبارك[٧] .

ثالثاً : الناحية الدينية :

عملت إسرائيل فى اتجاهين متوازيين ، يكمل كل منهما الآخر ..

الاتجاه الأول :

هو الاتجاه الرسمى ، ويتمثل فى الحفريات حول حرم المسجد الأقصى الشريف ، تلك الحفريات التى بدأت منذ وقت مبكر من الاحتلال ولا تزال مستمرة ، وقد مرت تلك الحفريات بالعديد من المراحل[٨] .

والحفريات أسفل العقارات الوقفية الأثرية ، التى تلاصق السور الخارجى للمسجد الأقصى المبارك من الجهتين الغربية والشمالية ، تقوم بها السلطات الإسرائيلية المحتلة منذ عام ١٩٦٧م ، وحتى الآن ، بدعوى البحث عن هيكل سليمان ـ المزعوم ـ وبدعوى البحث عن آثار عبرية لإثبات وجود لهم فى هذه الديار إلا أنهم لم يعثروا على شىء[٩] .

الاتجاه الثانى :

وهو الاتجاه غير الرسمى الذى أخذ شكلًا متنامياً منذ الاحتلال وحتى الآن ، ويتزعم هذا الجانب غير الرسمى الجماعات الدينية المتطرفة التى تتزايد ، ويتزايد معها تأثيرها على مراكز اتخاذ القرار فى إسرائيل[١٠] .

هذا فضلًا عن المحاولات المتكررة من اليهود والمتطرفين لإقامة صلواتهم فى ساحة المسجد الأقصى المبارك بدعوى أن هيكل سليمان ـ المزعوم ـ يقع تحت الأقصى .

ومجزرة الأقصى التى وقعت عام ١٩٩٠م ليست ببعيدة ، حينما تصدى المواطنون العرب للمتطرفين اليهود الذين حاولوا مس قدسية المسجد الأقصى ، مما دفع الجيش الإسرائيلى لإطلاق الرصاص على المصلين المسلمين بشكل

---

(٦) مروة أديب جبرة ، مرجع سابق ، ص ١ .
(٧) عكرمة صبرى ، مرجع سابق ، ص ٧ .
(٨) انظر : مروة أديب جبرة ، مرجع سابق ، ص ٢ .
(٩) عكرمة صبرى ، مرجع سابق ، ص ٨ .
(١٠) مروة أديب جبرة ، مرجع سابق ، ص ٢ .

متعمد مما أدى إلى استشهاد (٢١) شخصاً وجرح العشرات ، واعتقال المئات من العرب[١١] .

وعلى مدى ثلاثة عقود (تقريباً) من الزمن وضعت إسرائيل يدها على مانسبته (٣٣٪) من مساحة القدس الموسعة ، أو ما يقارب (٢٤) كيلو مترا مربع .

فمساحة القدس قبل عام ١٩٦٧م تبلغ (٦,٥) كيلو متراً مربعاً ، وبعد عام ١٩٦٧م بلغت (٧٠,٥) كيلو متر مربع ، وبهذا الأسلوب استطاعت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة أن تخلق واقعاً جغرافياً وسكانياً فى القدس الشرقية ، وأخذ الصراع العربى الإسرائيلى على منطقة القدس مظهراً سكانياً ، فقفز عدد السكان اليهود عام ١٩٦٧م من صفر إلى ١٦٠ ألفاً ، شكلوا لأول مرة أغلبية يهودية فى الشطر الشرقى من القدس المحتلة ، وقد أقيمت (١٥) مستعمرة على هذه الأراضى ، وتم بناء (٣٠ ألف) وحدة سكنية لليهود مقابل (٥٥٥) وحدة للعرب[١٢] .

رابعاً : الاحتفال بمرور ثلاثة آلاف سنة على تأسيس القدس كعاصمة لإسرائيل على يد الملك داود : [أعنى نبى الله داود ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام]

أقامت إسرائيل ابتداء من سبتمبر عام ١٩٩٥م مهرجانات واحتفالات وعروضاً ثقافية وفنية تحت شعار القدس ٣٠٠٠ ، وذلك بمناسبة ماتدعيه أنه الذكرى الألفية الثالثة لتأسيس القدس كعاصمة لليهود على يد الملك داود . وتستمر خمسة عشر شهراً مستغرقة كل العالم ١٩٩٦م ، وهى الفترة التى كان ينبغى خلالها مناقشة مصير القدس حسب اتفاق أوسلو[١٣] .

ـ بدأ فلسطينيون وإسرائيليون يوم الثلاثاء ٥ يوليو ١٩٩٥م حملة سياسية أطلق عليها « القدس لنا » هدفها إيجاد حل لقضية المدينة المقدسة من خلال جعلها « مفتوحة وموحدة وعاصمة لدولتين » .

وصرح أورى أفنيرى : أن حملة « القدس لنا » تعد لتنظيم (مؤتمر دولى للقدس) تحت شعار « احتفالات الألفية الخامسة للقدس » . وأن هدف المؤتمر هو التصدى لاحتفالات الألفية الثالثة للقدس ، والتى تعد لها بلدية القدس التى تعتبرها الذكرى الألفية الثالثة لاتخاذ الملك داود القدس عاصمة لها . ونبه أفنيرى إلى أن هذا زعم تاريخى باطل ، فالقدس كانت موجودة قبل ذلك التاريخ بألفى سنة على الأقل ، داعياً إلى « بدء المفاوضات على القدس فوراً ، شرط وقف كل النشاطات الاستيطانية الإسرائيلية فيها »[١٤] .

يتبع

(١١) عكرمة صبرى ، مرجع سابق ، ص ٧ .

(١٢) خليل التفكجى ، « تهويد القدس حقائق وأرقام » ، ندوة .. « القدس مدينة السلام » ، جامعة الدول العربية ، ١٩٩٥/٣/١٢م ، ص ٤ .

(١٣) انظر : ناصر الدين الشاعر ، « احتفالات القدس ٣٠٠٠ .. تثبيت لواقع سياسى وتجاهل لمنطق التاريخ » ، الحياة ـ ١٩٩٥/٩/٥م .

(١٤) الحياة ١٩٩٥/٧/٥م .

قــراءة فى :

قرار الكونجرس

أ.د/ حسن محمد وجيه*

الدَّورة الرابعة بعد المائة للكونجرس الأمريكى

الجلسة الأولى

والجلسة رقم ١٣٢٢ (منذ الإنشاء)

بخصوص نقل سفارة الولايات المتحدة فى إسرائيل إلى القدس ، ولأغراض أخرى .

إنه فى يوم ١٣ أكتوبر فى عام ١٩٩٥ اجتمع أعضاء الكونجرس (الوارد أسماؤهم بالنص الإنجليزى) مرتين وأقروا مشروع القانون الخاص بنقل السفارة قبل وضعه على جدول الأعمال رقم ٢٠٧ .

على أن يعمل به اعتباراً من العاشر من أكتوبر .

مشروع قانون

مشروع قانون بخصوص نقل سفارة الولايات المتحدة بإسرائيل إلى القدس ولأغراض أخرى .

١ ـ يصبح هذا القرار سارى المفعول من قبل مجلس الشيوخ والنواب بالولايات المتحدة المجتمعين معاً .

القسم الأول : عنوان مشروع القانون

يوضع هذا القرار تحت عنوان « تنفيذ نقل سفارة القدس الصادر عام ١٩٩٥ » .

القسم الثانى : النتائج

توصل الكونجرس الأمريكى إلى النتائج التالية :

١ ـ ان لكل دولة ـ ذات سيادة ـ طبقاً للقانون الدولى والأعراف الدولية أن تحدد عاصمتها .

(*) عضو هيئة التدريس بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر .

٢ ـ أنه ومنذ عام ١٩٥٠ كانت مدينة القدس لا تزال عاصمة دولة إسرائيل .

٣ ـ ان مدينة القدس هى مقر الرئيس الإسرائيلى ، البرلمان ، والمحكمة العليا ومقر العديد من الوزارات الحكومية والمؤسسات الاجتماعية والثقافية .

٤ ـ ان مدينة القدس هى المركز الروحى لليهودية وتعتبر ـ أيضاً ـ مدينة مقدسة لكل معتنقى الأديان .

٥ ـ انه ومن عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٦٧ ، كانت القدس مدينة مقسمة وكان المواطنون الإسرائيليون من كل المعتقدات ، بالإضافة إلى المواطنين اليهود من كل الدول لا يسمح لهم بالدخول إلى الأماكن القدسة التى كانت تحت سيطرة الأردن .

٦ ـ انه وفى ١٩٦٧ تم إعادة توحيد مدينة القدس أثناء صراع ما عُرف بحرب الأيام الستة .

٧ ـ انه ومنذ عام ١٩٦٧ ، كانت القدس ولا تزال مدينة موحدة تديرها إسرائيل التى تكفل الحقوق الكاملة للجميع من الأديان المختلفة لدخول الأماكن المقدسة داخل المدينة .

٨ ـ ان هذا العام يعتبر العام الثامن والعشرين على التوالى والذى يشهد ان القدس كانت ولا تزال تدار كمدينة موحدة وتحترم وتؤمن فيها حرية الجميع من الأديان المختلفة .

٩ ـ انه وفى عام ١٩٩٠ ، تبنى الكونجرس وبالإجماع قرار مجلس الشيوخ رقم ٨٠٦ والذى يعلن ان الكونجرس « يؤمن بشدة بأن القدس ينبغى ان تبقى موحدة وان تحترم بها حقوق كل الجماعات العزقية والدينية » .

١٠ ـ فى عام ١٩٩٢ ، تبنى كل من مجلس الشيوخ والنواب وبالإجماع قرار مجلس الشيوخ رقم ١١٣ ، الذى أصدره تشكيل الكونجرس رقم ١٠٢ والذى يحيى الذكرى الخامسة والعشرين لإعادة توحيد القدس ، والذى يؤكد من جديد تعاطف الكونجرس الخاص بأن تبقى القدس موحدة .

١١ ـ فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ ، حدد إعلان مبادىء ترتيبات الحكم الذاتى المؤقت ، جدولًا زمنياً للوصول إلى الوضع النهائى للعديد من القضايا بما فيها القدس .

١٢ ـ كانت اتفاقية غزة ـ أريحا والتى وقعت فى ٩٤/٥/٤ هى نقطة البداية لمدة انتقالية من خمس سنوات ، حددها اتفاق إعلان المبادىء .

١٣ ـ انه وفى مارس ١٩٩٥ ، وقع ٩٣ عضواً من مجلس الشيوخ الأمريكى على خطاب موجه لوزير الخارجية وارين كريستوفر للتشجيع على التخطيط من الآن لنقل السفارة الأمريكية للقدس .

١٤ ـ ان الولايات المتحدة الأمريكية تحتفظ بسفارة لها فى العاصمة الفعلية لكل دولة ، إلا فى هذه الحالة مع الدولة الصديقة التى تتمتع بالديمقراطية والتى تعد الحليف الاستراتيجى وهى دولة إسرائيل .

١٥ ـ ان الولايات المتحدة تجرى اللقاءات الرسمية وأعمال أخرى فى مدينة القدس ، وهو الأمر الذى يعد اعترافاً فعلياً بوضع المدينة كعاصمة لإسرائيل .

١٦ ـ انه وفى عام ١٩٩٦ ستحتفل إسرائيل بمرور ٣٠٠٠ سنة على الوجود اليهودى بالقدس .. أى منذ دخول الملك داود للقدس .

القسم الثالث : جدول :

(أ) ـ بيان للسياسة المنتهجة ـ انه من صميم سياسة الولايات المتحدة ان :

١ ـ ان القدس ينبغى وأن تبقى مدينة موحدة ، تحترم وتؤمن فيها حرية وحقوق جميع ممثلى الجماعات العرقية والدينية .

٢ ـ لابد من ان يتم الاعتراف بالقدس كعاصمة لدولة إسرائيل .

٣ ـ لابد من نقل السفارة الأمريكية فى إسرائيل إلى القدس فى موعد اقصاه ٣١ مايو ١٩٩٩ .

(ب) قرار افتتاح السفارة :

يتم تعليق ما يقرب من نسبة الـ ٥٠٪ من الأموال المخصصة لوزارة الخارجية من أجل امتلاك وصيانة المبانى بالخارج للعام المالى ١٩٩٩ حتى يعزم وزير الخارجية الأمريكية النية ويقوم بتقديم تقرير للكونجرس يؤكد فيه انه تم افتتاح السفارة الأمريكية بالقدس بصورة رسمية .

القسم الرابع : التمويل المالى للعامين الماليين ٩٦ ، ٩٧ :

(أ) العام المالى ٩٦ : وبخصوص الأموال المخصصة والتى تم اعتمادها لغرض امتلاك وصيانة مبانى بالخارج للخارجية ، فإن هناك ما لا يقل عن ٢٥ مليون دولار . ينبغى وان تخصص وتنفق فقط على عملية نقل السفارة الأمريكية بإسرائيل إلى عاصمتها القدس .

(ب) العام المالى ١٩٩٧ : يخصص من الأموال المخصصة والتى تم اعتمادها لغرض امتلاك المبانى وصيانتها بالخارج لصالح وزارة الخارجية فى العام المالى ٩٧ ما لا يقل عن ٧٥ مليون دولار لحساب تكاليف نقل السفارة الأمريكية فى إسرائيل لعاصمتها القدس .

القسم الخامس : تقرير بخصوص التنفيذ :

على وزير الخارجية الأمريكى ، وفى موعد اقصاه ٣٠ يوماً من تاريخ إصدار هذا القرار ، ان يقدم تقريراً لرئيس مجلس النواب وللجنة العلاقات بمجلس الشيوخ يتضمن تفاصيل خطة وزارة الخارجية لتنفيذ هذا القرار .

وينبغي ان يتضمن هذا التقرير ما يلي :

١ ـ التواريخ المتوقعة للانتهاء من كل مرحلة من مراحل عملية نقل السفارة الأمريكية بما فى ذلك تحديد مواصفات موقع السفارة ، وملكية الأرض التى تبنى عليها ، الرسوم المعمارية والهندسية والدراسات المساحية ، وإعداد الموقع للعمل وللتشييد .

٢ ـ تقديم تقدير بخصوص التكاليف والأموال اللازمة لتنفيذ القرار ، بما فى ذلك رصد لكل لتكاليف التى سيترتب عليها نقل السفارة الأمريكية إلى القدس .

القسم السادس : التقارير نصف السنوية :

ابتداء من ١ يناير ١٩٩٦ ، ينبغى تقديم تقارير نصف سنوية (كل ستة أشهر) من قبل وزير الخارجية إلى رئيس مجلس النواب ولجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ بخصوص مدى التقدم الذى تم احرازه بشأن افتتاح السفارة الأمريكية بالقدس .

القسم السابع : تعريف :

ان مصطلح « السفارة الأمريكية » كما تم استخدامه فى صياغة هذا القرار ، يعنى كل مكاتب البعثة الدبلوماسية الأمريكية وكذلك مقر إقامة رئيس هذه البعثة .

قراءة فى نص قرار الكونجرس وخطواتنا لعام ٩٩ :

بعيداً عن الاستطراد نود أن نقدم قراءة لنص مشروع القانون الذى أصدره الكونجرس الأمريكى بخصوص نقل السفارة الأمريكية للقدس فمن اللافت للنظر ان نلاحظ الدوافع التالية التى جاءت لتبرر إصدار هذا القرار وهى كالآتى :

دوافع تاريخية !

وتتمثل فيما ورد فى القسم الثانى من القرار (البند رقم ١٦) وهو ان « لليهود الحق فى المدينة من يوم ان دخلها الملك داود منذ ٣٠٠٠ سنة » وهذا يتجاهل ببساطة ان العرب هم أصحاب المدينة تاريخياً منذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة .

لغة الدوافع العاطفية غير الموضوعية !

يدهش المحلل الموضوعى من لغة القرار التى ينبغى وان تكون قانونية وعلمية فى المقام الأول .. ولكننا نجد أفعال تؤكد على العاطفة لا المنطق كما ورد فى القسم الثانى رقم (٩) .. وهى ان الكونجرس **يؤمن** بشدة بأن القدس ... « وفى رقم (١٠) .. ان الكونجرس يحيى الذكرى الخامسة والعشرين لاعادة توحيد القدس والذى يؤكد من جديد **تعاطف** الكونجرس الخاص .. » .

الإقرار بعدم مسئولية العرب

القسم الثانى : رقم (٥) يقول بأنه ومن عام ٤٨ إلى ٦٧ ، كانت القدس مدينة مقسمة وكان المواطنون الإسرائيليون من كل المعتقدات ، بالإضافة إلى المواطنين اليهود من كل الدول لا يسمح لهم بالدخول إلى الأماكن المقدسة التى كانت تحت سيطرة الأردن .

وهنا لا أدرى إذا كانت هذه الممارسات صحيحة أم فيها إدعاء وإن كانت صحيحة فلقد استغلها صانع القرار بالكونجرس بشكل لا يؤكد فيه إلا على عدم مسئولية العرب واحتقارهم لحرية العبادة للجميع .. وهو الأمر الذى يتناقض والقيم العربية الإسلامية الحقيقية .

قيود قانونية لتأكيد التنفيذ

حفل القرار فى كثير من مواقعه بربط تنفيذ نقل السفارة بإجراءات قانونية وأهمها تعليق صرف بنود المال المخصصة لامتلاك وصيانة المبانى الخارجية للخارجية الأمريكية بكل ما يتعلق بعملية نقل السفارة إلى القدس وما يستتبع ذلك من نفقات .

كذلك حمل وزير الخارجية الأمريكية فى عام ١٩٩٩ على ان يقر بتقديم تقرير يؤكد فيه افتتاح السفارة فى ذلك الحين .

تحليل آخر لتفنيد مقولات حول القرار

هذه القيم التى وضعت فى نص القرار إنما تعبر عن الأخذ بكل أسباب نقل السفارة . ولكن هناك مقولات فى واقعنا العربى تحتاج إلى التفنيد وهى :

ان القرار تحد للخارجية والبيت الأبيض وللعالم أجمع

هذا العنوان ورد بجريدة عربية بتاريخ ٩٥/١٠/٢٦ .. وهو ــ مع الأسف ــ يؤكد ما ورد فى بيان الكونجرس عن عدم مسئولية العرب ولكن بمثال آخر .. فلقد بلع الكثير الطعم باعتراض كلينتون على القرار ونسوا انه وفى معرض تقديم المرشح بيل كلينتون للرئاسة قال ان « القدس هى عاصمة إسرائيل ويجب ان تبقى مدينة موحدة ومفتوحة للناس من جميع الأديان » . وفى مؤتمر (ايباك) أى (العربى الصهيونى) الذى تحدث فيه كلينتون وكان يحمل عنوان « العام المقبل فى القدس » لأول مرة وكان دعمه لاسرائيل فى كل الأمور لانهائى .

ان مشروع القرار الذى تمت الموافقة عليه بشكل ساحق (٩٣ ضد ٥ أصوات) (أى حوالى ٩٩٪ مثل انتخابات العالم الثالث) إنما يدل وبما لا يدع مجالاً للشك عن غياب تام لآلاف الدبلوماسيين العرب وللجالية العربية وانشغالهم بأى شىء إلا قضايا الوطن العربى والعالم الإسلامى الحقيقية .

هذه مقولة حقيقية ان التحدى الأكبر موجه لنا جميعاً ــ وكذلك وبدون شك ــ لكل قرارات الشرعية الدولية متمثلة فى الأمم المتحدة وللعالم أجمع .. ولعل ذلك ما حث الكثير فى العالم على إدانة القرار وأهم هذه الإدانات والتحركات ما يقوم به ــ حالياً ــ وزير خارجية بريطانيا الذى يفهم ما يمكن ان يحدثه هذا القرار من آثار مدمرة لعملية السلام .. لا شك إنها الفرصة الأخيرة لنا لكى نقول : « لا » للولايات المتحدة وان نستثمر كل الاعتراضات ولكن ليس فقط على مستوى الانفعال والتنديد والإدانة ولكن على مستوى إلا يتحقق ما يراد للقدس .. وما يهدر من حقوقنا المشروعة .. علينا ان نضع خطة لنفس التاريخ تعتبر عام ١٩٩٩ عام استرداد حقوقنا فى القدس .. ولا يكون للاحتفال بمرور ٣٠٠٠ عام على دخول داود للقدس !!

bassy, including site identification, land acquisition, architectural, engineering and construction surveys, site preparation, and construction; and

(2) an estimate of the funding necessary to implement this Act, including all costs associated with relocating the United States Embassy to Jerusalem.

SEC. 6. SEMIANNUAL REPORTS.

Beginning January 1, 1996, and every six months thereafter, the Secretary of State shall report to the Speaker of the House of Representatives and the Committee on Foreign Relations of the Senate on the progress made toward opening the United States Embassy in Jerusalem.

SEC. 7. DEFINITION.

As used in this Act, the term "United States Embassy" means the offices of the United States diplomatic mission and the residence of the United States chief of mission.

(1) Jerusalem should remain an undivided city in which the rights of every ethnic religious group are protected;

(2) Jerusalem should be recognized as the capital of the State of Israel; and

(3) The United States Embassy in Israel should be relocated to Jerusalem no later than May 31, 1999.

(b) Opening Determination. — Not more than 50 percent of the funds appropriated to the Department of State for fiscal year 1999 for "Acquisition and Maintenance of Buildings Abroad" may be obligated until the Secretary of State determines and reports to Congress that the United States Embassy in Jerusalem has officially opened.

SEC. 4. FISCAL YEARS 1996 AND 1997 FUNDING.

(a) Fiscal Year 1996. — Of the funds authorized to be appropriated for "Acquisition and Maintenance of Buildings Abroad" for the Department of State in fiscal year 1996, not less than $25,000,000 should be made available until expended only for construction and other costs associated with the relocation of the United States Embassy in Israel to the capital of Jerusalem.

(b) Fiscal Year 1997. — Of the funds authorized to be appropriated for "Acquisition and Maintenance of Buildings Abroad" for the Department of State in fiscal year 1997, not less than $75,000,000 should be made available until expended only for construction and other costs associated with the relocation of the United States Embassy in Israel to the capital of Jerusalem.

SEC. 5. REPORT ON IMPLEMENTATION.

Not later than 30 days after the date of enactment of this Act, the Secretary of State shall submit a report to the Speaker of the House of Representatives and the Committee on Foreign Relations of the Senate detailing the Department of State's plan to implement this Act. Such report shall include —

(1) estimated dates of completion for each phase of the relocation of the United States Em-

(9) In 1990, the Congress unanimously adopted Senate Concurrent Resolution 106, which declares that the Congress "strongly believes that Jerusalem must remain an undivided city in which the rights of every ethnic religious group are protected".

(10) In 1992, the United States Senate and House of Representatives unanimously adopted Senate Concurrent Resolution 113 of the One Hundred Second Congress to commemorate the 25th anniversary of the reunification of Jerusalem, and reaffirming congressional sentiment that Jerusalem must remain an undivided city.

(11) The September 13, 1993, Declaration of Principles on Interim Self-Government Arrangements lays out a timetable for the resolution of "final status" issues, meluding Jerusalem.

(12) The Agreement on the Gaza Strip and the Jericho Area was signed May 4, 1994, beginning the five-year transitional period laid out in the Declaration of Principles.

(13) In March of 1995, 93 members of the United States Senate signed a letter to Secretary of State Warren Christopher encouraging "planning to begin now" for relocation of the United States Embassy to the city of Jerusalem.

(14) The United States maintains its embassy in the functioning capital of every country except in the case of our democratic friend and strategic ally, the State of Israel.

(15) The United States conducts official meetings and other business in the city of Jerusalem in de facto recognition of its status as the capital of Israel.

(16) In 1996, the State of Israel will celebrate the 3,000th anniversary of the Jewish presence in Jerusalem since King David's entry.

SEC. 3. TIMETABLE.

(a) Statement of Policy. — It is the policy of the United States that —

A BILL

To provide for the relocation of the United States Embassy in Israel to Jerusalem, and for the other purposes.

Be it enacted by the Senate and House of Representatives of the United States of America in Congress assembled,

SECTION 1. SHORT TITLE.

This Act may be eited as the "Jerusalem Embassy Relocation Implementation Act of 1995".

SEC. 2. FINDINGS.

The Congress makes the following findings :

(1) Each sovereign nation, under international law and custom, may designate its own capital.

(2) Since 1950, the city of Jerusalem has been the capital of the State of Israel.

(3) The city of Jerusalem is the seat of Israel's President, Parliament, and Supreme Court, and the site of numerous government ministries and social and cultural institutions.

(4) The city of Jerusalem is the spiritual center of Judaism, and is also considered a holy city by the members of other religions faiths.

(5) From 1948-1967, Jerusalem was a divided city and Israeli citizens of all faiths as well as Jewish citizens of all states were denied access to holy sites in the area controlled by Jordan.

(6) In 1967, the city of Jerusalem was reunited during the conflict known as the Six Day War.

(7) Since 1967, Jerusalem has been a united city administered by Israel, and persons of all religious faiths have been guaranteed full access to holy sites within the city.

(8) This year marks the 28th consecutive year that Jerusalem has been administered as a unified city in which the rights of all faiths have been respected and protected.

نص قرار الكونجرس الأمريكى
الذى تقدمت دراسته

Calendar No. 207

104TH CONGRESS
1ST SESSION

S. 1322

To provide for the relocation of the United States Embassy in Israel to Jerusalem, and for other purposes.

IN THE SENATE OF THE UNITED STATES

OCTOBER 13 (legislative day, OCTOBER 10), 1995

Mr. Dole (for himself, Mr. Moynihan, Mr. Kyl, Mr. Inouye, Mr. D'Amato, Mr. Helms, Mr. Brown, Mr. Mack, Mr. Specter, Mr. Bond, Mr. Tiiurmond, Mr. Pressler, Mr. Faircloth, Mr. Bradley, Mr. Levix, Mr. Gramm, Mr. Dewine, Mr. Ilarkin, Mr. Shelby, Mr. McConnell, Mr. Lott, Mr. Ilatch, Mr. Coats, Mr. Baucus, Mr. Thomas, Mr. Gorton, Mrs. Boxer, Mr. Grassley, Mr. Inhofe, Mr. Hollings, Mr. Heflin, Mr. Burns, Mr. Domenici, Mr. Liererman, Mr. Nickles, Mr. Santorum, Mr. Cohen, Mr. Grams, Ms. Moseley-Braun, Mr. Ashcroft, Ms. Snowe, Mr. Robb, Mr. Congrad, Mr. Smith, Mr. Warner, Mr. Craig, Mr. Kempthorne, Mr. Reid, Mr. Coverdell. Mrs. Hutchison, Mr. Ford, Mr. Frist, Mr. Campbell, Mr. Murxowski, Mr. Cochran, Mr. Roth, Mr. Feingold, Mr. Stevens, Mr. Rocrefeller, Mr. Biden, Mr. Bryan, and Mr. Bennett) introduced the following bill, which was read the first time.

OCTOBER 18, 1995

Read the second time and placed on the calendar

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

سل حاجتك

دخل رجل من أهل الشام على أبى جعفر المنصور فاستحسن لفظه وأدبه ، فقال له : سل حاجتك ، فقال : يبقيك الله يا أمير المؤمنين ، ويزيد فى سلطانك فقال : سل حاجتك فليس فى كل وقت يمكن أن يؤمر لك بذلك ، فقال : : ولم يا أمير المؤمنين ، فوالله ما أخاف بخلك ، ولا أستقصر أجلك ، ولا أغتنم مالك ، وإن عطاءك لزين ، وما بامرىء يذل وجهه إليك نقص ولا شين ، فأعجب المنصور كلامه ؛ وأثنى عليه فى أدبه ووصله .

قانون بخيل

قال بعض البخلاء : إنى لا آكل إلا نصف الليل قيل له : ولم ؟ قال : يبرد الماء وآمن فجأة الداخل ، وصرخة السائل .

سقوط العصى

لما خطب السفاح يوم بويع سقطت العصى من يده فتطير من ذلك ، فقام بعض أصحابه فأخذها ومسحها ودفعها إليه ثم أنشد :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى
كما قر عينــاً بالإيــاب المسافــر

صحبت الناس

قال وهيب بن الورد : صحبت الناس منذ خمسين سنة ، فما وجدت رجلًا غفر لى زلة ، ولا أزاح لى علة ، ولا أقالنى عثرة ، ولا ستر لى عورة .

حقــاً

وكل كسر فإن الله يُجـــــبره
ومـا لِكسْر قناة الديــن جُبْــرانُ

وصية أعرابية

أوصت أعرابية ابنها فى سفر فقالت : يا بنى : إنك تجاور الغرباء ، وترحل عن الأصدقاء ولعلك لا تلقى غير الأعداء ، فخالط الناس بجميل البشر ، واتق الله فى العلانية والسر ، ومثل بنفسك ما استحسنت من غيرك فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ، فإن المرء لا يرى عيب نفسه .

حسن الجوار

قال الحسن البصرى : ليس حسن الجوار كف الأذى ، ولكنه الصبر على الأذى .

نصيحة

لا تعتذرن إلا إلى من يحب أن يجد لك عذرا ، ولا تستعين إلا بمن يحب أن يظفرك بحاجتك ، ولا تحدثن إلا من يرى حديثك مغنما ، ما لم يغلبك اضطرار .

« دعاء »

اللهم أصبح ظلمى مستجيراً بعفوك ، وذنبى مستجيراً بمغفرتك ، وخوفى مستجيراً بأمنك وفقرى مستجيراً بغناك ، وضعفى مستجيراً بقوتك ، وذلى مستجيراً بعزك ، ووجهى الفانى مستجيراً بوجهك الدائم الباقى .

الإسلام والمرأة والتاريخ

فى الشرق الأدنى(١) فى سومر وبابل

بقلم : عبير عبد الواحد

المرأة السومرية ابنة(٢) :

ولم تكن بأسعد من أخيها فى الهند والصين فقد كان والدها يفخر بأن يهب جمالها ومفاتنها لتخفيف مايعترى حياة الكهان المقدسة من ملل وسآمة ، وكان يحتفل بإدخال ابنته فى هذه الخدمة المقدسة ، ويقرب القرابين فى هذا الاحتفال ، كما كان يقدم بائنة [مَهْرَ] ابنته إلى المعبد الذى تدخله .

المرأة السومرية زوجة ..

حقوق .. ولكن ..

قد يكون هناك بعض امتيازات للزوجة السومرية في طبقة ما . فقد تحتفظ لنفسها بما يقدمه أبوها من بائنة ، ومع أن زوجها كان يشترك معها فى القيام على هذه البائنة ، فقد كان لها وحدها أن تقرر من يرثها بعد وفاتها . وكان لها من الحقوق على أولادها ما لزوجها نفسه ، وإذا غاب زوجها ولم يكن لها ابن كبير يقيم معها كانت هى تدير المزارع كما تدير البيت . وكان لها أن تشتغل بالأعمال التجارية مستقلة عن زوجها ، وأن تحتفظ بعبيدها أو تطلق سراحهم .. وكانت تسمو أحيانا إلى منزلة الملكة كما سمت (شوب ـ آد) وتحكم مدينتها حكماً رغداً قوياً ..

وكان لنساء الطبقات العليا من النعم مايكاد يعدل بؤس أخواتهن الفقيرات ، لكن الصورة فى جوهرها ليست بهذا القدر من الإشراق ، فالرجل كان هو السيد المسيطر فى الأزمات جميعها ، وكان من حقه فى بعض الظروف أن يقتل زوجته أو يبيعها أمة وفاء لما عليه من الديون ... وكان الحكم الأخلاقى على الرجل يختلف عن الحكم الأخلاقى على المرأة حتى ذلك العهد السحيق ،

(١) الشرق الأدنى المقصود به بلاد آسيا الجنوبية الغربية الممتدة جنوب الروسيا والبحر الأسود وغرب الهند وأفغانستان .. وأدخل ول ديورانت فى كتابه مصر هنا لأنها كانت شديدة الاتصال بذلك الجزء من العالم كما كانت مركزاً انتشرت منه الحضارة الشرقية .

(٢) أرض سومر : إذا تتبعنا المجرى المشترك المكون من نهرى دجلة والفرات من مصبه فى الخليج الفارسى إلى أن يتصل المجريان (عند بلدة القرنة الحديثة) ثم تتبعنا نهر الفرات متجهين إلى الغرب وجدنا فى شماله وجنوبه المدن السومرية القديمة المطمورة .

وذلك نتيجة لأزمة لاختلافهما فى شئون الملكية والوراثة .. فزنى الرجل كان يعد من النزوات التى يمكن الصفح عنها ، أما زنى الزوجة فكان عقابه الإعدام ، وقد كان ينتظر منها أن تلد لزوجها وللدولة كثيراً من الأبناء ؛ فإذا كانت عاقرا جاز طلاقها لهذا السبب وحده ، أما إذا كرهت أن تقوم بواجبات الأمومة ، فكانت تقتل غرقاً . ولم يكن للأطفال شىء من الحقوق الشرعية ، وكان للآباء ـ إذا تبرءوا من أبنائهم علنا ـ أن يحملوا ولاة الأمور على نفيهم من المدينة ..

وكان ذلك ـ وحده ـ من ألزم تعاسة حالة المرأة السومرية وبؤسها .. على الرغم من بعض الحقوق التى نالتها ..

مركز المرأة فى بابل(٣)

أهم ما يلفت النظر فى حياة البابليين ، تلك العادة التى وصفها هيرودوت : « ينبغى لكل امرأة بابلية أن تجلس فى هيكل الزُّهَرَة مرة فى حياتها ، وأن تضاجع رجلا غريبا(٤) أما الكثرة الغالبة منهن فيتبعن الطريقة الآتية :

تجلس الكثيرات منهن فى هيكل الزهرة وعلى رءوسهن تيجان من الحبال ، بين الغاديات والرائحات اللاتى لاينقطع دخولهن وخروجهن . وتخترق جميع النساء ممرات مستقيمة متجهة فى كل الجهات ، التى يمر فيها الغرباء ليختاروا من النساء من يرتضون . فإذا جلست امرأة هذه الجلسة كان عليها ألا تعود إلى منزلها حتى يلقى أحد الغرباء قطعة من الفضة فى حجرها ويضاجعها فى خارج المعبد .. ومهما يكن من صغر القطعة الفضية فإن المرأة لايجوز لها أن ترفضها ، فهذا الرفض يحرمه القانون لما لها (أى هذه القطعة) فى نظرهم من قداسة . وتسير المرأة وراء أول رجل يلقيها إليها ، وليس من حقها ان ترفضه ايا كان ..

ومن كانت من النساء ذات جمال وتناسب فى الأعضاء ، لاتلبث أن تعود إلى دراها ، أما المشوهات فيبقين فى الهيكل زمنا طويلا ، وذلك لعجزهن عن الوفاء بما يفرضه القانون ، ومنهن من ينتظرن ثلاث سنين أو أربعاً(٥) ، وظلت « الدعارة المقدسة » ـ على ما يسمونها ـ عادة متبعة فى بلاد بابل حتى **ألغاها قسطنطين (حوالى عام ٣٢٥ ق.م) وكان إلى جانبها عهر مدنى منتشر فى حانات** الشراب التى يديرها النساء .

وما (هذه الدعارة) إلا أثر من آثار الشيوعية الجنسية وهى إعطاء عريس المستقبل حق الليلة الأولى ..

المرأة البابلية والزواج :

نظام الزواج فى بابل كان تقريبا نظام بيع وشراء ، فكان الخطيب يتقدم إلى والد العروس بهدية قيمة ، ولكن كان يُنتظر من الوالد أن يهب ابنته بائنة أعظم قدرا من الهدية .. على أن بعض الزيجات كانت بيعـــا صريحا ، من ذلك أن (شمشتريز) حصل على عشرة شواقل (٥٠ ريالا) ثمنا لابنته ..

يقول هيرودوت : « من كان لهم بنات فى سن الزواج يأتون بهن مرة فى كل عام إلى مكان يجتمع فيه حولهن عدد كبير من الرجال ، ثم يصفهن (دلّال) عام ، ويبيعهن جميعا واحدة فى إثر واحدة ، فينادى أولا على أجملهن ، وبعد أن يقبض فيها ثمنا عاليا ، ينادى على من تليها فى الجمال . ولكنه لم يكن يبيعهن إلا بشرط أن يتزوجهن المشترون ، وهذه العادة المستهجنة لم

(٣) بابل الأرض الممتدة على نهر الفرات . (٤) ول ديورانت ، قصة الحضارة ـ الشرق الأدنى ـ ترجمة محمد بدران ص ٢٢٩ .
(٥) نفس المرجع ص ٢٣٠ .

يعد لها الآن بقاء[٦] ، وكانت الحرية المباحة للأفراد قبل الزواج يتبعها إرغام شديد على الاستمساك بالوفاء الزوجى بعده ، وكان القانون ينص على إغراق الزوجة الزانية ومن زنت معه إلا إذا أشفق الزوج على زوجته فآثر أن يستبدل بهذه العقوبة إخراجها إلى الطريق عارية إلا من القليل الذى لايكاد يستر شيئا من جسمها .. وكان فى وسع الرجل أن يطلق زوجته ، ولايتطلب منه هذا أكثر من رد بائنتها إليها ، وقوله لها : «لست زوجتى» ، أما إذا قالت هى له «لست زوجى» فقد وجب قتلها غرقا .. وفى القانون «إذا لم تكن سيدة حريصة على آداء واجبها ، بل كانت دوارة غير مستقرة فى منزلها ، مهملة لشئون بيتها ، مستخفة بأطفالها ، وجب أن تلقى فى الماء[٧] .

وكان للمرأة من الوجهة العملية أن تفارق زوجها ، وإن لم يكن من حقها أن تطلقه ، إذا أثبتت قسوته عليها مع إخلاصها له ، وكان فى وسعها فى هذه الحال وأمثالها أن تعود إلى أهلها ، وأن تأخذ بائنتها وماعسى أن تكون قد حصلت عليه لنفسها بعدئذ من المتاع .

يعقب ديورانت بعد ذلك بقوله : « نلاحظ أن نساء انجلترا لم يستمتعن بهذه الحقوق إلا فى أواخر القرن التاسع عشر » .

وإذا غاب الزوج عن زوجته فى عمل أو حرب زمنا ما ، ولم يترك لها ما تعيش منه ، كان لها أن تعيش مع رجل آخر ، دون أن يحول ذلك من الوجهة القانونية بينها وبين انضمامها مرة أخرى إلى زوجها بعد عودته من غيبته .. والطبقات السفلى لم تكن نساؤها أكثر من آلات لصنع الأطفال .. وإذا لم تكن لهن بائنات كانت مكانتهن لاتكاد تفترق عن مكانة الإماء يقول هيرودوت : « إن البابليين إذا حوصروا كانوا يخنقون زوجاتهم لكيلا يستهلكن ماعندهم من الطعام » .. لهذه الدرجة انعدمت لدى البابليين الكثير من صفات الشهامة والفروسية .. والتقاليد التى تمنح أكبر ذكور الأسرة سلطة لاتكاد تقف عند حد ، كانت تحول دون ماعساه أن يكون باقيا فى أرض الجزيرة من أزمنة ماقبل التاريخ من نزعة لتغليب سلطان الأم ..

حقوق حصلت عليها المرأة البابلية :

كان من حقها أن تمتلك الثروة والاستمتاع بدخلها ، والتصرف فيها بالبيع والشراء ، وأن ترث وتورث ، ومن النساء من كانت لهن حوانيت ، يتجرن فيها ، بل إن منهن من كن كاتبات ،

مجمل القول أن مركز المرأة فى بابل كان أقل منه فى مصر وفى روما ، ولكنه مع ذلك لم يكن أقل من مركزها عند اليونان الأقدمين أو عند الأوربيين فى العصور الوسطى ..

وماقيل هنا بالنسبة للمرأة فى سومر وبابل يقال أيضا عن المرأة الحيثية (منطقة آسيا الصغرى : من حيث : وجود امتيازات لبعض النساء دون بعض . والسماح لبعضهن بالتجارة ، ووجود استرقاقها فى بعض الأحوال . ووجود الإعدام غرقا فى حال الزنى[٨] .. الخ

(٦ ، ٧) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، مرجع سابق ص ٢٢٢

(٨) راجع «ل» ديلابورت ــ بلاد ما بين النهرين ــ الحضارتان البابلية والآشورية Ia MesoPotamie سلسلة الألف كتاب رقم ٣٥ . فصل العائلة ص ٨٨ فى البابلية ، وفصل « الأسرة » ص ٣٤٧ فى « الآشورية » .

وراجع « ا. و. جرنى ــ الحثيون The Hittites سلسلة الألف كتاب رقم ٤٥١ فصل « الأسرة » ص ١٣٥ منطقة آسيا الصغرى .

من أعلام الأزهر

محمد بخيت المطيعي

علم الإفتاء في عصره

للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي

انتهت إلى العلامة الكبير الأستاذ الشيخ محمد بخيت المطيعي - رحمه الله - أمانة الإفتاء فى مدى ثلاثين عاماً من أوائل هذا القرن بعد رحيل الأستاذ الإمام محمد عبده ١٩٠٩ ، وإذا كان لم يتولَّ منصب الإفتاء الرسمى إلّا بعد تسعة أعوام من وفاة الإمام ، فقد كان صاحب إفتاء أهلى - إن جاز التعبير - بين الناس منذ نال شهادة العالمية من الأزهر ، ونشر فتاواه الدينية فى الجرائد تارة وفى كتيبات صغيرة تارة أخرى ، وحين أطالع تاريخ الفقيه الكبير أجد أنه تعرض لهجوم حادّ من كتاب الصحف ، لم ينقطع دَوِّيه ، ففى حياة الأستاذ الإمام كان الرجل زميلًا له ، ولكنه كان يعارضه فى اتجاهاته الفكرية ، ويضم حوله نفراً ممن يطيب لهم أن ينازعوا المصلح العالم المجدد .

وللأستاذ الإمام شيعته التى تهتف برأيه ، وتتناول معارضيه بالنقد وفى طليعتهم الشيخ محمد بخيت ، ثم مضى عهد الإمام ، وغلب الاحتلال

بطائفة ممن تعلموا فى بلاده ، ورجعوا يدعون إلى ما يخالف الشريعة سيراً فيما يزعمون فى ركاب التحرر ، وقد وقف الشيخ لهؤلاء بآرائه الصادقة ،

وله جهارة ومكانته ، وسلطته منصب ، فانثالوا عليه ناقدين ، وفى الفترة التى تلت الحرب العالمية

الأولى كثر التهجم على حقائق الإسلام وتاريخه انبهاراً ببريق أوربا الخادع ، وتتبع المتى الأكبر ما يقول هؤلاء تزييفاً ونقداً ، فشدُّوا فى الحملة عليه شدًّا عنيفاً ، تركوا مكمن الحوار الفكرى ، وتعرضوا لما تخيلوه من مواقف يرونها غير جديرة به ، إذ لم يكن نصيراً لحزبهم السياسى ، وهكذا اتصل العداء والنقاش حول الرجل ولكن ذلك لم يزعزع من مكانته ، لأن آراءه تؤيد بالدليل ، ولأن العالم الإسلامى جميعه فى شتى ربوعه من

عربية وأعجمية يرجع إليه فيما يجدّ من أمور تتصل بالدين ، فسيل الخطابات المنهلة من الشرق والغرب لاينقطع عن بريده ، والرجل مجاهد دءوب يعلم أن النكوص عن الافتاء لدى منك يملك فقهه تقصير فى دين الله ، وقد أعد نفراً من شباب العلماء ليساعدوه فى تسطير الفتوى حين تكل يده عن التسطير ، بل إنه وظف ثلاثة من هؤلاء لهذا الغرض بذاته ، وقد تبلغ الفتوى ست صفحات ، كما قرأنا بعض ذلك عند من نشروا فتاوى الشيخ المرسلة إليهم خاصة بالبريد ، وأسأل نفسى ، لم لم يحرص الشيخ على تسجيل هذه الفتاوى وقد بذل فيها جهد الباحث ، وصبر المنقب ، وضلاعة المستدل ، فتكون مرجعاً فقهياً كبيراً يضاف إلى مجموعة من الفتاوى الخاصة بكبار الفقهاء فى القديم والحديث ؟ أسأل نفسى هذا السؤال ، فلا أجد الجواب ، غير ما يوحى به التواضع العلمى لدى فقيه متزن يقدر فى فتواه الخطأ والصواب معاً ، وله أجهره عند الله فى الحالين ، ولعله بذلك يعطى درساً لنفر نشاهدهم الآن يتجرءون على الإفتاء دون استعداد ، ثم يطبعون ما يذهب صوابه فى لجج خطئه ، فإذا نقدهم ناقد تعادوا عليه ناهشين آكلين !

لقد أحسن الأستاذ أحمد حسن الزيات حين نعى الشيخ محمد بخيت المطيعى فى عبارة موجزة كدأبه الدائم ، فقال فى تركيز دقيق : « فى اليوم الثامن من هذا الشهر (اكتوبر ١٩٣٥) استأثرت رحمة الله بالفقيه العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية السابق ، وهو خاتمة طبقة من العلماء المحققين الذين تميزوا فى حياة الأزهر بالتبسط فى العقائد والتعمق فى الفقه فانتهت إليه الأمانة فيهما حيناً من الدهر كان ــ غفر الله له ــ من أشد المعارضين لحركة الإصلاح التى قام بها الإمام محمد عبده ، ودفعه إلى ذلك شهوة المنافسة من ناحية ، وتحريض أولى السلطان من جهة أخرى ، وكان فى الشيخ زكانةٌ شاهدة ، ودعابته لطيفة ، وطموح إلى مساماة الإمام فى منصبه ونفوذه وشهرته حرّك فيه الأخذ بنصيب من الأدب والثقافة الحاقة ، ولعله كان أعلم أهل جيله بدقائق الفقه الحنفى ، وأبسطهم لساناً فى وجوه الخلاف بين أصحاب الشافعى وأصحاب أبى حنيفة » .

ولى وقفة يسيرة عن قول أستاذنا الزيات إن الشيخ قد اندفع إلى معارضة الإمام ، وراء شهوة المنافسة ، وبتحريض أولى السلطان ، فقد يكون هذا مما نظن لدى النظرة العاجلة ، ولكن المسألة ترجع فى صميمها إلى اتجاهين علميين يتنازعان مدى الأحقاب ، اتجاه التجديد الواثب ، واتجاه المحافظة المتئدة ، فملابسات الإمام ورحلاته وثقافاته المتسعة دعته إلى التجديد عن اعتقاد ، وقد سد بذلك مسدا لا يقوم به سواه ، وعكوف الشيخ بخيت على الكتب الأزهرية وحدها ، وهى على عهده كتب المتون والحواشى والتقارير قد دفعه إلى الانحياز إلى ما قرأ فى هذه الكتب دون أن يمتد به النظر إلى غيرها ، كان ذلك على عهد الإمام ، ولكن الشيخ بعد رحيل الإمام أخذ يتصل بالثقافة المعاصرة قدر طاقته ، وهو ماعناه الزيات فى قوله : أنه حصل على نصيب من الأدب والثقافة ، وقدار ارتفعت منزلة الإمام لديه بعد وفاته ، وكتب عنه ما ينبىء عن تقديره الجم ، كما

رأس الحفلة الكبرى التى أقيمت لتأبينه سنة ١٩٢٢ فوفاه حقه الصحيح من التقدير ، وحين ألف كتابه (حقيقة الإسلام وأصول الحكم) ورأى الأستاذ على عبد الرازق ينقل عن كتاب « رسالة التوحيد كلاماً » يفسره على غير وجهه الذى عناهع الأستاذ الإمام قال فى قوة[١] .

وكل ما نقله من رسالة التوحيد للمغفور له الأستاذ الشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ قد ساقه للتمويه والمغالطة على غير الفرض الذى ساقه له المغفور له الأستاذة الجليل ، وحوله إلى غرضه ليوهم الناس أن له سلفاً صالحاً فيما يقوله ، ألا وهو الشيخ الجليل ، والأستاذ الكامل الحجة الشيخ محمد عبده ، وماهؤلاء وللشيخ محمد عبده ، وهم ما عاصروه ولا خالطوه تمام المخالطة ، ولا اجتمعوا معه فى درس ولا أخذوا عنه شيئاً من العلم ، وإنما هؤلاء يتشبثون بكل من اشتهر بالفضل والعلم وهو برىء منهم « براءة الذئب من دم ابن يعقوب » فهذه الشهادة العلمية الصريحة للامام الحجة تغنى عن كل تدليل ..

أما مجلة الأزهر فقد نعت الفقيه الأكبر إلى العالم الإسلامى فى كلمة معبرة ألمت بطرف من حياته العلمية الخصيبة ، وقد قال كاتبها الأستاذ محمد فريد وجدى عن الشيخ الكبير[٢] (كانت داره مثابة للمستفتين والمستفيدين ، وكان لا يبخل على أحد بالفتيا ، حتى إذا كان بعيداً عنه تكلف له كتابة الفتوى وأرسلها إليه بالبريد ، وكانت شهرته قد تجاوزت مصر إلى العالم الإسلامى كله فكانت تريد إليه الاستفتاءات تترى فى مختلف المسائل ، ومنها مشاكل تحتاج إلى مراجعات كثيرة مضنية فلا يضن بنفسه عن القيام بها فيحررها ويرسلها للمستفتين ، ومما انفرد به أنه استخدم كتاباً لنقل فتاواه وتولى إرسالها إلى طلابها فى مختلف الأقطار متحملاً مكافأتهم شهرياً ، وأجر ما يرسل بالبريد من الكتب والرسائل ، وقد عرف رحمه بالزعامة فى علم الأصول ، فكان يرجع إليه جلة العلماء فيما يشكل من مسائله ، ويصادفون لديه لكل مشكلة حلًّا ، كأنها مرت به من قبل فعالجها ، وانتهى إلى مايحسن السكوت عليه من أمرها » .

والإشارة العابرة إلى ما يتكبد الرجل مالياً من توظيف الكتاب له بأجر شهرى ، تذكرنا بموقف رائع له ، قل أن نجد نظيره اليوم ، فقد كان قاضياً كبيراً فى محكمة شرعية تختص بنزاع على وقف كبير ، فأصدر الحكم بما اقتنع به من رأى، وفرح المحكوم له بما نال ، فذهب إلى الشيخ ـ وهو أمير كبير ـ يحمل صكاً بمبلغ خطير للشيخ لموقفه القضائى ولكن الشيخ رمى المظروف فى وجهه ، وصاح به ، نحن نحكم بشرع الله ولا يخطر أمثالك لدينا ونحن نحكم ! وخرج الأمير صاغراً ، هذا موقف دينى باهر يقابله موقف سياسى للشيخ الأكبر ، حين قامت الثورة المصرية ، واحتدم اللهيب فى الأزهر منتقلًا إلى شتى ميادين القاهرة فأوفدت الحكومة الانجليزية اللورد ملنر للتفاوض مع الوطنيين ، دون الزعماء المعتلقين ، فأصدر الشيخ فتواه بتحريم الاتصال بلجنة ملنر ، وذاعت

---

(١) حقيقة الإسلام وأصول الحكم ص ٣٦٦ للعلامة الشيخ بخيت المطيعى . ط السلفية .

(٢) مجلة الأزهر ص ٥٨٣ المجلد السادس سنة ١٩٣٥م .

الفتوى فى الناس فخاب سعى اللورد ومعاونوه ، واهتز سعد زغلول فى معتلقه فرحاً وأبرق للشيخ يقول : هذه الفتـــوى جديـــرة بأكبر مفت للإسلام ! وللشيخ عبد الوهاب النجار كلمة ضافية مشبعة عن الرجل أشار فيها إلى أمثال هذه المواقف نشرها فى مجلة الشباب المسلمين ، وليست تحت يدى الآن ، فلتقرأ الشبيبة أمثال هذه المواقف ليجدوا القدوة الحسنة لدى سلفهم الكريم ..

ولد الشيخ فى بلدة (المطيعة) بمحافظة أسيوط سنة ١٨٥٦ ، فنشأ نشأة دينية حببت إليه حفظ القرآن وتجويده وتعلم القراءة والكتابة ، ثم انتقل إلى القاهرة طالباً بالأزهر بعد أربعة عشر عاماً من موله ، فطلب العلم على أساتذته الكبار أمثال الدمنهور والمهدى والشربينى والملوانى ، كما ذكر صاحب كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر(٣) ، ومن أساتذته الشيخ حسن الطويل ، وجمال الدين الأفغانى ، وأنا أرى أن أثرهما قليل فى نشأته العلمية لأن طريقته التأليفية تنحو منحى لا يتفق مع مشربهما ، وقد نال الدرجة الأولى حين تقدم لامتحان العالمية ، وعين مدرساً بالأزهر ثم انتقل إلى القضاء بمديريات القليوبية والمنيا وبورسعيد والسويس وأسيوط على مدى ثلاث عشرة سنة انتقل بعدها إلى تفتيش المحاكم ، ومازال يرقى حتى صار رئيساً للمحكمة فى عدة بلاد ، وختم هذا العمل القضائى بتعيينه مفتياً للديار المصرية سنة ١٩١٤ ، وقد اختاره السلطان حسين كامل من بين عدة مرشحين لهم كفاءتهم العلمية ، ودعاه إلى مقابلته عقب تعيينه فقال له(٤) اعلوما أنكم تخاطبون بفتاواكم العامة فالزموا فيها الصراحة حتى لا تكون محتملة للتأويل ، ولتكن لكم أسوة حسنة فى المرحوم الشيخ المهدى الذى لبث يخدم دينه أربعين عاماً يفتى الناس فى أمور دينهم وقد ترك أثراً صالحاً ومثالًا جليلًا من الفتاوى لايزال رجال الدين إلى اليوم يرجعون إليه فى الوقوف على المعضلات الشرعية ، وهذا التوجيه من سلطات البلاد يدل على اهتمامه بمنصب الافتاء ومعرفته السابقة فى حلبة الفتوى من العلماء ، وقارىء الفتاوى المهدية مقارنة بفتاوى الشيخ بخيت يلمس الشبه القريب بين الاتجاهين ، لأن الشيخين الكبيرين يهتمان بالنصوص المدونة لأئمة التشريع ، ولا تكاد ترى غير النصوص أمامك متتابعة حتى يجىء التعقيب النهائى فى آخر الفتوى ، مرجحاً رأياً على رأى ، هذا طابع الافتاء المتقارب لدى الشيخين ، فهل يكون توجيه السلطان للشيخ ذا أثرٍ فى هذا الاتجاه .

إن قراءة ما كتبه الشيخ بخيت قبل أن يعين مفتياً للديار المصرية بأكثر من عشر سنوات تدل على أنه يلزم هذا النهج من قديم ، فقد قرأت كتيباً لطيف الحجم تحت عنوان (أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام) وقد طبع بمطبعة الشعب سنة ١٩٠٣ ، وكان الأستاذ عضواً بالمحكمة الشرعية العليا وإذ ذاك ، قرأت هذا الكتيب فوجدت المنهج فى الماضى لا يختلف عن المنهج فيما بعده ، حيث أجاب الأستاذ عن أسئلة وصلته من الشام خاصة بمعنى البدعة وهل تكون

(٣) كنز الجوهر ص ١٧٣ للشيخ سليمان الحنفى .

(٤) الكنز الثمينك : ص ٥١ .

منها قراءة سورة الكهف ، ورفع الصوت بالأذان يوم الجمعة ورفع الصوت فى الجنازة فأجاب الأستاذ بما شفى الصدر حقاً فارقاً بين (البدعة اللغوية) و (البدعة الشرعية) ومستنداً إلى نصوص الاثبات من العلماء ، وإن كانت اللغة من الضيق والكزازة بحيث كان الموقف يحتاج إلى بسط ، ولأصحاب هذه الطريقة عذرهم إذ يعلمون أنهم فى الفتوى يقننون قانوناً ، لكل جملة فيها معنى ، ولكل لفظ حد لا يخرج عن مدلوله ! فالايجاز - فى منطقهم - أولى وأسد ، ولكن أكثر كتب السابقين - قبل عهود الحواشى - ذات بسط وإشباع ، وما راج كتاب الإحياء للإمام أبى حامد الغزالى هذا الرواج إلا لتدفقه فى بسط الأحكام وإقناع القارىء بما يشفى غلته من البيان المستطاب .

أعلم ان احتجاز الكاتب وراء النصوص المتتالية قد يدل على اختفاء الشخصية ، وذلك واقع فى البحوث الأدبية ، أما البحوث العلمية فلها وضع آخر ؛ لأن هذه النصوص لم تأت عفواً ، ولكنها جاءت وراء تتبع واستقصاء ، إذ قام الباحث بقراءة نصوص غيرها ، ثم اختار ما اطمأن إليه منك قوة الدليل ، وهذا الاختيار المنتخب من عشرات النصوص يدل على جهد مستتر لا يدركه غير من كابد التأليف العلمى فى جوانب كثيرة من فروعه .

يقول الأستاذ عباس العقاد بصدد حديثه عن مؤلفات الأستاذ مصطفى عبد الرازق[٥] « ومن خبر الكتابة التاريخية وعرف انتقاء الشواهد والأمثلة ، فهو خليق أن يعرف أن الانتقاء من الشواهد الكثيرة ، لا يأتى بغير ميزان مستقل يعتمد عليه المؤلف فى اختياره وترتيبه ، فكتاب مثل (التمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية) كان يمكن أن يتضمن عشرة أضعاف الشواهد التى اشتمل عليها . ولا يحس القارىء بها أثراً للترتيب والدلالة المفيدة ، ولكنه تضمن هذه الشواهد دون غيرها ؛ لأنها أقرب إلى مقياس المؤلف وميزانه ، وأدل على وجهته وحكمه ، وأنفع لمن يريد المراجعة والاستناد ، ومن هنا كان القارىء لا يحس شخصية المؤلف مقحمة بين السطور » .

قد أكون أطلت فى هذه الفكرة بعض الشىء ، وذلك شىء تعمدته ؛ لأن بعض ناقدى آثار الشيخ بخيت المطيعى قد خاض فيها خوضاً دون تأمل ومن هؤلاء الأستاذ محمد كرد على حين قال فى مقال تحت عنوان (القول فى تآليفنا) :[٦]

« يتذوق أكثر المتعلمين اليوم البلاغة ، ولذلك لا يرضيهم من المؤلف أن يكتب موضوعه كما اتفق : بل يرغبون أن تصوغه فى قالب مقبول ، ويعرض عليهم زبدة مما محص وحقق ، مثال ذلك كتب الشيخ محمد بخيت وكتب الشيخ أحمد ابراهيم فى الفقه ، فالأول على جلالة قدره فى هذا الفن لم يكتب لمصنفاته القبول كما كتب لمصنفات الشيخ الثانى ، وذلك لأن الشيخ بخيت لم يرزق من نعمة البيان ما يؤهل كتبه للاستحسان عن العارفين ، ونالت مصنفات الآخر موقعاً من

(٥) مجلة الكتاب (ابريل سنة ١٩٤٧) .

(٦) أقوالنا وأفعالنا للأستاذ محمد كرد على ص ٣٩٣ .

النفوس لما كتبت به من طراز جميل » واستطرد الأستاذ كرد على فيما يشبه هذا القول ، وأنا لا انتقص كتب العلامة الشيخ الكبير أحمد ابراهيم – رحمه الله – فإنها فى الذروة ، ولكنى أقول إن الرجل الكبير كان يكتب محاضرات لطلبة كلية الحقوق ، وطلبة الدراسات العليا بها ، فاضطر إلى نظام خاص يلائم المنهج الجامعى ، أما الأستاذ الشيخ بخيت المطيعى فيكتب للخاصة والعامة معاً ، ولا يلتزم نهجاً جامعياً ، وإذا كانت النصوص الفقهية تتوالى فى آثاره على نحو ما أشار الأستاذ العقاد متحدثاً عن آثار الأستاذ مصطفى عبد الرازق فإن هذه النصور فى صميم الصميم من الموضوع ، وأذكر أن الأستاذ محمد كرد على قد ملأ كتابه عن « الحضارة العربية » بجزءيه الكبيرين بنصوص كثيرة من المحدثين والقدماء شرقاً وغرباً ، بحيث لو جردت الكتاب من هذه النصوص لم يكد يبقى منه شىء ، وما قال قائل إن النصوص المتوالية قد أضعفت الكتاب ، هذا وهو يكتب فى موضوع اجتماعى حضارى . لا فى مسائل فقهية ذات دقة وتركيز .

الحق أن الرجل الكبير قد ظلم الشيخ حين نقده ، وفى صفحات أخرى من كتابه (أقوالنا وأفعالنا) أشاروا إليه تعريضاً على وجه الانتقاص(٧) ، وهاجم غيره من الفضلاء وهو مما يجعلنا نبحث عن سبب فى ذلك لأن السياق العام للموضوع لا يقتضى هذا الشرود .

محاضرات الشيخ بخيت

هذا وللشيخ بخيت محاضرات عامة ألقاها فى الجمعيات الاسلامية ، لم تكن تعتمد على كثرة النصوص ، لأن لكل مقام مقالًا ، والذى يحاضر فى موضوع عام يطرد فيه القول اطراداً دون كثرة استشهاد ، لا يعوزه أن يجعل تأليفه كمحاضرته لو أراد ، ولكنه فى المحاضرة أقرب إلى الخطيب فهو يرعى مواقف التأثير ونواحى الإمتاع ، كما يرعى مواقف التدليل ونواحى الإقناع ، كما أنه فى البحث يحاول أن يستند إلى نصوص نظنها ملزمة ، كيلا يقوم متسرع فيرميه بالشطط ، ومع هذا الاحتياط الكبير ، فقد رمى بالشطط حين ألقى محاضرة (عن نظرية داروين) فقال ناقدوه ما للشيخ وداروين ؟ ونسوا أنه يتعرض للذود عن الإسلام فى أصل من أصوله ، لأن أشياع هذه النظرية ظنوها هو ما للأديان جميعاً ومن بينها الإسلام ! أفيسكت مفتى الإسلام عن إبداء رأيه فيها ؟ .

– يتبع –

---

(٧) أقوالنا وأفعالنا ص ٥٩ .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

روح الإسلام والمذاهب الفلسفية

لصاحب الفضيلة الشيخ / صادق ابراهيم عرجون

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

لم يكن الدين أبداً مناهضاً للعلم ولا مناوئاً له وكيف وهو من صميم الدين ؟ والدين معه يهذبه ويوجهه ليكون نافعاً مفيداً ، وقد أخذ بالعلم السابقون الأولون من علماء المسلمين فعبر عن روح الإسلام ، دين القلوب لا دين القوالب .

والفكر الفلسفى فرع من فروع العلم ، ورافد من روافد المعرفة ، ولذلك لم يجد زعماء الفكر الإسلامى غضاضة فى الاشتغال بالفلسفة على اعتبار أنها ثمرة من ثمار الفكر الإنسانى ، فقط كان الدين يكبح جماح بعض الفلاسفة إذا شط بهم الخيال عن جادة الصواب أو صادمت الفلسفة وقعاً محسوساً .

ومن هذا المنطلق تناول مفكرو المسلمين علوم الغابرين ومذاهبهم الفلسفية بالنظر ، ولم يأخذوها حقيقة واقعة أو قضية مسلمة ؛ بل درسوها وطرحوها على بساط البحث وقد عبر عن ذلك فيلسوف الإسلام ابن رشد بقوله : « ينبغى لنا أن نضرب فى كتبهم ، فننظر ما قالوه فإن يكن صواباً قبلناه منهم ، وإن كان فيه ما ليس بصواب نهينا عنه » .

قال الأستاذ ـ رحمه الله :

روح الإسلام والمذاهب الفلسفية

« وإذا كانت هذه الشرائع حقاً وداعية إلى النظر المؤدى إلى معرفة الحق، فإنا معشر المسلمين نعلم على القطع أنه لا يؤدى النظر البرهانى إلى مخالفة ما ورد به الشرع ، فإن الحق لا يضاد الحق ، بل يوافقه ويشهد له » .

(الفيلسوف ابن رشد)

« وليس فى المعارف الحقة الصحيحة المستقرة شىء يمكن أن يناقض أصول الدين ويهدمها » .

(الأستاذ المراغى)

بلغ الفكر الإنسانى طوراً سامياً من أطواره فى الكشف عن حقائق الوجود ، ولا ندعى أنه منتهى شوطه ، بل لا يمكن لإنسان أن يزعم أن للنشاط الفكرى نهاية لأن النهاية إنما تكون للمحدود ، ومجال للفكر لا يعرف التحديد .

وقد كانت هذه الحقيقة قبل الإسلام سبباً فى النفرة بين الدين والفكر ، وأحرى أن يقال بين المتدينين والمفكرين ، ولأن الدين نبه على حقائق ، وندب القلوب إلى اعتقادها ، فاستعصى سبر غورها على العقول ، وأبى الفكر الحر أن يقف أمامها ساهماً واجماً ، فمشى إليها فى ثقة قوية ليكشف عنها ، فانتهض المتدينون لذوده عن مقامه بحجة أن الدين من وحى الله ، فهو سر من أسرار الله ليس للفكر فيه مجال ، فنجم حينئذٍ ذلك التدافع الدامى فى تاريخ الإنسانية .

فلما جاء الإسلام قرر فى أولى حقائقه أنه إذا كان الدين من وحى الله فالفكر من فيض الله ، وبهذا وضع الإسلام قاعدة التآخى بين الفكر والدين ، فتصافحا فى ظله ، وأخذا فى سبيل هداية الإنسانية متعاونين على قيادة الوجود إلى سعادة الخلود .

ومن ثم كان أصحاب رسول الله ﷺ يأخذون الدين بفطرة نقية وفكر مهذب ، فلم تعوِّقهم عقبات الجدل الأجوف عن العمل الصادق فى نشر الدين فى أقطار الأرض ، ففتحوا الأقطار ، ومصروا الأمصار ، ولكن هذه الفطرة أصابتها الحياة بالصدأ بعد إذ بعُد العهد بنور الوحى ، فاحتاجت فى أخذها الدين وفهم حقائقه إلى أداة من البحث ، وكانت علوم الأوائل قد وصلت إلى أيدى المسلمين ، فلم يحجموا عن النظر فيها والاستعانة بها ، لأنهم وجدوا من الإسلام ديناً آخى بين الفكر والدين ، وهذه المؤاخاة هى روح الإسلام الخالدة .

وإذا كانت الفلسفة آية من آيات الفكر الإنسانى ، فهى من صميم الإسلام ، لأن الفلسفة ليست شيئاً أكثر من النظر فى الموجودات ، وتعرّف صلتها بالخالق ، وإبراز خصائصها . وهذا المعنى هو الحكمة فى لسان العرب ، والحكمة جعلها الله من أعظم مننه على أخصاء عباده فقال ـ تعالى : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾[1] .

تناول مفكرو المسلمين علوم الغابرين ومذاهبهم الفلسفية بالنظر ، وخاضوا خضمها ، ودرسوا مذاهبها فى الإلهيات والطبيعيات ، والفلكيات ، وعلوم النبات والحيوان بعقول راجحة ، لا ترد الحق ، ولا تقبل الباطل ، قال الفيلسوف ابن رشد : « ينبغى لنا أن نضرب بأيدينا إلى كتبهم (الأوائل) فننظر فيما قالوه من ذلك ، فإن كان صواباً قبلناه منهم ، وإن كان فيه ما ليس بصواب نبهنا عليه » .

نعم لم يسلم فلاسفة الإسلام من النقد والتحامل فى فترة قصيرة من الزمن ، فشن بعضهم الغارة على أمراء الفكر ، وقادة الرأى ، ورموهم

(١) سورة البقرة آية ٢٦٩ .

بالزندقة ، ولكن ما لبثت هذه السحب أن تقشعت ، فخلّف المفكرون لنا ثروة علمية وذخيرة أدبية يدوم لنا فخرها مادام أمر الفكر الإنسانى نافذاً فى الوجود .

عرضوا لأدق النظريات الفلسفية فبحثوها ، وأثبتوا لهم فيها رأياً قوياً تكنفه الحجة الصادقة ، ويحوطه البرهان المبين ، فابن سينا لم يترك نظرية إلا درسها وكتب فيها محققاً ناقداً ، والفارابى لقب لعظمته فى البحث بالمعلم الثانى ، وابن رشد قالوا عنه : إن كتب أرسطو ما كانت لتصل إلى أيدى الناس لولاه ، وأبو حامد الغزالى الملقب « بحجة الإسلام » سبق (ديكارت) بتقرير نظرية الشك عند البحث حتى لا يسيطر التقليد على الذهن ، فقال فى كتاب (ميزان العمل) : « ولو لم يكن فى هذه الألفاظ إلا ما يشككك فى اعتقادك الموروث لكفى بذلك نفعاً ، فإن من لم يشك لم ينظر ، ومن لمن ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقى فى العمى والحيرة » .

هذا حال علماء الإسلام الأقدمين فى فهم روح الإسلام ، وإقبالهم على دراسة المذاهب الفلسفية على اختلاف اتجاهاتها ، وبلوغهم فيها درجة جعلتهم أعلام الدنيا ، فما شأننا نحن : وكيف فهمناك روح الإسلام ؟ وما موقفنا من دراسة ما جدّ فى الحياة من مذاهب فلسفية قامت عليها حضارة العالم ؟ وكم فى عداد المسلمين الآن من فيلسوف ؟ بل كم فيهم من مطلع على الفلسفة اطلاع المفكر الحر ؟ إن الجواب على ذلك مؤلم مؤسف ، ولكن علينا أن نجابه الحقيقة العريانة لنفهم أنفسنا ، ونفهم مكاننا الصحيح من ديننا وتاريخنا ، فلذلك أجدى علينا من المراوغة والمداورة .

منذ خمدت الحركة الفلسفية الإسلامية فى الأندلس ، وانتقلت إلى أوربا ، سارت مترسمة خطواتنا حيناً من الدهر ، ثم ارتقت فابتكرت مذاهب جديدة صعدت بها إلى ذروة المجد ، وبقينا نحن متخلفين ، بل بقينا منكرين ساخطين ، فتأخر تفكيرنا وجمدت قرائحنا وأصابنا العقم ، فما ننتج شيئاً فيه ريحنا وعليه طابع ديننا .

جدّت مذاهب فى بعضها هداية نحن أحق بالسبق إليها ، وفى بعضها إلحاد وزيغ نحن أحق بفهمها لننقدها ولنزيف باطلها ، وجدّت مذاهب فى الطبيعة استخدمت بها أوربا مرافق الوجود فى السماء والأرض .

من الذى درس من المسلمين مذهب (دارون) فى النشوء والارتقاء ، وطابق بينه وبين ما يقوله القرآن الكريم فى أصل الإنسان ؟ ومن الذى بحث نظرية الجاذبية التى كشفها (نيوتن) وعرف صلتها بقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾ .

سورة فاطر

والله ـ جل شأنه ـ لا يمسك السماء والأرض كما يتصور الجاهلون ، وإنما يمسكها بناموس الارتباط العام بين ذرات العالم أجمع ؟ ومن الذى درس من علماء الإسلام مذهب استحضار الأرواح وعرف صدقه من كذبه ، وقد ملأ دويه

الدنيا ، وقلب كثيراً من الحقائق التى كان يدين بها الماديون ؟ ومن الذى درس مذهب (ديكارت) وعرف فرق ما بينه وبين مذهب الغزالى ؟ ومن الذى درس نظرية النسبية التى وضعها (انشتين) وعرف قيمتها ؟..

أنا لا أنكر أن أفراداً من أذكياء المسلمين منتثرين هنا وهناك وجهوا أفكارهم هذا الاتجاه الصالح ، فدرسوا واطلعوا ، ولكنهم قليلون ، وهم مع قلتهم لم يبلغوا أن تكون لهم آراء تقوم إلى جانب آراء فلاسفة الغرب ، كما كان لأسلافنا من الاستقلال الفكرى ، ونحن لا نريد أن نقف من الحياة موقف المتفرج ، ولا موقف المقلد ، لأن ديننا وتاريخنا يأبيان علينا ذلك الجمود ، ويحثاننا على النظر والدرس :

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ ؟

إن الأزهر ، وهو أعظم معاهد الإسلام ، يجب عليه أن يمد يده إلى هذه المذاهب الحديثة ويدرسها ليخرج فيها فلاسفة يقودون الأمة إلى مراقى الفلاح ، وإنه لا فلاح لأمة جامدة التفكير . يقول الفيلسوف ابن رشد : « يجب علينا إن لقينا لمن تقدمنا من الأمم السالفة نظراً فى الموجودات واعتباراً لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان أن ننظر فى الذى قالوه من ذلك ، وما أثبتوه فى كتبهم ، فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم وسررنا به ، وشكرناهم عليه ، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم » .

بهذا النحو من التفكير تقدم ابن رشد على الناس : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ .

المجلد السادس

١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م

استدراك :

تلقينا من القارىء / سميح سميح طراز ... الطالب بمعهد رشيد الثانوى الأزهرى ـ تصويباً لما جاء فى مقال « مع تفسير سورة يس » ـ الذى نشر بالعدد الماضى ـ عن : موقع قرية « أصحاب القرية » من أنها تقع فى شمال سوريا على البحر الأبيض المتوسط ، وليست على البحر الأحمر .. تحيةً للقارىء على متابعته .

العلوم الكونية

العلوم التقنية فى التراث الإسلامى

عرض وتحليل أ.د/ أحمد فؤاد باشا*

٣

ثالثاً : تقنية الأجهزة العلمية :

أدرك علماء الحضارة الإسلامية حقيقة العلاقة بين العلم والتقنية من خلال ممارستهم للمنهج التجريبى الاستقرائى ، فعرفوا أن التقنية لا يمكن أن تزدهر أبداً بمعزل عن العلم والبحث العلمى ، وأن تطوير التقنية ينعكس بدوره على تقدم العلوم الأساسية بشقيها النظرى والعلمى ، وكان طبيعياً أن يتوخوا الدقة فى نتائج أبحاثهم ، وأن يجدّوا دائماً فى استحداث طرائق وأساليب جديدة أكثر دقة وإحكاماً من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية ، وهو ما عبر عنه الحسن بن الهيثم بوضوح فى كتابه « المناظر » بقوله : « ... ونجعل غرضنا فى جميع ما نستقر به ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ، ونتحرى فى سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء ، فلعلنا نهتدى بهذا الطريق إلى الحق الذى به يثلج الصدر ، ونصل بالتدريج والتلطف إلى الغاية التى عندها يقع اليقين ، ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التى يزول معها الخلاف ، وتنحسم بها مواد الشبهات »(١) .

وعلى ضوء هذه المنهجية التجريبية فى البحث العلمى طور علماء المسلمين تقنيات الأجهزة والأدوات العلمية المستخدمة فى الأوزان ، والمكاييل ، والمقاييس ، والعمليات الكيميائية ، والجراحة الطبية وغيرها .

وسوف نعرض فيما يلى بإيجاز لبعض هذه التقنيات :

(أ) تقنية الموازين والمكاييل :

أبدع المسلمون أنواعاً مختلفة من الموازين لحاجتهم الماسة إليها فى تعيين الثقل النوعى (الكثافة) لبعض الأجسام الصلبة والسائلة ، وفى تحضير الأدوية ومزجها بمقادير معلومة ، وفى التمييز بين الفلزات الثمينة والأحجار الكريمة وبين تلك التى تكون مشوبة أو غير نقية .

وقد اعتمدت نظرية عمل الموازين على مبدأ « الرافعة » Lever كما هو الحال بالنسبة للميزان العادى ، أو القبّان الذى تقسم إحدى ذراعيه أقساما يحرَّك عليها جسم ثقيل يسمى « الرمانة » للوصول إلى التوازن الدقيق ، ويكون التوازن تاماً عندما يصبح عمود (قب) الميزان أفقياً تماماً ، ويستدل على هذا بالعين مباشرة أو بواسطة

* أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

(١) مصطفى نظيف ، الحسن بن الهيثم : بحوثه وكشوفه البصرية ، القاهرة ، ١٩٤٢م .

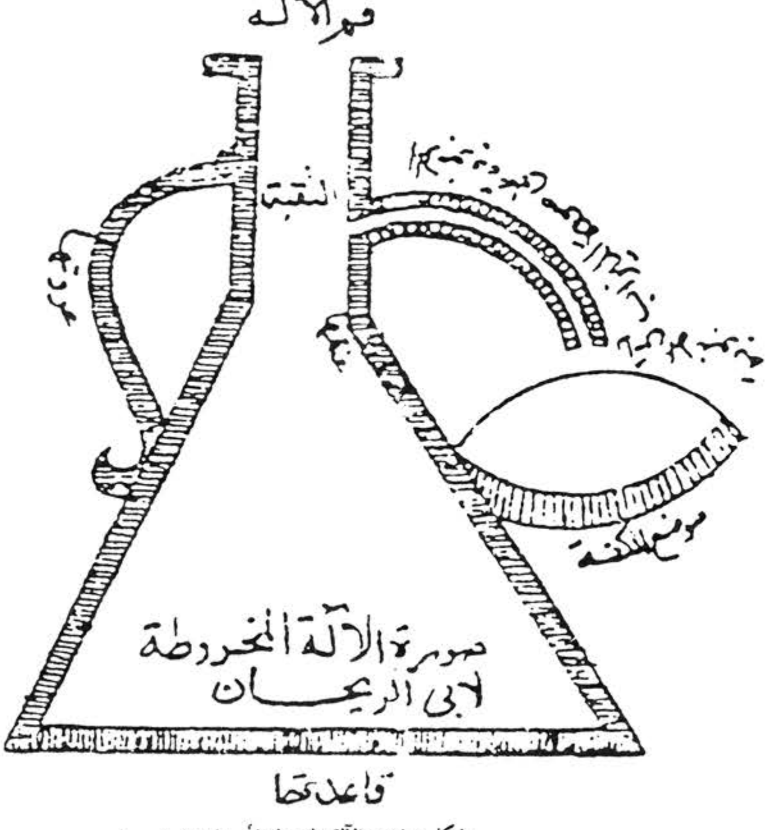

شكل (١) : الآلة المخروطة لأبى الريحان البيرونى ..

« لسان » يوضع فى وسط العمود ، والمواضع التى تتحرك عليها « الرمانة » ينقش عليها أرقام وتسمى « شعيرات » .

وقد استخدم البيرونى تقنية رائدة ؛ لتعيين الكثافة النوعية للمواد ، وصفها بقوله : « فلم أزل بعده أعمل آلة بعد أخرى وأحترس فى أخيرتها عما كان يعترض علىّ فى الأولى حتى عملت آلة مخروطة الشكل ، واسعة القاعدة ، ضيقة الفم بعد عنق ممتد بذلك الضيق من البدن إلى الفم ، وثقبت فى أواسط هذا العنق بالقرب من أسافله ثقبة صغيرة مدورة ، وألحمت عليها بقدرها أنبوبة منكوسة الوضع ، رأسها إلى جهة الأرض ، تحت هذا الرأس ، كالحلقة لوضع كفة الميزان عليها وقت العمل »[٢] .

وكان البيرونى يزن المادة التى يريد دراستها بعناية ، ثم يُدخلها فى الآلة المخروطية التى تكون قد ملئت بالماء حتى غاية مصبها ، فتزيح المادة المولجة قدراً من الماء مساوياً لحجمها ، حيث يفيض هذا

(٢) عن كتاب « ميزان الحكمة » لعبد الرحمن الخازنى ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٥٩ هـ ، ص ٥٨ .

الحجم المكافىء من الماء ويخرج من المصب ، حيث يجمع فى كفة ميزان لإيجاد وزنه ، ويجرى حساب الثقل النوعى بتحديد النسبة بين ثقل المادة وثقل حجم مساوٍ لها من الماء (أى ثقل كمية الماء المزاحة نتيجة إدخال المادة فى الآلة المخروطية) .

كذلك استعمل عبد الرحمن الخازنى مجموعة من الموازين بقصد عمل قياسات متعددة ، من بينها تعيين الثقل النوعى لبعض السوائل . وقد ضمّن كتابه القيم « ميزان الحكمة » وصفاً تفصيلياً لهذه الموازين التى تضمنت ميزانه الجامع الذى استخدمه لمعرفة نسب الفلزات بعضها إلى بعض فى الحجم ، وتمييز بعضها من بعض من غير سبك ولا تخليص ، ومعرفة الجواهر الحجرية ، وتمييز حقها من أشباهها وملوناتها[٣] .

وقد بلغت القياسات التى قام بها البيرونى والخازنى ؛ لتقدير الوزن النوعى لبعض المواد الصلبة والسائلة درجة من الدقة تطابق تقديرات علماء العصر الحاضر[٤] .

(ب) تقنية الأرصاد الجوية والفلكية :

اهتم علماء الحضارة الإسلامية برصد الظواهر الكونية على أساس علمى سليم ، واستعانوا فى أول الأمر بمعلومات القدماء : المصريين والبابليين والهنود والفرس والإغريق ، ثم قاموا بعد ذلك بأرصادهم الخاصة باستخدام الأجهزة والآلات ، وصنفوا فى هذا الفن العديد من الكتب والجداول الفلكية (الأزياج) . وانتشرت المراصد فى جميع أنحاء الدولة الإسلامية ، وتميزت بأجهزتها الدقيقة وبتفوق المشتغلين فيها ، حيث تمكن العلماء من تطوير أجهزة مثل : المزولة الشمسية والساعة المائية لتحديد الزمن ، ومثل « الأسطرلاب » الذى طوروا فيه أنواعاً مختلفة ؛ لتحديد الارتفاعات ومعرفة الزمن والأوقات .

وعن « الأسطرلابات » يقول الخوارزمى الكاتب فى كتابه « مفاتيح العلوم » ما يفيد بأن « أنواع الأسطرلابات كثيرة ، وأساميها مشتقة من صورها ، كالهلالى من الهلال ، والكرى من الكرة ، والزورقى ، والصدفى ، والمبطح ، وأشباه ذلك .. »[٥] وتتوزع تقنيات « الأسطرلاب » إلى ثلاثة أنواع رئيسية بحسب ما إذا كانت تمثل مسقط الكرة (القبة) السماوية على سطح مستو ، أو تمثل مسقط هذا المسقط على خط مستقيم ، أو تمثل الكرة بذاتها دون أى اسقاط . ويعتبر « الأسطرلاب » المستوى أو المسطح — ويسمى أيضاً « ذات الصفائح » — أكثر الأنواع شهرة ، ويتركب من الأم ، والأقراص المستديرة ، والعنكبوت أو الشبكة ، والعضادة أو المسطرة .

ويذكر البيرونى أنه ألف رسائل هامة فى « الأسطرلاب » وضع فى إحداها نظرية بسيطة لقياس محيط الأرض بدقة لا تختلف عن القيمة

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٢ وما بعدها .

(٤) د . أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

(٥) محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمى الكاتب (المتوفى سنة ٣٨٧هـ = ٩٩٧م) ، مفاتيح العلوم ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، طبعة دار الكتاب العربى ببيروت ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م ، ص ٥٤ ، عن : جلال شوقى ، « مسيرة الحضارة من شك التجريد إلى يقين التجريب » ، عالم الفكر ، الكويت ، المجلد ١٩ ، العدد ٤ ، ١٩٨٩م ، ص١٩٢ .

راجع أيضاً : س . م . ضياء الدين علوى ، الجغرافيا العربية فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجريين) ، الترجمة العربية ، جامعة الكويت ١٤٠١هـ — ١٩٨٠م .

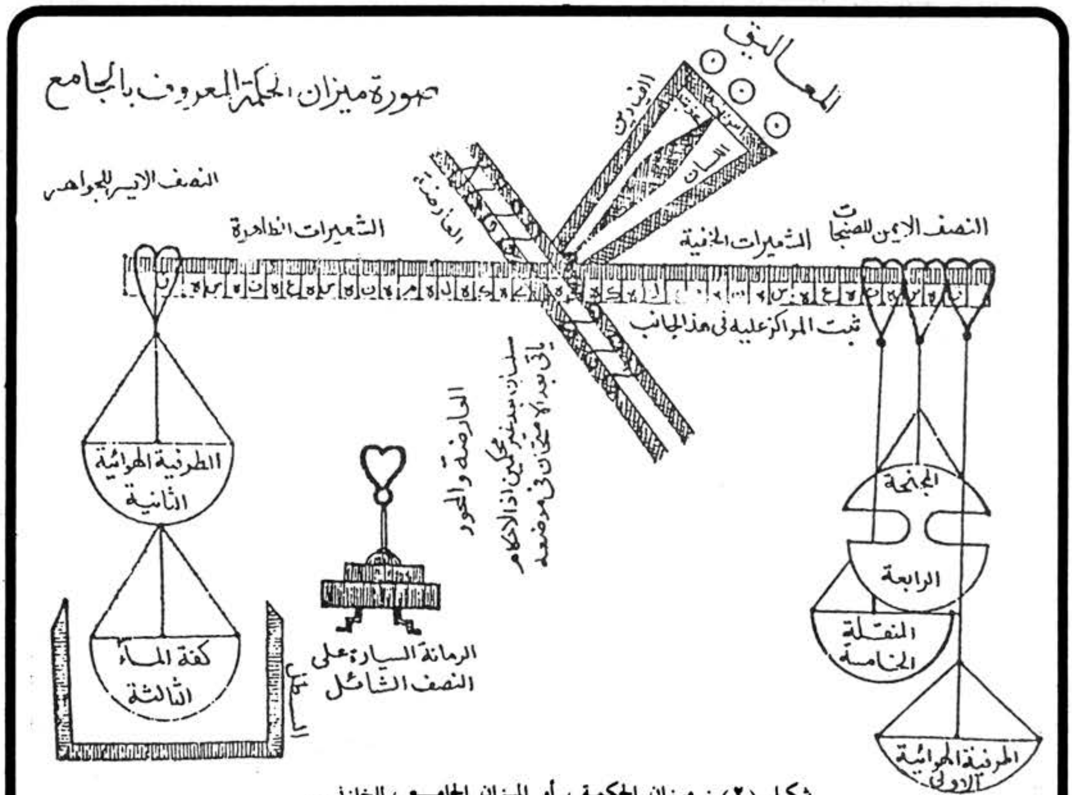

شكل (٢) : ميزان الحكمة ، أو الميزان الجامع ، للخازنى ..

المعروفة حالياً ، ولا زالت هذه النظرية تدرس فى مناهج تعليم الفيزياء حتى اليوم ، وهناك مؤلفات أخرى عديدة فى « الأسطرلاب » للكندى والمروزى والزرقالى والمجريطى وغيرهم ، وقد شاع استعمال « الأسطرلاب » فى أوروبا فى القرن الرابع عشر الميلادى ، لكنه ظل مستخدماً فى البلاد العربية والإسلامية حتى القرن التاسع عشر الميلادى ، وباستخدام الساعات الميكانيكية والحسابات الفلكية والآلات الحاسبة المساعدة أصبحت تقنية الأسطرلاب غير ضرورية فى عصر تقنية الفضاء والأقمار الصناعية .

(جـ) تقنية الأدوات الكيميائية والطبية :

ازدهرت الكيمياء كثيراً فى عصر الحضارة الإسلامية على أساس المنهج التجريبى الذى تطلب القيام بطرق وعمليات متنوعة لتحضير ؛ المؤاد الكيميائية وتنقية الأدوية والعقاقير ، فعرف علماء المسلمين عمليات التقطير والترشيح والتبخير والتصعيد والطبخ والصهر والسحق والتبلور وغيرها ، وكانوا أول من أدخل تغليف الحبوب بالذهب والفضة ، وأول من حضر الأقراص بالكبس فى قوالب خاصة . وتطورت تقنية الأدوات والأجهزة الكيميائية تبعاً لذلك ، فعرف علماء المسلمين كيف يطورون الأدوات المناسبة لكل عملية كيميائية ، فصنعوا القارورة Bottle ، والقدح Beaker ، والأمبيق Alembie ، والقمع Funnel ، والقنينة

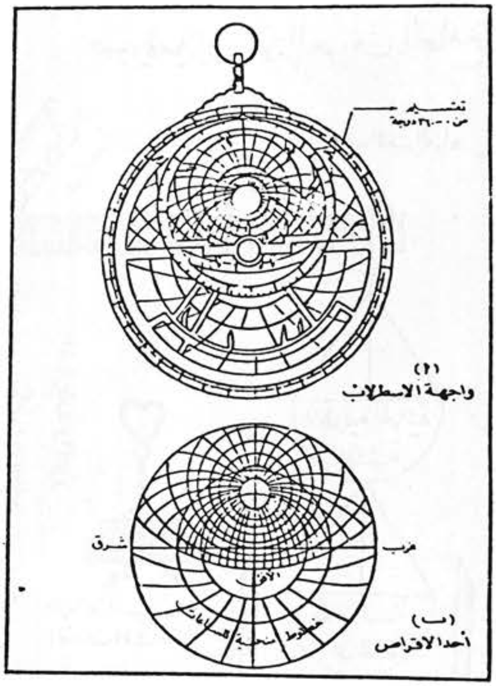

شكل (٣) : واجهة الأسطرلاب وأحد الأقراص ..

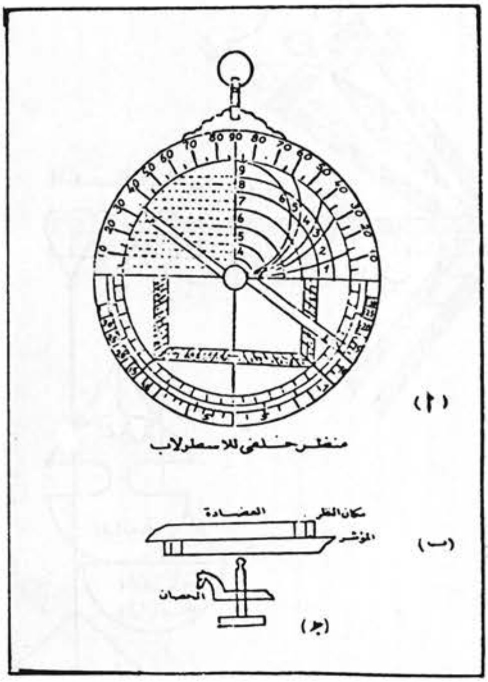

شكل (٤) : الأسطرلاب (منظر خلفى والعضادة) ..

Flask ، والمهــــراس Mortar ، والتنــــور Furnare ، والبوتقة Crucible ، وغيرها[٦] .

أما فى مجال الطب فقد استحدثت أدوات وأجهزة طبية عديدة مناسبة للجراحة فى مجالات الطب الباطنى وطب العظام وطب الفم والأسنان وطب التوليد وغيرها ، ويعتبر أبو القاسم الزهراوى أكبر أطباء المسلمين شهرة فى مجال الجراحة ، فقد ألف كتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف » الذى يعتبر موسوعة طبية تقع فى ثلاثين جزءاً ومزودة بأكثر من مائتى شكل للأدوات والآلات الجراحيــــة التــــى كان يستخدمها ، ومعظمها من ابتكاره . ولقد حظى هذا الكتاب باهتمام كبير لدى أطباء أوروبا وبقى كتاباً تدريسياً معتمداً فى جامعاتها لعدة قرون ، ومن أمثلة الأدوات التى استعملها الزهراوى فى الجراحة نذكر على سبيل المثال لا الحصر[٧] :

الجفت : وهو آلة لاستخراج العظام المكسورة من الفك أو أحد عظام الفم .

(٦) د. فاضل أحمد الطائى ، أعلام العرب فى الكيمياء ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦م .

(٧) د. عامر النجار ، فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية ، دار المعارف ، ١٩٩٤م .

ـ الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ،إشراف د. محمد كامل حسين ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بدون تاريخ للنشر .

ـ د. أحمد مختار منصور ، دراسة وتعليق على كتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف » للزهراوى ـ الجزء الثلاثون ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، المجلد السادس والعشرون الجزء الثانى ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م ، ص ٤٧٥ ـ ٥٤٠ .

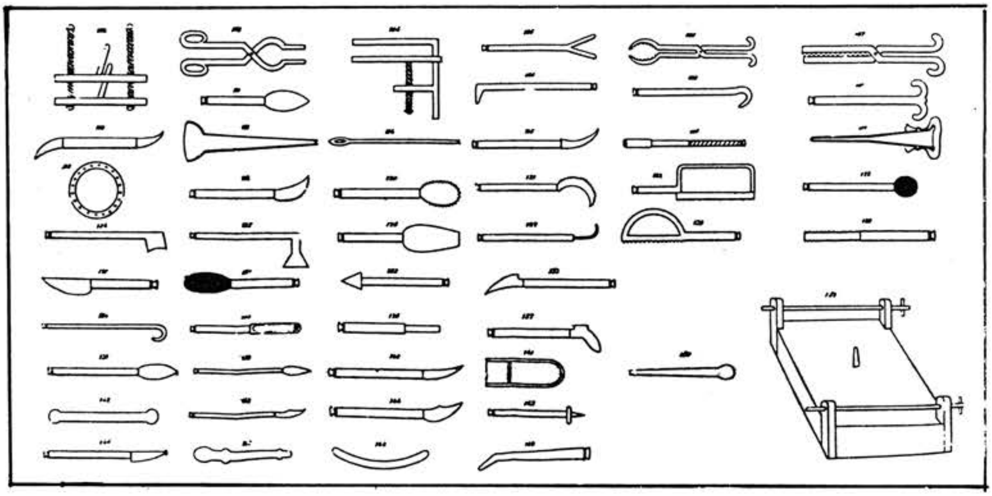

صور بعض الآت الطب والجراحة والتوليد التى جاءت فى كتاب التصريف للزهراوى ..

الضارة : فيها غلط قليل لئلا تنكسر وبها يجذب الجنين .

المبضع : لشق الأورام والتجمعات الصديدية ، وهو كالمشرط المدوّر إلا أن نصله مستدير .

المبضع الشوكى : وهو مبضع طويل محدود الجهتين محدود الطرف ، وهو معد لثقب جدر البطن ثم تدخل مكانه أنبوب رقيقة لتفريغ الماء .

المِقْدح : وهو آلة كالمبضع يستخدم فى قدح الماء النازل فى العين .

خاتمة :

يتبين من العرض الذى قدمناه ــ على إيجازه ــ أن ما تركه علماء الحضارة الإسلامية من تقنيات مختلفة يدحض افتراءات الذين وصفوا هذه الحضارة بأنها لم تكن سوى حضارة نقل وترجمة لعلوم الإغريق ، ولئن كانت العلوم الأساسية من رياضيات وفيزياء وكيمياء وغيرها قد شهدت نهضة هائلة شهد بفضلها المنصفون من المستشرقين والمؤرخين ، فإن البحث والتنقيب فى تراث أسلافنا يكشف عن ريادتهم وسبقهم إلى استحداث أدوات وأجهزة ساعدت فى تشييد صرح المدنية الإسلامية ، ولولا جهودهم المخلصة فى دفع حركة التقدم العلمى والتقنى لتأخر سير الحضارة البشرية عدة قرون .

من أمراض الطفولة

فقر الدم الناجم عن زيادة تحلل كرات الدم الحمراء

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى (*)

تحدثنا فى مقالنا السابق عن فقر الدم الناجم عن زيادة معدل تحلل كرات الدم الحمراء نظراً لوجود عوامل خارجية ـ بالرغم من عدم وجود أى خلل فى تكوين كرات الدم الحمراء ـ وأهمها : تكوين الجسم لأجسام مُضادة لخلايا الدم الحمراء ، وبدأنا الحديث عن أحد نوعى هذه الأجسام المضادة ، وهو النوع الدافئ ، وتحدثنا عن أعراض المرض ، واليوم نستأنف الحديث عن هذا المرض بإلقاء الضوء على وسائل التشخيص ، وطرق العلاج الأمثل له .

● وسائل تشخيص المرض :

١ ـ القيام بعمل صورة دم كاملة : Complete blood Picture ويتجلى فيها الآتى :

(أ) قلة نسبة الهيمو جلوبين ، وقد يقل فى حالات متعددة عن ٦ جرام ٪ ، وقلة عدد كرات الدم الحمراء .

(ب) زيادة نسبة الخلايا الشبكية Reticulocytes ، وفى الكثير من الأحيان قد تزداد نسبة هذه الخلايا إلى أكثر من ٥٠ ٪ من خلايا الدم الحمراء ، كما قد توجد خلايا دم حمراء غير ناضجة محتوية على نوعيات وأيضاً قد تزداد نسبة الخلايا المكورة الشكل Spherocytes .

(جـ) وفى الكثير من الأحيان يزاد عدد كرات الدم البيضاء ، نظراً لزيادة نشاط النخاع العظمى Bone Marrow Hyperactivity .

(د) وعادة ما تكون الصفائح الدموية وافية العدد ، ولكن فى بعض الأحيان قد يقوم جسم الطفل بتكوين أجسام مضادة للصفائح الدموية ؛ فيقل عددها ، ويصاب الطفل بالنـزف . تحت Immune Thrombocytopenic Purpura

(*) ماجستير فى طب الأطفال .

الجلد أو نزف من الفتحات : (الأنف ، الفم ، نزف فى البول ، نزف من فتحة الشرج ، وغيرها .

ويؤدى هذا النزف إلى قلة نسبة الهيمو جلوبين .

٢ ـ قياس نسبة مادة البيليروبين فى مصل المريض : Serum bilirubin

تزداد نسبة البيليروبين غير المباشر indirect bilirubin نتيجة لزيادة تحلل كرات الدم الحمراء .

٣ ـ الاختبارات المناعية : Immunological Studies

● فى بعض الأحيان قد توجد الأجسام المناعية المضادة لكرات الدم الحمراء حرة فى مصل الطفل أى : (غير متحددة بكرات الدم الحمراء) . Free Antibodies in the serum وهى أجسام مناعية مضادة ، تنتمى للأجسام المضادة « ج » « Immunoglobulin G » وهى من النوع الدافئ ، أى الذى ينشط عند درجة حرارة الجسم (٣٧ درجة مئوية) ولا تحتاج لوجود مادة المتمم Complement وهو بروتين يساعد فى عملية التهام وتحلل الميكروبات بواسطة الجهاز المناعى .

● القيام بعمل الاختبار المعملى الذى يثبت وجود الأجسام المناعية المضادة ، المرتبطة بخلايا الدم الحمراء : (اختبار كومبس) .Coombs test حيث يكون هذا الاختبار شديد الإيجابية Highly Positive ومن الجدير بالذكر أنه حتى يتم تشخيص وجود هذه الأجسام المضادة لكرات الدم الحمراء ، المتحدة بها ، لابد من وجود ـ (٢٥٠ ـ ٥٠٠) جزئ على الأقل من الأجسام المضادة على سطح كرات الدم الحمراء .

★ ★ ★ ★

● علاج المرض : Treatment :

١ ـ القيام بنقل دم للطفل المصاب :

فى حالة حدوث فقر دم شديد ، ولكن جدوى ذلك تكون مؤقتة ؛ لأن خلايا الدم الحمراء المنقولة ، سرعان ما تتكسر بالأجسام المضادة لكرات الدم الحمراء ، وبالتالى يجب أن يتم نقل دم للطفل المصاب إذا كانت الحاجة له شديدة فقط (أى : عندما تقل نسبة « الهيمو جلوبين » عن ٦ جم ٪ حتى لا يصاب الطفل بهبوط فى القلب) Anaemic heart Failire لأن نقل الدم يؤدى إلى قيام جسم الطفل المريض بتكوين المزيد الأجسام المضادة للخلايا المنقولة .

وفى الكثير من الأحيان تصعب عملية تحضير الدم للمريض نظراً لوجود تلك الأجسام المناعية المضادة ، حيث تؤدى إلى عدم التوافق بين الدم المنقول وبين دم الطفل المريض Bad cross matching وقد يصعب تحديد فصيلة دم الطفل ؛ نظراً لحدوث تجلط ذاتى للدم Autoagglutination ، مما يتطلب إعطاء الطفل عقار الكورتيزون ـ عن طريق الحقت ـ قبل تحضير الدم له ، وقد يحدث خطأ فى تحديد فصيلة دم الطفل وتشخص على أنها من النوع « أب موجب » « AB + ve » .

٢ ـ العلاج بعقار الكورتيزون :

حيث يقلل من نشاط الجهاز المناعى للطفل Immuno Suppression وبالتالى يقل تكوينه للأجسام المناعية المضادة لكرات الدم الحمراء .

ويعطى العقار عن طريق الفم لجرعة تساوى (٢,٥ ميلليجرام لكل كيلوجرام من وزن الطفل يومياً) وقد تزداد إلى (٦ ملجم / كجم يومياً) فى الحالات الشديدة الوطأة .

وفى الحالات الشديدة التى تستجيب للعلاج بالكورتيزون عن طريق الفم يجب إعطاء العقار عن طريق الحقن بجرعات أكبر وهو عقار « الميثيل بريدينزلون » Methyl prednisolone ولكن هذا العقار مرتفع الثمن وقد يؤدى إلى زيادة ضغط الدم ، ولهذا يجب قياس ضغط الدم قبل الحقن بالعقار وأثناء الحقن .

وفى الحالات التى تستجيب للعلاج بعقار الكوريتزون يتم علاج الطفل بالعلاج الكيماوى Cytotoxic drugs (وهى الأدوية المستخدمة فى علاج الأورام الخبيثة) .

ويجب أن يستمر العلاج حتى يقل تكسر كرات الدم الحمراء ثم تقلل جرعة العقار تدريجياً ، وفى حالات انتكاس المرض Relapse يجب إعطاء « الكورتيزون » مرة أخرى بنفس الجرعة .

٣ ـ الحقن بالأجسام المناعية المضادة :

Immunoglobulins Eransfusion

حيث تمنع ارتباط الأجسام المضادة التى يكونها الجسم بكرات الدم الحمراء وبالتالى لا تحدث عمليـــة تكسر كرات الـــدم الحمــــراء .

Blocking Antibodies

٤ ـ استئصال طحال الطفل : Splenectomy

ويتم هذا فى الحالات الآتية :

- فى الحالات الشديدة الوَطْأة التى لا تستجيب للعلاج الطبى .
- فى الحالات المزمنة .
- فى حالة احتياج الطفل لجرعات كبيرة جداً من عقار الكورتيزون للحفاظ على نسبة الهيموجلوبين أكثر من ٦ جم ٪ .

٥ ـ إذا كان هناك سبب واضح للمرض :

مثل إصابة الطفل بأحد الالتهابات التى يجب أن يتم علاجها .

الحالات الشديدة الوطأة :

ومن الجدير بالذكر أن النوع الحاد من هذا المرض يستجيب للعلاج بعقار الكورتيزون ـ فى معظم الأحيان ـ ويحدث شفاء تام من خلال ثلاثة شهور من بدء المرض ونادراً ما يؤدى إلى وفاة الطفل .

أما النوع المزمن من هذا المرض قد تطول مدته لشهور أو سنوات ، وتختلف الاستجابة للعلاج بعقار الكورتيزون من مريض لآخر ، ولكن تقل الاستجابة للعلاج عن النوع الحاد ؛ ولهذا تزداد

نسبة الوفيات من هذا المرض ، عن النوع الحاد المؤقت .

● **ثانياً : إصابة الطفل بفقر الدم نظراً لوجود أجسام مناعية مضادة من النوع البارد ضد كرات الدم الحمراء : Cold antibodies**

وهذه الأجسام المضادة تكون نشطة عند درجة حرارة أقل من درجة حرارة الجسم (عند ٣٢ درجة مئوية) ولهذا يُسمى بالأجسام المناعية الباردة ، وهى تنتمى للأجسام المضادة « م » « Immunoglobulin Mclass » ، وتحتاج لوجود مادة المتمِّم لتنشط .

وقد يقوم جسم الطفل المريض بتكوين هذه الأجسام المضادة الباردة لكرات الدم الحمراء بدون سبب واضح Idiopathic أو قد يكون هناك سبب مباشر وهو إصابة الطفل بأحد الالتهابات الفيروسية Viral in fections مثل « داء الحمى العقدية » Ifectious mononucleosis أو إصابة الطفل بالالتهاب الرئوى لميكروب الميكوبلازما Mycoplasma Pneumonia وقد ينجم المرض نتيجة لإصابة الطفل بأحد أورام الجهاز الليمفاوى .

ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من الأجسام المناعية المضادة قد يوجد بنسبة منخفضة ـ من الأحوال العادية ـ بعد إصابة الطفل بتلك الالتهابات ـ السابق ذكرها ـ ولكن هذه النسبة قد تزداد بشدة وتؤدى إلى حدوث تجلط فى كرات الدم الحمراء Spontaneous agglutination and roul eaux formation

قد يحدث تكسر فى خلايا الدم الحمراء داخل الأوعية الدموية Intra vascular hemolysis ويحدث إحمرار فى لون البول لوجود الهيمو جلوبين به Hemoglobinuria ويحدث هذا من حالة زيادة نسبة تلك الأجسام المضادة فى حالة تعرض الطفل للبرد الشديد .

ومن الجدير بالذكر وجود صورة أخرى للمرض نظراً لقيام جسم الطفل بتكوين نوع معين من الأجسام المناعية المضادة الباردة Domath — landsteiner hemolysin تؤدى إلى تكسر خلايا الدم الحمراء عند تعرض المريض للبرودة وبالتالى زيادة نسبة الهيمو جلوبين فى الدم ونزوله فى البول مسبباً احمراره .

Paroxysmal cold hemoglobinuria

وقد يحدث هذا بدون سبب واضح Idiopathic ولكن ثلث المرضى يعانون من الإصابة بمرض الزهرى Syphilis سواء خلقى Congential (عن طريق العدوى من الأم) أو مكتسب acquired .

وفى حالات حدوث فقر الدم الشديد يجب أن يتم نقل دم للطفل المريض .

تكملة الفصل الأخير فى العدد القادم

« وَيخلق مَا لا تعلمُونَ ... »

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د/ نجوى السيد أحمد (*)

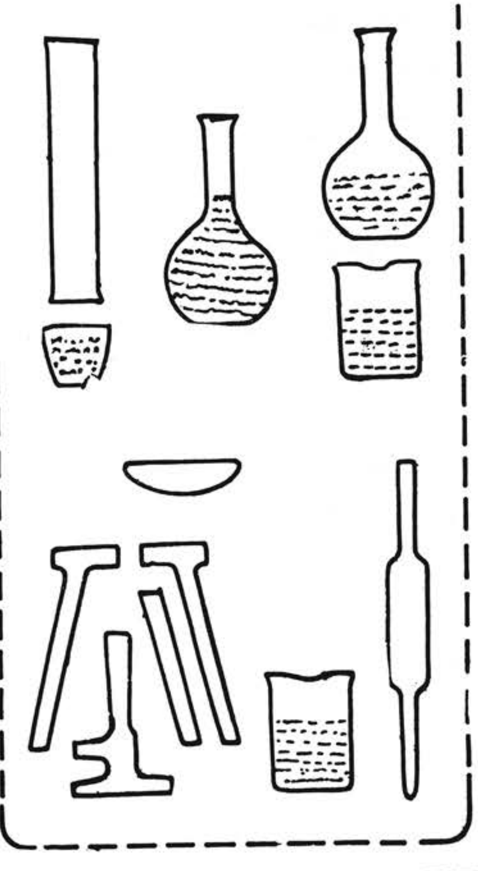

اكتشاف أكبر تجمع من المجرات

اكتشف علماء الفلك الفرنسيون تجمعا عملاقا من المجرات (مجموعـــات من النجـــوم والكواكب) ، وهو أكبر تجمع يكتشف حتى الآن ، حيث يضم ٢٧ ألف مجرة ويبلغ نصف قطره نحو ٢٩٠ مليون سنة ضوئية .

قام فريق الفلك الفرنسي بجمع المعلومات عن المجرات وقياسها من نصف الكرة الأرضية الشمالي والنصف الجنوبي ، وتم تخزين هذه المعلومات في جهاز « كمبيوتر » يجسد الأبعاد الثلاثة في مركز الفضاء الوطني باستراليا .

قبة سماوية لرصد العواصف الثلجية

اخترع مهندس معماري بـ« هاواي » قبة سماوية جديدة تستخدم في مجال الأرصاد الجوية لتوقع الرياح العالية والعـــواصف الثلجيـة والأمطار ، والقبة ذات جسم كروي مشطور وبه فتحة يمكن بواسطتها وضع مجال « التليسكوب » عند أي نقطة على منحنى الكرة .

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومي للبحوث ـ الدقي ..

منظار جديد متعدد الفوائد

انتجت إحدى شركات الإلكترونيات بالولايات المتحدة الأمريكية منظارا مقربا جديدا ومتطورا يعمل بالليزر ، ويطلق إشارة ضوئية غير مرئية على الأشياء المراد رؤيتها ، وبانعكاس هذه الإشارة يقوم حاسب آلى صغير بالمنظار بحساب المسافة بدقة متناهية ، ويحتوى المنظار على بوصلة إلكترونية تحدد نوعية الأشياء بدقة ومكانها ، والمنظار يصلح لرجال الآثار والعاملين والرحلات العلمية فى الغابات والجبال والبحار ، ويستخدم فى إنقاذ المفقودين فى البحار ، وفى أغراض أخرى مشابهة .

جدران سلكية لحماية الشواطئ

طورت شركة بريطانية نظاماً يساعد على سرعة إقامة جدران وحواجز بحرية لمنع تعرية الشواطىء ، ويتكون من سلسلة من هياكل شبكية سلكية مبطنة بغشاء أرضى ، ويتميز هذا النظام بسهولة النقل والمد والتركيب موقعيا ، ويمكن ملء النظام بالرمال والحصى ، ويستخدم ـ أيضاً ـ فى إقامة حاويات للسدود والأسوار وحواجز السيطرة على الفيضانات .

جهاز يحمى السائق من النعاس

ابتكرت شركة يابانية للسيارات جهاز تنبيه آلى لإيقاظ السائق إذا غلبه النعاس أثناء القيادة ، يتولى الجهاز قياس التغييرات التى تحدث فى ضربات قلب السائق وحركة عجلات السيارة ، ويقوم بإصدار صفارة عالية لإيقاظ السائق عند حدوث أى خلل ، وإذا لم تنجح هذه الوسيلة ، فإن الجهاز يحدث اهتزازات فى مقعد السائق ويضغط آليا على الفرامل فى نفس الوقت .

أحدث آلة تصوير «صوت وصورة»

انتجت شركة يابانية عالمية للإلكترونيات أحدث آلة لتسجيل الصوت والتقاط الصورة الضوئية فى آن واحد ، وتتميز بخفتها وسهولة استعمالها وهى مزودة بعدسة مزدوجة تعطى قدرة هائلة على التقاط مشاهد رائعة وتغطى مساحة كبيرة مع المحافظة على الجو الطبيعى للمشهد ، وبها نظام تصوير عن قرب ، يسمح للعدسة الواسعة بتصوير فورى وتسمح ـ أيضاً ـ بالتقاط صورتين على شاشة واحدة .

جهاز لقطع الكهرباء باستخدام المجال المغناطيسى

تقوم شركة ألمانية بتوسيق جهاز قاطع للتيار الكهربائى ، باستخدام المجال المغناطيسى ، وهو مصمم لكى يقوم بكل المتطلبات الوظيفية ؛ لتوزيع الطاقة فى المحطات الكهربائية الفرعية الأولية والثانوية والشركات الكبيرة والصغيرة والمحطات المساعدة لتوليد القوة الكهربائية ، والجهاز له قدرة فائقة ولا يشغل مساحة كبيرة ، حيث يتم استخدام أنابيب صغيرة الحجم ، لفصل التيار تحت ضغط مفرغ باستخدام مجال مغناطيسى محورى ، مما يجعله ملائما مع تركيبه المكون من عمود واحد وزنبرك واحد ، ومزود بنظام تحكم

للفتح والغلق منخفض الطاقة ، ويتميز ـ أيضا ـ بتحمله الفائق للكهرباء ولا يمثل أى خطورة من حدوث انفجار أو حريق ، كما أنه غير ضار بالبيئة .

القمر الصناعى لمساعدة فاقدى البصر

صمم طالب هندسة كندى ضعيف البصر جهازاً يساعد فاقدى البصر على السير فى أى مكان بدون مشاكل ، والجهاز يعتمد فى تصميمه على استقبال إشارات من نظام تحديد الموقع الأرضى ليقوم « كمبيوتر » صغير بترجمة هذه الإشارات إلى أسماء الشوارع والتقاطعات فى المكان المطلوب ، ونظام تحديد المواقع الأرضية عبارة عن مجموعة من الأقمار الصناعية تقوم بإرسال إشارات إلى الأرض يلتقطها جهاز استقبال ثم يختزنها على شكل إحداثيات للطول والعرض ، ويتكون الجهاز من حاسب متنقل يعمل بالبطارية ، وجهاز لتركيب الصوت وجهاز مستقبل لنظام تحديد المواقع الأرضية وعندما يضغط الشخص المستخدم للجهاز على زرّ معين يقوم الجهاز بالبحث فى قاعدة المعلومات المخزنة فيه عن المعلومات التى تتفق مع إحداثيات الموقع الذى يسير فيه ، ثم يقوم الحاسب بقراءة النص أو الاسم الموافق للاحداثيات بواسطة جهاز لتركيب الأصوات .

انخفاض الكولسترول بسبب العنف

اثبتت دراسة بريطانية قام بها فريق علمى فى أحد المستشفيات أن مرتكبى الجرائم العنيفة يعانون من نقص نسبة الدهون المهمة لتغذية خلايا المخ فى دمائهم ، كما ثبت ـ أيضا ـ أن الأدوية التى تقلل من نسب الكولسترول فى الدم قد تخفض نسبة الاصابة بأمراض القلب لكنها قد تؤدى إلى زيادة العنف والعدوانية لدى من يتعاطونها .

اكتشاف المورثة المسببة لمرض تشوه الأطراف الوراثى

اكتشف طبيبان فى بلجيكا مسبب مرض تشوه الأطراف الوراثى ؛ حيث يرجع إلى وجود نسخة إضافية من جزء صغير (١٪) من المورثة « الجين » رقم ١٧ ، وعثر الباحثان على سبب التشوه لدى جميع المرضى ، ومرض التشوه الوراثى للأطراف يصيب الأعصاب الطرفية كاليدين والقدمين ، ويؤدى إلى ضمور عضلى تدريجى وفقدان الإحساس بالأطراف وتشوهها بحيث تبدو الأطراف مجردة من العضل كليا .

تحذير من استخدام الزئبق فى حشو الأسنان

حذرت بعض الدراسات الحديثة من استخدام الزئبق فى حشو الأسنان ؛ لأنه يؤدى إلى تلف أعصاب ومخ المريض والطبيب معا ، وأكدت التجارب العلمية التى أجريت بجامعة واشنطن على بعض أطباء الأسنان أنهم يعانون من أعراض التسمم الزئبقى ؛ لأنهم يستخدمونه بكثرة فى حشو الأسنان ، كما أن هناك دراسات أخرى أكدت أن ثلثى رواسب الزئبق داخل جسم الإنسان مصدرها الأسنان .

اللغة والنقد والأدب

ابن دريد ومنهجه فى جمهرة اللغة

٢٢٣ ـ ٣٢١

٣

د/ محمد رياض السيد كريم

٣ ـ يهتم ابن دريد بالتنبيه على أصول الأبنية المهملة فى كتابه ، كقوله : « ث ظ ظ ـ أهملت الثاء مع الظاء فى الثنائى »[٨٦] .

وقولــــه : « ج غ غ » أهملت الجيم والغين مع وجوه الثانى[٨٧] .

وقوله : « أهملت الجيم مع الطاء والظاء فى الوجوه الثنائية »[٨٨] .

وقولـه : « ب ش ب ش ـ أهملت إلا ما لا يؤخذ به من البشبشة ، وليس له أصل فى كلامهم »[٨٩] .

وقوله : « ح هـ ح هـ ـ أهملت فى الوجوه إلا أن تكون فى كلمتين ، مثل : حَهْ حَهْ ، وما أقل ما تجىء . ح ى ح ى ـ أهملت »[٩٠] .

وقوله : « خ ظ خ ظ أهملت . خ ع خ ع ـ أهملت إلا فى قولهم : خُعخُع ، ضرب من النبت وليس بثبت »[٩١] .

وقوله : « أهملت الدال مع الزاى فى الوجوه ، وكـــــذلك حالها مع السين والشين فى التكرير »[٩٢] .

وقولـه : « خ د ط ـ أهملت فى الثـلاثى ، وكذلك حالها مع الظاء »[٩٣] .

وقوله : « خ د ق ـ أهملت . فأما خندق ففــارسى معـــرّب ، وكـــذلك حالها مع الكاف »[٩٤] .

وهذا واضح فى كتابه :

٤ ـ اعتنى ابن دريد فى كتابه بالاستشهاد على ما يذكره غالبا ، وهذا أمر شائع فى معجمه ، ويتنوع الاستشهاد عنده بين القرآن الكريم ، والشعر ، والحديث ، والأمثال ، وأقوال العرب ، وقد مرت بعض أمثلة ذلك ، مما ذكرناه من أمثلة من كتابه فيما سبق ، وإليك بعض أمثلة أخرى لذلك :

يقول ابن دريد : « الأبّ : المَرْعَى . قال الله عز وجل : ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾[٩٥] ، قال الشاعر :

جذ مُنا قَيْسُ ونَجْدُ دارُنا
ولنا الأبُّ بها والمكرَعُ

والمكرع : الذى تكرع فيه الماشية ، مثل ماء السماء ، يقال : كرع فى الماء ،

---

(٨٦) الجمهرة : ٤٦/١ . (٨٧) الجمهرة : ٥٣/١ . (٨٨) نفسه . (٨٩) الجمهرة : ١٢٦/١
(٩٠) الجمهرة : ١٣٩/١ . (٩١) الجمهرة : ١٤٠/١ . (٩٢) الجمهرة : ١٤١/١ . (٩٣) الجمهرة : ٢٠٠/٢
(٩٤) الجمهرة : ٢٠١/٢ . (٩٥) عبس/ ٣١ .

إذا غابت فيه أكارعه ، وكذلك نخل كوارع ، إذا كانت أصولها فى الماء »[٩٦] .

ومما يلاحظ عليه فى استشهاده بالقرآن الكريم أنه يشير إلى القراءات القرآنية أحيانا ، كقوله[٩٧] : « جاء فلانٌ خَلْفَ فلانٍ وخِلافه ، إذا جاء بعده ، وقد قرىء : (وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ) و (خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا)[٩٨] .

وقوله : « وأما الروح فلا ينبغى لأحد أن يقدم على تفسيره ، لأنه ــ جل ثناؤه ــ قال : (وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى)[٩٩] ، وذكروا أن بعض أهل العلم سئل عن ذلك فقال : أَبْهِمْ ما أَبْهَمَ الله . وروح الإنسان مختلف فيه ، فقال قوم : هى نفسه التى يقوم بها جسمه ، وقال : الإنسان مختلف فيه ، فقال قوم : هى نفسه التى يقوم بها جسمه ، وقال آخرون : الروح خلاف النفس ، وقد قرىء (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ) و (رُوْحُ وريْحانُ)[١٠٠] وقال قوم : الرَّوْح : الراحة ، والرَّيْحان : الرزق[١٠١] .

وقوله : « الضَّعْفُ والضُّعْفُ لغتان ، وقد قرىء بهما . والضُّعْفُ لغة النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم (مِّنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً)[١٠٣] فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : (ضُعْفٍ قوةً) ياغلام[١٠٤] .

ومما يلاحظ على استشهاده بالشعر أنه يفسر الألفاظ الغريبة التى ترد فيه كما مر ، ويشير أحيانا إلى الروايات فيه ، مصححا الروايات التى وقع فيها خطأ ، كقوله : « الجُفُّ : الجمع الكثير من الناس ، قال الشاعر :

مَنْ مُبلغُ عمروَ بنَ هندٍ آيةً
ومن النصيحة كثرةُ الإنذارِ
لا أعرفنَّكَ عارضا لرماحنا
فى جُفِّ ثَعْلَبَ واردِي الأمرارِ

الشعر للنابغة الذبيانى[١٠٥] ، يعنى : ثعلبة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وروى الكوفيون : فى جُفِّ تغلب ، **وهذا خطأ ، لأن تغلب فى الجزيرة ، وثعلبة فى** الحجاز ، وأمرار : موضع ، وجُفّ الطلعة وعاؤها

---

(٩٦) الجمهرة : ١٣/١ .

(٩٧) الجمهرة : ٢٣٧/٢ .

(٩٨) الإسراء /٧٦ . وقراءة خَلْفَكَ بفتح الخاء وإسكان اللام بلا ألف قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وأبى بكر وأبى جعفر ووافقهم ابن محيصن واليزيدى ، وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى ويعقوب وخلف (خِلافك) بكسر الخاء وفتح اللام وألف بعدها ، ووافقهم الحسن والأعمش ، وهما بمعنى ، أى : بعد خروجك . (إتحاف فضلاء البشر : ص ٢٨٥) .

(٩٩) الإسراء /٨٥ .

(١٠٠) الواقعة /٨٩ . وقراءة (رُوح) بضم الراء قراءة رويس ، وانفرد بذلك ابن مهران عن روح ، ورويس عن أبى عمرو وابن عباس عن النبى ــ ﷺ ــ من حديث عائشة كما فى سنن أبى داود ، والباقون بالفتح . (الاتحاف : ص ٤٠٩) .

(١٠١) الجمهرة : ١٤٧/٢ .

(١٠٢) صحابى جليل مات بمكة سنة ٧٣ هـ (مشاهير علماء الأمصار : ص ١٧)

(١٠٣) الروم /٥٤ .

(١٠٤) الجمهرة : ٩٢/٣ .

(١٠٥) هو زياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبيانى ، شاعر جاهلى (الشعر والشعراء : ١٦٣/١) .

إذا جفت ، وفى الحديث : « طُبَّ النبىُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فجعل سحره فى جُفّ طلعة ذكر »(١٠٦) .

وقوله : « الفُلْفُل : معروف ، وتفلفل شَعْرُ الأسود ، إذا اشتدت جُعودته ، وربما سمى ثمر البَرْوَق فُلُفلاً تشبيها به ، قال الراجز ـ أبوالنجم العجلى :

وانْحَتَّ من حَرشاءِ فَلج خَرْدَلُهْ
وانتفض البَرْوَقُ سُودًا فُلْفُلُهْ
وأقبل النملُ قطارا ينْقُلُهْ
بين القُرى مُدبرة ومُقبلُهْ

الحَرشاء : ضرب من النبت له حب يشبه بالخردل . والبروَق : شجر .

ومن روى هذا البيت (سُودًا قِلْقِله) فقد أخطأ ، لأن القِلقل ثمر شجر من العضاه ، وأهل اليمن يسمون ثمر الغاف قِلقَلا ، وهو شبيه باللوبيا يدبغ به وتأكله الإبل ، وربما سُمّى ثمر القَوص قِلقِلا ، والأول أعلى(١٠٧) .

ومن أمثلة استشهاده بالحديث غير الذى مر قوله : « خلف فوه خلوفة وخلوفا ، إذا تغيّر من صوم أو مرض ، وفى الحديث : لخلُوفُ فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك الأذْفَرَ »(١٠٨) .

وقوله : « المَبخلة : الشىء الذى يحملك على البُخلِ ، وفى حديث النبى ـ صلى الله على وآله وسلم ـ : الولد مَجْبنةُ مبَخْلة(١٠٩) .

وقوله : « ويقال : عرّبت على الرجل ، إذا رددت عليه قوله ، وفى الحديث : (إذا سمعتم الرجل يعيب أعراض من الناس فعرّبوا عليه قوله) أى : ردّوا عليه قوله »(١١٠) .

ومن أمثلة استشهاده بالأمثال قوله « الخَلْفُ : الردىء من الكلام ، ومثل من الأمثال (سكت ألفا ونطق خَلفا) معناه : سكت ألف سكتة ثم نطق بهذا ، يقال ذلك للرجل يطيل الصمت ، فإذا تكلم تكلم بخطأ(١١١) .

وقوله : « الحبُور : السرور ، وكذلك الحبَرة ، ومن أمثالهم : (كل حَبرة تُعقبها عَبرة)(١١٢) » .

وقوله : « اليَلْمَع : السراب ، ومثل من أمثالهم : (أكذبُ من .. يلْمعَ) وقد قيل أيضاً : أخذل من يَلْمع(١١٣) .

ومن أمثلة استشهاده بأقوال العرب قوله : « ذكر

(١٠٦) الجمهرة : ٥٣/١ .
(١٠٧) الجمهرة : ١٦٢/١ .
(١٠٨) الجمهرة : ٢٣٧/٢ . وقال ابن دريد (الجمهرة : ٣١٠/٢) : « الذفر : حدة الرائحة من طيب أو نتن ، وربما خُص به الطِّيب فقيل : مسك أذفر » .
(١٠٩) الجمهرة : ٢٣٨/١ .
(١١٠) الجمهرة : ٢٦٧/١ .
(١١١) الجمهرة : ٢٣٧/٢ .
(١١٢) الجمهرة : ٢١٨/١ .
(١١٣) الجمهرة : ٤٢٢/٣ .

أبومالك أنه سمع : عين رافخ فى معنى رافغ ، أى واسع[١١٤] .

وقوله : « سبَّغْتُ الإناء ، إذا غسلته سبع مرات ، وقال أعرابى لرجل أحسنَ إليه : سَبَّعَ الله لك ، أى : أعطاك أجرك سبع مرات[١١٥] .

٥ - يهتم ابن دريد فى كتابه بالتنبيه على مالم يتأكد من صحته ، ومن ذلك قوله :ـ الهَبْرَمَة ، زعموا كثرة الكلام ، ولا أحقه[١١٦] ـ .

وقوله :« سمعت أبا عمران الكلابى يقول : السَّنْعُيَةُ : اللحمة الناتئة فى وسط الشفة العليا ، ولا أدرى ما صحته ، ولم أسمعه من غيره[١١٧] .

وقوله : « الحديقة : البستان من النخل والشجر ، والجمع حدائق ، وقالوا : الحُندوقة والحنديقة : الحدَقة . ولا أدرى ما صحته[١١٨] .

وقوله : « التَّجَعْثُم : الانقباض ودخول بعض الشىء فى بعض ، ولاأدرى ما صحته إلا أنهم قد سمّعوا جُعْثُمة[١١٩] .

وقوله : «الخُندُع : عيب يعاب به الرجل ، وأحسبه القليل الغَيْرة على أهله ، سمعته فى بعض اللغات ولا أدرى ما صحته[١٢٠] .

وقوله : «الحَقِيلُ : ضربٌ من النبت إمامن الخلة وإما من الحمض ، ولا أعرف صحته[١٢١] .

٦ - يهتم ابن دريد أيضا بالإشارة إلى اللغات وبخاصة اللغة اليمانية ، ومن ذلك قوله : «الهاجَةُ : الضفدعة الصغيرة ، والجمع هاجات . وأهل اليمن يسمون الضفدعة الشفدغة[١٢٢] .

وقوله : «الموت معروف ، مات يموت موتا ، وقالوا : مات يمات موتا لغة طائية[١٢٣] .

وقوله : «الألفت فى لغة بنى تميم : الأعسر ، وفى لغة غيرهم الأحمق[١٢٤] .

وقوله : «عتلتُ الرجل أعتُلة وأعتله عتلا ، إذا جذبته جذبا عنيفا ، والعتلة : المجثاث ، وهى الحديدة التى يقلع بها فسيل النخل ، والجمع : عَتُل ، وهى لغة أهل الحجاز[١٢٥] .

وقوله : «سرَّحْتُ العبد ، إذا أعتقه ، لغة يمانية ... والسِّرحان : الذئب ، ويجمع سراحا وسَراحين ، وأهل الحجاز يسمون الأسد سيرحانا[١٢٦] .

وقوله :«الهَتْشُ : إغراء الكلب ، يقال : هتشت الكلب أهِتشه هتشا، إذ أغريته لغة يمانيه[١٢٧] .

ولا يغفل ابن دريد الإشارة إلى لغة العامة ، والتنبيه على خطئها ، ومن ذلك قوله : «رجل

---

(١١٤) الجمهرة : ٢/٢١٢ .
(١١٥) الجمهرة : ١/٢٨٥ .
(١١٦) الجمهرة : ٣/٣١٠ .
(١١٧) الجمهرة : ٣/٣١٠ .
(١١٨) الجمهرة : ٢/١٢٣ .
(١١٩) الجمهرة : ٣/٣١٦ .
(١٢٠) الجمهرة : ٢/٢٠٣ .
(١٢١) الجمهرة : ٢/١٧٩ .
(١٢٢) الجمهرة : ٢/١١٩ .
(١٢٣) الجمهرة : ٢/٢٩ .
(١٢٤) الجمهرة : ٢/٢٤ .
(١٢٥) الجمهرة : ٢/٢١ .
(١٢٦) الجمهرة : ٢/١٣٢ .
(١٢٧) الجمهرة : ٢/١٨ .

حَدْث : حسن الحديث ، فأما قول العامة : حِدّيث ، فخطأ ، ويقال : فلان حِدْث نساء ، إذا كان يتحدث إليهن (١٢٨) .

وقوله : «العِثْيَر : الغبار ، ما رأيت له أثرا ولا عثيرا، فأما قول العامة: عَثْيَرا، فليس بشيء(١٢٩) .

وقوله : «السَّفَلَةُ من الناس : الردىء ، ولا يقال : سِفْلَة ، وإن كانت العامة قد أولعت به ، وإنما يقال : فلان من سَفِلة الناس (١٣٠) .

وقوله : «فأما قول العامة : غلَّفته بالغالية ، فخطأ ، إنما هو غلّيته وغللّته بالغالية (١٣١) .

وقوله : «وأما قول الناس : غفوت فى النوم ، فخطأ ، إنما هو أغفيت إغفاء (١٣٢) .

وقوله : «يقال : قوزع الديك ، إذا فرّ من صاحبه ونقّ ، والعامة تقول : قنزع ، وليس بشيء (١٣٣) .

وجدير بالذكر أن بعض ما منعه ابن دريد وخطأه ، وأشار إلى أنه من لغة العامة ، ليس كذلك عند غيره ، من ذلك قوله السابق : (فأما قول العامة حِدِّيث فخطأ) ففي اللسان : «رجل حَدِثُ وحَدُثُ وحِدْثُ وحِدّيثُ ومُحّدث بمعنى واحد ، كثير الحديث حسن السياق له (١٣٤) .

وفى القاموس : «رجل حَدُثُ ، وحَـدِثُ ، وحِدّيثُ : كثيره (١٣٥) .

وقوله : (ولا يقال سِفْلة) ، فى اللسان وغيره ما يرده ، ففى اللسان : «وسَفِلَةُ الناس وسِفْلَتُهُم : أسافلهم وغوغاؤهم ، قال ابن السِّكّيت(١٣٦) : هم السَّفِلَة لأراذل الناس .. ومن العرب من يخفف فيقول : هم السِّفْلَة ، وفلان من سِفْلَةِ القوم ، إذا كان من أراذلهم ، فينقل كسرة الفاء إلى السين (١٣٧) .

وفى القاموس : «وسِفْلة الناس بالكسر ، وكفرحة : أسفالهم وغوغاؤهم (١٣٨) » .

وفى المصباح المنير : «تَسَفَّل خلاف جاد ، ومنه قيل للأراذل : سَفِلة بكسر الفاء ، وفلان من السفلة ، ويقال : أصله سَفِلَةُ البهيمة ، وهى قوائمها ، ويجوز التخفيف فيقال : سِفْلَة ، مثل : كَلِمَة وكِلْمَة (١٣٩) .

وقوله : «فأما قول العامة غلفته بالغالية فخطأ » فى اللسان ما يرده ، ففيه : «غَلَفَ لحيته بالطِّيب والحِنّاء والغالية وغلَّفها : لطَّخها ، وكرهها بعضهم ، وقال : إنما هو غلّاها ، وتغلَّف الرجل بالغالية وسائر الطِّيب واغتلف ، الأول عن ثعلب (١٤٠) وقال اللِحيانى (١٤١) : تَغَلَّف بالغالية

(١٢٨) الجمهرة : ٣٤/٢ .

(١٢٩) الجمهرة : ٣٩/٢ . وفى اللسان (عثر) : « لا تقل فى العِثْيَر التراب : عَثْيراً ، لأنه ليس فى الكلام فَعْيل بفتح الفاء إلا ضَهْيد ، وهو ، معناه مصنوع الصلب الشديد » .

(١٣٠) الجمهرة : ٣٤٣/٣ .

(١٣١) الجمهرة : ١٤٧/٣ ، ١٤٨ .

(١٣٢) الجمهرة : ١٤٨/٣ .

(١٣٣) الجمهرة : ٣٦١/٣ .

(١٣٤) اللسان : ح د ث . (١٣٥) القاموس : ح د ث .

(١٣٦) هو يعقوب بن إسحاق السِّكِّيت . مات سنة ٢٤٤ هـ (هدية العارفين : ٥٣٦/٢) .

(١٣٧) اللسان : س ف ل . (١٣٨) القاموس : س ف ل

(١٣٩) المصباح المنير : ص ٢٧٩ (س ف ل) .

(١٤٠) هو احمد بن يحيى الشيبانى . مات سنة ٢٩١ هـ (نزهة الألباء ص ٢٢٨) .

(١٤١) القاموس : غ ف و .

وتغللٌ ، وقال بعضهم : تَغلُّف بالغالية إذا كان ظاهرا ، فإذا كان داخلا فى أصول الشعر قيل : تغلُّل ، وغَلَفَ لحيته بالغالية غَلْفا ، وفى حديث عائشة رضى الله عنها : كنت أغلّـف لحيتـه بالغالية ، أى ألطخها ، وأكثر ما يقال غَلَفَ بها لحيته غَلْفاً ، وغَلَّفها تغليفا . والغالية : ضرب مركب من الطيب (١٤٢) .

وقوله : « وأما قول الناس : غفوت فى النوم فخطأ ، إنما هو أغفيت إغفاء » يرد عليـه أن صاحب القاموس سوى بينهما ، ففيه : «غفا غَفْواً وغُفُوًّا : نام أو نعس ، كأغفى (١٤٣) .

٧ ـ ى بالإشارة إلى ما أميت من اللغة ، ومن ذلك ـوله : «دعسم (١٤٤) اسم ، وسمدع فعل ممات ، ومنه اشتقاق السميدع ، وهو السيـد الشريف » .

وقوله : «ت ث ل ـ استعمل منها التُّثل ، ثم أميت (١٤٥) » . ولم يفسره .

وقوله : «الجعّ : أميت ، فألحق بالرباعى فى جعجع (١٤٦) .

وقوله : «الدَّلْسْ : فعل ممات ، منـه دالسَ يُدالس ، مدالسة ، ودلاسا ، وكأنـه الخيانــة والغدر ، يقولون : فلان لا يُدالس ولا يوالس ، أى لا يخون ولا يغدر .

وقوله : «النّيحْ : فعل ممات ، واستعمل منه ما نيَّحنْهُ بشىء ، أى ما أعطيته خبرا (١٤٧) .

وقوله : «الخَفْدُ : فعل ممات ، خَفَد .. يَخْفِدُ خَفْداً أو خَفَدانا ، إذا أسرع فى المشى (١٤٨) .

وقوله : «العهج : فعل ممات ، ومنه اشتقاق ظبيـة عوهـج ، وهـى الطويلـة العنـق ، الـواو زائدة (١٤٩) .

---

(١٤٢) اللسان : غ ل ف .

(١٤٣) الجمهرة : ٣٣٥/٣ .

(١٤٤) الجمهرة : ٢/٢ .

(١٤٥) الجمهرة : ٥٣/١ .

(١٤٦) الجمهرة : ٢٦٤/٢ .

(١٤٧) الجمهرة : ١٩٨/٢ .

(١٤٨) الجمهرة : ٢٠١/٢ .

(١٤٩) الجمهرة : ١٠٦/٢ .

طبقات المحققين والمصححين

يملى علينا التاريخ حقيقتين أجد أنه لابد من الاشارة إليهما ، ونحن نتكلم عن الطبقة الأولى من المصححين المحققين الذين نقلوا المؤلف المخطوط إلى المطبعة ، واستطاعوا أن يقرأوا كلمات هذه المؤلفات التى خلا أكثرها من النقط والهمز وما أشبهه مما ييسر على القارىء الاستمرار فى مطالعته بيسر وسهولة :

دراسة وتقويم

للأستاذ الدكتور / السيد الجميلى

أولاهما : أننا لم نتوصل ـ بعد ـ إلى الصف الأول لهذه المجموعة من المشايخ العلماء الأعلام القائمين فى المطبعة ـ إبان ذلك ـ بأمر التحقيق والتصحيح ، ومع ذلك فليس الوصول إليهم مستحيلاً ؛ بل إنه كلما وقع بأيدينا مطبوع قديم للمطبعة (الميرية) ببولاق مصر ـ مثلا ـ سوف نجد بآخر المطبوع كلمة صريحة تسجل ـ فى وضوح ـ اسم المصحح ، وتاريخ الطباعة ، واسم المطبعة .

ثانيهما : هو كَمّ هذه المطبوعات نفسها ، وتصنيفها ، لا من حيث المادة ؛ بل من حيث زمن الطباعة ، وبالتالى يتم لنا ـ بنفس الوضوح ـ بيان بـ (ثبت) هؤلاء العلماء من مشايخ الأزهر الأجلاء الذين تم على أيديهم الطفرة من المخطوط إلى المطبوع وذلك ـ بدوره ـ ليس عسيراً ، غاية الأمر أنه يحتاج إلى جهد البحث والتنقيب لنصل إلى أكبر قدر من هذه المطبوعات .

وبين أيدينا طبقة من هؤلاء المحققين المصححين يعود عملها إلى القرن الثالث عشر الهجرى :

(*) يسر كاتب هذه الحلقات أن يدلى فيها كلُّ ذى نصيب من العلم بأمرها ، ويرسل إلى مجلة الأزهر بحقيقة مايعلم فى هذا الموضوع حتى نقضى حقاً واجباً علينا أداؤه إلى هذه الطبقة الكريمة التى كانت همزة الوصل بين الماضى والحاضر .. والتى لولاها لتأخرت نهضتنا العلمية والأدبية سنين لايعلم مداها إلا المولى ـ عز وجل ... ثم بجانب هذا الواجب تعلم الأجيال حقيقة هذه الحقبة لتتوالق الصلة العلمية على يديها بين الماضى والحاضر فلا تقع فى فجوات التاريخ أو عثرات الغموض .

منهم «الشيخ عبده على ندا البرانى» مصحح «شرح الجامع الصغير فى حديث البشير النذير للإمام العالم العلامة الحبر البحر الفهامة العزيزى» انتهى منه فى منتصف شوال سنة ثمان وسبعين ومائتين بعد الألف (١٢٧٨هـ) .

ومنهم العلامة الجليل الشيخ محمد الصباغ الذى صحح وحقق ، وأتم الطبعة الثانية لكتاب «الفتوحات الآلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية» لمؤلفه الشيخ سليمان بن عُمر العجيل الشافعى الشهير بـ (الجمل) صححها وطبعها بالمطبعة الأميرية فى أواخر شهر رجب من عام اثنين وثمانين ـ أو ثلاث وثمانين ـ ومائتين وألف ١٢٨٢ ـ ١٢٨٣ من هجرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هـ ، كان الصباغ أديباً عالماً كأكثر هذه الطبقة ، وقد ختم حديثه ـ فى هذه الطبعة ـ بهذه الأبيات :

إن لله فى جميـــــع الأنـــــام
مننــا عقدهــا بديـــع النظـــام
أرسل الـرسل بالشرائـــع واختـــا
رلنـــا منهم سليـــل الكـــرام
سيد العــالمين قطب دائــرة الكـو
ن وإنسان عين كل إمــــــــام
خصه بالكتـــاب أشرف آيـــا
ت الهدى داعيـــا لنهج السلام
أفحـــم الملسنين آياتـــه الغـــر
م وحــلت بهم كوقــع السهـــام
والبلاغـــات أهلهــــا حين يتلى
سجـــد من جلال هذا النظـــام
يا لآياتـــه التـــى لذ منها
للنهى نشوة بأحلى مدام
ذاقهـــا الأذكيـــا ففـــاض عليهم
من سناهــــا ما طاح بالأحــــلام
دخلوا روضهـــا الــنضير ففـــازوا
من شهـــى الجنـــى بكـــل المرام
شيـــدوا للأنـــام ماأحكمـــوه
وجلـــوا منـــه نير الأحكـــام
أبـــرزوا من مخدرات معانيـــه
م حسانـــا تروق بالأفهـــام
ونحا كنـــزه الجلالان فاختـــا
را من الجوهـــر اليـتيم السامـــى
أبدعـــا فى نظامــه وأجـــادا
فغــدا حليــة لجيـــد الفخـــام
وبـــدا فى ثمين مانظمـــاه
كل حَسْنَــا جادت بكشف اللثـــام
بحواش رقت سدى وطـــــرازاً
شيــة الجهبـذ الوحيــد الهمـــام
علم الفضل فى الورى الجمل الحبر
م سليمــان ذى الكمــال الهامـــى
لاح منها صبـــح الجبين فَقَــزَّتْ
دُجيــة المشكَــلات بالأوهـــام
عذبت منهلا وراق سناهـــــا
وتبــدت تزهــو بحسن انسجـــام
وإذا ما بالطبـــــــع تمت جمالاً
أرخـــوا حسنها بديـــع الختـــام

والذى تجدر الإشارة إليه هنا أن هذه الطبعة هى الطبعة الثانية ، ويعنى ذلك أن الأولى سبقتها بزمن . وإنك لتأسى أسى بليغاً حين تقارن هذه الطبعة بأخرى مستحدثة فى القرن الهجرى

الماضى من سنـــوات حين تجد هذه الأخيرة مشحونة بالأخطاء والنقص .

● وهنـاك أيضا صحيـح البخـارى المطبـوع بـ « المطبعة البهية » بالقاهرة عام تسع وتسعين ومائتين وألف ١٢٩٩ بتصحيح « الشيخ أحمد مصطفى المكتبى » .

● ومسند أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ بتصحيح الشيخ محمد الزهرى الغمراوى مصحح بـ « المطبعة الميمنية » وقد تم طبعه عام ثلاثة عشر وثلثمائة وألف من هجرة النبى ﷺ .

لقد كان من هؤلاء الأقطاب « العلامة الشيخ قطة العدوى » الذى نود أن نلم بطرف من سيرته ، هو وغيره من هؤلاء الأعلام .

● ومن أعلام هذه الطبقة التى عاشت فى القرن الثالث عشر الهجرى، وامتد بها العمر إلى شىء من القرن الهجرى الماضى الشيـخ العلامـة (حسن العدوى الحمزاوى) المتوفى سنة ثلاث وثلثمائة وألف للهجرة النبوية المشرفة الموافق سنة ست وثمانين وثمانمائة والف للميلاد ، وكان على الراجح ـ بل المقطوع به تقريبا من أكبر وأقدم شيوخ هذه الطبقة الأولى فقد ولد سنة ١٢٢١هـ الموافق سنة ١٨٦٠م .

كان فقيها مالكياً من قريـة « عدوة »بمصر ، تعلم فى الأزهر الشريف وقد توفر ـ رضوان الله عليه ـ على أعمال جليلـة ، له منها : « النـور السارى من فيض صحيح البخارى » وهو مطبوع فى خمسة مجلدات . وله أيضاً : « تبصرة القضاة والإخوان » مطبوع ، لكن ليس معروفاً .

ومن مطبوعاته النفيسة أيضاً : « إرشاد المريد فى خلاصة علم التوحيـد » . كذا له : « المدد الفياض » وهـو شرح (على الشفـا) للقـاضى عياض ، وغير ذلك . وتوفى ـ رحمه الله ـ فى القاهرة ، فرضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مثواه .

● أحمد زكى باشا المتوفى سنة ١٣٥٣ ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف للهجرة

الموافق سنة ١٩٣٤ أربع وثلاثين وتسعمائة وألف للميلاد . وأصله من بيت النجار من عكا . فهو عربى أصيل .

كان أحمد زكى باشا عالماً باحثاً أديباً من كبار الكتاب ولد بالاسكندرية ، ثم تخرج فى كلية الحقوق التى كانت تسمى مدرسة الحقوق وقتذاك بالقاهرة ، ثم أتقن بعض اللغات .

اتصل أحمد زكى باشا بعلماء المشرقيات ، ومثل مصر فى مؤتمراتهم . وعمد إلى إحياء الكتب العربية بهمة عالية مشكورة غير مسبوق فيها ولا إليها .

وقد طبعت فى عهده الحكومة المصرية مخطوطات عدة تولى هو بنفسه تصحيحها ومراجعتها .

وقد كانت له مكتبة عامرة فى بيته بها زهاء عشرة آلاف كتاب . وكان وقفها على أهل العلم ، ثم بعد وفاته نقلت هذه المكتبة إلى دار الكتب المصرية باسمه ؛ وهى لاتزال حتى الآن مصدراً لكثير من المراجع القيمة مخطوطة ومطبوعة ينهل منها أهل العلم من دارسين وباحثين .

● ● ●

● أحمد تيمور باشا :

هو العالم الأديب الباحث النحرير صاحب التصانيف العالية والمحررات الجليلة ، وإليه يرجع فضل كبير فى دفع يوسف إليان سركيس واستحثاثه واستنهاضه لتصنيف معجمه الشهير المسمى بـ (معجم المطبوعات العربية والمعربة منذ فجر الطباعة) أول عهدها حتى سنة تسع عشرة وتسعمائة وألف للميلاد ، وذلك على غرار المعاجم والفهارس الأوربية . وقد وضع أحمد تيمور باشا كل مكتبتة العامرة تحت تصرف يوسف إليان سركيس على مدار ست عشرة سنة كاملة ، مع المعاونة الجادة والتوجيه السديد ، والتعهد الكامل والرعاية التامة حتى تم لكلا الرجلين ما أرادا .

● أمين الخانجى

(الوراق العالم) وهو فى الأصل تاجر حلبى اسمه محمد أمين بن عبد العزيز الخانجى ، وهو سورى الأصل شرفت به مصر ، ونهلت من علمه وأدبه ذخائر لا تزال باقية ... وكانت صلته وكيدة وطيدة بالعلامة أحمد تيمور باشا فما أن يسمع عن مخطوطة نادرة فى أى بلد أو مكتبة فى العالم ويخبر تيمور بذلك ؛ حتى يرسله على الفور إلى مكان وجودها لشرائها وجلبها إلى مصر على نفقة تيمور باشا ـ رحمه الله ، ورضى عنه وأرضاه ـ

ومن البلدان التى زارها : الآستانة والعراق وغيرهما . وقد كانت له أياد سابغة ندية مذكورة بالخير ... وكان العلامة المخطوطى محمد أمين الخانجى من واقع هذه المثابة على دربة وخبرة ودراية بعيدة بالمخطوطات المختلفة وأماكن وجودها ، وقيل : تيسر له نشر زهاء ثلاثمائة مخطوط من النوادر ... والصحيح أن المنشورات المخطوطة عنده قد بلغت قرابة الثلاثمائة وثمانية وسبعين كتاباً ورسالة .

وقد نشأ كما أسلفنا فى (حلب) فكان حلبياً مولداً ونشأة ، ثم عمل كاتباً فى ديوان ولاية حلب ، ثم عمل فى بداية حياته بنسخ المخطوطات ، ثم مالبث أن انطلق إلى القاهرة وأدمن العمل فى ذلك ، وألقى فيها عصاه سنة ١٨٨٥ خمس وثمانين ، وثمانمائة وألف للميلاد .

وهو الذى أنشأ «مكتبة الخانجى» التى كان يشترى ويستجلب لها أخطر وأعجب المخطوطات وأندرها وأغلاها سعراً ، ثم يعمد هو بنفسه إلى تحقيقها ، وتصحيحها وضبطها ونشرها .

ومن جلائل أعمال هذا الوراقة العلامة كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموى ، وما أضفاه عليه من ذيل «سماه» : (منجم العمران فى المستدرك على معجم البلدان) وقد شايعه وآزره على إخراجه لفيف من العلماء الجهابذة . وقد كانت مكتبة ـ ولاتزال حتى الآن تزخر بالكثير من المطبوعات القيمة النادرة فى فنون اللغة العربية والأدب العربى ، سيما فقه اللغة ، والفروق اللغوية الدقيقة ، وقد أشرف عليها وحققها نخبة من أساتذة الجامعة المشهورين .

توفى الخانجى ـ رحمه الله ـ سنة ١٣٥٨ ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف للهجرة الموافق سنة ١٩٣٩ تسع وثلاثين وتسعمائة وألف ميلادية . ولم تنطو بوفاته صفحة أعماله الجليلة البيضاء المسداة إلى هذا الجيل والأجيال القادمة ، وهى تنطوى على خير وبركة وأفياء ظليلة ، وتوفى رحمة الله عن أربعة وسبعين عاماً .

مع

الدكتور عبد الوهاب عزام

فى كتابه مهد العرب

بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

انتهى الدكتور عبدالوهاب عزام من عمله العلمى ، بعمادته لكلية الآداب بالقاهرة سنة ١٩٤٥ ، وبعدها تم نقله للعمل بالسلك السياسى بالخارج ، فاتسعت أمامه الآفاق ، لخدمة العالم الإسلامى فى كل مكان ، والاحتكاك بشعوبه ورجالاته ، والنهل من منابعهم ، والصدور عن آمالهم واهتماماتهم .. إلى أنْ حَّط عصا الترحال بالمملكة العربية السعودية ، سفيرا لمصر بها .. وبعد بلوغه السن القانونية للتقاعد ، استدعته حكومتها لإنشاء أول جامعة بالمملكة وأنشأها وظل يعمل رئيسا لها فى العاصمة (الرياض) ويُدعِّمها بأقصى الجهد ، حتى وافَته المنيَّة بين ظهرانَيْها .

***

أى أنه ظل فى خدمة المعارف والآداب ، حتى النفس الأخير . وكعادة الدكتور عزام ، فإنه اهتبل هذه الفرصة التى سَنَحت له ، ليتعمق الدراسة ، لتاريخ (منزل الوحى) ومطلع النور ، ليصل الماضى بالحاضر ، والخروج بالدرس المستفاد ، فى ضوء الآية الشريفة : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾[1] وهكذا تكونت عناصر ومواد كتابه : (**مهد العرب**) ، الذى قلَّ حجمه وعَظُم نَفْعه ، فهو بحق ، مايمكن أن يقال فيه ، إنه : (ماقل ودل) ..

***

وقد استهله بدراسة جامعة مستوعبة ، لجزيرة العرب ، التى تُحَدُّها البحار من معظم جهاتها وحدودها : فحفظتْ هذا الجنس القوى عن تقلُّب الجامعات ، بعيدا من طرق المُهاجَرات ، فبقى

(١) الأنبياء ـ ٩٢

يفرز الأجسام القوية ، والطباع السليمة ، والفطَر الخالصَة .. وإن أَفْنت الأقوام الأحداثُ ، ــ كما يقول الدكتور عزام ــ فَالعرب لاتفْنَى ، وإن نَضبَ مَعينُ الأمم ــ فلن يغيض الدم العربى الخالص ، مادامت أنهار الله جارية فى أرض الله ، ومادامت شموسه وهواؤه وأرضه ، تنمىِّ الأجسام ، وتطبع الأقوام .

ثم يتحدث عن الوطن العربى بأسره ، إذا استمسك بالعروة الوثقى ، بقوله : «وأما الثبات للحوادث الطبيعية والإنسانية .. فما دام هذا الوطن العظيم ، يعرف بعضه بعضا ، ويتصل بعضه ببعض فستجد كل ناحية من النواحى الأخرى ، مايُسْعفها بمطالبها إنْ قَحَطَتْ ، ومايدرأ عنها الأحداث إن طغت عليها .. ومحال أن تعمها كلها الحوادث ، إلا أن يكون حادث القيامة ، حين يرث الله الأرض ومن عليها» .

ثم يضرب د. عزام الأمثال بما للغرب من هِمَّة ذلَّلتْ المشرق والمغرب فى سنين قليلة : بنية تريد الخير للناس أجمعين ، وعدْل يسوى بين الجبارين والمستضعفين ؛ بل يمحو من الأرض كل جبار ومستضعف ، ويقف الناس جميعا إخوة على سنن من العدل المُطلق ، والمساواة الكاملة ، والأخوة الشاملة ..

ثم يتساءل الدكتور عزام ، بقوله : «هل يعرف التاريخ أمة جمعت فى سلطانها .. ماجمع العرب من أمم وأقطار ، ثم آخت بينهم ، وحفزتهم إلى الفضائل والآداب ، والعلوم والصناعات ؟ فإذا معظم العالم المتحضر ، متعاون على نسج حضارة واحدة عظيمة ، كل أمة على قدر مواهبها وقواها .. ومافعلوا ذلك كله إلا ابتغاء وجه الله ، وقصدا إلى إصلاح الناس ، وعمران الأرض» .

***

ويشيد د. عزام بعد ذلك باللغة العربية ، التى أنضجها الزمان المتطاول فى البقاع الشاسعة من الجزيرة أُخرجَتهْا الفطرةُ السليمة ، والإحساس المرهف ، والإدراك النافذ .. حتى لتكاد تصور ألفاظها مشاهد الطبيعة ، وتُمثل كلماتُها خطرات النفوس .. «ويكفى أن الله تعالى قد أراد لها أن تكون لغة كتابه ، وترجمان وَحْيه ، وبلاغ رسالته ، فاشتملت على العالم الحسِّى والعقلى ، مصوراكلمات وآيات ، وجُزيت على هذا خلودا ما خلد الإنسان عقل وقلب ، وما استقام له إحساس وإدراك ..» ففى «خمسة عشر قرنا محت لغات ، وخلقت لغات ، وبدلت لغات وحرفت لغات .. والعربية هى العربية ، لم تمح ولم تبدل ، ولم تغير .. وما آية الخلود بعد هذا ؟!» .

***

ويتحدث د. عزام ، بلغة المؤرخ ، وبلاغة الأديب ، عن البوادى والحواضر ، وأقسام الجزيرة العربية الطبيعية ، ومدنها ونجوعها ، والأشعار التى قيلت فيها ، ويصف (الحجاز) مثلا ، بأنه :

«مولد الإسلام ، ومبعث النور ، ومصدر الهدى .. تتجه إليه القلوب والأوجه كل حين ،ويملأ كل قلب إليه حنين .. مدرج الإسلام ومرباه ، تُقفى هناك خُطاه ، فى كل مكان أثر مشهور ، وفى كل بقعة قول مأثور . كأن أحجاره ورماله ، وسهوله وجباله . ألواح فيها سيرة الرسول ــ صلى الله

عليه وسلم ــ وأقواله ، ومشاهده وأفعاله .. وفيه صدى القرآن ، وآيات الوحى والفرقان .. هناك منازل القرآن ومدارس سوره ، ومهبط بشائره ونذره » وهذا الترسل البديع المسجوع ، يذكرنا بنثر (شوق) المسجوع الرائع ، فى كتاب : «أسواق الذهب »[٢] ، وبصفة خاصة ، يقول شوقى عن (المسجد الحرام) ، إنه :

«الساحة الكبرى ، والدار اللموم[٣] ، والموسم الحاشر[٤] .. المنتدى والمؤتمر ، ومثاب الشهادتين . قال : فهذا قول مالك فى رفع الصوت ثم حى على الصلاة حى على الصلاة حى على الفلاح حى على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا إله إلا فضاء زكى ، لم يتنفس فيه الناس[٧] ، وخلا إلا من حجر أو كناس ، الخ .. » .

***

ثم يسوق الدكتور عزام لنا ، ماظفرت به (نجد) من قصائد الشعراء الملهمين ، فى وصف عرارها وقيصومها ، وصفاء جوها ، وأسحارها وآصالها ، ومن ذلك قول القائل :

أقول ـ لصاحبى ، والعيس تهوى — بنا بين المنيفة فالضِّمَار
تمتع من شميم عرار نجد — فما بعد العشية من عرار
ألا ياحبذا نفحات نجد — وريا روضه بعد القُطار
وأهلك إذ يحُلُّ الحيُّ نجدا — وأنت على زمانك غير زارى
ليال ينقضين ، وماشعرنا — بأنصاف لهن ولا سرار

وكم يشجينا تكرار كلمة (نجد) فى معظم صدور الأبيات ، و(العرار) الذى سوف نفتقده بعد العشية ، أو بعد البعد عنه ، إلى أنحاء أخرى ، ناهيك بالموسيقى العزبة التى تشيع فى ثانيا هذه الأبيات ، كالأمواج المنسابة فى ريث ، فتأخذ طريقها إلى مكمن الشعور والأحاسيس ، فى صدق وعمق . ثم يورد لنا البيت المشهور :

ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد — لقد زادنى مسراك : وجدا على وجد

ويعقب عليه ، بقوله : «نجد التى أثارت الهوى والفتون ، ونَشَّأَتْ (ليلى والمجنون) . وكيف لا ؟ .. وفى نجد (اليمامة) ذات النخيل والزروع ، والأودية والعيون .. مسارح الجلال والجمال ، ومشاهد البداوة والحضارة ، ومجالى النشاط والقوة ، والمروءة والفتوة ..

---

(٢) انظر (أسواق الذهب) ط الهلال ص ٧٥

(٣) اللموم : التى تجمع الناس

(٤) الحاشر : الجامع

(٥) مثابة الزمر : مجتمع الناس

(٦) تنفس الناس : كناية عن وجودهم

(٧) الكناس : بيت الظبى من الشجر

وتحدث بعد ذلك عن باقى أقسام الجزيرة العربية : تهامة والعروض واليمن ، ويقول عن الأخيرة إنها «بلاد العرب السعيدة ، ذات الحضارة العتيقة ، والآثار القديمة .. وذات المياه الجارية ، والأشجار والزروع» .

ويتحدث عن جبالها ، ويشير إلى ماكان فى اليمن من حضارة وعمران ، وخصب ورخاء ، كما جاء فى سورة سبأ وصفها : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ﴾ سورة سبأ

كما أسهب فى وصف (عسير) ، التى تمثل القسم الشمالى من اليمن ، المجاور للحجاز ، وتحدث عن (معين) و(سبأ) و(حِمْير) ، وسائر مدن اليمن ، و(حضرموت) و(عمان) و(مهرة) .. ثم تحدث عن الصحراء الكبرى أو (الرَّبْع الخالى) ، وهى إلى اليوم مَجْهَل ، لم يُعرف داخلها إلا قليلا ..

* * *

ثم ينتقل إلى الحديث عن الزرع والشجر ، فالكرْم فى جهات كثيرة ، مثل المدينة والطائف ، والموز والتفاح ، والرمان والبرتقال ، فى جهات قليلة .. ثم يركِّز فى حديثه على (التَّمْرِ) ، بصفة خاصة ؛ لأنه أعظم ثمار الجزيرة ، والنخل فى عمان واليمامة والحجاز كثير ، ومما يدل كثرته بالنسبة لسنابل القمح ، أنَّ زكاة الفِطْر قُدِّرتْ بنصف صاع برٍّ ، أَوْ صاع من تمر أو شعير .

وفى المدينة وحدها ، يوجد زهاء مائة صنف من التمر .

* * *

وتحدث بإفاضة عن جو وتضاريس الجزيرة العربية ، وعن أمراء الحيرة والغساسنة ، وساق بعد ذلك طائفة من روائع الشعر ، كالأبيات التى قالها (عدِىُّ بن زيد) ، فى المعنى الذى تُوحيه رؤية المقابر ، وكأنها تخاطب الأحياء جميعا ، يقول :

إيها الركبُ المخِبونَ ... على الأرض .. المجدون

مثل ماأنتم .. حَيينا ... وكما نحن .. تكونون

ويقول بعد ذلك : «وفى كتاب الهمدانى (يعنى الإكليل) منظومات تكلفها الشعراء ، لبيان المواطن والقبائل ، منعنى طولها من إثباتها ، فليرجع إليها من يشاء» .

---

(٨) المصحر : المسافر فى الصحراء

(٩) انظر كتاب الرافعى (وحى القلم) ، ط ٢ سنة ١٩٤١/١٣٦م جـ٢ ، ص ٢٣

ثم يتحدث عن سكان الجزيرة وتعدادهم ، حتى عام ١٩٤٦ ، الذى أصدر فيه كتابه .

وبالنسبة للحيوان فى الجزيرة العربية ، يذكر أن (الحصان) ـ الجواد العربى الكريم ـ قد ظفر بالنصيب الأوفر من تقدير العربى له ، واعتماده عليه ، وتقريبه له فى مجلسه ، حتى سميت الخيل : (المقربات) .. وقد ظفر فرس (امرىء القيس) ، بصفة خاصة ، بالبيت الخالد ، الذى يمثل أصالته وسرعة حركته وإقدامه .

مِكَرّ مِفَرّ مُقْبل مدبر معا كجلمود صخر حَطّه السيل من عل

***

وصفوة القول ، إن أبلغ الدروس التى نستخلصها من كتاب الدكتور عزام : (مهد العرب) ، هو حديثه : عن الوحدة العربية ، حينما كانت جميع البلدان الإسلامية ، بعد الفتوح ، أمة واحدة ؛ ذات قيادة حكيمة واحدة ، ومن ثم ، كانت ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران ـ ١١٠ كوصف القرآن الكريم لها .. وكيف لا ، وقد قال هارون الرشيد ـ فى عصره الذهبى ـ للسحابة ـ وقد مرت به ـ أمطرى حيث شئت ، فسيأتينى خراجك[١٠] ! وحينما أرسل الرشيد ، ساعة دقاقة ، هدية « شارلمان » تدق باستعمال الماء .. قال من شاهدوها فى فرنسا : إن فيها شيطانا !

ألا ليتنا نستوعب جيدا هذا الكتاب القيم : (مهد العرب) ، لضم الصفوف ، وإعداد العدة ، فى جميع أقطار أمتنا العربية الإسلامية لتحقيق ماقصد إليه شاعرنا العربى القديم ، حينما قال :

كونوا جميعا يابنى إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا .. آحادا
تأبى العصى إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن .. تكسرت .. آحادا

---

(١٠) انظر كتاب الداعية الإسلامى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى بعنوان (شبهات وأباطيل خصوم للإسلام والرد عليها . ط مكتبة التراث الإسلامى (بدون تاريخ) جمع وإعداد وترتيب الأستاذ عبدالقادر أحمد عطا ص ١١٠

مالك
تجارب حياة
تأليف : الأستاذ أمين الخولى

وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

عرض وتقديم م عبد السلام ناصف

كان حديثنا عن الإمام أحمد فاتحة نهج أمامنا لنبحث عن أئمة أهل السنة ، فقدمنا من بعد الإمام أحمد ، كتاباً عن الإمام الشافعى ، ثم دفعنى البحث إلى الإمام مالك – رضى الله – تعالى – عنهم أجمعين ، فقد كان – الشافعى تلميذاً للإمام مالك ، وجلس إلى الشافعى الإمام أحمد فمالك – رحمه الله – رأس الفقه الذى تتلمذ عليه أولئك الأئمة الكبار .

كتب عن مالك بن أنس – رحمه الله – كثير من الأئمة منذ بداية التدوين فى السفر ، ثم تتابعت الدراسات حتى أخذت مناهجها الغنية الحديثة ومنها – حديثاً – كتـــاب « مالك .. تجارب حياة » للأستاذ العلامة أمين الخولى – رحمه الله – صاحب المنهج الفريد فى كتابته ومصادرها .

والكتاب – على قدمه لصدوره من سنوات عدة – إلا أنه فى باب دراستنا عن الأئمة نود أن نضعه بين أيدى قرائنا ليكون بين صفحات المجلة دراسات شاملة عنهم ، ولقد كان من السبق الموفق لهذه المجلة ما قدمته من دراسة ، خاصة بالإمام الجليل (ابن ماجه) وهى دراسة غير مسبوقة بمثيل لها .

وكتاب : « مالك .. تجارب حياة » قطع متوسط صدر فى سلسلة « أعلام العرب » ، ويقع فى ثلاثين وأربعمائة صفحة ، ويحوى أربعة عشر فصلا ، عدا مقدمته التى يمهد بها الكاتب لكتابه ويوضح فيها أهمية التراجم التى تقدم على عملية جمع المعلومات بكل الوسائل والسبل الاستقصائية وتبويبها وتصنيفها – ثم نقدها وتفسيرها بأسلوب علمى – بعيداً عن الهوى ومؤثرات الحضارة الحديثة .

وفتح الكاتب الباب لمن يترجم له بأسلوب جديد ونظرة جديدة فى ظل حضارة متطورة نامية شاملة – وإلى نظرة فى الكتاب :

فى الفصل الأول الذى أفرده الكاتب – لأسرة الإمام ونشأته وهى أسرة رحلت من اليمن إلى الحجاز فى عهد جده (مالك بن أبى عامر) والد

أنس والذى سمى باسمه ـ ولقد كان ـ رحمه الله عالماً جليلًا شارك فى كتابة المصحف الشريف ، وكان له دور بارز فى الحياة السياسية فى الدولة الأموية حتى صار مستشاراً للخليفة عمر ابن عبدالعزيز الذى عرف بأنه : خامس الخلفاء الراشدين .

ولد الإمام مالك بالقرب من المدينة المنورة فى واحة ظليلة تبعد عنها نحو مائتى كيلو إلى الشمال، أثرت فى نشأته وتكوينه الجسمانى .

اختلف المؤرخون فى تحديد عام مولده ـ وإن كان يُرجح أنه عام ثلاثة وتسعين للهجرة وكان والده يعمل فى صناعة النبال ، فقد كان مقعداً .

وفى المدينة المنورة بجوها الروحى الذى أزكى حس الإمام فتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وجوّده برواية نافع ـ ثم اتجه إلى الفقه ، فتبع أساطينه حتى بلغ الله به إلى أعلى المراتب ..

أخذ ـ رحمه الله تعالى ـ من (ربيعة الرأى) رضى الله عنه وأرضاه أدبا وعلماً وفقهاً ـ وكأنه كان الباب الذى دلف فيه الإمام إلى حلبة العلم فى مهبط الوحى ، ومشهد الأحداث ، ونفحة الأرض من السماء ، بين القبر والمنبر.. فى الروضة الشريفة ، حيث غدا صاحب الدعوة والدين ـ ﷺ ـ فنهل الإمام من علمائها وقضى فيها سنى تعليمه ، وهو واضح الشعور بمميزاتها وامتيازها .. يجمع من أشياخها الأفاضل الأجلاء ويأخذ من سلوكهم وأسلوب حياتهم ماهيأه ربه لخير العالمين .

وكانت دراسته فى هذا الجامع والجامعة بعد صلاة الفجر ، وبين المغرب والعشاء ، وفيه تلقى على أئمة الفقه ، أمثال : جعفر الصادق وابن شهاب الزهرى ، ونافع بن سرجس وغيرهم ، والتقى بالبعض الآخر عند : حجه أو عند زيارتهم للمدينة المنورة ــ إذ كان ـ رحمه الله ورضى عنه ـ لا يميل إلى الارتحال بعيدا عنها باعتبارها خير الأمكنة .

ومنهاج الإمام مالك ـ كان منهجا نقلياً يعتمد على التدوين ، وتأثر بتيار المدينة الفياض فى الأحاديث والسنن والأفعال والأقوال ، فالتصق بها ، وكأنه قد استجاب الله لدعوة رسوله الأمين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لأهلها بألا يضاموا ؛ فابتعد مالك عن مواطن الحكام بعد ما لمس من تقلبات سياسية وحزبية وعقائدية إلى جانب ظهور حركات الترجمة والتأليف والنشر ؛ لاسيما فى العصر العباسى فكان إنساناً عالماً ومعلماً ومجتهداً وإماماً .

كان للإمام مورد ثابت من بيت المال يعيش عليه ـ ورزق ــ رضى الله عنه ـ بأربعة أولاد ، وكان يسكن فى منزل عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ وكان أثاث بيته وملبسه ينبىء عن النعمة ، وكان يرى أن الزهد ـ فى بعض أحواله يضر بالمنهج النقلى ودقة الرواية إذ قد يغفل الزاهد . وكان يميل إلى العزلة وعدم الحركة ، ويركن إلى الاعتكاف لكنه مع هذا كان حاذقاً بشئون الدنيا والآخرة . وكان كامل المروءة يتمثل بشمائل الصحابة والتابعين ويتمتع بعقل متزن ـ لذا أمر الخليفة هارون الرشيد والى المدينة أن يستشيره فى كل الأمور قبل أن يقطع فيها برأى ـ فَعَلَتْ مكانته وسمت لدى كل الولاة ـ برغم ما كان ينكره على بعضهم من أقوال وأفعال.. حتى إنه نقد الخليفة الرشيد يوماً فقال له : (يا أمير

المؤمنين كلّ مافى يدك ليس لك) .. ثقة من أن لرجل الدين مكانته السياسية ، لكنه كان يرى أن احتمال ظلم الحكام أفضل من الفساد الذى ينتج عن مقاتلتهم أو محاربتهم فقد يكون ذلك فساداً لا يمكن إصلاحه ، وكان يميل إلى بنى أمية ، ويكره الخوارج ، وأهل الشيعة الذين غالوا وتجاوزوا حد الشريعة ، وكان يحترم جعفر الصادق .

ثم يتعرض ـ المؤلف ـ لمحنة الإمام مالك ـ فى عهد الخليفة المنصور حين وشى إليه من أعدائه بما عرف عنه من محبة للأمويين وإفتائه بالخروج مع (محمد النفس الزكية) وفتواه بأن وليس على مستكره يمين ـ فأمر الخليفة بجلده على ظهره العارى ـ وترك الجلد عليه آثاراً كالحلى يتحلى بها ، وكان ذلك عام ستة وأربعين ومائة .

درس مالك وتلقى وألقى وجرّب وأفتى ونقى ، وترك للتاريخ ثمرة حياته ورسالة عمره ؛ فقد كان فقيهاً وضع كل الحلول لمشكلات الحياة وتصرفات الناس فيها ، وربط بين العلم وبين التقوى ، فالعلم نور يضعه الله فى القلوب ، والجدل يذهب بنوره .. ومن ثم كان إماماً فى الحديث والسنة ، وتحمل المشقة فى (التجريح والتعديل) ، ولم يأخذ عن سفيه أو جاهل أو كذاب أو صاحب هوى . فكان حديثه نقياً وكان فقهه سديداً ، وهو يرى أن الفقه هو : الإدراك والفهم والفطنة والرأى السديد وهو ما حدا به إلى الأخذ برأى الصحابة والتابعين فى أحكامهم وفتاويهم .

ففرق بين الإيجاب ، والندب ، والتحريم ، والكراهة ، والإباحة . حيث كان يرهب تقرير الحل والحرمة .. وكثيراً ما كان يقول : الحلال ما أحله الله ورسوله ، والحرام ما حرم الله ورسوله . وكان يميل إلى الوسطية فى أحكامه بعبارات : لا بأس ، أو لا يصلح ، أو لا خير فيه) . تحرجا من خوفه بالجهر بالحل والحرمة .. لكنه كان يلتزم برأى صاحب الدعوة ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه رضوان الله عليهم ـ وتابعيهم .. فقد رحمهم الله ، وهكذا كان متبعاً متئداً لا مبتدعاً .

منهجه الفقهى

وبين المؤلف ـ رحمه الله ـ أن الإمام مالكاً كان يسوق الآيات ، ويوفى النقل فى الاستدلال الفقهى على الأحكام كما كان يسوق الأحاديث ـ على ترتيب تواردها وتواترها ومشهورها وظواهرها ومفهومها ـ ثم يلجأ إلى الإجماع وهو : اتفاق أهل الحل والحرمة على حكم من الأحكام ، خاصة إجماع أهل المدينة المنورة ، وأخيراً استدلاله بالقياس وبأصوله الثانوية : كالاستحسان والمصالح المرسلة الضرورية .

وأوضح المؤلف أن مالكاً كان مصنفاً فى كتاباته يجمع ويدوّن ويصنف . فألف فى النجوم وحساب دوران الزمان ومنازل القمر ، وألف فى التفسير كتاب (التفسير لغريب القرآن) وفى علم الكلام ألف : كتاب (رسالة إلى ابن وهب) ويكفيه كتابه : (الموطأ) الذى جاء محكماً جمع أحاديث رسول الله ﷺ وصحابه والتابعين وإجماع أهل المدينة المنورة ، وهو يصور تطور الصلة بين الفقه والحديث .

ولقد عنى به الكثير واهتم به الخليفة المنصور ـ وطلبه وأخرجه ، وقال عنه الإمام الشافعى ـ

رحمه الله ورضى عنه : إنَّه أصح كتاب بعد كتاب الله ـ عز وجل ـ واهتمت به مصر منذ القدم ، فشاركت فى طبعه وشرحه ونشره ولازالت ، وانتشر مذهبه فى كل بلاد العالم الإسلامى ، خاصة فى بلاد المغـرب ، وصعيـد مصر والسودان ، والعراق والحجاز ، ودول الخليج وأصبح اسمه مضرب الأمثال حيث يقال :

(لا يفتى ومالك فى المدينة)، ويقال : (قال فيه ما قال مالك فى الخمر) وهاهى كتاباته تنتشر فى القرن العشرين ، ولسوف تنتشر إلى ما شاء الله ـ نتيجة لجهده وتركيزه ـ رغم هزات عصره واضطرابه فأكبره الناس وأشاعوا مذهبه .

تلك معان إنسانية نقدر بها الإمام مالك بما هو أهل له ـ ولقد وقف من دنياه موقف الممارس المجرب للحياة ، وفى حياته موقف الإمام الفقيه ينظم شئون الدنيا .

ثم يتحدث المؤلف ـ فى مناجاة ـ عن وداع الإمام :

أبا عبدالله .. امض راضياً مرضياً .. لقد أفنيت عمرك تفتى ، غدوت إلى الروضة الشريفة ورحت مصلياً متبتلًا ، ودارساً متعلماً ، وراوياً معلماً ، واليوم تغدو إلى ذات الروضة مسجى محمولًا على الأعناق يصلّى عليك ، ويشهد الناس لك ، وإن كان صاحب الدعوة ـ علية الصلاة والسلام ـ خير شاهد .. وفى ثرى المدينة التى أشفقت أن يَطَأَهُ حافرُ دابة تركبها ، لأن محمداً ﷺ ثاوٍ فيه سلام عليك يوم ولدت ويوم مت ، ويوم تبعث حياً ..

توفى مالك عام ١٧٩ تسعة وتسبعين ومائة للهجرة ودفن بأرض البقيع فى المدينة المنورة .

وبعد :

فقد أحسن الأستاذ المؤلف الحديث عن مناقب الإمام مالك .. إمام دار الهجرة ، وأورد ـ رحمه الله ـ مولد الإمام فى سنة من إحدى ثلاث : العام الثالث والتسعين ، أو الرابع والتسعين ، أو الخامس والتسعين ، ولقد نجد من الباحثين من يتعقب البحث فى مثل هذه الحال فى ضوء شخصيات عاصرت هذه التاريخ ويدرس من أحوالها ما يعين على تحديد إحدى هذه السنوات .

أما ما يقال عن تجاربه العلمية ـ فإن القارىء المدقق لا يجد لهذه التجارب مساحة تذكر فى سيرة الإمام الجليل ـ ويصر أستاذنا المؤلف على أنه لم يعمل بالتجارة ـ خلافاً لما اتخذه من عنوان لهذا الكتاب ـ غير أن أكثر من اهتموا بسيرته قد اهتموا بعمله بالتجارة وبالمضاربة ، وركزوا على أهميتها فى رفاهية معيشته .

وما يقال عن تاريخ مولده يقال عن تاريخ وفاته ـ فلقد توفى ـ رحمه الله ورضى عنه ـ فى يوم الأحد الذى يوافق اليوم العاشر من ربيع الأول لعام تسع وسبعين ومائة بعد الهجرة ـ ولعل أبلغ قول قيل فى رثائه هو قول امرأه :

بكيت بدمع واكف فقد مالك
ففى فقده ضاقت على المسالك
ومالى لا أبكى عليه وقد بكت
عليه الثريا والنجوم والشوابك
حلفت بما أهدت قريش وحللت
صبيحة عشر حين تقضى المناسك
لنعم وعاء الفقه والعلم مالك
إذا عد مفقود من الناس مالك

رحم الله الإمام رحمة واسعة .

عقيدة السلف وأصحاب الحديث

عرض وتقديم الأستاذ : عادل رناعى خفاجة

هذا الكتاب فى العقيدة ، قصد به تقديم معلومات مركزة ، بعيداً عن التفاصيل والاستطراد وهو أحد تصانيف الإمام المحدث شيخ الإسلام أبى عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابونى من علماء القرن الرابع الهجرى توفى سنة ٤٤٩ هـ .

وقد همَّ لإخراج هذا الكتاب وتحقيقه وتخريج أحاديثه الأستاذ أبو عبد الله نبيل بن سابق السبكى ، الذى يقدمه بدوره إلى كل من لم يسعفه الوقت لمراجعة المطولات من كتب الاعتقاد .

يقع الكتاب فى مائة صفحة وصفحة واحدة من القطع الصغير ، طبع دار طيبة. بالرياض ١٤١٣ هـ .

ويبدأ الكتاب بفصل عن سند الكتاب إلى مؤلفه ، وأن ما دعا المؤلف إلى كتابته إنما جاء تلبية لرغبة إخوانه الذين طلبوا إليه : أن يقدم لهم شيئاً فى أصول الدين موجزاً ، فكان هذا الكتاب .

عالج المؤلف فى هذه الرسالة أموراً عدة هى :

- معتقد أصحاب الحديث فى صفات الله .
- استواء الله على عرشه .
- اعتقادهم بنزول الرب سبحانه ومجيئه .
- موقف السلف من هذه الأخبار .
- البعث بعد الموت .
- الشفاعة .
- الحوض والكوثر .
- رؤية المؤمن ربه فى الآخرة .
- الإيمان بالجنة والنار وأنهما مخلوقتان .
- الإيمان « قول وعمل » يزيد وينقص .
- لا يكفر أحد من المسلمين بكل ذنب .
- حكم تارك الصلاة عمداً .
- خلق أفعال العباد .
- الهداية من الله .
- الخير والشر .
- مشيئة الله .
- عواقب العباد مبهمة .
- المبشرون بالجنة .
- أفضل الصحابة وخلافتهم .
- الصلاة خلف الإمام البار والفاجر والجهاد معه .

- موقف أهل السنة إزاء الصحابة .
- دخول الجنة بفضل الله ورحمته .
- لكل مخلوق أجل .
- وسوسة الشياطين .
- السحر والسحرة .
- آداب أصحاب الحديث .
- علامات أهل البدع .
- علامات أهل السنة .

ومع هذا القدر الكبير من الموضوعات ، نجد المؤلف قد وفّاها فى هذا القدر اليسير من الصفحات المشار إليه .

ونسأل الله ـ العلى القدير ـ أن يوفقنا لالقاء الضوء على أكثر هذه النقاط أهمية ، والتى نرى أنها تستأثر بانتباه القارىء .

معتقد أصحاب الحديث فى صفات الله :

يقول الشيخ أبو عثمان : إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة .. يشهدون لله ـ تعالى ـ بالوحدانية .. ويعرفون ربهم ـ عز وجل ـ بصفاته التى نطق بها وحيُه وتنزيله ، إلى ما شهد له بها رسوله ﷺ .. ويثبتون له ـ جل جلاله ـ منها ما أثبت لنفسه فى كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه وأنه يجب عند فهم معنى من الآيات عدم الجنوح إلى **التكييف أو التشبيه** وإنما يكون الفهم من منطلق قول الحق تبارك وتعالى .

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾
سورة الشورى / ١١

ثم يستشهد بما قاله الإمام بن أنس حين سأله سائل عن قول الله ـ تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ فأجابه : « الكيف غير معلوم ، والاستواء غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وإنى لأخاف أن تكون ضالاً » ثم أمر به فأخرج .

الشفاعة :

فإذا بلغنا مع الكاتب موضع الشفاعة ، نجده يقول : ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول ﷺ لمذنبى أهل التوحيد ومرتكبى الكبائر . فعن ثابت عن أنس عن النبى ﷺ قال : « **شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى** »[1] .

وأخرج البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال : « **لقد ظننت أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحدٌ أول منك ؛ لما رأيت من حرصك على الحديث . إن أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قِبل نفسه** » .

رؤية المؤمنين ربهم فى الآخرة :

يوضح المؤلف ـ بشأنها ـ أن أهل السنة يشهدون أن المؤمنين يرون ربهم ـ تبارك وتعالى ـ يوم القيامة بأبصارهم وينظرون إليه ، ثم يثبت الأستاذ أبو عبد الله نبيل بن سابق ـ محقق الكتاب ـ قول الإمام النووى : إن الرؤية مختصة بالمؤمنين ، وأما الكفار فلا يرونه ـ سبحانه وتعالى .

(١) أخرجه أبو داود والترمذى وأحمد وابن ماجه .

وقيـل : يراه منافقـو هذه الأمـة وهـــذا ، ضعيف ، والصحيح الذى عليه جمهـور أهـل السنة : أن المنافقين لا يرونه كما لا يراه باق الكفار باتفاق العلماء .

وفى القرآن الكريم : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة/٧٥ .

وقول الرسول الكريم : « **إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر** » متفق عليه .

الإيمان يزيد وينقص :

يجمع أهـل الحديث على أن (الإيمان قول يصدقه العمل ، وأنه يزيد وينقص) وقد أحسن مؤلـف هذا الكتـاب ، حيث سأل عشرة من الفقهاء منهم : ابن جريج ، وسفيان الثورى ، وفضيل ، وسفيان بن عيينة ، وغيرهم ، سألهم جميعاً : عن الإيمان فقالوا : « قول وعمل »

وليس كثرة السؤال إلا من باب التأكيد على شىء ذى بال ، وأن الإيمان هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل .

لا يكفر أحد من المسلمين بكل ذنب :

وبإيجازنا لهذه القضية نقول : يرى المؤلف أن أهل السنة يعتقدون أن المؤمن ؛ وإن أذنب ذنوباً كثيرة ـ صغائر كانت أو كبائر ـ فإنه لا يكفر بها وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيـــد والإخـــلاص فإن أمـــره إلى الله ـ عز وجل ـ إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة ، وإن شاء عذبه مدة بعذاب النار ثم عفا عنه ولم يخلده فيها ، بل يعتقه ويخرجه منها إلى نعيم دار القرار .

مشيئة الله :

ومن المعلوم أنه لا يقع فى ملك الله إلا ما يريد ، ويـــوضح المؤلـــف ذلك فيقـــول : إن الله ـ عز وجل ـ مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها ، لم يؤمن أحد إلا بمشيئته ، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ سورة يونس/٩٩ .

ولو شاء أن لا يُعْصَى ما خلق إبليس ، فكُفْرُ الكافريـن وإيمانُ المؤمـنين ، كل ذلك بقضائه ـ سبحانه وتعالى ـ وقدره .

ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يرضى لعباده الإيمان ولا يرضى لهم الكفر(٢) . قال ـ عز وجل : ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ الزمر/٧ .

ثم يختتم المؤلف ذلك العمل بذكر **علامات أهل السنة** فيذكر منها :

ـ التمسك بسنة رسول الله ﷺ والعمل بها والاستقامة عليها والدعوة إليها .

ـ وجوب تعظيم أخبـار رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم والتصديق .

ـ حبُّ أئمة السنة وعلمائها وأنصارها .

وبعد ..

فقد قدم المؤلف كتاباً سهلاً يسيراً ، أوضح فيه بلفظ بسيط أخطر القضايا ، بعيداً عن التعقيد والمسائل الخلافيـة ، فأثـــبت كل ما هو من المسلمات ، التى أجمعت عليها الأمة وقد قدَّم ما يلـزم من الأدلـة والآيات والأحـاديث النبويـة الشريفة .

(٢) لذا يرى علماء التوحيد : أن الإرادة غير الرضى ، ولهم فى ذلك بحوث قيمة .

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

ضوابط الإسلام فى الأمر والنهى

للإسلام أدب ونظام وأسلوب فى مجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجدير بنا أن نعى ذلك ونتدبره ونلتزم به ونضبط أسلوبنا وخطانا على طريقه ، فإن فعلنا ذلك فقد سلكنا الطريق السوى ، قال ـ تعالى :

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

سورة يوسف

وإذا كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية ، فإن الذى يتولاه ويقوم به ؛ لابد أن يكون حكيماً يتلطف مع من يأمره وينهاه ، ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٤] ، فكثير من الناس لا يزيدهم العنف إلا عناداً ومكابرة ، فيكون الضرر بدلًا من النفع .

وعلى هذا المبدأ العظيم الذى سنَّه رسول الله ﷺ يوم أن بال الأعرابى فى المسجد ، فثار عليه الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فقال لهم رسول الله ﷺ : « اهرقوا عليه ذنوباً أو سجلًا من ماء »[1] . على هذا النهج سار صحابة رسول الله ﷺ والتابعون بإحسان .

غير أن ما ينبغى أن يتصف به المصلحون هو الإخلاص لرب العالمين ، وطلب التوفيق

(١) الفتح الربانى فى ترتيب مسند الإمام أحمد جـ ١ ص ٢٢٩

منه ، كما قال نبى الله شعيب :

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾

[هود : ٨٨]

وفى هذا العدد يجد القارىء كلمة فى هذا المعنى ، وكلمات أخرى منوعة ، فضلًا عن الردود والتعليقات والإجابة على الاستفسارات .

المحـــرر

مسئوليات الأمر والنهى

وكتب الأستاذ / يحيى السيد النجار ـ من الحزاوى محافظة دمياط ـ هذه الكلمة عن واجبات ومسئوليات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

جاء الإسلام رسالة سماوية عالمية خاتمة .. فالإسلام عقيدة وشريعة ودين ودنيا .. وللإسلام منهج فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. قال تعالى :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

[ال عمران : ١٠٤] .

وضع الإسلام .. قواعد حكيمة .. واختار الوسائل المجدية لدفع المنكر .

والمنكر : هو ما ترفضه الفطرة السليمة وترفضه شرعة الإسلام ، **والمعروف** : ما ترتضيه الفطرة السليمة وتقرره شريعة الإسلام .. وهما ـ معاً ـ من أعظم المهام الملقاة على عاتق أمة الإسلام .. قال ـ تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾

[ال عمران : ١١٠] .

لكن للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبات ومسئوليات على من يتصدى لذلك .. وهل هو الحاكم ، أم العلماء ، أم أى إنسان .. حتى لا يختلط الأمر ؛ فإن العلماء يرون أن :

اليد : تجب على صاحب التنفيذ الشرعى لأنه المكلف بإقامة الحدود ..

واللسان : على علماء الأمة .

أما الإنكار بالقلب فهو لعامة المسلمين .. ويجب على الإنسان المسلم ترك أى مجلس يرتكب فيه إثم حتى لا يعد شريكاً فى الإثم قال تعالى :

﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

[الأنعام : ٦٨] .

لكن الأوراق اختلطت .. وأصبح يتقمص دور العلماء من لا علم لهم بالفقه والفتوى ، فما سر انتشار بعض السلبيات بين الشباب ؟

الجواب : فقدان دور التربية .. وعدم قيام الزوجين بتربية الأبناء تربية إسلامية فكيف تهتم الأسر بالملبس والمأكل وشراء آليات اللهو الحديثة ثم تترك عقل النشء وروحه .. وقد قال ـ تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] .

هؤلاء عرفوا الله - عز وجل -

وكتب هذه الكلمة الأستاذ / محجوب كامل محمود ـ بكلية آداب سوهاج ـ جامعة جنوب الوادى ـ عن رقة قلوب الصحابة والتابعين بسبب ما درجوا عليه من تقوى الله ـ عز وجل ـ والخوف منه :

حين حضر الموتُ سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ أخذ يبكى !! ودخل عليه أصحابه فسألوه : (ماذا يبكيك وأنت من قال رسول الله ﷺ فيه : سَلْمَانُ منّا آل البيت ؟) فقال : (والله لقد رأيت مصعب بن عمير حين قتل لم نجد ما نكفنه فيه سوى ثوبه : إذا غطينا به رأسه انكشفت قدماه ، وإذا غطينا به قدميه انكشفت رأسه ، وكان خيراً منى ، وها هى الدنيا قد بسطت لنا ، ونخشى أن تكون طيباتنا قد عُجّلت لنا) .اهـ .

إن عمر الدنيا قصير وزادها قليل وخطرها كبير ، فاعمل ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، ومما ينسب إلى رابعة العدوية :

وإن لاحت الأسرار فهى رسائلّ
فهل لرسالات المحبِّ جوابُ
فليتك تحلو والحياة مريرةٌ
وليتك ترضى والأنام غضابُ
وليت الذى بينى وبينك عامرٌ
وبينى وبين العالمين خرابُ
إذا صحّ منك الودُّ فالكل هيّنٌ
وكلُّ الذى فوق التراب تراب
متى لم يكن بينى وبينك ريبة
فكلُّ نعيمٍ صَدَّ عنك عذابُ

فلنكن من الذين آمنوا

كتب الأستاذ / نجاح عبد القادر سرور ـ المدرس الثانوى بكوم حماده ـ محافظة البحيرة ـ تلك الكلمة القيمة فى العلاقة بين الإيمان وحب الله ـ عز وجل :

إن من آمن بالله أحبه .. ومن أحب الله اتقاه .. والله تعالى يعطى الدنيا لم أحب ومن لا يحب .. ولا يعطى الدين إلا لمن أحب .. وإذا أحب الله عبداً .. كان سمعه وبصره .. ويده وقدمه .. روى البخارى قول رسول الله ﷺ : « يقول الله ـ تعالى : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه ، ومايزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ، وما ترددت عن شىء أنا

فاعله ترددى عن نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت ، وأنا أكره مساءته » .

إن المؤمن حبيب الله يعيش له ويموت له :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ [الأنعام : ١٦١ ـ ١٦٢] .

فإذا ما أحبه الله تعالى .. أحبه أهل السماء والأرض .. روى البخارى قوله ﷺ : « إذا أحب الله العبد ، نادى جبريل : إن الله يحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ، فينادى جبريل فى أهل السماء : إن الله يحب فلاناً ، فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض » فلنكن من الذين آمنوا ، قال ـ تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

خطر الإسراف

فى الطعام والشراب

وكتب الشيخ / خيرى محمد أبو الروس ـ إمام مسجد بكفر الجرايدة ـ بيلا ـ كفر الشيخ ـ هذه الكلمة :

قال الرسول ﷺ : « ما ملأ آدمى وعاءاً شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكلاتٍ يُقِمن صلبه . فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلثٌ لشرابه وثلث لِنَفَسِه » صدق رسول الله ﷺ .. رواه الإمام الترمذى فى السنن وقال حديث حسن صحيح .

ومعنى : بحسب .. أى يكفى . ومعنى : صُلْبَه .. أى ظهره .

فى هذا الحديث الشريف يوضح المصطفى ﷺ : أن الإسراف فى الطعام يجلب الشر للإنسان ، فما يملأ ابن آدم وعاءاً شراً من بطنه ، إذ يُسبب له الأمراض المختلفة ، فالمعدة بيت الداء

ويكفى أنه يأكل من الطعام ما يستطيع به أن يتقوى على أداء عمله ، فليكن أكله بحساب ، ثلث للطعام ، ويترك الثلثين الباقيين للشراب وللنفس ، وبذلك لا يُجهد نفسه ولا يضر معدته وكذلك أيضاً لا يتعرض للأمراض ويظل سليماً معافى . ولذلك حارب الإسلام الإسراف والتبذير لأنهما يدفعان إلى الضرر الفردى ، والضرر لجماعى ، ومن ثم دعا الإسلام إلى الاعتدال ونهى عن الإسراف والتبذير .

مصر والأزهر والإعلام الإسلامي

وكتب الأستاذ / أحمد محمود الطباخ ـ المدرس بالأزهر ـ أبو حمص بالبحيرة .. هذه الكلمة عن مكانة مصر ودور الأزهر فى مواجهة العلمانيين وأعداء الإسلام :

مصر هى قلب الأمة الإسلامية النابض وصمام أمنها ، فمن مصر خرجت كتائب الجند مدافعة وفاتحة بقيادة صلاح الدين الأيوبى الذى استرد للأمة الإسلامية أولى القبلتين وثانى الحرمين ومسرى رسول الله ﷺ .

وفى العصر الحديث استردت مصر للأمة العربية كرامتها بانتصارها على العدو فى العاشر من رمضان ، ولقنت الأعداء المتربصين بنا درساً لن ينسوه .

وقد نشطوا فبثوا فى وسائل إعلامهم عبر الأقمار الصناعية ما هو أشد وأنكى من صور لا توارى عورة ولا تستر جسداً لنشر الانحلال والفساد ، وهم بهذا يودون القضاء المبرم على إسلامنا وقيم أهلنا ومبادىء شعوبنا .

وعلى الرغم من قيام الأزهر المعمور بدوره خير قيام من خلال علمائه والدارسين به فى كل مكان من العالم ؛ إلا أن فلول العلمانيين وأعداء الإسلام مازالوا ينشطون من أجل إفساد عقول وأذواق الأمة ، وهنا تبرز أهمية الإعلام الإسلامى لتنقية الساحة الإسلامية من الزيف وأساليب البهتان .

ردود وتعليقات

● **القارىء / زكريا عبد المحسن على سيد ـ أسيوط ـ جزيرة الوسطى .**

يمكنكم أن تكتبوا إلينا نثراً ونحن فى انتظار إبداعاتكم ، أما البيت الذى نشر فى إبداعات القراء ، واشتبه فيه البعض خطأً نحوياً ؛ هو :

ما لى أرى فى ذا المكـــان جمالًا
هل شمس أنس فى السما تتـــلالا

الواقع أن (ذا) ليست من الأسماء الستة حتى تجر بالياء ، إنما هى هنا اسم إشارة . أى فى هذا المكان . ومعروف أن اسم الإشارة هو (ذا) والهاء للتنبيه .

● **القارىء / يسرى صابر فنجر ـ الطالب بكلية الشريعة والقانون .**

كلمتكم عن « الإنسان فى ظل العلمانية والأنظمة الوضعية » تبين لنا مدى التخبط الذى وقع فيه أولئك الذين عميت قلوبهم وأبصارهم ، ولعلنا لسنا فى حاجة إلى الرد على مزاعمهم الفاسدة بعد أن أصبح العالم فى هذا العصر يشهد

ذيوع الإسلام وانتشاره فى كافة أنحاء الدنيا ، وبخاصة فى أقاليم أوربا وأمريكا ، إذ يدخل حملة الشهادات العالية ، والمتخصصون فى العلوم والآداب فى هذا الدين ـ دين الاسلام ـ الذى جاء من عند الله ـ عز وجل ـ ليظهره على الأديان

● **القارىء/ ربيع عبد الرءوف الزواوى ـ من الأسكندرية ـ الهانوفيل .**

مبحث التأمين للدكتور/ عبد الله النجار ، لم ننته بعد من نشر مباحثه ، وسوف ننتظر تعقيبكم بعد نشره كاملًا ، فلعل أحكامه بعد تمامه تكون قد شفت الغليل وروت العليل . والذى نلفت النظر إليه أن البحث سوف يعقب بأحكام الإسلام تفصيلًا بشأنه .

● **القارىء / محمد عبده عبد القادر نجم .. رئيس الشئون القانونية بإدارة السنبلاوين التعليمية .**

تلقينا رسالتكم بتقدير بالغ ونشكركم على غيرتكم على مجلة الأزهر ومتابعتكم لها وسترون ما يسركم بمشيئة الله ـ تعالى :

● **القارىء / شحاته أحمد أبو بكر ـ بنى سويف ـ ببا .**

فيما يتعلق برغبتكم الملحة فى نشر أشعار الإمام الفقيه الأصولى ابن حزم ، لا سيما قصيدته فى الدفاع عن الإسلام ، فإننا نود من سيادتكم إرسالها لنا ، فإن الوقت لايسمح لنا بالبحث

● **القارىء / محجوب كامل محمود ـ بكلية آداب سوهاج ـ جامعة جنوب الوادى .**

تلقيت بتقدير بالغ كلماتك الطيبة المعبرة ، وكم أرجو الاهتمام بتخريج الأحاديث النبوية وبيان المصدر العلمى لها كاهتمامكم ببيان موقع الآيات

● **القارىء/ أحمد محمود الطباخ ـ المدرس بالأزهر ـ أبو حمص ـ بحيره .**

● **القارىء / معوض أحمد حماد ـ مدرس العلوم بمعاهد الأزهر .**

بالفعل مجلة الأزهر هى أقرب الصحف لنشاط الأزهر وجامعته ومعاهده ، نسأل الله ـ تعالى ـ أن ييسر لنا قريباً متابعة ونشر ما يتصل بذلك من أخبار ، وفيما يتعلق بمقترحاتكم الأخرى ، فهى محل عنايتنا وتقديرنا .

● **القارىء / وسيم عبد العليم عزب ـ المدرس بشمال سيناء ـ العريش .**

نرجو أن يتسع لكم الوقت لتحقيق هذه المسألة ، فليست لدينا المراجع اللازمة لها .

● **القارىء/ محروس عبد الفتاح ياسين ـ حى السلام بالاسماعيلية .**

نشرنا ما تيسر من العبادلة الأربعة ، رجاء الاهتمام بذكر المصادر العلمية .

● **القارىء / عبد القادر نوح أرسلان ـ قنا ـ قوص ـ الكلاله .**

قصيدتكم فى مدح الرسول ﷺ على ما تضمنته من القدرة على التصوير والتعبير ، إلا أن أوزانها تحتاج إلى بعض العناية لتستقيم أبياتها ، خالص التقدير ، وفى انتظار إبداعاتكم الأخرى

● **القارىء / إيهاب محسن بيومـــى ـ من مشتول السوق بالمراغة شرقية .**

« هذا بيان للناس » كتاب الأزهر ـ جزآن ، يباع بمركز مبيعات الكتب بإدارة التوريدات بثمانية جنيهات ، خلف مدينة البعوث بالقاهرة

● **وبمشيئة الله ـ تعالى ـ يواصل الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى تلقاها ويتلقاها تباعاً .**

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

الحمد لله على نعمة الشفاء

أجريت لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف مساء يوم الثلاثاء ٢١ نوفمبر ١٩٩٥ م عملية جراحية دقيقة بقسم الرمد بمستشفى عين شمس التخصصى .

وقد صرح الفريق الطبى الذى قام بإجراء العملية الجراحية لفضيلته بإشراف الأستاذ الدكتور ممدوح سلامة بأن العملية الجراحية تمت بنجاح والحمد لله .

توافد على المستشفى كبار رجال الدولة والمسئولون والعلماء ورجال الدين الإسلامى والمسيحى ، وكان على رأس هؤلاء مندوب السيد رئيس الجمهورية والسيد الاستاذ الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء .

وقد غادر فضيلته المستشفى إلى فترة نقاهة ويستأنف بعون الله - تعالى - بعدها العمل فى القريب العاجل .

الإمام الأكبر يستقبل سفير الكويت بالقاهرة

استقبل فضيلته قبل مرضه صباح ١٣ من جمادى الآخرة ١٤١٦هـ الموافق ٦ نوفمبر ١٩٩٥م بمكتبه سعادة السفير فيصل عبدالرازق الخالد سفير دولة الكويت بالقاهرة .

فى بداية اللقاء نقل الضيف لفضيلة الإمام الأكبر تحيات سمو أمير دولة الكويت ، وشكره للأزهر الشريف على ما يقدمه لدولة الكويت من إيفاد للمدرسين والعلماء ، وكذلك نقل الضيف شكر أمير الكويت لمصر على ما تقدمه من إسهامات فى مختلف التخصصات منذ إنشاء دولة الكويت . وأكد الضيف على أن الكويت تضع جهودها من خلال صندوق التنمية الكويتى وغيره لخدمة المشاريع الإسلامية فى مختلف الدول الإسلامية ودعما للأقليات الإسلامية بمختلف بلاد العالم مشيراً فى هذا الصدد إلى المجهودات المبذولة بالتعاون مع الأزهر الشريف لخدمة الدول الإسلامية مثل : إندونيسيا وباكستان والأقليات من خلال المشروعات التنموية المختلفة كما أشار سيادته إلى دور الأزهر الشريف البارز فى مجال نقل الخبرات العلمية لهذه الدول لمختلف دول العالم .

الإمام الأكبر يستقبل وفد نيجيريا

استقبل فضيلته ـ نفس اليوم ـ بمكتبه الوفد النيجيرى برئاسة سماحة الشيخ إدريس أمير آزاريا من كبار الشخصيات الإسلامية النيجيرية .

فى بداية اللقاء نقل رئيس الوفد لفضيلة الإمام الأكبر تحيات الجنرال ساتى آباتشا رئـيس الجمهورية ، كما نقل شكر مسلمى نيجيريا على الدور الكبير الذى يقوم به الأزهر لخدمة الإسلام والمسلمين من خلال إيفاد العلماء والمدرسين وتقديم المنح الدراسية لطلاب العالم الإسلامى .

تناول اللقاء بحث سبل التعاون بين الأزهر الشريف والمسلمين فى نيجيريا من خلال تقديم المنح الدراسية بالكليات العلمية بجامعة الأزهـر الشريف ، وتقديم المساعدة فى تسهيل تدريب بعض المهندسين النيجيريين فى مجال الرى والطيران المدنى لحاجة نيجيريا لذلك .

الإمام الأكبر يلتقى بوفد مجلة الشباب

التقى فضيلته صباح الاثنين ٢٠ من جمادى الآخرة ١٤١٦هـ الموافق ١٣ نوفمبر ١٩٩٥م بوفد مجلة الشباب الذى يمثل مختلف محافظات الجمهورية ، برئاسة السيدة : راوية سالم نائبة عن السيد رئيس تحرير المجلة .

تناول اللقاء : التعريف بالأزهر الشريف ودوره الحيدى فى العالم ، ونبذه عن سيرة فضيلته العلمية ووظائفه القيادية ، ثم قام فضيلته بالرد على الأسئلة والاستفسارات التى طرحها الشباب فى مختلف الموضوعات الفقهية والشرعية والدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية ، ومنها : دور الأزهر الشريف فى الأحداث الجارية ، وقضية القدس ، واختلاف الفقهاء فى بعض الفتاوى ، وظاهرة التطرف والعلاج الناجع لها ، وطاعة أولى الأمر ، وخطبة الجمعة وقوافل التوعية الدينية ، وموقف الغرب المعادى للإسلام ، وحكم الإسلام فى العمليات التى تقوم بها شركات التأمين وشهادات الاستثمار وفوائد البنوك ومرتبات العاملين فيها ، والحكم الشرعى لتعليم طلاب كليات الطب على الأجزاء البشرية وهياكلها ، ورأى الدين فى السينما والتليفزيون والمسرح والغناء وغيرها .

وفى نهاية اللقاء وجه فضيلة الإمام الأكبر للوفد النصح والإرشاد ، ودعاهم إلى الإخلاص فى العمل وبذل الطاقة والتجمل بالصبر والأمانة ، حتى يكونوا قدوة لغيرهم من الزملاء وعيا وفكرا ومنهجا ..

الإمام الأكبر يستقبل وفد غينيا كوناكرى

كذلك استقبل فضيلته بمكتبه ظهر يوم الثلاثاء الموافق ٢١ جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ ١٤ نوفمبر ١٩٩٥ م وفد غينيا كوناكرى برئاسة سماحة الشيخ إبراهيم باه زعيم المسلمين وإمام المسجد الكبير بغينيا كوناكرى والوفد المرافق له .

فى بداية اللقاء نقل الضيف لفضيلة الإمام الأكبر تحيات وشكر السيد رئيس جمهورية غينيا كوناكرى على ما يقدمه الأزهر الشريف وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف من دعم للمسلمين هناك وفى جميع أنحاء العالم .

وقد تم خلال اللقاء بحث عدة موضوعات تهم المسلمين ببلاده : تتعلق بتنظيم الأسرة والختان

والإجهاض . وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر على كافة أسئلة الضيوف واستفساراتهم فى هذه القضايا .

وفى نهاية اللقاء أمد فضيلته الوفد بنسخة من فتاوى الأزهر الشريف فى الختان ، وقرار مجمع البحوث الإسلامية فى هذا الشأن .

وكيل الأزهر يستقبل سفير الفاتيكان بالقاهرة

التقى فضيلة الشيخ/ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه بالسيد/ يولو جوليو سفير الفاتيكان بالقاهرة الذى قدم شكر الفاتيكان للأزهر الشريف على مشاركة ممثليه فى لقاء روما التمهيدى لأعمال مؤتمر بكين الذى انعقد فى يونيو ١٩٩٥م الماضى .

وقد تقدم السيد السفير الضيف بطلب تشكيل لجنة مصغرة من الأزهر الشريف والمجلس الأعلى البابوى للحوار بين الأديان لوضع أسس التعاون والحوار المشترك . وسلم الضيف لفضيلة الوكيل رسالة خطية مرسلة إلى فضيلة الإمام الأكبر أعرب فيها عن شكر المجلس البابوى لفضيلته على ما قدمه فى مجال التعريف بالإسلام والقيم الدينية .

وفى نهاية اللقاء أعرب السيد السفير عن شكر المجلس البابوى على تعاون الأزهر الشريف فى مجال الحوار والتعرف بين الأديان . وصولا للتفاهم المشترك..

وكيل الأزهر يلتقى بسفير بروناى بالقاهرة

التقى فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف بمكتب فضيلته بالسيد بهنوا داتو حاج سليمان سفير بروناى بالقاهرة صباح السبت الموافق ٢٥ جمادى الأخرة ١٤١٦ هـ ١٨ نوفمبر ١٩٩٥ م

تم خلال اللقاء بحث سبل دعم التعاون المشترك بين الأزهر الشريف ودولة بروناى وقد قدم الضيف شكر بلاده حكومة وشعبا لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ما يقدمه الأزهر من دعم لدولة بروناى فى مجال الخدمات العلمية والتعليمية ، كذلك امتدح الضيف دور بعثة الأزهر الشريف فى دولة بروناى وما تقوم به من دور فعال لأبناء المسلمين هناك وقد أعرب السيد السفير عن سعادته للصورة المشرفة التى يحظى بها أبناء بروناى من خريجى الأزهر الشريف مشيرا فى هذا الصدد إلى أنهم يشغلون فى بلادهم المناصب الهامة والقيادية بمختلف قطاعات الدولة .

مصر تتبرع للاجئى البوسنة

تقدمت مصر للاجئين من مسلمى البوسنة والهرسك المقيمين فى معسكرات المجر بما تراه واجباً عليها من حق نحو اللاجئين ، فقد وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق والدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف على تقديم مساعدات مالية لضحايا العدوان الصربى .

قام سفير مصر فى بودابست مختار الحمزاوى بتسليم شيكات التبرع إلى لجنة مسلمى البوسنة فى حضور إمام الجامع الإسلامى بالمعسكر .

هذا وقد تلقى مكتب فضيلة الإمام الأكبر

شيخ الأزهر الشريف رسالته من السيد السفير مدير شئون البلقان وجنوب أوروبا بوزارة الخارجية يفيد بأن السيد سفير جمهورية مصر العربية فى بودابست قام بتسليم (شيك) المساعدة يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٩٥ م إلى اللجنة الثلاثية الممثلة للاجئى البوسنة بالمجر .

برقيـــــات

بعث فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف ببرقيات عدة ، منها برقية إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية إثر حادث التفجير الذى وقع بمدينة الرياض ، وأودى بحياة الأبرياء عبر فيها فضيلته الإمام الأكبر عن استنكاره لهذا العمل الإجرامى الذى لا يصدر إلا عن نفوس شريرة خبيثة . داعيا الله ـ عز وجل ـ أن يحفظ المسلمين من كل مكروه وسوء .

كذلك بعث فضيلته ببرقية مماثلة للأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء السعودى .

وقد تلقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف برقيتى شكر من خادم الحرمين الشريفين وصاحب السمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز ، عبرا فيهما عن خالص شكرهما للمشاعر الطيبة الصادقة التى حملتها برقيات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لكل منهما .

كذلك بعث فضيلته ببرقية عزاء إلى خادم الحرمين الشريفين فى وفاة سمو الأمير محمد هذا نصها :

خادم الحرمين الشريفين/ الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلقيت ببالغ الأسى والحزن نبأ وفاة صاحب السمو الأمير محمد بن سعود بعد حياة حافلة بالخير والعطاء فى سبيل الإسلام والمنسلمين . وإذ نعزيكم فى مصابكم ..

ندعو الله سبحانه وتعالى أن يسكنه فسيح جناته .

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝٢٩ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠ ﴾

سورة الفجر

وقد تلقى فضيلته برقية شكر من خادم الحرمين الشريفين على برقية العزاء التى بعث بها فضيلته .

وتلقى فضيلة الإمام الأكبر برقية من السيد الرئيس سوهارتو ، شكر فيها فضيلته مواساته فى الزلزال الذى ضرب سومطرة هذا نصها :

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فأود أن أعرب عن تقديرى لمشاعركم

الكريمة وتعزيتكم فى المأساة المدمرة التى ضربت جزيرة سومطرة وتسببت فى فقد عدد هائل من الأرواح والممتلكات .

إن تعبيركم بالتعزية الخالصة لها تقديرها التام وخاصة من الضحايا والأسر المنكوبة .

وتقبلوا فضيلتكم خالص اعتبارى

وبالله التوفيق والهداية

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سوهارتو

رئيس جمهورية اندونيسيا

مؤتمـــــــرات

بعث فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق نائب رئيس جامعة الأزهر الشريف ، والأستاذ الدكتور على على أحمد شعبان الأستاذ المساعد بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر الشريف ؛ لحضور المؤتمر المنعقد فى مدينة نابولى بإيطاليا وينظمه معهد سورارسولا نبينكازا .

يناقش المؤتمر أوجه الخلاف فى الأديان السماوية الثلاثة فى المدة من ١٣ : ١٥ ديسمبر ١٩٩٥ .

كذلك أناب فضيلته الأستاذ الدكتور مصطفى محمد على الشكعة عضو مجمع البحوث الإسلامية ، وفضيلة الشيخ عبدالحكيم عبداللطيف عبدالله ، الموجه الأول لشئون القرآن الكريم بقطاع المعاهد الأزهرية لحضور الاحتفال الذى يقام بمدينة كيب تاون ـ بجنوب إفريقيا بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس مسجد الحبيبة الصدفية ، والذى يشرف عليه فضيلة رئيس مسجد الحبيبة لكيب تاون .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

دمشـــق

أكد الرئيس السورى أن سوريا جادة فى عملية السلام وملتزمة بها وبأسسها وعازمة على بذل الجهد للوصول للهدف الموضوع لها . جاء ذلك خلال اتصال هاتفى تم مساء الأثنين ١٨ من رجب ١٤١٦ هـ بينه وبين الرئيس الأمريكى حيث دار الحديث حول عملية السلام .

وأكد الرئيس كلينتون التزام الولايات المتحدة بعملية السلام وأعلن أنه سيرسل وزير خارجيته إلى العاصمة السورية لإطلاع المسئولين السوريين على جهود أمريكية تبذل لدفع عجلة السلام إلى الأمام .

الريـــاض

نفت المملكة العربية السعودية الأنباء المغرضة التى زعمت أن القوات السعودية ـ حاولت التوغل داخل الأراضى اليمنية أو تحركت قرب الحدود .

وأكد مصدر سعودى مطلع فى وزارة الدفاع والطيران : أن النبأ الذى بثته وكالة «أسوشيتد برس» حول التوغل المزعوم فى أراضى اليمن الشقيق نبأ عارٍ من الصحة تماماً ويفتقر إلى الدقة والموضوعية .

واختتم المصدر تصريحه قائلا .. إن السعودية حريصة على التعاون مع الأشقاء فى اليمن انطلاقاً من مذكرة التفاهم المشترك التى وقعها البلدان.

هذا .. وتفيد آخر الأنباء المتعلقة بصحة الملك فهد أن العاهل السعودى مصاب بشلل نصفى وهو فى طريقه إلى الشفاء إن شاء الله .

المنامـــة

استقبل أمير البحرين وزير الدولة الكويتى لشئون مجلس الوزراء والتخطيط أثناء زيارته للمنامة الشهر الماضى حيث تم تبادل الآراء ووجهات النظر خلال اللقاء حول آخر المستجدات على الساحة الخليجية والعربية

والقضايا ذات الاهتمام المشترك وقد تمت موافقة مجلس العموم البريذانى على مشروع القرار الخاص بالحد من طلبات اللجوء السياسى بغير وجه حق إلى انجلترا ، حيث كانت الحركات المناوئة لأنظمة الحكم فى تلك البلدان تجد هناك المأوى والتأييد الذى يقوى بذور الشقاق .

باريس

قام وزير الخارجية المصرى بزيارة لفرنسا دامت ثلاثة أيام شارك خلالها فى اجتماعات مجموعة الاتصال الإسلامية الخاصة بالبوسنة ، والاجتماع المشترك للجنتى الاتصال الإسلامية والدولية .

كما شارك سيادته فى الاحتفال الرسمى الذى استضافته العاصمة الفرنسية يوم الخميس ٢١ من رجب الماضى للتوقيع النهائى على الاتفاق الخاص بتحقيق السلام فى البوسنة والذى وقعه بالأحرف الأولى كل من : رؤرساء البوسنة والكروات والصرب ، وذلك فى مدينة دايتون بولاية أوهايو بأمريكا .

هذا .. وأكد السيد عمرو موسى استعداد مصر للمشاركة فى القوة متعددة الجنسيات لحفظ السلام فى البوسنة وتأتى هذه المهام الدبلوماسية المصرية امتدادا لمواقف سابقة إزاء البوسنة . فقد شاركت مصر بمئات الجنود فى قوة الأمم المتحدة لحفظ السلام فى البوسنة ورحبت بتشكيل قوة انتشار عربية لمساعدة قوات المنظمة الدولية .

كما اتجهت مصر لتشكيل مجموعة اتصال إسلامية وذلك أثر تخاذل حلف الاطلنطى فى مواجهة التغطرس الصربى .

الصين

أكد سفير الصين فى القاهرة أن العلاقات المصرية الصينية تشهد حاليا نمواً مطرداً بفضل جهود الرئيس حسنى مبارك والزيارات المتبادلة بين كبار المسئولين فى البلدين . وأعرب عن أمله فى أن تشهد هذه العلاقات تقدما كبيرا فى المستقبل خصوصا فى المجال الاقتصادى والتجارى .

وجدد سيادته تأييد بلاده لمسيرة السلام فى الشرق الأوسط وقال : إن بلاده كانت أول من أيد اتفاق «أوسلو» للسلام بين الفلسطينين والإسرائيليين وقررت فتح مكتب تمثيل صينى فى غزة ، وتمنى المسئول الصينى تحقيق تقدم مماثل فى عملية السلام على المسارين: السورى واللبنانى .

والجدير بالذكر أن أعداد المسلمين فى الصين فى ازدياد مطرد .

الشيشان

نظم أنصار الرئيس الشيشانى جوهر داود صباح الاثنين ١١ ديسمبر ١٩٩٥ مظاهرة حاشدة وسط العاصمة جروزنى وذلك فى ذكرى مرور عام على الحملة العسكرية الروسية الغاشمة لاجتياح الجمهورية المسلمة التى أعلنت استقلالها عن روسيا الاتحادية .

وطالب المتظاهرون بخروج القوات الروسية المعتدية وإلغاء الانتخابات المزمع إجراؤها هناك يوم الأحد ٢٤ من رجب .

هذا .. وأكد الرئيس الشيشانى أن المقاتلين

الشيشان سيواصلون قتالهم ضد القوات الروسية الغازية مالم تتحقق مطالبهم .

والمعروف أن السيـــد رسلان حزب الله طوف ـ وهو شخصية هامة فى البرلمان الروسى ـ قد أعلن انسحابه من تلك الانتخابات .

فلســـــطين

أوضح السيد رئيس بلدية قلقيليا أن القوات الإسرائيلية ستقوم بإخلاء مواقعها فى المدينة يوم الأحد ٢٤ من رجب ١٤١٦هـ .

وأشار سيادته فى حديث خاص لإذاعة صوت العرب إلى أن أجراء الفرحة والبهجة تعم الشارع الفلسطينى الذى يستعد لاستقبال قوات الشرطة الفلسطينية العائدة إلى مدن الضفة مؤكدا أن قلقيليا ستشهد يوما تاريخيا مع انسحاب القوات الإسرائيلية .

وقال المسئولون هناك : إن الجيش الاسرائيلى انسحب قبل الموعد المحدد تحاشيا للاحتجاجات التى يمكن ان يقوم بها المناوئون لعملية السلام .

والجدير بالذكر أن نابلس ـ أكبر مدن الضفة الغربية ـ هى ثالث مدينة تُسَلَّمْ مقاليد الحكم فيها للسلطة الفلسطينية .

ومن المقرر أن تنسحب إسرائيل من ثلاث مدن أخرى بنهاية هذا العام .

إلى حضرات الكتـّـــاب

عادت شيكات عدة ـ فى الأشهر الأخيرة ـ للسادة الكتـاب أرسلتها إليهم مراقبة الحسابات بمجمع البحوث الإسلامية المختصة ـ وحدها ـ بصرف المكافآت ، حيث لا علاقة لإدارة مجلة الأزهر بالصرف ، ولوحظ أن الشيكات عادت دون صرفها ، لذا نوضح للسادة الكتاب :

أن مراقبة حسابات المجمع تتعامل مباشرة مع بنك مصر فرع الأزهر بشارع الأزهر ، ولا مشكلة فى إعداد الشيك على هذا البنك اطلاقاً .

ويمكن إعداد شيك المكافأة للسيد الكاتب على أى بنك شريطة أن يكون له به رقم حساب يَمُدُّ به مجلة الأزهر التى سترفعه بدورها إلى إدارة الشئون المالية والإدارية لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ـ مدينة نصر ـ موضحاً فيه أنه كتب مقالاً بالمجلة شهر كذا .

فيما عدا هاتين الحالتين ؛ فإن الصرف يتم عن طريق خزانة مجمع البحوث الإسلامية بمدينة نصر ، وقد أوضحت إدارة مجلة الأزهر للسادة الكتاب عدم مسئوليتها عن صرف المكافآت ، إذ هى جهة تقدير المكافأة لا صرفها .

وأيضا نلفت كريم نظر الكاتب إلى ضرورة بيان الأمور الثلاثة التالية :

الاسم الثلاثى ـ العنوان ـ جهة العمل . وذلك تسهيلاً لصرف المكافأة التى يتم صرفها فى حدود عشرين يوما من تاريخ النشر .

إدارة مجلة الأزهر

le coup qui fut si fort qu'elle saigna. Elle lui dit en pleurant: "Nous nous sommes soumis à Allah! Fais ce que tu veux". La vue du sang sur le visage de sa soeur attendrit le coeur de 'Omar qui essaya de consoler sa soeur en lui disant: "Faites-moi entendre ce que vous lisiez". Khabab sortit de sa cachette en espérant un augure favorable et il lut: [Ta - Ha (1)

— Nous n'avons pas fait descendre sur toi le Coran pour que tu sois malheureux (2).

— Mais comme Rappel pour quiconque craint Allah (3).

— Comme une Révélation de Celui qui a créé la terre et les cieux sublimes (4).

— Le Tout Miséricordieux s'est établi sur le Trône (5).

— A lui appartient ce qui est dans les cieux, sur la terre, ce qui est entre eux et ce qui est sous le sol humide (6).

— Et si tu élèves la voix, Il connaît certes les secrets; même les plus cachés (7).

— Allah! Point de divinité que Lui, Il possède les noms les plus beaux (8).] Sourate Taha.

Les larmes coulèrent des yeux de 'Omar et dit: "Rensignez-moi sur le lieu où se trouve Mohammed". Rapporté par Anas et Ibn Ishak.

Voilà comment Saïd a été la cause de la conversion de 'Omar qui sera plus tard le prince des croyants et un modèle de justice pour ceux qui veulent suivre le chemin des hommes pieux.

les enterrer vivantes. Il pourvoyait à leur subsistance et, lorsqu'elles grandissaient, il les rendait à leurs parents si ces derniers le désiraient.

C'est dans la lumière de la foi qui éclairait cette maison que Saïd Ibn Zaïd vit le jour. Il grandit en adorant un seul Dieu, ne se prosterna devant aucune des statues et ne mangea que de ce qui est licite; c'est pour cela qu'il fut appelé "le monothéiste le fils du monothéiste". Ceci nous explique pourquoi il se dépêcha d'embrasser l'Islam lorsqu'il apprit que Mohammed (b.s.) était chargé du Message. Zaïd, son père mourut avant la mission du Prophète (b.s.).

Saïd Ibn Zaïd était réputé durant toute sa vie pour la noblesse de son caractère, son dévouement et sa loyauté.

La communauté islamique toute entière lui doit l'honneur de la conversion de 'Omar Ibn Al-Khattab. Mais comment cela arriva-t-il ? Saïd était parmi les premiers convertis à l'Islam et il se référait pour l'étude du Coran à l'un des premiers convertis nommé: Khabab Ibn Al-Arat. Saïd était marié à Fatima bent Al-Khattab. la soeur de 'Omar Ibn Al-Khattab. Fatima était le meilleur appui pour son mari, elle étudiait le Coran avec lui, préparait les repas pour son mari et ses invités.

Au début, l'Islam se répandit secrètement parmi les jeunes: les affranchis, les esclaves et les personnes libres. Les chefs du Koraïch voulurent éliminer ce danger qui les menaçait et risquait de détruire leur pouvoir. Omar était parmi ceux qui s'acharnèrent contre le Prophète (b.s.). Un jour, il sortit de sa maison, l'épée à la main avec l'intention de tuer le Prophète (b.s.). Un homme alla à sa rencontre et lui demanda: "Où vas-tu?". "Je vois, répondis Omar, tuer celui qui a méprisé nos rêves, a maudit nos idôles et à éloigné le fils de son père". L'homme lui dit: "Commence par ta famille, Omar: ta soeur s'est convertie ainsi que son mari". Plein de colère, il se rendit chez sa soeur; là, il entendit une certaine récitation, ce qui le poussa à frapper la porte violemment. Khabab se réfugia dans un des coins de la maison, Fatima ouvrit la porte et Saïd s'interposa entre sa femme et son beau-frère. Omar demanda l'explication de ce qu'il avait entendu; comme ils refusèrent de répondre, Omar leva la main pour gifler son gendre; celui-ci recula et Fatima reçut

Saïd Ibn Zaïd Ibn Nofaïl

Le monothéiste, fils du monothéiste

par Hoda Hussein Chaâraoui

Nous sommes à la Mecque durant l'époque pré-islamique. Le paganisme règne partout: les arabes se prosterment devant les statues déposées autour de la Ka'aba, immolent leurs offrandes en invoquant les noms de leurs idôles, consultent leur sort au moyen des flèches, pratiquent l'usure et enterrent leurs filles vivantes.

Mais où est donc la religion transmise par le Prophète Ibrahim ? N'y a-t-il pas de vrais croyants qui suivent les traces de cette religion ? Non: en effet, il n'y a pas de vrais croyants qui adorent exclusivement le Seigneur et respectent ses prescriptions à l'exception de Zaïd Ibn Amr Ibn Nofaïl. Asma' fille d'Abou Bakr a dit: "J'ai vu Zaïd le dos appuyé contre la Ka'aba dire: Ô peuple de Koraïch! Je suis le seul parmi vous qui professe la religion d'Ibrahim". Rapporté par Al-Bokhary. Zaïd ne se prosterna jamais devant une statue, refuta les actes de son peuple et immola au nom de Son Seigneur. On raconte que, du vivant du Prophète (b.s.) avant sa mission, des gens présentèrent au Prophète (b.s.) et à Zaïd de la nourriture contenant de la viande. Le Prophète (b.s.) s'abstint d'en manger, Zaïd fit de même et leur dit: "Je ne mange pas ce qui a été immolé au nom de vos idôles, je ne mange que ce qui a été immolé en invoquant le nom de mon Seigneur". Rapporté par Al-Bokhary.

Zaïd reprochait à Koraïch leurs offrandes aux idôles et leur disait: "La chèvre est une créature d'Allah, il a fait descendre de l'eau du ciel pour l'en abreuver, il a fait pousser des plantes pour la nourrir et vous l'immoler pour un autre que Lui négligeant Sa majesté et reniant Son pouvoir?". Rapporté par Al-Bokhary. On raconte aussi que sa maison était pleine de filles qu'il sauvait des mains de leurs pères qui voulaient

santé de l'individu et de la société: par une propreté corporelle — qui est l'un des fondements du culte — grâce aux ablutions et à la lotion (bain entier pour la purification), à l'usage de la tige sèche (Siwak) pour brosser les dents, ainsi que les gargarismes (durant les ablutions).

De plus, le Prophète — à lui bénédiction et salut — a recommandé la modération dans la consommation des aliments, ainsi que la nécessité de mastiquer lentement, de se lever les mains avant et après les repas et de se rincer la bouche.

L'Islam a également insisté sur la propreté des vêtements et du lieu où l'on se trouve: le principe de quarantaine médicale en période d'épidémie pour éviter la contagion, le fait d'éviter les lieux infectés, la préservation de l'environnement des excréments humains pour éviter la propagation des bactéries.

Toutes ces pratiques de l'Islam ont précédé de loin tout ce que les civilisations humaines ont fini par découvrir et qui sont les raisons de toutes ces législations contenues dans le Coran et la Sunna du Prophète — à lui bénédiction et salut — et que tout musulman doit observer.

période d'allaitement jusqu'à deux ans, ce qui concorde avec le verset suivant :

[Les mères allaiteront leurs enfants deux années entières pour celles qui veulent leur donner un allaitement complet]

Sour. "Al Baqara" (La Vache) v.233.

17- Les aliments et l'hygiène :

Le Coran insiste sur l'importance du miel en tant que remède

[Il sort de leurs entrailles une boisson aux couleurs diverses et où se trouve un remède pour les humains]

Sour. "Al Nahl" (Les Abeilles) v.69.

Or, la médecine moderne a découvert les multiples usages et la valeur incomparable du miel en tant que remède, mais aussi pour la prévention contre certaines maladies et même comme antiseptique pour les plaies.

D'un autre côté, on est en train de découvrir, jour après jour, les raisons médicales qui justifient la prohibition de certains aliments et des boissons alcooliques par la jurisprudence islamique. Ces prohibitions s'appliquent aux animaux morts, au sang liquide et à la viande de porc. De plus, l'Islam insiste sur la nécessité d'égorger l'animal de manière à laisser le sang s'écouler.

Le Coran a également prohibé l'adultère ainsi que l'homosexualité qui représentent un grand danger tant social et psychologique que médical (Comme étant l'un des facteurs de propagation du SIDA et d'autres maladies vénériennes).

Il interdit également les rapports sexuels entre époux durant la période des menstrues.

D'autre part, le Prophète -b.s.- a signalé plusieurs règles d'hygiène jugées essentielles par la médecine moderne pour la protection de la

[Nous vous avons créés de poussière, puis d'une goutte liquide, puis d'une adhérence, puis d'une masse charnue, ayant pris ou non une forme]

Sour. "Al Hadj" (Le Pèlerinage) v.5.

[Puis Nous en avons fait une goutte de sperme solidement implantée; puis, de cette goutte, Nous avons fait une sorte de sangsue, puis, de cette sangsue, Nous avons fait une masse de chair et, de cette masse, des os; ensuite Nous avons revêtu les os de chair; alors Nous en fîmes une autre créature].

Sour. "Al Mu'minûm" (Les Croyants) v.13-14.

Tout au long de la grossesse, l'embryon flotte dans un liquide qui lui assure toute la nourriture dont il a besoin. Ce liquide est retenu dans une membrane solide (amnios) qui puise la nourriture au moyen d'une seconde membrane (le placenta) qui assure l'approvisionnement de l'embryon en matières nutritives utiles tout en le débarrassant des déchets qui sont rejetés sur la paroi de la matrice. Cette dernière est tapissée d'une troisième membrane spongieuse et hypertrophiée (La membrane allantoïde) Ces trois membranes sont décrites par le verset suivant :

[Il vous créé dans les ventres de vos mères, création après création, à l'intérieur de trois ténèbres]

Sour. "Al Zumar" (Les groupes) v.6.

16- L'Allaitement :

Les versets coraniques recommandent d'allaiter le nouveau-né durant deux années entières. Or, ceci concorde exactement avec les principes de la médecine moderne qui insiste sur l'importance primordiale de l'allaitement au sein. Ce dernier contient une valeur nutritive à laquelle aucune autre lait n'est comparable; de plus il convient parfaitement à la croissance du nourrisson, tout en fournissant au bébé les antidotes nécessaires pour son immunité contre les maladies et les allergies. Ajoutons que la science moderne a confirmé la nécessité de prolonger la

[Nous avons créé l'homme à partir d'une goutte de sperme hétérogène]

Sour. "Al Insân" (L'Homme) v.2.

Un seul spermatozoïde parmi des milliers d'autres réussit à féconder l'ovule. Les versets font allusion à cette quantité minime :

[N'était-il pas une goutte de sperme éjaculé?]

Sour. "Al Qiyama" (La Résurrection) v.37.

Dans la langue, le terme "Nutfa" signifie" trace" ou infime quantité d'un liquide. C'est pour cette raison également qu'il est scientifiquement impossible — sauf pour Allah — de déterminer à l'avance le sexe de l'embryon, avant que son corps n'ait atteint un certain degré de développement. Par là, nous pouvons nous rendre compte de la véracité du Coran dans ce verset — et dans plusieurs autres qui développent la même idée :

[Allah sait ce que porte chaque femelle].

Sour. "Al Ra'd" (Le Tonnerre) v.8.

Aussitôt que l'ovule est fécondé, il revient à l'utérus où il s'implante dans sa paroi et s'y "suspend" au moyen de cellules qui y adhèrent. Or, ceci confirme la véracité du discours coranique qui mentionne la création de l'homme à partir d'une "adhérence" :

[Lis au nom de ton Seigneur qui a créé!
Il a créé l'homme à partir d'une adhérence]

Sour. "Al'Alaq" (L'Adhérence) v.1-2.

Ensuite ou trouve les versets suivants qui exposent le développement du foetus qui devient un morceau de chair "Mudgha", chose mâchée sans forme définie où commencent à apparaître graduellement les différents organes: on a ainsi un mélange de parties non formées et d'autres encore formées. Puis les cellules cartilagineuses commencent à apparaître pour évoluer plus tard et former la structure osseuse. Ensuite ces os se couvrent graduellement de muscles. Comparons cela à ce qui est dit dans les versets suivants :

[Etablissez vos demeures dans les montagnes, dans les arbres et les ruches]

[Puis mangez de tous les fruits et suivez ainsi docilement les voies de votre Seigneur]

Sour. "Al Nahl" (Les Abeilles) v.68-69.

L'eau est à l'origine de la vie de tout ce qui existe: les humaines les animaux et les végétaux et même les créatures microscopiques.

Or, ceci a été affirmé il y a plusieurs siècles dans le Coran :

[Allah a créé tous les êtres vivants à partir de l'eau]

Sour. "Al Nûr" (La Lumière), v.45.

[Nous avons créé, à partir de l'eau, toute chose vivante]

Sour. "Al Anbiya" (Les Prophètes) v.30.

Le Coran a également décrit minutieusement la mécanique de la formation du lait chez les animaux, tels les vaches et les chèvres: les aliments digérés se transforment en sang, en lait et en excréments. On peut voir cela dans le verset suivant :

[Nous vous abreuvons de ce qui est dans leur ventre, entre les excréments(1) intestinaux et le sang: un lait pur et délicieux à boire]

Sour. "Al Nahl" (Les Abeilles) v.66.

15- L'Embryologie :

Les versets coraniques parlent de la formation et des phases du développement de l'embryon. On y trouve une description minutieusement conforme à la science moderne de l'embryologie. La conception a lieu à partir de la rencontre d'une cellule du sperme mâle avec un ovule femelle qui se combinent tous deux pour former une cellule fécondée. Les caractéristiques génétiques sont déterminées en fonction des chromosomes respectifs combinés ensemble.

Le Coran nous apprend à ce sujet :

(1) Le mot arabe "Farth" désigne le "chyme" qui désigne les excréments de l'appareil digestif.

Les Preuves Scientifiques de l'Islam.

Extrait de l'ouvrage

Traduit par Dr. Rokeya Gabr

(Suite)

14- Le monde animal: la Zoologie :

Les récentes études portant sur la vie des animaux a confirmé qu'ils existent en très grande diversité et que les savants ont divisés en espèces, en classes, en catégories, en familles etc. Chacune de ces variétés forme une communauté indépendante où règnent des relations, des coutumes et un langage, exactement comme dans les communautés humaines, ce qui confirme ce verset :

[Il n'y a pas de bête sur la terre, ni d'oiseau volant de ses ailes qui ne vive, comme vous, en communauté]

Sour. "Al An'am" (Le Bétail) v.38.

Celui qui observe le comportement des animaux, des oiseaux, des poissons et des insectes, et la réaction de chacun en fonction de son environnement, leur coopération et leurs conflits, peut s'assurer des vérités établies par ces versets :

[Celui qui a créé et formé harmonieusement, puis qui a fixé les destins et les a dirigés]

Sour. "Al A'la" (Le Très-Haut) v.2-3.

[Notre seigneur est celui qui a doté chaque créature de sa forme, puis qui l'a guidée]

Sour. "Ta-Ha" v.50.

Voici également ce qui a été dit dans le Coran au sujet des abeilles :

REVUE AL-AZHAR

Vol. 68 part VIII

Shaaban 1416 Hijrah January 1996.

Section Française

Comité de Rédaction :

**Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques**

Allah, The Almighty also said :

وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

"When in effect it — The Qur'an — is but a universal message which people have yet to learn, and an admonition and a counsel of the greatest concern".(11)

And it is mentioned in the *Al-Hadith Asahih* (the authentic sayings of the Prophet) (PBUH); "In the past, Prophets had been sent to their own particular people; but I have been sent to all mankind". It is also mentioned: "And after me there shall be no more Prophets".

The universality and eternity of Islam is one of its own characteristics, because it consists of all the elements of maturity and comprehensiveness which can meet the needs of mankind, Allah, The Almighty said :

ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا

"Today I have completed your religion for you, and graded you with the divine influence which operates in men to regenerate and sanctify and to impart strength to endure trial and result temptation, and made all grace abound in you. And I have chosen for you Islam, as the acceptable system of faith the worship, not only to guide you into all truth, but also to make you better men".(12)

11 — (Sura 68 : 52) 12 — (Sura 5 : 37)

"And say to the people of the Book (Torah'and Gospel) and to the illiterates (Are you now satisfied with what you heard and have your doubts been satisfied?) (If you are, then conform to Islam). If they do, then they are on the path of rectitude, but should they turn a deaf ear and their hearts have no ears for the truth nonetheless, you are only responsible for relating the message, and Allah keeps a watchful eye upon His creation and the way they conduct themselves in life and He knows the attributes Inherent in each and all".[8]

As for previous religions, they were all of them restricted. They were sent to particular people and limited to particular times. Islam alone, is the one religion which bears the seal of universality and eternity. This mark has adhered to it eversince the beginning of its call. It is not therefore the idea of a moment afterwards cast upon it. Allah Most High said in the Meccan's Surates :

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا

"Praise be to Allah and blessed is He Who has revealed to, His servant (The Apostle Muhammad), The Qur'an, which He sent down to serve as the canon which illuminates the intellect and imparts the soundness of judgement in the choice of means and ends, in the choice of what is normally good, honest and straight forward, the canon which conduces him — The Apostle — to act as a spectacle and warning to all (intellectual) created beings",[9]

Allah Almighty also said :

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا

"Say to them (O Muhammad): O you people: you had better believe that I have been sent to you all with a divine message from Allah".[10]

---

8 — (Sura 3 : 20)

9 — (Sura 25 : 1)

10 — (Sura 7 : 158)

"My people; if you have really accepted Allah and conformed to His Will, then in Him you must trust, if indeed you have conformed to Islam",[4]

IN SHAREEAH, (LAWFULLY) ("ISLAM") is conferred upon the religion which Allah revealed to Prophet Muhammad, (PBUH), to preach to all mankind. He has made it the last of religions; and after it, there shall be no other religion. Nor shall any other religion be acceptable, As stated in the Holy Quran. Allah Most High said :

إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ

"Religion, as a system of faith and legislation, commanded by Allah is Islam",[5]

Allah the Almighty also said :

مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ

"Muhammad is not the Father of anyone of your men (so that he be prohibited to carry into effect the edict of Allah), but he is the Apostle of Allah and he is the ultimate of the Prophets, the last of the long line of Apostles and the seal of Apostleship and of Prophethood.[6]

He also said :

وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥

"And he who adopts a system of faith and worship other than Islam, or submission to Allah's blessed will and His will alone — simply bends on a system of faith and worship which does not have the standing upon the vantage ground of rtuth; such system of faith shall not be accepted from him and he shall be a great loser Hereafter".[7]

The call of Islam is directed to all mankind; the same to those who believe in a religion as to those who do not believe in a religion. Allah Most High said :

وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا
عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠

4 — (Sura 10 : 84) 5 — (Sura 3 : 19) 6 — (Sura 33 : 40) 7 — (Sura 3 : 85)

THE RELIGION OF ISLAM

By : Sheikh Muhammad M. Gemea

Religion has been ordained for the happiness of mankind in this world, and in the hereafter. The word, "Islam", carries the meaning of submission and surrender to the Will of Allah. This means that, Islam is the religion of all the Prophets. Allah, Most High said, by the tongue of Noah: as stated in the Holy Quran

وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾

"And I have been commanded to be among those who conform to Islam",(1)

By the tongue of Ibrahim :

رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ

"(And make of us both) O Allah, our creator, two Muslims who conform their will to your will and of our progeny a Muslim nation who conform their will to your will",(2)

By the tongue of Joseph :

تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾

"(Disembody my soul, O Allah, impressed with the image of religious and spiritual virtues, and join me to those whose deeds had been imprinted with wisdom and piety)",(3)

By the tongue of Moses :

وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾

Note : The translations of the Quaranic verses is a mere interpretation of the meaning as mentioned at Al-Montakhab [The Select] in the interpretation of the Holy Qur'an Arabic-English translated by Dr. Abdel Khaleq Himat Abu-Shabanah.

1 — (Sura 10 : 72) 2 — (Sura 2 : 128) 3 — (Sura 12 : 101)

Pickthall (802) :

2. who createth then disposeth;
3. Who measureth, then guideth;
4. Who bringeth forth the pasturage,
5. Then turneth it to russet stubble.

In this way, Pickthall's interpretation of these verses derives its excellence not only from his success on the lexical and semantic levels, but on the functional and communicative levels as well.

Another occurrence of misinterpretation of the /fä?/ of succession lies in the same Sura;

Sura 87, Verse 15 :

وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾

Y. Ali (1993), the same as Khatib has made the same error by rendering the /fä?/ as 'and' except for verse 5 where the 'and' is followed by 'then';

Y. Ali (1636) :

2. Who hath created,
   And further, given
   Order and proportion;

3. Who hath ordained laws.
   And granted guidance;

4. And who bringth out
   The (green and luscious) pasture,

5. And then doth make it
   (But) swarthy stubble.

Perhaps Y. Ali in his use of the word 'further', following 'and' in verse 2, is meant to make clear that the act of fashioning (giving order and proportion) comes after the act of creation. But due to the interval of time between both actions, whether long or short, it would have been better to use the coordinator 'then' instead of 'and', followed by the word 'further'.

Arberry, on the other hand, is somewhat successful when he mentions 'then' only once in verse 6. whereas the other VPs, in the two preceding verses, are conjoined by means of 'and' as equivalent to the /fä?/;

Arberry (641) :

who created and shaped,
who determined and guided,
who brought forth the pasturage
then made it a blackening wrack.

Finally, Pickthall is the only one who succeeds in conveying the lexical and semantic meaning of the coordinator /fä?/ in verses 2—5 in the SL text by rendering it as 'then';

Perhaps another instance of misinterpreting the causal /fä?/ can be illustrated in the following Suras :

Sura 93 Verses 6-8 :

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾

Sura 91, Verses 7-8 :

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾

C- The /fä?/ used for succession :

Consider the following examples :

Sura 87, Verses 2-5 :

الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾

Exegetes such as Al-Zamakhshari (1987), among others, explain that the /fä?/ used in these verses implies that Allah has made Man capable of progress through ordered, wonderful and continuous processes which make us contemplate in gloriying Allah's name. Y. Ali (1993:1636), in his footnote explains these steps as follows :

> First, He brings us into being. Secondly, He endows us with forms and faculties exactly suited to what is expected of us, and to the environments in which our life will be cast, giving to everything due order and proportion.

However, Khatib, in his rendering of these verses, has disregarded the (fä?/ completely except before the last conjoined element; Khatib (803) :

"who created and fashioned, and who decreed, and guided, and who brought forth the pasturage, then made it dingy chaff."

Instead of interpreting the /fä?/ as 'then' to imply sequence in the process of creation, Khatib has only used 'and'. He, thus, fails to convey the same lexical and functional effect, as well as the semantic value of the originally conjoined VPs by means of the /fä?/.

In translating verse 9. Arberry is thus realized to be, somewhat, not keen in preserving the functional as well as the semantic effect of the coordinator /fä?/, implying causation.

On the contrary, Khatib, has succeeded in conveying the functional and semantic implication of the causal /fä?/ in /fa ?amm ä/. He translates it quite appropriately as 'hence', as in the following version;

Khatib (812) :

> "Hence, oppress not the orphan, and rebuke not the beggar, and your Lord's favour proclaim."

Y. Ali's and Pickthall's attitudes are somewhat similar to Khatib. They succeed in conveying the causal relationship of verse 9-11 with their preceding verses 6-8.

Y. Ali (16647 :

9. Therefore treat not
The orphan with harshness
10. Nor repulse the petitioner
(Unheard);
11. But the Bounty
Of thy Lord -
Rehearse and proclaim!

Pickthall (811) :

9. Therefor [sic], the orphan oppress not,
10. Therefor [sic] the beggar drive not away,
11. Therefor [sic] of the bounty of the Lord be thy discourse.

However, Pickthall's repetition of the sentence connector 'therefore', even though it has no existence in the SL text, has a bad effect on his version.

However, notice that the four translators in question have succeeded in not rendering the second /fä?/ in /fa lä taqhar/, /fa lä tanhar/ and /fa haddiθ/ This is because such /fä?/ which is used for reward or sanction and is called /fä?/-u-l-jazä?/, has no equivalent in the English language.

Y. Ali (1670) :

6. Except such as believe
and do righteous deeds :
For they shall have
A reward unfailing.

Khatib (813) :

"save those who believe and do righteous deeds, theirs will then be an uninterrupted wage."

Pickthall (812) :

6. Save those who believe and do good works, and theirs is a reward unfailing."

Notice that the /fä?/, mentioned in the above example, has different implications apart from being inceptive. In Y. Ali's version it implies causation; in Khatib's version, succession; whereas in Pickthall's version it implies addition and participation in meaning. However, it is believed that these implications are not possible in this verse, and that inception is the only possible implication.

B- The /fä?/ used for causation :

In the Qur'anic example given before :
Sura 94, Verses 9-11 :

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

Arberry seems to be the only translator who does not actually comprehend the causal relationship between constituents by means of the /fä?/. His version is rendered as follows :

Arberry (648) :

As for the orphan, do not oppress him.
and as for the beggar, scold him not;
and as for the Lord's blessing, declare it.

Difficulties in Translating coordination in Qur'anic verses

Part VIII

By Dr. Maha Y. El Tagouri

Wrong Selection of coordinators with the /fä?/ :

A) The /fä?/ used for inception :

One semantic implication of the /fä?/, when used as a non-coordinator is the inceptive /fä?/. However, this type of /fä?/, the same as the /wäw/, is sometimes overlooked in the translation process. To illustrate such point, let's consider the following example from the Qur'an :

Sura 95, Verse 6 :

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾

The /fä?/ in this verse, according to Al-Alusi (1270) and Ibn Khalaweih (1989:147), is used for inception for it starts a new sentence. That is why it should not be translated into English. Arberry is the only translator who is successful in his attitude when he replaces the /fä?/ by just a semi-colon;

Arberry (650) :

"save those who believe, and do righteous deeds;
they shall have a wage unfailing."

Arberry's attitude differs from that of the other translators in rendering the /fä?/ in the above verse. Y. Ali, for instance, uses the conjunction 'for'; Khatib uses 'then' and Pickthall uses 'and'. Their versions are represented as follows :

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Shaaban 1416 Hijrah

Vol. 68 part VIII

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah: .
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهـــرس

● الافتتاحية «هل من حلقة أخيرة بشأن القدس»
فضيلة الدكتور على أحمد الخطيب ١٠٨٣
● مع الإمام الأكبر ●
ـ بيان الإمام الأكبر
في ذكرى الإسراء والمعراج ١٠٨٦
ـ شهر شعبان وليلة النصف منه ١٠٨٨
ـ فتوى : حكم ميراث الولد العاق ١٠٩١
● مع سورة يس
أ. د. إبراهيم خميس ١٠٩٥
● الإخلاص لله عز وجل
أ. د. محمد سالم الخطيب ١١٠١
● الآيات البينات
فضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم ١١٠٥
● المدونة الكبرى فى الفقه المالكى
أ. د. محمود عبد المتجلى خليفة ١١٠٨
● البيوع التى تضر بالدين
للأستاذ الدكتور رمضان حافظ السيوطى . ١١١٩
● زكاة المدين فى الشريعة الإسلامية
للأستاذ الدكتور أحمد محمود كريمة ١١٣٠
● حقيقة التأمين وأركانه وأنواعه
للأستاذ الدكتور عبد الله مبروك النجار ١١٣٤
● محاسبة النفس
لفضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان ١١٤١
● خلق المسلم
للدكتورة / فاطمة عمر نصيف ١١٤٥
● القدس مفتاح السلام والحرب
فى الشرق الأوسط
للأستاذ مصطفى دسوقى كسبة ١١٥١
● قراءة فى قرار الكونجرس
للأستاذ الدكتور حسن محمد وجيه ١١٦٠
● طرائف .. ومواقف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١١٧٠
● الإسلام والمرأة والتاريخ
بقلم : عبير عبد الواحد ١١٧٢
● من اعلام الأزهر (محمد بخيت المطيعى)
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ١١٧٥
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
إعداد وتقديم
الأستاذ / عبد الفتاح حسين الزيات ١١٨١
● العـلوم الكونيـة ●
● العلوم التقنية فى التراث الإسلامى
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا ١١٨٦
● من أمراض الطفولة
د. جيهان أحمد مصطفى ١١٩٢
● الجديد فى العلم والتقنية
د. نجوى السيد أحمد ١١٩٦
● باب اللغة والأدب والنقد ●
● ابن دريد ومنهجه فى جمهرة اللغة
د. محمد رياض السيد كريم ١٢٠٠
● طبقات المحققين والمصححين
أ. د. السيد الجميلى ١٢٠٦
● مع الدكتور عبد الوهاب عزام
أ. د. أحمد مصطفى حافظ ١٢١١
● مالك .. تجارب حياة
عرض وتقديم الأستاذ عبد السلام ناصف .. ١٢١٦
● عقيدة السلف وأصحاب الحديث
عرض وتقديم
الأستاذ / عادل رفاعى خفاجة ١٢٢٠
● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم د / محمد عبد الحكيم محمد ... ١٢٢٣
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذين : عمر البسطويسى
ومصطفى عبد المجيد ١٢٢٩
● أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير ... ١٢٣٤
● القسم الفرنسى ١٢٤٦
● القسم الإنجليزى ١٢٥٧

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

أسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فاضل خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير .. إدارة الأزهر

بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

غزوة بدر

هل كانت وحدها كبرى غزوات الرسول ﷺ

نعم ..!

كانت كبرى غزواته - عليه الصلاة والسلام - فقد كانت ذات نتائج فريدة توفرت لها - وحدها - فصارت ميزات لها لا نجدها مجتمعة في غيرها من الغزوات ، ولقد يكون غيرها أوسع منها فتحا ، وأكثر جندا ، وأضخم عدادا ، وأبسط أرضا لكنه لم يحظ بكل خصائص الفتح التي تمثلت في غزوة بدر :

فحسبنا - ابتداء - أنها يسرت لكل فتح بعدها .

وحسبنا - ابتداء - أيضا أنها يسرت للمسلمين العزة بين العرب ، فأضحت القبائل العربية على حذر منهم ، وعلى حساب لشأنهم .

وحسبنا - كذلك ابتداء - أنها قضت على آمال زعامة قريش للعرب أجمعين ، تلك الزعامة التي نشدها أبوجهل « الحكم بن هشام » وهو يصر على حرب المسلمين في بدر .

ثم حسبنا ـ فى بدايتنا ـ هذه الحظوة التى نالها جندها ـ جند رسول الله ـ ﷺ .

روى البخارى ـ فى صحيحه ـ قول رسول الله ﷺ : « لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد وجبت لكم الجنة ، أو قد غفرت لكم » ورواه أحمد ـ رضى الله عنه ـ بسنده إلى أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « إن الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

لقد كان حق المهاجرين ثابتا فى أموال قريش ، وحسبنا شهادة المولى ـ عز وجل ـ به ، فإنه ـ سبحانه ـ القائل عنهم : ﴿ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ (١) فإذا رأوا فى قافلة قريش التجارية العائدة إلى مكة من الشام ـ حقا فى الاستيلاء عليها مقابل بعض اموالهم وديارهم التى استولى عليها وثنيو مكة فما تجاوزوا عدلا ، ولا أتوا شططا :

وتلك هى القافلة التى عُرِفت بـ (عِير قريش) يقودها أبو سفيان صخر بن حرب الأموى الذى استطاع أن ينجو بها فلم تقع بأيدى المسلمين لا هى ولا رجالها .

إننا سنتجاوز ـ فى كلمتنا هذه ـ كثيرا من الأمور التى يعرفها القراء لنخلص ـ فقط ـ إلى هذه الميزات ، فإنها ـ وحدها ـ مناط تسجيلنا ، إذ هى المرسى الصلب الذى رست عليه سفينة الإسلام .

أولى هذه الميزات :

أن هذه الغزوة قضت ـ تماما ـ على الزعامة الأولى لقريش ، تلك الزعامة التى اتسمت بصلابة الكفر ، وقسوة القرار ، وقصر النظر ـ أعنى الغباء ـ وعلى رأس هذه الطبقة أبوجهل ، الزعيم الذى تجمعت فيه خصائص هذه الزعامة العتية .

كان قصر النظر متمثلا لدى أبى جهل فى اعتماده على القوة وحدها ، يدفعها دفعا صُلْبًا بقسوة لا نظير لها ، وكان هنا مكمن الغباء ، إذ القوة ذات طرفين :

أولهما : السلاح ، وهو آلة صماء لا تدير نفسها ، ولا تعى شيئا عن فعلها .

ثانيهما : الجند الذى اعتمد عليه ، وفى الحق أنه القوة نفسها ، إذ هو المحرك لآلاتها ، وهذه القوة حين يشتد الكرب ، تُفيق لنفسها ، وتعود لبصيرتها ، فإن آمنت بأنها سيقت إلى ما لا خير لها فيه نفضت أيديها ، وأسلمت الزعامة الغَبِيَّة لمصيرها التعس .

ذلك أن الإنسان لا يمكن (بَرْمَجَتُهُ) حتى عندما يفقد كرامته ، أو يتخلى عنها راضيا .

من هنا كانت القوة جديرة بالنجاح إذا كان ـ بين يديها ـ قضية عادلة ، إذ القلوب ـ وهى مستقر العقول ـ تجتمع لها ، ولا تتفرق إزاءها ، وللقلوب زمام لا يملكه إلا الله ـ وحده ـ فيوليها النصر ، يقول ـ تعالى :

﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الأنفال ـ ١٠

(١) الحشر آية ٨ .

فأما هذا اللون من زعامة أبى جهل بما اجتمع لها من قسوة وغباء فأصحابها أحق بكلمة الله ـ تعالى ـ فيهم :

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ الأنبياء ـ ٤٣

فلا هم ينتصرون ، ولا هم يُوَفقون .

ولقد بدأت النظرة الفاحصة ـ فى هذه الزعامة ـ فى مكة نفسها أثناء تعبئة أبى جهل لحملته ضد المسلمين ، وفى أثناء سيرها ، بل وفى محطاتها الأخيرة :

ها هم بنو عدى ، وهم بطن من قريش ، رهط عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ امتنعوا تماما عن الانضمام لهذه الحملة ، فلم يخرج منهم رجل واحد ، وظلوا بمقامهم من مكة .

ونتيجة لفكر حصيف لم يجد أفراد آخرون حرجا فى الامتناع عن مصاحبة الحملة ، منهم طالب بن أبى طالب الذى آثر مجانبة خَرَق القيادة ، ونزق الغباء فى الزعامة .

والأخنس بن شريق الثقفى ، كان حليفا لبنى زُهْرَة القرشيين ، وهو الذى سار بهم فى تلك الحملة ، وفكر فى أمرها طويلا ، إذ هو يعلم جيداً أنه ليس قرشياً ، ولكنه حليف لهذا البطن من قريش ، وإذا كان فيهم مطاعا فكيف يقودهم إلى ما لا خير فيه ، واقتنع الرجل بأنه إنما يقودهم إلى معركة خاسرة ـ فلما صاروا بالجحفة ، على بعد أربع مراحل من شمال مكة قال لهم :

يا بنى زهرة ، قد نجّى الله أموالكم ، وخلّص لكم صاحبكم مخزمة[٢] بن نوفل ، وإنما نفرتم (أى خرجتم) لتمنعوه ومالَهُ ، فاجعلوا بى جبنها (أى انسبوا إلىّ الجبن فى منعكم من المشاركة فى بدر) وارجعوا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا فى غير ضيعة ، لا ما يقول هذا ـ (يقصد أبا جهل) .

فرجعوا فلم يشهدها زهرىٌّ واحد ، أطاعوه وكان فيهم مطاعا .

وهذا التاريخ الحديث يسجل موقفا كهذا لمثل زعامة أبى جهل ، زعامة ترى « أنها هى العالم ، والعالم هى » حتى إذا اشتبكت فى حرب مع دولة بجنوب شرق آسيا ـ أبى كثير من أبنائها أن يجندوا أنفسهم لهذه الحرب .

ظلت الأصوات الداعية إلى تجنب الحرب تلاحق زعامة مكة هذه وتحاول ـ فى رجاء ، وهذا من نكستها ـ أن تمنع الحرب وتطالب بالرجوع عن بدر :

من أولى هذه الأصوات صوت أبى سفيان نفسه ، قائد العير فقد أرسل إلى قريش فى وقت مبكر ، وقد تمكن من النجاة بالقافلة ـ يقول : « إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله فارجعوا » .

فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نَرِدَ (بدراً) .. فنقيم عليه ثلاثا ، فننحر الجزور ، ونطعم

---

(٢) كان فى العير التى نجت .

الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القِيان ، وتسمع بنا العرب ، وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا ، فَامْضُوا .

وهذا حكيم بن حزام يقول ـ لعتبة بن ربيعة ـ بأرض بدر قبل بداية المعركة : ياأبا الوليد ، إنك كبير قريش ، وسيدها المطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ..؟

قال : وما ذاك يا حكيم ..؟

قال حكيم : ترجع بالناس ...

قال عتبة : قد فعلتُ : أنت علىّ بذلك ... فَأْت ابن الحنظلية (يعنى أبا جهل) فإنى لا أخشى أن يشْجُرَ (يُفْسِد) أمْرَ الناس غيرُه ، ثم قام عتبة خطيبا فقال :

« يا معشر قريش ، إنكم ـ والله ـ ما تصنعون بأن تَلْقَوْا محمداً وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر إليه ، قَتَلَ ابن عمه ، أو ابن خاله ، أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا » .

وضاع النصح سُدًى ، وانطوت هذه الأصوات تحت رعونة ابن الحنظلية ـ لعنه الله ـ إذ ما بلغه الذى حدث حتى قال : والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ، ولكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابْنُهُ ، فقد تَخَوَّفَكُم عليه »

هكذا . سبحانك اللهم . وصلّ ـ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

دفع أبوجهل عامرَ بن الحضرمى ، فصرخ فى الناس بثأره ، فاشتعلت الحرب ، ودارت تحطم حتى أنهت حياةِ سبعين ، وأتت على هذه الزعامة جمعاء ، فقُتِلَ : الأسود بن عبد الأسد المخزومى ، وأمية بن خلف ، وأبوجهل ، والنضر بن الحارث ، وعقبة بن أبى مُعَيْط ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة أخوه ، وزمعة بن الأسود ، وأخواه : عقيل والحارث ، ونبيه بن الحجاج ، وأخوه : منبه ، وغيرهم من هذه الطبقة التى لم تنظر لأمرها فى شيء .

وهكذا أتت بدر على هذه الزعامة فاستأصلت شأفتها ، وقضت معها على كل من لا خير فيه ـ كما يقول سيدنا ـــ ابن كثير فى سيرته ـ رضى الله عنه ـ ممن لحق بها عصبية ، أو تجنبا لعار يتوهمه ، وتخلصت مكة من شؤمها ، وأبى الله ـ تعالى ـ أن يدنس مكة بجثثهم فأرديت فى القليب ، ولعل أرض مكة انتشت فرحا بالخلاص من هذه الزعامة التعسة البائسة .

د. على أحمد الخطيب

مع الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

رمضان

موسم الصفاء والنقاء والصلح مع الله

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

قال الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾
أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ
طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ
ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ
فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ
بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾

افتتح الله آيات الصوم (١٨٣ ــ ١٨٥) من سورة البقرة بهذه الآية يمهد بها نفوس المسلمين لفريضة الصوم ، ويدعوهم إلى الإقبال على أدائها باعتبار : ان الصوم أقوى العبادات تأثيرا على الانسان قلبه وقالبه ومعلنا لهم : أن تقرير هذه الفريضة عليهم ليس بدعا أو أمرا خاصا بهم ، وإنما هى ركن من أركان كل دين ، وذلك أدعى للإذعان .

والصوم فى اللغة الإمساك والكف عن الشىء ، أو هو الإمساك عما تنزع إليه النفس ، وفى الشرع الامتناع عن الأكل والشرب ، وعن المخالطة الزوجية من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس إحتسابا لله ــ تعالى ــ وإعدادا للنفس وإمدادا لها بما يعينها على تقوى الله ومراقبته وتربية إرادة الصائم ؛ ليقوى بذلك على ترك المحرمات وكبح الشهوات .

(لعلكم تتقون) بيان وتعليل لفرض الصوم وإبراز للغاية من فرضه ، وتحريض على الإقدام على أدائه ، حتى يعد الصائم نفسه لتقوى الله ورضوانه بترك المباح من الشهوات الميسورة امتثالا لأمر الله . واحتسابا للأجر عنده ، ومتى درب المسلم النفس وكفها عن المباحات ملك زمامها وحال بينها

وبين المحرمات ، وتربت عنده ملكة الصبر على ما يشير إليه الرسول ﷺ : (الصيام نصف الصبر) .

(ولعل) فى تلك الآية للترجى ، والرجاء إنما يكون فيما وقعت أسبابه ، وموضعه هنا المؤمنون المخاطبون بالآية ، ومن ثم كان من لم يصم بالنية وقصد التقرب إلى الله بعيدا عن أن تتربى عنده ملكة ترك المحرمات ولم ترج له ومنه التقوى ، فليس الصيام فى الاسلام لتعذيب النفس ، بل لتربيتها وتزكيتها .

ثم إن إعداد الصيام نفوس الصائمين ، وتوجيهها إلى تقوى الله يظهر من وجوه أعظمها : أنه أمر موكول إلى ذات الصائم ، فالصوم سر بين العبد الصائم وبين ربه لا يطلع عليه إلا الله سبحانه ؛ إذ لولا إخلاصه ومراقبته لله ومعرفته اطلاع ربه عليه لما كان له اصطبار عن تناول ما صام عنه ، وفى تكرار الصوم تنمية وتقوية لملكة المراقبة لله والحياء منه أن يراه حيث نهاه ، وهذه الملكة هى التى استبدلنا بها ما شاع على الألسنة فى عصرنا وسميناه (الضمير) .

هذه المراقبة لله وخشيته وحده متى استقرت عليها الأنفس الصائمة لله ترقبا لسعادة الآخرة ، تؤهل ـــ أيضا ـــ لسعادة الدنيا ، فمن راقب الله وصام إيمانا واحتسابا عمر قلبه بخشية ربه ، فلم يقدم على غش الناس وخداعهم ، ولم يأكل الأموال بالباطل ، ولم يحتل على الله ؛ لمنع الزكاة أو لأكل الربا ، وأموال اليتامى ، ولم يقترف المنكرات سرا وعلانية وبالجملة : اكتسب صفات الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم .

إن صاحب هذه المراقبة لا يسترسل فى المعاصى ، ولا تطول غفلته عن الله وطاعته ، وإذا نسى أو استهواه الشيطان فاقترف السيئات ، كان سريع التذكر والرجوع بالتوبة إلى ربه .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ سورة الأعراف

فالصيام سر بين الصائم وربه ، وأعظم مرب لملكة المراقبة والإرادة وأقوم طريق للتقوى .. والصوم يجعل الصائم رءوفا رحيما بالفقراء ، سخيا بالصدقات مؤديا للزكوات ، إذ عندما يجوع يتذكر من لا يجد القوت .

ثم أليس من الصفات المحمودة للمسلمين أن يكونوا رحماء بينهم ؟

لقد وصف الله بهذا السابقين الأولين إلى الإسلام ، ونحن من هذه الأمة ينبغى ألا ينفك عنا هذا الوصف الربانى المحمود ..

ولابد للصائم أن يحفظ جوارحه عن الآثام فلا غيبة ولا نميمة ولا غضب ولا قول زور ، وإلا كان بهذه المعاصى وهو صائم كمن يبنى قصرا ويهدم مصرا ..

إن على المسلمين ان يتخذوا من صوم رمضان زادا للتقوى ، والتقرب إلى الله ، وألا يصوموا جوعا وعطشا ، ثم هم من وراء ذلك لا يرعون الله فى أعمالهم وتجاراتهم وذوى أرحامهم وجيرانهم وأوطانهم ، بل عليهم أن يصوموا لله قانتين ، حتى لا يدخلوا فى نطاق ما حذر منه رسول الله ﷺ (كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش) ..

فلنلتزم بالصوم الموصل إلى التقوى إيمانا واحتسابا لربنا ، ولنلجأ إليه فى شهرنا المبارك أملا فى معونة الله ومدده لأمة القرآن حتى تكون خير أمة أخرجت للناس ..

ولا ينبغى أن ننتقم بالليل من النهار فنقضى نهارنا نعد لموائد الليل الطعام والشراب ونتمادى فى الإسراف غافلين عن حكمة الصوم وفوائده ، وعن قول الله فى محكم كتابه (لعلكم تتقون) ..

إنه شهر فى العام ــ (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) أقام الله فيه مدرسة للصوم ، فيها نعتاد الطاعة لربنا ، وبه تقوى عزائمنا ونراقب الله ونخشاه ، ونرجو ثوابه ، فيه تصح أجسادنا ، كما تطهر قلوبنا . بهذا أخبر الصادق الرسول محمد ﷺ فى قوله (صوموا تصحوا) وقوله : (من لم يغفر له فى رمضان فمتى ؟) هذا الصوم متى التزمناه صحيحا كان الوازع الدينى وكانت الأمانة . وفى الحديث الشريف : (إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته) .

إن مدرسة الصوم : مدرسة إصلاح نفسى وجسدى واقتصادى ، أستاذها الوازع الدينى ودوام المراقبة لله سبحانه ، والامتثال لأمره ، به ترقى الأخلاق إذا اصطلحنا فيها مع الله ، فأعلنا التوبة إليه والأوبة إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ ، نحتكم إليهما فى كل أمورنا دون أن نلتفت إلى أولئك الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، يضلون الناس ، وما يضلون إلا أنفسهم ، تخلوا عن أمانة الكلمة فخسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

تعالوا أيها المسلمون نتخذ شهر رمضان موسما نتخفف فيه من أعبائنا الاقتصادية التى أثقلت كواهلنا أفرادا وجماعات وحكومات .

تعالوا إلى صوم نتقرب به إلى الله ، لا رياضة نفسدها بالليل بكثرة ما نعد من ألوان الطعام والشراب واللهو ، جربوا أيها المسلمون الاعتدال فى أموركم ، والاستغناء عما لا ضرورة له .

خذوا من مدرسة الصوم ما تستطيعون من فضل وفضائل ، أقيموا حلقات القرآن التى استبدلتم بها ندوات الشيطان ، فنزع الله البركة من أموالكم بالرغم من كثرتها ووفرتها ، وبخلتم وأمسكتم عن أداء ما فرض الله عليكم فكانت الآفات والأمراض والأوجاع التى لم تكن فيمن كانوا قبلكم ، كان سلفنا يتجمعون فى القرى والأمصار حول الفقراء يتلون عليهم القرآن ، ومع العلماء يجلون لهم آيات الله ، فكانت البركات والرحمات ونعمة الرضا تحوطهم فضلا من الله ونعمة ، وكانت القلوب مطمئنة ، والنفوس راضية مرضية ، والرحمة سائدة والمودة غامرة ، والتعاون على البر شعارهم

ودثارهم ، فلما صرفكم عن القرآن الصارفون واستجبتم لهم وانصرفتم عن كتاب ربكم أنساكم الشيطان صالحكم وأضلكم عن سبيل الله ، وتفرقت بكم السبل ، حتى صرتم شيعا يقاتل بعضكم بعضا .

أقول وأكرر : أيها المسلمون ، إن سلفكم الصالح ما عالجوا ضائقة اقتصادية ألمت بهم بالإغداق والإسراف والاستدانة ومزيد من إنفاق الأموال فى غير محلها ، وإنما بالاقتصاد وبالاستغناء عما فى أيدى الغير والعمل الجاد مع الالتجاء إلى خالقهم ورازقهم ومدبر أمورهم .

فلنحزم أمرنا ، ولنجرب ما نجح به سلفنا ، ولنتخذ من شهر رمضان مدرسة نعدل بها عادتنا التى أسرعت بنا إلى هذا الغلاء الذى ناءت به دخولنا ، والتى أثقلت كاهل الدولة بالاستدانة والقروض بالربا ، الذى ما دخل فى تعامل إلا كان معه الخراب والدمار ونزع البركة ذلك وعيد الله وقوله فى شأن تحريم الربا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة/٢٧٨ ، ٢٧٩]

هذا موسم الطاعة لله فأقبلوا عليه ، واصطلحوا مع ربكم يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ، اعقدوا فيه ندوات القرآن والسنة ، واغلقوا مزامير الشيطان ووسائل الفساد .

أولى بالمؤمنين أن يكونوا مع الله فى شهر رمضان ، فإنه ــ سبحانه ــ قال على لسان رسوله ﷺ (الصوم لى وأنا أجزى به) .

اصطلحوا مع الله بطاعته فى رمضان ، لتصير الطاعة لكم عادة تستقيم عليها حياتكم اصطلحوا مع أنفسكم ، مع الوالدين ، مع الجيران ، مع المجتمع كله . إن كل أب وكل أم وكل رئيس فى عمل مسئول عما ولاه الله عليه فاحملوا المسئولية وأحسنوا القيام بها ، وخذوا من الصوم حكمته ، ولتكن مصاحبة لكم فى سركم وعلنكم ، وخذوا على أيدى المجاهرين بالفطر فى نهار رمضان حتى لا يزيد المجتمع فسادا واستهتارا ، وعلى أصحاب الأعذار أن يستتروا حتى لا يساء الظن بهم ، واعلموا أن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع .

اصطلحوا مع الله يصلح لكم نفوسكم ويغفر لكم ذنوبكم ويرفع عنكم إصركم ، والتزموا الطاعة فى شهر رمضان تتغير به عاداتكم وتقلعوا عن أهوائكم ، ويكن الوسيلة إلى تغيير الحال ، وصدق الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

[الرعد/١١]

واعلموا أن الله ــ سبحانه ــ منح هذه الأمة ما لم يمنحه لأمة سابقة فقال :

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

[الأنفال/٣٣]

وقد بقيت لنا الأخيرة طريق نجاة ووسيلة حماية ، فلنلجأ إليها ولنعذ بربنا ونستغفره فى هذا الشهر شهر القرآن ، ولنصدق التوبة والرجوع إلى الله رجاء أن يرفع عنا ما نزل بنا .

وإنا وقد بدت فى آفاق المسلمين بشائر تزاور الزعماء واجتماعاتهم فى سبيل الوفاق ـــ فيما بينهم واصلاح ذات البين ، نأمل أن يكون فى هذا الخير للأمة على طريق الله الذى رسمه فى قوله تعالى :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ .

[آل عمران/١٠٣]

وإن الأزهر الشريف ليبارك للزعماء هذا السعى الدءوب إلى التعاون على البر والتقوى أملا أن يكون شهر رمضان دافعا لمزيد من هذا التعاون .

أيها المسلمون :

أهنئكم ببدء الصوم فى شهر رمضان حكاما ومحكومين ، وأدعوا الله أن يصلح به نفوسنا ويجمع فيه كلمتنا ، ويرفع الخلف من بيننا وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

فتوى للإمام الأكبر

فى بيان حكم مختلس أموال الزكاة

وهل يمنع من دخول المسجد للصلاة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

وبعد ..

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة (عن طريق الفاكس) من مؤسسة محمد على الإسلامية ـ بالولايات المتحدة الأمريكية ـ تتضمن طلب بيان الحكم الشرعى بشأن الموضوع التالى :

(عن رجل اختلس أموال الزكاة والصدقة ، ولايزال مصراً على هذا بالرغم من تقديم النصيحة له من إخوانه بالتوقف عن ذلك ..

(هل يسمح لهذا الرجل بدخول المسجد ، والصلاة فيه مع المسلمين ؟ .

وما هى الخطوات التى تتبع لتوجيه هذا الرجل إذا أراد التوبة ؟ .

وما هى الخطوات التى يجب أن يقوم بها الأخوة المسلمون إذا لم يتوقف هذا الرجل عن هذا الأمر ؟) .

والجـــــواب :

فرض الله الزكاة ، لتحقيق المقاصد الشرعية المترتبة عليها ، والتى من أهمها : رعاية حقوق الفقراء والمساكين وذوى الحاجات المذكورين فى قول الله تعالى فى سورة التوبة :

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ (١) .

حيث بيَّن هذا القول الكريم أن الزكاة قد شُرعت لمواجهة حاجة هذه الطوائف بحيث تكون هى المصرف للزكاة ، وقد دلت عبارة هذه الآية على اختصاص تلك المصارف باستحقاق الزكاة ، فلا يجوز إدخال غيرها فيها ، كما لا يجوز حرمان من يوجد منها من أخذ نصيبه ؛ لأن الله قد حدد تلك المصارف بالنص عليها مما يدل على انحصار استحقاق أموال الزكاة فيها ، وذلك متى اتسعت الزكوات للأصناف الثمانية ، وإلا كان التوزيع بالترتيب الوارد فى الآية أخذاً من نسقها وان كان هذا غير واجب .

ويلاحظ أن هناك فرقا بين الزكاة والصدقة فى الحكم الشرعى ، وإن كانت الزكاة من الصدقات ، فالزكاة فرض على من ملك نصابا وحال عليه الحول ، وهى محددة بمقدار معين لا يجوز إنقاصه ، وما زاد على هذا القدر يكون صدقة ؛ فالزكاة فرض ، والصدقة مستحبة ، وفيما عدا هذا الوصف ، فإن مصارف الصدقة هى مصارف الزكاة ، بمعنى أن ما يخرجه الممول للصدقات سواء مع مقدار الزكاة أو قبلها أو بعدها يكون واجبا توجيهه إلى هذه الأصناف الثمانية أو بعضها حسبما تقدم فى وجوب إعطائها لمستحقيها ؛ لأن المال فيهما (أى الزكاة والصدقات) مرصود لجهة معينة فيكون الصرف إليها ولا يجوز تحويله عنها .

أما عن حكم التعدى على مال الزكاة أو الصدقة بالاختلاس فهو جريمة وإثم كبير ، لأن من يختلس مال الزكاة أو الصدقة ، فإنه بجانب أنه يأخذ مالا غير مستحق له يكون قد ارتكب جريمة الاغتصاب لمال الغير ، وهم أولئك الأصناف الثمانية وهذا عمل محرم ويدخل فى مشمولات قول الله تعالى فى سورة النساء :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ (٢)

وقول الله سبحانه فى سورة البقرة :

﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ (٣) .

فالمعتدى على مال الزكاة يعتبر آكلا لمال الغير بالباطل ، وهو من المحرمات بهاتين الآيتين ، وغيرهما من أدلة الشرع ، ومع حرمته والنهى عنه بهذا الاعتبار ، فإنه يزيد فى إثمه وجسامته أنه يُضيِّع حق الفئات المنصوص عليها فى آية ﴿ إنما الصدقات ﴾ ويصادر مقصد الشارع نحو هذه الفئات ، وتلبية حاجتها ، فجريمة الاختلاس لمال الزكاة واردة على مال يتعلق به حق الله فى وجوب صرفه للمصالح المتعلقة به ، وحق العباد من ناحية انحصار استحقاقه فيمن نصت عليهم تلك الآية .

---

(١) الآية رقم ٦٠ .
(٢) الآية رقم ٢٩ .
(٣) الآية رقم ١٨٨ .

ومختلس أموال الزكاة خائن للأمانة ، وقد نهى الله عن هذا بقوله فى سورة الأنفال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

وكان الواجب أن يعمل الشخص المسئول عنه يقول الله تعالى فى سورة النساء : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (٥) .

ومن هنا كان على هذا المختلس لمال الزكاة أن يسارع إلى الندم ويتوب إلى الله توبة نصوحا ، يعزم فيها على ألا يعود لهذا العمل ، وأن يقوم برد جميع الأموال التى اختلسها من مال الزكاة أو الصدقة ، حيث لا يحل له أخذها ، ولا يستقر ملكه عليها ، لأنها على حكم ملك الله تعالى إلى أن تُؤَدَّى إلى أصحابها الذين حدد الشارع صرفها إليهم ، وإذا لم يمتثل ويرد ما أخذه من مال الزكاة باختياره ، فإنه يُعْزَل عن الأعمال المتصلة بالزكاة ويُمْنَع من مباشرتها على أى وجه ، ويباعد بينه وبين أموال الزكاة أو الصدقة ، ويُقْتَضى منه ما أخذ بالإجراءات الشرعية والقانونية التى تجبره على ذلك .

وليس لأحد منعه من دخول المسجد للصلاة مع المسلمين ، فإن المساجد بيوت الله ، ولا يمنع عنها أحد ، وذلك عملا بقول الله تعالى فى سورة الجن :

﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ (٦)

كما أنه لا تضاد بين اقتراف معصية اختلاس مال الزكاة ووجوب أداء الصلاة على هذا المختلس جماعة فى المسجد ، وتمكينه من ذلك ، فليست المعصية مسقطة لمشروعية أداء الصلاة جماعة فى المسجد ، بل لعله بالصلاة يخشى الله ويتقيه ويرد ما ضيع ، ويتحقق فيه قول الله :

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ (٧) .

ولذلك لا يجوز منعه من دخول المسجد للصلاة مع المسلمين فيه ، بل يوسع له ويوعظ لعله يَذَّكر أو يخشى .

وهذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال .. والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر الشريف

« جاد الحق على جاد الحق »

(٤) الآية رقم ٢٧ .

(٥) الآية رقم ٥٨ .

(٦) الآية رقم ١٨ .

(٧) من الآية رقم ٤٥ من سورة العنكبوت .

كلمة الإمام الأكبر فى احتفال « مؤسسة أم حبيبة »

الإسلامية بمدينة « كيب تاون » بجنوب افريقيا

ألقاها بالإنجليزية نيابة عن الإمام الأكبر
الأستاذ الدكتور / مصطفى محمد الشكعة

أصحاب السعادة ، وأيها الأخوة والأخوات :

تلقيت بوافر السرور والتقدير ، دعوتكم الكريمة لمشاركتكم الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على وصول مؤسس مسجد الحبيبة الصوفية إلى هذه الديار ، وبناء اثنى عشر مسجداً أخرى ، ولكن أعباء العمل ، وبعد المشقة ، ومتاعب السفر ، قد حالت بينى وبين هذه المشاركة التى ودِدتُ أن أجعلها حقيقة واقعة ، وإنى آمل أن تقبلوا شكرى واعتذارى ، وسوف يسرنى أن أستجيب بقدر ما أستطيع إلى طلباتكم من الأزهر الشريف .

أيها السادة :

إن ما تقومون به اليوم من احتفالات ، هو بمثابة عيد للمساجد فى جنوب أفريقيا ، ذلك البلد الطيب ، والحقيقة أن المسجد فى الإسلام هو العنوان الباهر للوجود الإسلامى فى أية بقعة من العالم يُبنَى فيها ويُشادُ عليها .

أن الإسلام هو التوحيد الخالص لرب العزة ، وهو المتمم لرسالات النبيين السابقين ، ومن ثم كان لُب عقيدة المسلم أن يؤمن بالله الواحد لا شريك له ، وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

ولهذا السبب فإنى أرغب إليكم أن يكون المسلم عنوانا مضيئا لدينه ، وأن يكون قدوة حسنة للآخرين فى قوله وعمله وسلوكه ، لأن رسالة الإسلام حملت فى جوهرها تكريم الإنسان ، وإشاعة العدالة ، وتكريس المساواة بين الناس ، والقضاء على التفرقة العنصرية ، وعلى استغلال الإنسان لأخيه الإنسان ، واستهدفت تحقيق الأخوة ، والمساواة بين المؤمنين .

ويتوجُ رسالة الإسلام : المنهج الإلهى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، طبقا لقول الله ــ عز وجل :

• استمر الحفل من ١٧ ــ ٢٤ رجب ١٤١٦ / ١٠ ــ ١٧ ديسمبر ١٩٩٥ .

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾
آل عمران الآية ـ ١٠٤

أيها الأخوة والأخوات :

إن المساجد هى بيوت الله فى الأرض ، وإن عمرانها بالبناء والتشييد ، أو بالصلاة والعبادة هو : برهان الإيمان ودليل خشية الله ، وقد تمثلت هذه المعانى خير تمثيل فى قول الله ـ عز وجل :

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾
التوبة الآية ـ ١٨

ومن ثم فإننى سأقصر كلمتى الموجزة تلك على : المسجد فى الإسلام ، إن من أكثر الأعمال قربى إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ بناء المساجد ، وقد دعا رسول الله ﷺ إلى ذلك فى أحاديث كثيرة

يقول الخليفة التقى ـ ثالث الراشدين ذو النورين ـ عثمان بن عفان : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من بنى مسجدا ابتغى به وجه الله بنى الله له مسجدا فى الجنة » .

ويقول رسول الله ﷺ فى تشجيع الناس على بناء المساجد وإغرائهم بتشييدها : « من بنى لله مسجدا كمفحص قطاة أو أصغر ، بنى الله له بيتا فى الجنة » .

(ومفحص القطاة هو : موضع الدجاجة تصلحه برجليها وتجعله موضعا لتبيض فيه) .

وفى العناية بالمساجد والحفاظ عليها نظيفة أنيقة معطرة ،يقول الله ـ سبحانه وتعالى :

﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ .
الأعراف الآية ـ ٣١

وقد جاء فى الخبر أنه يستحب تجمير المسجد بالبخور ، وكان عبد الله ابن المجمر يجمر المسجد إذا قعد عمر بن الخطاب على المنبر .

واستحب بعض السلف ـ تخليق المساجد ـ يعنى تطييبها بالخلوق الزعفران والطيب ، وقد ورد فى الأخبار أيضاً أن عبد الله بن الزبير ـ رضى الله عنه ـ لمَّا بنى الكعبة طَلاً حيطانها بالمسك .

أيها السادة :

إن للمساجد مكانة رفيعة عند الله ورسوله ، تتمثل هذه المكانة فى قول رسول ﷺ : **« أحب البلاد إلى الله مساجدها ، وأبغض البلاد أسواقها » .**

ومفهوم الحديث الشريف : أن المساجد دائمة العمران بالإيمان الكامن فى قلوب مرتاديها من المصلين الراكعين الساجدين ، وأما بغض الأسواق فلأن فيها : الغش والمماكسات والتطفيف فى الكيل والميزان وحلف الكذب والإقبال على الدنيا والانصراف عن الآخرة .

ويقول رسول الله أيضاً فى شأن المساجد ومكانتها عند الله : « **تذهب الأرضون كلها يوم القيامة ، إلا المساجد فإنها ينضم بعضها إلى بعض** » ومن هنا يكون قريبا إلى الله ورضاه الذى يكثر من المكوث فى المساجد ، وذلك مصداق قوله ـ ﷺ : إن الله ـ عز وجل ـ ضمن لمن كانت المساجد بيته : الأمن والجواز على الصراط يوم القيامة .

إن هذا الحديث الشريف يذكرنا بشعيرة الاعتكاف وفضلها وثوابها ، وأن أكثر ما يكون الاعتكاف فى العشر الأخيرة من شهر رمضان ، ولكنه يستحب لمن يدخل المسجد فى أى وقت من أوقات اليوم أن ينوى الاعتكاف سواء طال مكوثه فيه أو قصر ، وقد جاء فى كتاب الأذكار : أنه يصح اعتكاف من دخل المسجد مارا ، والأفضل أن يقف لحظة ثم يمر .

أيها الأخوة والأخوات :

إن وظيفة المسجد فى الإسلام لا تقف عند حدود أداء الصلاة وحسب ، ولكنها تتجاوز حدود ذلك إلى وظائف أخرى تعليمية وتربوية واجتماعية .

فالمساجد فى الإسلام كانت مقارا للجامعات والمعاهد ـ ولا يزال بعضها كذلك ـ كان جامع عمرو بن العاص فى مصر فى القرون الأولى يشكل : جامعة إسلامية كبرى عرفت باسم : جامعة الفسطاط ، قام بالتدريس فيها الإمام الشافعى ، وعدد من تلامذته على رأسهم البويطى : وكذلك عبد الرحمن ابن القاسم ، الذى أملى فيه «المونة» كتاب الفقه المالكى ، وعبد الله ابن وهب ، وكثيرون غيرهم .

كذلك كان كل من : جامع القيروان فى تونس ، والقرويين فى فاس ، والجامع الكبير فى قرطبة ، يقوم بنفس العرض .

وغنى عن البيان أن المسجد الحرام ومسجد رسول الله فى المدينة المنورة كانا البداية الأولى فى حلقات الدروس .

فى هذه الجامعات تخرج عدد كبير من علماء المسلمين وأدبائهم ومفكريهم :

إن الرسول ﷺ كان يبارك التعليم فى المساجد ويشجع عليه ويقوى شباب المسلمين بالانخراط فى حلبات العلم التى تنعقد فى المساجد ، وذلك فى قوله ﷺ : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

وفى المساجد يستحب عقد الزواج ، فن إشهار الزواج ركن أساسى فى صحته وليس هناك أفضل من المسجد كوسيلة لإشهار الزواج ، وقد روى الترمذى حديث رسول الله ﷺ : « أعلنوا النكاح فى المسجد » .

أيها الأخوة والأخوات :

المسجد فضلا عن كونه مقرا للتعليم ، ومكانا لإشهار الزواج ؛ فهو أيضاً منتدى يجتمع فيه المسلمون كلما سنحت الفرصة ليناقشوا قضاياهم ، ويعالجوا مشكلاتهم من خلال الحوار البناء ، وتبادل الرأى بين عقلائهم ، فما أكثر قضايا المسلمين ومشكلاتهم ، التى تحتاج إلى الرأى والمشورة ، مثل : العدوان على أراضيهم أو ازدراء عقيدتهم ومحاولات تجريحها أو ظهور الفاحشة بينهم ، أو غلاء الأسعار واضطراب الأمن ، وتفشى الظلم ، وما إلى ذلك من المشكلات التى لا يخلو منها مجتمع ولا يبرأ منها مكان .

أيها السادة :

إن المساجد بعد ذلك كله تمثل صروحا شاهقة لفن العمارة الإسلامية ، وهى شواهد حية فى جميع المدن الإسلامية الكبيرة على الفن المعمارى الإسلامى الرفيع من : مآذن وقباب وأسقف وزخارف ، ولا يزال غير المسلمين يفتنون بفن العمارة الإسلامى المتمثل فى المساجد المنتشرة فى الأقطار الإسلامية التى يصعب حصرها .

وإذا كان فريق من فقهاء المسلمين لا يرتضى تجميل المساجد فإن الجمهرة منهم لا توافقهم على ذلك ويستشهد العلماء بقول الإمام البغوى : من زوق مسجدا تبرعا لا يعد (عمله) من المناكير التى يبالغ فيها كسائر المنكرات ، لأنه يفعله تعظيما لشعائر الإسلام .

أيها الأخوة والأخوات :

أكثروا من بناء المساجد كلما استطعتم ، فإنها بيوت الله ، وعمروا قلوبكم بفيوض الإيمان الذى يتجلى فى التردد عليها ، وأكثروا من عقد حلقات العلم فيها ، واجعلوا منها ندوة تقرب بينكم ، وتوحد صفوفكم وتجمع شملكم وتزرع المحبة فى قلوبكم ، وتجعلكم ـ فى محبة الله ورسوله ـ إخوانا .

أسأل الله أن يبارك جمعكم وأن يحفظكم ويرعاكم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

لمحات

مما دار بين فضيلة الإمام الأكبر وكبير أساقفة «كنتربيرى»

للأستاذ عبدالسلام ناصف

مما لاشك فيه أن هناك أسئلة تدور فى عقول رجال الدين المسيحى حول دور الأزهر فى الدعوة الإسلامية بدءاً من رسالته التعليمية ومروراً بمعاهده فى المراحل المختلفة ، وانتهاءاً برسالة جامعته العريقة ، إلى جانب دوره فى الدعوة ونشر مبادئه السامية فى كل بقاع الدنيا ، خاصة فى العالم الإسلامى .

وحين سنحت الظروف لرئيس أساقفة كانتربيرى ورئيس الكنسية الإنجيلية البريطانية ـ والوفد المرافق له بصحبة السيد السفير البريطانى بالقاهرة ـ لزيارة الأزهر الشريف ، ولقاء فضيلة الإمام الأكبر ، سنحت الفرصة كذلك للأسقف أن يلم بتاريخ الأزهر الشريف ، وما يريده من معلومات بشأن ما يقوم به الأزهر فى مجال الدعوة .

وكانت البداية فى سؤال لكبير الأساقفة عن تاريخ الأزهر ، وأجابه فضيلة الإمام بإيجاز مقنع أن الفضل فى إنشائه يعود إلى القائد العظيم جوهر الصقلى الذى أنشأه لتدريس مذهب الفاطميين حتى عصر صلاح الدين الأيوبى الذى فتح الله عليه برعاية كل المذاهب وتدريسها حول أعمدته إلى أن هيأ الله من يعنى به كأقدم جامعة إسلامية تتغذى على روافد ابتدائية واعدادية وثانوية منتشرة فى أغلب حواضر الأقاليم وكانت تضم كليات اللغة العربية ، والشريعة ، وأصول الدين . وفى العصر الحديث سايرت الجامعة مثيلاتها من جامعات العالم وتطورت أساليب الدراسة بها ، وضمت كليات علمية جديدة عملية ونظرية تجمع بين علوم العصر الحديث ، ومناهج العلوم العربية والشرعية .

وتوسعت روافدها فى عواصم المحافظات ومراكزها الإدارية وقراها ، بل وكفورها ونجوعها ـ بل وتوابعها بالجهود الذاتية .

وتم إنشاء المعاهد الأزهرية للبنين والفتيات كل على حدة ـ وأفرد لهذه الأخيرة كليات خاصة فى شتى ميادين التخصصات أسوة بكليات البنين .

وأوضح فضيلة الإمام أن الدراسة بهذه الكليات والمعاهد ليست قاصرة على أهل مصر أو العالم العربى وإنما تتعداه إلى دول المشرق والمغرب ـ دون أية تفرقة إذ لا فرق بين أبيض ولا أسود والكل أمام الإسلام سواء والإقبال على الدراسة فيه منقطع النظير برغم تشديد فضيلته على ضرورة حفظ القرآن الكريم قبل الالتحاق ـ وتأكيد سيادته على التزام لجان الامتحانات بالجمهورية كلها بهذا الشرط .

وسأل الضيف عن مدى عمق الدراسة ومدى إلمام الدارسين بالديانات الأخرى خاصة الديانة المسيحية ــ وأجابه فضيلته بعلم وثقة :

إن كليات الأزهر المتخصصة تضم بين مناهجها دراسة مقارنة للمذاهب الإسلامية ، ودراسة مقارنة للأديان ذات الأصل السماوى ومن بينهما المسيحية ؛ إذ الإسلام غير مجاف للواقع ، لذا يلم بكل الشرائع ويدعو إلى دراستها ــ والتعايش مع أهلها ومعتنقيها .

ولعل هذا ما دفع الضيف أن ينقل لفضيلة مضيفه تخوّف الجاليات الإسلامية فى المجتمعات الغربية من صعوبة التعايش فيها خاصة بالنسبة للأجيال القادمة .

ولقد أسف فضيلته على ذلك إذ أن الجاليات الغربية تحيا فى عالمنا الشرق دون متاعب ودون إهدار لحقها فى العبادة ، بينما يلقى المسلمون فى الغرب مصاعب جمّة ؛ إذ يطيب لأهلها رميهم بالتطرف والعنف وهم منهما بُراء ــ واستشهد فضيلته بما يحدث للأقليات المسلمة من قتل وتشريد واغتصاب تحت بصر وسمع الغرب الذى تمسك بحظر توريد الأسلحة للمستضعفين المسلمين للدفاع عن أنفسهم .

● ● ●

وانتهز الضيف الفرصة ليؤكد أن الكنيسة البريطانية قد أدانت هذا العنف ، وأن حكومته قد بعثت بمساعداتها ودعمتها بقوات لإيصالها للمحاصرين ــ وبذكاء خارق يتميز به فضيلته ألمح إلى أنه لا يقصد بلده وإنما يعنى موقف الغرب المتخاذل ككل .

ولا يهدأ كبير الأساقفة ويرجع ما يحدث على أرض يوغوسلافيا إلى العوامل العرقية والجنسية دون عامل الدين ــ ويجدها فضيلة الإمام منفذاً جديداً فيتندر باهتمام العالم الغربى بالمحافظة على الحيوانات ومساعدتها فى شدتها عن اهتمامه بالإنسان الذى كرمه ربه وفضله على الكثير من خلقه ... ومن هنا يبرز دور رجل الدين ومهمته فى تبصير الشعوب وحثهم على احترام الإنسان وتحقيق آماله وطموحاته فى جو آمن مطمئن .

ولقد وافق كبير الأساقفة على رأى فضيلة الإمام ، ودعا إلى حث رجال الدين أن يبذلوا غاية جهدهم للتأثير فى القيادات السياسية وشعوبهم لإيجاد الحلول الملائمة للمشاكل لصالح البشر دون أى تفرقة عنصرية من أجل سلام العالم وأمنه ــ بالتعاون المثمر بين دعاة جميع الأديان ذات الأصول السماوية .

ولقد كانت إجابات فضيلة الإمام الشافية المقنعة إضافة إلى حسن استقباله لضيوفه ــ لله وفى الله ــ مثاراً للاحترام والتبجيل والشكر والدعوة إلى تكرار مثل تلك اللقاءات الجادة المثمرة .

ولقد تمنى كبير الأساقفة وسفير بريطانيا أن تَشْرُفَ بلادُهم بزيارة خاصة يقوم بها فضيلة الإمام الأكبر ــ دعماً للروابط بين رجال الدين من أجل سلام العالم وتخليص البشرية من همومها ومشاكلها .

● ● ●

ولقد سنحت الفرصة للأسقف أن يلقى كلمة فى جامعة الأزهر ليقدم الشكر لرئيسها على ما يبذله سيادته من أجل التعاون المثمر والبناء بين

الجامعة وبين جامعة (برمنجهام) ، وقد أكد فيها على أن للمسلمين والمسيحيين مسئولية تجاه الأسرة الإنسانية بما أدوه من خير للمجتمعات قاطبة . فلقد انتهت الصراعات بين الديانتين العملاقين التى كانت سائدة فى العصور الوسطى ، والتى كانت تسعى لتقسيم العالم وتحطيم العلاقات بينهما .. والتى لازالت آثارها باقية حتى الآن ــ وهو هنا يقدم اعتذاره عما وقع بشأن ذلك من حروب صليبية .

وألمح إلى ما يجرى فى يوغوسلافيا السابقة من صراع عرقى مدمر لا يمكن تصوره أو قبوله ــ ربما لتأثر سكانها المسيحيين بما أذكاه فيهم المؤرخ الانجليزى « نويل مالكولم » من روح العداء بمعلومات مضللة .

ولعل اتفاق الأطراف على المصالحة فيما بينهم تدعو قيادات الأديان لتحمل مسئوليتهم فى تحقيق هذه المصالحة وضمان تحقيق سلام دائم يعتمد على إيجاد مناخ قوامه الصداقة والتفاهم والتبادلية والتعاون بين الديانة الإسلامية والديانة المسيحية لإيجاد مجتمع يسوده العدل والأمن .

فالقوانين الوضعية تتطلب أساساً أخلاقياً يدعمها ويضمن لها البقاء والاستمرار وكلا الديانتين تسعيان لزرع هذه القيم الأخلاقية للتغلب على الشرور والآثام التى تهدد الأسرة الإنسانية .

وهو يعتقد أن التعاون بين الأديان قد يقهر الفقر والبؤس بين الناس . فكل مجتمع غارق فى مشاكله يسعى كل فرد فيه لايجاد حلول مناسبة لها دون جدوى . غير أن التعاون بين الأديان قد يخلص المجتمعات من مشاكلها ويضرب لذلك مثلا حيّا يتمثل فيما تقوم به وكالات الإغاثة الإسلامية وهيئات المساعدة المسيحية فى عمل مشترك بينهما لتخفيف معاناة سكان البوسنة .

وهو يرى أن السلام بين الشعوب يمكن تحقيقه بكثير جهد من القيادات الدينية التى يمكنها القضاء على الصراعات المريرة خاصة بعد انتشار ظاهرة ما يسمى ــ بـ« الإرهاب » ــ أو « التطرف » بما يسببه من دمار وتقتيل لا يرضى عنه أى دين ونحن نسعى جميعاً إلى غرس التسامح والانسجام ورعايته والعمل من أجل تحقيقه فى وسط هذا العنف البغيض .

ويختتم ــ سيادته ــ محاضرته ــ بأن إعجابه بدينه المسيحى لا يمنع إعجابه بمعتقدات وتقاليد المجتمعات الإيمانية الأخرى ، وأن لها دوراً فى البحث عن السلام والنظام والانسجام بين الأمم ــ وأن الأمل معقود على قيادات الديانة الإسلامية والمسيحية والتعاون بينهما ــ ونسيان الماضى بروح كريمة سخية .

ولابد من بذل الجهد من أجل الحوار الدينى والعمل المشترك من أجل غد تحيا فيه المجتمعات فى سلام وتكون الصداقة والفهم والتعاون فى نسيج جديد لعلاقة جديدة يمكن أن يعيش من خلالها الإسلام والمسيحية معاً .

مع سورة يس

أ.د/ ابراهيم خميس .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ
﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا
فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ
وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ
وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ
وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

بعد الأحاديث فى الآيات السابقة عن المشركين الذين واجهوا دعوة الإسلام بالتكذيب ، وبعد المثل الذى ضربه الله لهم فى قصة أصحاب القرية المكذبين وما انتهى إليه أمرهم فإذا هم خامدون .

يبدأ الحديث فى هذه الآيات بالتعميم فى موقف المكذبين بكل ملة ودين ، ويذكر صورة البشرية الضالة على مدار القرون وينادى على العباد نداء الحسرة وهم لا يتعظون بمصارع الهالكين الذين يذهبون أمامهم ولا يرجعون إلا يوم الدين ويطلبون تعجيل العذاب غير مصدقين . فتبدأ الآيات بعرض مشهد من مشاهد القيامة يرون فيه مصيرهم الذى يستعجلونه كأنه حاضر تراه العيون .

﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

والحسرة : انفعال نفسى على حال مؤسفة لا يملك الإنسان شيئا حيالها سوى أن يتحسر وتألم نفسه ، وقيل : هى شدة الندم مشوبا بتلهف على نفع فائت ، وقال بعض المفسرين : الحسرة : الغم على ما فات والندم عليه ، كأن المتحسر تحسر عنه قواه من فرط ذلك ، أو أصابه إعياء عن تدارك ما

فرط منه ، قال أبو حيان : هى أن يركب الإنسان ـ من شدة الندم ـ ما لا نهاية بعده حتى يبقى حسيرا ، وكل هذه الأقوال متقاربة يكمل بعضها بعضا .

وقد اختلف العلماء فيمن صدر منه هذا النداء . فقال بعضهم : هو صادر من الملائكة .

قال مجاهد والضحاك : إنها حسرة الملائكة على الكفار حين كذبوا الرسل ، ويجوز أن يكون من كلام المؤمنين ، أو من تحسر الكفار على أنفسهم يوم القيامة أن لو كانوا أمنوا فى الدنيا . وأياما كان صدور التحسر ؛ فالمقصود تهويل أمرهم وتشنيعه وتقبيحه ، فالمستهزئون المكذبون أحقاء بأن يتحسروا على أنفسهم ويتحسر عليهم غيرهم ، وقد يكون المتحسر هو الله ويكون الكلام على سبيل المجاز ، والمراد تعظيم جرمهم وتفظيعه لأن الندم مستحيل صدوره من الله . « وأل » فى العباد إما للعهد ، وهم الذين أخذتهم الصيحة من أصحاب القرية فيا حسرة على أولئك ، أو للجنس وتكون لجنس الكفار المكذبين ، وعلى هذين القولين يكون « على » فى قوله : « على العباد » على بابها ، وتكون « على » بمعنى « من » إذا اريد بالعباد الرسل . فيكون التحسر صادرا منهم على عدم إيمانهم . روى الربيع عن أنس عن أبى العالية أن العباد هنا : الرسل ، وذلك أن الكفار لما رأوا العذاب ينزل بهم قالوا : « يا حسرة على العباد » فتحسروا على قتلهم الرسل وترك الإيمان بهم فتمنوا الإيمان حين لا ينفعهم التمنى ، وقال ابن جرير : المعنى يا حسرة من العباد على أنفسهم وتندما وتلهفا فى استهزائهم برسل الله ، وقيل : هى من قول الرجل الذى جاء من أقصى المدينة يسعى ؛ يتحسر على عدم إيمان هؤلاء .

﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

مستأنفة لبيان ما كانوا عليه من تكذيب الرسل والاستهزاء بهم ، وأن ذلك هو سبب التحسر عليهم ونظير هذه الآية قوله ــ تعالى ــ فى سورة الزمر :

﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

وفى هذا دليل على أن الحسرة سوف تكون عند معاينة العذاب . يفتح الله لهم أبواب رحمته بإرسال الرسل إليهم الحين بعد الحين ، ولكنهم يتجافون أبواب الرحمة ويسيئون الأدب مع الله مع ما يرونه من مصارع الغابرين حيث يهلكون ولا يرجعون .

﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

الاستفهام هنا للتقرير ، ويروا بمعنى يعلموا لأن الموجودين لم يبصروا إهلاك الغابرين بل علموه بطريق النقل ، وكم خبرية بمعنى كثير ، والقرون جمع قرن ، وهم القوم المقترنون فى زمن واحد « كعاد » و« ثمود » وفى قوله :

﴿ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ معنيان :

الأول : أهلكوا إهلاكا لا رجوع لهم الى من فى الدنيا .

الثانى : هو أنهم لا يرجعون إليهم ، أى : الباقون لا يرجعون إلى المهلكين بنسب أو ولادة .

يعنى : أهلكناهم وقطعنا نسبهم ، ولا شك فى أن الإهلاك الذى يكون مع قطع النسل أتم وأعم والوجه الأول أشهر نقلا ، والثانى أظهر عقلا ، وفائدة ذكر « أنهم إليهم لا يرجعون » : التهكم بهم وعدهم من الحمقى ، حيث لم يعتبروا بمن أهلكوا قبلهم ، وتقرير تصوير الإهلاك لزيادة التخويف ، ولاستحضار الصورة فى الإهلاك ، أى : إهلاكا لا طماعية معه لرجوع إلى الدنيا ، ولقد كان فى إهلاك المكذبين وعدم رجوعهم عظة لمن يتدبر ، ولكن العباد البائسين لا يتدبرون وهم صائرون إلى ذات المصير ، فأية حالة تدعو إلى الحسرة كهذا الحال الأسيف . إن الحيوان ليرتعد ويخاف أشد الخوف عندما يرى مصرع أخيه أمامه ، ويحاول أن يتوقاه قدر استطاعته ؛ فما بال الإنسان يرى المصارع تلو المصارع ، ثم يسير مندفعا فى ذات الطريق لا يتزجر ولا يرعوى ولا يفكر ، وإذا كان الهالكون الذاهبون لا يرجعون إلى خلفائهم المتأخرين ، فإنهم ليسوا بمتروكين ولامفلتين من حساب الله بعد حين .

﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾

لما بين الله الإهلاك ؛ بين أنه ليس من أهلكه تركه بل بعده جمع وحساب ، وحبس وعقاب قال تعالى :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ المؤمنون ١١٥

وقال ـ تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة ص

فالآية : بيان لرجوع الكل إلى المحشر بعد بيان عدم الرجوع إلى الدنيا .

ولو أن من أهلك ترك لكان فى الموت راحة .

قال الشاعر :

ولو أنا إذا متنا تركنا
لكان الموت راحة كل حى
ولكنا إذا متنا بعثنا
ونسأل بعده عن كل شىء

قرىء ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا ﴾ بتشديد الميم وتخفيفها ؛ فالتشديد على أن « نافية » و « لما » بمعنى إلا ، وبالتخفيف على أن « إن » مخففة من الثقيلة ، واللام هى الفارقة بين « إن » النافية و « إن » المخففة ، وذكرت لتأكيد النسبة ، والتنوين عوض عن المضاف إليه ، أى : وإن كل أحد و « لدى » بمعنى : عند . وقد يقول قائل : ما فائدة ذكر « جميع » بعد « كل » مع أن الظاهر أنهما . بمعنى واحد ، والقرآن لا تكرار فيه ؟ .

والجواب : أنهما يختلفان فى المعنى ، فلفظ « كل » يفيد الإحاطة والشمول ، و « جميع » يفيد اجتماعهما فى مكان واحد ، وهو المحشر ، وزمان واحد وهو : عند النفخة الثانية ، والمعنيان مختلفان ، « ومحضرون » أى للحساب ، وقيل « محضرون » بمعنى معذبون ، والأول أولى ، والمعنى : وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستُحْضَر للحساب يوم القيامة بين يدى الله ـ عز وجل ـ فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ هود ١١١ .

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

بعد أن ذكر الله ـ تعالى ـ ما يدل على الحشر بإحضار جميع الأمم إليه يوم القيامة للحساب والجزاء ؛ ذكر ما يدل على إمكان البعث بإنبات النبات من الأرض الجدباء بالمطر وإيجاد البساتين وتفجير الأنهار ، إن الكفار يكذبون الرسل ولا يتدبرون مصارع المكذبين ، ولايدركون دلالة ذهابهم وعدم رجوعهم .

والرسل يدعونهم إلى عبادة الله وحده ، وكل ما حولهم فى الوجود شاهد بوحدانية الله وقدرته الباهرة .

ومن هذه الأدلة الكونية : هذه الأرض القريبة منهم ؛ يرونها ميتة لا حياة فيها فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من أصناف الزروع والثمار ما شاء الله عليها أن تنبت .

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ سورة الحج

وقال ـ تعالى ـ فى سورة فصلت :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فصلت/٣٩ ، ومعنى موت الأرض : جفافها وجَرازتها ؛ لخلوها من حياة النبات فيها ، وأحياؤها معناه : خروج النبات منها من العشب والكلأ والزرع ، وتزينها به ، وحياة الأرض معجزة لا تملك يد البشر أن تجريها إنما هى يد الله التى تجرى المعجزات وتبث روح الحياة فى الموات .

قال ـ تعالى ـ :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة السجدة

والغرض من ذكر قوله ـ تعالى ـ « وآية لهم الأرض » ... الخ : إقامة الدليل على البعث بعد الموت وعلى وحدانية الله ـ تعالى ـ فكونها دالة على البعث يوحى به « أحييناها » وكونها دالة على الوحدانية يوحى به قوله : « وأخرجنا منها حبا » إلى قوله : « أفلا يشكرون » . ومع ذلك ففيها تذكير بنعم الله ـ تعالى ـ على عبادة .

منها : « الأرض » ، فهى مكانهم ومهدهم الذى يجدون فيه الراحة والاستقرار .

قال ـ تعالى ـ : فى سورة طه : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ ٥٣ وكثير من الآيات فيها دلالة على أن « الأرض » نعمة كبرى من نعم الله على الإنسان .

النعمة الثانية : إحياء الأرض بحيث تخضر فتصير أحسن وأنزه وأبهج فى عين الناظر إليها .

والنعمة الثالثة : إخراج الحب منها : بحيث يصير قوتهم فى مكانهم ؛ يحصلون عليه بدون بحث عنه فى سماء أو هواء .

والمراد بكلمة « حبا » جنس الحب ، والفكرة قد تفيد العموم فى الإثبات إذا كان السياق للامتنان كما فى هذه الآية ، وفى ذكر الإخراج تنبيه على كمال إحياء الأرض ، والفاء فى « فمنه » داخله على المسبب ، « ومن » لابتداء الغاية أو للتبعيض ، وقدم الجار والمجرور على عامله « يأكلون » لإفادة أن ـ الحب ـ معظم ما يؤكل ويعاش به ، وما أحوج بنى آدم إلى الحب فهم يقتاتونه ويعلفون به دوابهم .

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ
وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ
وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

الفرق بين الخلق والجعل :

أن الخلق : ايجاد من الله على غير مثال سابق ولا دخل فيه لأحد .

أما الجعل : فهو من الله ، ولكن لغير الله مدخل فيه ، فإيجاد النخل والعنب من الله ، وللعباد غرسه وسقيه وتعهده ، والجنات بساتين ذات أشجار مثمرة كالنخيل والأعناب ، وأصل كلمة جنات مأخوذ من الاجتنان وهو الاستتار لأن جذورها مستورة فى الأرض ومن دخلها استتر عن الخارجين عنها ، ومن فى « من نخيل » : بيانية ، والمعنى : وأوجدنا فى الأرض التى أحييناها بساتين مثمرة من نخيل وأعناب وغيرها ، وجعلنا فيها أنهارا موزعة فى أماكن مختلفة يحتاجون إليها لسقى هذه الجنات وشربهم وشرب مواشيم ، وقيل فى معنى فجرنا : فتحنا وشققنا فيها شيئا من العيون .

وقوله « ليأكلوا من ثمره » متعلق بجعلنا لبيان فائدة جعل الجنات فى الأرض ، وقد اختلف المفسرون . علام تعود الهاء فى « من ثمره » ؟ ، كما اختلفوا فى معناها . فإذا أريد بالثمر ما تنبته الشجرة ، فالضمير يعود على الله لأنه لولا خلق الله لها ما كانت تلك الثمرة ويجوز أن يعود على النخيل ، وتكون الأعناب داخلة فيها ، ويجوز أن يكون الضمير عائدا على المذكور وإذا أريد بالثمرة الفائدة ؛ عاد الضمير على التفجير المفهوم من فجرنا تفجيرا ليأكلوا من فوائد ذلك التفجير ، وفوائده أكثر من الثمار ، بل يدخل فيه ما قاله الله ــ تعالى ــ : ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ عبس

فأثر التفجير فى هذه الآيات كما ترى كثير يزيد على ما ذكرته السورة » .

ويرجع هذا الوجه : أن الضمير يعود على أقرب مذكور ، وأقرب مذكور هو التفجير والمتأمل فى الآية يجد أن الله ذكر شجر التمر ولم يذكر التمر ، وذلك العنب ولم يذكر شجره ، وهو : الْكَرْم والسر فى ذلك : أن شجرة النخل ينتفع بكل جزىء فيها ساقها ، وسعفها ، وليفها وجريدها ، أما شجر العنب فالمقصود الأعظم هو الانتفاع بثمرها ، ثم إن القارىء والسامع لهاتين الآيتين يجد أن الله ــ تعالى ــ حين ذكر الحب ذكر عقبة فائدته فقال : « فمنه يأكلون » وحين ذكر النخيل والأعناب أخر التنبيه على الانتفاع به ، وفصل بينهما بتفجير العيون ، وحكمة ذلك أن الحب قوت قد يتم وجوده بمياه الأمطار ، وهذا لطف من الله حيث جعل ما يحتاج إليه الإنسان أعم وجودا .

وأمـــا الثمار فلا تتم إلا بالأنهار ولا تصير الأشجار حاملة للثمار إلا بعد وجود الأنهار فلهذا أخر قوله : « ليأكلوا من ثمره » .

وما فى « وما عملته أيديهم » يجوز أن تكون نافية ، ويكون المعنى : وما عملت التفجير أيديهم بل الله فجر ، ويجوز أن تكون موصولة ، والمعنى وما عملته أيديهم أى : بالتجارة كأنه ذكر نوعىّ ما يأكله الانسان بهما : أى الزراعة والتجارة .

وهناك معنى آخر على موصوليه أى ، والذى عملته أيديهم من الغراس بعد التفجير يأكلون منه أيضا ، ويأكلون من الثمر الذى أخرجه الله بلا سعى من الناس ، فعطف الذى عملته أيديهم على ما خلق الله من غير مدخل للإنسان فيه ، ويجوز أن تكون « ما » مصدرية ، ولا يتأتى هذا الوجه إلا على قراءة « وما عملت » بدون الهاء . والمعنى ليأكلوا من عمله وعمل أيديهم ، يعنى : يغرسون والله ينبتها ويخلق ثمرها ، فيأكلون مجموع عمل أيديهم وخلق الله ، وسبحان من أودع فى اللفظ معان كثيرة .

أفلا يشـكرون :

الفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ، أى أيرون هذه النعم ، أو أينعمون بها فلا يشكرون المنعم بها ؟ والاستفهام فيها : إنكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المتعددة . إن رؤية الزرع النامى والجنان الوارقة والثمر اليافع ليفتح العين والقلب على يد الله المبدعة ، وهى تشق التربة على النبتة المتطلعة للحرية والنور ، وتنضر العود المستشرف للضياء وتزين الغصن اللدن بالورق والثمار ، وتفتح الزهرة وتنضج الثمرة وتهيئها للجنى والقطاف ، ويد الله هى التى أقدرتهم على العمل ، كما أقدرت الزرع على الحياة والنماء وكل ذلك يقتضى شكر الله ــ تعالى ــ ولذا ختم الآية بقوله « أفلا يشكرون » ومآل هذا التنزيل : أمر العباد بشكر الله ، والشكر : صرف كل نعمة فيما خلقت له والاعتراف لله بالوحدانية واحتياج العباد إليه فى كل شئونهم .

ولكى يرسخ الشكر فى نفوس المؤمنين أورده بطرق متعددة فأمر به فى قوله ــ تعالى ــ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ سورة البقرة

وجاء به مضارعا فى قوله : تعالى ﴿ **أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى** ﴾

وفى سورة « لقمان » جاء بلفظ المضارع والأمر معا فقال ــ تعالى ــ

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ لقمان/١٢

وفى آية أخرى جعل الشكر سببا لبقاء النعمة وزيادتها ، قال ــ تعالى ــ : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ إبراهيم :٧ ، وصدق من عرَّف الشكر فقال: **الشكر قيد الموجود وصيد المفقود.**

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾

لما قال سبحانه وتعالى : « أفلا يشكرون » آمرا إياهم بالشكر وقد تركوه ، ولم يكتفوا بترك الشكر ، بل عبدوا غير الله وأشركوا به ، قال ــ تعالى ــ : سبحان الذى خلق الأزواج » وهذه الآية استئناف مسوق لتنزيهه ــ تعالى ــ عما فعلوه من ترك شكره ــ عز وجل ــ واستعظام ما ذكر فى حيز الصلة من بدائع آثار قدرته وأسرار حكمته وروائع نعمائه الموجبة لشكره ــ تعالى ــ وتخصيص العبادة به سبحانه ، والتعجيب من إخلالهم بذلك والحال هذه .

قال : أبو السعود فى « الإرشاد » سبحان : علم على التسبيح ، الذى هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا ، والمعنى . أنزه الله عما لا يليق به

اعتقادا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه ــ عز شأنه .

وهذا إخبار منه ــ تعالى ــ بتنزهه وبراءته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وهو فى الوقت نفسه تلقين للمؤمنين أن يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يُخلوا به ولا يغفلوا عنه ، وكما تفيد « سبحان » التنزيه تفيد التعجيب ، أى عجبا لهؤلاء فى كفرهم مع ما يشاهدونه من هذه الآيات ، **ومن تعجب من شىء قال : سبحان الله** .

والأزواج : جمع زوج ويقال : لكل واحد من القرينين ، ولكل ما يقترن بآخر مماثلا له ، أو مضادا ، وكل ما فى العالم زوج من حيث أن له ضدا أو مثلا ما ، والمراد بالأزواج فى الآية : الأصناف والأنواع فكل زوج صنف ، لأنه مختلف فى الأنواع ، والأشكال ، والطعوم ، والصغر ، والكبر .

وقد فسر الأوائل الأزواج : بالأصناف ، قبل أن يكتشف العلم أن بين كل شىء فى الكون ذكورة وأنوثة ، أما بعد اكتشاف العلم لذلك فلا مانع من تفسير « الأزواج » فى الآيات بالذكورة والأنوثة ، ففى النبات والجماد ذكورة وأنوثة(*) .

قال ــ تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الذاريات/٤٩ .

قال قتادة يعنى : الذكر والأنثى فكان تفسيره هذا تنبأ بالاكتشاف العلمى الحديث .

ومن فى قوله : « مما تنبت الأرض » بيانية ، وقد ذكرت الآية أموراً ثلاثة تنحصر فيها المخلوقات ، فقد قال « مما تنبت الأرض » ، ويشمل هذا : كل ما فى الأرض من الأمور الظاهرة كالنبات ، والثمار ، وقوله : « ومن أنفسهم » يدخل فيها : الدلائل النفسية ، ومما لا يعلمون يدخل فيها ما فى أقطار السماوات ، وتخوم الأرض من أزواج لم يطلع الله الإنسان عليها بطريق من طرق المعرفة قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ المدثر/٣١ .

ووجه الاستدلال بهذه الآية : أنه إذا انفرد بالخلق والإيجاد فلا ينبغى أن يشرك به غيره فى العبادة والاستغاثة والاستعانة .

ويستفاد من الآيات ما يأتى :

١ ــ أن إحياء الأرض الهامدة بالنبات الأخضر وإخراج الحب منه الذى هو قوام الحياة وأساس القوت والمعاش ؛ من الأدلة على وجود الله ووحدانيته ، وكمال قدرته على البعث .

٢ ــ ومن الأدلة أيضا خلق بساتين فى الأرض من نخيل وأعناب ، وتفجير الينابيع فى البساتين للأكل من ثمر ماء العيون .

٣ ــ هذه النعم تستوجب شكر الخالق المنعم المتفضل ، وأن شكره يكون : بعبادته والإذعان لسلطانه وإرادته .

٤ ــ وجوب تنزيه الخالق عما لا يليق به والبعد عن صنيع الكفار الذين عبدوا غير الله مع مارأوا من نعمه وآثار قدرته .

٥ ــ إن آثار قدرة الله ومظاهرها فى العالم كثيرة ، منها : خلق النبات والثمار المختلفة الألوان والطعوم والأشكال والأحجام صغيرا وكبيرا ، ومنها : خلق الأولاد والأزواج ذكورا وإناثا ، ومنها خلق الأصناف الأخرى التى لا يعلمها البشر فى البر والبحر والسماء والأرض .

(*) كنا نود من فضيلة الكاتب أن يذكر المصدر العلمى الذى استند إليه ... مجلة الأزهر .

قبس من أنوار النبوة

الأعمال عند الله سبحانه سبعة

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ :

« الأعمال عند الله - عز وجل - سبعة : عملان موجبان ، وعملان بأمثالهما ، وعمل بعشر أمثاله ، وعمل بسبعمائة ، وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله - تعالى - فأما الموجبان : فمن لقى الله يعبده مخلصا لا يشرك به شيئاً وجبت له الجنة ومن لقى الله قد أشرك به وجبت له النار . ومن عمل سيئة جُزِىَ بمثلها . ومن هم بحسنة جُزِىَ بمثلها . ومن عمل حسنة جُزِىَ عشرا . ومن أنفق ماله فى سبيل الله ضعف له : نفقة الدرهم بسبعمائة ، والدينار بسبعمائة . والصيام لله - عز وجل - لا يعلم ثواب عامله إلا الله »

رواه الطبرانى ، والبيهقى (المنذرى - وجامع الأحاديث) .

خلق الله - عز وجل - بنى الإنسان لحكمة سامية ، وغاية رفيعة ، أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب لتحقيقها ، وختم الكتب بالقرآن الكريم ، والرسالات برسالة الإسلام ، وختم الرسل بنبى الإسلام محمد ﷺ ؛ ليعلن هذه الحقيقة وتلك الغاية من خَلْقِ المكلفين : أن يعرفوا ربهم ، وأن يعبدوه وحده لا شريك له .

لقد خاطب الله - سبحانه وتعالى - نبيه محمدا ﷺ بقوله :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ . سورة الأنبياء

﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ .

الأعراف - ٥٩

إن السر فى خلق المكلفين هو عبادتهم لله وحده كما قال الله - تعالى - :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾

الذاريات / ٥٦ - ٥٨

وإن الاعتقاد بوحدانية الله - سبحانه - يعنى الإيمان بأمور أخرى يتحقق بها كمال الإيمان فى مقدمتها : التصديق برسالة خاتم المرسلين ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

الأعراف - ١٥٨

قال الله فى شأنه ﷺ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ سورة الأحزاب

ثم إن هذه العقيدة الراسخة فى القلب : يبرهن على تحققها واستقرارها عمل الصالحات : من عبادات جليلة يمارسها المؤمن والمؤمنة على ما يريده الله تعالى ، ومن معاملات نبيلة ، ترتفع إلى السماء لتنال من الله القبول والرضا ، ويظهر أثرها بين الناس حبا وتعاونا وعطفا .

قال ـ تعالى :

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾

فاطر ـ ١٠

ثم الإيمان عقيدة راسخة ـ بالله رب الأرض والسماء ـ ويقين بما أعده ـ سبحانه ـ يوم المعاد من جزاء ، وتصديق بمن اصطفى من عباده المكرمين ، وما أنزل من كتب على النبين . ثم هو بذل وسخاء لذوى القرابة والفقراء والمساكين واليتامى والمعوذين ، وإخلاص فى أداء الصلاة ، وسماحة فى بذل الزكاة ، ووفاء بالعقود والعهود ، وبر بالوعود ، وصبر فى البأساء والضراء ، وشكر فى السراء على النعماء ، وثبات فى الميدان عند اللقاء .

تلك صفات البررة المؤمنين الصادقين وأمارات المتقين المخلصين ، الذين قال الله ـ تعالى ـ فى شأنهم :

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

البقرة ـ ١٧٧

إن من يحقق العبودية بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا . « وجبت له الجنة » .

« ومن لقى الله قد أشرك به » بأن جنح إلى عدم إخلاص العبودية له ـ تعالى ، ومثله من آمن بالله دون الرسل ، أو آمن بالله وببعض الرسل . فاؤلئك نعى الله ـ تعالى ـ عليهم جميعا وسلكهم فى حكم واحد وأعد لهم سوء المصير : قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾

سورة النساء

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾

النساء ـ ٤٨

وهذا الصنف «وجبت له النار» .

أما العملان اللذان بأمثالهما : فقوله :

﴿ من عمل سيئة جزى بها ﴾

حيث قال الله تعالى :

﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾
الأنعام ـ ١٦٠

وقال تعالى فى الحديث القدسى :

« إذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها ، وإن تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة »

رواه البخارى فى التوحيد

« من هم بحسنة جزى بمثلها» المرادبالهم : الإرداة وهى ترجيح الفعل على الترك عند بعض العلماء . وقال آخرون : المراد بالهم ، العزم والتصميم .

روى الإمام أحمد « ومن هم بحسنة يعلم الله أنه قد أشعر قلبه بها .. » .

« ومن عمل حسنة جزى عشرا » كما قال ـ تعالى ـ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، فمن تقرب إلى الله بطاعة مخلصا لله يضعف ثوابه إلى سبعمائة ضعف .

قال تعالى :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ سورة البقرة

روى الشيخان ـ البخارى ومسلم ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه ـ تبارك وتعالى ـ قال : إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك : فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة ..

« والصيام لله ـ عز وجل ـ لا يعلم ثواب عامله إلا الله » .

إن الصيام أحب العبادات إلى الله ، والمقدم عنده حيث أضافه إلى ذاته ، حيث يتجلى فيه الإخلاص ، فهو سر بين العبد وربه يتحرر به الإنسان من سلطان غرائزه ويتغلب على نزعات شهوته وينتصر على حيوانيته ويتشبه بالملائكة ، الذين لا يأكلون ولا يشربون ، والصائم يجوع وأمامه الطعام ، ويعطش وبين يديه الشراب ، ويعف وبجانبه زوجته لا رقيب عليه إلا الله ، فهذه تربية وإرادة قوية ومراقبة لله ، وصبر واحتمال . وفى الصوم تمام العبودية لرب الناس الذى قال ـ فى كتابه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾
البقرة ـ ١٨٣

فكان جواب أهل الإيمان :

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾

البقرة ٢٨٥

ولهذا نسب الله الصيام إلى حضرته وتولى جزاء الصائمين بنفسه فقال : فيما رواه ابن خزيمة ـ « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به ، يدع طعامه من أجلى ، ويدع شرابه من أجلى ، ويدع لذته من أجلى ، ويدع زوجته من أجلى » .

ولهذا كان جزاء الصيام عند الله بغير حساب .

وفقنا الله لصالح القول والعمل . وهدانا سواء السبيل .

أرفع الأعمال

للدكتور محمود سالم الخطيب

عن رجاء بن حيوة عن أبى أمامة قال : أنشأ رسول الله ﷺ غزوا . فأتيته فقلت : يارسول الله ، ادع الله لى بالشهادة فقال : اللهم سلِّمهم وغنِّمهم ، فغزونا فسلمنا وغنمنا .

ثم أنشأ رسول الله ﷺ غزوا آخر ، فقلت : يارسول الله ، ادع الله لى بالشهادة ، فقال : اللهم سلمهم وغنمهم ، فغزونا فسلمنا وغنمنا .

ثم أنشأ رسول الله ﷺ غزوا ثالثا ، فقلت : يارسول الله إنى أتيك مرتين تدعو لى بالشهادة ، فقلت : اللهم سلمهم وغنمهم ، فغزونا فسلمنا وغنمنا ، ثم أتيته بعد ذلك فى الرابعة . فقلت : يارسول الله مرنى بعمل آخذه عنك ينفعنى الله به ، قال عليك بالصوم فإنه لا مثل له فكان أبو أمامة وامرأته وخادمه لا يُلْفَوْن إلا صياما ، فإذا رئى نار أو دخان بنهار فى منزلهم عرفوا أنهم اعتراهم ضيف ، .

قال : ثم أتيته بعد ذلك فقلت : يارسول الله إنك قد أمرتنى بأمر أرجو أن يكون الله قد نفعنى به . فمرنى بعمل آخر ينفعنى الله به ، قال : « اعلم إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفع لك بها درجة ، وحط عنك بها خطيئة » أخرجه الإمام أحمد فى مسنده .

راوى الحديث:

رجاء بن حيوة من أفاضل الصحابة تحدث عنه أبو نُعَيْم فى كتابه : «حلية الأولياء» فذكر أنه كان تقيا صالحا يكثر من الصلاة والصوم ، وغزا مع رسول الله ﷺ ثلاث غزوات ، وكان لا يوقد فى بيته نار ، ولا يظهر عنده دخان إلا إذا جاءه الضيفان . وقد ارتحل هذا الصحابى الجليل إلى الشام .

المفردات :

أنشأ : إذا خرج وابتدأ ـ يقال هو يستنشىء الأخبار أى يبحث عنها ويطلبها ، الغزوة : المرة من الغزو ، وكثير مما سمى غزوة خرج فيها رسول الله ﷺ مع الجيش قائداً بخلاف السرية فهى التى لم يخرج فيها رسول الله ﷺ .

معنى فسلمنا .. أى نجونا من القتـل ، وغنمنا : حُزْنَا من أموال أهل الحرب .

ومعنى : ادعو الله لى بالشهادة ، أى أموت شهيداً وأقتل مجاهدا فى سبيل الله .

والصيام ـ هو الامساك عن كل ما يفطر .

ومعنى : اعتراهم ضيف .. أى قصدهم .

ومعنى لا يُلقون إلا صياما : أى هم دائما على صيام .

والدرجة : هى المنزلة الرفيعة عند الله من أثر الطاعات .

الخطيئة : الإثم والذنب[1] .

المعنى العام للحديث

هذا الحديث يبين لنا مدى حرص الصحابة على الاستشهاد والجهاد فى سبيل الله لما لهما من الفضل العظيم والثواب الكبير ، ويدل على فضل الاستشهاد فى سبيل الله ، ومن ذلك قوله ـ تعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

سورة آل عمران آية ١٦٩ ـ ١٧١

ومما يدل على فضل الجهاد والمجاهدين قوله ﷺ ، فيما رواه أبو سعيد الخدرى : « من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا دخل الجنة » . فتعجب من ذلك أبو سعيد وقال : يارسول الله ، أعدها على . فأعادها ، ثم قال : وشىء آخر يرفع الله به العبد مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض . فقال : ما هو يارسول الله : قال الجهاد فى سبيل الله » رواه مسلم .

ومن ثم تكرر طلب الصحابى الجليل « رجاء ابن حيوة » ـ رضى الله عنه ـ من رسول الله ﷺ بأن يرزقه الله الشهادة ثلاث مرات .

فذكر له رسول الله ﷺ أن يحافظ ويكثر من الصلاة والصوم ، فهما ركنان عظيمان من أركان الإسلام . أما الصلاة فقد كرر الله ـ سبحانه وتعالى ـ : الحث عليها فى القرآن الكريم فى مثل قوله ـ تعالى :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

البقرة : ١١٠

وقد بين لنا رسول الله ﷺ : فضل الصلاة وأنها تمحو الذنوب والخطايا كما يزيل الماء الأوساخ الحسية .

روى أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **أرايتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يَبْقَى من درنه شىء قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا** »[2] **وقال عليه ـ السلام : « أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء** »[3] .

ومعنى الدرن : الوسخ .. كذلك للصوم فضل كبير ويكفى أن نعلم أن رسول الله ﷺ بين أن الله ـ تعالى ـ هو الذى يتولى بنفسه جزاء الصائم .

(١) أنظر فى معانى المفردات لابن الأثير ـ النهاية فى غريب الحديث .

(٢) رواه مسلم

(٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائى .

فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « الصيام جُنة فلا يرفث ولا يجهل . وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل : إنى صائم (مرتين) .. والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى ، الصيام لى وأنا أجزى به والحسنة بعشر أمثالها » رواه البخارى .

والحديث الشريف يقرن الثواب هنا بـ (الأدب) والخلق الكريم فلا كمال لصيام الصائم إلا بخلقه الكريم ، فلا يأتى بفحش فى الكلام ، ولا يمارس أفعال الجهال .

والجزاء هنا مقرون بقسم رسول الله ﷺ تأكيداً لثبوته ، وسبحانه هو الغنى الحميد واسع العطاء .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى فضل الصوم :

« **إن فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم ـ يقال أين الصائمون .. ؟ فيدخلون منه ، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد** » رواه مسلم ، والصوم أحد أركان الإسلام الخمسة الواردة فى حديثه ـ عليه الصلاة والسلام : « **بُنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان** » رواه الشيخان والترمذى والنسائى .

نساله ـ تعالى ـ أن يوفقنا فى طاعته ، والعمل بكتابه ، وسنة رسوله ﷺ .

تكفل الحديث الشريف ببيان : فضل الصلاة والصوم والجهاد وحرص المسلمين على الاستشهاد فى سبيل الله ، والأخذ من علم رسول الله ﷺ وهو المعلم الأمين الأعظم ، وحرصه ـ عليه الصلاة والسلام على تزويدهم بأركان الإسلام ، وما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ، كما يعطينا الحديث الشريف بيانا عن تكريم هؤلاء الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ لضيوفهم . وفقنا الله ـ تعالى ـ إلى كل خلق حسن .

مذكرة لكل صائم

لفضيلة الدكتور / محمود عبد المتجلى خليفة

● نية الصوم :

قال الإمام أبوحنيفة ـ رضى الله عنه ـ يجزىء صيام رمضان وكل صوم يتعين بنية من النهار ، فإذا نوى الإنسان صيام رمضان فى نهار آخر يوم من شعبان صحت هذه النية ، وكذلك أثناء نهار رمضان ، واستدلى الإمام أبوحنيفة على صحة النية فى النهار بأن النبى ﷺ أرسل صبح عاشوراء إلى قرى الأنصار التى حول المدينة : من كان أصبح صائما فليتم صومه ، ومن كان أصبح مفطر فليصم بقية يومه ، ومن لم يكن أكل فليصم . رواه البخارى ومسلم ، قال الإمام أبوحنيفة : وكان صوم عاشوراء واجبا متعينا .

● النية مرة واحدة لجميع الشهر :

قال الإمام مالك وإسحاق بن راهوية : تكفى نية واحدة لصيام جميع شهر رمضان إذا نوى صوم جميع الشهر ، وهو قول للإمام أحمد .

● النية الحكيمة :

تكفى النية الحكيمة فى صحة الصوم فى المذهب المالكى ومثالها أن يتسحر الإنسان ولم يخطر بباله الصوم ، وكان بحيث لوسئل : لماذا تتسحر ؟ أجاب بقوله : إنما تسحرت لأصوم . كفاه ذلك .

وجاء فى الفقه الحنفى : أن القدر الكافى من النية أن يعلم الإنسان بقلبه أنه يصوم كذا ومن عزم على الامتناع عن المفطرات أثناء النهار مخلصا لله فهو ناو كذلك وإن لم يتسحر .

● صوم الأبناء والبنات قبل البلوغ :

هؤلاء الصغار وإن كان الصيام غير واجب عليهم ، إلا أنه ينبغى للوالدين أن يأمراهم بالصيام ليعتادوه من الصغر ، ماداموا مستطعين له وقادرين عليه ، للحديث الذى ذكرته قبل ذلك فى رواية البخارى ومسلم عندما أمر النبى ﷺ بصيام يوم عاشوراء : قالت الربيع بنت معوذ ـ رضى الله عنها : فكنا نصومه بعد ذلك ونصوم صبياننا الصغار منهم ، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من الصوف فإذا بكى أحدهم من الجوع أعطيناه اللعبة حتى يجىء وقت الافطار .

● المرأة تتناول دواء يقطع عنها الحيض طول شهر رمضان

قال ابن قدامة الحنبلى فى كتابه المغنى : سئل الإمام أحمد ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن تناول المرأة دواء يقطع عنها الحيض لتصوم شهر رمضان كاملا . فقال : لا بأس أن تشرب المرأة دواء يقطع عنها الحيض ، إذا كان دواء معروفا .

● مايباح للصائم :

هناك أشياء يباح للصائم فعلها ولا يبطل صيامه وبيانها كالتالى :

الاستحمام والانغماس فى الماء لا يفسد الصوم وإذا فعله الصائم فلا شىء عليه لما رواه الإمام مالك والإمام أحمد وأبوداود عن أبى بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام أحد فقهاء المدينة السبعة عن بعض أصحاب النبى ﷺ أنه حدثه فقال : لقد رأيت رسول الله ﷺ يصب على رأسه الماء وهو صائم من العطش أوالحر .

● استعمال الكحل والقطرة :

إذا وضع الإنسان القطرة فى عينه أو تكحلت المرأة فى نهار رمضان لا يفسد الصوم حتى ولو وجد الإنسان أثرا لكحل أو القطرة فى حلقه فالصوم صحيح فى المذهب الحنفى والشافعى وذلك لأن العين ليست بمنفذ معتاد إلى الجوف .

قال الترمذى فى جامعه : لم يصح عن النبى ﷺ فى القطر بما يصل إلى الجوف عن طريق العين شىء .

● تقبيل الزوجة :

إذا قبل الصائم زوجته وكان يقدر على التحكم فى نفسه ولم تتحرك شهوته ولم ينزل منه شىء فإن صومه يكون صحيحا .

روى أصحاب السنة عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : كان رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم ، ويباشر وهو صائم ولكنه أملككم لإبه .

وروى أحمد وأبوداود عن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال : هشتشت أى نشطت يوما فقبلت وأنا صائم فأتيت النبى ﷺ فقلت: صنعت اليوم أمرا عظيما ، قبلت وأنا صائم فقال رسول الله ﷺ : أرأيت لو تمضمضت بماء وأنت صائم ، قلت : لا بأس بذلك فقال ﷺ : ففيم ؟ أى ففيم السؤال ؟ .

وليكن معلوما أن التقبيل يكره لمن تتحرك به شهوته خصوصا الشاب والذى ننصح به ترك التقبيل أثناء النهار سدا لباب الفتنة .

● الحقنة :

إذا احتاج الصائم لأخذ حقنة سواء كانت فى العرق أو فى العضل أو تحت الجلد فإن صيامه صحيح ، لأن الحقنة وإن وصلت إلى الجوف ، فإنها تصل إليه من غير المنفذ المعتاد .

● الحجامة أو الفصد :

الحجامة أخذ الدم من الرأس والفصد أخذ الدم من أى عضو من الجسم إذا احتجم الصائم أوأخذ من جسمه دم بطريق الفصد والتشريط بالموس لجزء من جسمه فإن ذلك لا يضر صيامه ، إلا إذا كانت هذه الأشياء تضعف الصائم فإنها تكره له . روى البخارى أن النبى ﷺ احتجم وهو صائم .

وروى البخارى وغيره عن ثابت البنانى أنه قال لأنس بن مالك ـ رضى الله عنهما : أكنتم تكرهون الحجامة للصائم على عهد رسول الله ﷺ ؟ قال : لا إلا من أجل الضعف .

● المضمضة والاستنشاق :

إذا تمضمض الصائم أواستنشق سواء كان ذلك فى وضوء أو غسل أو فى غيرهما فإن صيامه صحيح ولا شىء عليه .

لكن يكره للصائم المبالغة فى الاستنشاق أوالتمضمض خشية أن يسبقه شىء من الماء إلى جوفه .

وذلك أن النبى ﷺ قال للقيط بن صبرة : فإذا استنشقت فأبلغ إلا أن تكون صائما . رواه أصحاب السنن بسند صحيح .

إذا تمضمض الإنسان أواستنشق فى الطهارة فسبق الماء إلى حلقه من غير قصد ولا إسرف فإن صيامه صحيح ولا قضاء عليه فى المذهب الحنبلى ، وهو للشافعى فى أحد قوليه وذلك لأن الماء وصل إلى حلقه من غير إسراف ولا قصد ابتلاع الماء فأشبه ما لو طارت ذبابة إلى حلقه وهو صائم حيث لا يعتبر مفطرا بها فكذلك سبق الماء وبهذا فارق الشخص المتعمد ابتلاع الماء مع المضمضة أو الاستنشاق ..

● غبار الطريق وغربلة الحبوب أوالدقيق أوكليهما .

إذا كان الإنسان سائرا فى طريق فهبت الريح فأثارت غبارا فدخل فى حلقه فإنه لا يغير صيامه ، وكذلك إذا كان الصائم يعمل فى جبس أوجير فطار شىء منه ودخل إلى حلقه فإن صيامه صحيح .

ومثل ذلك من يغربل الحبوب أو ينخل الدقيق بالمنخل أو يكيل هذه الأشياء فسبق شىء من تراب الحبوب أومن أثر الدقيق إلى حلقه فإن صيامه صحيح ولا شىء عليه ، والسبب فى صحة الصوم من دخول هذه الأشياء إلى الجوف أنها أمور يعسر الاحتراز منها وهذا هو مذهب الحنفية والمالكية .

● شم الروائح :

إذا شم الصائم رائحة طيبة كالمسك وأنواع العطور المختلفة ، فلا يفطر ولو استنشقها لأنها لا جسم لها لكن يكره شمها فى المذهب المالكى .

- وضع دواء على الجرح الواصل للجوف :

إذا وضع الصائم دواء على جرح نافذ للجوف فى البطن أو الظهر أو الصدر مثلا أو الجنب فإن هذا لا يفسد الصيام فى المذهب المالكى .

وذلك لأن الدواء لا يصل إلى محل الأكل والشرب .

- الحائض أثناء النهار :

إذا طهرت الحائض من الدم أثناء النهار يباح لها الأكل فى بقية يومها ، ولا يستحب لها الامساك بقية اليوم .

- قدوم المسافر المفطر إلى بلده :

إذا كان شخص مفطرا فى سفره ثم قدم إلى بلده أثناء النهار فإنه يباح له تناول المفطرات بقية النهار ولا يندب له الامتناع عن المفطرات بقية اليوم .

- استعمال السواك :

يباح للصائم أن يستعمل عود الأراك فى السواك وهو صائم طول النهار سواء كان ذلك قبل الظهر أوفى آخر النهار فى المذهب المالكى .

وقد روى البخارى أن النبى ﷺ قال : لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة . فعم الحديث الصائم وغيره ومعلوم أن صلاة العصر فى آخر النهار وننصح الصائم أن لايستعمل معجون الأسنان أثناء النهار خشية أن يصل منه شىء إلى جوفه فيفسد صيامه القىء إذا غلب القىء الصائم ولم يرجع منه شىء إلى جوفه بعد أن يتمكن من طرحه فإن صيامه صحيح ولا شىء عليه .

لكن ذا تعمد القىء بمعالجة إخراجه بأن أدخل إصبعه فى فمه مثلا حتى تقايأ فإن عليه قضاء يوم بدل هذا اليوم الذى تعمد القىء فيه .

روى أصحاب السنن عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه تعالى ـ أن النبى ﷺ قال : من ذرعه ـ أى غلبه ـ القىء فليس عليه قضاء ، ومن استقاء عمدا فليقض .

- ابتلاع الريق والبلغم والنخامة :

إذا ابتلع الصائم ريقه فإن ذلك لا يؤثر فى الصيام وكذلك إذا ابتلع البلغم الذى يخرج من الصدر أو إذا ابتلع النخامة التى تنزل من الدماغ فكل ذلك لا يفسد الصوم وليس فيه قضاء .

وكذا إذا بلع ريقه وقد بقى بيل بفمه من أثر المضمضة فابتلعه مع الريق فلا يفسد صومه عند الأحناف .

- ذوق الطعام :

إذا ذاق الصائم الطعام بلسانه ولم يبتلع منه شيئا ومن ذلك ذوق الخل ليشترى منه فإن صيامه صحيح ويجوز له هذا الفعل بشرط أن يحترس حتى لا يصل إلى جوفه شىء منه .

مضغ الطعام للطفل :

يجوز للإنسان أن يمضغ الطعام لطفله ولا يضر ذلك صيامه بشرط أن يحتاط حتى لا يصل شيء من الطعام إلى جوفه .

وقد جاء فى الأثار أن الحسن البصرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ كان يمضغ الطعام لابن ابنه وهو صائم .

مضغ اللبان :

إذا مضغ الصائم شيئا من أنوا ع اللبان وكان لا يتحلل منه شيء صح صومه مع كراهة ذلك المضغ عند الأحناف والشافعية والحنابلة .

فإذا تحللت أجزاء من اللبان ونزلت إلى الجوف فسد الصوم وعلى ذلك الشخص قضاء ذلك اليوم .

الفطر بسبب النسيان :

إذا نسى الصائم فأكل أوشرب وهو صائم فصيامه صحيح ولا قضاء عليه عند الحنفية لما رواه البخارى ومسلم وأصحاب السنن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : من نسى وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما الله أطعمه وسقاه .

إدخال الاصبع فى القبل :

إذا أدخلت المرأة إصبعها فى قبلها ولو كانت الاصبع مبتلة فلا يفسد صومها فى المذهب الحنبلى .

إذا أصبح الصائم جنبا :

إذا عاشر الصائم زوجته قبل الفجر ثم طلع الفجر قبل أن يغتسل فإن صيامه صحيح وعليه الغسل للصلاة سواء أمكنه الغسل قبل طلوع الفجر أم لا .

روى البخارى عن عائشة وأم سلمة ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أن النبى ﷺ كان يصبح جنبا من جماع غير احتلام ثم يصوم فى رمضان .

الحائض ينقطع منها الدم قبل الفجر :

إذا انقطع دم الحيض قبل الفجر صح الصيام ولو لم تغتسل قبل الفجر وعليها أن تغتسل للصلاة وصيامها صحيح سواء أمكنها الاغتسال قبل طلوع الفجر أم لا .

الاحتلام فى نهار رمضان :

إذا احتلم الإنسان وهو صائم فى رمضان فإنه يستمر فى صيامه ولا يؤثر الاحتلام فى صحة الصيام ويغتسل لأجل الصلاة .

● السفر والصوم :

إذا سافر الإنسان فى خلال شهر رمضان سفرا يزيد على ثمانين كيلو مترا جاز له الفطر كما يجوز له أن يصوم إن قدر على الصوم بغير مشقة زائدة ، والصوم أفضل من الفطر لمن قدر عليه لقول الله تعالى « وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » .

وروى البخارى ومسلم عن عائشة أن حمزة بن عمرو الأسلمى ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال للنبى ﷺ أأصوم فى السفر ؟ وكان كثير الصيام فقال ﷺ : إن شئت فصم وإن شئت فأفطر .

ورويا عن أنس رضى الله تعالى عنه : قال : كنا نسافر مع رسول الله ﷺ فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم وفى رواية مسلم : فيصوم الصائم ويفطر المفطر فلا يعيب بعضهم على بعض .

● المسافر إذا أفطر فى سفره ؟

إذا أفطر المسافر فى رمضان لعذر السفر وجب عليه بعد رمضان قضاء أيام بعدد ما أفطر ولا يشترط التتابع فى القضاء ، وذلك لقول الله تعالى :« فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

● صوم المريض :

المريض إذا قدر على الصوم صح صيامه ويجوز له الفطر إذا خاف زيادة المرض أو تأخر الشفاء أو حدوث مرض آخر وتكون معرفة ذلك بتجربة فى نفسه أو بأخبار طبيب حاذق مسلم ثقة ، وعلى المريض إذا أفطر أن يقضى أياما بعدد ما أفطر بعد أن يمن الله عليه بالشفاء .

● تقدم السن :

الرجل المتقدم السن والمرأة العجوز والمريض مرضا ميئوسا من شفائه منه هؤلاء يحل لهم الافطار إذا لم يقدروا على الصوم ولا يتصور منهم القضاء وفى المذهب المالكى ينبدب لكل واحد منهم أن يطعم عن كل يوم يفطره مسكينا والذى نفتى به أن يقدر الاطعام بثلاثة جنيهات عن كل يوم فإذا لم يطعم كل منهم فلا إثم عليه فى المذهب المالكى .

روى البخارى عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » .

قال ابن عباس : ليست بمنسوخة هى للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا .

● صيام الحامل والمرضع :

إذا خافت المرأة الحامل وهى صائمة فى شهر رمضان على مافى بطنها أوخافت فعلا على نفسها أو حدوث مرض ويعرف ذلك باخبار طبيب حاذق مسلم تفطر وتقضى ما أفطرته بعد الولادة وانقضاء أيام النفاس وليس عليها إطعام فى المذهب المالكى وكذلك المرضع يباح لها الفطر

إن خافت على ولدها أو على نفسها ولم تجد من تستأجرها لارضاع طفلها أو وجدت ولكن الطفل لا يقبل غير ثدى أمه فيجوز أن تفطر وعليها قضاء بعدد الأيام التى أفطرت فيها بعد فطام ولدها ويجب عليها مع القضاء أن تطعم عن كل يوم مسكينا .

روى أصحاب السنن عن أنس بن مالك الكعبى أن رسول الله ﷺ قال : إن الله عزوجل وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الحامل والمرضع الصوم .

وروى أبوداود فى سننه عن عكرمة أن ابن عباس قال فى آلاية الكريمة « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » : أثبتت للحبلى والمرضع .

- من تناول مفطرا مع الشك فى طلوع الفجر :

إذا أكل الصائم أو شرب أو جامع مع شكه فى طلوع الفجر ثم تبين أن الفجر كان طالعا فعليه القضاء فقط فى المذهب الحنفى لوجود شبهة بقاء الليل وإذا استمر على شكه فلا قضاء عليه عند الامام أحمد وكذا عند الشافعى .

- من تناول مفطرا فى آخر النهار ظانا غروب الشمس :

الفطر لايحل إلا بعد تحقق غروب الشمس فإذا ظن الإنسان غروب الشمس فأكل ثم تبين أن الشمس لم تغب فعليه قضاء ذلك اليوم . روى البخارى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما قالت : أفطرنا يوما فى غيم على عهد رسول الله ﷺ ثم طلعت الشمس .

- من كان فى فمه طعام فسمع أذان الفجر أو كان فى حالة اتصال جنسى :

إذا طلع الفجر على إنسان وهو يتناول مفطرا وجب عليه إلقاء مافى فمه وترك تكملة العملية الجنسية فإن لفظ الطعام أو نزع صح صومه وإن ابتلع مافى فمه من طعام مختارا أو استدام الحالة الجنسية فسد صيامه . روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى ﷺ قال : إن بلالا يؤذن بليل فكلوا وأشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم « رجلا أعمى » لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت .

ابتلاع ما بين الأسنان أثناء الصوم لا يضر إذا كان يسيرا فى المذهب المالكى .

والله الهادى إلى سواء السبيل

د . محمود عبدالمتجلى خليفة ـ عضو لجنة الفتوى بالأزهر

رخصة الفطر للمسافرين في هدى سيد النبيين صلى الله عليه وسلم

بقلم الدكتور / عبد الفتاح إبراهيم سلامة

الناس وموقفهم من رمضان :

● الناس ورمضان فريقان : منهم من يرتقب مقدمه ارتقاب الخليل الوامق يرتقب طلعة خليله ، وتتهلل أساريره استبشاراً باللقاء ؛ لأنه من عباد الرحمن الذين علموا أن للجنة باباً يقال له : « الريان » يدخل منه الموفقون لصيام رمضان .

● ومنهم من ضعف إيمانه : وهم ــ والحمد لله ــ قليل ، فإذا أحدهم متبرم « بالتكاليف » ضجر بأداء الفرائض ينتحل المعاذير انتحالًا ، ويختلق مبررات الانفلات من الفريضة اختلاقاً ؛ لأنه ليس من الخاشعين اللائذين بقول رب العالمين :

﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٥] .

وإذا فارق الخشوع قلب الإنسان ، فالفريضة عنده أثقل من جبل « ثهلان »[١] .

طوائف الناس في العمل بالتراخيص :

تباينت مواقف الناس في فهم التراخيص والعمل بها ، فتفرقوا في ذلك ثلاث طوائف ــ وقانا الله أجمعين عواقب المتفرقين ــ وإليكم بيانها :ــ

١ ــ فطائفة قاصدة مقتصدة : تضع العزيمة مواضعها ، وتأخذ بالرخصة حين يحسن الأخذ بها .

٢ ــ وطائفة خالفت سبيل التيسير : وسلكت منهج التعسير ، فضيقت على الناس ما جعل الله فيه سعة .

٣ ــ وطائفة ساء فهمها لقضية التيسير وانتهجت نهج التبرير ، فهي تنتهب التراخيص ما وجدت إلى الترخيص سبيلًا ، فإن لم تجد الرخصة تذرعوا[٢] بأنهم أهل الرجاء في المغفرة ، فإن ضاقت السبل أمام تبريراتهم وأمانيهم : عالنوا بالانفلات ، وأظهروا التحلل والانسلاخ .

(١) « ثهلان » : جبل ضخم بنجد ، يطل على مدينة الشعراء ، وانظر المعجم الكبير جـ ٣/٣٥٦ .

(٢) استعملت « واو الجماعة » بالحمل على معنى الطائفة ، والطائفة : الجماعة من الناس .

ويحضرنى طرفة تمثل نهج المتمسحين بالتراخيص ، وهى أن تَقِيًّا قال لشقى « جاءك رمضان » فقال الشقى « لأقطعن أوصاله بالترحال والأسفار » فهو يريد أن يتذرع بالأسفار فراراً من تبعات الصوم مع الأبرار .

العمل بالتراخيص يتطلب فقهاً وورعاً :

لا شك أن التحريم يحسنه الكثير ، وأن التسيب والتبرير يمارسه الأكثرون ، وأما وضع الرخصة مواضعها ، فهو فقه دقيق ، وإخلاص مخبت ، ومراقبة لله رب العالمين .

هدى رسول الله ﷺ فى الفطر عند السفر :

عن عبد الله بن عباس ــ رضى الله عنهما : « أن رسول الله ﷺ خرج من المدينة ، ومعه عشرة آلاف مقاتل ، وذلك على رأس ثمانية أعوام ونصف من مقدمه المدينة ، فسار ومن معه من المسلمين إلى مكة : يصوم ويصومون حتى بلغ (الكَدِيد) وهو بين (عُسفان) و(قُدَيْد)[3] أفطر وأفطروا » أ هـ .

هذا الحديث أخرجه البخارى[4] ومسلم والنسائى ، ومالك فى « الموطأ » ويستفاد من هذا الحديث : أن الرسول ﷺ خرج من المدينة عام الفتح وهو صائم ، وصام المسلمون الذين خرجوا معه إلى الجهاد ، وظلوا جميعاً صائمين حتى بلغوا الكديد ، ويقدر بُعْدُه عن مكة بنحو ثلاثين ميلاً أى أنهم صاموا جُلَّ الطريق .

ــ وفى رواية أخرى عن ابن عباس ــ رضى الله عنه : « أن الرسول ﷺ لما أفطر بـ (الكديد) لم يزل مفطراً حتى انسلخ الشهر » أ هـ .

قال ابن شهاب الزهرى[5] تعليقاً على الحديث السابق : « وكانوا يتبعون الأحدث فالأحدث من أمره ، ويرونه الناسخ المحكم » أ هـ .

ــ ووردت هذه الرواية فى صحيح مسلم[6] من حديث ابن عباس ، ونصها هكذا : « وكان صحابة رسول الله ﷺ يتبعون الأحدث فالأحدث من أمره » أ هـ .

لذلك عدها العلماء عبارة مدرجة فى الحديث ، وقال سفيان : لا أدرى مِنْ قَوْلِ مَنْ هذه ؟

(٣) الكديد : على وزن « كريم » موضع بين « عسفان » و « قَدَيْد » و « عسفان » على وزن « عثمان » موضع على مرحلتين من مكة ، انظر القاموس المحيط جـ ٣ ص ٧٥ و « قديد » بالتصغير بضم أوله وفتح ثانيه انظر المصباح المنير جـ ٨١١/٢ ، وورد فى « أخبار مكة » للأزرق جـ ١٥٢/٢ بالهامش أن « عسفان » تقع الآن بين وادى فاطمة وخليص أ هـ ، وفى « أخبار مكة » جـ ١٣٢/١ بالهامش أن عسفان تبعد عن مكة بستة وثلاثين ميلًا .

(٤) انظر صحيح البخارى جـ ٢١٣/٤ ، وانظر كذلك « جامع الأصول » لابن الأثير الجزرى جـ ٤٠٣/٦ .

(٥) انظر « فتح البارى » جـ ٢١٣/٤ .

(٦) انظر « صحيح مسلم بشرح النووى » جـ ٢٣١/٧ .

ومعنى هذه العبارة : أن الصيام فرض فى العام الثانى من الهجرة ، وغزوة الفتح كانت بعد ثمانية أعوام من الهجرة فالآخر من فعله ﷺ أن القادر على الصوم فى السفر له أن يصوم ، وأما من وجد مشقة فله أن يفطر ، وهذا رد على دعوى من ادعى : أن الفطر فى السفر منسوخ ، وهذه الدعوى سيتضح لنا « خفتها » فى الميزان من خلال هذا البحث .

ونقض وهم لبعض أهل العلم :

قال بعض أهل العلم : « إن من استهل عليه رمضان فى الحضر ، ثم سافر بعد ذلك ، فليس له أن يفطر ، لقوله ـ تعالى :

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر(١) هذا الزعم ، ورد عليه بقوله : « وقال أكثر أهل العلم : لا فرق بينه وبين من آهل عليه رمضان فى السفر » أى له أن يفطر .

مناقشة رأى من يرى أن المسافر يفطر على كل أحواله ، وبيان أراء الأئمة فى ذلك :

وقد استدل أصحاب هذا الرأى بقوله ﷺ : « ليس من البر الصيام فى السفر »أ هـ . ويروى : « ليس من امبر امصيام فى السفر »[٨] .

وهذا الحديث له واقعة « تبين مراد رسول الله ﷺ من هذه العبارة[٩] : فعن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ قال : « كان رسول الله ﷺ فى سفر ، فرأى رجلًا قد اجتمع الناس عليه ، وقد ظلل عليه ، فقال : مَالَهُ ؟ قالوا : رجل « صائم » ، فقال رسول الله ﷺ : ليس من البر الصوم فى السفر » وقد روى البخارى[١٠] هذا الحديث بالرواية السابقة وعنون له بقوله : « باب قول النبى ﷺ لمن ظلل عليه ، واشتد الحر : ليس من البر الصوم فى السفر » .

وقال ابن حجر :[١١] ... أشار بهذه الترجمة إلى أن سبب الحديث ما ذكره من القصة ، وأن من روى الحديث مجرداً فقد اختصر القصة .. فالحاصل أن الصوم لمن قوى عليه أفضل من الفطر ، والفطر لم شق عليه الصوم ، أو أعرض عن قبول الرخصة أفضل من الصوم ... » وأن من لم يتحقق المشقة : يخير بين الصوم والفطر .. » .

وذهب أكثر العلماء : ومنهم مالك والشافعى وأبو حنيفة إلى أن الصوم أفضل لمن قوى عليه ولم يشق عليه ، وقال كثير منهم : الفطر أفضل عملًا بالرخصة ، وهو قول الأوزاعى وأحمد وإسحاق .. » أ هـ . ملخصاً .

---

(٧) انظر « فتح البارى » جـ ٢١٣ .

(٨) أم : أداة تعريف بمعنى « أل » فى لغة طيىء ، وحمير ، وانظر « مغنى اللبيب » ص ٧٠ ، ٧١ .

(٩) ، (١٠) ، (١١) انظر « فتح البارى » جـ ٢١٦/٤ .

دقيقة فى استنباط الأحكام من وعاء ابن دقيق :

تتفاوت أقدار العلماء وفقاً لدقة فهمهم للنصوص ، وليس بالتقليد العنيد ، وقد وجدنا عند ابن دقيق العيد ، كلمات فى طرق الاستنباط ، ومناهج الاستدلال ، يحسن بنا أن نتدبرها ملياً ، قال ـ رحمه الله : « أخذ من هذه القصة أن كراهة الصوم فى السفر مختصة بمن هو فى مثل هذه الحالة : فمن يجهده الصوم ويشق عليه ، أو يؤدى به إلى ترك ما هو أولى من الصوم : من وجوه القرب ، فينزل قوله ﷺ : « ليس من البر .... » على مثل هذه الحالة .

قال : والمانعون (من الصوم) فى السفر يقولون : إن اللفظ عام ، والعبرة بعمومه ، وليست بخصوص السبب ، قال : « وينبغى أن يتنبه إلى الفرق بين دلالة السبب والسياق والقرائن على تخصيص العام ، وعلى مراد المتكلم ، وبين مجرد ورود العام على سبب ، فإن بين العامين فرقاً واضحاً ، ومن أجراهما مجرى واحداً لم يصب ، فإن مجرد ورود العام على سبب لا يقتضى التخصيص به كنزول آية السرقة فى قصة سرقة رداء صفوان ، وأما السياق والقرائن الدالة على مراد المتكلم ، فهى المرشدة لبيان المجملات ، وتعيين المحتملات كما فى حديث الباب » أ هـ .

نقول عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ فى هذه المسألة :

قال الحافظ فى الفتح(١٢) : « وقد روى أحمد من طريق أبى طعمة قال رجل ، لابن عمر : إنى أقوى على الصوم فى السفر ، فقال له ابن عمر : من لم يقبل رخصة الله ، كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة » . قال الحافظ بن حجر : « وهذا محمول على من رغب عن الرخصة ، لقوله ﷺ : « من رغب عن سنتى فليس منى » وكذلك من خاف على نفسه العجب أو الرياء ، إذا صام فى السفر ... وقد أشار إلى ذلك ابن عمر قال : « إذا سافرت فلا تصم ؛ فإنك إن تصم ، قال أصحابك « اكفوا الصائم ، ارفعوا للصائم ، وقاموا بأمرك ... فلا تزال كذلك حتى يذهب أجرك »أ هـ .

ـ وهذه النقول إن صحت عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ فهى اجتهاد ووجهة نظر ، وسيأتى فصل القول من فعل رسول الله ﷺ وقوله ، ومن أقوال جمهور الأصحاب والتابعين ـ رضى الله عنهم .

الإمام النووى يذكر آراء الأئمة فى المسألة :

قال الإمام النووى (١٣) : قال جماهير العلماء أهل الفتوى ، يجوز صومه فى السفر ، وينعقد ويجزيه ، واختلفوا فى أن الصوم أفضل ؟ أم الفطر ؟ أم هما سواء ؟

(١٢) انظر « فتح البارى » جـ ٢١٧/٤ .

(١٣) انظر « شرح النووى على صحيح مسلم » جـ ٢٢٩/٧ .

ـ فقال مالك وأبو حنيفة والشافعى والأكثرون : الصوم أفضل لمن أطاقه بلا مشقة ظاهرة ولاضرر ؛ فإن تضرر به ، فالفطر أفضل واحتجوا بصوم النبى ﷺ وعبد الله بن رواحة وغيرهما ، وغير ذلك من الأحاديث ؛ ولأنه يحصل به براءة الذمة فى الحال ، وقال سعيد بن المسيب والأوزاعى وأحمد وإسحاق وغيرهم : الفطر أفضل ، وحكاه بعض أصحابنا قولًا للشافعى وهو غريب » أ هـ .

ونلاحظ هنا أن النووى ـ رحمه الله ـ وهو من كبار علماء الشافعية يستغرب نسبة القول الثانى للشافعى ؛ لأن الثابت عن الشافعى هو القول الأول .

● رأى الظاهرية فى المسألة :

قال ابن حزم الظاهرى[١٤] ـ غفر الله لنا وله ـ: ومن سافر فى رمضان ـ سفر طاعة ، أو سفر معصية ، أو لا طاعة ولا معصية ـ ففرض عليه الفطر إذا تجاوز ميلًا ، أو بلغه ، أو إزاءه ، وقد بطل صومه حينئذ ، ولا قبل كذلك ، ويقضى بعد ذلك فى أيام أخر ، وله أن يصبومه تطوعاً ، أو عن واجب لزمه » أ هـ .

تعليق :

العجيب من أبى محمد بن حزم ـ رحمه الله ـ أنه يرى بطلان صوم الفريضة للمسافر فى رمضان ، ويرى صحة صوم التطوع فى السفر ، فإذا كان المسافر قادراً على الصوم فأى العبادتين أولى بالأداء : أداء الفريضة أم أداء النافلة ؟! وما هى العلة التى جعلت هذا الصوم صحيحاً ، وذاك باطلًا ؟!

ولا ندعى مع ذلك أن ابن حزم قال ما قال من فراغ ، لكنه وقف عند نصوص وتجاهل غيرها ، وانتهج منهجه الظاهرى المعروف ، وقد أوقعه هذا فى تناقضات ، فقبل صفحة واحدة من موضوعنا هذا وجدنا له هذه العبارة[١٥] : « .... وفيهم من هو مفسوح له فى الصوم إن قدر عليه ، وفى الفطر إن شاء : وهو المريض الذى لا يشق عليه الصوم .... » أ هـ .

فابن حزم : يرى أن المريض مفسوح له فى الصوم إن قدر على الصوم ، ومعلوم أن المرض أشد وطأة وثقلًا ، فمن المرض ما يعجز ويقعد ويشل عن الحركة ، ومنه ما يعوق ويقلل من النشاط فالمرض فى كل أحواله ابتلاء ومحنة ، والنفوس تكرهه ، وتستعيذ بالله من شره .

وأما السفر فحركة وكدح ونشاط ، وقد يكون أحياناً تريضاً وترويحاً ، ووسائل المواصلات الحديثة خففت الكثير من أعبائه وأهواله .

ولما فى الأمرين : المرض والسفر من مشقة ، ورد النص القرآنى برخصة الفطر فيها فى آية واحدة هى قوله تعالى : ﴿ ...فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ

(١٤) انظر « المحلى » جـ ٦/٥٤٤ .

(١٥) انظر « المحلى » ٦/٥٤٣ .

أَيَّامٍ أُخَرَ .... ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

لكن ابن حزم ــ رحمه الله ــ يرى : أن المريض مخير بين الصوم والفطر ، وأما المسافر فهو منهى عن الصوم[١٦] حتى لو قدر عليه ولو صام كان عاصياً ، وقد قدمنا بعض عباراته منذ قليل ، ونذكر عبارات أخر ليكون القارىء من الأمر على بينة ، فقد قال ــ عند حديثه عن المكلفين بالصوم ... (إلا أن فيهم من هو منهى « عن الصوم جملة ، ولو صام كان عاصياً كالحائض والنفساء ، والمسافر ، والمريض الذى يؤذيه الصوم ...) .

ولا خلاف فى أن الحائض والنفساء منهيتان عن الصوم ، ولا صوم لهما ، وأما المسافر والمريض فليس الأمر كما ادعى « ابن حزم » بل فى المسألة تفصيلات .

● تفسير الجمهور للآية الكريمة :

إن من كان من المكلفين مريضاً أو مسافراً : (فأفطر) فعليه قضاء ما أفطره من رمضان ، فمعنى : « .... فعدة من أيام أخر ... » أى فقضاء أو فصيام عدد من أيام أخر : يساوى عدد الأيام التى أفطرها .

● رأى الإمام الطبرى فى تفسير هذه الآية :

ما قرره « ابن حزم » فى نهى المسافر عن صوم رمضان ، وأنه لو صام كان عاصياً ، رأى كان معروفاً فى البيئة الإسلامية[١٧] منذ القرن الأول للإسلام ، وتبنته قلة من العلماء ، وأكثرهم كانوا على نقيضه ، وقد أورد الطبرى[١٨] الأحاديث والآثار الواردة فى المسألة ثم انتصف وانتصر للرأى القائل : « من صام فَحَقٌّ أداه ، ومن أفطر فرخصة أخذ بها » وهو مروى عن عطاء ــ رحمه الله ــ ثم قال[١٩] : « وهذا القول عندنا أولى بالصواب ، لإجماع الجميع على أن مريضاً لو صام شهر رمضان ــ وهو ممن له الإفطار لمرضه ــ أن صومه ذلك مجزىء عنه ، ولا قضاء عليه إذا برأ من مرضه : بعدة من أيام أخر ، فكان معلوماً بذلك أن حكم المسافر حكمه[٢٠] : فى أن لا قضاء عليه إن صامه فى سفره ، لأن الذى جعل للمسافر من الفطر ، وأمر به من قضاء عدة من أيام أخر : مثل

(١٦) انظر « المحلى » جـ ٥٤٣/٧ .

(١٧) القارىء لكلام « الطبرى » يظن أنه يرد على ابن حزم ، مع أنه سابق عليه لهذا نذكر ترجمة للإمامين ، تظهر لنا جلية الأمر :
• ولد الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى عام ٢٢٤هـ ، وتوفى رحمه الله ٣١٠هـ ، ويلقب بشيخ المفسرين ، وله كثير من المؤلفات الرائدة فى التفسير ، والتاريخ ، والفقه ، وكتابه « جامع البيان عن تأويل أى القرآن » من أهم مراجعالتفسير بالمأثور .
• وأما « ابن حزم » : فهو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم ، ولد بقرطبة ٣٨٤هـ ، وتوفى ٤٥٦هـ : إمام وفقيه ظاهرى ، وأديب ومؤلف فى مقارنة الملل والنحل .

(١٨) انظر « تفسير الطبرى » الطبعة المحققة جـ ٤٨٦/٣ .

(١٩) « الطبرى » جـ٣ ص ٤٧٠ .

(٢٠) يعنى : أن حكم المسافر هو حكم المريض .

الذى جعل من ذلك للمريض ؛ وأمر به من القضاء ، ثم فى دلالة الآية كفاية مغنية » عن استشهاد شاهد على صحة ذلك بغيرها ، وذلك قول الله ـ تعالى ذكره :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ..... ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

ولا عسر أعظم من أن يلزم من صامه فى سفره عدة من أيام أخر ، وقد تكلف قضاء فرضه فى أثقل الحالين عليه حتى قضاه وأداه .

فإن ظن ذو غباوة أن الذى صامه لم يكن فرضه الواجب ، فإن فى قول الله ـ تعالى ـ ذكره :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ..... ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ..... ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

ما ينبىء أن المكتوب صومه من الشهور على كل مؤمن : هو شهر رمضان مسافراً كان أو مقيماً ،... وأن قوله :

﴿ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ.. ﴾ [البقرة : ١٨٥]

معناه : ومن كان مريضاً أو على سفر فأفطر برخصة الله ، فعليه صوم عدة أيام أخر ؛ مكان الأيام التى أفطر فى سفره أو مرضه ، ثم فى تظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ بقوله ـ إذا سئل عن الصوم فى السفر : « إن شئت فصم ، وإن شئت فأفطر » الكفاية الكافية عن الاستدلال على صحة ما قلنا فى ذلك بغيره » .

● نقض الاحتجاج بحديث ضعيف :

ومما احتج به المانعون من الصوم فى السفر : حديث ضعيف هو : « الصائم فى السفر ، كالمفطر فى الحضر » .

* وقد تكلم الإمام ابن حجر(٢١) فى الفتح مبيناً ضعف هذا الحديث . فقال : « أخرجه ابن ماجه مرفوعاً من حديث ابن عمر بسند ضعيف ، وأخرجه الطبرى من طريق أبى سلمة عن عائشة مرفوعاً أيضاً ، وفيه ابن لهيعه وهو ضعيف ، ورواه الأثرم من طريق أبى سلمة عن أبيه مرفوعاً ، والمحفوظ عن أبى سلمة عن أبيه (موقوف) وكذلك أخرجه النسائى وابن المنذر ، ومع (وقفه) فهو منقطع « لأن أبا سلمة لم يسمع من أبيه »أ هـ .

* وتكلم الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعى ـ من المحدثين وعلماء الأحناف ـ عن هذا الحديث بشىء من الاستفاضة ، وبين أن هذا الحديث لا حجة فيه لمن احتج به . وقال ـ فى سنده ـ ما يقارب مانقلناه عن الإمام ابن حجر آنفاً ـ وكان مما قاله(٢٢) : « وفى سماع أبى سلمة من أبيه نظر ، وفى كلام ابن القطان ما يدل على عدم سماعه منه .. » وتكلم قبل ذلك عن معناه ـ حتى على

(٢١) انظر « فتح البارى » جـ ٢١٧/٤ .

(٢٢) انظر « نصب الراية لأحاديث الهداية » جـ ٤٦٢/٢ لأبى محمد الزيلعى المتوفى ٧٦٢هـ .

فرض صحته ـ فقال[٢٣] : « ولو ثبت مرفوعاً لكان خروج النبى ﷺ حين خرج فصام حتى بلغ الكديد ، ثم أفطر ، دليل » على نسخ هذا الحديث ؛ لأنه يؤخذ بالآخر فالآخرمن فعله ﷺ » .

صوم رسول الله ﷺ فى سفر وحر شديد :

ونذكر غير ما قدمنا ما رواه البخارى[٢٤] بسنده عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال : « خرجنا مع النبى ﷺ فى بعض أسفاره فى يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر ، وما فينا صائم ؛ إلا ما كان من النبى ﷺ وابن رواحة » .

وصرح مسلم[٢٥] فى إحدى روايتيه للحديث أن هذا السفر كان فى رمضان ، ولفظها : عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال : « خرجنا مع رسول الله ﷺ فى شهر رمضان فى حر شديد ... » .

وأما الرواية الأخرى عند مسلم فلفظها كلفظ الرواية السابقة للبخارى .

وإنما ذكرنا هذه الرواية لما فيها من زيادة « فى شهر رمضان » ، وقد علق الإمام ابن حجر[٢٦] على هذه الزيادة بقوله : « وبهذه الزيادة يتم المراد من الاستدلال ، ويتوجه الرد بها على أبى محمد بن حزم فى زعمه أن حديث أبى الدرداء ، هذا : لا حجة فيه لاحتمال أن يكون هذا الصوم تطوعاً » لقد رد ابن حجر على ابن حزم وكناه بأبى محمد ـ احتراماً له وتوقيراً ـ وأما ابن حزم ـ غفر الله لنا وله ـ فقد تورط فى إنكار هذه الزيادة ، وليس من بين يديه دليل صحيح يعينه عليه ، ثم وهى واردة فى صحيح مسلم .

هل هذه السفرة هى غزوة الفتح ؟

هذه السفرة التى ذكرناها آنفاً : رجح الإمام ابن حجر أنها ليست غزوة الفتح للأسباب الآتية :

١ ـ أن عبد الله بن رواحة ـ رضى الله عنه ـ الذى ورد ذكره فى هذا الحديث قد استشهد فى غزوة « مؤتة » وهى قبل غزوة الفتح ، وذلك بلا خلاف ، وإن كانت الغزوتان جميعاً فى سنة واحدة .

٢ ـ فى سياق أحاديث غزوة الفتح : أن الذين استمروا من الصحابة صياماً كانوا جماعة وفى هذا الحديث أن الذى صام مع رسول الله ﷺ هو عبد الله بن رواحة بمفرده .

٣ ـ أن هذه الغزوة ليست كذلك غزوة بدر ، لأن هذا الحديث مروى عن أبى الدرداء ولم يكن قد أسلم وقت غزوة بدر .

---

(٢٣) انظر « نصب الراية لأحاديث الهداية » جـ ٤٦٢/٢ لأبى محمد الزيلعى المتوفى ٧٦٢هـ .

(٢٤) انظر « صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى » جـ ٢١٥/٤ .

(٢٥) انظر « صحيح مسلم بشرح النووى » جـ ٢٣٨/٧ .

(٢٦) انظر « فتح البارى » جـ ٢١٥/٤ .

الإمام يفطر فى السفر ليراه الناس :

عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ قال : خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة ، فصام حتى بلغ « عسفان » ، ثم دعا بماء فرفعه إلى يديه ليراه الناس ، فأفطر حتى قدم مكة وذلك فى رمضان فكان ابن عباس يقول : « قد صام رسول الله ﷺ وأفطر ، فمن شاء صام ومن شاء أفطر » رواه البخارى[٢٨] . وقول الرواى فى الحديث : « فرفعه إلى يده » الأصل أن يقال : « فرفعه بيده » وأجاب الكرمانى[٢٩] أحد شراح البخارى بقوله : « يحتمل أن يكون المعنى : رفعه إلى أقصى طول يده ، وفى رواية أبى دواد : « فرفعه إلى فيه » وهذا أوضح . وقول ابن عباس : « ليراه الناسُ » بالرفع فى كلمة : « الناس » على الفاعلية وروى « ليُرِيَهُ الناسَ » بنصب كلمة « الناس » على المفعولية .....» .

أصحاب النبى ﷺ لم يَعِبُ بعضهم بعضا فى هذه المسألة :

ــ روى البخارى ــ بسنده ــ[٣٠] عن أنس بن مالك ــ رضى الله عنه ــ قال : « كنا نسافر مع النبى ﷺ فلم يعب الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم » .

ــ وقد روى مسلم[٣١] بلفظ آخر ــ هذا الحديث عن أبى سعيد الخدرى ــ رضى الله عنه ــ قال : « كنا نغزوا مع رسول الله ﷺ فى رمضان ، فمنا الصائم ومنا المفطر ، فلا يجد الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم ، يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن » ، وروى أن من وجد ضعفاً فأفطر ، فإن ذلك حسن . ويروى عبد الله بن أبى مليكة : أن عائشة ــ رضى الله عنها ــ حدثته بمثل هذا الحديث .

ــ ومعنى قول الراوى : « فلا يجد الصائم على المفطر ... » أى فلا يغضب عليه ، فقول العرب : وجد عليه موجدة ، أى غضب عليه .

جواز سرد الصوم حتى فى السفر :

عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ أنها قالت : سأل حمزة بن عمرو الأسلمى رسول الله ﷺ عن الصيام فى السفر ؟ فقال : « يا رسول الله إنى رجل أسرد الصوم ، أفأصوم فى السفر ، قال : صم إن شئت ، وأفطر إن شئت » . وفى رواية أخرى قال : « إنى أجد بى قوة على الصيام فى السفر ، فهل على جناح ؟ فقال ﷺ : هى رخصة من الله ، من أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » .

(٢٧) انظر « المحلى » لأبى حزم جـ ٥٥٣/٦ .

(٢٨) انظر « صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى » جـ ٢٢٠/٤ .

(٢٩) نقلًا عن « فتح البارى » جـ ٢٢٠/٤ ، ٢٢١ بشىء من الاختصار .

(٣٠) انظر « صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى » جـ ٢١٩/٤ .

(٣١) انظر « صحيح مسلم بشرح النووى » جـ ٢٣٤/٧ .

ـ قال الإمام النووى فى شرحه لهذا الحديث « فيه دلالة لمذهب الجمهور ، أن الصوم والفطر جائزان ... وفيه دلالة لمذهب الشافعى ، وموافقيه ، أن صوم الدهر ، وسرده غير مكروه ، لمن لا يخاف ضرراً ، ولا يفوت به حقاً ... لأنه ﷺ أخبر بسرده ، ولم ينكر عليه ، بل أقره عليه ، وأذن له فيه فى السفر ، ففى الحضر أولى ... ، وأما إنكاره ﷺ على عبد الله بن عمرو بن العاص ، صوم الدهر ، فلأنه علم ﷺ أنه سيضعف عنه وهكذا جرى ، فإنه ضعف فى آخر عمره ، وكان يقول « ياليتنى قبلت رخصة رسول الله ، وكان ﷺ يحب العمل الدائم ، ولو قل ؛ وكان يحثهم عليه »أ هـ ملخصاً .

كلمة توجيهية للمغتربين خارج الديار الإسلامية :

يسافر بعض المسلمين إلى الأقطار غير الإسلامية ويعملون فيها لمدد طويلة ، معلومة لهم سلفاً ، إلا أن يشاء الله شيئاً ، وهذه المدد الطويلة التى غالباً ما تكون أعواماً طوالًا تجعل لهم حكم المقيم تماماً ، فهم مستقرون فى مساكن ، استأجروها لشهور ، أو لأعوام ، ومنهم من هو موظف فى سفارة عربية وإسلامية ، ومنهم من هو موفد فى بعثة تعليمية إلى غير ذلك من الأنشطة الحيوية ، وهؤلاء واجبهم أن يكونوا دعاة للإسلام بأخلاقهم ، وسلوكياتهم ، وتطبيقهم لأحكامه ، فإذا سارع بعض من قَلَّ علمهم بالنصوص ، وضاقت أذهانهم عن التصور المستوعب للأمور ، أقول إذا قام نفر على هذه الشاكلة ، وأفتى هؤلاء بالفطر ، وترك الجُمَعُ والجماعات لأنهم مسافرون ، يكون بهذه الفتيا قد جنى على المسلمين ، وأساء إلى نفسه ، وإلى أولئك الذين غرر بهم ، والله ـ جل ذكره ـ يقول :

﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴾ [المدثر : ٣٨ ، ٣٩] .

جعلنى الله وإياكم من أصحاب اليمين .

أثر الصوم في بناء الفرد والمجتمع

لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان ●

الصوم فريضة دينية . وطاقة روحية ، وتربية نفسية : ذلك لأن الصوم عمل جليل وصبر جميل ، فإن النفس البشرية قد تكون صادقة صابرة عفيفة أبية راضية مرضية موصولة بربها الذى خلقها فسواها . وألهمها فجورها وتقواها وقال :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) ﴾

سورة الشمس

وتزكيتُها بالاعتصام بحبل الله : وبإسلام الوجه لله مع الإحسان والطاعات والإخلاص لله فى العبادات :

والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، : والله يقول :

﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾

(الآية - ٢٢ من سورة لقمان)

وقد جاءت الشريعة الإسلامية المطهرة الخالدة بكل ما يهذب الإنسان ويطهره من أدران الدنايا والخطايا ودنس الذنوب والعيوب ، وبكل ما يحميه من الخضوع المذل للشهوات الدنيئة والنزوات الرديئة لكيلا تستعبده الأهواء وتشهويه الشياطين من الإنس والجن ، إذ المسلم لا تذل رقبته إلا لله ولا يركع لأحد سواه ، وبهذا يصبح إنسانا نقيا مخلصا نقيا يصل ما أمر الله به أن يوصل

● مدير عام الوعظ والإرشاد سابقا .

وينهى عن الفساد فى الأرض ، وهذه هى صفات الأفراد الذين يتم بهم بناء المجتمعات الإسلامية المثالية التى تجمع شملها وتؤسس بنيانها على تقوى من الله ورضوان . فإن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ولأن الإسلام جعل الأمة المحمدية كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . ولأنهم قوة بناءة فهذه هى صورتهم فى القرآن الكريم :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾
(الآية ٢٩ ــ من سورة الفتح) .

لذلك فرض الله العبادات لحفظ التوازن بين مطالب الجسد والروح : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ (سورة البينة ــ ٥)

وقد تكون النفس خداعة لصاحبها ، فتصرفه عن مواطن الضعف فيها ليرضى عنها (والحالة هذه) فيذل ويضل ولا يفكر فى علاجها من عللها وآفاتها وأدوائها ، فتظل كذلك يقودها هواها ويسيطر عليها شيطانها لتعيش فى جهالات ومتاهات بسبب شرود نفسه الخداعة عن ربها وإعراض صاحبها عن ذكر الله « وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ » (الآية ــ ١٢٤ من سورة طه) .

(الصوم وصدق العزيمة)

لا ريب أن قوة الإرادة وصدق العزيمة فى تنفيذ كل ما هو خير قوة فى قلوب مَنْ اقتربوا من ربهم بطاعته هذا التقرب الذى ينأى بهم عن معصيته : فمن العجز أن يكون الإنسان مؤمنا بالله ثم هو يكسل عن آداء ما فرضه عليه ربه ، وفى ذلك الكسل ضرره ؛ لأنه قعد مع القاعدين المثبطين للهمم المعوقين للأمم ولأن الرجل القوى صاحب الهمة العالية لا ينثنى عن فعل الخير وعمل البر ، فهذا أبوبكر ــ رضى الله عنه ــ قد صمم بقوة إرادته وصدق يقينه على محاربة المرتدين ومانعى الزكاة ؛ لأنه على يقين صادق بأنه على حق فى هذا الأمر ، فقد تتلمذ على يد رسول الله ﷺ فاكتسب شدة البأس وعزة النفس فكان بحق خليفة رسول الله ﷺ الذى قال الله ــ تعالى ــ فيه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ⑨ ﴾ سورة الصف

ولو تقاعد أبوبكر عن جهادهم لتفشى فى قبائل العرب وباء الردة الفتاك ، ولم يستقم الأمر فكانت نتيجة جهاده أنْ أظهر الله على يديه دينه على الدين كله بعودة الأمة المحمدية إلى وحدتها وسلامة عقيدتها وإحياء شريعتها التى فرضت الزكاة والصوم والحج والصلاة وثبت الله بهذا الجهاد أمر الفتوحات الإسلامية فعادت « المياه إلى مجاريها » فكان من المؤمنين رجال صدقوا (بعزيمتهم) ما عاهدوا الله عليه .

وكثير من الفضائل توحى بها قوة الإرادة كالإباء والتعفف بشرف الهمة وطهارة الذمة والبعد عن المحرمات والشبهات والإقبال على أداء

الواجبات بشعور فياض ينتصر به الحق على الباطل فى كل الحالات والمجالات كإتقان العمل بانتصار مضطرد على النفس التى يقول فيها القائل :

والنفس كالطفل إن نهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وإن تعجب فعجب أمر المجاهرين بالمعاصى وبالإفطار فى نهار رمضان فى المطاعم والمقاهى بسبب ضعف ارادتهم وقلة عزيمتهم فقادتهم بطونهم لاعقولهم ؛ وويل لإنسان تبلد حسه فقهرته نفسه فقسا قلبه ، فساء حاله وخابت آماله وحبطت أعماله وأضحى همه أن يشبع نهمه ، وإذا شرد المرء عن ربه ونَسِىَ الله أنساه نفسه وتركه يتخبط فى الضلالات فتجبر وتكبر وطغى واختال ولم يراقب ربه الكبير المتعال ، وأضحى يمشى مكبا على وجهه ؛ لأن الله يقول فى هؤلاء :

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ سورة الحجر

ويقول الله ـ تبارك وتعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ سورة فصلت

(ما أحوج الناس إلى الصوم)

والنفوس التى غرقت فى الترف وانغمست فى لذائذ النعيم الزائل وشهوات الدنيا الفانية فى أشد الحاجة إلى هداية الله المربى الأعظم ـ جل جلاله ـ ليكون المسلم قوى البصيرة حسن السيرة طاهر السريرة بطاعة الله الذى كرمه وفضله ، وارتضى له الإسلام دينا ؛ وجعل الصوم عبادة قوية تضىء جوانب النفس بما يعدها للتقوى ولتلقى الفيوضات الإلهية والإشراقات الربانية ، فهو مشكاة للمؤمن ومرقاة إلى مرضاة الله وبذلك يستنير قلبه وينشرح صدره ويرتفع قدره ، فيمارس طاعة الله بيسر لأن الله حبب إليه الإيمان وزينه فى قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان فتغلب على نفسه بهداها ولم تغلبه بهواها فأضحى عبدا شكورا ؛ صوَّاما صبورا بذلك زكت نفسه بفضل الله وبرحمته ، واستراح ضميره من وخزات المعاصى التى تلاحقه بسبب ما يحدث للعصاة على ما فرطوا فى جنب الله اهمالا وكسلا من تأنيب يحس به أصحاب النفوس اللوامة التى تستيقظ من سباتها فتتوب إلى الله ـ تعالى ـ والصوم جُنَّة وجزاؤه الْجَنَّة ؛ وهو دواء وشفاء وتربية وتقوية وجهاد للوقاية من الرذائل لتستجيب النفس لنداء الفضيلة بقوة الإرادة وصدق العزيمة وبمراقبة الله ـ تعالى ـ وخشيته ، سرا وعلانية :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ ﴾ سورة النازعات

والصوم خروج من ظلمة الشهوات الحيوانية إلى السمو الملائكى ليكون الصائم إنسانا بجسده ملكا بروحه ؛ لأن التشبه بالملائكة المجبولين على طاعة الله يقرب العبد من ربه ؛ فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ؛ ولمثل عملهم فليعمل العاملون ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وللصائم عند الله أجر كبير ومقام كريم لا يخضع لتقدير لأنه هبة الكريم العظيم وهذا شأن العطاء الإلهى إذ أضافه الله إلى نفسه فقال وأنا أجزى به كما ورد فى الحديث القدسى عن سيد البشر ﷺ ؛ يقول الله ـ تعالى : « كل عمل ابن آدم فهو له ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلا

الصيام فإنه لى وأنا أجزى به ؛ للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه »[1] ولئن كانت العبادات كلها لله لكن الله قد ميز الصوم بنسبته إليه ؛ وقد بلغ من عظيم منزلته أن رسول الله ﷺ أقسم بالذى نفسه بيده « لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك »[2] .

وقال وكيع فى تفسير قوله ـ تعالى : « كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية » إنها أيام الصوم حيث تركوا فيها الأكل والشرب .

وفى قوله ـ تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر ـ ١٠)

قال بعض المفسرين إنها فى أيام الصوم أيضا فهى التى اتصف الصائمون فيها بالصبر والرضا والرجاء والدعاء والطهر والنقاء فهم الصابرون على طاعة الله إبتغاء مرضاته .

(الصلة بين الصوم والصبر)

الصوم فريضة والصبر فضيلة : وكلاهما له أجر كبير تولاه الله بنفسه بغير تقدير والله مع الصابرين والله يقول فى هذا « إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ » ويقول فى الصوم « ..وأنا أجزى به » فالتقدير فيهما هو تقدير العزيز العليم ـ جل جلاله ـ لأنه خبير بما يعانيه الصائمون والصابرون من جهاد للنفس فى مكافحة الهوى عملا بقول الله ـ عز وجل : « وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ » (من الآية ـ ٢٦ من سورة ص) .

وكل هذا إبتغاء رضوان الله القائم على كل نفس بما كسبت

﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾

سورة الملك

والزكاة كذلك فى حاجة إلى ضبط النفس بكفها عن شحها وبمقاومة البخل والأنانية .

واستئثار الإنسان بأخذ الحق المعلوم للسائل والمحروم وضمه إلى ثروته لم يوق شح نفسه .

وكذلك الحج لا بد فيه من الصبر والاحتمال وبذل الجهد والمال فى سبيل تلبية دعوة الله ـ تعالى ـ لزيارة بيته العتيق العريق .

أما الصبر فى الصلاة فإن الله ـ تعالى ـ يقول : « وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا » (من الآية ـ ١٣٢ من سورة طه) وذلك لأن الصلاة خشوع واطمئنان قلبى ونفسى وذكر وفكر وصلة بين العبد وربه وكل ذلك يحتاج للصبر والأناة ، وهكذا كل الطاعات بحاجة شديدة إلى الصبر ؛ ولا بد منه فى كل مشروع يرضى الله ، وليس من الهنات الهينات ترك الصبر ؛ ولاسيما عند النوائب ، ولا يخفى أن الزمن مشحون بالحوادث والكوارث ، فإن لم نصبر اكتوينا بنيران الجزع ولهيب الفزع والله يقول : « وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ... » (من الآية ـ ١٧ من سورة لقمان) ونسبة الصبر للأخلاق الإسلامية كنسبة الماء للحياة « وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ » (الأنبياء ـ ٣٠)

---

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه الترمذى وغيره .

وكذلك تجد الصبر لابد منه فى الانتهاء عن المحظورات والله يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ سورة البقرة

أما بعد : فإن الصائم عليه أن يصون لسانه وسائر جوارحه لأن الصوم طهارة لا تقبل التلوث فلا منازعات ولا مشاحنات ولا عبث ولا جهالات ولا غش ولا ضلالات لكنه الخلق الكريم والسلوك المستقيم كما بينه رسول رب العالمين المبعوث لهداية البشر أجمعين ، فهو يقول - صلوات الله وسلامه عليه : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » وفى رواية قالوا أى الإسلام خير قال من سلم المسلمون من لسانه ويده . رواه البخارى .

وللتربية الإسلامية السليمة أثرها فى حياة المسلم الذى يخشى الله إينما حَلَّ وأنَّى وُجد ، وبذلك يحيا حياة طيبة آمنة مطمئنة لا يضل فيها ولا يشقى ولا يذل ولا يخزى، فلا يخدعه بريق الأهواء ولا إغراء حب المال الحرام لعلمه بأن التقوى تنفع الذرية وتعمر الديار وتسعد المجتمعات . وتحمى الأرزاق من الـــزوال . وبالتقوى يستتب الأمن ويستقر الأمر وهى خير ما تُساس به الأفراد وتسعد به الأمم وهى التى تقيم صروح العدالة وتهذب النفوس وتحقق المثالية ولو حفظ المسلمون حدود الله - تعالى - فى أعمالهم وأقوالهم لسارعوا إلى الخيرات ، واختفت العداوات ، ولو راقبوا ربهم لصانوا عقولهم وأنسابهم وأعراضهم وأموالهم وأبدانهم ولحفظوا ألسنتهم وأسماعهم من فحش القول والأكاذيب ، وأبصارهم من المحرمات فاحفظ عليك - أخى المسلم - لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك ، وقل : آمنت بالله ، ثم استقم .

الإشاعة بضاعة المنافقين

بقلم : فضيلة الشيخ/ معوض عوض إبراهيم

الخبر كلام يحتمل الصدق والكذب ، يرسله اللسان الذى قيل فيه :

إن الكـــــلام لفـــــى الفـــــؤاد وإنما
جعـــــل اللـــــسان على الفـــــؤاد دليـــــلا

والخبر ـ لا ريب ـ يخالف الإشاعة التى هى كلام من الباطل يلقيه لسان يتلقفه إنسان ويشيعه ويذيعه قبل أن يستيقن حقيقته كما قال ـ تعالى :

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ . سورة النور ـ آية : ١٥

وكم أحسن بعض المفسرين فيما قالوا : « فائدة قوله ـ تعالى : ﴿ بألسنتكم ﴾ و ﴿ بأفواهكم ﴾ الإشارة إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب ؛ لأنهم لم يعلموا حقيقته بقلوبهم .

والإشاعة عمل المرجفين ، وبضاعة المنافقين الذين لا يريدون للحق أن يعلو ولا للنفوس أن تأمن فى مجتمع يتواصل بكلمة التوحيد ، وشريعة الخلود ، ووشائج الإخوة الإنسانية ، وأواصر الأخوة الإيمانية الحانية ، ويأبى الذين فى قلوبهم مرض إلا أن ينقسم الصف أو تشيع الفرقة ، ويستمر الخُلف ، فتتمزق الأمة وتتمكن منها عدوها ، يقول ﷺ : « يوشك أن تدَاعَى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها » قال قائل : أوَمِنْ قِلَّة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ فقال : لا ، بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، قالوا وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت » رواه أبو داود وأحمد فى المسند .

وغثاء السيل لا يُنَاط به كبير أمل ، والأمة فى ذلك المستوى لا تملك مقومات الأمة الحقة وقد جهلت وظيفة اللسان ، وخطر الكلمة ، فلا عجب أن تَحُولَ الغفلة دون أن نَعرف لِلسَانِ قدره ، وللكلمة أثرها فى شدِّ العُرَى وتوطيد

الكيان ، ودعم الصف فى الجماعة التى قطعت الطريق على من يوغر فيها الصدور على الصدور ، ويقلبوا لها الأمور ، ويبغونها فتنة ، حتى ترى الأشياء على غير حقيقتها ، وتلك محنة عرفها الذى قال :

يُقضَى على المرء فى أيام محنته
حَتى يَرى حَسَناً ما ليس بالحسن

فالكلمة لها مسئولية ، وكذلك الجوارح ، يقول ـ تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ . سورة الإسراء ـ آية : ٣٦

ولقد نهى الله عن القول بغير علم ، وعن الظن السيىء ـ الذى هو التوهمّ والخيال ـ كما قال الإمام ابن كثير .

وانظر إلى قول رسول الله ﷺ : « إياكم والظنَّ فإن الظن أكذب الحديث » وقوله : « بئس مطية الرجل : زعموا » ـ أحمد وأبوداود ، عن حذيفة ، والله تعالى يقول :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ سورة الحجرات

إنها السورة التى وصف الله فيها رجل ـ فى لحظة من لحظات الضعف البشرى ـ تكلّم عن هَوَى فقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ .

سورة الحجرات ـ آية : ٦

لقد كادت كلمات ذلك الرجل تُعقِب شراً ، لولا أن هَدَى الله مصطفاه ، فانفعل بما جَبَلَهُ الله عليه من عِلم ، وحرص على تبيّن الأمور قال ـ تعالى :

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ... ﴾ سورة الحجرات ـ آية : ٧

ولو أنصف الإنسان من نفسه لَعَلمَ أنه أحق بالملام ممن انتقد هم نبأ أقواله وأفعاله ، فالقول عملٌ ـ لا ريب ـ وعَمَلُ جارحة اللسان : النطق التى قالوا فيها « المرء مخبوء تحت لسانه » .

وما تزال الكلمة تتحرك فى خاطرى وخاطرك ونحن نملكها ، فإذا انطلق بها اللسان ، وانفرجت عنها الشفتان ملكتنا ، وصارت شاهدا للناس علينا ، ورحم الله سيدنا « عبدالله بن مسعود » فقد قال : « ما من شيء أحق بطول الحَبْس من اللسانِ » .

وكم جهل أسْرَى ألسنتهم أن الله ـ تعالى جعلها فى أفواههم وراء سجنَين من أسنانهم وشفاههم !! وكم سعد بالكلمة الطيبة أقوامٌ فكروا قبل كل شيء فى كل كلمة منطوقة فرجحت فى ميزان إيمانهم ، ولَطُفَ وقعها فى وجدانهم ، وأخذت سبيلها إلى الآذان والأذهان فأشاعت خيرا ، وأضاءت فى دنيا الناس نورا ، أحق الحق ، وأبطل الباطل ، وعلى عكس ذلك ما تغفل الكلمة التى تنطلق بغير علم ، فهى حصائد الألسنة فى قول رسول الله ﷺ لمعاذ ـ رضى الله عنه ـ « هل يكب الناس على مناخرهم فى جهنم إلا حصائد ألسنتهم ؟ » أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه .

إن مستصغر الشرر إن لم نسارع إلى إخماده وإيقاف مده عند اللحظة الأولى ؛ استحال نارا تأتى على الأخضر واليابس ، وكذلك تفعل الكلمة الفاجرة فى المجتمعات التى غَفَلت عن هدايات الله ـ تعالى ـ فى مواجهة الحَدث الجلل الذى عَرَضَته سورة النور .. قال ـ تعالى :

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ سورة النور ١٦

إن المتكلم بالباطل شيطان ناطق . وإن الساكت على الحق شيطان أخرس ، ولا قيام للباطل إلا فى غفلة الحق .

إن الأكاذيب والمفتريات والشائعات تجد سبيلها فى دنيا النفاق ، والمؤمن الحق يقول بالحق ويتكلم بالثقة واليقين ، وتنفعه من نفسه عِبرة « الأذنين واللسان الواحد » ، فهو يسمع أضعاف ما يتكلم .

ولنا أن ننصح برأى إمام دار الهجرة مالك بن أنس ـ رضى الله عنه ـ « إذا هممت بأمر ففكر فى عاقبته ، فإن كان رشداً فأمضه ، وإن كان غيا فانته عنه » والله ـ تعالى ـ يقول :

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾

سورة النساء ـ آية : ٨١

يَعْلَمُ سبحانه كل ذلك منهم وتكتب ملائكته عليهم حتى يجزيهم بما كانوا يعملون .

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٢٤ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ٢٥ ﴾ . **سورة النور**

والإمام ابن كثير يعرض قول الله ـ تعالى فى المنافقين .

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

سورة النساء ـ آية : ٨٣

فيقول : « إن الله ينكر على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها ، فيخبر بها ويفشيها ويَنْشرها ، وقد لا يكون فيها صحَّة » وأورد من مقدمة شرح صحيح مسلم ما رواه أبوهريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » وذكر الحديث المتفق عليه : أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حين بلغه إن الرسول طلَّق نساءه . فجاء من منزله حتى دخل المسجد ، نوجد الناس يقولون ذلك ، فلم يصبر حتى استأذن على النبى ﷺ فاستفهمه أطلَقت نساءك ؟ فقال : لا .. فقلت : الله أكبر .. وذكر الحديث بطولِهِ .. كما روى مسلم « فقلت أطلقتهن ؟ فقال : لا ، فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتى .. لم يُطلق رسول الله ﷺ نساءه » ونزلت هذه الآية :

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾ **حتى قال : فكنت أنا استنبطتُ ذلك الأمر**

فقد استخلصه ـ رضى الله عنه ـ واستخرجه من مَعْدنِهِ ، من استفهامه رسول الله ﷺ ، فليت المجتمعات المسلمة حين تبلغها الشائعات تسارع إلى وأدها فى مهدها حتى لا تكون فتنة ، وحتى لا يشيع فساد ويسيطر شرّ ؟ ولله عاقبة الأمور ..

حقيقة التأمين .. وأركانه .. وأنواعه

٤

للدكتور/ عبدالله مبروك النجار

ثالثاً ــ تأمين الأشخاص :

وهذا النوع من التأمين يستهدف دفع مبلغ معين من النقود إذا ما حدث خطر معين للإنسان يهدد وجوده أو سلامته ، فموضوعه هو شخص المؤمن عليه وهو نوعان :

١ ــ التأمين على الحياة : ويراد به إما مواجهة خطر الموت ، وهذا هو التأمين لحال الوفاة ، أو عند البقاء عند سن معينة ، وهذا هو التأمين لحال الحياة ، وقد يكون التأمين على الحياة لأجل محدد ويدفع المؤمن مبلغ التأمين سواء كان حياً أو ميتاً ، والتأمين على الحياة له ثلاث حالات[٣٩] :

الحالة الأولى : التأمين لحالة الوفاة .

الحالة الثانية : التأمين لحالة البقاء .

الحالة الثالثة : التأمين المختلط .

الحالة الأولى ــ التأمين لحالة الوفاة :

وهذه الحالة من التأمين يذكر فقهاء القانون لها ثلاث صور ، هي التأمين العمرى ، والتأمين المؤقت ، وتأمين البقيا .

الصورة الأولى ــ التأمين العمرى :

وفى هذه الصورة يدفع المؤمن مبلغ التأمين للمستفيد عند وفاة المؤمن على حياته ، أياً كان الوقت الذى تحدث فيه الوفاة ، فهو تأمين عمرى ، لأنه يبقى طول عمر المؤمن على حياته ، ولا يستحق مبلغ التأمين إلا عند حدوث هذه الوفاة مهما طال عمره[٤٠] .

الصورة الثانية ــ التأمين المؤقت :

. وفيه يدفع المؤمن مبلغ التأمين للمستفيد إذا مات المؤمن على حياته فى خلال مدة معينة ، فإن لم يمت فى خلال هذه المدة برئت ذمة المؤمن واستبقى أقساط التأمين التى قبضها .

الصورة الثالثة ــ تأمين البقيا :

وهو عقد يلتزم بموجبه المؤمن ، فى مقابل أقساط بأن يدفع مبلغ التأمين فى وقت معين إذا كان المؤمن على حياته قد ظل حيا إلى ذلك الوقت ، ويغلب أن يكون المؤمن على حياته هو المستفيد . فيستحق مبلغ التأمين إذا بقى على قيد الحياة عند حلول الأجل المعين فى وثيقة التأمين ، أما إذا مات

(٣٩) د. السنهورى ــ الوسيط السابق فقرة ١١٨ ، د. أحمد شرف الدين ــ ص٢٦ ، د. حسام الأهوانى ــ ص٢٥ ، د. عبدالمنعم البدراوى ــ فقرة ١١٩ ، د. توفيق فرج ، ص١١٤ ، د. عبدالرازق فرج ــ ص٢٥ وما بعدها .

(٤٠) د. عبدالناصر العطار : المرجع نفسه ــ ص٩ .

قبل ذلك فإن التأمين ينتهى ، وتبرأ ذمة المؤمن ، ويستبقى أقساط التأمين التى قبضها ، ويبدو أن حق المستفيد فى التأمين لحالة البقاء حق احتمالى غير مؤكد ، إذ أن مبلغ التأمين قد يستحق إذا بقى المؤمن على حياته حياً عند حلول الأجل المعين وقد لا يستحقه إذا مات المؤمن على حياته قبل ذلك .

الحالة الثانية ــ التأمين لحالة البقاء :

وهو عقد يلتزم بموجبه المؤمن ــ فى مقابل أقساط ــ بأن يدفع مبلغ التأمين فى وقت معين إذا كان المؤمن على حياته قد ظل حيا إلى ذلك الوقت ، ويغلب أن يكون المؤمن على حياته هو المستفيد ، فيستحق مبلغ التأمين إذا بقى على قيد الحياة عند حلول الأجل المعين فى وثيقة التأمين ، أما إذا مات قبل ذلك فإن التأمين ينتهى ، وتبرأ ذمة المؤمن ، ويستبقى أقساط التأمين التى قبضها ، ويبدو أن حق المستفيد فى التأمين لحالة البقاء حق احتمالى غير مؤكد ، إذ أن مبلغ التأمين قد يستحق إذا بقى المؤمن على حياته حيا عند حلول الأجل المعين وقد لا يستحقه إذا مات المؤمن على حياته قبل ذلك .

الحالة الثالثة ــ التأمين المختلط :

وهو عقد يلتزم المؤمن بموجبه فى مقابل أقساط بأن يدفع مبلغ التأمين ، رأس مال أو إيراداً مرتباً إلى المستفيد إذا مات المؤمن على حياته فى خلال مدة معينة ، أو إلى حياة المؤمن على حياته نفسه إذا بقى حياً عند إنقضاء هذه المدة المعينة ، فهو يجمع بين التأمين لحالة الوفاة إذا مات المؤمن على حياته ، فى خلال المدة المعينة ، والتأمين لحالة البقاء إذا مات المؤمن على حياته حياً ، عند انقضاء هذه المدة[٤١] .

٢ ــ التأمين من الإصابات : وهو يهدف إلى تأمين الشخص ضد خطر الحوادث التى تمس سلامة جسمه ، والتى تنجم من حادث خارجى قد يؤدى إلى الموت أو العاهة أو العجز الكلى أو الجزئى الدائم أو المؤقت .

٣ ــ التأمين من المرض : وهو يدخل ضمن تأمين الأشخاص ، وذلك للتأمين ضد المرض ، وفى الحدود التى يغطى فيها التأمين العجز الناتج من المرض .

٤ ــ تأمين الزواج وتأمين الأولاد : والأول يغطى النفقات التى يستلزمها زواج المؤمن له أو المستفيد ، إذا تزوج قبل أن يبلغ سناً معينة ، أما الثانى فيغطى نفقات ولادة طفل للمؤمن له خلال مدة التأمين ، ومن هذا أيضاً تأمين المهور ؛ كأن يؤمن الأب لصالح ابنه الذى يستحق مبلغ التأمين إذا بلغ سناً معينة تكون عادة هى سن الزواج كى يتمكن من دفع مهر زواجه[٤٢] .

نتائج تقسيم التأمين إلى تأمين أشخاص وتأمين أضرار :

يعتبر التأمين من الأضرار تأميناً تعويضياً ، يخضع تقدير مبلغ التأمين فيه لمقدار الضرر ، أما

---

(٤١) المرجع السابق ــ ص١٠ ، د. عبدالرازق السنهورى ــ ص١٣٩٠ ، د. حسام الأهوانى ــ ص٢٥ ، ود. عبدالمنعم البدراوى ــ ص١٨٠ ، د. أحمد شرف الدين ــ ص٢٦ .

(٤٢) د. أحمد شرف الدين ــ المكان السابق .

تأمين الأشخاص فإنه يستلزم دفع مبلغ التأمين المحدد سواء وقع ضرر أم لا .

ففى تأمين الأضرار : يلتزم المؤمن بتعويض الضرر الناتج عن الحادث فى حدود مبلغ التأمين ولا يجوز أن يتعدى العوض مقدار الضرر الحاصل بالفعل ، أى أن التعويض يقدر بحسب جسامة الضرر الناشىء عن الخطر المؤمن منه ، فتسرى عليه قاعدة النسبية ؛ حيث لا يجوز أن يكون هذا التأمين اداة اثراء واغتناء ، ولهذا يلزم المستأمن بإثبات وقوع الضرر بجانب إثبات وقوع الخطر ، كما لا يجوز للمستأمن أن يجمع بين مبلغ التأمين ودعوى التعويض ضد الغير الذى يسأل عن الحادث ، حيث حل المؤمن محل المستأمن فى الدعوى ضد من تسبب فى وقوع الضرر ، وقد نصت على هذا المادة (٧٧١) مدنى بقوله : « يحل المؤمن قانوناً بما دفعه من تعويض عن الحريق فى الدعاوى التى تكون للمؤمن له قبل من تسبب بفعله فى الضرر الذى نجمت عنه مسئولية المؤمن ، ما لم يكن من أحدث الضرر قريباً أو صهراً للمؤمن له ممن يكونون معه فى معيشة واحدة ، أو شخصاً يكون المؤمن له مسئولا عن أفعاله » .

وفى تأمين الأشخاص : لا يقاس مبلغ التأمين بمقدار الضرر ولكنه يحدد سلفاً عند إبرام العقد ، وهذا التحديد نهائى يدّفع بلا نقص أو زيادة ولا تسرى عليه قاعدة النسبية ، وفى هذا النوع من التأمين يجوز الجمع بين مبلغ التأمين والتعويضات الأخرى ، ومن المسئول عن الحادث ولا يجوز للمؤمن أن يحل محل المؤمن له أو المستفيد قبل المسئول ، وقد نصت على هذا الحكم المادة (٧٦٥) مدنى ، كما يجوز الجمع فى هذا التأمين بين العديد من عقود التأمين ، لأن قيمة الشخص المؤمن عليه كقاعدة عامة لا حدود لها ، ومن ثم فإنه يجوز أن يبرم شخص عقود تأمين متعددة على الحياة ، ويكون للمستفيد أن يقبض كل مبالغ التأمين فى جميع الحالات فكل مؤمن يلتزم فى النهاية بمبلغ التأمين ، ونظرا لهذا فإن هذا النوع من التأمين يجعل لشخصية المتعاقد اعتباراً وقت إبرام العقد من ناحية حالته الصحية وعمره ، ولهذا يوقع عليه كشف طبى للتأكد من سلامة صحته ، وهذا غير موجود فى تأمين الأضرار .

موقف الشريعة الإسلامية من التأمين :

بعد بيان نظام التأمين فى فقه القانون ، يكون من المنطقى أن نردفه ببيان موقف التشريع الإسلامى من هذا النظام ، وفى نظرنا ، أن هذا النظام يأتلف أولا : من فكرة ، وثانياً : من أساليب تنفيذ هذه الفكرة .

أولا ــ فكرة التأمين :

أما فكرة التأمين فإنها تتمثل فى كونه مبدأ يسعى لتحقيق أهداف التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع ، ولاشك أن كلا من التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع ، مما يتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية العامة ، وتدعوا إليها نصوصها الجزئية ، ولهذا فإن التأمين كفكرة تدور حول تلك الغاية الشرعية ، وتستهدف تحقيقها ربما لا يخالف فى شرعيته أحد من الباحثين .

ولو كان الأمر متوقفاً عند هذا الحد ما كانت هناك مشكلة تستدعى البحث ، وتقتضى الإجتهاد

لمعرفة مدى مشروعيته ، ولكن الغاية شيء والوسيلة التى تؤدى إلى تلك الغاية شيء آخر ، والشريعة الإسلامية حين حددت الغايات والمقاصد ، بينت الطرق والأساليب التى توصل لتلك الغايات ، ولهذا حتمت أن يكون المقصد مشروعاً ، والوسيلة التى توصل إليه مشروعة كذلك ، فالتشريع الإسلامى لا يعرف المبدأ القائل : بأن الغاية تبرر الوسيلة ، إلا بالنسبة للوسائل المسكوت عنها فى الشرع(٤٣) .

ولا يجوز فى منهج الإستدلال الصحيح ، أن يستدل بشرعية الغاية على جواز كل ما يوصل إليها من وسائل ، مع إهمال الأدلة الشرعية المانعة من بعض هذه الوسائل ، وقد استبان من الدراسة أن القائلين بمشروعية نظام التأمين ، قد استدلوا بشرعية غايته من التعاون والتضامن على شرعية عقود التأمين ، مع أنهم يعلمون بل ويسلمون أن تلك العقود تقوم على الغرر والمخاطرة وتتضمن الربا ، وكان من الصواب أن يقولوا : إن عقود التأمين ، إذا تضمنت الغرر والربا والمخاطرة ، كانت عقوداً باطلة ، وإن كانت فى زعم البعض محققة للتعاون والتضامن ، وإذا كانت خالية من الغرر والربا ، كانت صحيحة ، دون الإستناد إلى أنها تؤدى إلى التعاون والتضامن ، لأن الأصل فى العقود والتصرفات هو الحل والجواز ، والحظر والمنع ؛ استثناء لا يثبت إلا بالدليل(٤٤) .

والخلاصة أن التأمين كفكرة مجردة عن وسائلها ، تستهدف التضامن والتعاون يعد مشروعاً ، وأن حكمه ليس بحاجة إلى بحث تستهدفه تلك الدراسة ، وأن شرعيته لا تستلزم بالضرورة شرعية ما تضمن الغرر من العقود التى توصل لتلك الفكرة وتعمل على تحقيقها .

ثانياً ـ وسائل التأمين :

وأما بالنسبة لوسائل التأمين فقد استبان لنا أن تلك الوسائل يمكن ارجاعها إلى الأنواع الثلاثة الآتية :

النوع الأول ـ التأمين الاجتماعى :

وهو التأمين الذى تقوم به الدولة نفسها أو تعهد بإدارته إلى احدى هيئاتها ، ويقصد به تأمين طبقات الشعب ضد أخطار مهنة معينة ، كتأمين العمال ضد البطالة ، والمرض والعجز ، والشيخوخة ، وتقوم به فى مصر الهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية .

النوع الثانى ـ التأمين التبادلى :

وهو الذى تقوم به الجمعيات التعاونية لتبادل التأمين ، وهى جمعيات لا تهدف منه إلى استثمار المال والحصول على الربح ، وليس فيها بائع أمن وطالب أمان ، بل كل عضو فى هذه الجمعيات مؤمن ومؤمن له يبذل الاشتراك بقصد التعاون وبذل التضحية ، ومن غير قصد إلى تثمير رأس مال أعده صاحبه للتنمية والاستغلال ، وإن كان شيء من ذلك ، فمن غير قصد ولا هدف .

النوع الثالث ـ التأمين بقسط ثابت (أو التأمين التجارى) :

وهذا النوع من التأمين هو الذى تقوم به شركات التأمين ، وهى شركات قد أقيمت برأس

(٤٣) فى هذا المعنى : د. حسين حامد ـ ص٤٤ وما بعدها .

(٤٤) المرجع نفسه ـ ص٤٥ .

مال قدمه المساهمون فيها بقصد الربح من ورائه وشركة التأمين مستقلة تماماً عن المؤمن لهم ، وهى التى تتعاقد معهم ، ومصالح الطائفتين فى علاقاتهم تختلف وتتعارض .

وهذه الأنواع الثلاثة ، هى محل البحث ، ومناط وجود الحكم الشرعى الذى يختلف من نوع إلى آخر من أنواع التأمين ، وذلك بحسب خلوه من الغرر أو وجوده فيه ، أو كان فيه غرراً ولكن الشارع أهدر اعتباره لغاية أسمى ، أو بدليل أقوى من أدلة تحريم الغرر ، ومعلوم أن الشارع سبحانه ، قد أهدر اعتبار الغرر فى عقود التبرع ، تشجيعاً على فعله ، وحثاً للناس على عمل الخير ، ولأن المتبرع له لن يضار من الغرر ، لأنه لم يبذل فى مقابله شيئاً ، وسوف نجلى تلك المسألة أكثر خلال الدراسة ، وبالنظر فى النوعين الأولين ، وهما التأمين الاجتماعى ، والتأمين التبادلى ، نجد أنهما يلتقيان فى هدف واحد ؛ هو التكافل والتعاون الذى يبعد عن مجال الربح والتجارة ، ويمكن جمعهما تحت مسمى : التأمين التعاونى ، وهما بهذا المعنى يقابلان النوع الثالث وهو التأمين التجارى ، الذى يستهدف الربح بالدرجة الأولى .

الحكم الشرعى للتأمين التعاونى

والتأمين التعاونى يندرج تحته نوعان من التأمين ، هما التأمين التبادلى ، والتأمين الاجتماعى ، ورغم أن الفكرة فى هذين النوعين واحدة ، وهى تحقيق التكافل والتعاون بين مجموع المؤمنين دون توخى الربح ، إلا أن التأمين الاجتماعى تقوم به الدولة ، والتأمين التبادلى تقوم به جمعيات تعاونية تنشأ لهذا الغرض وليس بخاف أن تحديد نطاق التعاون فى التأمين يتوقف إلى حد كبير على شخص القائم به (المؤمن) ، ولهذا يكون من المنطقى أن نقسم هذا الباب إلى فصلين : نخصص أولهما : لبيان الحكم الشرعى للتأمين التبادلى ، ونخصص ثانيهما : لبيان الحكم الشرعى للتأمين الاجتماعى الذى تقوم به الدولة .

الحكم الشرعى للتأمين التبادلى

تكاد كلمة الكاتبين تتفق على جواز التأمين التبادلى الذى تقوم به جمعيات ، أو مجموعة من الأفراد على تعويض الأضرار التى قد تلحق بعضهم ، وهو تعاون على البر ، كما أنه تبرع فى الأصل ، ولما كان كذلك فإنه لاتفسده الجهالة الفاحشة فى تحديد مبلغ التأمين ، كما لا يفسده الغرر فى إستحقاق مبلغ التأمين ، ولا تعتبر زيادة مبلغ التأمين فيه عن الأقساط ربا ، لأن هذه الزيادة ليست فى مقابل الأجل ، وإنما هى تبرع لتعويض أضرار الخطر المؤمن منه ، ولهذا لم أقرأ لفقيه من فقهاء الشريعة الإسلامية ما يحرم هذا النوع من التأمين ، بل أن بعض الفقهاء قد دعا إلى العمل به(٤٥)

---

(٤٥) الشيخ محمد أبو زهرة ، والشيخ عبد الرحمن عيسى ، والصديق الضرير ـ أسبوع الفقه الإسلامى بدمشق ـ صفحات ٥٢١ ، ٤٧٠ ، ٤٤٩ على التوالى ، وراجع : د. عبدالناصر العطار ـ السابق ـ ص ٧١ ، د. حسين حامد حسان ـ السابق ـ ص٤٦ وما بعدها وراجع : د. رمضان حافظ عبدالرحمن ـ فى كتابه موقف الشريعة الإسلامية من الميسر والمسابقات الرياضية ـ ص١٧٦ ، حيث يرى أن هذا النوع من التأمين يحتاج لفهم حقيقة وعرض صوره على أحكام الشريعة وقواعدها حتى يتبين لنا حكمه من الحل والحرمة ؛ لكن بعض العلماء المحدثين قد أفتى بحله والمسئولية أمام الله ـ تعالى ـ على من أفتى لا على من نقل .

ودليل الجواز فى هذا النوع من التأمين :

أن أساس المنع فى التأمين هو اشتماله على الغرر الذى نهى الشارع عنه ، ونهى الشارع عن الغرر ينطبق على العقود التى يقصد بها المعاوضة ، لأن النهى عن الغرر ورد فى عقد البيع وهو عقد معاوضة ، فكان حكم النهى شاملا لجميع المعاوضات ، أما التبرعات فقد بقيت على أصل الحل والجواز وإن دخلها الغرر عند من يعتد برأيه من الفقهاء

وواضح من بيان طبيعة التأمين الذى تمارسه جمعيات التأمين التبادلى ، أن هذا النوع من التأمين لا يقصد به المعاوضة ، وإنما هر انفاق تعاونى يقصد التضامن بين جماعة من الناس يتعرضون لأخطار من نوع واحد فى معاونة من تعرض منهم للخطر على تفادى آثاره بدفع مبلغ مما تعاون الجميع فى جمعه يكفى لجبر ما لحقه من ضرر هذا الخطر ، فهذه الجمعيات لا تهدف من وراء عملية التأمين إلى الربح فليس فيها مؤمن ومستأمن ، بل جميع أعضاء هذه الجمعيات مؤمنون ومستأمنون فى نفس الوقت ، وما يدفعه كل عضو فى هذه الجمعيات من اشتراك يقصد به التبرع لمن لحقه ضرر من جراء خطر معين من أعضاء جمعيته[٤٦].

والثابت أن المتبرع إذا تبرع لجماعة وصفت بصفة معينة فإنه يدخل فى الاستحقاق مع هذه الجماعة إذا توافرت فيه هذه الصفة ، كمن تبرع لطلاب العلم ، فإنه يستحق نصيبا فى هذا التبرع إذا طلب العلم ، ومن تصدق أو وقف على فقراء مكة ، دخل فيهم واستحق معهم إذا صار فقيرا ، وعلى ذلك فباذل القسط أو الاشتراك فى تلك الجمعيات يعد متبرعا .

وقد يقال بأن المشتركين فى هذه الجمعيات ، لا يعرفون على وجه التحديد عند دفع الأقساط مقدار ما يخصهم من مبالغ تلزم لجبر من وقع عليه الضرر من أعضاء الجمعية لأنهم يدفعوم اشتراكا محددا فى بداية العام ، ثم تحسب التعويضات التى دفعت لمن وقع عليه الضرر من أعضاء الجمعية ، فما نقص من قيمة اشتراك العضو عما يخصه من هذه التعويضات طولب به وما زاد رد إليه وهذا غرر .

وجواب ذلك : أن هذه الجمعيات تقوم على التبرع والتعاون وبذل المال ، وليس بشرط فى جواز التبرع أن يعرف للتبرع ابتداء مقدار ما يتبرع به على وجه التحديد وهذا معنى قول الفقهاء : إن الغرر والجهالة يغتفران فى التبرعات تشجيعا على فعل الخير من جهة ، ولعدم تضرر المتبرع إليه بالغرر والجهالة من جهة أخرى ؛ لأنه لم يبذل عوضا فى مقابل هذا التبرع[٤٧].

(يتبــع)

(٤٦) د. حسين حامد حسان ـ السابق ـ ص ٤٧ ، د. أحمد شرف الدين ـ ص ٢١ .

(٤٧) المرجع نفسه ، د. عبد الناصر العطار ـ المرجع السابق .

من أعلام الأزهر

محمد بخيت المطيعي

علم الإفتاء في عصره

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

الجزء الأخير

ألَف الأستاذ الشيخ محمد بخيت المطيعي كتبا كثيرة منها : إرشاد الأمة إلى أحكام أهل الذمةّ ، وهو كتاب ينصف الإسلام ممَنْ أشاعُوا عنه التعصب والعداء لغيره ظلماً وبهتانا ، وكتبا شتى تتحدث عن الإسراء والمعراج والوقف والطلاق ، مم اهتّم به معاصروه وأثاروا حوله نوعا من النقاش ، فحاول الشيخ أن يبدى رأيه على طريقته الخاصة ، فى جمع الأسانيد والاستشهاد بالنصوص ، أما أثره الأهم فهو ما سجله من فتاَوى فقهية جَمعت وزارة الأوقاف بعضها فى المجلدات الأولى من سلسلة الفتاوى الإسلامية ونشرت المجلات الإسلامية بعضا منها وتفرق بعض ثالث لدى مَن أرسلتْ إليهم الفتوى فى رسائل خاصة ! وحَين أعرض لما قرأته من هذه الفتاوى أقف عند بعضها ممّا كان نادراً فى بابه ، لأنهّ يدلّ على سعة النظر وصواب الرأى .

وفى طليعة ما أشير إليه فتواه الخالدة حين سألته وزارة المالية بتاريخ ١٩٢٠/٢/٢٥ عن عَريضة مرفوعة من امرأة فقيرة لا تملك شيئاً وليس لها قريب ما يستطيع أن يعولها مع تقدم السن ، وضعف البنية وهى تطلب من الدولة نفقة شهرية باعتبارها مواطنة مصرية ، فَدَرَس الشيخ الكبير الموضوع من جوانبه الفقهية وقوّاه بالسند القانونى حين ذكر أن بيت المال (وزارة المالية) تُجبى الأموال من مرافق مختلفة حددها بالاسم ، ومنها التركاتُ التى لا وارث لها أصلا ، أوْ لَها وارث ويبقى شىء من التركة .

وهذا النوع على المشهور من المذاهب يُصرف للفقراء الذين لا أولياء لهم ومصرفه لكل عاجز عن الكسب ومتى كانت المرأة فقيرة محتاجة وليس لها عائل كان الحق لها أن تأخذ من مصارف الخراج الخاص بالأراضى الزراعية ومن ضرائب الجمارك

ومن التّركات التى لا وارث لها فيجبُ على الحكومة أن تُعطيها الكفاية من مرفقى الضرائب أوِ التركات[1] .

ولم تكن الحكومة متوقعة هذا الرد الحاسم فأبطأت فى التنفيذ ، ولكن ما أثاره الشيخ الأكبر قد أحدثَ صداه لدى بعض القضاة بالمحاكم الشرعية ، يقولُ المحامى الكبير الأستاذ عزيز خانكى مشيرا إلى قضية مماثلة رَفَعَتْها سيدة مريضة متقدمة فى السن تطالب الحكومة بالنفقة عليها بعد أن عجز عائلها وتقطعت عنها أسباب الرزق : يقول الأستاذ خانكى[2] : « والواقع أن القضية رفعت سنة ١٩٢٠ أمام محكمة نجع حمادى الشرعية ، فحكمت المحكمة بتاريخ ١٢/٤/١٩٢٠م برياسة فضيلة الأستاذ الشيخ محمد فرج السنهورى « وزير الأوقاف وعضو مجمع البحوث فيما بعد » بإلزام وزير الماليّة باعتباره والى بيت المسلمين بأداء النفقة التى فرضْتها المحكمة ، على أن يكون المفروض إلى المدعة دنيا على زوجها يرجع به وزير المالية إليه » هذا ما قرره الأستاذ السّنهورى متأثراً بفتوى المرحوم الأستاذ الشيخ بخيت ، وقد أراد بالرجوع إلى الزوج احتمالا لغناه فيما بعد ، لأنه فقير عاجز لا يملك شيئا ، وذلك تخفيف لوقع الحكم على المسئولين ، ومع ذلك فقد عارض التفتيش القضائى الشرعى حكم الأستاذ ، وأرسل مذكرة المحاكم الشرعية بعدم سماع مثل هذه الدعاوى ؛ لأنها غير ملزمة ! وكلمة غير ملزمة مما يحار أمامها العقل ، فالمدعية فقيرةٌ مريضة والدولة عليها حق الرعاية ، وباب النفقة حّددُه الشيخ بخيت ، وحصره فى ضرائب الأرض والجمارك والتركات التى لا وارث لها ! والمحكمةُ شرعيةٌ لا أهلية ، فكيف يحدث هذا ؟ .

وبعد أكثر من عشرين عاما ، وفى أثناء الحرب العالمية الثانية ، ظهر ما يسّمى بمشروع (بيفردج) الخاص بالتأمين الاجتماعى فى بريطانيا وبه نصٌ يقرر حق الفقراء والعجزة والضعفاء فى مال الدولة إذ لابدّ من رعاية حّقِ كل مواطن وقام الكاتبون فى مصر يتحدثون عن إنسانية المشروع وأنه سبق ظافر لمدينة الغرب ، فهل عَلم هؤلاء ، فتوى الشيخ محمد بخيت ، وُحكْم الشيخ محمد فرج السنهورى ! قبل أن يشيدوا بحَضارة غربية لم تَصِل إلى ما وَصلنا إليه منذ ظهر الإسلام فى الوجود ! .

وحين قامت الشيوعية رسميا بنجاح الثورة الروسية ١٩١٧ ، وُجدت كتب خاصة تشيد بمبادئها ، وتعلن أنها الحلّ النهائى لمشكلات العالم أجمع ، ورأى مفتى الديار المصرية الشيخ محمد بخيت أن يُعلن رأيه استجابة لأسئلة المصريين ، فكتب فتواه مصدرة ببحث تاريخى[3] عن شبيه هذه الدعوات فى فارس حين نادت المجوسية لفترة ما ــ بإباحة الأموال والأعراض للجميع فعجلت بانتشار الفوضى فى ربوع فارس لأمد غير قصير ، حتى جاء الإسلام ، فَنظّم العلائق الاجتماعية ، وشرع العقود الناقلة للمِلك من هِبة وبيعّ ووصيّة ، وبين المواريث وحدّد لكلّ وارثٍ نصيبه المعلوم وبيّن أنّ الله هو الذى يبسط الرزق لمن يشاء

(١) تراجع الفتوى بالمجلد الأول من مجموعة الفتاوى الإسلامية ص٣٠١ وما بعدها .

(٢) مجلة الثقافة ــ العدد ٢٢٥ ــ ٢٠/٤/١٩٤٣م .

(٣) الفتاوى الإسلامية (المجلد الرابع) ص١٣٦٧ وما بعدها .

ويقدر ، وجاءت خطبة حجة الوداع دستورا إنسانيا يحمى الحرمات ويحفظ الحقوق ، وبعد أنْ أفاض الشيخ فى تقرير هذه الحقائق بأدلة حاسمة يقرؤها المسلمون فى كتابهم ويروْن تطبيقها فى تيسير الصحابة ومن تبعهم بإحسان ، بعد ذلك كله قرّر أن البلشفية تهدم الشرائع السماوية وتجعل الناس فوضَى فى معاملاتهم فهم يهدفون إلى هدم الكيان الاجتماعى ، ويحّرضون الطبقات الفقيرة لتثير حرباً عوانا على كل نظام اجتماعى ، يستند إلى قواعد الفضيلة والأدب واذا كان هؤلاء لا يعتقدون فى شريعة من الشرائع الآلهية ، ولا يعتقدون ديناً سماوياً فهم كافرون .

وحين نشر الأستاذ فتواه الصريحة صاحَ الصائحون ما للشيخ بخيت والحكم على المذاهب الأوربية ولماذا لا يحصر نفسه فى نطاق الإسلام ، كما صاحُوا بالرجل من بعد حين هاجم الأسطورة الدرْوينية ، وعدُّوه يتكلم فيما لا يعرف ، وقد نسى هؤلاء أن الرجل هو المفتى الرسمى للبلاد ، وأنه سئل عن رأى الإسلام فى أمور قد انتقلت عدواها من الغـــرب إلى الشرق ! واذا كان المستشرقون يحكمون على الإسلام زُوراً وبهتاناً فى كثير مما يكتبون ولا يقول لهم أحد أنكم تتكلمون عن الشرق وأنتم غرباء عنه ، بل تُقَابل كتاباَتهم عند ذيولهم بمنتهى الإجلال والتوقير وكأنها حق لا مرية فيه ! إذا كان المستشرقون يفعلون ذلك ، ولا يجدون مَن يقول لهم إنكم تتجاوزون الحق فى أكثر ما تكتبون ، أفيلام عالمُ الاسلام حين يرى من يحاول أن يهدم أسس دينه القويم ، ويُعَد فضوليا لأنه دفع المنكر بما يستطيع ؟!! .

وقد كان الشيخ متشددا فى فتواه فى أمور قد لا تقتضى هذا التشدد ، فقد سئل عن حكم تشريح الميت بعد وفاته ، فكتب عدة صفحات تتضمن نقولا عن ابن قدامة وشارحة وعن المهذب لأبى إسحاق الشيرازى ، وعن شارحة الإمام النووى فى المجموع ، وعن ابن حجر والطيبى وعن ابن الهمام وابن الملك منهيا إلى ما قرره فى قوله : « من هذا يُعلم أن الميت فى وجوب احترامه ، وعدم إهانته كالحى سواء بسواء ، فإذا مات لا تجوز إهانته بعد موته كما لا تجوز إهانته فى حياته ، وإن اختلف العلماء فى الشق وعدمه فى مواضع ، لكن الذى يؤخذ منهم جميعا هو وجوب احترام الإنسان حيّا وميْتاً ، وبناء عليه فلا يجوز شق بطن أى ميت كان إلا فى المواضع المتقدمة وأن التشريح الذى من لوازمه شق البطن بلا سبب سوى بحث الأعضاء ومعرفة وظائفها وما بها من الأمراض ، فهذا لا يسوغ ولا يجيز فتح بطن الإنسان بعد موته ويمكن الوقوف على وظائف الأعضاء بواسطة فتح بطن حيوان آخر غير الإنسان ، لأن كل الحيوانات متساوية فى وظائف الأعضاء الحيوانية(٤) .

وهذه الفتوى فريدة بين فتاوى أخرى لأعلام من المعاصرين ، تُجيز ما حرمه الشيخ بخيت من تشريح الميت لمعرفة وظيفة العضو وسبب مرضه وصحته ومنهم : الأستاذ يوسف الدجوى ، وقد أشرت إلى قوله فيما كتبته عن ترجمته من قبل ، ومما قاله بهذا الصدد : « ومن نظر إلى أن التشريح قد يكون ضروريا فى بعض الظروف كما إذا اتُّهم شخصٌ بالجناية على آخر وقد يبرأ من التهمة عندما

(٤) مجلة الأزهر ـ المجلد السادس سنة ١٩٣٥م ص ٦٣١ .

يظهر التشريح أن ذلك الآخر غير متهم ، وقد يُجنى على رجل ثم يُلقى بعد الجناية عليه فى بئر بقصد إخفاء الجريمة وضياع الجناية إلى غير ذلك مما هو معروفٌ ، فضلًا عما فى التشريح من تقدم العلمِ الذى تنتفع به الإنسانية كلها وينقذ كثيرا ممن شفى على الهلكة أو أحاطت به الآلام من كل ناحية ، فيأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت مماّ لا داعى إلى الإطالة فيه ، مَنْ نظر إلى ذلك الإجمال وما يتبعه من التفصيل لم يسْعه إلا أن يُفتى بالجواز تقديما للمصلحة الراجحة على المفسدة المرجوحة[٥] » .

وقد هبت فتنة من بعض المنتسبين للعلم وليسوا من أصلائه حول تفضيل صاحب مذهب فقهى على إمام مماثل ، وبادر بعضهم بطبع كتاب يُسمى (مغيث الخلق فى ترجيح القول الأحق) يُنسب إلى الإمام أبى المعالى الجوينى ، وفيه سبٌّ صريح وافتيات منكر على الإمام أبى حنيفة ، وكان الشيخ بخيت حينئذ فى مرضه الأخير ، حيث لقى ربه بَعد أمد قريب منذ تصدر لقمع هذه الفتنة الباغية ، فقد أرسل إليه من يظن أن الرجل الكبير سيكيل بالصاع صاعين لمن شاق أبا حنيفة بلْ لصاحب المذهب الذّى ينتسب إليه الجوينى ، وهو الإمام الشافعى ، وخاصةً ما جاء بالكتاب من أن أبا حنيفة قليل البضاعة فى علم الحديث ، ولكن الرجل الكبير والإمام الحجة البصير ، ألقى درسا كبيرا فى صفحات متتالية فى وجوب احترام الأئمة جميعا ، وقال فى خاتمة حديثه (إذا تقّرر هذا فمذهبُ أبى جنيفة ومذهب غيره من الأئمة سواء، ولا يمكن لأحد من المجتهدين أن يعتقد أن مذهب غيره خطـــــــــــــــــــأ لا يحتمل الصواب ، وأن مذهبه صواب لا يحتمل الخطأ ، وإلّا لكان مذهب هذا المجتهد بمنزلة كلام المعصوم الذّى لا يخطىء وليس هذا فى وسع بشر سوى الرسل ــ عليهم السلام ــ ، فلا وَجْه إذنْ لتخصيص مذهب وتفضيله على مذهب آخر ، وعلى هذا إما أن يكون ما ذكر فى الكتاب (مغيث الخلق) مدسوسا على الإمام الجوينى إمـــام الحرمين ، والرجلُ برىء منه وهو أكبر الظـن عندنا ، وإما أنْ يكونَ صحيحا وهو يناقص آراءه ونقولَه التى ذكرها فى البرهان وغيره ، ولو أردْنَا تقصى كلّ ما جاء فى سؤال السائل مما ذكر فى الكتاب لوجدنا له ردا وأقمنا لهُ من الحق ضدا ، ولكننّا نكون بذلك قد خُضْنَا متعصبين لمذهبنا ، مفضلين إمامنا ، فنفتح فيما وقع فيه إمام الحرمين ، وما أريدُ بهذه العجالة إلا أنْ ألفت نظر السائل الباحث وجميع المسلمين إلى وجوب الاعتقاد بأنّ : الأئمة الأربعة كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها ، وأنهْم من الكمال وعناية الله بهم بحيثُ لا يُقَاسُ عليهم غيرهم[٦] .

فهذا الموقف من إمام كان لا يوقع مقالاته بغير (محمد بخيت المطيعى الحنفى) يدلّ على نَصَفةٍ تامّة ، ويصوّر خلقا نبيلًا يجب احتذاؤه ، وقد لاحظتُ أنهّ لا يجزْم بعدم نسبة كتاب (مغيث الخلق) إلى الإمام أبى المعالى الجوينى ، بل يرجحّ ذلك .

أما أناَ فأجزم بعدم النسبة لأمر واحد أخذته من كلام الشيخ بخيت نفسه ، وهو أن الآراء الفقهية المدوّنة فى (مغيث الخلق) تخالف آراء أبى المعالى

(٥) مجلة الازهر ــ المجلد السادس سنة ١٩٣٥م ص٤٧٣ .

(٦) مجلة الإسلام السنة الرابعة سنة ١٩٣٥م .

التى ذكرها فى كتبه المختلفة ومنها : كتاب (البرهان) أليس هذا دليلا على أن مُغرضاً من ذوى التعصب كَتَبَ الكِتَاب ثم نَسَبَهُ إلى كبير من أئمة فقهاء الشافعية ليلقى الرواج ! والكتب المنحولة أكثر من أن تندرج تحت حصر فى شتى فروع المعرفة ، ومثل الجوينى لا يَجْهل قدر إمام كبير كأبى حنيفة النعمان .

ولا أترك هذا المقال دون أن أشير إلى كتاب (حقيقة الإسلام وأصول الحكم) الذى رَدَّ به الشيخ بخيت على كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للأستاذ على عبد الرازق ، فقد أبانَ هذا الكتاب عن ثقافة متشعبة الفروع لدى الفقيه الكبير ، وإذا كان تضلعه الوثيق فى علمى : الفقه والأصول مما يشهد كل قارىء لمؤلفاته وتحقيقاته ، وبخاصة فيما كتبه تعليقا على شرح منهاج الأصول للعلاقة الأسنوى بمجلداته الثلاثة الكبار ، فإن كتاب (حقيقة الإسلام وأصول الحكم) قد جَمع بين علوم الفقه والأصول والتاريخ والسياسة والاجتماع ، بما أصبح به فريدا فى مؤلفات الأستاذ الكبير وقد اطّرد به الحديث فى فصولٍ عّدة اطرادا يدل على تدفق الخاطر وسلاسة البراع ، ففى الباب الأول : مبحث شاق يُثبت أن المسلمين كانوا أوّلَ من جهَــر بأنّ الأمـــة : مصدر السلطات ، وهى عبارةٌ حرص الشيخ على تسجيلها بدستور سنة ١٩٢٣ المصرى ، وقد كان من أبرز الأعضاء الذين قاموا بتدوينه ، كما كان أول من سجل بهذا الدستور : أن الإسلام هو الدين الرسمى للدولة ، فأذعن له الأعضاء عن طواعية وترحيب ، وفى الباب الثانى رَدّ على من أنكر وجوب الخلافة ناقضاً ما تورط فيه الأستاذ عبد الرازق من شُبه مجيئها أدلةً ، وهى فقاعات تتطاير فى الهواء ، ثم مَضَى الحديث العلمى القويم متتابعا فى فصول الكتاب وقد بلغ أكثر من أربعمائة وخمسين من الصفحات ، ليعرضَ المقررَّ المعلوم فى كتب الأصول عن : الإجماع وحال القضاء فى زمن الرسالة ، والوظائف والعمالات ، وما يُضاف إلى الإمامِة العامة من مُلحقات كالوزارة والحجابة ، ومَغزْى رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك ، وبعثاته المتكررة إلى القبائل دعوة للإسلام وتحبيبا فى الصلح وإعطاء الأمان ، فإذا وفى حديث الرسالة فى عهد الرسول حقه ؛ تكلم بإفاضة وإشباع عن عهد أبى بكر والتزامه بما بدأ به الرسول ؛ باسطا مجال القول فى الجهاد وضرورته ومبينا عثرات التناقض فيما بدا فى كلام الشيخ على عبد الرازق ، ومْن انفسِ فصول الكتاب مَادَحض به الرأى القائل : بأن شريعة الإسلام مقصورة على الأمور الدينية ، وهى دعوى كاذبة يرددها العلمانيون بغياً دون حق ، لأنهم قرءوا القرآن وعرفوا ما به من آيات السياسة والجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر امتثالا لحكم الله ، وإذا ارتكز المؤلف المنقود على زعمه : أن الشريعة الإسلامية روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ فقدْ عَصَف الشيخ بكلِ ما قاله فى وضوح ساطع لا يقْبل المراء ، وكذلك ما قرّره فى دْحض ادعائه : بأن الخلافة ليسْت من الخطط الدينية وأنها نظام عتيق يجب أن يهدم ! هذا الكتاب الجليل مضافاً إلى كتابى الأستاذين : محمد الخضر حسين ، ومحمد الطّاهر بن عاشور (وقد برَّزا فيما

استفتاءات القـــراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر

يقدمها فضيلة الشيخ / السيد العراقى

● كتب السيد ـ أ ـ إبراهيم يطلب الفتوى فى المسائل الآتية ، نوجزها باختصار

● لى قريبة متزوجة ، وزوجها بصحة جيدة ، ولكنه لايعمل ، وإن عمل فبمال يسير ، وهى تنفق على أولادها بالعمل فى منازل أقاربها ، ونُصح زوجها كثيراً .

● وأولاد أخ متوفى ، بعضهم مجند ، وآخر يعمل ، ولهم معاش يسير وحالتهم يسيرة ، ولادخل لهم سوى ذلك فهل لى أن أخرج لهم من الزكاة أم أدفع زكاتى إلى إحدى الجمعيات الخيرية الموثوق بها .

● وهل يجوز اخراج مقدار من مال الزكاة إلى طلاب العلم الفقراء أو إلى المرضى المحتاجين .

ويعرض الأمر على لجنة الفتوى أجابت بالآتى :

أريد أن أخرج زكاة مالى إلى أقرباء كثيرين محتاجين . هل يجوز إخـــراج جزء منها على المرضى والمسنات وما الحكم :

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد :

فنفيد بأن الزكاة التى شرعها الله سبحانه وتعالى فى المال تكون واجبة حين يبلغ هذا المال النصاب المقرر شرعاً وهو مقدار ٨٤,٥ جراماً من الذهب الخالص وأن يمر على هذا المال حولاً (سنـــة قمرية) .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز الأصناف الثمانية التى تعطى اهم زكاة المال فقال : « إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ » ولاتعطى الصدقات على هذا النحو الا لمستحقيها والبحث عنهم واجب حتى لاتكون الصدقة فى غير محلها أو فى غير ما أراد الله ﴿ **تعرفهم بسيماهم لايسألون النـــاس الحافاً** ﴾ .

فإذا كان للقارىءأقارب أو معارف أو جيران من هذه الأصناف فإنهم أحق من غيرهـم . والممنوع فقط من أخذ الزكاة هو أصل الشخص كأبيه وأمه أو فرعه كأبنه أو أبناءهم والله تعالى أعلم .

استفتاء من م. ع. أ ـ يقول غيه ماحكم الاستمناء ؟ وما حكم الذى اقسم بالله أن لا يفعله ولكنه لم يمتطع الصبر ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد :

بأن الاستمناء باليد أو بأى طريقة محرم شرعاً ويسمى (زنا اليد) وهو منهى عنه لحرمته وخطورته ، وحرمته تأتى من كونه إهداراً للماء الذى يجب المحافظة عليه .

وقد جاء فى الأثر (احفظوا ماءكم فإنه عصب الحياة) .

وعن خطورة هذا الفعل القبيح يقول الأطباء إنه يؤدى إلى أمراض منها الجنون والعياذ بالله .

وللإقلاع عن هذه العادة السيئة فإننا ننصح بكثرة الصيام عملاً بقول رسول الله ﷺ : «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة ، فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» أى وقاية من هذه الأفعال السيئة كما ننصح أيضا بكثرة القراءة المفيدة وعدم التفكير جنسياً فى أشياء تحرك إلى ممارسة هذه العادة السيئة . وياحبذا لو قطعت هذا التفكير بالوضوء فإن الوضوء سلاح المؤمن .

وعلى كل فإن المسألة لاتحل بالايمان فيجب أن تكون عندك إرادة قوية وثقة بنفسك حتى تقلع عن هذه العادة والله الهادى إلى سواء السبيل والله تعالى أعلم ويلزمك كفارة عن القسم وهى إطعام عشرة مساكين فإن لم تستطع فصيام ثلاثة أيام .

بقية صـــ ١٣٢٣

كتباه خير تبريز) معاول هدم لكِل افتراء عن حقيقة الحكم فى الإسلام .

ولو كانت النفوس تميل الى الحق لوجه الحق حين تَرى الدليل السّاطع كالقمر المتألق فى السماء مَا كَان لهذا الهراء الذى بدأ به الأستاذ على عبد الرازق ، وامتد إلى الآن كيان ينهض به ، ولكن الغَرض يُعمى ويصّم ، لدى قوم يخافون من شريعة الإسلام أنْ تَأخذهم بما يخطئون ، وذاكَ هو السبب الأصيل .

هذا بعض ما يقال عن الشيخ الكبير ، اكتبه مستمطرا عليه سحائب الرحمة ، ولا أزال أذكر ما قاله شاعر السودان الأستاذ عبد الله عبد الرحمن فى قصيدة عامرة نشرها بالرسالة عقب وفاته :

وأوْدَى المُطيعى حُجةُ الله فى الورى
فغـابَ به كنُـزُ من العلم قَيِّـم
مضى يملأ الدنيـا علومـا وحكمـة
فويلى على ركـن الهدى يتهّـدم

وقد صدق فيما قال .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

كتاب الله قبل كتاب الخليفة

دخل أبوالنصر سالم مولى عمر بن عبيد الله على عامل للخليفة ، فقال له : يا أبا النصر ، إنه تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا نجد بدا من إذنفاذها ، فما ترى ؟ .

قال أبوالنصر : قد أتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة ، فأيهما اتبعت كنت من أهله .

ما رأيت أنت ولا آباؤك مثلها

أهدى الشريف إلى الملك صلاح الدين الأيوبى ابن أيوب هدايا ، وكان الرسول يخرج منها واحدة واحدة . ويعرضها على الملك فأخرج مروحة من خوص النخل ، وقال : أيها الملك هذه مروحة ما رأى الملك ولا أحد من أبنائه مثلها ، فاستشاط الملك غضبا وتناولها منه ، وإذا عليها مكتوب

أنـــا من نخلـــــة تجاور قبرا
ساد من فيه سائـــر النـــاس طرا
شملتنـــى سعـــادة الـــقبر حتـــى
صرت فى راحة ابن أيوب أقْرا

فعرف صلاح الدين أنها من خوص النخل الذى فى مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فقبلّها الملك ووضعها على رأسه ، وقال للرسول : صدقت ، صدقت ..

ما تقول فى القدر ؟

قدم أعرابى البصرة ، فقيل له : ما تقول فى القدر ؟ ، فقال : أمر تغالت فيه الظنون ، واختلف فيه المختلفون ، فالواجب أن نرد ما أشكل علينا من حكمه إلى ما سبق من علمه .

لا تعرفك

أعطى عبدالله بن جعفر امرأة سألته مالا عظيما ، فلاموه ، وقالوا : إنها لا تعرفك وإنما كان يرضيها اليسير ، فقال : إن كانت ترضى باليسير ، فإنى لا أرضى إلا بالكثير وإن كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفسى .

لا ترض بأوْكَسِ النَّصِيبَيْن

قال رجل للمنصور : يا أمير المؤمنين ، إن الانتقام انتصاف ، والتجاوز فضل ، والمتجاوز قد جاوز حد النصف ، ونحن نعيذ أمير المؤمنين أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين ، وأن لا يرتفع إلى أعلى الدرجتين ، فاعف عنا يعف الله عنك فعفا عنهم وأنشدوا :

إذا بغى باغ عليك بجهله
فأقتله بالمعروف لا بالمنكر

قالوا ...

الحيوان الذى لا يصلح شأنه إلا برئيس أو رقيب : الناس والغرانيق والكراكى والنحل ، فأما البقر والإبل والحمير فتتخذ رئيسا من غير رقيب .

حقاً

أوى المتوت يعتام الكرام ويصطفى
عقيلة مال الفاحش المتشدد

إنّى

بليت

إنى بليت بأربع يرميننى
بالنبل قد نصبوا على شِراكا
إبليس والدنيا ونفسى والهوى
من أين أرجو بينهن فكاكا
يارب ساعدنى بعفوٍ إننى
أصبحت لا أرجو لهن سواكا

نصيحة

إذا اشتبه عليك أمران ، فلم تدر فى أيهما الصواب ، فانظر أقربهما إلى هواك فاجتنبه .

أسوأ الناس حالا

قيل لبعض الحكماء : من أسوأ الناس حالا ؟ . قال : من اتسعت معرفته ، وضاقت مقدرته ، وبعدت همته .

دعاء

اللهم إليك خرجت ، وما عندك طلبت ، فلا تحرمنى خير ما عندك لشر ما عندى .. اللهم وإن كنت لم ترحم نصبى وتعبى ، فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

النبى والفيلسوف

لصاحب الفضيلة الشيخ يوسف الدجوى

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

شتان بين الشخصيتين ، وفرق بين الرسالتين ـ إذا اعتبرنا الفلسفة رسالة تجاوزا .

وربما يحدث الخلط عند بعض الناس ، فيظن أن هناك أوجه شبهٍ بين الفيلسوف والنبى من الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم أجمعين وهذا الخلط ناشىء عن قصر نظر أو سطحية فى التفكير ، أو جهل تام بحقيقة الشخصيتين .

والفروق كثيرة بين النبى والفيلسوف ، وهى فروق يحكمها الواقع ويحسمها الدليل المشاهد ـ وهو أن رسالة النبى لا تخضع للمناقشة إلا من جاهل أو جاحد أو حاقد ، لأنها محسومة من قبل الله ـ عز وجل ـ بينما رسالة الفيلسوف ستظل تخضع للمناقشة والأخذ والرد مادام هناك فكر إنسانى يعمل .

وهناك فروق بدهية أخرى واضحة يستطيع بها كل من التبس عليه الأمر أن يفرق بها بين النبى والفيلسوف ذاتا ورسالة عنى الكاتب بتقديمها فى هذه الكلمة العلمية.

قال الأستاذ ـ رحمه الله .

جاءنا هذا السؤال من صاحب الإمضاء ، قال بعد الديباجة : إننا نرى حكما عالية وقوانين صالحة للاجتماع والعمران لفلاسفة اليونان وغيرهم ، ونرى لهم بجانب ذلك معرفة بالله وثناء على الله . وقد جاء عن سقراط وأفلاطون وغيرهما شيء كثير من ذلك ، وقد كانوا قبل المسيح ، فلماذا لا نعتبرهم أنبياء ، وقد أسسوا مدنية فاضلة وتلاميذ صالحين ؟

نرجو من فضيلتكم بيان ذلك والإسهاب فيه كما هى عادتكم ، أبقاكم الله للعلم والدين ، وحفظكم للإسلام والمسلمين بمنه وكرمه ،

عبد الرحمن محمد

أستاذ بالمدارس

الجـــواب

الحمد لله رب العـالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد معدن الأسرار ومنبع الأنوار ، أعرف خلق الله بالله ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فقد سئلت مثل هذا السؤال منذ زمان بعيد من عظيم من عظماء المصريين ، فأجبته بما اقتنع به إذ ذاك . واليوم نذكر لك خلاصة ذلك الجواب ، ثم نفيض فى الموضوع إفاضة لا تدع فى النفس شكا ، ولا فى الأمر ريبة ، فنقول ــ وبالله التوفيق :

قلنا لذلك الباشا عندما سألنا عن ذلك : إن هناك فروقا كثيرة بين النبى والفيلسوف ، منها :

أن الفيلسوف إذا نزلت به نازلة أو سئل عن معضلة ، فزع إلى فكره فشحذه وإلى نفسه فأيقظها ، وإلى معلوماته فاستعرضها ، عسى أن يعثر فيها على حل أو يظفر منها بجواب .

أما النبى فإنه على العكس من ذلك : يعمد إلى نفسه فيسكن من حركتها ، وإلى أفكاره فيهدىء من ثورانها ، وإلى حواسه فيقلل من تعلقاتها ويبعدها عن محسوساتها[1] ، ثم ينتظر الوحى من الله والتلقى عن الملأ الأعلى ، فإذا نزل عليه الوحى من عند الله صدع بذلك فى وضوح لا يمازجه تعقيد ، ولا يشوبه التواء عن المقصد ، ولا تحير فى الغاية ، ولا تحيّل على إصابة الصواب ، ولا استعانة بتجربة أو التجاء إلى مقدمات طويلة كثيرا ما تنحرف بالناس أو ينحرف فيها صاحبها عن النهج القويم والصراط المستقيم ، فيعدل به نظره القاصر وضعفه البشرى عن الحق ، وقد يوقعه فى شقاء بالغ من حيث لا يشعر ، فالنبى يروى عن رب المخلوقات المحيط بها ، العالم بأسرارها :

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾
الملك ــ ١٤

فلو زار أفلاطون أعتاب قدسه
ولم يُعشه عنها سواطع أنوار
رأى حكمة قدسية لا يشوبها
شوائب أنظار وأدناس أفكار

فالسبيل المأمونة والجادة الواضحة ، إنما هى سبيل الأنبياء والمرسلين ، لا سبيل الفلاسفة التى ترمى بك فى ظلمات الأوهام البشرية ، وشبهات التخيلات النفسية ، على ما ستسمع اليوم ، إن شاء الله .

ثم قلت لذلك العظيم :

إن الفلاسفة أنفسهم لم يدَّعوا النبوة ، وربما كانوا غير قائلين بها ، فكيف ندعيها لهم وهم لم يدعوها لأنفسهم :

ثم إن للنبوة آيات لابد منها : من صفات ذاتية ، ومعجزات حسية ومعنوية ، ونفوس جاوزت أطوار البشرية ، واستقرت فى تلك العوالم القدسية ، فهى لا تعرف غير الله ، ولا تحدث عما سوى الله إلا بما جاءها عن الله ، قد اتسع نظرها وتم نورها ، فعلمت من حقائق الأشياء ما لا يعلمه غيرها ، وعرفت من جلال الله ما لا يعرفها سواها . إلى آخر ما قلت لذلك الباشا فى ذلك العهد .

(١) اشتهر الآن استعمال المحسات وتخطئة من يعبر بالمحسوسات وهو خطأ بين كما أوضح ذلك كل الإيضاح صاحب الجاسوس . ولصاحب المخصص ما يفيد ذلك أيضاً (راجع الجاسوس على القاموس) .

ولنبيّن ذلك الإجمال ، ونذكر لك شيئا من صفات النبوة وخصائصها التى جبل عليها الأنبياء ، فنقول :

إن فى ذات النبى نورا خِلقيا فى أصل تكوينه اقتضته درجة روحه الشريفة (وبين الأرواح من التفاوت فى الدرجات واختلاف الاستعدادت ما لا يعلمه إلا الله تعالى) . وبذلك النور يمكن تلك الذات التى خلقتْ على هذا الوجه إلا أن تكون على أكمل الفضائل . فهى مثلا تقول الحق وتقدسه ولو كان فيه حتفها وهلاكها ، فإن ذلك من سجيتها وطبيعتها . وقد طلب المشركون منه ﷺ أن يرجع عن قوله وراودوه على ذلك بكل حيلة ، فأبى وامتنع ، ثم نصبوا له العداوة ورموه عن قوس واحدة ، فما زاده ذلك إلا تثبتا ورسوخا ، لأن الذات الشريفة مطبوعة على قول الحق لا يتصور منها غيره .

ومن تلك الصفات التى جبل عليها النبى ، **الرحمة بجميع المخلوقات حتى الحيوان الأعجم** ، ولذلك جاء ﷺ فى باب التحذير من القسوة بما تعجب له ، وأبان من جزاء الشفقة على خلق الله ما لا غاية وراءه ، فذكر فى الحديث الصحيح أن امرأة دخلت النار فى هرة عذّبتها . وجاء فى الصحاح أيضا أن رجلا مسرفا على نفسه وجد كلبا يلهث من العطش فسقاه حتى أرواه فشكر الله له ذلك فغفر له . إلى غير ذلك مما ينبئك عما كانت تمتلىء به نفس رسول الله ﷺ من الرأفة والرحمة بجميع المخلوقات .

وهكذا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فهم أبر الناس بالناس ، وأنفع الناس للناس . وأعظمهم فى ذلك نبينا ﷺ ، حتى إن ما تراه من شدته ﷺ على الكفار والمشركين ، فمنشؤه إنما هو رحمته بهم وشفقته عليهم أن تجتالهم الشياطين فتأخذهم عن السعادة الأبدية إلى الشقاء الأبدى ، فيشقون وتشقى بهم الانسانية ، فكان حربه ﷺ فى الحقيقة حربا لجند الشيطان الذى يريد أن يسلب الإنسان سعادته . إلى آخر ما لا يسع المقام تفصيله وبيان أسراره .

ومما يجب أن نبينه هنا **أن للأنبياء أذواقا فى الأشياء لا يعرفها إلا الخواص من عباد الله** ، فإن أكثر من فى الأرض لا يذوقون إلا الحسيات ، ولا ذوق لهم فى المعنويات وما أودع فى الأشياء من لطائف وأسرار . وقد يقرّب إليك ذلك بعض التقريب ما ترى أو تسمع به من عشق أرباب النفوس الطاهرة لمعالى الأشياء ، وإيثارهم العلم والمعرفة على كل شىء ، لأنهم يذوقون من ذلك لذة تفوق كل لذة مادية ، وقد قال قائلهم :

سهرى لتنقيح العلوم الذّ لى ... من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلى طربا لحل عويصة ... أشهى من النغمات للعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها ... نقرى لألقى الرمل عن أوراق

ولعلك ذقت من هذا شيئا ، فلا نطيل فيه .

ولابد لنا فى هذا المقام من أن نشير إلى **أن أرواح الأنبياء من طراز آخر فى علمها وقوتها وكل صفاتها ، ولذلك تظهر عليها خوارق العادات** ، من كشف المغيبات وظهور الآيات ، مثل ما حصل له ﷺ ليلة الإسراء والمعراج . ومن ذلك ما يقال إن عيسى عليه السلام كان

يمكث أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وقد قال ﷺ : « أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى[٢] » فهو لا يحس بتلك المؤلمات إلا إذا رجع لهذا العالم وسادت عليه أحكامه وقوانينه ، أما مادام عند ربه فهو أرفع من أن تؤثر فيه تلك النواميس المعروفة ، أو تسيطر عليه هاتيك القوانين المشاهدة . إلى غير ذلك من المعجزات المأثورة ، والخوارق المشهورة .

أما علمهم بحقائق الأشياء وما غيب عنا من أمور الآخرة وما يكون فيها ، فهو علم يشبه علمنا بالمبصرات بالبصر والمسموعات بالسمع ، بل حواسنا قد تخطىء ويقع الغلط والاشتباه فى مدركاتها ، بخلاف علمهم وما ينكشف لبصائرهم من الحقائق والمغيبات . ثم نلفتك بعد ذلك إلى ما تعرفه من تفاوت الناس فى العلم ، وأن ما يكون قطعيا لبعض الناس يكون ظنا لبعض آخر ، بل قد ينكره كل الإنكار لبعد ما بينه وبينه حتى لا يتأتى له أن يفهمه أو يسلّمه .

وبالجملة فاستعداد الرسول أشرف استعداد ، وتكوينه أجل تكوين ، وبهذا كان مهيئا للرسالة والتلقى عن الملأ الأعلى ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾

الأنعام ١٢٤

فليس قلبه كبقية القلوب ، وإنما هو قلب امتلأ بنور الله ، لكونه غارقا فى عظمة الله ، مفعما بجلاله ، معرضا عما سواه .

وأين للفلاسفة ذلك النور الذى كان يرى به ﷺ كما فى الحديث الصحيح ـ أصحابه ، فى الصلاة وهم خلفه كما يراه أمامه ، وفيه أنه رأى بيت المقدس عيانا وهو بمكة ، ورأى قصور الشام وأبواب صنعاء ومدائن كسرى وهو يحفر خندق المدينة ، ورأى النجاشى بالحبشة حين مات وهو ﷺ بالمدينة ، فخرج إلى المصلى فصلى عليه ، إلى غير ذلك .

ذلك كله من أجل ما أودع فيه من النور الساطع والاستعداد الرفيع الذى أهلّه لخرق العادات بطريقة لا يكاد يعرفها الماديون ولا يعقلها غير الروحانيين . وكيف يدركون ببشريتهم الظلمانية أسرار ملكاته النورانية ؟

ولنقرب لك الأمر بعض التقريب فنقول :

إن الروح من عالم آخر له نواميس أخرى يستوى فيها القريب والبعيد والظاهر والخفى .

على أننا رأينا فى عالم الماديات من العجائب ما يسهل عليك التصديق بذلك عن بصيرة واقتناع بعد ما ورد فى دينك وشريعتك ، فإن أشعة « رونتجن » تحوّل الأجسام الكثيفة المعتمة إلى أجسام لطيفة شفافة ، وتُظهر ما يتخللها من العظام وغيرها ، وأشعة « أف » التى بواسطتها يمكن كشف المعادن فى باطن الأرض وإحراق البارود فى باطن البواخر ومكامن الحصون ، فما بالك بأشعة الله الذى خلق أشعة رونتجن وأف وعلّم الإنسان ما لم يعلم ؟ فلابد أن تعرف أن للأنبياء قوى روحانية اختصوا بها فلا توجد فى غيرهم . ولذلك سمع سليمان عليه السلام كلام النملة ، فما سمعه إلا بسمع الروح لا يسمع الجسم الطبيعى . (وكيف نستغرب ذلك وعلماء الحيوان الآن يثبتون للنحل وغيره حاسة لا توجد فينا ،

(٢) حديث صحيح .

ويذكرون من أفاعيل النمل ما يعجب له الإنسان العاقل ؟) وقد قال يعقوب على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام : إنى لأجد ريح يوسف ، فأحس بها وشمها من مسيرة أيام . فكيف يقاسون على غيرهم فى شيء من الإحساس والعلم والإدراك ؟ ولا غرو فقد قال الله تعالى فى الحديث القدسى فى حق عبده الذى تقرب إليه : « فإذ أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الـــذى يبصر به »[3] الخ .

وإجمال القول : أن نفوس الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ صنف مخالف لسائر النفوس فى قواها الظاهرة والباطنة ، فنعوتهم وصفاتهم التابعة لها يجب أن تكون مخالفة لسائر النعوت والصفات التى فى غيرهم ، ومتى كان الروح الفاعل والجسم القابل فى غاية الكمال كانت الآثار فى غاية القوة والشرف والصفاء . ولذا قيل : إن صفات الأنبياء وقواهم الذاتية من خوارق العادات ، وإنه لو أمكن الناس أن يقفوا على كمال تلك النفوس لما احتاجوا فى التصديق برسالتهم إلى معجزة ، فإن فضيلة الصدق والأمانة مثلا إذا بلغت حد الكمال والإعجاز لا يقع معها كذب أو خيانة . وقد آمن كثير من الصحابة وغيرهم (حتى من الأوربيين) بمعجـزة النعـوت غير ملتفـتين لتـلك الخوارق والمعجزات الظاهرة التى لا يعول عليها فى إيمانه إلا العامة . وقد قال قائلهم فى حقه ﷺ :

لو لم تكن فيـــه آيـــات مبينـــة
كانت خلائقـــه تنبـــيك بالخير

وقد ذكـر فيلسوف الإسلام العلامـة ابـن خلدون فى مقدمته أن النفوس البشرية على ثلاثة أصناف : صنف عاجز بالطبع عن الوصول إلى الإدراك الروحانى ، فينقطع منحطا إلى الجهـة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية ، وتركيب المعانى من الحافظة والواهمة على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصوريـة والتصديقية الفكرية ، وهذا فى الأغلب هو من أن الإدراك البشرى الجسمـانى إليه تنتهى مدارك العلماء وفيه ترسخ أقدامهم .

وصنف متوجه بتلك الحركة الفكريـة نحو العقل الروحانى ، والإدراك الذى لا يفتقر إلى الآلات البدنية بما خلق فيه من الاستعداد ، فيتسع نطاق إدراكه عن الأوليات ، ويسرح فى قضايا المشاهدات الباطنة ، وكلها وجدانات لا حدود لها . وهذه مدارك العلماء الأولياء أهل العلوم اللدنية والمعارف الربانية ، وهى الحاصلة بعد الموت لأهل السعادة فى البرزخ .

وصنف مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة إلى الملكية من الأفق الأعلى ، ليصير فى لمحة من اللمحات ملَكا بالفعل ، ويحصل له شهود الملأ الأعلى فى أفقه ، وسماع الكلام النفسانى والخطاب الإلهى فى تلك اللمحة ، وهؤلاء هم الأنبيـاء صلوات الله عليهم ، فهم يتوجهون إلى ذلك الأفق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاءوا ، بتلك الفطـرة التـى فطـروا عليها ، لا باكـتساب ولا صناعة ، فإذا انسلخوا عن بشريتهم وتلقوا من الملأ الأعلى ما يتلقونه ، عاجو به على المدارك البشرية ، فتنزلوا به إلى قواها لحكمة التبليغ وبها

(٣) جزء من حديث قدسى .

أهـ بهذا كله نعرف سر ما نوجبه لهم فى علم التوحيد من أمهات الفضائل : كالأمانـة ، والصدق ، والتبليغ ، والفطانة ، وما نحيله عليهم من السفاسف والدنايا التى تجوز على غيرهم .

وبعد : فهنا طريق قريب يعرفك ما بين الأنبياء والفلاسفة من الفرق الشاسع والبون البعيد ، وهو أن تقارن بين ما سمعته عنهم وما سمعته عن الفلاسفة ، ثم تحكم بعد ذلك ، فانظر مثلا إلى مثل ما جاء فى القرآن فى تقرير علمه تعالى بكل شىء ، مثل قوله : « وعنده مفاتح الغيب » الخ . « وماتكون فى شأن وماتتلو منه من قرآن » « مايكون من نجوى ثلاثة » الخ : ثم لقول الفلاسفة إنه لا يعلم الجزئيات ، إلى غير ذلك مما يحتاج إلى كتاب كبير .

الفلاسفة :

أما الفلاسفة فليست لهم هذه المراتب العالية ، ولا ذلك الاستعداد الرفيع الذى يؤهلهم للأخذ من الملأ الأعلى ، فهم يقولون بأفكارهم وعقولهم ، ولهذا قد نجد لهم من الخطأ الشائن والهفوات المزرية ما يسقط الإنسان العادى فضلا عن الفيلسوف . ولسنا ننكر أن لهم حكما بليغة ، إلا أن ذلك غير مقصور على من اشتهروا بالفلسفة ، فكثيرا ما نجد للمجربين وذو النفوس الكبيرة فى كل عصر ما يوازى حكمة أرسطو وأفلاطون . ولعلماء اللأمة المحمدية وصلحائها من ذلك مالا تسعه الدفاتر . ولعلنا نورد شيئا منه ومن كلام الفلاسفة ، ونقارن بينهما فى عدد آخر وفلسفة هذا شأنها غير مأمونة ولا معصومة ، فإنها نعتمد اللباقة فى التعبير ، والإغراب فى التفكير ، وبهذا تعد فلسفة ، ولو كانت مستمدة من منبع الشهوات والأهواء كفلسفة أبيقور وأتباعه . ولعلنا نذكر شيئا منها بعد .

ولنفكهك الآن بشىء من فكاهاتهم أو ترهاتهم ، فنقول :

شىء من ترهات الفلاسفة وفكاهاتهم :

إن (فيثاغورس) من أكبر فلاسفة اليونان ، وله أشياء نفيسة ، ومع هذا فقد كان يقول : « إن ذنب من يقتل الذبابة أو الزنبور أو غيرهما من الهوام مثل ذنب من يقتل إنسانا » . ويزعم (انكسفوراس) أن السماء صنعت من حجارة كهذه الحجارة . وسبب ظنه ذلك أنه قد أتفق ذات يوم أن حجرا سقط من جهة السماء ، فظن انكسفوراس أن السماء مصنوعة من حجارة ، ثم أخذ يفكر فى علة لبقائها أبد الآباد فقال : « إن دوران الفلك أوجب بقاء تلك الصنعة بلا خلل بحيث لو اختل الدوران لحظة لفسد نظام السمٰوات والأرض » فانظر إلى ذلك الخيال الواسع ومجاراته إلى حيث يريد :

ويذكر عن (أرستيب) الفيلسوف أن الملك بصق فى وجهه يوما من الأيام ، فعيب عليه فى ذلك ، فقال بفلسفته الحمقاء : « إن الصياد يتحمل مشقة الصيد حتى يبتل بالبحر لصيد سمكة صغيرة ، فكيف لا أتحمل ريق الملك لصيد الحوت الكبير ! » واتفق أيضا أنه ترجى الملك ديلنسى لبعض أصدقائه فرده الملك ولم يقبل رجاءه ، فخر أرستيب : « لا لوم فى ذلك علىّ إنما اللوم على الملك حيث وضع أذنيه فى قدميه » .

ومن كلامه الذى لا أدرى أتستحسنه أم تستقبحه قوله : « إن الحكيم لا ينبغى له أن يلقى بيديه إلى التهلكة لأجل حفظ وطنه فإن الدنيا كلها وطنه ، فليس من الإنصاف أن يخاطر بنفسه لأجل حماية المجانين » . وأكسينوقراط كان من عادته التى اقتضتها فلسفته تعطير أقدامه ، فسئل عن ذلك فقال : إن رائحة العطر الذى يوضع فى الرأس تطير فى الهواء ، بخلاف ما إذا عطرت الأقدام فإن الروائح تصعد إلى الأفق . وذكروا فى تاريخ الفلاسفة أن أرستيب سافر إلى (مدينة فورنته) وركب البحر فصادفته ريح عاصفة أحدثت الرعب فيه إلى حد ممقوت إفاقا من الهلال ، فسخر منه إخوانه فى السفينة ولاموه وقالوا له : كيف نحن مع جهلنا لم يصادف قلوبنا ما صادف قلبك من الفزع والخوف وأنت من عظماء الفلاسفة ؟ فما هذا الوجل وما هذا الاضطراب ؟ فأجابهم بقوله « إن أنفسكم ونفسى ليسوا فى درجة واحدة بل شتان ما بين الذى أخسره وبين ما تخسرون » . فانظر إلى تلك الفلسفة المعكوسة التى تشقى صاحبها بلا شفقة ولا رحمة . لا جرم أن الجهل خير من تلك الفلسفة .

ثم انظر بعد ذلك إلى ما جاء به الأنبياء من تعظيم الحياة الأخرى وما فيها من السعادة الأبدية ، وتحقير هذه الحياة الدنيا حتى جعلها القرآن متاعا وقتيا ، وجعل الآخرة هى دار القرار . حقرها صلى الله عليه وسلم حتى جعلها لا تساوى جناح بعوضة ، إلى آخر ما جاء فى الكتاب والسنة ، وهو كثير .

ومما يجدر التنبيه عليه أن الأنبياء يصدّق بعضهم بعضا فيما جاءوا به من العلم فى غير الأحكام الجزئية التى يقتضيها اختلاف العصور وتباين الاستعداد . أما الفلاسفة فلا يكادون يثبتون على رأى واحد ، بل يتخالفون ويتناقضون .

وقد كانت فلسفة أرسطو مقدسة عند الأوربيين ، حتى جاء الفيلسوف (راموس) فنقضها ، فقتلوه فى وقعة (سان برسلمى سنة ١٥٧٢ م) وهى الواقعة التى قتل فيها كاثوليك فرنسا البروتستانت .

كلمة أفلاطون فى أصناف الناس :

ولنختم موضوعنا هذا بما روى عن أفلاطون كبير فلاسفة اليونان ورئيس الحكماء الإشراقيين فنقول :

قسم أفلاطون الناس إلى ثلاثة أقسام :

١ ــ المشرعون أى الفلاسفة .

٢ ــ الجنود .

الصناع وأهل المهن . قال :

أما الأولون فهم المخلوقون للسيادة دون غيرهم ، وسماهم الصنف الذهبى .

أما الجنود فهم حراس المملكة ، وأطلق عليهم الصنف الفضى .

وأما الصناع فهم المخلوقون للصناعة العمياء ، ودعاهم الصنف الحديدى .

أما العبيد فقال عنهم : إنهم ماشية الأمة ، مثلهم كمثل البهائم السائمة . فانظر إلى هذا وقارن بينه وبين من أوجب قتل الإنسان إذا قتل الذبابة ، وما بينهما من التناقض ، فإن أحدهما يحترم كل

ذى روح ولو كان من أحقر الأشياء ، والآخر على العكس من ذلك فى أشرف نوع وأعلاه وهو نوع الإنسان ، ولهذا كانت الفلسفة فى كل عصر مثار الشكوك والأوهام ، ومبعث الاختلاف والتنازع ، حتى قيل :

نهاية إقدام العقول عقال
وأكثر سعى العالمين ضلال[4]
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيلَ وقالوا

حتى حرم بعضهم النظر فى كتب الفلسفة ، لأن ضررها أقرب من نفعها ، وشكها أكثر من يقينها . ثم قارن بعد ذلك كله بين كلام أفلاطون الذى يدعى بأفلاطون الإلهى « والذى أحترمه وأجله » وبين ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم من احترام أفراد النوع الإنسانى ، وعقد المساواة بينهم ، وبث الديمقراطية الحقة فى الناس جميعاً ، فلم يجعل لأحد فضلا على أحد إلا بالتقوى .

وقد جاء فى القرآن الكريم :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾

الحجرات ـ ١٣

وقد سمع صلى الله عليه وسلم أبا ذر يقول لعبده : « يا ابن السوداء[5] » فنقم عليه ذلك وقال له : « إنك امرؤ فيك جاهلية » فأعتقه أبو ذر وصار من ذلك اليوم يسوى خادمه بنفسه ، حتى إنه إذا لبس حلة ألبسه مثلها . وقد جاء فى تعظيم سلمان الفارسى وبلا وغيرهما شىء كثير . ومن ينظر فى التاريخ يجد الموالى فى الإسلام قد اعتلوا من المناصب السامية والمنازل العالية ما لا يسامى

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

(٤) كان بعض أشياخنا يقرأ العالمين فى البيت بكسر اللام لا بفتحها .
(٥) رواه أبو داود .

الشعر والشعراء

رؤية تراثية في الشعر العربي

الشعر العربي، وبخاصة ما رواه صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعتبر مرجعا علميا للتاريخ العربي ، ويخطىء من يظن أن تراثنا العربي يرتبط بالجانب النثرى ، أو اللغوى ، أو التاريخي ـ وحده ـ ، فالتراث ـ شعرا أو نثرا ـ معا ، كان يمثل حضارة الأمة العربية عندما كانت هى الأمة الأولى فى العالم .

لكن كثيرا ما يغيب هذا الفهم بسبب اختلاف مشارب الدارسين المعاصرين ؛ الذين تأثروا ـ إلى حد بعيد ـ بالحضارة الحديثة القائمة على ما نقل عن الغرب ، ومن ثم برزت نزعة رفض القديم بدعوى « التجديد » وثارت معارك الأدب بين « القدامى » الذين يعرفون فضل القديم الرصين من الشعر ، و « المحدثين » الذين تجهموا للشكل العربي القائم على العامود الشعرى ، وانتصروا للشعر المرسل المتحلل من وزنه وقافيته ، وما لبث هذا الأخير أن انهار ، فلم تكن له قدم راسخة فى ميدان الأدب ، فما أسرع ما زلت قدمه ، وبدا منه لون لن يكون أدبا على الإطلاق ، إذ هو نثر فج رغم روائه بالتلحين .

وفى تقديرنا أننا لا زلنا بحاجة إلى القيام بجهد حقيقي ينمى موروثاتنا القيمة بدلا من هدمها أو التنكر لها بدعوى « البناء والتجديد » ، فهى ثروة فكرية ـ بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ـ ، وكم شقى آباؤنا وأجدادنا فى تدوينها وجمعها وردّ عوادى الزمن والضياع عنها ! .

ومن ثم تظهر أهمية الحفاظ على تراثنا الشعرى ، وإبرازه ، والاستمداد منه ، والبناء عليه بما تمليه علينا طبيعة العصر الذى نعيشه من صور وأخيلة تستمد من حضارتنا الحديثة وأدَوَاتها . وعليه فإن « الثابت » ينبغى أن يظل قائما فى أذهاننا ، نحافظ عليه ، ونضيف إليه من فكرنا ، الذى يمكن أن « يتغير » إلى الأروع ، وهذه سنة الحياة التى قضت بتطور الفكر وتجديده .

فلا يزال رأس الإنسان أعلى جزء فى جسده من ملايين السنين ، ولم يبدله المولى ـ عز وجل ـ فيضعه بمكان آخر ، ومع ذلك لازال يحمل ألوانا رائعة من الجمال فى كل طور ، ولقد انهارت نظرية التجديد التى تنسلخ تماما عن القديم ، واشمأزَّ الأدب منها فلم تجد مكانا بين صفحاته [1] .

وإسهاما منا فى خدمة تراثنا الأدبى عامة ، وإيمانا بقيمة ذلك التراث الشعرى فى تاريخنا العربى خاصة ، وأهمية التطلع إلى معايشته والاستمداد من معطياته ، نقدم هذه النماذج المختارة من الشعر لقارئنا المعاصر بغية النظر فى روائعه ، وخصائصه ، ومدى امتلاك أصحابه ـ فى ذلك الوقت ـ لنبوغ العبقرية وازدهارها .

(١) راجع فن الأدب لتوفيق الحكيم .

١ـ مع الإمام البوصيرى

هو محمد بن سعيد بن حماد بن عبدالله بن صنهاج ، كان أحد والديه من (أبوصير) ، والآخر من (دلاص) ـ بالوجه القبلى ـ فركبت له منهما نسبة ، فقيل (الدلاصيرى) ، ثم غلبت شهرته (البوصيرى) .

ولد الإمام البوصيرى سنة (٦٠٨) هـ ، وعمل فترة بمحافظة الشرقية ، وتوفى بالاسكندرية سنة (٦٩٧) هـ ،[٢] وله فيها مقام معروف فى مسجد كبير يطل على البحر المتوسط .

وضعته « البردة » فى مصاف كبار الشعراء ، إذ هى فريدة فى مدح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ووصفه ، وتاريخ حياته ، وبيان معجزاته ، وجهاده ، وهذه بعض أبياتها فى مدح سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

أستغفـــرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بلا عَمَـلٍ
لقد نسبتُ به نسلًا لِذِى عُقُمِ
أمرْتُك الخيْرَ لكنْ ما ائْتمرتُ به
وما استقمتُ فما قولى لكَ استَقِمِ
ولا تزوَّدتُ قبلَ الموْتِ نافلَةً
ولم أصلِّ سِوَى فرضٍ ولمْ أصُمِ
ظلمْتُ سُنَّةَ مَنْ أحيا الظَّلامَ إلى
أن اشتكتْ قدَمَاهُ الضُّرَّ من ورمِ
وشدَّ منْ سغبٍ أحْشاءَهُ وطَوَى
تحْتَ الحجارةِ كشْحاً مُترفَ الأدمِ
وراودتْهُ الجبالُ الشُّمُّ من ذهَبٍ
عَنْ نفسهِ فأراهَا أيَّما شَمَمِ
وأكَّدتْ زُهْدَهُ فيها ضرُورَتُهُ
إنَّ الضَّرُورة لا تعدُو على العِصَمِ
محمَّدٌ سيِّدُ الكونيْنِ والثَّقليْـ
ـنِ والفريقيْنِ من عُرْبٍ ومِنْ عجَمِ
نبيُّنا الآمِرُ النَّاهِى فلا أحَدٌ
أبَرَّ فِى قَوْلِ « لا » مِنْهُ ولا « نَعَمِ »

(٢) وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٤٣ ، والدكتور زكى مبارك : المدائح النبوية ـ طبعة البابى الحلبى (١٩٣٥) ص ١٤٠ .

هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِى تُرْجَى شَفَاعَتُهُ
لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأَهْوَالِ مُقْتَحِمِ

دَعَا إِلَى اللهِ فَالمُستَمسِكُونَ بِهِ
مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

فَاقَ النَّبِيينَ فِى خَلْقٍ وَفِى خُلُقٍ
وَلَمْ يُدَانُوهُ فِى عِلْمٍ ولا كرمِ

وَكُلُهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ
غرفاً مِّنَ الْبَحْرِ أَوْ رشفاً مِّنَ الدِّيَمِ

فَهُوَ الَّذِى تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ
ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِىءُ النَّسَمِ

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِى نَبِيِّهِمُ
وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحاً فِيهِ واحتَكِمِ

وَانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ
وَانْسُبْ إِلَى قَدرِهِ مَا شِئتَ مِنْ عِظَمِ

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ
حَدٌّ فيُعْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

يَا نَفْسُ لا تَقْنَطِى مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ
إِنَّ الكَبَائِرَ فِى الغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ

لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّى حِينَ يَقْسِمُهَا
تَأْتِى عَلَى حَسَبِ العِصْيَانِ فِى القِسَمِ

يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِى غَيْرَ مُنعَكِسٍ
لَدَيكَ وَاجْعَلْ حِسَابِى غَيْرَ مُنْخَرِمِ

وَالطُفْ بِعَبْدِكَ فِى الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ
صَبْراً مَتَى تَدْعُهُ الأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ

وَأْذَنْ لِسُحْبِ صَلاةٍ مِنكَ دَائِمَةٍ
عَلَى النَّبِىِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ

٢ـ مع الفــــرزدق

« الفرزدق » هو : أبوفراس همام بن غالب بن صعصعة من بنى دارم ـ بطن بنى تميم ـ ولد بالبصرة فى أواخر خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ، وتوفى سنة (١١٠) هـ ، وهو ثانى ثلاثة اشتهروا بالنقائض والهجاء مع « الأخطل التغلبى وجرير الخطفى » .

كان الفرزدق شديد الاعتزاز بنفسه وكثير الفخر بعشيرته ، لا يخفى ذلك حتى وهو فى مجالس الخلفاء ، وعلى الرغم من أنه من أبرز الذين مدحوا خلفاء بنى أمية ، إلا أنه كان متعاطفا ـ إلى حد بعيد ـ مع العلويين .

ولعل ما يترجم هذا التعاطف مع آل البيت هذه القصيدة التى مدح فيها الإمام على بن الحسين الملقب « بزين العابدين » وسجن بسببها[٣] ، ذلك أنه لما حجَّ « هشام بن عبدالملك » ـ فى خلافة أبيه بعهد بنى أمية ـ جهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه ، فلم يقدر عليه لكثرة الزحام ، فَنُصِبَ له منبرُ فجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أعيان الشام ، فبينما هو كذلك ، إذ أقبل : زين العابدين ـ رضى الله عنه ـ وكان من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرَجا ، فطاف بالبيت .

فلما انتهى إلى الحَجَرِ تنحى له الناس حتى استلم ، فقال رجل من أهل الشام : من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة ؟ فقال هشام : لا أعرفه ، قال ذلك ـ مخافة أن يرغب فيه أهل الشام ، فيُملِّكونه ـ وكان الفرزدق حاضرا ، فقال ، أنا أعرفه ، فقال : من هو يا أبا فراس ؟ فارتجل قصيدته هذه التى تعُدُّ وثبة شعرية فى تصوير شخصية زين العابدين ، ودليلا على حبه لآل البيت وتعاطفه معهم :

هذَا الـذِي تَعْـرِفُ البِطْحَـاءُ وَطأتَـهُ ... وَالْبَـيتُ يعْرِفُـهُ وَالحلُّ وَالحَـرَمُ
هذَا ابْـنُ خيْـرِ عِبَـادِ الله كُلِّهِـمِ ... هذَا التقى النقـىُّ الطَّاهِـرُ الْعَلَـمُ
هذَا ابْـنُ فَاطِمَـةٍ إنْ كُنتَ جَاهِلَـهُ ... بجدِّهِ أنْبِيَـاءُ الله قَدْ خُتِمُـوا
وَلَـيْسَ قَوْلُكَ مَنْ هذا بضائِـرِهِ ... الْعُرْب تعْـرفُ مَنْ أنْكَـرْتَ والْعَجَـمُ
إذا رَأتْـهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهـا ... إلَـى مَكـارِمِ هذا يَنْتَهِـى الْكَـرَمُ
يُغضِى حَيَـاء وَيُـغْضَى مِنْ مَهابَتِـهِ ... فَمَـا يُكلَّـمُ إلَّا حَيـنَ يَبْـتَسِمُ
الله شَرَّفَـهُ قِدَمـاً وَعظَّمَـهُ ... جَرَى بِذَاكَ لَهُ فى لَوْحِـهِ الْقَلَـمُ
مَنْ يَشْكُـرِ الله يَشْكُـرْ أَوَّلِيَـةَ ذَا ... فَالْدِّيـنُ منْ بَيْتِ هَذَا نَالَـهُ الأمَـمُ

(٣) المرجع السابق ص٤٦ بتصرف .

كلتا يَدَيه غياثٌ عمَّ نفعُهُمَا تسْتوكفانِ وَلَا يَعْرُوهُما عُدُمُ
سَهْلُ الخليقةِ لا تُخْشَى بَوادرُهُ يَزِينُهُ اثنانِ . حُسْنُ الخلقِ والشِّيَمُ
مَا قَال : (لَا) قطُّ إلَّا فى تَشهُّدِهِ لَوْلا التشهد كَانَتْ (لاؤُهُ) نَعَمُ
لَا يَخلفُ الْوَعْدَ مأمونٌ نقيبَتُهُ رَحْبُ الفناء أريبٌ حين يعتزِمُ
مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الأنبياءِ لَهُ وَفضْلُ أمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الأمَمُ
مُشتقةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ نَبْعَتُهُ طَابَتْ مَغَارِسُهُ وَالخِيمُ وَالشِّيَمُ
يَنْشقُّ ثَوبُ الدُّجى عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ كالشمس تَنجَابُ عَنْ إشراقِها الظُّلَمُ
مِنْ مَعْشرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ ، وبُغضُهُمُ كُفْرٌ ، وَقُرْبُهُمُ مَنجىً وَمُعْتَصَمُ
مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُمُ فى كُلِّ بَدْءٍ وَمَختُومٌ بِهِ الكَلِمُ
إنْ عُدَّ أهْلُ التُقَى كَانُوا أعمتَهُمْ أوْ قيل : مَنْ خَيْرُ أهْلِ الأرْضِ قِيلَ : هُمْ
يُسْتَدفعُ الشَرُّ وَالْبَلْوى بِحُبِّهِمُ وَيُسْتَربُّ بِهِ الإحْسَانُ وَالنِّعَمُ
لَا يَنْقُصُ العُسْرُ بَسطاً مِنْ أكُفِّهِمُ سِيَانَ ذَلِكَ إنْ أثْرَوْا وَإنْ عدِمُوا
يَأبَى لَهُمْ أنْ يَحُلَّ الذَمُّ سَاحَتَهُمْ خِيمٌ كَرِيمٌ وَأيْدٍ بالنَّدَى دِيَمُ

● ● ●

وقيل : إن زين العابدين أنفذ له وهو فى الحبس اثنى عشر ألف درهم ، فردها ، وقال : « مدحته لله ـ تعالى ـ لا للعطاء » ، غير أنه قبلها بعد ذلك ـ ولا يغض ذلك منه ـ بعد أن تلطف زين العابدين وقال : « إنا أهلُ بيتٍ إذا وهبنا شيئا لا نستعيده » .

« ماذا يقول لدى الخلود رثائى »

فى رثاء الأستاذ الدكتور حسن جاد
عميد كلية اللغة العربية الأسبق

شعر: إبراهيم عيسى

أخفَيْتُ فى ضَحِكِ الحياة نُواحى وَعَلَى جراحى كم طويْتُ جَناحى
وسعيتُ أحمل بَسمتى .. وجوانحى فيها من الأيام فيْضُ نُواح
حتى إذا جاء النعىّ بنبأةٍ جلَّتْ عن الكتمان والأتراح
فَجَّرْتُ آهاتى .. وناحت دمعة حيرى على جفن الأسى المجتاح

● ● ●

لا .. لست صمتا فى ظلام الأضرحهْ ياطير مازالت ترِف الأجنحهْ
وأراك ملء ضميرنا أنشودةً وأراك فى قلبى هوى لن تبرحه
وأراك عند الفجر تسبيح السنا يحنو على من قد رماه وجَرَّحه
هذا الصفاء البكْر لن يفنى .. ولن تسقيه كف بالردى مُتَرَنّحه

● ● ●

نثر الخلودُ النورَ فى أبياتك ووهبتَ نار الحرف كل حياتِكْ
حتى احترقْتَ به .. ولكن لم تزل تشدو .. وتسقى الحب كل سُقاتِكْ
ما انفضّ سامرك الذى غنّيْتهُ وهفَتْ لياليه إلى ناياتك
فانفضّ بها صدأ السكون .. فطالما حنَّ الحنين إلى رؤى أبياتك

● ● ●

الناس ـ يا (حسن) القرى ـ قالت لكم :   كم (جادَ) كفُّ الخير فى العهد الشحيح

ما كان صوتُك فى بلادى كالصدى   يشدو .. ويمضى .. ثم يغدو قبْضَ ريحْ

يا فارسا صهواتهُ كلماته   إن كنت آثرت الرحيل لتستريح

خصلات نور الشمس قد ضفرتها   شعرا سخيا بيد القدر السميح

• • •

إنى أكاد أراك ملء جوانحى   وتكاد تلمس راحتيك ذراعى

ولكم غزلتُ لك العبير قصيدة   فوهبتَ برعمها حفاوة ساعِ

هل أنت مُستمِعٌ كعهدك ؟ .. كلّما   أشدو فتطْرَبُ .. أم نسيت سماعى ؟

يا أيها السبّاق حتى للردى   منْ لى إذا عصف الأسى بشراعى ؟!

• • •

وأتيتُ أغزل لهفتى ووفائى   ماذا يقول لدى الخلود رثائى ؟

والخلد أبلغ شاعرٍ .. ياشاعرًا   سكب الضحى فى حانة الظلماء

بالأمس شدْتَ لنا عكاظ فما لها   صارت عليك اليومَ حشْدَ بكاء

كنتُ أدّخرتُك فوق أرضى رحمة   فغدوت فى فلك الخلود سمائى

• • •

سُمّار شدوك قد أتوْا ياشاعرى   فاملأ بشعرك أمسيات السامِرِ

وتلفّتتْ روحى عليك .. وليتها   تدرى بأنك فى الضلوع مجاورى

لما أتوْا بك للقبور وقد سرى   نعشُ الربيع يضمّ أغرد طائر

كادت رفاتُ الهالكين تضمُّه   وتقوم إجلالًا لركب الشاعر

• • •

فإذا ارتمى فجرى بأغلال الدجى   هتف السنا : ياليل أين صباحى

والحزن أطلق فى دروب جوانحى   خيلا .. تُداهمنى بغير جماح

فصرختُ ياليل الأسى حتى متى   يطوى الظلامُ شواطئ الملّاح

حاربتُ فى ساح الممات .. وإنما   عند المنية قد وضعتُ سلاحى

مرحبا .. ياشهر الرضا

للشاعر / محمد فخر الدين القعقاع

طابت فضائـــــلُكَ العَلِيَّـــــهْ ... وسرت بشائـــــرِكُ الهنيَّـــــةْ
أشرقْت فى كلِّ قلبٍ ... وطلـــــعتَ أنـــــواراً بهيَّـــــةْ
رمضانُ ياشهـــــرَ الهُـــــدى ... والجود .. والأرْيَحيَّـــــةْ
عشنـــــا على الشوق عامـــــاً ... نرنـــــو إلى أحلى هديَّـــــةْ
فصيـــــام يومك راحـــــةٌ ... للـــــروح ، والنـــــفس التقيـــــةْ
وقيـــــام ليـــــلك توبـــــةٌ ... وتَبَتُّـــــلٌ .. وصفـــــاءُ نيـــــةْ
فيك العبـــــادةُ روضةٌ ... وثمارهـــــا تُجْتَنَـــــى شهيـــــةْ

* * * *

الذكـــــرُ فيك نزولُـــــهُ ... وحيـــــاً على خير البريـــــةْ
إقـــــرأ محمـــــدُ باسمنـــــا ... وادعُ الأنـــــام إلى السَّويـــــةْ
بشرْ ، وأنـــــذرْ فى الـــــورى ... فلقـــــد سَبَتْهـــــمْ جاهليـــــةْ
إنى أنـــــا الله الـــــذى ... لاربَّ غيرى للرعيـــــةْ

* * * *

رمضانُ .. هل أهديتنـــــا ... بدْراً .. وذكراهـــــا الزكيـــــةْ
أم ليلـــــة القـــــدر التـــــى ... تحظـــــىَ بكـــــل الأفْضَلِيَّـــــةْ
وبألـــــف شهـــــر تُفْتـــــدى ... وبكـــــل تقديـــــر حَرِيَّـــــةْ
أم فتـــــح مكـــــةَ إنـــــهُ ... فتـــــح لَنـــــا .. ربـــــح القضيـــــةْ
فالـــــنصر جاء مؤزراً ... والحقُّ منصورُ الهويـــــةْ

* * * *

يارب .. فى شهـــــر الـــــرضا ... وبحق أيـــــام رَضِيـــــةْ
ندعـــــوك فالطـــــفْ فى الـــــقضا ... وارحـــــمْ إذا نزلت بليـــــةْ
عُذْنـــــا إلـــــيك .. فأبْقنـــــا ... عن كل عيبٍ فى حَميـــــةْ
داو الجراحَ .. وقوِّنـــــا ... بالصبر وامْنَحْنـــــا الرَّويـــــةْ
زِدْنـــــا يقينـــــاً .. زكِّنـــــا ... دَوْمـــــا بأخـــــلاق سنِيَّـــــةْ

(*) طبيب مصرى فى استانبول ـ تركيا .

العلوم الكونية

قراءة إسلامية فى كتاب الكون

بقلم: د أحمد فؤاد باشا

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾(١)

فى هاتين الآيتين الكريمتين من كتاب الإسلام الخالد ــ الذى أنزله الله على النبى العربى الأمى الخاتم فى شهر رمضان المعظم ــ دعوة إلى تأمل كتاب الكون الجميل الصفات ، العجيب التكوين والتلوين ، لكى يتدبره العلماء الذين يعبدون الله ــ سبحانه وتعالى ــ حق عبادته ويدركون قدرته المبدعة عن طريق العلم المنهجى الصحيح ، ولما كانت الألوان تتعلق بكل ما فى الكون من إنسان وحيوان ونبات وجماد ، فإن دعوة العلماء إلى تأملها هى فى حقيقتها دعوة الى التفوق فى مجال العلوم الكونية المعنية بدراسة هذه المخلوقات والظواهر المتصلة بها للإفادة منها فى تطوير حياة البشر وفهم أسرار الوجود .

تأملات علمية فى ألوان الكائنات :

فإذا تأملنا عالم النبات الذى يزخر بما لا يحصى من الآيات الناطقة بعظمة الخالق وجلاله نجد أن النباتات جميعها تتغذى وتنمو فى وجود مصادر واحدة تقريبا من : الماء والضوء والحرارة والكربون والأوكسجين والهيدروجين والنتروجين والفوسفور والكبريت والبوتاسيوم والكالسيوم والمغنيسيوم والحديد .. ومع أن الغذاء بهذه المواد والعناصر واحد ، إلا أن الأرض ينبت فيها ما لا يحصى من أنواع النبات والثمار متعددة الأشكال والألوان والروائح والطعوم قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ

• أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

(١) سورة فاطر

خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾(٢) .

وإذا تأملنا خلق الجبال وجدنا أن السبب فى اختلاف ألوانها يعود إلى اختلاف المواد المكونة لصخورها ، فالجبال البيضاء تتكون أساساً من الطباشير والحجر الجيرى ، والجبال السوداء يكثر فيها المنجنيز والفحم ، والجبال الحمراء غنية بالحديد ، وغير ذلك من الجبال النارية تتكون من : الجرانيت والبازلت ، وتحتوى على : عروق الحديد والنحاس والذهب ومعادن أخرى تؤدى إلى تعدد أنواع الجبال وألوانها وأنواعها ، رغم أنها ترجع أصلا إلى أرض واحدة كانت تكون مع الشمس والسموات رتقا واحد متصلا ، يشير إلى وحدانية الخالق المبدع .

وإذا تأملنا عالم البشر وجدنا أن اللون من الخصائص الجسمية الظاهرة التى يدل اختلافها وتنوعها على قدرة البارىء المصور . فالناس ينقسمون من حيث لون البشرة إلى فئات ثلاث تشمل : بيض البشرة وصُفر البشرة وسود البشرة . أما ذوو البشرة السمراء الذين يتراوح لونهم بين الأصفر الفاتح والأسمر المشرب بحمرة والأسمر الغامق ، فإنهم ــ حسب التصنيف « الانثروبولوجى » ــ يعتبرون شعبة من البيض » وقد أثبت الدراسات العلمية أن لون الجلد يتوقف على مقدار المادة الملونة فيه والتى تعرف باسم « الميلانين » وتعتمد على نشاط الخلايا الصانعة لها . هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى تؤثر على تشكيل لون الجلد النهائى مثل : عامل انكسار الضوء على سطح الجلد ، وعامل امتصاص البشرة للضوء ، وسمك طبقات الجلد المختلفة ، ووجود مواد ملونة أخرى مثل الكارونين (الأصفر) والهيموجلوبين (الأزرق) والأوكسى هيموجلوبين (الأحمر) ولكن يظل الميلانين (البنّى) هو أهم ما يؤثر فى اللون النهائى لجلد الإنسان ، وعدد الخلايا الصانعة له لا يختلف من جنس إلى آخر وهى موجودة فى جميع أنسجة الجسم تقريبا ولكن كثافتها تكون عالية جدا فى البشرة والغشاء المخاطى والشعر وأغشية المخ والعين(٣) .

وإذا تأملنا عالم الدواب والأنعام نجد أن هناك تنوعا وتغيرات تحدث فى لون فروة الحيوان ، خاصة فى حيوانات الغابات التى يحدث فيها تساقط أوراق الشجر .

إن ضوء الشمس المتناثر كنقط بين الأوراق يعطى للحيوانات المنقطة (مثل بعض أنواع النمور) ميزة للتخفى ، ولكن فى المناطق الباردة تسقط الأوراق فى الخريف ، وبهذا يكون لها ميزة التنقيط فى الحيوان كوقاية خلال أشهر الشتاء . وهناك بعض الحيوانات مثل الدب القطبى ــ يستمر أبيض الفروة طوال العام ، وبعضها مثل الأرنب البرى يتغير لون فروتها الى الأبيض فى الشتاء .

وهكذا يكون النظر فى اختلاف ألوان الكائنات دليلًا إلى الكشف عن أية عظمى من

(٢) سورة الأنعام : ٩٩

(٣) د . عبد الحميد محمد عبد العزيز ، الطب والاسلام ، كتاب اليوم الطبى ، مؤسسة أخبار اليوم ، القاهرة العدد ٨٦ (١٩٨٩) .

آيات الله فى الخلق ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

إدراك الألوان وتمييزها :

إن الألوان من الناحية العلمية ظاهرة ضوئية يدركها الإنسان والحيوان عن طريق حاسة البصر ، وقد ظل تفسيرها غامضا لآلاف السنين ، إلى أن جاء عصر الحضارة الإسلامية بعلمائها النابهين أمثال : ابن الهيثم والبيرونى وابن سيناء وغيرهم وشهد علم الضوء على أيديهم قفزة نوعية غير مسبوقة ، مهدت لاكتشافات جديدة فى عصر النهضة الأوربية الحديثة ، حيث تمكن العالم الإنجليزى « إسحق نيوتن » من إجراء تجربة عملية بسيطة استخدم فيها منشورا زجاجيا ثلاثيا وسمح بسقوط آشعة الشمس على أحد جانبيه واستقبالها من الجانب الآخر على حاجز أبيض ، فوجد أن ضوء الشمس الأبيض قد تحلل إلى عدة ألوان تميز العين منها سبعة ألوان هى : الأحمر والبرتقالى والأصفر والأخضر والأزرق والنيلى والبنفسجى وهى شبيهة بحزمة قوس الألوان ، وتشكل ما يسمى علميا « بطيف الضوء المرئى » الذى يتكون فى حقيقته من عدد لا نهائى من الألوان المتدرجة فى التغير .

وبعد أن استقرت نظرية الضوء فى العصر الحديث ، وأمكن إثبات خاصيته الموجية أصبح من المألوف التفرقة بين الأضواء الملونة المختلفة بدلالة الطول الموجى لكل منها . فالضوء الأحمر هو أطول موجات الطيف المرئى ويليه بالتدريج بقية الألوان حتى اللون البنفسجى وهو أقصرها .

وبرغم أن تحليل الضوء الأبيض خلال مروره فى منشور زجاجى يعطينا سبعة ألوان ، إلا أن الألوان الأساسية فيه ثلاثة فقط هى : الأحمر والأخضر والأزرق .

فإذا ما تم مزج اثنين أو أكثر من هذه الألوان الأساسية الثلاثة حصلنا على بقية الألوان بدرجات متفاوتة ، أى أن مزج اللونين الأحمر والأخضر يعطى اللون الأصفر ، ومزج اللونين الأحمر والأزرق يعطى اللون الأحمر القرمزى (الماجنتا) ومزج اللونين الأزرق والأخضر يعطى اللون الأزرق « السيانيدى »[٤] .

والعين ترى الأشياء بألوانها التى ترتد منها بعد أن تمتص كل الألوان الساقطة عليها ، فأوراق الشجر تبدو للعين خضراء اللون ؛ لأنها تمتص جميع الألوان فيما عدا اللون الأخضر وزهرة عباد الشمس تمتص كل ألوان الضوء الساقط عليها ولا يرتد منها إلى العين سوى اللون الأصفر ، وهكذا تكتسب الأشياء ألوانها المميزة التى نراها عليها . أما الجسم الأبيض فينعكس جميع الألوان ، بينما يمتص الجسم الأسود كل ألوان الضوء الساقط عليه .

ولقد أظهرت الأبحاث العلمية أن سطح شبكية العين مغطى بشبكة كثيفة من الأعصاب بعضها ذو شكل أسطوانى (قضبان) ويتأثر بالضوء الأبيض ، والبعض الآخر مخروطى الشكل ويميز بين الألوان المختلفة ومرجع هذا الإدراك للألوان هو أن هذه الشعيرات المخروطية تتكون من ثلاثة أنواع حساسة بدرجة خاصة للألوان الأساسية الثلاثة من الشعيرات المخروطية بدرجة واحدة ،

(٤) هذه هى طريقة مزج الألوان فى « التليفزيون » الملون ، وطريقة خلط ألوان الطلاء بدرجاتها المختلفة .

والعكس صحيح أى أنه إذا تم إثارة الأنواع المخروطية الثلاثة بدرجة متساوية نشأ عن ذلك إحساس باللون الأبيض .

وأكثر مواضع شبكية العين حساسية للضوء هى المنطقة الواقعة مقابل إنسان العين مباشرة وتسمى « البقعة الصفراء » بينما توجد على جانبها من ناحية الأنف منطقة أخرى تتجمع فيها الأعصاب البصرية الدقيقة المكونة للعصب البصرى الرئيسى تسمى « النقطة العمياء » حيث أن حساسيتها للضوء قليلة .

وعندما تنظر العين السليمة إلى طيف الضوء المرئى كله فى لحظة واحدة فإن أعلى حساسية تبلغها فى المدى ما بين اللونين الأصفر والأخضر ، بينما تقل حساسيتها بدرجة كبيرة لطرفى الطيف (أى اللونين الأزرق والأحمر) ذلك أن اللونين الأصفر والأخضر يقعان فى وسط الطيف المرئى ولا يحتاجان إذا ما قورنا بالطرفين الأزرق والأحمر الى جهد من عدسة العين حتى تتم عملية التكيف أو التهيؤ للرؤية ؛ لذا فإن النظر إليهما لا يسبب أى شعور بالتعب أو الملل أو الصداع .

وتتم رؤية الأشياء بواسطة العين نتيجة استقبالها الأشعة الضوئية التى تحمل معها صور المرئيات وألوانها ، فتتكون لها صور حقيقية مقلوبة على الشبكية ، وتقوم شبكة الأعصاب الحساسة على الشبكية بنقل الصور إلى المخ على هيئتها السليمة فى الواقع ولا يزال العلم عاجزاً — حتى الآن — عن معرفة حقيقة ما يحدث فى العين ذاتها عندما ترى منظرا معينا وتحول صورته المقلوبة على الشبكية إلى إحساس بلون خاص مميز . ولا يملك أى عاقل أمام هذا الاعجاز فى خلق العين وأدائها لوظيفتها فى إبصارها للأشياء بألوانها كما هى فى الواقع إلا أن يشكر الله ويحمده على نعمائه فهو القائل فى محكم التنزيل :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦) ﴾ (٥) .

من لطائف علم الألوان وتأثيرها :

ذكرنا أن اللونين الأصفر والأخضر يحتلون موقعاً وسطا فى طيف الضوء المرئى ، كما أن النطاق البصرى لموجاتهما أضيق من النطاقات البصرية لموجات بقية الألوان ، ولذا فإنهما يريحان البصر ولا يجهدان العين ، وهناك نقطة علمية أخرى ذات مغزى هى أن الإحساس بالإبصار ينتج من أثر موجات ضوئية ، والموجات المختلفة فى أطوالها تعطى إحساسا بألوان مختلفة . وهذا يعنى أن لكل لون درجات مختلفة تعتمد على طول موجته ، فإذا حدث وكانت موجة اللون الأصفر — مثلا — ليست هى السائدة فى الضوء الساقط على العين فإن هذا يعطى إحساسا بلون باهت وغير مشبّع ، وكلما زادت السيادة للون الأصفر بزيادة طول موجته فإنه يقال : إن اللون الأصفر أصبح أكثر تشبعا حتى يصل إلى الضوء (أو اللون) الموحد الذى يكون فيه التشبع كاملا ويصبح اللون أصفر فاقعا تبصره العين دون أى شعور بالتعب أو الملل ، ذلك لأن درجة تشبعه هذه تجعله فى أعلى درجاته تأثيرا على الخلايا العصبية المخروطية ، ويكون أكثر وضوحا بحيث يبعث السرور فى نفس الناظرين

(٥) سورة الانعام : ٤٦ .

إليه . ولعل هذه الرؤية العلمية توافق معنى العبارة القرآنية التى وصفت بقرة بنى إسرائيل حين سألوا عن لونها بأنها :
﴿ بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾(٦)

ونزيد هذا المعنى إيضاحا بما هو معروف فى أصول علم الطب البيطرى من أن خير الأبقار وأفضلها هو ما كان لونها شديد الصفرة فى صفاء ، وأنه على قدر صفاء اللون وسلامة الأسنان تكون صحة البقرة ، وكذلك من علامات عافيتها إثارتها للغبار على الأرض بحوافرها ، وذلك بفعل قوتها وشدتها وبخاصة إذا لم تجهد بالعمل فى حرث الحقل أو ماشابهه من الأعمال الزراعية . ولعل هذا ـ أيضا ـ يوافق ما جاء فى وصف بقرة إسرائيل ذات اللون الأصفر الفاقع بأنها : ﴿ بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾(٧)

أما بالنسبة للوّن الأخضر فإنه يبعث السرور داخل النفس ، ويثير فيها بواعث البهجة وحب الحياة ، فضلا عن أنه هو الآخر يتوسط مدى الإحساس البصرى ولا يسبب أى إجهاد للعين ، وقد توصل الباحثون فى خصائص الألوان وآثارها إلى اعتباره اللون المفضل فى غرف العمليات الجراحية لثياب الممرضات والجراحين .

وما أكثر ما يرد ذكر اللون الأخضر فى آيات القرآن الكريم ؛ ليدل على الحياة والنعيم وكثرة الخيرات فى الدنيا ، ويمتع الله به المؤمنين الفائزين من عباده فى الدار الآخرة ذلك أن اللون الأخضر فى الدنيا أساسى فى تكوين النبات والثمار ، مصداقا لقوله تعالى :
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾(٨)
وقوله عز من قائل : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾(٩) أما فى الدار الآخرة ، فإن الجنة يغلب عليها اللون الأخضر من بين الألوان جميعا(١٠) بما فيها من أشجار عالية ، وبما يلبس المؤمنون من ثياب خضر « مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ »(١١) ويجلسون « مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ »(١٢)

وكل ذلك أدعى إلى شكر نعم الله تعالى ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(٦) سورة البقرة : ٦٩
(٧) سورة البقرة : ٧١
(٨) سورة الحج : ٦٣
(٩) سورة الأنعام : ٩٩
(١٠) سيد خضر ، من سمات الجمال فى القرآن الكريم ، دار الصحابة للتراث ، ١٤١٣ هـ ـــ ١٩٩٣ م .
(١١) سورة الكهف : ٣١ .
(١٢) سورة الرحمن : ٧٦ .

سن اليأس

للدكتور / أحمد رجائى عبد الحميد

سن اليأس : وهى التى ينقطع فيها الحيض بعد انتهاء مرحلة الخصوبة،تلك المرحلة التى تتراوح بين سن الرابعة عشرة وسن التاسعة والأربعين فى المتوسط ، ويعتبر سن اليأس بالنسبة لبعض السيدات مشكلة،حيث يعانى نحو خمس وعشرين فى المائة منهن من أعراض حادة تضطرهن إلى استشارة الطبيب ، وحوالى خمسين فى المائة يشكون أعراضا أقل حدة ، لا تحتاج إلى استشارة طبيب ، أما الباق أى نحو خمس وعشرين فى المائة فقط لا يعانين من شىء .

وتبدو سن اليأس عندما يعجز المبيضان عن إفراز البييضات وعن إنتاج الهرمونات (هرمونى : الأستروجين والبروجستيرون أساساً) اللازمة لتنشيط الجدار المبطن للرحم[1] ، وبذلك لا ينشط هذا الجدار ، وتتوقف الدورة الشهرية .

وسن اليأس تبدأ بضعف نشاط المبيض ، وتمتد فترة قد تستمر سنوات عديدة ، ولا يمكن تحديد بَدْءِ سن اليأس قبل حدوثه ؛ إذ لا يمكن تشخيص الحالة إلا بعد توقف الدورة الشهرية لمدة عام على الأقل حيث إنه فى بعض الحالات تتوقف الدورة الشهرية لمدة قصيرة ، وبعدها ينشط المبيض ثانية .

حكمة سن اليأس :

فى اعتقادى أن وجود سن اليأس فى النساء له حكمة كبيرة ، فإن توقف قدرة المرأة على الإنجاب حوالى سن الأربعين ، يتيح لها فرصة لتربية الأطفال والعناية بهم . وبالمقارنة بالرجل الذى يستطيع الإنجاب إلى فترة سن متأخرة لا تستطيع المرأة الإنجاب الطبيعى إلا فى فترة الخصوبة التى تنتهى فى كثير منهن حوالى سن الخامسة والأربعين ، ، وببلوغ السيدات سن اليأس وتوقفهن عن الإنجاب فإنهن يتفرغن لنقل حنانهن ورعايتهن وحكمتهن إلى الأولاد .

أعراض سن اليأس :

لسن اليأس أعراض منها :

الإحساس بالفورات الساخنة ، والعرق الليلى ، وجفاف المهبل ، وحدوث آلام عند الجماع والإجهاد والتوتر العصبى ، والصداع ، والأرق ، والاكتئاب ، والتهيج (أى العصبية الزائدة) ، وآلام المفاصل ، وخفقان القلب ... كل ذلك من الأعراض المعروفة ، ويزيد من حدة هذه الأعراض إحساس السيدة بأنها قد وصلت إلى

(١) فى أثناء فترة الخصوبة تحدث تغييرات فى الجدار المبطن مما يؤدى إلى نزول دماء الدورة الشهرية .

السن التى لا يمكن فيها إثبات خصوبتها .
وفيما يلى نفصل بعض هذه المشاكل :

الفورات الساخنة :

قد تشعر بعض السيدات بسخونة فى وجوههن وبعض أعضاء من أجسادهن ، وبعضهن تعرق بغزارة . وهذه ـ أو تلك ـ أعراض تظهر بسبب تأثير اضطراب التوازن الهرمونى على الأوعية الدموية .

المشاكل الجنسية المصاحبة لسن اليأس :

يوجد نوعان من المشاكل الجنسية المصاحبة لسن اليأس :
(أ) ألم الجماع .
(ب) فقدان الرغبة الجنسية .

(أ) الألم عند الجماع :

يحدث الألم عند الجماع بسبب نقص الهرمونات مما يؤدى إلى رقة جدار المهبل ، وجفاف إفرازاته ، والبدء فى ضموره .

(ب) فقدان الرغبة الجنسية :

من الطبيعى أن السيدة التى تعانى من آلام عند الجماع تفقد الرغبة فيه ، وكذلك يرجع هذا العرض إلى فقدان هرمونات الأنوثة .

آلام العظام والمفاصل :

تحدث هذه الآلام بتأثير نقص الهرمونات فتسترخى أربطة المفاصل ، وكذلك بنقص (الكالسيوم) فى العظام بسبب نقص (هرمون الاستروجين) فترق العظام ، مما يتسبب فى مزيد من الآلام ، وكذلك تكون العظام عرضة للكسر بسهولة .

العـلاج :

تختلف الآراء فى علاج الأعراض المصاحبة لسن اليأس .

فالرأى الأول : يعتبر أن هذه ظاهرة طبيعية ، ولذلك فإن كل ما يلزم ـ حينئذ ـ هو شرح هذه الأعراض بالتفصيل للسيدة ، ووصف بعض الأغذية الغنية بالكالسيوم ، والنصح بممارسة الرياضة البدنية .

والرأى الثانى : هو إعطاء السيدة بعض المهدئات والأدوية المضادة للاكتئاب وعلاج الأعراض ؛ فمثلا إعطاء مسكنات فى حالات آلام العظام والمفاصل .

والرأى الثالث : هو العلاج الهرمونى ، وتوجد حالياً ـ بعض الأدوية التى تحتوى على هرمونات لتعويض ما فقد من السيدة ، وقد زادت كفاءة هذه الأدوية ، وقلت مضاعفاتها فى الآونة الحديثة .

«وَيخلق مالا تعلمون...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد: د/ نجوى السيد أحمد (*)

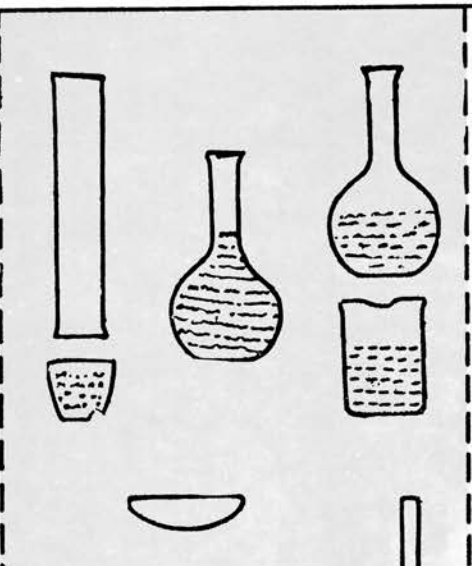

محرك كهرباني متعدد الأغراض

نجح مهندس بريطاني في اختراع محرك كهربائي جديد ، متعدد الأغراض ، خفيف الوزن ، دائري الشكل ، يتركب من شرائح نحاسية ، وتتفوق كفاءته على (الموتورات) التقليدية المماثلة ، وتزيد هذه الكفاءة مع ازدياد التيار الكهربائي ، ويمكن استعماله في الزوارق الكهربائية التي تعمل بالدفع ، وفي سيارات المعاقين ، وفي مجال الطيران ، والمعدات والأدوات التي تعمل بالبطاريات .

برنامج الكتروني جديد لمراقبة الطائرات في الجو

طور الباحثون الأمريكيون بمركز المواصلات في « كمبردج » برنامجا جديدا لمساعدة الطيارين على تجنب مواقع الصواعق ، والابتعاد عن الأحوال الجوية السيئة خلال طيرانهم ، والبرنامج عبارة عن نظام للخرائط الإلكترونية ، يحدد موقع جميع الطائرات في المجال الجوي في لحظة معينة ،

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومي للبحوث ـ الدقي ..

ويمكن بواسطته مراقبة أى طائرة فى الجو ومعرفة المعلومات الخاصة بها من حيث اسم شركة الطيران ، ورقم الرحلة ، وطراز الطائرة ، وارتفاعها ، والمدة الزمنية لبعدها عن وجهتها النهائية وسرعتها ، والمطار الذى ستهبط فيه .

عادم الطائرات يهدد القطب الشمالى

أكد علماء البيئة البريطانيون أن العوادم والأبخرة المنبعثة من الطائرات ــ التى تطير على ارتفاعات شاهقة ــ تهدد طبقة « الأوزون » التى تحمى الأرض من الأشعة فوق البنفسجية الضارة ، وأعلنوا أنهم تمكنوا من اختراع أجهزة حديثة ترشد الطيارين للمسارات التى لا تضر بطبقة « الأوزون » وبخاصة مع الزيادة المتوقعة لحركة الطيران فوق منطقة القطب الشمالى التى تعبر فوقها جميع الرحلات الجوية بين اليابان وأوربا .

وقود نظيف للسيارة

استطاع أحد الباحثين الأمريكيين إنتاج وقود جديد نظيف ، من خلط وقود ديزل السيارات بالماء داخل محرك الاحتراق الداخلى وذلك بواسطة « الكمبيوتر » حيث أدى ذلك إلى خفض نسبة الغازات بعادم السيارة ، وبالتالى تقليل نسبة التلوث فى البيئة ، وتجرى ــ حاليا ــ تجربة الوقود الجديد فى بعض الشوارع الأمريكية حتى يثبت نجاحه وفاعليته .

جهاز لحام يعمل باستخدام الهواء الساخن

انتجت شركة فرنسية جهاز لحام يعمل باستخدام الهواء الساخن للحام الأنابيب البلاستيكية والمعدنية ، وهو يلائم جميع أشكال الأنابيب ولا يحتاج الى ضبط لكل نوع أو شكل من الأنابيب ، ويحتوى الجهاز على مفتاح واحد للانتقال من شكل إلى آخر أو من مادة إلى أخرى ، والجهاز اقتصادى ؛ لأنه يوفر الوقت ويعطى لحاماً جيداً من أول مرة ، مما يؤدى إلى عدم إتلاف الأنابيب .

الفطريات لإبادة الجراد

توصل مجموعة من الباحثين فى المعهد الدولى للمقاومة البيولوجية فى انجلترا إلى فطر يقضى على الجراد الصحراوى ، ولا يسبب تلوث البيئة مثل المبيدات الكيميائية ، ويستعمل هذا المبيد الفطرى بالرش حيث ترسو الجراثيم على الجراد وتخترق جسد الحشرة وتقضى عليها تماما ، وقد أعطت التجارب الحقلية ــ التى أجريت ــ نتائج مبشرة ، ومن المعروف أن حشرة الجراد تتغذى على أوراق النباتات والمحاصيل مسببة خسائر فادحة .

مصابيح الأشعة فوق البنفسجية لتحسين الرؤية الليلية

ثبت أن المصابيح الأمامية للسيارات عندما تعتمد على تقنية الأشعة فوق البنفسجية تساعد فى

تقليل حوادث الطرق عن طريق تحسين الرؤية الليلية لدى السائقين ؛ حيث طورت شركة سويدية هذه المصابيح لكى تساعد سائقى السيارات على رؤية راكبى الدراجات الذين يرتدون ملابس باهتة ليلا ، وهم على مسافة ١٥٠ مترا ، بعد أن كانت لا ترى فى ضوء المصابيح العادية على مسافة ٥٠ متر .

أحدث ساعة يد لقياس ضغط الدم

صنعت إحدى الشركات اليابانية للإكترونيات ساعة يد جديدة لقياس ضغط الدم بحدَّيه : « العالى والمنخفض ، وتقرأ ــ أيضا ــ سرعة النبض بسرعة ودقة ، وتحتوى الساعة على ذاكرة لتحتفظ بـ ٣٠ قراءة سابقة يمكن استحضارها فى أى وقت ، وهى مزودة كذلك بجهاز إنذار للتخدير بصوته المميز فى الحالات التى يرتفع فيها ضغط الدم أو ينخفض بدرجة كبيرة ، هذا بالإضافة إلى استخدامها كساعة يد عادية ، لتحديد الوقت بالساعات والدقائق والثوانى وتقويم الزمن .

شاشة تليفزيونية يمكن طيها

حققت وحدة بحوث « البوليمر » فى جامعة « كمبردج » قفزة علمية مهمة لصنع شاشة تليفزيونية بسمك الورقة العادية ، إذ نجح فريق عمل تابع لهذه الوحدة فى صنع بلاستيك متوهج قادر على إصدار الألوان الحمــراء والخضراء والزرقاء عندما يتم تنشيطه بالتيار الكهربائى ، ومن المعروف أن « البوليمرات » غير موصلة للكهرباء

غير أن هناك نوعا من البلاستيك يسمى البوليمر الموصل يمكن للالكترونات أن تنتقل بحرية عبر سلسلته ؛ لتنقل التيار الكهربائى .

الحبهان للوقاية من تسوس الأسنان

اكتشف فريــق من جامعــة « باركلى » بكاليفورنيا مدى فاعلية الحبهان ضد نخر الأسنان وتسوسها بالإضافة إلى العديد من فوائده المعروفة فى فاعليته فى طرد الغازات المعدية ، ونجح العلماء فى عزل عشرة عناصر فعالة يحتوى عليها زيت الحبهان وأثبتت تأثيرها على البكتريا التى تسبب نخر الأسنان وتسوسها ، وتم تصنيع معجون للأسنان ومحلول تنظيف لها ، يحتوى على زيت الحبهان الذى يتميز برائحته الزكية فضلاً عن وقاية الأسنان من التسوس .

حبر جديد يحمل الصفات الشخصية

فى الولايات المتحدة الأمريكية تم إنتاج حبر جديد يحمل بعض الصفات الشخصية للإنسان لا يمكن أن تتماثل مع شخص آخر ، لمنع عمليات التزوير وتقليد التوقيعات . تستخدم تقنية الهندسة الوراثية لفصل بعض المورثات من لعاب الشخص أو شعره وإضافتها إلى مواد صناعة الحبر الذى يصبح بمثابة البصمة المميزة للشخص .

اللغة والنقد والأدب

تعريف بكتاب

« الصيام من البداية حتى الإسلام »

تأليف الدكتور / على أحمد الخطيب

تقـديم فضيلة الشيخ / طوسون إبراهيم حواش

الحمد لله ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد :

فقد أصدرت سلسلة البحوث الإسلامية ، بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، عددا من الكتب التى تتحدث عن الصيام ، وهى كتب لها قيمتها ومكانتها ، تحدث معظمها عن الصيام من الناحية التشريعية فى شريعة الإسلام ، كما تحدثت عن أحكام هذه الفريضة : ما تصح به ، وما يبطلها ، وكل مايتعلق بها من أحكام .

أما كتاب « الصيام من البداية حتى الإسلام » : فهو يختلف عن هذه الكتب جميعا ، إذ أنه يعتبر من أشمل الموضوعات التى كتبت عن الصيام ، وأدقها وأقواها وأوسعها ، وأعمقها ، وأبعدها أثرا ، فهو يشتمل على كل مايحتاجه الباحثون ، والدارسون ، والوعاظ ، والخطباء ، والمعلمون ، والموجهون من معالم الصيام على مدى التاريخ .

ولقد قدم لهذا الكتاب فى طبعته الثانية ، فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد السيد أحمد سعود وكيل الأزهر ، والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، ونبه فضيلته فى مقدمته إلى أهمية هذا الكتاب وحاجة المسلم إليه .

والكتاب قد اهتم بالحديث عن الصيام ، وعلاقته بالعقائد المختلفة ، سواء كانت عقائد سماوية من تشريع الله رب العالمين ، أو كانت عقائد من صنع البشر واختراعهم لها ، وليس فيها من عند الله شىء .

ولقد كان لحديثه عن النبوة الأولى ، وهبوط آدم ــ عليه السلام ــ إلى الأرض يحمل المعرفة التى علمه الله إياها ، أهمية كبرى .

كما كان لحديثه عن آدم ، وإدريس ، ونوح ــ عليهم السلام ــ من صام منهم ومن لم نستدل له ــ

على صيام – ما يثلج الصدر ويريح النفس .

وطوف بنا هذا الكتاب متتبعاً الأمم السابقة من أهل الكتاب ، ومن غيرهم ، حتى انه وصل إلى القبائل البدائية بسالكا شتى الطرق ، فاستخلص من كتب التاريخ المختلفة ، والمتنوعة ، صورا مختلفة ، ومتنوعة من الصيام الرياضى الصحى ، التأديبى ، والتعزيرى ، باذلا المجهود الضخم فى الوصول إلى كل هذا ؛ حتى وصل إلى شىء من صيام الهند ، وفارس والروم ، واليونان ، وقدماء المصريين ، وهؤلاء وهؤلاء مما لا يمكن لهذا المقال أن يحصهم .

وأما حديثه عن صيام بنى إسرائيل ، وتحريه للدقة فى أدلته فقد بلغ به شأواً بعيدا .

ولما أراد أن يفسر قول الله – تعالى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾

البقرة

استند فى تفسيرها إلى الأقوال المعتمدة والأدلة القوية مرجحاً ما كان صوابا من وجهة نظره مدللا على ذلك .

كما حدثنا عن الصيام فى : النصرانية ، ومذاهبها المختلفة : من كاثوليكية ، وأرثوذكسية ، وبروتستنتية . متتبعاً مختلف الممارسات لهذه العبادة عند هؤلاء ، كاشفا اللثام عن كثير من الغموض الذى لا يهتدى إليه الإنسان من غير بحث وتنقيب .

أما حديثه « أى الكتاب» عن الصيام فى الشريعة الإسلامية – شريعة سيدنا محمد ﷺ فقد بدأه بلمحة عن صيام العرب فى الجاهلية ، وأنواعه ومصادره قبل الإسلام ، خاصة أن بعض طوائف اليهود قد سكنت هذه الجزيرة ، وبعض **النصارى ويسر الله – تعالى – له أن يعرف اسم الصيام عن الكلام فى العربية (الضرس) .**

وأولى المؤلف نصيبا لصيام النفل فى غير رمضان ، وصيام النبى – ﷺ – وصيام أصحابه ونوع هذا الصيام .

وتطرق إلى دراسة الصيام فى الشريعة الإسلامية جملة ، وحديثه عن صيام رمضان كان حديثا قيما ، وبليغا ، ومهما جدا حيث تعرض لشرح الآيات التى نزلت فى هذا الشأن مبيناً أن الله تكفل بتفصيل أمر الصيام عناية منه – سبحانه – بهذه العبادة ، فتحددت فى القرآن الكريم ببيان أنه فرض ، وأنه شهر ، هو شهر رمضان ، وأن بدايته من الفجر إلى الغروب ، وهو تحديد لم يأت فى عبادة غير رمضان ، ولعل ذلك بسبب مانال شريعة الصيام من تلاعب فيما كان قبل الإسلام

غير أن المؤلف لم يتعرض لأحكام الصيام فيما يرد على الصائم من أمور قد تكون سببا فى فطره أوصحة صومه ، وكان يمكن أن يزيد فى ذلك بضعة صفحات ، ونرجو أن يتاح له هذا فى طبعة تالية .

وبالجملة فالكتاب لا غنى عنه لكل طالب علم .

لهذا فالأزهر يقدمه للمسلمين راجيا الله سبحانه أن ينفع به وأن يجزى مؤلفه خير الجزاء والله الهادى إلى الطريق المستقيم .

الشواهد النحوية بين الدلالة اللغوية والمتعة الأدبية

للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلي على القرني

الأخوة وأثرها فى معترك الحياة :

طالما تمثلنا بهذا البيت المأثور حينما نتلفت حولنا فلا نجد إلا الأخ الصادق الذى ينجد فى الملمات ، وينفع فى المهمات ، ويقبل عند العثرات .. هذا البيت هو :

أخـــاك أخـــاك إن من لا أخالـــه كساع إلى الهيجــــا بغير سلاح

والبيت لشاعر إسلامى مشهور بلقبه هو « مسكين الدارمى » ، وقد استشهد به النحاة فى باب الإغراء .

والإغراء : هو الحث على فعل أمر محمود ، والاسم الذى ينصب على الإغراء يسمى مُغْرىً به ، وهو مفعول لفعل محذوف وجوباً أو جوازاً تقديره : الزم .

والمغرى به . فى هذا البيت هو كلمـــة «أخاك» .

وإذا تكرر المغرى به أو عطف عليه وجب حذف الفعل الذى ينصبه ، أما إذا لم يكرر أو يعطف عليه جاز حذف الفعل .

فإذا قلت : «الأمانةَ الأمانةِ» أو «الأمانةَ والصدق» كان الفعل وتقديره «الزم» محذوفا وجوبا .

أما إذا قلت «الأمانةَ» فقط دون تكرار أو عطف ، كان الفعل محذوفا جوازا ، وعلى هذا فكلمة «أخاك» فى البيت المذكور منصوبة على الإغراء ، أى انها مفعول به لفعل محذوف وجوباً تقديره الزم .

وعلة حذف الفعل وجوباً ـ كما ذكر النحاة ـ أنهم جعلوا الاسم الأول كالفعل ، والاسم الذى يجيىء بعده ـ سواء أكان تأكيداً أو معطوفاً ـ كالمفعول به ، فكأنَّ كلمة (أخاك) فى البيت بمنزلة الفعل (الزم) فلا يحسن حينئذ أن يبرز الفعل فيكون تكراراً .

معنى البيت :

والبيت معناه واضح ، فإن الشاعر يدعو فيه إلى اتخاذ الأخ والتزامه ، ويعلل ذلك بالتشبيه الجميل الذى جاء بعده ، فإن الذى لا يتخذ أخاً فى الحياة ، يكون كالمحارب الذى يمضى إلى ميدان القتال ولا سلاح معه ولا عدة له ، فكيف يحارب ؟ وكيف يتقى عدوه ؟ .

وهو يشير بذلك إلى أن الحياة كميدان القتال لا تخلو من الصراع ، ولا تفرغ من النوازل ، والذى يقى الإنسان ضرباتها ونزاعاتها ونوازلها هو الأخ الصادق الناصح الذى يكون عُدَّة لصديقه عند الشدائد ، يفزع إليه ، يشكو له همه فيواسيه بنفسه وماله ، أو يفرج عنه بمشورته ورأيه ، كما قال الشاعر الحكيم :

ولابد من شكوى إلى ذى مروءة
يواسيك أو يُسليك أو يتوجع

الدعوة إلى الإخاء من الدين :

وقد دعا النبى ﷺ إلى اتخاذ الإخوان ، والاستظهار بهم ، وهو الذى آخى بين المسلمين قبل الهجرة وبعدها ، وقال فى دعوة شريفة إلى الإخاء: «المرء كثير بأخيه» ـ أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير ج ٢ ص ١٩٢ ـ وقال : أخرجه ابن أبى الدنيا عن سهل بن سعد .

وقد أخذ المحققون هذا الحديث ، وتمسكوا به وجعلوه مبدأ فى سيرهم إلى الله ، ودعوا إلى الاستكثار من الإخوان ، وقد نظم الشيخ حسن رضوان فى كتابه القيم « روض القلوب المستطاب » الذى يتناول المعارف الصرفية . هذا المعنى فى كتابه فقال :

وكثرة الإخوان شرعاً تطلب
لما لها من كل خير يرغب
فكل مؤمن له شفاعة
مطلوبة فى أمر هول الساعة
ومن على صدق اشتياقه نظر
إلى أخيه نظرة فاق البشر
وكان مثل من بصدقه اعتكف
عاماً بمسجد النبى ذى الشرف

شواهد أخرى فى البيت :

وهذا البيت فيه شواهد نحوية أخرى غير ما ذكرناه من دلالة الإغراء ـ ففيه جواز قصر الممدود ، فالهيجا ـ وهى الحرب ـ أصلها الهيجاء بالمد . قال البغدادى فى «خزانة الأدب» لقد أورد ابو عبيد القاسم بن سلام هذا البيت فى أمثاله ، وقال : هو مثل فى استغاثة الرجل بأهل الثقة . والهيجا : الحرب تمد وتقصر . قال ابن خلف : وهى فعلاء أو فعلى فيمن قصرها ، فيكون المحذوف المد دون ألف التأثيث ، وإنما كان حذف ألف المد أولى من حذف ألف التأنيث لوجهين :

أحدهما أن ألف التأنيث لمعنى ، وألف المد لغير معنى ، فكأن حذف ما ليس لمعنى أولى مما جاء لمعنى .

الثانى : أن جميع ما قصر مما همزته للتأنيث لا ينصرف بعد القصر ، ولو كان المحذوف منه همزة التأنيث لانصرف الاسم لزوال علامة التأنيث . وقد ورد هذا اللفظ مقصوراً غير منصرف فى قول الشاعر :

يارُبَّ هيجا هى خير من دَعَة

فلو كان المحذوف منه ألف التأنيث لقال : يارب هَيْجاً هو خير من دعه

وفيه شاهد آخر :

هو أن (أخا) فى البيت اسم للا النافية للجنس وهو منصوب بالألف لأنه مضاف ـ واللام بعده مقحمة بين المضاف والمضاف إليه وهو الهاء . وخبر لا محذوف تقديره موجود .

وإقحام اللام بين المتضايفين له نظير فى قول العرب مثل «يابؤس للحرب» أصله : يابؤس الحرب ..

قال ابن هشام فى المغنى : ومن ذلك قولهم : لأبا لزيد ولا أخا له .. وبعضهم اعتبره من قبيل إلزام الأسماء الخمسة الألف ، وحذف التنوين شذوذاً ـ راجع خزانة الأدب ج ٢ ص ٢٥٤ .

مناسبة البيت :

وهذا البيت ورد ضمن أبيات أنشدها مسكين فى مناسبة تعرض لها صاحب الأغانى قال : كان يزيد بن معاوية يصطفى مسكيناً ويؤثره على غيره من الشعراء ويصله .

ولما أراد معاوية أن يعقد البيعة لابنه يزيد ، تهيَّب ذلك ، وخاف الطامعين فى الخلافة ، من أمثال سعيد بن العاص ، ومروان بن الحكم ، وعبد الله بن عامر ، فأوعز يزيد إلى مسكين أن يُزَيِّن ذلك لأبيه .

فوفد مسكين على معاوية وعنده وجوه العرب فأنشده :

إليك أمير المؤمنين رحلتها
تثير القطا ليلا وهن هجود
الأليت شعرى ما يقول ابن عامر
ومروان أم ماذا يقول سعيد ؟
بنى خلفاء الله مهلا فإنما
يبوئها الرحمن حيث يريد
إذا المنبر الغربى خلّاه ربه
فإن أمير المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجد صاعد
لكل أناس طائر وجدود

لقد أشار مسكين فى أبياته على معاوية بأن يعقد ولاية العهد لابنه .

وانتهز مسكين هذه الفرصة فطلب من معاوية أن يفرض له . ولكن معاوية كان لا يفرض إلا لأهل اليمن . فرفض أن يفرض له ؛ لأن مسكينا ليس يمينا كما سيأتى فى التعريف به بعد . فغضب مسكين وخرج من عند معاوية وهو يقول :

أخاك أخاك إن من لا أخا له
كساع إلى الهيجا بغير سلاح ؟
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه
وهل ينهض البازى بغير جناح ؟
وما طالب الحاجات إلا مغرر
وما نال شيئاً طالبٌ كنجاح
لحا الله من باع الصديق بغيره
وما كل بيع بعته برباح
كمفسد أدناه ومصلح غيره
ولم يأتمر فى ذاك غير صلاح

معاوية يتراجع :

وظل الأمر كذلك حتى كثرت اليمن وتضعضعت عدنان ، فبلغ معاوية أن رجلا من اليمن قال : هممت أن لا أحل حبوتى حتى أخرج كل نزارى بالشام . ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس .

وقدم على معاوية عطارد بن حاجب التميمى ، فسأله معاوية قائلا : ما فعل الفتى الدارمى الصبيح الوجه الفصيح اللسان ؟ يعنى بذلك مسكينا . فقال : صالح ياأمير المؤمنين . يعنى بكلمة صالح أنه مازال على قيد الحياة .

فقال : أعلمه أنى قد فرضت له فى شرف العطاء وهو فى بلاده ، فإن شاء أن يقيم ، وإن شاء يقدم فإن عطاءه سيأتيه ، وبَشِّره أنى قد فرضت لأربعة آلاف من قومه .

التعريف بمسكين :

ومسكين لقب ، أما الاسم الحقيقى له فهو — كما جاء فى مهذب الأغانى ج ٥ ص ١٢٠ وغيره — : ربيعة بن عامر بن أُنَيْف الدارمى ، ينتهى نسبه إلى زيد بن مناة بن تميم ، فهو من شعراء تميم ، أو شعراء دارم . ودارم بطن من تميم .

وهو شاعر شجاع من أهل العراق ، عاش فى صدر الدولة الأموية ، كان معاصراً للفرزدق وجرير والأخطل وأضرابهم .

أما لقب «مسكين» فجاءه من قوله :

أنـــا مسكين لمن أنكـــرنى
ولمن يعرفنـــى جَدُّ نَطِـــق

فهو أحد الشعراء الذين لقبوا بأبيات قالوها واشتهرت عنهم .

وهذا البيت من قصيدة رائعة من شعره تنطق بالحكمة ، وفيها يقول :

أتـق الأحمـــق أن تصحبـــه
إنما الأحمق كالثوب الخَلَقْ
كلمـا رقـعت منـــه جانبـــاً
حركتـه الريح وهنـاً فانخرقْ
أو كصَدْعٍ فى زجاج فاحشٍ
هل ترى صَدْعَ زجاج يتفق ؟
وإذا جالستــــــه فى مجلس
أفسد المجلس منه بالخَـــرقْ
إذا نهنهتـــه كى يرعـــوى
زاد جهلا وتمادى فى الحمق
وإذا الفـــاحش لاقى فاحشاً
فهنـاكم وافـق الشَّنُّ الطبـق[1]
إنما الفـحش ومـــن يعتـــاده
كغـراب السوء ما شاء نعـق
أو حمار السوء إن أشبعتـــه
رمح النـاس ، وإن جاع نهق
أو غلام السوء إن جَوَّعتـــه
سرق الجار ، وإن يشبع فسق
أيها السائـل عمـــا قد مضى
هل جديد مثل ملبوس خلَق
أنـــا مسكين لمن أنكـــرنى
ولمن يعرفنـــى جدُّ نطِـــق

ولقد كان جدُّ نطـق فعـلا حين قال هذه الأبيات .

شعر مسكين :

ولمسكين شعـر جيـد يرفعـه إلى طبقـات الفحول ، مع سهولة تسلك إلى قلوب السامعين وتنفذ إلى عقـولهم فى يسر . حتـى لقـد كان الفرزدق يخشاه ، ذلك أن مسكينا رثى زياد بن أبيه حين مات فقال :

رأيت زيـــادة الإسلام وَلَّت
جهـاراً حين وَدَّعنـا زيـاد

فعارضه الفرزدق وكان يبغض زيادا ويخافه فقال :

أمسكيـنُ أبكـى الله عينك إنما
جرى فى ضلال دمعها فتحـدرا
بكـيت على علـج بميسان كافـر
ككسرى على عدَّاته أو كقيصرا
أقـــول له لما أتـــانى نعِيُّـــهُ
به لا بظبـــي بالصريمة أعفـــرا[2]

(١) وافق شنٌّ طبقه : مثل يضرب فى ائتلاف الجنسين .

(٢) يعنى أنه لا يساوى موته موت ظبى بالصريمة ، وقال الميدانى : إن هذا مثل يضرب فى الشماتة .

فقال مسكين يجيبه :

ألا أيها المرء الـــذى لست قاعـــداً
ولا قائما فى القـوم إلا انبرى ليـــا
فجئنى بعـم مثـل عمـــــى أو أبٍ
كمثل أبى ، أو خال صدق كخاليا
كعمرو بن عمرو أو زرارة ذى الندى
أو البشر(٣) من كل فرغت الروابيا

فأمسك الفرزدق فلم يجبه ، وتكافًا . وقال الفرزدق فى ذلك : نجوت من ثلاثة لا أخاف بعدهم شيئا : نجوت من زياد حين طلبنى ، ونجوت من ابنى رميلة وقد نذرا دمى وما فاتهما أحد طلباه ، ونجوت من مهاجـــاة مسكين الدارمى ، لأنه لو هجانى اضطرنى أن أهدم شطر حسبى وفخرى ، لأنه من بحبوحة نسبى وأشراف عشيرتى ــ فكلاهما تميمى ــ فكان جرير حينئذ ينتصف منى بيدى ولسانى ..

ومن شعر مسكين الذى يعد من عيون الحكمة :

اصحب الأخيـــار وارغب فيهم
رب من صاحبته مثل الجرب
واصدق النـــــاس إذا حدثتهم
ودع الكـــذب لمن شاء كذب
رب مهــــــزول سمين عرضه
وسمين الجسم مهزول النســـب

ولهذه الأبيات مناسبة ذكرها أبو الفرج فى أغانيه ــ قال : خطب مسكين فتاة من قومه فكرهته لسواد لونه وقلة ماله ، وتزوجت رجلا من قومه ذا يسار ليس له مثل نسب مسكين .

فمر بهما مسكين ذات يوم وتلك المرأة جالسة مع زوجها فقال :

أنـــــا مسكين لمن يعرفنـــــى
لونى السمرة ألـــوان العـــرب
من رأى ظبيـــاً عليـــه لؤلـــؤ
واضح الخديـن مقرونـاً بضب(٤)
أكسبتـه ٱلـورِقُ البـيض أبـاً
ولقـد كان ومـــا يدعـــى لأب
رب مهـــــــزول سمين عرضه
وسمين الجسم مهـزول الـــنسب
أصبحت ترزق من شحم الـذرا
وتخال اللـــــؤم دُرًّا ينتهب(٥)
لا تلمهـــــــا إنها من نسوة
صخبات ملحهـا فوق الـركب(٦)
كشَمـوس الخيـل يبـــدو شغبها
كلمـــا قيـــل لها هال وهب(٧)

ونحن ما أحوجنا فى أيامنا هذه إلى التمسك بمضمون هذا البيت . فإن الأخ الصادق عدة الزمان ، وذخر الحياة ، وقد قالت الحكماء : رب صديق أود من شقيق .

(٣) يقصد بالبشر احد أخواله من النمر بن قاسط .

(٤) يعرض بجمال المرأة وقبح زوجها الذى يشبه الضب .

(٥) شحم الذرا : شحم السنام ، يقول : غيرها المال والرزق الواسع فعميت عن الحقائق .

(٦) فى أمثال الميدانى : «ملحها فوق الركب» مثل يضرب لمن يغضب سريعا ويكون سيى الخلق أدنى شيء ينفره ، كما أن الملح إذا كان على الركبة أدنى شيء يبدده .

وقيل : الملح هنا كناية عن الرضاع ــ والمعنى أنها لم تحافظ على حرمة الرضاع كأن اللبن الذى رضعته كان موضوعا فوق الركبة .

(٧) هال وهب كلمات زجر للخيل ، والخيل الشموس : النافرة .

الجيل الثانى أو الطبقة الثانية من المحققين الأعلام (٣)

للأستاذ الدكتور / السيد الجميلى

● وتتمثل أعلام هذه الطبقة فى المحققين الذين استفادوا كثيرا ـ إلى جانب تمكنهم من العربية ـ من طرق المستشرقين فى التحقيق ، ومن هؤلاء من كانوا فى القسم الأدبى بدار الكتب المصرية ، وكان يمثلهم وعلى رأسهم أستاذى وصديقى الحبيب المحقق الجهبذ الأديب العلامة المؤلف الشهير إبراهيم الإبيارى ـ رحمه الله رحمة واسعة ، ونور له ضريحه ، وجعل حسناته مقبولة وفرطاته مغفورة .

بيَّض الله صفحته ، ولقنه حجته ، وأتحفه الفردوس الأعلى لقاء ما أسدى وأعطى ـ فقد كان مفطوراً على الحلم ، مطبوعاً على الحياء الشديد ، مجبولًا على التواضع وإنكار الذات ... وقد أكرم الله محرر هذا البحث بمخالطة هذا العالم الجليل وأفاد منه إفادات جمة أسأل الله ـ تعالى ـ أن يتولى عنى جزاءه .. آمين .

ولد الأستاذ إبراهيم الإبيارى سنة اثنتين وتسعمائة وألف للميلاد ، ولقى ربه وأفضْى إلى رضوانه يوم السادس من شهر أبريل سنة أربع وتسعين وتسعمائة وألف ميلادية . وكان ـ رحمه الله ـ قبيل وفاته ينعم بحياة صحية متوازنة ، ويعمل فى همة وانتظام كما لو كان شاباً فتياً بعزيمة وهمة وقادة متجددة .

كان الأستاذ الإبيارى مدرسة ـ وحده ـ فى التحقيق ، تبعه فيها الكثير ، ومن أبنائه الأعلام فى هذا الميدان :

المحقق العلامة إبراهيم الإبيارى

الأستاذ الدكتور عبدالمجيد دياب المحقق الكبير المعروف ـ أطال الله عمره ـ وقد قطن بالقرب من أستاذه بمنيل الروضة ، متفيأ من ظلاله ؛ سائراً على دربه ، مسترشداً بمشكاته .

تفرد الأستاذ إبراهيم الإبيارى بنشاط تأليفى وتحقيقى ملحوظ .

بدأ ـ رحمه الله تعالى ـ حياته بالتدريس فى المدارس الأميرية ، ثم عمل فى شبابه الباكر موظفاً بدار الكتب المصرية القديمة (بباب الخلق) وقد تهيَّأ له ما لم يتهيَّأ لكثير من أضرابه من فرص جليلة أفاد منها ، وأعطى بسخاء وجود منقطع النظير .

وقد ذكر لى ـ رحمه الله ورضى عنه ـ أن أول كتاب حققه هو « المعجم فى بقية الأشياء » لأبى هلال العسكرى بالمشاركة مع الأستاذ عبدالحفيظ شلبى ـ رحمه الله ـ وكانا يعملان سوياً بعد تخرجهما فى (دار العلوم) بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية ، هذا القسم الذى كان يحن إليه ويذكره فى كل مناسبة ، وأذكر أنه ـ قبل وفاته ببضعة أشهر ـ ذكر لى أن المجد الأدبى وازدهاره موقوف ومصروف تماماً إلى عودة القسم الأدبى بدار الكتب المصرية إلى ما كان عليه سلفاً من إعادة واهتمام ورعاية .

قدم الأستاذ الإبيارى للمكتبة أكثر من ستة عشر كتاباً من تأليفه ، وكتاباً واحداً مترجماً عن الإنجليزية هو « الحمراء » وفى حديث لى معه ـ رحمه الله ـ من نحو عشر سنين سألته : كم كتاباً قدمت يا أستاذ .. ؟

فقال : مائة وخمسون كتاباً .

ولم أستوضح منه ـ يومئذ ـ المحقق منها والمؤلف ... وبعض ما حققه كان بالمشاركة مع آخرين ، وها نحن نقدم من تراثه ما يلى :

تأليفاً :

١ ـ تاريخ القرآن .

٢ ـ مغيب دولة (الدولة الأموية) .

٣ ـ ميلاد دولة (الدولة العباسية) .

٤ ـ نهاية المطاف (الدولة الفاطمية) .

٥ ـ الدولة الإخشيدية .

٦ ـ الدولة الأيوبية .

٧ ـ مع الأيام .

٨ ـ عذراء البصرة .

٩ ـ معاوية بن أبى سفيان فى الميزان .

١٠ ـ ألوان فى الأدب العربى .

١١ ـ كيف تتكلم الإسبانية (بالأسبانية) للعرب .

١٢ ـ كيف تتكلم العربية (للمتعلمين الأسبان) .

١٣ ـ الوليد بن يزيد .

١٤ ـ هند (لا يزال مخطوطا لم يطبع بعد) .

١٥ ـ كتاب لم يسم بعد .

١٦ ـ الموسوعة الشوقية (شرح ديوان الشوقيات) عشرة أجزاء .

١٧ ـ مقتطفات من كتب الأدب العربى بالمشاركة مع الدكتور طه حسين ، والأستاذ على البجاوى ، والأستاذ عبدالسلام هارون ـ رحمهم الله .

١٨ ـ فصول مختارة من كتب التاريخ بالمشاركة معهم (٣) أجزاء .

١٩ ـ مُهَذَّب السيرة النبوية للكبار .

٢٠ ـ مُهَذَّب السيرة النبوية للأطفال .

٢١ ـ السيرة النبوية لابن هشام .

وترجمة :

ـ الحمراء (عن الإنجليزية) .

وتحقيقا :

ـ المعجم فى بقية الأشياء لأبى هلال العسكرى بالمشاركة .

ـ ديوان عبد المطلب ـ بالمشاركة .

ـ السيرة لابن هشام ـ (أربعة أجزاء) ـ بالمشاركة .

ـ شرح ديوان المتنبى للعكبرى (أربعة أجزاء) ـ بالمشاركة .

ـ الوزراء والكتاب للجهشيارى ـ بالمشاركة .

ـ فقه اللغة للثعالبى ـ بالمشاركة .

ـ أزهار الرياض ـ (ثلاثة أجزاء) ـ بالمشاركة .

ـ العقد الفريد لابن عبدربه (ستة أجزاء) ـ بالمشاركة .

ـ تعريف القدماء بأبى العلاء .

ـ شرح سقط الزند (ستة أجزاء) ـ بالمشاركة .

ـ اللزوميات (الجزء الأول) .

ـ سير أعلام النبلاء (الجزء الثانى) .

ـ الغصون اليانعة لابن سعيد .

ـ الأيام والليالى والشهور للفراء .

ـ المعرب لابن دحية ـ بالمشاركة .

ـ المقتضب من تحفة القادم لابن الأبار .

ـ إعراب القرآن للزجاج (ثلاثة أجزاء) .

ـ المحكم لابن سيده (الرابع) .

ـ اختصار القدح المعلى لابن سعيد .

ـ لطائف المعارف للثعالبى .

ـ تجريد الأغانى (ستة أجزاء) .

ـ المعجم الكبير (الجزء الأول) .

ـ المبنى للقاضى عبدالجبار .

ـ ترجمة حادثة بدر .

ـ مختار الأغانى لابن منظور .

مراجعة تحقيق :

ـ رفع الإصر عن قضاة مصر (جزآن) .

ـ المقتضب فيما وافق لغة مصر من لغة العرب .

تقديم كتب تحقيق :

ـ مهذب الأغانى (جزء المغنين) .

ـ طوق الحمامة لابن حزم .

هذا غير عديد من المقالات والبحوث المنشورة فى الشعر والنثر واللغة على مدار سبعين عاما أو يزيد .

الشيخ العلامة المؤلف المحقق الجهبذ/ محمد محيى الدين عبد الحميد إبراهيم

إمام الأئمة ، شيخ الشيوخ ، العلامة اللغوى النحوى الفقيه الأصولى ، الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد إبراهيم ، ولد فى قرية « كفر الحمام » من أعمال مركز الزقازيق بمديرية الشرقية سنة ١٩٠٠م ألف وتسعمائة للميلاد ، الموافق سنة ثمان عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة فى يوم الثالث والعشرين من شهر سبتمبر .

حفظ الشيخ محمد محيى الدين القرآن فى صباه فى كتاب القرية ، كما كان الشائع فى عصره ، ثم تلقى تعليمه ودراسته الأولية ، ثم بعد ذلك التحق بمعهد دمياط الدينى ، ثم معهد القاهرة بعد ذلك .

تخرج فى الأزهر ، ثم حصل على شهادة العالمية سنة أربع وعشرين وتسعمائة وألف ،

وهى شهادة العالميـة النظاميـة مع أول فرقـة نظامية ، ثم نال درجة التخصص فى التدريس سنة خمس وعشرين وتسعمائة وألف .

بموجب هذه الدرجة العلمية وعقب تخرجه تم تعيينه مدرساً فى معهد القاهرة الأزهرى .

ثم اختير بعد ذلك للتدريس فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف عند إنشاء كليات الجامع الأزهر سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة وألف .

ولما أن أنشىء قسم الدراسات العليا (تخصص المادة) اختير للتدريس به . وقد أُعِيرَ للسودان سنة أربعين وتسعمائة وألف ، وكان منوطا به وضع منهج للعلوم اللغوية والدينية لمدرسة الحقوق السودانية التى أنشئت وقتـذاك ، وهـى كليـة الحقوق بجامعة الخرطوم .

وعلى مدار سنـوات أربـع ظل الطـــلاب والدارسون السودانيون ينهلون من علمه الفياض ، وحتى يومنا هذا لاتزال مؤلفاته اللغوية والدينية مرجوعاً إليها كمراجع وثيقة لانظير لها سواء كانت مؤلفات ، أو تحقيقات لأمهات وعيون كتب التراث .

ثم رجع إلى القاهـرة سنـة ثلاث وأربـعين وتسعمائة وألف ، حيث عُيِّن وكيلًا لكلية اللغة العربية ، ثم اختير بعد ذلك مفتشاً للغة العربية بالمعاهد الدينية ، ثم انتقل وتحول بعد ذلك إلى التدريس بكلية أصول الدين سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وألف للميلاد .

ثم تم تعيينه سنة اثنتين وخمسين وتسعمائـة وألف مديراً لتفتيش العلوم الدينية والعربية بالجامع الأزهر ، والمعاهد الدينية .

العلامة المحقق محمد محيى الدين

ثم شغل منصب عميد كلية اللغة العربية سنة أربع وخمسين وتسعمائة وألف ومكث فيه خمس سنوات كاملة .

وفى سنة تسع وخمسين تولى التدريس بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف ، ثم أُعِيد فى أكتوبر سنة أربع وستين عميداً لكلية اللغة العربية .

وقد أُحِيل إلى المعاش عندما بلغ سن التقاعد سنة خمس وستين وتسعمائة وألف ، وكان قد بلغ من عمره الحافل فى ذلك الوقت خمساً وستين سنة .

ثم بعد ذلك اختير رئيساً للجنة للفتوى التى يقع مقرها بالجامع الأزهر ولاتزال به إلى يومنا هذا ، ورئيساً للجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية . كذلك اختير — رحمه الله — عضواً بمجمع اللغة العربية ، ثم عضواً بمجمع

البحوث الإسلامية بالقرار الجمهورى رقم ٧٢٢ سنة ١٩٧٢ .

والشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد إبراهيم كان نموذجاً فريداً ، ومثلًا مضروباً للعالم الموسوعى التحرير ، الذى أحاط بالعلوم اللغوية وأنواعها ، والعلوم الشرعية وأصولها إحاطة شاملة ، كانت وظلت ولا تزال لافتة للأنظار .

وخيرُ شاهد ومستَدَلٍ به على ذلك تلك التحقيقات والشروح والحواشى الجليلة النافعة على المتون ، وإسهامه العلمى الدقيق فى تحقيق أمهات الكتب عن مخطوطات نادرة ، ثم نشرها على أوسع نطاق ، كذلك إعادة النظر فى تحقيقات أخرى سابقة عليه أو معاصرة له .

لقد كان الشيخ العميد محمد محيى الدين عبدالحميد امتداداً لعنصر كريم ، وأرومة طيبة ، وجرثومة ممحوضة ، وذرية طاهرة ، وضريبة نقية ، فقد كان أبوه مفتياً لوزارة الأوقاف ، ثم تم تعيينه قاضياً .

فرفع الله سبحانه وتعالى – درجة والِدِهِ – وأعلا شأنه ، وخلّد ذكره بأن رزقه من صلبه علماً مرفوعاً ، وعملاقاً ملحوظاً ، ظل وسيظل اسمه بالعلم والفضل مذكوراً ، وقد عين الملك فؤاد والده مفتياً سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وألف ، فشغل هذا المنصب مع صغر سنه .

وتوفى والده – رحمه الله – سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وألف ، قبل تخرج ابنه الشيخ (محمد محيى الدين) بسنة واحدة .

تزوج الشيخ محمد محيى الدين من كريمة المرحوم الشيخ محمد هارون ، رئيس المحكمة الشرعية العليا ، وقد كان – رحمه الله – قاضياً فى السودان فى ذلك الوقت قبل الشيخ المراغى .

وهذا القاضى الكريم هو والد المحقق العلامة البحاثة الشهير الأستاذ عبدالسلام محمد هارون .

عاش الشيخ محمد محيى الدين إبراهيم حياة أسرية هادئة مستقرة مع كريمة الشيخ محمد هارون شقيقة المحقق الكبير عبدالسلام محمد هارون ، وقد رزقه الله – تعالى – من هذه العقيلة الكريمة بثمان بنات وابن واحد ، هو المهندس نبيل محمد محيى الدين .

وعلى الرغم من اهتماماته العلمية الواسعة ، وجسامة المسئولية الملقاة على عاتقه ، والمناصب الرفيعة المسندة إليه ، والأثقال الفوادح المنوطة به ، على الرغم من هذا كله ، كان أباً باراً حنوناً ، شديد الشفقة والحدب ، والتحنن على بناته .

ولم يعوقه هذا العدد الكبير للأسرة عن رسالته ومهماته ، فإنه لمن الشاق ومن الصعب ممارسة الكتابة تأليفاً أو تحقيقاً فى أسرة من عشرة أفراد أو تزيد ... لكن الشيخ – رحمه الله – كان مطبوعاً على الخير ، مفطوراً على الفضيلة فلم يزده هذا إلا حماساً وهمة .

وكما كان يسعد بوجوده وسط أبنائه محوطاً بهم ، منظوراً منهم وناظراً إليهم ، كان يطيب إلى نفسه وقلبه وخاطره أن يراهم حلقة منظومة حوله كالقلادة حول العنق وكان – أيضاً – يسعده كثيراً زيارة أقربائه وأهله ... فقد كان (كبيراً للعائلة) ؛ لأن أباه مات قبل تخرجه ، وكانوا يعتبرونه كبير الأسرة بعد أبيه – رحمه الله .

اشتُهِرَ أهل الشرقية بالسخاء والكرم والجود

السابع غير المحدود ، مع الأريحية وسلامة الصدر ، وطيبة القلب .. فإذا قيل لك : إن فلاناً شرقاويّ ... فلابد أن يكون كريم الخلق سريّ النفس ، مرضيّ الشمائل ، نديَّ اليد طلقَ الوجه ، سهلَ الطبيعة .

ومن كانت هذه خلاله ، وتلك سجاياه كان زائراً ومزوراً ، ومعطياً قبل أن يكون آخذاً ... وهو طيب الخاطر سعيد بالانتماء لأهله وبلده .

من ثم كان مستراحاً للصادر والوارد فالبيت مفتوح الأبواب ، مريع الجنات ، يتهلل للضيوف الطوارق ليلًا أو نهاراً . وبيت مثل هذا البيت يظل على مدار الأربع والعشرين ساعة مثابة للعفاة والنزلاء ، أقربين وغرباء ، مسكوناً بالخير والبر والملائكة ، لا تزايله البركة طرفة عين .

لم يكن البيت المسكون المعمور أقل انفتاحاً من قلب الشيخ السمح الذى تتقاطر منه الفضائل المنفوحة ، وتنثال من عرقاته المنح الجليلة ، والعواطف الدافئة ، والمشاعر الرقيقة .

وفى الليلة الظلماء يُفتقدُ البدرُ ... فإنه عند المشكلات الجسام ، والمعضلات المستغلقة ، والأمور المستحكمة المستعجمة ، وعندما تنوب النوب ، وتدهم الخطوب ، لا يكون مندوباً لها إلا فتاها الندب النحرير .

كانَ يحمل على كاهله كل هذه المسئوليات والتبعات الكثيرة ، سواء لأهله (وبلدياته) وأقربائه ، أو أصدقائه وتلاميذه ومريديه .

كما كان مرتاداً مقصوداً من العلماء الأعلام فى عصره وهم من مشايخ الأزهر لكونه قريباً من الأزهر فى منطقة الحلمية .

وقد قال الشاعر العربى :

نتزل الطيرُ حيثُ يُلْتقَطُ الحبُّ
وتُغْشَى منازِلُ الكرماءُ

من أجمل سجاياه ، وأطيب خلاله ، وأندى معروفه أنه كان كثير الإجلال والتقدير والحب لمشايخه وأساتذته الأزهريين ، وهم الذين كانوا يزورونه ، ويترددون عليه دائماً ، منهم : الشيخ عيسى مانون وكان أستاذاً له ، وكان رجلًا عالماً شامياً . تقلد عمادة كلية الشريعة وكان كثير الاتصال وثيق الصلة به .

والشيخ الظواهرى ــ رحمه الله ــ وقد كان ظريفاً حاضر النكتة محباً للظرفاء . وغيرهما كثير ، من علماء الشام وتركيا وروسيا وأفغانستان ويوغوسلافيا ، والشيشان .

وعندما ذهب (على ماهر) باشا للسودان ، وحضر الحاكم العام الإنجليزى هناك لاستقباله ، وكان الشيخ محمد محيى الدين هناك حاضراً هذا الاستقبال ، فسلَّم الشيخ على (على ماهر) ثم على الحاكم العام الإنجليزى ، وذلك لشدة حرصه على قوميته وانتمائه إلى بنى جلدته ، حتى إن على ماهر باشا قال له : لقد أحرجتنا يا شيخ محيى الدين !!

كان الشيخ يعطى دروسا دينية فى السودان لكبار الموظفين هناك فى ندوة أسبوعية بمثابة صالون دينى وأدبى ، كما كان يذهب إلى الجيش المصرى هناك يوم الجمعة قبل الصلاة لإقامة ندوات مفتوحة مع العساكر والضباط ، وكان ممن حضر ندوته من الضباط المصريين فى ذلك الوقت جمال عبد الناصر ، وزكريا محيى الدين .

من الوقائع المشهودة أن علماء جنوب السودان علموا أن الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد حضر للسودان لتأسيس بعض كليات (جامعة الخرطوم)، وكان يعرفون مكانته وقدره، فسرعان ما قدموا إليه مترجلين، فما أن رأوه خلعوا نعالهم ومشوا متقدمين إليه تكريماً له وإكراماً لمنزلته ... وهذا على عادتهم فى ذلك.

إن الكلام عن هذه الشخصية الكبيرة فوق مستوى البحوث المحدودة والوريقات المعدودة، لكنها أجدر بالإفراد بدراسة متعمقة مفصلة لتجلية جوانب العبقرية والشموخ والرسوخ والتمكين فى هذه العبقرية الفذة المؤثرة التى لا يزال، وسيظل إشعاع حياتها ووميض أثرها يضيىء كثيراً من أغفال وجوانب حياتنا العلمية والفكرية، فنسأل الله - تعالى - أن يقوينا، ويعيننا على أداء هذه الرسالة على الوجه المرضى. فليس هناك أجمل من رد الاعتبار. وعرفان الجميل لأرباب الفضائل وأصحاب الفضيلة.

من أجمل ما قيل فى الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد، ما أعلنه الأستاذ عبد السلام محمد هارون فى حفل تأبينه قائلًا:

إنى - وأنا من أقرب الناس إليه، ومن أعرفهم بقدره - لا أستطيع إلا أن أستعلن عجزى عن تبيان فضله ومآثره، إلا أن أصنع فى ذلك كتاباً أظل أنمقه دهراً، لكنى أرانى قد ألقيت شيئاً من الضوء على حياته الحافلة المباركة المفعمة بالتوفيق، الهادفة الخدمة والإسعاد لبنى وطنه المصرى، ووطنه الإنسانى.

نشاطه العلمى التحقيقى والتأليفى

من نشاطاته الجليلة فى التأليف والتصنيف، والتحقيق إصدارات نافعة عظيمة القدر نفيسة القيمة، وهى عشرات الكتب والمطبوعات التى تربو على ثلثمائة كتاب فى شتى العلوم والفنون المختلفة.

وهذه قائمة ببعض تحقيقاته ومؤلفاته، علماً بأن شروحه على كتب بعينها تعنى تحقيقه لهذه الكتب أيضاً:

تفسير القرآن العظيم (جزء عم) (تأليف).

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك .. ابن عقيل - ٤ أجزاء.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك .. ابن هشام - ٤ أجزاء.
- شرح قطر الندى وبل الصدى .. ابن هشام - مجلد واحد.
- منتهى الأدب بشرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب .. ابن هشام - مجلد واحد.
- مطالع السرور الجامع بين مقررات القطر والشذوذ .. ابن هشام - مجلد واحد.
- الانصاف فى مسائل الخلاف .. ابن الأنبارى - (جزأين).
- الانتصاف من الانصاف (تأليف) مغنى اللبيب عن كتاب الأعاريب .. ابن هشام - جزأين.
- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك .. الأشمونى - ٤ أجزاء.
- تنقيح الأزهرية (تأليف) - جزء واحد.

ـ التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية ـ جزاء واحد .
ـ شرح شافية ابن الحاجب ـ ٤ أجزاء .
ـ دروس التصريف (تأليف) ـ جزء واحد .
ـ مروج الذهب .. المسعودى ـ ٤ أجزاء .
ـ وفيات الأعيان .. ابن خلكان ـ ٦ أجزاء .
ـ فوات الوفيات .. ابن شاكر ـ ٤ أجزاء .
ـ تاريخ الخلفاء .. السيوطى ـ جزء واحد .
ـ سيرة النبى ﷺ ..ابن هشام ـ ٤ أجزاء .
ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب .. المقرى ـ ١٠ أجزاء .
ـ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى .. (السمهودى) ـ ٤ أجزاء .
ـ يتيمة الدهر وعصرة أهل العصر .. الثعالبى ـ ٤ أجزاء .
ـ صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار .. لابن بلهيد النجدى .
ـ المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد ـ جزأين .
ـ زهر الآداب وثمر الألباب .. الحصرى ـ ٤ أجزاء .
ـ العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده .. ابن رشيق ـ جزأين .
ـ أدب الكاتب .. ابن قتيبة ـ جزء واحد .
ـ المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر .. ابن الأثير ـ جزأين .
ـ مجمع الأمثال .. الميدانى ـ جزأين .
ـ شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة ـ جزء واحد .
ـ شرح مقامات بديع الزمان الهمذانى ـ جزء واحد .
ـ شرح ديوان الحماسة .. التبريزى ـ ٤ أجزاء .
ـ شرح القصائد العشر .. التبريزى ـ جزء واحد .
ـ شرح المعلقات السبع .. الزوزنى ـ جزء واحد .
ـ شرح ديوان الشريف الرضى .
ـ الموازنة بين أبى تمام والبخترى .. الآمدى ـ جزء واحد .
ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص .. العباسى ـ ٤ أجزاء .
ـ رسالة الآداب فى علم أدب البحث والمناظرة (تأليف) ـ جزء واحد .
ـ بدائع الصنائع .. الكاسانى .
ـ جواهر الألفاظ .. قدامة بن جعفر ـ جزء واحد .
ـ شرح الرحبية ـ جزء واحد .
ـ فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى ـ جزأين .
ـ الموافقات فى أصول الأحكام .. الشاطبى ـ ٤ أجزاء .
ـ الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية (ابن قيم الجوزية) .
ـ الشرح الصغير ـ ٦ أجزاء .
ـ المسودة فى أصول الفقه .. ابن تيمية ـ جزء واحد .
ـ مقالات الإسلاميين .. الأشعرى ـ جزأين .

ـ رسالة التوحيد .. محمد عبده ـ جزء واحد .
ـ الحاوى للفتاوى .. السيوطى ـ جزأين .
ـ الفرق بين الفرق .. البغدادى ـ جزء واحد .
ـ توضيح الأفكار لمعانى تنقيح الأنظار ـ جزأين .
ـ الداء والدواء .. ابن القيم ـ جزء واحد .
ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول .. ابن تيمية ـ جزء واحد .
ـ الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع .. الخطيب الشافعى .
ـ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء .. ابن حبان البستى .
ـ الاختيار لتعليل المختار .. الموصلى ـ ٤ أجزاء .
ـ سنن أبى داود ـ ٤ أجزاء .
ـ الترغيب والترهيب .. المنذرى ـ ٦ أجزاء .
ـ شرح ألفية السيوطى فى مصطلح الحديث ـ جزء واحد .
ـ منهاج الوصول فى معرفة علم الأصول .
ـ المسامرة بشرح المسايرة .. الشافعى ـ جزء واحد .
ـ اللباب فى شرح أديب الكتاب .. الميدانى ـ ٤ أجزاء .
ـ شرح جوهرة التوحيد .. اللقانى ـ جزء واحد .
ـ شرح السراجية .، الجرجانى ـ جزء واحد .

ـ سبيل الفلاح شرح نور الإيضاح (تأليف) .
ـ كفاية الطالب الربانى .
ـ موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول .. ابن تيمية .
ـ اللباب فى شرح الكتاب .. الميدانى (٤ أجزاء) .
ـ شرح جوهرة التوحيد اللقانى (جزء واحد) .
ـ شرح السراجية .. الجرجانى (جزء واحد) .
ـ سبيل الفلاح شرح نور الإيضاح (تأليف) .
ـ كفاية الطالب الربانى .
ـ موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول .. ابن تيمة .
ـ رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة .
ـ الدروس الفقهية على مذهب السادة الشافعية ـ جزء واحد .
ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين .. ابن القيم ـ ٤ أجزاء .
ـ أحكام المواريث فى الشريعة الإسلامية على المذاهب الأربعة (تأليف) ـ جزء واحد .
ـ الأحوال الشخصية فى الشريعة الإسلامية مع الإشارة إلى ما يقابلها فى الشرائع الأخرى (تأليف) ـ جزء واحد .
ـ المختار فى صحاح اللغة .. بالاشتراك مع عبد اللطيف السبكى ـ جزء واحد .
ـ أبو الطيب المتنبى ما له وما عليه ـ جزء واحد .

وقفة مع كتاب جاد

الصراع الأدبى بين القديم والجديد

تأليف الدكتور / على العمارى

بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

يحمل مؤلف هذا الكتاب(٥) ميزاناً دقيقاً ـ كميزان الذهب ـ إن صح التعبير ـ لا يحيد عن الحق والحقيقة ، قيد أنملة ، وطفق يزن به تطورات المعارك التى دارت حول دعوة التجديد فى الأدب العربى ، بعد رصد الصحيح والزائف منها ، لينفذ ، من خلال ذلك كله ، إلى كشف ذوى الأغراض المريبة ، وهم يتشحون بوشاح الدعوة إلى التجديد ، لحاجات فى نفوسهم ، أبعد ما تكون عن الإنصاف .

وأشار إلى ذلك كله ، وأثره على الشادين فى رياض الأدب ، وهم يَخْطون خطواتهم الأولى ، فى البحث عن الوجهة الأصيلة التى يتعين أن يتجهوا إليها ، وهم ينشدون سبل الإبداع الأدبى ، للاقتداء والاحتذاء .

وشدَّد النكير على بعض من ينتسبون إلى العربية ، وهواهم مع أعدائها .. مستهينين بالقيم والمقدّسات ـ كما أوضح ذلك فى مقدمة كتابه ـ بقوله : « .. ومَجْدنا الإسلام ، والعربية من أغلى نفائسنا ، ولن نهادن مارقاً ينال من الإسلام ، عن طريق النيْل من لغته ، ولاخائناً يعمل جاهداً على مِحْو تراثنا الذى نعتزُّ ـ وتعتز الحضارة الإنسانية به » ..

وعلى الرغم من مرور زهاء ثلاثين عاماً على صدور هذا الكتاب القيِّم ، فإن الباحث يجد نفسه بحاجة إلى الرجوع إليه ، بين الحين والآخر ، كمرجع هام فى الدراسات النقدية ، لما اشتمل عليه من آراء صائبة ، لتصحيح المفاهيم التى سادت الساحة الأدبية فى الآونة الأخيرة ، ونستطيع أن نلمس مدى الجهد الكبير الذى بذله مؤلف الكتاب ، فى إعداد فصوله ، التى نشرها تباعاً من قبل ، فى بعض المجلات الأدبية والدينية ، وهى تدور فى مُجْملها ، حول مصاولة مَنْ حاولوا :

(٥) طبعة دار الكتب الحديثة (١٩٦٥)م .

« التبديد بادعاء التجديد » ، وهدْم القديم الرصين ، لإقامة (الجديد) الهش .. وليت المؤلف الفاضل يقوم بإصدار طبعة جديدة من كتابه هذا ، ليعمَّ النفع به ، ويتجدَّد ..

وقد قام الأستاذ أحمد حسن الزيات ــ رحمه الله ــ بتقديم هذا الكتاب ، وتلخيص ما جاء بفصوله ، بإيجاز بليغ وافٍ حيث قال : «عَرَضَ قصة الصراع الأدبى ، فى خلال القرون ، منذ تجهَّم النقاد الأولون لشعر عدِىِّ بن زَيْد ، إلى أن نشبت فى العهد الأخير معركة (الديوان)[1] ثم تكلم على نزعات التجديد فى القدامَى والمحدثين ، وكشف عن الاعتدال والقَصْد ، أو الإسراف والغلوّ ، فى أولئك وهؤلاء .. وأبان عن الزيغ والزيف ، فى أقوال المنحرفين المعاصرين ، وضرب لهم مثلين :

١ ــ شيخاً أحمق ، يزعم أن تراثنا ــ بعد القرن الثالث ــ ينبغى أن يُلْقَى فى المحيط !

٢ ــ ناقداً أخْرق ــ يدَّعى أن الشكل القديم للشعر العربى ، هو علة ما أصابنا من فساد ، فى الأدب ، والخُلُق ، والسياسة !

ثم قطع ، (أى الدكتور العمارى) ، ألسنة المتطاولين على شيوخ الأدب فى مصر ، بالحجة الدامغة ، والمنطق السليم . وحمل على دُعاة العامِّية حَمْلة فضحتْ المخبوء فى سرائرهم ، من كيْد للإسلام ، وحقد على العروبة . وعرض وجوه الصراع الأدبى ، الذى يتجدَّد ، على تعاقب العصور ، ويتولد من اختلاف الظروف .. والجامد الذى يعارض ولايُغيِّر ، والمعتدل الذى يَقْبل ولا يُسرف» أهـ .

ونحْن نعتقد أن من يطَّلع على هذا الكتاب ــ من الناشئة بصفة خاصة ــ يُنير الطريق أمامه ، ويُجنبه العثرات ، ووعْثاء الطريق ويختْصر له المسافات ، فيُصبح على بيِّنة من أمره ، فى أمور كثيرة تصادفه ، لايستطيع ــ وحده ــ أن يُدْركها ، ويحيط بها الاحاطة اللازمة ، للتبصُّر والاستيعاب .

وكل فصل من فصول هذا الكتاب القيم ، يُغرى بوقفة تُتابع فيها فكر المؤلف الفاضل ، وما انتهى إليه من آراء سديدة .

ففى الفصل الأول : يذكر أن (التجديد .. غير التبديد) ، وهو فى دفاعه عن التراث ، يرى أنه لايسوغ لعاقل ، أن يُلقى فى أعماق البحر بثروة طائلة ، تعب آباؤه وأجداده فى جمعها وتنميتها ، وبذلوا كل ما فى وِسْعهم للمحافظة عليها ، ورَدِّ عَوَادِى الزمن والضياع عنها» .

ثم يناقش رأى أحد الهدّامين الذين يرون أن الشكل القديم : بـ (البحر والقافية) ، كان تعبيراً مناسباً عن جمود الأمة العربية من جانب ، ثم كان له فِعْلَه فى تأكيد هذا الجُمُود ، واستمراره من جانب آخر .

(١) يعنى كتاب (الديوان) الذى أصدره العقاد والمازنى سنة ١٩٢١

ويرد المؤلف على هذا الزعم ، بأن هذا الشكل قد عبر ـ فى أزهى عصور الأمة العربية ـ عن تقدُّم الأمة ونهضتها ، ولم نعرف للشعر الحديث ـ الذى يُسمِّيه ناظموه شعراً (تجوُّزا) ـ أثراً يُذكر فى التعبير عن نهضتنا الحاضرة .

ويرى صاحب هذه السطور ـ فى مجال تفنيد هذا الزعم ـ أن (البحر) ـ أو وزن القصيدة ـ وهو فى صميمه يعبر عن : الجو النفسى لأعماق الشاعر ، حين التكوين الفنى ـ لم تُسلك فيه الألفاظ عبثاً .. ليست (القافية) مجرد لفظة ، ولكنها لمحة تِكرُّ على وحدة الموضوع[٢] .

ويقول المؤلف بحق : إن هذا الشكل ظَلَّ أَلْفيْن من السنين ، يؤدَّى به أدقّ الخلجات النفسية ، وأسمى العواطف الإنسانية ، وأروع الأخيلة الشعرية .. ولم يظهر جُمُوده وتحجُرهِ ، إلا حين عجز عن الأداء به ـ حفنةٌ من الناشئين ، أرادوا أن يُشْعِروا ، فنثروا .. وأبوا أن يسمُّوا نثرهم باسمه الصحيح ، فاستعاروا له اسم : الشعر ، ليصحَّ أن يُوصفوا بأنهم .. شعراء !

وكيف جَمَدَ هذا الشكل منذ البدْء ، والشعراء ظلوا يتغنون فى بُحُوره وأَضْرُبه وأعاريضه ، وما استعْصى على النابغين منهم أداء أدق معنى يحس به ؟

ويختتم الدكتور العمارى هذا الفصل ، بقوله : «وقد رأينا ـ منذ أوائل هذا القرن ـ محاولات لتجديد العربية ، رأَيْنا (مجمع البحور) ، ورأينا (الشعر المرسل) ، ورأينا الكتابة بالعامية .. ومع ذلك ، لم يُكتب لمحاولة من هذه المحاولات البقاء .. فمجمع البحور مات يوم وُلد ، والشعر المرسل ، لم تُكتَب به قصيدة جيِّدة إلى اليوم ، والكتَّاب الآن ، يفضِّلون الكتابة بالفصحى ، والجمهور نفسه أصبح يتذوق الفصحى ، أكثر مما يتذوق العامية .

ثم يتحدث المؤلف ، بعد ذلك ، عن (تجديد الألفاظ) ، ولُبّ لُباب هذا الفصل هو : **دَحْض حُجَّةُ وغرور مَنْ يقول : (أنا اللغة !) ، بمعنى أن له مطلق الحرية فى أن يختار من الألفاظ ، ما** يوافق ذوقه ، سواء رضيتْ اللغة أم كرهتْ ، وما دام يُرضى ذوقه هو ، فلا عليْه ، ولو غضب ألْفُ لغوىٍّ ! .. ويسوق لنا قول المرحوم الدكتور عبدالوهاب عزام ، فى ضَرْبه المثل بقول مسلم ابن الوليد وهو يصف الصحراء ، بقوله :

ومَجْهَـلٍ كاطِّـراد السيـف مُحْتَجَـرُ ... عن الأدِلَّاءِ مسْجـورُ الصياخيـد
تمشى الريـاح به حَسْرى مُدلَّهـةً ... حيْرى .. تلـوذ بأطـراف الجلاميـد

ثم تساؤل الدكتور عزام : ماالرأى فى (مسجور الصياخيد وأكناف الجلاميد) ؟ أهى ملائمة لذوق العصر الحاضر ؟ وهل يُرى غيرها أجْدر بمكانها فى هذا الشعر ؟

إنها لاريب حَسَنةٌ فى موْقعها ، بالغةٌ ماأُريد بها من وصْف الصحراء ، حين تشتعل فيها الهواجر ..

(٢) من مقال لنا نشر بعدد مجلة (الرسالة) الصادر ٢١ من مايو سنة ١٩٥١

ويُعقِّب المؤلف على هذا الرأى ، بقوله : «ولعل خير الطرق فى هذا الشأن ، أن نترك الأفذاذ من الكتَّاب والشعراء فى حدود الأصول اللغوية ـ يستعملون من هذه الألفاظ المهجورة ، ما تُسيغه أذواقهم ، ويشتقُّون ما يرون أنه ضرورى ، لأداء معانيهم » .

إلى أن يقول : «وما أظن أحداً من هؤلاء يستسيغ استعمال الكلمة الخشنة ، مهما كانت دِقَّتها فى أداء المعنى .. ذلك أن الأديب لاينطبع فقط بما يقرأ ، بل يخضع لمؤثرات كثيرة ، والبيئة التى تُحيط بأدباء عصرنا لاتطْبَع أذواقهم على تَقَبُّل مثل هاتيك الكلمات ، التى ما كان يستسيغها إلا العربى القحُّ المُلْتفُّ بشمْلته» .

لكنه يستدرك بعد ذلك ، قائلاً : «ولست مع أولئك الذين يعيبون كل كلمة قامُوسية ، غفل الاستعمال الحديث عنها ، فإنى رأيت من كتابنا الكبار ، مَنْ يستعمل ألفاظاً مهجورة ، وهى مع ذلك ، من أعذب الألفاظ وأرقها» ولعله يعنى (المازنى) رحمه الله ، الذى أثر عنه هذا الصنيع(ه) .

وكم كنا نود أن يضرب لنا المؤلف الفاضل ، بعض الأمثلة فى هذا المجال ، تؤيد رأيه هذا ، ليزداد القارىء اقتناعا به .

ثم يُبدى ، بعد ذلك ، رأيا سديداً ، حين يستتلى قائلاً : «ولابأس علينا ـ بعد أن نجهد جهدنا ـ فى إحياء ألفاظ موائمة سائغة ، أن نخلق ألفاظاً جَديدة ، على أن لاتشذ عن قوانين اللغة وأصولها» .

وحين يقول بعد ذلك : «والذين يريدون أن يحجروا على الكتاب والشعراء ، أن يستعملوا من الألفاظ مالا يجرى على ألسنة اليوم ، إنما يأبون أن يفرقوا بين لغة الصحافة ولغة الأدب .. فهم يتمسكون بنظرية لاتثبت للنقد ، تلك هى : القول بأن المعنى هو : كل شىء ، واللفظ إنما هو إطار خارجى ، يلجأ اليه لمجرد توضيح المعنى .. وهذه النظرية تنكر قيما كثيرة ، كان الأدب ـ ولايزال ـ يسمو ويعتز بها»(٣) .

ويختتم هذا الفصل من كتابه القيم بأبيات طريفة لصفى الدين الحلى ، حينما عاب عليه نقاد عصره سهولة شعره ، وخلو ديوانه من الألفاظ الغريبة ، فقال ساخراً أبياته المشهورة فى الرد عليهم :

(ه) كذلك كان الدكاترة زكى مبارك يفعل فى مقالاته ، ويقول : إن هذه الكلمات ليست غريبة ، إنما تناساها الكتاب والشعراء المعاصرين ؛ فأضيفت ظلماً إلى الغريب .... مجلة الأزهر .

(٣) صفى الدين الحلى (٦٧٧ ـ ٧٥٠ هـ) ولد بمدينة الحلة بالعراق وكان ذا شاعرية متدفقه ، وإتقان للعربية جعلته شاعر عصره بلامنازع واسمه : عبدالعزيز سرايابن على بن أبى القاسم ، وحضر إلى القاهرة سنة ٧٢٦ ومدح علاء الدين بن الأثير ، الذى أوصله إلى السلطان الناصر بن قلاوون . وله ديوان كبير ، أعيد طبعه عدة مرات .

ومن أشهر قصائده بديعيته التى يستهلها بقوله :

خلع الربيع على غصون جنابة

حللا فواضلها على الكثبان الخ

أنظر كتاب (فنون العربية) للدكتور محمد محمود فهمى وآخرون ط القاهرة سنة ١٩٧٩ .

إنما الحيزبـــون والدردبـــيس والطخـا والنقـاخ والعطلبـيس
والعظاريس والشقحطيب والشرقـ ـب والجربصيص والقيطمـــوس
والجراجيـح والعفنـقس والعفـ ـلـق والطرفـان والعطـوس
لغـة ، تنفـر المسامـع منها حين تروى ، وتشمئز النفـوس
وقبيح أن يسلك النافر الوحـ ـشى منها ، ويتـرك المأنـوس
إن خير الألفاظ ما طرب السا مع منـه ، ويتـرك المأنـوس
درست هذه اللغات ، وأضحى مذهب الناس : مايقول الرئيس
إنما هذه القلـوب .. حديـد ولذيـذ الألفـاظ مغناطـيس

ولعله ـ أى الحلى ـ كان يعنى نفسه بكلمة : (الرئيس) ، فى عجز البيت السابع .. أى رئيس الشعراء غير منازع ، كما نقول فى أيامنا هذه : أمير الشعراء وسيد البلغاء الخ .. ومهما يكن من شىء ، فإن (الجاحظ) يحسم هذا الأمر ، بقوله : «وكما لا ينبغى أن يكون الكلام عاميا ، وساقطا سوقيا فكذلك لاينبغى أن يكون غريبا وحشيا ... وكلام الناس فى طبقات ، كما أن الناس أنفسهم فى طبقات ، فمن الكلام : الجزل والسخيف ، والمليح والحسن ، والقبيح والسميح .. »(٤) .

وفى فصل : (تجديد التعابير) ، يسوق الكاتب رأيا للأستاذ أحمد أمين ، رحمه الله ، عن الشاعر الحديث ـ يقول فيه منددا « بالذى يبكى الأطلال ولا أطلال ، ونرى لزاما أن نستمد من حياتنا الواقعية ، ومن كل مايحيط بنا ، جملاً حية ، تلائم ما فى نفوسنا ، وأن نخترع عبارات من المجازات والتشبيهات ، والاستعارات والكنايات ، نستمدها من الحياة التى نعيشها ، والمخترعات التى نستخدمها ، وما وصلت إليه علوم : النفس والاجتماع ، والسياسة والاقتصاد» ويعقب الدكتور العمارى ، على هذا الرأى ، بقوله : «وقد استرعى انتباهى فى كلمة الأستاذ أحمد أمين ، قوله : ويبكى الأطلال .. ولا أطلال .. وهى عبارة تبناها كثير من دعاة التجديد ، يعيبون بها ، مَنْ يسمونهم المقلدين والمحافظين » « وليس العيب أن يبكى الشاعر الديار ، وأن يقف عندها ، وأن يذكر ماضيها ، وماكانت عليه ، وماكان فيها من أحباب (كما فعل ناجى فى قصيدته الأطلال مثلا) .. فهذا ليس قصراً على عصر دون عصر ، فليست الديار التى يترحل عنها أهلها ، أو يهجرها ساكنوها ، هى ديار الجاهليين فحسب ، بل توجد تلك الديار فى كل عصر » « كل هذا ليس بعيب ، وإنما العيب أن يترسم الشاعر خطى شعراء الجاهلية فيبكى دارا غير موجودة ، أو يقف على طلل لا حقيقة له ، أو يبتدىء بهذا البكاء قصيدة ، فى غرض آخر ، على طريقة المتقدمين » .

وهكذا نرى أن الدكتور العمارى ، قد انتهى إلى مشاركة الأستاذ أحمد أمين الرأى ، فى الفقرة الأخيرة ، بعد الاحتراز الذى قدمه فى الفقرة السابقة .

(٤) البيان والتبيين ١٤٤/١

وفى حديثه عن (عِبَرْ التاريخ) ، يذهب الدكتور العمارى إلى أنه : إذا كان يعيب الداعين إلى أطراح كل قديم ، فهو ـ أيضاً ـ ليس مع أولئك الذين يردون كل حديث ، مادام مصدره ، أو مبعثة : الرغبة فى التجديد .. ثم يسهب فى الحديث عن تاريخ الصراع بين القديم والجديد ، مبيناً أن التطرف ، لم يُحمد من أحد ، ويستشهد بقول شوقى ـ وهو يمتدح الأزهر الشريف ورجالاته ، وعلمائه وأعلامه :

لاتحذ حذو عصابـــة مفتونـــة ... يجدون كل قديم شيء منكـــــراً
واخشع مليـــا ، واقض حق أئمـــة ... طلعـوا به زهـراً .. ومـا جوا أبحرا
كانـوا أجـل من الملـوك جلالـة ... وأعـز سلطانـا ، وأفخـم مظهـراً

وفى حديثه عن : (الشيوخ والشباب) ، يذكر أن بعض الشباب لديهم استعداد لأن يكونوا أدباء أو شعراء ، ولكن الذى قعد بهم ليس هو عدم اعتراف الشيوخ لهم بالتفوق ، ولكنها أسباب أخرى منها : حبهم المبكر للشهرة والظهور ، ومنها : قلة صبرهم على المطالعة والدرس ، ومنها : الغرور المتبجح ، الذى يبلغ ببعضهم أن ينشر كل ما لفظته قريحته ، وإن كان غثا بارداً ! ثم يقول : «لئن كان عند بعض شيوخ الأدب (أنانية) ، فإنها لايمكن أن تقف مانعاً دون تيار النبوغ إذا تدفق .

ويختتم هذا الفصل الممتع ، بقوله : «العقاد حاول هدم شوقى لأنه كثير المدائح ، بل كان شعره ـ أى شوقى ـ حين أخرج العقاد وزميلاه (يعنى : المازنى وعبدالرحمن شكرى) ـ كتاب (الديوان) .. فى المديح .. وإن كان العقاد قد عاد فأثنى على شعر المديح ، وإذا كان الباعث عليه التقدير الخالص للممدوح ..

ولنا هنا ملاحظة هامة ، تعقيباً على قول الدكتور العمارى : فحواها : أن شكرى لم يشترك مع العقاد والمازنى فى تأليف كتاب (الديوان) سنة ١٩٢١ ، بل كان شكرى هو أحد من تناولهم هذا الكتاب بالنقد القاسى الموجع ، من يراع المازنى ، الذى كان صديقاً صدوقاً لشكرى ، ثم قلب له ظهر المجن ، بعد اتهام شكرى له ؛ بانتحال بعض معانى الشعر الانجليزى الرومانسى ، فى بعض قصائده(٥) ..

ومهما يكن من أمر ، فإن فصول كتاب (الديوان) فى النقد بصفة عامة ، تتفق واتجاه شكرى فى الأدب والنقد ، واشتراكه معهما فى مصادر الثقافة ، التى نهلوا جميعاً منها ، وصدروا عنها .. وعن الجفوة التى وقعت بين المازنى وشكرى ، قال العقاد فى رثائه لشكرى :

نفـــرا ـ وأسفـــى ـ بينهمـــا ... نفـرة ، ما عرفتْ فى القـلب حقـدا
أنـــا أدرى مانطـــوى بينهمـــا ... من رضىً أصفى من الطـلِّ وأنـدى
فيم كان البعـــد ، فيم اختلفـــا ... فيم كان الهجـر : إمعانـا وشدا
أفـــلا كان لقـــاءٌ بيننـــا ... قبل أن يفترقـا : لغـدا ولغـدا ؟!

(٥) راجع مجلة الأزهر (رجب ١٤١٢ ، ومجلة الأزهر الحجة ١٤١٢) حيث أوعبنا القضية بحثاً .

شرح ومعانى جزء «عم» •

تأليف الأستاذ / محمد عتريس

عرض وتقديم الأستاذ / أحمد أبوالفضل عوض الله

منهج المؤلف فى شرح المعانى :

الكتاب شرح لجزء «عَمَّ» بمنهج جديد لخصه المؤلف بقوله : « ولقد وجدتُ زادًا طيبا ، وفتوحات عظيمة تفضّل الله بها عَلَى من توفر على تفسير كتابه ، ومنها نهلت مادة هذا الكتاب الذى يتناول بالشرح والتوضيح معظم كلمات جزء «عَمَّ» ـ إن لم يكن جميعها ـ حسب ترتيبها فى آيات كل سورة ، مع بيان مواضعها ..

وفى سبيل ذلك يَرُدُّ الكتاب الكلمة إلى أصولها ومصادرها اللغوية لبيان اشتقاقها ، كما وردت فى معاجم اللغة مثل : «المعجم الوسيط» ، وفى معاجم القرآن مثل : « معجم ألفاظ القرآن الكريم» لمجمع اللغة العربية / القاهرة ويرجع المؤلف إلى كتب التفسير قديمها مثل : «تفسير القرطبى ، وحديثها مثل : « تفسير الشيخ محمد عبده » ـ حينما يبحث عن معانى الكلمة .

كما يورد القراءات المختلفة للكلمة ، فهذه القراءات ـ كما يقول المؤلف «تزيد المعانى لمعاناً وبياناً » .

ويولى المؤلف : «العناية كاملة لمسائل النحو والإعراب بحسبانها الأساس فى بيان العلاقات بين الكلمات ، ومن ثَمَّ إبراز معانيها » .

ويلفت المؤلف بال القارىء إلى : « محيط البلاغة والفصاحة ، وإلى الثروة الزاخرة من الصور الحية المحتشدة فى سور جزء «عَمَّ» ، وإلى موسيقية الكلمات ، ووقع التراكيب وإيقاعاتها ، تلك التى تدفع الدمع إلى المآقى وتغرق السامع فى حالة من التجلى والنشوة الروحية .

وينقل المؤلف رأيا للعلامة الإنجليزى « آرثر آربرى » الذى شبّه محاولات النقاد تطبيق قياسات التحليل النقدى على القرآن العظيم بمحاولة قياس المحيط بالكستبأن ، والكستبأن : هو أصغر قالب يضعه الخياط فى أصبعه لدفع الإبرة داخل الثوب المخيط .

وينهى المؤلف منهجه فى تفسير معانى جزء «عَمَّ» بقوله :

« لقد توالت ، ولسوف تتوالى ، اجتهادات بنى البشر فى مجال تفسير القرآن العظيم ، إلا أن

● وعد فضيلة مدير التحرير بكلمة تابعة لما نشره عن هذا الكتاب .وبعد اطلاعه على هذا المقال ، وجد به ما كان يود قوله فاكتفى .به .. التحرير

اللفظ القرآنى يبقى ، والسياق القرآنى يبقى ، فى كل مرة ، أكثر ثراء ، وأوسع مدًى ، ولا تزال إيحاءاته فى الذهن ، وآثاره فى القلب أكبر من كل التفسيرات والاجتهادات » .

وهكذا القرآن الكريم : كما ينسب إلى على بن أبى طالب : « فيه خبر ما قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وحكم مابينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار إلا قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، وهو الذى لا يبلى من كثرة الترداد ، وهو الذى لا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ .

فمن قال به صدق ، ومن حكم به عَدَل ، ومن دَعَا به هُدِىَ إلى صراط مستقيم .

التعريف بالمؤلف :

بعد أن عَرَّفْتُ بمنهج المؤلف فى شرح ومعانى جزء «عَمَّ» أنتقل للتعريف به .. والطريف أن القارىء سيعجب ــ كما عجبت أنا من قبل ــ حينما يعلم أن المؤلف الأستاذ : محمد محمد عتريس إبراهيم وكيل الوزارة ــ بمجلس الشعب ، قد تخرج فى قسم اللغة الإنجليزية جامعة القاهرة عام ١٩٦١ . ثم حصل على ماجستير الترجمة الفورية والتحريرية عام ١٩٧٣ .

والجدير بالذكر ــ كما لمسته بنفسى ــ أنه يَتْقن اللغة العربية كما لو كان قد تربىَّ فى أحضان البادية منذ نعومة أظفاره بين قبيلة بنى ربيعة ، فشبّ يتقنها إتقاناً ، يتحدث بها ويكتب بها ، وهى ميزة قلما تتوفر فى شخص واحد ، وعندما التقيت به لأول مرة فى مجلس الشعب أنتابنى إحساس بأنه واحد من أساطينها ، ولم أستطع إخفاء إعجابى به ، وأنا واحد ممن تخرجوا فى قسم اللغة العربية بآداب القاهرة ، وممن يبذلون أقصى جهدهم للحفاظ عليها ، ولكن لم يطل عجبى حين علمت أنه كان قد بدأ تعليمه بحفظ القرآن الكريم ، والقرآن ــ ولا شك ــ هو خير سبيل لتقويم اللسان العربى ، فهو الكتاب الذى تحدى كل إنسان وأعجز .

ــ والأستاذ : محمد عتريس له جاذبية خاصة حينما يتحدث ، تتمثل فى أناقة العبادة ورصانتها ، ودقة اختيار الألفاظ الموحية تماما بما يقصد التعبير عنه .

ــ عمل عند تخرجه فى التدريس والترجمة ، ثم تفرغ للترجمة حيث عمل فى جهات عديدة داخل وخارج مصر .

ــ اشترك فى ترجمة ومراجعة عدد من الكتب ، منها كتاب : «وسائل الإعلام المقارنة» . وله تحت الطبع كتاب « المصطلحات البرلمانية والتشريعية والسياسية » بالإنجليزية ، وملحق به معجم متخصص إنجليزى / عربى .

ــ كتب العديد من المقالات فى مجلات : الطيران المدنى ، الأهرام الاقتصادى ، ومجلة الأزهر ، وفى صحف : الأخبار ، الأهرام ، الجمهورية . ومن هذه المقالات : أحكام العدد وتمييزه من القرآن الكريم ، معجمنا العربى : ما له وما علينا ، المعاجم القرآنية .. تيسير وتفسير .

– كما ألجأه عمله فى حقل الترجمة إلى التعمق فى دراسة اللغتين العربية والإنجليزية ، وإلى التعامل اليومى مع المعاجم الإنجليزية والعربية ، ووجد أن المعاجم العربية قليلة قليلة ، بينما المعاجم الإنجليزية كثيرة كثيرة ، ووجد أن المعاجم الإنجليزية المتخصصة تغطى كل فروع العلم والفن والمعرفة .

التعريف بالكتاب :

صدر هذا الشرح لمعانى جزء «عَمَّ» فى سلسلة كتاب الجمهورية ، التى تصدر عن دار التحرير للطبع والنشر ، بالقاهرة . ولكتاب يقع فى ثلاثة أقسام من القَطْع المتوسط .

القسم الأول :

يقع فى (١٤٥) صفحة .. ويضم بين دفتيه :

التقديم ، المؤلف ، والكتاب ، السور القرآنية الأولى من جزء «عَمَّ» :

● شرح ومعانى سور النبأ والنازعات ، وعبس ، والتكوير والانفطار والمطففين والانشقاق ولا يفوتنى قبل أن أعرض – نماذج من شرح ومعانى جزء «عَمَّ» التى ضمها القسم الأول ، أن أقدم بعضاً من تقرير فحص ومراجعة الكتاب الذى صدر عن الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة التابعة للأزهر الشريف فقد جاء فى هذا التقرير بتاريخ ١٦ / ٧ / ١٩٩٤ م : « نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ، ولا مانع من طبعه ونشره على نفقتكم الخاصة ، مع التأكيد على العناية الخاصة بكتابة الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة » .

ثم لننظر فى الكتاب :

قال المؤلف فى الصفحة السابعة من القسم الأول « كان القرآن الكريم محيط المعارف والأسرار – ومدده لا ينفد ، ومن منهله يمكن للعاشقين أن يغترفوا مادة قشيبة لمعاجم قرآنية متخصصة : بعضها فى العقيدة ، وبعضها فى الأحكام ، وثالث فى التعبيرات القرآنية ، وغيرها وغيرها » .

وعن طموحاته ، يعبر المؤلف عن آماله التى أرجو أن تتحقق لتثرى المكتبة القرآنية ، يقول المؤلف :

« يطمح كتاب : شرح ومعانى جزء «عَمَّ» أن يكون نواة لمعجم قرآنى متخصص يلح على توضيح وجلاء معنى الكلمة القرآنية متوسلا إلى ذلك باجتهادات المفسرين ومعاجم اللغة وعلوم الإعراب والقراءات والبيان وغيرها » .

لقد شغف المؤلف منذ كان طفلا صَغيرا بحفظ سور جزء «عَمَّ» ، فتدرب لسانه – وهو لم يزل غضًّا – على النطق الصحيح لمخارج الحروف والقراءة السليمة لقوله تعالى :

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾

(١٥ – ١٧ ، التكوير

قوله :

﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴾

(١ – الهمزة)

وغيرها وغيرها مما تحفل به سور جزء «عمَّ» من تتابعات صعبية وعجيبة للحركات والسكنات والشدَّات ، إلى أن يقول المؤلف : « ولما شرعنا فى

تعلم اللغات الأجنبية بعد ذلك ، كانت هذه الدُّرْبة الغالية ، وكان هذا المران العزيز ذخرا لنا على إجادة نطقها والتفوق فيها على الأقران . واهتزت وجداناتنا ونحن أطفال صغار – ولم تزل – للايقاعات المعجزة المتنوعة المنبثة فى حنايا جزء «عَمَّ» رعيبة مزلزلة فى مواقع :

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ (١) وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾

(١ – ٤ / الانفطار)

وهى رقيقة أنيسة فى مواقع أخرى :

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾

(٢٢ – ٢٥ / المطففين)

وغيرها وغيرها ، ونحن أطفال صغار ، استوقفتنا – ونحن لا نعى لماذا استوقفتنا – آيات عجب تقول :

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ (٤ – الفجر)

﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾

(١٨ – التكوير)

﴿ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ أى النار

(٧ – الهمزة)

وغيرها وغيرها من مجازات وكنايات وبلاغات ما برحت تَشُدُّ المشاعر وتخلب الألباب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وما عليها ، إلى أن يقول : « وعلى أمتداد عشرات السنين ، شاء الله أن يسر لى أسباب المطالعة والبحث فى كتب التفسير ومعاجم اللغة رجاء إطفاء غلة الظمأ إلى معرفة شىء عن هذه الأسرار العلوية التى تزخر بها سور جزء «عَمَّ» وكلها مكية .

فيما عدا سور : «الزلزلة[1]» و «البيِّنة» و «النصر» ، ولها طابع خاص يجعلها وحدة فى موضوعاتها وإيقاعاتها وصورها ، وظلالها . إنها طَرَقَاتٌ متوالية على الحِسِّ ، وصيحات بنُوَّمٍ مستغرقين فى سباتهم : أن هُبُّوا واستيقظوا ، وانظروا وتدبروا – إن هناك إلهاً ، وإن هناك تدبيراً ، وإن هناك حِساباً ! .

نماذج من القسم الأول لشرح ومعانى جزء عَمَّ : مِهاداً :

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴾

٦ – النبأ (٧٨)

مَهَدَ الفراش يَمْهَده مَهْدًا : بسطه ووطَّأه .

والمهاد : الفراش . والمِهَاد : المهد للسير . والمِهاد : اللَّيِّنُ كالمهد .

وجَعْلُ الأرضِ مهاداً للحياة – وللحياة الإنسانية بوجه خاص – شاهد لا يمارى فى شهادته بوجود الواحد المدبر من وراء هذا الوجود الظاهر ، فاختلال نسبة واحدة من النسب الملحوظة فى خلق الحياة هكذا بجميع ظروفها أو اختلال نسبة واحدة من النسب الملحوظة فى خلق الحياة لتعيش فى الأرض – الإختلال هنا أو هناك لا يجعل الأرض مِهَاداً ، ولا يبقى هذه الحقيقة التى يشير إليها القرآن هذه الإشارة المجملة .

(١) سورة «الزلزلة» مدنية فى قول ابن عباس وقتادة ، ومكية فى أقول ابن مسعود وعطاء وجابر ، وجاء فى تفسير ابن كثير أنها مكية .

فمثلا يكسو الماء ثلاثة أرباع قشرة الأرض ، ومن فوق المحيطات واليابسة كلها يوجد محيط من الهواء يسمى الجو ، ولولا هذا الجو لما كان على الأرض حياة . فالهواء يقف حائلا دون وصول أشعة الشمس القوية التى تقضى على الحياة . وتلك الأشعة التى يسمح لها الهواء بالنفاذ هى تلك التى ترفع الماء فى الهواء (بعد أن يتبخر من المحيطات) ويعود إلى الأرض فى شكل مطر تعيش بمياهه الكائنات الحية وتنمو و ٧٨ ٪ من الغلاف الجوى للأرض نيتروجين تحتاجه كل الكائنات الحية لأجل الغذاء ، و٢١ ٪ من هذا الغــلاف هو غاز الأوكسجين اللازم للتنفس والاشتعال ، ولو زادت نسبته على ذلك لما أمكننا السيطرة على النار ولتحولت إلى حرائق تدمر كل شيء . وجاذبية الأرض لو قلت عما هى عليه الآن لتحول مشى الإنسان عليها إلى قفز . وتحدث قوة جاذبية القمر فى البحر حركتى المد والجزر اللتين تحفظان توازن الأرض وتجعلانها تدور بنفس السرعة دائما . وفى ضوء الشمس تأخذ النباتات الخضراء غاز ثانى أوكسيد الكربون من الهواء ، وبطريقة عجيبة تحتفظ بالكربون غذاء لها وتنفث الأوكسجين لتتنفسه الكائنات الحية . أنظر كتاب Between Earth And Space تأليف كلايد أور .

ومن سورة «النازعات» نورد شرح معنى كلمة (تَزَكَّىٰ) : القسم الأول ص ٥٤ « تَزَكَّىٰ : تَتَزَكَّىٰ وتطهر من الشرك وما يتْبعه من رذائل الأخلاق . وقرأ نافع وابن كثير «تَزَّكَّىٰ» بتشديد الزاى على إدغام التاء فى الزاى لأن أصلها تَتَزَكَّىٰ . وقرأ الباقون «تَزَكَّىٰ» بتخفيف الزاى على معنى طرح التاء . قال أبو عمرو بن العلاء فى معنى قراءة التشديد : الصدقة . وقال فى معنى قراءة التخفيف : تكون ذكيا مؤمنا . انظر «فتح القدير» للشوكانى ج ٥ ، ص ٣٧٧ . «هل لك إلى أن» أى : هل ترغب فى أن ؟ ويقال : هل لك فى كذا ؟ وهل لك إليكذا ؟ بمعنى : هل ترغب فيه وإليه ؟ وهو استفهام يقصد به العرض والطلب ، وهو أفضل أنواعه وأرفقها باللطف والأدب .

نموذجان من القسم الثانى :

﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾

٣ ـ البروج ٨٥

اختلف فيهما ، فقال عَلِيٌّ وابن عباس وأبو هريرة : الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عَرَفة . روى ابن جرير عن النبى ﷺ أنه قال « اليوم الموعود يوم القيامة ، وأن الشاهد : يوم الجمعة ، وأن المشهود : يوم عرفة ، ويوم الجمعة ذَخَرَهُ الله لنا » .

وقال الحسين بن الفضل : الشاهد هذه الأمة ، والمشهود : سائر الأمم ، بيانه :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ البقرة ـ ١٤٣

وقيل : الشاهد : الحَفَظَة : الملائكة الذين يحصون أعمال العباد . والمشهو : بنو آدم .

قال القرطبى : وقد يشهد المال على صاحبه ، ففى صحيح مسلم عن االنبى ﷺ : « .... وإنه من يأخذه (أى المال) بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيداً يوم القيامة » .

وقيل : فى ذلك اليوم الذى تعرض فيه الأعمال ، وتعرض فيه الخلائق ، فتصبح كلها

مشهودة ، ويصبح الجميع شاهدين ، ويُعْلَمُ كل شيء ويظهر مكشوفاً .

اليسرى :

﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾

٨ ـ الأعلى (٨٧)

اليُسْرَى : السَّهْل واليُسْرُ

لليُسْرَى : للطريقة اليسرى ، وهى عمل الخير ، وقيل : نوفقك للشريعة اليسرى ، وهى الحنيفية السمحة التى يسهل على النفوس قبولها ولا يصعب على العقل فهمها . وقيل اليسرى : هى الأمور الحسنة فى الدين والدنيا والآخرة .

هذه الآية بشرى لشخص الرسول وبشرى لأمته ، وتقرير لطبيعة هذا الدين ، وحقيقة هذه الدعوة .. إن الذى ييسره الله لليسرى ليمض فى حركة هيئة لينة مع الوجود كله ، ومع الأحداث والأشياء والأشخاص ، اليسر فى يده ولسانه وخَطْوِهِ ، واليسر فى تصوره وتفكيره ، واليسر مع نفسه ومع غيره . هكذا كان رسول الله ﷺ : « ما خُيِّر بين أمرين إلاَّ اختار أيسرهما ما لم يكن إثما » كما روت عائشة فيما أخرجه الشيخان .

نموذجان من القسم الثالث :

القَدْر (ليلة القدر) :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾

(١ ـ ٢ ـ القدر (٩٧)

الضمير فى أنزلناه للقرآن ، وإن لم يتقدم له ذكر ، أُنْزِلَ جملة واحدة فى ليلة القدر إلى سماء الدنيا من الوح المحفوظ ، وكان ينزل على النبى ﷺ نجوماً على حسب الحاجة ، وكان نزول أوله وآخره على رسول الله ﷺ على مدى ثلاث وعشرين سنة .

قَدَرَ الشيىء يَقْدِرُه قَدْرًا : بيَّنَ مقداره ، وَقَدَرَ فُلاناً : عَظَّمَهُ . ﴿ليلة القدْر﴾ : ليلة التقدير والتدبير ، فالله يُقَدِّر فيها ما يشاء من أمره إلى مثلها من السنة القابلة ؛ أى أنه يريد أن يظهر ما قضاه فى الأزل من الأمور ، لا أنه يقدر ابتداء ؛ من أمر الموتِ والرزق والأحوال وغيره ، فهى الليلة التى جاء ذكرها فى سورة «الدخان» :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ سورة الدخان

وقيل : إنما سُمِّيَت بذلك لعظمها وقدرها وشرفها . فهى الليلة الموعودة المشهورة التى سجلها الوجود كله فى فرح وغبطة ، ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الأعلى ، ليلة بدء نزول القرآن على قلب محمد ﷺ بما تضمنه هذا القرآن من عقيدة وتصور وشريعة وآداب تشيع السلام فى الأرض والضمير .

قال عائشة : يارسول الله إن وافقتُ ليلة القدر فما أقول ؟ قال : قولى : « اللهم إنك عفُوٌّ تُحبُّ العَفْوَ فاعْفُ عنىَّ » .

لُمَزةٍ :

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾

١ ـ الْهُمَزة (١٠٤)

لَمَزَهُ يَلْمِزهُ لَمْزاً : ضَرَبَه . وَلَمزه : عابه . ولَمَزه : أشار إليه بعينه ونحوها كالرأس أو الشَّفَةَ مع كلام خفى .

واللَمزة : العَيّاب للناس ، ومن يعيب الناس فى وجوههم (للذكر والأنثى) .

« لكل هُمزة لمزة » ، قال ابن عباس : هم المشاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبُرَآءِ العيب ، فَعَلَى هذا : الهمزة اللمزة بمعنىً . وقال النبى ﷺ : « شرار عبدا الله تعالى المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب »[٢]

كشاف كلمات جزء عم :

تسهيلا للقارىء فى الوصول إلى معرفة شرح الكلمات التى ورد شرحها فى أقسام الكتاب الثلاثة ، ألحق المؤلف كشافا رُتِّبت فيه الكلمات ترتيبا (ألفبائيا) حسب النطق ، ووفق الحروف الأولى للكلمات ، ودون اعتداد بأصل الكلمة الذى اشتقت منه ، أى أن القارىء لن يكون بحاجة إلى ردٌ الكلمة ، التى يبحث عنها ، إلى مصدرها ، كما هو الحال بالنسبة لمعجمنا العربى ، وإنما سيجدها حسب ترتيب حروفها فى الكشاف ، وذلك على طريقة المعاجم الإنجليزية والفرنسية .

فكلمة « مَفَازًا» مثلا يطلبها القارىء فى حرف «الميم» مباشرة ، وهو الحرف الأول منها ، ولا يردها إلى مصدرها «فَوْز» كى يبحث عنها فى حرف : «الفاء» . وكلمة «مؤصدة» يطلبها القارىء فى حرف «الميم» مباشرة ، وهو الحرف الأول منها ، ولا يردها إلى مصدرها «آصد» كى يبحث عنها فى حرف «الهمزة» .

لكن على القارىء أن يجرد الكلمة من الحروف التى تلحق بأولها ومن هذه الحروف : أداة التعريف «أل» ؛ فكلمة «المعصرات» مثلا يبْحَث عنها فى حرف «الميم» .

● وحروف العطف :

مثل كلمة : «فارغب» يُبْحَث عنها فى حرف الهمزة .

● وسين الأستقبال :

مثل كلمة : «سيصلى» يُبْحَث عنها فى حرف الياء .

● ولام التوكيد :

مثل كلمة : «لَيُنْبَذَنَّ» يبْحَث عنها فى حرف التاء .

● وحروف الجر : مثل كلمة : «بالحسنى» يبْحَث عنها فى حرف الحاء ، بعد تجريدها من الباء ومن أداة التعريف .

● وأدوات الاستفهام : متل كلمة : «أَرَأَيْتَ» يُبْحِث عنها فى حرف الراء .

● ولام التعليل : مثل كلمة : «لِيرَوْا» يبْحَث عنها فى حرف الياء .. وهكذا .

والدليل إلى معرفة مكان الكلمة : هو رقم الصفحة ؛ وقد أثبت الكشاف أمام كل كلمة ، رقم الصفحة التى وردت فيها هذه الكلمة .

---

(٢) رواه أحمد وابن شببه والطبرانى عن عبد الرحمن بن غنيم يبلغ به النبى ﷺ خيار عباد الله الذين إذا رُءُوا ذكر الله . وشرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبرآء العنت .

أهم المصادر :

فى شرحه لمعانى جزء عم ، رجع المؤلف الأستاذ محمد عتريس إلى بعض كتب التفسير الهامة مثل : الكشّاف : للزمخشرى ، وتفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن الكريم ، تفسير القرآن العظيم : لأبى الفداء إسماعيل ابن كثير ، تفسير الجلالين : جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى . فتح القدير : للشوكانى ، تفسير جزء عم : للشيخ محمد عبده . صفوة البيان لمعانى القرآن : للشيخ حسنين مخلوف .. الخ .

ومن المعاجم : رجع المؤلف إلى طائفة من أهم المعاجم اللغوية .. وهى :

ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم : مجمع اللغة العربية ـ بالقاهرة .

ـ لسان العرب : لابن منظور .

ـ المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية .

ـ المعجم الوجيز : مجمع اللغة العربية .

وبعـــــد

فلا يسعنى ـ بعد أن قدمت وعرضت لهذا الجهد القيِّم والجاد الذى بذله الأستاذ الفاضل :

محمد عتريس فى كتابه : شرح ومعانى جزء عم ـ لا يسعنى إلا أن أُحَيِّى هذا الجهد المشكور لخدمة كتاب الله ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فقد تعهد الله ـ الذى أنزله على حبيبه ومصطفاه ـ بحفظه ، حينما قال ، وقوله الحق :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٣)

الحجر ـ ٩

(٣) ... وكنا نود ـ بعد جولة الكاتب ، وهو متخصص باعتبار دراسته ـ أن يقدم نقداً ينتفع به القارىء والمؤلف معا .. جزاه الله خيراً .. مجلة الأزهر .

بين المجلة والقراء

تقديم الأستاذ عادل رفاعى خفاجة

شهر الصوم وشهر الخيرات والبركات

يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1] .

ويقول الرسول ﷺ : إن فى الجنة باباً يقال له الرَّيان يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد »[2] .

شهر يزورُّ من الخطيئة ، وتزوَرُّ منه ، وتعمر فيه المساجد بالذكر والقلوب بالتقوى ، وينتشر فيه التكافل والإنصاف بين الناس ، وتزداد الطاعات والعبادات .

شهر كريم ، يأبى إلا أن يكون شهر الخير والبركات . نسأل الله رب العرش العظيم أن يرزقنا حسن صيامه وقيامه حتى تنالنا الرحمة فالمغفرة فالعتق من النار .... إنه نعم المجيب .

ولقد حرص بعض القراء على المشاركة فى استقبال هذا الشهر الكريم ، فبادروا بإرسال مساهماتهم الأدبية .

وقبل أن نقدم مقتطفات منها نود أن يلتقى معنا القراء الكاتبين والقارئات الكاتبات إلى وجوب إثبات المصدر إذا كتبوا نصوصاً من أحاديث رسول الله ﷺ أو من الحكمة ، أو غير

(١) البقرة : ١٨٣ .

(٢) الحديث رواه البخارى فى باب (الريان للصائمين) .

ذلك . ولقد وصلنا روائع من هذا القبيل، وبعضها له لياقته التامة بشهر رمضان الكريم ، ولم يسعنا إلاّ أن نتركها لفقدها عنصر إثبات المرجع .

نقول ذلك آسفين ، مع تقديرنا الكامل للأستاذ مدرس الثانوى صاحب موضوع (رحمة العالمين ﷺ) وصاحبته : (ما يقال عند رؤية الهلال) وزميلتها كاتبة (من وصايا لقمان لابنه) .

ونحن - إذ نأسف لعدم النشر - نرجو أن تكون كتاباتهم المقبلة حريصة على تسجيل المصادر . وسوف ننشرها بمجرد وصول كتاباتهم التى تسجل مصادر كلماتهم .

وإلى القارىء مقتطفات من الرسائل :

صيام الجوارح

عن صيام الجوارح وردت رسالة القارىء خيرى محمد إبراهيم أبو الروس كفر الجرايدة/بيلا/كفر الشيخ ، تكلم فيها عن صيام العين ، وصيام الأذن ، وصيام القلب ، وفيما يلى ننشر مقتطفات من كل ذلك :

صيام العين : هو غمضها عن الحرام وإغلاقها عما نهى الله - تعالى - عنه ؛ فإنها منفذ القلب وباب الروح .

ومن لم يحبس نظره أصيب بأربع :

أولها : تشتت القلب فى كل وادٍ ، فلا يقر له قرار ولا يهدأ له بال ، ولا يجتمع له شمل .

ثانيها : إتعاب النفس بفقد ما نظرت وعدم الحصول عليه .

ثالثها : ذهاب حلاوة الطاعة والعبادة بإطلاق النظر .

رابعها : ذنب عظيم وإثم كبير .

صيام الأذن : الأذن أمانةٌ ، وشاهدة أمام الله - تعالى - عما سمعت له ، والصالحون هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . وصيام الأذن صرفها عن سماع ما نهى الله عنه ، والإعراض عن الاستماع إلى الخائضين فى أعراض الناس ، وعن اللغو ؛ فإنه يجر إلى المعصية ، وللأبرار صيام عظيم عن كل ما يغضب الله - تعالى - فى شهر رمضان وغيره من الشهور ؛ لأنهم يعلمون أن رب رمضان هو رب كل الشهور .

من الناس من يملأ أذنيه بسماع النغمة المحرَّمة والكلمة الآثمة والمجون الأثيم ، وحرم أذنيه سماع أجمل وأحسن وأطيب والكلام : القرآن الكريم والذكر الحكيم إن علينا أن نطهر آذاننا مما علق بها من الآثام بكثرة قراءة القرآن - وبخاصة - فى شهر القرآن .

صيام القلب : وصوم القلب عن الكبر ، والعُجب وعن الحسد والرياء وعن المداهنة .

فهذه تصيب القلب بالأمراض وتطفىء نوره وتُعطِّل سيره إلى الله - عز وجل .

إن على المؤمن الصادق أن يصوم عن الكبر والعجب والحسد ، ويحذر تقلب القلب كما قال الشاعر :

ما سمى القلب إلا من تقلبه
فاحذر على القلب من قلبٍ وتحويلا

ليلة القدر وكيفية إحيائها

القارىء : محمد كمال كامل الشامى ـ كلية التربية/أسيوط أرسل إلينا تلك الكلمة عن ليلة القدر :

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾

الدخان : ٣

تدل الآية الكريمة العظيمة على (قدر) ليلة القدر ومنزلتها ؛ ففيها تنزيل كلام رب العالمين ، وهى ﴿ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ القدر ـ ٣ . وقد اختصها الله ـ عز وجل ـ بنزول الملائكة فيها بإذن رب العـــزة لهم ؛ فيمـــلأون جنبـــات الأرض .. » .

وعن كيفية إحياء هذه الليلة الكريمة كتب سيادته :

أول ما يجب أن يُفعل فى هذه الليلة هو استقبالها بإخلاص النيَّة لله ـ عز وجل ـ وعقد العزم على قراءة ما تتيسر قراءته من القرآن الكريم ؛ لتلتقى القراءة فى هذه الليلة مع مناسبة النزول ، ثم التقرب إلى الله بالدعاء ، فهو نعم المولى ونعم النصير » .

قرآنيـــات

وتلقينا هذه المساهمة من القارىء : عماد ميزار عبد العظيم جابر من محافظة الفيوم ـ قرية الأعلام عن القـــرآن وسوره وآياتـــه تحت عنـــوان « قرآنيات » يقول ـ على عهدته :

عدد سور القرآن : ١١٤ سورة
عدد أجزاء القرآن : ٣٠ جزءاً
عدد أحزابه : ٦٠ حزبا
عدد أرباعه : ٢٤٠ ربعاً .
عدد آياته : ٦٢٣٦ آيةً .

أطول سور القرآن : سورة «البقرة» وعدد آياتها ٢٨٦ آية .

أقصر سور القرآن : سورة «الكوثر» وعدد آياتها ثلاث آيات .

أطول آية : آية الدَّين وهى رقم ٢٨٢ من سورة البقرة وكلماتها ١٢٨ كلمة .

أقصر آية : طه . وهى الآية الأولى من سورة (طه) .

وأما أطول كلمة فهى :

﴿ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ ﴾ من الآية ٢٢ من سورة الحجر .

وتعتبر سورة المجادلة : السورة الوحيدة فى القرآن الكريم كله التى ذكر اسم الله فى كل آية من آياتها .

التوكل على الله والأخذ بالأسباب

يقتضى التوكل على الله ـ تعالى ـ والاستعانة به ـ سبحانه ـ فى إنجاح المقصود ـ أن نمارس الأسباب .

حول هذا المعنى وردت إلينا رسالة القارىء / سالم مهنى عبد العظيم محمد من شبرا النونة ـ إيتاى البارود ـ البحيرة .

كثيراً ما يقع الإنسان فى شدة ، أو تنزل به نازله ، فيفكر فى أمره ، ويقدر ويدبر ؛ مبتغياً النجاة والخلاص ، فلا يجد إلى الهدى سبيلاً ، قد عميت عليه سبل النجاة ، فيسلم نفسه لليأس ، وما كان عليه إلا أن يتوجه إلى الله خاشع القلب ، صادق النيَّة ، يسأله أن يكشف عنه الضر ، فهو ـ جل شأنه ـ غياث المستغيثين ، ومجير المستجيرين ، ومأمن الخائفين حتى تناله من الله الرحمة واللطف ويخلصه من شدته ، فهو القائل ـ جل شأنه ـ :

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾

النمل ٦٢

ثم يتوكل على الله ـ تعالى ـ ويجب ألا يفهم من التوكل ما يفهمه الجاهلون من أن التوكل مجرد كلمة تلوكها الألسن ، ولا تعيها القلوب ، وتتحرك بها الشفاه ، ولا تفهمها العقول ، أو هو نبذ للأسباب وترك العمل ، تحت شعار « التوكل على الله والرضا بما تجرى به الأقدار » لا فإننا لا نعرف ما جرى به القدر فعلينا العمل ، فإنما المسلم من يفهم التوكل على الله بإحضار كافة الأسباب المطلوبة لأى عمل من الأعمال ، فلا يطمع فى ثمرة بدون أن يقدم بذرتها ، ولا يرجو نتيجة ما دون أن يضع مقدماتها ثم التوكل بعد ذلك يكون نوعاً مُن الطاعة ، لأن إثمار تلك الأسباب وإنتاج تلك المقدمات مرده إلى الله ـ تعالى ـ هو ـ وحده ـ القادر عليه دون سواه .

إذن ، فالتوكل عند المسلم هو عمل وأمل مع هدوء قَلْبِي وطمأنينة نفس ، واعتقاد جازم بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

وعلينا أن نتدبر قول الرسول الكريم ﷺ : «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً» أخرجه الترمذى وحسنه .

ثابت بن قيس الخزرجى

أما القارئة : شرين عبدالله نجيب ـ مدينة نصر فتشارك بتقديم بعض المعلومات عن ثابت بن قيس الخزرجى تقول :

« كان السكون مخيماً ، ورسول الله ﷺ يتلو قول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾

سورة الحجرات

وإذا بشخص ينفرد جانبا وعيناه مغرورقتان بالدموع إنه «ثابت بن قيس الخزرجى» صاحب الصوت الجهورى ، استدعاه الرسول ﷺ وسأله عما به فأجابه ثابت : لخوفى أن أكون من أصحاب النار ، لجهارة صوتى .

فيهدِّىء الرسول الكريم من روعه ويقول له : إنه سيعيش حميداً ويموت شهيداً ، مبشراً إياه بأنه من أهل الجنة ، وتنفرج أسارير ثابت ، فقد نال الوسام من رسول الله ﷺ .

ويعود ثابت ، خطيب الخزرج وشاعرها ، يتمنى أن يجاهد الأعداء . وحدث ما تمناه ، فشارك فى (قريظة) ، و (المصطلق) وظل يقاتل حتى لقى الله ، شهيداً ، فائزاً بما بشره به رسول الله ﷺ .

ردود وتعليقات

● **الطالب أ. ح. جامعة عين شمس :**

اطمئن ، لم تتجاوز الحد ، ويسعدنا أن يصلنا شىء مفصل .

● **القارىء : محمد عبدالمهيمن عبدالشكور ـ المنيا ـ دير مواس ـ العمارية الشرقية :**

يمكنكم الاشتراك بمجلة الأزهر عن طريق قسم الاشتراكات بجريدة الأهرام ، القاهرة ـ شارع الجلاء .. أما الاشتراك عن سنوات سابقة منذ عام ١٩٨٠ .. فقد نفدت أعدادها .

● **القارىء : أحمد فتحى السيد محمد ـ سمسطا ـ بنى سويف :**

وصلنا نشيدك للبوسنة ورجال البوسنة وندعو الله معك أن يوفق أهل البوسنة إلى إعادة البناء .

● **القارىء : حاتم إبراهيم محمد سلامة ـ معهد منوف الأزهرى ـ قرية سنجرج :**

وصلتنا رسالتك عن رؤية الله ـ تعالى ـ ومنها قول الرسول الكريم ﷺ :« إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر » متفق عليه .

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يمتعنا وإياكم بالنظر إليه .

● **عريف/محمد حشيش ـ القاهرة ـ المرج :**

أهلا بكم صديقاً عزيزاً ، وفى انتظار إسهاماتك وإبداعاتك .

● **القارىء : السيد سليمان السيد سليمان ـ الهيئة العامة للصرف الصحى بالاسكندرية :**

نشكر لكم حسن متابعتكم ، وقد تم نشر ملاحظتكم فى عدد شعبان ١٤١٦ هـ . ونأمل مواصلة الكتابة ، والمراسلة .

● **القارىء : شحاته أحمد أبو بكر ـ ببا ـ بنى سويف :**

أخى الكريم :

إذا لم ترعيناك أى جميل ، ورضيت لها أن تكون على مناعة من هذه الرؤية ، فهى بالضرورة ستجد كل شىء قبيحا ... لا عليك . ففى الكتاب العزيز :

(أ) ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا .... ﴾ وفيه .

(ب) ﴿ **عليكم أنفسكم** ﴾ .

مع أخلص تحياتى

● **القارىء : خالد هاشم أحمد ـ الجيزة يسأل عن المسابقة السنوية التى تقام فى شهر رمضان بإشراف الأزهر ووزارة الأوقاف .**

نفيدكم بالآتى :

شروط هذه المسابقة موجودة بوزارة الأوقاف . والأزهر لا يشترك مع الوزارة فيها . يمكنكم السؤال بمكتب الاستعلام بالوزارة .

من ابداعات القراء

من نفحات رمضان

رمضانُ شهـــرُ البِـــرِّ والنفحـــاتِ وتـــلاوةُ القـــرآنِ في إخبـــاتِ
شهـــرٌ أتانـــا بالصيـــامِ تقربـــاً لله كي نحظـــى بخيـــرِ صلاتِ
فالصومُ يوقـــظ في النفـــوس ضمائـــراً غرقت طويـــلا في عميـــقِ سبـــاتِ

* * *

الأجـــرُ فيـــه على الـــدوام محقـــقٌ والبـــذلُ فيـــه يضاعـــفُ الحسنـــاتِ
فالمحسنـــون يواصلـــون جُهودَهـــم لينالـــوا عفـــوَ اللهِ بالقربـــاتِ
والذاكـــرون يرطِّبـــون لسانهـــم مستغفريـــن الله في الخلـــواتِ

* * *

في ليلـــةِ القـــدرِ التـــى وعـــدوا بها ما يَكْفِهِـــم من متعـــة وهبـــاتِ
الله شَرَّفهـــا وأعـــلا قَدَرَهـــا مِصداقُ ذلك محكـــم الآياتِ
يا باغـــى الخيرات أسرع لائتـــى حتـــى تفـــوزَ بأطـــيبِ الثمـــراتِ

* * *

يا صائمـــاً إن كان صومك كامـــلًا ستنـــال حتما عالى الدرجـــاتِ
لكـــن إذا كان الصيـــامُ ملوثـــاً لن تجنـــى إلا منتهى الحسراتِ
واختم صيـــامك بالـــزكاة فإنها تُغْنـــى الفـــقير وتمسحُ الآهاتِ

بقلم :
خيرى عبدالباسط السيد
القاهرة ـ ٦ أ شارع أحمد حناتة بسراى القبة

رسائلكم وصلت

السادة الأساتذة : إبراهيم الحفناوى ـ إبراهيم محمد رزق ـ إبراهيم محمد على ـ أبو شرف الدين ـ أحمد البسيونى ـ أحمد عبد الفتاح عبد المعطى ـ أسامة الأشمونى ـ أشرف الصعيدى ـ أشرف على جاد الله ـ الطالب / أ . ح بعين شمس ـ السعيد الريس ـ تمام محمد عبد الرحيم ـ حاتم إبراهيم سلامة ـ حبيش حسن ـ خالد محمد بكرى ـ ربيع الإكيادى ـ ربيع الزواوى ـ رمضان الأقرع ـ سيد حسين صالح ـ شريف مرشدى ـ شحاتة أبو بكر ـ شوقى محمد محمود ـ طارق صابر سرحان ـ طلاب معهد الإمام المراغى ـ طه حامد أفندى ـ عادل على إسماعيل ـ عبد الباسط عبد الشافى أحمد ـ عبد رب النبى محمد على ـ عبد الحميد فتحى ـ على سيد جودة ـ عيد محمد إبراهيم ـ فتحى عبد الصادق عز ـ فتوح نصار ـ فراج حسن فراج ـ فؤاد شعيب ـ كمال عبد المنعم خليل ـ كمال محمد حميدة ـ لعمرى مدنى ـ ـ ماهر أحمد صوفى ـ محجوب كامل محمود ـ محروس عبد الفتاح ـ محروس محمد موسى ـ محمد الأمين كميتى ـ محمد أحمد مكرم ـ محمد الدمرداش ـ محمد سعد لطفى ـ محمد خيرى أبو ربيع ـ محمد عبد الفتاح على ـ محمد كامل الشامى ـ محمد محمد عثمان ـ محمد محمود حمام ـ محمود أبو سعيد ـ محمود على عبد التواب ـ مصطفى الغمرى ـ مصطفى كمال عيسى ـ نجاح سرور ـ هانى المطيرى ـ وائل محمود حسن .

كما وصلتنا رسائل القارئات :

أم هاشم حسين يوسف ـ آمنة أحمد مكرم ـ نعيمة مبروك رجب ـ رجاء السروان .

* وبمشيئة الله ـ تعالى ـ يواصل الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى تلقاها ويتلقاها تباعاً .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين/ عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

برقية شكر من السيد رئيس الجمهورية لفضيلة الإمام الأكبر

بعث السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية ببرقية الشكر التالية إلى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ/جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف رداً على برقية التهنئة التى بعث بها فضيلته لسيادته بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج ، وهذا نصها :

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف .

يسرنى أن أبعث إليكم وأسرة الأزهر الشريف بوافر الشكر على تهنئتكم الرقيقة بذكرى الإسراء والمعراج وما حملته من مشاعر طيبة ، داعيا الله ــ تعالى ــ أن يعيدها عليكم بالصحة والسعادة وعلى مصرنا العزيزة والأمة الإسلامية بالخير والبركات .

وكل عام وأنتم بخير

محمد حسنى مبارك

١٥٠ ألف طالب يؤدون امتحانات الشهادتين الإعدادية والثانوية الأزهرية

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على اختيار رؤساء ومساعدى لجان امتحانات الشهادتين الإعدادية والثانوية ، التى يؤديها أكثر من ١٥٠ ألف طالب وطالبة ، كما وافق فضيلته على اختيار أعضاء لجان النظام والمراقبة للكنترولات لهاتين الشهادتين .

وقد أصدر فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف : القرار التنفيذى لاختيار أعضاء هذه اللجان ، حيث تقرر أن يكون فضيلة وكيل الأزهر : المشرف العام على الامتحانات ، وأن يكون فضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية رئيسا عاما لها ، يعاونه فضيلة الشيخ فؤاد البرعى وكيل القطاع ، وأن يكون فضيلة الشيخ سامى الشعراوى الرئيس العام لامتحانات الشهادة الثانوية الأزهرية .

بدء اختبارات الإعارات
لمدرسى الأزهر الشريف

وافق فضيلة الإمام الأكبر على بدء إجراء اختبارات الإعارات والبعثات لمدرسى المعاهد الأزهرية ، لاختيار المستوفين لشروط التقدم تمهيداً لإعارتهم خلال العام الدراسى القادم ٩٦ / ١٩٩٧ .

وقد أصدر فضيلة وكيل الأزهر الشريف القرار التنفيذى لبدء الاختبارات ، والتى تقرر أن تعقد : بمجمع مدينة نصر النموذجي بالقاهرة ، وتجرى فى : حفظ القرآن الكريم ، والتمكن من اللغة العربية والفقه والتفسير والحديث النبوى الشريف ، واللغات الأجنبية لمن سيتم إيفادهم للدول غير الناطقة باللغة العربية .

المؤتمر الدولى الرابع
لهندسة الأزهر تحت رعاية شيخ الأزهر

وتحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ورئاسة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ؛ عقد المؤتمر الدولى الرابع الذى تنظمه كلية الهندسة بجامعة الأزهر كل عامين أقيم المؤتمر تحت عنوان « البحوث الهندسية وتحقيق الجودة » وقد شهد الجلسة الافتتاحية التى عقدت يوم الثلاثاء الموافق ٢٢ رجب ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥/١٢/١٥ م ، نائباً عن فضيلة الإمام الأكبر فضيلة الشيخ وكيل الأزهر الشريف ، الذى أكد فى كلمته أمام المؤتمر على دور الجامعات فى حل مشكلات المجتمع ، وطالب فضيلته : الجامعات وكليات الهندسة والكليات العلمية بضرورة المساهمة مع الأزهر الشريف للارتقاء بمستوى التعليم والبحث العلمى .

كذلك أكد رئيس جامعة الأزهر فى الكلمة التى ألقاها فى الافتتاحية : على أن الجامعة سوف تستمر فى دعم البحث العلمى فى كافة الاتجاهات بالاضافة إلى تنظيم المؤتمرات العلمية ومد جسور التعاون مع الجامعات فى مصر وخارجها .

كما شهد الجلسة الأولى الدكتور محمد إبراهيم سليمان وزير الاسكان والمجتمعات العمرانية ، ولفيف من أساتذة جامعة الأزهر والجامعات الأخرى ، المشاركة فى المؤتمر .

هذا وقد شارك فى هذا المؤتمر علماء وباحثون من أكثر من ٣٥ دولة لمناقشة أكثر من خمسمائة بحث علمى فى ثمانية مجالات هندسية شملت : الهندسة الميكانيكية والكهربية والتعدينية والمدنية والمعمارية والتخطيط العمرانى والنظم والحاسبات والبترول .

الدكتور رشاد خليل
وكيلا للشريعة والقانون

أصدر رئيس جامعة الأزهر قراراً بتعيين الأستاذ الدكتور / رشاد خليل أستاذ الفقه المقارن وكيلا لكلية الشريعة والقانون بالقاهرة .

قوافل التفتيش بالأزهر

أنهت قوافل التفتيش التى شكلها قطاع المعاهد الأزهرية لمتابعة سير الدراسة بالمعاهد الأزهرية على مستوى محافظات الجمهورية .

وصرح فضيلة الشيخ محمد بشير عبد العال رئيس قطاع المعاهد الأزهرية أن قوافل التفتيش قامت بعملها من الناحيتين : الدراسية والإدارية .

قام بأعمال التفتيش : المستشارون والموجهون الأوائل ، وبعض الموجهين وقيادات قطاع المعاهد الأزهرية .

ترشيح أساتذة جامعة الأزهر لجائزة الدولة التقديرية

وافق مجلس جامعة الأزهر على ترشيح ستة من الأساتذة الأعضاء بهيئة التدريس بالجامعة لجائزة الدولة التقديرية لعام ١٩٩٥ لإنتاجهم العلمى والأدبى المتميز . وهم الأساتذة :

الدكتور نبيل عبدالحميد عيسى فى مجال العلوم الطبيعية .

الدكتور طارق على حسن فى المجال الطبى .

الدكتور محمد أحمد اسماعيل العربى فى مجال العلوم الهندسية .

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فى مجال الفنون والآداب .

الدكتور محمود طه أبو العلا فى مجال العلوم الاجتماعية .

حركة ترقيات بهيئة التدريس بجامعة الأزهر

وافق مجلس جامعة الأزهر برئاسة الأستاذ الدكتور رئيس الجامعة على ترقية وتعيين اثنين وأربعين أستاذا وأستاذا مساعدا ومدرساً بكليات الجامعة بالقاهرة والأقاليم ، شملت الحركة عدد (٩) أساتذة و (٢٢) أستاذا مساعداً وأحد عشر مدرساً .

كليتان للدراسات الإسلامية بمدينة السادات

وافق الدكتور محمد إبراهيم سليمان وزير الإسكان والمرافق والمجتمعات العمرانية على تخصيص مبنيين بمدينة السادات لافتتاحهما كليتين ، أحدهما للدراسات الإسلامية والعربية للبنين ، والأخرى للبنات .

كما وافق سيادته على تخصيص مساحة ٥٠٠ فدان على مدخل مدينة السادات بالطريق الصحراوى (القاهرة ـ الأسكندرية) لإنشاء توسعات مستقبلية لمختلف الكليات الأزهرية .

وقد أعلن المهندس أسامة الإسناوى رئيس جهاز مدينة السادات بأنه قد تمت الموافقة على تخصيص ١٠٠٠ وحدة سكنية لهيئة التدريس والطلاب والعاملين بجامعة الأزهر فرع مدينة السادات ، ومن المقرر أن تبدأ الدراسة بهاتين الكليتين العام الدراسى القادم بمشيئة الله ـ تعالى .

مبعوثو الأزهر إلى الفلبين

وتايلاند وكوالالمبور

أوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ، فضيلة الدكتور عبد الله مبروك النجار الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والقانون ، وفضيلة الدكتور على جمعة عبد الوهاب الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر .

وذلك لحضور المؤتمر العام لعلماء المسلمين الفليبنيين الذى عقد فى المدة من ٢٣ / ١٢ / ١٩٩٥ إلى ٣٠ / ١٢ / ١٩٩٥ م تحت رعاية رئيس جمهورية الفلبين ، لتوحيد وتنسيق العمل الإسلامى هناك ، ومناقشة المشاكل التى تواجه العالم الإسلامى فى الوقت الحالى وكيفية القضاء عليها طبقا للمعاهدات والقوانين التى تبرم بين الدول الإسلامية .

وأوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف : فضيلة الدكتور أحمد عيسى المعصراوى المدرس بكلية التربية قسم الدراسات الإسلامية ــ جامعة الأزهر ــ وعضو لجنة المصحف الشريف بالأزهر ، إلى تايلاند لحضور الاحتفال الذى أقامته دولة تايلاند فى الفترة من ٢٨ ــ ٣٠ ديسمبر ١٩٩٥ بمناسبة المولد النبوى الشريف .

حيث شارك فضيلته فى إجراء المسابقات التى عقدت لحفظ وتلاوة القرآن الكريم فى هذه المناسبة الكريمة .

وقد شارك فى الاحتفالات : الأمر ولى العهد وكبار رجال الدولة والمسئولين .

أوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فضيلة الشيخ محمد يوسف عفيفى عضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف إلى كوالا لمبور بماليزيا وذلك للاشتراك فى اجتماع الدورة العاشرة للجنة تنسيق العمل الإسلامى المشترك فى مجال الدعوة والذى يعقد فى الفترة من ١٢ ــ ١٥ يناير ١٩٩٦ .

وقد قدم فضيلته ورقة عمل عن : كيفية الإسهام وتبادل المعلومات بين المنظمات والجمعيات الإسلامية العاملة فى مجال الدعوة الإسلامية ، ويرافقه فى هذه الرحلة السيد السفير د / فتحى مرعى مستشار السيد وزير الخارجية .

خطة للنهوض بدور جامعة

الأزهر الشريف فى الدعوة

أعلن رئيس جامعة الأزهر بأنه تقرر إنشاء أول كلية للدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية فى أسوان ، واستكمال شُعب الدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية فى كلية اللغات والترجمة بمدينة نصر ، فى إطار خطة جديدة للنهوض بدور جامعة الأزهر فى مجال الدعوة .

كما أعلن فضيلته بأن الخطة تتضمن أيضاً تطوير الدراسة بكلية الدعوة وأقسام الدعوة بكلية أصول الدين للنهوض بمستوى الدراسة وتخريج دعاة قادرين على مواجهة التحديات والقضايا المطروحة .

أصدر فضيلة الإمام الأكبر قراراً بالموافقة على سفر أصحاب الفضيلة الآتية أسماؤهم إلى البلاد قرينة اسم كل منهم

رقم	الاســـــم	الجهات الموفد إليها
١	الشيخ محمد على بدران	المركز الإسلامى فى هيمتّون رودس الولايات المتحدة الأمريكية
٢	الشيخ إبراهيم يوسف محمد البناّ	المركز الإسلامى فى هيوستون الولايات المتحدة الأمريكية
٣	الشيخ محمد محمد عبدالعال تحفون	المركز الإسلامى فى كنفرفيل (كنيفرال) بولاية تكساس ـ الولايات المتحدة الأمريكية
٤	الشيخ عبدالعزيز أحمد إبراهيم ندا	المركز الإسلامى فى هامينتون بولاية فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية
٥	الشيخ احمد نور الدين محمد محمد أحمد	الجمعية الإسلامية بمدينة زيورخ بسويسرا
٦	الشيخ أحمد نور الدين محمد محمد أحمد	المؤسسة الثقافية الإسلامية بجنيف بسويسرا
٧	الشيخ سعد سلامة الألفى سعيد	الجمعية الإسلامية بكانبرا باستراليا
٨	الشيخ أحمد أحمد ابو راس	المركز الإسلامى بولاية جنوب استراليا

٩	الشيخ عبداللطيف حامد سالم الفرارنى	مسجد الأزهر الشريف سيدنى استراليا
١٠	الشيخ السيد على خليفة محرم	المركز الثقافى الإسلامى التابع لجمعية الدعوة الإسلامية هولاندا
١١	الشيخ الصافى محمد عبدالمجيد خميس	المركز الثقافى الإسلامى التابع لجمعية الدعوة الإسلامية هولاندا
١٢	الشيخ معوض مبروك عباس	المركز الثقافى الإسلامى التابع لجمعية الدعوة الإسلامية هولاندا
١٣	الشيخ محمد محمد محمد الثعلباوى	المركز الإسلامى الجنوبى فى التيجمرى بفنزويلا
١٤	الشيخ محمد محمد محمد الشيخ	المركز الإسلامى فى سيد لباك الولايات المتحدة الأمريكية
١٥	الشيخ عبدالله السيد على المصرى	المركز الإسلامى فى جنوب ابلان ـ تكساس الولايات المتحدة الأمريكية
١٦	الشيخ شعبان محمد عوض حسن	مؤسسة سعيد الحنفى الإسلامية فى مراكينو بفنزويلا
١٧	الشيخ عبدالفتاح محمد إبراهيم سيد أحمد	دار الافتاء بأريتريا
١٨	الشيخ محمد محمد مشهور خليفة	دار الأفتاء باريتريا
١٩	الشيخ عبدالموجود عبدالحكم حسين على	مجلس شيخ الإسلام ـ تايلاند

٢٠	الشيخ أحمد محمد جاب الله يوسف	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ أسبانيا
٢١	الشيخ سرور مهدى فرحات محمد	المركز الإسلامى ـ تورنى بيتتورا ـ أسبانيا
٢٢	الشيخ حسن على على الخصوص	المركز الإسلامى ـ لانتروطى ـ أسبانيا
٢٣	الشيخ عرفة حسن عبدالموجود حسن	المركز الإسلامى ـ مدينة ساو باولو
٢٤	الشيخ محمد محمد أحمد الطايش	المركز الإسلامى ـ مدينة ساو باولو
٢٥	الشيخ محمود عبدالدايم فرج صالح	الجالية الإسلامية ـ جواتيمالا
٢٦	الشيخ فتحى شحاتة حسن رحيم	مجلس العلماء ـ زمبابوى
٢٧	الشيخ سعد حامد محمد الخولى	مدغشقر
٢٨	الشيخ محمد محمد فتح الله إبراهيم	المركز الثقافى الإسلامى بروما
٢٩	الشيخ السيد محمد محمد عبدالعاطى	هولاندا
٣٠	الشيخ أحمد محمد موسى حنين	سيدنى ـ أستراليا
٣١	الشيخ مرسى أبوالوفا قدرة	ولاية نيوجرس ـ الولايات المتحدة الأمريكية
٣٢	الشيخ سعد عبدالحميد عوض جويدة	ولاية هدسون ـ الولايات المتحدة الأمريكية

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

عمـــان

أصدر المؤتمر الاستثنائى للاتحاد البرلمانى العربى بياناً فى (عمـان) رفض فيـه المجتمعـون قرار الكونجرس الأمريكى بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس والتأكيد على عروبة القدس ، إذِ السلام العادل والشامل لا يمكن تحقيقـه إلا بتطبيق القرارات الدوليـة التـى دعت إسرائيـل للانسحاب الكامل من الأراضى العربية المحتلة ، واتخذ الاتحاد قراراً برفض قرار الكونجرس باعتباره يتنافى مع الشرعية الدولية ، ويؤكد على مستقبل المدينة المقدسة ، وناشد النيابيون العرب دول العالم عدم نقل سفاراتهم إلى القدس ، وعدم الاعتراف بها عاصمة لإسرائيل ، واعتبار القدس عاصمة للدولة الفلسطينية الوليدة .

المعروف أن هذا المؤتمر عقد على هامش المؤتمر السابع للحوار البرلمانى العربى الإفريقى بالعاصمة الأردنية .

اليمـــن

رفضت اليمن اقتراحاً من أريتريا بنشر مراقبين دولـيين فى (جزر حنـيش) الـكبرى بالبحـر الأحمر ، وقال وزير خارجية اليمن - فى مؤتمر صحفى : إن بلاده ترفض تدويل الجزيرة والنزاع حولها ، واستبعد لجوء بلاده للخيار العسكرى ، وأكد وجود وساطات جارية فى الوقت الحالى ، وأضاف أن اليمن تصر على حل النزاع فى إطار القانون الدولى ، وقانون البحار ، وذلك لأهمية أرخبيل حنيش وجدير بالذكر أن كلا من مصر وفرنسا وأثيوبيا تتوسط لحل النزاع بين البلدين المسلمين بالطرق السلمية منعاً لإراقة الدمـاء ، وحرصاً على استتباب الأمن فى تلك المنطقة الحيوية من العالم .

الجزائـــر

قام الرئيس الفلسطينى بزيارة الجزائر لإجراء محادثات مع الرئيس الجزائرى ، وصرح فى مؤتمر صحفى بأن الانتخابات الفلسطينية تتم فى المناطق المحررة من الضفة الغربية وقطاع غزة فى الوقت المحدد لها ومـن المقـرر أن تشارك الجزائـر فى الانتخابات الفلسطينية كمراقب ضمن سبع من دول عدم الانحياز عهد إليها مهمة (تقييم) عملية نزاهة الانتخابات .

قال ياسر عرفات :

إن هذه الانتخابات تضع الأساس لإنشاء الدولة الفلسطينية المستقلة ، ويتنافس فيها أكثر من ثمانمائة مرشح لشغل ٨٨ مقعداً تعتبر عدد مقاعد البرلمان الفلسطيني أما الانتخابات الرئاسية فيتنافس فيها إلى جانب السيد ياسر عرفات السيدة سميحة خليل ٧٢ سنة .

وعن مؤتمر باريس للدول المانحة للمساعدات الفلسطينية أعرب عرفات عن أمله فى أن تترجم إلى واقع ملموس .

وعن المفاوضات على المسار الفلسطيني الإسرائيلي حول السلام أكد سيادته أن شهر ذى الحجة القادم – مايو) سيشهد المرحلة النهائية للمباحثات بين الجانبين فى كل المسائل وفى مقدمتها القدس الشريف وهى العاصمة الموحدة للدولة الفلسطينية الوليدة ، وكذلك مسألة المستوطنات التى تمثل عقبة كأداء فى سبيل تحقيق السلام .

دمشق

واصل وزير خارجية أمريكا جولاته المكوكية من أجل السلام بزيارات كان آخرها زيارته لكل من سوريا وإسرائيل ، وأوضح سيادته أنه ناقش مع المسئولين فى البلاد التى زارها عملية السلام فى الشرق الأوسط خصوصاً على المسار السورى وقال – فى مؤتمر صحفى مع كل من رئيس وزراء إسرائيل والعاهل الأردنى : إن هناك بداية طيبة لمرحلة جديدة فى العملية السلمية ، وذلك نتيجة للتقدم الذى نشأ عن اللقاءات التى جرت فى ولاية (ميرى لاند) بأمريكا مؤكداً أن حجم الانسحاب وعمقه أمر هام .

الشيشان

واصل المجاهدون الشيشان نضالهم المشرف من أجل الاستقلال . لكن المقاتلين أرغموا على التوقف بعد نسف الجسر الذى كان مقرراً عبورهم عليه إلى داخل الشيشان ، وذلك فى خيانة سافرة للشروط المتفق عليها بينهم وبين السلطات الروسية . والمعروف أن المجاهدين أفرجوا عن ألفى رهينة قبل مغادرتهم (كيزيليار) أما فى (جروزنى) العاصمة الشيشانية فقد هدد (الرئيس جوهر داود) الذى تمت العملية الفدائية تحت قيادة زوج ابنته بأحداث أخطر ، وقال – فى مقابلة نشرتها مجلة شيشانية : إن الوضع بكامله تحت سيطرته ، ولم يستبعد تكرار عمليات المقاتلين الشيشان إذا استمرت الحرب .

جاء ذلك فى لقاء أجرى مع الرئيس الشيشانى فى أحد المخابىء الجبلية الوعرة بالشيشان .

البوسنه والهرسك

استأنف أطراف النزاع فى البوسنه والهرسك مفاوضاتها فى النمسا لوضع قرارات تتعلق بانفراج عسكرى فى الوقت الذى تبادلت فيه القوات البوسنية والكرواتية القذف المدفعى فى (مدينة موستار) المقسمة ، كما عقد مسئولون رفيعو المستوى من الدول المعنية اجتماعات مغلقة تحت رعاية منظمة الأمن والتعاون الأوربى تطبيقاً لاتفاق السلام فى (ريتون) .

أعلنت القوات متعددة الجنسيات فى العاصمة البوسنية أنها تملك صلاحيات لوقف الأعمال الإرهابية الصربية .

A ce moment-là tu ne seras point pardonné pour avoir suivi aveuglément tes parents, ta communauté ou des gens puissants.

[Quand ils verront le châtiment, quand tous les liens seront coupés, quand ceux qui auront été suivis désavoueront ceux qui les ont suivis]

Sour. "Al Baqara" (La Vache) v166-167.

[Les faibles diront à ceux qui étaient orgueilleux : "Nous avons suivi votre exemple; pouvez-vous (à présent) nous préserver du châtiment d'Allah?"]

Sour. "Ibrahim" (Abrahâm) v21.

[Ils disent plutôt : "Nous avons trouvé nos ancêtres qui suivaient toujours la même voie, et nous avons été guidés par leur exemple"].

Sour. "Al Zukhruf" (L'orenement) v22.

La porte du repentir est largement ouverte, à tout moment et pour tout le monde. Allez-y, pendant qu'il est encore temps.

[Ô Mes serviteurs! Vous qui avez commis des excès à votre propre détriment, ne désespérez pas de la clémence d'Allah : Allah pardonne tous les péchés"].

Sour. "Al Zumar" (Les groupes) v53.

L'Islam est un message universel adressé à toute l'humanité. Quiconque veut embrasser l'Islam a le droit de le faire sans avoir besoin d'intercesseur entre lui et Son Seigneur, ni d'autorisation préable de n'importe quelle autorité religieuse ou humaine.

[Nous t'avons envoyé à tous les humains, uniquement comme annoncateur de la bonne nouvelle et comme avertisseur].

Sour. "Saba" v28

Après mûre réflexion, choisis pour toi-même la voie que te dicte la saine raison; et souviens-toi de ces paroles d'Allah- le Très - Haut :

[Pas de contrainte en religion : la voie de la raison se distingue de celle de l'erreur].

Sour. "Al Baqara" (La Vache) v256

Dr. Rokeya GABR

gences et des crimes commis par les humains. Toutefois, la pollution et la dégradation des eaux-qu'il s'agisse de fleuves ou de mers - n'avait pas à l'époque d'explication naturelle. Ce n'est que vers la fin du XXe siècle que le monde a commencé à prendre conscience de la pollution aussi bien des eaux potables que des eaux de mer, ce qui représente une menace pour les trésors aquatiques. C'est là certes une prédiction qui date de quatorze siècles, et qui est une preuve du caractère miraculeux du Coran.

Conclusion

Cher Lecteur,

A présent que tu viens de lire cette étude qui t'expose simplement, objectivement et logiquement les preuves des vérités scientifiques énoncées dans le Coran et qui témoignent de la véracité du message de l'Islam, tu es - à partir de maintenant - responsable devant ton Seigneur, Allah - le dieu Unique - qui t'a créé et qui t'a envoyé ce message. Peut-être, dans un moment de vérité, te libéreras-tu de toute idée préconçue et tu sauras alors que ce n'est point une plaisanterie mais une affaire sérieuse : tu n'as point été créé en vain, ni par hasard :

[Pensiez-vous que Nous vous avions créés par pur divertissement et que vous ne seriez pas ramenés vers Nous?]

Sour. "Al Mu'minûn" (Les Croyants) v115.

Une fois que tu as eu les preuves sous les yeux, tu deviens apte à être jugé pour être rétribué ou puni. Il n'y a point à hésiter : hâte-toi de suivre l'appel de la Vérité avant qu'il ne soit trop tard : le terme d'une vie humaine peut-être bien court et ne dépend pas de toi.

[Allah n'accorde aucun sursis à celui qui est arrivé au terme de sa vie]

Sour. "Al Munafiqûn" (les Hypocrites) v11.

[Tu étais inconscient de cela. Nous avons oté ton voile et ta vue est perçante aujourd'hui]

Sour. "Qaf" v22.

[Le jour du Jugement Dernier, personne ne viendra à ton secours : ni ton clan, ni tes enfants, ni tes biens]

Sour. "Al Chu'ara' " (Les Poètes) v88

[Ils ont qualifié de mensonge ce qui ne relève point du domaine de leur savoir et ce dont ils n'ont pas encore reçu l'interprétation].

Sour. "Yûnus (Jonas) v39.

D'autre part, le Coran a prédit la conquête de la Mecque, alors que le message de Mohammad - b.s. - était attaqué de toutes parts par les adversaires de l'Islam.

[Selui qui t'a chargé du Coran, te ramènera certes à un beau lieu de séjour].

Sour. "Al Qasas" (Le Récit) v85.

[Allah a confirmé la vérité de la vision accordée à Son Prophète : Vos entrerez certes dans la Mosquée Sacrée, par la volonté d'Allah].

Sour. "Al Fath" (Le succès) v27.

Quelques années avant la mort du Prophète Mohammad - b.s. - les perses avaient fait subir une grande défaite aux romains et avaient conquis Jérusalem en l'an 614-615 J.C. Or, le Coran a prédit, contre toute attente à cette époque, que les romains remporteraient une victoire sur le perses.

[Alif, Lâm, Mim (A-L-M) Les romains ont été vaincus dans la terre la plus voisine. Mais, après leur défaite, ils seront vainqueurs]

Sour. "Al Rûm" (Les Romains) v1à3.

Or, cette victoire inattendue eut lieu à la suite d'une bataille décisive en l'an 622 J.C.; ce qui confirma la vérité des prévisions coraniques.

Enfin, Le Coran a prédit la pollution de l'environnement sur terre comme sur mer - par la main des humains.

[La corruption est apparue sur terre et dans la mer par suite de ce que les homme ont accompli de leur propres mains].

Sour. "Al Rûm" (Les Romains) v41.

Il n'est peut-être pas étrange de prévoir la dégradation et la pollution sur terre qui sont les conséquences naturelles des guerres, des négli-

donc une sourate semblable à cela, et faites appel à qui vous pouvez, en dehors d'Allah, si vous êtes véridiques"]

Sour. "Yûnus" (Jonas) v38.

[Si vous avez quelque doute au sujet de ce que Nous avons révélé à Notre serviteur, apportez donc une sourate semblable à ceci, et faites appel à vos témoins, en dehors d'Allah, si vous êtes véridiques]

Sour. "Al Baqara" (La Vache) v23

[Dis : "Si les humains et les djinns s'unissaient pour produire quelque chose de semblable à ce Coran, ils ne produiraient rien qui lui ressemble même s'ils s'aidaient mutuellement]

Sour. "Al Isrâ' " (Le Voyage Nocturne) v88.

Le Coran a également prédit que les vérités, le savoir et les secrets qu'il renferme, n'étaient point connus de la communauté à laquelle appartenait Mohammad - b.s. - à l'époque où eut lieu la Révélation. Ce n'est que graduellement que l'humanité a commencé à comprendre l'interprétation scientifique exacte de plusieurs versets coraniques dont le sens paraissait obscur aux humains.

[Nous leur montrerons Nos signes dans l'univers et en eux-mêmes, jusqu'à ce qu'ils voient clairement que c'est bien la Vérité]

Sour. "Fuçilat" (Ont été détaillés) v 53.

[Chaque nouvelle a un temps et un lieu fixés pour sa réalisation, et vous l'apprendrez un jour].

Sour. "Al An'am" (Le Bétail) v67

[Il vous montrera bientôt ses signes et vous les reconnaîtrez).

Sour. "Al Naml" (Les Fourmis) v93

[Vous en appendrez sûrement la nouvelle après quelque temps].

Sour. "Çad" v88.

Ce qui est miraculeux, c'est que le Coran a affirmé que le corps du Pharaon (de Moïse) serait conservé intact afin de servir de leçon pour les générations à venir :

[Mais aujourd'hui, Nous allons sauver uniquement ton corps, afin que tu sors un signe pour ceux qui viendront après toi].

Sour. "Yûnus" (Jonas) v 92.

20. Les prévisions Historiques :

Le Coran a prédit des événements qui se sont produits et qui n'auraient pu l'être si le Coran n'était pas une Révélation d'Allah, L'Omniscient.

La première de ces prédictions c'est la conservation du Coran à travers les âges, bien qu'il ait été révélé dans une communauté où régnait l'analphabétisme. Or, c'est le seul Livre divin dont le texte n'a subi aucune modification ni aucune falsification depuis quatroze siècles.

[Nous avons fait descendre le Rappel et c'est Nous qui en assumons la conservation].

Sour. "Al Hijr" v 9.

La seconde prédiction, c'est l'impossibilité pour n'importe quel humain de produire un discours qui soit semblable au Coran. Or, les Arabes étaient célèbres par leur éloquence; toutefois, ils ont été incapables de produire un discours qui puisse ressembler à l'éloquence du Coran dans la noblesse des idées, la beauté de l'expression, la composition rhétorique et surtout son effet sur l'âme de celui qui l'écoute. L'histoire a prouvé que, jusqu'à nos jours, aucun humain n'a pu relever ce défi. Ainsi le Coran est resté unique en son genre, totalement différent aussi bien de la prose que de la poésie des humains : un "Coran" inimitable :

[Ou bien ils disent - "Il l'a forgé de toutes pièces." Dis : "Apportez donc dix sourates forgés par vous et semblables à ceci, et faites appel à qui vous voulez, en dehors d'Allah, si vous êtes véridiques"]

Sour. "Hûd" (Houd) v13.

[Ou bien ils disent : "Il l'a inventé" Dis : "Apportez

Les Preuves Scientifiques de l'Islam.

Extrait de l'ouvrage

Traduit par Dr. Rokeya Gabr

(suite)

18. L'Histoire Naturelle :

La paléontologie est la science qui fait des recherces en vue de connaître les aspects de la vie préhistorique sur terre, ainsi que l'histoire des ères géologiques, et cela au moyen de l'observation des fossiles animaux et végétaux.

Or, Le Coran invite à faire ces recherches dans le verset :

[Parcourez la terre et voyez comment Il a commencé la création]

Sour. Al 'Ankabût' (L'Araignée) v20.

19. Pharaon et Moïse :

Plusieurs siècles se sont écoulés avant qu'on ne découvre - grâce à la pierre de Rosette - l'histoire des anciens égyptiens dont les vestiges restèrent longtemps enfouis sous terre.

Ensuite furent découvertes les tombes royales et les momies pharaoniques qui dévoilèrent aux hommes les secrets de ce passé lointain. Les hommes purent alors voir comment, au moyen de la momification, les corps des pharaons ont pu être conservés intacts après leur mort, (par exemple ceux de Thotmos, Ramsès et Aménophis). Or, ce dernier est - au dire des histoirens - le Pharaon qui périt noyé en poursuivant Moïse - à lui salut - et le peuple juif.

On a également trouvé toutes les momies des rois de la dixhuitième dynastie qui étaient contemporains de la lutte du peuple d'Israël avec le roi d'Egypte.

C'est au mois de Ramadân que le Corant fut révélé pour guider tous les humains vers la raison, et cela grâce à ses explications claires qui mènent à faire le bien et qui distinguent la Vérité de l'erreur, pour tous les temps et toutes les générations. Celui qui assite à ce mois en étant bien portant, sans être malade ni en voyage, doit le jeûner; quant à celui qui souffre d'une maladie que le jeûne risque d'aggraver ou qui voyage, il est autorisé à ne pas jeûner, à condition de compenser les jours du mois non jeûnés. Allah ne veut pas vous imposer de contraintes par Ses prescriptions, mais Il vent ce qui est aisé pour vous. Il vous a indiqué le mois du jeûne et vous a aidé à le reconnaître, afin que vous vous acquittiez exactement du nombre de jours qu'il faut jeûner, que vous exaltiez la grandeur et la grâce d'Allah qui vous a guidés.] (Interprétations du verset 185 de la Sourate "Al Baqara)

Comme l'Islam est la religion universelle, elle est pratiquée par des musulmans qui vivent dans tous les coins du monde, des pôles à l'équateur, aussi bien dans l'hémisphère nord que dans l'hémisphère sud du globe terrestre. Or, il est juste qu'il n'y ait pas l'hommes qui jeûnent, par exemple, toujours en hiver alors que d'autres jeûnent toujours en été, car une saison fixe avantagerait certains jeûneurs tout en étant pénible pour d'autres. Ce changement des saisons de jeûne permet une juste répartition des avantages et des difficultés parmi les musulmans qui observent le jeûne du mois de Ramadân. En outre, cette rotation habitue le musulman ou à jeûner en toute saison. On remarque ainsi que, dans toute prescription imposée par l'Islam aux humains, il y a toujours présent un souci de rendre ces prescriptions faciles à mettre par les fidèles.

C'est donc avec une ample miséricorde qu'Allah — le Très-Haut — a imposé le jeûne aux musulmans; de plus, le Miséricordieux rétribue largement le fidèle qui jeûne le mois de Ramadân, comme en témoigne le Hadith suivant du Prophète Mohammad — b.s. — : "Quiconque jeûne le mois de Ramadân, en étant mû par la foi et sans convoiter de récompense, verra tous ses péchés absous."

Amr Ahmad Mokhtar

qui vous ont précédés.] Ce jeûne vise à cultiver en vous l'esprit de dévotion, à affermier votre âme et à vous éduquer.

L'Islam est la dernière religion révélée à l'humanité, sa mission est une suite et une mise au point de toutes les religions révélées précédentes qui proviennent toute d'une même source.

A l'époque du Prophète Ibrahim (Abraham), les Sabéens observaient un jeûne de trente jours sans manger ni boire, du lever du soleil jusqu'à son coucher mais ils faisaient cela en signe d'adoration pour la lune.

La prescription d'un mois de jeûne en Islam est donc une restauration de la religion "Hanéfite" du Prophète Ibrahim, en l'honneur d'Allah, le créateur de la terre et des cieux. En effet, le Coran condamne l'adoration du soleil ou de la lune ou de toute autre divinité en dehors d'Allah.

Les juifs jeûnent également. Les plus pieux d'entre eux jeûnent le lundi et le jeudi en mémoire des deux jours où Moïse — à lui salut — monta et revint du Mont "Al Tor" ou Sinaï. Ils jeûnent Vingt-quatre heures, certains jours de l'année-dont le 10 du mois de Muharram ou "Achura" chez les musulmans.

Les premiers chrétiens observaient le Carème: c'étaient 36 jours réservés à l'abstinence et à la pénitence en souvenir du Christ.

Rappelons que le jeûne existe aussi dans d'autres religions, telles que la religion hindoue, boudhiste etc, mais il n'est observé nulle part comme il l'est chez les musulmans.

Le temps fixé pour le jeûne prescrit en Islam.

Les juifs et les chrétiens — comme les hindous — observent le jeûne suivant l'année solaire, de sorte que le temps fixé pour le jeûne revient toujours à la même saison. Quant aux musulmans, ils observent le calendrier lunaire; ainsi leur jeûne du mois de Ramadan est déclaré de dix jours par rapport à l'année solaire et passe graduellement et successivement par toute les saisons de l'année.

En effet, le Coran nous apprend que: [Ces jours de jeûne ont lieu durant le mois de Ramadân auquel Allah attribue un grand mérite.

Le Jeûne en Islam.

Dr. Amr Ahmad Mokhtar

Allah — gloire à Lui — a dit :

"Toute oeuvre du fils d'Adam lui revient, excepté le jeûne: il M'est dû et c'est Moi qui en fixe la rétribution"

(Hadith du Prophète — b.s. — rapporté par Abu Huraïra)

La suite de ce Hadith souligne que le jeûne est une protection et une préservation contre les péchés que l'homme peut commettre en se laissant guider par ses instincts et ses passions.

C'est pourquoi, on trouve dans le Coran la prescription du jeûne exprimée dans la Sourate "Al Baqara" (La Vache), où le verset 184 nous explique ceci:

[Le jeûne vous a été prescrit pour un nombre limité de jours qui auraient pu être plus nombreux si Allah l'avait voulu. Il ne vous a pas chargés dans le jeûne de ce qui est au-dessus de vos forces. Ainsi, celui qui souffre d'une maladie pour laquelle le jeûne est nuisible, ou celui qui est en voyage est autorisé à ne pas jeûner et à remplacer ces jours non jeûnes après sa guérison ou son retour de voyage. Quant à celui qui n'est ni malade ni en voyage, mais pour qui le jeûne est pénible, et cela pour une raison permanente, telle que la vieillesse ou un mal incurable, il a le droit de ne pas jeûner du tout, mais il doit nourrir un nécessiteux qui ne possède aucun moyen de subsistance. Quant à celui qui s'acaquitte de jeûnes surérogatoires — en plus du jeûne prescrit — cela est meilleur pour lui, car le jeûne est toujours un bien pour celui qui connaît véritablement les actes de dévotion].

Le jeûne en Islam et dans les autres religions :

Dans le verset 183 de la Sourate "Al Baqara", Allah — gloire à Lui — nous dit: [Le jeûne a été prescrit pour vous comme il a été prescrit à ceux

REVUE AL AZHAR

Vol 68. Part IX

Ramadan 1416 Hijrah, Jan./ Feb. 1996.

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

of a full stop and Y. Ali's use of a semicolon between the two conjoined elements. One may still feel that Coordination by 'and' is basically weak for contrastive purposes in English.

It could, therefore, be concluded that the coordinator /wäw/ in Arabic need not necessarily be translated into 'and'. Otherwise, it would constitute a literalness that might spoil the fundational and communicative value as well as the rhetorical beauty contained in the original. To overcome this problem, one may substitute the /wäw/ for any other coordinator or sentence connector that may suit its original meaning. This is clear in the rendering of:

Sura 83, Verses 1-3:

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾

Notice that the coordinator /wäw/ which is used to link verses 2 to 3, conncets the two conditional sentences in an adversative relationship. Thus, it is rendered as 'but' by all translators.

Arberry (635):

"Who, when they measure against the people, take full measure
but, when they measure for them or weigh for them, do skimp."

Y. Ali (1616):

2. Those who, when they
   Have to receive by measure
   From men, exact full measure,
3. But when they have
   To give by measure
   Or weight to men,
   Give less than due.

Khatib (796):

"Who, when they take a measure from people, take it in full,
but when they measure for them, or weigh for them, they skimp."

Pickthall (795):

2. Those who when they take the measure from mankind demand it full,
3. But if they measure unto them or weigh for them,
   they cause them loss.

Nevertheless, translators are sometimes not successful in their rendering of the /wäw/, as Sura 82, Verses 13-14 illustrate :

إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾

Al-Sabuni (1976 : Vol. 3 : 529) clarifies trhe fact that the adversative relationship between the two conjoined nominal sentences is expressed by the coordinator /wäw/. This adversative and contrastive relationship distinguishes two classes of people : the righteous people who will be in bliss and the wicked people who will be in hell. However, the four translators, in rendering this verse, follow what they consider to be the literal and simple equivalent of the coordinator /wäw/. Their versions are illustrated as follows :

Khatib (796) :

"Surely the devout will be amidst felicity.
And certainly the libertine will be amidst al-Jahïm."

Y. Ali (1613) :

13. As for the Righteous,
They will be in Bliss;
14. And the Wicked -
They will be in the Fire.

Arberry (634) :

"Surely the pious shall be in bliss,
and the libertines shall be in a fiery furnace."

Unfortunately, it is believed that much of the emphatic adversative sense is lost by inserting the coordinator 'and' in English. 'But', 'while' or 'whereas' would be better contrastive equivalents. Pickthall offers us something a bit stronger;

Pickthall (795) :

"13. Lo! the righteous verily will be in delight.
14. And Lo! the wicked verily will be hell;"

At least the emphasis on the meaning of adversation is repeated in Pickthall's version by other devices. Perhaps, the separation of the second conjoined sentence with its coordinator from the first gives it more independent and contrastive sense. The same is with Khatib's use

Unlike his rendering of verses 4 & 5, Arberry uses the negative conjoined structure 'not ... and ... not' in verses 2 & 3.

Arberry (664) :

"I serve not what you serve
and you are not serving what I serve."

The change in Arberry's attitude towards the conjoined structures of the above verses shows inconsistency. Moreover, his use of different tenses, present simple in verse 2 conjoined with the present continuous in verse 3, and present perfect in the second part of verse 4 with the present simple in the second part of verse 5 proves his inconsistency.

Finally, Y. Ali and Pickthall use similar attitudes in rendering the above verses. However, they differ in that Y. Ali uses the negative conjoined structure, 'not ... and ... nor', whereas Pickthall uses : 'not ... nor ... and'. Their versions are represented as follows :

Y.Ali (1708) :

2, I worship not that Which ye worship.

According to Crystal (1980:338), when subordinators are used, the linguistic units "have different SYNTACTIC status, one being dependent upon the other, and usually a constituent of the other." Second, in the original meaning of the conjoined structure which may have a great communicative effect on the reader.

Moreover, it is believed that Arberry's, Y. Ali's and Pickthall's renderings of this /wäw/ as 'and' is unacceptable in English. This is due to the fact that one of the main rules of Coordination in English, according to Radford (1989:76), is that "Only identical categories can be conjoined, automatically." Thus the only way to overcome this difficulty is to replace the coordinator 'and' by another sentence connector such as 'for' as in Khatib's version. Even though this may change the conjoined structure on the formal and syntactic levels, yet it still maintains accuracy on the functional and semantic levels. According to Newmark (1988), what concerns the reader more is accuracy of the message rather than the formal similarities between the SL text and the interpreted version of the TL.

tion of the coordinator 'and' before 'neither', spoils the meaning and makes Khatib's translation a failure.

Suggested translations of the above verses could thus be illustrated as follows :

Suggested Versions :

a. He does not beget, nor is He begotten and there is no equal to Him."

or

b. He neither begets nor has he been begotten, and there is no equal to Him.

Perhaps the second interpretation with the correlative 'neither ... nor' gives more emphasis to the meaning of the text rather than with 'not ... nor'.

In addition to the above examples, substitution of one coordinator for another plays an essential role in conjoining idnetical constituents. An example for illustrations.

Sura 109, Verses 2-5 :

لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾

Perhaps Khatib's negligence of the coordinator /wäw/ in verses 4 & 5 and replacing it with the correlative "neither ... nort," besides the inversion of word order in both verses may, to some extent, be successful due to its emphatic influence on the reader, as compared to the original text :

Khatib (824)

"Neither am I worshipping what you worship, nor are you worshipping what you worship."

This same attitude of substituting for the /wäw/ is adopted by Arberry. However, Arberry differs in that he uses the correlative 'neither ... nor' in its inverted form in verses 4 & 5. This ivnersion may be used to give more emphasis, even if it is not acceptable in English.

Arberry (664) :

"Nor am I serving what you have served,
neither are you serving what I serve."

143), these correlatives "strenthen the connection between two coordinated elements." Their role is to emphasize the fact that two ideas are involved.

By examining the four translations under study, we will find that Arberry is the only one who uses the first method in rendering the three conjoined VPs : /lam yalid/, /lam yulad/ and lam yakun la-hu kufw-an ?ahad/.

Arberry (667) :

"Who has not begotten, and has not been begotten, and equal to Him is not any one."

The only mismatch which Arberry makes is the excessive use of 'and'. He should have dispensed with one 'and', that which links the second conjoined element to the first. This is because the comma is sufficient.

Y. Ali and Pickthall, on the other hand, adopted the second method in rendering the above verses, but by using the negative construction 'not ... nor' instead of the correlative 'neither .. nor'.

Y. Ali (1714) :

3. He begeteth not, Nor is He begotten;
4. And there is none Like unto Him.

Pickthall (825) :

"3. He begetteth not nor was begotten.
4. And there is none comparable unto Him."

Consequently, Y. Ali and Pickthall have succeeded in reproducing a stylistic effect similar to that of the original text.

Finally, Khatib tries in his version to give a new method of rendering, unlike that adopted by the other preceding translators.

Khatib (826) :

"He begets not, nor has He been begotten, and neither is there any equal to Him."

However, Khatib's approach is not successful. Instead of inserting the negative particle 'neither' before the first conjoined element, he postpones it to the third. This change of word order, besides the inser-

Difficulties in Translating Coordination

in Qur'anic Verses

PART IX

By Maha Yousry El Tagouri Ph.D.

Substitution of Coordinators with the /wäw/ :

In the following instances translators have selected other coordinators or conjunctions like subordinators or sentence connectors to substitute for the /wäw/. Substitution is applied, even though the particle used may not be identical to that of the original; yet it can overdo in at least certain contexts, without significant changes in the conceptual content of the utterance.

However, these particles may sometimes deviate from the functional and, consequently, communictive effect of the SL text. Examples of substitution for the /wäw/ can be illustrated as follows :

Sura 112, Verses 3-4 : لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

The structure of Coordination in the above verses differs from one version to another. This mainly depends on how each translator attempts to reproduce the stylistic effect of the negation introduced by /lm/ in the SL text. The negative construction /lam .. wa lam/ in CA is believed to have two ways of being rendered into English :

i. not ... (and) not ... and not
ii. neither ... nor ... and
not ... nor ... and

However, it is believed that the correlatives 'neither ... nor', the same as 'either ... or', are better be used to link only two conjoined elments and not three. According to Daiker, Kerek & Morenberg (1979 :

1. Wet dreams, The prophet (PBUH) is reported to have said : "A man's fast is not spoiled for involuntary vomiting or wet dreams".

2. Unintentional eating or drinking, the prophet (PBUH) is reported to have said : "A man who fasts and absentmindedly eats or drinks must conclude his fast, because Allah has fed and drunk him".

Disliked (Makrooh) actions while fasting :

The disliked actions while fasting are as follows :

1. To chew gum, on one condition: that it does not go down throat.

2. To collect one's saliva in the mouth and then swallow it, trying to quench one's thirst.

3. To complain of hunger and thirst.
4. To gargle more than the necessity.
5. To take water too much up the nostrils when cleaning the nose.
6. To argue, quarrel, use filthy or indecent words.
7. To backbite, tell a lie, swear, ..., etc.

5. To increase recitation of the Holy Qur'an.
6. To observe I'tikaf (Seclusion) inside the mosque and during the last ten days of Ramadan. Women can observe seclusion at home.

NULLIFICATION OF FASTING

The following are the actions which nullify one's fast and necessitate the observance of making up fast only :

1. To let water to go down the throat whilst, gargling, knowing that one is fasting.
2. To vomit a mouthful intentionally or to return the vomit down the throat.
3. To eat or to drink in error forgetting that one is fasting and thereafter to continue eating and drinking, thinking that the fast is broken.
4. To break the fast before time thinking that the sun has set, and then realizing one's fault.
5. To inhale smoke, snuff, etc, voluntarily.
6. To swallow blood from bleeding gums.

If any of the above actions occur while fasting, the fast will be broken and makes compensatin compulsory. Eating or drinking or breaking the fast of Ramadan in any other manner, for example, smoking, etc., deliberately and without a valid reason, will make both making up and Kaffaarah necessary.

Kaffaarah is to fast continuously for sixty days. However, If this is not possible due to continued sickness or ill-health, then one is permitted to discharge the Kaffaarah in any one of the following ways :

1. To feed sixty poor Muslims two meals.
2. To feed one poor Muslim two meals for sixty days.
3. To give to sixty poor Muslims 3.5 pounds.

(approximately 1.6 Kilograms) of wheat or its value in cash or kind to each person.

Things which don't spoil fasting :

Briefly they may be summed up as follows :

month, the devils are chained. In this month there is a night which is worth more than one thousand months".

Who must fast ? :

Fasting Ramadan is compulsory upon every Muslim, male or female, who has the

following qualifications :

1. To be a Muslim.
2. To be of age
3. To be sane and able (mentally and physically fit)

Who is exempted from fasting ?

Those who are exempted from fasting are as follows :

1. Children under the age of puberty and discretion.
2. The insane people and no compensation on them.
3. Men and women who are too feeble to undergo the obligation of fasting and bear its hardships. They must offer, at least one needy poor Muslim an average full meal or its value per person every day during Ramadan.
4. Sick people whose health is likely to be severely affected by fasting. They can postpone fast to later date for a day.
5. People in the course of long travelling. They should make up for the travelling days later.
6. The Expectant women and women-feeding their children, if its observance is likely to endanger their own health or their infants. But they must make up for it later.
7. Women in menstruation, they must postpone the fast till recovery and then make up for it, day for day.

Sunan actions during Ramadan :

The Sunan actions during Ramadan are as follows :

1. To partake a meal before the break of dawn.
2. To break the fast immediately after sunset, preferably with dates and water.
3. To perform Taraaweeh prayer at night.
4. To feed the poor and hungry.

2. The person who observes his fasting properly is certainly a man who can discipline his passionate desire, putting himself above physical temptations.
3. Fasting develops in man a great sense of adaptability and self-created power to overcome the unpredictable hardships of life.
4. It originates in man the real spirit of social belonging, of unity and brotherhood.
5. It cultivates in man inner peace, which is the source of permanent peace with Allah and, consequently with the universe.
6. It is an effective lesson in observing moderation and willpower.
7. It cultivates in man a vigilant and sound conscience.

The benefits of fasting :

1. Fasting is the best way of developing piety in Muslems. It is a source of safety from sin and protection from the fire of Hell for a Muslim.
2. Fasting develops self-discipline, self-control and helps to overcome selfishness, greed, laziness and other faults.
3. Fasting gives us the feeling of hunger and thirst, and this develops our feeling for the poor and hungry, and teaches us to restrain the love of comfort.
4. Fasting is a shield against acts of disobedience in this world and against fire in the next.

PERIOD OF FASTING :

Muslims are required to fast for 29 or 30 days of the month of Ramadan. The exact number depends on the appearance of the moon. Prophet Muhammad (PBUH) is reported to have said "Begin your fasting when you see the new moon and don't break your fasting until you see the new moon (again); and if it is cloudy, calculate its appearance". Another says that "If it is cloudy, thirty days should be completed".

The merit of Ramadan :

Abu Hurayra narrated that the prophet Muhammad (PBUH) is reported to have said at the beginning of Ramadan "A glorious and blessed month has come, Allah ordained that you fast it. During this

FASTING : The fourth pillar of Islam

By : Sheikh Muhammad M. Geme'a

Indication :

Fasting is one of the five pillars of Islam it is compulsory on every adult Muslim male and female to fast. Moreover, Ramadan is the month that Allah chose to reveal the Holy Qur'an in, and is also the only month which is mentioned by name in the Qur'an. Allah says in the Holy Qur'an "Ramadan is the month in which was sent down the Qur'an as a guide to mankind, and clear (signs) for guidance and judgement (between right and wrong) — so every one of you who is present during that month should spent it in fasting". (2:185)

Meaning of fasting :

Fasting in Islam means to abstaining from food and drink and sexual intercourse from dawn until sunset, in obedience to, and for the love of Allah only. Fasting is not just hunger, as prophet Muhammad (PBUH), is reported to have said : "Many are the fasting persons who fast, but attain nothing by such fast except hunger, and many are the persons performing prayer by night but attain nothing by it except the discomfort of staying awake by night".

This Hadith clearly shows that, there are many people who attain no rewards by fasting, except hunger. Among there are those who tell lies, backbite, argue, swear and slander while fasting.

Significance of fasting :

Breifly they may be summed up as follows :

1. It cultivates in man patience and unselfishness.

Islamic cities. It shows the elevated art of Islamic architecture with its Domes and Minarets as well as its decoration and ornamentation. Until this day, non-Muslims overwhelmed by the architecture of Mosques all over the Islamic world.

Despite the presence of those amongst us who are against beautifying the Mosques, the majority of Muslims, however, are very much in favour of making them look appealing to the eye. To prove this, Imam Al-Baghawy said : "The decoration of a Mosque out of goodwill, will not be considered as an abominable or detestable act since he does it to glorify the rituals of Islam.

Dear Brothers and Sisters, build as many Mosques as you can, for they are the houses of Allah, and fill your hearts with faith by visiting the Mosques as often as your time permits. Hold the circles of knolwedge in them and make them seminars that bring you closer together, make them unite and strengthen you, and fill your hearts with love and compassion.

May Allah keep you and Bless you all

spread knowledge and learning in the same manner; these three are Al-Kairawan Mosque in Tunisia, Al-Karaweyn Mosque in Fas and El-Kabeer Mosque in Kurtuba. A great number of Muslim thinkers, philosophers and literary men have graduated from these universities. The Prophet (PBUH) blessed education in Mosques and incited the Muslim youth to take part in the learning (knowledge) circles that are held in the Mosques. He (PBUH) said:

> Whosoever follows a path to seek knowledge therein, Allah will make easy for him a path to Paradise. No people gather together in one of the houses of Allah, reciting the Book of Allah and studying it among themselves, without tranquility descending upon them, mercy enveloping them, the angels surrounding them, and Allah making mention of them amongst those who are with Him.

Marriage is preferred to be held in Mosques because it is desired in Islam that marriage be witnessed by the Muslim community, and there is no better way to declare a marriage and make it known than holding it in a Mosque. Al-Turmuzy said that the Prophet (PBUH) said in one of his Hadiths : "Declare Marriage in the Mosques".

Dear Brothers and Sisters, The Mosque is not only a place for learning and making marriages known to the community, it is also a meeting place where Muslims discuss various issues and solve their problems by objective debates. There is no doubt that there are numersous issues to be discussed and problems to be solved. Issues like the constant aggression on Muslim land, the attack on the concept of Islam, the appearance of social diseases among Muslims, the rising prices, inflation, social injustice and lack of security as well as numerous other problems that affect any society.

Dear Sirs, after all that has been said, the Mosques stand as a symbol for the huge architectual works of art in all large

and the Day of Judgement. The Prophet (PBUH) also said: "All the land will be destroyed on Dooms Day except the Mosques, they will come together and combine". This shows us the extent of which a believer who kneels to Allah and prays a lot is close to Allah. The Prophet (PBUH) said: "Allah has ensured the righteous path on the Day of Judgement for all those who made Mosques their secure homes."

This Hadith shows the benefits of seeking the Mosque and remaining in it for long periods of time and cnsidering it as a place of security and sanction. People usually abide in the Mosque on the last ten days of the Holy month of Ramadan. However, it is preferred that he who ever enters a Mosque at any time of the day should intend retreat. الاعتكاف (I'etkaf).

Whether he remains there for long or not does not matter. It is the intention which counts, because his intention is to use the Mosque as a retreat. In the book entitled Al athkar the intention of الاعتكاف in the Mosque is also applied to those who just pass through the Masjid. Indeed it is better to stand in the Mosque for a second or two then go on walking.

Dear Brothers, the task of the Mosque is not only limited to prayer and worship, there are also other tasks that go beyond praying and preaching. Educational, moral and social activities are also major contributions of the Mosques to the communities that reside around them.

The Mosques in Islam were always places for Universities and Institutes of knowledge. For example, in the past centuries in Egypt The Amr Ibn El-Aas Mosque constituted a huge Islamic University which was called the University of Fostat. Among those who taught at that University were Al-Imam Al-Shafei and his disciple Al-Bowaiti as well as Abdul Rahman Ibn El-Kasem who dictated in it "Al-Modaw'wana" in Maleki jurisprudence, that is in addition to Abdullah Ibn Wahb and many others. The three other Islamic Mosques

« من بنى لله مسجدا يبتغى به وجه الله بنى الله له بيتاً فى الجنة »

He who builds a Mosque for the sake of Allah will be rewarded by a house in Heaven that is built by Allah". The Prophet (PBUH) incited people to build Mosques by saying: "He who builds a Mosque as big as a hen's nest or smaller, Allah will build a house for him in Heaven."

Concerning the issue of taking care of the Mosques and keeping them clean and smelling well, Allah Says:

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ

"O children of Adam! Look to your adornment at every place of worship, and eat and drink, but be not prodigal. Lo! He loveth not the prodigals." (Surah VII, Ayah 31)

The mother of believers A'aisha said. "The Prophet (PBUH) ordered people to build Mosques among the houses and that these Mosques should always be cleaned and fragrant. It is also sayed that he (PBUH) liked filling the air of the Mosque with incence Abdullah Ibn Almujammer used to fill the Mosque with fragrant fumes of burning resins and gums on coal when Omar Ibn Al-Khattab sat on the Menbar. Many of our Muslim predecessors liked to make the Mosques smell fragrant by filling them with the smell of safron and resins as well as gums. Some have also said that when Abdullah Ibn Alzubair built the Ka'ba he painted its walls with musk.

Dear Believers, the Mosques are highly esteemed by Allah and His prophet; this eminence of the Mosque is expressed by the Prophet's words: "The countries which are loved best by Allah are the ones which are full of Mosques, and the most abhord countries are those which are full of markets". This is because Mosques are always full of faith that resides in the hearts of the worshippers who go there to pray and to bow down and kneel to their Creator. As for the markets, they are hated because they are full of deceit, lying and incorrect scales. Thus, market places occupy people's minds with worldly gains and makes them forget their end

in Allah, His Angels, His Holy Books, His Messengers and the Day of Judgement.

Thus, a Muslim should be a glowing title for his religion, he should set a good example for others to follow, in what he says, in what he does and in his conduct. This is because, in its essence, Islam considers man as a noble being; it has spread justice and equality among all mankind, regardless of race, colour or creed. Islam has abolished racial discrimination. It is against the idea of man exploiting his brother man because its aim is to achieve brotherly feelings between all believers.

The Message of Islam is crowned with the Divine order of following the righteous conduct and forbidding indecencies. Allah The Almighty Says:

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

"And there may spring from you a nation who invite to goodness, and enjoing right conduct and forbid indecency. Such are they who are successful". (Surah III, Ayah 104)

Dear Brothers and Sisters, the Mosques are the houses of Allah on earth, and building it and praying in it is a sign of faith and proof of fearing Allah. These meanings are expressed quite clearly in the worlds of Allah :

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ
وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾

"He only shall tend Allah's sanctuaries who believeth in Allah and the Last Day and observeth proper worship and prayeth the poor-due and feareth none save Allah." (Surah IX, Ayah 18)

Also worthy of note is the fact that the building of Mosques is one of the actions most loved by the Propet (PBUH), and Mohamed (PBUH) has called for erecting Mosques in many of his Hadiths. The Caliphate Othman Ibn Affan says: "I heard the Prophet (PBUH) say that.

The Speech of His Eminence Sheikh Gad El Haq Ali Gad El Haq

on the Occasion of the one Hundredth Anniversary festival of OM Habiba Masjid South Africa.

*(10-17/12/1995)**

IN THE NAME OF ALLAH

Your Excellencies,

Dear Brothers and Sisters,

It was with great pleasure that I recieved your kind invitation to partake in this festival on the occasion of the One Hundredth Anniversary of the arrival of this Habiba Sufie Musjid as well as the building of twelve other Mosques in South Africa.

There is no doubt that this is a precious chance to see you and meet with you, however, the burdens of my pesition, the long distance between our countries and my inability to travel, have prevented me from taking part in this joyous occasion. Therefore, I hope that you would accept my sincerest thanks and apologies for not attending. However, it will be my pleasure to look into your requests and fulfil as many of my power permits.

Dear Sirs, the festivities you are holding today is actually a festival for all the Mosques in South Africa. The truth of the matter is that the mosque in Islam is a sign of the presence of our religion in any part of the world. Islam is the religion of unity under the Oneness of Allah the Almighty. It is the religion which concludes all the previous prophets' Messages, and that is why a Muslim must believe

(*) Translated and delivered by : Dr. Mostafa M. El Shaka'a on behalf of His Eminence grand Sheikh of Al-Azhar.

AL-AZHAR MAGAZINE

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION

Ramadan 1416 Hijrah, **Vol 68. Part IX**

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah : .
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهرس

● غزو بدر
للدكتور على أحمد الخطيب ١٢٥٩
● مع الإمام الأكبر
ـ رمضان موسم الصفاء والنقاء ١٢٦٤
ـ فتوى فى حكم مختلس أموال الزكاة ١٢٦٩
ـ كلمة فضيلته فى احتفـال مؤسسة أم حبيبة ١٢٧٢
● لمحات مما دار بين فضيلة الإمام وكبير الأساقفة
للأستاذ عبدالسلام ناصف ١٢٧٦
● مع سورة يس أ.د. إبراهيم خميس ١٢٧٩
● قبس من أنوار النبوة
للشيخ على حامد عبدالرحيم ١٢٨٦
● أرفع الأعمال
د. محمود سالم الخطيب ١٢٨٩
● مذكرة لكل صائم
د. محمود عبدالمتجلى خليفة ١٢٩٢
● رخصة الفطر للمسافرين
د. عبدالفتاح إبراهيم سلامة ١٢٩٩
● أثر الصوم فى بناء الفرد والمجتمع
للشيخ / محمد حافظ سليمان ١٣٠٩
● الإشاعة بضاعة المنافقين
للشيخ / معوض عوض إبراهيم ١٣١٤
● حقيقة التأمين وأركانه
أ. د. عبدالله مبروك النجار ١٣١٧
● من أعلام الأزهر
أ. د. محمد رجب البيومى ١٣٢٣
● استفتاءات القراء
تقديم الشيخ السيد العراق ١٣٢٨
● طرائف ومواقف
للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ... ١٣٣٠
● من روائع الماضى
للأستاذ عبدالفتاح الزيات ١٣٣٢
● الشعر والشعراء ١٣٤٠
● ماذا يقول لدى الخلود رثائى
للشاعر إبراهيم عيسى ١٣٤٦
● مرحبا ياشهر الرضا
للشاعر / محمد فخر الدين القعقاع ١٣٤٨
● قراءة إسلامية فى كتاب الكون
أ. د. أحمد فؤاد باشا ١٣٤٩
● سن اليأس
أ. د. أحمد رجائى عبدالحميد ١٣٥٤
● الجديد فى العلم والتقنية
إعداد : د. نجوى السيد أحمد ١٣٥٦
● التعريف بكتاب الصيام
تقديم : الشيخ طوسون إبراهيم ١٣٦٠
● الشواهد النحوية
للأستاذ عبدالحفيظ فرغلى ١٣٦٢
● طبقات المحققين أ. د. السيد الجميلى ١٣٦٧
● وقفة مع كتاب الصراع الأدبى
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ١٣٧٦
● شرح ومعانى جزء «عم»
للأستاذ أحمد أبو الفضل عوض الله ... ١٣٨٢
● بين المجلة والقارىء
إعداد الأستاذ عادل رفاعى خفاجة ... ١٣٩٠
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذين : عمر البسطويسى ومصطفى عبد المجيد ١٣٩٧
● أنباء العالم الإسلامى
أ. مجدى عبدالحميد بشير ١٤٠٤
● القسم الفرنسى ١٤١٥
● القسم الانجليزى ١٤٣٣

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

أسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فاهى خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير .. إدارة الأزهر
بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين .

لعلم الإنسان حدود

مَنْ يُرِدِ الله به خيراً يُفَقِّهْهُ فى الدين ؛ فيعتصم بكتاب الله - عز وجل - راضياً بما أدركه منه عن علم ؛ فإن لم يدرك لم يذهب يَتَأَوَّل فى كتاب الله وفق هواه ؛ بل يفوض العلم فيه إلى الله - وحده .

تلك مقدمة يسيرة تبين ما يجب على المسلم أن يَتَّقِيَهُ حتى لا يزيغ : وحتى يهيىء لنفسه الفرصة لطلب العلم ، وسؤال المختصين ليحيط علماً بما لم يفهمه ، ولكى يحفظ نفسه ودينه عليه ألا يستمسك بِفَهْم خطَأ حتى يتبين له الحق .. هذا ما علمناه من إرشاد ربنا وسنة نبينا ﷺ .

نقول هذا ، لنشير إلى فتن تموج بين الناس كما ماجت بين المسلمين فى نحو القرن الهجرى الثانى ومابعده حين ترجمت الفلسفة الإغريقية وغيرها إلى العربية ؛ وعكف عليها كثير من المسلمين ، واندرج بعضُهُم فى الجدل المرير ، وسمح لنفسه أن يسلط ذلك كله على دينه ــ والعياذ بالله ــ عز وجل .

فى ذلك الوقت جاء رجل إلى الإمام أحمد بن حنبل ــ رضى الله عنه ــ وسأله هذا السؤال العجيب :

كم بيننا وبين عرش الله ــ سبحانه وتعالى ...؟

فأجابه الإمام ــ رحمه الله : دَعْوَةُ مُسْلِم يُجيبُ الله دعوته .

وإنه لجواب مؤمن يعلم حدوده إزاء العلم ، ويسير على هداها ، فما كان من علم يسر الله ــ تعالى ــ وسائله ، وأمكننا منها ، فتوالت ــ بين أيدينا ــ نتائجه ، فذلك علم وجب ألا نكتمه ، ومن كتمه ألجمه الله ــ تعالى ــ يوم القيامة بلجام من نار . إلا أن يكون علماً يمس أمن الدولة الإسلامية ، وفيه كيان سلامتها .

وما كان من علم لسنا على هُدًى بَيِّن به فينبغى ألا نخوض فيه بالقول يدفعنا الغرور إليه حتى لا نكون ــ يوماً بعده ــ آفة تبعث على الضحك والسخرية مما قلناه مغرورين ، وعلينا أن ننتظر حتى يفتح الله علينا أبوابه .

وماكان من علم قد استأثر الله ــ تعالى ــ به ؛ فذلك مالا سبيل لنا إليه ، وأنَّى للإمام أحمد أن يحدد المسافة بيننا وبين عرش الله ــ جل جلاله ــ كما يريد هذا السائل ، فكان هذا الجواب من الإمام ، وهو يعنى : ليس بينك وبين الله ــ تعالى ــ مسافات ؛ إنما بينك وبين الله ــ تعالى ــ دعوته فقط ، تتجه إليه مخلصاً ؛ فتكون معه مستجيباً لك ، مهيئاً الخير بين يديك ، قال ــ سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ .

سورة ق : ١٦

نعم إن الله ــ سبحانه ــ يعلم ماخلق ، يعلم ذَرَّاتَ جسدك التى لم يصل لتعدادها والعلم بمجموعها أحد إلا الله ــ وحده ــ وعِلْمُ الله ــ تعالى ــ أقرب إليك من الوريد فى بدنك ، فمن السَّفَهِ تَجَاوُزُ ما تعلم إلى مالا تعلم .

وعندما صعد الانسان إلى الكواكب فى هذا القرن ، ويَسَّرَ المولى ــ عز وجل ــ له أسباب العلم التى رفعته إلى أجواء السماء كان الدين نفسه مشجعاً على ذلك ، حتى يلمس الإنسان نفسه عجزه أمام هذا الكون ، وحتى يعلم أن كل طبقة علوية عنا لها ميزاتها العلمية ومحتواها المخالف ــ تماماً ــ لأَدْنَاهُ وأعلاه ، فيعلم أن للكون خالقاً صانعاً معجزاً يَهَبُ العلم وقت يشاء لمن يريد ، ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [سورة طه : ١١٤] .

ليس بين المؤمن وبين الله مسافات ، ولا حدود ، ولا زمان ، إنما بينه وبين الله ــ تعالى ــ إخلاصه ؛ فإن توفر له هذا الإخلاص فهو بين يدى الله فى كل وقت ، ولهذا الاخلاص عناصره ، وفى مقدمتها الرزق الحلال ، وطاعة الله ورسوله ﷺ والتواضع ، فإن كان المؤمن على ذلك فهو قريب من الله ــ عز وجل ــ فإذا رفع يديه إلى الله ــ تعالى ــ كان الله أكرم من أن يردهما خائبتين خاويتين وهو ــ سبحانه ــ القائل :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

نسأل المولى ــ سبحانه ــ أن يهبنا من العلم به ، والسلوك فى طاعته مايرضى به عنا ، وينفعنا به فى ديننا ودنيانا وآخرتنا . إنه سميع مجيب .

د. على أحمد الخطيب

عيد الفطر

جائزة الله للمسلمين الصائمين

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

هذا عيد الفطر جائزة من الله للصائمين ، يوم شكر لله على نعمة التوفيق لصوم شهر رمضان ، وشكر النعمة ينبغى أن يكون عرفانا بفضل الله المنعم ، استدامة لمرضاته ، واستدرارا لإحسانه وإنعامه : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

سورة إبراهيم ـ آية : ٧

وإن من وسائل الشكر لله الإحسان إلى الناس ومودتهم ، وأن تلقاهم بوجه باش ، تعطى المحروم ، وتواسى المكلوم ، وتدخل السرور على أهلك وولدك وجيرانك وتوسع عليهم .

العيد فى الإسلام صلة للإرحام ، وبر بالأيتام ، وعطف على الفقراء والمساكين .

العيد فى الإسلام صفاء ونقاء ، فأصلحوا ما بينكم وبين الله بدوام طاعته ، والنزول على حكمه يصلح الله أعمالكم ويصلح ما بينكم ، ويرزقكم من فضله ، فإن وعد الله لا يتخلف أبداً قال ـ سبحانه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ .

سورة الطلاق ـ ٢ ، ٣

وقال عز وجل :

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ ..

سُورَةُ الطَّلَاقِ

لا يكن انتهاء شهر رمضان والاحتفاء بيوم العيد انعزالا وإهمالا لفرائض الله وقعودا عن طاعته ، بل ومجاهرة بعصيانه ، فإن يوم الفطر من أيام الله حيث باركه باتخاذه عيدا للمسلمين يتعاونون فيه على البر والتقوى ، ويتباعدون عن الاثم والعدوان . إنه موعد للتهانى والإشراق ، والتزاور جمعا للكلمة ، وحفظا للدين ، ورقيا بالإنسانية عن أن تتصارع .. استمراء للعدوان ، ازديادا فى الطغيان .

هذا يوم عيد الفطر المبارك : فتسامحوا ، وتصافحوا ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالعفو وبالصبر ، إنكم إن فعلتم غفر الله لكم ويسر أموركم .

عن البراء – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا) .. رواه أبو داود .

إن استقبال هذا اليوم المبارك يكون بالبر نفاذا لسنة رسول الله ﷺ الذى دعا إلى صدقة الفطر ، ووفاء بحق الله وشكرا لنعمائه ، وإحسانا إلى المحتاجين :
(اغنوهم عن المسألة فى هذا اليوم) .. فأقبلو على سنة رسول الله ﷺ ، وأقيلوا أنفسكم من عثراتها ، واستجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، حتى ترتفع أعلام الإسلام والمسلمين ، وتأخذ الأمة مكانتها وتقوى شوكتها وتتوثق وحدتها .

إن استقبال هذا العيد يكون باستدامة الطاعة ولزوم الجماعة ، بعدا عن الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق ، فكونوا عباد الله إخوانا : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾

سُورَةُ الأَعْلَىٰ

ولنتدبر قول الله فى سورة الليل :

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾
ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن
نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ سُورَةُ اللَّيْلِ

بيان أن عقد زواج المرأة المسلمة بغير المسلم

كتابيا أو غير كتابي باطل

فتوى للإمام الأكبر

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

وبعد

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة من الدكتور / (أحمد محمد على) الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى جاء فيها :

تلقت الرابطة معلومات بشأن مقابلة صحفية أجرتها مجلة (تليراما) الفرنسية ، العدد ٢٣٧٠ الصادر بتاريخ ١٤ / ٦ / ١٩٩٥ مع عميد مسجد باريس السيد / دليل أبو بكر ، ذكر أن القرآن لم يحرم زواج المسلمة من اليهودى والنصرانى ، وإنما فقهاء الإسلام من أجل التوسع فى المنع طلبوا أن يقاس اليهودى والنصرانى على من نزلت فيهم الآية التى تحرم الزواج من الكفار .

كما ورد فى المقابلة الصحفية أن السيد / دليل ذكر أن اليهود والنصارى ليسوا كفارا ، لأنهم سائرون فى طريق الله ويجب أن ينهوا مسيرتهم حتما إلى وحدانية الله القطعية .

وقد علمت أن هذه المقابلة سببت مشاكل خطيرة فى كثير من الأسر المسلمة المقيمة فى

فرنسا نتيجة للاختلاط بغير المسلمين .

ولا يخفى ما لهذه التصريحات من أثر خطير على المسلمين ، وقد تدفع بالمسلمات للوقوع فى حبائل النصارى واليهود مما يؤدى إلى تقويض المجتمع المسلم المتماسك .

لذا أرجو من سماحتكم اتخاذ ما ترونه مناسبا حيال نصح المذكور والوسيلة التى ترونها كفيلة بدرء الفتنة .

وفقكم الله ونفع بكم الإسلام والمسلمين
والله يحفظكم

الأمين العام
د . أحمد محمد على

والجواب

تمهيد :

أولاً : من هم أهل الكتاب :

ذهب جمهور أهل الفقه إلى أن (أهل الكتاب) هم :

اليهود والنصارى بفرقهم المختلفة(1) .

وفى فقه مذهب الحنفية : أن أهل الكتاب هم :

كل من يؤمن بنبى ويقر بكتاب ، وقالوا :

إن هذا يشمل اليهود والنصارى ومن آمن بزبور داود ، وصحف إبراهيم وشيت ، باعتبار أن كلا من هؤلاء يعتقدون دينا سماويا منزلا بكتاب .

وقد استدل جمهور الفقهاء على ما قالوا بقول الله ـ تعالى ـ فى سورة الأنعام :

﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾(2)

وأضافوا قولهم : ولأن تلك الصحف كانت مواعظ وأمثالاً ، لا أحكام فيها ، فلم يثبت لها حكم الكتب المشتملة على أحكام .

وطائفة السامرة من اليهود ـ وإن كانوا يخالفونهم فى أكثر الأحكام .

وقد اختلف الفقهاء فى (الصابئة) :

فذهب أبو حنيفة إلى أنهم من أهل الكتاب ، من اليهود أو النصارى .

وفى قول لأحمد ـ وهو أحد وجهين للشافعى : أنهم جنس من النصارى .

والمذهب عند الشافعى ـ وهو ما صححه ابن قدامة الحنبلى ـ أنهم أى [الصابئة] وافقوا اليهود والنصارى فى أصول دينهم ، من تصديق الرسل والإيمان بالكتب ، فكانوا منهم ، وإن خالفوهم فى أصول دينهم لم يكونوا منهم ، وكان حكمهم حكم عبدة الأوثان(3) .

أما المجوس : فقد اتفق الفقهاء على أنهم ليسوا من أهل الكتاب ، وإن كانوا يعاملون معاملتهم فى قبول الجزية فقط ، ولم يخالف فى هذا إلا أبو ثور ، إذ اعتبرهم من أهل الكتاب فى أحكامهم .

---

(1) فتح القدير لابن الهمام ج ٣ ص ٣٧٣ وابن عابدين ج ٣ ص ٢٦٨ وتفسير القرطبى ج ٢٠ ص ١٤٠ والمهذب للشيرازى الشافعى ج ٢ ص ٢٥٠ والمغنى مع الشرح الكبير ج ٧ ص ٥٠١ .

(2) من الآية ١٥٦

(3) المغنى لابن قدامة ج ٨ ص ٤٩٧ والقليوبى ج ٤ ص ٢٢٩

وقد استدل الجمهور بحديث « ... سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب ... »[٤] فإنه يدل على أن المجوس ليسوا من أهل الكتاب ، ولو كانوا منهم لما توقف عمر فى أخذ الجزية منهم حتى روى له هذا الحديث .

هذا :

وقد قال الزيلعى فى كتابه « نصب الراية لأحاديث الهداية »[٥] : إن هذا الحديث بهذا اللفظ طرقه جميعها ضعيفة ، ولكن لقصة الحديث شاهد فى البخارى فى الجزية – حيث جاء فى الفتح[٦] – « أتانا كتاب عمر بن الخطاب – قبل موته بسنة : فرقوا بين كل ذى رحم محرم من المجوس ، ولم يكن عمر أخذ الجزية منهم حتى شهد عبد الرحمن ابن عوف أن رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر[٧] .

ثانياً : من هم الكفار :

الكفار أقسام ثلاثة :

أ – قسم أهل الكتاب – وهم من سبق ذكرهم .

ب – وقسم لهم شبهة كتاب وهم المجوس .

ج – وقسم لا كتاب لهم ولا شبهة كتاب ، وهم من عدا هذين القسمين من عبدة الأوثان وغيرهم .

وعلى هذا :

يكون أهل الكتاب من الكفار ، إذ الكفار – بهذا – أعم من أهل الكتاب فيشمل أهل الكتاب وغيرهم[٨] .

ثالثاً : من هم أهل الذمة :

الذمة فى اللغة : الأمان والعهد ، فأهل الذمة هم : المعاهدون أى : بينهم وبين المسلمين عهد واتفاق ، والذمى هو المعاهد[٩] .

والمراد بأهل الذمة فى اصطلاح الفقهاء : الذميون .

والذمية نسبة إلى الذمة ، أى : العهد من الإمام أو ممن ينوب عنه ، وذلك بالأمن على نفسه وماله نظير التزامه الجزية ونفوذ أحكام الإسلام[١٠] .

وتحصل الذمة لأهل الكتاب ومن فى حكمهم بالعقد أو القرائن أو التبعية فَيُقَرُّون على ما يعتقدون فى مقابل الجزية .

عقد الذمة : مقتضاه ترك غير المسلم فى دار الإسلام على عقيدته وعبادته بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الإسلام فيما عدا ما يتعلق بالعبادة والعقيدة ، وما اصطلح على أنه من مسائل الأحوال الشخصية .

والغرض من هذا أن لا يكلف غير المسلم القتال فإذا قاتل مع المسلمين دفاعا عن البلاد سقطت عنه الجزية ، وينعقد هذا العقد بالإيجاب والقبول باللفظ أو ما يقوم مقامه .

من يتولى هذا العقد ؟

يتولاه – كما تقدم – الإمام أو نائبه – بهذا جرى فقه الأئمة : مالك والشافعى وأحمد ؛ لأنه يتعلق

---

(٤) انظر كتاب نصب الراية لأحاديث الهداية ج ٣ص ٤٤٨

(٥) ج ٣ ص ٤٤٨

(٦) ج ٦ ص ٢٥٧

(٧) المغنى لابن قدامة ج ٨ ص ٤٩٨ وابن عابدين ج ٤ ص ٣٣٦ وأحكام أهل الذمة لابن القيم جـ١ ص٢

(٨) المغنى ج ٨ ص ٤٩٦

(٩) المصباح المنير ولسان العرب والقاموس مادة ذمم

(١٠) جواهر الإكليل ج ١ ص ١٠٥ وكشاف القناع ج ٣ ص ١١٦ وأحكام أهل الذمة ج ٢ ص ٤٧٥

بنظر الإمام أو ما يراه من المصلحة ، وأجاز الفقه الحنفى لكل مسلم إجراء عقد الذمة .

من يصح له عقد الذمة ؟ :

اتفق الفقهاء على جواز عقد الذمة لأهل الكتاب والمجوس ، كما اتفقوا على عدم جوازه للمرتد عن الإسلام .

واختلفوا فيما عدا هذا :

فاختص الشافعية والحنابلة جواز عقد الذمة بأهل الكتاب والمجوس فحسب .

وفى الفقه الحنفى : ورواية عند المالكية ، ورواية عن أحمد : يجوز عقد الذمة لغير المسلمين جميعا إلا عبدة الأوثان من العرب .

شروط عقد الذمة :(١١)

هناك حقوق ملزمة تلزمهم بغير شرط وبمقتضى العقد . أهمها : التزام أحكام الإسلام – فى غير العبادات – من حقوق الآدميين كالمعاملات ، وألا يُحِلُّوا محرما فى الإسلام ، وألا يصيبوا امرأة مسلمة بزنى ، أو باسم الزواج .

وأهل الذمة – على ما سلف – هم :

المعاهدون من اليهود ومن النصارى ومن غيرهم ممن يقيمون فى دار الإسلام ، ويُقَرّوْن على كفرهم بشرط بذل الجزية ، والتزام أحكام الإسلام المتعلقة بالتعامل ، ونظم الإدارة وغيرهما مما ليس من العبادات ، أو الزواج والطلاق وأحكامهما(١٢) .

وبهذا فلا تلازم بين أهل الذمة وأهل الكتاب ، فقد يكون ذمى غيرَ كتابى ، وقد يوجد كتابى غير ذمى ، وهؤلاء هم من كانوا فى غير دار الإسلام من اليهود ، ومن النصارى .

وقد اتفق الفقهاء على أن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) إذا قوبلوا بالمجوس فالمجوسية شر(١٣) .

وأما اليهود إذا قوبلوا بالنصارى فللفقهاء والمفسرين **اتجاهات ثلاثة** فى هذا الشأن :

الاتجاه الأول :

أنه لا تفاوت بين اليهود والنصارى مثل جواز المناكحة فيما بينهم وشهادة بعضهم على بعض .

وبالنسبة للمسلمين جواز أكل ذبائحهم وحل نسائهم للمسلمين ، باعتبار أن اليهود والنصارى فى مواجهة المسلمين أهل ملة واحدة وإن اختلفت نحلهم ، حيث يجمعهم اعتقاد الشرك بالله والإنكار لنبوة سيدنا محمد رسول الله ﷺ(١٤) .

وقد أخبرنا القرآن بشركهم فقال الله – سبحانه – فى سورة التوبة :(١٥)

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾

---

(١١) البدائع ج ٧ ص ١١١ ومغنى المحتاج ج ٤ ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ والمغنى لابن قدامة ج ٨ ص ٥٠٥ وكشاف القناع ج ٣ ص ١١٧ ، ١٢١ والأحكام السلطانية للماوردى ص ١٤٥ والاحكام السلطانية لأبى يعلى ص ١٤٢ و ١٤٣

(١٢) القاموس وكشاف القناع ج ٣ ص ١١٦

(١٣) المبسوط للسرخس ج ٥ ص ٤٨ وفتح القدير لابن الهمام ج ٣ ص ٢٨٧

(١٤) المبسوط للسرخسى ج ٤ ص ٢١٠ ، وج ٥ ص ٣٢ ، ٣٨ ، ٣٤ والمغنى ج ٨ ص ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، وروضة الطالبين ج ٧ ص ١٣٥ ، ١٣٦ والحطاب ج ٣ ص ٤٤٧ والمدونة الكبرى ج ٤ ص ٣٠٦

(١٥) من الآية ٣٠

الاتجاه الثانى :

أن النصرانية شر من اليهودية ، لأن نزاع النصارى فى الإلهيات والنبوات ، ونزاع اليهود فى النبوات على ما هو وارد فى القرآن عن عقائد الفرقتين .

الاتجاه الثالث :

قضى القرآن فى ترتيبهم بالنسبة للمسلمين بأن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، وأقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى حسبما جاء فى سورة المائدة فى قول الله ـ سبحانه :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ﴾ .

وقد قال بعض الفقهاء وبعض المفسرين : إن سبب هذا مع ما جاء فى هذه الآية أن اليهود جحدوا نبوة رسولين : عيسى ـ عليه السلام ـ ومحمد ﷺ وأما النصارى فقد جحدوا نبيا واحدا هو رسول الله محمد ﷺ :

حقوق أهل الذمة :

القاعدة العامة فى حقوق أهل الذمة لدى الفقهاء : أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا ..

وقد جرت هذه القاعدة على لسان فقهاء الحنفية وفى كتبهم ، وتدل عليها عبارات فقهاء : المالكية والشافعية والحنابلة(١٧) ، ويؤيدها بعض الآثار عن السلف :

فقد روى عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قوله :

« إنما قبلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا » .

لكن هذه القاعدة ليست على إطلاقها ، وقد أورد الفقهاء فى بحوثهم حقوق أهل الذمة محددة ، فى : حماية الدولة لهم ، وحق الإقامة ، وحماية أموالهم وأعراضهم ، ودفع الظلم عنهم ، وحق التنقل ، وعدم التعرض لهم فى عباداتهم وعقيدتهم ، فيما عدا استيطانهم مكة والمدينة .

واختلف الفقهاء فيما سواهما ولهم تفصيلات فى ذلك .

وبعد هذا التمهيد :

وإذا كان قد نسب إلى د / دليل أبو بكر عميد مسجد باريس :

القول بأن القرآن لم يحرم زواج المسلمة من اليهودى والنصرانى ، وإنما فقهاء الإسلام توسعوا فى المنع ، فقاسوا اليهودى والنصرانى على من نزلت فيهم الآية التى تحرم الزواج من الكفار .. وأن اليهود والنصارى ليسوا كفارا ، لأنهم سائرون فى طريق الله ، ويجب أن ينهوا مسيرتهم حتما إلى وحدانية الله القطعية .

وإذا كان هذا ، وجب ـ فضلا عما سبق ـ أن نعرض لتعريف : التكفير ..

التعريف :

من معانى التكفير فى لغة العرب : التغطية

(١٦) من الآية رقم ٨٢

(١٧) بدائع الصنائع للكاسانى ج ٦ ص ١١١ والقوانين الفقهية لابن جزى ص ١٠٥ والمهذب للشيرازى ج ٢ ص ٢٥٦ والاحكام السلطانية للماوردى ص ٢٤٧ والمغنى لابن قدامة ج ٥٤٥ ، ٥٣٥

والستر ، وهذا المعنى هو أصل الباب

تقول العرب للزارع : كافرا : لستره البذر بالتراب - ومن هذا القبيل قول الله سبحانه فى سورة الحديد :

﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾(١٨)

ومن معانى هذا اللفظ : أن يقال للمحارب إذا تكفر فى سلاحه ، ويقال لمن يريد أن يعظم غيره ، فينحنى ويطأطىء رأسه قريبا من الركوع ، ومنه ماجاء فى حديث أبى معشر(١٩) « أنه كان يكره التكفير فى الصلاة » أى الانحناء الكثير حال القيام .

والكفر - فى اصطلاح الشرع : نقيض الإيمان ، وهو الجحود ، ومنه قول الله - تعالى - فى سورة القصص :

﴿ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴾(٢٠)

أى جاحدون وبهذا يتوافق المعنيان اللغوى والشرعى ، لأن الكافر ذو كِفر أى ذو تغطية لقلبه بكفره .

وفى «الدر المختار» للحصكفى الحنفى :(٢١) الكفر شرعا : تكذيبه ﷺ فى شىء مما جاء من الدين بالضرورة .

والتكفير - بنسبة أحد من المسلمين إلى الكفر .

والمستفاد من نصوص القرآن والسنة أن الكفر جحود الحق ، والإعراض عن النظر فى الدليل عليه عند الدعوة إليه .

والفرق بين الكفر والضلال : أن الضالّ من أخطأ طريق الحق مع طلبه أو جهله ، فلم يعرفه بنفسه أو بدلالة غيره .

أما الكافر فهو يرى الحق ويعرض عنه ويصرف نفسه عن دلائله وآياته ، فلا ينظر فيها .

والكفر - بهذا - أعم من الشرك فهو أحد أفراده(٢٢) .

وإذا كانت القضية المعروضة هى : هل يحل زواج اليهودى والنصرانى بالمرأة المسلمة؟ قولا بأن تحريم هذا توسع من الفقهاء بطريق قياس حكم اليهود والنصارى فى زواج المسلمة بمن جاءت الآية بتحريم هذا عليهم وهم الكفار ، حالة أن اليهود والنصارى ليسوا كفاراً على ما ورد بورقة هذا السؤال حسبما تقدم نصا .

وإذا كان هذا القول واقعا ممن نسب إليه ، كان قولا بحل وبجواز زواج المسلمة من اليهودى أو من النصرانى - وهو على دينه - وكان متجاوزا لنصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة فى هذا الشأن .

فقد أجمع المسلمون منذ كان الإسلام على أن زواج غير المسلم بالمسلمة سواء أكان إسلامها أصليا أم طارئا زواج باطل ، وإذا وقع لا يترتب عليه حكم من أحكام الزواج ، فلا يحل الدخول والمعاشرة بهذا العقد الباطل ، ولا يثبت به نسب ولا تجب به عِدّة .

---

(١٨) من الآية رقم ٢٠ ولسان العرب مادة - كفر

(١٩) كتاب النهاية فى غريب الحديث لابن الاثيرط الحلبى ج ٤ ص ١٨٨

(٢٠) من الآية رقم ٤٨

(٢١) ابن عابدين ج ٣ ص ٢٨٤

(٢٢) لسان العرب والمصباح المنير والمعرب مادة (شرك) .

وكان سند هذا الإجماع قول الله ــ سبحانه ــ وتعالى :

﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾(٢٣)

حيث جاء هذا الخطاب موجها من الله ــ سبحانه ــ إلى أولياء أمور النساء المسلمات ألا يزوجوهن من المشركين ومن على شاكلتهم ،ممن لم يدخلوا فى دين الإسلام ، وهذا النهى دال على التحريم ، فلا ينعقد زواج غير المسلم مطلقاً بالمرأة المسلمة ؛ بل يقع باطلًا ؛ لانتقاء المحلية للزواج بين المسلمة وغير المسلم ، ويقع الدخول بالمرأة المسلمة ومعاشرتها من رجل غير مسلم زنا ، ولا يترتب على عقد الزواج بينهما أية آثار ؛ لبطلانه .

وقول الله ــ سبحانه ــ فى سورة الممتحنة ــ فى شأن النسوة المؤمنات اللاتى هاجرن مسلمات .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾(٢٤)

حيث أفصحت هذه الآية عن أن المرأة المسلمة يفرق بينها وبين زوجها الكافر ؛ لأنها لا تحل له ولا يحل لها .

فإذا كان هذا حكم بانتهاء عقد الزواج القائم قبل إسلام الزوجة ، فأولى ألا ينشأ عقد زواج بين مسلمة وكافر أو مشرك حيث جاء قول الله ــ تعالى ــ صريحا فى الآية المتلوة آنفا :

﴿ ... لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ .

وبهذا فليس هناك قياس لليهود والنصارى على من نزلت فيهم تلك الآيات ، كما نسب ــ فى ورقة السؤال ــ إلى تلك الفتوى ؛ إذ لفظ القرآن مُقْتضٍ لحكم التحــريم خاصة هذه الآية من سورة الممتحنة ، وفيها :

﴿ ... لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾

أما القول بأن اليهود والنصارى ليسوا كفارا والآيات المستدل بها نصت على الكفار فذلك قول مجاف للغة العرب التى نزل بها القرآن ، والتى تقتضى : أن أهل الكتاب ــ اليهود والنصارى ــ من الكفار ، وقد سبق النقل عن كتب اللغة قولها :(٢٥) والكفر أعم من الشرك فهو أحد أفراده ، وقد نقل فى لسان العرب قول الجوهرى : الشرك الكفر ، وقول الراجز : « ومشركى كافر بالفرق » أى بالفرقان أى القرآن .

وعلى هذا وغيره فمعنى الكفر لغة وشرعا ينطبق على أهل الكتاب .

---

(٢٣) تفسير القرطبى ج ٣ ص ٧٢ فى تفسير الآية ٢٢١ من سورة البقرة

(٢٤ من الآية رقم ١٠

(٢٥) لسان العرب والمصباح المنير والمغرب ــ مادة (شرك)

ويؤكد هذا ما أجاب به سعيد بن جبير - عبد الملك حين سأله عن الكفر : قال :

الكفر على وجوه :

فكفر : هو شرك يتخذ مع الله إلها آخر ، وكفر بكتاب الله ورسوله ، وكفر بادعاء ولد لله وكفر مدعى الإسلام ، وهو أن يعمل أعمالا بغير ما أنزل الله ، ويسعى فى الأرض فساداً ، ويقتل نفسا محرمة بغير حق .

وإذا كانت اللغة تقتضى أن المشرك من أفراد الكافرين ، وأن القرآن قد أخبرنا بأن اليهود قالوا : إن عزيرا ابن الله ، وأن النصارى قالوا : إن الله ثالث ثلاثة ، وإنهم بهذا من الكافرين .

وإذ قال الله - سبحانه - فى سورة البقرة :

﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾(٢٦)

فإنه قضاء من الله - سبحانه - بأنه لا تحل المسلمة للمشرك .

وإذا كان القرآن قد جاء مصرحا فى قول الله - تعالى - فى سورة الممتحنة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾(٢٧)

كان الأمر المقطوع به أن المرأة المسلمة لا تحل زوجا للمشرك ، كما أنها لا تبقى زوجا للكافر إذا أسلمت هى ، وبقى هو على دينه - يهوديا أو نصرانيا أو مشركا وثنيا .

فالمرأة المسلمة ليست محلا للزواج بغير المسلم أيا كان : صاحب دين سماوى آخر أو دين أشرك فيه بالله غيره ، وكان حتما مقضيا أنه لا تحل المسلمة زوجا لغير المسلم سواء أكان يهوديا أو نصرانيا أو من غيرهما ، وأن أهل هذين الدينين يصدق عليهما وصف الكفار ووصف المشركين ، وأن هذا الوصف الأخير من مفردات الكافرين ، وأن القول بغير هذا تجاوز فى فهم دلالات القرآن والسنة وتأويل باطل للقرآن ، وقول فى دين الله - الإسلام - بغير علم .

ثم - أخيراً - هذا هو القرآن بصريح العبارة يقول عن أهل الكتاب - إنهم من الكفار - من هذا ما جاء فى سورة البقرة :

﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(٢٨)

وفى سورة المائدة قول الله - تعالى :

---

(٢٦) من الآية رقم ٢٢١

(٢٧) من الآية رقم ١٠

(٢٨) من الآية رقم ١٠٥

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ... ﴾(٢٩)

وفى ذات هذه السورة قول الله تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ .. ﴾(٣٠)

وفى سورة البينة :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ... ﴾(٣١) .

فهل بعد أن ينص الله فى القرآن على أن أهل الكتاب كفروا ، بما قالوا على الله كذبا ، وعلى هذا الوجه الوارد فى هذه الآيات التى دمغتهم بالكفر يصح أن يقال ـ كما جاء فى السؤال ـ « إن اليهود والنصارى ليسوا كفارا » ؟

ألا : إن ما قال الله أقوم قيلا ، ومن أصدق من الله حديثا ، وإن الحق أحق أن يتبع .

وإذا كان ذلك كان القول بحل زواج غير المسلم بالمسلمة قولا باطلا ومخالفا لحكم الله فى القرآن ، ولسنة رسول الله ﷺ القولية والعملية ولإجماع الأمة ، وكان على المسلمات وأولياء أمورهن المسلمين أن ينزلوا عند حكم الله ويلتزموا به .

وهذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال .

والله سبحانه وتعالى أعلم

(٢٩) من الآية رقم ١٧ ومن الآية رقم ٧٢

(٣٠) من الآية رقم ٧٣

(٣١) من الآية رقم ٦

الإمام الأكبر فى حديث صحفى

• التعايش السلمى مع إسرائيل وكيف يتحقق

• زيارة القدس بين التفاوض والتعبد

أجرى الحديث السيدة / سناء السعيد

بدأت سيادتها بالسؤال التالى(٭) :

* هل تعد زيارة القدس من قبل علماء الدين الإسلامى الآن دليلا على أنه قد طرأ تغير على موقف المؤسسة الإسلامية حيال إسرائيل ، وكأنها تعنى ضمنا إقرار الوضع الحالى للقدس كعاصمة موحدة لإسرائيل ؟

**** إذا كان الأمر كما قلت من أن زيارة القدس بحالتها الآن ، وبادعاء إسرائيل أنها عاصمتها الموحدة يعد تأييدا للوضعية التى تريدها إسرائيل فأعتقد أن هذا بعيد عن الصواب ، وعلينا أن نعود إلى الحق ، وهو الواقع الذى نبتغيه دائما من استنطاق التاريخ الذى يشهد بصدقهم . أو يشهد على باطلهم ويعلنه .**

وفى تقديرى أن هذه الزيارة لا تفيد إسرائيل فى إثبات ماتريد ولاتقف سندا يدعمها فى احتلالها للقدس وإنما هى من المظاهر التى تضيفها إسرائيل لحجب الحق عن أصحابه وصرفهم عن المطالبة به ، وما دعوتها للشخصيات ذات الشأن فى العالم إلا من هذا القبيل ، إنها تضفى الشرعية على موقفها وموقعها بغير ماهو شرعى .

*وجه شيمون شينريت وزير الأديان الإسرائيلى دعوة إلى علماء الدين فى مصر لزيارة إسرائيل وأتساءل فيما إذا لبى أحد منهم الزيارة هل يعنى هذا دعما لإسرائيل على أن القدس عاصمتها الموحدة ؟

**** فى يقينى أن زيارة رجل الدين المسيحى أو أحد علماء الأزهر لا تعطى سندا لإسرائيل أو**

(٭) نقلاً عن صحيفة الوفد بتاريخ ٣ من رمضان ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦/١/٢٣م .

إقرارا مشروعا بأن القدس صارت إسرائيلية بهذا الوصف لأن فرداً واحداً إنما ينهض بشخصه لا بأمته ، ومع هذا فإن موقف العلماء من المسلمين ورجال الدين المسيحى فى مصر موقف موحد ، لأنه ينبعث من وطنيتهم المصرية التى تحمى أرضهم وعرضهم . فإذا سلمت إسرائيل بالحقوق التى اغتصبتها من الأمة العربية وعادت إلى ما كانت عليه فى الرابع من يونيو ٦٧ عندئذ ينظر ويتقرر الموقف بعد معرفة الحقوق التى استردت ، وما هو الباقى منها وعلى إسرائيل إذا رغبت سلما وسلاما أن تسلم الحقوق إلى أصحابها وأن تكف عن البغى والعدوان فى لبنان وفلسطين وغيرها . وهو العدوان الذى لا ينقطع عن العرب والمسلمين بل ولابد أن تكف عن الدسائس والمؤامرات وبذر بذور الشقاق والخلاف على الأرض العربية والإسلامية ، وإحيائها موات الخلافات العرقية والوطنية بين أطراف الأمة الإسلامية ككل . إن فعلت ذلك كان السلام مشتركا سلما وسلاما وإن بقيت على ما هى عليه فكما يقال : إن عادت الحية عدنا لها .

* علماء ورجال الدين قدوة وقد يحذو حذوهم العامة ويتطلعون إلى زيارة القدس وهى مازالت على وضعيتها الراهنة التى يؤكدها ساسة إسرائيل من أنها عاصمة موحدة أبدية للدولة اليهودية ؟

* * إذا ذهب العامة إلى القدس الآن سواء بدعوة من إسرائيل أو تلقائيا من أنفسهم فهم آثمون ، لأنهم لم يدركوا ما فعلته إسرائيل بأمتهم العربية وبغيها عليهم واستلابها منهم الأرض والعرض ، وأن الأمر يقتضى الحرص على أن تكون الأمة صفا واحدا حتى تأخذ حقها وتدفع عن أرضها المغتصب وتعيد الأرض إلى أصحابها ومتى عادت القدس إلى موقعها عاصمة عربية كما كانت مباحة لكل الناس أتباع الأديان السماوية الثلاثة لم يكن على من يزورها إثم عندئذ .

* معنى هذا أن هناك فرقا بين مسئول يزور القدس فى إطار عملية السلام وبين من يذهب إلى إسرائيل بدعوة منها لذاتها أو لغرض شخصى ؟

* * هذا الفرق هو أن العمل العلمى المسبب لا يحدث أثرا فى نفوس الشعب الذى منه هذا المسئول ، أما الزيارات السرية أو الشخصية فقد تؤثر على بعض الضعفاء الذين يرغبون فى أن يكونوا مثله .

* من المقرر أن يتم التفاوض حول القدس فى مايو القادم ، ما هى رؤيتكم وكيف يمكن الدفع بحق العرب الشرعى فى القدس الشرقية ؟

* * أعتقد أن الأمة الإسلامية تطلب القدس التى كانت مع الأردن وفى حوزتها قبل ٦٧ وقبل العدوان الإسرائيلى وضمها كل فلسطين .. هذه هى القدس التى يطالب العرب ؛ بل المسلمون ؛ بل المنصفون فى العالم كله بها ، ولا أدل على هذا من أن قرارات الأمم المتحدة قد أدانت هذا العدوان وأبرزت صراحة أن ما اغتصبته إسرائيل ينبغى أن يعود إلى أصحابه . القدس بهذا جزء من الأرض العربية التى كانت فى حوزة الأردن قبل عدوان إسرائيل سنة ٦٧ أما الوافدون عليها

من اليهود والذين أقاموا لهم بيوتا ومساكن فهم كأى إنسان وفد على دولة ما وهو ضيف عليها وليس صاحب حق وعليه أما أن يحسن الإقامة تحت سيادة الدولة العربية أو يرحل .

* منطوق العالمية يحمل ملامح تشكيل هيكلية جديدة تتوج فيها إسرائيل كدولة لها الصدارة فى المنطقة ؟

* * إن الأمة الإسلامية تحاول فى مسيرتها أن تتجمع وأن تكون جميعا تحت راية الإسلام ولو فى مضمونه العام ، وهى كذلك إن شاء الله لكننا نأمل أن نتعرف على أسباب الفرقة التى تمثلها القضايا الصارخة الواقعة الآن ، وتتجاوز هذه المحن وهذه الفتن بحيث لا توقف مسيرة تقدمها نحو ضم الصفوف، فهذه أوروبا فى الطريق إلى أن تكون لها كيان واحد ، وصارت حدود كل دولة مفتوحة لرعاياها يتنقلون كما يشاءون دون توقف أو تعثر .

ونأمل أن تتابع الأمة الإسلامية إصلاح ذات البين ، بحيث يتكامل فى جسدها الذى وصفه رسول الله ﷺ بقوله : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »

* دعا بابا الفاتيكان مؤخراً إلى وجوب التآلف بين الأديان ، خاصة اليهود والمسيحيين لوجود قاسم مشترك بينهما يتمثل فى العهد القديم من التوارة ؟

* * ونحن المسلمين ندعو إلى التعايش بين اليهود والمسيحين والمسلمين بوصفهم من بنى الإنسان وبوصف أن الرسل الذين جاءوا إلى كل منهم هم موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام إنما جاءوا برسالات سماوية إلى بنى البشر وقد أوجب القرآن على المسلمين أن يؤمنوا بذلك جملة كما فى خواتيم سورة البقرة فى قوله سبحانه وتعالى:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾
سورة البقرة

فهذا ميثاق بين أصحاب الأديان يتبادلون به التعايش والتأخى فى هذه الحياة .

* التخطيط الصهيونى الماكر أوصل إسرائيل إلى ما تريد فى خلسة من انقسام عربى وتمزق إقليمى ؟

* * هذا نتيجة حتمية لغفوة العرب فلقد جرتهم إسرائيل إلى مؤتمر مدريد ونجحت فى إيقاع الخلاف بينهم فيما عرض ، وفيما يعرض فى المؤتمرات اللاحقة ، ومقررات مؤتمر مدريد لا تزال تتنفس بصعوبة وما تم فى «أوسلو» تم بليل ، وفاجأ الجميع وكان عثرة كبيرة نسأل الله أن تتجاوزها الدولة الفلسطينية فى مفاوضاتها النهائية المزمعة فى مايو القادم . والأمل أن تتيح إسرائيل الفرصة لإنجاح المفاوضات الجارية مع سوريا ولبنان حتى يبلغ السلم غايته على أساس عودة إسرائيل إلى الحدود التى كانت قائمة فى الرابع من يونيو ٦٧ .

مع سورة يس

يقول الله ـ تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

أ. د / ابراهيم خميس

مناسبة الآيات لما قبلها :

لما استدل سبحانه وتعالى بأحوال الأرض على توحيد الله وقدرته فى قوله :

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا .. ﴾

والأرض هى المكان الكلى . استدل على ذلك أيضاً بتعاقب الليل والنهار وهو الزمان الكلى ، وبين دلالة المكان والزمان مناسبة . لأن المكان لا يستغنى عنه الجوهر ، والزمان لا يستغنى عنه العرض ، إذ كل عرض هو فى زمان ، ومثل ذلك مذكور فى قوله ـ تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ فصلت ـ ٣٧

وقوله ـ تعالى :

﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ الأعراف ـ ٥٤

وقوله ـ تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ سورة الفرقان

وقوله : ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾ الزمر ـ ٥

والمعنى الأصلى للسلخ هو : كشط الجلد عن الشاة ، وهذا المعنى محسوس مشاهد لنا ، والمراد به فى الآية الكريمة : نخرج منه النهار إخراجا لا يبقى معه شىء من ضوء النهار ، أو ننزع منه النهار نزعا كما ينزع القميص عن البدن .

وقد جرت عادة القرآن الكريم أن يشبه الأمور المعنوية بأمور محسوسة لكى تستقر فى الأذهان ، فالمستعار له : إزالة ضوء النهار عن الأماكن التى تقع عليها ظلمة الليل ، بحيث تكون تلك الظلمة ظاهرة منكشفة ، والمستعار منه سلخ الجلد عن

الشاة ، وعلى هذا فالأصل الظلمـــة ، والنهار طارىء عليها ، فإذا غربت الشمس ينسلخ النهار من الليل ويكشف ويزول فتظهر الظلمة ، ومعنى « فإذا هم مظلمون » : داخلون فى الظلام مفاجأة وبغتة لابد لهم بعدئذ ، ولابد من الدخول فيه .

ومعنى الآية : ومن أدلة قدرته تعالى الباهرة ، خلق الليل والنهار وتعاقبهما دائبين . فينزع النهار من الليل فيأتى بالضوء وتذهب الظلمة ، وينزع الليل من النهار فيصبح الخلق فى ظلمة ويذهب الضوء ، وهكذا يتعاقبان يجىء هذا فيذهب هذا ، ويذهب هذا فيجىء هذا ، وذلك نتيجة لدوران الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق . فتشرق الشمس على نصف الكرة الأرضية وتغيب عن النصف الآخر ، وفى كل من الظلمة والنور نفع وخير . ففى الظلام ترك العمل وسكون النفس والراحة من العناء ، وفى النور متعة ولذة وحركة وعمل من أجل كسب الرزق ، ويذكرنا الله بتلك النعمة فيقول :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

سُورَةُ القَصَص

وفى سورة النبأ يقول ــ تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾

سُورَةُ النَّبَإِ

ويرد سؤال هو : أنه إذا كان المراد من الآية الاستدلال بالزمان على قدرة الله ووحدانيته . فلم اختار الليل حيث قال ــ تعالى :

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ ﴾ ؟ .

نقول : لما ذكر فى الآية التى قبلها الاستدلال بالمكان وهو الأرض التى تقع فيها الظلمة ذكر هنا الاستدلال بالزمان الذى فيه الظلمة ، وهـو : الليل .

ووجه آخر وهو : أن الليل فيه سكون الناس وهدوء الأصوات ، وفيه النوم وهو كالموت ، ويكون بعده طلوع الشمس كالنفخ فى الصور فيتحـرك النـاس ، فذكـر الموت ، كما قال فى الأرض : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ . فذكر من الزمانين أشبههما بالموت كما ذكر من المكانين أشبههما بالموت .

ويرد سؤال آخر يقول : إن الليل فى نفسه آية . فما فائدة ذكر ﴿ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ ؟ والجواب على هذا : أن الأشياء تتميز بضدها ، وذكر الضد تتبين به المنافع والمحاسن . ولهذا لم يجعل الله الليل وحده آية فى موضع من المواضع إلا ذكر آية النهار معها ، وبضدها تتميز الأشياء .

إن هذا التعبير القرآنى فى قوله ــ تعالى :

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾

يصور هذه الحقيقة الكونية أدق تصوير حيث يصور النهار متلبسا بالليل ثم ينزع الله النهار من الليل « فإذا هم مظلمون » ، ولعلنا ندرك شيئا من سر هذا التعبير الفريد حين نتصور الأمر على حقيقته . فالأرض الكروية فى دورتها حول نفسها فى مواجهة الشمس تمر كل نقطة منها بالشمس فإذا هذه النقطة نهارا حتى إذا دارت الأرض وانزوت

تلك النقطة عن الشمس انسلخ منها النهار ولفها الظلام ، وهكذا تتوالى هذه الظاهرة على كل نقطة بانتظام ، وكأنما نور النهار ينزع أو يسلخ فيحل محله الظلام .

﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ ﴾

اختلف المفسرون فى قولـــه .. والشمس تجرى ، والقمر قدرناه . هل كل واحدة منهما آية مستقلة أو هما مع ما قبلهما آية واحدة ؟ نقول : يحتمل أن يكون الواو للعطف على الليل . والتقدير : وآية لهم الليل نسلخ ، والشمس تجرى والقمر قدرناه . فهى كلها آية واحدة ، وقوله ﴿ والشمس تجرى ﴾ : « إشارة إلى سبب سلخ النهار ، فإنها تجرى لمستقر لها وهو وقت الغروب فيسلخ النهار ، وفائدة ذكر السبب هو أن الله تعالى قال : ﴿نسلخ منه النهار﴾ وكان غير بعيد من الجهال أن يقول قائل منهم : سلخ النهار ليس من الله إنما يسلخ النهار بغروب الشمس ، فقال تعالى : ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾

بأمر الله . وعلى هذا فسلخ الليل من النهار وجرى الشمس آية واحدة ، ويحتمل أن قوله : « والشمس تجرى لمستقر لها » إشارة إلى نعمة النهار بعد الليل فيعود النهار بمنافعه .

وعلى هذا فيكون سلخ الليل من النهار آية ، وجرى الشمس آية أخرى ، وهذا هو الأرجح ، ويدل على ذلك مجىء الواو فى قوله :

﴿ والشمس تجرى ﴾

لأن العطف يقتضى المغايرة .

وقد اختلف فى المستقر الوارد فى قولـه ـ تعالى :

﴿ لمستقر لها ﴾

على أقوال كثيرة ، منها : أنها تنتهى فى سيرها لمستقر لها فتقف فيه ولا تنتقل عنه ، ومستقرها هو مكان تحت العرش تسجد فيه كل ليلة عند غروبها ، فتستمر ساجدة فيه طول الليل ، فعند طلوع النهار يؤذن لها فى أن تطلع من مطلعها أولا ، فإذا كان آخر الزمان لا يؤذن لها فى الطلوع من المشرق ، بل يقال لها : ارجعى من حيث جئت ، فتطلع من المغرب ، وقد صح عن النبى ﷺ فيما رواه «أبو ذر» قال : سألت النبى ﷺ عن قول الله ـ تعالى :

﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ﴾

قال : « مستقرها تحت العرش » ، وفى رواية قال النبى ﷺ لأبى ذر ـ رضى الله عنه ـ حين غربت الشمس : أتدرى أين تذهب الشمس ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ، فيقال لها : ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها ، فذلك قوله ـ تعالى :

﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ ﴾ .

وحديث سجود الشمس تحت العرش . أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق .. صفة الشمس والقمر بحسبان ج ٤ ص ١٣٣ طبعة دار الحديث ، وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان ـ باب بيان الزمن الذى لا يقبل فيه الإيمان ـ ج ١ ص ١٣٨ ، قال الشيخ محى الدين النووى :

اختلف المفسرون فى المراد بهذا الحديث ، فقال جماعة : هو على ظاهره ، فعلى هذا القول إذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع ، وقيل : تجرى إلى مستقر لها وأصل لا تتعداه ، وعلى هذا فمستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا ، وسجود الشمس ليس على حقيقته إنما هو تمييز وإدراك يخلقه الله تعالى فيها .

وقال بعضهم : إن الشمس فى الليل تسير وتشرق على عالم آخر من أهل الأرض وإن كنا لا نعرفه ، ويؤيد هذا القول ما قاله الفقهاء فى باب المواقيت من أن الأوقات الخمسة تختلف باختلاف الجهات والنواحى فقد يكون المغرب عندنا عصراً عند آخرين ، ويكون الظهر صبحا عند آخرين وهكذا .

وقد يراد بالمستقر : منقطع جريها ، ويكون المستقر على هذا زمان استقرارها وانقطاع حركتها ، وذلك يوم القيامة ، ويؤيد هذا المعنى قراءة « والشمس تجرى لا مستقر لها » .

ويبدو لى ـ والله أعلم ـ أن هذا الاختلاف فى المراد بالمستقر هو اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد ، فكل هذه الأقوال مرادة يحتملها التعبير القرآنى ، وأن منشأ هذا الاختلاف : مراحل المكتشفات العلمية المتتابعة ، وفى القرآن الكريم إشارة إلى كثير مما توصل إليه العلم ، وصدق الله العظيم : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

فصلت ـ ٥٣

يقول الدكتور / محمد أحمد الغمراوى فى كتابه الإسلام فى عصر العلم .. ص ٢٢٩ وما بعدها .

فالفعل «تجرى» ينطبق فى أعين الناس على حركة الشمس من المشرق إلى المغرب . وهو فى حرفيته يعبر عن حركة حقيقية أثبتها العلم للشمس بسرعة مخصوصة قدروها بنحو اثنى عشر ميلا فى الثانية فى اتجاه مخصوص فى فضاء الله .. ، والفعل ليس يدل فقط على حركة انتقالية ذاتية للشمس ولكن يدل أيضاً على عظم تلك الحركة فى الواقع ، فلا يصح للملحد أو مستشرق يكفر بالقرآن أن يقول : إن جملة «والشمس تجرى» هى من عند إنسان يصف ما يرى . أما وقد ثبت للشمس جرى حقيقى فى الفضاء متعين المقدار والاتجاه بعد نحو اثني عشر قرنا من عصر القرآن . فالجملة القرآنية هى من عند خالق الشمس آية للناس على أن القرآن من عند الله .

وسوف تتوالى المكتشفات العلمية التى تظهر ما كان بعيداً عن أفهام الناس وعقولهم تحقيقا لما جاء عن رسول الله ﷺ فى وصف القرآن : « فيه نبأ ما قبلكم ، وحكم ما بينكم ، وخبر ما بعدكم ، لا تنقضى عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد » رواه الترمذى .

﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ٣٨ ﴾

أى ذلك الجرى على هذا التقدير المتضمن للحكم التى تعجز العقول عن إحصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور . العليم المحيط علمه بكل معلوم . فليس جرى الشمس صدفة ولا فلتة عارضة .

﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾

التقدير : يطلق على جعل الأشياء بقدر ونظام محكم ، ويطلق على تحديد المقدار من شىء يطلب

معرفة مقداره ، مثل تقدير الأوقات وتقدير الكميات من الموزونات والمعدودات ، وكلا الإطلاقين مراد فى الآية فإن الله قدر للشمس والقمر نظام سيرهما ، وقدر بذلك حساب الفصول السنوية والأشهر والأيام والليالى ، ومعنى «قدرناه منازل» : قدرنا سيره فى منازل ينتقل بسيره فيها منزلة بعد أخرى ، والعرجون هو : عود العذق ما بين شماريخه التى ـ فيها البلح ـ إلى منبته من النخلة ، وهو فى النخل بمنزلة العنقود فى الكرم ، وإذا قدم عود العذق ـ العرجون ـ وعتق . دق وتقوس واصفر ، والقديم ما تقادم فى العادة .

والعباد يرون القمر فى منازله تلك يولد هلالا ثم ينمو ليلة بعد ليلة حتى يستدير بدرا ، ثم يأخذ فى التناقص حتى يعود هلالا مقوسا كالعرجون القديم . ووجه الشبه هو الدقة والانحناء والاصفرار وهذا تشبيه بديع .

تخبرنا هذه الآية أن الله جعل للقمر منازل يسير فيها طوال الشهر ، وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة فى واحد منها ، ثم ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوما وليلة واحدة إن تسعة وعشرين . فإذا صار القمر فى آخرها دق واصفر وتقوس وعاد إلى أولها .. حتى صار كالعرجون القديم .

ويستدل بمنازل القمر على : مضى الشهور كما أن الشمس يعرف بها الليل والنهار . قال ـ تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾
البقرة ـ ١٨٩

وقال ـ تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ يونس ـ ٥

ومن يلاحظ القمر ليلة بعد ليلة على مدار الشهر كله يجده فى لياليه الأولى هلالا وفى لياليه الأخيرة هلالا ، ولكنه فى الأولى يظهر كأن فيه نضارة وقوة ، وفى الأخيرة يطلع وكأنما يغشاه شحوب وذبول ، وكلمة «القديم» توحى بذلك .

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

بينت الآيات السابقة النظام الشمسى العجيب والقمرى المدهش الغريب . وتبين هذه الآية النتائج المترتبة على تلك الظواهر الكونية .

والإدراك : اللحاق والوصول إلى البغية ، وفى ذكر هذه الآية :

أولا : التذكير بنعمة الليل ونعمة النهار ، فإن لكليهما فوائد للناس عظيمة ومنافع جمة فلو تخلص أحدهما من الآخر فاستقر فى الأفق لتعطلت تلك المنافع وغيرها من حياة الناس والحيوان .

ثانيا : أن يزيد الله الناس عبرة وتعليما بأن للشمس سيرا لا يلاقى سير القمر ، وللقمر سيرا لا يلاقى سير الشمس ، ولا يمر أحدهما بطريق مسير الآخر .

ومعنى «لا ينبغى» : لا يصح ولا يتسهل للشمس أن تدرك القمر فى سرعة سيره لأن القمر أسرع سيرا . حيث فلكه فى شهر بخلاف الشمس فإنها لا تقطع فلكها إلا فى سنة فهى لا تدرك القمر إذاً فى سرعة سيره ، ولأنها كاملة النوز . فلو

كانت بطيئة السير لدامت زمانا كثيرا فى مكان واحد فتحرق ما فيه ، ولو كانت سريعة السير لما لبثت فى مكان واحد بقدر ما يخرج النبات من الأرض ، والأوراق والثمار من الأشجار ، وبقدر ما ينضج الثمار والحبوب ، وكذلك لا ينبغى للشمس أن تدرك القمر فى آثاره ومنافعه مع قوة نورها وإشراقها . فإن لكل واحد من الشمس والقمر آثارا ومنافع تخصه ، وليس للآخر أن يدركه فيها . وأيضاً ليس للشمس أن تدرك القمر فى مكانه بأن تنزل منازله وتجرى حيث جرى .

فإن الله ـ تعالى ـ قدر لكل واحد منهما فلكا على حياله ، وليس لها أن تدركه فى سلطانه ، فسلطان القمر بالليل وسلطان الشمس بالنهار .

﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

المراد بالفلك : الجسم المستدير أو الدائرة . لأن أهل اللغة اتفقوا على أن فلكة المغزل ، سميت فلكة لاستدارتها ، وفلكة الخيمة هى الخشبة المسطحة المستديرة التى توضع على رأس العمود لئلا يمزق العمود الخيمة .

ومعنى «يسبحون» : يُسيرون بانبساط . لأن كل من انبسط فى شىء ، فقد سبح فيه ، وإنما ذكر الضمير فى «يسبحون» جمعا مع أن المذكور شمس وقمر ، لأنه بالإضافة إلى دورة الشمس والقمر المذكورين هناك كواكب أخرى لكل منها دورة خاصة به ، وكل من الشمس والقمر وهذه الكواكب يسبح ويدور فى فلكه فى السماء كما يسبح السمك فى الماء .

ويتبين من كل ما ذكر أن لكل نجم أو كوكب فلكا أو مدارا لايتجاوزه فى جريانه أو دورانه ، والمسافات بين النجوم والكواكب مسافات هائلة . فالمسافة بين أرضنا هذه وبين الشمس كما قرأت ـ والله أعلم ـ أن على سبيل المثال تقدر بنحو ثلاثة وتسعين مليونا من الأميال ، والقمر يبعد عن الأرض بنحو أربعين ومائتى ألف من الأميال ... الخ

يستفاد من الآيات ما يأتى

١ ـ إن من العلامات الدالة أيضاً على توحيد الله وقدرته ووجوب ألوهيته : تعاقب الليل والنهار وما يتبعها من ظلمة وضوء لتحقيق مصالح العباد وضبط السنين والحساب .

٢ ـ وجريان الشمس لمستقر لها هو محورها أو نهاية سيرها يوم القيامة وتقدير القمر ذا منازل هى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة بمنزل منها ، فإذا صار فى آخرها عاد إلى أولها ، فيقطع الفلك فى ثمان وعشرين ليلة ثم يستتر ، ثم يطلع هلالا فيعود فى قطع الفلك على المنازل .

٣ ـ جعل مدار مستقل وسلطان منفرد لكل من الشمس والقمر والأرض فلا يدخل أحدهما على الآخر ، وإنما لكل من الشمس والقمر والنجوم يجرى فى فلك خاص . والله أعلم .

يتبع

نظـرات
في ألفاظ القرآن الكريم
القرين

لفضيلة الشيخ / عبدالفتاح سيد جمعان

١ ـ ورودها فى القرآن الكريم :

ذكرت هذه الكلمة وما اشتق من مادتها فى الكتاب العزيز عدة مرات :مرة فى سورة النساء فى قوله ـ تعالى :

﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾

ومرة فى سورة إبراهيم عليه السلام فى قوله ـ سبحانه :

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾

ومرة فى سورة الفرقان فى قوله ـ تعالى :

﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾

ومرة فى الصافات فى الآية الحادية والخمسين :

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾

ومرة فى سورة ص فى قوله ـ تعالى :

﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾

ومرة فى فصلت :

﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾

وثلاث مرات فى سورة الزخرف هى قوله ـ تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

وقوله : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

وقوله : ﴿ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

ومرتين فى سورة ق من قوله ـ تعالى :

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

وقوله :

﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

ونلاحظ أنها جاءت مفردة فى سبع مواضع وجمعا فى الست الباقية منها خمس مجموعة جمع مذكر سالما « مقرنين ـ ومقرنين ـ ومقترنين » وواحدة جمع تكسير «قرناء» .

مادة الكلمة :

مادة هذه الكلمة تدور حول الضم والجمع والوصل وما يلزم عنها ، كالملازمة والإحكام والإطاقة والتسخير ، وقد استعملت فى القرآن الكريم بكل هذه المعانى كما سنبينه بعد .

وأصل المادة (قَرَن) تقول : قرن الشىء بغيره شده إليه ، وكل منهما قرين بمعنى مقرون والجمع قرناء (وقيضنا لهم قرناء) .

واقترن الشىء وأقْرن له : قدر عليه وأخضعه وسخره فهو مُقْرِن والجمع مقرنين (وما كنا له مقرنين) واقترن الأصدقاء اصطحبوا وانضم بعضهم إلى بعض فهم مقترنون (أوجاء معه الملائكة مقترنين) وقَرَّن الأسْارى قيدهم فى قَرَن واحد فهم مُقرَّنُون (مقرنين فى الاصفاد) أى القيود ، والقرن الحبل (القاموس القويم لالفاظ القرآن الكريم ج ٢ ص ١١٤ ، ١١٥ بتصرف) .

واستعمالات القرآن الكريم لهذه المادة لم تخرج من هذه المعانى السابقة وإن كان لها معان

أخرى يقول الفيروز بادى فى بصائره :القرن الروق من الحيوان ، وموضعه من الإنسان ومن الجبل أعلاه وقَرْن الشمس ناحيتها أو شعاعها ، ومن الناس : سيدهم وزعيمهم كما يطلق القَرْن على الناس المجتمعين فى زمن واحد هو : مائة عام على الأرجح ، والقَرَن بفتح القاف والراء : الحبل (بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ج ٥ ص ٢٦٠ بتصرف) .

معانيها فى القرآن الكريم :

١ ـ معانى كلمة القرين :

جاءت هذه الكلمة فى كتاب الله سبع مرات ، كما سبق ست منها بمعنى : الشيطان وواحدة بمعنى الملك وقيل : ثنتان بمعنى الملك على اعتبار أن آية (ق) الثانية (قال قرينة ربنا ما أطغيته) يراد منها الملك أيضاً وسيأتى توضيح ذلك فى البيان التالى :

يقول ـ تعالى ـ فى سورة النساء :

﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾

فى الآية تصريح بأن المراد بالقرين هو : الشيطان ، وفيها إلى جانب ذلك ذم لهذا القرين الشيطانى لأنه زين لقرينه الآدمى : الرياء والكفر بالله واليوم الآخر ، فصار من المنافقين الذين ينفقون أموالهم للسمعة والرياء فاشبهوا اليهود المذكورين فى الآية السابقة .

﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾ سورة النساء

قال الألوسى فى روح المعانى فى تفسير القرين « المراد إبليس وأعوانه والناس التابعون له من القوى النفسية والهوى وصحبة الأشرار وشياطين الأنس » وعليه فإن الشيطان هنا لا يقتصر على شيطان الجن فحسب بل يدخل معه كذلك شيطان الأنس ، إذ من معانى القرين : الصاحب والخليل والمعين فى الخير أو الشر قال عدى بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدى

وقد ذم الحق ـ سبحانه وتعالى ـ هذا القرين سواء كان من الجن أو الإنس لأنه دعا صاحبه إلى المعصية المؤدية إلى النار ، وهو ـ أى الشيطان ـ مع قرينه أيضاً فى جهنم لأنه قارنه وقبل منه وسوسته فى الدنيا ، والمراد أن حالهما فى المصير السيء سواء ، وفى الآية كما يقول

الشيخ المراغى فى تفسيره ، إيحاء إلى تأثير قرناء المرء فيه ، وأن الواجب اختيار القرين الصالح .

وإذا كان لفظ القرين الوارد فى النساء يصدق على الإنس والجن فإنه فى سورة الصافات لا يراد به إلا قرين الإنس فقد قال ـ تعالى :

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾

الآيات ٥١ ـ ٥٣ الصافات

أى وقال قائل من أهل الجنة وهو يسامر أخوانه فى النعيم عندما ما أقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن أحوالهم فى الدنيا ، قال : كان لى صاحب فى الدنيا يكذب باليوم الآخر ويوبخنى على إيمانى ويسألنى فى دهشة أأنت من المصدقين بأننا مبعوثون فمحاسبون بعد أن نصير ترابا ، ثم خطر له أن يتفقد صاحبه ذاك فى جهنم فتطلع فرآه فى وسط الجحيم فدعا إخوانه من أهل النعيم إلى رؤيته معه ثم قال له لقد أوشكت أن توردنى موارد الهلاك لولا أن الله أنعم على فعصمنى من اتباع إغوائك .

﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾

٥٤ ـ ٥٧ الصافات

ومما يؤكد أن المراد بقرين الصافات ، رجل من الإنس ما أورده **الفخر الرازى فى تفسيره مفاتيح الغيب قال** : قيل المراد به كما جاء فى الكهف شريك له . روى أن رجلين كانا شريكين فربحا ثمانية آلاف دينار فقال أحدهما للآخر أقاسمك فقاسمه واشترى دارا بألف دينار فأرها صاحبه وقال كيف ترى حسنها ، فقال ما أحسنها ، فخرج وقال . اللهم إن صاحبى هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار وإنى أسألك دارا من دور الجنة ، وتصدق بألف دينار ثم إن صاحبه تزوج امرأة حسناء بألف دينار ، فتصدق هذا بألف دينار ، ثم إن صاحبه اشترى بساتين بألفى دينار ، فتصدق هذا بألفى دينار ثم إن الله أعطاه فى الجنة ما طلبه ، ولهذا قال لإخوانه فى الجنة « إنى كان لى قرين » أما لفظ القرين المذكور مرتين فى سورة الزخرف فيراد به شيطان الجن لا غير قال ـ تعالى :

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

والمعنى أن من عمى عن آيات الله وذكره هيأ الله له شيطانا من الجن يوسوس له فقد اقتضت مشيئة الله فى الإنسان أنه حين يغفل قلبه عن ذكر الله يجد الشيطان طريقه إليه فيلزمه ويصبح له قرين سوء ، ووظيفة قرناء السوء من الشياطين أن يبعدوا قرناءهم عن سبيل الله ، بينما هؤلاء يحسبون أنهم مهتدون ولا يفيقون من غفلتهم إلا حين يرجعون إلى ربهم ويرون مصيرهم الأليم ، عندئذ يقول كل منهم لقرينه « يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين » .

والذى يؤكد أن المراد بالقرين فى الزخرف شيطان الجن لا غير قوله ـ تعالى «نقيض» فهى مأخوذة من القيض وهو قشر البيضة المحيط بها الملاصق لها والملازم دوما ، ولذا يقول العرب فى التعبير عن الملازمة العامة «قَيْضٌ على بيض» وذلك لا يتأتى إلا إذا كان القرين ملازما للكافر أو العاصى ملازمة تامة لا يفارقه فى وقت من الأوقات ، وهذا لا يكون إلا إذا كان القرين جنيا لا إنسيا قال فى التفسير الواضح : « فهو له قرين لا يفارقه ودائما يدعوه إلى كل ضلال ويزين له كل شر لأنه تعامى أولا عن النظر فى القرآن الكريم .

وأخيراً نأتى إلى لفظ القرين المذكور مرتين فى سورة (ق) الأولى فى قوله :

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

ويكاد المفسرون يجمعون على أن المراد بهذا القرين الملك الموكل به فى الدنيا قال قتادة « قرينة الملك الموكل وهو كاتب سيئاته، يقول مشيراً إلى صحيفته، أو يشير إلى الإنسان «هذا ما لدى» وقال البعض : الأرجح أنه الشهيد الذى يحمل سجل حياته ، وعتيد : حاضر مهيأ لا يحتاج إلى تهيئة أو إعداد .

وفى تفسير المراغى : « هو الملك الموكل بالمرء فيقول للحق سبحانه هذا الذى وكلتنى به من بنى آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله » .

وذهب صاحب التفسير الواضح إلى أن المراد بالقرين هنا : الشيطان الذى يقيض له فى الدنيا يشير إلى الكافر ويقول : هذا الذى عندى وفى ملكى ـ أى أغويته حتى ملكت أمره ـ عتيد لجهنم قد هيأته لها بإغوائى وإضلالى ، وهذا كما قلنا من قبل على خلاف الأرجح الذى أوشك المفسرون أن يجمعوا عليه ، وقد نقل القرطبى هذا الرأى أيضاً عن مجاهد ، كما نقل عن غيره أنه : من الإنس ، وهو فى غاية الضعف .

أما لفظة القرين الثانية فى (ق) (قال قرينه ربنا ما أطغيته) فيكاد يجمع المفسرون أيضاً على أن المراد منها الشيطان الجنى الموكل بإغوائه يقول متنصلا من إغوائه : إنه وَجَده وَحْدَه ضالا فاستمع إلى إغوائه ، أو يقول ذلك تكذيبا للإنسان وردا على اعتذاره بقوله « ربى هذا الشيطان أغوانى

وأطغانى ، فيقول الشيطان ربنا ما أطغيته ولا أضللته ولكنه كان فى ضلال سحيق ، فأنا زينت له السوء فقط وهو الذى ارتكب الإثم بنفسه بعد اختياره له وقصده أياه والعزم عليه وذلك كالذى يحكيه الله عنه فى سورة إبراهيم : ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ . وفى الحديث « ما من مولود إلا معه قرينه من الجن قالوا حتى أنت يارسول الله قال حتى أنا إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم » رواه مسلم من حديث ابن مسعود، فالقرين هنا شيطان جنى تقترن حياته بحياة الإنسان من ساعة ولادته إلى أن يموت وعلى الإنسان أن يجاهده لينجو من شره ، بل على الأبوين أن يحصنا ولديهما منه ساعة الولادة بالأذان فى أذنه اليمنى والإقامة فى اليسرى ثم يحصنانه بعد ذلك بالتنشئة الحسنة والتربية الصالحة .

والشيطان ليس ملازماً للإنسان فحسب بل إنه يتخلل أعضاءه وشرايينه وأوردته ولذلك قال ـ عليه السلام : « **إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش** » رواه البخارى ومسلم من حديث أنس رضى الله عنه . ولبعض العلماء ملحظ طريف بالنسبة لقرين رسول الله ﷺ يقول فيه « العجب كل العجب أن يكون لرسول الله شيطان ومصاحب ولكن رسول الله أراد أن يبين لنا أن الشيطان ضعيف ويمكن للمؤمن أن يتغلب عليه بالمجاهدة والمصابرة فيقوده المؤمن إلى الخير والإسلام على الرغم أنه من ذرية إبليس اللعين ، وفى الحديث أيضاً إشارة إلى تأثير الإنسان الصالح فى الشيطان لدرجة أنه يجعله يترك الكفر والشيطنة ويؤمن بالله ورسوله[1] .

ومع أن المفسرين يكادون يجمعون على أن القرين هنا من الجن ، حتى أن القرطبى نقل الإجماع عليه فى تفسيره عن : المهدوى إلا أنه عاد وذكر رواية عن ابن عباس ومقاتل أن قرينه هو : الملك ؛ ذلك أن الوليد ابن المغيرة يقول للملك الذى كان يكتب سيئاته « رب إنه أعجلنى » فيقول « ربنا ما أطغيته » أى ما أعجلته وقال سعيد بن جبير يقول الكافر « رب إنه زاد على فى الكتابة » فيقول الملك « ربنا ما أطغيته » أى ما زدت عليه فى الكتابة ، فحينئذ يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ ﴾ . سورة ق

ومن المفسرين من يعلل ذلك تعليلا لطيفا فيعزو قول الملك إلى التبرؤ من فعل الكافر مع أنه برىء ، فيقول بعد ترجيح أن القرين هو الشيطان : وقد يكون القرين هو الملك : ولكن هول الموقف يجعله يبادر إلى التبرؤ فعلى الرغم من صحبته لهذا الشقى لم تكن له يد فى أى شىء من أفعاله وبتبرؤ البرىء أدل على الهول المزلزل والكرب المخيف ، فالملك البرىء يرتجف ويفزع ويبادر إلى

(١) غوامض الجن للشيخ محمد على سلامة ص ٦٧ .

إبعاد ظل التهمة عن نفسه[٢] .

معانى الكلمات التى جاءت بصيغة الجمع :

بعد أن استعرضنا الآيات التى جاءت فيها كلمة القرين حان الوقت لاستعراض الآيات التى جاءت فيها كلمات من هذه المادة مجموعة وهى :

أولا : قوله ـ تعالى ـ فى سورة إبراهيم :

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾

أى مقرونين قرن بعضهم إلى بعض فى القيود ، وضم كل لمشاركه فى كفره وعمله ، فالتقرين هنا هو الجمع والربط فى القَرَن ، والأصفاد : القيود فكما اجتمعوا على فعل الآثام فى الدنيا جُمِعُوا قَسْراً عنهم فى العذاب أذلاء يوم القيامة .

ثانياً : قوله ـ تعالى ـ فى سورة الفرقان :

﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾

ومعنى مقرنين كمعناها السابق فى سورة إبراهيم أى : مقيدين ، غير أنه هنا لا يقيد مع غيره ولا يجمع معه فى قيد لكن تجمع أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال ، وقيل مقرنين بالسلاسل مع الشياطين كل كافر مع شيطانه .

ثالثا : قوله ـ تعالى :

﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾

الكلمة هنا كسابقتها فى الصيغة والمعنى ، غير أن المقرنين ليسوا الكفار فى عذاب الآخرة ولكنهم المردة من جن سيدنا سليمان الذين خالفوا عن أمره ولم يطيعوه كباقى الشياطين الذين يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ، ومنهم البناءون والغواصون ، والمعنى : وسخرنا لسليمان شياطين يعملون له وشياطين آخرين تمردوا عليه وعصوا أمره فهم مقرنون مربوطون فى السلاسل والأغلال عقابا لهم واتقاء لشرهم .

رابعا : كلمة قرناء فى قوله ـــ تعالى :

﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ فصلت ٢٥

وهى جمع قرين بمعنى الملازم والنظير والصديق كما مر والمعنى والله أعلم أن الحق ـ سبحانه ـ وتعالى هيأ وسبب للكفار قرناء من غُواة الجن ـ وقيل والإنس أيضاً ـ وسلطهم عليهم . يستولون عليهم استيلاء « القيض على البيض » فزينوا لهم الإثم والمعصية وأوهموهم أنه لا جنة ولا نار فاستمعوا إليهم واتبعوا مشورتهم فحق عليهم القول أنهم من الخاسرين كما حق على كثير من

(٢) كما يقول بعض المفسرين :

الأمم السابقة .

خامسا : كلمة مُقْرِنِين وهى مختلفة فى المعنى ، والمراد عن كل كلمات المادة التى سبقت ، قال ـ تعالى ـ فى سورة الزخرف .

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

فَمُقْرِنين جمع اسم فاعل من الفعل أَقْرَنَ الشىء بمعنى قدر عليه وأطاقه والمراد بها على ذلك مطيقين ، قال أبو عبيدة فلان مقرن لفلان أى ضابط له وأنا قرين لفلان أى مساو له ، وقال عمر بن معد يكرب .

لقد علم القبائل ما عقيل لنا فى النائبات بمقرنينا

أى ليسوا ، بمساويين ولا مطيعين لنا فى الحروب .. ومعنى الآية : أن الله خلق لكم الأنعام والفلك لتستوا على ظهور ما تركبون منها ثم تذكروا ربكم الذى أنعم بها عليكم وتقولوا تنزيها له : سبحان الذى ذلل لنا هذا الذى ركبناه وما كنا لولا تسخره بمطيقين لذلك ، ولولا ذلك ما انتفعنا بها إذ الإنسان مهما كان قويا لا يمكن أن يطيق الدابة ولو كانت ضعيفة ، روى أن قوما كانوا فى سفر فكانوا يقولون إذا ركبوا : (سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) وكان فيهم رجل له ناقة ضعيفة فقال أما أنا فلها مقرن ، أى : مطيق ، فقمصت به فصرعته فاندق فى عنقه ومات .

سادساً : كلمة « مقرونين » وهذه جاءت فى الزخرف أيضاً فى قوله ـ تعالى :

﴿ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

أى : مجتمعين ومتتابعين لأن الاجتماع لازم الاقتران ، والمعنى : يقول فرعون عن سيدنا موسى:إذا كان رسولا حقا فلتأته الملائكة من قبل ربه الذى يدعى أنه رب السموات والأرض يأتونه متقارنين ليؤيدوه ويدفعوا عنه ، وربما كان لهذا الاقتراح بريق خادع ينطلى على الجماهير الذين استخفهم فرعون فأطاعوه ويرون فيه لغفلتهم بعض الوجاهة أكثر من اعتراضه السابق بأن يلقى على موسى أسورة من ذهب ، وهو رغم انطلائه على الجماهير المغلوبة على أمرها اقتراح واعتراض معاد ومكرر من قبل ومن بعد ، ألم يقترح كفار مكة على الرسول الخاتم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن تتنزل عليه وعليهم الملائكة ؛ فمله الكفر واحدة وأساليب أهله متماثلة مهما اختلف الزمان وتباين المكان .

إيحاءات الكلمة :

وأخيراً فإن إيحاءات هذه الكلمة بالإضافة إلى معناها الأصلى وهو : الجمع والوصل تدور حول الملازمة والمشابهة والتناسب والإعانة والإطاقة والقدرة وقد أفادنا التعبير القرآنى ـ كما سبق أن عرفنا ـ كل ذلك فيما استعمله من مشتقات هذه الكلمة وصِيغها .

الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم

بقلم أ. د محمود سالم الخطيب

عن أبى عبدالرحمن الجهنى ـ رضى الله عنه ـ قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ طلع رَكْبان فلما رآهما قال : كِنديان مذحجيان . حتى أتياه . فإذا رجال من مذحج . قال : فدنا إليه أحدهما ليبايعه ، قال : فلما أخذ بيده . قال : يا رسول الله ، أرأيت من رآك فآمَنَ بك وصدقك واتبعك ماذا له ؟ . قال : طوبى له ، قال فمسح على يده فانصرف ، ثم أقبل الآخر حتى أخذ بيده ليبايعه ، قال : يا رسول الله ، أرأيت من آمن بك وصدقك واتبعك ولم يرك ؟. قال : طوبى له ، ثم طوبى له ، ثم طوبى له . قال : فمسح على يده فانصرف(1) .

والحديث فى (الفتح الربانى)(2) .

راوى الحديث :

قيل : هو عقبة بن عامر ، وقيل : غيره ، وقال الحافظ ابن حجر فى (التقريب) : أبو عبدالرحمن الجهنى صحابى اسمه زيد نزل مصر . وقد ذكره فى الصحابة كل من : البخارى والترمذى والبغوى والطبرانى والدولابى وغيرهم ، وذكره ابن سعد فى طبقة من شهد غزوة الخندق .

وقال ابن كثير فى (الخلاصة) : هو عقبة بن عامر ، ذكره الدولابى فى كتاب (الكنى) والله أعلم بالصواب .

(1) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده جـ ٤ ص ١٥٢ .

(2) جـ ١ ص ١٠٦١ .

مفردات فى الحديث :

١ - بينا أصلها : بين فأشبعت الفتحة فصارت : ألفا . يقال : بينا وبينما ، وهما ظرفا زمان ، بمعنى المفاجأة(٣) .

٢ - رَكْبان تثنية ركب . وهو اسم جمع كنفر .

٣ ، ٤ - كنديان مذحجيان : تثنية كندة ومذحج . كمجلس ، وهما حيان باليمن .

٥ - ليبايعه : البيعة عبارة عن المعاقدة عليه والمعاهدة ، كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه . وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره .

٦ - اتبعك : أى جعلك إماما له فى كل أعماله .

٧ - (الطوبى) : الحُسْنَى ، و(طوبى) فى القرآن الكريم : (طوبى لهم) كل مستطاب فى الجنة من بقاء بلا فناء ، وعز بلا زوال ، وغنى بلا فقر ، وصحة بلا سقم ، وكررت لتأكيد الحصول على الثواب .

الحديث :

يخبر الصحابى الجليل أبو عبدالرحمن الجهنى - رضى الله عنه - أنه كان جالساً مع رسول الله ﷺ إذ ظهر رَكْبان : أحدهما من كِنْدَةَ والآخر من مَذْحِج ، فقال النبى ﷺ : كِنْدِيَّان مَذْحَجِيان ، وكان كما قال - عليه الصلاة والسلام .

فتقدم رجلان من رسول الله ﷺ واحداً بعد الآخر يسألانه عن جزاء من آمن به وجعل رسول الله ﷺ إماماً له . وحدد الأول سؤاله بمن رآه وآمن به وصدقه واتبعه ، وحمل سؤال الثانى نفس المعنى مضافاً إليه مَنْ لم ير رسول الله ﷺ فكان لكلا المُؤْمِنَيْن الحسنى .. حسنى الجنة ذات النعيم الذى لا يحول ولا يزول ، وزاد نعيم من آمن برسول الله ﷺ ولم يره عن الأول أضعافا كثيرة .

وأكد النبى ﷺ استحقاق هذا الجزاء للثانى ثلاث مرات ، لأنه إذا آمن به وصدقه واتبعه ولم يره كان ذلك دليلا على صدق إيمانه وشدة امتثاله بما جاء به الرسول ﷺ .

وهذا الحديث يشبه الحديث الذى رواه أنس ابن مالك - رضى الله عنه - وهو .. أن رسول الله ﷺ قال : « وددت أنى لقيت إخوانى . قال : فقال أصحاب الرسول ﷺ : نحن إخوانك . قال : أنتم أصحابى ، ولكن إخوانى الذين آمنوا بى ولم يرونى »(٤) .

والحديث يبين أن من آمن بالرسول ﷺ وصدقه واتبعه حال حياته ، أو موته يستحق دخول الجنة بفضل الله ورحمته ، ومن المعلوم أن من آمن بالرسول ﷺ فى حياته فإن إيمانه يعنى أنه يبايعه ويعاهده على كل ما جاء به .

أما عن الإيمان ... ما هو .؟ فقد بينه الرسول ﷺ فى قوله : «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله »(٥) .

---

(٣) ص١٧٦ جـ١ النهاية بتصرف .

(٤) أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير وعزاه للإمام أحمد ، ورمز له بالصحة .

(٥) أخرجه مسلم من حديث سؤال جبريل للرسول ﷺ .

وأما عن اتباع رسول الله ﷺ وكونه قدوة لكل مؤمن . فقد بينه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى قوله : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده . وزاد فى رواية أخرى ـ عن أنس قوله : والناس أجمعين »(٦) .

وقوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به »(٧) .

ومعنى حتى يكون هواه إلخ : أن المسلم يعرض كل ما يقوم به من عمل على الكتاب والسنة ولا يخضعه لعاطفته .

ومصداق ذلك كل قوله ـ تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ(٨) بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

النساء : ٦٥

وأما بيعته ﷺ فمعناها : أن يتعهد المؤمن والمسلم بفعل كل ما أمر الله ورسوله به ، واجتناب كل ما نهيا عنه .

وفى حياته ﷺ تمت بيعات كثيرة : بيعات جماعية بعضها للرجال ، وبعضها للنساء .. وبيعات فردية .. وبيعات نصت على الجهاد .. وأخرى لم تنص عليه وعرفت هذه الأخيرة ببيعة النساء .

ما يؤخذ من الحديث

يؤخذ منه ما يأتى :

١ ـ فراسة الرسول ﷺ بمعرفته بأحياء العرب .

٢ ـ جواز سؤال الصحابى عن جزاء من آمن بالنبى ﷺ وصدق به واتبعه وبايعه فى حياته .

٣ ـ وكذلك مصير من فعل ذلك فى غير حياة الرسول ﷺ .

٤ ـ تلطف الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع أصحابه فى مسحه وأخذه بيده عند البيعة .

٥ ـ تبشير النبى ﷺ من اتبعه ـ فى حياته وبعد حياته ـ بالجنة .

٦ ـ جواز تأكيد الثواب ـ نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلنا من المؤمنين المحبين لاتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

---

(٦) البخارى .

(٧) أخرجه النووى فى كتابه الأربعين النووية ، وقال عنه : إنه حديث حسن صحيح رويناه فى كتاب الحجة بإسناد صحيح .

(٨) معنى شجر ، أشكل أو التبس عليهم الأمر حتى اختلفوا فيه .

(٩) الحرج : الضيق والشك .

قبس من أنوار النبوة

المروءة

لفضيلة الشيخ علي حامد عبد الرحيم

عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ – « تجافوا عن عقوبة ذوى المروءة » « رواه الطبرانى فى الكبير » .

وعن زيد بن ثابت – رضى الله عنه – أن النبى – ﷺ – قال :« تجافوا عن عقوبة ذوى المروءة ؛ إلا فى حد من حدود الله – تعالى » الطبرانى فى الأوسط .

المروءة خلق كريم ، وشاهد من شواهد الفضل ، وحلية للنفوس ، وزينة للهمم، بل : إن المروءة جماع الفضائل ، ورأس المكارم ، وعنوان الشرف .

« وصاحب المروءة » يتعفف عن الحرام ، وينصرف عن الآثام ، وينصف فى الحُكم ويكف عن الظلم ، ولا يطمع فيما لا يستحق ، ولا يعين قويا على ضعيف ، ولا يؤثر فقيرا على شريف ، ولا يُسرُّ ما يعقبه الوزر والإثم ، ولا يفعل ما يقبح الذكر والاسم » .

هكذا وصفهُ بعض البلغاء .

وسئل بعض الحكماء عن الفرق بين المروءةوبين العقل فقال : العقل يأمرك بالأنفع والمروءة تأمرك بالأجمل .

وتكاد لا تجد ذا مروءة إلا ونفسه شريفة وهمته عالية ، إذ شرف النفس يدعو إلى إعزازها

وإكرامها بالبعد عما يحط من شأنها ، وشريف النفس لا يقبل الهوان ، ولا يتحمل المذلة من أى إنسان فهو ـ من حيث يشعر أو لا يشعر ـ على سنن من قول القائل :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها
هوانا بها كانت على الناس أهونا
وإياك والسكنى بمنـزل ذلـة
يعد مسيئا فيه من كان محسنا

وعلو الهمة يحمل المتحلى به على الترفع عن الدنايا فلا ظلم منه للناس ولا كذب منه عليهم ، مع الرأفة بهم ، والتغاضى عن إساءتهم ، فقد كان ذلك خلق رسول الله ﷺ فما كان ليقتص لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة لله ـ تعالى

وفى أدب الدنيا والدين : « من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت أخوته » .

ولأصحاب المروءات علامات تدل عليهم ، وأمارات ترشد إليهم ، فهم بتقوى الله عاملون ، وعن المحارم يتعففون ، كما يترفعون عن المآثم ، ولا يقربون الفحشاء ، ولا يخوضون فيما لا يعنيهم ، وهم لأرحامهم واصلون ، ولأموالهم فى إغاثة المحتاج باذلون .

روى أن معاوية بن أبى سفيان سأل عمر ـ رضى الله عنهما ـ عن المروءة فقال : « تقوى الله تعالى وصلة الرحم » .

وسأل المغيرة عنها فقال : هى العفة عما حرم الله تعالى ـ والحرفة فيما أحل الله تعالى .

وسئل الأحنف بن قيس عن المروءة فقال : صدق اللسان ، ومواساة الإخوان ، وذكر الله فى كل مكان ، ومن وصية الحكماء : الكامل المروءة مَنْ حصن دينه ، ووصل رحمه وأكرم إخوانه .

ولعمـــر الحق ، ما المروءة إلا فى التمسك بأهداب الفضائل ، والعمل بأوامر الدين ، فالدين يأمر بالإحسان ويرغب فيه ، ويحث على إغاثة اللهفان وإعانة المحتاج ، كما يأمر بصلة الأرحام ، وحفظ البطن والفرج عن الحرام ،فالمروءة هى الدين ، والدين هو المروءة .

وليست المروءة : أن تعين إنساناً بمالك أو جاهك فحسب ، ولكن أن تكون تقوى الله أساس عملك ، والعمل على مرضاته أول همك ، فلا تعمل عملا فى السر ، تستحى منه فى العلانية ، وإن صيانة النفس عن الابتذال وذل السؤال بالجد والكفاح فى الحياة بما يصلح حالك ، ويقوم بأود من تعول هو لب المروءة .ولن يضير ذوى المروءات أن يعملوا لكسب العيش من أى طريق ـ مادام سبيلا مشروعاً ، بل هذا هو الذى حث عليه الدين ، ورغب فيه سيد المرسلين ـ ﷺ ـ وعليهم أجمعين .

روى أن الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : لما أتينا بسبايا طىء وكان فى الناس جارية حسناء تقدمت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وقالت : يا محمد هلك الوالد وغاب الرافد ، فإن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب ، فإنى بنت سيد قومى ، كان أبى يفك العانى ـ الأسير ـ ويحمى الزمار ، ويقرى الضيف ،

ويشبع الجائع ، ويفرج عن المكروب ، ولم يرد طالب حاجة ، أنا بنت حاتم الطائى ؛ فقال النبى - ﷺ - خلو عنها ، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق .

ومن تمام المروءة إيثار الغير على النفس ، قال الواقدى - رحمه الله - : كان لى صديقان ، أحدهما هاشمى وكنا كنفس واحدة . فنالتنى ضائقة . وحضر العيد ، فقالت إمرأتى : أما نحن فنصبر على البؤس والشدة ، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطَّعوا قلبى رحمة بهم ، لأنهم يرون صبيان الجيران وقد تزينوا فى عيدهم ، وأصلحوا ثيابهم ، وهم على هذه الحال من الثياب الرثة ، فلو احتلت بشيء تصرفه فى كسوتهم ؟ قال الواقدى : فكتبت إلى صديقى الهاشمى أسأله التوسعة علىّ ، فوجَّه إلى كيسا به ألف درهم فأرسل إلىَّ الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبى الهاشمى ، فوجهت إليه الكيس بختمه ، وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلتى مستحييا من امرأتى ، فلما دخلت عليها استحسنت ما كان منى ولم تعنفنى عليه

فبينما أنا كذلك إذ جاء صديقى الهاشمى ومعه الكيس كهيئته وقال لى : أصدقنى عما فعلته فيما وجهت إليك ، فعرفته الخبر . فقال لى : إنك وجهت إلىَّ وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك . وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة . فوجه إلىَّ الكيس نفسه ، فتواسينا وتقاسمنا الألف أثلاثا . ثم نمى الخبر إلى المأمون ؛ فدعانى فشرحت له الخبر ، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار ، لكل واحد ألفان ، وللمرأة ألف .

وأى إيثار أعظم مما عرضه الأنصار على إخوانهم من المهاجرين أن يقاسموهم الأموال والديار ، حتى أشاد القرآن بذكرهم ، وأثنى على إيثارهم .

قال تعالى :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الحشر /٩ .

هذه هى المروءة : صلاح فى الدين وإصلاح فى المعيشة ، وسخاء فى النفس وبرّ وإحسان ، وعطف على جيران وعفو عمن ظلم ، وإعطاء لمن حرم ووصل لمن قطع ، ونيل عظيم الثواب بصلة الأرحام ، وحسن الفعال . مع الناس أجمعين .

الأصول التي بنى عليها الإمام مالك مذهبه

للدكتور / محمود عبدالمتجلي خليفة

لم يدون الإمام مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ الأصول التى بنى عليها مذهبه واستخرج على أساسها أحكام الفروع التى استخرجها ، والتى قيد نفسه فى الاستنباط بقيودها . كما سبق أن قلنا .

ولكن الإمام وإن لم يذكر الأصول الفقهية لاستنباطه ، فقد أشار إلينا بتدوين بعض فتاويه ومسائله والأحاديث المسندة بسند متصل والمنقطعة والمرسلة والبلاغات ، وإن لم يكن قد وضح المنهاج ودافع عنه ، وبين البواعث التى بعثته على الأخذ به والاتجاه إليه دون سواه ، فمثلا يبين لنا الموطأ أنه كان يأخذ بمرسل الحديث ومنقطعه والبلاغات ؛ لأنه لم يكن قد أثير حول الإسناد ، ولكن تقيد المحدثون بعده بذلك لما كثر الكذب على رسول الله ﷺ ، فأراد المحدثون أن يستوثقوا من نسبة الحديث إلى النبى ﷺ وذلك بمعرفة الرجال ، فاشترطوا وصل السند ، ولم يأخذوا بالمرسل والمنقطع .

ومع ذلك فقد كان الإمام مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ ينتقى الأحاديث انتقاء المتعرف لأحوال الرواة ، الفاحص عن صفاتهم ؛ إذ قد اشتهر بنقد الرجال نقد الفاهم الخبير ، ووزن الحديث بكتاب الله ـ تعالى ـ ، والمشهود من السنة ، وما يراه مجمعا عليه من أهل المدينة ، وقد أثرت عنه كلمات فى شروط الرجال الذين يستحقون أن يروى عنهم ، والذين كان يرفض روايتهم ، فكانت هذه الطريقة تعد بيانا لشروط الرواة الذين تقبل روايتهم .

فكان من قوله : لا يؤخذ العلم من أربعة ، ويؤخذ من سواهم :

لا يؤخذ من سفيه ، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو إلى بدعته .

ولا من كذاب يكذب فى أحاديث الناس ، وإن كان لا يتهم على حديث رسول الله ﷺ .

ولا يؤخذ من شيخ له فضل وصلاح وعبادة ، إذا كان لا يعرف ما يحمل ، وما يحدث به ولهذا كان الإمام مالك يرفض أحاديث رجال كثير من أهل الصلاح ، مع أنه يعرف لهم فضلهم وتقواهم وصلاحهم .

وكان يقول : أدركت بهذه البلدة أقواما لو استسقى بهم المطر لسقوا ، قد سمعوا العلم والحديث كثيرا ، ما حدثت عن أحد منهم شيئا ؛ لأنهم كانوا الزموا أنفسهم خوف الله ، ولكن الحديث يحتاج إلى رجل معه تقى وورع وصيانة وإتقان وعلم وفهم ، فيعلم ما يخرج من رأسه وما يصل إليه ، فأما رجل بلا إتقان ولا معرفة فلا ينتفع به ، ولا هو حجة ، ولا يؤخذعنه .

وكان يقول : إن العلم دين فانظروا عمن تأخذونه ، لقد أدركت سبعين ممن يقولون ، قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين ، فما أخذت عنهم شيئا ، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أمينا ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن .

كما اشتمل الموطأ على مسائل أخذ الإمام مالك فيها بالقياس : من ذلك قوله : زوجة المفقود إذا عاد إليها زوجها بعد أن تزوجت ، قاسها على من طلقها زوجها طلاقا رجعيا وراجعها ، وعلمت بالطلاق ولم تعلم بالرجعة فتزوجت على هذه الحال المعماة عليها .

جاء فى الموطأ جـ ٣ ص ٥٦ بشرح الزرقانى : قال مالك : بلغنى أن عمر بن الخطاب قال فى المرأة يطلقها زوجها ـ وهو غائب ـ ثم يراجعها فلا تبلغها رجعته ، وقد بلغها طلاقه إياها ، فتزوجت : أنه إن دخل بها زوجها الآخر أو لم يدخل ، فلا سبيل لزوجها الأول الذى كان طلقها ـ عليها ، قال مالك : أحب ما سمعت فى هذا زوجة المفقود .

فقد قاس هذه على زوجة المفقود إذا تزوجت بعد أربع سنين من فقده ، ثم جاء المفقود فلا سبيل عليها .

● ● ●

وهكذا نرى فى الموطأ ما يشير ـ أن يصرح ـ بأصول الاستنباط عند الإمام مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ

هذا ولقد صنع فقهاء المذهب المالكى فى فقه إمامهم ما صنعه فقهاء المذهب الحنفى .

ذلك أن هؤلاء الفقهاء نظروا فى الفروع وتتبعوها ، واستخرجوا منها ما يصح أن يكون أصولا قام عليها المذهب المالكى فى الاستنباط ، ودونوا تلك الأصول التى استنبطوها على أنها أصول مالك .

فيقولون مثلاً : يأخذ مالك بمفهوم المخالفة ، وبفحوى الخطاب وهو مفهوم الموافقة ومظاهر القرآن ، ويقول فى العموم كذا وكذا .

وكل هذا مستخرج من الفروع التى أُثِرَتْ عنه ، وأدلتها التفصيلية التى ذكرت بجوازها أو ذكرها الفقهاء من بعده لها .

هذا وقد ذكرت أصول المذهب المالكى مبثوثة فى كتب علم الأصول التى كتبها مالكيون أو التعليقات التى علق بها مالكيون ، فإنهم كانوا يقولون ـ فى كل قاعدة : رأى مالك فيها كذا وليس ذلك إلا ما أخذوها من جملة الفروع .

فنرى القرافى فى كتابه (التنقيح) فى أصول الفقه ، وهو مقدمة كتاب (الذخيرة) فى الفقه المالكى نرى القرافى يذكر القاعدة ، ويذكر معها رأى مالك موافقا للجمهور أو مخالفا .

وهـــذه نبـــذة عن القرافى :

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن الصنهاجى (البهفشينى) نسبة إلى قرية من قرى بنى سويف بمصر تسمى (بهبشين) فحصل فى النسبة إليها تحريف ، وهو من مواليد مصر ، أحد الأعلام المشهورين ، انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك ـ رحمه الله ـ تفقه بعز الدين بن عبدالسلام ، ويعتبر القرافى من علماء القرن السابع الهجرى ، له التصانيف الكثيرة منها كتاب (الذخيرة) فى الفقه المالكى ، والذخيرة من أجل كتب المالكية .

وأصل القرافى من (صنهاجة) ، وهى قبيلة من بربر المغرب ، ونسبته إلى (القرافة) ، وهى المكان المجاور لمشهد الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ بالقاهرة ..

وسبب نسبته إلى القرافة أنه لما أراد مسجل أسماء طلبة العلم أن يثبت اسم القرافى فى بيت الدرس كان حينئذ غائبا ، فلم يعرف اسمه ، وكان إذا جاء للدرس يقبل من جهة القرافة ؛ فكتبه المسجل باسم القرافى ، فاشتهر بهذه النسبة ، ومع ذلك فهو مصرى المولد والمنشأ والوفاة ، ولد سنة ست وعشرين وستمائة من الهجرة ، وتوفى (بدار السلام) جنوبى القاهرة ، وكانت تسمى فى ذلك الوقت (دير الطين) وكانت وفاته سنة أربع وثمانين وستمائة من الهجرة ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ .

أصـــول مذهـب مالك :

بعد هذه المقدمة نشرع فى ذكر أصول مذهب مالك على ما أورده القاضى عياض بن موسى فى (ترتيب المدارك لبيان أعيان مذهب مالك) وما ذكره رَاشِد بن أبى راشد الوليدى أبو الفضل صاحب كتابه (الحلال والحرام) وحاشية على المدونة .

توفى راشد بمدينة (فاس) سنة خمس وسبعين وستمائة هجرية ، وقد نقلت عنه هذه الأصول فى شرح البهجة .

كما جرى التعديل فى ذكر هذه الأصول على كتب تاريخ التشريع الإسلامى للشيخ محمد على السايس وزملائه وماكتبه الشيخ محمد الخضرى (بك) رحم الله ـ تعالى ـ الجميع .

فتلك الأصول هى فى جملتها عشرون أصلا :

فمن القرآن الكريم خمسة أصول وهى : نص الكتاب وظاهِرُهُ وهو العموم ، ودليلهُ وهو مفهوم المخالفة ، ومفهومه وهو مفهوم الموافقة ، وتنبيهه وهو التنبيه على العلة ، مثل قول الله ـ تعالى ـ فى بيان علة تحريم لحم الخنزير ، وتحريم ما ذبح على غير اسم الله ـ تعالى ـ :

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

سورة الأنعام ـ آية : ١٤٥

ومن السنة أيضا مثل هذه الخمسة ، ومثال التنبيه على العلة فى السنة ما رواه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ﷺ نهى عن المزابنة ، وهى اشتراء الثمر ـ بالمثلثة ـ بالتمر ـ بالمثناة ـ وجاء فى بعض روايات هذا الحديث أن النبى ﷺ سألهم : أينقص الرطب إذا جف ؟ . قالوا : نعم . فقال : فلا إذن ، أى فلا تبيعوا الرطب بالثمر الجلف لعلة النقصان .

أما الأصل الحادى عشر الذى بنى عليه الإمام مالك فقهه : فهو الإجماع .

والأصل الثانى عشر : القياس .

والثالث عشر : عمل أهل المدينة .

والرابع عشر : قول الصحابى .

والخامس عشر : الاستحسان .

والسادس عشر : الحكم بسد الذرائع .

والسابع عشر : مراعاة الخلاف إذ كان الإمام مالك يراعيه أحياناً .

والثامن عشر : الاستصحاب .

والتاسع عشر : المصالح المرسلة .

والمتمم للعشرين : شرع من قبلنا .

وليس عمل الإمام مالك بهذه الأصول على هذا الترتيب فى الذكر لا غير .

قال القاضى عياض فى (ترتيب المدارك) ، بعد أن بين ترتيب الاجتهاد حسبما يقضى به العقل ، ويشهد له الشرع ، يكون على هذه الكيفية : تقديم القرآن الكريم على ترتيب أدلته فى الوضوح ، وذلك بتقديم نصوصه ثم ظواهره ، ثم مفهوماته .

ثم كذلك السنة على ترتيب متواترها ، ومشهورها ، وآحادها ، ثم ترتيب نصوصها ، وظواهرها ، ومفهوماتها .

ثم الإجماع عند عدم الكتاب والسنة .

ثم عند عدم هذه الأصول كلها القياس والاستنباط منها :

قال القاضى عياض ـ بعد أن بين تلك الأصول وبرهن عليها : وأنت إذا نظرت ـ لأول وهلة ـ منازع هؤلاء الأئمة ، ومآخذهم فى الفقه ، واجتهادهم فى الشرع ، وجدت مالكا ـ رحمه الله ـ ناهجا فى هذه الأصول مناهجها ، مرتبا لها مراتبها ومدارجها ، مقدما كتاب الله ـ تعالى ـ على الآثار ثم مقدما لها على القياس والاعتبار ، تاركا منها ما لم يتحمله الثقات العارفون لما تحملوه ، أو ما لا يجهلونه ، أو ما وجد الجمهور الجم الغفير من أهل المدينة قد عملوا بغيره وخالفوه .

دراســـة فى كـل أصـــل :

والآن نتكلم بكلمة موجزة عن كل أصل من هذه الأصول :

أولا : نص الكتاب ، وهو ما لا يحتمل التأويل ، فهو عبارات قوية الدلالة فى الأحكام بحيث لا يتطرق إليها الاحتمال ، وذلك مثل قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ **البقرة ـ ١٦٣**

ومثل لفظ (خمسة) فإنه نص فى معناهُ ، لا يحتمل الستة ولا الأربعة ، وكذلك سائر الأعداد ومثاله فى القرآن الكريم :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ .

سورة التوبة ـ آية : ٣٦

فالسنة لا تزيد عن اثنى عشر شهرا ، والأشهر الحرم لا تزيد عن أربعة ولا تنقص عنها .

هذا ودلالة النص أقوى الدلالات ، لوجود ارتفاع الدلالة إلى غايتها ، وبهذا يكون النص مقابلا للظاهر .

ثانيا : الظاهر : وهو ما يحتمل التأويل ، فهو كما قال الغزالى والقرافى وغيرهما : الظاهر هو ما يتردد بين احتمالين أو أكثر ، ولكن دلالته على أحد الاحتمالين أرجح ، فيتبادر إلى الذهن بمجرد سماعه وقد مثل القرافى للظاهر بألفاظ العموم فى دلالتها على المقصود حيث قال : اللفظ حتى ترجح احتمال من الاحتمالات ـ قلّت أو كثرت ـ سمى ذلك اللفظ ظاهرا بالنسبة إلى ذلك المعنى كالعموم بالنسبة إلى الاستغراق ، فإن اللفظ ظاهر فيه دون الخصوص : تنقيح الفصول صـ ١٨ .

وبهذا يتبين أن دلالة اللفظ العام المجرد من القرائن على عمومه من قبيل دلالة الظاهر ، فهى إذن دلالة ظنية

ثالثا من الأصول : مفهوم المخالفة ، وهو ما يسميه المالكية دليل الخطاب :

وهو إثبات نقيض حكم المنطوق به للمسكوت عنه ، وذلك كقول رسول الله ﷺ فيما رواه الدارقطني في (سننه) وغيره : في سائمة الغنم إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة شاة واحدة . فهذا الحديث يدل بمنطوقه على وجوب الزكاة في الغنم التي يرعاها صاحبها ولا يعلفها ويدل بمفهومه على أن الزكاة لا تجب في غير السائمة وهي المعلوفة .

الرابع من أصول الاستنباط عند الإمام مالك : مفهوم الموافقة ، وهو ما يسمى فحوى الخطاب ، ودلالة النص ، أو دلالة الأَوْلَى .

وهو إثبات حكم المنطوق به للمسكوت عنه بطريق الأولى ، وذلك مثل قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ . سورة الإسراء

فإن ذلك يشمل الضرب ، وهو أكثر استحقاقا للنهي من التأفف ، وكذلك الأذى فيه أكثر ، والأذى سبب النهي .

الخامس : التنبيه على العلة وهو ما مثلنا له ـ قبل ذلك بقليل عند عرض الأصول مجملة من القرآن والسنة ، ومثل هذه الخمسة خمسة أخرى من السنة النبوية المطهرة .

الحادي عشر : الإجماع ، فقد أخذ به الإمام مالك ومثاله : إجماع الصحابة على توريث الجدتين : أم الأم ، وأم الأب السدس ، تشتركان فيه .

وكان الإمام أكثر الأئمة في الأخذ بالإجماع ، ففي الموطأ يذكر حكم قضية على أنه الأمر المجتمع عليه .

الثاني عشر : القياسُ ، وقد أخذ به مالك وسبق التمثيل له بقياسه زوجة المفقود إذا عاد إليها زوجها بعد أن تزوجت ، قياساً على الزوجة التي طلقها زوجها طلاقا رجعيا وراجعها ، وعلمت بالطلاق ولم تعلم بالرجعة ، فتزوجت على هذه الحال المعماة عليها ، فهي للزوج الثاني الذي تزوجها .

الثالث عشر : عمل أهل المدينة ، فهو حجة عند الإمام مالك ، مقدمة على القياس وعلى خبر الواحد ؛ لأن عملهم في نظره أقوى من القياس وخبر الواحد ؛ لأن عملهم بمنزلة روايتهم عن رسول الله ﷺ ، ورواية جماعة عن جماعة أولى بالتقديم من رواية واحد عن واحد .

والإمام مالك يستدل على سلامة مذهب أهل المدينة وبُعدهم عن البدع بالحديث الذي ورد في الموطأ ـ والذي رواه البخاري وغيره ـ من قول النبي ﷺ : إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها . أي يرجع ..

وكان الإمام كثيرا ما يقول ـ بعد ذكر الأخبار والأحاديث : الأمر المجتمع عليه عندنا ويرى أن عمل أهل المدينة لا يصح أن يخالف ، وأن الناس لأهل المدينة تبع ، ولأن القرآن نزل فى المدينة ، وأهلها هم أول من وجه إليه التكليف ، وهم الذين خوطبوا بالأمر والنهى وأجابوا داعين الله فيما أمر ، وأقاموا عمود الدين ، ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون سبيلهم ويتبعون تلك السنن ، فالمدينة ورثت علم السنة وفقه الإسلام فى عهد تابعى التابعين وهو العهد الذى رآها فيه مالك ـ رضى الله عنه ـ .

الأصل الرابع عشر : قول الصحابى ، كان الإمام مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ يأخذ بقول الصحابى إذا صح سنده . وكان من أعلام الصحابة ، ولم يخالف الحديث المرفوع الصالح للحجية .

وقول الصحابى عند الإمام مالك حجة مقدمة على القياس .

ومن أمثلة أخذ الإمام مالك بقول الصحابى ما جاء فى الموطأ جـ ٣ ص ١١٧ بشرح الزرقانى عليه .

جاء فى بيع السلم الذى يشترط فيه مكان لتسليم البدل يكون بلدا آخر غير البلد الذى جرى فيه العقد ، وها هو نص الموطأ من رواية يحيى بن يحيى ، عن مالك أنه بلغه أن عمر بن الخطاب قال فى رجل أسلف رجلا طعاما ـ أى وقع بيع سلم ـ على أن يعطيه إياه فى بلد آخر . فكره عُمرُ ذلك فقال : وأين الحمل ؟ ـ يعنى حملانه ـ أى أين أجرة حمله .

ويعرف من هذا أن مالكا منع ذلك النوع من الشروط ، اعتمادا على فتوى عمر ـ رضى الله عنه ـ هذه .

النوع الخامس عشر من أصول مذهب مالك : الاستحسان :

والاستحسان فى مذهب مالك هو الأخذ بمصلحة جزئية فى مقابلة دليل كلى ، ومقتضاه الرجوع إلى تقديم الاستدلال المرسل على القياس .

وللاستحسان فى الشرع أمثلة كثيرة منها :

القـــرض : فإنه ربا فى الأصل لأنه النقود بالنقود إلى أجل ولكنه أبيح لما فيه من الرفق والتوسعة على المحتاجين ، بحيث لو بقى على أصل المنع لكان فى ذلك ضيق على المكلّفين .

ومنه تخصيص بيع رطب النخلات التى تبرع بثمرها إنسان لفقير ثم يشترى رطبها بتمر جاف وجاء الدليل بمنع الرطب بالتمر لكنه أبيح فى هبة ثمار نخلات لما فيه من الرفق ورفع الحرج بالنسبة للمهدِى والمهدَى له ، ولو امتنع مطلقا لكان وسيلة لمنع الهبات المسماة بالعرايا ومنه ـ أيضا ـ الاطلاع على العورات فى التداوى ، وإن كان الدليل العام يقتضى المنع من ذلك ولكن أبيح الاطلاع لضرورة التداوى واستحسن ذلك لرفع الضرر .

النوع السادس عشر الحكم بسد الذرائع :

وقاعدة سد الذرائع حكمها الإمام مالك فى أكثر أبواب الفقه .

والذريعة معناها : الوسيلة الموصلة إلى الشىء ، ومعنى سد الذرائع رفعها .

أما حقيقتها ـ شرعا : فهى التوسل بما هو مصلحة إلى مفسدة .

وينبنى على هذه القاعدة أن وسيلة المحرم محرمة ووسيلة الواجب واجبة .

فالفاحشة محرمة ، والنظر إلى عورة المرأة الأجنبية حرام ، لأن ذلك يؤدى إلى الفاحشة .

والجمعة فرض فالسعى لها فرض .

وترك البيع بعد النداء للجمعة فرض أيضا ؛ لأجل السعى لصلاة الجمعة .

والحج فرض ، والسعى إلى البيت الحرام وسائر المناسك فرض أيضا لأجل التمكن من أداء الحج . وأوضح مثال على ذلك بيع البضاعة بثمن مؤجل ثم اشتراؤها من نفس الشخص بثمن أقل نقدا . فإن عاقد البيع أولا على بضاعة بعشرة إلى أجل ظاهرة الجواز من جهةما يتسبب عن البيع من المصالح فى الجملة . فإذا جعل مآل البيع فى ذلك مؤديا إلى بيع خمسة نقدا بعشرة إلى أجل بأن يشترى البائع بضاعته من مُشتريها بخمسة نقدا ، فقد صار مآل هذا العمل إلى أن باع صاحب البضاعة من مشتريها منه خمسة نقدا بعشرة إلى أجل ، والبضاعة لغو لا معنى لها فى هذا العمل ؛ لأن المصالح التى شرع لأجلها البيع لم يوجد منها شىء .

فالأصل فى اعتبار سد الذرائع هو النظر فيما يؤول إليه الفعل ، وما ينتهى فى جملته إليه ، فإن كان يتجه نحو غاية حسنة من معاملات الناس بعضهم مع بعض كان مطلوبا بمقدار يناسب طَلَبَهُ وإن كانت مآلات الأعمال تتجه نحو المفاسد ، فإنها تكون محرمة .

النوع السابع عشر : مراعاة الخلاف :

وذلك أن الممنوعات فى الشرع إذا وقعت ، فلا يكون إيقاعها من المكلف سببا فى الحيف بأن يزاد على ما شرع له من الزواجر أو غيرها .

مثال ذلك الغصب إذا وقع ، فإن المغصوب منه لا بد أن يُوفَى حقه ، لكن على وجه لا يؤدى إلى الإضرار بالغاصب فوق ما يليق به فى العدل والإنصاف ، فإذا طولب الغاصب بأداء ما غصب أو قيمته أو مثله وكان ذلك من غير زيادة صح ، فلو قصد فيه حمل على الغاصب لم يلزم ، لأن العدل هو المطلوب .

ومثال مراعاة الخلاف أيضا : استحقاق المرأة المهر والميراث عند مالك فيما إذا تزوجت بغير ولى ؛ فمالك ، مع كونه يقول بفساد النكاح بدون ولى ، إلا أنه فى ذلك يراعى الخلاف ، عندما ينظر فيما ترتب عليه بعد الوقوع ، يقول : إن المكلف واقع دليلا على الجملة ، وإن كان مرجوحا إلا أن التفريع على البطلان الراجح فى نظره يؤدى إلى ضرر ومفسدة أقوى من مقتضى النهى .

وكل هذه الأحكام بعد دخول الزوج بها ، فيثبت النكاح مراعاة لمن يقول بصحة النكاح بدون ولى ولرعاية حق الأولاد وحق المهر وثبوت الإرث .

ومثال مراعاة الخلاف أن التسمية قبل قراءة الفاتحة مكروهة عند الإمام مالك فى الفريضة إلا إذا قصد المصلى الخروج من الخلاف ؛ فإنه يسمى ولا تكون التسمية مكروهة .

هذا وبعض الأصوليين الذين ذكروا أصول الاستنباط عند الإمام مالك ذكروا بدل مراعاة الخلاف .

العــرف والعــادة :

فالعرف هو الأمر الذى تتفق عليه جماعة من الناس فى مجريات أمورها وحياتها .

والعادة : هى العمل المتكرر من الآحاد والجماعات ، فإذا اعتادت الجماعة أمرا صار عرفا لها والفقه المالكى يأخذ بالعرف ، ويعتبره أصلا من الأصول الفقهية ، فيما لا يكون فيه نص قطعى ؛ لأن المصالح دعاة الفقه المالكى فى الاستدلال ؛ لأن التكاليف مشروعة لمصالح العباد .

وأمثلة العرف : عقد الشركة إن كان مطلقا انصرف إلى المناصفة .

والعقد على الأرض يدخل فيه البناء والشجر ، والعقد على البناء تدخل فيه الأرض ، والعقد على الدار يدخل فيه أبوابها وسلمها ورفوفها .

وكذلك الشرب من فم السقاء يرجع فيه إلى العرف ، لأنه لا يدرى مقدار الماء الذى يشربه .

ودخول الحمام بغير مشارطة على الأجرة ، فإنه لا يعرف مقدار الماء الذى يستعمله المستحم .

فيرجع فى ذلك وفى مقدار الأجرة إلى العرف .

الثامن عشر من أصول مالك : الاستصحاب :

ومن أوضح تعريفاته أنه الحكم بثبوت أمر فى الزمان الثانى بناء على ثبوته فى الزمان الأول ، أى أن ثبوت الحكم فى الماضى والعلم به يجعل الشخص يغلب على ظنه أنه مستمر فى المستقبل .

وأمثلة : من ثبتت له الملكية بسبب من أسبابها شراء أو ميراثا أو غيرهما ، فإن الملكية تستمر إلى أن يوجد ما ينفيها .

وكمن علمت حياته فى زمن معين ، فإنه يغلب على الظن وجوده فى الحاضر والمستقبل حتى يقوم دليل على غيره ، فيحكم باستمرار حياته حتى يوجد ما يثبت الوفاة .

فالمفقود يحكم بحياته حتى يوجد ما يدل على وفاته ، أو تقوم الأمارات التى توجد غلبة الظن بأنه توفى ، ويحكم القاضى بالوفاة .

قال القرافى : والدليل على كون الاستصحاب حجة أن غالب الظن أن الحال القائمة تستمر قائمة حتى يوجد ما ينفيها ، والظن الغالب حجة فى العمل كالشهادات ، فإنها تثبت ظنا راجحا وهى حجة ملزمة للكافة ، ولو أهملت ولم يعمل بها تضيع الحقوق ، إذ لا يكون هناك طريق لإثباتها .

التاسع عشر : المصالح المرسلة : وتسمى الاستصلاح :

ومعنى المصالح المرسلة : أنها المصالح التى لم يشهد لها من الشرع بالبطلان ولا بالاعتبار نص معين ، ومحل النزاع فى العمل بها إذا صادفت دليلا آخر من نص أو قياس .

ومثال ذلك : ضرب المتهم بالسرقة ليعترف بها . قال بجوازه الإمام مالك ، مع مخالفة غيره له ؛ لأن هذه مصلحة تعارضها أخرى ، وهى مصلحة المضروب ؛ لأنه ربما كان بريئا ، وترك الضرب فى مذنب أهون من ضرب برىء ، فإن كان فيه فتح باب يعسر معه انتزاع الأموال ، ففى الضرب باب إلى تعذيب البرىء .

فالمصلحة المرسلة مصلحة ترجع إلى حفظ مقصود شرعى ، يعلم كونه مقصودا بالكتاب أو السنة أو الإجماع ، إلا أنها لا يشهد لها أصل معين بالاعتبار ، وإنما يعلم كونها مقصودة لا بدليل واحد ، بل بمجموع أدلة وقرائن أحوال ، ولا خلاف فى العمل بها إلا عندما تعارضها مصلحة أخرى ، وعندئذ يكون الخلاف فى ترجيح إحدى المصلحتين .

وتمام العشرين : شرع من قبلنا :

فالإمام مالك يرى أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ .

من ذلك قول الله – تعالى – فى حق أتباع سيدنا موسى عليه السلام :

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ .

سورة المائدة – آية : ٤٢

وقوله – تعالى – لسيدنا موسى عليه السلام :

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ . **سورة طه : آية : ١٤**

فهى تقتضى قضاء الصلاة لمن نام عنها أو نسيها ، ومن باب أولى من تركها عامدا ، لبقاء شغل ذمته بها حتى يؤديها ، وتوجه الخطاب إليه بقضائها ، وقد قال النبى ﷺ فيما رواه أصحاب السنن : من نسى صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك ثم تلا ﷺ قول الله تعالى :

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ . **سورة طه**

والله الهادى إلى سواء السبيل .

رحم الله الإمام مالكا رحمة واسعة وأدخله الفردوس الأعلى ونفعنا بعلمه وأفاض علينا من بركاته .

من ذكريات الأعياد ... اللهو المباح

لفضيلة الشيخ / عبدالعزيز أحمد رضوان (٥)

بقدر ما يحرص الإسلام على تحبيب أتباعه فى الطاعة والعبادة ، بقدر ما يروّح عن نفوسهم باللهو المباح فى أوقات السرور والمرح والأعياد والأعراس ، وسائر المناسبات المباحة .

وذلك بصورة لا تخدش حياء ، ولا تجرح مروءة ، ولا تفرط فى واجب ، ولا تلهى عن عمل .

روى مسلم عن أبى ربعى ، حنظلة بن الرَّبيع الأُسَيْدِى قال :

لقينى أبو بكر - رضى الله عنه - فقال : كيف أنت ياحنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة . قال : سبحان الله ما تقول ؟! قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنّا رأىْ عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافنا[1] الأزواج والأولاد والضيعات[2] نسينا كثيرا .

قال أبو بكر - رضى الله عنه - : فوالله إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت : نافق حنظلة يارسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : (وماذاك) ؟ قلت : يارسول الله ، نكون عندك نذكرنا بالنار والجنة كأنّا رأى عين ، فإذا خرجنا من عندك عافنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيرا . فقال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون عندى لصافحتكم الملائكة فى فرشكم وفى طرقكم ، ولكن ياحنظلة ساعةً وساعة » ثلاث مرات .

وهؤلاء نساء الأنصار ينشدن على أسطح البيوت يوم استقبلت المدينة رسول الله ﷺ :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع[3]

(٥) الكاتب : مفتش أول وعظ كفر الشيخ .
(١) لاعبنا الازواج والأولاد .
(٢) الضيعات : المعايش .
(٣) إحياء علوم الدين ج ٦ ص ١١٣٥ ط الشعب .

وهذه أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ تقول : دخل علىّ رسول الله ﷺ وعندى جاريتان تغنيان بغناء (بعاث)[٤] فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه ، فدخل أبو بكر فانتهرنى وقال : مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ ؟ فأقبل رسول الله ﷺ وقال : (دعهما) فلما غفل غمزتهما فخرجتا[٥]

وعنها ـ رضى الله عنها ـ قالت : دخل علىّ أبو بكر ، وعندى جاريتان فى أيام منى ، تدففان وتضربان ، والنبى ﷺ متغش بثوبه ، فانتهرهما أبو بكر ، فكشف النبى ﷺ عن وجهه وقال : «دعهما ياأبا بكر فإنها أيام عيد»[٦]

وعنها ـ أيضاً ـ رضى الله عنها ـ قالت : وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب ، فإما سألت رسول الله ﷺ وإما قال : (تشتهين تنظرين) ؟ فقلت : نعم ، فأقامنى وراءه ، وخدى على خده ويقول : (دونكم يابنى أرفدة) حتى إذا مللت قال : (حسبك) ؟ قلت : نعم[٧] .

وتروى السنة المطهرة عنها ـ كذلك ـ قولها : كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ قالت : وكان يأتينى صواحب لى ، فكن يتقنعن من رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يسر لمجيئهن إلىّ فيلعبن معى[٨] .

وفى رواية لأبى داود ـ بإسناد صحيح ـ أن النبى ﷺ قال لها يوماً : (ما هذا ؟) قالت : بناتى ، قال : (فما هذا الذى أرى فى وسطهن) ؟ قالت : فرس ، قال : (فرس له جناحان) ؟ قالت : أو ما سمعت أنه كان لسليمان ابن داود عليه السلام خيل له أجنحة ؟ قالت : فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه .

ويعلق صاحب الإحياء على هذا بقوله :

فهذه الأحاديث كلها فى الصحيحين ، وهو نص صريح فى أن الغناء واللعب ـ فيما يتعلق بالأمور المباحة ـ ليس بحرام[٩] .

ثم إن القرآن الكريم بيّن أن سيدنا داود عليه السلام ، عندما كان يترنم بذكر الله وتسبيحه ، كانت الجبال والطيور تُأوّبِ معه وترجّع ، قال ـ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾[١٠]

وقال :

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[١١]

وكانت الإبل تنفعل بحداء (أنجشة) لها ، فكانت تطرب وتهتز والنساء فوقهـا على

(٤) يوم من أيام العرب كانت الحرب فيه بين أوس والخزرج .

(٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) الصحيحان .

(٩) إحياء علوم الدين ج ٦ ص ١١٣٧ ط الشعب .

(١٠) سورة سبأ : من الآية ١٠ .

(١١) سورة ص : الآيتان ١٨ ، ١٩ .

هوادجها ، حتى قال رسول الله ﷺ : « ياأنجشة رفقا بالقوارير »[١٢] .

ويراعى أن يكون اللهو المباح بقدر ، وفى المناسبات الداعية لذلك كلأعياد والأعراس والعقائق وما شابهها ، لأن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده .

هذا ، والإسلام فى مناسبة العيدين : الفطر والأضحى يهىء فيهما فرصة السرور واللهو المباح ، ويبطل بهما عادات اللهو واللعب بأيام الجاهلية وحروبها .

فعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قدم رسول الله ﷺ المدنية ، ولهم يومان يلعبون فيهما، ، فقال رسول الله ﷺ : « قد أَبْدَلَكُمْ الله بهما خيرا منهما ، يوم الأضحى ويوم الفطر »[١٣] .

وما أروع السرور فى هذين اليومين ، حيث يخرج المسلمون إلى المصلى لصلاة العيد ، يكبرون ويهللون ويصلون فى حشد مؤمن ، ومظهر مشرف مبهج ، كبارا وصغارا رجالا ونساء .

عن أم عطية ـ رضى الله عنها ـ قالت : أمرنا أن نخرج العواتق[١٤] والحيض فى العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين ، ويعتزل الحيض المصلى[١٥] .

ومظاهر الفرح والتكبير فى العيدين ، وإعلان الفرح والسرور ، ومخالفة الطريق فى الذهاب والإياب للمصلى ، كل ذلك ليس من باب التكبر والاستعلاء الممقوت ، وإنما هو من باب إظهار قوة الإسلام وهيبته التى هى فى باطنها رحمة وعدالة للمسلمين وغيرهم ممن يكونون تحت سلطانهم .

وهو ـ أيضاً ـ للسلام واللقاء والتسامح ، وإظهار شعائر الإسلام فى كل الفجاج ، ورفع الدرجات بكثرة الخطوات .

هذا :

ومن الواجب علينا أن لا ننسى إخواننا الذين يعيشون فى بلاد غير مسلمة ، ويتعرضون للعذاب والاضطهاد والقتل والتشريد ، فنبذل لهم المال بسخاء ، وكذلك الدواء والكساء ، والسلاح ، ونعطيهم القوة والتأييد ، لنثبت بحق أننا إخوة متحابون متضامنون ، وأننا من خير أمة أخرجت للناس .

(١٢) الشيخان .
(١٣) أبو داود والنسائى بإسناد صحيح .
(١٤) البنات الأبكار البالغات والمقاربات للبلوغ .
(١٥) متفق عليه .

الإسلام ونهضة الأمة

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومى

١ ـ أسس بناء الأمة :

الشرط الأساسى لنهضة الأمة ـ أى أمة كانت ـ أن يتوفر لها ثلاثة عناصر :

ـ المبدأ الصحيح الذى يوضح لها الطريق ويوجهها إلى غايتها .

ـ فهم الأمة له .

ـ إيمانها به .

بذلك يصبح بإمكانها أن تحقق لنفسها نهضة حقيقية ، وأن توجد التغيير الشامل فى حياتها « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وأمتنا الإسلامية لا تفقد فى الحقيقة تلك العناصر ، فالمبدأ موجود لديها وهو دينها الإسلامى الذى سيبقى أبد الدهر أقوى ما يكون على تحمل أعباء القيادة وتوجيه الأمة وجهتها المثلى أى مركزها الوسط ، والأمة الإسلامية كلها مجمعة على الإيمان بهذا المبدأ دينا وعقيدة ، فالأمة تؤمن بالمبدأ الإسلامى إيمانا إجماعيا ، ولكنها لا تفهمه فهما إجماعيا ، وهذا هو التناقض الذى يبدو غريبا لأول وهلة ، فكيف تؤمن الأمة بالمبدأ وتدين له بالولاء ، وهى لا تفهمه حق الفهم ولا تعرف من مفاهيمه وأحكامه وحقائقه إلا نذرا يسيرا .

أتى الإسلام للناس بالتوازن بين العقل والإيمان ، وخط معالم اللقاء بين الجهد الإنسانى والكشف الربانى ، وهو أى الإسلام ـ أيضاً ـ نقطة الاتصال التى تجمع بين المادة والروح ، وذلك مايعطيه قوة كامنة متطورة ومبدعة ، مداها الحقيقى يكاد أن يكون لا متناهيا ، وعلى الناس أن يعوها أولا ، وأن يستخدموها بعد ذلك فى استكشاف المصير الخالد للإنسان وبنائه بناء واعيا .

إن تاريخ الإنسانية يقرر أن الأمة الإسلامية قدمت للإنسانية فى عصور الإسلام الأولى العلم والمدنية ، وحققت نجاحا باهرا فى إنقاذ الحضارة البشرية من الانهيار ومكنت الإنسانية من التقدم والازدهار .

وهذه حقيقية تاريخية ، والأخرى أن علماء الأمة الإسلامية لم يدخروا جهداً فى إبداع منهج تجريبى رصين لم يكن للإنسانية عهد به وحرروا الفكر الإنسانى من الخرافات التى علقت به

وعززوا شمولية الكشف فى جميع العلوم والفنون والمعـارف بين الشرق والغــرب ، فى تسامح وموضوعية ، وبهذا شيـدوا حضارة إنسانيـة ، وقدموا مبتكرات علمية فى علوم الطب والكيمياء والصيدلة والعلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية والاجتماعية والاختراعات العلمية ، وأسهموا فى بناء الكيان الإنسانى : فكرا وحضارة ، بعلوم لا تزال منبعا لهذا الفكر .

ولكى تنهض الأمة يجب أن تترابط فى نسيج اجتماعى متـواصل حتـى تبلـغ درجـة الـرشد الحضارى ، لتستطيع حمل رسالة الإسلام بمعناها الواسع . ولابد أن يكون لها كيان حضارى ، ولن تبلغه مالم تبـذل جهودهـا المتواصلـة لتطويـر مؤسساتها التربوية والإدارية ، للقيام بالـدراسة والتخطيط المستمر لإحكام تقدم الأمة والنهوض بها إلى المستوى الحضارى الراقى لتكون أهلا لحمل رسالة الخير التى دعا إليها القرآن الكريم .

قال تعالى :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

سورة آل عمران

وفلاح الأمة يكون باستمرارية حملها لرسالتها وما يتفرع عنها فى مجالات الحياة المختلفة .

والرسالة الإسلامية رسمت للأمة دائرة تتسع للإنسانية كلها فهى رسالـة قيم ومثـل عليـا ، ونموذج كامل لجوانب الخير فى سلـوك الفـرد والجماعة .

وحين تكتمل تزكية هذه المبادىء السامية وتقوم الأمة الإسلامية بحمل رسالتها وأدائها على الوجه الأكمل كما فعل أجدادانا الأوائل فى عصور الإسلام الأولى ، تبدأ دورة أخـرى ... دورة الإصلاح الدينى والسياسى والاجتماعى والثقافى والصناعى بقوة ونشاط يؤهل الأمة إلى أن تتسلم إمامة الإرشاد والإصلاح والقيـادة الرائـدة فى مجالات العلوم والفنون مادامت تقوم متكاتفـة بأعباء الرسالة .

٢ ـ حيوية الأمة الإسلامية :

مما جعل حيوية الأمة الإسلامية قوية فى عصور الإسلام الأولى أنها قامت على أسس سليمة ، أهمها مايلى :

أ ـ عقيـدة التوحيـد الخالصة من شوائب الشرك .

ب ـ الرباط الوثيق بين الدين والعلم .

جـ ـ إعلان حقوق الإنسان ، والمساواة بين الناس جميعا ، والمحافظة على كرامة المرأة .

د ـ استخـدام العقـل والنظـر فى الأنـفس والآفاق .

وبذلك صارت الأمة الإسلامية رائدة الأمم ومؤثرة فى الحضارات الإنسانية .. أمة راشدة متجـددة ، ونسيـج مجتمعهـا الإنسانى وحـدة مبادئه ، تلك المبادىء التى حررته من عبودية الوثنية وربقة الشرك ، وهى ولاشك مبـادىء السماء .. مبادىء القرآن والسنة وما حصلته من تاريخها الحضارى وتراثها الإنسانى فتكامل العقل بوحى السماء وشد هذا المنهج من أزر الأمـة الإسلامية فكان لها مميزات وحدتها . ولقد كان لوثيقة المدينة ـ التى كتبها الرسول ﷺ عهدا بينه وبين أهل المدينة ـ الفضل فى بيان عناصر حيوية

الأمة .. وتلك العناصر هى :

أولا : العنصر البشرى ..

ثانيا : العنصر الفكرى ..

ثالثا : العنصر الاجتماعى ..

رابعا : العنصر الزمنى ..

ومن هذه العناصر تكونت الأمة الإسلامية وصارت نسيج مجتمع إنسانى يتكون من مجموعة من الناس الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله وحملوا رسالة سامية حضارية نافعة للإنسانية والتزموا بتطبيق مبادىء الرسالة الإسلامية ، ولهذا ظلوا يحملون صفة الأمة حقا وصدقا عدة قرون من الزمان . ماداموا يحملون الرسالة ويطبقون مبادىء الإسلام .

والأمة حين تفقد عناصر تكوينها أو أهم العناصر فقد يطلق عليها اسم الأمة مجازا ؛ لأنها لن تكون الأمة النموذج الإسلامى الكامل ، كما هو الحال الآن .

لذلك ؛ فإن من أهم المسئوليات الملقاة على عاتق المؤسسات التربوية الإسلامية أن تقوم بمراجعة المنهج الذى تسير عليه الأمة ، وتعمل على تنظيم العلاقات السليمة بين شعوب الأمة الإسلامية قال الله تعالى :

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

آل عمران ١٠٣

ـ تأكيد على وحدة الأمة معتصمة بحبله وتوجيه هديه .

والتأكيد على دور التربية وقيام المؤسسات الإسلامية بترسيخ الشعور بالمسئولية إزاء متطلبات الانتماء إلى الأمة الإسلامية ، والتنبيه على خطورة ثقافات العصبيات القبائلية والطائفية والبيئية التى أضعفت الأمة الإسلامية وقع ذلك فى بعض فترات التاريخ الاستثنائية التى أثرت فى نسيج الأمة الإسلامية ومؤسساتها التربوية .

والتربية الإسلامية لا تتوقف عند إعداد الأفراد المؤمنين ، وإنما تتخذ من الإعداد وسيلة لهدف تحقيق الرسالة التى تحقق لها الاستقرار الاجتماعى والسياسى والازدهار الاقتصادى والرقى الحضارى .

والأمة الإسلامية مجتمع مفتوح غير مغلق ، وشرط الدخول فيه الإيمان الصادق والمشاركة بجد فى حمل الرسالة ، والأمم تعيش النشاط الدائم فى جميع ميادين الحياة والشعور بالمسئولية تجاه الله ـ تعالى ـ وتجاه الحياة والأحياء .

٣ ـ واقع العالم الإسلامى :

إن العالم الإسلامى اليوم أوسع مساحة جغرافية ، وأعظم أهمية سياسية ، وأغنى فى الطاقات والإمكانيات ، ولكن مع هذا الحول والطول والعدد الهائل من البشر ، والإمكانيات البترولية لم يكن أهون ولا أضعف ولا أخف فى الميزان السياسى الدولى يوما منه فى هذا العصر .

بعد أن كان فى عصور الإسلام الأولى أقوى المجتمعات الإنسانية وأمتنها رباطا وأغناها فى علوم الدين والدنيا .

إن الضعف سرى فى روح الأمة وشخصيتها ومميزاتها الزمانية بعد أن كان لها فى الماضى يحسب لها ألف حساب وتُخشى وتُرجى وتنفع ، وأصبحت الآن ليس لها بأس ولا حساب ..

وصار هدف المعسكرات الأجنبية على اختلافها فى المبادىء تلتقى جميعا على هدف الانتفاع بنزول العالم الإسلامى وامتصاص دم الشعوب الإسلامية .

وهان أمر الأمة الإسلامية ، لأنها أصبحت لا تمتلك قوة لترهب وتمنع المآسى والخلافات والتمزق ؛ لأنها اثاقلت إلى الأرض .

ورسالة الإسلام ليست فى التجزئة الإقليمية ، بل فى شمولية مذهبه التوحيدى وبقدر ما تثبت هذه الوحدة الروحية وتتأكد ، يكون للعالم العربى والإسلامى فى نظره هو ، وفى نظر سائر العالم أهمية حاسمة فى مستقبل الإنسانية ، وبقدر ما تكون الوحدة السياسية - الروحية المثل الأعلى والشغل الشاغل للشعوب الإسلامية يكون وعيها بوجودها وقوتها .

وليس الشأن فى الإسلام ، كما هو فى الأحزاب السياسية ، التى تفرض فيها أقلية منظمة مناضلة مذهبها وسلطتها على الشعب بأسره . ولو لزم أن يكون الإسلام حزبا لضم الأمة كلها ، بغير تمييز فى السن أو فى الجنس ؛ لأن المعيار الوحيد لاعتناقه ، إنما يكون فى الاقتناع بالانتماء إلى هذا الإيمان .

كان الإسلام هو الوحيد من الناحية العلمية ، الذى وضع الشعوب المغلوبة على قدم المساواة مع الغالبين ، لأنه منذ البداية ، قد خاطب الناس باسم المساواة والعدالة والحرة والإيمان ، حتى إن الشعوب التى دخلت فى الإسلام ، قد أخذت على عاتقها أن تنهض برسالته ، وأن تدعو إليه بمثل ماكان لأصحاب النبى ﷺ من إيمان وحماسة وتصميم .

غير أن العالم الإسلامى الذى يتمتع بموقع فريد لا نظير له ، والذى يطوى احتياطات من الطاقة غير محدودة ، والذى يضم خُمس سكان العالم ، ويقوم كيانه فى الحقيقة على إسلام الوجه لله نظاما كاملا ، لم يعد له من شأن إلا أن يكون منطقه سهلة للدول الأجنبية فى توسعها « الإيديولوجى » والاقتصادى .

وما تحقق من تقدم ليس على قدر الإمكانيات الحقيقية ، ومن العسير أن نتخيل ما سوف تكون عليه قوة هذه الأمة ، سواء فى المجال المادى أو المجال « الايديولوجى » ، إذا قدر لها يوما أن تكشف وحدتها أو أن تعى ذاتها .

وبينما نرى العالم الإسلامى ممزقا فى حدوده ومنتهبا فى ثرواته ، ومتنازعا فى وجوده ، بينما هو يحمل إلى العالم رؤية جديدة دائما ، توفق بين متناقضات الفكر الإنسانى الظاهرة ، وهو - إذ يحافظ على ذاته - يستطيع أن يكون عاملا قويا فى التوازن الدولى طبقا للرسالة الإلهية التى ألقيت على كاهله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

البقرة ١٠٣ .

وليس يسعنا أن نخطو على طريق المستقبل ، ما لم تكن لنا معرفة كافية بمواردنا ووسائلنا وأهدافنا . وهذا معناه أن نستشعر ضخامة المسئولية ، وضخامة العمل التقنى والعقلى والسياسى الذى يتطلبه مشروع المستقبل ، ولا يمكن النظر فيه الوعى الجماعى للأمة الإسلامية ، وخارج تصميمها على إقامة عالم مطابق لرسالته ، وذلك يفترض إذن ، التعاون الفعلى بين جميع الأمم الإسلامية بوضح المناهج وجمع الوسائل ، والشروع فى الخطوات التى من شأنها أن تؤدى بها فى جدية وإيجابية ، إلى التقارب السياسى والوحدة الإسلامية .

ليس فى الإمكان أن نتطلع إلى مستقبل مشترك ، فى غمرة الخلافات والمعارضات ، وإذا صح أننا مضطرون إلى التسليم بالتطور من خلال الخصائص القومية ، فمن الصحيح - أيضا - أنه بقدر ما تتلاقى الخطوط العريضة للتأليف بين الجموع بقدر ما يتوافر الاتساق والتوازن والإثراء المتبادل فى الإسهام الأصيل لكل شعب .

٤ - الواجب علينا :

واجبنا الآن أن نعتبر بالحوادث التى تترى علينا وتقع من حولنا ، وأن نغير ما فى نفوسنا حتى لا تغيرنا العوامل الطارئة التى تظهر فى صفوفنا فى الداخل ، أو الواردة إلينا من الخارج ، وتحاول أن تجوس خلال الديار ؛ لتفرق وتمزق شمل المجتمع والأمة .

هذه ملاحظات سريعة تنبهنا إلى واقع العالم الإسلامى الذى نشاركه جميعاً ، وهذا الواقع يجب أن يتغير ، وفى صالح الأمة الإسلامية ومصير الإنسانية أن يتغير ويعود العالم الإسلامى إلى ما كان عليه فى عصور مضت مشهود لها بالعلم والتقدم والخير والعزة .

حضرات السادة :

أرجو وآمل أن يكون لهذا المؤتمر صدى فى نفوسنا ، يكون له مفعول فى نظام تفكيرنا ولنعمل على إعادة التربية والصياغة ، وتغيير البذور الفكرية لتنتج ثمارا تمد الأمة الإسلامية برجال الإصلاح والنهضة الشاملة فى جميع الميادين

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

الرعد ١١

وأن مما يطمئن نفوسنا جميعا أن الواقع - والحمد لله - يدل - على الرغم من التمزقات السياسية - أن هذه التمزقات انحسرت بعيدا عن توجهات الأمة .

٥ - مستقبل الأمة الإسلامية :

إن مستقبل الأمة الإسلامية يتوقف على قوة إرادتها والتزامها بمنهج الإسلام الذى يشمل التوازن الاقتصادى ، والتكافل الاجتماعى والتناصر وشيوع العمران وحسن انتظام الاجتماع وضخامة المقومات العسكرية التى تحفظ السلام والكرامة والعزة والأمن والنظام .

ويمكن التأكيد على أن مستقبل الأمة الإسلامية مرهون بحسب قوة تلك العناصر وضعفها ودرجة اكتمالها والصبغة التى تصبغ بها . مع استمرارية الأمة فى حمل رسالتها .

والنظرة المستقبلية لنهضة الأمة الإسلامية ينبغى أن تتم فى مهمتين فى آن واحد :

ـ الاصلاح فى ميادين الاقتصاد والتقنية والعلم ، بل وتشجيع قيام مبادلات مستديمة ومثمرة مع القوى العالمية .

ـ تجديد الفكر الإسلامى الذى ينسجم فيه تنوع الصور مع الوحدة الأساسية ، والولاء للمصادر الأولى مع الانفتاح العقلى . إن أرادت الأمة الإسلامية بعثا جديدا لمستقبل جديد فلا يمكن أن يتم لها ذلك إلا فى ضوء ما هو متاح للعالم الحديث من وسائل عقلية وعلمية ضخمة . فالفكرة الحية ـ على غرار الكائن الحى ـ لا تستطيع أن تحافظ على كيانها إلا إذا جددت نفسها .

والحق أنه متى توهم الناس أن شعبا من الشعوب ، أو أن فكرة من الأفكار ، أو أن ثقافة من الثقافات قد بلغت الكمال ، ولم تعد فى حاجة إلى تطور ، تحجرت وضمرت شيئا فشيئا ، وفتكت بها جراثيم التحلل والتعفن من الداخل ، وسبقتها قوى أكثر ديناميكية منها .

والشعوب التى تأتى بجلائل الأعمال لا تتشدق بالفخر بها ، لأن وقتها يضيق عن ذلك ، ولأنها تكون منصرفة إلى تحقيق غاياتها لا إلى استجداء آراء الآخرين ، ولكن الأمم إذا أقبلت على الأهم ثم انتهت من أداء رسالتها ، فانها ربما عادت إلى الاستغراق فى الذكريات وفى التبجح بها .

خلق المسلم

على ضوء الكتاب والسنة

الجزء الأخير

بقلم الدكتورة/ فاطمة عمر نصيف

الخطوات العملية لاكتساب مكارم الأخلاق

بعد عرض موضوع الأخلاق فى هذا البحث ، وبعد أن عرفنا موقعه ومكانته وأهميته فى الإسلام ، أصبح واضحاً وجلياً أن صلاح أمر الدنيا والدين فى التزام مكارم الأخلاق ، وأن فلاح الإنسان فى تزكية نفسه بإلزامها بكل ما دعت إليه الأخلاق الفاضلة والشيم الكريمة والأفعال الحسنة الجميلة ، قال ــ تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾[1]

وقال ــ تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[2]

يقول ابن كثير[3] : (قد أفلح من زكى نفسه ــ أى : بطاعة الله كما قال قتادة : وطهّرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل . وقد خاب من دساها : أى دسها وأهملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهوى) .

ومعنى هذا أن سعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة متوقفة على مدى تزكية نفسه بمجاهدتها على فعل الخيرات واجتناب المنكرات ، وتحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل ؛ حتى تكون طاهرة نقية من الظاهر والباطن ، قال ــ تعالى : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾[4] . وأن شقاء الإنسان بتدسية نفسه باتباع هواها وانفلاتها وراء لذاتها وشهواتها دون ضابط أو وازع ، أو خوف من عاجل نقمة الله وآجل عقوبته .

---

(١) ــ سورة الأعلى ، آية ١٤ ــ ١٥ .

(٢) ــ سورة الشمس ، آية ٧ ــ ١٠ .

(٣) ــ تفسير القرآن العظيم ــ جـ ٤ ، ٥١٦ .

(٤) ــ سورة الأنعام ، آية ١٢٠ .

ولقد أعان الخالق ـ سبحانه ـ مخلوقه على مجاهدة نفسه ، بما ركبه فيها بأصل الخلقة من صفاء وطهارة ونقاء ، قال تعالى :

﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴾(٥) . ولم يترك اللطيف الخبير الإنسان إلى فطرته الطيبة وحدها ، بل زوده بالاستعداد الفطرى إلى عمل الخيرات ، والميل إليها ، ثم ميّزه على سائر المخلوقات بالعقل والإرادة ، وأكرمه بالرسل وبالكتب ولم يدع وسيلة من وسائل الخير إلا وقد دله عليها ، ولم يترك باباً من أبواب الشر والرذيلة إلّا وأرشده إلى سده ، وأرسل الرسل ؛ ليكونوا الأسوة الحسنى والقدوة العظمى للخلق فى تطبيق منهاج الله وسلوك طريق الخير والنجاة .

قال الإمام ابن القيم حين ذكر مراتب جهاد النفس :

أحدها : أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق .

والثانية : أن يجاهدها على العمل به بعد علمه ، وإلا فمجرد العلم بلا عِمل إن لم يضرها لم ينفعها .

والثالثة : أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلم وإلا كان من الذين يكتمونك ما أنزل الله من الهدى والبينات .

والرابعة : أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله ، وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله فإن استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين(٦) .

فعلى الإنسان أن يقوم بمجاهدة نفسه والارتقاء بها من النفس الأمارة بالسوء إلى النفس اللوامة التى تلوم صاحبها على فعل المنكرات إلى النفس المطمئنة ، وليس ذلك ببعيد ، فالحلم بالتحلم ، والصبر بالتصبر ، والعلم بالتعلم ، فالنفس قابلة للترويض ، والتهذيب والتزكية والتطهير ، فكل ما ورد من الأوامر والنواهى الإلهية فى منهاجه القويم لإصلاح النفس والمجتمع قابل للتنفيذ بسهولة ويسر ، قال تعالى :

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾(٧)

فما أروع هدى الرسول المربى الذى يدلنا أن الناس معادن ، صلاحها يرفع قيمتها وفسادها يرخصها ، فميزان التفاضل تنقية النفوس باتباع إرشادات المنهاج الربانى وإلزامها على اتباعه ﴿ **من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين** ﴾(٨) .

فالفقه لغة : هو « الفهم » الذى يتبعه عمل مخلص جاد لمجاهدة النفوس حتى تكون لله وبالله وفى سبيل الله ، باطنها كظاهرها ، فهذا هو أعظم الفقه .

إن الخطوات العملية التى تعين المسلم على اكتساب مكارم الأخلاق كثيرة أشير إلى بعضها :

١ ـ الإيمان بالله واليوم الآخر :

إن الإيمان بالله واليوم الآخر هو المحور الأساسى الذى تدور عليه جميع الأوامر والتوجيهات والإرشادات القرآنية والأحاديث ، وهو الحافز

(٥) ـ سورة البقرة ، آية ١٣٨ .

(٦) ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبى بكر شمس الدين ، زاد المعاد جـ ٢ ص ٣٩ المطبعة المصرية ١٣٧٩هـ .

(٧) ـ سورة البقرة ، آية ١٨٥ .

(٨) ـ ابن حجر ، فتح البارى جـ ١ ص ١٦٤ .

والدافع الرئيسى لتنفيذها والالتزام بها طمعاً فى جنة الله ورضوانه وخوفاً من سخطه ونيرانه .

وقد سلك القرآن الكريم أنجح الوسائل لتهذيب النفس والارتفاع إلى مدارج الكمال ، فقد أكد القرآن أن الله يعمل خفايا النفوس وخطرات القلوب ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾[9] ، وقال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[10] .

ولقد عملت هذه الآيات وأمثالها عمل السحر فى نفوس المسلمين ، فعملوا جاهدين على اقتلاع خواطر السوء التى تشيع بين جنبات نفوسهم ، وظلوا ينظفونها من كل هاجسة حتى لا يبقى فيها شيء مما يكرهه الله .

وبهذه التربية القرآنية فى تأسيس اليقين فى نفوس المسلمين على أساس المعرفة الحقة بالله ، والإيمان الكامل بقدرته وتدبيره والإحساس الدائم برقابته ومحاسبته ، ظهرت تلك النماذج الخلقية الفريدة لجيل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ غير مسبوقة ولا ملحوقة .

(إن آيات القران المكية لم تضع أصول دولة وإنما جاءت مؤكدة فكرة أولى هى العماد الأعظم الذى يصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ـ وهى فكرة التوحيد . وكل ما جاء به القرآن فى مكة كان تمكيناً لهذه الفكرة فى النفوس ، وإسلام الصحابة كان على أساس هذه الفكرة (التوحيد) ، فلما ملأت نفوسهم دخلوا صف الإسلام ، وجعلوا صدورهم حصوناً تدافع عنه)[11] .

ومن ثم كان ميدان القرآن الأول هو عالم النفس والضمير ، وتأسيس اليقين ووسيلته الأولى للوصول إلى هدفه هى تربية فردية عميقة هادئة للنفس البشرية ، وترويضها على مكارم الأخلاق .

أما الإيمان باليوم الآخر والاعتقاد بالحساب والجزاء ، فهى تقترن مع جميع الأوامر والنواهى القرآنية ؛ لتكون ضابطاً للسلوك البشرى ، ودافعاً لعمل الخير ومرهباً من فعل الشر .

فحين يتذكر الإنسان وقوفه بين يدى الله يوم البعث والجزاء ، والحشر والنشر وتوزيع الصحائف ، يوم تبيّض وجوه وتسود وجوه ، ويتذكر هول ذلك اليوم قال تعالى :

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[12]

يوم تشهد الأيدى والأرجل والأعين وسائر الجوارح على صاحبها يوم تنكشف السرائر . كل هذا وأمثاله يثير الخجل من الله المنعم ، والخشية من لقائه وحسابه والرغبة فى تجنب سخطه وغضبه والوصول إلى مرضاته والفوز بجناته والنجاة من نيرانه .

ومن آثار الإيمان بالله واليوم الآخر الإخلاص فى العمل لله ـ وحده ـ دون سواه فالمؤمن يخلص

---

(٩) ـ سورة ق ، آية ١٦ .

(١٠) ـ سورة غافر ، آية ١٩ .

(١١) ـ كامل ، عبدالعزيز ، المجتمع الإسلامى فى مكه ، ص ٨٢ . المطبعة الأهلية بحماة .

(١٢) ـ سورة الحج ، آية ٢ .

فى عمله ويتقنه غاية الإتقان ويحسنه غاية الإحسان بمقتضى إيمانه بأن عين الله تراه ، فمن استشعر قلبه مراقبة الله ومحاسبته . لا شك أن ذلك خير دافع له على مداومة الطاعات ، والحذر من المعاصى والسيئات . فيحسن خلقه وتسمو نفسه ؛ لتصلح سيرته وسريرته .

٢ ـ أداء العبادات :

لقد بيَّن الله ـ تعالى ـ أنواع العبادات لتحقيق غاية الخلق ، فى قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١٣) . بالمفهوم الشامل الواسع للعبادة الذى يجعل بالنية الصالحة جميع أعمال الإنسان عبادة إذا قصد بها وجه الله .

والعبادة فى نظام الإسلام جزء مهم لابد من القيام به على الوجه الأمثل حتى تحقق هدف العبادة ووظيفتها .

(فالعبادة هى التى تجعل العقيدة حية فى النفس وتنقلها من حيز الفكر المجرد إلى حيز القلب الذى يحس ويشعر فيجعلها بذلك قوة دافعة لها حرارتها ولها نورها ، فشتان بين من يعلم عقلياً ويقتنع فكرياً بوجود الله ، ومن يحس ويشعر بإشراقه وهيمنته عليه وبعلمه بسرّه وعلنه ويتصور تصوراً قلبياً حتمية لقائه وحسابه ، فالعبادة فى الإسلام هى الوسيلة التى تنقل الإنسان من الحالة الأولى إلى الحالة الثانية فهى توقد جذوة العقيدة وتغذيها وتتغذى بها وتحيا عليها(١٤) .

والعبادة عند المؤمن نوع من الأخلاق ؛ لأنها من باب الوفاء لله والشكر للنعمة والاعتراف بالجميل والتوقير لمن هو أهل التوقير والتعظيم . وكلها من مكارم الأخلاق عند الفضلاء من الناس ومن أجلى ذلك يعقّب القرآن على أوصاف المؤمنين القانتين المطيعين بمثل هذه الجمل : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾(١٥) . ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾(١٦) .

والأصل فى العبادات أنها حق الله على عباده يجب أن تؤدى امتثالًا لأمر الله وأداءً لحقه على عباده ، شرعها الله تعالى لصحة قلب الإنسان كالأدوية لصحة بدنه .

ومن المؤكد الذى لا ريب فيه أن صلاح النفس وزكاة الضمير واستقامة الأخلاق هى الثمرة اللازمة للعبادة الحقة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١٧)

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١٨) .

فالتعبير بلعل دون التعبير بلام التعليل أو (كى) يفيد أن العبادة أو الصيام تجعلهم على رجاء التقوى وتعدهم لها ، فالعبادة التى لا تؤدى إلى التقوى تحتاج إلى إعادة وإجادة وإحسان .

---

(١٣) ـ سورة الذاريات ، آية ٥٦ .

(١٤) ـ المبارك ، محمد ، نظام الإسلام العقيدة والعبادة ، ص ١٦٤ .

(١٥) ـ سورة البقرة ، آية ١٧٧ .

(١٦) ـ سورة الحجرات ، آية ١٥ .

(١٧) ـ سورة البقرة . ٢١ .

(١٨) ـ سورة البقر ، ١٨٣ .

٣ ـ **الإقناع الفكرى :**

ويكون ذلك عن طريق التعلم والتفقه فى دين الله وأول خطواته هو التدبر فى كتاب الله وهدى نبيه ﷺ ، ليدرك الآثار المحمودة للفضائل الخلقية ، والآثار المذمومة للمساوىء الخلقية فيقتنع بوجوب الالتزام بفضائلها ويرغب فى التطبيق .

فالقرآن استخدم كل الأساليب لبيان المنهج الأخلاقى وآثاره بالترغيب والترهيب والتشجيع والإكرام والمكافأة والتثبيط والإهانة والعقوبة ، وذلك لأن الناس أصناف فكل صنف له أسلوبه الذى يقتنع به ويختلف به عن غيره .

٤ ـ **التدريب العملى والرياضة النفسية :**

إن التدريب العملى وقصر النفس على غير ما تهوى من الأمور التى تكسب النفس الإنسانية الأخلاق والعادات المستحبة والسلوك السليم ، وهذا من الأمور الممكنة حتى ولو وجد الإنسان فى بادىء الأمر صعوبة فى الالتزام بها . قال أبو ذؤيب الهزلى :

والنفس راغبة إذا رغبتها
وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقد وضحت الأحاديث الشريفة عن إمكانية ذلك فكان من قوله ﷺ : « ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنيه الله ومن يتصبر يصبره الله »[١٩] . وقوله ﷺ أيضاً : « إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ـ ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه »[٢٠] . ومن هذه الأحاديث نفهم أمرين :

أولاً : فطرية الخلق :

ثانياً : قابليته للتعديل :

(وهذه هى الأخلاق المكتسبة وقد يبدو التخلق بخلق ما عملًا شاقاً على النفس وبخاصة إذا لم يكن ذلك من طبيعته الفطرية ولكن بالتدريب والمران يصبح سجية ثابتة . وقد أخبرنا بذلك اللطيف الخبير فى سورة الشمس كما مر بنا . قال تعالى :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[٢١] .

فقد زود الله النفس الإنسانية باستعدادات فطرية للنزوع للخير والشر . والإنسان بالتدريب والمران يستطيع أن يعود نفسه الآداب المزكية والمطهرة ، ويحملها على فعل الخيرات ؛ لأن سعادته فى كلتا حياتيه موقوفة على مدى تأديب نفسه وتطييبها ، وتزكيتها ، كما أن شقاءها منوط بفسادها وتدسيتها ، وبإمكان المرء أن يتبع فى إصلاحها وتأديبها الخطوات التالية كتدريب عملى (كما وضحها الشيخ أبو بكر الجزائرى فى منهاج المسلم)[٢٢] .

---

(١٩) ـ ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١١ ، ص ٣٠٩ .

(٢٠) أخرجه الخطيب فى تاريخه جـ ٩ ، ص ١٢٧ من حديث أبى هريرة وحسنه الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة ص ٣٤٢ .

(٢١) ـ سورة الشمس ، آية ٧ ـ ١٠ .

(٢٢) ـ ص ١١٦ .

(أ) التوبة :

بالتخلى عن سائر الذنوب والمعاصى ، فإذا ما ألم العبد بذنب سارع بالتوبة والإنابة إلى الله ـ قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾(٢٣) .

(ب) المراقبة :

يعود نفسه على مراقبة الله ـ تبارك وتعالى ـ حتى تصبح مستغرقة بملاحظة جلال الله وكماله ، شاعرة بالأنس فى ذكره ، واجدة الراحة فى طاعته ، راغبة فى جواره مقبلة عليه ، معرضة عمن سواه (قال سفيان الثورى عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية ، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء . وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة) .

(جـ) المحاسبة :

بحيث يخلو بنفسه ساعة من آخر كل يوم يحاسب نفسه فيها على عمل يومه ، فإن رأى نقصاً لامها ووبخها واستغفر وندم وعمل من الخير ما يراه مصلحاً لما أفسد .

(د) المجاهدة :

أن يجاهد نفسه التى بين جنبيه فهى أعدى أعدائه . فالنفس أمارة بالسوء ترغب فى الدعة والخلود والراحة وتنجرف مع الهوى ، فإن أحبت الراحة أتعبها ، وإن قصرت فى طاعة عاقبها ولامها ؛ حتى تطهر وتطيب ، وتلك غاية المجاهدة للنفس .

٥ ـ الانغماس فى البيئات الصالحة :

فمن طبيعة الإنسان أنه يكتسب من البيئة التى يعيش فيها أخلاقه وعاداته وتقاليده وسلوكه ومن الصعب إصلاح إنسان منحرف أخلاقياً ما لم يعزل عزلًا كاملًا عن أقرانه من المجرمين والأشرار ؛ لأن وجوده بينهم يكون عاملًا قوياً لاستمراره على فساده وانحرافه ؛ ولذا جاء فى الحديث الشريف أن النبى ﷺ قال : « كان فيمن كان قبلكم رجلًا قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال : أنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة . فقال :لا . فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم . فقال : أنه قتل مائة نفس فهل له من توبة) فقال : نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ... الحديث »(٢٤) .

فالشاهد فى الحديث أنه أمره بالانغماس فى البيئة الصالحة وترك البيئة الفاسدة ؛ لأن البيئة الصالحة ستعينه على الخير .

ويدخل تحت هذه الوسيلة اختيار الأصدقاء والقرناء ، فالصديق المصاحب له تأثير شديد على صاحبه ، ولذا كان التوجيه النبوى الكريم حيث قال : (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء

---

(٢٣) ـ سورة آل عمران ، آية ١٣٥ .

(٢٤) ـ مسلم ، صحيح مسلم بشرح النورى ، جـ ١٧ ، ص ٨٤ .

كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيباً ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد ريحاً خبيثة »[٢٥] .

فاختيار الجليس الصالح من العوامل المساعدة للالتزام بالأخلاق الفاضلة والسلوك القويم ، ويؤيد ذلك قوله ﷺ « الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »[٢٦] .

٦ - القدوة الحسنة :

وهى المثال الحى لمكارم الأخلاق ، فالإنسان القدوة هو المرتقى فى درجات الكمال الإنسانى كالرسول ﷺ فهو الأسوة الحسنة لأمته .

قال تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[٢٧] . فهو من زكاه ربه بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٢٨] .

وكذلك الأنبياء والرسل كانوا قدوات لأممهم ، ليسهل عليهم فهم الشرائع والأحكام والأخلاق والآدب إذا ما رأوها حية متحركة أمامهم ، ويصير لديهم القناعة بأن بلوغ هذا الكمالات من الأمور الممكنة .

والقدوة الحسنة عموماً مهمة فى العملية التربوية فهى تثير فى نفس العاقل دوام الإعجاب والتقدير والمحبة والرغبة فى التأسى والتقليد .

٧ ـ الضغط الاجتماعى من قبل الجماعة المسلمة القائمة بشرع الله :

إن الجماعة عادة تكون لها سلطة معنوية فعالة ومؤثرة على نفوس أفرادها ولذا فإن الشارع الحكيم قد اعتمد عليها فى تقويم أفرادها وإصلاحهم فقد جاء عنه ﷺ أنه قال « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالو : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »[٢٩] .

فمن الأمور التى حض عليها الشارع الحكيم لزوم الجماعة المسلمة القائمة بأمر الله لما فى ذلك من فوائد عظيمة يجنيها الفرد والمجتمع بل الإسلام نفسه .

قال عليه الصلاة والسلام « يد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ فى النار »[٣٠] .

وكان من هدية ﷺ أنه كان يحذر من الانفراد عن الجماعة بقوله « الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية »[٣١] .

وعند قراءتنا للسيرة نجد أن الرسول ﷺ بدأ بتربية المسلمين تربية جماعية فى دار الأرقم بن

---

(٢٥) ـ المصدر السابق ، جـ ١٦ ، ص ١٧٨ .

(٢٦) ـ الترمذى ، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، جـ ٥ ص ٥٨٩ ، حديث رقم ٢٣٧٨ .

(٢٧) ـ سورة الأحزاب ، آية ٢١ .

(٢٨) ـ سورة القلم ، آية ٥ .

(٢٩) ـ العينى ، بدر الدين أبومحمود ، عمدة القارى بشرح صحيح البخارى ، جـ ١٣ ، ص ٥٦ . دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

(٣٠) ـ الحاكم ، المستدرك ، جـ ١ ، ص ٧٧ .

(٣١) ـ الترمذى ، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، صحيح الترمذى ، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ .

الأرقم ، وكانت هذه الجماعة هى نواة المجتمع الإسلامى الأول الذى جعله الشارع الحكيم رقيباً على أفراده وحارساً ومحاسباً ومعاقباً وناصحاً ، آمر بالمعروف وناهياً عن المنكر . قال تعالى

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٣٢) .

وقوله تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (٣٣) .

فمن شأن الجماعة المسلمة القائمة بأمر الله أن تملى على من ينضم إليها أو ينخرط فيها فضائل الأخلاق ، وتحاسب الفرد حتى لا يشذ عنها . قال عليه الصلاة والسلام : « لتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق أو ليضربن الله بقلوب بعضكم علي بعض ثم يلعنكم كما لعنهم » (٣٤) .

وقد أوضح الرسول ﷺ ــ ضمن وسائل التربية ، لإلزام الأفراد بالمنهج الأخلاقى ــ وسيلة الضغط الاجتماعى وكيف تربى الجماعة الأفراد بعقوبة الهجر والمقاطعة لله فى قصة الثلاثة الذين خلفوا .

٨ ــ :السلطة التشريعية :

للسلطة التشريعية أثر فعال فى إلزام الأفراد والجماعات بالمنهج الأخلاقى الذى رسمه الإسلام للناس ، وفى تربية نفوسهم على الفضائل الأخلاقية ، فهى التى تتولى رقابة الأفراد والجماعات ومحاسبة المنحرفين وذلك بوضع الأنظمة والقوانين المختلفة المرغبة والرادعة واتخاذ الوسائل اللازمة لحماية الأخلاق وصيانتها ، لأن وازع السلطة التشريعية أقوى وازع لإلزام الناس بالسلوك السليم ، كما قال عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه : « إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » .

وحينما تكون هذه السلطة قوية ووسائلها جيدة فإن انحراف الأفراد وشذوذ الجماعات يقل إلى أدنى نسبة ممكنة ، بل ربما تصبح حالات الانحراف الخلقى وحالات الإجرام فى حكم النادر ، كما حصل ذلك فى عهد الرسول ﷺ فى مجتمع المدينة المنورة ، وكلما كانت إدارة السلطة حازمة ويقظة كلما استقامت الجماعات والأفراد إلى درجة كبيرة كما حصل فى عصر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ .

وحتى يستطيع المسلم أن يستفيد من هذه الوسائل فى تقويم أخلاقه يجب أن لا ينسى الدعاء فيستعين بالله ويطلب منه أن يلهمه حسن الخلق ويعينه على ما أهمه من أمر دينه ودنياه ، اقتداء به ﷺ حيث كان يدعو ويقول : « واهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت » (٣٥) .

فلعل الله يعيد لهذه الأمة أمر رشدها فتستعيد مكانتها بين الأمم لتكون خير أمة أخرجت للناس . سائلة الله ــ عز وجل ــ للمسلمين الهداية والتوفيق إلى سواء السبيل وهو نعم المولى ونعم النصير .

---

(٣٢) ــ سورة البقرة ، آية ١٤٢ .

(٣٣) سورة آل عمران ، آية ١١٠ .

(٣٤) ــ أبوداود ، سنن أبى داود ، جـ ٢ ، ص ٤٣٦ .

(٣٥) ــ الترمذى ، الجامع الصحيح ، سنن الترمذى جـ ٥ ، ص ٤٨٤ .

الإرساليات الأمريكية فى إفريقيا

أ.د/ عبد الله نجيب محمد (*)

تشير التقارير المعتمدة إلى أنه كان يعمل فى إفريقيا فى السبعينات ١٥٩٧٠ مبشراً بروتوستانتى من المجموع البالغ ٤٢٢٥٠ ، اى : زهاء ٣٥٪ تقريبا . مما يؤكد بكل دقة أن كنائس أمريكا الشمالية هى التى تسيطر الآن على مسرح الإرساليات فى إفريقيا ، وتقرر مكتبة البحوث الإرسالية فى نيويورك أن هذا العدد قد زاد فى التسعينات ، وأن الانفاق عليها قد زاد — أيضا — مما يؤكد تواصل النشاط الإرسالى الأمريكى .

وإفريقيا من وجهة النظر الإرسالية الأمريكية هى قلب العالم ، ولها أهمية بالغة فى مخططاتهم ، فهم يهدفون إلى تحويل العدد الأكبر من سكانها إلى النصرانية فى أقرب وقت ممكن ، وهم يعتقدون أنهم جزء من الكنيسة التى هى — كما يقولون — « الآلة التى اختارها الرب لخلاص العالم وتنفيذ أغراضه » .

ويقول « إميل بروند » : « إن الكنيسة قائمة على رسالة النصرانية كما تقوم النار على الاحتراق ، فإذا ما تطلعت الكنيسة إلى العالم الخارجى فليس لديها الخيار إلا فى التنصير ، وهنالك حقيقة دور المبشرين فى إفريقيا اليوم ، وهو العمل فى نطاق مهمة الكنيسة الرئيسية فى التبشير[1] .

وصور الدكتور « ثيودور . ل . تاكر » السكرتير التنفيذى للجنة الإفريقية قسم الإرساليات الاجنبية لمجلس الكنائس القومى فى مؤتمر البحوث العليا فى جامعة شيكاغو . صور الوضع فى إفريقيا على النحو التالى : « إن مستقبل الإرساليات المسيحية فى إفريقيا غير مستقر ونحن واعون تماما للموقف الجديد ، وما يتطلبه من

(*) الكاتب رئيس قسم اللغات بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية .

(١) الرب والله وجوجو ص١٨٣ . جاك مندلسون . ترجمة إبراهيم أسعد محمد . دار المعارف بمصر .

تعديل فى التصرف والدور ، ونحن مصرون على استمرار المحاولة

وهم يضعون شرطين أو خاصتين فى أول قائمة الحقائق المطلوب توافرها فى المبشرين .

* اقتناع شخصى قوى مع معرفة تامة بعيسى المسيح .

* ومقدرة فائقة فى تفسير الإنجيل .

ويتلو ذلك تقدير واضح للعالم الذى يعيش فيه المبشر .

ويعنى هذا بالنسبة لإفريقيا الاعتراف بالقومية كهدف أسمى وقدرة على الاستجابة إيجابيا لمصالح الإفريقيين السياسية ، والاستعداد للعمل تحت الإدارة الإفريقية .

ويقول الدكتور « تاكر »؛ويلزمنا ــ أيضا ــ أن نكون على بينة من التغيرات التى طرأت نتيجة لنمو المدن والصناعة فى كل مكان بافريقيا ، واذا كان معظم افريقيا ما زال ريفيا فإن المناطق المتحضرة فى زيادة مستمرة ، وتتزايد أهميتها وحيثما ينفذ نظام الهجرات العالية ، فان الكثير من الرجال البالغين يمضون معظم وقتهم بعيدا عن عائلاتهم ، وهم يعملون فى الصناعات ، وحتى الآن فإن إرسالياتنا تخللت المناطق الريفية فقط .. ولم تقم بمجهود كاف بانتهاز الفرص الجديدة لارتياد المدن(٢) .

ومن التطويرات الجديدة التى لجأت إليها الإرساليات اشتراط أن يكون المبشر فاهما للاسلام بعمق كما يزاول فى جنوب الصحراء ، للتعرف على المجهودات اللازمة لهداية الافريقيين من الإسلام إلى النصرانية كما يقولون .

ويتضمن تجنيد المبشرين الآن غربلة واختبارات نفسية دقيقة للتأكد من أن المرشح لكى يكون **مبشراً يستطيع أن يصمد لصدمة ثقافية جديدة وأن يكون قادراً على تكييف أحاسيسه للتعامل مع الإفريقيين . والمقصود بالصدمة الثقافية . الجديدة هى ثقافة الإسلام ، التى كثيراً ما تغير فكر المبشر وموقفه من الإسلام . وقد يعتنقه ويتخلى عن نصرانيته إذا فهم الإسلام جيداً .**

ومما هو جدير بالذكر ان بعض الشباب المتحمس لنشر النصرانية ــ فى إحدى الجامعات الأمريكية ــ قد اتفقوا على الذهاب للتبشير بالنصرانية فى عقر دار الإسلام ؛ فذهبوا إلى الجزيرة العربية ، واطلعوا على الثقافة الإسلامية عن قرب ؛ فتحولوا إلى الإسلام .

والغريب فى الأمر ــ أيضا ــ أن بعض المبشرين يشترط فيهم ــ أيضا ــ معرفة جيدة بمهارات فنية عالية فى الزراعة أو غيرها ، بهدف الاقتراب غير المباشر من الأفارقة والتقرب إليهم واستمالتهم .

ويقول الدكتور « أمورى روس » : إن المهمة الحقيقية الجوهرية الثقيلة لإفريقيا ولنا وللعالم هى خلق مجتمع نصرانى فى إفريقيا ، وذلك بمشاركة الأفارقة فى كل ما له صلة بحياتهم من أرض وغذاء وكساء ومأوى وصحة وتعليم ومواصلات ورياضية واقتصاد وعائلة ومجتمع وحكومة ، كل ذلك يجب أن يهتم به المبشر لكى يتمكن من أداء

(٢) المرجع السابق ص ١٨٥ .

عمله بصورة مرضية وجيدة ، وممن طبق هذه الأفكار بدقة « بروس ساملى » الذى يتولى رياسة برنامج المزرعة النموذجية بإرسالية « أولد أومتالى » بزيمبابوى وله خبرة فى قيادة الجرارات وتربية الأرانب والدورة الزراعية ، مثلما يعرف عن الإنجيل .

ويقوم علماء الغرب ورجال الإرساليات بالاستعانة بعلوم أخرى أهمها :

المعرفة الأنثروبولوجية الجيدة بالشعب الذى يعملون به ، والاستعانة بدراسات قيمة توضح لهم الطريق وتنير لهم السبيل ، فهم يدرسون كيف يتعاملون مع النخبة الحاكمة والمثقفة،ويدركون جيدا موقفهم تجاه الدين ، ويدرسون ــ أيضا ــ الخلفية التاريخية والنفسية للشعوب وغير ذلك مما يساعدهم فى عملهم .

ويرى الإرساليون أن السنوات القلائل القادمة تعتبر حاسمة فى مستقبل إفريقيا الدينى ، وهم يسابقون الزمن للوصول إلى أهدافهم ويركزون على استخدام التعليم المنسق والتعليم الشكلى ووسائل الاتصال وغير ذلك بشكل منظم ودقيق .

والإسلام ــ كما هو معروف ــ له ميراث ضخم على مدى ثلاثة عشر قرنا من الاتصال بافريقيا ، ويتوقع الدكتور « نويل كنج » عالم اللاهوت النصرانى منذ سنوات فى جامعة غانا ، كما يتوقع آخرون أن الإسلام يحظى بمكاسب ضخمة فى كل إفريقيا برغم ضعف إمكانات الداعين إليه وعدم وجود هيئات إسلامية منظمة للقيام بمهمة الدعوة ، ولذلك فالإرساليون كثيراً ما يطالبون بتحسين العلاقات بين المسلمين وأن يتقابلوا ويتناقشوا ، وأن يحاولوا التفاهم فى جو من الألفة والاحترام المتبادل ، وقد استجاب كثير من علماء الدين المسلمين لهذه المطالب النصرانية ، ولكن يبدو من كافة التقارير التى كتبت عن هذه اللقاءات وجدواها ، أنهم يتراجعون الآن عنها ، بل ويطالبون البشرية بالابتعاد عن هذه الحوارات والتخلص من مأزقها كما حدث فى لقائهم بـ الداعية « أحمد ديدات » فى جنوب إفريقيا ، والحاج « أغسطس » فى نيجيريا ؛ لأنهم أدركوا بكل بساطة أن الأفريقيين أكثر ميلا إلى الإسلام وأكثر تفهما له ، بل إن عددا من الكنائس قد وجدت فى المسيح نبيا وليس تجسيدا للإله كما حدث فى إحدى الكنائس الكينية منذ عهد قريب ، وأمثال هذه الكنائس تحارب ويضيق عليها .

وعلى أى حال ، فمن الواضح الجلى أن الإرساليات الأمريكية والأوروبية ــ بصفة عامة ــ تبذل جهودا متنامية لتحويل أفريقيا إلى النصرانية ، ويستخدمون أساليب علمية متقدمة ومدروسة بعناية بهدف التغيير ــ وكما سبق ذكره فإنهم يحددون الأهداف ويدققون فى اختيار المبشرين ، ويزوِّدونهم بكافة بما يلزمهم من معارض وإمكانات ، وتساهم الحكومات والهيئات الخيرية الشعبية فى هذه المهمة بسخاء .

والسؤال الآن : كيف يمكن لنا نحن المسلمين أن نقوم بدور مماثل ؟ وما هى الوسائل

والفعاليات المناسبة للدعوة الإسلامية ؟ .

إن الإجابة على مثل هذه الأسئلة تطرح عددا من المطالب أهمها :

★ أنه يجب أولا إعداد خطة مناسبة توزع فيها الأدوار وتشترك فى أدائها وتنفيذها كافة الحكومات الإسلامية والهيئات الشعبية الإسلامية .

★ وثانيا : إعداد خطة مدروسة بعناية لتدريب الدعاة من المسلمين ، وإيقافهم على كافة التطورات التى تمر بها إفريقيا فى الوقت الحاضر ، وتزويدهم بالخلفيات التاريخية والنفسية لكل شعب من الشعوب ، وهذا مما يقتضى مزيدا من التواصل بين المعنيين فى كل البلاد الإسلامية ومزيدا من التواصل بين علماء الدين وغيرهم من المتخصصين فى الشئون الأفريقية .

والذى لا شك فيه أن تدعيم الثقافة الإسلامية فى إفريقيا ونشرها له عوائد ضخمة فى جميع النواحى ، وإفريقيا الحديثة - كما قيل - لن يتحدد مستقبلها على يد السياسيين ، والاقتصاديين فحسب، وإنما يشارك فى ذلك بقوة وفعالية رجال الدين وعلماء الاجتماع والتاريخ والثقافة وكثير من المتخصصين فى مجالات أخرى ، فهذا العصر هو عصر التقاء العلوم والعلماء وعصر تشابك المعلومات وتضافرها من أجل أداء جيد ومنسق ودقيق .

والأمل كبير فى قادتنا وعلمائنا أن يبذلوا كل جهد ممكن ؛ لأداء هذه الرسالة التى هى واجب ؛ بل فرض على كل مسلم ومسلمة فى هذا العصر ، ولهذه القارة التى عانت طويلا من الاستعمار والإذلال العنصرى والاستغلال البشع على أيدى من يدعون الآن رغبتهم فى هدايتها وتنميتها - فنحن أقرب إلى الأفارقة منهم . بل نحن جزء منهم ومصيرنا واحد ومستقبلنا واحد لا شك فيه .

والله المستعان .

القدس مفتاح السلام والحرب فى الشرق الأوسط

بقلم د./ مصطفى دسوقى كسبة (٠)

الجزء الأخير

٣ ـ هل لليهود أحقية فى القدس كعاصمة أبدية لهم ؟

١/٣ ـ حقائق التاريخ السياسى اليهودى :

أحداث التاريخ السياسى اليهودى على مر عصور التاريخ القديم أدت إلى تفريغ فلسطين من السكان اليهود .

وبدأت عملية التفريغ هذه بخروج بنى إسرائيل من فلسطين إلى مصر زمن يعقوب ويوسف ـ عليهما السلام ـ لانتشار المجاعة والقحط فى فلسطين وفقاً لروايات التوراة والقرآن الكريم .

وقد استمر الوجود الإسرائيلى فى مصر لمدة تقترب من أربعمائة عام خلت فيها فلسطين من الإسرائيليين . ولم يبق فيها سوى سكانها العرب القاطنين فيها والمحيطين بها . وبعد الخروج من مصر زمن موسى ـ عليه السلام ـ شهدت حياة الإسرائيليين فترة عدم استقرار اشتملت على أحداث الخروج ، وفترة التيه فى شبه جزيرة سيناء ، وفترة الصراع مع الكنعانيين ، ويستمر هذا الوضع حتى قيام دولة داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ فى القرن العاشر قبل الميلاد ، والتى سرعان ما انهارت وانقسمت إلى دولتين الأولى إسرائيل والثانية يهوذا ، (وذلك عقب وفاة نبى الله سليمان ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام) وانتهت الأولى على يد الآشوريين فى عام ٧٢١ ق. م . وسقطت الثانية على يد البابليين ، وانتقلت حياة اليهود إلى المنفى فى بلاد النهرين ، وهربت أعداد كبيرة من السكان اليهود إلى مصر والشمال الأفريقى وشبه الجزيرة العربية ، وأدى ذلك إلى إخلاء فلسطين من اليهود[١٥] .

وبرغم صدور قرار العودة إلى فلسطين بواسطة الملك الفارسى (قورش) بعد سقوط البابليين ، فإن معظم السبى لم يستجيبوا لقرار العودة بسبب استقرار أوضاعهم فى بلاد النهرين .

---

(٠) رئيس قسم الاستشارات بمركز الاقتصاد الإسلامى ـ جامعة الأزهر .

(١٥) د. محمد خليفة حسن أحمد « عروبة فلسطين فى التاريخ القديم » ندوة « فلسطين عبر عصور التاريخ » ، مركز البحوث والدراسات التاريخية ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ٤ ـ ٥ نوفمبر ١٩٩٥م ، ص ١ .

وأتى العصر اليونانى بمزيد من الهجرة اليهودية إلى مصر والشمال الأفريقى وإلى بلاد النهرين .

وفى العصر الرومانى وقع ما يعرف بالشتات اليهودى العام . وضعفت البنية السكانية ليهود فلسطين ، بسبب كثرة عدد قتلاهم فى حروبهم مع الرومان ، وما تعرضوا له من اضطهاد أدى إلى فرارهم ، ثم حدوث دمار أورشليم والهيكل(١٦) .

والتاريخ يؤكد أن الملك سالم اليبوسى الكنعانى العربى هو الذى أسس القدس فى العام ٣٥٠٠ قبل الميلاد . أى أن القدس مضى على تأسيسها حوالى ٥٥٠٠ سنة ، وليس ٣٠٠٠ سنة كما تحاول إسرائيل فى زعمها .

وعلى الرغم من أن السلطة اليهودية على المدينة لم تتعد ٧٧ عاما من عمر المدينة البالغ ٥٥٠٠ عام ، ومع أن القرارات الدولية كافة تؤكد عدم شرعية احتلال إسرائيل للقدس على اعتبار أنها مدينة محتلة مثلها فى ذلك مثل باقى الأراضى العربية التى احتلت فى العام ١٩٦٧ م ، والتى تخضع لاتفاقية جنيف الرابعة للعام ١٩٤٩م ، وتلزم إسرائيل بعدم تغير وضعها السكانى ، وكان آخر هذه القرارات قرار مجلس الأمن ٧٩٩ الصادر فى ١٩٩٢/١٢/١٩م .

وأخيرا على الرغم من أنها قضية من القضايا المؤجل التفاوض بشأنها مع قضايا أخرى ؛ وفقا لحكم المادة الخامسة من (اتفاقية أوسلو) السابق لإسرائيل إبرامها مع منظمة التحرير الفلسطينية فى واشنطن فى ١٩٩٣/٩/١٣م ، بحضور شاهدى التوقيع أمريكا وروسيا تجاهلت إسرائيل كل ذلك ، ومضت فى الاستعداد لحفلها الذى أعلنت إشارة البدء به فى قرية سلوان العربية فى ١٩٩٥/٩/٤م ليستمر ١٥ شهرا .

وقاطع كثير من الهيئات والشخصيات الدولية هذا المهرجان الذى يهدف إلى طمس معالم القدس العربية الإسلامية ، والتى ترسخ هيمنتها الاستعمارية على المدينة الجريحة ، وإلى محاولة خلق أمر واقع وذلك بتحريف التاريخ وتزييف الواقع(١٧) .

٣/٢ ـ الصهيونية :

الأفكار الصهيونية ماكان يمكن أن يقدر لها أن

(١٦) د. محمد خليفة حسن ، مرجع سابق ، ص ٢ .

(١٧) انظر : حسن أحمد عمر ، «على هامش احتفالات الدولة العبرية» أورشليم ٣٠٠٠ سنة ، الحياة ـ ١٩٩٥/١٠/١٠م .

تتحول إلى كيان سياسى دون مساعدة قوة خارجية . وهنا يأتى الدور الذى لعبته الإمبريالية الغربية (ويهود الشتات) ، واستفادت الصهيونية من حاجة الاستعمار الغربى إلى قاعدة فى الشرق الأوسط ، وكذلك استفادت من المناخ الفكرى والحضارى الذى خلفته الإمبريالية .

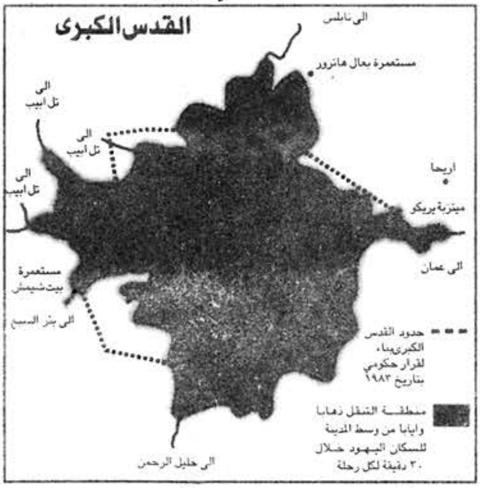

ولكن على الرغم من أن الصهيونية على المستويين الحضارى والاقتصادى ، مدينة بوجودها للاستعمار الغربى ، فإنها جزء متميز من كل .

هذا ومن ناحية أخرى هناك ثمة تشابه فى البنية بين الأفكار الصهيونية والأفكار الدينية اليهودية ، والسمة الأساسية لهذه الأفكار أنها تخلط بين المقدس والقومى ، وبين المطلق والنسبى ، وتمزجهما .

والفكرة المحورية فى «الإيديولوجية» الصهيونية هى فكرة الأمة اليهودية ، وفكرة اليهودى الخالص ، أى اليهودى الذى لاتشوبه شائبة غير يهودية ، وهو التعبير الحقيقى عن المثل الأعلى الصهيونى ، وتفترض فكرة اليهودى الخالص غياب العربى ، وإلا اختل النسق «الأيديولوجى» وجابه تحديا واضحا[١٨] .

وفى مجال وضع هذا النسق موضع التنفيذ ، توجهت الصهيونية فى اتجاهين نحو اليهود ، ونحو العرب ، فحاولت نقل اليهود من المنفى إلى أرض الميعاد ، ونقل العرب من فلسطين إلى المنفى .

وعلاقة الصهيونية بيهود العالم ، هى علاقة عنصرية فى جوهرها ، فالصهيونية تنطلق من افتراضها أن ثمة شعبا يهوديا واحدا يجب أن ينقل شاء أم أبى ـ إلى الوطن القومى المزعوم أرض الميعاد . وفى محاولة نقل هذا الافتراض إلى واقع تنتقد الصهيونية الشخصية اليهودية ـ التى نمت وترعرعت فى المنفى ـ وتهاجم يهود الشتات وتحاول قلقلة أوضاعهم وإرهابهم .

أما عن علاقة الصهيونية بالعرب ، وبخاصة الفلسطينيين فهى أيضا علاقة عنصرية ، إذ إنه حسب التصور الصهيونى ، يجب تفريغ أرض الميعاد من سكانها ، ويجب سلب حرية وإرادة من تبقى منهم بعد ١٩٤٨م[١٩] .

والدكتور/ عبدالوهاب المسيرى يرى :

١ ـ أن المجتمع الإسرائيلى هو مجتمع صهيونى بالدرجة الأولى ، وأنه ـ برغم كل التحديات التى تواجه النسق «الأيديولوجى» الصهيونى المهيمن يحتفظ بسيطرته على الإسرائيليين ، نظرا لعوامل

(١٨) انظر د. عبدالوهاب المسيرى ، «الأيديولوجية الصهيونية دراسة فى علم اجتماع المعرفة» ، عالم المعرفة ـ الكويت ـ العدد ٦٠ ـ ديسمبر ١٩٨٣م ـ ص ٥ ـ ٧ .

(١٩) د. عبدالوهاب المسيرى ، مرجع سابق ، ص ٦ ـ ٧ .

سياسية واقتصادية كثيرة ، لعل أهمها أن المجتمع الإسرائيلى مجتمع تدعمه (الإمبريالية) ويهود الشتات الذين تهيمن عليهم الصهيونية ، وانعكس هذا الوضع على الوجدان الإسرائيلى الذى تحول إلى وجدان جبرى ، يقبل أن تكون حالة الحرب حالة نهائية .

٢ ــ الصهيونية تحتوى على قسط كبير من الأوهام والإدعاءات وتزييف التاريخ وتساندها أجهزة إعلامية وأكاديمية كثيرة ، تنجح فى خلق انطباع عام لدى الجميع من الأعداء والأصدقاء بصدق مقولاتها ، فنجد أنفسنا نردد مقولة مثل «الشعب اليهودى» أو «الاضطهاد النازى لليهود»[٢٠] .

٣/٣ الشخصية الإسرائيلية :

الذين يدرسون طبيعة الإجرام فى العصر الحديث يقسمونه إلى أنواع تتلخص فى ثلاث[٢١] :

١ ــ النفوس الشريرة بطبعها ، التى لا يكمن فيها وازع ولا ضمير ، ولا تريد بحال من الأحوال أن تحترم إنسانية الآخرين من البشر ، ولا ممتلكاتهم ولا أعراضهم ولامقدساتهم ولا آمالهم فى الأمن والرفاهية ــ واليهود ليسوا من هذا القسم .

٢ ــ النفوس المنحرفة ، أى أن نزعات العدوان عند هذه الطائفة من المجرمين ليست طبيعة متأصلة فى عجينة الشخصية ، ولكنها جاءت من المحيط الخارجى .

واليهود ليسوا من تلك الطائفة أيضا . وبروز كثير من مفكريهم على مر العصور الذين يريدون بإخلاص أن يسهموا فى سعادة الإنسان دليل آخر على ضعف دور الانحراف فى سبك الشخصية اليهودية .

٣ ــ النفوس المريضة ، وفى هذه الحالة نجد أن الشخصية الإجرامية تتمثل نتيجة لسلسلة من الإصابات العميقة ، وتحمل اضطرابا فى الشخصية سببها وراثة ثقيلة من أمراض الأسلاف ، ثم حالة من الصحة النفسية والاجتماعية تأبى الانخراط فى الحياة العادية للمجتمع الإنسانى .

والشخصية الإسرائيلية ــ فى رأى الدكتور حسن ظاظا ــ من هذا النوع الثالث ، وقد استفحل مرضها ، حتى وصل فى بعض الأحيان إلى الجنون المطبق ، بسبب أفواج المتطرفين والحمقى والمصابين بالهستيريا والهلوسة وجنون العظمة وأحلام اليقظة وأزمات الاكتئاب واليأس والبكاء ، تولوا مقاليد هذه الجماعة ومقدراتها ، قديما وحديثا ؛ فكانت نتيجة كل ذلك الصهيونية .

فالصهيونية ــ فكرا وسلوكا وتطبيقا ــ موبوءة بالتعصب العنصرى والتعصب الدينى ، وعقدة الشعور بالاضطهاد ، والفزع من اللاسامية ، كما أنها مصابة بأورام انتقلت عدواها إليهم من طغاة كثيرين فتكوا بالإسرائيليين ، وتفننوا فى التنكيل بهم ، وكان من أواخر ذلك البوجروم (مذبحة منظمة ضد اليهود فى أوديسا عام ١٨٧١م)

---

(٢٠) المرجع السابق ، ص ٨ ــ ٩ .

(٢١) انظر : د. حسن ظاظا ، «الشخصية الإسرائيلية» ، عالم الفكر ــ الكويت ــ المجلد العاشر ــ العدد الرابع ــ يناير ــ مارس ــ ١٩٨٠م ، ص ٥٩ ــ ٦٠ .

واللاسامية الهتلرية ؛ فراح الغلاة من الصهاينة يقلدون أولئك السفاحين .

والعلاج من هذه المجموعة من الأمراض ، ماكان منها وراثيا ، وما أخذ بالعدوى ، وماتحوصل فى ثنايا الشخصية الإسرائيلية فى الظروف التى شاء اليهود أن يعيشوا فيها أو التى أجبروا عليها ، لابد أن يكون طويلا يحتاج إلى صدق نية منهم فى الشفاء ، وإلى نظرة إنسانية شاملة من جميع النفوس المحبة للخير . وهى تجربة ليست بالسهلة ؛ فمن السمات المميزة للشخصية الإسرائيلية العناد والإسراع إلى الارتداد عن طريق الخير . ووصفهم فى التوراة بأنهم شعب صلب الرقبة أبعد الناس عن الطاعة وعن لين الجانب (الخروج ٣٢ : ٩ و ٢٣ : ٣، ٥ و ٣٤ : ٩ التثنية ٩ : ٦ ، ١٣) ، كما أكثَرَ أنبياؤهم الشكوى من كفرهم وعنادهم وقسوتهم[٢٢] .

وقد حاول مفكرون من عظماء اليهود على مر الأجيال أن يعالجوا الأمة المريضة من دائها القديم فلم ينجحوا . من أمثال : موسى بن ميمون ، موسى مندلسون[٢٣] .

ويتساءل الدكتور حسن ظاظا ، هل هناك من حل ؟

ويجيب أن بداية الحل فى استئصال أسباب المرض . وهذه الأسباب تحوصلت فى العصر الحديث فى الصهيونية . ولابد أن يقوم من الإسرائيليين أنفسهم فريق واع بحقائق الأمور ، مدرك خطورة المرض المستبد باليهود ؛ فيتعاون مع كل ذوى النفوس السليمة فى العالم على الوصول إلى الشفاء .

هذا فضلا عن أن بقاء الشخصية الإسرائيلية حافظة لفضائلها متخلصة من رذائلها ، آمنة من شبح الانهيار الكبير الذى تعرضت له أكثر من مرة فى التاريخ يتوقف على صدق النية فى السلام .

أما الاغتصاب ، والتهديد بالقوة والعدوان المتكرر المستمر فإنه يطيل الداء ، ويبعد الشفاء .

ومما لاشك فيه أن العالم العربى لن يرضخ للجوار الدائم بجانب مريض ، لاسيما إذا كان مرضه فى الشخصية ، بحيث يضعه على حافة الجنون . ولن يكون لليهود أمل فى الخلاص ، الذى يعتبر ركنا من أركان الدين عندهم إلا إذا تخلصوا كذلك من المفسدين المعربدين الذى يوجدون فى قياداتهم وزعاماتهم[٢٤] .

٤ ـ أحقية المسلمين فى القدس :

٤/١ منزلة القدس عند المسلمين :

للمسلمين مجموعة من الارتباطات الوثيقة ، والحقوق والعلاقات الوطيدة بالقدس :

١ ـ الارتباط العقدى :[٢٥]

أ ـ حادثة الإسراء والمعراج فقد أسرى بسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المسجد الحرام

---

(٢٢) انظر : د. حسن ظاظا ، مرجع سابق ، ص ٦٠ .

(٢٣) انظر : المرجع سابق ، ص ٦١ .

(٢٤) انظر : المرجع السابق ، ص ٦٢

(٢٥) لمزيد من التفاصيل راجع بيان الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر «فى شأن القدس» ، د. أحمد عمر هاشم ، «الإسلام والقدس» بحث مقدم لندوة «القدس : ماضيها ومستقبلها» ـ جامعة الأزهر ـ ١٢/١٠/١٩٩٥م .

ـ د. محمود حمدى زقزوق «المسجد الأقصى فى الكتاب والسنة» بحث مقدم لندوة «القدس : ماضيها ومستقبلها» ـ جامعة الأزهر ـ ١٢/١٠/١٩٩٥م .

بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى المبارك بمدينة القدس . يقول الحق ـ تبارك وتعالى :

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ سورة الإسراء

ب ـ القدس «أرض المحشر والمنشر» ستكون مدينة القدس أرضا للمحشر والمنشر يوم القيامة ففيها يجمع الناس ، وفيها يعرضون للحساب .

عن ميمونة مولاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالت : قلت : «يارسول الله ، أفتنا فى بيت المقدس ؟ قال : أرض المحشر والمنشر ، ائتوه فصلوا فيه ؛ فإن الصلاة فيه كألف صلاة فى غيره» رواه مسلم .

٢ ـ الارتباط التعبدى[٢٦] :

يتمثل ذلك فيما يلى :

١ ـ استقبل المسلمون بيت المقدس فى صلواتهم مدة ستة عشر شهرا ، وذلك من بدء مشروعية الصلاة حتى نزول قوله تعالى :

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾

[سورة البقرة : الآية ١٤٤]

فأصبحت قبلة المسلمين المسجد الحرام ، لذا اعتبرت مدينة القدس أولى القبلتين .

٢ ـ حث رسول الله ﷺ على زيارة المسجد الأقصى بقصد العبادة وربطه بالمسجد الحرام بمكة المكرمة وبالمسجد النبوى فى المدينة المنورة .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى» رواه البخارى وأحمد ومسلم .

٣ ـ إن المقيم فى مدينة القدس له ثواب المرابطة فى سبيل الله .

الحديث الشريف : «لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين ، لعدوهم قاهرين ، لايضرهم من خالفهم وما أصابهم من لأواء ، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك . قالوا : يارسول الله : وأين هم ؟ قال : ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس» رواه أحمد .

الارتباط الحضارى والثقافى[٢٧] :

١ ـ البناء الفريد لكل من المسجد الأقصى المعقود ، مسجد قبة الصخرة المشرفة بالإضافة إلى السبل (الأسبلة) ، والآبار فى مساحة المسجد الأقصى علما بأن جميع المنطقة ـ والتى تبلغ مساحتها (١٤٤) دونما ـ تعتبر كلها المسجد الأقصى المبارك .

٢ ـ وجود مئات العقارات الوقفية والأثرية التى تعود إلى العصور الصلاحية والمملوكية والتركية ، حول المسجد الأقصى وفى البلدة القديمة .

٣ ـ وجود العشرات من المساجد فى البلدة القديمة من مدينة القدس شيدت فى عصور متعاقبة ، ويعود بعضها إلى العهد العمرى .

---

(٢٦) عكرمة صبرى ، مرجع سابق ، ص ٦ .

(٢٧) المرجع السابق .

٤ ـ إنشاء مئات المدارس والمعاهد والكليات والمكتبات ودور القرآن الكريم ودور الحديث الشريف والزوايا والأربطة والتكايا حول المسجد الأقصى المبارك وفى البلد القديمة منذ العهد الصلاحى وحتى يومنا هذا .

الارتباط السياسى :

ويتمثل ذلك فى أمرين :

١ ـ العهدة العمرية التى وقعت عام ١٥هـ/٦٣٧م، وذلك بعد أن تسلم الخليفة الراشد العادل عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ مفاتيح مدينة القدس من بطريك الروم «صفرونيوس» وقتئذ . ولم تكن هناك أى علاقة بين المسلمين واليهود فى مدينة القدس حين الفتح العمرى لهذه المدينة . وتمثل هذه الوثيقة أعدل وأوضح وثيقة سياسية عبر التاريخ .

٢ ـ حكم العرب والمسلمون هذه المدينة منذ الفتح العمرى وحتى ١٩٦٧ ـ حين وقوع المدينة تحت الاحتلال الإسرائيلى ـ حتى هذا اليوم مع الإشارة إلى فترة الحروب الصليبية التى حكم فيها الصليبيون مدينة القدس حتى حررها صلاح الدين منهم .

وتمكن الحكام العرب والمسلمون من تحقيق العدل والاستقرار والأمن والأمان للمسلمين وغيرهم[٢٨] .

٥ ـ الارتباط التاريخى :

اليبوسيون فخذ من أفخاذ القبائل الكنعانية العربية ، قاموا فى حوالى ٣٥٠٠ ق.م بإنشاء أول مدينة لهم على تل الضهور (تل أوفل) ـ يبعد عن الحرم القدسى ١٧٠ مترا ـ ولما كان ملكهم الكبير يدعى «سالم» أو «شالم» والذى يعنى «السلام» أطلقوا عليها اسم «أورشالم» أى مدينة سالم أو مدينة السلام ، حيث «أور» كلمة سومرية تعنى (مدينة) ، وأطلق عليها أحيانا «يبوس» ، وفى نقش مصرى قديم وردت Aurshamen ، وفى التوراة وردت «أورشليم» وذكرها الغرب حديثا Jerusalem ، أى جميعها تحريفات لاسمها الكنعانى العربى «أور ـ سالم» وأطلق عليها «إيلية» عام ١٣٥م الأمبراطور الرومانى هدريان .

أما بيت المقدس فقد ورد ذكره فى حديث «الإسراء» ، و«القدس» غلب بعد العصر الأموى ؟ وأقدم من أطلقه عليها .

وأخيراً «القدس الشريف» الذى أطلقه عليها الشريف يحيى بن سعيد الأنطاقى ، وبهذا اللفظ ذكرها ابن بطوطة ، وهذه التسمية تبناها العثمانيون . وفضلها الملك الحسن الثانى ـ ملك المغرب ـ عندما أسندت إليه رئاسة لجنة القدس الشريف بنعت نفسه بصفة «خادم القدس الشريف»[٢٩] .

٤/٢ الظروف الدولية والإقليمية التى ساعدت إسرائيل على تهويد القدس :

فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ظهرت كل من أمريكا والاتحاد السوفيتى كقوتين عظميين ، وأنشئت منظمة الأمم المتحدة والمؤسسات التابعة لها ، ويمكن تقسيم الوضع الدولى بعد الحرب

---

(٢٨) عكرمة صبرى ، مرجع سابق ، ص ٧

(٢٩) حسن أحمد عمر ، على هامش احتفالات الدولة العبرية بـ«أورشليم ٣٠٠٠ سنة» ، الحياة ١٠/١٠/١٩٩٥م . وانظر أيضا بيت المقدس والمسجد الأقصى ، تصنيف محمد حسن شراب .

الثانية إلى مرحلتين .

الأولى : استمرت ربع قرن ، ويمكن رصد أهم الظواهر السياسية فى هذه المرحلة :

١ ـ اتفاق القوتين العظميين وتواطئهما على قيام الدولـة اليهوديـة فى فلسطين وتأمينها من قبلهما .

٢ ـ تقسيم باكستان التى استقلت عن الهند إلى باكستان الشرقية (بنجلادش) وباكستان الغربيـة (باكستـان الحالى) ، وهنـاك محاولات لقوى دولية وإقليمية لفصل إقليم السند وعاصمته كراتشى عن باكستان .

٣ ـ دخول العرب أربعة حروب مع إسرائيل (١٩٤٨م ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧م ، ١٩٧٣م) .

الثانية : وتبدأ من حرب أكتوبر ١٩٧٣م وحتى نهاية القرن العشرين ، ويمكن رصد أهم الظواهر السياسية على النحو التالى :

١ ـ استغـلال الخلاف المذهبـى والعـرقى والحدودى بين العراق وإيران ، وإشعال فتيل الحرب بين إيران والعـراق ؛ لتبديـد مواردهما البشرية والمالية ، ولسهولة السيطرة على منابع البترول فى الخليج العربى ، ومنع أى قوة إقليمية من السيطرة عليه كإيران والعراق .

٢ ـ الإيحاء للعـراق بغـزو الكـويت ، واستخـدام ذلك كذريعـة لتـدمير الإمكانـات والقدرات العسكرية والاقتصادية للعراق .

٣ ـ منع جبهة الإنقاذ الجزائرية من الوصول إلى الحكم فى الجزائر ، وإشعال فتيل حرب أهلية ، وإثارة النعرات العرقية بين العرب والبربر ، وإيجاد ذريعة لتدخل القوى الغربية فى الصراع .

٤ ـ السيطرة على منابع البترول ، والتحكم فى الأرصدة (البترودولارية) وإعادة إقراضها للعالم الإسلامى .

٥ ـ العمـــل على محاكاة وتقليـــد النمط الاستهلاكى التبذيرى الغربى لامتصاص الفوائض المالية وتدويرها مرة أخرى للاقتصاد الغربى ، والتـى تضمـن السيطـرة للشركات المتعـــددة الجنسية ، والمصارف الدولية .

٦ ـ إبراز مفهوم الشرق الأوسط (المتعدد الثقافـات والأعـراف) بدلا من مفهـوم العـالم الإسلامى المتعدد الأعراف (العرب ، الأتراك ، الإيرانيون ، الأفغان ،..) وذو الثقافة الواحدة والحضارة الواحدة التى تستمـد جوهرهـا من الإسلام .

٧ ـ العمل على إنشاء سوق شرق أوسطية تهيمن عليه إسرائيل والشركات دولية النشاط بدلا من سوق عربية أو إسلامية ، وإنهاء المقاطعة لإسرائيل قبل حل المشكلة الفلسطينية .

٧ ـ الربط بين الإسلام والإرهاب ، وإظهار المسلمين والعرب فى وسـائـل الإعـلام بصورة مشوهة ، ووضع بعض الدول العربية والإسلامية على قائمة الدول الراعية للإرهاب والمبالغة فى ذلك لأسباب استراتيجية ، وتبرير الاعتداء على تلك الدول أو فرض حصار اقتصادى عليها كإيران ، وسوريا ، وليبيا .. وغيرها .

٩ ـ رفض إسرائيل التوقيع على اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية ، وفى نفس الوقت تدمير القوة العسكرية العراقية ، ومنع أى دولة عربية أو إسلامية من الحصول على تكنولوجيا متقدمة ، ومنع المعونة عن باكستان لامتلاكها مقومات صنع أسلحة نووية .

١٠ – إخضاع الاقتصاد العالمى لسيطرة المؤسسات الدولية الثلاث (صندوق النقد الدولى ، البنك الدولى للإنشاء والتعمير ، ومنظمة التجارة الدولية) وفرض النموذج الغربى على العالم ، دون الالتفات إلى التوترات الاجتماعية والمشاكل المترتبة على النموذج الغربى من تلوث البيئة ، البطالة والبؤس والفقر . وسيطرة المؤسسات اليهودية على الاقتصاد العالمى ، وكذلك على وسائل الاعلام .

١١ – تفكك وانهيار الاتحاد السوفيتى ، وتكون كمنولث من الجمهوريات الاتحادية ، وظهور ست دول ذات أغلبية إسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز ، فضلا عن المسلمين فى روسيا الاتحادية . وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية فى تسيير شئون العالم .

وباختصار فإن أوضاع العالم الإسلامى والعربى وخصوصا بعد حرب الخليج الثانية والتى غزت فيها العراق الكويت ولَّدت كمًّا من الانشقاقات والانقسامات مما شجع على :

* اتخاذ قرارات بمصادرة بعض أراضى القدس ، وقرار نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس .

* وفشل الدول العربية فى إجبار إسرائيل فى التوقيع على تجديد اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية .

وبالرغم من أن هناك إجماعا من الدول الأعضاء فى جامعة الدول العربية ، ومنظمة المؤتمر الإسلامى على رفض قرارات إسرائيل بجعل القدس عاصمة أبدية لإسرائيل إلا أن فاعلية الدول العربية والإسلامية مازالت محدودة . والتاريخ يحدثنا عن كيف ضاعت القدس من يد المسلمين ، وكيف أعادها صلاح الدين الأيوبى .

٤/٣ الخبرة التاريخية بشأن القدس :

فى مرات نادرة فى التاريخ ، فقدت القدس هويتها ، وضاعت شخصيتها تحت ضغط القوة الغاشمة ، وتخيل المعتدى أنه صنع لها كيانا جديدا ، لكن القدس استمرت ترفض ، واستمر الجسم العربى والإسلامى يرفض من حولها حتى عادت إليها روحها .

فى الحروب الصليبية أبرمت معاهدات أملتها الظروف السياسية والتقلبات العسكرية ، فضاعت معها القدس وفقدت هويتها ، لكن العوامل الحقيقية والتيارات الواقعية التى تحرك التاريخ وتقود الشعوب وتصوغ الأجيال مزقت تلك المعاهدات والاتفاقات ، وخرجت القدس من خلالها عربية الوجه ، إسلامية الروح ؛ لتمارس دورها الإنسانى العالمى (أور سالم) مدينة السلام .

ومن خداع النفس أن تتصور إسرائيل أنها قادرة على فرض الاغتصاب على القدس بقرار يصدر من برلمانها بضم القدس أو إحاطته القدس كما تفعل اليوم بسوار واسع من القلاع والمستوطنات والحصون ، وإرهاب أهلها العرب من مسلمين ونصارى والتضييق عليهم ؛ ليهاجروا من القدس ويتركوا فراغا يملؤه الصهاينة المحتلون الوافدون من كل قطر[٣٠] .

---

(٣٠) كلمة كامل الشريف فى ندوة «القدس مدينة السلام» ص ٣ – ٤

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها فضيلة الشيخ : السيد العراقى

السؤال من العاملين بشركة أسمنت حلوان عنهم : صلاح سليم ، يقول فيه : نرجو الإفادة عن الآتى :

١ ـ زكاة الأسهم ، هل تدفع عن القيمة التى تم الشراء بها . أم تدفع عن القيمة السوقية الحالية لها ؟ أم تدفع عن صافى أرباحها ؟ وهل السيارة الخاصة عليها زكاة وما مقدارها ؟

والأرض الفضاء الخاصة بالبناء هل يستحق عنها زكاة بقصد التجارة والسكن . وهل تدفع الزكاة عن قيمة الشراء أم السوقية الحالية وما مقدارها وما الحكم ؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فنفيد عن السؤال الأول : بأن أسهم الشركات هى التى يشتريها الناس لتكون قيمتها مجتمعة :

رأس مال الشركة ، ويوزع على المساهمين فيها ، وما يخص كلا من ربح أو خسارة ، كشركة الحديد والصلب مثلا ، فإن كان القصد من شرائها هو الاتجار فيها ، أى عرضها للبيع كأية سلعة تعرض للبيع والشراء ، أو كانت الشركة تجارية ، وجبت فيها الزكاة كسائر أنواع التجارة ، والتجارة فيها زكاة كما ذهب إليه جمهور العلماء والفقهاء مستأنسين بحديث أبى داود والبيهقى عن سمرة بن جندب قال : إن النبى ﷺ كان يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذى نعده للبيع ، كنت أبيع الأدم والجعاب ، فمر بى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : أد صدقة مالك فقلت : ياأمير المؤمنين إنما هى الأدم قال : قومه ثم أخرج صدقته

والأدم : الجلد - والجعاب : الأوعية التى يوضع فيها النبل ، وعلى هذا تقوم هذه الأسهم وحصة الشركة ويضم إليها ما حصل من أرباح ، فإن بلغت نصابا بعد تمام الحول أخرج منها ربع العشر (٢,٥ ٪) .

أما إذا قصد من شرائها أن يعيش على ريعها فإن أمكنه أن يعرف مقدار ما يخص السهم من الموجودات الزكوية للشركة ، فإنه يخرج زكاة أسهمه بنسبة ربع العشر ، وإن لم يعرف فأكثر الآراء على ضم الريع إلى سائر أمواله من حيث النصاب والحول ويخرج منها ربع العشر .

وخلاصة القول :

أن زكاة الأسهم تدفع عن القيمة السوقية الحالية لها ، مضافا إليها صافى أرباحها متى بلغ ذلك نصاب الزكاة ومر عليه الحول .

وعن السؤال الثانى والثالث : المنصوص فقهاً أن دور السكنى لا تجب فيها زكاة ، والأراضى المعدة للبناء ، وليست للتجارة تلحق بدور السكنى فلا تجب فيها أيضاً الزكاة ، لأنها أرض غير منتجة ، فلا هى أرض زراعية تجب فيها زكاة الزروع - ولا هى مبنية فتستغل بالاستئجار .

وكذلك السيارات الخاصة ، فإن كانت هذه الأرض الفضاء المقصود منها التجارة واستوفت شروط الزكاة فإنها تقومُ فى آخر كل عام ويخرج عنها الزكاة ومقدارها ربع العشر (٢,٥ ٪) .

وقد نص فى (كتاب الدر المختار على متن تنوير الأبصار) الجزء الثانى (فى الزكاة ص ١٨ ، ١٩) ما نصه : والأصل أن ما عدا الحجرين (الذهب والفضة) والسوائم ؛ إنما يزكى بنية التجارة وشرط أن تكون النية مقارنة لعقد التجارة ، ولو نوى التجارة بعد العقد أو اشترى شيئاً للقنية ناويا إن وجد ربحا باعه لا زكاة عليه . ومن هنا يعلم أنه لا زكاة فى السيارات الخاصة التى يستعملها أصحابها فى تنقلاتهم ولا تدر عليهم دخلاً ؟ . والله تعالى أعلم .

وبعث السيد س . ع . ب بالسؤال التالى :

طلبت امرأة من زوجها الطلاق ، وهى فى حالة غضب ، فقال لها الزوج : أنت طالق . وكان الرجل فى حالة غضب هو الآخر ، وكانت المرأة حائضا عندما طلبت منه الطلاق ، فهل يقع الطلاق أم . لا .

الجـــــــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين : سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فنفيد بأنه إذا صدرت صيغة الطلاق المذكورة من هذا الرجل وهو غضبان غضبا شديدا بحيث أصبح لا يعى ما يقول وقته أصلا . وأصبح يغلب الخلل فى أقواله وأفعاله لم يقع بهذه الصيغة طلاق لعدم أهلية الزوج للإيقاع فى هذه الحالة .

أما إذا لم يصل به الغضب إلى الحالة المذكورة وقع بالصيغة المذكورة طلقة واحدة رجعية ، فإن لم يسبق ذلك طلقتان فله مراجعة زوجته مادامت فى العدة ، فإذا انتهت عدتها منه حلت له بعقد ومهر جديدين وبإذنها ورضاها . ولا عبرة بكونها كانت حائضاً أثناء تلفظ الزوج بالطلاق واللجنة تنصح الزوجين بالحضور إلى مقر اللجنة وعرض الموضوع عليها حتى يتسنى للجنة معرفة الحقيقة هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال ، والله تعالى أعلم .

وسأل السيـد / محمـد شرف الديــن ـ دمنهور .

ما الحكم الأرجح فى الدين بالنسبة لموضوع الموسيقى (ليس الغناء) حيث إنى أحب الاستماع إلى الموسيقى وخصوصا (الكلاسيكية ، ولكنى سمعت مؤخرا أنها حرام ، ولما حاولت الاطلاع والبحث عن ذلك بنفسى وجدت كل الفتاوى تنصب على الغناء فقط .

وقرأت أيضاً أن كل الأحـاديث فى هذا الموضوع أحاديث ضعيفة .

ما حكم الاستماع ، والعزف ، والتعلم ؟

الجـــــــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فنفيد بأن موضوع الموسيقى والغناء كثر الحديث فيه والخلاف فى حكمه ، وتفصيل القول فيه لا يتسع له المجال هنا وسنكتفى بما جاء فى فتوى دار الإفتاء المصرية فى ١٢ أغسطس لسنة ١٩٨٠ م حيث لخص المفتى الحكم فى هاتين الفقرتين :

ا ـ الضرب بالدف وغيره من الآلات مباح باتفاق فى أمور معينة .

ب ـ سماع الموسيقى وحضور مجالسها وتعلمها أيا كانت آلاتها من المباحات ، ما لم تكن محركة للغرائز باعثة على الهوى والغواية والغزل والمجون ، مقترنة بالخمر والرقص والعشق والفجور ، أو اتخذت وسيلة للمحرمات ، أو أوقعت فى المنكرات أو ألهت عن الواجبات . فكل ما يلهى عن ذكر الله محرم شرعاً .

نقل القرطبى قول القشيرى : ضُرِبَ بين يدى النبى ﷺ يوم دخل المدينة .

كما يدل على الإباحة قول الله ـ عز وجل :

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝١١﴾

الجمعة ـ ١١

والله الهادى إلى سواء السبيل والله أعلم .

الشعر والشعراء

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

إن من الشعر لحكمة

تلك الحكمة هى خلاصة البيان وثمرته ، وقديما كان لدى العرب سلاحان ، هما : السيف والشعر ، وكان الجدال بالشعر من أمضى الأسلحة . ولقد كان الرسول ﷺ لا يقول الشعر ، ولا ينبغى له ﷺ مصداقاً لقوله ـ تعالى :

﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾ **يس / ٦٩**

إلا أنه ﷺ كان ينفعل لجيد الشعر ، وينشرح له ، وكان ﷺ يعجبه قول لبيد :

ألا كل شىء ما خلا الله باطـــــل وكل نعيم لا محالــــة زائـــــل

وقد استخدم ﷺ سلاح الشعر فى معركته مع مشركى قريش ، حينما كانوا يهجون الإسلام والمسلمين ، فيأمر حسان بن ثابت بالرد عليهم ، وقد روت كتب التاريخ الإسلامى من ذلك صولات مع شعرائهم ، مما يدل على منزلة الشعر الكبيرة منذ القدم .

ولقد عاشت روائع المعلقات وغيرها من الشعر الجاهلى غير الوثنى ، وفى مقدمة ذلك : الحكمة على لسان المسلمين ، فلم يهملوها ، وهذا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كان معجبا بشعر زهير ، إذ كان له حكم رائعات . وهذه نماذج من هذا الشعر الرصين والمعبر :

زهير بن أبى سلمى

زهير بن أبى سلمى المزنى المصرى من فحول الشعراء الجاهليين ، وأعفهم قولاً ، وأكثرهم تهذيباً لشعره ، امتاز شعره بكثرة الحكم والأمثال وتعد معلقته من روائع المعلقات وأنبلها غرضاً ، إذ كان موضوعها : الدعوة إلى السلم والتنفير من الحرب . مدح فيها : هرم بن سنان ، والحارث بن عوف ، لسعيها فى الصلح وتحملهما الديات فى حرب داحس والغبراء[١] .

(١) الحياة الأدبية فى عصرى الجاهلية وصدر الإسلام ، للدكتورين / محمد عبدالمنعم خفاجى ، وصلاح الدين عبد التواب (طبعة مكتبة الكليات الأزهرية) ص ١٦٠ وما بعدها بتصرف .

وقد جاء فيها :

١ ـ واعلم علم اليوم والأمس قبله ... ولكننى عن علم ما فى غدٍ عمى .
٢ ـ ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره[2] ومن لا يتق الشتم يشتم
٣ ـ ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم
٤ ـ ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه ... إلى مطمئن البر لا يتجمجم
٥ ـ ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... وإن يرق أسباب السماء بسلم
٦ ـ ومهما يكن عند امرىء من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم

• • •

حسّان بن ثابت

ويعتبر حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ من المخضرمين ، وله قدم ثابتة فى ميدان هذا الفن الرفيع ، وهذه صورة من قريضه بعد ما جاء الإسلام ، وطبع الإسلام بتعاليمه السمحة وجه الحياة العربية ، وجاوز حمية الجاهلية إلى التعبير عن روح الإسلام وعقيدته وهديه ، ومن ثم كان للشعر دوره فى صدر الإسلام فى الدفاع عن الإسلام وبيان محامده ، وقد ورد أن الرسول ﷺ كان يأمر حساناً أن يرد على خصوم الإسلام ؛ فحين وفد على رسول الله ﷺ وفد بنى تميم ـ بعد فتح مكة ـ ودخلوا المسجد ، وقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرك فائذن لشاعرنا وخطيبنا ، فأذن لخطيبهم ، فقام « عطارد بن حاجب بن زرارة » فأمر رسول الله ﷺ « قيس بن ثابت » فرد عليه ، ثم قام شاعرهم « الزبرقان بن بدر » فقال :

نحن الكرام فلاحىّ يعادلنا ... منا الملوك وفينا يقسم الربع
ونحن نطعم عند القحط مطعمنا ... من الشواء إذا لم يؤنس الجزع
ثم ترى الناس تأتينا سراتهم ... من كل أرض هوياً ثم نصطنع

فلما فرغ «الزبرقان» أمر الرسول ﷺ «حسان بن ثابت» بالرد عليه ، فقال مرتجلا :

إن الذوائب من فهر وأخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى لها كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيه غير محدثة ... إن الخلائق فاعلم شرها البدع

فلما فرغ «حسان» من قصيدته ، قال «الأقرع بن حابس» أحد رجال الوفد[3] :

---

(٢) يفره : يصونه

(٣) المرجع السابق ص ٣٠٨ .

والله إن هذا الرجل (يعنى سيدنا محمد ﷺ) لمؤتى له ـ أى مسهل له فى أمره ـ لخطيبة أخطب من خطيبنا ، وشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا .. ثم أسلموا .

مع الشيخ أبى مدين

يعتبر الشيخ أبو مدين من علماء القرن السادس الهجرى ، ولد فى مدينة فاس بالمغرب ، ونشأ بها ، ونهل من معين علمائها وفقهائها ، كالشيخ : أبى الحسن بن حرزهم ، والشيخ : أبى عبد الله الدقاق ، تثقف «أبو مدين» فى العلم والفقه حتى أصبح عالما فقيها زاهدا نابها .

يقول مؤرخه الشيخ / عبدالحليم محمود[٤] : استقر فى (بجاية) ـ بالمغرب ـ ناسكاً نسكاً شديداً ، وسرعان ما اشتهر بولايته وعلمه ، وهرع إليه الناس من أقصى البلاد يسألونه ويأخذون عنه .. ، وكما كان أبو مدين عالما : محدثا وفقيها ، فإنه كان شاعراً ، وشعره شعر جميل فى اللفظ والتركيب ، ذو ثراء فى المعانى ، فهو شعر مستكمل النفاسة لفظاً ومعنى ، وقد تخيرنا من شعره هذه الأبيات :

إليك مددت الكفّ

إلـــيك مددت الكـــــف فى كل شدة ... ومنك وجدت اللطـــف فى كل نائب

وأنت ملاذى والأنام بمعـــــــزل ... وهـل مستحيـــلٌ فى الرجـــاء كواجب

فحقــق رجـــائى فيك يارب واكفنـــى ... شمات عَدُوٍ أو إساءة صاحب

فكــم كربــة تنجنـــى من غمارهـــا ... وكانت شجـــى بين الحشا والتــرائب

فلا قوّة عنــــدى ولا لى حيلـــــة ... سوى أن فقــرى للجميــــل المواهب

فيا ملجـــأ للمضطـــرّ عنـــد دعائـــه ... أغثنـــى فقـــد سُدّت على مذاهبـــى

رجـــاؤك رأس المال عنـــــدى وربحه ... وزهـدى فى المخلوق أزكى مكاسبـــى

ويـــا محسنـــاً فيمـــا مضى أنت قادر ... على اللطـف بى فى حالــه والعـــواقب

---

(٤) أبو مدين الغوث ـ دار المعارف ـ ط ٢ ـ ص ٥٣ وما بعدها بتصرف .

وإنى لأرجــــو منك ما أنت أهلــــه وإن كنت خطَّـــاءً كثير المعــــائب
وصَلِّ على المختـــــار من آل هاشم شفيع الورى عند اشتداد النـــوائب

• • •

غياثُ الورى

يامن يغيث الورى من بعد ما قنطوا ارْحَمْ عبيداً أكف الفقر قد بسطوا
واستنزلــوا جودك المعهــودَ فاسقهــمُ رَيًّــا يُريهُــمْ رضا لم يثنــه سَخَـــطُ
وعامل الكل بالفضل الــذى ألفــوا يا عادلًا لايرى فى حكمــه شطـــط
إن البهائم أضحــى التــرب مرتعهـــا والطير تغـدو من الحصبــاء تلتَقِــطُ
والأرض من حلــة الأزهـــار عاريـــة كأنها ما تحلت بالنبـــــــات قطُ
وأنت أكـــــــرمُ مفضال تمدُّ له أيدى العصاة وإن جاروا وإن قسطوا
ناجـــوك واللَيـــلُ حلَّاه بهاءُ سنـــا كما يحلي سواد اللمُــة الشَّــمَـــطُ(*)
فشاربٌ بذنـــوب الـــذنب غَصٌّ به وآخــرون كما أخبرتنـــا خلطُـــوا
ومُنَعَّمٌ فى لذيــذ العــيش وهــو يرى فى سلك من هو حول العرش ينخرط
ومُلحِــدٌ يدَّعـــى ربًّـــا سِوَاك له حيران فى شَرَكِ الإشراكِ يختبـــط
كل ينــال من المقــدور قسمتَـــهُ قوم ترقَّوْا وقــوم فى الهوى سقَطُــوا
حُكــمٌ من الله عدلٌ فى بريتـــه فرض علينـــا له الــتسليم مشتـــرَطُ
ومــن تصدى لحكــم الله معتـــرضاً فقــد تصدى له الخذلان والغلـــط
وما ذنوب الــورى فى جنب رحمتــه وهـل يقاسُ بفيض الأبحر النقـــط ؟!
فما لنــا ملجــأ غير الكــريم ومــن يَلْقى على الحوض وهـو السابق الفَرطُ
ذاك الــرسول الــذى كل الأنــام به يوم القيامــــة مسرورٌ ومغتبـــط
صلِّ عليـــه صلاة لا نفـــاد لها مَنْ اسْمُــهُ باسمه فى الذكــر مرتبـط

• • •

(*) اللِمَّة : شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .
الشَمَطُ : الشعر الأبيض .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أرجى الآيات القرآنية

قال سيدنا أبوبكر – رضى الله عنه – تلوت القرآن كله ، فما رأيت أرجى آية من قوله – تعالى ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾ سورة الإسراء ٨٤

لأن شاكلة العبد : المعصية وشاكلة الرب : الرحمة .

وقال سيدنا عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – : قرأت كتاب الله كله ، فلم أجد آية أرجى من قوله – تعالى :

﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ سورة غافر ٣

وقال سيدنا عثمان – رضى الله عنه – قرأت القرآن كله فلم أجد آية أرجى من قوله – تعالى :

﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

وقال سيدنا على بن أبى طالب – رضى الله عنه – لم أجد آية أرجى من قوله – تعالى :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

لا شىء معى أزهده

قيل – لابن المبارك ، العالم العابد – يازاهد ! فأنكر ذلك على قائله ، وقال : أنا زاهد ؟ وفيما زهدت ، ولا شىء معى أزهد فيه ؟! فالزاهد هو : عمر بن عبد العزيز ، جاءته الدنيا راغمة ، فأعطاها ظهره وزهد فيها .

إن استطعت

قال عمر بن عبد العزيز – رضى الله عنه – : إن استطعت فكن عالما ، فإن لم تستطع فكن متعلماً ، فإن لم تستطع فَأَحِبَّهُمْ (أى العلماء) ، فإن لم تستطع فلا تبغضهم .

لا نهاية .. ولا غاية

قال سيدنا عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – يحتلم الغلام لأربع عشرة ، وينتهى طوله لإحدى وعشرين ، وعقله لسبع وعشرين ، إلا التجارب ، فلا غاية لها ولا نهاية .

حسدنى عليك

بعث عبد الملك بن مروان عامر الشعبى إلى الروم سفيرا ، وكان الشعبى عالما وربما كان فريد دهره ، فأدخلوه على ملكهم من باب ضيق ؛ حتى ينحنى عند الدخول ، لكنه تقدم للملك رافع الرأس .

ولما رأى صاحب الروم كمال عقله وحسن جوابه وخطابه ، قال له : أمن بيت الخلافة أنت ؟ قال : لا ، أنا رجل من العرب .

فكتب ملك الروم إلى عبد الملك ، عجبت من قوم عندهم مثل هذا الرجل وَوَلَّوْا غيره !!

وعند قراءة عبد الملك جواب صاحب الروم ، التفت إلى الشعبى ، وقال له : حسدنى عليك وأراد أن أقتلك .

على الثمانين عاما

أبدع الشاعر فى إشارته إلى عصاه التى يتوكأ عليها ، وهو فى الثمانين من عمره حين قال :

كأنها وهى فى كفى أَهُش بها
على الثمانين عاما لا على غنمى

حقيقة

يصاب الفتى من عثرة بلسانه
وليس يصاب المرء من عثرة الرجْلِ
فعثرتــه بالقــول تُذهب رأسه
وعثرتـه بالرجـل تبرأ على مَهْـلِ

صاحبة الضفيرة

قال أبو قدامة الشامى :

كنت أميرا على قوم ، فدعوت الناس إلى الجهاد ، فجاءت امرأة بورقة وصُرَّة ، فإذا فى الورقة : إنك دعوتنا للجهاد ، ولا قدرة لى ، وهذه الصرة فيها ضفيرة شعرى ، فخذها قيدا لفرسك ، لعل الله يرحمنى بذلك .

تعهد الرعية

قال طلحة بن عبيد الله ــ رضى الله عنه : رأيت سيدنا عمر ــ رضى الله عنه ــ يدخل بيتا ، فدخلت ذلك البيت ، فإذا عجوز عمياء مقعدة .

فقلت : ما بال هذا الرجل أتى هنا .

قالت : يتعاهدنى بالشىء من الطعام ويقيم البيت (يكنسه وينظفه) ويخرج الأذى منه .

دعــاء

اللهم إنى أسألك رحمة من عندك ، تهدى بها قلبى ، وتجمع بها شملى ، وتَردُّ بها الفتن عنى ، وتُصلح بها دينى ، وتحفظ بها غائبى ، وترفع بها شاهدى ، وتزكى بها عملى ، وتبيض بها وجهى ، وتُلهمنى بها رشدى ، وتعصمنى بها من كل سوء .

من أعلام الأزهر

الدكتور حسن جاد حسن

عميد كلية اللغة العربية الأسبق

١٣/١/١٩١٤ - ١١/١١/١٩٩٥

بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

فى حفل تأبينه الذى أقيم يوم الثلاثاء ١٨ من شعبان ١٤١٦ هـ الموافق التاسع من يناير ١٩٩٦ ، بالجامعة الأزهرية ، سها الأخ الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فذكر أن هذا اليوم ، يوافق تاريخ ميلاد الدكتور حسن جاد ، بعد مرور اثنين وثمانين عاما عليه ، وحقيقة الأمر ، أن يوم ميلاده هو ١٣ ــ يناير عام ١٩١٤ م، بقرْية (منشاة الجمَّال) التابعة لمركز (دِكِرْنس) بمحافظة (الدقهلية) وتوفى والده وهو فى الخامسة من عمره ، وحفظ القرآن الكريم فى (كُتَّاب القرية) وأحْسن تجويده ، والتحق بمعهد دمياط الدينى عام ١٩٢٦ م ، وكان من زملائه بالمعهد : الشيخ محمد خاطر مفتى الجمهورية ، وبعده التحق بمعهد الزقازيق الثانوى ١٩٣٠ ، زامل فيه الشيخ محمد متولى الشعرواى والدكتور محمد الطيب النجار (مدير جامعة الأزهر الأسبق) ، وقد ذكر فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم ، مدير الجامعة الأزهرية ، فى حفل التأبين أن الدكتور حسن جاد كان الأدب فى قمته ، والشعر فى روعته ، وأنه لابد من دراسة وافية لحياته وأدبه ، حتى يكون لتراثه وأخباره وجود ، ينتفع بها الطلاب والأدباء ، ويكون موضوعا للمسابقات الشعرية والأدبية . وأبدى فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم أسفه ؛ لأن الدكتور حسن جاد لم يطبع له ديوان حتى تاريخ وفاته فى الحادى عشر من نوفمبر ١٩٩٥ ، وأعلن فى الحفل عن كريم استعداده لتبنّى طبع (ديوان حسن جاد) ، بعد تجميعه من شتى المصادر والدوريات الأدبية ، استنقاذاً له من يد الشتات والتبدُّد .

ويُسعدنا أن نُعلن لفضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم ، وكافة زملاء وأصدقاء وتلاميذ الدكتور حسن جاد ، رحمه الله ، ــ من فوق منبر مجلة الأزهر ، الحريصة على تكريم وإحياء ذكرى العلماء ﻫ

والأدبـاء الأعـلام ـ أنَّ الشاعـر حسن جاد قد أصدر ديوانـا له بعنـوان (زورق الأشجان) سنة ١٩٣٤ ، وهو فى السنة الرابعة الثانوية . كما أن الأستاذ محمد عبد الرحمن إبراهيم خضير قد قام عام ١٩٨٤ م بإعداد رسالة ماجستير عن : « الاتجاهات الفنية فى شعر حسن جاد » ، تحت إشراف الدكتور عبد اللطيف خليف ، نائب رئيس جامعة الأزهر حينئذ ، وجعلها من قسمين فى مجلدين منفصلين :

القسم الأول :

قام فيه بجمع شعر الدكتور حسن جاد ، وضبطه وتبويبه ، وذكر أنه آثر أن يكون هذا القسم منفصلا عن قسم الدراسة ، حتى يكون ديوانا مستقلا ، يسهُل الاطلاع عليه ، والانتفاع به . وأفاد من صلته الوطيدة بالدكتور حسن جاد ، فى ذلك الحين ، لإرشاده عن تفاصيل وذكريات مراحل عمره المختلفة ، ومصادر شعره الذى سبق نشره بشتى الدوريات والمناسبات ، وبهذا يكون الباحث محمد خضير قد قدَّم خدمة جليلة للأدب العربى الحديث ، حينما شمَّر عن ساعد الجد ، وقام بتجميع قصائد أستاذه دكتور حسن جاد ، وكاتب هذه السطور يدرك مدى الجهد الذى يتعين بذله فى هذا القصْد النبيل ، بعد ما عانيت من عقبات ، كانت تعترضنى أثناء قيامى بتجميع شعر بعض الأصدقاء ، منهم : الدكتور عزت شندى موسى ، رحمه الله ، وغيره ، وقام كل من المجلس الأعلى للآداب والفنون ، والهيئة المصرية العامة للكتاب ، بطبع ونشر دواوينهم ، على التوالى ، طوال زهاء عشرة أعوام . وهكذا يصبح مُتاَحا أن نظفر بلفتة كريمة من فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ، لتحقيق ما وعد به ، بشأن طبع (ديوان حسن جاد حسن) .

للاحتفاء بصدوره ، وإعداد الدراسات الوافية المستوعبة له ، فى أقرب وقت ممكن .

القسم الثانى من رسالة (الماجستير) سالفة الذكر ، تُمدُّنا بذخيرة من المعلومات القيمة ، عن مراحل حياة الدكتور حسن جاد ، كما قدَّمنا ، مع حصر شامل لمؤلفاته ورسائل الدكتوراه والماجستير التى أشرف عليها ، ومنها رسالة الماجستير التى قام بإعدادها الأستاذ الدكتور على الخطيب ، بعنوان : « وثنية العرب وأثرها فى الأدب الجاهلى » .

وقد قسَّم الباحث الأستاذ محمد خضير رسالته إلى ستة فصول ، بعد المقدمة .

الفصل الأول عن (حسن جاد : قصة حياة) .

الفصل الثانى : عن « شاعرية حسن جاد : عوامل وعوائق » .

والفصل الثالث : (الاتجاهات الموضوعية) ، تناول فيه كل موضوع من موضوعات شعره ، بالدراسة والتحليل ، واستظهار بواعثه النفسية ، ومواطن الجمال الفنية ، مستعينا بالشواهد والأمثلة .

والفصل الرابع عن (الاتجاهات المنهجية) .

والفصل الخامس عن (الاتجاهات الشكلية والمضمونية) .

والفصل السادس والأخير وقد جعل عنوانه : (الشاعر حسن جاد فى ميزان النقد) .

وَاستكمالا للسيرة الذاتية للدكتور حسن جاد ، نذكر أنه التحق بكلية اللغة العربية فى ١٩٣٥ م ، وكان ترتيبه (الثانى) دائما ، وحصل على الشهادة العالية ، وجائزة (الملك فؤاد) عام ١٩٣٩ ، وكانت هذه الجائزة تمنح للأول والثانى فقط ، فى الشهادات العالية واتصل فى هذه الأثناء بكبار الشعراء والأدباء ، وكان يحرص على حضور ندوات (كازينو باب الخلق) الأدبية ، التى كانت تضم نخبة من لداته من الشعراء الشباب ، من أمثال : محمود حسن إسماعيل ، وأحمد فتحى ، وأحمد مخيمر ، والعوضى الوكيل ، ومحمد فهمى عبد اللطيف ، وغيرهم .

كما كان يرتاد ندوات الشعراء : أحمد النرش ، ومحمد الهوارى ، ومحمد الأسمر التى كانت تعقد فى (مقهى الحلمية) وندوة الشيخ حسن القاياتى بعطفة (السكرية) ، عند بوابة المتولى .

وأخذ فى نشر قصائده فى الصحف والمجلات السيارة ، واشترك فى المسابقات الأدبية ، وحصل على كثير من (الميداليات) الذهبية ، وألقى قصائده الفائزة فى دار الأوبرا الملكية .

والتحق فى ١٩٣٩ بقسم الدراسات العليا ، متخصصا فى البلاغة والأدب ، وفى هذا العام اشترك فى (مسابقة الشعر البريطانية) ، التى كانت تقام كل عام من سنوات الحرب العالمية الثانية ، وفاز بالجائزة الأولى عن قصيدته التى اشترك بها فى المسابقة ، وعنوانها (دنيا الغد) ١٩٤٤ ، كما فاز بالجوائز الثلاث الأخرى ، عن قصائده : (أمل الفلاح) ، و (الجامعة العربية) و (نشيد النصر) فى عام ١٩٤٥ .

وكانت لجنة التحكيم مكونة من : الدكتور طه حسين ، والأستاذ العقاد ، والأستاذ الزيات .

* * *

وفى السنوات الأخيرة من دراساته العليا ، كان يلتقى كل ليلة ، فى ندوة تضم الشعراء : عبد الحميد الديب ، ومحمود أبو الوفا ، والدكتور عبد الرحمن عثمان ، فى منزل الأستاذ عبدالحميد قطامش المحامى ، بحى العمرى ، بـ ، (باب الخلق) . وأخيرا ، حصل على شهادة الدكتوراه فى البلاغة والأدب سنة ١٩٤٦ بتقدير (ممتاز) ، ولكن .. بعد شهر من وفاة والدته ، وحز ذلك فى نفسه كثيراً ، لأنه كان يُكنُّ لها أعمق الحب ، بعد تضحياتها الكثيرة التى مكنته من إتمام تعليمه ، برغم ضيق ذات اليد ، وقد وَدَّ ــ كما أخبرنى فى لقاء خاص لى معه بمنزله ــ لو أمْكنه الحصول على هذه الدرجة العلمية ، فى حياتها ، لتقرّ عينا وتطيب خاطرا بذلك ، ولتعويضها ــ بعد الالتحاق بالعمل ــ عن كل ما صنعته معه ، ببيع كافة ما كانت تملك من مُقْتنيات متواضعة ، للإنفاق عليه وعلى دراساته ــ منذ وفاة والده وهو فى الخامسة من عمره ــ وكانت الصدمة التى تلقَّاها بعد وفاتها ، سبباً فى عدم إحساسه بفرحة النجاح ، والحصول على هذه الدرجة العلمية الكبيرة : (الدكتوراه) .

وعين ـ بعد ذلك ـ مدرسا بكلية اللغة العربية ، فى أواخر ١٩٤٦ ، ثم أستاذا مساعدا ١٩٦٤ ، ثم أستاذاً ١٩٦٩ ، ثم رئيسا لقسم الأدب فى ١٩٧٦ ، ثم عميداً للكلية فى ١٩٧٨ . وفى هذا العام ، أو الذى قبله ، حج بيت الله الحرام . وفى ١٩٦٠ / ١٩٦١ أعير للعمل طوال هذا العام الدراسى بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

وعند إنشاء (جامعة الأزهر) الجديدة ، قدَّم لعاهل الكويت ، فى حفل عام ، قصيدة عامرة الأبيات ، حفزت عاهل الكويت إلى التبرع للجامعة البازغة ، بنحو مائتى ألف جنيه ، الأمر الذى حفز الشاعر ، فيما بعد ، إلى قوله فى رثاء أمير الكويت الشيخ (عبد الله السالم الصباح) :

عرف الأزهر الوفىُّ له الفضل ... وقد هزَّ جانبه سماحُه
نفحات له تَوَالى نداها ... عاطراً كالشذا توالى نُفاحه
قدوة أكْبرتْ رسالته الكبرى ... لمن ضاق بالعطاء شِحاحه
إنما المال للغنىِّ امتحانٌ فيه ... خُسْرانه ، وفيه رَبَاحُه

ومن أبياته التى قالها لعاهل الكويت فى أبريل ١٩٦٦ :

هتف البشير به فشاق الأزهرا ... وأطل موكبه السنىُّ فكبَّرا
فى موكب حَرَسَ الجلالُ جماله وشأى ... الثريا وهو يخطر فى الثرى
هذا (الصّباح) مع (الجمال) تلاقيا . ... لله ما أسمى اللقاء وأبهرا
أخوان بالحب الوثيق تبادلا ... عهدا يُصان وذمة لن تُخفرا

وأختتم خريدته ، بقوله :

يا(سالم) الغدوات ميمون السرى ... سلمت خُطاك وطاب وِرْدُك مصدرا
إن العروبة لم تجد من بينكم ... إلا السخىَّ الأريحىَّ الخيِّرا
وإذا ذكرت الأوفياء وعهدهم ... فاذكر على عهد الوفاء الأزهرا

ويبدو لسان صدق ووفاء للأزهر فى قصيدته : (مهرجان الجلاء) التى أنشدها فى احتفال الأزهر بالجلاء ١٩٥٤ بقاعة الإمام محمد عبده ، بحضور الرئيس جمال عبد الناصر وجمع من رجال الثورة والدولة ، اتخذ موقف المنافح عن (الأزهر) بعد ما عانى من الغبن ، بجرأة محمودة تتجلى فى قوله عن الأزهر :

ألَحَّ عليه السُقم من طول يأسه ... وشُقَّت من الحرمان مُطْلا مرائره
وأوهن بأس الظلم عزم شيوخه ... وكان أعزُّ المالكين يُحاذره
فصار يلقىَّ الأمر من كل تابع ... وكانت على الحكام تُملَى أوامره

ولم يغضب جمال عبد الناصر من هذه الصراحة المؤلمة ، بل شد على يد الشاعر ـ كما أخبرنى فى حديث خاص بمنزله ـ ووعده عبد الناصر برفع الظلم عن الأزهر ، وأنجز الوعد .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

« الاجتهاد والتقليد »

لصاحب الفضيلة المرحوم الشيخ : عبد الله المراغى

إعداد وتقديم د . عبد الفتاح حسين الزيات

من قديم الزمان ، وإلى وقتنا هذا ، ستظل مسألة الاجتهاد والتقليد تحتل مكان الصدارة فى مجال البحث حول ما يجوز وما لا يجوز وحدود كل .

ومتغيرات العصر ، وإيقاعاته المتلاحقة ، قد تدفع البعض إلى استعمال أى منهما استعمالا قد يخرج به عن مضمار ما شرع الله . وفى هذا قال الإمام الغزالى ـ رحمه الله : « من لم يُحكم الآلة والأداة لم يصل إلى تمام الصنعة » .

فهذه كلمة حق لو تدبرها من يحاول الاشتغال أو الأخذ بهذا الفن ، فليحذر غير المختصين الذين يحلو لهم أن يهرولوا نحو هذه المسألة ، أن تنزلق بهم أقدامهم فى قرار سحيق ، وليفكروا ألف مرة قبل أن يصدروا حكما ، أو يأخذوا برأى ، لأن لكل علم أصوله ، ولكل فن رجاله ، ورحم الله إمرأً عرف قدر نفسه ، وقدر الآخرين قال الأستاذ الشيخ ـ رحمه الله :

الاجتهاد والتقليد

يثير البحث حول الاجتهاد والتقليد الفينة بعد الفينة فريق من الناس ظانين أن الاجتهاد والتقليد ليس لهما حدود ولا سور حصين يمنع تسلق كل من لم تتوافر فيه هذه الشروط .

وقد يخيل أحيانا لبعض الناس أن معالم الاجتهاد قد زالت ، وأن طريقه قد انطمست ، فيخترع لنفسه طريقا يرسمها ، ويحددها بالاجتهاد ، ويبنى أحكامه عليها ، ومثل هذا ـ ولا شك ـ قد حاد عن الجادة ، وانحرف عن المحجة ، وتاه فى بيداء الوهم والخيال . فهو طبيب يعالج المرضى بلا علم ولا تجربة ، لم تتهيأ له الوسائل لمهمته ، ومثل هذا كالنبت الخبيث لا ينبت إلا فى الأرض الخبيثة ، فأولى للمجتمع الصالح والبيئات العلمية الحية أن تتخلص منه حتى تتقى عدواه ، وتحفظ الناس من شروره وبلواه ، فهو ضرر لا نفع فيه ، وشر

لا خير فيه ، وداء عضال لا دواء له ، وعبء ثقيل لا يستطاع حمله .

وقد آثرت لهذه المناسبة كشف طريق الاجتهاد ، وطريق التقليد ، وتبيين محل الاجتهاد ، ومتى يكون التقليد ومتى يصح ، وتفصيل شروط الاجتهاد والتقليد ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة من أمرهم ، ويسيرون على طريق سوى حتى لا تلعب بعقولهم الأهواء ولا تهزهم أعاصير الأدعياء .

ولما كان تفاوت الناس فى فهمهم وإدراكهم للأمور حالة طبيعية لا اختلاف فيها ولا امتراء ، لزم من ذلك تفاوتهم فى إدراك الأحكام ، والوقوف على مصادرها الشرعية ، فمنهم من يصل إلى الحكم بعد بحث فى النصوص ومدلولاتها والألفاظ ومعانيها ، وهؤلاء يسمون المجتهدين ، ومنهم من لا يستطيع النظر فى النصوص ، ولا الوصول إلى إدراك الأحكام ، وهؤلاء يسمون المقلدين . والاجتهاد فى اللغة مأخوذ من الجُهْد ـ بضم الجيم ـ وهو المشقة والطاقة ، وعند الأصوليين : استنفاد الوسع فى طلب الظن بحكم من الأحكام الشرعية على وجه يدرك المجتهد من نفسه العجز عن المزيد عليه ، **فالمجتهد هو : الفقيه المستفرغ لوسعه لتحصيل ظن بحكم شرعى .**

وليس خافيا على كل من مارس فنا من الفنون ، أو علما من العلوم ، أو حرفة من الحرف ، أن وصف الممارس لهذه الأشياء بصفة منها لا يصل إليه إلا بعد طول معاناة ومزاولة ، ورياضة طويلة لهذا الفن أو العلم ، ولابد أن تحصل لصاحب الفن تجارب عديدة ، وتعرض له مشاكل كثيرة يحاول بنفسه وضع الحلول لها ، ويلم بكيفية معالجتها ، وهذا بعينه ما اشترطه الأصوليون فى المجتهد إذ قالوا : « **لابد للمجتهد من حصول ملكة يقتدر بها على استخراج الأحكام من مآخذها** » .

ومن هذه الجملة القصيرة فى مبناها ، الغزيرة فى معناها الذى يوحى به الواقع والحس والمشاهدة ، يتبين أنه ليس من الحكمة ولا من العقل أن يذهب مريض يلتمس العلاج عند من لا يعرف الطب ولم تكن عنده ملكة به ، بل ليس من الحصافة أن يذهب من يبغى نوعاً خاصاً من النجارة إلى من لا يحذقها ، ولم تكن هذه النجارة الخاصة ملكة له ، وهذه قضية قد فرغ منها عند أولى الأحلام والنهى ، وعند من يعرفون الأمور على وجوهها من أهل العلم والعرفان ، وضابط هذا كله ما أرشدنا إليه القرآن الكريم بقوله تعالى :

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ ﴾

سورة الأنبياء

وبعد هذا نعود إلى الميدان الفسيح الذى يتبارى فيه المجتهدون ، وتنحصر فيه دائرة أبحاثهم وجولاتهم ، وذلك المجال هو الآن وبعد عصر النبوة : الكتاب الكريم ، والسنة الصحيحة ، والإجماع ، والقياس . فهى محل البحث للعقول المستنيرة التى توفر لأهلها شرائط الاجتهاد ، وقد سلك هذا الطريق أقوام تمرست عقولهم ، وتدربت أفئدتهم على أساليب اللغة العربية ، وفهم أوضاعها ، ودلالات ألفاظها الصريحة والظاهرة ، والخفية ونحوها ، وألموا بالسنة الصحيحة إلماما يؤهلهم لدرجة الاجتهاد ، وأحاطوا بمواقع

الإجماع إحاطة تكفيهم عن البحث والاجتهاد فى الأحكام التى أجمع عليها ، ونضجت قرائحهم

نضوجا يسمو بهم إلى إدراك الحكم فى تشريع الأحكام المنصوص عليها ، وإدراك الارتباط والجامع بين هذه الأحكام وغيرها من الحوادث التى لم ترد نصوص فيها ، ثم تفهم ما نص عليه فى ما لم ينص عليه ونقله إليه .

وبذلك المنهاج الواضح ، والدستور المحكم ، والضابط الشامل ، يظل معين استباط الأحكام متدفقاً متفجراً لا ينضب ، ولا يجف ماء حياته ، ولا تفنى عناصر وجوده ، ولا يغلق بابه أمام من طرقه ، ولا يحرم من استعطاه . وقد تعرضت الكتب الأصولية لبسط شروط المجتهد ، وتحديد كل شرط منها ، حتى لا يتسابق فى ميدانه من يكبو جواد عقله ، ويخبو أوار فكره ، وتتبلد قريحته .

وأول هذه الشروط وأحراهـا بالتدبـــر والإمعان : معرفة قدر صالح من اللغة يمكن المجتهد من فهم لغات العرب ، والتمييز بين الألفاظ الوضعية ، والألفاظ الاستعارية ، والنص ، والظاهر ، والعـام ، والخاص ، والمطلـق ، والمقيـد ، والمجمـل ، والمفصل ، وفحـوى الخطاب ، ومفهوم الكلام ، وما يدل على مفهومه بالمطابقة ، وما يدل بالتضمن ، ومـا يدل بالاستتباع ، والذى دعا الأصوليين إلى تحميل هذا الشرط كل هذه القيود ، وإحاطته بهذه السلسة صعبة الحلقات . إنما هو أخذ العدة ، واستيفاء الوسائل التى تشبه الآلة لكل صنعة من الصنائع ، وكل حرفة من الحرف ، أو مهنة من المهن ، وقد قيل : « من لم يحكم الآلة والأداة ، لم يصل إلى تمام الصنعة » .

ويذهب الغزالى فى مستصفاه إلى أن آيات الأحكام التى يلزم المجتهد معرفتها خمسمائة آية ، ولم يشترط حفظها عن ظهر قلب ، بل يكفى أن يكون المجتهد عالما بمواضعها بحيث يستطيع أن يحصل على الآية التى يحتاج إليها فى وقت الحاجة ، وهذا الشرط يبدو هينا سهلا ، وعسيراً صعباً ، فى وقت واحد . فهو يبدو يسيراً سهلا لمن لم يحط خبراً بلغة العرب ، ولم ير بحارها الزاخرة ، وأمواجها المتلاطمة التى لا يستطيع أن يسير فوق لجتها إلا كل ربان ماهر خبير بمسالك البحار ، فمثل هذا الدخيل على لغة العرب مأفون العقل يخبط خبط العشواء لا يدرى مواضع أقدامه ، ولا مزالق أخطائه . ويبدو هذا الشرط عسيراً صعباً ، وفرساً شموساً لا يستطيع اعتلاءه إلا كل فارس اشتدت شكيمته ، وقويت عزيمته ، وأحاط خبراً بلغة العرب ، وتمرس بأساليبها ، فسلس له قيادها ، وجلس على أريكتها ، وأخذ بناصيتها ، يفهم تصريف القول ، وتنـوع الأساليب ، ويميز بين الصريح منها والكناية ، ويلم بجيد التعابير ، ورفيع الأساليب ، ومثل هذا يعرف أين يضع قدمه ، وأين يسير ، وكيف يفهم ، وكيف يعبر ، وكيف يجيد الخطاب ويتصرف فى القول ؟

وقد أطلنا بعض الاطالة فى هذا الشرط لنضع حداً فاصلا ، وأعلامـا واضحـة بين رأيين اشتجرت بينهما الخصومة ، واشتد الجدل ، وحمى

الوطيس ، حتى أدى النزاع بينهما إلى الحيرة والاضطراب ، وبلبلة الأفكار فى أمر الاجتهاد ، وفتح بابه أو غلقه ، ووجود مجتهد فى كل عصر أو

عدم وجوده ، وبالتالى أدى إلى أن الحوادث الطارئة والنوازل المستجدة ، هل تستطيع الشريعة الإسلامية أن تحكم فيها بما يؤدى إليه اجتهاد المجتهد على فرض وجوده فى كل عصر وزمان ، أم تقف الشريعة مكتوفة الأيدى ، عاجزة عن أن تحكم فى هذه الحوادث لعدم وجود مجتهد يستطيع أن يحكم فيها بما يؤدى إليه اجتهاده .

الاجتهاد والتقليد

وثانى الشروط : معرفة تفسير القرآن خصوصا ما يتعلق منه بالأحكام ، وما ورد من الآثار فى معانى الآيات ، وما روى عن الصحابة المعتبرين من أهل التفسير ، وكيف سلكوا مناهجها ، وأى معنى فهموا من مدارجها ، ولو جهل تفسير سائر الآيات التى تتعلق بالمواعظ والقصص ، قيل لم يضره ذلك فى الاجتهاد ، فإن من الصحابة من كان لا يدرى تلك المواعظ ولم يتعلم بعد جميع القرآن ، وقد كان يعد من أهل الاجتهاد .

ثالثهما : معرفة الأحاديث ، والفرق بين الأحكام ، فمعرفة الأخبار بمتونها وأسانيدها ، والإحاطة بأحوال النقلة والرواة ، عدولها وثقاتها ، ومطعونها ومردودها ، والإحاطة بالوقائع الخاصة فيها ، وما هو عام ورد فى حادثة خاصة ، وما هو خاص عمم فى الكل حكمه ، ثم الفرق بين الواجب ، والندب ، والإباحة ، والحظر ، والكراهة ، حتى لا يشذ عن وجه من هذه الوجوه ، ولا يختلط عليه موضوع بموضوع ، كل ذلك لازم للمجتهد ليكون محيطا بالسنة على وجه يمكنه من الاجتهاد .

واكتفى الغزالى من السنة بمعرفة الأحاديث التى تتعلق بالأحكام ، ولم يشترط حفظها بل تكفى استطاعة الرجوع إليها عند الحاجة .

وقيل : يكفيه من السنة خمسمائة حديث ، وضعف هذا القول بأن الأحاديث التى تؤخذ منها الأحكام الشرعية ألوف مؤلفة .

وقال ابن العربى فى (المحصول) : هى ثلاثة آلاف ، وقال أحمد بن حنبل : الأصول التى يدور عليها العلم عن النبى ﷺ ينبغى أن تكون ألفاً ومائتين . وقال الغزالى وجماعة من الأصوليين : يكفيه مثل سنن أبى داود ومعرفة السنن للبيهقى مما يجمع أحاديث الأحكام . ونازعه النووى قائلا : « لا يصح التمثيل بسنن أبى داود ، فإنها لم تستوعب ، وكم فى البخارى ومسلم من حديث حكمى ليس فيها !! » ، كما نازعه ابن دقيق العيد قائلا : « إن كلام أهل العلم فى هذا الباب من قبيل الإفراط أو التفريط » .

والحق الذى لا شك فيه ولا شبهة أن المجتهد لابد أن يكون عالما بما اشتملت عليه مجاميع السنة التى صنفها أهل الفن كالأمهات الست ، وما يلحق بها ، والكتب التى التزم مصنفوها الصحة . ولا نشترط فى هذا أن تكون محفوظة له ، مستحضرة فى ذهنه ، بل يكون ممن يتمكن من استخراجها من مواضعها بالبحث عند

الحاجة إلى ذلك لتمييز الصحيح منها ، والحسن ، والضعيف . وكذا يتمكن بالبحث فى كتب الجرح والتعديل من معرفة حال الرجال ، وما يوجب الجرح ، وما لا يوجبه من الأسباب ، وما هو مقبول منها ، وما هو مردود ، وما هو قادح من العلل ، وما ليس بقادح .

رابعاً : معرفة مواقع إجماع الصحابة والتابعين وتابع التابعين من السلف الصالحين حتى لا يقع اجتهاده فى مخالفة إجماع ، وليس بلازم أن يحفظ جميع مواقع الإجماع والخلاف ، بل كل مسألة يفتى فيها ينبغى أن يعلم أن فتواه ليست مخالفة للإجماع .

خامساً : أن يكون قادراً على الوصول إلى مواضع الأقيسة ، وكيفية النظر فيها ، من طلب أصل فى أول الأمر ، ثم طلب معنى يستنبط منه علة الحكم فيعلق الحكم عليه ، وبذلك يستطيع إلحاق الفرع بالأصل لوجود العلة المشتركة بينهما .

فهذه الشروط الخمسة لابد من مراعاتها حتى يكون المجتهد مجتهداً واجب الاتباع ، ويجب على العامى تقليده ، فلو ثبتت الأحكام بغير هذا الطريق ، كانت أحكاماً مرسلة تابعة للهوى ، ليست صادرة من الشارع ، فإذا حصل المجتهد هذه المعارف ساغ له الاجتهاد ، ويكون الحكم الذى أدى إليه اجتهاده سائغاً فى الشرع ، ووجب على العامى تقليده والأخذ بفتواه .

ومن غريب أمر المثقفين فينا أنهم يضعون حواجز منيعة ، وحدوداً مكينة ، وأسواراً ثابتة ، لكل علم ، ولكل فن من الفنون التى يقوم بالتخصص فيها طائفة معينة ، فتراهم يرمون بالجهل والادعاء كل من حاول الخوض والتكلم فى علم لم يكن من أهله ، ولا متخصصاً فيه ، على حين أن الخوض فى العلوم الشرعية أصبح مباحاً لمن ليس من أهله ، ولم يكن متخصصاً فيه ، بحجة أن الشريعة مباحة للجميع ، وليست قاصرة على من يسمون رجال الشرع ، ورجال الدين . وهذه مغالطة صريحة ، ومحاجة غريبة لم تسلك مسلك المعقول ، ولم تسر على طريق المنطق . فالشريعة مباحة لكل أحد ، وكل فن من الفنون مباح لكل أحد ، إذا ما توافرت له شروط الدخول والبحث فى هذا الفن أو العلم . فالطب مباح للجميع ، والجندية مباحة للجميع ، فهل يجوز لدجال غير ملم بالطب أن يتعرض لعلاج المرضى ، أو يجوز لمن لم يتدرب على الفنون العسكرية أن يخرج إلى ميدان القتال ، والدفاع عن الأوطان ، وهل يقول عاقل بذلك ؟ أم يجب الحجر على الطبيب الدجال ، والجاهل بفنون الحرب ، من أن يمارس كل منهما ما يريد أن يمارسه ، وأن يعمل ما يريد عمله ؟؟

ولعل من فى قلوبهم حب الشهرة والظهور ، والتكلم والكتابة والقول فى كل ميدان ، أن يلتزموا الحدود ، وأن يعملوا بقول الله ـ تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾

سورة الإسراء

العلوم الكونية

مشكلة المياه وحلولها في التراث الإسلامي (*)

بقلم أ. د أحمد فؤاد باشا

تعالت خلال السنوات القليلة الماضية صيحات التحذير مدوية فى أنحاء كثيرة من العالم ، معلنة أن حروب القرن القادم لن تكون لأسباب سياسية أو اقتصادية ، وإنما من أجل السيطرة على الموارد المائية التى ستكون بمثابة بؤر الصراع من أجل الحياة فى المستقبل القريب .

وقد أعلن البنك الدولى فى شهر سبتمبر الماضى أن نقص المياه يهدد أكثر من ٨٠ دولة ، وأن ٤٠٪ من سكان العالم « أى ما يزيد على ٢ مليار نسمة » يعانون من ظروف معيشية لا تتوافر بها أبسط قواعد الصحة العامة . ومن المناطق التى تشكو ندرة المصادر المائية منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا . وطالب البنك الدولى باستثمارات لا تقل عن ٦٠ مليار دولار خلال العقد المقبل ، تخصص لمشروعات المياه والصحة العامة فى جميع أنحاء العالم لنزع فتيل المشكلة ، ونصح الدول النامية بالاعتماد على الذات فى تدبير الجزء الأكبر من هذه الاستثمارات ، لأن الثمن الذى ستدفعه الأجيال القادمة إن لم يتم استثمار هذه الأموال فى مشروعات خاصة بالمياه سيكون فادحا[1]

وإذا كانت الأمة تواجه حاليا مشكلة مياه يعكف الخبراء على دراسة الحلول المقترحة لها ، فإنها قد واجهت من قبل نفس المشكلة ، وقدم أجدادنا لها حلولاً مبتكرة على أسس علمية وتقنية أفادت منها كل الشعوب التى جمعها الإسلام تحت لواء الحضارة الإسلامية .

(*) خالد عزب ، دار القدس للبحوث والطباعة والنشر ، القاهرة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

(١) د . طلعت أحمد إبراهيم ، « أزمة المياه بين الندرة وحتمية التنمية » ، مقال بجريدة الأهرام ، العدد الصادر فى ١٠ شعبان ١٤١٦ هـ - ١ يناير ١٩٩٦ م .

والكتاب الذى نعرض لتحليله يتناول هذه القضية ، ليس فقط بهدف التأصيل لعلم استنباط المياه عند المسلمين ، ولكن أيضا بغرض التأكيد على أن من الأولويات التى يجب وضعها فى الحسبان ـ عند إعادة بناء الأمة ـ إزالة الهزيمة النفسية للمسلمين تجاه التقنية المعاصرة المستوردة من الغرب أو الشرق ، وذلك لأن أسلافنا استوعبوا ما لدى الأمم السابقة من انجازات علمية وتقنية ، ثم أقاموا صرحاً حضاريا شامخا نجد آثاره واضحة فى المخطوطات التى نشر منها القليل ، وعلينا أن نحذوا حذوهم فى استيعاب علوم العصر وتقنياته ، حتى لا نكون مجرد مستهلكين لتقنيات الآخرين ، ومن ثم نظل دائرين فى فلك التبعية لهم .

الماء فى الشرع الشريف :

يتحدث الفصل الأول من هذا الكتاب عن تصنيف مصادر المياه وأثر الفقه فيه : فيبين أن هناك مياه أنهار ، ومياه آبار ، ومياه عيون ، ولكل منها أفرع متعددة ، هذا بالإضافة إلى ما نعرفه فى عصرنا من مصادر أخرى متنوعة ، تشمل مياه البحر المحلاة ، ومياه المجارى المعاملة ، فضلا عن الأمطار .

وقد كان العرف قبل الإسلام هو المنظم لحقوق استثمار المياه ، حيث كانت القبائل المتنقلة فى أراضى شبه الجزيرة العربية تستقر فى مواقع خلال الترحال ، وفى هذه المواقع ترسم مناطق على الأرض تسمى « الحريم » تحدد للقبيلة مجال حق الانتفاع بالموارد المائية السطحية والجوفية القريبة إلى المضارب ، والواقعة ضمن نطاقها ، وذلك مع مراعاة حقوق باقى القبائل من المناطق المجاورة . وكان هناك مفهوم آخر هو « الحمى» يعبر عن استعداد القبيلة للدفاع عن حقوقها ، وهو مكون من عنصرين : أحدهما يحدد خط الدفاع الفعلى المرسوم على الأرض ، والآخر يتضمن الاعتبارات المعنوية والحقوقية لكيان القبيلة ، وكان انتهاك أى من هذين العنصرين يدعو القبيلة للنهوض والذود عن الحمى .

ولما جاء الإسلام بوصفه قوة مصلحة ومجددة ، وافق على الأعراف السائدة ، لكنه ألغى كل المفاهيم التى تجيز احتكار الماء أو بيعه . وتطور مفهوم الحريم والحمى الذى كان يعبر عن نزعة قبلية فى تملك حقوق استثمار المياه والدفاع عنها ، ليأخذ شكلا عمليا بموجب أحكام الإسلام ، ويحقق العدالة فى توزيع هذه المياه .

علم استنباط المياه عند المسلمين :

يتناول الفصل الثانى : الأسس العلمية والتقنية لاستنباط المياه عند المسلمين ، ويوضح كيف رزق العرب من قديم الدهر فراسة حاذقة يتعرفون بها مكامن الماء فى بطن الأرض ببعض الأمارات الدالة على وجوده ، وبعده وقربه ، بشمّ التراب أو برائحة بعض النباتات فيه ، وقد سمى العلماء معرفتهم هذه علم « الريافة » . وتطورت هذه المعرفة الفطرية عند العرب إبان عصر النهضة الإسلامية ، فصارت بفضل جهود علماء الرياضيات والطبيعيات علما محررا ومدونا ، وفنا تطبيقيا بالغ الدقة ، ارتقى به بعضهم إلى اختراع موازين يزن بها ارتفاعات الأرض . ونصب نواعير ومضخات لرفع المياه .

ويؤرخ المؤلف فى هذا الفصل لعلم اسْتنباط المياه ، ودور علماء المسلمين فى تطويره ، ممارسة وبحثا وتأليفا ، ويعرض بشىء من التفصيل لأمهات الكتب التراثية فى هذا المجال .

من ذلك « كتاب أنباط المياه الخفية » للمهندس الرياضى أبى بكر محمد بن الحسن الكرجى المتوفى فى القرن الخامس الهجرى « الحادى عشر الميلادى » ، وفيه يقدم الكرجى نفسه باعتباره عالما وخبيرا ذا قدرة على تعويض قصور المتقدمين فى صناعة الحفر لإنباط المياه الجوفية على أسس علمية وتقنية تتطلب معرفة الدورة المائية « الهيدرولوجية » وأنواع المياه الجوفية وطرق الاستدلال عليها . وقد ضمن الكرجى كتابه براهين رياضية ، وتحليلات هندسية ، وشرح عدداً من الحركات التى تحدث فى الأرض ، وربط بين الاختلاف التضاريسى على سطح الأرض وحركة المياه من جهة ، وبين الأحواض المائية الجوفية والتكوينات « الجيولوجية » من ناحية أخرى ، ووصف بعض أجهزة القياس وطرق تنفيذ الأعمال الإنشائية ،

وصنّف أنواع الترب تبعاً لخصائصها ومدى صلاحيتها لأعمال الحفر ، وأفاض فى بيان الأحكام والقوانين الشرعية الإسلامية التى تحكم مصادر المياه الجوفية ، مستشهداً بالأحاديث الشريفة ، ومعتمدا على اجتهادات الفقهاء .

وحرص الكرجى على توضيح منهجه العلمى مشيراً إلى أهمية الإدراك الواعى لطبيعة العلاقة بين العلوم الأساسية النظرية وتطبيقاتها التقنية ، فهو يقول :« ومن تصور ما ذكرته وحققته فقد عرف قطعة كبيرة من صناعة إنباط المياه ، لأن تصور طبع الأرض والمياه وكيفية وضعهما وخلقهما يدل على معرفة قوية فى هذه الصناعة » . ويرى أهل الاختصاص أن الكرجى ، بهذا المنهج العلمى التطبيقى ، يكون قد أدخل الأعمال المساحية بوصفها جزءاً من عمل هندسى مائى فى حيز العلوم التطبيقية ، فحوّلها من مجرد عمل حرفى يقوم به المسّاح إلى عمل هندسى دقيق له أسسه وقواعده العلمية والتقنية .

ويتضمن هذا الفصل أيضا عرضا لكتاب « عين الحياة فى علم استنباط المياه » لأبى العباس أحمد بن عبدالمنعم الدمنهورى (٢) ، باعتباره من المؤلفات المتأخرة فى هذا العلم . ولا ريب فى أن جملة ما تضمنه هذا الكتاب هو من العلم النافع الذى عنى به الفلكيون وعلماء الفلاحة وتداولوه ، وظل موضع نظر ودرس واعتبار على مسار رحلة العلم من زمن إلى زمن آخر ، ومن أوطان فى الشرق إلى أوطان فى الغرب ، لا تحجزه حدود ، ولا تقيده قيود ، ويدل تأليف هذا الكتاب فى ذلك الزمن المتأخر على مدى تعلق علماء الإسلام على تعاقب العصور بعلوم الحياة ،

---

(٢) ولد أبوالعباس أحمد بن عبدالمنعم الدمنهورى فى دمنهور بمصر سنة ١١٠١ هجرية ، وجد فى تحصيل العلم ، واشتد ولعه بالفقه ، واجتهد فى تعرف المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة ، وعنى بعلوم الهندسة والمساحة والهيأة « الفلك » والميقات والحساب وصنع المزاول « الساعات الشمسية » . وفى أواخر حياته ولى مشيخة الأزهر ، ولم تطل مدته فيها ، وتوفى فى شوال سنة ١١٨٢ هـ .

دقيقها وجليلها ، فهم يدرسونها ويعلمونها ويؤلفون فيها .

وأشار المؤلف فى هذا الفصل أيضا إلى عدد من مصنفات علماء المسلمين فى علم استنباط المياه والموضوعات المتعلقة به ، منها : كتاب « علل المياه وكيفية استخراجها وانباطها فى الأرضين المجهولة » لأبى بكر أحمد بن وحشية ، وكتاب « علم المياه الجارية فى مدينة دمشق » لمحمد حسين العطار الدمشقى ، «وكتاب الخراج» للقاضى أبى يوسف يعقوب بن إبراهيم ، وكتاب «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» للقزوينى .

المواجهة :

فى الفصل الثالث : يجيب الكتاب عن سؤال مهم هو : كيف واجه المسلمون مشكلة ندرة المياه ؟ .

ويسوق المؤلف عدداً من الأمثلة على سبيل الإيضاح . ففى الربذة تم الكشف عن منشآت مائية متنوعة منها برك المياه الكبيرة ، وكانت تستخدم لحفظ مياه الأمطار والسيول . وكذلك وجد بها نظام دقيق لخزن المياه داخل المنازل السكنية فى خزانات أرضية حفرت وبنيت بطريقة هندسية بارعة تحت مستوى أرضيات الغرف والساحات السكنية .

وفى جدة عنى السلطان قانصوه الغورى عندما كان حاكما للحجاز بأزمة المياه وتحويل مياه الشرب من الصهاريج التى تجمع بها مياه السيول والأمطار إلى المياه العذبة التى جلبت من المناطق الغربية من جدة ، فجلب الماء من « وادى قوس » الواقع شمال « الرغامة » (تبعد الرغامة عن جدة حوالى ١٢ كيلو مترا) .

واستخدمت أساليب أكثر تركيبا من الناحية الإنشائية فى توصيل الماء من مصادره البعيدة إلى المدن الكبيرة مثل مدريد ومراكش وبلغراد وغيرها . وانتشرت فى العالم الإسلامى تقنيات متعددة لاستنباط المياه وتوزيعها أو تخزينها للإفادة منها وقت الحاجة . ولم يقتصر اهتمام المسلمين على إنشاء القنوات والمجارى والأنهار الصناعية ونصب النواعير على الأنهار لرفع المياه ، بل إنه امتد إلى الأنهار الطبيعية كنهر النيل . فأقيمت مقاييس لتحديد منسوبه ، أشهرها مقياس جزيرة الروضة المقابلة للفسطاط ، ويؤرخ له بسنة ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) .

ولعل أهم ما نود الإشادة إليه فى هذا الفصل هو حرص المؤلف على إيضاح حرص المسلمين على كل قطرة ماء ، وذلك بالتأكيد على سبقهم إلى الأخذ بفكرة « الرى بالتنقيط » التى أشار إليها أبو زكريا يحيى بن العوام فى كتابه عن « الفلاحة » فى القرن السادس الهجرى بقوله : « ... ولنجعل عند أصل الشجرة جرّتين كبيرتين من فخار جديد مملوءتين بماء عذب ، وفى أسفل كل جرة ثقب لطيف يجرى منه الماء إلى أصل الشجرة المغروسة جريا لطيفا دائما .. وكلما نقص ماؤهما مليتا ..» ، وهذه هى فكرة الرى بالتنقيط التى ينسب اختراعها إلى الغرب حديثا ، حيث عوضت بالمواد « البلاستيكية » ليس غير .

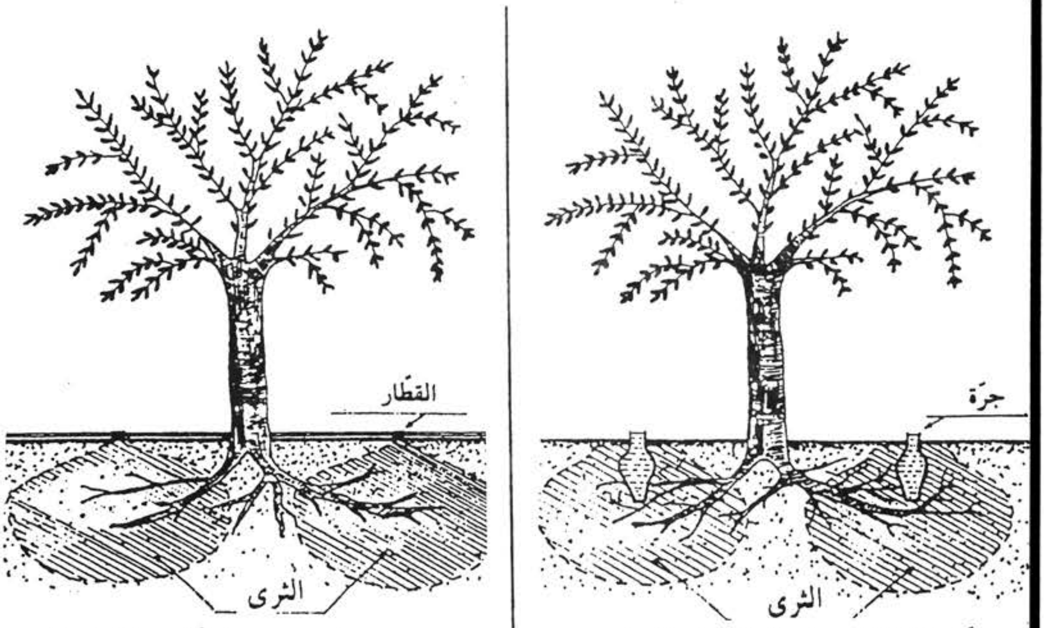

فكرة قديمة تستعمل الفخار «ابن العوام» . — الطريقة الحديثة تستعمل أنابيب البلاستيك .

شكل (١)

حلول تقنية :

فى الفصل الرابع والأخير : يتحدث الكتاب عن الحلول التقنية والابتكارات التى قدمها المسلمون للتغلب على مشكلة المياه ، وذلك من خلال « علم الحيل » الذي يبحث فى الآلات « الميكانيكية » والتجهيزات الهيدروليكية [٣] ، فقد طوروا آلات رفع المياه ، وكانت « الساقية » هى الآلة الأوسع انتشارا والأكثر استعمالا ، كما استحدثوا مضخات تدار بقوة الريح أو بواسطة حيوان يدور بحركة دائرية . وأشار المؤلف إلى استخدام المسلمين لقوة جريان المياه كطاقة متجددة فى تشييد « الطواحين الهوائية » ، وقدم عدة أمثلة مدعمة بالرسوم الإيضاحية .

والكتاب على هذا النحو يعتبر إضافة هامة للمكتبة العلمية الإسلامية ، ويُحمد للمؤلف الكريم ـ وهو باحث جاد ومدقق ـ اقتحامه مجالاً صعبا من مجالات التعامل مع التراث العلمى

(٣) راجع فى ذلك :
د . أحمد فؤاد باشا « العلوم التطبيقية والتقنية فى تراث المسلمين » ، مجلة الأزهر ، الجزء السادس ، جمادى الأخرة ١٤١٦ هـ ـ نوفمبر ١٩٩٥ م .

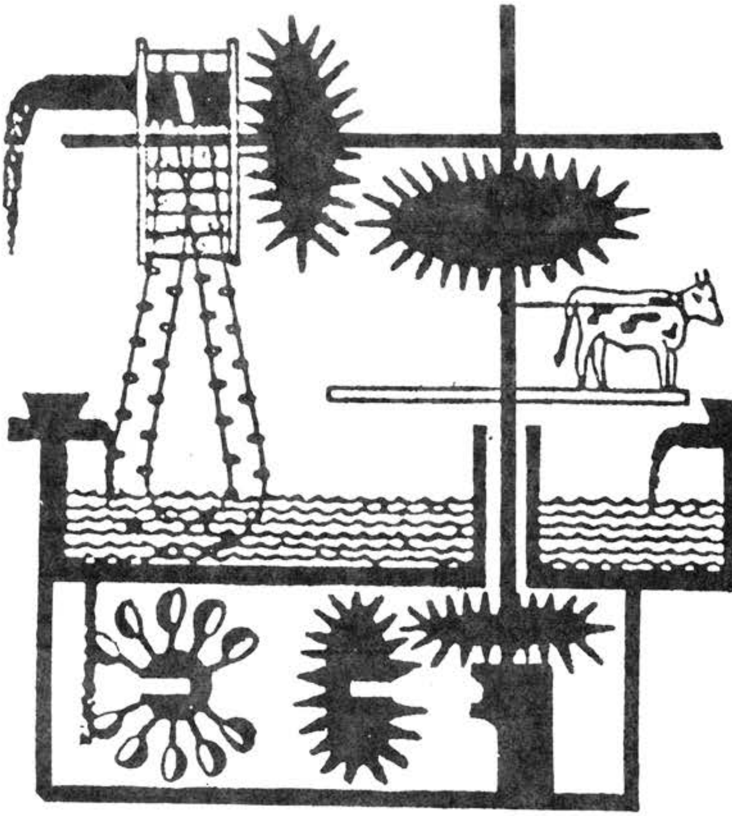

شكل (٢) : الساقية ترفع الماء لحاجات المدن والمزارع . ترى فى الصورة ثورا خشبيا يبدو وكأنه يجر الآلة ، بينما هى فى الحقيقة دائرة بفعل أعجلة مائية مخفية عن الأنظار .

والتقنى الإسلامى ، يتعلق بالجوانب المنسية أو المغمورة التى لم يولها الباحثون اهتماما كافيا . وإن مثل هذا الجهد الطيب فى التعريف بجوانب مغمورة من تراثنا من شأنه أن يُسهم فى تفنيد دعاوى إسقاط الدور الإسلامى من حركة التاريخ ، فضلاً عن أنه يسهم فى تأصيل الثقافة الإسلامية لأبناء الأمة ، وتعزيز قيمتها فى نفوس النشء ، بحيث يكون سلوك الفرد متوافقا مع فكر أمته فى الإفادة من كنوز الماضى لتطوير الحاضر واستشراف آفاق المستقبل .

هذا ، والله من وراء القصد
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

سن اليأس
التغيرات الطبيعية

للدكتور/ أحمد رجائى عبد الحميد

وهى تغيرات تنذر فى مجموعها ـ بقدوم حالة على جسم الأنثى تجعلها مختلفة اختلافاً ما عما كانت من قبل ، حيث يحدث انقطاع الحيض إما فجأة بدون مقدمات ، أو تحدث بعض الأعراض ـ التى تكاد تكون تمهيدية ـ مثل امتداد طول فترة الدورة الشهرية ، وقلة كمية الدم المتدفقة فى الدورة عما كانت عليه عادة كل مرة .

أما فى حال نزول الدم « العادة » بطريقة غزيرة ، أو نزوله على فترات متقاربة فيلزم الفحص الطبى ، فقد يوجد ـ وذلك فى حالات نادرة ـ أمراض خبيثة مبكرة تؤدى إلى توقف المبيضين عن إفراز البييضات والهرمونات . وهنا ، فإن الأعراض تكون شديدة للغاية وتستمر لمدة طويلة ـ وقد يكون انقطاع الدورة الشهرية ناتجاً عن جراحة لإزالة المبيضين كعلاج لبعض حالات أورام الجهاز التناسلى ، أو بعض أورام الثدى .

التغيرات التى تحدث فى الجسم بعد توقف المبيض عن نشاطه :

يفرز المبيضان « هرمونا » رئيسياً يسمى « الاستروجين » وترجع معظم المشاكل التى تظهر فى سن اليأس إلى نقص هذا الهرمون حيث :

(أ) يقل ترسب الدهون فى مناطق معينة مثل الحوض والصدر وعلى الأعضاء التناسلية الخارجية ـ كما يختفى الدهن المبطن لجلد فتحة المهبل ، ويقل شعر العانة الموجود عليه . مما يؤدى نقص هذا الهرمون إلى رقة جدار المهبل وجفافه ، وهذا يسبب ضموراً فى قناة المهبل ، مما يؤدى إلى ضيق ، أو ألم عند الجماع إذ تفقد قناة المهبل مرونتها . كذلك ينكمش المهبل ، وتقل ـ أو تختفى ـ الإفرازات المهبلية مما يجعل المهبل جافاً ، ويصغر الرحم وعنقه كما ينخفض ، أو يضمر ـ الجدار ، وكل ذلك يؤدى إلى زيادة جفاف المهبل . كذلك تضمر وتختفى أربطة الرحم والمهبل مما يؤدى إلى ارتخاء الرحم واحتمال وجود ما يعرف بالسقوط المهبلى أو الرحمى ، وقد تَرِقّ كذلك الأغشية المبطنة للمثانة والقناة البولية مما يؤدى إلى بعض الأعراض فى المجارى البولية مثل زيادة التعرض للالتهابات البولية والإحساس بالرغبة فى التبول أكثر من المعتاد .

(ب) كذلك تقل مادة الكالسيوم فى العظام والمفاصل :

ذلك أن هرمون الاستروجين لازم لبقاء مادة الكالسيوم اللازمة فى مستواها الطبيعى ، وفقدان

هذا الهرمون بعد توقف نشاط المبيض يؤدى إلى نقص مادة الكالسيوم بمعدل ١٪ سنويا، وبذلك تصير العظام هشة ، وذات قابلية للكسر ، لذا كانت السيدات - فى سن اليأس - أكثر عرضه لكسور العظام . مما يستدعى منهن انتباها وحذراً من التعرض لما من شأنه السقوط ، أو الوقوع ، أو الارتطام بشىء صلب .

(ج) وتحدث تغييرات فى الثدى :

بعد انتهاء فترة الخصوبة وانقطاع الطمث لا يتغير حجم الثدى كثيراً ، وإن تغيرت مكوناته ، فيضمر النسيج الغددى ويزداد النسيج الدهنى ، ثم بعد فترة يبدأ الثدى فى الضمور .

تغيرات هرمونية أخرى :

حين يقل إفراز الاستروجين من المبيضين ، تزيد إفرازات بعض الهرمونات التى تفرز من الغدة النخامية التى تقع أسفل المخ ، ويرتفع مستوى هذه الهرمونات فى الدم ، كما أن الجسم يقوم بتعويض بعض النقص الذى يحدث من نقص هرمون « الاستروجين » وذلك عن طريق الغدد الكظرية « جار الكلوية » كما أن هناك هرموناً آخر يتحول فى الجسم إلى « الاستروجين » .

لا يأس مع سن اليأس

يعتبر سن اليأس حالة طبيعية فى المرأة ، فهكذا خلقت إلا أنه قد يسبب وجود بعض الظواهر والأعراض التى قد تصبح مرضية مما يلزم معه التدخل الطبى أحياناً .

وهناك ثلاثة مدارس فى العلاج ..

١ - المدرسة الطبيعية :

وتعتبر سن اليأس فترة من فترات حياة الأنثى الطبيعية؛ فتهتم بشرح أعراضه ومسبباته للسيدات وبإشراك الأزواج يمكن التغلب على معظم مشكلاته .

٢ - علاج الأعراض :

تهتم هذه المدرسة بعلاج الأعراض ، فإذا ما كان هناك اضطرابات نفسية ، فإن العلاج يكون بالمهدئات ومضادات الاكتئاب ، وتعطى مضادات لإزالة الآلام فى حالة وجودها فى المفاصل .

والمدرسة الثالثة :

تُولى عنايتها لعلاج نقص هرمون الاستروجين الذى يسبب معظم أعراض سن اليأس ، ولذلك تلتزم هذه المدرسة بإعطاء السيدة هذا الهرمون ، وفيما يلى سنقوم بتفصيل هذه الطريقة فى العلاج .

العلاج بهرمون الاستروجين :

العلاج بهرمون الاستروجين يمكن تعاطيه بأربع طرق :

١ - أقراص عن طريق الفم .
٢ - حقن .
٣ - كريمات .
٤ - زرع حبة بها هرمونات تحت الجلد .

وتستخدم الكريمات موضعية فى المهبل فى بعض حالات وجود تقرحات به .

أما فى حالة استخدام أقراص أو حقن أو (كبسولات) فإنه يفضل تعاطى « هرمون البروجيسترون » مع هرمون « الاستروجين » إذا كان الرحم قد تم استئصاله حيث إن هرمون « البروجيسترون » يقلل من إصابة الثدى بالسرطان .

«وَيخلق مَا لاتَعلمُونَ...»

الجديد في العلم والتقنية

إعدادُ . د/ نجوى السَّيد أحمد (*)

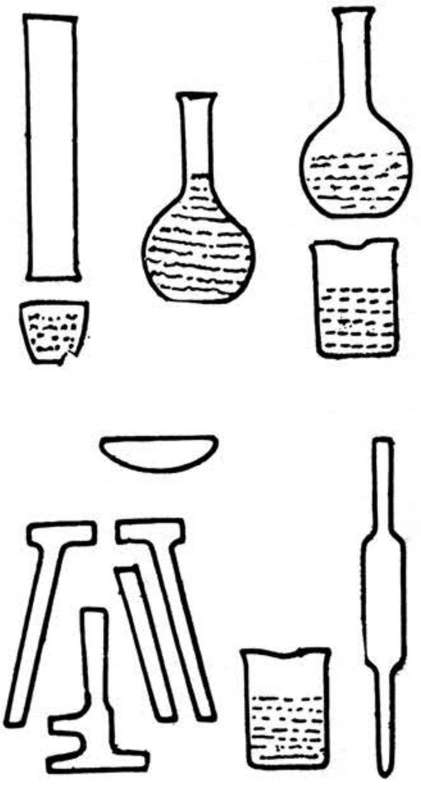

الكسـل يسـبب أمـراض القلـب :

توصل خبراء القلب الأمريكيون من خلال الأبحاث إلى أن الكسل وعدم النشاط هما السبب الرئيسى فى الإصابة بأمراض القلب فى أمريكا ، وأكدوا أن الذين يعيشون حياة لا نشاط فيها يكونون أكثر عرضة للإصابة بنوبات القلب بنسبة مضاعفة عن الذين يمارسون الرياضة ، والبعد عن التوتر ، والعادات غير الصحيحة كالتدخين .

نخالة الشوفان تخلص الجسم من المعادن الثقيلة

أنتجت شركة مجرية أقراصاً جديدة مصنوعة من مستخرج عالى التركيز من ألياف نخالة الشوفان ، يساعد الجسم على التخلص من المعادن الثقيلة الضارة به كالرصاص والاسترونشيوم المشع فى الدم .

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى ..

الحاسب الآلى لمراقبة عمل شبكات التليفونات :

ابتكر خبراء الاتصالات فى بريطانيا حاسباً آلياً جديداً لمراقبة عمل شبكات التليفونات من خلال شاشات « فيديو » متغيرة بصفة مستمرة بحيث تُظهر فى كل لحظة صورا دقيقة توضح كيفية عمل شبكات التليفونات ، وتبلغ مساحة الشاشة ٢٥٠ متراً مربعاً بألوان مختلفة كل منها يدل على معلومات معينة ، والحاسب الآلى الجديد يتعامل مع كم هائل من المعلومات ، توازى فى كل ست ساعات ما تحتويه أجزاء الموسوعة البريطانية .

تحذير من استخدام السماعات الموسيقية

أثبتت التجارب التى أجريت فى جامعة « ميونيخ » بألمانيا أن الاستماع إلى الموسيقى عن طريق سماعات الأذن ، ولمدة ساعتين يومياً بصوت مرتفع ، يصيب الإنسان بالصمم ، وقد أصبح ٨٠ ٪ من الشباب المستخدم لهذه السماعات يعانى من ضعف فى السمع ، وأن ١٠ ٪ اضطروا إلى استخدام سماعات طبية .

أبحاث علمية تؤكد أن السمك يسبب الذكاء :

أكدت الأبحاث العلمية التى أجريت بواسطة مجموعة من الخبراء اليابانيين أن مادة «DHA» (حمض الدوكوساهيكسنويك) المستخلصة من السمك تجعل الناس أكثر ذكاء ، وهى مادة دهنية تنشط نقاط الاتصال العصبى التى تنقل نبضات الذاكرة داخل المخ ، وتحمى البصر وتمنع الجلطات الدموية ، وتوجد هذه المادة بصورة مركزة فى شبكية عيون السمك ، وخاصة أسماك التونة والسردين ، ويقوم العلماء حالياً باستخلاص مادة «DHA» بصورة نقية لاستخدامها فى صناعة الأدوية وإضافتها للأغذية .

أصغر جهاز الكترونى لعلاج مرضى السكر :

نجح اليابانيون فى صنع جهاز الكترونى أصغر من حبة الأرز ، يمكن أن ينطلق داخل جسم مرضى السكر ليقيس مستوى السكر فى الدم ، ويعطى المريض الجرعة المناسبة من « الأنسولين » ، ويأمل العلماء أن يكون هذا الجهاز صالح للتجربة مع حلول هذا العام .

حمامات السباحة خطر على الأطفال :

أكدت دراسة فرنسية أن المواد التى توجد فى ماء حمامات السباحة تؤثر على الجلد وحاسة السمع عند بعض الأطفال ، وأن حمامات السباحة تعد مكانا مساعدا على التهابات الأذن التى غالبا ما يكون ضحيتها الأطفال الصغار ، لأن قناة السمع لديهم تكون ضيقة ، وهم يلجأون إلى الاستحمام فى المواقع التى يكون فيها الماء على مستوى منخفض وراكد حيث تكون الجراثيم موجودة بدرجة كبيرة .

بصمات الأصابع للكشف عن ضغط الدم :

أظهرت آخر الأبحاث العلمية التى أجريت فى إنجلترا أن بصمات الأصابع لا تكتسب أهميتها من الكشف عن مرتكبى الجرائم وحسب ، بل من إمكان الكشف عن احتمالات ارتفاع ضغط الدم لدى صاحبها ، وأوضحت الدراسة أن الأشخاص الذين لديهم بصمات من نوع « البصمة الدوامة » أو « المغزلية » ، والتى تتكون من مغازل أو دوائر متداخلة ، وتوجد على أصبع أو أكثر ، يكون لديهم ضغط الدم الانقباضى أعلى ممن ليس لديهم هذا النوع من البصمة ، كما أن أصحاب هذه البصمة لديهم الاستعداد للإصابة بتصلب الشرايين .

دراسة جديدة حول مرض الإرهاق المزمن :

بدأ الأطباء فى المركز الأمريكى للسيطرة على الأمراض دراسة حول مرض الإرهاق المزمن الذى يتراوح عدد المصابين به بين مليونين إلى خمسة ملايين شخص ، وهو يصيب الأشخاص من مختلف الأعمار ، ولكنه يتركز بين النساء بنسبة ٨٠ ٪ ، وعادة ما يظهر عقب مواجهة موقف يتسم بالتوتر الشديد ، وفى العادة يعانى المصابون به من أعراض فجائية مشابهة للإنفلونزا ، ويعقبها إحساس بالإجهاد والاكتئاب ، وأظهرت الدراسة أن هناك مجموعة من الأسباب المحتملة للمرض مثل : الإصابة بفيروس معين أو بعدوى بكتيرية أو وجود معادن ثقيلة بالجسم .

تقشير البطاطس بأشعة الليزر :

قامت إحدى الشركات فى ولاية « أوهايو » بتصنيع جهاز يعمل بأشعة الليزر ، ويستخدم فى تقشير كميات كبيرة من البطاطس التى تحتاجها مصانع الأغذية ، والتى تبلغ عشرات أو مئات الأطنان يومياً ، ويعتمد الجهاز على أشعة الليزر التى تعمل على القضاء على قشرة البطاطس وتبخرها ، بحيث لا يبقى منها إلا رماد الكربون والماء ، أما البطاطس نفسها وخاصة النشا الذى فيها فلا تصيبه الأشعة بسوء .

جهاز لرى الصحراء من الهواء :

ابتكر مهندس دنماركى جهازاً لرىّ الصحراء من بخار الماء الموجود بالهواء ، وهو عبارة عن فرشاة دوارة ، قطرها نصف متر ، وبها آلاف الشعرات من الألياف الزجاجية التى تقدر مساحتها السطحية بمئات الأمتار المربعة التى يتكاثف عليها الماء ، ويقدر الماء الذى يمكن أن تجمعه شعرات الفرشاة بخمسة إلى عشرة لترات فى اليوم الواحد تبعاً لحالة الجو أثناء الليل ، أما فى النهار فإن الفرشاة يتم رفعها لتدخل فى أسطوانة حيث يتجمع الماء داخلها وينتقل إلى الرمال تحت الجهاز .

اللغة والنقد والأدب

ابن دريد
ومنهجه فى جمهرة اللغة
٢٢٣ ـ ٣٢١

د/ محمد رياض السيد كريم

(٤)

٨ ـ يهتم بالمعرّب ، ومن فرط اهتمامه به فى كتابه ،عقد له بابا فى نهاية الكتاب تحت عنوان (باب ما تكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغة) ومما جاء فيه :

« السَّجَنْجَلُ روميّ معرّب ، وهى المرآة .. والقُسْطاس : الميزان ، وهو مُعرّب ، والقيروان : الجماعة ، وهو بالفارسية كاروان[١٥٠] » .

ولم يقصر ابن دريد اهتمامه بالمعرب فيما أورده فى هذا الباب ، بل يشير إليه فى أبواب الكتاب عند وروده فيها ، من ذلك قوله :

« البخْت : فارسىّ معرّب ، وقد تكلمت به العرب ، وهو الجَدُّ[١٥١] » ، وقولـه : « البَذَج بفتح الباء والذال : الحَمَل ، فارسىّ معرب ، وقد تكلمت به العرب[١٥٢] » ، وقوله : « الزَّرْدَقُ : السطر من النخل ، فارسىّ معرب ، وكذلك الصف من الناس ، يقال وقف القوم زَرْدَقاً ، إذا وقفوا صفاً[١٥٣] » . وقوله : « الدَّبْجُ : النقش ، فارسىّ معرب مأخوذ من الديباج[١٥٤] » .

٩ ـ يُعْنَى بالإشارة إلى اشتقاق الألفاظ ، ولا غرو فى ذلك ، فهو صاحب كتاب الاشتقاق الذى ألفه قبل « كتاب الجمهرة » يؤيد ذلك إشارته إليه فى الجمهرة فى قوله : « وتقول العرب : حُماداك أن تفعل كذا وكذا ، وحَماداك أيضا ، فى معنى : قُصاراك . وهذا باب قد استقصيناه فى « كتاب الاشتقاق[١٥٥] » .

وقوله : « العبد ضد الحر ، وأصل العبد من قولهم طريق مُعبَّد ، أى مُذلل ، وقد استقصينا شرح هذا فى كتاب الاشتقاق[١٥٦] » .

وقوله : « مَىّ : اسم قد تكلم به ، وقال قوم : بل مَىُّ ترخيم مَيَّة ، واشتقاق هذا الاسم مشروح فى كتاب الاشتقاق[١٥٧] » .

ومن ذلك قوله : « النَّحْرُ مجال القلادة من

(١٥٠) الجمهرة : ٥٠١/٣ .
(١٥١) الجمهرة : ١٩٣/١ .
(١٥٢) الجمهرة : ٢٠٧/١ .
(١٥٣) الجمهرة : ٣٣٣/٣ .
(١٥٤) الجمهرة : ٢٠٧/١ .
(١٥٥) الجمهرة : ١٢٥/٢ .
(١٥٦) الجمهرة : ٢٤٥/١ .
(١٥٧) الجمهرة : ١٢٣/١ .

الصدر ، ومنه اشتقاق نحرت البعير ؛ لأنك تطعنه فى نحره[١٥٨] » .

وقوله : « الجَهْنُ : الغلظ فى الوجه والجسم ، وربما وصف به الجسيم أيضا ، ومنه اشتقاق جُهينة أبو قبيلة من العرب ، وقد سمت العرب جَيْهانا ، وأحسب اشتقاقه من الجهن أيضا ، الياء زائدة[١٥٩] » .

وقوله : لَخْم : قبيلة من العرب ، اشتقاق أصله من قولهم : لُخم الرجلُ ، إذا كثر لحم وجهه وغلظ ، وهذا فعل ممات ، لايكادون يتكلمون به[١٦٠] » .

وقوله : « الحرف : هذا الحب الذى يسمى : الثفاء : عربى معروف ، ومنه اشتقاق طعم الشىء الحِرِّيف الذى يلذع اللسان[١٦١] » .

وقوله : « الهَرَجبة : منه اشتقاق ناقة هرجاب وهى السريعة[١٦٢] » .

وقوله : هنبص اسم ، والنون زائدة ، واشتقاقه من الهبص ، وهو عَدْوٌ من عدو الذئب[١٦٣] » .

وقوله : « الململة وهى الانزعاج والاضطراب ، تركت فلانا متململا ، وهو التحرك من حزن ، وأحسب أن اشتقاقه من تململ اللحم على النار إذا تحرك[١٦٤] » .

● ● ●

فإذا خفى على ابن دريد وجه الاشتقاق نبه على ذلك ، كقوله : « و (بنْقص) اسم ولم أسمع له اشتقاق[١٦٥] » . وقوله : « غنبش اسم ، وأحسبه مأخوذاً من الغبشن والنون زائدة ، وقد سموا غشبى ، والغشب : لاأدرى مم اشتقاقه[١٦٦] » ، وقوله : « حَلتب اسم يوصف به البخيل ، ولاأدرى مم اشتقاقه[١٦٧] » .

● ● ●

واهتمام ابن دريد بالاشتقاق يرجع إلى مرحلة مبكرة فى حياته حين كان صبياً يتلقى العلم على أيدى أساتذته ، يظهر لنا ذلك من قوله : « ثادِق : اسم فرس من خيلهم معروف ، وثادق : موضع معروف ، قال أبو بكر[١٦٨] : وسألت أبا حاتم عن اشتقاق ثادق ، فقال : لاأدرى . وسألت الرياشى ، فقال : إنكم يامعشر الصبيان تتعمقون فى العلم ، وسألت الأشناندانى ، فقال : من ثدق المطر من السحاب ، إذا خرج خروجاً سريعاً نحو الوَدْق[١٦٩] » .

● ● ●

١٠ – يهتم بنسبة الأقوال إلى أصحابها أحيانا فى كتابه ، من ذلك قوله : « خبرنى عمى

(١٥٨) الجمهرة : ١٤٥/٢ ، ١٤٦ .
(١٥٩) الجمهرة : ١١٨/٢ .
(١٦٠) الجمهرة : ٢٤٢/٢ .
(١٦١) الجمهرة : ١٣٨/٢ .
(١٦٢) الجمهرة : ٢٩٨/٣ .
(١٦٣) الجمهرة : ٣١٢/٣ .
(١٦٤) الجمهرة : ١٦٤/١ .
(١٦٥) الجمهرة : ٣١١/٣ .
(١٦٦) الجمهرة : ٣١١/٣ .
(١٦٧) الجمهرة : ٢٩٥/٣ .
(١٦٨) هو ابن دريد .
(١٦٩) الجمهرة : ٣٧/٢ ، ٣٨ . والوَدْق : القطر الذى يخرج من خلل السحاب قبل احتفال المطر كما قال ابن دريد (الجمهرة : ٢٩٥/٢) .

الحسين بن دريد عن أبيه عن ابن الكلبي[١٧٠] عن أبيه ، قال : الرحمن اسم الله ـ تبارك وتعالى ـ لايدعى به غيره ، والرحيم صفة ، لأن العرب تقول : كن لى رحيما ، ولم تقل كن لى رحمانا ، وفى القرآن دليل على هذا قوله عز وجل :

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[١٧١] . فالله اسم ليس لأحد فيه شركة ، وكذلك الرحمن[١٧٢] » .

وقوله : « أخبرنا أبو حاتم عن عبد الرحمن عن عمه ، قال : سمعت أعرابية تقول : هَمِىّ أصابعَك فى رأسى ، وحَرِّكى أصابعك فيه[١٧٣] » .

وقوله : « الأخُ اسم ناقص ، وزعم قوم أن بعض العرب يقولون : أخٌّ ، وأخَّة ، مثقل ، ذكره ابن الكلبى .

ولا أدرى ما صحة ذلك[١٧٤] » .

وقوله : « ذكر أبو عبيدة[١٧٥] ـ وأحسبه عن يونس أيضا ـ أن اشتقاق السيف من قولهم : ساف ماله ، أى هلك ، فلما كان السيف سببا للهلاك سمى سيفا ، ولم يقل هذا غيرهما[١٧٦] » .

وقوله : « قالوا : ناح الغُصنُ ينيح نيْحا ونيحانا ، إذا تمايل ، ذكره أبو مالك عن العرب[١٧٧] » .

وقوله : « قال أبو حاتم : تقول العرب : ختنتُ الغلام وخفضتُ الجارية ، ولا يكادون يقولون : ختنت الجارية ولا خفضت الغلام[١٧٨] » .

وقوله : « الضنط : الضيق ، عن أبى مالك ، وقال أبو عبيدة : هو الازدحام ، تضانط القوم ، إذا ازدحموا ، تضانطا وضناطا ، والاسم الضناط[١٧٩] » .

وقوله : « سمعت أبا حاتم يقول : سمعت الأصمعى يقول : شَابٌّ عبعب : ممتلىء الشباب ، وقال مرة أخرى : العبعب : نعمة الشباب[١٨٠] » .

وقوله : « الجِبْتُ : كل ما عُبد من دون الله من صنم وغيره ، هكذا يقول أبو عبيدة[١٨١] .

وقوله : « أخبرنا عبد الرحمن قال : قال لى عمى الأصمعى : رَشَنَ الكلب فى الإناء ، إذا أدخل رأسه فيه[١٨٢] » .

وقوله : « وسمعته [أى عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى] يقول : « أرض جِلحظاء بالظاء معجمة وبالحاء غير معجمة ، وهى الصلبة التى لا شجر بها ، وخالفه أصحابنا فقالوا : الجلخظاء بالخاء المعجمة . قالوا : هى الأرض الصلبة ، فسألته فقال : هكذا رأيته فى كتاب عمى بخطه[١٨٣] » .

١١ ـ لا يغفل ابن دريد فى كتابه الإشارة إلى بعض كتبه ، وكأنه يحيل القارىء عليها ، وقد مر

(١٧٠) هو هشام بن محمد الكلبى المتوفى سنة ٢٠٦هـ (الفهرست : ص ١٤٠) .
(١٧١) الإسراء/ ١١٠ .
(١٧٢) الجمهرة : ٢/١٤٤ .
(١٧٣) الجمهرة : ١/١٦٦ .
(١٧٤) الجمهرة : ١/١٥ .
(١٧٥) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى البصرى المتوفى سنة ٢٠٩هـ (الأعلام : ٧/٢٧٢) .
(١٧٦) الجمهرة : ٣/٤١ .
(١٧٧) الجمهرة : ٢/١٩٨ .
(١٧٨) الجمهرة : ٢/٢٢٩ .
(١٧٩) الجمهرة : ٣/٩٢ .
(١٨٠) الجمهرة : ١/١٢٧ .
(١٨١) الجمهرة : ٣/١٥١ .
(١٨٢) الجمهرة : ٣/١٥١ .
(١٨٣) الجمهرة : ٣/٤٥٤ .

آنفا إشارته إلى كتابه الاشتقاق فى قوله : « وهذا باب قد استقصيناه فى كتاب الاشتقاق » وقوله : « وقد استقصينا شرح هذا فى كتاب : الاشتقاق » . وقوله : « واشتقاق هذا الاسم مشروح فى كتاب : الاشتقاق » .

ومن ذلك أيضا قوله : « الذى والَّذُّ ، واللذان واللذون والذين . أسماء مبهمة معروفة مستعملة ، وقد استقصيناها فى كتاب : القرآن(١٨٤) » .

وقوله : « الفرقان فى التنزيل له مواضع ، فمنه : الفرقان : القرآن ، ومنه قول الله ـ عز وجل : (نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ)(١٨٥) أى القرآن ، والفرقان : النصر ، من قول الله ـ تعالى : (وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ)(١٨٦) أى يوم النصر ، وهو يوم بدر ، والفرقان : البرهان ، وهذا مستقصى فى كتاب : اللغات فى القرآن(١٨٧) » .

ويبدو أن هذا الكتاب هو كتاب القرآن السابق .

مآخذ

مما يؤخذ على ابن دريد ما يلى :

١ ـ الاضطراب فى تطبيق منهجه فى كتابه ، ومن مظاهر هذا الاضطراب : التكرار والخلط ، فنجده يذكر الشىء فى باب ثم يعيد ذكره مرة أخرى فى باب آخر من أبواب الكتاب خالطا بين الأبنية التى ينبغى أن تكون بمنأى عن ذلك .

ولعل ذلك منشؤه تلك التقسيمات والتفريعات الكثيرة التى عمت الكتاب وشاعت فيه ، حتى كادت تصيبه بلون من ألوان الفوضى وعدم الإحكام ، وجعلت طلب اللفظ فيه ضربا من ضروب العنت والعناء ، يصيب الخاصة قبل العامة .

ولعل منشؤه أيضا أن ابن دريد أملى الكتاب من حفظه إملاء ، ولم يستعن فى إملائه بالرجوع إلى كتب اللغة ، اللهم إلا فى باب الهمزة واللفيف كما مر .

أضف إلى هذا اختلاف نسخ الكتاب حيث أملاها ابن دريد فى فارس ، ثم أملاها بالبصرة وبغداد من حفظه كما مر أيضا .

ومن أمثلة ذلك فى كتابه أنه ذكر (الجَحْمَة) فى أبواب الثلاثى الصحيح ، فقال : « الجحمة : العين ، لغة يمانية ، قال الشاعر :

فياجَحْمتا بَكّىً على أمِّ واهبٍ
أكيلةِ قِلّيبٍ يبعض المذانب

المذانب جمع مذنب ، وهى مجارى الماء فى الرياض إلى الأودية ، والقِلَّوْبُ والقِلّيبُ : الذئب ، لغة يمانية ، وجحمتا الأسد عيناه بكل اللغات(١٨٨) » .

ثم عاد فذكرها فى أبواب الرباعى ، فقال : « الجَحْمة : العين ، لغة يمانية ، وإنما أدخلناها فى هذا الباب (باب الجيم والحاء فى الرباعى) لأنه لامذكر لها ، فالهاء كالحرف اللازم ، وأما جحمة(١٨٩) الأسد فعينه فى كل لغة(١٩٠) » .

(١٨٤) الجمهرة : ٢٤٧/٣ .
(١٨٥) الفرقان/١ .
(١٨٦) الأنفال/٤١ .
(١٨٧) الجمهرة : ٤٠٠/٢ .
(١٨٨) الجمهرة : ٥٩/٢ .
(١٨٩) فى الجمهرة : حجمة . تصحيف ، يؤيده ما ورد فى أبواب الثلاثى ، وما جاء فى اللسان (ج ح م) .
(١٩٠) الجمهرة : ٣٢١/٣ .

ومنها أنه ذكر (الكلمة) فى أبواب الثلاثى الصحيح ، فقال : « الكلمة : الواحدة من الكلم والكلام[١٩١] » . ثم عاد فذكرها فى أبواب الرباعى ، فقال : « باب الكاف فى الرباعى ـ الكلمة واحدة الكلم[١٩٢] » .

وكأنه جعل تاء التأنيث من أصل بناء الكلمة فذكرها فى أبواب الرباعى مع أن حقها أن تذكر فى أبواب الثلاثى ، وقد ذكرها هو فيها ، فما كان له أن يكرر ذكرها فى أبواب الرباعى ، لأنها إما أن تكون عنده ثلاثية وإما أن تكون رباعية ، ولا تكون ثلاثية ورباعية فى آن واحد ، فإن كانت عنده ثلاثية كان عليه أن يقصر ذكرها فى أبواب الثلاثى ، وإن كانت عنده رباعية كان عليه أن يقصر ذكرها فى أبواب الرباعى ، أما ذكرها فى أبواب الثلاثى وأبواب الرباعى معا فهذا أمر غريب .

وشبيه بهذا ذكره (المقلة) فى أبواب الثلاثى وأبواب الرباعى أيضا ، وحقها أن تذكر فى أبواب الثلاثى فقط ، ففى أبواب الثلاثى الصحيح قال : « المُقلة : مقلة العيب ، وهو اسم يجمع السواد والبياض ، والمُقلة الواحدة من المُقْل ، وجمع مُقْلة العين : مُقَلٌ ، وما مقلته عينى ، أى ما رأته ، والمقلة : الحصاة التى يقسم عليها الماء فى المفاوز[١٩٣] » .

وفى أبواب الرباعى قال : « باب القاف فى الرباعى ـ المَقْلَةُ : الحصاة التى يُتصافن عليها الماء إذا اقتسموا بها فى المفاوز إذا كان الماء قليلًا ، يأخذون حصاة فيضعونها فى الإناء ثم يصبون عليها الماء حتى يستوى بها ويشرب كل واحد منهم بمقداره ... والمُقلة مقلة العين وقد مضى[١٩٤] » .

ومن ذلك أيضا ذكره (عنبس) فى أبواب الثلاثى وأبواب الرباعى ، على الرغم من أنه نص على أن النون فيه زائدة ، وفى أبواب الثلاثى قال : « العنبس : الأسد ، والنون زائدة فيه ، وهو من تقطيب الوجه[١٩٥] » . وفى أبواب الرباعى قال : « عنبس من أسماء الأسد ، والنون فيه زائدة ، لأنه من العبوس[١٩٦] » . وقد ذكر ذلك فى (باب الباء والسين فى الرباعى الصحيح) .

وفى أبواب الرباعى ذكر (زبعبق) وقال : « زَبَعْبَق ليس هذا موضعه ، وهو الرجل السيء الخلق ، تراه فى الخماسى إن شاء الله تعالى[١٩٧] » . وقد ذكره فى (باب الباء والزاى فى الرباعى الصحيح) .

وعلى الرغم من أنه صرح بأن موضعه فى الخماسى فقد ذكره فى أبواب الرباعى ، وفى أبواب الخماسى قال : « زِبعباق : سيء الخلق ، وهذا فعلعال[١٩٨] » .

وفى أبواب الثنائى الملحق ببناء الرباعى المكرر ذكر بناء (ج د ج د) وقال : « الجَدْجَدُ : الأرض الصُّلبة . قال الشاعر ـ ابن أحمر الباهلى[١٩٩] :

(١٩١) الجمهرة : ١٦٩/٣ .
(١٩٢) الجمهرة : ٣٤٧/٣ .
(١٩٣) الجمهرة : ١٦٣/٣ .
(١٩٤) الجمهرة : ٣٤٧/٣ .
(١٩٥) الجمهرة : ٢٨٦/١ .
(١٩٦) الجمهرة : ٣١٠/٣ .
(١٩٧) الجمهرة : ٣١٠/٣ .
(١٩٨) الجمهرة : ٤٠٤/٣ .
(١٩٩) هو عمرو بن أحمر الباهلى شاعر مخضرم . (الإصابة : ١١٢/٣) .

يجنى بأوظفةٍ شداد أسرها
صُمّ السنابك لاتقى بالجَدْجَد

والجُدْجُدُ : حَنَشٌ من أحناش الأرض أو من حشراتها ، وهو الذى يسمى الصُّرصُرَ يقرض الأسقية ، قال الشاعر :

فاحفظ حَمِيتَك[٢٠٠] لا أبالك واحذرن
لا تحربَنّك فأرة أو جُدْجُدُ[٢٠١] »

وفى أبواب الرباعى أعاد ذكره فى (باب من الرباعى فيه حرفان مثلان) فقال : « الجُدجُد : دويبة تسمى الصُّرصُرَ ، والجَدجَد : الأرض الصُّلبة[٢٠٢] » .

ويبدز أن أبا بكر بن دريد قد لمس هذا فى كتابه فراح يعتذر عن ذلك فى ثناياه ، ولذا وجدناه يقول : « وإنما أمللنا هذا الكتاب ارتجالا لا عن نسخة ولا تخليد فى كتاب قبله ، فمن نظر فيه فليخاصم نفسه بذلك ، فيعذر إن كان فيه تقصير ، أو تكرير ــ إن شاء الله[٢٠٣] » .

وهذا الاضطراب الذى وقع فى الكتاب قد لفت نظر القدماء إليه ، فهذا ابن جنى[٢٠٤] يقول : « وأما كتاب الجمهرة ففيه أيضا من اضطراب التصنيف وفساد التصريف ما أعذر واضعه فيه ، لبعده عن معرفة هذا الأمر ، ولما كتبته وقعت فى متونه وحواشيه جميعا من التنبيه على هذه المواضع ما استحييت من كثرته ، ثم إنه لما طال على أو مأت إلى بعضه ، وأضربت البتة عن بعضه[٢٠٥] » .

وقد علق السيوطى فى (مزهره) على قول ابن جنى السابق بعد أن ذكره بقوله : « مقصوده الفساد من حيث أبنية التصريف ، وذكر المواد فى غير محالها ... ولهذا قال : أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر ، يعنى أن ابن دريد قصير الباع فى التصريف وإن كان طويل الباع فى اللغة ، وكان ابن جنى فى التصريف إماما لا يشق غباره ، فلذا قال ذلك[٢٠٦] » .

---

(٢٠٠) الحِمَيت : الزِقّ للدهن أو للزيت خاصة . (الجمهرة : ٥/٢) .
(٢٠١) الجمهرة : ١٣٣/١ .
(٢٠٢) الجمهرة : ٣٤٩/٣ .
(٢٠٣) الجمهرة : ٢٦٨/٣ .
(٢٠٤) هو أبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢هـ (هدية العارفين : ٦٥٢/١) .
(٢٠٥) الخصائص : ٢٨٨/٣ .
(٢٠٦) المزهر : ٩٣/١ .

طبقات المحققين والمصححين

الجيل الثانى أو الطبقة الثانية من المحققين الأعلام

الأستاذ الدكتور السيد الجميلى

(٤)

● الأستاذ عبدالسلام محمد هارون ، شيخ المحققين وعميد المؤلفين عن جدارة واستحقاق ، رحمه الله رحمة واسعة ، وطيب ثراه ، وجعل الجنة مثواه ـ لقاء ما أعطى وأسدى وقدم للمكتبة العلمية من كنوز وعطاءات فريدة متميزة ، أنفق فيها من جهده ووقته ـ على مدار نصف قرن تقريباً من الزمان ـ بدأب وهمة ونشاط لا يعرف الملل ولا الكلل ولا السآمة .

كان عالما فاضلاً ، وتقياً ورعاً رشيداً ، طيب القلب فسيح الصدر تعلوه همة الشباب ، ووقار الشيوخ ، وكانت له الأيادى البيض السابغة على كاتب هذه السطور ، وعلى جيله بل وأجيال متتالية .. وسيظل مذكوراً بكل ما أسداه ، وأعطاه بغير حدود للعلم وأهله ، فى كرم وجود وأريحية وتواضع كريم ، ولين جانب وحياء شديد .

الأستاذ عبدالسلام محمد هارون

كانت صلته وثيقة العرى مع من يعملون معه فى الجامعة ، أو المجمع اللغوى ، ولا يضن بعلمه ولا بتوجيهاته وإرشاداته عن أحد من الباحثين متى رآه مخلصاً ، جاداً مجتهدا فى مطلوبه .

ووفاء له وعرفاناً بفضله نقدم تعريفا عنه وبيانا ببعض ما ألف وحقق :

ولد الأستاذ عبدالسلام محمد هارون فى الثامن عشر من شهر يناير سنة تسع وتسعمائة وألف من الميلاد بالاسكندرية ، حيث كان يعمل والده ـ رحمه الله ـ وكيلاً لمشيخة علماء الاسكندرية ، ثم انتقل مع والده إلى مدينة طنطا سنة اثنتى عشرة وتسعمائة وألف حيث عمل والده وكيلاً للجامع الأحمدى ، ثم رحل بعد ذلك معه إلى القاهرة سنة خمس عشرة وتسعمائة وألف ، حيث عُيِّن أبوه رئيساً للتفتيش القضائى الشرعى بوزارة الحقانية .

وفى سنتين فقط حَفِظَ القرآن الكريم فى صباه ، وهو فى السابعة أو الثامنة من عمره .

حُمَّ القضاء بوالدته ـ رحمها الله تعالى ـ عام عشرين وتسعمائة وألف ، وعمره نحو أحد عشر عاما ، ثم أعقبها والده ـ رحمه الله ـ تعالى ـ بعدها بسنتين ، فلقد لحق بالرفيق الأعلى عام ثنتين وعشرين وتسعمائة وألف ، ونسب أستاذنا بالعلم وثيق . كما عرفناه فى والده ، وهو كذلك فى أمه ، فهى كريمة الشيخ محمد الجزيرى ـ رحمه الله تعالى ـ الذى كان عضوا بالمحكمة الشرعية العليا .

بعد وفاة والده كفله عمه الشيخ أحمد هارون الذى كان وكيلاً للجامع الأزهر ، ومديراً للمعاهد الدينية ، وقد أشار عليه عمه بالالتحاق بتجهيزية دار العلوم ، خلافاً لرغبة والده الذى كان يرغب فى استمراره فى الدراسة بالجامع الأزهر . وكان أحد المقبولين فى مسابقة كبرى بتجهيزية دار العلوم إلى مدرسة دار العلوم العليا ، وكان ذلك سنة أربع وعشرين وتسعمائة وألف .

وفى سنة خمس وعشرين وتسعمائة وألف ظهر أول كتاب يحمل اسم الأستاذ عبدالسلام محمد هارون ، وهو ابن ستة عشر عاماً من العمر ، وهو كتاب : « متن الغاية والتقريب » لأبى شجاع أحمد بن الحسين بن أحمد الأصفهانى وقد سرَّه سروراً عظيماً أن ينشر هذا الكتاب : كتبىٌّ صغير بحى الأزهر كاتباً على صدره : ضبط وتصحيح ومراجعة الشيخ عبدالسلام محمد هارون .

أتم رحمه الله ـ سبحانه ـ تجهيزية دار العلوم فى سنوات أربع ، نال بعدها شهادة البكالوريس سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وألف ، وبعد أن تخرج فى أثناء السنة المذكورة ، التقى بالأستاذَيْن الكبيرَيْن : محب الدين الخطيب ، وأحمد تيمور باشا ـ رحمهما الله ـ سبحانه ـ فعرض عليهما فكرة تأسيس وإنشاء (جمعية الشبان المسلمين) وانتشرت ، بعد ذلك فروعها فى أرجاء المعمورة قاطبة .

فى سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وألف ، وهو ابن تسع عشرة سنة قام بإخراج كتاب آخر من تحقيقه ، وهو « خزانة الأدب للبغدادى» ونشره فى أربعة مجلدات بعد أن تخرج فى دار العلوم العليا .

نال الأستاذ عبدالسلام هارون إجازة دار العلوم العليا العلمية فى شهر يونيو سنة اثنتين

وثلاثين ، ثم تم تعيينه مدرساً بالتعليم الابتدائى ، منتقلا من مديرية إلى أخرى ، ثم تعددت نشاطاته التحقيقية والتأليفية العميقة القيمة بعد ذلك .

ولأول مرة فى تاريخ الجامعة أصبح ينتدب ويطلب للتدريس فى كلية الآداب – فى جامعة فاروق الأول (الاسكندرية الآن) – مدرسٌ من التعليم الابتدائى فينقل إلى التدريس فى الجامعة ، وهى طفرة لم تحدث فى تاريخ الجامعات إلا لهذا العالم الجليل ، وقد قضى فى التدريس بالجامعة خمس سنوات ، نقل بعدها أستاذاً فى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

فى سنة أربع وأربعين وتسعمائة وألف حصل الأستاذ عبدالسلام على الجائزة الأولى فى النشر والتحقيق لمجمع اللغة العربية .

وفى صيف سنة ست وستين وتسعمائة وألف كان من جملة المختارين لإنشاء وتأسيس جامعة الكويت ؛ فعمد إلى تأسيس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بها ، وكان هو أستاذاً ورئيساً لهذا القسم بتلك الجامعة التى تولى إدارتها لأول مرة : صديقه وزميله الدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبى .

واختير بعد ذلك وبالتحديد فى سنة تسع وستين وتسعمائة وألف عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، تتويجاً لحياة علمية حافلة بجلائل الأعمال .

يتمثل إنتاج الأستاذ عبدالسلام محمد هارون العلمى فى زهاء : مائة كتاب ما بين تأليف وشرح وتحقيق ، منها « تحقيق النصوص ونشرها» وهو أول كتاب مؤلف فى موضوعه ، تتابعت بعد ذلك كتب كثيرة فى مؤداه . و « الأساليب الإنشائية فى النحو العربى» . و «الحيوان للجاحظ» ثمانية مجلدات ، و «والبيان والتبيين» للجاحظ فى أربعة مجلدات ، و «ومعجم مقاييس اللغة» لابن فارس ، ستة مجلدات . و «المصون» لأبى هلال العسكرى . و « معجم شواهد العربية» مجلدان ، و «خزانة الأدب» للبغدادى ، أربعة مجلدات من اثنى عشر جزءاً ، و « فهارس المخصص » لابن سيده .

ثبت بالتراث الذى حققه الأستاذ عبد السلام هرون

أولا : كتب مشروحة ومحققة مع دراسات وتحليلات فنية :

١ – الغاية والتقريب لأبى شجاع الأصفهانى مطبعة الشرق ١٩٢٥ م – (١) ٤٨

٢ – كتاب الحيوان للجاحظ (٨ مجلدات) فاز بالجائزة الأولى للمجمع – الحلبى ١٩٣٨ – ١٩٤٧ م – (٨) ٣٨٩٠

٣ – المفضليات الخمس دار المعارف ١٩٤١ م – (١) ٤٨

٤ – همزيات أبى تمام . دار المعارف ١٩٤٢ م – (١) ٧٩

٥ – وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم – دار احياء الكتب العربية ١٩٤٥ م – (١) ٦٨٩

٦ – معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس (٦ مجلدات) دار احياء الكتب العربية ١٩٤٥ م– (٦) ٣٠٢٢

٧ – مجالس ثعلب (مجلدان) فاز بالجائزة الأولى للمجمع . دار المعارف ١٩٤٩ م – (٢) ٨١٤

٨ ـ البيان والتبيين ، للجاحظ (٤ مجلدات) لجنة التأليف ١٩٥٢ م ـ (٤) ١٥٧٧

٩ ـ شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقى (٤ مجلدات) لجنة التأليف ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ م ـ (٤) ٣٠٥٩

ثانياً : نوادر المخطوطات فى مجلدين يشتملان على عدة كتب ورسائل ـ لجنة التأليف ـ ١٩٥١ م ـ ١٩٥٥ م ـ (٢) ٩٥٤

وفيما يلى أسماؤها :

١٠ ـ الرسالة المصرية ، لأبى الصلت ، أمية بن عبد العزيز الأندلسى .

١١ ـ المردفات من قريش ، للمدائنى .

١٢ ـ كتاب من نسب إلى أمة من الشعراء ، لمحمد بن حبيب

١٣ ـ كتاب خطبة واصل بن عطاء .

١٤ ـ كتاب أبيات الاستشهاد ، لابن فارس .

١٥ ـ رسالة فى أعجاز أبيات تغنى فى التمثيل عن صدورها ، للمبرد .

١٦ ـ كتاب العصا ، لأسامة بن منقذ .

١٧ ـ رسالة التلميذ ، لعبد القادر البغدادى .

١٨ ـ رسالة أبى عامر بن غرسية فى الشعوبية .

١٩ ـ رسالة أبى يحيى بن مسعدة .

٢٠ ـ رسالة أخرى فى الرد على ابن غرسية .

٢١ ـ رسالة فى رد أبى جعفر بن الدودين البلنسى .

٢٢ ـ رد أبى الطيب بن من الله القروى .

٢٣ ـ رسالة فى شراء الرقيق وتقليب العبيد ، لابن بطلان .

٢٤ ـ هداية المريد ، فى تقليب العبيد ، لمحمد الغزالى .

٢٥ ـ كتاب النيروز ، لابن فارس .

٢٦ ـ الرسالة النوروزية ، لابن سينا .

٢٧ ـ ذكر ما جاء فى النوروز وأحكامه ، لبطليوس الحكيم .

٢٨ ـ حكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق ، للسيد مرتضى الزبيدى .

٢٩ ـ كتاب أسماء المغتالين من الأشراف ، لابن حبيب .

٣٠ ـ كتاب الشعراء ، ومن غلبت كنيته على اسمه ، لابن حبيب .

٣١ ـ كتاب ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه ، لابن حبيب .

٣٢ ـ كتاب العققة والبررة ، لابن عبيدة .

٣٣ ـ كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها ، لعرام بن الأصبغ .

٣٤ ـ كتاب العثمانية ، للجاحظ دار الكتاب العربى ١٩٥٥ م ـ (١) ٣٨٦

٣٥ ـ الجزء الخامس عشر من كتاب الأغانى ، لأبى الفرج الأصبهانى دار الكتب ١٩٥٧ م ـ (١) ٥٣٠

٣٦ ـ الاشتقاق ، لابن دريد (مجلدان) . السنة المحمدية . ١٩٥٨ م ـ (٢) ٧٥٦

٣٧ ـ المصون ، لأبى أحمد العسكرى . مطبعة الكويت ١٩٦٠ م ـ (١) ٢١٣

٣٨ ـ مجالس العلماء ، للزجاجى . مطبعة حكومة الكويت . ١٩٦٢ م ـ (١) ٤٢٠

٣٩ ـ أمالى الزجاجى . مطبعة المدنى ١٩٦٣ م ـ (١) ٣٤٢

٤٠ ـ جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم . دار المعارف . ١٩٦٣ م ـ (١) ٧١٣

٤١ ـ شرح القصائد السبع الطوال ، لابن الانبارى . دار المعارف ١٩٦٣ م ـ (١) ٧٣٣

٤٢ ـ مجموعة رسائل الجاحظ (مجلدان يشتملان على ١٧ كتابا ورسالة) . مطبعة السنة المحمدية ١٩٦٤ م ـ (٢) ٨٨٨

ثالثاً : بيان بالكتب والرسائل :

٤٣ ـ مناقب الترك .

٤٤ ـ المعاش والمعاد

٤٥ ـ كتمان السر وحفظ اللسان .

٤٦ ـ فخر السودان على البيضان .

٤٧ ـ فى الجد والهزل .

٤٨ ـ فى نفى التشبيه .

٤٩ ـ كتاب الفتيا .

٥٠ ـ رسالة إلى أبى الفرج بن نجاح الكاتب .

٥١ ـ فصل ما بين العداوة والحسد .

٥٢ ـ فى صناعات القواد .

٥٣ ـ فى النابتة ، إلى أبى الوليد محمد بن أحمد بن أبى داود .

٥٤ ـ كتاب الحجاب .

٥٥ ـ كتاب مفاخرة الجوارى والغلمان .

٥٦ ـ كتاب القيان .

٥٧ ـ كتاب ذم أخلاق الكتاب .

٥٨ ـ كتاب البغال .

٥٩ ـ رسالة فى الحنين إلى الأوطان .

٦٠ ـ تهذيب اللغة ، للأزهرى . (الجزء الأول والتاسع) المطبعة القومية العربية ١٩٦٤ ، ١٩٦٦ م ـ (٢) ١٠٠٤

٦١ ـ كتاب سيبويه (٤أجزاء) . مطبعة دار القلم ١٩٦٦م ١٩٦٨ م ثم الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ ، ١٩٧٦ م ـ (٤) ١٤٤٦

٦٢ ـ خزانة الأدب للبغدادى (ثمانية أجزاء من عشرة أجزاء) دار القلم ١٩٦٦ ـ ١٩٦٩ م . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٧٣ ـ ١٩٧٧ م ـ (٨) ٤٢٤٦

٦٢م ـ رسائل الجاحظ (المجلد الثالث والرابع يشتملان على ٢٨ كتابا ورسالة) المطبعة العربية الحديثة سنة ١٩٧٩ ـ (٢) ٧٤١

وهذه مجموعة أخرى من الكتب والرسائل :

٦٣ ـ الحاسد والمحسود .

٦٤ ـ المعلمين .

٦٥ ـ التربيع والتدوير .

٦٦ ـ فى مدح النبيذ وصفة أصحابه .

٦٧ ـ طبقات المغنين .

٦٨ ـ النساء .

٦٩ ـ مناقب الترك .

٧٠ ـ حجج النبوة .

٧١ ـ خلق القرآن .

٧٢ ـ الرد على النصارى .

٧٣ ـ الرد على المشبهة .

٧٤ ـ مقالة العثمانية .

٧٥ ـ المسائل والجنايات فى المعرفة .

٧٦ ـ الجد والهزل .

٧٧ ـ الوكلاء .

٧٨ ـ للأوطان والبلدان .

٧٩ ـ البلاغة والإيجاز .
٨٠ ـ تفضيل البطن على الظهر .
٨١ ـ النبل والتنبل وذم الكبر .
٨٢ ـ المودة والخلطة .
٨٣ ـ استحقاق الإمامة .
٨٤ ـ استنجار الوعد .
٨٥ ـ تفضيل النطق على الصمت .
٨٦ ـ صناعة الكلام ، وآخر فى : الشارب والمشروب .
٨٧ ـ الجوابات فى الإمامة .
٨٨ ـ مقالة الزيدية والرافضة .
٨٩ ـ البرهان والمرجان ، للجاحظ ـ (١) ٥٧٠

رابعاً : كتب اشترك فى تحقيقها وإخراجها :

٩٠ ـ تعريف القدماء بأبى العلاء (بالاشتراك مع لجنة إحياء آثار أبى العلاء) . دار الكتب المصرية ١٩٤٤ م ـ (١) ٦٩٥

٩١ ـ شروح سقط الزند ، للتبريزى ، والبطليوسى والخوارزمى (خمسة مجلدات بالاشتراك مع لجنة إحياء آثار أبى العلاء) دار الكتب المصرية ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩ م ـ (٥) ٢٢٨٨

٩٢ ـ إصلاح المنطق ، لابن السكيت (بالاشتراك مع الشيخ أحمد شاكر) دار المعارف ١٩٤٩ م ـ (١) ٥١٣

٩٣ ـ المفضليات ، للمفضل الضبى (بالاشتراك مع الشيخ أحمد شاكر) دار المعارف ١٩٥٢ م ـ (١) ٥١٤

٩٤ ـ تهذيب صحاح الجوهرى (ثلاثة مجلدات ، بالاشتراك مع الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار) دار المعارف ١٩٥٢ م ـ (٣) ١٣٨٣

٩٥ ـ الأصمعيات ، للأصمعى (بالاشتراك مع الشيخ أحمد شاكر) دار المعارف ١٩٥٥ م ـ (١) ٣١٠

٩٦ ـ صحاح الجوهرى (ستة مجلدات ، بالاشتراك مع الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار) دار المعارف ـ (٦) ٢٥٦٣

٩٧ ـ الإشراف على طبع المعجم الوسيط ، المجمع اللغوى (مجلدان) مطبعة مصر ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ م ـ (٢) ١٠٨١

٩٨ ـ همع الهوامع للسيوطى (الجزء الأول ، بالاشتراك مع الدكتور عبدالعال سالم) الكويت ١٩٧٤ م ـ (١) ٣٢٣

٩٩ ـ قطوف أدبية ـ مكتبة السنة ، (١٩٨٧) .
١٠٠ ـ كناشة النوادر ـ دار الطلائع ، (١٩٩٣) .

هذا ما قدمه الأستاذ عبدالسلام محمد هارون للمكتبة الإسلامية واللغوية من عيون أمهات كتب التراث المضنون بها ، وقد نفض عنها غبار الزمن بتحقيقاته الرصينة المشهورة غير المسبوق فيها .. والجدير بالذكر أن له من المؤلفات المحررة بقلمه تأليفاً وتصنيعاً ما يربو على هذا العدد المحقق ، وكلها محررات جمة النفع عظيمة الفائدة ولعل أقدمها فى مضماره كتاب «تحقيق النصوص ونشرها» وغيره والله سبحانه ـ وتعالى ـ يتولى جزاءه وإثابته .

نظـرات وخواطر

حول شاهنامة الفردوسي

للأستاذ / محمد عبدالوهاب

لقد تابعت باهتمام وتمعُّن ، مقالات الأستاذ أحمد مصطفى حافظ ، عن المغفور له الدكتور عبد الوهاب عزام ، وآثاره الأدبية القيمة[١] ، إلاّ أننى توقفت أثناء قراءتى لمقاله عن الدكتور عزام وشاهنامة الفردوسى ، ولاحظت أن المقال فى حاجة إلى التعقيب عليه ، وأن الشاهنامة ـ أو كتاب (أخبار الملوك) ـ مازال بحاجة إلى إبراز روائعه ، والتغلغل فى صميم مراميه ، وخاصة فيما يتعلق بالمعانى الإسلامية الرفيعة ، التى يزخر بها ، وتذكرت أن الأستاذ العلامة عبد الحميد العبادى ، عميد كلية الآداب السابق بجامعة الإسكندرية ، وعضو المجمع اللغوى ، سبق أن تحدث عن الشاهنامة ومؤلفه ، بإسهاب ، فى كتابه الذى يحمل عنوان (صور وبحوث : من التاريخ الإسلامى) .

(١) انظر عدد مجلة الأزهر الصادرة فى المحرم ١٤١٦ هـ .

ومن ثم أحاول فيما يلي أن أثبت بعض الفقرات البحث الذى أذاعه العبادى من محطة الإذاعة المصرية ، فى السابع عشر من ديسمبر ١٩٣٤ ـ استكمالا للفائدة(٢) ، والذى ذكر فيه أنه قصد إلى التحدث عن الفردوسى ، من حيث إن حياته تلقى الضوء على الحالة السياسية فى آسيا الوسطى الإسلامية ، فى القرن الرابع الهجرى ، ونوّه بأن من أراد سيرة الشاعر نفسه بالتفصيل ، فعليه أن يلتمسها فى مظانها ، وخاصة الشاهنامة ، كذلك يطالع مقدمة (مول) لترجمة الشاهنامة الفرنسية ، وكتاب (نولدكه) عن الشاهنامة ، و (مقدمة) الدكتور عزام لترجمة البندارى العربية للشاهنامة ، كما أوضح أن زميله الدكتور عزام قد نشر هذه الترجمة ، نشرا عليما محقّقا .. كما بيّن العبادى أنه اقتبس النصوص الواردة فى بحثه من كتاب الدكتور عزام عن الشاهنامة ومؤلفها .

وفى حديثه عن الفردوسى يذكر أن احتفال الأمة الإيرانية بذكرى مرور ألف سنة على ميلاد شاعرها الأكبر أبى القاسم الفردوسى ، قد دام نحو شهر من الزمان ، ولم تكن الحفاوة بتلك الذكرى مقصورة على الإيرانيين ـ وحدهم ـ ولكن شاركهم فيها العالم المتحضر : شرقه وغربه ، فأوفدت ثمانى عشرة دولة كبيرة إلى إيران ، من يُمثّلها فى الاحتفال بذكرى الفردوسى ، وكان الدكتور عبد الوهاب عزام ـ رحمه الله ـ على رأس وفد مصر ، وألقى فى الحفل بحثا ضافيا عن الفردوسى وشاهنامته ، واحتفى بهذه الذكرى فى عواصمهم : الألمان فى برلين ، والإنجليز فى لندن ، والفرنسيون فى باريس ، والإيطاليون فى روما .

وهناك إضافة ذكرها العبادى ، لاعتذار ابنة الفردوسى عن قبول هدية السلطان محمود الغزنوى ـ بعد الذى كان بينه وبين الفردوسى ـ مما أشار إليه الأستاذ أحمد حافظ فى مقاله بالتفصيل ، وفحوى هذه الإضافة أن السلطان محمود الغزنوى ، أمر أن يُنفق المال فى بعض وجوه البر ، فعمَّروا بها رباطا للمجاهدين على حدود إقليم (طوس) ، يقول الأستاذ عبادى معقبا !! وكذلك نفى السلطان عن نفسه ، آخر الأمر ، تهمة التقصير فى حق الشاعر الكبير .. فإن ادعى مُدّع أنه ظلمه فى الأولى فقد أنصفه فى الثانية ، ودلّ بذلك على نفس كبيرة ، وحلم عظيم .

ثم يستطرد الأستاذ العبادى إلى القول بأن «الفردوسى» يتعمد أن يظهر أبطاله وملوكه عند استكمالهم أسباب العزة والجبروت ، فى مظهر النقص والافتقار إلى عون الله ومدده ، مبالغة منه فى توكيد ضرورة الإيمان فى الحياة ، ورغبة منه فى كبح جماح النفوس الطاغية ، وكسر شرة القلوب العاتية ، ويمثل العبادى لذلك من واقع الشاهنامة ببعض الأمثلة ، فعندما خرج الملك (كيخسرو) إلى قتال (أفْرَاسْياب) انتقاما لمقتل ابنه : (سياوخسن) ، جعل يدعو الله ـ تعالى ـ أن ينصره على عدوه ، ويصور ذلك الفردوسى فى الشاهنامة ، بقوله : « ... وبعد ذلك ، اغتسل (كيخسرو) ، ودخل متعبدا ، وجعل طول ليلته يتضرع إلى الله ـ تعالى ـ ويبتهل ويعفّر خديه

(٢) وأثبت البحث بكتابه المذكور ص ٨٣ .

بالتراب ، ويستنصره على أفراسياب ، ويستعين به ـ تعالى ـ عليه .. » .

ومما ورد فى دعائه قوله :

إن هذا العبد الضعيف ، المُوجع الجسم والروح ، طاف الدنيا فسلك رمالها وقفارها ، وقطع جبالها وبحارها ، طالبا لأفراسياب ، الذى أنت تعلم أنه سالك غير طريق السداد ، وسافك بغير الحق دماء العباد ، وأنت تعلم أنى لا أقدر عليه إلا بِحوْلك وقوتك ، فمكِّنِّى منه .. وإن كنت عنه راضيا ـ وأنت تعلم ولا أعلم ـ فاصْرِفْنِى عنه ، وأطفىء فى قلبى نائرة عداوته ، وقف بى على سواء الطريق ، والنهج القويم »[٣].

وعندما غمر الثلج (أسفنديار) وأصحابه فى طريق (هفنجوار) الوعر الشاق ، وجد ذلك البطل المغوار نفسه أمام قوة لا قبل له بها . لم يسعه إلا أن يسلم أمره لله ـ تعالى .. تقول الشاهنامة : « فبينما هم كذلك إذ أظلم الجو واشتدت الريح ، ونشأت سحابة أبرقت وأرعدت ، وأطبقت عليهم ثلاثة أيام بلياليها ، تهيل عليهم الثلج هيلا ، حتى امتلأت الأدوية ، فصاح اسفنديار وقال : قد أشتد علينا الأمر ، وليس ينفعنا الآن رجولة ولا قوة ، والرأى أن نلجأ إلى من لا ملجأ منه إلاّ إليه ، فإنه الكاشف للضر ، والقادر عليه ، فاجتمعوا ورفعوا أيديهم وتضرّعوا إلى الله ـ تعالى ـ مبتهلين ، ودعوه دعوة الصادقين ، فسكت الهواء وانجلت السماء »[٤].

وصفوة القول :

أن الشاهنامة ، كما يقول العبادى : « تسترعى اهتمام غير واحد من خاصة المتأدبين ، فاللغوى يطالع فيه صفحة واضحة من تاريخ اللغة الفارسية الحديثة ، والاجتماعى يجد فيه عونا على تصور المجتمع الفارسى القديم ، ومعرفة أخلاق القوم وعاداتهم ومواضعاتهم ، والمَعْنِىّ بالأساطير القديمة ، ينتفع به انتفاعا جمًّا فى دراسة (المثولوجيا) الإيرانية المقارنة ، ومؤرخ الأديان يستخلص صورة مجملة لعقائد الإيرانيين القدماء ، والمؤرخ السياسى يرجع إليه فى دراسة النظم الفارسية القديمة ، ويجد فيه صدى قويا لعلاقة الفرس بمن جاورهم من الأمم ، وخاصة الهند والترك والعرب ، والفنان تستهويه بلاغة العبارة ، ودقّة المعانى ، وقوّة التصوير ، يُرى فى الشاهنامة مثلا لكل ذلك ، فالفردوسى يعرج فى سماء البلاغة حتى يُسامِى النجم ، وهو فى الوقت نفسه يخاطب الناس بمألوف حديثهم ومتعارف معانيهم .. ثم هو وَصَّاف مبدع ، إذا تصدّى لوصف واقعة حربية أراك ميدان القتال ، وجلا على عينك ما يجرى فيه من كرّ وفرّ ، وهجوم وتحيّز .. وأراك السيوف تلمع ، والرماح تُشرع ، وأسْمعك تصاول الكُماة ، وصهيل الخيل ، وأنين الجرحى ، وصوّر لك ظَفَرَ الغالب ، وهزيمة المغلوب »[٥].

وبعد ، فأرجو أن أكون قد وُفّقتُ إلى ما إليه قصدت ، من رغبة فى خدمة البحث العلمى ، وإضاءة جوانبه ، وبالله التوفيق .

(٣) المصدر السابق ص ١٨٨ .

(٤) ، (٥) المصدر السابق ص ٩٤ .

بين المجلة والقراء

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

ترق الأمم وتتقدم بجهود أبنائها ، لا سيما هؤلاء الذين يحملون مشاعل النور والعلم فيها ، فهم الذين يمهدون لها المسالك الوعرة ويقدمون لها المنهج الأمثل الذى تتقدم به الحياة - بينهم - فى كل جوانبها ، وكثيراً ما يدفعون حياتهم فى سبيل أن تحيا شعوبهم حياة أفضل ، فهم يسطرون بذلك صفحات تاريخ الأمم .

ولا شك أن من واجبنا أن نبرز دور هؤلاء الرواد ونحكى هذا التاريخ المشرف لأبنائنا ، ففى ذلك شىء من الاعتراف بالجميل .

وفى باب « من أعلام الأزهر » - الذى تحرص إدارة التحرير عليه بمجلة الأزهر - شيئاً من هذا الوفاء لهؤلاء الرواد الأفاضل .

وقد وردت إلينا رسالة القارىء : محروس عبدالفتاح يس من كلية أصول الدين - الزقازيق . يعبر فيها عن أسفه لخلو الساحة الإعلامية من مثل هذا النشاط إلا الشىء اليسير حيث يقول : « الإعلام بشتى صوره ، ومختلف أدواته - المرئية والمسموعة والمقروءة - أنيط به دور غاية فى الأهمية .

دور لا يقدر على أدائه - كما يجب أن يكون - إلا الإعلام ؛ حيث تصل أجهزته : التليفزيون - الراديو - الصحف - المجلات إلى كل فئات الشعب فى أى وقت وفى كل مكان.

هذا الدور يراد به إبراز المثل العليا والقدوة الحسنة [بين الرواد] وبيان ما أسهموا به من إثراء للحركة الفكرية والثقافة الدينية ، والتركيز على ما أنتجوا من كتب ومؤلفات أثْرت عقلية المسلمين وأثَّرت فيهم ، فزادتهم إيماناً على إيمانهم ... ولكنك المشاهَد - الآن - على الساحة الإعلامية شىء يدعو للأسى والحزن .

حيث لم ينل أعلام الفكر الدينى إلا النذر اليسير من الكم الهائل الذى تطالعنا به أجهزة الإعلام من برامج ومقالات .

وتلقى الباب هذه الرسالة من القارىء/ نجاح عبد القادر سرور ـ مدرس ثانوى وطالب ماجستير بمعهد الدراسات الإسلامية ـ محافظة البحيرة ـ كوم حمادة ـ كفر بولين بعنوان :

المصطفى رحمة العالمين صلى الله عليه وسلم

من فضل الله العظيم على نبيه المصطفى ﷺ أن جعله رحمة مهداة ونعمة مسداة .. فهو رحمة شاملة ، ونعمة كاملة .. يقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبيــاء : ١٠٧] ..

روى مسلم فى ـ صحيحه ـ عن أبى هريرة قال : قيل : يارسول الله ، ادع على المشركين . فقال : « إنى لم أبعث لعاناً ؛ وإنما بعثت رحمة » .. فهو ﷺ رحمة للجميع ؛ مسلمين وغير مسلمين .. كباراً وصغاراً .. وامتدت رحمته لتشمل الحيوان والجماد .. فلم يكن عجيباً أن يحن له هذا وذاك .

فقد سجد له جمل لأحد الأنصار استعصى على أصحابه .. وتعجب الصحابة وقالوا : سبحان الله .. بهيمة تسجد لرسول الله ﷺ ! فنحن أولى بالسجود لك يا رسول الله . فقال : لا ينبغى لبشر أن يسجد لبشر ؛ ولو أمرت بشراً أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها .. (رواه أحمد) .

هذا حجر كان يسلم على رسول الله ﷺ (مسلم) وجذع بكى حنيناً إليه ﷺ (البخارى ومسلم) ..

ورحم المصلين الضعفاء ؛ فقال : إن منكم منفرين فأيكم صلى بالناس فليتجوز ؛ فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة .. (رواه مسلم) . وحين أتاه ملك الجبال وقال له : إن شئت نطبق عليهم الأخشبين . فقال أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئاً ..(البخارى ومسلم) . فهذه رحمة بمن كذب به وعاداه .. يقول الترمذى : عن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « أنزل الله علىّ أمانين لأمتى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٣] فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة . بل إنه رحم المنافقين معلومى النفاق .. واستغفر كثيراً لعبد الله بن أبىّ رأس النفاق .. حقاً إنه كما وصفه ربه عز وجل : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

القرآن الكريم

ويرسل إلينا القارىء خيرى محمد إبراهيم من كفر الشيخ ـ بيلا ـ كفر الجرايدة ـ أبو الروس . تحت عنوان « معارف عن القرآن » .. فيقول :

القرآن الكريم كتاب رب العالمين ، وهو المعجزة الخالدة ورسالة الإسلام الخاتمة ؛ لذا فهو

الكتاب السماوى الوحيد الذى تكفل الله ـ تعالى ـ بحفظه ، يقول رب العالمين : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [الحجر : ٩] والقرآن هو الكتاب الذى يَعْجَز الثقلان ـ الإنس والجن ـ عن محاكاته والإتيان بمثله ، وفى ذلك يقول رب العزة : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ سورة الإسراء

وهو الكتاب الذى يبلغ الدرجة القصوى فى البلاغة والدقة مع السهولة واليسر مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر : ٢١] .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ . سورة القمر

فإن أحداً لا يبلغ بقوله ما يستحقه القرآن الكريم من درجة الكمال والجلال والعظمة .

وإننا إذ نشكر للقارىء مساهمته نذكر حديث رسول الله ﷺ عن فضل القرآن حيث يقول « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجَّة ، ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانه ريحها طيب وطعما مُر ؛ ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر »(١) .

أما رسالة الطالب/ طارق صابر سرحان ـ كفر سعد البلد دمياط .

فتحمل الكثير من الثناء على أسرة تحرير المجلة ونحن ـ بدورنا ـ نشكر له حسن شأنه ورقيق رسالته . ونبرز له ما ورد فى نهاية رسالته ، إذ يقول :

« .. ولكن ـ أيها الفضلاء ـ اسمحوا لى أن أوجه لسيادتكم دعوة إلى مزيد من الاهتمام بكتب التراث ، وذلك من خلال هدية مجلتكم ، فنرجو أن تكون ضمن إصداراتكم تلك الكتب التراثية التى لم تصل إلينا ، أو وصلت إلينا ولم نستطع الحصول عليها : إما لندرتها أو لارتفاع ثمنها .

أو من خلال صفحات مجلتكم الغراء ، على أن تنشر على حلقات متتالية ، كما كنتم تفعلون من قبل فتكونون بذلك قد حققتم التواصل بين الماضى والحاضر و .... » .

ونقول للقارىء الكريم :

إن ما تفضلتم به هو الخطة الأولى لكتاب الهدية ، وهى خطة لا نتركها إلا أمام أمر ألمّ بالمسلمين يحتاج إلى سرعة الاستجابة له كما حدث أن فعلت المجلة بالنسبة للأفغان ، والبوسنة والهرسك ، والتعريف بالإسلام والمسلمين فى آسيا الوسطى والشيشان والسنغال واندونسيا .

ولعل الأخ القارىء يعلم أن من مهمات الصحافة الأولى التلاقى مع الحوادث مع التزام مجلتكم الأزهر بخطتها الأصلية .

---

(١) الحديث متفق عليه ورواه الإمام أحمد .

من ابداعات القراء

لا شك ، ونحن نعيش فى مجتمع إسلامى ، أنه تسوءنا مظاهر التبرج . ولا شك كذلك أن هذه الأفئدة وتلك الألسن التى تلهج بذكر الله ـ تعالى ـ لن يثنيها شىء عن مواصلة الدعوة الحسنة التى تقودها الحكمة ؛ حتى تستقيم الأمة على الجادة ، وتثوب إلى طريق الله ـ عز وجل ـ المستقيم ، وحتى تتبوأ مكانتها التى أرادها الله ـ سبحانه ـ لها : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

حول هذا الموضوع ونداء لعودة الحجاب تلقينا هذه المساهمة من القارىء سيد عبد الرحيم :

أين الحجاب ؟

أختـــاه فى عصر الذئـــاب ... لا تخلعـــى عنك الحجـــاب .
خافى من الله العـــــذاب ... وتذكـــــرى يوم الحساب .

★ ★ ★

سيرى على نهج الأوائـــــل ... نهج الطهـــارة والفضائـــل ..
ودعـــى الـــتبرج والرذائـــل .. ... فبـذاك قد أمـــر « الكتـــاب » ..

★ ★ ★

لا تعبـــــىء بالهازئين .. ... أو تسمعـــى للحاقديـــــن ..
فلأنت ديـــنك خير ديــــن .. ... تعنـــو له كل الرقـــاب .

ويساهم القارىء : هانى محمد عطا المطيرى/ كلية الآداب/ قنا ـ قوص ـ المسيد مع الشاعر فكتب يقول :

« المرأة المؤمنة »

إن المرأة المؤمنة ـ حقا ـ هى التى يجب أن يدل مظهرها على مخبرها ، وأن يبدو لإيمانها وتقواها أثر فى ملابسها ، مثلما يبدو فى أقوالها وأفعالها .

ففى هذا الزمان فقد كثير من النساء احترامهن بعد أن جرين وراء (تقاليع الأزياء الغربية) ؛ فضاع من المرأة وقارها واحتشامها .

صدر العدد الثانى والثالث من « مجلة الأزهر ـ كيب تاون » ، وتلك صورة موجزة لبعض ما ورد فى العدد الثانى :

ففى المقالة الأولى : « معهد كيب تاون الأزهرى » تقرير عن حالة المعهد الدارسية ، ما وصل إليه الطلاب ، وبعض ما يدرس لهم من المواد التالية : القرآن الكريم ـ اللغة العربية ـ العبادات ـ الآداب العامة .

وفى المقال الثانى : تناول الكاتب (الحج) : «دروس ودلالات» فألقى الضوء على مناسك الحج ـ وما يستفاد منه .

ثم «المرأة فى الاسلام » :

فناقش المقال ثلاث نقاط هامة هى : (المساواة ـ تعدد الزوجات ـ الميراث) .

وخصص باب لـ « فتاوى الإمام الأكبر شيخ الأزهر » ويعد من أهم أبواب المجلة التى تقدم لغير الناطقين بالعربية .

ونعد القارىء بتقديم موجز عن العدد الثالث قريبا بمشيئة الله تعالى .

AL-AZHAR * CAPE TOWN * الأزهر * قرآن كريم * كيب تاون

ردود وتعليقات

● **فضيلة الشيخ / عبده أحمد الأقرع ـ إمام مسجد اختاواى .**

● **فضيلة الشيخ / حبيش حسن حسين ـ خطيب بالأوقاف ـ طنسا ـ ببا .**

رجاء ان تكون نماذج الخطبة اكثر اختصاراً ؛ لتناسب النشر فى الباب ، وتكفى العناصر والاستشهادات مع ضرورة ذكر المراجع بالتفصيل ؛ حتى تكون تلك النماذج بمثابة الخطوط الرئيسية التى يشكل منها كل خطيب ما يناسب قدراته ، ومتطلبات المجتمع الذى يخاطبه .

● **فضيلة الشيخ / ربيع عبدالعظيم الاكيادى ـ فاقوس ـ شرقية .**

مرحباً بكم صديقا عزيزاً للمجلة ، وإذا كانت أمنيتك أن يظل الخط بينك وبين المجلة مفتوحاً ، فان هذا هو هدفنا الأول . وفقنا الله وإياكم .

● **القارىء أ . ر . ح :**

نسأل الله ـ تعالى ـ لك التوفيق ، ونأسف إذ اضطررنا أن نقول لسيادتكم : إننا لا نقحم أنفسنا فى هذه الموضوعات ، فعليك بإنسان ثقة أمين يكون بجانبك فى هذه المسائل .

● **القارىء : عبدالباسط عبدالشافى ـ سوهاج .**

حولنا رسالتك إلى لجنة الفتوى بالأزهر .

● **القارىء .. بوبكر / تاجر بلدية .. / ولاية ... / الجزائر .**

وصلتنا صورة ضوئية غير واضحة لورقة أسئلتكم رجاء إرسال أصل مكتوب على الآلة الكاتبة ؛ حتى نتمكن من الرد المطلوب .

● **القارىء : شحاته أحمد ابوبكر ـ بنى سويف ـ ببا .**

وصلتنا رسالتك ـ غفر الله لنا ولك ـ ونذكرك بقول الله تبارك وتعالى :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة »

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين/ عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

برقية شكر من السيد رئيس الجمهورية لفضيلة الإمام الأكبر

الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر الشريف :

يسرنى أن أبعث إليكم وأسرة الأزهر الشريف بوافر الشكر على تهنئتكم الرقيقة بحلول شهر رمضان المبارك وما حملته من مشاعر طيبة أعاده الله عليكم وعلى الأمة الإسلامية باليمن والبركات .

الإمام الأكبر يفتتح ملتقى الفكر الإسلامى

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ شيخ الأزهر الشريف ـ ملتقى الفكر الإسلامى الذى تنظمه : رئاسة الجمهورية سنويا بالتعاون مع الأزهر الشريف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف وذلك بحضور فضيلة الأستاذ الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف والسيد عمر عبد الآخر محافظ القاهرة ولفيف من قيادات الأزهر ووزارةالأوقاف .

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر فى حفل الافتتاح كلمة أهاب فيها بالمسلمين أن يغيروا عاداتهم وسلوكهم إلى الأفضل حتى يغير الله حالهم إلى أحسن حال ، وأن يجعلوا من هذا الشهر الفضيل فرصة لمجاهدة النفس وتكاتف الجهود لتحقيق الوحدة فيما بينهم والعمل على رفعة الأوطان وناشد فضيلته العلماء أن يبذلوا الجهد لتبصير الناس بأمور دينهم حتى يكونوا بحق خير أمة أخرجت للناس .

وقد افتتح فضيلته اللقاء بقوله : نلتقى فى هذه الليلة لافتتاح هذا اللقاء اليومى إحياء واحتفاء بشهر رمضان الذى كرمه الله فى كتابه الكريم وجعله مثلا للصوم الذى هو سر بين الإنسان وربه ، وكرمه بليلة القدر التى هى خير من ألف

شهر ، والتى فيها أنزل القرآن الكريم . وأضاف فضيلته قائلا : إن هذا الشهر يحوى طرق عبادات شتى طرحها الله – سبحانه وتعالى – علينا ويسرها لنا لنجعل من هذا الشهر الكريم موئلا لعبادته وتقواه حتى تتغير به عاداتنا وتقاليدنا السيئة إلى أحسن منها .

إن الأعراف والعادات تأتى وتتغير وتأبى إلا أن تكون مستقرة إذا كانت عادات حسنة وأعرافا طيبة ، والإسلام قد أقر العرف والعادة كمصدر للأحكام .

وها نحن أمام فرصة سانحة فى هذا الشهر لتغيير العادات السيئة – إذا أردنا – إلى عادات أفضل وأحسن ، وهذا التغيير لابد أن ينبع من داخلنا ، ونعمل على تحقيقه ؛ لأن الله – تعالى – قال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

الرعد ١١

وقد جعل الله – تعالى – لهذه الأمة ميزة تلجأ إليها حينما تريد حيث قال – سبحانه :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

الأنفال ٣٣

فإذا لحق الرسول ﷺ بربه – عز وجل – بقى لنا – نحن المسلمين – هذه الميزة وهى أن الله – تعالى – لن يعذبنا مادمنا نعبده ونستغفره ؛ فلنشغل أنفسنا فى هذا الشهر بتلاوة القرآن والذكر والصلاة والاستغفار وكل أعمال الخير حتى تستقيم أمورنا ، وتنصلح أحوالنا .

ولنقبل على الله بالتوبة ، ونحسن الصوم ، ظاهرا وباطنا ونخلص أعمالنا لله ، فالصوم ليس مجرد جوع وعطش وحرمان ، وإنما هو عمل صالح نبتغى به وجه الله – تعالى .

وإذا كان هذا الملتقى يبين للناس أحكام الإسلام فى كثير من مشكلات الحياة ؛ فعلى السادة المتحدثين أن يعرضوا على الناس الأحكام الشرعية فيما يطرأ من أمور ، وما يستجد من مشكلات فلا يكفى أن نقول : يا عباد الله اتقوا الله ، ولكن لابد أن نبين لهم وسائل التقوى ، ونعرض لما استجد فى هذه الأمة من ظهور محدثات من الذنوب والسيئات التى لم تكن فيمن كانوا قبلنا ، فلابد أن نبين أمر الله فى هذه المحدثات وكيف نتقيها ، ولا نقع فيها حتى تستقيم أمورنا وتتحسن أحوالنا ، ونصل إلى الصواب فى حياتنا ، ونكون بحق خير أمة أخرجت للناس .

الإمام الأكبر يشهد حفل تخريج دعاة العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر بعد ظهر السبت الموافق ٧ رمضان ٤١٦ هـ ١٩٩٦/١/٢٧ م حفل تخريج أئمة ووعاظ العالم الإسلامى الذين شاركوا فى الدورة الحادية والثلاثين التى ينظمها الأزهر الشريف حيث اشترك فى تلك الدورة أئمة ووعاظ من مختلف الدول : ساحل العاج – جزر القمر – الجابون – سنغافورة – كينيا – نيجيريا – السنغال – دول الكمنولث .

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر كلمة للخريجين أكد فيها على أن العلمانيين ليس لهم مكان بين المسلمين فى أى بلد إسلامى ، مشيرا إلى أن

الإسلام دين عمل وعبادة وفقا لما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة .

ودعا فضيلته الأئمة والدعاة أن يكونوا قدوة لمواطنيهم فى السلوك والعمل مشيرا إلى أن مسئولية الدعاة عظيمة وكبيرة مطالبا لهم بأن يأخذوا بمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن يكون هذا هو منهجهم فى الدعوة إلى الله .

شهد الحفل : السيد السفير مساعد وزير الخارجية للشئون الثقافية العامة والدينية بوزارة الخارجية سفراء الدول المشاركة فى الدورة ولفيف من قيادات وعلماء الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يشيد بالقوات المسلحة المصرية

دعا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف إلى الإشادة دائما بما حققه أبطالنا البواسل فى حرب العاشر من رمضان ١٤٩٤ هجرية الذى وافق يوم السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣ .

جاء ذلك فى بيان أصدره فضيلته بمناسبة ذكرى النصر العظيم ، وحيا فيه قواتنا المسلحة المصرية جنودا وضباطا وقادة ؛ أولئك الذين كان على رأسهم السيد الرئيس محمد حسنى مبارك قائد القوات الجوية آنذاك .

وقد أشاد فضيلته كذلك بموقف الشعب والجيش فى يوم النصر ، مشيرا إلى أن الأمة قد استعادت فى هذا اليوم المجيد ذكرى انتصارات غزوة بدر الكبرى .

ودعا فضيلته فى بيانه إلى الأمة أن تكون معركة الإصلاح بذات الجهد وقوة العزم والصدق والمثابرة التى سادت معركة الشرف والكرامة .

الإمام الأكبر يفتتح المجمع التعليمى الأزهرى بالعباسية

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يرافقه الأستاذ الدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم ، مجمع الأمير سلمان بن عبدالعزيز التعليمى الأزهرى ، بمنطقة العباسية وذلك صباح يوم ٢٥ من شعبان ١٤١٦هـ الموافق ١٩٩٦/١/١٦م .

ساهمت كذلك فى إنشاء هذا المجمع : لجنة متضررى السيول لصالح مصر وتكلف ٢ مليون و٢٦٥ ألف جنيه ، واشتمل على معاهد لمراحل التعليم الثلاث الإبتدائية والإعدادية والثانوية .

حضر حفل الافتتاح : السيد الأستاذ عمر عبدالآخر محافظ القاهرة وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ولفيف من قيادات قطاع المعاهد الازهرية .

فرعان لجامعة الأزهر فى روما وواشنطن

قررت جامعة الأزهر إنشاء فرعين لها فى : واشنطن وروما ، تتولى دراسة المشروع الجديد : لجنة مكونة من الأستاذ الدكتور محمد حسين عويضة والأستاذ والدكتور جعفر عبدالسلام نائبا

رئيس جامعة الأزهر الشريف والأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

جدير بالذكر أن اللجنة قد قدمت اقتراحا بأن تكون الدراسة بهذين الفرعين بنظام الأقسام وليس بنظام الكليات .

الإمام الأكبر يرأس اجتماع مجلس الآباء والمعلمين بالمعاهد الأزهرية

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف اجتماع مجلس الاباء والمعلمين بالمعاهد الأزهرية ، وذلك صباح يوم الاثنين ٢٣ شعبان ١٤١٦ هـ ١٤ يناير ١٩٩٦ م .

تم خلال الاجتماع بحث الموضوعات المتعلقة بالعملية التعليمية والأنشطة الطلابية والشبابية المختلفة مما يعود بالنفع على العملية التعليمية بالأزهر الشريف .

حضر الاجتماع : فضيلة وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى بالأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ووكلاء قطاع المعاهد الأزهرية ولفيف من السادة علماء الأزهر .

تعاون علمى بين جامعة الأزهر والجامعات الإسلامية باندونيسيا وماليزيا

تم مؤخرا فى (جاكرتا) توقيع اتفاقية للتعاون العلمى والثقافى بين جامعة الأزهر الشريف ووزارة الشئون الدينية الأندونيسية التى نشرت على أربع عشر جامعة إسلامية .

وقد وقع الاتفاقية الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف ووزير الشئون الدينية الأندونيسية .

كما تم توقيع اتفاقية أخرى للتعاون العلمى والثقافى بين جامعة الأزهر والجامعة الإسلامية فى ماليزيا .

افتتاح مبنى لكلية اللغة العربية بمحافظة كفر الشيخ

افتتح فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر يرافقه فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف المبنى الجديد لكلية اللغة العربية بمدينة دسوق بمحافظة كفر الشيخ .

تكلف المبنى ٥,٥ مليون جنيه وأقيم بالجهود الذاتية .

شهد حفل الافتتاح : السيد محافظ كفر الشيخ وقيادات وعلماء جامعة الأزهر الشريف .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

فلسطين

منعت السلطات العسكرية الإسرائيلية دخول المواطنين الفلسطينيين إلى القدس المحتلة لا سيما مَنْ كان منهم من قطاع غزة . كما حظرت على مواطنى الضفة الغربية أقل من الثلاثين سنة دخولها أيضا بحجة مرفوضة ، هى قولهم : تحسبا لمواجهات مع القوات الإسرائيلية بعد صلاة الجمعة الأولى فى شهر رمضان المبارك ، حيث منع الجميع من دخول المسجد الأقصى وتم احتجاز عشرات المصلين .

ومن ناحية أخرى صادر مستوطنون يهود خمسين (هكتار) من أراضى بلدة (حوارة) القريبة من مستوطناتهم فى مدينة نابلس وأقاموا عليها الأكواخ والأبنية ، كما أطلقوا النيران على الفلسطينيين من أبناء البلدة الذين احتجوا على مصادرة أراضيهم ، ومنعوا الاتحاد العام لعمال فلسطين من عقد جمعيته العمومية السنوية ببيت لحم .

البوسنه

أكد السيد مساعد وزير الخارجية المصرى للشئون الأوربية أن مصر تتمسك بمحاكمة مجرمى الحرب المتورطين فى جرائم ضد الشعب البوسنى وقال : إن هذا الإصرار يمثل موقفا دوليا لا تنفرد به مصر ، وأضاف : أن هناك اتجاها داخل الإدارة الأمريكية لملاحقة هؤلاء المجرمين ومحاكمتهم – وبخاصة – بعد اكتشاف المقابر الجماعية فى مناطق عديدة ؛ بسبب المذابح التى ارتكبتها قوات الصرب ضد المسلمين . وقال سيادته : إن رفع العقوبات عن الصرب ينبغى أن يتواكب مع الحل النهائى للأزمة البوسنية ، وتنفيذ (اتفاق ديتون) للسلام ، وأكد أن مصر تتابع مدى التقدم فى تنفيذ هذه الاتفاقيات التى ارتضاها المجتمع الدولى .

دافوس

ألقى السيد عمرو موسى وزير خارجية مصر كلمة مصر أمام المنتدى الاقتصادى الذى عقد

السبت ١٤ رمضان ١٤١٦هـ الموافـــق ١٩٩٦/٢/٣م بمدينة (دافوس) السويسرية ، وشارك فيه ١٦٠٠ عضو من بينهم ١٦ رئيس دولة ، وتناول سيادته فى كلمته : رؤية مصر للتغيرات السياسية والاقتصادية والعالمية وبخاصة فى منطقة الشرق الأوسط ، ورؤيتها لاتفاقية التعريفة الجمركية المعروفة باسم (الجات) إلى جانب تجربة الإصلاح الاقتصادى المصريـة الرائدة .

طاجيكســتان

انسحبت قوات المعارضة الطاجيكية بعد قتال عنيف مع القوات الحكومية من عمق مدينة تبعد حوالى ١٥ كيلــو متــراً عن العاصمــة (دوشامبى) . وكانت قوات المعــارضة قد استولت على إحدى نقاط التفتيش فى ضواحى عاصمة (طاجيكستان) لكن القوات الحكومية أجبرتها على الانسحاب إلى ممر جبلى يبعد ٣٥ كيلومتر عن العاصمة .

واتهم الرئيس الطاجيكى قوات المعارَضة بمحاولة القيام بانقلاب عسكرى وخرق الهدنة التى اتفق الطرفان على التقيد بها خلال المفاوضات التى جرت بينهما يوم الاثنين التاسع من رمضان .

القاهـــرة

أعربت مصر عن أسفها الشديد للأحداث التى وقعت مؤخرا فى ولاية « جامو وكشمير » التى نتج عنها : تعريض أرواح الأبرياء العزل للخطر والمبانى الإسلامية للتدمير .. وذكر بيان وزارة الخارجية ، أن مصر تنتهز وجود علاقات قوية وصداقة مع كل من الهند وباكستان ؛ الجارتين لسياسة ضبط النفس وتسوية النزاع بالطرق السلمية ؛ وكانت الهند قد أطلقت صاروخين على أحد المساجد بكشمير ، وذلك أثناء خروج المصلين من صلاة الجمعة يوم السابع من رمضان الماضى مما أدى إلى استشهاد عشرين وجرح العشرات من المسلمين من جامو وكشمير .

البلقـــان

قام وزير الخارجية الأمريكى بزيارة إلى كل من (زغرب) و(سراييفو) (وتزلا) و(بلك جراد) وأجرى محادثات مع رؤساء كل من (كرواتيا) و(البوسنة) و(صربيا) وركز فى محادثته فى الدول الثلاث عل إزالة العراقيل والعقبات التى تحول دون تنفيذ (اتفاقه ديتون) للسلام فى البوسنة ومن ناحية أخرى قام الرئيس الإيطالى بزيارة لـ (سراييفوا) العاصمة البوسنية وأجرى محادثات مع الرئيس البوسنى (على عزت بيجوفتش) .

كما قام أيضا بتفقد القوات الإيطالية العاملة فى إطار حلف الأطلسى المنتشرة فى البوسنة لتطبيق اتفاق دايتون للسلام .

أنقـــــرة

أعلن الرئيس التركى أنه سيكلف زعيم حزب الوطن الام الذى فاز بـ ١٣٥ مقعدا فى انتخابات ديسمبر الماضى بتشكيل الحكومة الجديدة بعد فشل كل من زعيمة حزب الطريق القويم (١٣٢ مقعد) ونجم الدين أربكان زعيم حزب الرفاه الإسلامى الذى فاز بأغلبية غير حاسمة (١٥٨ مقعد) فى تشكيل حكومة ائتلافية ؛ وقال الرئيس التركى فى مؤتمر صحفى أنه لن يتدخل لتسوية الخلاف بين الأحزاب ، وأنه فى حالة فشل الجميع فى تشكيل الحكومة المنتظرة سيلتزم بنصوص الدستور الذى يدعو إلى إجراءات انتخابات برلمانية خلال ٦٠ يوما . والمعروف أن عدد مقاعد البرلمان التركى ٥٥٠ مقعدا موزعة على عدة أحزاب لم يحقق أى حزب منها أغلبية مطلقة تمكنه من تشكيل حكومة بمفرده .

الشيشـــــان

أكد مسئول شيشانى أن الطيران الروسى شن عدة غارات على مناطق جبلية جنوب الشيشان حيث تدور معارك بين القوات الروسية والمقاتلين الشيشان .

صرح السيد صادق حسن أبو مسلموف الرجل الثانى فى الوفد الشيشانى المكلف بالتفاوض فى شأن مبادلة ١٢ شرطى روسى أسروا منذ احتجاز الرهائن فى داغستان فى رمضان الماضى صرح : بأن عمليات القصف الروسى تسفر عن سقوط قتلى وجرحى يوميا ، وأن معارك تدور فى جنوب شرق الشيشان حيث يطوق المجاهدون وحدة روسية ، ويأتى هذا التصريح تنفيذا وقهرا لما تتشدق به القيادة الروسية والواقع أن الحل السلمى الذى ينادون به لن يتحقق إلا باستقلال الشيشان وخروج آخر جندى روسى من الجمهورية المسلمة .

The Final Troop

By : Amr Abdel Taw'wab Alian

O' the blood of the earth, Patience !!
It is not the end of my people
We can pass every hard way
One day, the final troop may sail
To resist all Serbs' troops
To fight all West's potentates
To walk in the same day
And reveal the word of Allah
Who swear that right must be restored

★ ★ ★

O' the blood of the earth, Patience !!
It is not the end of my heart
Which loves peace with all pulse,
Refuses injustice in the glorious land,
And lives today with tomorrow's dream.
The sound of the truth cries
Hates the time of the slavery.
The sword wears the dress of Poverty
And we pay the price of refusal.

★ ★ ★

O' the blood of the earth, Patience !!
It is not the end of my age
One day, the final troop may stand
To fall all disobedient castles
To revive the sound of right
And reveal the word of Allah
Who swear that right must be restored

Y. Ali : "Still labour hard."

Pickthall : "........ still toil."

Arberry (1971-649) is the only one who discards the /fä?/ in /fa-nsab/, in a sound interpretation: "So, when thou art empty, labour." Nevertheless, in rendering the same type of /fä?/ in the next verse, Sura 94, Verse 8 :

وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

All translators seem to have discovered the true meaning of the /fä?/ in Arabic and that it should not have any equivalent in English.

Moreover, some translators believe that the /fä?/ may have equivalents other than that which expresses order or succession in time. This may be illustrated in :

Sura 80, Verse 21 :

ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾

In this verse there is a short interval of time between the action of death and that of burial. This shortness in time is expressed by the four translators in question who use 'and' instead of 'then'.

Khatib (792) :

"Then He causes him to die, and buries him."

Y. Ali (1602) :

"21. Then He causeth him to die,
And putteth him in his Grave;"

Arberry (630) :

"Then makes him to die, and buries him."

Pickthall (791) :

"21. Then causeth him to die, and buries him;"

Since the meaning of the original verse expresses the fact that one action comes after another, and this requires the use of 'then' instead of 'and', therefore, it is realized from the above versions that the four translators fail in their choice of the suitable coordinator where they use 'and' instead of 'then'.

ding clause. This is illustrated in :

Sura 94, Verse 7 :

فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾

Translators succeed in rendering the first /fä?/ in /fa ?ða/ as 'so' or 'therefore' which imply causality. This causal meaning is agreed upon by many exegetes like Ibn Khalaweih (1989:143) and Abu Al-Saoud (n.d.:173). Their versions read as follows :

Khatib (813) :

"So when you are relieved, then toil."

Arberry (649) :

"So when thou art empty, labour."

Y. Ali (1666-67) :

"7. Therefore, when thou art
Free (form thine immediate taske),
Still labour hard."

Pickthall (812) :

"7. So when thou art relieved, still toil."

On the other hand, the /fä?/ in /fa-nsab/, according to Al-Muntakhab (1986:915), is /fä?-al-jawäb/ (i.e. the /fä?/ of answering a condition). It is not usually translated into English. However, the attitude of translators towards such /fä?/ differs. Khatib (1984:813), for instance, considers it a coordinator which implies succession. That's why he renders it as 'then'; "so, when you are relieved, then toil." Of course, this is a wrong attitude. On the contrary Y. Ali, (1993:1667), as well as Pickthall (1930:812), uses the word "still" which conveys deliberateness, a meaning opposite to the logical relation expressed by /fä?-al-jawäb/.

As for the third and fourth occurrences of the /fä?/ in /fa damdam/ and /fa sawwä-hä/ in verse 14, we notice that the former denotes causality and should, thus, be rendered as 'so'; whereas the latter denotes combination or association rather than sequence or order. It is, thus, preferable to render it as 'and' rather than 'then'. In addition, Ibn Khalaweih (1989:123) explains this matter of combination and similarity in meaning in his exegesis. Consequently, the four translators in question have succeeded in conveying the appropriate communicative equivalent of the /fä?/ in English. This was achieved by substituting it for 'so' in the former, and 'and' in the latter, in a way that suits the functional value in this particular context.

Their versions read as follows :

Khatib (810) :

"So their Lord encompassed them (by retribution) for their perfidy, and made it all even."

Y. Ali (1656) :

So their Lord, on account
of their crime, obliterated
Their traces and made them
Equal (in destruction,
High and low) !

Arberry (646) :

"So their Lord crushed them for their sin, and levelled them;"

Pickthall (809) :

"14. ... so Allah doomed them for their sin and raised (their dwellings)."

B- The /fä?/ used for causation :

Another instance of substitution of conjunctions is the causal /fä?/ which introduces a clause that expresses the result or effect of the prece-

deals with such coordinator in this Qur'anic text as if it were simply an adversative particle.

Y. Ali (1655) :

"13. But the Messenger of Allah

Said to them : ...."

Pickthall, on the other hand, has rendered the /fäʔ/ as 'and', as if it simply denotes addition.

Pickthall (809) :

"13. And the messenger of Allah said : ...."

As for the first occurrence of the /fäʔ/ in verse 14 of Sura 91, it denotes an adversative relationship between what follows and what precedes. It means, as Al-Sabuni (1976: Vol. 3, 566) states, that, despite the warning of the prophet to the people of 'Thamud', yet they did not believe him and slaughtered the camel of Allah. Thus, the /fä ʔ/ in /fa kaððab-üh/ is quite appropriately rendered as 'but' as it appears in Khatib's, Arberry's and Pickthall's versions :

Khatib (810) : "But they cried lies to him."

Arberry (646) : "But they cried him lies."

Pickthall (809) : "But they denied him."

Y. Ali is the only one who renders it as 'then' as if it were simply the /fäʔ/ of succession.

Y. Ali (1655) :

"Then they rejected him

(As a false prophet),"

At the same time, the second occurrence of the /fäʔ/ in /fa çaqar-ü-hä/ of the same verse is rendered as 'and' by the four translators. Perhaps, this is because, according to Al-Sabuni (1976 : Vol. 3, 566-67), there is no time mentioning between the action of denying and that of slaughtering the camel; that is to say, both actions are associated with each other.

Difficulties in Translating Coordination in Qur'anic Verses Part X

By : Maha Yousry El Tagouri Ph.D.

Substitution of Coordinators with the /fäʔ/ :

A- The /fäʔ/ used for succession :

There are different approaches in rendering the coordinator /fäʔ/. These can be illustrated in :

Sura 91, Verses 11 - 14 :

كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾

It is believed that the first /fäʔ/ in /faqäla/ denotes order or succession which, as discussed before, is used to express that a given action usually takes place after another. It should thus, be rendered as 'then', as it appears in Khatib's and Arberry's versions.

Khatib (810) :

"Then the messenger ...

Arberry (646) :

"Then the Messenger ...

They both convey the function of the original /fäʔ/, unlike Y. Ali who

AL-AZHAR MAGAZINE

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION

Shaw'wal 1416 Hijrah,

Vol. 68 part X

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah: .
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهرس

● « لعلم الانسان حدود »
لفضيلة الدكتور على أحمد الخطيب ١٤٣٥

● مع الإمام الأكبر ●

● عيد الفطر جائزة الله للمسلمين الصائمين . ١٤٣٨
● فتوى ببيان أن عقد زواج المرأة المسلمة بغير المسلم ـ كتابيا أو غير كتابى ـ باطل . ١٤٤٠

● الإمام الأكبر فى حديث صحفى
أجرى الحديث السيدة/سناء السعيد ١٤٤٩

● مع سورة يس
أ. د. إبراهيم خميس ١٤٥٢
● نظرات فى ألفاظ القرآن الكريم (القرين)
للشيخ عبدالفتاح سيد جمعان ١٤٥٨
● الإيمان برسالة محمد ﷺ
أ. د. محمود سالم الخطيب ١٤٦٦
● قبس من أنوار النبوة (المروءة)
لفضيلة الشيخ على حامد عبدالرحيم ١٤٦٩
● الأصول التى بنى عليها الإمام مالك مذهبه
أ. د. محمود عبدالمتجلى خليفة ١٤٧٢
● من ذكريات الأعياد « اللهو المباح »
لفضيلة الشيخ عبدالعزيز أحمد رضوان ١٤٨٢
● الإسلام ونهضة الأمة
أ. د. محمد إبراهيم الفيومى ١٤٨٥
● خلق المسلم فى ضوء الكتاب والسنة
د. فاطمة عمر نصيف ١٤٩١
● الإرساليات الأمريكية فى افريقيا
أ. د. عبدالله نجيب محمد ١٤٩٩
● القدس مفتاح الحرب والسلام
أ. مصطفى دسوقى كسبة ١٥٠٣

● استفتاءات القراء
تقديم الشيخ السيد العراقى ١٥١٢
● الشعر والشعراء ●
تقديم د. محمد عبدالحكيم محمد ١٥١٥
● طرائف ومواقف
للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٥٢٠
● من أعلام الأزهر
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ١٥٢٢
● من روائع الماضى
للأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات ١٥٢٦
● العلوم الكونية ●
● مشكلة المياه وحلولها فى التراث الإسلامى
أ. د. أحمد فؤاد باشا ١٥٣٢
● سن اليأس « التغيرات الطبيعية »
أ. د. أحمد رجائى عبدالحميد ١٥٣٨
● الجديد فى العلم والتقنية
د. نجوى السيد أحمد ١٥٤٠
● اللغة والأدب والنقد ●
● ابن دريد ومنهجه فى جمهرة اللغة (٤)
د. محمد رياض السيد كريم ١٥٤٤
● طبقات المحققين والمصححين (٤)
أ. د. السيد الجميلى ١٥٥٠
● نظرات وخواطر حول شهنامة الفردوسى
للأستاذ محمد عبدالوهاب ١٥٥٦
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ عادل رفاعى خفاجة ١٥٥٩
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذين عمر البسطويسى ومصطفى عبدالمجيد ١٥٦٤
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ مجدى عبدالحميد بشير ١٥٦٨
● القسم الانجليزى ١٥٧٧

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩ هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

دكتور / على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل غانم خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير .. الإدارة بالأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

إلى الرحمن الرحيم

أيها الراحل الكريم

(٥/٤/١٩١٧ - ١٥/٣/١٩٩٦)

رحمه الله

حتى صباح الجمعة الخامس والعشرين من شوال سنة ست عشرة وأربعمائة وألف (١٥ / ٣ / ١٩٩٦) كان الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ فى منزله بـ «المنيل ـ بالقاهرة» يعكف على مراجعة البريد الوارد إلى مكتبه حتى صباح الخميس من كافة أنحاء العالم : أفراد ، وجماعات ، ومؤسسات ، مضافا إليه بريد الجهات الرسمية الأزهرية ، وهو بريد يُعَبَّأ له ـ عادة ـ فى بضعة مظاريف تصحبه إلى بيته حتى إذا نشط بعد قليل من الراحة قام بدراستها .. وطالت دراسة هذا اليوم مع ما تبقى لِرُوحهِ من شعاع فى هذا الجسد المضنى حتى ما بعد الثانية من صباح الجمعة ، وقد بدأت القاهرة تستعد لاستقبال فجر جديد ، وأنشأت روح الشيخ تلتقط ما تبقى من شعاعها لترحل به إلى الملأ الأعلى .. إلى الرفيق الأعلى .. إلى الرحمن الرحيم .

ترك دنيانا على خير ما نعرفه من مرور الكرام ، ورصيدُهُ للعالم فقه زاخر ، ألقى نظرة سريعة على (مُجَلَّدَهُ الخامس) بمكتبه فى هذا الخميس الأخير من حياته هذا المجلد الذى تسلمه مكتبه من مطبعته أخيراً ، بينما قبع فى مكتبه كمية من فتاويه تعادل نحو ثلاثة مجلدات أُخَر مماثلة للخمسة المطبوعة جامعة لفقهه وبحوثه .. وكل بين يديه ـ بمشيئة الله ـ زاد لآخرته ، وبين يدى العالم فقه كريم لما جَدَّ على هذا العالم من شئون حديثة طلب فيها إلى الشيخ أن يبين له أحكامها فما تأخر .

رحل ـ رحمه الله الرحمن الرحيم ـ سليم الفتوى من الهوى ، مصونا من الإعجاب بالرأى .. إنما أحكام الكتاب العزيز والسنة الشريفة وفقه العلماء مُنذ عرف الإسلام علماءه يطوف الشيخ بين ذلك كله ليدفع به إلى ضياء القرآن الكريم ، ونور السنة الشريفة ليخلص بعد ذلك إلى حكم يستريح إليه ضمير العالم المحافظ ومن هنا كان حكمه على مؤتمر السكان ومؤتمر المرأة وغيرهما وغيرهما ..

كذلك كان الشيخ فى علمه ، وأمام أسماعنا وأبصارنا . نحن الذين شاء الله ـ تعالى ـ أن نعمل معه فأما الشيخ فى خُلُقه ، وفى معاملته لمن معه ، فقد عرفناه برا ورحمة فى مصر وخارج مصر وكم أرجو أن يُتاح لى وقت أسجل فيه ـ بكرامة الأديب ، وشرف القلم ، وساحة النزاهة ـ ما أستطيع به أن أضع صورة حية لهذا الفقيه الجليل .

بقى أن أقول ما كان للشيخ أمنية سمعتها أذناى ووعاها قلبى بحضرة ثالثنا فضيلة الأستاذ الدكتور على جمعة بجامعة الأزهر الشريف ، ومنذ أشهر عدة ، قال الشيخ : «إن أحياه الله إلى عام سيعقد مؤتمر مجمع البحوث لينظر فى مواقيت الصلاة والمكاييل والموازين» أى لتكون معروفة للعالم الإسلامى ، وبخاصة وقت الفجر الذى يقتضى تحريه أن يكون بعد التوقيت الجارى العمل به ، وعند آخى د / على جمعة تفصيل ذلك .

وداعا أستاذنا الراحل .. لَلآخرةُ خير لك من الدنيا ، وحسبك مصابيحُ فقهك فى الناس .. رحمك الله الرحمن الرحيم ، وسلام عليك فى العاملين .

د. على أحمد الخطيب

"الرئيس / محمد حسني مبارك"

ينعى إلى الأمة الإسلامية فقيد الأزهر

الشيخ جاد الحق على جاد الحق

قال الرئيس مبارك رئيس جمهورية مصر العربية فى نعى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق : لقد فقدت اليوم مصر والأمة الإسلامية ، عالما جليلا من علماء الأزهر الشريف ، ألا وهو فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف ، الذى حمل الأمانة وأدى الرسالة معتصما بدين الله متمسكا بشريعة الإسلام ،ما تهاون يوما فى حق من حقوق الله أو واجب فرضته عليه مسئوليته حيال جموع المسلمين ، فحافظ على مرجعية وقدسية الأزهر الشريف ، ليظل منبرا لصحيح الدين تتجه إليه عقول العلماء والمفكرين وأفئدة كافة المسلمين .

فكان الفقيد الجليل دائما فى مقدمة علماء الأزهر الذى يحملون راياته عالية خفاقة ، ويوضحون جوهر الدين الحنيف فى السماحة والحرية والعدل والهداية والتنوير .

وأضاف الرئيس فى نعيه :

لقد فقدت مصر كلها وأزهرها الشريف عالما له تاريخه الطويل الحافل بكل ماهو رائع وجليل ، فكان عالما حين تولى مسئولية الافتاء كمفتى للديار المصرية ، وكان شامخا فى إمامته لأزهر المسلمين ، وكان للفقيد الجليل مواقفه فى قول كلمة الحق فى كافة قضايا الإسلام لايخشى فى ذلك غير المولى ــ عز وجل ، وكان شجاعا إزاء كل القضايا التى تربط الإسلام بالتحضر والتقدم والتطور .

رحم الله الفقيد وطيب ثراه وجعل الجنة مثواه وأسكنه فسيح جناته فى المقام الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولائك رفيقا .

وصية الإمام الأكبر وجنازته

وصــية الإمــام الأكبــر

أوصى الإمام الأكبر أثناء زيارته الأخيرة لقريته (بطرة) بالدقهلية أن يدفن بجوار مسجده الذى بناه منذ عامين على نفقته ، وان يشهد غسله فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، وان يؤم صلاة الجنازة عليه فإذا لم يتمكن فليؤم المصلين الشيخ إسماعيل صادق العدوى إمام وخطيب الجامع الأزهر .

وقد تم تنفيذ كل وصايا الشيخ الجليل ، حيث صلى الجنازة عليه الشيخ الشعراوى وتم دفنه فى مسجده بقرية بطرة .

وفى موكب مهيب وعقب صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر ؛ ودعت مصر الإمام الأكبر وقد أَمَّ فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى صلاة الجنازة عل جثمان الفقيد ، ثم خرجت الجنازة واتجه بها المشيعون الى حديقة الدراسة ، قبل أن يتم نقل الجثمان إلى مثواه الأخير بمقابر الأسرة بقرية بطره مركز طلخا بمحافظة الدقهلية .

تقدم المشيعين الدكتور كمال الجنزورى رئيس الوزراء مندوبا عن الرئيس مبارك ، والدكتور أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب ، والدكتور عصمت عبدالمجيد الامين العام للجامعة العربية ، وصفوت الشريف وزير الاعلام ، والدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف ، وحسن الألفى وزير الداخلية ، والدكتور زكريا عزمى رئيس ديوان رئيس الجمهورية ، والدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر وكبار علماء الإسلام ، وصفوة من رجال الكنيسة وعشرات الآلاف من المواطنين .

كلمات في رثاء الإمام الأكبر

نعى رئيس مجلس الوزراء والوزراء

قال الدكتور/ كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء فى نعى فضيلته :

إن مصر وهى تودع فقيدها الغالى الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، لتدرك أن العالم العربى والإسلامى يشاطرها كل مشاعرها الحزينة إزاء فقد رجل استطاع بسجاياه الشخصية الفريدة ، ومنصبه الرفيع أن يقدم لمصر والعالم الإسلامى نموذجا للأداء المبهر فى بساطة آسرة ، وقدرة عالية على استجلاء جوهر الأمور والوصول بها إلى عقول وقلوب الآخرين ، فى قوة لاتجافى التسامح وفى عالم لايعرف الترفع . كل ذلك فى إطار شخصية حباها الله نورانية هادية ، وطدت مابينه وبين القلوب بالمحبة والعرفان . وإننى وزملائى الوزراء إذ ننعى إلى الأمة المصرية والعالم الإسلامى كله الفقيد العظيم ؛ نشعر بمدى الخسارة بفقد هذا المعلم الدينى والعلمى .

وعزائى أن ما أعطاه الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر لوطنه ولأمته الإسلامية سيظل نبراسا تهتدى به أجيالنا المتعاقبة . اللهم نسألك أن تتغمد الفقيد بواسع رحمتك ، وأن تجريه خيرا عما أدى ابتغاء مرضاتك ، وان تلهم أسرته وتلاميذه القدرة على السلوان ، وأن تعوض عنه هذا الوطن العزيز لكى يظل دائما متجدد العطاء .

نعى رئيس مجلس الشعب

الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب ووكيلا المجلس وأعضاؤه والأمين العام ينعون بمزيد الحزن والأسى صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الذى انتقلت روحه الطاهرة إلى بارئها بعد حياة حافلة بالعطاء والعمل فى خدمة الدين والدعوة الإسلامية من أجل خير البشرية ويسألون المولى عز وجل أن يتغمد الفقيد الكريم بواسع رحمته ويلهم آله وذويه الصبر والسلوان .

فقيد الإسلام والأزهر الباحث دائماً عن الحقيقة

بقلم فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر

استعرض فضيلة الوكيل تاريخ الإمام الأكبر إلى ان عمل قاضيا ، ثم قال :

حصل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ـ رحمه الله ـ على الشهادة العالية من كلية الشريعة بالأزهر الشريف عام ١٩٤٣م ، ثم على الشهادة العالمية مع اجازة القضاء الشرعى عام ١٩٤٥م وبعد حصوله على الشهادة العالمية عين بالمحاكم الشرعية عام ١٩٤٦م ثم قاضيا بتلك المحاكم .

وكان لعمل فضيلته فى سلك القضاء منهج جعله يزن الأمور بميزان دقيق ، ويتريث جيدا قبل اتخاذ أى قرار فلما عمل بالإفتاء كانت هذه عادته ـ رحمه الله ـ وكان هذا دأبه ، هادىء الطبع ، حريص على التأصيل الفقهى والشرعى .

وكان له أسلوب علمى متميز ومسلك دقيق ، من حيث النظر إلى الفتوى وكأنها بحث علمى شامل ومتكامل ، وكان يرجع فى بحثه دائما إلى أكثر من مصدر من المصادر المتنوعة والمراجع المختلفة .

وكان يضيف الكثير من المعلومات بل ربما كان يغير من رأيه نتيجة للوصول إلى حكمة كانت خافية ، أو رأى كان غائبا أو غامضا ، فكان دائم البحث عن الحقيقة وكان فى بحثه ـ لاستخراج الحكم الصحيح ـ صبورا ودقيقا لا يكل ولا يمل .

ومما لا شك فيه أن هذا الأسلوب الرائع والمتميز للوصول إلى أدق المعلومات والنتائج جعل فضيلته ـ رحمه الله ـ موضوع ثقة فى جميع المجالات التى عمل بها .

فلما انتقل ـ رحمه الله ـ إلى الأزهر الشريف كان يرى أن الأزهر هو صمام الأمان للدعوة الإسلامية ، بل هو صمام الشريعة والعقيدة وهى أصل الدين ، ذلك لأن الأزهر له دوره البارز ورسالته السامية .

ومما يؤثر عنه ـ رحمه الله ـ أنه كان يقول : « إن الأزهر ليس هو الجامع فقط أو المنبر فحسب ـ كما يقول البعض الذين لم يعلموا أن ظل الأزهر امتد فى كل مكان ، واتسعت وانبسطت مظلته لتحنو فى رفق كريم وظل ظليل على كل مكان فى أرض مصر ، وفى خارج مصر حيث انتشرت فروعه من معاهد بلغت الآلاف وكليات تفوق الخمسين عمت الكثير من المدن فى ربوع الوطن .

وإن الأزهر إيمانا منه برسالته الدينية والعالمية وإصراره على حماية هذه الرسالة ليبذل فى سبيل تحقيقها كل شيء ليعم نفعه ويمتد فيضه إلى جميع أنحاء الدنيا فى أسلوب لين سلس ، ليؤدى رسالته التى فرضت عليه وهى نشر الإسلام والذود عن حياضه ورفع رايته عالية خفاقة .

وكان فضيلته ـ رحمه الله ـ يرى أن أبناء الأزهر بانتمائهم لمعهدهم وأزهرهم العريق ، وبما غرسه فيهم من قيم سامية ومبادىء راسخة ، وعقيدة صادقة ، واعية ، لم يجرفهم تيار العنف إلى الانحدار فى مغبة الغوغائية ، وذلك لأن هذا المعهد العتيد رسخ فيهم الأسس الثابتة لهذا الدين الحنيف ، وأصل فيهم القواعد المتينة التى تستطيع أن تقف صامدة مؤمنة بربها مدافعة عن دينها .

فرحم الله الفقيد وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى

ينعى الإمام الأكبر شيخ الأزهر

لا أجد فى استقبال ما أصابنا فى خير علمائنا : أخى خالد محمد خالد ، الذى انتقل من الشك لليقين ، وكان تراثه فى اليقين قاسما لتراثه فى الشك .

وأخى الغزالى فارس كل ميدان كلمة يقرأ ويعجب ، ولسانه يتكلم فيُطرب ، سلوكه أسوة يعلم الناس ما التزم به .

والحال فى مصابنا شيخ الأزهر إمام المسلمين . شيخى ومعلمى الشيخ جاد الحق على جاد الحق .

لا أستطيع فى هذا الموضع إلا أن نقول بما علمنا الله بلطفه : « إنا لله وإنا إليه راجعون » من يقولها يشعر ببرد الإيمان على كل مصاب ، وحسب كل مصاب ان يذكر مصيبته فى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

إن الموت الذى نشهده فى كل لحظة أمر يتفق فيه كل الكون ، ولا يخرج منه إلا المُكَونْ لهذا الكون « كل شىء هالك إلا وجهه » فليس الإنسان وحده بل الكون كله .

قضية الموت قضية مشتركة يستوى فيها كل مُكَونَ من رب الكون ، ولها مع العقائد مواقف تتلخص فى أمرين : حينما تحدث الحق تبارك وتعالى عن الموت والحياة قدم الموت « الذى خلق الموت والحياة » نلاحظ أن الحياة لها غرور واستعلاء ، فيريد الله سبحانه وتعالى ألا نستقبل الحياة بغرورها .

فإن الكافرين الذين تمردوا على الله فكفروا ، والعاصين تمردوا على الله فلم يطيعوا ، كان لابد أن يكون لنا ـ بالموت ـ معهم وقفه فقد ذقتم الموت فَلِمَ لم تؤمنوا به؟ ولماذا لا تتمردون على الموت ؟! كان يجب أن تراجعوا أنفسكم ، وسيأتى اليوم الذى تشعرون بذلك .

إذن فلو لم يخلق الموت والحياة ، لما وجد من يكفر بالله .

إن تأبين شيخى يطول ، فله فى مجالات الخير والحق والدعوة ما سوف تذكره الأيام ولا ينساه التاريخ ، وحسبنا رئيس الدولة فى نعيه فى مصابنا قال : « أنه لم يخش إلا الله » أنه دافع عن مرجعية الأزهر وقدسيته ، ومعنى ذلك أن أى شىء فى الدين يؤول إلى الأزهر .

الشيخ الإمام الأكبر وقف فى مساجلات متعددة ، ومؤتمرات ، ومؤامرات قال فيها قولة الحق التى حرقت فيها كل بهتان .

وحسبنا ما يقوله رئيس الدولة فيه : أنه وقف من الإسلام مما يقال عن الإسلام .

علمنا من شيخنا أنه يجب ألا نُعَصِّر الدين بل يجب أن ندين العصر فعصرنه الدين تعنى أنه غير كامل حاشا لله « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » فلا ترضوا بعقولكم عما رآه ربكم .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزى شيخنا خير الجزاء عما قدمه لدينه وأمته ومواقف صلبة قال عنها رئيس الدولة : « مواقف شامخة » .

وحسبه أنه مر بمراحل القضاء فتعلم منه دقة الميزان ، والافتاء وتعلم منه فتوة الإيمان .. ثم جاء إلى الأزهر .. حقل القرآن .

نعى وزارة الأوقـــــــاف

الشيخ جاد الحق علامة مضيئة فى تاريخ مصر ، لأنه تربع على كرسى القضاء ، فكان الفقيه المتمكن ، والقاضى المتبحر الذى يجعل الحق يصل إلى أصحابه ولايخشى فيه لومة لائم ، ثم انتقل إلى دار الإفتاء فكانت فتاواه فى المسائل التى كان الكل يهاب الاقتراب من ساحتها ، لكنه بعلمه وسعة أفقه استطاع أن يجعل دار الافتاء ساحة يفد إليها الكل وهو يجد المكانة فى قلب المفتى العظيم الذى بدأ يقتحم المسائل العلمية بجدارة فقهية وعلمية .

وشاء القدر أن يكون وزيرا للأوقاف ، ومع تقدم سنه بدأ يجوب البلاد للتعرف على مشاكل الدعاة ويضع الحلول الفورية ، فهو أول من وضع الضوابط لمجالس الادارات بالمساجد ، كما أنه هو الذى قال لقيادات الدعوة بالوزارة : « افتحوا أعينكم على الأماكن النائية وابعثوا إليهم بالعلماء » ، فوضعت ضوابط قوافل التوعية إلى غير ذلك من المشاكل التى حلها بالروح العلمية مع جميع أخوانه من حوله .

ولما كان الرجل بطيب قلبه وسماحة نفسه وعلو همته وبعد نظره ورأيه الثاقب هيأ الله الأمر له ليكون إماما للمسلمين وشيخا لهم ، فجاب العالم وطاف فى المجتمعات وشارك فى المحافل وفى العالم الإسلامى ، وهكذا كان المثل الأعلى لإمام المسلمين لدى جميع المستويات التى التقت به وشرفت بالمثول بين يديه ، الأمر الذى جعل الأزهر فى مصر المكان المرموق الذى يفد إليه كبار الشخصيات العالمية .

نعى دار الإفتاء المصرية

● أما فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية فقد نعى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وقال : لقد أدى فضيلته رسالته على الوجه الأكمل ، وخدم دينه خدمة عظمى ، وخدم أمته ، ودافع عن كل قضايا المسلمين ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل ماقام به فضيلته من جهود لخدمة دينه وأمته فى ميزان حسناته يوم نلقاه جميعا .. كما نسأل الله سبحانه وتعالى أن يلحقنا بفضيلته فى زمرة الصالحين .

واضاف فضيلة المفتى : لقد عرفناه عالما تقيا يجاهر بكلمة الحق ، ويعلن موقف الإسلام ، ينصح ويرشد ويوجه ، ويدعو المسلمين فى كل مكان إلى التوحد والتضامن والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، لذلك اكتسب حب الناس ورفع من شأن الأزهر .

ويؤكد الدكتور طنطاوى أن الإمام الراحل له جهوده المشهودة فى الابحاث الفقهية ، وقد أضاف الكثير لدار الافتاء خلال توليه المسئولية مفتيا ، فله منا جميعا كل محبة وتقدير ، وكل العاملين فى دار الافتاء يسألون الله سبحانه وتعالى أن يدخله فسيح جناته جزاء ماقدم للإسلام والمسلمين .

نعى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت

جناب الأزهر الشريف فى جمهورية مصر العربية ـ القاهرة ـ ومن جنابهم إلى أسرة الفقيد الراحل فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق رحمه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد آلمنا نبأ وفاة فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق رحمة الله ـ تعالى ـ عليه الذى سخر حياته لخدمة الإسلام والمسلمين ، وإننا إذ نتقدم منكم بأحر التعازى نسأل الله العزيز الرحيم أن يلهمكم الصبر والسلوان ويرحم الفقيد الغالى ويكرم مثواه .

وإنا لله وإنا إليه راجعون

دكتور على فهد الزميع
وزير الأوقاف والشئون الإسلامية

نعى جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية بلبنان

لقد فقدت الأمة الإسلامية بوفاة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق قطب من أقطاب الفكر الإسلامى ، فلقد أثرى الساحة الفكرية بفكره المستنير ، واتجاهه العلمى الغزير وقدم للمسلمين نموذجاً للخلق الإسلامى الرفيع ، وسلك إلى الدعوة إلى الله الحكمة والموعظة الحسنة ، وتصدى للباطل ودافع عن الحق .

رحم الله الفقيد وخالص العزاء لنا وللأمة الإسلامية وللشعب المصرى الكريم وللأزهر الشريف ولأسرة الفقيد مع دعواتنا أن تكون سيرته العطرة قدوة لأجيالنا ، وأن يجزيه الله خير الجزاء عما قدمه لنا وللأمة الإسلامية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

نعــى رئيــس جامعــة الأزهــر الشــريف

الدكتور أحمد عمر هاشم

أيها السادة :

ما أعظم مصابنا فى فقيد الإسلام والأزهر الشريف فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف الذى ودعناه بدموعنا ، والذى سيذكره التاريخ بأحرف من نور ، مسجلا للأجيال القادمة شموخ هذا الرجل الذى جسد للبشرية جماع الدور الريادى وعقيدتها ولغتها وأرسل علماءه إلى كافة بقاع المعمورة هادين ومبشرين ومنذرين .

فعزاؤنا اليوم أيها الأخوة فى مصابنا الجلل قول الرسول ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية أو ولد صالح أو علم ينتفع به » ولقد تجمعت هذه الخصال الحميدة فى إمامنا الراحل الذى نشر المعاهد الأزهرية على كافة ربوع ونجوع مصرنا الحبيبة وفى العديد من الأقطار الأخرى وامتد صرح أعماله الشامخة لتشمل جامعة الأزهر الشريف ، فأشرف على بناء العديد من فروع الجامعة فى داخل مصر وخارجها .

لقد جسد شيخنا وإمامنا الراحل عظمة الأزهر فى أعظم وأشمخ المعانى فى نفوس المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، فكلنا يعرف ـ مثلاً ـ ماحدث لفضيلته عند زيارته الى باكستان واستقبال الرئيس/ ضياء الحق لفضيلته فى المطار ، وعندما قال لسيادته بعض مستشاريه أن البروتوكول يقتضى أن يقوم رئيس الوزراء باستقبال فضيلة الإمام الأكبر ، لأنه على نفس درجته فكان رد معالى الرئيس ضياء الحق شافياً للصدور حينما قال : يوجد مئات من رؤساء الجمهوريات ، ولكنه لايوجد إمام واحد للمسلمين إلا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ، فهل هذا كثير على رئيس مثلى ليكون فى شرف استقباله ؟

هذه لمسة من ألوف الأمثلة الشامخة التى توضح المكانة السامية لإمامنا الجليل فى قلوب المسلمين ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، وعزاؤنا فى فضيلته قول المولى عز وجل ﴿ ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ﴾ ولايفوتنى أن أزجى بالغ شكر الأزهر للسادة الحضور الذين قدموا للعزاء فى فقيدنا الراحل وأشكر جميع الدول العربية حكاماً وشعوباً وعلماء ومفكرين على شعورهم الصادق فى عزائهم لفقيدنا الراحل .

وأتضرع إلى ربى أن يُدخل شيخنا الراحل فى جنات عدن وأن يجعل مثواه مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً ، اللهم لاتحرمنا أجره ولا تفتنا بعده .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نعى منظمة المؤتمر الإســـــلامى بجـــدة

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
أصحاب الفضيلة بمشيخة الجامع الأزهر الشريف حفظهم الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ..

إن العين لتدمع والقلب ليحزن ولانقول إلا ما يرضى الرب ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

بقلوب مليئة بالحزن والأسى بلغنا نعى الفقيد العظيم ، الإمام الأكبر ، الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، شيخ الجامع الأزهر الشريف ، ورئيس مجمع البحوث الإسلامية ، والذى كانت له عدة مواقف مشهورة فى الدفاع عن الإسلام والمسلمين ، وإننى إذ أشاطركم - وأسرة الفقيد وحكومة مصر والشعب المصرى النبيل ، والأمة الإسلامية - الألم والأسى أعرب لكم جميعاً باسمى شخصيا وباسم أسرة مجمع الفقه الإسلامى بجدة ، عن أحر التعازى وأصدق المواساة ، سائلين الله عز وجل أن يتغمد الفقيد برحمته الواسعة ويدخله فسيح جناته ويلهمكم وأهله وذويه الصبر والسلوان .

محمد الحبيب ابن الخوجة
الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامى بجدة

نعـــــى أليـــــم

يحتسب المشير عبدالرحمن سوار الذهب نائب رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والاغاثة ، ورئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية والأمين العام للمنظمة والمدير التنفيذى والعاملين بالمنظمة فى كل من افريقيا وأوربا الشرقية ودول الخليج :

يحتسبون - عند الله - تعالى - فقيد الأمة الإمام الأكبر الدكتور جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف ورئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والاغاثة سائلين المولى - عز وجل - أن يتغمده بواسع رحمته مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وإنا لله وإنا إليه راجعون

المشير عبدالرحمن سوار الذهب

نعى المـــركز الإســـلامى بلنـــدن

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ / سيد سعود وكيل الأزهر
السلام عليكم ورحمة الله

فقدت الأمة الإسلامية وجمهورية مصر العربية علما من أعلام الإسلام ومجاهداً بالفكر والكلمة من أجل إعلاء راية الاسلام فى ربوع العالم ألا وهو المرحوم فضيلة الشيخ / جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، طيب الله ثراه ، وجزاه خير الجزاء عما قدمه للإسلام والمسلمين .

وأئمة المركز الإسلامى بلندن يشاطرونكم الأحزان فى فقيد الأمة الإسلامية ، ويسألون الله أن يتغمده بواسع رحمته .

أئمة المركز الاسلامى بلندن

نعى البعثة الأزهرية بجمهورية المالديـف

أستاذنا الكبير فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الجامع الأزهر الشريف ـ حفظه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،،،

فلقد تلقت البعثة الأزهرية بجمهورية المالديف نبأ وفاة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر الشريف ببالغ من الأسى والحزن .

ولقد كان لهذا الواقع الأليم أشد الأسى فى قلوبنا وقلب الشعب المالديفى ، إذ أعلن الحداد فى هذه الجمهورية الإسلامية لمدة ثلاثة أيام ، ونكست الأعلام فى الدوائر الحكومية ، والبعثة الأزهرية تتلقى واجب العزاء فى فقيدها الراحل وتصلى صلاة الغائب اليوم فى جامع المركز الإسلامى الذى شارك فضيلته فى افتتاحه وساهمت مصر العربية فى بنائه .

ونحن نرفع الى فضيلتكم تعزية البعثة الأزهرية ومعهد الدراسات الاسلامية والمدرسة العربية الاسلامية إدارتيهما وهيئتى التدريس وطلابهما ، كما نرفع هذه التعزية إلى أسرة الفقيد الكريمة ـ ويشاركنا فى هذا الواجب وزراء جمهورية المالديف وكبار رجالها وشعبها المسلم سائلين المولى ـ تبارك وتعالى ـ أن يتغمد الفقيد برحمته الواسعة ورضوانه الكريمَ ، وأن يلهم أهله الصبر والسلوان ، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء .

إنا لله وإنا إليه راجعون
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فوزى أبو اليزيد محمد عبدالفتاح
رئيس البعثة الأزهرية بجمهورية المالديف

نعى نقـــابة الصـــحفيين

كذلك نعاه مجلس نقابة الصحفيين فى اجتماعه يوم وفاة شيخ الأزهر ، برئاسة الأستاذ إبراهيم نافع نقيب الصحفيين ، وقال المجلس فى بيانه :

إن حياة الفقيد كانت حافلة لخدمة الأمة الإسلامية وتأدية رسالته السامية إلى العالم الإسلامى .

محافظة الدقهلية تكرم اسم الإمام الأكبر

وأكد السيد فخر الدين خالد محافظ الدقهلية على أن المحافظة سوف تكرم اسم شيخ الأزهر التكريم الذى يليق بشخصيته ومكانته الدينية فى العالم الإسلامى .

نعى المعهد الإسلامى بباريس

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

فوجئنا بوفاة المرحوم الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف عليه رحمة الله ، أحيا السنة وأمات البدعة . تلقفته أيد الملائكة ، ليحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

كانت حياة الشيخ رحمه الله خالصة لوجه الله الكريم ، حافلة بالمآثر ، لم تشغله الدنيا عن الآخرة كرّس حياته للعلم النافع ، وأدى الامانة كأحسن مايكون الاداء .

لقد بقى فينا تراثه وعلمه وإرشاداته وتوجيهاته ونصائحه .

جزى الله الفقيد عن الإسلام والمسلمين خيراً ، وألهم أهله الصبر والسلوان وأدخله فسيح جناته ، ووفق الجميع الى الاقتداء به .

قال تعالى : ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ صدق الله العظيم

الدكتور دليل أبو بكر
عميد المعهد الإسلامى بباريس

نعى سفارة جمهورية مصر العربية بالأرجنتين

السيد الأستاذ مدير مكتب فضيلة شيخ الجامع الأزهر تحية إسلامية صادقة .

أتشرف بأن أبعث رفق هذا : الفاكس الذى تلقته السفارة من جمعية الصحافة المصرية الارجنتينية للعزاء فى وفاة فقيد مصر والعالم الإسلامى الراحل شيخ الجامع الأزهر .

وإذ تقدم السفارة أيضا خالص العزاء فى الفقيد الكبير ، لترجو لأسرته خاصة والمسلمين عامة الصبر والسلوان .

ولا أراكم الله مكروها فى عزيز لديكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

نعى الجمعية المصرية الأرجنتينية

تشاطر جمعية الصداقة الأرجنتينية الأمة المصرية أحزانها فى الفقيد الكبير فضيلة شيخ جامع الأزهر تغمده الله برحمته وأدخله جناته .

نعـى وزيـر التربيـة والتعلـيم بجمهوريـة المالديـف

صاحب الفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الجامع الأزهر الشريف ـ حفظه الله ـ السلام عليكم ورحمة الله بركاته ، وبعد ،،،

فلقد تلقينا ببالغ الحزن والأسى نبأ وفاة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف ، الذى كان وبحق أبا رحيما ، وأستاذا كريما ، وعالما فاضلا ، وإماما جليلا يراعى أبناء المسلمين فى كافة أنحاء العالم ، وكان واسع الصدر حلو اللسان جميل الطبع ، وهذا ما أثر فينا ، ولقد كانت مصيبتنا فيه عظيمة ، إذ لاننسى استقباله لنا وتلبيته لجميع مطالبنا ، وقد ساهم إسهاما ملحوظا فى نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى جمهورية المالديف ، حيث كان فضيلته يولى معهدنا الإسلامى عناية فائقة واهتماما منقطع النظير أدى فى عهده إلى تطويره وتنميته وتخريج عدد كبير التحقوا بجامعة الأزهر الشريف ـ جزاه الله عنا وعن المسلمين أفضل مايجزى به .

وفى هذه المناسبة نبادر بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن جميع مسئولى وزارة التربية والتعليم وموظفيها وطلابها ومدرسيها بتعزية فضيلتكم وعلماء الأزهر الشريف والعالم الإسلامى وأسرة الفقيد الكريمة ، وندعو الله سبحانه وتعالى أن يتغمد الفقيد برحمته الواسعة ، ورضوانه الكريم وأن يسكنه فسيح جناته ، وأن يلهمنا ويلهم أهله الصبر والسلوان .

ولا أراكم الله مكروها فى عزيز لديكم بعد اليوم ، إنا لله وإنا إليه راجعون

والسلام عليكم ورحمته وبركاته

نعى فرع الأزهر الشريف بجنوب أفريقيـا

تلقينا نبأ وفاة المغفور له فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الراحل ببالغ الأسى ، سائلين الله ـ عز وجل ـ له الرحمة والمغفرة ، وأن يجعل جهده فى خدمة الإسلام والمسلمين فى شتى بقاع العالم فى ميزان حسناته يوم القيامة .

دكتور / على فرج
المشرف على فرع الأزهر بجنوب أفريقيا

نعـــى الكاتـــب الكبيـــر مصطفى أمين تحـت عنوان (فكرة)

ثلاثة أقطاب ماتوا فى أيام متقاربة : خالد محمد خالد ، والشيخ محمد الغزالى ، والإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

إنهم ثلاثة أعلام إسلامية امتازوا بأنهم مفكرون متفتحون . يؤمنون بالله إيماناً صحيحاً ولا يكفرون المؤمنين ، ولا يحاربون المفكرين ، ويعرفون أن الإسلام الصحيح لا يعرف العبث ولا المبالغات ، ولا يقبل التأويل واللعب بالدين .

عرفت الشيخ جاد الحق وهو مفتى الديار المصرية ، ثم وهو وزير فى الوزارة ، وهو شيخ للجامع الأزهر ، عرفت رجلا يصمد دفاعا عن الإسلام الصحيح ويؤمن بالحرية ، ويرى أن الإسلام هو الديمقراطية ، والديمقراطية هى الإسلام . ويؤكد أن الإسلام الحقيقى هو حقوق الإنسان وأنه دين لا يعرف الاستبداد ويرفض الطغيان ويقاوم حكم الفرد .

من أعمال الإمام الأكبر فى المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

وجاء فى نعى السيد كامل الشريف الأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة قوله فى الإمام الأكبر الراحل :

لقد سعدت بالتعاون معه فى نطاق المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة فقد كان رئيساً لهذا المجلس ، وكان مقتنعاً بفكرته حريصاً عليه ، واستطاع من خلاله أن ينقل أفكاره وأفكار الأزهر لمجالات واسعة ، وأن يلتزم طابع الاعتدال والاتزان فى المنظمات الأعضاء ، سواء فى مجال التعليم أو الدعوة أو الإغاثة ، وكان يدرك حاجة المسلمين للعون والمساعدة ، فواظب على حضور اجتماعات الإغاثة فى عواصم مختلفة ، وأثار فى المنظمات الإغاثية من روحه وعزيمته ، وبث فيهم الحماس والنشاط ، وكان من ثمار ذلك أن جمعت مئات الملايين التى أنفقت على المنكوبين والضحايا فى البوسنة والشيشان والصومال .

ونرجو أن يكون كل ذلك فى ميزان حسناته الكثيرة وأن يكون رصيداً له عند ربه .

أسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يتقبل صالح أعماله وأن يسلكه فى منازل الصديقين والشهداء ، وأن يعوضنا فى فقده ويثبتنا على طريق الحق والخير الذى ارتضاه لنفسه وهداه ربه إليه ، وإننى نيابة عن اخوانى وأصدقائى الذين أنابونى عنهم ـ لاسيما قادة المنظمات الإسلامية الأعضاء فى المجلس ـ أقدم أصدق مشاعر العزاء لمصر ولأسرة الفقيد الكريم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

نعى الدكتور عبد الله مبروك النجار تحت عنوان «قرآن وسنة»

كان من المفروض أن أمثل بين يدى الإمام الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق عقب عودتى من لندن مباشرة لأقدم إليه تقريراً عن مؤتمر حقوق الإنسان ، وأسرى الكويت الذى شرفنى بإيفادى إليه تمثيله فيه وإلقاء كلمته إلى المسلمين من خلاله ، ولم يخطر ببالى لحظة أننى سأعود لأكتب نعيه بدلا من أن أرفع التقرير إليه .

لقد كان الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ رحمه الله ـ نفحة إلهية أراد الله أن يجدد بها شباب الأزهر الشريف ويعيده إلى سابق مجده ، فأتاح لهذا الرجل أن يكون على قمة رئاسته ، وجعله سبباً لخير كثير أجراه الله على يديه للإسلام والمسلمين ، ومنذ أن تولى مشيخة الأزهر الشريف وهو يعيش هموم المسلمين دون كلل أو ملل ، فكان يواصل العمل ليلا ونهاراً من أجل الارتقاء برسالة الأزهر والنهوض بمسئولياته ؛ ليحتل مكانته اللائقة بين المسلمين

تنـــويه

ثم أخيـراً تجـدر الإشـارة إلـى أن مشـيخة الأزهر قد تلقـت منـاعى كثيـرة من بعـض الهيئـات والجمعيـات والمنظمـات الإسلامية والأفراد من شتى أنحـاء العـالـم فى رثـاء فضيلـة الإمـام الأكبـر آخرها برقية من مؤسـسة محمد على «كلاى» الإسلامية بشـيكاغو وقـد حـال دون نشرها وغيرها فى مجلة الأزهـر مـتولها للطـبع ، سائلين المولى - عز وجـل - مكافأتهم عنا وأن يعظم أجرهم وأجرنا فى فقيـدنـا .

كلمات عن الحج

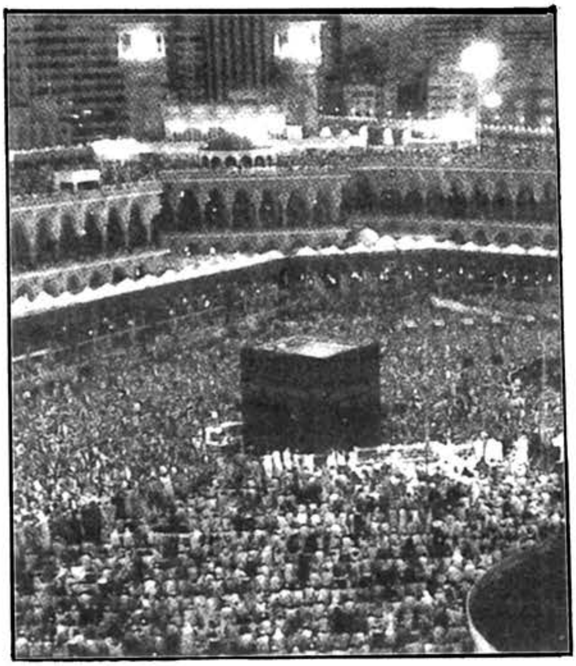

للإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

مكانة الحج والعمرة فى الإسلام :

١ ـ الحج هجرة إلى الله ، وتلبية لدعوته.فى قوله ـ سبحانه ـ فى سورة آل عمران :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ الآية/٩٧

وفى سورة البقرة قول الله ـ تعالى :

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾ الآية/١٩٦ .

وروى الترمذى عن على ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا » .

ولقد رغب رسول الله ﷺ فى الحج والعمرة فيما رواه البخارى عن أبى هريرة :

« من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

وقال فيما رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة :

« العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » ، وقال فيما رواه البزار عن جابر – رضى الله عنه :

« الحجاج والعمار وفد الله ، دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم » .

وقد أجمعت الأمة على فرضية الحج فى العمر مرة ..

وروى أحمد وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

خطبنا رسول الله ﷺ فقال :

« يا أيها الناس كتب عليكم الحج .. فقام الأقرع بن حابس فقال : أفى كل عام يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا ، الحج مرة واحدة فمن زاد فهو تطوع » .

والعمرة مشروعة بالكتاب والسنة والإجماع ، فقد قال الله فى سورة البقرة :

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

وأخرج أحمد وابن ماجه عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال :

« عمرة فى رمضان تعدل حجة » .

ويرى الشافعى وأحمد أن : العمرة فرض كالحج فى العمر .

ويرى مالك أن العمرة سنة مؤكدة مرة فى العمر وهو الصحيح فى المذهب الحنفى .. وما تظاهره الأدلة وأميل للأخذ به ؛ هو أن العمرة سنة مؤكدة على المستطيع كما قال الإمام مالك وغيره .

والحج لغة القصد ، وشرعاً : أعمال وأقوال مخصوصة تؤدى فى زمان ومكان مخصوص على وجه مخصوص ، وجملته عبادة تبدأ بالإحرام والطواف والسعى والوقوف بعرفة وسائر المناسك التى تلقتها الأمة عن رسول الله ﷺ استجابة لأوامر الله وابتغاء مرضاته وتأسياً بالرسول الكريم القائل فى هديه النبوى الشريف : خذوا عنى مناسككم ..

وهو أحد الأركان الخمسة للإسلام التى بينها الرسول ﷺ فى قوله :

« بنى الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا » .

وقد صارت هذه الأسس الخمسة معلومة من الدين بالضرورة .

أما العمرة فهى زيارة الكعبة والطواف حولها والسعى بين الصفا والمروة والحلق أو التقصير وكل ذلك يكون مبدوءا بالإحرام .

حكمة الحج :

إن الحج فريضة قديمة ونوع من الجهاد ، ففى الحديث الذى رواه النسائى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج والعمرة » .

والثابت من القرآن الكريم أن أول من رفع قواعد البيت الحرام هو إبراهيم ـ عليه السلام ـ وأنه طاف حوله مع ولده إسماعيل عليه السلام حيث سأل الله أن يريهما أعمال الحج ومناسكه حسبما يشير إلى ذلك قول الله فى سورة البقرة :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾
سورة البقرة

والحج فى واقعه إقبال على الله وتخل وإعراض عن دواعى البشرية واتصاف بالكمالات الملائكية ففيه وبه تتكامل الفرائض ، وتتحقق العبودية لله فى أتم مظاهرها وحقائقها ، وفيه ـ إذا صدقت النية ـ تمليك القلب لله بتعظيم شعائره وأداء مناسكه احتسابا وطاعة ومحبة لله ، وهو توبة وأوبة إلى الله العلى الأعلى ، وفيه الإنابة والخضوع ، وفيه التخلص من الموبقات ، المهلكات التى لحقت بالمسلم واقترفها فى سالف أيامه .

إن الحج فى حقيقته ومعناه يلتقى مع سائر العبادات عند غاية واحدة هى تحقيق معنى العبودية لله بالإخلاص فى طاعته والتوجه إليه وحده والاستعانة به دون سواه ، والتخلص من سلطان النوازع البشرية ، والحج مؤتمر عام للمسلمين يلتقون فيه فى رحاب الله ، ويتعارفون على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأوطانهم ويتشاورون فى أمورهم باسم الله وبحكم الله ، تجمعهم كلمة الله وسنة رسول الله ، يهتفون ملبين لله مكبرين خاشعين متخلين عن أعراض الحياة وشهواتها ، ومن هنا كان الحج بشروطه وأركانه مطهرا للحاج من ذنوبه وآثامه مفيضا عليه من رحمة الله ورضوانه .

إن الحج كمؤتمر عام سنوى للمسلمين فرصة متاحة لكل شعوب الإسلام وحكامها وزعمائها أن يتكاشفوا ويتشاوروا فى شتى أمورهم السياسية والاقتصادية والثقافية والتجارية ، ويتحاورون فى المشاكل الفكرية والاجتماعية وصولا إلى الحلول الصحيحة وإلى وحدة تكفل لهم القوة والاتحاد ، فتعود للأمة الإسلامية عزتها ومكانتها .

الاستطاعة فى الحج ومداها :

تتحقق الاستطاعة التى هى من شروط وجوب الحج بما يأتى :

١ ـ صحة البدن والقدرة على أعباء الحركة التى تتطلبها المناسك والسفر بوجه عام ، وعلى تقلبات الجو قيظا وبردا ، فالمريض مرضا يعجزه عن الحركة أو يقلل قدرته عليها ومن تقدمت به السن وصار ضعيفا لا يجب عليه الحج بنفسه وإنما يجب إذا توافرت لديه نفقات من ينوب عنه .

٢ ـ أمن الطريق بحيث يطمئن الحاج علي نفسه وماله ، فلو خاف من قطاع طرق أو وباء منتشر لا يلزمه الحج طالما كانت هذه الموانع قائمة .

٣ ـ ملك الزاد والراحلة بمعنى أن يكون لديه ما ينفقه على زاده فى السفر منذ الخروج إلى الحج والعودة إلى بلده ، وأجره وسيلة الانتقال كذلك سواء من بلده إلى الأرض الحرام موطن الحج أو وسيلة الانتقال الداخلية فى الأرض الحرام وذلك بحسب حاله ، وكذلك أن يكون مالكا لما يفى بحاجة أسرته ومن تلزمه نفقته حال سفره للحج وإلى حين العودة .

ذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قال :

﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾ .. وفسر رسول الله ﷺ هذا السبيل بتملك الزاد والراحلة ، والراحلة هى وسيلة السفر وقد تعددت هذه الوسيلة وتنوعت فى هذا العصر من طائرات إلى بواخر إلى سيارات .

ولا يجب الحج إلا على المسملة والمسلم البالغ العاقل ، ومن ثم فحج الصبى قبل البلوغ وحج المجنون لا يجزىء عن الفريضة .

وإذا كان المسلم عاجزا جسديا ولكنه قادر ماديا أن يستأجر من يعاونه فى أداء المناسك وجب عليه الحج إذا لم يشق على نفسه ، وإذا توافرت للمسلم وللمسلمة الاستطاعة المالية والقدرة البدنية وتوجه لأداء الحج ، لكن عرض مانع كالدائن يمنعه عن الخروج للحج حتى يؤدى دينه امتنع شرعا خروجه للحج .

فقد روى أبو هريرة أن رجلا قال : يا رسول الله : على حجة الإسلام وعلى دين .. فقال الرسول : اقض دينك .. ولأن قضاء الديون سواء كانت لله أو للعباد واجب ، وسواء كانت ديون العباد حالة أو مؤجلة كل ذلك لازم سداده قبل الحج ، بل يسقط وجوب الحج بهذه الديون حتى تؤدى ، وإذا سقط وجوب الحج بالدين ، فبالاستدانة لا يصير واجبا ، ولأن الديون التى لله كالنذور والكفارات ، أو التى للعباد ؛ كما تُسْقِط وجوب الزكاة فى المال إذا اكتمل النصاب ، فكذلك يسْقُطُ بها وجوب الحج حتى يتم سداد الدين وتبرأ الذمة .

ويمتنع وجوب الحج ويسقط إذا لم يكن لديه ما يفى بحاجة أولاده من نفقة وغيرها مدة الحج وإلى ما بعد عودته ، لأن الإنفاق على العيال أولى . إذا ضاق المال عن الوفاء بهما معا ، لا سيما وقد قال الرسول ﷺ : كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت ..

وكذلك الأبوان إذا خيف عليهما الضياع بسفر ابنهما أو ابنتهما إلى الحج وتعذر وجود من يقوم عليهما ويرعاهما ، كان هذا من قبيل عدم الاستطاعة إلى الحج لأن قضاء الله برعاية الوالدين وبرهما والقيام على شئونهما أولى .

هذا :

وقد أجمع العلماء على أنه إذا لم يكن للمكلف مال يتزود به فى الطريق لم يلزمه الحج .

فقد روى البخارى عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أن أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون : نحن المتوكلون ، فإذا قدموا مكة سألوا الناس ، فأنزل الله ــ تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ سورة البقرة/١٩٨ .

قال رجل لأحمد بن حنبل : أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل بغير زاد ، فقال له أحمد : اخرج فى غير القافلة . فقال :لا ، إلا معهم . قال : فعلى جرب الناس توكلت ــ أى : إنك توكلت على ما فى أوعية الناس من زاد ــ وإن وهب أجنبى الرجل مالا ليحج به ، لم يلزمه قبوله إجماعا لما يلحقه من المنة والأذى فى ذلك .

وإذا وهب رجل لأبيه مالا للحج ؟ قال الإمام الشافعى : يلزمه قبوله لأن ولد الرجل من كسبه ، ولا منة للولد على والده فى ذلك . وقال مالك وأبوحنيفة لا يلزم الأب قبول هبة الابن للحج ، لأن فيه سقوط حرمة الأبوة .

وقول الشافعى فى هذا أولى بالقبول .

وهل يستقرض الرجل ليحج ؟

روى عبدالله بن أبى أوفى قال : سألت رسول الله ﷺ عن الرجل لم يحج أيستقترض للحج ؟ قال : لا .. ومما يجب على الحاج قبل سفره وحين انعقاد نيته على الإعداد للحج :

١ ــ أن تكون نفقته من مال طيب حلال امتثالا لقول الله سبحانه فى سورة البقرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾

إذ هذه الآية خطاب للمؤمنين برسالة محمد ﷺ عامة وهى بعمومها تدعو إلى أن يكون الإنفاق فى سبيل الله وطاعته من الكسب الحلال وجيد الأموال وليست مقصورة على ما قيل فى مناسبة نزولها ، وهى النهى عن إنفاق الردىء من الأموال فى الزكاة بدلا من الجيد . وإنها دعوة إلى الإنفاق بجيد الأموال تطوعا إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ويؤيد هذا ما رواه الطبرانى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : إذا خرج الرجل حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله فى الغرز ، فنادى : لبيك اللهم لبيك : ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور . وإذا خرج

الرجل بنفقة خبيثة فوضع رجله فى الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك .. ناداه مناد : لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مأجور .

٢ ـ إخلاص الحج أو العمرة لله وحده لأن الله لا يقبل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم ..

ذلك قول الله ـ تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾

وفى الحديث الشريف : أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها : أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الفقر والغنى ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأعطى من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكرا ، ونطقى ذكرا ونظرى عبرا ..

٣ ـ أن يطهر الحاج نفسه ويخلصها من المظالم وحقوق الغير ، فيرد المظالم والحقوق إلى أربابها ما استطاع إلى ذلك سبيلا لقول الرسول ﷺ :

« من كان عنده مظلمة لأخيه من مال أو عرض فليتحلل منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح ، أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » .

٤ ـ محظور على الحاج المخاصمة والمشاحنة والجدال بالباطل امتثالا لقول الله ـ سبحانه وتعالى : ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ ... ومما يدخل فى هذه : المزاحمة والخشونة فى التعامل مع الناس قولا أو فعلا ، فالمسلم هين لين لاسيما فى الحج والعمرة .

٥ ـ أكثر أهل العلم على أنه يشترط فيمن يحج عن غيره أن يكون قد أدى الفريضة عن نفسه أولا مستدلين على ذلك بما رواه أبوداود وابن ماجه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول : لبيك عن شبرمة ، **فقال رسول الله ﷺ للرجل : أحججت عن نفسك ؟** قال : لا ، قال الرسول ﷺ : **فحج عن نفسك ثم حج عن شبرمة ..**

٦ ـ على الحاج أن يستوثق من صحة إحرامه ويحافظ عليه وأن يستفتى أهل العلم فيما يعرض له ، وأن يحرص على الحضور فى الحرم ومداومة النظر إلى الكعبة والطواف حولها ما استطاع دون إرهاق أو مدافعة للآخرين ، والإقبال على الصلاة فى الحرم فروضا ونوافل ، وتلاوة القرآن الكريم ، وخير الدعاء ما صدر من القلب خالصا مخلصا لله ـ تعالى ـ والدعاء بالمأثور أولى ولا سيما بما جاء فى القرآن الكريم فإنه خير الدعاء .

إن على من وفقه الله وكتب له أداء هذه الفريضة أن يؤديها مستوفية أركانها وشروطها ، وأن يحافظ على الاستمساك بطاعة الله ارتقابا لجزائه ورضوانه ، والله عنده حسن الثواب .

فتوى للإمام الأكبر

الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر الشريف

فى بيان حكم رجل أنكر نسب أحد القيمين إليه ، وحكم مسلم قال (مللت من دعاء لا يستجاب له) ، وحكم قراءة المسلم قرآنا للمسلم الميت وهل يصل الثواب إلى الميت .

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

وبعد ..

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر «فاكس» من وزارة الخارجية وفيما يلى نصه :

نرجو التكرم بتقديم أجوبة على الفتاوى التالية :

١ ـ شخص أنجب ابنا بطريقة غير شرعية ، ثم لم يُدرج اسم هذا الابن ضمن قائمة أسماء أولاده ، ولم يذكر له أمه ، ثم راح يهدد بأن ينشر فى الصحف أنه ليس ابنه ، وراح يلفق عنه أكاذيب أضرت بسمعة هذا الابن ، ومات دون أن يخبر ابنه هذا عن أمه ، وتآمر بعد ذلك إخوته عليه بمحاولة أكل نصيبه فى الميراث ، فما حكم الإسلام فى هذا ؟

هل ينسب هذا الابن لهذا الأب بعد كل هذا ؟

٢ ـ إذا قال المسلم « مَلَلْتُ من دعاء لا يستجاب له » فهل يعدّ كافراً ؟

٣ ـ إذا قرأ المسلم الحى للمسلم الميت قرآنا فهل يصل الثواب للميت ؟ وهل إذا ناداه يسمع الميت هذا الدعاء ؟

نرجو الرد بسرعة بواسطة الفاكس ..

(والجــواب)

عن السؤال الأول :

إن الإنجاب الشرعى بين رجل وامرأة هو ماكان ثمرة نكاح زوج لزوجته ، باتصال جسدى بينهما فى ظل عقد شرعى يحضره الشهـود ، ويتحقق فيه الإيجاب والقبول بين ولى الزوجة والزوج أو الزوجة البالغ والزوج ، ومايقدره الله بينهما من أولاد ينسبون إلى كل من الأب والأم (الزوجان) نسبا شرعيا تترتب عليه آثاره ..

إن أى معاشرة جسدية بين رجل وامرأة ، لم يتحقق قبلها عقد الزواج الصحيح شرعا لايكون فى الإسلام زواجا مشروعا ، وإنما هو فى حقيقة الأمر (زنا) وإن نتج عنه أُولاد فلا ينسبون إلى هذا الرجل المرتكب لجريمة الزنا ، ولكنهم ينسبون إلى أمهـم ، وعصبـة أمهـم عصبتهم ، ويرثـونها ، وترثهم ؛ لأن ولد الزنا لا أب له كما لا ينسب إلى أب جبراً ، وإنما ينسب إلى من حملته وولدته باعتبار أن هذه الأم شاركت فى واقعة مادية كان نتاجها هذا الولد فينسب إليها فى حياتها دون غيرها .

من فقه الشريعة الإسلامية أنها اعتبرت النسب أحد الضرورات الخمس التى وجب الحفاظ عليها وهى (الدين والنفس والعقل والمال والنسل) .

والنسب للـــنسل حق من حقـــوق الله ـ تعالى ـ ، لاينفسخ ولا يرد ولا يُحَوَّل ، فليس لرجل أن ينسب لنفسه طفلا ليس من زواج شرعى ، وليس له أن يجحد ولدا له من زوجة شرعية ، وليس لامرأة أن تُدخل على زوجها أو قومه ولدا ليس من زوجها الشرعى ، وكلتا الحالتين للرجل والمرأة محرمة شرعا ، وفى جزاء ذلك روى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شىء ولم يدخلها الله جنته ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه ـ أى يعلم أنه ولده ـ احتجب الله عنه ، وفضحه على رءوس الأولين والآخرين[1]) .

وقد اتفق فقهاء المذاهب المعتبرة على أنه يشترط لصحة الإقرار بالنسب من المقر به على نفسه مايلى :

١ ـ أن يكون المُقَرُّ به مجهول النسب .

٢ ـ أن لاينازعه فيه منازع ؛ لأنه إن نازعه فيه غيره تعارضا ، فلم يكن إلحاقه بأحدهما أولى من الآخر .

٣ ـ وأن يمكن صدقه بأن يحتمل أن يولد مثله لمثله .

٤ ـ أن يكـــون ممن لاقول له كالصغير والمجنـون ، أو يصدق المقـر إن كان من أهـل التصديق فإن كبر الصغير وعقل المجنون فأنكر لم يسمع إنكاره ، لأن نسبه قد ثبت فلا يسقط ، ولأن الأب لو عاد فجحد النسب لم يقبل منه[2] .

ولما كان هذا السؤال يفصح عن وقوع ولادة هذا الولد المسئول عنه بطريقة غير شرعية ، فإن

---

(١) بلوغ المرام شرح سبل السلام جـ٣ ص٢٤٦ .

(٢) المغنى جـ٥ ص١٩٩ ـ ٢٠٠ ، وابن عابدين جـ٤ ص٤٦٥ ، والهداية والفتح والعناية جـ٦ ص١٣ ، والشرح الصغير جـ٣ ص٥٤٠ ، ومواهب الجليل والتاج والاكليل جـ٥ ص٢٣٨ ، والمهذب جـ٢ ص٣٥٢ ونهاية المحتاج جـ٥ ص١٠٦ ـ ١٠٩ .

هذا الولد ليس له أب معروف ، وإن كان له أم ولدته ولذا ينسب إليها ، وإن تخلت عنه بعد حمله وفصاله .

وإذ كان ذلك : فإن لا يقبل من هذا الشخص المنجب لهذا الولد بطريقة غير شرعية أن ينسبه إلى نفسه ، ولا يكون ضمن أولاده مادام قد مات مصرا على أنه نتاج لقاء جسدى غير شرعى ومصرحا بأنه ليس ولده ، كما لا يصلح لهذا الشخص أن يدعى بنوة هذا الولد مادام الأمر تم فعلا وواقعا بطريق مؤثم شرعا ، وذلك لأن الإسلام لا يقر الزنا وسيلة للإنجاب ، بل شرع الزواج بشروطه السابقة لكيلا يأثم رجل وامرأة بفعل الزنا المضيع لأبوة من يولدون سفاحا .

ومتى كان هذا فإن حكم الإسلام أن هذا الولد المسئول عنه لا ينسب لهذا الشخص حتى وان ادعى نسبه ، مادام قد جحد نسبته إليه كما سبق بيانه .

وبناء على هذا فلا توارث بينهما ، لعدم وجود سبب من أسباب الميراث ، إذ الإرث يكون للمولود على فراش زوجية صحيحة ، لكن لا مانع لمن قام بتربية هذا الولد أن يقدم معونة وبرا كوصية له أو هبة منجزة .

وأولاد هذا الشخص ليسوا إخوة لهذا الولد ؛ لأنه دخيل عليهم غير معترف به شرعا ؛ لأن لم يتوفر بينه وبينهم سبب من أسباب الميراث الشرعية وهى : الزوجية والقرابة والعصوبة السببية ، والمراد بالقرابة : رابطة النسب الصحيح التى تربط بين الوارث والمورث برباط النسب الصحيح ـ فى أصول النسب : الأب والجد لأب ..الخ وبالفروع : الأولاد وأولاد الأولاد ..الخ والحواشى المتفرعة عن الأصول وهم الأخوة والعمومة الخئولة وفروعها .

ولما كان هذا الولد موضوع التساؤل ولد من سفاح ـ أى زنا ـ كما هو ظاهر السؤال فليس له نسب صحيح إلى أب معين وقد جحد الرجل نسبته إليه حتى وفاته ، ومن ثم فلم يتحقق بينهما سبب من أسباب الإرث الشرعى فلا توارث بينهما شرعا .

ومع هذا فإن الإسلام يوجب رعاية هذا الولد وأمثاله ـ ولو كانوا غير شرعيين ـ بواسطة أفراد متبرعين لا ينسبونهم إليهم

(ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله)(٣)

أو بواسطة جماعات أو منظمات تحمى إنسانيتهم ؛ حتى يكونوا نافعين يرجى خيرهم وتوقيا لشرهم ويسترون ولا يفضحون ، ولا يُشهّر بهم ولا نذكرهم بشأنهم من زنا ، ولا يهدّدون ولا تلفق لهم الأكاذيب .. ومما لا شك فيه أن تضييع هذا الولد جريمة منكرة ، والشخص الذى ارتكب مع أمه هذه الفاحشة يحاسبه الله على ما اقترف ، وقد أضاف إلى هذا الولد ضياعا فوق ضياعه بعدم إخباره بأمه المنسوب إليها والتى لها وله حق التوارث فيما بينهما ، وعلى الله قصد السبيل وهو سبحانه يقضى بالحق .

وعن السؤال الثانى :

تعريفات :

الدعاء لغة : مصدر دعوت الله أدعوه دعاء ودعوى ، أى ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير .

---

(٣) سورة الأحزاب الآية رقم (٥) .

وهو بمعنى النداء ، يقال : دعا الرجل دعوا ودعاء أى : ناداه ، ودعوت فلانا صحت به واستدعيته ، ودعوت زيدا ناديته وطلبت إقباله .

ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة فهو داعى الله ، والجمع : دعاة وداعون . ودعاه يدعوه دعاء ودعوى: أى : رغب إليه ، ودعا زيدا : استعانه ودعا إلى الأمر : ساقه إليه[٤] .

والدعاء فى الاصطلاح : الكلام الإنشائى الدال على الطلب مع الخضوع ويسمى أيضا سؤالا[٥] وقد قال الخطابى : حقيقة الدعاء استدعاء العبد من ربه العناية ، واستمداده إياه المعونة ، وحقيقته إظهار الافتقار إليه ، والبراءة من الحول والقوة التى له ، وهو سمة العبودية وإظهار الذلة البشرية ، وفيه معنى الثناء على الله ، وإضافة الجود والكرم إليه[٦] .

وقد ورد فى القرآن الكريم بمعان منها :

(أ) **الاستغاثة** : كما فى قوله ــ تعالى :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾[٧] .

(ب) **العبادة** : كما فى قوله ــ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾[٨] .

وقوله ــ تعالى :

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ ﴾[٩] .

وقوله ــ تعالى :

﴿ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾[١٠] .

(جـ) النداء : ومنه قوله ــ تعالى :

﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ ﴾[١١]

وقوله :

﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾[١٢] .

(د) **الطلب والسؤال من الله** : وهو المراد هنا كما فى قوله ــ تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[١٣]

وقوله ــ تعالى :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[١٤] .

ويوافق هذا المعنى ما يقال : دعوت الله أدعوه دعاء ، أى : ابتهلت إليه بالسؤال ، ورغبت فيما عنده من الخير ، والداعى اسم الفاعل من الدعاء ، والجمع دعاة ، وداعون ، مثل قاضى وقضاة وقاضين[١٥] .

الاستغفار :

---

(٤) لسان العرب ، وتاج العروس ، والمصباح المنير .
(٥) قواعد الفقه للبركتى .
(٦) اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين جـ ٥ ص ٢٧ ــ ٢٨ ط دار الفكر .
(٧) سورة الأنعام الآيات رقم ٤٠ ــ ٤١ .
(٨) سورة الأعراف الآية رقم ١٩٤ .
(٩) سورة الكهف الآية رقم ٢٨ .
(١٠) سورة الكهف الآية رقم ١٤ .
(١١) سورة الاسراء الآية رقم ٥٢ .
(١٢) سورة القصص الآية رقم ٢٥ .
(١٣) سورة البقرة الآية رقم ١٨٦ .
(١٤) سورة غافر الآية رقم ٦٠ .
(١٥) لسان العرب ، والمصباح المنير .

الاستغفار فى اللغة طلب المغفرة بالقول والفعل ، وفى اصطلاح الفقهاء - أيضا - يستعمل فى ذلك المعنى .

والمغفرة فى الأصل الستر ، والمراد بالاستغفار طلب التجاوز عن الذنب فالمستغفر يطلب من الله - تعالى - المغفرة أى : عدم المؤاخذة بالذنب والتجاوز عنه . قال - تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾[16] .

والنسبة بين الاستغفار والدعاء العموم والخصوص المطلق ، فكل استغفار دعاء ، وليس كل دعاء استغفارا[17] .

الذكـــر :

الذكر هو التلفظ بالشىء وإحضاره فى الذهن بحيث لا يغيب عنه[18] .

وذكر الله بالمعنى الأعم شامل للدعاء وغيره . وبالمعنى الأخص الذى هو تمجيد الله وتقديسه وذكر أسمائه الحسنى وصفاته العليا مباين للدعاء .

فضل الدعاء:

ورد فى فضل الدعـــاء نصوص كثيرة من الكتاب والسنة نورد بعضها فيما يلى :

قال - تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[19]

ومعنى القرب هنا كما نقل عن الزركشى ، أنه إذا أخلص فى الدعاء واستغرق فى معرفة الله امتنع أن يبقى بينه وبين الحق واسطة ، وذلك هو القرب[20] .

وقال - تعالى :

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[21] .

وقال - تعالى :

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[22] .

وقال - تعالى :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[23] .

وروى النعمان بن بشير عن النبى ﷺ أنه قال :

(إن الدعاء هو العبادة)[24] .

ثم قرأ : (ادعونى أستجب لكم) الآية .

وقال ﷺ :

(الدعاء مخ العبادة)[25] .

وقال ﷺ :

(إن الله حى كريم يستحى إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين)[26] .

---

(16) سورة آل عمران الآية رقم 135 .

(17) مدارج السالكين جـ1 ص308 ط السنة المحمدية ، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح جـ3 ص460 ، وشرح ثلاثيات مسند أحمد جـ3 ص903 .

(18) قواعد الفقه للبركتى .

(19) سورة البقرة الآية رقم 186 .

(20) اتحاف السادة المتقين جـ5 ص28 .

(21) سورة الأعراف الآية رقم 55 .

(22) سورة الاسراء الآية رقم 110 .

(23) سورة غافر الآية رقم 60 .

(24) أخرجه أبو داود جـ2 ص161 - والترمذى جـ5 ص456 ط الحلبى - من حديث النعمان بن بشير وقال الترمذى (حديث حسن صحيح) .

(25) أخرجه الترمذى (جـ5 ص456 ط الحلبى) من حديث أنس بن مالك ، وقال (هذا حديث غريب) .

(26) أخرجه الترمذى (جـ5 ص557 ط الحلبى) من حديث سلمان وقال (حديث حسن غريب) .

وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال :

(ليس شيء أكرم على الله ـ عز وجل ـ من الدعاء)[٢٧] .

وقال ﷺ :

(ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم)[٢٨] .

وقال ﷺ :

(سلوا الله تعالى من فضله ، فإنه تعالى يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج)[٢٩] .

أثر الدعاء :

الدعاء عبادة ، وله أثر بالغ وفائدة عظيمة ، ولولا ذلك لم يأمرنا الحق ـ عز وجل ـ بالدعاء ، ولم يرغّب النبى ﷺ فيه ، فكم رفعت محنةٌ بالدعاء وكم من مصيبة أو كارثة كشفها الله بالدعاء ، وقد أورد القرآن الكريم جملة من الأدعية استجابها الله ـ تعالى ـ بمنه وفضله وكرمه ، وكان من جملة أسباب النصر فى موقعة بدر دعاء النبى ﷺ .

والدعاء سبب أكيد لغفران المعاصى ، ولرفع الدرجات ، ولجلب الخير ودفع الشر . ومن ترك الدعاء فقد سد على نفسه أبوابا كثيرة من الخير .

حكم الدعاء :

قال النووى : إن المذهب المختار الذى عليه الفقهاء والمُحدِّثون وجماهير العلماء من الطوائف كلها من السلف والخلف أن الدعاء مستحب[٣٠] .

وقد يكون الدعاء واجبا كالدعاء الذى تضمنته سورة الفاتحة أثناء الصلاة ، وكالدعاء الوارد فى صلاة الجنازة ، وكالدعاء فى خطبة الجمعة عند بعض الفقهاء .

ثم هل الأفضل الدعاء أم السكوت والرضا بما سبق به القدر ؟

نقل النووى عن القشيرى قوله : (اختلف الناس فى أن الأفضل الدعاء أم السكوت والرضا) ؟

فمنهم من قال : الدعاء عبادة لقوله ﷺ : (الدعاء هو العبادة)[٣١] ولأن الدعاء إظهار الافتقار إلى الله تعالى .

وقالت طائفة : السكوت تحت جريان الحكم أتم ، والرضا بما سبق به القدر أولى .

وقال قوم : يكون صاحب دعاء بلسانه ورضا بقلبه ليأتى بالأمرين جميعا[٣٢] .

والملل من عدم استجابة الدعاء لا يليق بالمؤمن أن يتصف به ؛ لأنه بملله هذا يغلق على نفسه باب إجابة الدعاء ، يقول رسول الله ﷺ : (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوتُ ربى فلم يستجب لى)[٣٣] .

(٢٧) أخرجه الترمذى (جـ ٥ ص ٤٥٥ ط الحلبى) وقال ابن القطان (رواته كلهم ثقات وما موضع فى اسناده ينظر فيه إلا عمران وفيه خلاف) كذا فى فيض القدير (جـ ٥ ص ٣٦٦ المكتبة التجارية) .

(٢٨) أخرجه الترمذى (جـ ٥ ص ٥٦٦ ط الحلبى) من حديث عبادة بن الصامت وقال : حسن صحيح .

(٢٩) أخرجه الترمذى (جـ ٥ ص ٥٦٥ ط الحلبى) من حديث عبدالله بن مسعود وقال الترمذى (هكذا روى حماد بن واقد هذا الحديث ، وليس بالحافظ) وانظر اتحاف السادة المتقين مع الاحياء جـ ٥ ص ٣٠ .

(٣٠) الأذكار ص ٦٠٨ تحقيق محيى الدين .

(٣١) سبق تخريجه هامش ٢٤

(٣٢) الأذكار ص ١٠٩ .

وعلى المؤمن أن يقف على باب الرجاء دائما ، فالله يحب المُلِحَّ فى الدعاء ويجيبه بإحدى طرق ثلاث .

١ ـ أن يُعْطى الداعى ما طلب وما سأل .

٢ ـ أن يَصْرف عن الداعى سوءا بدل ما طلب .

٣ ـ أن يدّخر الله ـ عز وجل ـ للداعى إجابة دعائه بخير يناله فى وقت أراده الله أو فى الآخرة .

ويُخشى على مؤمن يقول : (مللت من دعاء لا يستجاب له) أن يتلقفه الشيطان بالوسوسة ، فينكر أن الله مجيب الدعاء ، وعندئذ يُخْشى على من يقول هذا من المسلمين أن يدخل فى نطاق من ينكر قول الله ـ تعالى :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٣٤]

وقوله :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[٣٥]

هذا :

أما مجرد الملل ـ نعوذ بالله منه ـ واستعجال الإجابة مع طمأنينة القلب ، وعدم نكران آيات القرآن الدالة على وعد الله بإجابة الدعاء فإنه لا كفران فيه ، وعلى من وقع أو يقع فى قلبه هذا الملل ، الاستغفار والتوبة ، فالملل المسئول عنه أقرب إلى المعصية منه إلى الكفر ، وليعلم المؤمن أن لإجابة الدعاء شروطا منها : أن يتحرى الداعى أكل الحلال وملبس الحلال ، وشرب الحلال ، ـ أيضا ـ لا يدعو الله بإثم ولا قطيعة رحم ، وعليه أن يرد المظالم لأهلها ، وأن يكون فاعلا للخير متباعدا عن الشر ، وإذا حقق المسلم الاتصاف بهذه الصفات السابقة فإن الله لا يرده خائبا بل يجيبه بواحدة من إحدى ثلاث سبق بيانها .. بل على كل مسلم حين يدعو الله أن يثق بوعده ، فلا ينبغى أن يكون سببا فى الوقوع فى إثم ، ومصداق هذا ماروى[٣٦] عن رسول الله ﷺ :

(إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين) قال :

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[٣٧] .

وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾[٣٨]

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء :

يارب يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك ؟ .

هذا : وإذا كان حكم الدعاء بوجه عام أنه مستحب فيما عدا الدعاء الواجب على نحو ما

---

(٣٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه ـ الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٢ ص ٤٩٠ .

(٣٤) سورة غافر الآية رقم (٦٠) .

(٣٥) سورة البقرة الآية رقم (١٨٦) .

(٣٦) رواه مسلم والترمذى عن أبى هريرة ـ الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٢ ص ٥٤٥ ، ٥٤٦ .

(٣٧) سورة المؤمنون الآية رقم (٥١) .

(٣٨) سورة البقرة الآية رقم (١٧٢) .

سلف فلا ينبغى أن يكون الدعاء المستحب سببا فى الوقوع فى إثم ، بل على كل مسلم ـ حين يدعو الله أن يثق بوعده ، فإذا كان عجولا فخير له ألا يدعو الله حتى لا يقع فى إثم بملله أو بالعجلة التى تتسلط عليه .

عن السؤال الثالث :

إذا قرأ المسلم الحىّ للمسلم الميت قرآنا وصل ثوابه للميت ، لأن القرآن الكريم كلام الله الرحمن الرحيم المتعبد بتلاوته ، المنزل على سيدنا محمد ﷺ ، تحضر الملائكة لسماعه ، وبنزولهم تتنزل الرحمة ، وإذا قرىء القرآن كله أو بعضه بدون مقابل ووهب ثوابه للميت ينفعه إن شاء الله .

وقد ورد فى الحديث الشريف (ما من ميت يموت فيقرأ عنده « يس » إلا هوّن الله عليه)[٣٩] وقراءتها تكون عند الاحتضار أو تكون بعد الموت سواء قبل الدفن أو بعد دفن الميت ، ولا مانع على فضل الله .

وقال رسول الله ﷺ :

(قلب القرآن « يس » لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له) اقرؤها على موتاكم[٤٠] .

وإذا نادى الحىّ الميت سمع النداء ، ورد السلام على من يسلم عليه .

وفى حديث النبى ﷺ عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

(ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فسلّم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام)[٤١] .

وقد روت السيدة عائشة عن النبى ﷺ قوله :

(ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد السلام عليه حتى يقوم[٤٢]) .

وقد شرح النبى ﷺ لأمته السلام على أهل القبور بمثل : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين) وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم الجماد ، ومن هذه النصوص يكون سماع الأموات للأحياء ممكنا .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(٣٩) رواه أبو نعيم عن أبى الدرداء وأبى ذر ـ جامع الأحاديث للسيوطى جـ ٥ ص ٧٤٥ . واسنده صاحب مسند الفردوس من طريق مروان بن سالم عن صفوان بن عمر وعن شريح عن أبى الدرداء وأبى ذر ـ نيل الأوطار للشوكانى جـ ٤ ص ٢٢ .

(٤٠) رواه أحمد وأبو داود والنسائى واللفظ له ، وابن ماجه والحاكم وصححه ـ الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٢ ص ٣٧٦ .

(٤١) قال ابن المبارك : ثبت ذلك عن النبى ﷺ وصححه عبد الحق صاحب الأحكام ـ فتاوى ابن تيمية جـ ٢٤ ص ٣٣١ .

(٤٢) إحياء علوم الدين للغزالى مع تخريج الأخبار للعراق جـ ٤ ص ٤٤٧ حيث قال : أخرجه ابن أبى الدنيا فى القبور ، وفيه عبد الله بن سمعان ، ولم أقف على حاله ورواه ابن عبد البر فى التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الأشبيلى .

وفى جامع الأحاديث للسيوطى جـ ٥ ص ٧٠٤ قول رسول الله ﷺ : (ما من رجل يزور قبر حميمه فيسلم عليه ويقعد عنده إلا رد عليه السلام وأنس به حتى يقوم من عنده) رواه أبو الشيخ والديلمى عن أبى هريرة .

وفى كتاب الروح لابن القيم ص ١١ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : (إذا مر الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه ، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام) رواه ابن أبى الدنيا .

وفى كتاب الروح لابن القيم أيضا ص ١٠ قال : قال ابن عبد البر ثبت عن النبى ﷺ أنه قال : (ما من مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه ، حتى يرد عليه السلام) .

مع سورة يس

أ.د/ ابراهيم خميس

قال تعالى :

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ

مناسبة الآيات لما قبلها :

فى الآيات السابقة ذكر من دلائل قدرة الله تعالى وآلائه التى أسبغها على عباده : سباحة الكواكب فى أفلاكها ، ثم ذكر فى هذه الآية ما هو مثله وهو سباحة الفلك فى البحار فقال :

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ وبين سباحة الكواكب والنجوم فى أفلاكها والفلك المشحون السابح فى الماء يحمل ذرية بنى آدم مناسبة لطيفة فى الشكل والحركة . وتسخير هذا وذاك بأمر الله تعالى وحفظه بقدرته فى السماوات والأرض سواء .

وهذه الآية كالتى قبلها يراها العباد ولا يتدبرونها بل إن آية الفلك فى البحار أقرب إليهم وأيسر تدبرا وتأملا لو فتحوا لها قلوبهم .

وفى المراد من قوله ﴿ **وآية لهم** ﴾ ثلاثة معان :

أحدها : عبرة لهم لأن فى الآيات اعتبارا لأولى الألباب .

الثانى : نعمة عليهم لأن فى الآيات إنعتما عليهم وفوائد لهم .

الثالث : إنـذار لهم لأن فى الآيات إنـذاراً بالعذاب إن لم يلتفتوا إليها ، ويقوموا بواجب شكر المنعم بها .

وفى إسناد « حمل » إلى ضمير العظمة « نا » إيحاء بتعظيم حمل الفلك وأنه لا يقدر عليه إلا الله سبحانه ، والذرية مأخوذ من الذراء وهو الخلق . وهى تطلق على الأصول والفروع . فالفـروع خلـقت من الأصول والأصول خلـقت منهم الفروع.

قال الراغب : الذريـة أصلهـا الصغـار من الأولاد وإن كانت تقع على الصغار والكبار فى العرف وتستعمل فى الواحد والجمـع وأصلهـا الجمع . قال تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ ﴾ [آل عمران : ٣٤]

وقال: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا﴾ [النساء : ٩] .

وفى المراد بالذرية أقوال : منها أنها أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم أو صبيانهم أو نساءهم الذين يستصحبـونهم فإن الذريـة تطلـق عليهم جميعا . وعلى هذا يكون المراد بالفلك السفن التى تركب وتمخر عباب الماء صغارا كانت أم كبارا ، وتخصيص النساء والأولاد بالذكر لأن استقرارهم فى السفن أشق وتماسكهم فيها أعجب .

والمعنى أن تسخير البحر والفلك كما أنه نعمة فى حق الذرية فهو نعمة فى حق الآباء أيضا لأنه لما كان فالصبر على القرار فيها أشق وأعجب كانت النعمة فى حقهم أتم .

وقيل المراد بالفلك سفينة نوح ، و« ال » فى « الفلك » للعهد . والمعنى . أنا حملنا أولادهم .

فعلى هذا كان الظاهر أن يقال : « إنا حملناهم وذريتهم ، لأن أنفسهم أيضا محمولة فى فلك نوح عليه السلام ، إلا أنـه قيـل حملنـــا ذريتهم » بتخصيص الحمل للذرية لكونه أبلغ فى الامتنان بكمال النعمة فى حقهم ؛ فإنه لو قيل حملناهم لكان امتنانا بمجرد تخليصهم — أى الآباء — من الغرق ، فلما قيل حملنا ذريتهم أفاد الكلام أن نعمة التخليص من الغرق لم تكن مقتصرة عليكم أيها الآباء ، بل هى متعدية إلى أعقابكم إلى يوم القيامة حيث حملنا معكم أولادكم إلى يوم القيامة فى ذلك الفلك ، ولولا ذلك لما بقى لكم نسل ولا عقب ، والأظهر أن المراد بالفلك الجنس لأن سفينة نوح لم تكن معروفة عندهم ولم يعلموا من حمل فيها . قال تعالى :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ سُورَةُ الجَاثِيَة

وقال :

﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [فاطر : ١٢]

والقرآن يفسر بعضه بعضا ، ومما لاشك فيه أن الفلك فى هذه الآيات لم يرد به سفينة نوح عليه السلام ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾

فى المراد بـ « مثله » أقوال :

قال أبو مالك : إنها السفن الصغار خلقها مثل السفن الكبار .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما . خلق لهم سفنا أمثالها يركبون فيها .

وقيل هى السفن المتخذة بعد سفينة نوح .
وقيل إنه للإبل والدواب وكل ما يركب .
والخلاصة فى هذا أن من دلائل قدرته ورحمته تبارك وتعالى ، تسخير البحر ليحمل السفن ، وركوب الذرية أى الأولاد فى السفن المملوءة بالبضائع التى ينقلونها من بلد إلى آخر لتوفير القوت والمعاش كما قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾

[لقمان : ٣١] .
وقيل : الذرية آباؤهم الذين حملوا فى سفينة نوح وهى السفينة المملوءة بالأمتعة والحيوانات التى أمره الله تعالى أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين حفاظا على أصول المخلوقات . والمعنى أن الله حمل آباء هؤلاء وأجدادهم فى سفينة نوح .
﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

أى خلقنا للناس مثل تلك السفن سفنا برية وهى الإبل فإنها سفن البر يحملون عليها وعليها يركبون ؛ ويرى « الرازى » أن الضمير فى « مثله » يعود على الفلك على قول الأكثرين ، فيكون هذا كقوله تعالى :
﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾
[ص : ٥٨]
وعلى هذا فالأظهر أن يكون المراد الفلك الآخر الموجود فى زمانهم وليس المراد الإبل ، ويحتمل أن يعود الضمير فى « مثله » إلى معلوم غير مذكور . تقديره من مثل ماذكرنا من المخلوقات .

وعلى هذا تشمل الآية كل وسائل النقل الحديثة من سيارات وقطارات وطائرات وغير ذلك ، ونظير الآية قوله تعالى :

﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[النحل : ٨] .
ومهما يكن من شىء فإن السفن على اختلاف الأقوال فيها تسير بقدرة الله ونواميسه التى تحكم الكون وتصرفه ، وتجعل الفلك يعوم على وجه الماء بحكم خواص الفلك ، وخواص الماء ، وخواص الريح أو البخار أو الطاقة أو غيرها من القوى ، وكلها من أمر الله وخلقه وتقديره .
﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ .
الغرض من ذكر هذه الآية أمران .
الأول : أن الناس فى حال النعمة ينبغى ألا يأمنوا عذاب الله تعالى .

الثانى : أنها ترد على الطبيعيين الذين يقولون إن السفينة تحمل ، بمقتضى الطبيعة والمجوف لا يرسب ليس الأمر كما زعمتم . بل لو شاء الله أغرقهم . وليس ذلك بمقتضى الطبع . ولو صح كلامهم الفاسد لكان لقائل أن يقول . ألست توافق أن من السفن ما ينقلب وينكسر ومنها مايثقبه ثاقب فيرسب وكل ذلك بمشيئة الله تعالى .
ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ **لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون** ﴾ [يس] .

وقوله تعالى : ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما ﴾ .

وقوله ﷺ : « ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن » أخرجه أبو داود فى كتاب الأدب من حديث طويل .

ومعنى الاستثناء فى قوله : ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ لا ينقذهم من الغرق أحد إذا أردنا إغراقهم إلا أن نفعل نحن ذلك الإنقاذ لرحمة صادرة منا وتمتع بالحياة إلى حين قدر لآجالهم ، أو إلا أن ترحمهم رحمة ونمتعهم تمتيعا إلى أجل يموتون فيه أو إلا برحمة منا ، أو ولاهم ينجون من الغرق البتة ولكن رحمتى هى التى تنجيهم .

وهذه الآية كقوله تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾

[سبأ : ٩] .

والمراد بالآيتين التخويف مما أحاطهم من العذاب من كل جانب أينما ساروا ، فهو أمامهم وخلفهم محيط بهم ، فليس فى وسعهم أن يتخلصوا منه بالهرب .

وفائدة الاستثناء فى قوله : ﴿ إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين ﴾ انقسام الانقاذ إلى قسمين الرحمة والمتاع . فمن علم الله أنه يؤمن ينقذه رحمة منه سبحانه ، ومن علم أنه لا يؤمن فليتمتع زمانا ويزداد إثما .

وما أحوج راكب الفلك إلى رحمة الله فالسفينة فى الخضم كالريشة فى مهب الريح مهما ثقلت وضخمت وأتقن صنعها ، إلا تدركها رحمة الله فهى هالكة فى لحظة من ليل أو نهار . فرحمة الله وحدها هى العاصم من العواصف والتيارات فى هذا الخلق الهائل التى تمسك يد الرحمة الإلهية عنانه الجامح ولا تمسكه يد سواها فى أرض أو سماء . وذلك حين يقضى الكتاب أجله ويحل الموعد المقدور فى حينه وفق ما قدره الحكيم الخبير .

قال تعالى :

﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[فاطر : ٢] .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٤٥ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾

[ياسين : ٤٥ ـ ٤٦]

فى الآيات السابقة بيان لإعراضهم عن آيات الله الكونية وفى هذه الآية بيان لإعراضهم عن آياته التنزيلية .

للقرآن عطاء غزير لمعان كثيرة يستنبطها القارىء فى كل جيل . وفى قوله : ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ ﴾ تحقيق لهذا القول . فقد يراد . مابين أيديكم من الوقائع فيمن كان قبلكم من الأمم وما خلفكم من الآخرة ، أو ما بين أيديكم ما مضى من الذنوب وما خلفكم ما يأتى من الذنوب ، أو مابين أيديكم ما مضى من أجلكم وما خلفكم ما بقى منه ، أو مابين أيديكم من أمر الآخرة وما عملوا لها وما خلفكم من أمر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها . أو مابين أيديكم ما ظهر لكم وما خلفكم ما خفى عنكم وكل هذه المعانى مرادة .

وجواب إذا محذوف تقديره أعرضوا دل عليه ما بعده : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ قائل ذلك هم المؤمنون ، أو النبى ﷺ : أو الله ـ تعالى ـ والمعنى ، وإذا قيل لهؤلاء المعرضين عن آيات الله المكذبين بها احذروا أن يصيبكم مثلما أصاب من قبلكم من الأمم مما هو قدامكم من الآفات والنوازل وعذاب الدنيا ، وخافوا ما أنتم مقدمون عليه بعد الهلاك من عذاب الآخرة إذا أصررتم على الكفر حتى الموت لعل الله يرحمكم باتقائكم ذلك ويحميكم من عذابه ويغفر لكم . إذا قيل لهم ذلك أعرضوا عنه وإذا قيل لهم اتقوا لا يتقون .

« لعلكـــم ترحمون » أى راجين أن ترحموا والترجى فى لعل من جانب المخاطبين وليس من الله سبحانه أو كى ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم أن مناط النجاة ليس إلا رحمة الله . فلعل هنا للتعليل ولا يكون الترجى من جانب الله لأن الترجى طلب الأمر المشكوك فيه والله يعلم الأشياء علما قطعيا قبل وجودها فلا يقع منه الشك ، ولأن الترجى يكون من الأدنى للأعلى ولا يوجد من هو أعلى من الله حتى يرجوه .

﴿ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ﴾ .

صيغة المضارع فى « وما تأتيهم » للدلالة على التجدد والاستمرار ، وإضافة الآيات إلى اسم الرب المضاف إلى ضمير « هم » فى « من آيات ربهم » توحى بتفخيم شأن الآيات وتهويل ما اجترأوا عليه فى حقها من التكذيب والإعراض ، والمراد بها الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى وسوابغ آلائه الموجبة للاقبال عليها والايمان بها ، وايتاؤها نزول الوحى بها أى ما نزل الوحى بآية من الآيات الناطقة بذلك إلا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء ، فلا تثير فى قلوبهم التطلع والتدبر والتقوى . وهذه الآيات كافية أن تثير فى القلب المفتوح رعشة وانتفاضة وأن تخلطه بهذا الوجود الذى هو كتاب مفتوح تشير كل صفحة من صفحاته إلى عظمة الخالق ولطيف تدبيره وتقديره .ولكنّ هؤلاء المطموسين لا يرونها وإذا رأوها لا يتدبرونها . والله سبحانه عظيم الرحمة بهم لا يتركهم بلا رسول ينذرهم ويدعوهم إلى ربِّ هذا الكون ويحذرهم موجبات الغضب والعذاب وهى محيطة بهم من بين أيديهم ومن خلفهم إلا ينتبهوا لها يقعوا فيها فى كل خطوة من خطواتهم .

وتتوالى عليهم الآيات التنزيلية مضافة إلى الآيات الكونية التى تحيط بهم حيثما يتجهون ولكنهم مع كل هذا يظلون عنها معرضين وفى غيهم سادرين .

قبس من أنوار النبوة

العمل الطيب عبادة

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها » .

ـ رواه أحمد والبخارى فى الأدب . وغيرهما ـ

من مفردات الحديث :

١ ـ الساعة : الوقت الذى تقوم فيه القيامة .

٢ ـ فسيلة : ما يقطع من الأمُ أو يقلع من الأرض فيغرس ، واحدة الفسيل وهو صغار النخل .

إن منهج الإسلام القويم ، ونظامه البديع ـ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ يمزج بين طريقى الدنيا والآخرة ، وينتشل الإنسان من فرديته ، وينقذه من أنانيته وسلبيته ، ويغرس فيه وجوداً إيجابيا يبنى فى رحابه لآخرته مستقراً ، وفى دنياه أثرا .

هذا المنهج الإسلامى الذى يجعل من اليأس أملا ، والحيرة قراراً ، والدنيا عملا وعبادة .

وليس هناك غير طريق واحد اسمه الإسلام ارتبطت فيه الدنيا بالآخرة ، وامتزج فيه العمل بالعبادة ، عمل على ترقية الحياة لا يعترف بالخمول ، وعقيدة لا تعترف بالتخاذل . ولا تستقر إلا بجهاد ونية وإخلاص وإنتاج ، تتقدم به مرتبة الكادحين العاملين على الرهبان المتبتلين ، لأن حظ كل فرد فى هذا الدين بقدر إسهامه فى المنافع العامة لإسعاد الأمة ، وحتى يحقق الخلافة لعمارة الأرض ، وحمل رسالة الحياة لخير نفسه ولخير الأجيال من بعده . ومن هنا كان الحديث الشريف يحث على العمل بهذه البلاغة النادرة ، فما علينا إلا العمل ، وما فى الغيب لا يعلمه إلا الله ـ عز وجل .

ومن غير محمد نبى الإسلام ﷺ يُبلِّغُ هذا المنهج الصحيح ، ويضع لمسيرة الإنسان فى حياته وبعد مماته ؛ قواما تتوطن به النفس الإنسانية فى شىء واحد اسمه : العبادة من أجل العمل ، والعمل من أجل العبادة ، حتى حين تقوم القيامة فواجبه أن يستمر يعمل ، إنه ﷺ يقول : « إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة » .

إن أقصى ما يدور بفكر الإنسان أن يدعوه الرسول ﷺ فى هذه الساعة إلى التوبة

والاستغفار ، ونفض الأيدى من تراب الدنيا ، والانسلاخ من رغبات الحياة ، ولا شيء يمنع من ذلك إلى جانب قوله ﷺ : فليغرسها .

ذلك أن العمل حق ، وأن واجب الإنسان إعمارُ الأرض لِا ترقب وقوع الآخرة ، فقد كلف بالعمل من أجل سعادته وسعادة الناس فى الدنيا والآخرة ، والطيب من العبادة ، ومن هنا ـ والله أعلم ـ كان إرشاد رسول الله ﷺ له برسم هذا الهدف لتحقيق العناية ببناء الحياة الإنسانية بناء مقصودا به وجه الله ـ تبارك وتعالى .

لقد كان الوجع بأخذ منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولم يُنْسِهَ أمته ، والعمل من أجلها وكذلك كانت الفسيلة فى هذا الحديث الشريف : «فليغرسها» حتى يشفع القول بالعمل . وحتى تنسجم النفس الإنسانية مع الحقيقة التى ـ رسمها الله فى القرآن الكريم :

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

سورة القصص ـ ٧٧

لقد حرص الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ على تحقيق هذه الغاية ، فعن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سُرِق منه له صدقة ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة** » .

رواه مسلم

كما يبشر بسعادة العاملين على إسعاد المسلمين ولو باليسير . حيث يقول : فيما رواه مسلم : « **لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين** » .

نقل الطيبى : أن رجلا مر بأبى الدرداء ، وهو يغرس جوزة فقال : اتغرس هذا وأنت شيخ كبير ؟ وهذه لا تطعم إلا فى كذا وكذا عاما فقال : ما على أن يكون لى أجرها ويأكل منها غيرى .

لقد كان المسلمون يقتدون برسولهم ﷺ وهو يحثهم على العمل لتعمير الأرض ، وغرس ما فى أيديهم من فسائل الخير فى كل مكان ، وهم يتجهون إلى الله ـ وحده ـ وإلى الدار الآخرة ، كما لا تبعدهم مطامع الأرض المنبتة عن طريق الله ـ عز وجل ـ ، ولا تبعدهم شهوات النفس المنبتة عن تقوى الله ـ عز وجل .

إن على المجتمع الإسلامى أن ينهض ويعمل فى كل ميدان من ميادين العمل : ميدان العلم . وميدان الصناعة ، وميدان الاقتصاد ، والتجارة وأن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ، ويعمل لأخراه كأنه يموت غدا . ويغرسوا الفسيلة ولو كانت القيامة تقوم اللحظة .

وما أحوجنا إلى أن نستضيء بهذه اللمحة الكاشفة الدافعة من جوامع كلم رسول الله ﷺ لتنير لنا ظلمة اليأس ، وتغرس فينا نبتة الأمل . كما تغرس الفسيلة فى الواحة الخصبة لتؤتى أكلها بعد حين بإذن ربها .

من فوائد الإنفاق

بقلم أ. د محمود سالم الخطيب

عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله ــ عز وجل : أنفق أنفق عليك ، وقال يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاءَ الليل والنهار » أخرجه البخارى[1] .

وفى رواية أخرى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله ــ عز وجل : أنفق أنفق عليك ، وقال : يمين الله ملأى سحاء لا يغيضها شيء الليل والنهار » أخرجه الإمام أحمد[2] .

ترجمة راوى الحديث

أبو هريرة هو عبد الرحمن بن عامر بن طريف ابن عتاب وهو دوسى من اليمن، وفى اسمه خلاف كبير، قيل شهرته بكنيته حتى نسى الناس اسمه وقال : كان اسمى فى الجاهلية : عبد شمس فسمانى رسول الله ﷺ عبد الرحمن . وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثا ، لكنه ــ رضى الله عنه ــ لم ينفرد بحديث ، وفى ذلك أبلغ الرد على من نال منه .

روى عنه كثير من الصحابة والتابعين : فمن الصحابة : ابن عمر وابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ وغيرهما .

ومن التابعين : مروان بن الحكم ، وسعيد بن المسيب ، وغيرهما رضى الله عن الجميع .

وقال البخارى : روى عن أبى هريرة ثمانمائة من أهل العلم ، وكان هو وأهل بيته يقسمون الليل للعبادة .

وأخرج البغوى عن أبى هريرة : أنه لما حضرته الوفاة بكى ، فسئل ، فقال : « من قلة الزاد وشدة المفازة » ، وكانت وفاته بالعقيق ــ قريبا من المدينة المنورة ــ وحمل إلى المدينة سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين هـ ــ رضى الله عنه وأرضاه .

ومعنى «عزَّ» أى صار عزيزا فهو الغالب لا يغْلب[3] ، ومعنى «جَلَّ» أى «الجليل » وهو الموصوف بنعوت الجلال والحاوى جميعها والذى جل كل شيء أى أظهره[4] .

وقد اختلف العلماء فى معنى «يمين الله» وإضافة

(1) ج ٣ ص ١٢٤

(2) المجلد الثانى ص ٢٤٢

(3) من النهاية لابن الأثير بتصرف ص ٢٢٨

(4) المرجع السابق ص ٢٨٧ بتصرف .

مثل هذا إلى الله ـ تعالى ـ فقال : المتأخرون منهم : معناها قدرة الله . وقال السلف : إن الله تعالى له يمين ويد ونحو ذلك ، ولا يعلم حقيقتها إلا هو ـ تعالى . وقال بعضهم : إن له صفة تسمى اليمين ، والحق أن الله ـ تعالى ـ متصف بكل كمال يليق به ، ومنزه عن كل نقص وعن كل مايشبه الحوادث قال تعالى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

الشورى ـ ١١

وعلينا أن نناى بأنفسنا عن آراء أهل التجسيم والتشبيه الذين يجعلون الله ـ تعالى ـ مشابهاً للحوادث ، تعالى الله عن رأيهم علوا كبيرا .

ومعنى : «سحّاء» أى دائم الصب والهطل والعطاء ، وقد وصفت يمين الله تعالى بـ : الإمتلاء والعطاء ، لكثرة منافعها ، وخص اليمين بالذكر فى الرواية الثانية لأنها مظنة العطاء على طريق المجاز[٥] ، أما معنى جملة : «لا يغيضها شىء» أى لا ينقصها ، وهى كناية عن خزائنه التى لا تنفد بالعطاء .

وأبين المعنى العام لهذا الحديث فأقول : إن النبى ﷺ يخبر عن ربه ـ عز وجل ـ بأنه يأمرنا بإنفاق المال فى سبيل الخير . فيشمل الإنفاق : الزكاة المفروضة ، ويشمل ما عداها من صدقات . والمسلم إذا فعل ذلك «أنفق الله عليه» بمعنى : زاده من نعمه وبارك له فى ماله وأثابه على هذا الإنفاق ، قال تعالى :

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

إبراهيم ـ ٧

وأكد الله ـ تعالى ـ ذلك المعنى بقوله : «يمين الله ملأى سحّاء» . والمراد أن قدرة الله على الإنفاق لا حد لها ، فله ـ عز وجل ـ طلاقة القدرة . وكذلك أكد بلفظ (سحاء) للدلالة على دوام الصبّ والهطل والعطاء ، فكما أن السح نزول المطر بكثرة ، فكذلك إنفاق الله ـ تعالى .

وبين لنا الرسول ﷺ أن يمين الله ملأى لا تتأثر بكثرة الإنفاق وأن الله ـ تعالى ـ مهما أنفق على العباد لا ينقص من عنده شىء مهما توالى الليل والنهار ، وهو المراد بقوله : « لا يغيضها شىء الليل والنهار » فهما إما منصوبان على الظرفية . وإما مرفوعان على الفاعلية .

يقول ـ تعالى ـ فى الحديث القدسى : « ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته . ما نقص مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر » رواه مسلم[٦] .

وأمر الله ـ تعالى ـ العباد بالإنفاق يشمل : الإنفاق الواجب كالزكاة ، والمسنون كسائر الصدقات .

وقد حرص الإسلام على الزكاة ، فذكرها الله تعالى مقرونة بالصلاة فى كثير من آيات القرآن كقوله ـ تعالى :

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

البقرة ـ ١١٠

وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا

(٥) النهاية لابن الأثير ص ٣٤٥ ج ٢ .

(٦) مسلم عن أبى ذر .

﴿ لِيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾

سورة الروم ـ ٣٩

وقد حذر الرسول ﷺ من ترك الزكاة ، وبين عقاب تاركها فى قوله : من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان . يطوقه يوم القيامة . ثم يأخذ بلهزمتيه ـ يعنى بشدقيه ـ ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك ، ثم تلا قوله تعالى :

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(٧)

آل عمران ـ ١٨٠

وأما عن صدقة التطوع فقد جاء الحث عليها كثيراً فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، قال تعالى :

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

البقرة ـ ٢٤٥

وقوله تعالى :

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾

سورة الحديد ـ ١١

فلماذا يبخل الإنسان بالمال ويترك الإنفاق فى الخير ، علما بأنه من الله ـ تعالى ـ واستخلف الإنسان فيه ، قال تعالى :

﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾

سورة الحديد ـ ٧

وقال تعالى :

﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾

سورة النور ـ ٣٣ .

ويقول ﷺ ـ فيما رواه أبو هريرة : «ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا . ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا»(٨) .

فليتق الله كل مسلم وينفق فى وجوه الخير على الفقراء ، والمساكين ، واليتامى ، والأرامل ، والضعفاء ، والمرضى ، والمعوزين ثقة بما عند الله حتى يتحقق مبدأ التكافل والتضامن الاجتماعى بين المسلمين ، والتاريخ شاهد صدق على حل مشكلة الفقر عند العمل بروح الإسلام ، ويكفى أن ننظر إلى صدر الإسلام وعهد الخلفاء الراشدين ، ونحن نقرأ عن عهد الخليفة الخامس الراشد عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ أنه قيل له يوما : لم نجد فقيرا نعطه الزكاة ! فقال لهم : اقضوا الدين عن المدينين . قالوا : قد فعلنا . فقال لهم : زوجوا كل أعزب . فقالوا : قد فعلنا . فقال لهم : أخرجوا للحج من لم يحج .

ولاشك أن ما شرعه الله لعباده من تعاليم ومبادىء وقيم ، إنما تعود بتطبيقها على المجتمع الإسلامى بأسره أفراداً وجماعات ، فما أطيبه من منهج للحكم ودستوراً للحياة .

(٧) رواه البخارى .

(٨) البخارى ومسلم .

من أعلام

مدرسة الحديث بالحجاز

د/ أحمد المعصراوى

الإمام سفيان بن عيينة بن أبى عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم أخى الضحاك بن مزاحم الإمام الكبير حافظ العصر شيخ الإسلام أبو محمد الهلالى الكومى المكى .
ولد بالكوفة سنة سبع ومائة وطلب الحديث وهو حدث بل غلام ولقى الكبار وحمل عنهم علما جما وأتقن وجود وجمع وصنف وعُمِّر دهرا وازدحم الخلق عليه وانتهى اليه علو الاسناد ورُحل إليه من البلاد وألحق الأحفاد بالأجداد ..
ـ سير اعلام النبلاء ٤٦٥٤/٨ ـ

كان لسفيان بن عيينة تسعة أخوة حدّث منهم أربعة محمد وآدم وعمران وابراهيم فأما سفيان فكان له فى العلم قدر كبير ومحل خطير أدرك نيفا وثمانين نفسا من التابعين وسمع ابن شهاب الزهرى وعمرو بن دينار وابا اسحاق السبيعى وعبدالله بن أبى نجيح وخلقا كثيرا .

روى عنه الأعمش والقدرى وشعبة واحمد بن حنبل ويحيى بن معين وجماعة من نظرائهم وممن بعدهم /تاريخ بغداد ١٧٤/٩ . ولقد كان خلق من طلبة الحديث فيكلفون الحج وما المحرك لهم سوى لُقيا سفيان بن عيينة لامامته وعلو إسناده ، وجاور عنده غير واحد من الحفاظ/ سير اعلام النبلاء ١٥٦/٨ .

ومن كبار أصحابه المكثرين عنه الحميدى والشافعى وعلى بن المدينى واحمد بن حنبل وابراهيم الرمادى .

لقد كان سفيان بن عيينة من أكابر المحدثين فى عصره ذوباع طويل فى علم الحديث وغيره حتى قال الإمام الشافعى عنه لولا مالك وسفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز ، وقال وجدت أحاديث الأحكام كلها عند مالك سوى ثلاثين حديثا ووجدتها عند ابن عيينة كلها سوى ستة أحاديث .

فهذا يوضح لك سعة دائرة سفيان فى العلم وذلك لأنه ضم أحاديث العراقيين إلى أحاديث الحجازيين وارتحل ولى خلقا كثيرا ما لقيهم مالك وهما نظيران فى الإتقان ولكن مالكا أجل وأعلم فعنده نافع وسعيد المقبرى .

قال عبدالرحمن بن مهدى كان ابن عيينة من أعلم الناس بحديث الحجاز/ سير أعلام النبلاء ٤٥٧/٨ .

قال حرملة سمعت الشافعى يقول : ما رأيت أحدا فيه من آلة العلم ما فى سفيان بن عيينة وما رأيت اكفّ عن الفتيا منه ، قال : وما رأيت أحدا أحسن تفسيرا للحديث منه وكان بعض أهل الحديث يقول : هو اثبت الناس فى حديث الزهرى وكان حسن الحديث وكان يعد من حكماء اصحاب الحديث .

ومن الطرائف ما روى عن ابى الربيع النخاس قال لقيت هارون أمير المؤمنين فسألنى عن علية الهاشميين ثم قال لى : ما فعل سيد الناس ، قال : قلت : يا أمير المؤمنين ومن سيد الناس غيرك ، قال : سيد الناس سفيان بن عيينة .

قالى يحيى بن سعيد ما بقى من معلمّى الذين تعلمت منهم غير سفيان بن عيينة فسأله على : يا أبا سعيد سفيان إمام فى الحديث ، قال : سفيان إمام القوم منذ أربعين سنة .

وقال على : وسمعت بشر بن المفضل يقول : وقال بيده على الارض ــ ما بقى على وجه الأرض أحد يشبه سفيان بن عيينة /تاريخ بغداد ١٨٠/٩ .

وقال ابن مهدى : عن ابن عيينة من معرفته بالقرآن وتفسير الحديث ما لم يكن عند سفيان الثورى .

ومن الطرائف ما روى عن احمد بن النضر الهلالى قال سمعت أبى يقول : كنت فى مجلس سفيان بن عيينة فنظر الى صبى فكان أهل المسجد تهاونوا به لصغره ، فقال سفيان :

﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾

النساء آية ٩٤

ثم قال : يا نضر لو رأيتنى ولى عشر سنين طولى خمسة أشبار ، ووجهى كالدينار ، وأنا كشعلة نار ، ثيابى صغار وأكامى قصار ، وزيلى بمقدار ، ونعلى كآذان النار ، اختلف إلى علماء الامصار كالزهرى وعمرو بن دينار أجلس بينهم كالمسمار ، محبرتى كالجوزة ، ومقلمتى كالموزة ، وقلمى كاللوزة فإذا أتيت قالوا : أوسعوا للشيخ الصغير ، ثم ضحكوا/سيرا اعلام النبلاء ٤٥٩/٨ .

قال سفيان : أول من اسندنى إلى الاسطوانة مسعر بن كرام فقلت له أنى حدث ، قال : إن عندك الزهرى وعمرو ابن دينار .

وقال سفيان كان أبى صيرفيا بالكورقة فركبه دين فحملنا إلى مكة فصرت إلى المسجد فإذا عمرو بن دينار فحدثنى بثمانية أحاديث فأمسكت له حماره حتى صلى وخرج فعرضت الأحاديث عليه فقال : بارك الله فيك .

وكان سفيان رضى الله عنه على قدر كبير من الزهد والورع والتقى وكان كثير الخشية لله

والخوف منه وكان يقول : من كانت معصيته فى الشهوة فأرج له، ومن كانت معصيته فى الكبر فأخش عليه ، فإن آدم عصى مشتهيا فغفر له ، وإبليس عصى متكبرا فلعن .

كان سفيان ــ رضى الله عنه ــ متواضعا لا يترفع فى العلم على أصحابه فقد سألوه يوما ان يحدّث فقال : ما أراكم للحديث موضعا ولا أرانى أن يؤخذ عنى أهلا وما مثلى ومثلكم إلا ما قاله الأول افتضحوا فاصطلحوا .

وكان يكره أن يتكلم فى القدر فعن أبى عبدالرحمن بن لحقان قال سمعت ابن عيينة فى السنة التى أخذوا فيها بشرا المريس بمنى فقام سفيان فى المجلس مغضبا فقال : لقد تكلموا فى القدر والاعتزال وامرنا باجتناب القوم رأينا علماءنا ، هذا عمرو بن دينار وهذا محمد بن المنكدر حتى ذكر أيوب بن [illegible] والأعمش ومسعر ما يعرفونه إلا كلام الله ولا نعرفه إلا كلام الله فمن قال غير ذا فعليه لعنة الله مرتين فما أشبه هذا بكلام النصارى فلا تجالسوهم/سير ٤٦٨/٨ .

وكان سفيان رضى الله عنه كثير الحج، حج اثنتين وسبعين مرّة ومات عطاء سنة خمس عشرة ومائة وحج سفيان بعد موته بسنة وهو ابن تسع سنين فلم يزل يحج إلى أن مات وأقام بمكة سنة اثنتين وعشرين ومائة إلى ست وعشرين ومائة ثم خرج إلى الكرفة .

مات ــ رضى الله عنه ــ يوم السبت الأول من شهر رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ودفن بالحجون .

وقيل مات سنة ثمان وتسعين فى آخر يوم من جمادى الآخرة راجع تاريخ بغداد ١٨٤/٩ .

وقد نعاه الخظيم فقال :

سيرى نجاءً وقاك الله من عطب
حتى تلاقى بعد البيت سفيانا
شيخ الأنام ومن حلت مناقبه
لاقى الرجال وحاز حلم أزمانا
حوى بيانا وفهما عاليا عجبا
إذا يَنُصُّ حديثا نصَّ برهانا
يضم عمْرا إلى الزُّهرى يسنده
وبعد عمر وإلى الزهرى صَفْوانا
وعبدةً وعُبيد الله ضمَّهما
وابن السَّبيعىِّ أيضا وابن جُدْعانا
فعنهم عن رسول الله يُوسِعُنا
علماً وحكماً وتأويلاً وتبيانا .

وقال الرياشى : قا الأصمعى يرثى ابن عيينة :

لَبيْكِ سُفيان باغى سنة درست
ومستبين أثارات وآثار
أمست منازله وحشا معطلة
من قاطنين وحجاج وعمار
من الحديث عن الزهرى يسنده
وللأحاديث عن عمرو بن دينار
ماقام من بعده من قالَ حدثنا
الزهرى فى أهل بدو أو بإحضار

تم بحمد الله

أهداف الحج ومقاصده

لسماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (*)

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله ، وخليله وأمينه على وحيه ، وصفوته من خلقه : نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله إمام الدعاة إلى الله ﷺ وكرّم وبارك عليه ، وعلى آله وعلى أصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

فإنى أشكر ـ عز وجل ـ على جميع نعمه ، وأسأل الله أن يوفقنا وجميع حجاج بيت الله الحرام ، وجميع المسلمين لكل مافيه رضاه ، وأن يصلح أحوالهم ، ويمنحهم الفقه فى الدين ، وأن يولى عليهم خيارهم ، وأن ينصر دينه ويعلى كلمته .

إنه ـ جل وعلا ـ ولى ذلك والقادر عليه .

أيها الإخوة فى الله حجاج بيت الله الحرام :

الحج له أهداف عظيمة ومقاصد متنوعة وفيه منافع عاجلة وآجلة : منافع فى الدنيا والآخرة من : صلاة ، وصوم ، وزكاة وحج وغير ذلك .. كل شرائعه ـ سبحانه ـ فيها الخير العظيم ، والمنافع الجمة للعباد فى عاجل أمرهم ، فى هذه الدنيا من : صلاح القلوب . واستقامة الأحوال ، والرزق الطيب ، وراحة الضمير ، إلى غير ذلك ، مع ما فى ذلك من العاقبة الحميدة ، والفوز الكبير بدار النعيم مع النظر إلى وجهه ـ جل وعلا ، والفوز برضاه كما قال الله ـ سبحانه : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ ﴾ [الحج : ٢٧ ، ٢٨] .

والحج عبادة عظيمة سنوية شرعها الله للعباد لما فيها من المنافع العظيمة ، وما تهدف إليه من المقاصد الجليلة ، ولما يترتب عليه من خير فى الدنيا والآخرة ، وهى فريضة على جميع المكلفين فى جميع أقطار الدنيا رجالا ونساء ، إذا استطاعوا السبيل إليها كما قال جل وعلا : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾ [آل عمران : ٩٧] ،

(*) الكاتب : رئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية ، والافتاء بالمملكة العربية السعودية .

وفى الصحيحين

عن ابن عمر – رضى الله عنهما – عن النبى ﷺ أنه قال : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت » .

فهذه الدعائم الخمس هى أركان الإسلام ، وهى عُمُدُهُ التى يقوم بناؤه عليها .. وكان فرضه فى السنة التاسعة أو العاشرة من الهجرة .

وفى صحيح مسلم من حديث عمر – رضى الله تعالى عنه – فى سؤال جبرائيل عن الإسلام والإيمان قال له – عليه الصلاة والسلام : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » .

وفى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال : « من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .

وهذا يعم الحج والعمرة جميعا

وفى الصحيحين عن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ أنه قال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

وهذا من مقاصد الحج ومقاصد العمرة فمن أداها على الوجه الشرعى كان جزاؤه الجنة والكرامة وغفران الذنوب وحط الخطايا .

ويا لهذا الهدف من خير عظيم وفضل كبير .

إن من أتى هذا البيت مخلصا لله – جل وعلا – يريد وجهه الكريم من قريب أو بعيد ، ثم أدى هذا الحج على وجه البر لا رَفَثَ فيه ولا فُسُوق ؛ فإن الله – جل وعلا – يكتب له به الجنة وغفران الذنوب ، وهكذا العمرة ، لقوله ﷺ : « من أتى هذا البيت » ولقوله ﷺ : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما » .

فهذا الهدف العظيم لقاصدى هذا البلد المبارك هو مطلب كل مؤمن وكل مؤمنة الفوز بالجنة والنجاة من النار وغفران الذنوب وحط الخطايا .

والله – جل وعلا – أخبر عن خليله – إبراهيم عليه الصلاة والسلام – أنه دعا لأهل هذا البلد ، فقال – جل وعلا – على لسان خليله ابراهيم :

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾ سورة البقرة

واستجاب الله هذا الدعاء فبعث خليله محمدا – عليه الصلاة والسلام – بهذه الأمور التى بينها الخليل – عليه الصلاة والسلام – يتلو عليهم كتاب الله المنزل ، ويعلمهم الكتاب وهو : القرآن ، والحكمة وهى : السنة ، ويزكيهم بما بعثه الله به من الأخلاق العظيمة ، والعبادات الرفيعة المتنوعة ، ويطهرهم من الأخلاق الذميمة والصفات المنكرة ، فالإسلام طُهْرَةٌ لهم وزكاة لهم من جميع أعمالهم وجميع أخلاقهم المنحرفة ، وتوجيه لهم إلى طيب الأعمال وزكى الأخلاق ، ومن ذلك الحج .

والله بعث محمدا وسائر الأنبياء بما فيه طهارة القلوب وطهارة الأعمال ، وصلاح القلوب

وصلاح الأعمال ، وصلاح الأخلاق .

فمن الزكاة والطهرة إقامة الصلوات كما شرعها الله ، وأداء الزكاة كما شرعها الله ، وصوم رمضان كما شرعه الله ، وحج البيت كما شرعه الله . وهكذا أداء بقية الأوامر مع اجتناب النواهى ؛ فالرسل - عليهم الصلاة والسلام - وعلى رأسهم خاتمهم وإمامهم نبينا محمد - عليه الصلاة والسلام - بعثوا ليطهروا الناس من أخلاقهم الذميمة ، وأعمالهم الخبيثة ويزكوهم بالأعمال الطيبة ، والأخلاق الكريمة ، التى أعظمها وأساسها توحيد الله - سبحانه وتعالى - وإخلاص العبادة له - جل وعلا - فى جميع الأحوال ، وترك عبادة ماسواه والإيمان به وبرسله ، وبكل ما أخبر الله به ورسله عما كان وما يكون ، والايمان بنبيه محمد ﷺ والاستقامة على دينه هذا أصل هذا الدين وأساسه ، توحيد الله والإخلاص له وهو أعظم هدف للحج وأعظم مقصد ، أن يأتى العبد مخلصا لله ، يقصد وجهه الكريم ويلبى ويقول : (لبيك لا شريك لك) يريد إخلاص العبادة له وحده يريد توجيه قلبه وعمله لله - سبحانه وتعالى - ويكرر : (لبيك اللهم لبيك) يعنى : أنا عبد مقيم لعبادتك إقامة بعد إقامة ، ومجيب لدعوتك على دين رسولك وخليلك إبراهيم وعلى دين حفيده محمد - عليه الصلاة والسلام - مجيب لذلك إجابة بعد إجابة . أقصد وجهك وأخلص لك العمل ، وأنيب إليك فى جميع الأعمال من صلاة وحج وغير ذلك .

(لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) .

هذا أول شىء يبدأ به قاصد البيت العتيق إخلاص العبادة لله وحده، والتوجه إليه، والإقرار أنه سبحانه الواحد الأحد لا شريك له فى الخلق والتدبير والملك ، ولامثيل له فى ذلك ، وله العبادة - وحده - دون كل ما سواه ، فهو مختص بالعبادة - وحده - دون كل ما سواه كما قال - جلا وعلا : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] قال - عز وجل :

﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ [الزمر : ٢ ، ٣] وقال سبحانه :

﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ [الفاتحة] ..

وقال - عز وجل :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ [لقمان : ٣٠] .

فالعبادة حَقُّهُ ، وما سواه معبود بالباطل فمن عبد الرسول أو الأنبياء أو الملائكة أو الصالحين أو الجن أو الأصنام أو غير ذلك فقد عبدهم بالباطل وأشرك بالله الشرك الأكبر .

فالرسل أفضل عباد الله لكن لا حق لهم فى العبادة فالعبادة حق الله .

والملائكة والصالحون من خير عباد الله . من جن وإنس لكن لا حق لهم فى العبادة .

العبادة حق الله - وحده - ليس له فيها شريك .

كما قال - تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء ٢٣]

وقال - سبحانه : ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ [الجن : ١٨] وقال - عز وجل :

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[فاطر : ١٣ ، ١٤]

فبيّن ــ سبحانه ــ أن الدعوة لغيره شرك بالله ــ تعالى ــ سواء كان المدعو ملكاً أو رسولاً أو نبياً أو صالحا أو جنيا أو صنما أو غير ذلك .. ويقول ــ جل وعلا :

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون] فسماهم كفرة بذلك .

فمن أعظم مقاصد الحج وأعظم أهدافه إخلاص العبادة لله ــ وحده ــ وتوجيه القلوب إليه ــ جل وعلا ــ إيمانا بأنه يستحق العبادة ، وإيمانا بأنه المعبود بالحق ، وإيمانا بأنه رب العالمين ــ وحده ــ وأنه صاحب الأسماء والصفات الكريمة ــ وحده ــ لا شريك له ولا شبيه له ولا نِدَّ له ــ سبحانه وتعالى ــ وقد أشار إلى هذا فى قوله ــ جل وعلا :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحج]

وفى البقرة ــ ١٢٥ قال تعالى :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ بأن يعبدوه وحده عند بيته الكريم ويطهروا ماحول البيت من الأصنام والأوثان ، وسائر ماحرم الله ، ومن النجاسات ، ومن كل مايؤذى الحجيج أو العمار ، أو يشغلهم عن هدفهم .

فالبيت للمصلين وللطائفين وللعاكفين وهم المقيمون عنده يعبدون الله فيه ، وفى حرمه يجب أن يطهر لهم من كل ما يصد عن سبيل الله ، أو يلهى الوافدين إليه من قول أو عمل ، ثم يقول ــ سبحانه ــ بعد ذلك :

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

سُورَةُ الحَجّ

وقد أذن إبراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ فى الناس ، وأسمع الله صوته لمن يشاء من العباد ، وأجاب الناس هذه الدعوة المباركة من عهد إبراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ وأظهر تحريمه بين الناس ، وقد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة .. ثم قال ــ جل وعلا : ﴿ **ليشهدوا منافع لهم** ﴾ أطلقها وأبهمها لعظمها وكثرتها .. منافع عاجلة وآجلة منافع دنيوية وأخروية ، فمنها ــ وهو أعظمها ــ ليشهدوا توحيده والإخلاص له ، فى الطواف ببيته والصلاة فى رحاب بيته ، والدعوة له ــ سبحانه ــ والإنابة إليه والضراعة إليه بأن يقبل حجهم ، ويغفر لهم ذنوبهم ، ويردهم سالمين إلى بلادهم ويمن عليهم بالعودة إليه مرة بعد مرة ، ليضَّرَّعوا إليه ــ جل وعلا .

هذه أعظم المنافع أن يعبدوه ــ وحده ــ وأن يأتوا قاصدين وجهه الكريم لا رياء ولا سمعة ، بل جاؤوا ليطوفوا ببيته ، وليعظموه وليصلوا فى

رحاب بيته ، ويسألوه من فضله ـ جل وعلا .

هذه أعظم المنافع وأكبرها توحيد الله والإخلاص له والإقرار والتواصى بذلك بين العباد الوافدين .. يتعرفون هذا الأمر العظيم ويلبون بأصوات يسمعها كل أحد ، ولهذا شرع الله رفع الصوت بالتلبية ، ليعرفوا هذا المعنى وليتحققوه وليتعهدوه فى قلوبهم وألسنتهم ، وفى الحديث عن الرسول ﷺ قال : « إن جبرائيل أتانى فأمرنى أن آمر أصحابى أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال »[1] فالسنة رفع الصوت بهذه التلبية حتى يعلمها القاصى والدانى ويتعلمها الكبير والصغير ، والرجل والمرأة وحتى يستشعر معناها ويتحقق مقتضاها ، وأن معناها إخلاص العبادة لله ـ وحده ـ والإيمان بأنه إلٰههم الحق وخالقهم ورازقهم ومعبودهم ـ جل وعلا ـ فى الحج وغيره .

ومن مقاصد الحج أن يتعارف المسلمون ويتواصوا بالحق ويتناصحوا . يأتون من كل فج عميق من غرب الأرض وشرقها وجنوبها وشمالها . يجتمعون فى رحاب بيت الله العتيق فى (عرفات) وفى (مزدلفة) وفى (مِنَى) وفى رحاب مكة يتعارفون ويتناصحون ويعلم بعضهم بعضا ، ويرشد بعضهم بعضا ويساعد بعضهم بعضا ، ويواسى بعضهم بعضا ، مصالح عاجلة وآجلة ، مصالح التعليم والتوجيه والإرشاد والدعوة إلى سبيل الله ، وتعليم مناسك الحج ، وتعليم الصلاة وتعليم الزكاة يسمعون من العلماء ما ينفعهم ، لأن الله بعث محمداً ﷺ بما يزكيهم وبما يعلمهم الكتاب والحكمة . فيسمعون فى رحاب البيت العتيق وفى رحاب مسجد رسول الله ﷺ يسمعون من العلماء ما فيه الهداية والبلاغ والإرشاد إلى طريق الرشاد ، وسبيل السعادة إلى توحيد الله والإخلاص له ، إلى ما أوجبه الله على عباده من الطاعات ، وإلى ما حرم عليهم من المعاصى ليحذروها ، وليعرفوا حدود الله ويتعاونوا على البر والتقوى ، فمن أعظم المنافع وأجلها أن يتعلموا دين الله ، ويتبصروا فى رحاب البيت العتيق ورحاب المسجد النبوى من العلماء والمرشدين والمذكرين ما قد يجهلون من أحكام دينهم ، وما قد يجهلون من أحكام حجهم وعمرتهم حتى يؤدوها على علم وبصيرة ، وحتى يعبدوا الله فى أرضهم وأينما كانوا على علم وبصيرة .

من هنا نبع هذا العلم ـ علم التوحيد ـ وصدر ، ثم من المدينة ثم من سائر هذه الجزيرة ومن سائر بلاد الله التى وصلها العلم وأهله لكن أصله من هنا .. من رحاب بيت الله العتيق .

فعلى العلماء أينما كانوا وعلى الدعاة أينما كانوا ولا سيما هنا فى رحاب بيت الله أن يعلموا الناس ، والحجيج العُمَّار ويعلموا القاطنين والوافدين والزائرين ، يعلمونهم مناسك حجهم ، يعلمونهم : لماذا خلقوا ، وبماذا أمروا . خلقوا ليعبدوا الله وأمروا بعبادة الله قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾

[الذاريات : ٥٦]

وقال سبحانه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ سورة البقرة

فعلى العلماء ـ وفقهم الله ـ أينما كانوا أن يرشدوهم فى المساجد وفى الطرقات وفى السيارة

وفى الطائرة وفى السفينة . وفى أى مكان وأن يرشدوهم إلى أسباب النجاة وأن يحذروهم أسباب الهلاك ، وعليهم بوجه خاص أن يعلموهم مناسك حجهم وعمرتهم التى جاؤوا ليؤدوها يعلموهم ذلك فى كل مكان .

والمؤمن لا يدع فرصة إلا انتهزها للتعلم ، والاستفادة من العالم ، وطالب العلم أينما كان – ولا سيما فى رحاب بيت الله العتيق فى أيام الحج هذا الموسم العظيم .

فالمسلم مأمور بالتعلم وبالتفقه أينما كان وفى أى مكان وزمان ، ولكن فى رحاب بيت الله العتيق الأمر أعظم والحاجة ماسة للتفقه فى الدين وفى مناسك الحج والعمرة بوجه أخص يقول النبى ﷺ فى الحديث الصحيح :

« من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » متفق على صحته .

فمن علامات الخير لك والسعادة أن تتفقه فى دين الله ، هنا فى بلد الله العتيق وفى بلادك وفى أى أرض كنت من أرض الله متى وجدت العالم بشرع الله – سبحانه – فانتهز الفرصة ولاتتكبر ولا تكسل ، فالعلم لا يناله المتكبرون ، ولا يناله الكسالى والعاجزون فهو يحتاج إلى نشاط وهمة عالية ، ولا يناله المُسْتَحُون ، وليس التأخر عن طلب العلم بحياء ، ولكنه خور وضعف وعجز .

يقول الله – سبحانه :

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾

[الأحزاب : ٥٣]

ويقول مجاهد التابعى الجليل – رحمه الله : « لا يتعلم العلم مستح ولا مستكبر » فالمؤمن البصير لا يستحى فى هذا ؛ بل يتقدم ويسأل ، والمؤمنة كذلك كل منهما يتقدم ويسأل ويبحث ويبدى ماليديه من الأشكال حتى يزول إشكاله .

ومن علامات السعادة والتوفيق والخير أن تتعلم وأن تتفقه فى دين الله يقول ﷺ :

« من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة » .

وفى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى أن النبى ﷺ قال :

« مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها نقيّة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، ذلك من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » .

ومن منافع الحج نشر العلم بين الحجاج ممن جاء وافداً ، وعنده علم ينشره بين الناس مع إخوانه فى مكة . يَنْشُرُهَ بين الحجيج وبين رفقائه فى الطريق ، بالاعتماد على قول الله ورسوله لا بالآراء الخارجة عن الكتاب والسنة . وتعلّم الناس ما علمت من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ ومما استنبطه أهل العلم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا عن جهل وعدم بصيرة بل بالعلم والبصيرة كما قال تعالى :

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾

[يوسف – ١٠٨] .

ومـن أهـداف الحج ومقـاصده ومنافعـــه الاستكثار من الصلوات والطواف كما قال الله ــ سبحانه ــ : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾

فيشرع للحاج والمعتمر أن يكثر من الطواف متى قدر عليه من غير مزاحمة ولا مشقة ، والإكثار من الصلاة فى الحرم ، وفى مساجد مكة والصواب أن التفضيل فى الثواب يعم المساجد كلها وبمكة يعم الحرم كله فاغتنم الفرصة فى المسجد الحرام وفى مساجد مكة وفى بيتك أكثِر من الصلاة وقراءة القرآن الكريم ، وأكثِر من التسبيح والتهليل ، والذكر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الله .

وعليك أيها الحاج : أن تنتهز فرصة اجتماع هذا الجمع الغفير من الناس من أفريقيا وأوروبا وآسيا وغيرها وتحرص على التبليغ عن الله ــ تعالى ــ وأن تعلم مما أعطاك الله ، ثم احرص على العمل الصالح من صلاة وطواف ، ودعوة إلى الله وتسبيح وتهليل وذكر وقراءة قرآن وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وعيادة المريض ، وإرشاد الحيران إلى غير ذلك من وجوه الخير .

ومن منافع الحج العظيمة الوفاء بما عليك من نذور كالعبادات التى نذرتها بأن تؤدى فى المسجد الحرام ، ومن هدايا تذبحها فى مِنى وفى مكة ومن صدقات تؤديها . وإن كان النذر لا ينبغى ، فالنبى ﷺ قال « النذر لا يأتى بخير »[1] ولكـن متـى نذرت طاعة وجب الوفاء بها لقول النبى ﷺ : « من نذر أن يطيع الله فليطعه »[2] فإذا نذرت فى هذا الحرم صلاة أو طوافاً أو غير ذلك من العبادات ؛ فيجب أن تؤديها فى هذا البلد الحرام لقول الله ــ سبحانه ــ : « وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ » .

ومن المقاصد العظيمة والأهداف الجليلة للحج أن تواسى الفقير ، وتحسن إليه من الحجاج وغير الحجاج ، فى هذا البلد الأمين وفى الطريق وفى المدينة المنورة .. تواسى مما أعطاك الله الحجيج الفقراء ، وتواسى من قصرت به النفقة ممن عدموا القدرة على الهدى ، وهذه الأهداف والمقاصد العظيمة قد أطلقها ــ عز وجل ــ فى قولـه ــ سبحانه : « لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ » [الحج ٢٨] فهى منافع كثيرة ومنها مواساة الحجيج الفقراء والإحسان إليهم وسد خلتهم مما أعطـاك الله ، ومداواة المريض وعلاجه والشفاعة له لدى من يقـوم بذلك ، وإرشاده إلى المستشفيـــات والمستوصفات حتى يعالج ، وإعانته على ذلك بالمال وبالدواء كل هذا من المنافع .

ومن المنافع العظيمة التى ينبغى لك أن تلزمها دائماً الإكثار من ذكر الله فى هذا البلد الأمين والإكثار من ذكر الله فى كل الأحوال قائماً وقاعداً وعلى فراشك ومن ذلك : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

والدعاء والإلحاح فيه . فمن المنافع العظيمة أن تجتهد فى دعاء ربك والضراعة إليه أن يتقبل منك وأن يصلح قلبك وعملك ، وأن يعينك على ذكره وشكره وحسن عبادته ، وأن يعينك على أداء الحق الذى عليك على الوجه الذى يرضيه ــ سبحانه ــ وأن يعينك على الإحسان إلى عباده ، ونفعهم وأن لا يتأذوا منك بشىء .

تسأل الله أن يجعلك مباركاً لا تؤذى أحداً ، وتنفع عباده ، فمن المنافع العظيمة أن تحرص على النفع وعدم الأذى .. لا تُؤْذِ الناس لا فى الطريق ولا فى الطواف ولا فى السعى ولا فى عرفات ولا فى مزدلفة ولا فى مِنى ولا فى أى مكان ولا فى الباخرة ولا فى الطائرة ولا فى السيارة ولا فى الخيمة . لا تُؤْذِهِمْ لَا بِسَبٍ ولا بكذب ولا بيدك ولا برجلك ولا بغير ذلك . تتحرى أن تنفع ولا تُؤْذِ الحجيج ، ولا غيرهم لا بقول ولا بعمل ؛ فذلك من المنافع العظيمة .

ومن المنافع العظيمة للحج أن تؤدى المناسك فى غاية من الكمال ، وفى غاية من الإتقان وفى غاية من الإخلاص . وفى طوافك وسعيك ورمى الجمار .. وفى عرفات ، وفى مزدلفة تكون فى غاية الإخلاص ، وفى غاية من حضور القلب ، وفى غاية من جمع القلب على الله فى دعائك وذكرك وقراءتك وصلاتك ، وغير ذلك .. تجمع قلبك على الله وتحرص أينما كنت على الإخلاص لله .

ومن المنافع الهدايا ، سواء كانت واجبة عند التمتع والقران أو غير واجبة تهديها تقرباً إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ .. وقد أهدى النبى ﷺ فى حجة الوداع مائة بدنة ، وأهدى الصحابة ـ رضى الله عنهم ، فالهدى قربة إلى الله ـ عز وجل ـ يوزع على الفقراء والمحاويج ، فى أيام مِنىً وفى غيرها .. هدايا تطوّع تنفع بها الناس فى مِنى ، وفى غير مِنى قبل الحج وبعده .

أما « هدى التمتع » فيذبح فى مِنى ، وفى مكة أيضاً ، وفى بقية الحرم فى أيام مِنى ، وهى أربعة يوم النحر وأيام التشريق الثلاثة .

أما الصدقة بالذبائح وبالمال ففى أى وقت .. لو ذبحت فى أيام العشر أو قبلها وتصدقت ووزعتها على الفقراء ، ووزعت أطعمة أو ملابس أو دراهم ، كله خير . إنما الذى يُخَصّ به أيام مِنى ، الأيام الأربعة هدايا التمتع والقران والضحايا . أما التطوعات بالذبائح فوقتها واسع ، فى جميع الزمان .

هذا وأسأل الله ـ عز وجل ـ أن يوفقنا وجميع الحجاج وجميع المسلمين للعلم النافع والعمل الصالح ، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعا ، وأن يتقبل منا ومن سائر الحجاج حجنا وعمرتنا ، وأن يعيد الحجاج جميعا إلى بلادهم سالمين موفقين ، مغفوراً لهم ، متعلمين متبصرين ، وقد عرفوا الحق بدليله ، وعرفوا التوحيد على بصيرة ، حتى يرجعوا إلى بلادهم غانمين موفقين قد عرفوا دين الله على بصيرة وقد أدوا حجهم على بصيرة وعمرتهم ومناسكهم على بصيرة .

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلَى أن يوفقنا جميعا لما يرضيه ، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعا ، وأن يمنحنا الفقه فى دينه ، وأن يوفق حجاج بيت الله الحرام وعماره لكل ما يرضيه ، وأن يمنحهم الفقه فى الدين وأن يعلمهم ما ينفعهم وأن يردهم غانمين موفقين سالمين إلى بلادهم وأن يتقبل من الجميع ، وأن ينصر دينه ، ويعلى كلمته ، وأن يصلح أحوال المسلمين فى كل مكان ، وأن يولى عليهم خيارهم ، ويصلح قادتهم ، **وأن يوفق جميع ولاة أمر المسلمين لتحكيم شريعته والتحاكم إليها ، وإلزام الشعوب بها إنه ـ جل وعلا ـ جواد كريم ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، نبينا : محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .**

نور من مكة المكرمة أضاء

وقد بشرت به الأنبياء

لفضيلة الشيخ / أحمد بن محمد طاحون

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ سورة المائدة

شرف النسب وطهارته :

كان النبي محمد ﷺ أوسط قومه نسباً ، وأعظمهم شرفاً من قبل أبيه وأمه .

فأُمُّه آمنةُ بنتُ وهب بن عبد مناف بن زهرة .

وأبوه عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم ، وهم منحدرون من صلب نبى الله إسماعيل بن إبراهيم الخليل ـ عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم .

قال ابن هشام : فرسول الله ﷺ أشرفُ وَلَدِ آدمَ حسباً ، وأفضلُهم نسباً من قبلِ أبيه وأمه ﷺ ، إذ هو من أفضل حيين فى العرب : هاشم وزهرة .

وورد عنه ﷺ أنه قال : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم » [مسلم عن واثلة بن الأسقع] .

وورد أنه قال مشيراً إلى نقاء نسبه الشريف ، وطهارة الأصلاب والترائب التى جاء منها « ما ولدتنى بغى قط منذ كنت فى صلب آدم ، فلم تزل تنازعنى الأمم كابراً عن كابر حتى خرجت فى أفضل حيين فى العرب : هاشم وزهرة »[1] .

(١) هامش سيرة ابن هشام صفحة ١١٠ ، تحقيق السقا وصاحبيه .

وأنه صلى الله عليه وسلم الطاهر الزكى أشرفُ الناس ، وأعزُّهم ، وأكرمهم على الله ، اصطفاه ربه ، وحفظه ، ورعاه ، وأدبه ، وقد زادت مكة شرفاً بمولده فيها ، ونشأته على أرضها واصطفائه من بين أهلها قال تعالى :

﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ ﴾

أقسم بالبلد الحرام وقيّده بحلول الرسول فيه إظهاراً لمزيد فضله .

وإشعاراً بأن شرف المكان بشرف أهله .

قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : يقول ناعته : لم أرَ قبله ولا بعده مثله » أى يقول ذلك عند العجْز عن وصفِ ﷺ .

وقال مالك بن عوف : ما رأيت ولا سمعت فى الناس كلهم بمثل « محمد » . حتى لقد آمن بعض الأعراب والأحبار حين رآه لأول وهلة ولما سُئل عن ذلك قال : « حين نظرت إليه قلتُ ـ فى نفسى ـ « هذا ليس بوجه كذاب » .

أعطاه ربه أعلى الصفات اللائقة بالبشر ، وأكملَ الأخلاق ، وأتمَّ الآداب ، ولقد كان ظاهره ينبىء عن طهارة الباطن وصفاء النفس ، وحُلْو الشمائل ، فأحبه كل من أحاط به ، ومن لقيه لأول وهلة هابه ، فإذا رأى تواضعه وسعة صدره ازداد قلبه تعلقاً به وحبّاً له ، وود أن يلازمه ويخدمه .

قال صحابى جليل :

خُلقتَ مبرأً من كل عيبٍ
كأنك قد خُلقتَ كما تشاءُ

ولله در القائل :

مكمَّلُ الخلقِ ما تُحصى خصائصُه
مُنَضَّرُ الحُسْنِ قد قلَّت نظائرُهُ

ولادته :

قال ابن إسحاق : كانت الناس تتحدّث أن آمنه بنت وهب قالت : إنها أُتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع على الأرض فقولى :

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ، ثم سميه محمداً ، ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بُصرى من أرض الشام .

ثم مات أبوه عبدالله بن عبدالمطلب وأمه حامل به ، وقيل مات ورسول الله ﷺ فى المهد ابن بضع شهور .

وفى شهر مولده ﷺ خلاف ، من ذلك ما قاله ابن إسحاق : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول عام الفيل .

ويقال : إن ذلك كان قبل مجىء الفيل بخمسين يوماً ، وكان هلاك أبرهة وجيشه من إرْهاصاتِ ظهوره ﷺ ، فقد قصد أبرهةُ بالبيت الحرام سوءاً فقصمه الله وأهلكه .

من البركات :

فرح جده عبدالمطلب بمولده وأخذه ، فدخل الكعبة ، وقام يدعو الله ، ويشكر له ما أعطاه ، ثم عاد به ﷺ إلى أمه ، والتمس له المراضع ، وكان من حظ حليمة ابنةِ أبى ذؤيب إذ رأت من البركات والخيرات بعد أن أخذته ما سعدت به نفوسُهم ، وكان زوجها الحارث بنُ عبدالعزى من بكر بن هوازن يقول لها : « لقد

أخذتِ نسمة مباركة » فنشأ ﷺ فى بادية بنى سعد ، ولقد كان أبو بكر – رضى الله عنه – يقول له : ما رأيتُ أفصح منك يارسول الله ؟ فقال : وما يمنعنى وأنا منْ قريش ، وأُرضعت فى بنى سعد » .

ولقد كان من عادة أشراف قريش أنهم يدفعون أولادهم إلى المراضع ، لينشأ الطفل فى البادية فيكون أفصح لساناً ، وأجلد لجسمه ولفوائد جمة أخرى .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه : « أنا أعربكم ، أنا قرشى ، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر » .

سيرة ابن هشام

تعريفه ﷺ بنفسه :

قال ابن إسحاق : حدثنى ثور بن يزيد الطلاعى عن بعض أهل العلم : أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالو : يارسول الله ، أخبرنا عن نفسك ؛ « قال : نعم ، أنا دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصورَ الشام ، واسْتُرضعت فى بنى سعد بن بكر » .

هذا بعض ما قاله ﷺ ، وفيه إشارة إلى النور الذى عمَّ الآفاق ببعثته ﷺ ، إذ انتشر الإسلام فى كل أرجاء الأرض ، بعد أن عاش الناس قروناً فى جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، فأنقذ الله به من الشرك ، وبصّر من العمى ، وهدى إلى الخير والحق والعلم وخالص الإيمان ﷺ . ودعوة أبيه إبراهيم نسمعها فى قوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

سورة البقرة – آية : ١٢٩

وبشرى عيسى عليه السلام فى قوله تعالى :

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾

سورة الصف – آية : ٦

موت أمه وكفالة جده له :

وكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب وجده عبدالمطلب بن هاشم فى كلاءة الله وحفظه ، ينبته الله نباتاً حسناً لِمَا يريد به من كرامته ، فلما بلغ ﷺ ست سنين توفيت أمه . ثم عاش ﷺ فى كفالة جده يجد الرعاية والحب ممن يحيطون به وكان جده يقول : فوالله إن لابنى هذا لشأناً .

وفى الثامنة من عمره الشريف مات جده فكان رسول الله ﷺ مع عمه أبى طالب – وهو وعبدالله أخوان لأب وأم أمهما فاطمة بنت عمرو من بنى مخزوم – الذى أحله من قلبه منزلة خاصة ، وأحاطه بالرعاية والحنان والحب بفضل

الله ـ سبحانه وتعالى ـ ونرى ذلك فى قوله ـ تعالى :

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ ﴾ .

سورة الضحى

فقد كان الجميع يحلونه منزلة خاصة فى قلوبهم وفى نظرتهم إليه وفى رعايتهم له عن حب وحنان وشفقة لما أعطاه الله من كريم الشيم وجميل الخصال .

ونشأ ﷺ نشأة شريفة كريمة ، وقد عُرف بين القوم باستقامة الخلق ، وطيب النفس ، وسلامة الفكر ، وطهارة القلب ، والجد فى أموره كلها ، وما كان اسمه بينهم إلا الصادقَ الأمينَ وكانت أخلاقه الشريفة المرضية حديث القوم وموضعَ تقديرهم وسببَ حبهم وتعلقهم به .

تحكيمه فى وضع الحجر الأسود

ولما اختلفت قريش فيمن يضع الحجر الأسود فى موضعه بعد أن هدموا الكعبة وأعادوا بناءها حتى بلغ البنيانُ موضعَ الركن ، وكانت كل قبيلة تريد أن يكون لها شرفُ رفعه إلى موضعه دون الأخرى ، ولما بلغ الأمر حَدّ التقاتل ، أشار عليهم أسنُّهم : أبو أمية بن المغيرة ، أو أبو حذيفة بن المغيرة أن يجعلوا حَكماً بينهم فيما يختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد ليقضى بينهم فى الأمر ويرضون حكمه ، فكان أول داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن نحو خمس وثلاثين سنة ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد .

وأزال رسول الله ﷺ أسباب الخلاف ، وأطفأ نار الفتنة بثاقب رأيه ، وصائب حكمه ، إذ طلب ثوباً ، ثم حمل الحجر فوضعه فيه بيده الشريفة ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ـ أى بزاوية من زواياه ـ ثم ارفَعُوه جميعاً ففعلوا ، حتى إذا بلغوا به موضع الحجر من الركن ، أخذه ووضعه ﷺ بيده الشريفة ، ثم بُنى عليه . وبذلك حلت كلمة الوفاق محل الخلاف والشقاق بفضل حكمته ﷺ ، وفى ذلك يقول هبيرة بن وهب المخزومى من قصيدة له :

رضينا وقلنا : العدلُ أولُ طالع
يجىء من البطحاء من غير موعد
ففاجأنا هذا الأمينُ محمدٌ
فقلنا رضينا بالأمين محمد

العمل والزواج الأول :

واشتغل ﷺ برعى الغنم وبالتجارة ، ورأى الناس فيه من آيات الذكاء والفطنة والبركة ومحاسن الآداب ما دعاهم إلى أن يضعوا عنده أماناتهم ، وتزداد منزلته فى قلوبهم يوماً بعد يوم ، ويتوسموا فيه الخير العظيم ، ولذا كانوا يعرضون عليه العمل فى تجارتهم كما فعلت خديجة بنت خويلد معه لعلمها بصدقه وأمانته ، وكانت امرأةً حازمة شريفة لبيبة ، وقد أراد الله بها خيراً فعرضت عليه الزواج قائلة : إنى قد رغبت فيك لقرابتك وشرفك فى قومك ، وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصِدْق حديثك .

وكان ﷺ ابن خمس وعشرين سنة فنقل ما قالته خديجة إلى أعمامه فخرج معه عمه حمزة ، فخطبها له ، وكانت أول امرأة تزوجها ﷺ ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت ـ رضى الله عنها ـ وهى أم أولاده كلهم ما عدا إبراهيم فإنه من مارية القبطية .

كانت خديجة تحدّث ابن عمها ورقة بن نوفل الذى كان قد تنصر وقرأ الكتب القديمة عن بعض أحواله ﷺ ، فيقول لها : لئن كان هذا حقاً يا خديجة ، إن محمداً لنبى هذه الأمة ، وقد عرفتُ أنه كائن لهذه الأمة نبىٌّ ينتظر هذا زمانه .

وفى الصحيح عن جبير بن مطعم أنه ﷺ قال : « لى خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد وأنا الحاشر والعاقب والماحى » ـ صلى الله عليه وسلم .

وكان ورقة يتلهف على بعثة النبى المنتظر ويتوق إلى نزول الوحى على خاتم الأنبياء .
ومن أبيات له فى ذلك يقول :

بأن محمـــداً سيسود فينـــا
ويَخْصمُ من يكون له حجيجا
ويظهر فى البلاد ضياءُ نور
يقيم به البريـــةَ أن تَموجـــا
فَيلْقَــى من يحاربــه خسارا
ويلقــى من يسالمه فُلوجــا
فياليتـــــى إذا ما كان ذاكم
شهدتُ فكنتُ أوَّلهم ولوجـا

الحجيج : المجادل
تموجـا : أى تضطرب
الفلوج : الظهور على الخصم ودحره
الولوج : الدخول أى الدخول فى هذا الأمر ومناصرة الرسول ﷺ .

لقد أخذ الله الميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا به ﷺ وسلم وينصروه عند ظهوره وأن يبلغوا أممهم بذلك ويأخذوا عليهم الميثاق به ولذا كان الناس فى القرن السادس للميلاد فى لهف شديد إلى نور جديد ينقذ من الحيرة ويهدى إلى الحق والخير .

ومن البشارات بظهوره ﷺ ما جاء فى الحلية لأبى نعيم : « أوحى الله إلى موسى ـ عليه السلام : إنه من لقينى وهو جاحد بأحمد أدخلته النـــار ، قال : يارب ، ومـــن أحمد ؟ قال : ما خلقت خلقاً أكرم علىّ منه » .

ثم قال الرب ـ سبحانه : إن الجنة محرمة على جميع خلقى حتى يدخلها هو وأمته » .

قال موسى ـ عليه السلام : ومن أمته ؟ قال : الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا ، وعلى كل حال ، يشدون أوساطهم ، ويطهرون أطرافهم ، صائمون بالنهار ، رهبان بالليل ، أقبل منهم

اليسير ، وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله » .

« رواه أبو نعيم فى الحلية »

فهذه بشارة بظهور نبينا فى آخر الزمان ، وأنه خاتم النبيين والمرسلين وأمته أمة مرحومة بفضل الله ورحمته ، يقبل منهم العمل اليسير ، ولا يكلفهم التكاليف الشاقة ويجزل لهم العطاء ما داموا يقولون (لا إله إلا الله محمد رسول الله) من قلوبهم ، ويظهر أثر ذلك فى أفعالهم وأقوالهم وخلوص نياتهم .

وفى معنى ما سبق :

وفى فضله ﷺ ، وصفة أمته ومنزلها جاء فى الآثار القديمة : « اسمه أحمد ، صفته المتوكل مولده مكة ، ومهاجرهُ طيبة ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، يجزى بالحسنة الحسنة ، ولا يكافىء السيئة بالسيئة » .

أمته الحمادون ، يأتزرون على أنصافهم ، ويوضئون أطرافهم ، أناجيلهم فى صدورهم ، يُصَفّون للصلاة كما يصفون للقتال قربانهم الذى يتقربون به ، إلىّ دماؤهم ، رهبان بالليل ، ليوث بالنهار » .

ومما أوحى الله به إلى عيسى ـ عليه السلام : « بلّغ مَنْ بين يديك أنى أنا القائم الذى لا أزول ، صدّقوا بالنبى الأمى العربى » .

وفى الحديث الذى روته عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها : « مكتوب فى الإنجيل : لا فظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة مثلها ، بل يعفو ويصفح » .

وأوحى الله إلى داود كما روى وهب بن مُنبه : « يا داود : إنه سيأتى من بعدك نبىٌّ يُسَمّى أحمد ، ومحمد ، صادقاً سيدا ، لا أغضب عليه أبداً ولا يغضبنى أبداً ، وأمته مرحومة » .

ياداود : إنه من لقينى من أمة محمد يشهد أن لا إله إلا الله أنا وحدى لا شريك لى صادقاً بها ، فهو معى فى جنتى وكرامتى .

ومن لقينى وقد كذب محمدا ، وكذب بما جاء به ، واستهزأ بكتابى ، صببت عليه فى قبره العذاب صبا ، وضربت الملائكة وجهه ودبره عند منشره من قبره ثم أدخله فى الدرك الأسفل من النار » .

وسمع أبو موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ النجاشى صاحب الحبشة يرحمه الله ـ تعالى ـ يقول : « أشهد أن محمداً رسول الله ، وأنه الذى بشر به عيسى ـ عليه السلام ـ ولولا ما أنا فيه من الملك ، وما تحملت من أمور الناس لأتيته حتى أحمل نعليه »

أخرجه أبو داود

هذا بعض ما جاء من البشارات بظهور خاتم الأنبياء النبى العربى الأمى صلى الله عليه وسلم .

حق الطريق في الإسلام

بقلم : فضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان (*)

يقول رسول الله ﷺ « إياكم والجلوس على الطرقات : قالوا يا رسول الله ما لنا بُدٌّ من مجالسنا نتحدث فيها : قال فَأَمَّا إنْ أبيتم فأَعْطُوا الطريق حقه ، قالوا وما حقه ؟ قال غَضُّ البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . » « رواه البخارى ومسلم » .

وهذا من الأدب النبوى الكريم وهو الأدب المثالى الرفيع الصادر من صاحب الخلق العظيم الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه ، فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى : وهو الذى بعثه ربه ليتمم مكارم الأخلاق وجعله رحمة للعالمين فهو معلم الإنسانية وأستاذ البشرية وهو قائد الخلق إلى الحق لأنه أرسل للناس كافة مع اختلاف ألوانهم وأوطانهم : فهو الأسوة الحسنة للمسلمين فى كل وقت وحين إلى يوم الدين : فليس بعده رسول وليس بعد كتاب الله كتاب فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

وفى هذا الحديث الشريف يبين لنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن الطريق ما جعلت إلَّا سبيلا يسلكه الناس فى ذهابهم وإيابهم لإنجاز أعمالهم وقضاء مصالحهم اليومية .

والله هو : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾

سورة طه ـ الآية : ٥٣

فلم تكن الطريق سوقا لتعطيل السير ، ولا مأوى للسوقة من أهل البطالة والتعطل ولم تكن مصدر أذى للناس الجالسين أو للمارة بخلق المشاكل وصنع المنازعات والاختلاط المريب بين البنين والبنات إلى غير ذلك مما يمقته الذوق السليم والخلق القويم ، فليست الطريق سوقا : فلا تقبل شرا ولا فسوقا ولا لغوا ولا بذاءة ولا شذوذا ولا دناءة ولا اعتداء ولا افتراء .

ولكن الإسلام يريد من كل مَنْ يسير ف الطريق راجلا أو راكبا أن يكون ذا عفة وعزة وإباء وسمو ونبل وحياء ، لأن احترام حقوق

(*) مدير عام الوعظ والإرشاد بالأزهر سابقاً .

الطريق أمر حضارى وسلوك دينى وعمل أخلاقى يؤديه أهل الشرف والكرامة والمروءة والشهامة ليحفظوا للطريق حقه المَصُونِ وأمنه المضمون فلا مغازلات . ولا خروج عن الحدود والقيود الشرعية والتقاليد الأخلاقية المرعية كما جاء فى التربية القرآنية والسنة النبوية لهداية الضالين وإرشاد الحائرين وتقويم المعوجين وفى هذا الحديث بيان للناس الذين يجهلون حق الطريق الذى يريده الإسلام منهم .

قبول العذر وتوجيه النصح

فأرشدهم أولًا إلى عدم اتخاذ الطريق مجالسَ يتجمع فيها ناس يختلفون فى اتجاهاتهم النفسية والسلوكية ، ولكن المؤمنين لمَّا اعتذروا له بأنهم لا يريدون إلا الخير والحديث فى الصالح العام ولا يريدون منكرا من القول أو زوراً ولا عبثا ولا شرورا ولكنهم مضطرون إليها فليس لهم سواها . قبل عذرهم هذا ولكنه لم يتركهم دون أن يبين لهم وللمسلمين أجمعين حق الطريق الذى يَجب مراعاته : فلا صخب ولا ازدحام ولا شذوذ ولا شرود عن تعاليم الإسلام والحق أحق أن يُتَّبع فهو باق إلى يوم القيامة لكيلا ينهار بناء المجتمع الإنسانى بسبب الاستهتار بالقيم ولا يصح لنا أن نقلد غيرنا فى المساوىء وأما عن الحسنات فنحن عنها معرضون ، ولكن الإسلام يقول للمسلين « لا يكن أحدكم إمَّعة يقول أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » من هدى النبوة

(غضُّ البصر)

أولا :

غضُّ البصر وقد ركزه الله فى الطبائع الكريمة : والأَذْوَاق السليمة عن ذوى الأخلاق النبيلة ،

غض البصر من الحياء والحياء من الإيمان ، والإيمان قادر على أن يملأ جوانب النفس القوية ضياءً واستعدادا لتلقى الفُيوضات الإلهية والفتوحات الربانية ، فهو مشكاة نورانيةومرقاة لمن أراد الهداية وأن يستنير له قلبه ويرتفع قدره ويعلو شأنه والله يقول :

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ .. ﴾ سُورَةُ المجَادلة

سورة المجادلة ــ الآية : ١١

غضُّ البصر عبادة وطاعة وقدرة وطاقة : لأن كل عمل يرضى الله ــ تعالى ــ يعتبر عبادة لله ــ تعالى ــ الذى يراقب عباده سراً وعلانية (وهو معكم أينما كنتم) :

وغضُّ البصر يحمى الأعراض لأن الوقاية خير من العلاج : (والنظرة سهم مسموم من سهام إبليس)

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء ، ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟!!! إن النساء ليست نهبا للنواظر والأبصار التى تصوَّبُ نحو المتبرجات والسافرات وهذا مما يُعرِّضُ للخروج عن الحدود ، ومن القُنَّاص ذوى الخيانة والمهانة ؛ فإذا فقد المرء الحياء فلا عليه أن يفعل ما يشاء لأنه لا يعيبه شى .

[إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت]

وطرفك إن أرسلته لك رائدا
لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذى لَا كُلَّهُ أنت قادر
عليه ولا عن بعضه أنت صابر

هذا ما قالته امرأة بدوية أبعد نظرا وأرجح عقلا بموطن الداءَ لأن النظر يبعث على الفتنة ، وقديماً قالوا لو أن عرق رجل بمغرب وامرأة بمشرق لحنَّ كل منهما لصاحبه فكيف بمن يجدها بجانبه

« تحــــذير »

[رب نظرة كانت بذرة لأخبث شجرة]

كل الحوادث مَبْدَاهَا من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مادام ذا عين يقـــلبها
فى أعْيِنِ الْغيدِ موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها
فعل السهام بلا قوس ولا وتـر
يسر ناظـــره ما ضر خاطـــره
لا مرحبـــا بسرور جاء بالضرر

« العين أو القيد »

إن صيانة الأعراض وحفظ الأنساب وصيانة أواصر الأسرة من أن تلعب بها الأهواء وإحكام الروابط من أن تعبث بها يد الفساد دليل على سمو النفوس وطهارة السيرة ونقاء السريرة ونفاد البصيرة لدى قوم مؤمنين بالله رب العالمين

« ثانيا : كف الأذى »

لقد مَنَّ الله على المؤمنين بنعمة الإيمان ، وجعلهم إخوة متحابين وبمقتضى هذه الأخوة الإسلامية عليهم أن يكونوا رحماء بينهم يُحبُّ أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه فيحس بإحساسه ويشعر بشعوره وينفعه ولا يضره :ـ وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه البخارى . وقال : « إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا .. »

رواه الترمذى

وليست كل النفوس بواصلة إلى تحقيق آداب الأخوة الإسلامية ، وإن كان منها ما يدرك معنى التعاون على البر مع الأقارب والجيران أو أهل البلد أو الوطن أو الناس أجمعين فيتعامل بمكارم الأخلاق فى كل مكان وزمان بإيمان صادق بالحق الواضح المستبين ، حق المسلم على المسلم لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وبهذا تطمئن النفـــــوس فلا ضرر ولا ضرار ولا شرور ولا فجور ، ولا استعلاء ولا كبرياء ، ولا أذى ولا عداء لأن كل فرد محتاج لأخيه يسانده ويساعده ويؤيده ويناصره .. إلى غير ذلك من الأمور النافعة التى تخرج الإنسان من أنانيته الضيقة أو الواسعة إلى حب الخير للغير والتعامل بالحسنى فى القول والفعل مع الآخرين والله يقول :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾

سورة إبراهيم ـ الآيات :٢٤ ـ ٢٦

« ثالثاً : رد السلام »

السلام كلمة طيبة يحبها الناس جميعاً : لأن معناها الأمن والطمأنينة والاستقرار ، وهى تحية المسلمين أجمعين فى كل وقت وحين وفى كل زمان ومكان ، فاذا أدَّوها تحابّوا وتآلفوا وتعاونوا وتقاربوا ، ورد السلام حق من حقوق الطريق : فإذا قال المسلم السلام عليكم وجب على السامع أن يرد عليه بقوله وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وهذا هو أدب المخالطة والمعاشرة وأدب الروابط بين المسلمين ، وهو حق المسلم على المسلم أينما حلَّ ، وهو صلة وثيقة بين الناس وعلاقة متينة . وكلمة السلام لا يساويها قول آخر ولا يدانيها لفظ مستورد شائع بين الناس ، كلمة طيبة لا يصح استبدالها بما يقوله أكثر الناس يحيى به بعضهم بعضا مما لا يعتبر تحية إسلامية كريمة ذات مثوبة ومن الناس من يحرف كلمة السلام فيقول : (سام عليكم) فيكون غير حريص على سلامة أخيه فَيْرُدَ عليه وعليكم ، ومنهم من يقول وعليكم السلام دون أن يقول ورحمة الله وبركاته والله يقول :

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾

النساء : ٨٦

وقد كانوا فى الجاهلية يقولون « عِمْ صباحا » إلى غير ذلك فاستبدلها الإسلام بتحية فى شريعته الباقية التى لا تقبل تعطيلا ولا تبديلا ولا تعديلا ، وَردُّ السلام أكملُ تحية وأجمل شعار لذلك جعله الرسول ﷺ حقا من حقوق الطريق، يسلم الراكب على الجالس والمار، وعلى المار إذا بدأه بالسلام لكى يحاط الطريق بالوقار والاحترام ، وفى رد السلام احترام متبادل وتنقية للقلوب وتطييب للنفوس وإصلاح للعلاقات وتأكيد للصلات بين الشركاء والأقرباء والأصدقاء بإفشاء السلام عند اللقاء والفراق .

« والسلام من أسماء الله تعالى »

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ .. ﴾

سورة الحشر ـ آية : ٢٤

والسلام من صفات ليلة القدر

﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾

سورة القدر ـ آية : ٥

والسلام تحية أهل الجنة :

﴿ ... وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

سورة الزمر

وقد أمرنا الله أن نصلى على رسوله ونسلم عليه

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

سورة الأحزاب ـ آية : ٥٦

فالسلام تحية للمسلمين فى الدنيا والآخرة : وفى صلاتنا : نصلى عليه فى التشهد نقول له السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، ولا نخرج من الصلاة إلا بكلمة السلام عليكم عن اليمين وعن اليسار ، والله يقول فى سورة الصافات

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩ ﴾ .

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝١٠٩ ﴾ .

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ .

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ۝١٣٠ ﴾ .

﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

سورة الصافات

رابعاً : **الأمر بالمعروف**

من حق المسلم على المسلم أن يهديه إذا ضل وأن يرشده إذا زل لأن الأخلاق الإسلامية تنأى بالمسلمين عن مزالق الزلات ومواطن السيئات فإن الدين النصيحة وبالتناصح يسلك المسلمون سُبُل المصلحين ومناهج المتقين والله يقول :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾

سورة التوبة ــ آية : ٧١

ومن حق الطريق الإرشاد إلى ما فيه صلاح الحال بالأفعال والأقوال باللين دون الغلظة .

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾

سورة آل عمران ــ آية : ١٥٩

والدعوة إلى الخير واجب كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، والواجب على الكفاية واجب على الجميع ولكنه يسقط إذا أداه البعض ، ويأثم الجميع بتركه ، لا فرق بين العلماء وغيرهم ، ولكن الأمر بالمعروف مفروض على المتفقهين فى الدين فهم الأمناء على الدعوة الإسلامية التى فرضت متابعتها منذ أن بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها والله يقول :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

سورة التوبة ــ آية : ١٢٢

ذلك لأن علماء الدين أعرف من غيرهم بالحلال والحرام والله قد ائتمنهم على نشر دينه .

﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ ؟ .

والدعوة إلى لخير واجبه على الجالسين فى الطريق وغير الطريق من المسلمين أما الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف فهم المنافقون

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٦٧ ﴾

سورة التوبة ــ آية : ٦٧

خامساً : النهى عن المنكر

الجالسون والقائمون والقاعدون يتعاملون بالدعوة إلى الخير ولا يتعاملون بالشر والضر ، ومن حق الطريق على المسلمين النهى عن المنكر على

قد الاستطاعة وذلك لأن المنكر هو ما أنكره الشرع الحكيم ويأباه الذوق السليم فمن الخطأ أن يترك المسلم الفساد والعدوان على حق الطريق أو وسائـــــل المواصلات دون أن يرشد بالهدوء وبالحكمة والموعظة الحسنة إلى ترك العبث بالمرافق العامة والخدمات المعدة للجميع .

من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، وهذا واجب على من يملك الرادع لمن ترك الوازع ، فإن لم يستطع فبلسانه ، وهذا واجب المرشدين والناصحين لأن الدين النصيحة ... فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان لأنه لم ينكر المنكر فكأنه راض عنه أما من اعتقد أن المنكر حق ومستساغ قبوله بين الناس فحسابه عند ربه .

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ .

سورة المائدة ــ آية : ٦٤

تحيةً من المخلصين المصلحين إلى الذين يحافظون على أمن الطريق وسلامته وعلى نظافته وصيانته وتحية للذين يؤدون حقوق الطريق بغض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر والنهى عن الشر وثناء ودعاء للذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، فهم يحترمون أنفسهم ، فإذا ساروا فى الطريق ساروا بعقل وروية وأناة وبعد نظر وهدوء أعصاب وصفاء ذهن .

ونسأل الله الهداية والرشد للغافلين عن أنفسهم التائهين فى أعمالهم من الذين يقودون السيارات وهم لاهون وفى غمرة ساهون بسبب همومهم المتراكمة ومشاكلهم المتزايدة الكامنة فى رءوسهم حتى أفقدتهم قوة الحذر من الضرر والخطر فتعرضوا للحوادث والكوارث باستهتارهم وعبثهم ولاسيما بعض الشباب الطائش الذى يقود السيارات برعونة وسرعة مجنونة وبلا مبالاة وهؤلاء حرام عليهم وعلى ذويهم قيادةسيارات إلا أن يتأكدوا من نضوج عقولهم وحسن قيادتهم ضمانا لسلامة الأرواح البريئة وسلامة الطريق الآمنة المستقيمة والله يقول :

﴿ **وسَلَكَ فيها سُبُلا** .. ﴾ أى الطرق فوق الأرض .

فماذا على الناس جميعاً لو سلكوا سبيل المؤمنين لأن الإسلام هو الصراط المستقيم ، والمنهاج القويم والاعتقاد السليم والخلق الكريم الذى يؤلف الثافر ويهدى الحائر : ؟

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

سورة الأنعام ــ آية : ٥٣

المعصية بين الفرد والمجتمع

أ.د/ محمود محمد رسلان

بقدر ما هى مستقبحة هذه «المعصية» فى قلوب المتقين ، بقدر ما هى نشوى يحرص عليها العابثون ، ويرونها عنوانا لحريتهم الشخصية ، وإشباعا لمدنية ليست من ديننا ، ولا من عاداتنا . إنها من هذا الغرب الذى اتخذوه إماما : رجالهم ونسائهم على سواء ، فإذا حرصت التقية على ستر جسدها إشباعا لحيائها بدت المتحررة من كل القيود تشبع شهواتها ، ومن ورائها رجال يطربونها بثنائهم وما حرك الشيطان به شفاههم لما حسرت عن وجه وكشفت عن ساق .

وتحمل اللغة معانى عدة لهذه الكلمة ، وخصها الإمام الحافظ شمس الدين الذهبى بهذا التعريف ، فقال :

هى ما نهى الله سبحانه ورسوله عنه فى الكتاب والسنة ، والأثر عن السلف الصالح .

وقد ضمن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر والمعاصى والمحرمات أن يكفر عنه الصغائر من الذنوب والمعاصى . فقال جل ذكره : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ سورة النساء

والفارق كبير بين معصية تتبعها توبة ، ومعصية يستمر فيها صاحبها ، ويعكف عليها ، وربما يتمادى فيفخر بها :

فأما الذين تابوا ، فإن الله ـ سبحانه ـ يتوب عليهم ـ قال ـ تعالى :

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ التوبة

أى شرع لهم التوبة وفتح بابها ليتوبوا .. وفى الكتاب العزيز ضراعة آدم وحواء ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام .

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأعراف

وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه : أن أحب الكلام إلى الله ـ تعالى ـ ما قال أبو البشر آدم ـ عليه السلام ـ حين اقترف المعصية :

سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله إلا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

وما أولى بنا أن نكون على سنة أبوينا الأولين .

ويذكرنا أبونا آدم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بعدوه ـ وعدونا ـ إبليس نموذج المعصية التى أصر عليها كبرا واستكباراً ، فلعنه الله عز وجل ـ وطرده ، ومن على شاكلته ، وتصور الآيات الكريمة الآتية ـ بأبلغ تعبير ـ صور تكبره :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ سورة الحجر

وقال تبارك ـ تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ سورة ص

وتتسع المعصية ، وتأبى أن تلوذ بفرد أو أفراد من النساء والرجال ، فتتجاوز الفردية لتشمل أمماً بأكملها ، تغريها بالفسق والكفر والجحود ، فتنسى ربها الواحد الأحد ، وتسجد لألوان عديدة من مخلوقاته فى الأرض وفى السماء فنراها قد سجدت للشمس والقمر ، وقدست النجوم ، وسجدت للحجر والشجر ، بل منها من عبد المرأة ، أو عبد الرجل ، وهذا كتاب الله بين أيدينا يقص علينا ، والقاصُّ هو الله ـ عز وجل ـ الذى لا يغيب عنه شىء فى الأرض ولا فى السماء

وتلك الأمم ـ جميعا ـ ما كان الله ـ تعالى ـ لينتقم منهم دون أن ينذرهم ، وقَصَصُهُ ـ تعالى ـ شاهدُ منذ كان قومُ نوح ـ عليه السلام ـ ومن بعدهم فنالهم سَخَط الله ـ تعالى ـ بأنواع انتقامه .

يقول ـ تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة العنكبوت

إن الذين مارسوا الإثم عُلُوًّا واستكباراً ، وأنِفُوا من توبة تغسل حَوْبَهُمْ نالهم الجزاء العادل من رب كريم يرزقهم ويطعمهم ، ويعلمهم فيجحدون فضله ، ويتمادون فى غيهم يعمهون .

فإليه ـ تعالى ـ إيابهم وعليه حسابهم . نسأله الله ـ تعالى ـ توبة وبصيرة إنه سميع قريب .

من رجال القضاء في دولة الإسلام

أسد بن الفرات

الفقيه القائد فاتح جزيرة صقلية

للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى

●● هو أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان، قاضى مدينة القيروان فى تونس، كان عالما من أعظم علماء عصره ، مؤمنا غاية الإيمان بقدسية الجهاد لتكون كلمة الله هى العليا ، فكان جنديا جريئا وبحارا مغامرا ، قام بغزوات سابقة فى البحر المتوسط ــ وقد كان يدعى قديما بحر الروم ــ حيث افتتح جزيرة قوصرة وتسمى جزيرة بنتلاريا وتقع شرق تونس ، كما اشترك فى غزوة جزيرة كورسيكا مرات عديدة وتقع جنوب الدولة الفرنسية[1] ●●

مولده ونشأته :

ولد ــ رحمه الله ــ فى حران عام ١٤٢ هجرية التى توافق عام ٧٥٩ للميلاد ، فحمله أبوه (وكان جنديا فى جيش محمد بن الأشعث الخزاعى) إلى مدينة القيروان وهو يومئذ ابن سنتين فأقاما بها مدة خمس سنين ، ثم رحلا إلى

(١) كتاب مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام تأليف الأستاذ محمد عبدالله عنان الطبعة الثالثة ١٩٥٢م .

تونس وعاشا بها نحو تسع سنين ، وعندما بلغ ثمانى عشرة سنة تعلم القرآن فى قرية على وادى (بجردة) ثم عاد إلى تونس حيث سمع الموطأ وتعلم العلم على فقيهها على بن زياد[٢] .

رحلاته فى طلب العلم :

خرج أسد بن الفرات إلى حواضر الإسلام فى المشرق عام ١٧٢هـ وذلك لطلب العلم .. فقصد أول رحلاته إلى المدينة المنورة ؛ ليسمع من فقيهها الكبير الإمام مالك بن أنس – رضى الله عنه – وواظب على حضور مجالسه وسمع منه كتابه الموطأ .. ثم عول بعد ذلك على الخروج إلى العراق ، وقبل مغادرته المدينة قال الإمام مالك : (أوصيك بتقوى الله والقرآن والمناصحة لهذه الأمة) .

ولما وصل إلى بغداد لم يجد الإمام أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى لوفاته ، لكنه لقى من أصحابه القاضى أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم ، والإمام محمد بن الحسن الشيبانى ثم طلب من هذا الإمام أن يخصه بوقت يدرس عليه فيه ؛ لأنه غريب وقليل النفقة ، وطلاب العلم عند أستاذه كثير ؛ فرحب الإمام الشيبانى باستزادة تلميذة من العلم ، وقال له : (اسمع من العراقيين بالنهار وقد جعلت لك الليل وحدك فتأتى فتبيت عندى فأسمعك) وهكذا كان دأبه حتى أتى أسد بن الفرات على ما يريد سماعه من علم عند الإمام الشيبانى ، فضلا عن رعايته له ماديا ومعنويا ، كما كان يفعل السلف الصالح من الأساتذة العلماء بتلامذتهم .

ثم انتقل أسد بن الفرات إلى مصر ، حيث حضر بها مجال أشهب بن عبد العزيز وعبد الرحمن بن القاسم وغيرهما من أصحاب الإمام مالك بن أنس ، لكنه لزم عبد الرحمن بن القاسم وأخذ عنه ما طاب له من علم وأجوبة ، ولما هم بالرجوع إلى المغرب ودعه أستاذه ابن القاسم قبل مغادرته مصر ، وقال له : (أوصيك بتقوى الله والقرآن ونشر هذا العلم) ، ولما وصل إلى بلده قام بترتيب ما أخذه من علم فى فصول فسميت (المدونة الأسدية) أو (الأسدية) فقط[٣] .

صفاته وأخلاقه وولايته للقضاء ثم قاضيا للقضاة :

كان – رحمه الله – رجلا صالحا فقيها عالما ورعا ، وكان إذا قرأ على سامعيه يقول : (اسكتوا على أسرد عليكم دويا فى أذنى) وربما يدق بيده على صدره ويقول (يا حسرتا إن مت ليدخلن القبر منى علم كثير) وكان له بيان وبلاغة ، إلا أنه بالعلم اشهر منه بالأدب ، وقد سمع منه العلم والفقه خلق كثير من كتاب الموطأ ومن كتابه الأسدية السابق الإشارة إليه .

وقد تولى القضاء فى عهد إبراهيم ابن الأغلب مؤسس أسرة الأغالبة فى تونس واستمر إلى جانبه مخلصا له ولأسرته ، فى عهد زيادة الله بن ابراهيم

---

(٢) مقال تحت عنوان الفقيه القائد مصنف كتاب الأسدية وفاتح جزيرتى قوصرة وصقلية بقلم اللواء الركن محمود شيت خطاب عضو المجمع العلمى العراقى نشر بمجلة العربى الكويتية عدد ربيع الأول ١٣٨٧هـ يوليو (تموز) ١٩٦٧م .

(٣) المرجع السابق .

ابن الأغلب عين فوق منصبه شيخا للفتيا وقاضيا للقضاة[٤] .

الباعث لقيام المسلمين فى تونس لغزو جزيرة صقلية :

تذكر الرواية البيزنطية أن سيدا من أشراف صقلية يدعى (يوفيموس) ويسميه العرب (فيمى) هام بحب راهبة حسناء فاختطفها من الدير الذى تقيم فيه ، ولما وصلت هذه الأخبار إلى الامبراطور البيزنطى ـ الذى تتبعه الجزيرة ـ وكان يدعى ميخائيل الثانى قضى بجذع أنفه عقابا له على جرمه ، فلما سمع (بوفيموس) بالحكم الصادر عليه ، جزع وثار فى عصبته وأنصاره على حاكم الجزيرة من قبل دولة بيزنطة ، وفى حربه له انتزع منه سرقوسه وبسط حكمه عليها ، لكن حاكم الجزيرة صمد لقتاله حتى انتصر عليه فلاذ (بوفيموس) بالفرار إلى تونس واستغاث بأميرها زيادة الله بن الأغلب وزين له فتح صقلية والاستيلاء عليها .

لكن الرواية الإسلامية لا تذكر شيئا عن قصة الراهبة المخطوفة ، وتروى فقط أن الأمبراطور البيزنطى غضب على (فيمى) وقد كان مقدم أسطوله فأمر بالقبض عليه ، وأنه لما علم بذلك سار فى شيعته واستولى على سرقوسه ، لكن زعيما آخر يدعى بلاطة انتزعها منه فسار (فيمى) فى سفنه إلى إفريقية ـ أى تونس ـ واستنجد بأميرها زيادة الله فاستجاب إلى دعوته وسيَّر أسطوله وجيشه إلى صقلية ؛ لافتتاحها بقيادة قاضى القيروان أسد بن الفرات[٥] .

عرض أمر الغزو على مجلس للشورى كان من ضمنه أسد بن الفرات :

وقبل أن يبت حاكم تونس زيادة الله بن الأغلب فى أمر الغزو جمع مجلسا حربيا مؤلفا من وجوه أهل القيروان وفقهائها ومنهم أسد بن الفرات ، لكنهم انقسموا إلى فريقين :

١ ـ أقلية لا ترى الغزو ولا تشير به .

٢ ـ وأكثرية ترى ضرورة الغزو ، ومن هذا الفريق كان أسد بن الفرات .

وعندئذ انحاز حاكم تونس إلى رأى الأغلبية وعين أسد بن الفرات قائدا لجيش الغزو ، وعزم عليه فى ذلك ؛ لأن ابن الفرات قال له : (أصلح الله الأمير ، من بعد القضاء والنظر فى حلال الله ـ تعالى ـ وحرامه تعزلنى وتولينى الإمارة) فرد عليه الأمير بقوله : (إننى لم أعزلك عن القضاء بل وليتك الإمارة وأبقيت لك اسم القضاء فأنت قاض أمير) فخرج ابن الفرات فى مهمته للغزو على ذلك ، ولم تجتمع الإمارة للجيش والقضاء ببلد فى أفريقية إلا لأسد بن الفرات وحده[٦] .

كيف جهز ابن الفرات حملته ومسيره بها :

كانت هذه الحملة الأولى فى غزو تلك الجزيرة ولم تكن من السرايا الصغيرة بل كانت أعظم حملة عربية إسلامية قادها أسد بن الفرات وذلك فى ربيع أول سنة ٢١٢هـ ، إذ كانت تضم عشرة آلاف رجل وتسعمائة فارس من خيرة الرجال الأشداء ، غير النواتية ، وزودت بعظيم المؤن

(٤) المرجع السابق .

(٥) كتاب مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام .. مرجع سابق .

(٦) مقال الفقيه القائد مصنف كتاب الأسدية .. مرجع سابق وكذلك كتاب الإسلام والحضارة العربية تأليف الأستاذ محمد كرد على الجزء الأول الطبعة الثانية ١٩٥٠ لجنة التأليف والترجمة والنشر .

وأقوى الأسلحة فى ذلك الزمان ، وسارت متجهة فى أسطول مؤلف من ٣٠٠ سفينة صوب صقلية فوصلتها بعد أيام قليلة ، حيث رست فى ثغر (مازارا) الواقع بالطرف الغربى للجزيرة ثم نفذت الحملة وعلى رأسها قائدها ابن الفرات إلى شرق الجزيرة ، وهناك التقى بجيوش الصقليين بزعامة قائدهم (بلاطة) حيث نشبت بين الجيوش معركة عنيفة ، كان النصر فيها حليف ابن الفرات وجيشه ، وانهزم الصقليون وقتل قائدهم (بلاطة) بعد أن حاول الفرار بعد الهزيمة(٧) .

وبعد ذلك سار ابن الفرات فى الجزيرة يستولى على أرضها وحصونها حتى وصل إلى أكبر قلعة بها ، وتدعى (كلتا جيروتى) وفيها احتشدت كل قوى الصقليين لمقابلة الجيش الإسلامى العربى ، وكان خط القتال الناشب بين جيش الفتح وقوى الصقليين ممتدا من مدينة « سرقوسة » فى شرق الجزيرة إلى « بالرمو » فى شمالها الغربى فانقض ابن الفرات بقواته على هاتين المدينتين ، لكنهما استعصتا عليه ، واشتدت المقاومة ضد قواته خصوصا بعد أن أرسلت الدولة البيزنطية أسطولا لمساعدة الصقليين ، فضلا عن انتشار الوباء فى جيش الغزو ، الذى أصاب القائد ابن الفرات نفسه ضمن من أصابهم ، فاحتمل كل ذلك صابرا صامدا ، وهنا كانت قوة الجيش الإسلامى قد بدأت تخور ، وتحرج موقفه ، إذ تكاثر على جنوده جيش بيزنطة الرومى ، فأصبحوا يصاولون جيش الامبراطورية لا جيش صقلية المحلى .

ولولا صلابة ابن الفرات لكانت الهزيمة محققة فى جيشه ، وواقعة لا ريب فيها ، لكنه وقف صامدا رابط الجأش غير وجل ولا هياب ، يناضل بكل قوة ، ويبث فى جنوده من روحه القوية ويحذرهم مغبة الاستسلام والهزيمة ، لأن الله لن يخذلهم فهو نعم المولى ونعم النصير ، وفى الوقت الذى بلغت فيه روح قواته الحلقوم أتت الأنباء تؤكد له أن أسطولا أندلسيا قد جاء لمساعدة جيش الفتح ، وأن إمدادات من تونس ـ أيضا ـ قد جاءت بدورها تناصرهم وتشد من أزرهم(٨) .

وفاة أسد بن الفرات وتولية محمد بن أبى الجوارى قيادة جيش الفتح :

وفى الوقت الذى نشط فيه الجيش الإسلامى وشمر عساكره عن ساعد الجد بعد وصول أنباء تلك الإمدادات إليه ، توفى الفقيه القائد أسد بن الفرات وهو محاصر لسرقوسة ، وكان ذلك فى ربيع الآخر ٢١٣هـ التى توافق ٨٢٨ للميلاد ؛ فحزن عليه جنوده وودعوه بدموعهم إلى قبره وداعهم الأخير فى ثرى تلك الجزيرة .

وقد خلفه فى قيادة جيش الفتح قائد فطن هو (محمد بن أبى الجوارى) وبعد توليه القيادة بأيام قليلة وصلت فعلا إمدادات الأندلس وإمدادات تونس العسكرية ، فقام ـ بقواته وما وصل إليه

(٧) راجع : تاريخ الإسلام تأليف الدكتور حسين مؤنس الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ ـ يناير سنة ١٩٨٧م ـ الزهراء للإعلام العربى بالقاهرة ، وكتاب تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط تأليف الأمير شكيب أرسلان طبعة ١٣٥٢هـ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه .

(٨) كتاب صور وبطولات من حضارتنا الإسلامية تأليف الدكتور عبد الحليم عويس طبعة ١٤٠٢هـ دار الصحوة للنشر بالقاهرة .

من إمدادات ـ باستكمال الفتوحات فى الجزيرة حتى وقعت معظم المدن الصقلية فى يد الجيش الفاتح وذلك بالاستيلاء على سرقوسة آخر معاقلها(٩) .

ماذا قال القائد الجديد أمام قبر أسد بن الفرات بعد الفتح ؟

وقف القائد محمد بن أبى الجوارى أمام قبر قائده السابق بعد وفاته يخاطبه فى عبارات مؤثرة فكان مما قاله : (لقد انتصرنا ياابن الفرات ، ووالله لولاك بعد الله ما انتصرنا ، ثم انحدرت دموعه على خديه وأردف قائلا : ولولا الليالى الحالكة التى وقفت فيها صامدا مانجونا ، ألا فلتنعم بالفردوس فى الآخرة والخلود فى الدنيا) .

ثم ودعه بالتحية اللائقة وعاد أدراجه ليوطد دعائم الدولة العادلة فى جزيرة صقلية ، تلك الدولة التى ساهم بجهاده فى إنشائها الفقيه القائد أسد ابن الفرات(١٠) .

تقيم خطط بن الفرات فى فتح الجزيرة من الوجهة العسكرية :

يرى خبراء العسكرية أن ابن الفرات كان يتمتع بعقلية منظمة فى إحكام أمور قيادته ، نتيجة لدراساته الفقهية الطويلة وورعه فى تصريف أمور جنده ، وقد بلغ من تقواه أنه كان يقرأ فى معمعة المعارك ما شاء له من سور القرآن الكريم خصوصا سورة (يس) ويرفض أى معاونة له من غير المسلمين ؛ لأنه كان يؤمن إيمانا عميقا أن النصر من عند الله وليس من عند أحد غيره .

لكنه كان يفتقر إلى الخبرة العملية فى شئون الحرب ، إذ كانت تعوزه الممارسة الكافية الضرورية لمعالجة متطلباتها ، ولا يكون ذلك بالدراسة النظرية بل بالتدريب العملى المستمر على فنون القتال تطبيقا لمبادىء الحرب فى ساحات الحروب والمعارك ، وأياً ما كان ذلك فإن تلك المآخذ ماكانت لتنقص من قدره ؛ لأنه كان مجاهدا صامدا له فى قتال الروم آثار مشهورة ومقامات لاتنكر(١١) .

مصير الجزيرة بعد فتح المسلمين لها :

يذكر التاريخ أن المسلمين أسسو فى تلك الجزيرة إمارة إسلامية كانت تابعة فى البداية لحكومة تونس ثم استقلت بعد ذلك عنها حينما سقطت دولة الأغالبة التى قامت بغزوها وفتحها ، إذ قامت فى صقلية دولة إسلامية لبثت زهاء قرنين من الزمان ، ازدهرت فى ظلها حضارة مستنيرة متقدمة تزهو بعلومها وصناعاتها وتجارتها ، لكن القوى المعادية للعروبة والإسلام تكالبت عليها فى حملات للفرنجة الحاقدة على المسلمين وحضارتهم ، حتى سقطت فى يد الدوق « روجر النورمانى » ٤٦٤هـ التى توافق ١٠٧٢ للميلاد وبسقوطها انتهت هناك دولة عربية إسلامية كما تنتهى الأحلام السعيدة فى أى زمن من الأزمان(١٢) .

---

(٩) مقال الفقيه القائد مصنف كتاب الأسدية مرجع سابق .

(١٠) كتاب صور وبطولات من حضارتنا الاسلامية مرجع سابق .

(١١) مقال الفقيه مصنف كتاب الأسدية المرجع السابق .

(١٢) كتاب مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام مرجع سابق .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

استفتاءات القــراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها فضيلة الشيخ : السيد العراقى

ورد إلينا السؤالان من السيد ع . أ يقول فيهما : ١ ـ أريد أن استوضح (حكم شرب الدخان) .

وحكم الاتجار فيه .

وحكم الربح الناتج عن بيعه ؟

الجــــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد :

عرف الدخان فى البلاد الإسلامية بعد نقله من أمريكا وانتشاره فى أوربا فى القرن السادس عشر ، ولكثرة إقبال الناس عليه إذ ذاك اتخذ كثير من الحكام إجراءات شديدة ضد المدخنين كان من بينها : النفى وكسر الأنف ، بل القتل بصب الرصاص فى أفواه المدخنين .

ولم يتحدث عنه فقهاء المذاهب الأربعة فى العصور الإسلامية الأولى وبعد أن عرفوه فى القرن التاسع الهجرى ، ألف العلماء فيه عدة رسائل بلغت الثلاثين ، كانوا فيها ما بين محرم ، وغير محرم ، كما عنى الأطباء ببيان ضرره على الصحة وقالوا : إن النيكوتين السام الموجود فى الدخان يخلص الجسم من ٨٥٪ منه بالتفاعلات الكيماوية وبالتبول .

هناك ثلاثة أراء فى حكم شربه :

الرأى الأول : التحريم مطلقا .

واستدل أصحاب هذا الرأى بنصوص عده منها قوله ـ تعالى :

﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾

الاعراف ـ ١٥٧

والدخان خبيث فيكون حراما . وقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾

النساء ـ ٢٩

وفيه موت لبعض الناس فيكون منهيا عنه . وقوله ـ تعالى :

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾

الإسراء ـ ٢٦

ودفع المال فيه تبذير ؛ لأنه فى غير موضعه ، فيكون منهيا عنه .

وقوله ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار » رواه مالك مرسلاً .

والرأى الثانى :

الحِلّ بناء على أن الأصل فى كل شىء الإباحة ، وأن الأصل فى كل مطعوم ومشروب أن يبقى على حله حتى يرد النص بتحريمه ، أو يندرج تحت دليل أو قاعدة عامة توجب التحريم ، أو يقاس على أصل محرم لعلة مشتركة فيهما ، ولم يرد فى (التدخين) شىء من ذلك فيبقى على الحل .

والرأى الثالث : وسط بين الرأيين

فيقول أصحابه : بالتفصيل ، أى قد يكون التدخين حراما وقد يكون حلالا .

يكون حراما إذا كان فيه ضرر صحى لا يحتمل وذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال ، ولابد من إخبار الطبيب الثقة بخطورته على الشخص ، وكذلك إذا كان فيه إسراف محرم بأن كان المدخن محتاجا إلى ثمنه فى نفقات واجبة عليه ، ويكون مباحا إذا لم يكن فيه ضرر صحى وقد أفتى بحله العلامة الأجهورى المالكى فى رسالته .

وقال العلامة عبد الغنى النابلسى ـ فى رسالته التى ألفها فى حله : إنه لم يقم دليل شرعى على حرمته أو كراهته ، ولم يثبت إسكاره أو تغيره أو إضراره بعامة الشاربين حتى يكون حراما أو مكروها تحريما فيدخل فى قاعدة الأصل فى الأشياء الإباحة .

وقال العلامة الطحاوى : يكره تعاطيه كراهة التحريم لعارض ككونه فى المسجد للنهى الوارد فى الثوم والبصل ، وهو ملحق بهما. ويكره تعاطيه أثناء القراءة لكل من التالى والسامع ، والكراهة لعارض لا تنافى حكم الإباحة فى عامة الأحوال .

ومن ذلك يعلم : أن الاتجار فيه مباح على الراجح ، وأن الربح الناتج عنه حلال طيب

وترى لجنة الفتوى أن المال الذى ينفق فيه أولى أن يوجه إلى مجالات مفيدة وهى كثيرة ، وقد تكون الحاجة فيها ملحة .

وكذلك يكره التدخين تورعا ، لأن بعض الفقهاء قال بحرمته .

كما أن له أثرا سيئا على كثير من المدخنين صحيا وآخر سيئا على الاقتصاد القومى على مجموع الأمة التى هى فى أشد الحاجة إلى توفير المطالب الأساسية أو تحسينها ، وما يحرق يوميا من الدخان يمكن أن يستفاد به فى مشروعات إنتاجية هامة لرفع مستوى المعيشة ، ولعل السائل قد وجد جوابا شافيا لكل ما أثاره فى تساؤلاته ، فإن أراد المزيد فليرجع إلى رسالة فضيلة الشيخ عطية صقر عن التدخين فى نظر ، الإسلام والله تعالى أعلم .

وردت ألينا الأسئلة الأربعة الآتية من ع . ا . ع غربية يقول فيه .

شاب خطب فتاة وأثناء فترة الخطوبة كانا يخرجان معا دون ثالث وحدث ما لا تحمد عقباه . فقد زنا بها ، ثم تزوجا بعد ذلك فما حكم الدين فى هذا السلوك .
وماذا يجب عليهما ؟

وهل تعتبر هذه زانية برغم أنهما تزوجا وأنجبا الطفل ؟

٢ ـ شخص أدركته صلاة العشاء ولم يصل المغرب ، ولكنه أدرك سنة العشاء . فصلى المغرب قبل إقامة العشاء فهل هذا صحيح ؟

٣ ـ شخص أدركته صلاة العصر ولم يصل الظهر ، فهل يصل معهم بنية الظهر ، ثم يصلى العصر بعد ذلك ؟

٤ ـ ما حكم الإسلام فى زواج المسلم (بالنصرانية) مع بقاء كل على دينه وما الحكم ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .

فنفيد ـ بادىء ذى بدء ـ بأنه غير جائز شرعا خروج الخاطب مع خطيبته دون محرم ، كما أنه لا يجوز للخاطب أن يختلى بمخطوبته ؛ لأنها مازالت أجنبية عنه ، فإن الخطبة ليست زواجا .

ومادام الزنى قد حصل ، وجب فيه الحد ، وهو الرجم للمحصن ، والجلد لغير المحصن ، فإن أقيم عليه الحد كان ذلك توبة يرفع الله بها الإثم كما قال النبى ﷺ فى الجهنية التى رجمت للزنى ـ وصلى عليها : أنها تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لو سعتهم ، وهل وجدت أعظم ممن جادت بنفسها لله ؟

وإذا لم يُقَمْ الحد على الزانى ، وهو مستعد له راض به ، فلا يغفر الذنب إلا بالتوبة النصوح ، القائمة على الإقلاع عنه ، والندم عليه ، والعزم الأكيد على عدم العودة للعصيان ، وطلب العفو والسـماح ... إذا حـدث ذلك يرجى أن يغفر الله هذا الذنب ، وبدون ذلك لا يكون مجرد الزواج بها مسقطاً للعقوبة ، لا عقوبة الدنيا ، ولا عقوبة الآخرة ، وإذا كان الزواج بها مظهرا من مظاهر التوبة فالله وحده هو الذى يقدرها والولد قطعا هو ابنهما .

ذكر الهيثمى فى مجمع الزوائد (فى كتاب النكاح) باب : الرجل يزنى بالمرأة ثم يتزوجها قال عن ابن سيرين قال : سئل ابن مسعود عن الرجل يزنى بالمرأة ثم ينكحها قال : هما زانيان ما اجتمعا فقيل : لابن مسعود أرأيت إن تابا وأصلحا قال :

﴿ وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾

الآية رقم ـ ٢٥ من سورة الشورى

قال الهيثمى رواه الطبرانى وابن سيرين .

وعن الثانى والثالث : بأنه لا يجوز للمسلم أن يتكاسل عن تأدية الصلاة فى وقتها بدون عذر لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾

النساء ١٠٣

ولقوله : ﷺ حينما سئل عن أفضل الأعمال فقال : الصلاة لوقتها : وحيث إن السائل فضّل صلاة المغرب بدل سنة العشاء وكان هناك وقت وقبل إقامة جماعة العشاء جاز له ذلك لمراعاة الترتيب وهذا أفضل ، وإذا لم يجد الوقت وخاف فوات الجماعة فإنه يدرك العشاء مع الجماعة ، ثم يأتى بالمغرب بعد العشاء ، وعند الشافعية يجوز صلاة المغرب خلف الإمام الذى يصلى العشاء وبعد تمام الركعة الثالثة لهما يجلس المأموم الذى يصلى بنية المغرب وينوى المفارقة فى قلبه ويتشهد ثم يسلم والله تعالى أعلم .

وعن الرابع : لا مانع شرعا من زواج المسلم بكتابية نصرانية كانت ، أو يهودية لقوله تعالى :

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾

سورة المائدة آية رقم ـ ٥

والله الموفق والهادى والله تعالى أعلم

السؤال من السيد / أ . أ يقول فيه :

١ ـ نظرا لأننى طالب فى جامعة الأزهر بالقاهرة وأقطن بالمنوفية ، ومحاضراتى تبدأ فى الثامنة أو الثامنة والنصف تقريبا ، فاحتاج إلى الاستيقاظ قبل الفجر والسفر أيضاً ، فماذا يجب علىّ نحو صلاة الصبح . هل أصليها قبلما أسافر ؟

٢ ـ مسافة السفر تبلغ مسافة القصر وتزيد فهل أصلى القصر يوميا ، علما بأننى أخرج قبل صلاة الصبح وأرجع بعد صلاة العصر وقبل المغرب ، فمتى أصليها ؟ وأين ؟ هل فى بلدى أم فى مكان الدراسة ؟ وما الأوقات التى أقصر فيها ؟ وهل أصلى صلاة القصر للمغرب والعشاء أم لا ؟

٣ ـ ثمن الكتب الدراسية الجامعية غال إلى حد ما فهل يجوز لى تصويرها دون الرجوع إلى صاحب الكتاب (الدكتور) أم ماذا وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد :

عن الأول : بالنسبة لصلاة الفجر لا تجزىء إلا إذا صليت بعد طلوع الفجر الصادق ، وقبل ذلك تبطل صلاتها كما يحرم تأخيرها إلى ما بعد شروق الشمس بغير عذر النوم وما شابهه ، فاجتهد أن تصلى الصبح قبل أن تبدأ فى السفر وبعد ما يدخل الوقت ، أما إن دخل عليك الوقت وأنت فى حالة السفر فيمكنك أن تصليها فى القطار أو السيارة .

وعن الثانى : مسافة القصر هى مازادت على ثمانين كيلو مترا ، فلك الحق فى قصر الظهر والعصر مادمت فى السفر قبل أن ترجع إلى منزلك ، فإذا رجعت قبل صلاة الظهر أو العصر فصل الصلاة تامة لأنك برجوعك إلى بلدك انقطع عنك حكم السفر .

أما المغرب والعشاء فإنك تكون فى بلدك أثناءهما ، والمغرب لا تقصر لا فى السفر ولا فى الحضر ، والعشاء لا تقصر لأنك فى بلدك .

وعن الثالث : فلك أن تصور أى كتاب من زميلك دون استئذان مؤلفة ، وهذا من التيسير الذى يساعدك على طلب العلم ولظروفك الخاصة والله تعالى علم .

السؤال من السيد / م . ع . غ يقول فيه .

١ ـ هل صح حديث عن رسول الله ﷺ أنه ائتدم بخل وقال خير الإدام الخل ؟ فمم كانوا يصنعون خلهم ؟ وما حكم صناعة الخل من الخمر ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فقد صح عن رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود وغيره عن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : نعم الإدام الخل . روى ابن ماجه عن أم سعد ـ رضى الله عنها ـ قالت : دخل رسول الله ﷺ على عائشة وأنا عندها فقال : هل من غداء ؟ قالت : عندنا خبز وتمر وخل. فقال رسول الله ﷺ : نعم الإدام الخل ، اللهم بارك فى الخل فإنه كان إدام الأنبياء قبلى ولم يفتقر بيت فيه خل .

والقاعدة الفقهية أن الخمر إذا صارت خلا طهرت وحل أكلها . وذلك إذا تخللت بنفسها ، أما معالجة الخمر ليحولها الإنسان إلى خل ، فقد روى الإمام مسلم وأصحاب السنن عن أنس ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ﷺ سئل عن الخمر يتخذ خلا فقال : لا . والله ـ تعالى ـ أعلم .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« لا أعلم »

سأل سيدنا عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ رجلا عن شىء ، فقال : الله أعلم ، فقال سيدنا عمر ــ رضى الله عنه : لقد شقينا إن كنا لا نعلم : أن الله أعلم . إذا سئل أحدكم عن شىء لا يعلمه فليقل : لا أعلم .

« الحاكم والثانى »

لما استخلف عمر بن عبد العزيز ــ رضى الله عنه ــ أرسل إلى سالم بن عبد الله ، ومحمد بن كعب ــ رضى الله عنهما ــ فقال لهما : أشيرا علىَّ فقال سالم : اجعل الناس أبا ، وأخا وابنا ، فبرَّ أباكَ ، واحفظ أخاك وارحم ابنك .

وقال محمد بن كعب : أحب للناس ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك .

حبان لا يجتمعان

حب الله وحب المعاصى ،
وحب الجهاد وحب الحياة .
وحب التضحية وحب المال .
وحب العدل وحب الاستبداد .

حظ المؤمن من أخيه

قال يحيى بن معاذ : ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال من خصال المحسنين :

إن لم تنفعه فلا تضره ؟

والثانية : إن لم تسره فلا تغمه .

والثالثة : إن لم تمدحه فلا تذمه .

سادات الدنيا والآخرة

قال عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما : سادات الناس فى الدنيا : الأسخياء ، وفى الآخرة : الأتقياء .

« حقا »

ومن العداوة ما ينالك نفعه
ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

«الحلم والصدق والوفاء»

الحلم : حلمان ، أشرفهما حلمك على من دونك

والصدق : صدقان ، أعظمهما صدقك فيما يضرك

والوفاء : وفاءان ، أحسنهما وفاؤك لمن لا ترجوه .

«حقيقة»

من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد . ومن حافظ على الفرائض فى أول مواقيتها فهو عابد . ومن رأى الأفعال كلها من الله ـ عز وجل ـ فهو موحد .

«ثلاثة»

ثلاث يعز الصبر عند حلولها
ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها
وفرقة إخوان ، وفقد حبيب

«من وما»

ياحبذا جبل الريان من جبل
وحبذا ساكن الريان من كانا

لما قال جرير هذا البيت ، قال له الفرزدق : ولو كان ساكنه قرورا ؟ فقال له جرير : لو أردت هذا ، لقلت : ما كانا ، ولم أقل من كانا .

دعـــاء

يامن لاتنقصه المغفرة ، ولا تضره المعصية ،
هب لى ما لا ينقصك ، واغفر لى ما لا يضرك .

وداعاً

شيخ الإسلام الإمام جاد الحق على جاد الحق

بقلم الأستاذ الدكتور / مصطفى الشكعة

قبيل فجر الجمعة ٢٥ شوال ، ١٥ مارس الحالى اهتز كيان الأمة الإسلامية من أقصى المشارق إلى منتهى المغارب حزنا على فراق إمامها ورائدها الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الذى فاضت روحه الطاهرة فى هدوء مثلما عالج قضايا أمته ـ على خطرها ـ فى هدوء وتعقل واتزان .

لقد بكته جماهير المسلمين بقلوبها ، وشيعته بدموعها ، وودعته بأنات الأفئدة وزفرات الصدور ، هاتفة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، مرددة قول رب العزة :

﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾

كان الشيخ الجليل حميد الصفات ، جم الأدب شديد التواضع حلو الشمائل ، ما رأيناه ثائراً أو متجهما حتى فى أشد المواقف تعقيداً ، وقد كان حاملا هموم أمته ، متلفعاً بمشكلاتها ، غارقاً فى قضاياها ومصائبها ، وكان مجاملا فى غير ترخص إلى المدى الذى كان يحيرنا نحن القريبين منه الملازمين له ، وأذكر أن رجل الدين المسيحى كبير أساقفة كنتربرى زار جامعة الأزهر قبل شهور وألقى فيها محاضرة عامة ، وقد جرت العادة أن يجرى نقاش بين المحاضر والمستمعين إليه فى مثل تلك المناسبات ، وحين أحس الشيخ الجليل أن الضيف سوف يتعرض لبعض الحرج من بعض الأسئلة التى يتوقع أن تطرح عليه ، سارع إلى شكر ضيفه والاكتفاء بالسماع دون التعليق ، فكان بذلك مثالا رائعاً لإكرام الضيف الذى كانت محاضرته تستدعى كثيرا من الحوار والنقاش .

والإمام جاد الحق ـ رحمه الله ـ واحد من علماء الشريعة القلائل الذين يمتلكون ناصية المعرفة فى تخصصه وغير تخصصه ، وكان حياؤه وتواضعه يمنعانه من كثرة الكلام إلا حين تدعو الضرورة إلى ذلك ، وكم رأيناه يتدفق بالعلم تدفق النيل بالماء الزلال قبل أن يدنسه الجهلاء ، كان الشيخ يرأس عددا من لجان مجمع البحوث الإسلامية ويقود سفينة الحوار فى حذق ولباقة ، ثم لا يلبث أن يتدفق حين تدعو الضرورة إلى التعليق بفيض من علمه وغدق من أدبه ، دون أن يمس لعضوٍ من أعضاء المجلس طرفاً أو يعكر له صفواً .

وأما مؤلفات الشيخ فهى من الكثرة والنفاسة بمكان ، وهى تناهز خمسة عشر مؤلفا ، من أشهرها : « النبى فى القرآن الكريم » و « الفقه الإسلامى ـ مرونته وتطوره » و « بيان للناس » و « الشريعة الإسلامية » ومجلدات خمس تضم فتاواه فى قضايا الدين والمجتمع .

وللشيخ الجليل ـ رحمه الله ـ مواقف جريئة معلنة فى عدد من الحالات التى تعرض فيها الإسلام والمسلمون إلى العدوان على أرضهم وأرواحهم وعقائدهم وتراثهم ، وإن من أكثر هذه المواقف عظمة وشجاعة وجرأة موقفه من العدوان الأوروبى بل الأممى على المسلمين فى البوسنة والهرسك ، وأذكر أن عددا من المفكرين والعلماء المسلمين طلبوا إلىّ أن أرجو الشيخ العظيم فى أن يصدر موافقته على إقامة مؤتمر عام بعد صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر ، ولم نكن نأمل أو نطمع فى أكثر من الموافقة ، وما أن خاطبت الإمام الجليل حتى أسرع إلى الإجابة بالموافقة والاشتراك بشخصه لرئاسة المؤتمر وانعقد المؤتمر الكبير الذى ضم عشرات الآلاف من المصلين ، وافتتحه الشيخ بخطاب يليق بقدره ومقامه فى وقت كان للحكومات كلها وأى مخالف لرأى الشيخ ولرأى جماهير المسلمين .

وأما موقف الشيخ الفقيد من مؤتمر السكان الذى عقد قبل عام ونصف ، وأريد له أن يصدر من قاهرة الأزهر قرارات تناهض الأديان وتعتدى على عفاف البشر وكرامة الإنسانية ، مثل إباحة العلاقات الجنسية الشاذة بين الرجل والرجل ، وبين المرأة والمرأة ، وإباحة حمل العذارى الصغيرات والحفاظ على حملهن ، وإباحة إجهاض الزوجات الشرعيات الحرائر ، وغير ذلك ، فقد تصدى له الإمام الجليل بالبيان الصافى الذى صدر عن مجمع البحوث الإسلامية بعد دراسة متمعنة لوثيقة المؤتمر باللغتين العربية والإنجليزية ، فكان للبيان وما تبعه من بيانات فعل الزلزال الذى أجهض المؤامرة ، ثم سارعت الدولة رئيسا وحكومة إلى تبنى عناصر بيان شيخ الأزهر ، وأصدر الرئيس حسنى مبارك بيانه العظيم الذى أكد فيه أن مصر المسلمة لن تسمح للمؤتمر بأن يصدر أى قرار يصطدم مع ديننا وعاداتنا وآدابنا وتقاليدنا ، وخرج المؤتمرون المتآمرون من مصر

يجرون أذيال الخيبة والفشل التى لاحقتهم فى مؤتمرهم التالى الذى عقد فى بكين فى الخريف الماضى ، وكان الفضل فى ذلك إلى عزم الشيخ جاد الحق وصلابته فإنه لم يكن يخشى فى مواقف العدل والمروءة لومة لائم .

أن مواقف الشيخ الفقيد جليلة وكثيرة وحازمة ، ولا يزال المسلمون يذكرون له ـ رحمة الله ـ مواقفه من العدوان على الشيشان وإدانة المعتدى الروسى ، ومواقفه من العدوان على كشمير وغيرها مما يصعب إحصاؤه ويعسر استقصاؤه .

فإذا ما تحول الحديث إلى ذكر مآثر الشيخ وجهوده فى ميدان التعليم الأزهرى ، وجدناه قد زرع المعاهد الأزهرية فى قرى مصر ونجوعها كما تزرع النخيل فى الصحراء فتحيلها إلى مروج وارفة الظلال ، وقد بلغ عدد المعاهد فى عهدة ستة آلاف معهد وعدة مئات ، كما اشترط الشيخ ـ رحمه الله ـ أن يكون القرآن الكريم حفظا وتجويداً شرطا إجبارياً على الطالب الأزهرى وكان هذا الشرط قد امحى حتى صار أثراً بعد عين أو كاد .

ولم يقف جهد شيخ الإسلام الفقيد عند العناية بزرع المعاهد فى مصر ، وإنما امتد هذا الجانب العظيم من نشاطه إلى إنشاء معاهد أزهرية فى البلاد الإسلامية مثل : تنزانيا وكينيا والصومال وجنوب أفريقية ، وقد رأيت بعينى رأسى أطفال معهد الأزهر فى مدينة الكاب يلبسون العمامة الأزهرية ويكتسون « بالكاكولة » الأزهرية المعروفة ، وسمعتهم بأذنى يرتلون القرآن ترتيلا مجوداً ، وكأنما قد ولدوا لآباء وأمهات لا عجمة فيهم ولا لكنه ، وإنما أصحاب لسان عربى مبين .

ولقد بلغ حب المسلمين فى أقطار الأرض جميعاً للشيخ الجليل ، وثقتهم فيه ، واحترامهم له ، مدى جعلهم يؤثرون تعليم أبنائهم فى الأزهر على غيره من معاهد العالم ، حتى إن عدد الطلاب الماليزيين وحدهم فى الأزهر قد تجاوز خمسة آلاف طالب وطالبة ، يتعلمون جميعاً على نفقة أهاليهم ، ويسددون رسوم الدراسة بالعملة الصعبة ، باستثناء بضع وخمسين طالبا يتمتعون بمنح دراسية ، والشيء نفسه أو قريب منه يقال عن أندونيسيا ونيجيريا وتركيا .

ورأى الشيخ جاد الحق بثاقب فكره وعميق إيمانه أن ينشيء دورات تعليمية تدريبية للدعاة والأئمة من أبناء الدول الإسلامية غير العربية ، وأبناء الأقليات الإسلامية فى الدول غير المسلمة ، فرتب لهم الأزهر بتوجيه الإمام الجليل وإشراف شخصى منه أربع دورات كل عام تستمر كل دورة ثلاثة أشهر ، يتلقى القادة خلالها دراسات مكثفة فى مختلف العلوم الإسلامية والعربية يقوم على تدريسها أساتذة مرموقون اختارهم الشيخ بنفسه ، وفى آخر كل دورة يمنح هؤلاء القادة شهادات تقدير ، ومكتبة نفيسه لكل منهم تضم أكثر من مائة وخمسين كتابا تكون مدداً علميا

لهم حين يعودون إلى بلادهم ، ومن نافلة القول أن نذكر أن هؤلاء الدعاة يعيشون ضيوفا على الأزهر فى مدينة البعوث ، ويتلقون رواتب شهرية ، ويمنحون تذاكر السفر بالطائرات من بلادهم وإليها .

وأما جامعة الأزهر وكلياتها وطلابها فقد انتشرت فى عهده على صفحة خريطة مصر العزيزة من أسوان جنوباً حتى الأسكندرية شمالا ، وقد بلغ عددها نحواً من خمسين كلية تقدم العلم الإسلامى والعلم التطبيقى الدنيوى إلى أكثر من مائة وخمسين ألفا من الطلاب والطالبات .

على أن الأمر المبهر الذى أقدم عليه الإمام الجليل قبل وفاته هو الخروج بجامعة الأزهر عن حدود مصر إلى داخل أوربا وأمريكا ، فقد لا يعلم الناس أن الأزهر بسبيل إنشاء معهد عال للدراسات الإسلامية فى روما عاصمة إيطاليا ، وسيكون هذا المعهد العالى تابعا لجامعة روما ويقوم على تدريس المواد الإسلامية فيه أساتذة أزهريون .

كذلك الحال فيما يتعلق بأمريكا التى لها فى مصر جامعة كبيرة ، وقد فاضت روح الشيخ الإمام وبين يديه مشروع إنشاء فرع لجامعة الأزهر فى واشنطون التى تضم سبع جامعات ملحق بها أقسام لدراسة المواد الإسلامية ، يقدمها أساتذة غير مسلمين مما يعرض هذه الدرابسات لعدم الدقة طالما أن مدرسيها غير متخصصين ، ومن ثم فقد رئى إنشاء فرع لجامعة الأزهر فى تلك المدينة الكبيرة ذات الجامعات العديدة لكى تقدم الإسلام بريئاً من كل شائبة ، سليماً من أى خطأ أو زيف .

إن الحديث عن شيخ الإسلام جاد الحق على جاد الحق من الثراء بحيث لا ينتهى ، ومن الطهر بحيث لا يملّ ، ولئن أهمل حق الشيخ فى حياته فقد آن له أن يعترف به بعد وفاته .

رحم الله الشيخ جاد الحق رحمة واسعة بقدر ما قدم لأمته ، وما بذل لقومة ، وما سهر للحفاظ على دين الله ، وأنزله الله منازل الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

الدكتور مصطفى الشكعة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

من أعلام الأزهر

الشيخ محمد الغزالى رحمه الله

للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى

انتقل إلى رحمة الله أستاذنا الكبير محمد الغزالى ، ومثل الغزالى لا يغيب عن الحياة إلاّ بجسمه فمؤلفاته الرائعة ، ومواقفه الجهيرة ، وسلوكه المثالى قد كتب له فى سجّل الخلود صفحات تقرأها الأجيال ، فتردد ذكره العاطر بألْسنة الثناء والتقدير .

كان الغزالى مدينة حافلة ذات ميادين شتى ، متسعة الأرجاء ، فهو مؤلف بارع ، ومجاهد صادق ، وخطيب مؤثّر ، وعالم بأدواء المجتمع الإسلامى فى شتى ربوعه ، ومثلُ هذا المقال المتواضع لا يكفى فى إيضاح جانبٍ واحد من جوانبه ، كما لا يْكفى أن تصف شارعاً واحدا من مدينة آهلة لتقول إنك قد وَصفت المدينة . بل الحق أن تقول إنك تُسطّرُ ما يفدُ على خاطرك فى ساعة من الزمان .

كلّناُ يعرف نشأة الأستاذ الغزالى العملية ، فقد تربّى فى بيئةٍ مؤمنة بإحدى قُرى مديرية البحيرة ، وحفظ القرآن ، وقرأ الحديث فى منزل والده قَبل أن يلتحق بالأزهر ، ومضتْ حياته العلمية فى هذا المعهد الخالد حتى نال درجة التخصص فى الوعظ والإرشاد ، وعُيِّن واعظا فور تخرجه ، ولعّل من توفيق الله أن يلْتحق بكلية العقيدة والفلسفة لأن ميولَه الأدبية ، وتَمتُّعه بالبيان العربى المشرق فى زمن الطّب واطلاعه على أمهات الكُتب فى عهد الدراسة الثانوية مما كان يرشحه لكلية اللغة العربية ولكن الله يعلم أنه سيكون مناضلاً باسلاً فى ميدان الدعوة الإسلامية ، وسيصير

زعيماً إسلاميا تلتفُ حوله القلوب ، فهيأله أن يلتحق بكلية أصول الدين ، وأنْ يخرج منها مجاهدا بقلمه ولسانه معا ، بلسانه في الندوات وفوق المنابر ، وبقلمه فى حقل التأليف العلمى ، وهو حَقْلٌ مديد .

لقد كان الغزالى من أكبر دعاة الإسلام فى عصره ، إذ يملك من روعة البيان وقوة الإيمان وصلابة العقيدة أسلوباً حارّاً يتوهج حمية ، ويلتهبُ غيرة ، أسلوباً يملك مشاعر المستمع حين يكون الغزالى خطيباً ، ويأسر عواطفه حين يكون الغزالى كاتبا ، إذ تكفلت كتبه الكثيرة بشرح الفكرة الإسلامية الصحيحة فى عصر الالحاد والانبهار بمغريات الغرب ، فكوّنت مكتبةً إسلامية تقف فى وجه الطوفان الزاحف من بلاد الافتراء الصارخ على الإسلام ، فاكتسحت الأراجيف ، وتركْت ذوى الريبة حفاة عراة .

إن الدارس لفكر الأستاذ الغزالى يجُد مشابه كثيرةً بين كفاح الإمام محمد عبده ، والأستاذ محمد الغزالى ، فقد واجه الأستاذ الإمام منذ قرابة قرن وربع حقد الأوروبين فى وقت كانت لهم السيطرة على أكثر بلاد الإسلام ، وقد مكنت لهم قوتُهم السياسية من الإرجاف بالإسلام على أوسع نطاق فادَّعوا عليه كثيراً من المثالب المفتراة ، ورأوْا أنْ لاصلاح للمسلمين إلا بهجرِ مبادئه التّى تصادم العقل ، وتعرقل أسباب الحضارة ، وتصدّ عن العلم والثقافة ، فانبرى الأستاذ الإمام لنسف هذه الأراجيف بحجج نارية تحرق المفترين حتى استطاع بمنطقه المفحم أن يوضح قيادة الإسلام الرشيدة للإنسانية ، فى سبيلها الحضارى ، فكون رأياً عاما إسلاميا يقف امام هذه المفتريات فإذا هى هباء .

ومضى الإمام إلى ربه . واستكبر الغرب بقوته المادية ، وجبروته الحربى ، فأزداد بغياً وتطاولا ، ولهُ ذيولٌ ينهجون نهجه ، ويتبْعون سبيله ، فجددّوا الهجوم الآفك على الإسلام بأسلحة جديدة غير التى شرعوها فى عهد الإمام ، فهيأ الله الأستاذ الغزالى ليكون فى طليعة من حملوا الراية فى ميدان الجهاد العلمى المناضل ، وقد ترك من المؤلفات ما يملأ مكتبة مستقلة يمكن أن تسمى (مكتبة الغزالى) ، وليست المسألة مسألة كمٍ فقط . ولكنها مسألة كيف أصيل ممتاز فى كل ورقة خطّها الكاتب الغيور فكل مؤلف من مؤلفاته يُؤدّى رسالة ضرورية كان أداؤها فرض عين يلزم القادر عليه ، وكانت المعركة حامية الأوار ، ولكنها انجلت عن ظهور الحق واكتساح الضلال ، وقد اضطهد الداعية الكبير فعرف مرارة السجون مرات متعددة لا مرة واحدة ، وحورب فى وظيفته ، فانتقل إلى بلاد الله الفسيحة ، وكانت النقلة خيراً وبركةً على البلاد التى أمها أستاذاً بالجامعات ، لأن الطلاب فى الدول الشقيقة رأوا فى دروسه ما لم يروْه عند الكثرة ؛ بل عند نفرٍ اصطفاهم الله ليكونوا مصابيح تضىء الظلام ، والدرس الواحد من هؤلاء الأجلاء يُغنى عن عشرات من الدروس التقليدية ، لأناس يحملون الشهادات فحسب !

كان الغزالى ومن شابهه من هذه الصفوة المختارة يحادثون الطلاب بأعصابهم قبل أن ينطقوا بألسنتهم ، وإن فى وجوههم الكريمة لساناً آخر ينطق بأفصح بيان ، لساناً يقول للطلاب : إنه لقول فصل ، وما هو بالهزل ، لذلك ينشئون من التلاميذ من يهيمون بهم ، ويعكفون على آثارهم ، وهؤلاء هُم الذين عناهم شوقى حين قال .

أعلـمتَ أشرف أو أجـلّ من الـذى يبنـى وينـشىء أنـفسا وعقـولا !

كان الغزالى أول من ألف فى محاربة المذاهب الاقتصادية التى يتشدق بها المأجورون ، حاربها بالدليل القاطع الذى يثبت أن للإسلام من الفكر الاقتصادى ما يدفع إلى الثروة والنماء ، والتكافل الاجتماعى العام ! لقد صدر كتابه « الإسلام والأوضاع الاقتصادية » ليقول ـ فى طبعته الأولى سنة ١٩٤٧ م كلمة الحق عن الطبقات المترفة والطبقات البائسة ، ورأى الإسلام فيهما ، وقد اقتحم القول فى إيضاح الأسباب الاقتصادية للرذائل المنتشرة فى المجتمع الإسلامى ومردُّها إلى الفقر الكاسح ، والجهل الطاغى والمرض الموغل ، متحدثاً عن أوباء السرقة والزنا والبطالة ، ومنتقلاً إلى ما تسببه المعيشة الكريمة من ترفع وإباء ، معيشة الكفاح المثمر ، لا معيشة الترف العاطل المبيد .

وكان حديث المؤلف صريحاً عن الاستعمار الداخلى المنكفىء على لذاته وأنانيته حين كان السبب فى الاستعمار الخارجى ، ولم يلبث أن صار أداته فى البطش والقهر ، أما العلاج الصحيح فهو ما اتجه إليه المؤلف مستقياً أدلته من نصوص التشريع الإسلامى الحاسمة ؛ إذ وضح حق الناس فى المال ، وبين مكان الزكاة من الاقتصاد الإسلامى ، وفرض الضرائب للصالح العام ثم ختم الكلام بما سماه (الحقائق المؤسفة) وهى حقائق مؤسفة ومخجلة لمن يتدبر عن قلب ذكى ، وفكر رحيم ، وماكاد كتاب (الإسلام والأوضاع الاقتصادية) يشغل أذهان الناس ، وينتهى بهم إلى ضرورة حل إسلامى مريح ، حتى أصدر الغزالى كتابه (الإسلام والمناهج الاشتراكية) مكملاً للحلقة الأولى فى ميدان الإصلاح الاقتصادى ، فشرح ما يراد بالتأمين الاجتماعى ، وتوزيع الملكيات على السنن الصحيح ، وموضع الفرد من الأمة ، ومسئولية الأمة عن الفرد .

وكان صريحاً حين تحدث عن الملكيات الزراعية فى مصر ، وعما يجر الوبال مما يجرى بعيدا عن حكم الإسلام فى مؤسسات الربا والاحتكار والاستغلال ، وشركات التأمين ، وحقوق العمال ، وقد فاجأ الأستاذ قراءه بذلك كله ؛ لأن حديث الاقتصاد الإسلامى لم يكن يجرى على ألسنة الوعاظ والمرشدين قبل أن ينهض الكاتب الواعظ برسالته ، إذ كان همهم الأكبر متجها إلى محاربة البدع والمنكرات من أمثال التبرج والنذور وشرب المسكرات ، أما الطرق الملح على الإصلاح الاقتصادى فى ضوء الإسلام فقد بدأه الغزالى فى فومه وسار وراءه معجبون متبعون !

لم يتحدث الغزالى عن مشكلات الاقتصاد والعدالة الاجتماعية فى كتبه فحسب ، بل كان منبر الجمعة كل أسبوع مذياعاً خطيراً يبشر به الغزالى مستمعيه بآرائه الجريئة ، فأعاد للخطبة الدينية يوم الجمعة اعتبارها المفقود ، وأخذت الجموع تهرع إلى المسجد قبل الميعاد لتجد المكان المطمئن فإذا ضاقت رحاب المسجد تكتل الناس فى الطرقات من حوله ، وقد بسطوا السجاد ليؤدوا الفريضة مستمعين إلى النقد الجرىء الحر بلسان عربى صادق لا يعرف الجبن والخداع ، وحين كان الأستاذ خطيباً للجامع الأزهر حقبة من الدهر ، أصبحت خطبه النقدية حديث الناس جميعاً ، وسجلتها الأشرطة لتتناقل فى الربوع النائية فيعيدها خطباء المساجد فى الأقاليم مرة ثانية ، وقد اجتمع أحد وزراء الداخلية مع نفر من الصحفيين ليقول لهم : إنهم فقدوا التأثير الشعبى لأنهم يكتبون فى مناصرة الحكومة ولا يستمع إليهم أحد ، ومحمد الغزالى يلقى خطبة فى مسجد مصطفى محمود يوم العيد فيرددها الخطباء فى عشرات الآلاف من المساجد فى القرى والمدن ، ولا يستطيع أحد أن يمنع خطيب الجمعة إذا استند إلى القرآن والحديث ونقل كلام الغزالى فى قدرته على الإبداع والإقناع !! وإذا كان الجامع الأزهر فى قلب العاصمة ، والذهاب إليه يسير غير عسير ، فقد رأى المغرضون أن ينقلوا الخطيب إلى مسجد عمرو بن العاص بأقصى المدينة فى مصر القديمة ظناً منهم أن الطريق إليه وعر ، ولن يهرع الجموع إلى سماعه بمكانه القاصى ، ولكن الناس هم الناس فقد تقاطروا على مسجد عمرو بن العاص تقاطرهم على الجامع الأزهر من قبل ، وتعرض الخطيب فيما تعرض له ذات جمعة إلى قانون مشبوه بشأن الأسرة حاولت بعض الجهات تمريره ، فأحدث كلامه دوياً فى الناس ، وتناقلت الإذاعات الأجنبية ـ وأقول الأجنبية عن عمد ـ كل ما هاجم به الخطيب هذا المشروع الجائر ، وضاقت مصر على الرجل فآثر الهجرة إلى السعودية أستاذاً بالدراسات العليا بجامعة أم القرى حتى جاء نصر الله . وذهب عهد وجاء عهد ، فرجع الشيخ ليصدع بحكم الله كما يراه دون تهيب أو انتظار ! أليس فى ذلك ما يعيد أمجاد خطباء الإسلام من قبل ، كالمنذر بن سعيد الأندلسى . والعز بن عبد السلام ، وابن تيمية حين واجهوا الباطل فى المسجد الجامع ، وما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا .

هذه لفتة جانبية أعود بعدها إلى جولتى السريعة فى فكر الأستاذ الغزالى ، فأعلن أنه بعد كتابية السابقين ألف كتابه المزعج (الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين) وأقول : (المزعج) عن خبرة واعية بأثره البعيد ، لأنه أزعج طائفتين متعارضين كلتاهما تتمسح بالإسلام وهو منها برىء : طائفة الرأسمالية التى تعلن أن الإسلام يؤيد اكتناز الذهب والفضة والعقار عملاً بمبدأ الحرية فى الامتلاك ، وهى واهمة مخطئة ، وطائفة الشيوعية التى تتمسح بنصوص قرآنية تفسرها على غير وجهها ، فجاء الكتاب الفذ ليعلن أن الإسلام ذو منهج عادل فى تحقيق التكافل الاجتماعى ، ولم يبتغ إرضاء المذاهب المغرضة ، وهذا الكلام يحتاج إلى بسط ، شرحه المؤلف فى كتابه ، فتحدث عن آثار الرأسمالية البارزة فى الاستغلال المادى الصارخ فإليها يرجع ما يفشو فى

الشرق الإسلامى من تأخر وانحطاط ، وقد سببت الشلل العقلى لكثير من البسطاء السذج فأصبحوا يدورون حول سادتهم كالآلة فى المصنع ، لا يناقشونهم الرأى أو يقاسمونهم الربح ، كما يهبط بنفوسهم إلى مستوى العبيد ، وفى مبادىء الإسلام علاج لهذا الانحطاط ، تهتف به أقوال القرآن ونصوص السنة ومواقف الصحابة والخلفاء ؛ إذ كانت أعمال محمد ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان – رضى الله عنهم أجمعين – عماداً يرتكز عليه الإصلاح المنشود ، هذا إلى القواعد الأصولية المقررة فى الفقه الإسلامى : كسد الذرائع ، ورفع الضرر ، ومنع الحرج ، وتضيق المباحات .

وقد دار فى ذهن المؤلف ما سيستغله الشيوعيون من هذه النصوص استغلالاً يُرضِى وجهتهم الخاصة فتحدث عن الشيوعية الملحدة الكافرة ، وأظهر أن دعوى العدالة الاجتماعية لديهم لا تجد تطبيقها العادل ، فكبار الشيوعيين يعيشون عيشة كبار الرأسماليين فى منازلهم ، ويقولون غير مايفعلون ، كما أنها تهدم الأصول المقررة فى الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، وتجعل العالم فظيعاً يقترف المنكرات دون خوف من حساب ربانى ، إذ كثيراً ما يفلت المجرم من قانون الأرض ، ولكن اعتقاده فى عدالة السماء يؤرقه ويضنيه ، فإذا زال هذا الاعتقاد تحول المجتمع إلى وحوش كواسر ، يقول الأستاذ الغزالى :

« ولو كانت الشيوعية هدماً للآداب والأعراض فقط لتقبلها من يصدون عن سبيل الله ؛ بل لوجدوا فيها متنفسهم العميق ، أما وهى لدى الرأسماليين هدم لما يملك ويقتنى ، فيجب أن تحارب باسم الدين ، ولكن الدين يسأل هؤلاء : كيف ملكتم أموالكم ؟ وأين حق الله وحق الناس فيما أخذتم ؟ وهم يضيقون بهذا السؤال !

لقد جاء كتاب (الإسلام المفترى عليه من الشيوعيين والرأسماليين) ليكشف عوار الفريقين ، ويعلن أن الإسلام ذو منهج عادل منفرد ، وما بالراسمالية من مظالم يحاربها الإسلام ، كما يحارب تهجم الشيوعية على الدين ، وتحريم الملكية الفردية العادلة ! ولم يرسل المؤلف حديثه إرسالاً ، بل كان لكل حكم دعامته من القرآن والحديث وسير السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، مع الإفاضة فى آراء أعلام الشريعة الأثبات من أمثال : ابن حزم وأبى حامد الغزالى ، ومحيى الدين النووى وابن تيمية وغيرهم ، ولا يظن أحد أن الكتاب قد أدى مهمته بسقوط الشيوعية ، وانحدار الرأسمالية المستغلة فى أكثر شعوب أوروبا ؛ فإن للتاريخ دورته وسيبقى هذا الأثر شاهد عدل حين تختلط الأوراق ، وتختل الموازين ، وقد ترجم الكتاب إلى لغات شرقية وغربية ، وقابل موافقة ومعارضة شأنه فى ذلك شأن كل أثر فكرى جرىء ، وأنا أعرف أن كل كتب الغزالى ذات ردود مفحمة ، ونقاش لا ينقطع ؛ لأنه يعمد دائماً إلى إزالة الأراجيف المختلفة فى كل موضوع يتناوله بالتحليل ، ولو كان لدينا احترام علمى فى تاريخ حركة النقد المعاصر ، لما قصَرناه على ما يخص الفنون الأدبية وحدها ؛ بل لامتد بنا النظر إلى كل خيال فكرى يتجاوز الفنون الأدبية إلى

الفلسفة والدين والتاريخ وسائر فروع المعرفة فى الدراسات الإنسانية .

والغزالى ناقد بهذا الاعتبار . لأنه كشف أوهاماً كثيرة لأناس كبار أو صغار ، وسلط مجهره النقدى على كتب وقضايا فى دنيا الدين والتاريخ والاجتماع ، تنطق بذلك آثاره التى جاوزت التسعين ، وسأشير هنا إلى ثلاثة كتب خلصت للفقيد ، من آثار الأستاذ ، هى : كتاب (العقيدة والشريعة) الذى نقد به كتاب المستشرق جولد تسيهر فى الموضوع نفسه ، و (كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام) الذى نقض به كتاب (جاك تاجر) المعروف ، وكتاب (من هنا نعلم) الذى نقد به كتاب (من هنا نبدأ) للأستاذ خالد محمد خالد ـ رحمه الله .

وكتاب العقيدة والشريعة لجولد تسيهر خادع مغرر إذ قام بترجمته لفيف من العلماء لم يقوموا بحق التعقيب عليه فى كل صفحة من صفحاته كما تحتم ذلك رسالتهم العلمية ، وكأنهم تركوا القارىء ليقوم بالنقد من تلقاء ذاته ، وقد اعترفوا فى المقدمة أن بالكتاب آراء لا يوافقون عليها ، وكان عليهم أن يمحصوا هذه الآراء ، قبل أن تنشر السموم فى عقول القراء ، وكان من رحمة الله أن قام الأستاذ الغزالى بهذا العبء الثقيل وحده ، وأقول : الثقيل عن عمد ، لأن المشتشرق الداهية يصطنع الحيدة ظاهريا ، ولكنه ينقل النصوص مبتورة منقطعة عن مبدئها ومنتهاها ؛ فيعطى القارىء انطباعاً مخطئا حول القضية التى يتحدث عنها ، كما أنه مع النقل المبتور ينحرف بالتعليل والتفسير إلى غير وجهه ، وهو ما يجعل الكتاب تبشيراً لا علماً .

لقد لاحظ ذلك الأستاذ الغزالى فتفرغ لنقد الكتاب مؤكدا أنه حرص فى الرد على هذا المستشرق أن يستوفى الحقائق العلمية التى توضح ما عماه أو غاب عنه ، وقد اعترف الناقد أنه كان قاسى اللهجة فى فترة ، وهو أمر لا حيلة للغزالى فى تلافيه ؛ لأنه يكتب ويخطب بكل مشاعره ، ولا يدع عاطفته سجينة فى حجرة معتزلة ليقف عقله وحده فى حلبة النقاش ، ومثل الغزالى لابد أن يضيق صدره حين يرى إفكا يفترى ، وتبذل الحيل فى تأكيده وتثبيته ؛ لأن المسألة لو كانت مسألة خطأ فقط دون تمويه لاكتفى الناقد بإيضاح الخطأ فى جو حيادى لا يعمد إلى القذائف الصائبة ، ولكن المسألة مسألة تدليس متعمد ، تدليس من يقتطع النصوص ، ليسير بها فى الوجه الذى يرتضيه ، وقد تساءل الأستاذ الغزالى ـ فى مقدمة كتابه قائلاً : «هل يلومنا أحد إذا وطدنا العزم على استخراج هؤلاء المستشرقين من مكانهم ، ومزقنا الأغشية التى يلفونها على وجوههم ، ونازلناهم فى ميدان الجدل وجها لوجه ؟ إنهم يريدون الإتيان على الإسلام ، فكيف نتحرج نحن أن نأتى على بنيانهم من القواعد ؟ وهم يريدون الاستمتاع بحق الباحث المحايد ، أو بحق العالم المجاهد فى أن يخطىء ويصيب ، ولو أنهم عشاق معرفة مجردة ، يبحثون عنها فى حرارة وإخلاص لعذرنا المخطىء منهم وأقلنا عثرته ، وساعدناه على الوقوف واستئناف البحث والاجتهاد . أما وهم محاربون خبثاء يصطنعون الطيبة للتوغل والاستمكان فهيهات أن نعاملهم إلا بذات أسلحتهم .

(يتبـــع)

رثاء مفتى استراليا

لفقيد الأزهر

الشيخ الغزالى

رحمه الله تعالى

أرسل فضيلة مفتى استراليا بهذه الكلمة رثاء صادقا فى فضيلة الشيخ الغزالى ـ رحمه الله الرحمن الرحيم .

يا أيها الناعـــى أبـــا العلمـــاء   هذا أوان جلائـــــل الأنبـــــاء
لم تنـــع للأحيـــاء غير ذخيرة   ولت وغير بقيـــة الكرمـــــاء
أودى الـــردى بمهـــذب لا تنتهى   إلا إليـــه شمائـــل العلمـــاء
يا أيها الشيـــخ الفقيـــد تحيـــة   أنـــــدى لقبرك من زلال الماء
يا أيها العلـــم الجريح صبابـــة   النهج باق فى شعبـــة النجبـــاء

إن الدعوة الإسلامية قد خسرت علما من أعلامها ، وركنا من أركانها ، وفارسا من فرسانها ، طالما صدع بقول الحق ، وزاد عن حمى الإسلام بالكلمة الجريئة متحليا بالحكمة والموعظة الحسنة .

ذلكم هو العلم الزاهر ، والبحر الزاخر فقيد العلم والعالم الإسلامى قاطبة المغفور له فضيلة الداعية الكبير الشيخ / محمد الغزالى .

حقا لقد كان ـ رحمه الله ـ من عدول الخلف قضى حياته ينفى عن هذا الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

إننا إذ نستقبل النبأ الحزين فى خطب جلل ، ومصاب جليل ، لا نملك أمامه إلا الرضى والتسليم بقضاء الحكيم العليم ؛ فإن عزاءنا وسلوانا أن فقيدنا من العلماء العاملين فطوبى له مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

هذا ووفاء لإمام الدعاة الفقيد الراحل الشيخ / محمد الغزالى .

تقرر إقامة صلاة الغائب على روحه الطاهرة بجميع مساجد قارة استراليا عقب صلاة الجمعة القادمة . عظم الله أجرنا فى مصابنا ، وعوض أمتنا خيرا ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

تاج الدين حامد الهلالي
مفتي استراليا

الشعر والشعراء

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

مع الإمام البوصيرى

منذ أشرق نور الرسالة المحمدية وقد توالت المدائح النبوية فى مدح صاحب الرسالة ﷺ ، وهو من شرح الله صدره ورفع ذكره فى العالمين .

ويعد الإمام البوصيرى[1] واحداً من أبرز الذين مدحوا سيدنا رسول الله ﷺ من بعد حسان بن ثابت وكعب بن زهير ـ رضى الله عنهما ـ ثم الكميت وغيرهم ممن ظهرت نفحات حبه ﷺ فى قصائدهم ، وفى هذا العدد ننسم عبيراً من « همزية » الإمام البوصيرى فى مدح المصطفى ﷺ ، تلك الهمزية التى تعد من روائع الشعر العربى وفرائده ، والتى يقول فى مطلعها :

كيـــف ترقى رقـــيك الأنبيـــاء ... يا ســمـــاء ما طـــاولتها ســمـــاء

لم يساووك فى علاك وقدحـــــا ... ل سنـــــىً منك دونهم وسنـــــاء

إنما مثلـــوا صفـــاتك للنـــ ... ـاس كما مثـــل النجـــوم الماء

أنت مصبـــاح كل فضل فمـــا تصد ... ر إلا عن ضوئك الأضواء

لك ذات العلـــوم من عالم الغيـــ ... ـب ومنها لآدم الأسماء

لم تزل فى ضمائـــر الكـــون تختـــا ... ر لك الأمهـــــــات والآباء

ما مضت فتـــرة من الـــرسل إلا ... بشرت قومهـــا بك الأنبيـــاء

• • •

تتباهـــى بك الـــعصور وتسمـــو ... بك عليـــاء بعدهـــا عليـــاء

وبـــدا للوجـــــود منك كريم ... من كريم آبـــاؤه كرمـــاء

نسب تحسب العـــــلا بحلاه ... قلـــدتها نجومهـــا الجوزاء

حبـــذا عقـــد سؤدد وفخـــار ... أنت فيـــه اليتيمـــة العصمـــاء

ومحيـــا كالشمس منك مضىء ... أسفـــرت عنـــه ليلـــة غرَّاء

ليلـــة المولـــد الـــذى كان للديـــن ... سرور بيومـــه وازدهـــاء

وتـــوالت بشرى الهواتـــف أن قد ... ولـــد المصطفـــى وحـــق الهنـــاء

---

(١) نشرت ترجمة موجزة عنه فى عدد رمضان ١٤١٦ هـ .

مع المتنبى

المتنبى هو : أحمد بن الحسين الجعفى الكِنْدى ، ولد بالكوفة ونشأ بها ، ويعتبر أشهر شعراء المحدثين ، فلم يحظ شعر شاعر بالذيوع والشرح والبحث والنقد بقدر ما حظى شعره ، وكان يدرك شيوع شعره ، ومن ثم غلبت عليه الذاتية تمكنه وقوته الشاعرية ، ومن ذلك قوله :

أنا الذى نظر الأعجمى إلى أدبى .. وأسمعت كلماتى من به صمم

وكان « المعرى » ـ وهو من أشد المعجبين به ـ إذا أنشد هذا البيت أمامه يقول « أنا الأعمى » ، ولعل سر ذيوع أدبه وشيوعه يرجع إلى ما يمتاز به من دقة المعانى وإبداعها وشيوع الحكمة فيها .

قتل المتنبى قرب بغداد سنة ٣٥٤ هـ .

وهذه قصيدة للمتنبى يخاطم فيها سيف الدولة إلى نفسه لأنه ملك ؛ فلا يشكوه إلى غيره ، ويمدحه فيها بما يشبه الذم عتاباً على ظلمه له ، فعلى الرغم من أنه أعدل الناس ـ لدى المتنبى ـ إلا أن عدله لا يشمله ، يقول :

يا أعـدل النـاس إلا فى معاملتـى ... فيك الخصام وأنت الـخصم والحكـم
أعيذهـا نظـرات منك صادقـة ... أن تحسب الشحم فيمن شحمـه ورم
ومـا انتفـاع أخـى الدنيـا بناظـره ... إذا استوت عنـده الأنـوار والظلـم
أنـا الـذى نظـر الأعمـى إلى أدبى ... وأسمعت كلمـاتى مَنْ به صَمَـم
أنـام ملء جفـونى عن شواردهـا ... ويسهـر الخلـق جرَّاهـا ويختصم
وجاهـل مدَّه فى جهلـه ضحكـى ... حتـى أتتـه يدٌ فرَّاسَةُ وفـم
وإذا رأيت نيـوب الليـث بارزة ... فلا تظنَّـن أن الليـث يبتسم
يا من يعـز علينـا أن نفارقهـم ... وجداننـا كلُّ شىءٍ بعـدكم عدم
ما كان أخلقنـا منك بتكرمـة ... لو أن أمْـرَكم من أمرنـا أَمَـم[٢]
إن كان سرَّكم ما قال حاسدنـا ... فمـا لجرح إذا أرضاكم ألم
كم تطلبـون لنـا عيبـاً فيعجـزكم ... ويكـره الله ما تأتـون والكـرمُ
ما أبعد العـيب والنـقصان عن شرفى ... أنـا الثريـا وذان الشيب والهرَمُ
ليت الغمام الذى عنـدى صواعقـه ... يزيلهـن إلى من عنـده الـديم[٣]

(٢) الأمم : القريب ، أى لو تقارب ما بيننا بالحب لكنا أحق بتكرمتكم لأننا أهل للكرامة .
(٣) الغمام : السحاب . والصواعق جمع صاعقة وهى نار تسقط من السماء فى رعد شديد ، والديم : مطر يدوم فى سكون

ابتهال

للشاعر/ ياسر صلاح قطامش (*)

سعيتُ إليك يا ربِّى .. سعيتُ ففى كَنَفِ الغواية كم لبثتُ
وآن اليومَ أن أحظى بعفوٍ لأنى فى ضلالى قد هلكتُ
تقبَّلْ توبتى يا ربَّ .. إنى من الكأس الذميمة قد غَصَصْتُ
وهاجتْ بى الظنون وشرَّدَتْنى فلا أدْرى بِأى الأَرْضِ سِرْتُ !

* * *

وفى بحر الذنوب فقدتُ رشدى وأُغْرقَتْ السفينُ .. وما نجوت
وهأنذا أمُدُّ الخطْوَ .. عَلىَّ أُعوِّض ما به حينا .. أسأتُ

أتيْتُ اليومَ فى ندمى ذليلا ومن فيض الدموع .. قد اغْتسلْتُ
لتغفرلى ذنوب العمر طُرًّا فعفوك لا يضيق بما اقترفت
لعلِّى بعد عِصْيانٍ وإثْم يعود النورُ يقْشع ما جنيتُ

* * *

إلَهى كم بِمنِّكَ جُدتَ فَضْلا علىَّ وكم سترْتَ لِمَا اجترحْتُ
إلَهى إنَّ قلبى فى عذاب يؤرقنى الضميرُ بما أسأتُ
ونار الإثم لم تترك بصدرى من الآمال إلا ما رجوت
أتيت الآن أُلْقِى عبْءَ وزرى عَلَى بَاب المحبةَ قد وفَدْتُ
إلَهى ليس يخفى عنك شىء وتعلم ما فَعلْتُ وما انتويت
فَهَبْ لى من لدنك العفوَ إنِّى إلى باب الهداية قد مضيتَ
وإنى رغم عصيانى وإثمى لغيرك ما ركعتُ ولا سجدت
لغيرِ عُلاك لم يخفِقْ فؤادى وللنبع الكريم .. لكم ظَمِئْتُ

(*) عضو ندوة شعراء العروبة

إلى الصرح الخالد

للشاعر: محمد صان الدين

مازلت بعد الألف غضا يافعا   مازلت روضا للمعارف يانعا
قد كنت فى كل العصور حديقة   للروح والعقل الأريب ومرتعا
ومنارة للعلم لا يخبو لها   ضوء ، وصوتا للحنيفة مُسْمعا
عبث الزمان بكل صرح باذخ   لكنه أحنى أمامك خاشعا
خطَّتْ على جدرانك الأحقاب سفـ   ـرا بالجلائل والجلال مُرصَّعا
ما السر فى هذا الخلود وما الذى   أبقاك من سطو الدهور مُمَنَّعا
الله صانك حيث صنت كتابه   وحرسته ، والسنة الغرا معا
يا معقل الفصحى التى بلسانها   نزل الكتاب مفصلا ومُجَمَّعا
نشأت به كل اللغات وفاخرت   ببيانه مغمورها والشائعا
تأتى الوفود إليك من شتى البقا   ع تروم ورداً فى رحابك مترعا
وتعود للأوطان حاملة إليها   الرِّىَّ والنور البهى الساطعا

* * *

كم عالم أفنى الحياة بقبلتيـ   ـك محصلا ومعلما ومدافعا
قد صدَّ عن عَرَض الحياة وعاش فى   كنف التقى والعلم بَرًّا قانعا
هل فى الحياة أجل من أن يغـ   ـنم الإنسان فى مسعاه علما نافعا
وأجل علم فى الوجود هو الذى   قد ماط عن وجه الحقيقة برقعا
كم حاكم دانت لسطوته الرقا   ب أتى يَخبُّ إلى شيوخك خاضعا
يستلهم الرأى المسدد منهم   ويعود منبسط السريرة وادعا
كم جاهل وافاك فى أسماله   يمشى على الأقدام غِراً جائعا
فضممته مترفقا وغذوته   حتى غدا بالعلم نجما لامعا
عند السماك مكانه لكنه   يرنو إلى طُلَّابه متواضعا

* * *

يا منصفا فى حكمه قل للذى   شرد الغرور به فمارَى وادَّعَى
ما الأزهر المعمور إلا درة   فى جيد مصر تجل عن أن تُبْدعا
لو أنطق الرحمن فيه دعائما   لوجدتها فى كل فن مرجعا
وكأنما الأصداء قد نقشت على   صفحاتها علم الثقاة مُرَجَّعَا

* * *

أتراه يبقى والسهام تنوشه   من كل صوب للمعارف منبعا ؟!
يا رب : مِشكاة الشريعة أبقه   للمسلمين على الزمان مُدَرَّعَا

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

وأذن فى الناس بالحج

للأستاذ / محمد فريد وجدى
رحمه الله

إعداد وتقديم : عبد الفتاح حسين الزيات

هل لك فى رحلة طيبة تشاهد فيها أطهر بقعة على سطح الأرض ؟

وهل لك فى رحلة روحية ، يعمر بها الفؤاد بفيض من رحمة الله ـ تعالى ـ وتخفف عنها لغوب الحياة ووعثاء طريقها ؟

هل لك فى رحلة إلى الله ، وفى الله ، تجدد نشاطك التعبدى وتزيل ما ران على القلب من شوائب الحياة التى تشغل عن ذكر الله .

إذن تهيأ إلى الحج . فريضة الله الخامسة التى فرضها على عباده المؤمنين يؤدونها طاعة لربهم وشكرا على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ؛ فالحج فريضة ترجع المرء إلى نفسه ، وإذا رجع الإنسان إلى نفسه رجع إلى الله طائعاً . خاشعاً . ملبياً . شاكراً لأنعمه .

فيا أيها الذى تتوافر لديه وسائل الحج وشروطه ، هيا إلى اغتنام هذه الفرصة التى جاءت إليك من الله مفروضة فحرام عليك إن تكاسلت بلا عذر مشروع ، فذلك هو الخسران المبين ، قال الأستاذ :

وأذن فى الناس بالحج

إنه نظراً لاقتراب موسم الحج ، نهيب بكل مسلم إلى انتهاز الفرصة إذا سنحت لهم لأداء هذه الفريضة لا سيما وقد تيسرت سبل الوصول إلى البلاد المقدسة الآن ، وأصبح الحاج يستطيع أن يجد حتى فى البلاد العربية من وسائل الراحة ما كان يحلم به آباؤنا من قبل .

وقد فرض الله الحج على المستطيعين له ، الذين

تتوافر لهم الصحة والمقدرة المالية ، فمن آنس فى نفسه الاستطاعة المشروعة وخف إليه ، فقد وقع أجره على الله ، وأصبح فى كلائته وحمايته بفضله وكرمه .

ونحن نريد فى هذه المناسبة أن نذكر كلمة فى الحج نضمنها ضروباً من الفوائد العلمية والحكم الإسلامية ، فنقول :

تاريخ الحج :

الحج من الشئون الدينية التى كانت تعرف من لدن أقدم العصور عن جميع الأمم ، فما من أمة إلا ولها مكان معين أو أمكنة تحج إليها ، وحاداً أو جماعات ، فى وقت واحد أو أوقات متعددة .

فكان لقدماء المصريين هياكل مقدسة يحجون إليها .

وكان الصينيون ولا يزالون يحجون إلى هياكل معينة فى بلاد التبت وبلاد التتار وغيرها .

أما الهنود فحجهم إلى هيكل تحت الأرض فى جزيرة اليفانتا على سواحل مالابار ، أو إلى هيكل جاجرنات أو غيرهما .

أما اليونانيون القدماء فكان لهم فى بلادهم وفى مستعمراتهم بآسيا هياكل يقصدونها ليمضوا فيها وقتاً فى العبادة والنسك ، أشهرها هياكل جوبتير وديانا ومنيرفا الخ .

وقد أمر الإسرائيليون أن يؤموا أورشليم ليمضوا فيه عيد الفصيح متعبدين مخبتين . ولما جاءت المسيحية جعلت أمكنة الحج فى أول عهدها قبور الأولياء والشهداء . ثم حولته إلى أورشليم ، فكانوا طوال عهد القرون الوسطى يقصدونها لأداء هذ الواجب .

الحجاج من أهل الملل السابقة على الإسلام كانوا يرون أن من وجوه الزلفى من الله أن يتكبدوا فى حجهم حرجاً شديداً ، فكانوا يتعمدون إرهاق أبدانهم ، كأن يقصدوا مواطن الحج مشياً على الأقدام ، أو حفاة تُدمى أرجلهم الرمضاء . ومنهم من كانوا يتوجهون إلى الحج موقرين بسلاسل حديد تهد القوى ، أو يقطعون إليه المسافات(1) الشاسعة وهم داخل أكياس ليتعثروا فى كل خطوة من خطواتهم .

أما الأتقياء من الصينيين فينذرون أن يطوفوا بتلك الهياكل زحفاً على بطونهم ، معتمدين على مرافقهم ، أو حاملين أثقالًا باهظة على ظهورهم . وكان على الكهان أن يعينوا لهم أى أنواع الإرهاق الجثمانى أحب إلى الله من غيره .

الحج فى الإسلام :

كان العرب قبل الإسلام كسائر الأمم يحجون فى عهد جاهليتهم إلى البيت الذى بناه إبراهيم وابنه إسماعيل ــ عليهما السلام ــ فى مكة ، حتى أن أبرهة عامل أصحمة ملك الحبشة باليمن ابتنى قبل مبعث النبى ــ ﷺ ــ بنحو أربعين سنة كنيسة فى صنعاء ، وحاول أن يحمل العرب على الحج إليها . فلما لم ينجح فى محاولته اعتزم أن يهدم

---

(١) جمع مسافة . انظر المجمع الوسيط ٤٨٢/١ .

الكعبة ، فقصدها على رأس جيش ممتطياً صهوة فيل له ، فرده الله عنها ، ولم يبلغ مراده منها .

ولما جاء الإسلام جعل الحج ركناً من أركانه الخمسة ، وهو أشد أركانه كلفة ، لذلك أحاطه بكثير من وجوه الإعفاء جرياً على أسلوبه الحكيم فى دفع الحرج عن متبعيه مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾

وقوله : **﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ﴾** .

فاشترط له الاستطاعة من صحة ومال ، وكره أن يرهق فيه أحد نفسه ولو تطوعاً وتطلباً لزيادة الأجر . فقد روى أن النبى ـ ﷺ ـ رأى رجلًا ماشياً يتهادى بين ولدين له يريد الحج ، فسأل عن شأنه ، فقيل : يا رسول الله إنه نذر أن يزور البيت ماشياً . فقال : « كلا ! إن الله غنى عن تعذيب هذا نفسه ، احملوه » . أى على بعير .

قلنا : أقر الإسلام الحج ، ولكنه لم يدعه على ما كان عليه فى عهد الجاهلية ، فإن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الأجساد رجالًا ونساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون . وقد سجل الله عليهم ذلك ، فقال تعالى :

﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكَاءً وتَصْدِيَة ﴾

المكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق . وأمر النبى ـ ﷺ ـ لما قوى سلطان الإسلام أن لا يدخل البيت عريان .

ونظّم ـ سلام الله عليه ـ الحج فجعل له أميراً يتقدم الناس ويتفقدهم ، ويدفع بوائق الطريق عنهم ، حتى إذا انتهوا إلى البيت تولاهم هو وخطباؤه بالإرشاد لخيرى الدنيا والدين .

وكان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا أراد تعميم العلم بأمر من الأمور خطب به الناس فى الموسم ، أو أوعز إلى أميره أن يخطب الناس به هنالك .

فحوَّل الإسلام الحج على هذا الوجه من عبادة جسدية لا روح فيها ، إلى عبادة اجتماعية روحية ذات أثر بليغ فى ترقية شئون المسلمين . وقد أشار الله تعالى إلى هذه المزايا العظيمة بقوله تعالى :

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾

وقد فسر العلماء المنافع بأنها دينية ودنيوية معاً . وهذا شأن الإسلام فى كل ما فرضه على الناس : يراعى فيه مصلحة الحياتين جميعاً .

فلو أردنا أن نستقصى ما يمكن أن يثمره الحج للمسلمين كافة من وجوه المنافع الأدبية والمادية لضاق علينا المجال ، فإن لم يكن فيها إلا تعارف الشعوب الإسلامية ، وإلمام بعضها بحاجات بعض ، لكفاها ذلك عاملًا قوياً فى دفعها إلى تبادل الوسائل والتعاون على سد المفاقر ، ولوصلت جميعاً على هذا النحو من التكافل إلى مستوى رفيع بين شعوب العالم .

ولكن هذه الثمرات الاجتماعية الجليلة لا يمكن أن تكون إلا إذا تطورت فكرة الحج لدى المسلمين حتى تبلغ المفهوم من مراد الله من الحج . فإن

المشاهَد لدى أكثر المسلمين الآن أنهم لا يلحظون فيه إلا الناحية الروحية وحدها ، وكان لتجريده لهذه الناحية أثر ظاهر فى حصره فى طبقة من المسلمين لا تتعداها إلا نادراً .

إذا تقرر هذا كان من أوجب واجباتنا أن ننوه بمنافع الحج للدين والدنيا معا ، وأن نكثر من ترويج هذه الحقيقة فى الأذهان ، وأن ننبه خطباء المساجد إلى ملاحظة هذا الأمر الجلل فى شهور الموسم من كل عام .

ولكنا نعلم من ناحية أخرى أن هذه الدعوة لا تنتج كل ما يرجى منها إلا بارتقاء العمران فى البلاد المقدسة ، وتيسير سبل الوصول إليها . أما الشطر الثانى من هذا الشرط فقد تم بما خصص للحج من بواخر إسلامية تعنى جد العناية براحة الحجاج فى ذهابهم وإيابهم ، مما أصبح مفخرة لمصر ، ونرجو أن يحذو حذوها جميع الأقطار الإسلامية . وأما الشطر الأول منه وهو انتشار العمران فى البلاد المقدسة فأدعى للعناية . فقد مر على الناس زمان كانت الشقة بين مكة والمدينة مخوفة إلى حد أنه كان من المخاطرة بالنفس اجتيازها . هذا فضلًا عن أنها كانت تقطع على الإبل فتظل هذه الحيوانات تسير سيرها الوئيد اثنى عشر يوماً ، ويضطر من عليها من الشيوخ والنساء أن يمضوا لياليها فى وسط فياف جرداء ، أو وديان موحشة ، محرومين من جميع وسائل الإسعاف .

وقد تغير ذلك اليوم فتعلم أذكياء تسيير الأوتوموبيلات ، فصارت تقطع تلك الشقة فى ثلاث ، ولكن الثلاث كثيرة على الناس أيضاً فى مثل هذا العصر ، فلابد من اختصارها إلى يوم واحد بواسطة خط حديدى يمد بين مدينتى الحرمين ، يكون فيه كل وسائل الراحة لقاصدى أداء هذه الفريضة .

ويجب أن تنشأ فى مكة والمدينة فنادق على الطراز الحديث ، وأن يستكثر فيهما من عدد الأطباء والصيدلات ، وأن يدخل إليهما جميع المستحدثات النافعة من الأنوار الكهربائية والخطوط التلغرافية والتليفونية ، السلكية واللاسلكية ، والبُرُد الجوية ، حتى لا يشعر الحجاج بانقطاعهم عن العالم .

نعم : إن هذه التجديدات سائرة هنالك بحيث يرجى لها أن تنتهى إلى هذه النهاية ، ولكن يجب العمل على تنشيطها بكل ما يستطيعه المسلمون من وسيلة(*)، سواء أكان ذلك بتأليف الشركات ، أو بالتبرع بالمال لجماعة تنتدب لإحداث هذه الأعمال . بهذه الوسيلة يتضاعف عدد الحجاج ، فبعد أن يكون أكبر عدد للحجاج مائتى ألف من سائر الأقطار قد يبلغ المليونين بل أكثر من ذلك ، وفى هذا رواج عظيم للشركات التى تقوم بهذه المنشآت ، وباب رزق واسع للعرب الذين يعتبرون موسم الحج حليتهم الوحيدة فى الحياة .

محمد فريد وجدى

المجلد السادس

(*) يعبر الكاتب عن احتياجات الحرمين فى ذلك الزمن البعيد ولو عاش إلى وقتنا الحاضر ورأى تيسير الله – تعالى – على الحجيج بتوسعة الحرمين وسهولة النقل البرى والجوى وتوفر الخدمات لحمد الله كثيرا . (مجلة الأزهر).

العلوم الكونية

من دلائل القدرة الإلهية

فى بعض الظواهر البحرية

بقلم أ. د أحمد فؤاد باشا

مقدمة لابد منها :

إن المسلمين مطالبون فى كل زمان ومكان باستنهاض عزائمهم وشحذ عقولهم نحو فهم القرآن الكريم فهماً يغير من حياتهم إلى الأفضل دائماً ويضعهم فى موضع يمكنهم من نشر لواء الإسلام فى كل ربوع الأرض ، باعتباره منهجاً ربانياً متكاملًا يحمل للناس كل ما فيه سعادتهم فى الدنيا وهناؤهم فى الآخرة . وكما أنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ على رسوله الأمين محمد ﷺ كتاباً مقروءاً يبلغه للناس ، فإن الحق ـ جل وعلا ـ خلق لنا الكون كتاباً منظوراً يعبّر بلسان الحال عما جاء فى الكتاب المسطور بألطف الإشارات ، وكلا الكتابين مصدران للحقائق الدينية والعلمية على حد سواء ، وهما من عند الحق المطلق ، فلا ينبغى طلب الحق إلافيهما ، ومن ثمّ لا يمكن لعاقل أن يتصور وجود تعارض بين الدين الصحيح والعلم الصحيح ، وهل يُعقل أن يتعارض الحق مع نفسه ؟!

وبالرغم من وضوح هذه الحقيقة وجلائها ، فإن هناك من يثير بين الحين والحين قضيَّة مفتعلة عن الصراع والتعارض بين الدين والعلم ، تلك القضية التى رمانا بها بعض المغالين والمتعصبين من المستشرقين و « المبشرين » ثم جازت على نفر من أبناء جلدتنا شاءوا لأنفسهم أن يقعوا فريسة « أيديولوجيات » تعصبية أو فلسفات وضعية « مبتسرة » تنفى الدين من مجال التأثير فى توجيه شئون الحياة والدنيا ، وتستدعى العلم وحده لكى يقوم بهذا التأثير . وإذا كان هذا الفصل التام بين العلم والدين قد ساد ولايزال ، لأسباب خاصة فى بلاد الغرب ، فإنه مرفوض رفضاً باتاً فى عرف الإسلام الذى حث على طلب العلم ، ورفع من قدر العلماء ، وجعل جوهر الدين فى دعوته إلى الهدى والحق والخير ، وجوهر العلم فى نفعه وسعيه الدائب لإسعاد البشرية ، كما جعل العلم قرين الإيمان ، وقصر خشية الله على العلماء بما يتدبرون من عجيب آيات الله فى الآفاق وفى الأنفس ، فقال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[(١)].

وكان طبيعياً أن يظهر على ساحة « الفكر الإسلامى » مبحث خاص من مباحث علوم القرآن الكريم يعنى بدراسة الآيات الكونية ، واستنباط الأدلة العقلية على وجود الله وبالغ قدرته وجلال عظمته وصدق وحدانيته ، فى إطار من توافق الحقائق العلمية مع ما أنبأ به القرآن الكريم أو أشار إليه ، سواء كان الهدف من هذه الدراسة هو الكشف عن بعض معانى الآيات الكونية فى ضوء معطيات العلم الصحيحة ، أو كشف وجوه الهداية القرآنية فى آفاق النفس والكون بعامة . ومما يؤسف له أن الموضوع على هذا النحو استهوى كثيراً من غير المؤهلين تأهيلًا كافياً للقيام بهذه الدراسة كما ينبغى . فأساءوا إلى الهدف النبيل ، وضاعفوا بذلك من تيار المعارضين لاتجاه الكشف عما يسمى « بأوجه الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم » .

وهكذا وقعت قضية الربط بين العلم والدين بعامة ، وقضية الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم بخاصة ــ لظروف عديدة ومتناقضة ــ ضحية إفراط بعض المتحمسين لهذا الجانب من الدراسات القرآنية ، وتفريط البعض الآخر بالرفض التام لأى ربط بين العلم وإنجازاته من جهة وبين القرآن وآياته من جهة أخرى . ولو وقعت القضية منهم موقع العدل الوسط ، وحظيت بنظرة فاحصة دقيقة ، بعيدة عن إفراط هؤلاء وتفريط أولئك ، لاستوت المسألة على الطريق السليم فى الدعوة إلى الله على هدى وبصيرة ، ولامتدت جسور اللقاء بين الباحثين الإسلاميين واسعة وسوية ؛ لنكشف عن وجوه الهداية القرآنية لكل جوانب الحياة واهتمامات الإنسان ، تستوى فى ذلك علومه الشرعية وعلومه الكونية[(٢)] .

---

(١) سورة فاطر : ٢٧ ــ ٢٨ .

(٢) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع راجع :

ــ د. عبدالحافظ حلمى محمد ، العلوم البيولوجية فى خدمة تفسير القرآن الكريم ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الثانى عشر ، الكويت ١٩٨٢م .

ــ د. محمد إبراهيم شريف ، هداية القرآن فى الآفاق والأنفس ، وإعجازه العلمى ، دعوة ضرورية ومنهج واجب ، القاهرة ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦ م .

ولعـــل جزءاً من الخلاف بين المؤيديـــن والمعارضين لقضية الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم يعزى إلى خطأ شائع فى استخدامنا لكلمة « العلم » التى تعنى فى لغتنا العربية « الإدراك الصحيح لحقائق الأشياء » ، بينما يقتصر معناها فى الأذهان عادة على ما يعرف فى الثقافة الغربية باسم « العلـوم الطبيعيـة » (Natural Sciences) .

والعلـم الـذى يحث الإسلام ـ إسلام القـرآن والسنة ـ على تحصيله يشمل كل علم نافع يهدف إلى تكوين الإنسان الصالح ـ ويزيد من صلته بخالقه ويمكّنه من القيام بواجبات الخلافة وإعمار الحياة على الأرض ، يستوى فى ذلك أن يكون العلم نقلياً أو عقلياً ، دينياً أو دنيوياً ، نظرياً أو تجريبياً ، أو غير ذلك من مسميات لفروع المعرفة بحسب موضوعاتها أو مصادرها أو الطرائق المتبعة فى تحصيلها[٣]. وكل ما يساعد من العلوم النافعة على فهم معانى القرآن الكريم وتعميـق الإيمان الخالص بالله ـ سبحانه وتعالى ـ إنما يجب الأخذ به والتعويل عليه .

فكم فى القرآن الكريم من آية إذا مستها يد العلم أبانت أسرارها وأظهرت إعجازها . وهل تكذيب الكفار بالقرآن وقت نزوله إلا لأنهم اعتزوا بعلمهم . وما أتفه علمهم آنذاك ، فشهَّر القرآن الكريم بجهلهم فى قوله تعالى :

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾[٤] .

ولقد وعد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بإظهار الحقائق التى أودعها فى الآفاق وفى الأنفس ؛ لتكون دليلًا إلى الإيمان ، مصداقاً لقوله جل شأنه :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٥].

حقائق العلم وموضوعيته :

هناك من يعارض اجتهادات العلماء الذيـن يستعينون بحقائق العلم فى فهم وتعميق معـانى الآيات القرآنية بحجة أن ما يسمـى « حقائـق العلم » ليس سوى فروض ونظريات لم يثبت العلم ذاته يقينها النهائى ، وهذا القول ـ على إطلاقه هكذا ـ لا يقل خطأ عما يقوله آخرون من أن العلم هو المصدر الوحيد للحقيقة وكل ما سواه وهم باطل لا يمت إلى الواقع بصلة . والقائلون بهذا وذاك يخلطون بين مفاهيم من قبيل « القانون العلمى » و « الحقيقة العلمية » و « الموضوعية العلمية » وغير ذلك مما يستخدم فى وصف لغة العلوم الكونية نظراً لتداخل مدلولات هذه المفاهيم من الناحية العملية إلى الحد الذى يتعذر معه وضع حدود فاصلة بين استخدامـاتها . ويعـزى هذا الخلط ـ فيما نرى ـ بصورة رئيسية إلى غياب القواعد والمعايير التى تحكم مثل هذه المفاهيم ، وهى بطبيعة الحال قواعد ومعايير لا يمكن تحديدها بطرق تجريبية ، ولكن يمكن توضيحها والتعرف على ملامحها من خلال تحليل لغة القانون العلمى وفهـم طبيعتـه ، بدءاً من فروضه الأساسيـــة ومقومات صياغته اللفظية ، وانتهاء بنتائجه العملية واحتمالات تطبيقاته المستقبلية .

---

(٣) د. أحمد فؤاد باشا . فريضة العلم الغائبة فى العالم الإسلامى المعاصر ، مجلة الأزهر ، الجزء الرابع ، ربيع الآخر ١٤١٥ هـ ـ سبتمبر ١٩٩٤ م ، ص ٥٠٤ ـ ٥٠٨ .

(٤) سورة يونس : ٣٩ .

(٥) سورة فصلت : ٥٣ .

وربما يستند بعض المعارضين لمبحث « الإعجاز العلمى » فى القرآن الكريم إلى واقع العلم ذاته عندما يبدو لهم كما لو كان قد تخلى فى بعض قوانينه الجديدة عن مفاهيم أساسية قامت عليها قوانينه القديمة ، مما يعنى أن نتائج العلم غير يقينية ، وأن العلماء عرضة للخطأ والقصور . لكن هذا فى الوقت نفسه يجب ألا يعنى أن القوانين العلمية التى يتوصل إليها الباحثون بعد اختبار تجريبى دقيق غير صحيحة ، فقوانين نيوتن عن الحركة والجاذبية – على سبيل المثال – تعبر عن حقائق علمية موضوعية بأعلى درجة ممكنة من الصدق واليقين لأننا اختبرنا صحتها أمام أعيننا وأخذنا من نتائجها فى تحقيق تقنيات متقدمة ساعدتنا على ارتياد الفضاء وأكدت تصوراتنا عن كروية الأرض ودورانها مع الكواكب الأخرى فى أفلاك محدودة ، وليس من الصواب أبداً أن تعتبر هذه الحقائق الجزئية دليلًا على قصور العلم أو منقصة فيه ، فطبيعة المعرفة العلمية تتميز بالنمو المطرد فى اكتشاف القوانين التى تلقى الضوء تدريجيا على حقائق الواقع الثابت فى هذا الكون كما أشارت إليها آيات من الذكر الحكيم(٦).

إن كلا من القرآن الكريم والعلم المنهجى السليم قد جاءا على موعد بعد أن بلغت البشرية مستوى الرشد والنضوج الفكرى القادرين على استيعاب علاقة الإنسان بخالقه وبالكون الذى يعيش فيه . ولقد أصبح « الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم » مبحثاً هاماً من مباحث علوم القرآن ، يستأثر باهتمام المخلصين من علماء المسلمين فى العلوم الشرعية والكونية على حد سواء ، ولعل من أهم ضرورات الاهتمام به وترشيد البحث فيه وفق ضوابط منهجية يقرها أهل الاختصاص أن نكشف الحجب المصطنعة حول مصدرى العلم الإسلامى فى القرآن والكون ، فتظهر كنوزهما المنوط بها هداية الإنسان فى كل زمان ومكان ، وتتحقق بفضلها أهداف الدعوة الإسلامية الرشيدة فى عصر العلم المتجدد .

وبقدر ما نؤكد على أهمية هذا المبحث وضرورته ، فإن واجب الأمانة يقتضى أن ننبِّه إلى مزالق الخطأ والزلل وكبوات الاجتهاد ، وأن نذكّر بعظم إثم التكلم فى كتاب الله بغير علم . ونهيب بكل من يتعرض للاجتهاد من أهل العلم أن يستوفوا من الإعداد والكفاءة ما يناسب جلال القرآن وقدسيته .

وسوف نعرض بإذن الله ، فى ضوء الشروط والمحاذير التى قدمنا ، لعدد من الآيات الكونية وبيان بعض معانيها فى ضوء حقائق العلوم المعاصرة ، ونبدأ ببعض الآيات الدالة على القدرة الإلهية فى عالم البحار والظواهر البحرية .

من فوائد البحار والأنهار :

قال تعالى :

﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ

(٦) راجع فى ذلك : د. عبدالحافظ حلمى ، مرجع سابق .
– د. أحمد فؤاد باشا ، مستويات الموضوعية العلمية ودلالاتها فى إطار نظرية العلم الإسلامية ، مجلة المسلم المعاصر ، الكويت ، عدد ٦٧ (١٩٩٣) ، ص ص ٧٥ – ١٠٠ .

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٧).

تشير هذه الآية الكريمة إلى ما أودعه الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى البحار والأنهار من نعم عديدة تتعلق بالغذاء والكساء ومصادر الرزق الأخرى . ويظهر الإعجاز واضحاً فى التعبير القرآنى حين يصف لحم الحيوانات البحرية بأنه لحم طرى ، ذلك أن أجسام هذه الحيوانات التى تقضى كل حياتها فى البحر تحتوى على نسبة من الماء تفوق كل نسب الماء الموجودة فى لحوم الحيوانات الأرضية التى يتناولها الإنسان ، كالأبقار والأغنام والماعز والجمال وغيرها . وقد أحل الله صيدها لتكون طعاماً للإنسان . قال تعالى :

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ﴾(٨)

وتعتبر الأسماك بصفة عامة أهم الحيوانات البحرية التى يتناول الإنسان لحومها ، وينقطع لصيدها أو تصنيعها مئات الألوف من الأشخاص فى مختلف بلاد العالم ، كما أن الدول التى تعتمد فى اقتصادياتها على هذه الثروة تحدد مياهها الإقليمية التى لا تسمح للدول الأخرى بالصيد فيها ، ويحصى العلماء ما يقرب من عشرين ألف نوع من الأسماك مختلفة الأشكال والأحجام والألوان تعيش فى البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات الداخلية المغلقة أو المتصلة بالبحار ، أو غير ذلك من البيئات المائية .

وهناك أيضاً « الحيوانات الرخوة » التى تحاط من الخارج بهياكل جيرية صلبة كما فى القواقع والمحارات ، و « الحيوانات القشرية » التى تحاط من الخارج بقشرة صلبة من مادة « الكيتين » التى تحمى العضلات والأجزاء الداخلية اللينة من الجسم كما فى الجمبرى والكابوريا والاستاكوزا .

وفيما يتعلق باستخراج الحلى من البحار والأنهار فيكفى أن نشير إلى اللؤلؤ والمرجان اللذين ورد ذكرهما فى مواضع أخرى من القرآن الكريم مرتبطاً بقيمتهما المادية والجمالية ، حيث أن لكل منهما تاريخاً طويلًا مع الإنسان الذى كان ولا يزال يبحث عنهما بين المحارات البحرية والشعب المرجانية . ويعتبر تكوين اللآلىء داخل أجسام الحيوانات الرخوة ضرورة للدفاع عن النفس إذا ما أصيب الحيوان بإحدى « الديدان الطفيلية » ، حيث تبدأ أنسجته اللينة على الفور فى إفراز « المادة اللؤلؤية » حول جسم هذا الطفيل وقاية لها من أضراره الجسيمة ، ويكون إفرازها فى طبقات متتالية حتى يتم عزل هذا الطفيل عزلًا تاماً للقضاء عليه ، وقد اكتشف بالفعل بقايا تلك الديدان الطفيلية ، داخل بعض اللآلىء التى تم تشريحها . وبالنسبة للمرجان الأحمر الذى يستخدم فى صناعة الحلى فهو عبارة عن الهيكل الصلب لأنواع معينة من الأحياء البحرية التى تعيش فى مستعمرات معقدة تتفرع كالأشجار ويحيط بها من الخارج غلاف رقيق من « المادة البروتوبلازمية » الحية .

أما الثروات المعدنية ومصادر الطاقة الكامنة فى مياه الأنهار والبحار فهى تفوق الحصر وتنتظر جهود العلم البشرى للإفادة منها .

ولازال للموضوع بقية فى العدد القادم إن شاء الله

(٧) سورة فاطر : ١٢ .

(٨) سورة المائدة : ٩٦ .

متاعب الثدى فى الرجال والنساء

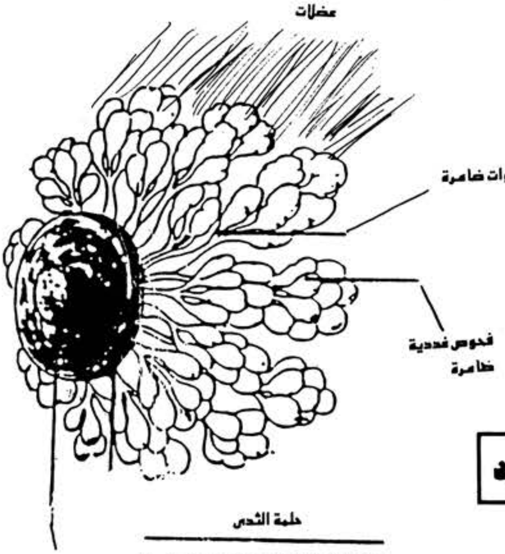

شكل تفصيلى لتكوين الثدى عند الرجال

للدكتور / أحمد رجائى عبدالحميد

تكوين الثدى العام (رجالاً ونساءً) :

يتكون الثدى من نوعين من الأنسجة :

أ ـ نسيج دهنى : يتكون من الخلايا الدهنية ، وهو الذى يعطى الثدى شكله الدائرى .

ب ـ نسيج غددى : يتكون من غدد لبنية وقنواتها ، وينتهى عند السطح بحلمة الثدى ، وهذا النسيج هو المسئول عن تكوين وإفراز اللبن .

يظل حجم الثدى فى الأطفال متشابها إلى أن تبدأ مرحلة البلوغ . فعند بدء هذه المرحلة ينمو الثدى فى البنات بصورة أكبر كثيرا منه فى الأولاد ، وذلك تحت تأثير هرمون الأنوثة «الاستروجين» الذى يسبب نمو وتضخم النسيجين الدهنى والغددى . أما الثدى بالنسبة للأولاد الذكور فإنه يبقى فى صورة ضامرة ، وذلك تحت تأثير زيادة هرمون (التستوستيرون) ونقص هرمون (الاستروجين) .

تكوين الثدى عند الذكور

الثدى عند الذكور بسيط التركيب وهو يتكون من قنوات عديدة مع كمية من النسيج الضام والدهنى ، وفى فترة البلوغ قد تنمو هذه القنوات قليلاً ، وتكون الحلمة غالباً فى مستوى جلد الصدر .

أسباب تضخم الثدى بالنسبة للرجال :

يوجد نوعين من التضخم فى ثدى الرجال :

أولاً : التضخم الظاهرى : وهو ينتج عن تجمع الخلايا الدهنية بكثرة فى منطقة الثدى وذلك مثل بعض حالات السمنة .

ثانياً : التضخم الحقيقى وهو المهم : حيث ينتج عن نمو وكبر النسيج الغددى المكون من غدد لبنية وقنوات .

التشخيص :

يمكن التفريق بين التضخم الحقيقى والتضخم الظاهرى حيث إنه فى حالة التضخم الظاهرى يكون الثديان متماثلين ، ويصاحبها تجمع الدهون فى أماكن أخرى من الجسم ، أما فى حالة التضخم الحقيقى فقد يكون الثديان غير متماثلى الحجم ، وعند فحص المريض نجد خلف حلمة الثدى غدة صلبة يصحبها ألم بسيط ويتفاوت حجمها من حجم نبات (الفولة) إلى حجم الكرة متوسطة الحجم .

أسباب التضخم فى الثدى عند الرجال

تنقسم أسباب تضخم الثدى فى الرجال إلى قسمين : أسباب فسيولوجية (..وظيفية) وأسباب باثولوجية (مرضية) .

الأسباب الفسيولوجية :

١ ـ الأولاد حديثى الولادة :

وذلك نتيجة لتسرب هرمون الاستروجين من الأم (من خلال المشيمة) إلى دم الطفل الذكر ، وتعتبر هذه الحالة مؤقتة ، ثم يرجع الثدى إلى حجمه الطبيعى خلال أسابيع ولا تحتاج هذه الحالة إلى علاج .

٢ ـ الأولاد فى سن البلوغ :

يحدث فى معظم الأطفال الذكور فى سن البلوغ أن يتضخم أحد الثديين أو كلاهما مع حدوث ألم خفيف عند الضغط ، وذلك بسبب عدم الاستقرار الهرمونى ما بين هرمون الذكورة (التستوستيرون) وهرمون الأنوثة (الاستروجين) المصاحب لفترة البلوغ ، ويسمى العامة هذا التضخم : «ترمسة البلوغ» ، ولا تحتاج هذه الحالة إلى علاج حيث يختفى التضخم خلال سنة أو سنتين تلقائياً .

٣ ـ الرجال فى سن الشيخوخة :

يعانى حوالى ٤٠ ٪ من الرجال المسنين من تضخم فى الثدى بسبب قلة نشاط هرمون الذكورة ، وكذلك نتيجة كسل فى وظائف الكبد مما يؤدى إلى تحويل التستوستيرون (هرمون الذكورة) إلى الاستروجين (هرمون الأنوثة) ولكن

لابد فى هذه الحالة من الفحص الدقيق لاستبعاد أى سبب باثولوجى (مرضى) .

ثانيا : الأسباب الباثولوجية (المرضية) :

غالبا ما تحدث هذه الحالة بسبب خلل فى التوازن الهرمونى فى الذكور (٣٠٠ تستوستيرون إلى ١ أستروجين) .

ومن أسباب هذه الحالة :

١ ـ إصابات الخصية :

إصابة الخصية بالتلف أو الضمور يؤدى إلى نقص شديد فى هرمون التستوستيرون مما يؤدى إلى تضخم الثدى بصورة كبيرة ومن أسباب تلف الخصية العيوب الوراثية ، والإصابة بفيروس الحمى النكافية ، والالتهابات الدرنية ، والإصابة ببعض الأمراض التناسلية ، أو مرض الفشل الكلوى .

٢ ـ أمراض الكبد :

يعتبر الكبد عضوا هاما فى التمثيل الغذائى للهرمونات ، وأى خلل فى الكبد يؤدى إلى خلل فى نسبة هرمونى : التستوستيرون والاستروجين .
ومن أمراض الكبد : الالتهاب الكبدى الوبائى ، وتليف الكبد نتيجة مرض البلهارسيا .

٣ ـ الغدد الصماء .

تعتبر من الأسباب المرضية بعض أمراض الغدد الصماء مثل زيادة نشاط الغدة الدرقية ، وأمراض (الغدة جار الكلوية) .

٤ ـ تأثير بعض الأدوية :

بعض الأدوية التى يتعاطاها المرضى لمدة طويلة قد تؤدى إلى تضخم الكبد مثل بعض أدوية أمراض القلب ، وقرحة الاثنى عشر .

٥ ـ أورام سرطانية :

بعض الأورام السرطانية فى الخصية والرئة تؤدى إلى نقص هرمون التستوستيرون وزيادة هرمون الاستروجين .

● التشخيص :

١ ـ يتم أخذ تاريخ مرضى عن كل الأدوية التى يتعاطاها المريض وعن الأمراض السابقة مثل الإصابة بالبلهارسيا ، التهابات الكلى ، التهاب الكبد الوبائى .

٢ ـ فحص المريض فحصا كاملا لمعرفة وجود أمراض الكبد ، والكلى ، والغدد الصماء .
٣ ـ تحاليل لمستوى الهرمونات فى الدم .
٤ ـ تحاليل لوظائف الكبد .
٥ ـ فحص دقيق للخصية و (عمل عينة) إذا كان هناك شك فى وجود أورام .

● العلاج :

فى الحالات (الفسيولوجية) يكون العلاج هو طمأنة المريض بأن هذه حالة وقتية مع متابعة الحالة .

أما فى الحالات (الباثولوجية) فيكون العلاج موجها إلى السبب فإذا كان ورماً كان العلاج إزالته ، وإذا كان دواءً فيجب تقييم حالة المريض ، وهل هو فى احتياج إلى هذا الدواء أم يمكن أخذ بديل لا يتسبب فى مرض الحالة .

« وَيخلقُ ما لا تعلمُونَ ... »

الجديد في العلم والتقنية

إعداد . د/ نجوى السيد أحمد (*)

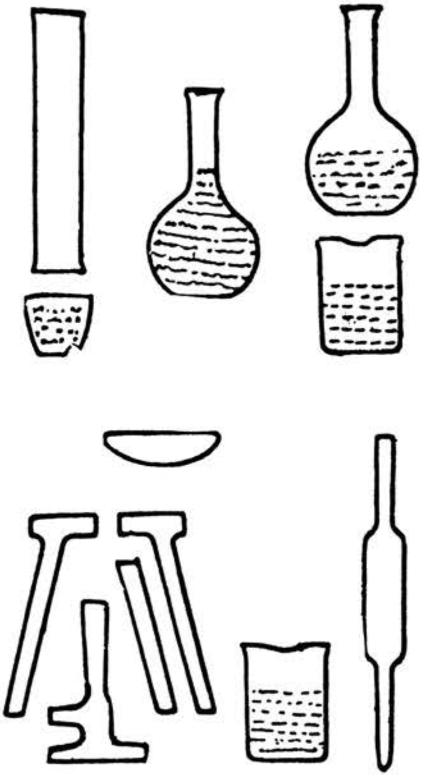

حاسب آلى تعليمى متعدد اللغات

قامت إحدى الشركات العالمية للصناعات التكنولوجية بإنتاج جهاز حاسب آلى تعليمى يحتوى على برامج تعليمية ناطقة فى جميع المواد الدراسية ، بجانب العديد من الألعاب العلمية والترفيهية ، ويتميز بصغر حجمه وسهولة حمله والتنقل به من مكان لآخر ، وبواسطة استخدام أقراص صوتية مختلفة يمكن جعله يتحدث بالفرنسية أو الإيطالية أو الألمانية أو الأسبانية بجانب اللغة الإنجليزية .

سيارة ذكية لضعاف الذاكرة

عرضت إحدى الشركات الألمانية ابتكارها الذى أطلقت عليه إسم « المراقبة التلقائية الذكية للقيادة » وسوف يستخدم فى إنتاج سيّارة ذكية لضعاف الذاكرة ، ويعتمد هذا الابتكار على

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث

تزويد السيارة بأشعة الليزر والموجات تحت الحمراء لاستشعار العوائق على طول الطريق بالإضافة إلى تزويدها بجهاز إلكترونى يقوم بتخفيض السرعة تلقائيا أو بوقف السيارة ، تبعا لحالات الزحام أو اقتراب الخطر ، وإحكام الدوران المحفوف بالخطر فى المنحنيات .

مجفف صناعى للأخشاب

أنتجت شركة فرنسية مجففات صناعية صغيرة الحجم واقتصادية لتجفيف الأخشاب الصمغية فى درجة حرارة عالية تصل إلى ١٣٠ درجة مئوية ، وهى أسرع بثلاثة أضعاف عن الطريقة التقليدية ، كما أنها تقلل من التشوهات والتشققات فى الخشب بنسبة ٣٠ ٪ وتؤدى إلى تقليل النفقات ومعدل استهلاك الطاقة ، وتعمل بالغاز ولا تسبب أى تلوث للبيئة ، ويتحكم فى درجة التجفيف والحصول على نوعية جيدة من الأخشاب جهاز حاسب آلى متصل بالمجفف .

مجهر يصور اختراق «الفيروس» للخلية

تمكن مجموعة من العلماء السويسريين من ابتكار مجهر جديد يسمى القوة الكاشفة ، يعمل بأشعة الليزر ، ويستخدم فى مشاهدة اختراق « الفيروسات » لجدار الخلايا الحية ، ويحتوى المجهر على رأس صغيرة جداً مثبتة إلى ذراع متحرك ، تقوم بالمرور فوق عينة الخلايا وقياس جميع حركاتها الصغيرة ، ويتم الحصول على صورة مجسمة للخلايا بواسطة الحاسب الآلى المتصل بالمجهر ، وسيتيح هذا الابتكار للعلماء التعرف من جديد على كيفية حدوث عملية العدوى ، وأفضل الطرق فى مكافحة الأمراض « الفيروسية » .

أصغر جهاز «ليزر» لقياس الجودة

أنتجت إحدى الشركات العالمية جهاز «ليزر» صغير الحجم يمكن حمله فى الجيب ويعمل بواسطة «ميكروبروسيسور» وصمام ضوئى ثنائى مما يساعد أثناء عملية التشغيل على التخلص من التحركات النظامية لعناصر الليزر المرتبطة بتغييرات درجة الحرارة المحيطة به ، والجهاز يستخدم لقياس المعطيات ودرجات الجودة والبيانات فى مصانع الإنتاج .

خليط معدنى جديد مقاوم للحرارة

صنع مجموعة من الباحثين فى معهد « التكنولوجيا » اليابانى خليطاً معدنياً يتحمل الحرارة حتى ١٥٠٠ درجة مئوية أطلقوا عليه اسم « مركب الكريستال المنفرد » ، ويتكون من مجموعة معادن متداخلة عن طريق إضافة مزيج من عنصر « هفنيوم » الفلزى إلى قاعدة من النيكل والألمونيوم ، ويتميز الخليط المعدنى الجديد بمقاومته للحرارة ومتانته ومقاومته للشروخ والانكسار ، ويمكن أن يصلح لصنع توربينات الغاز والبخار فى مصانع الطاقة الكهربائية ومحركات الطائرات النفاثة .

مبيدات طبيعية لحماية النبات

نجح فريق بحثى فى أحد الجامعات الأمريكية من استخلاص مادة بيولوجية من كائنات عضوية مجهرية تقضى على الحشرات فى المحاصيل الزراعية ونباتات الزينة ، والمادة تحتوى على مضادات حيوية نباتية طبيعية يحاول العلماء استخدامها كبدائل بيولوجية بدلا من المبيدات الكيميائية .

جهاز ضوئى للكشف عن اللحم الفاسد

توصل علماء بريطانيون إلى أسلوب بسيط للكشف عن اللحم الفاسد عن طريق استخدام صبغة معينة تشبع بها ورقة ترشيح تثبت فى جهاز قياسى يمر من خلاله شعاع ضوئى يعمل على تفاعل هذه الصبغة مع المادة الكيميائية التى تفرزها البكتريا الموجودة فى اللحم ، وتتناسب درجة الضوء التى تصل إلى جهاز القياس تناسبا عكسيا مع درجة فساد اللحم ، وينطلق جرس تنبيه عندما تكون عينة اللحم غير صالحة للأكل .

جهاز «إلكترونى» مسكن للآلام

قام الباحثون فى أحد المختبرات « بكاليفورنيا » بتطوير وإنتاج جهاز إلكترونى صغير يضعه الشخص حول معصمه مثل ساعة اليد ، لتسكين الآلام المختلفة مثل : مضايقات الغثيان ودوار البحر والصداع واضطرابات المعدة ، ويستخدم الجهاز الإلكترونى القنوات العصبية فى الجسم لتوصيل صدمات كهربائية صغيرة تؤدى فى الحال لكبت الألم عن طريق وقف إشارات التنبيه بالألم الصادرة من المخ ، ويمكن الاستغناء تماماً عن العقاقير المسكنة للألم ، وتشير الدراسات الميدانية ، أن ٩٥ فى المائة من الذين يعانون من الاضطرابات السابق ذكرها قد تخلصوا منها بعد استخدامهم للجهاز الجديد .

أحدث الأبحاث على بذور الكتان

بيضة منخفضة الكوليسترول

استطاع أحد العلماء بجامعة « البرتا » الكندية من إنتاج بيضة منخفضة الكوليسترول ولا تؤدى إلى ارتفاع مستويات الكوليسترول أو الدهون فى دم من يتناولونه يومياً ، وقد حصل العالم على هذه البيضة بعد ١٢ عاما من التجارب المستمرة بواسطة استخدام أعلاف خاصة فى تغذية الدواجن .

اتفق مجموعة من علماء الدول الغربية على أهمية بذور الكتان لصحة الإنسان وخفضه لنسبة الكوليسترول فى الدم ، ومقاومة السرطان ، حيث أثبت أحد العلماء الكنديين من التجارب التى أجريت على فئران التجارب أن بذور الكتان تؤدى إلى انخفاض كبير فى « الكوليسترول » و « الترايجليسريد » فى فئران التجارب دون أى آثار جانبية ، كما أوضحت الأبحاث التى أجريت على فئران التجارب فى المعهد القومى للسرطان بأمريكا أن بذور الكتان تدمر الأورام السرطانية وتساعد على الحد من التهاب الشرايين .

اللغة والنقد والأدب

طبقات المحققين والمصححين

الجيل الثانى أو الطبقة الثانية من المحققين الأعلام

الشيخ أحمد محمد شاكر

رحمه الله (١٨٩٢ - ١٩٥٨)

للأستاذ الدكتور: السيد الجميلى

(٥)

أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر ، من آل أبى علياء ، منسوب إلى الإمام الشهيد الحسين بن على سيد شباب أهل الجنة ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنه .

كان الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ عالما بالحديث ، والتفسير ، ذا باع طويل ، ويداً مبسوطة ، وقدماً راسخة فى العلوم الشرعية ، حفظ القرآن الكريم فى صباه ، وكان شمساً متألقة فى سماء الفكر الإسلامى ، وله أدوار مشهورة ، ومصنفات نفيسة ، وتحقيقات رصينة ، وشروح مكينة تدل على سبق فريد ، وفضل سابغ ، وعلم وافر ، ورصيد ثرى من الأخلاق المرضية .

ولد لأبوين مصريين من (جرجا) بصعيد مصر ، لذلك فهو جرجاوى أو جرجوى النشأة والميلاد .

الشيخ أحمد محمد شاكر

ولد ـ رحمه الله ـ سنة تسع وثلثمائة وألف للهجرة ، الموافق سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وألف للميلاد ، وقد سَمَّاه أبوه ـ رحمه الله ـ (شمس الأئمة) أو (أبو الأشبال) .

ولما أن ولى أبوه منصب القضاء فى السودان سنة ألف وتسعمائة اصطحبه معه ، ثم أدخله (كلية غوردون) ، ثم انتقل بمعية أبيـــه إلى الإسكندرية ، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الدينى سنة أربع وتسعمائة وألف للميلاد ، ثم بعد ذلك تحولا إلى القاهرة ، حيث التحق الشيخ أحمد محمد شاكر بالأزهر الشريف ، وكان بمعاونة أبيه على درجة من التفوق والنبوغ والتبريز ، حيث ظفر بشهادة العالمية سنة سبع عشرة وتسعمائة وألف .

ثم تم تعيين أحمد محمد شاكر فى كثير من الوظائف القضائية فتنقل من محكمة إلى محكمة فى المنصورة وشبين الكوم وغيرها ، ثم كان رئيساً للمحكمة الشرعية العليا ، ثم أحيل إلى المعاش إلى أن توفى إلى رحمة الله سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة ، الموافق سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد .

ومن المفارقات العجيبة ، الجديرة بالذكر والاعتبار أن الشيخ أحمد محمد شاكر ، وهو رئيس محكمة برغم عمله المستمر المرهق كان مضطلعا بنشاط علمى كبير ، لم يتقاعس ولم يتوان فيه لحظة واحدة فى همة عالية .

ولى فى هذا الصدد قصة طريفة .. فلقد قرأت فقرة فى أحد كتب اللغة مفادها أن المبرد الأديب الكبير المشهور قال فى إحدى مأثوراته : « ما رأيت كتابا للبغـــداديين أحسن من كتـــاب أبى يوسف يعقوب بن السكيت فى المنطق » .

ونظراً لحرصى الشديد ـ كاتب هذه الدراسة ـ على كتب اللغة العربية ولاسيما فقه اللغة ، وكونى مفتوناً بها لدرجة أتعبتنى كثيراً ، ولم أكن أعرف شيئاً عن مخطوطات هذا الكتاب المسمى (إصلاح المنطق) لابن السكيت ، لكن قرأت أكثر كتبه وعرفت له فضله وخطره وسبقه فى عالم العربية .

فعلمت أن هناك نسخاً خطية فى دار الكتب المصرية ، ووُعِدتُ بتصويرها ، ولم يتحقق الوعد ، فسمعت أن هناك نسخة خطية بمكتبة بلدية المنصورة ، وهى بلدى العزيز ، فسارعت على الفور ، وقد كان هذا شاقاً علىّ فى ذلك الوقت ، إذ كنت فى زحمة من عملى ، وركبت سيارتى على أن أعود بعد يوم أو يومين على الأكثر .

وفى مكتبة بلدية المنصورة اطلــعت على فهارسها فوجدت امام اسم هذا الكتاب : تم سحب هذا الكتاب من عهدة الدار ، لتقديمه هدية للسدة الملكية سنة ١٩٥١ م .

وشعرت بخيبة أمل شديدة ، فرجعت أدراجى وكأننى قد ضاع علىَّ وفاتنى خيرٌ عميم ؛ وهأنذا أعود بخفى حنين أقلب فى ذهنى المظان المتوقع وجود نسخة خطية فيها .. وزاد من حسرتى أنى عند بحثى عن هذا الكتاب وما كتب عنه قرأت ـ بعد وصولى إلى القاهرة ـ أن ابن خلكان قال : « قال بعض العلماء : ما عبر على جسر بغداد كتابٌ فى اللغة مثل كتـاب «إصلاح المنطـق» ووجـدنى صديـق حميم مهموماً ، فقـلت له السبب ، فذكر أنه توجـد نسخـة خطيـة من

الكتاب فى مكتبة الاسكوريال ، وأغلب الظن أن تكون هى النسخة أو المخطوطة الأم للكتاب .

ووعدنى بإحضارها ، وظللت مترقبا لوفائه بوعده ، ولكن هذا الصديق بدلاً من إحضاره لى هذه النسخة المخطوطة فاجأنى بعد بضعة أيام بنسخة محققة مطبوعة بدار المعارف ، بتحقيق الشيخ العلامة أحمد محمد شاكر وابن خاله العلامة الثبت اللغوى المحقق الكبير الأستاذ عبد السلام محمد هارون . واجتمع فرحى بعجبى : كيف فاتنى الاطلاع على هذا الكتاب النادر المثال فلعله كان الكتاب الوحيد الذى غاب عن مكتبتى لابن السكيت ، وما إن تناولته حتى قرأته مرات ومرات وأنا فى ملاحاة وإنحاء وتثريب ومحاسبة **قاسية صارمة لنفس كيف أسأت إلى نفسى كل هذه** الإساءة البليغة بحرمانها من التوفر على هذا السفر الشائق الممتع ؟! ، ولم أغفر لنفسى هذا الخطأ إلى يومى هذا .

عمدت إلى إثارة هذه المسألة لسبب واحد وهو أن الفضل فى إظهار هذا الكنز المخبوء ، المطروح فى مدارج النسيان كان لله ـ تعالى ـ قبل كل شىء ، ثم من بعد للشيخ أحمد محمد شاكر ، بمعاونة ابن خاله الشيخ عبد السلام محمد هارون ـ رحمهما الله رحمة واسعة .

وللشيخ أحمد شاكر مع هذا الكتاب قصة طريفة من خلالها يجدر بنا تقويم شخصية هذا **العملاق المنطيق ، والعالم المحقق .**

لما أسند إليه ـ رحمه الله ـ منصب رئيس محكمة المنصورة الابتدائية الشرعية بالمرسوم الصادر يوم الاثنين الثامن من ديسمبر سنة سبع وأربعين وتسعمائة وألف ـ ألقى فيها عصاه ، وضرب بجرانه ، وكان بدهياً ومنطقياً أن يزور مكتبة المنصورة التابعة لمجلس البلدية ، فزارها يوم الثالث والعشرين من ديسمبر سنة سبع وأربعين أى بعد خمسة عشر يوماً من سُكْناه فيها ، وهنا يقول هو نفسه عن هذه الزيارة :

فوقعت إلى كنز من أثمن الكنوز النوادر ، **(كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت)** ، وهو كتاب جليل من خير ما أخرجت المكتبة العربية فى علوم اللغة وآدابها ، وهو كتاب فذ فى بابه ، ونُسَخُهُ المخطوطة نادرة فى المكتبات العامة ، وزاد فى نفاسة هذه النسخة وأنها أصل من الأصول العالية المعتمدة ، أنها قرئت فى سنة ٣٧٢ هـ على الإمام الكبير أحمد بن فارس أستاذ الصاحب ابن عياد ، ومؤلف «مقاييس اللغة» ، «والصاحبى» ، و «المجمل» وغيرها . ا هـ بتصرف .

ثم يقول عندما استشعر بخطورة هذا الكتاب ورفيع شأنه وكونه بالغاً أعلى درجات التأليف الدقيق ، وصعوبة قيامه بتحقيقه وحده :

ولم أشا أن اضطلع بعبء تحقيقه وحدى ، فقد يكون هذا فوق مقدورى . فتفضل أخى وابن خالى الأستاذ العلامة عبدالسلام محمد هارون ، المدرس بجامعة الإسكندرية ـ وقتذاك ـ وعضو (لجنة إحياء آثار أبى العلاء المعرى) بالقاهرة ، فأعاننى على هذا العمل الخطير ، بل كان له الجهد الأوفى فيه ، مشكورَ الفضل ، مذكور الأثر . ا هـ .

وبهذه المناسبة أُهيب بالمعنيين بالأمر أن يُدْرِجوا هذا الكتاب ضمن خُطة النشر على نطاق واسع ، وبسعر رمزى ، خدمةً للغة العربية : لغة القرآن

الكريم .. ليكون هذا العمل محفوظاً لهم ، ولن ينساه هذا الجيل ولا الأجيال القادمة لأن الكتاب لازال متروكاً مهجوراً لم يشعر به أحد ماخلا العلماء والباحثين .

من الآثار المذخورة الباقية للشيخ أحمد شاكر إسهاماته القيمة التى أثرى بها المكتبة العلمية الدينية واللغوية والأدبية بهذه المؤلفات والتحقيقات التى نذكر منها :

١ ـ المؤلفات :

ـ مختصر تفسير ابن كثير المسمى بـ «عمدة التفسير» وهو مطبوع فى أربعة مجلدات .
ـ نظام الطلاق فى الإسلام . ولم يتقيد فيه بمذهب معين .
ـ الشرع واللغة .
ـ رسالة فى الرد على عبد العزيز فهمى باشاً عندما اقترح كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية .
ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة .

ذاك ما وقفنا عليه .

٢ ـ تحقيقات وشروح :

ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل وقد ذكر لى د / على الخطيب رئيس تحرير المجلة ، نقلا عن بعض العلماء أن الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله تعالى ـ حقق المسند كله ، ولم يطبع منه أثناء حياته إلا نحو من ستة عشر جزءاً ، أو خمسة عشر ، ولعل مما يؤكد أن الشيخ ـ رحمه الله ـ حققه كله أن فضيلة الأستاذ الدكتور الحسينى هاشم وكيل الأزهر الأسبق أخرج من تحقيق الشيخ شاكر جزأين بعد وفاته ، ثم توفى هو الآخر وتوقف طبع الكتاب .

ـ الرسالة للإمام الشافعى .
ـ ألفية العراقى فى مصطلح الحديث .
ـ جماع العلم للشافعى .
ـ لباب الآداب لأسامة بن منقذ .
ـ المعرب للجواليقى .
ـ إصلاح المنطق لابن السكيت بالمشاركة مع ابن خاله المرحوم عبد السلام محمد هارون .

توفى فضيلة الشيخ شاكر ـ رحمه الله ـ فى القاهرة سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وألف عن ستة وستين عاماً .

ما طبعه وحققه من التراث (مصدرنا فى ذلك مجلة معهد المخطوطات العربية ـ المجلد الرابع الجزء الثانى ـ نوفمبر ١٩٥٨ م ـ ربيع الآخر ١٣٧٨ هـ)

١ ـ المحلى لابن حزم الظاهرى ـ ٤٥٦ هـ حقق منه الأجزاء الستة الأولى . المطبعة المنيرية ـ ١٩٢٩ م .
٢ ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزرى ـ ٨٣٣ هـ نشرته مكتبة القدس ، القاهرة ١٩٣١ م .
٣ ـ لباب الآداب لأسامة بن منقذ . نشرته مكتبة سركيس ، القاهرة ١٩٣٥ م .
٤ ـ سنن الترمذى المسماة بالجامع الصحيح لأبى عيسى الترمذى ـ ٢٧٩ هـ طبع منه جزءان فقط مكتبة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ـ ١٩٣٧ م .
٥ ـ الكامل فى الأدب للمبرد ـ ٢٨٥ هـ حقق منه الثانى والثالث ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ١٩٣٧ م .
٦ ـ الرسالة فى أصول الفقه للإمام الشافعى ـ

٢٠٤ هـ مكتبة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ١٩٤٠ م .

٧ ـ جماع العلم للإمام الشافعى ـ ٢٠٤ هـ مكتبة مصطفى البابى الحلبّى ، القاهـــرة ١٩٤٠ م .

٨ ـ المعرَّب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم لأبى منصور الجواليقى ـ ٥٤٠ هـ دار الكتب المصرية ، القاهرة ـ ١٩٤٢ م .

٩ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة ـ ٢٧٦ هـ .

١٠ ـ المصعد الأحمد فى ختم مسند الإمام أحمد لابن الجزرى ٨٣٣ هـ دار المعارف ، القاهرة ١٩٤٦ م .

١١ ـ خصائص مسند الإمام أحمد للحافظ أبى يوسف المدينى ـ ٥٨١ هـ دار المعارف ، القاهرة ١٩٤٦ م .

١٢ ـ ترجمة الإمام أحمد بن حنبل للذهبى ـ ٧٤٨ هـ دار المعارف ، القاهرة ١٩٤٦ م .

١٣ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ـ ٢٤١ هـ ـ صدر منه خمسة عشر جزءًا ـ دار المعارف ، القاهرة ـ ١٩٤٦ / ١٩٥٧ م .

١٤ ـ إصلاح المنطق لابن السكيت ـ ٢٤٤ هـ بالاشتراك مع الأستاذ عبد السلام هارون دار المعارف ، القاهرة ـ ١٩٤٩ م .

١٥ ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير ـ ٧٧٤ هـ مكتبة محمد على صبيح ، القاهرة ١٩٥١ م .

١٦ ـ صحيح ابن حبان بترتيب علاء الدين الفارسى ـ ٧٣٩ هـ ـ صدر منه الجزء الأول فقط ـ دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٢ م .

١٧ ـ المفضليات للضبى بالاشتراك مع الأستاذ عبد السلام هارون دار المعارف ، القاهـــرة ١٩٥٢ م ط ٢ .

١٨ ـ فتوى فى إبطال وقف الجنف والإثم لمحمد بن عبد الوهاب دار المعـــارف ، القاهـــرة. ١٩٥٣ م .

١٩ ـ تفسير الجلالين بالاشتراك مع الأستاذ على محمد شاكر دار المعارف ، القاهرة بدون تاريخ ، ظهر فى سنة ـ ١٩٥٤ م .

٢٠ ـ شرح نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر لابن حجر العسقلانى ـ ٨٥٢ هـ دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ ظهر فى ١٩٥٤ م .

٢١ ـ شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية لابن أبى العز الحنفى ـ ٧٩٢ هـ دار المعارف ، القاهرة ـ ١٩٥٤ م

٢٢ ـ الأصمعيات للأصمعى بالاشتراك مع الأستاذ عبد السلام هارون دار المعارف ، القاهرة ـ ١٩٥٥ م .

٢٣ ـ تفسير الطبرى المسمى جامع البيان فى تأويل القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير ـ ٣١٠ هـ راجعه وخرج أحاديثه وحقق النص الأستاذ محمود شاكر .

صدر منه أربعة عشر جزءا دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٦ / ١٩٥٨ م .

٢٤ ـ عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ـ

٧٧٤ هـ وهو اختصار تفسير ابن كثير ـ صدر منه أربعة أجزاء فقط ـ دار المعارف القاهرة ١٩٥٦ / ١٩٥٧ م .. أ هـ .

من الفهارس :

الاحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ٤٥٦ مطبعة السعادة ١٣٤٥ هـ ٨ أجزاء فى مجلدين (مصحح) .

أوائل الشهور العربية ـ هل يجوز شرعاً إثباتها بالحساب الفلكى مجلد ـ ط مصطفى البابى الحلبى ١٩٣٩ م (تأليف) .

جامع البيان فى تفسير القرآن لمعين الدين محمد الإيجى الصفوى تصحيح محمد حامد الفقى ط ١٩٣٦ م (مراجع) .

الخراج لـ يحى بن آدم القرشى المطبعة السلفية ـ ١٣٤٧ هـ (مصحح) .

الشرع واللغة ـ دار المعارف ١٩٤٤ م (مؤلف) .

الشعر والشعراء لـ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوى ٢٧٦ هـ دار المعارف ١٩٦٦ جزءان (محقق) .

صفة نهى النبى ﷺ ـ دار المعارف ١٩٤٠ (محقق) .

رسالة فى ترجمة حياة فضيلة الأستاذ المرحوم الشيخ محمد شاكر وكيل مشيخة الأزهر سابقا المتوفى ١٩٣٩ م نشرت فى المقتطف فى أغسطس ١٩٤٩ م فى مجلد طبع مصر . ط ثانية ـ دار المعارف ١٩٥٣ م (مؤلف)

مذكرة فى قضية المحرومين وابطال شروط الواقفين دار المعارف ١٩٥٣ م (مؤلف) .

مفتاح كنوز السنة لـ أ . ى . فنسنك ترجمة محمد فؤاد عبد الباق ، تقديم محمد رشيد رضا ، أحمد محمد شاكر مطبعة مصر ١٩٣٤ م (تقديم) .

نظام الطلاق فى الإسلام مطبعة النهضة ١٣٥٤ هـ ١٩٣٦ م (مؤلف) .

ثم بعد :

فإن الشيخ أحمد لم يتقيد لمذهب فى كتابه « نظام الطلاق » وقد ردّ عليه ردًّا شديدا ـ العلامة محمد زاهر الكوثرى فى كتاب له سماه (الإشفاق من أحكام الطلاق) .

وللشيخ شاكر رسالة فى «تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكتاب» وسبق المسلمين الإفرنج فى ذلك ، وهى فى الأصل تقدمه على صحيح الترمذى ، دعته إليها الحاجة فى بيان أسلوب تحقيقه وتصحيحه ، وقد نشرت تلك التقدمة باختصار فى ١٩٨٥ فى المجلة الفصلية (البصائر) التى يصدرها الأستاذ بسام الجابى فى دمشق عن الاتحاد الثقافى فى فرنسا ، العدد ٢٣ بعنوان «دليل المحقق للنص العربى » ونشرت فى سنة ١٤٠٨ بآخر كتاب «أضواء على أخطاء المستشرقين فى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث » وطبعت أخيراً فى كتاب مستقل بعناية العلامة الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ، عن دار البشائر ببيروت .

رحم الله أحمد محمد شاكر رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى فى دار الكرامة . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الشيخ محمود محمد شاكر

هو محمود محمد شاكر ابن العلامة الأستاذ المصحح الكبير الشيخ محمد شاكر ، وكيل الأزهر سابقا ـ رحمهما الله رحمة واسعة ـ وأخو المحقق المتقدم ذكره الشيخ أحمد محمد شاكر وكان أبوهما قاضياً شرعياً بالحكومة المصرية سنة تسعين وثمانمائة وألف ، ثم قاضيـــاً لقضاة السودان سنة ألف وتسعمائة ، ثم بعد ذلك شيخاً لعلماء الإسكندرية سنة أربع وتسعمائة وألف ، وولى مشيخة الأزهر سنـــة تسع وتسعمائة وألف .

فى كنف هذا الوالد العالم القاضى الشرعى درج محمود وأخوه أحمد رضيعا لبان ، وغصنا دوحة فينانة مورقة كثيرة الإبراق ، منفوحة بالعلم الشرعى وموسومة بالخلق المرضى ، والهمة الرفيعة ، والاستقامة على سواء الحجة الواضحة ، وعلى سنن طريق الحق اللاحب المهيع عرجا إلى سماوات التفوق ، وأشخصا إلى أبعد الغايات من التفوق والتبريز .

إن كثيراً من معاصريهم عاشوا ظروفهما لكن لم يبلغوا من التسديد والتمكين مبلغ أى منهما .

فشكر الله لهما سعيهما ، وأنزلهما منزل الأخيار السالكين ، والراشدين المنافحين ، والصابرين المحتسبين ، فقد أسديا للعلم والدين واللغة والأدب زاداً سخياً ووردا فياضاً ، وأعمالا مبرورة مذكورة ، وقدم كلا الرجلين من جلائل الأعمال المذخورة ما يضيق المقام عن حصره والتعريج عليه .

ولد محمود بمدينة الإسكندرية سنة تسع وتسعمائة وألف ، ثم انتقل إلى القاهرة فى نفس السنة بعد أن نقل أبوه الشيخ محمد شاكر إليها ليعمل وكيلاً للأزهر .

تلقى تعليمه الأول فى مدرسة أم عباس بالقاهرة ، ثم فى مدرسة القربية ، ثم حصل على شهادة البكالوريا من المدرسة الخديوية الثانوية سنة خمس وعشرين وتسعمائة وألف ، وفى سنة ست وعشرين التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة ، (جامعة فؤاد الأول آنذاك) .

ولما حدث خلاف بينه وبين الدكتور طه حسين وقتذاك ترك الجامعة وجعلها دبر أذنه ، وطوى كشحه عنها وأشاح ، ثم ارتحل إلى المملكة العربية السعودية سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وألف ، وأنشأ بجدة مدرسة ابتدائية عمل مديراً لها ، ولظروف لا نعلمها تركها بعد تأسيسها بعام واحد ، ثم قفل راجعاً مشخصاً إلى مصر العزيزة سنة تسع وعشرين وتسعمائة وألف .

يذكر الدكتور محمد مهدى علام أنه تتلمذ على يد الشيخ اللغوى سيد المرصفى صاحب «رغبة الآمل» ، وقرأ عليه «الكامل» للمبرد وحماسة أبى تمام ، وجزءاً من الأمالى لأبى على القالى ، ثم اتصل بالعلماء والسياسين الذين كان لوالده صلة بهم .

ثم انتخب عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية بدمشق سنة ثمانين وتسعمائة وألف ، ثم حصل على جائزة الدولة التقديرية فى الآداب سنة إحدى وثمانين وتسعمائة وألف .

ثم انتخب عضواً عاملاً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف .

لقد شهدت حياته الحافلة إسهامات واعية وافية واسعة فى مجال البحث والتأليف والتحقيق ، وكلها شواهد عدل وصدق على رسوخه وتمكينه ، وقوة عارضته ، وعمق إحاطته بالعلوم اللغوية والشرعية فإن انتاجه العلمى التأليفى والتحقيقى موسوم بأمارات الجدة المطلقة ، مُعْلِمٌ . بالإصالة ، وله شعر رصين متميز منشور فى مجلات عديدة .

وللشيخ محمود محمد شاكر مقالاتٌ مشهورةٌ منشورةٌ فى دوريات عربية مرموقة .

من أهم كتبه المؤلفة : « مع المتنبى» وهو فى غاية الروعة ، وله أيضاً كتاب : «أباطيل وأسمار» . وقد لقى كلا الكتابين من الأدباء والكتاب والمتخصصين كل عناية وتقدير وعرفان بليغ .

ومن كتبه المحققة :

ـ إمتاع الأسماع للمقريزى .
ـ تفسير الطبرى (ستة عشر جزءاً من أجزائه) .
ـ جمهرة نسب قريش وأخبارها لنسَّابة العرب الشهير الزبير بن بكار .
ـ طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى .
ـ تهذيب الآثار للإمام الطبرى .

ثم اختير عضوا بمجمع اللغة العربية ، وظل يشارك فى عمل لجان المجمع المختلفة بنشاط وهمة لا تعرف الملل ولا الكلل .

وحصل ـ أخيراً ـ على جائزة الملك فيصل العالمية لإسهاماته المشهورة فى الأدب العربى .

الدكتور حسن جاد ... شاعرا

بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

يقول شاعرنا العربى القديم :

ولابُـــدَّ من شكـــوى إلى ذى مروءة   يُواسيك أو يُسْلـــيكَ أو .. يتوجَّـــعُ

وظروف حياة شاعرنا حسن جاد ، فى كنف اليتْم المبكر ـ بعد انتقال والده إلى رحمة الله ـ تعالى ـ وهو فى الخامسة من عمره ، وما لاقى من عَنَتٍ وحرمان ، وقسوة من بعض الناس الذين كان لهم أثر عميق فى تنشئته ، باستثناء والدته الرءوم ، التى بذلت أقصى ما فى وسْعها ، لإحاطته بالعطف والرعاية والتشجيع ، كى يصل إلى أقصى ما ترجوه له من منزلة ، حتى استكمل عُدَّته للإبداع والتفوق .. كل ذلك كان له أثره فى صهْره فى بوتقة الألم ، الممزوج بالأمل ، حتى نضج واحتل المنزلة الرفيعة التى كان يصبو إليها ويهفو لها ،.. وكأنه كان مَعْنياً بقول القائل :

لـــــى قلـــــب لا يهـــــابْ فزعت منـــــه الصعـــــابْ
أنـــــا ربـــــان سفينتـــــى هاج أو قَرَّ العبـــــاب
بين أيامـــــى وبينـــــى حادثـــــات وغـــــلاب
فَلْيلـــــنْ أو يَقْـــــسُ حَظِّـــــى إن قلبـــــى .. لا يهاب

ولذلك لا نعجب حينما نجده يستهل ديوانه (المخطوط) - بتعْريفه للشعر ، كما يفهمه ويتذوقه ويّبدعه ، بقوله :

الشعـــــر فيض خواطـــــر تتدفَّـــــقُ والشعـــــر ومض مشاعـــــر تتألَّـــــقُ
والشـــعر نبض القلـــب فى خفقـــاتـــه وعبيـــــر روح عبقـــــرى يعبـــــق

إلى أن يقول فى ختام هذه القصيدة عن الشعر :

نَفَثات أشجانٍ ، زَحَمْـــن خواطـــرى ومنِ الشجون : سَجِـينها والمُطْلَـــقُ

وهذا البيت يُعدَّ بمثابة إرْهاص لما انتابه - بعد ذلك - من وَجْدٍ مُذيب ، عقْب وفاة وحيده (محمد) ، إذا انسابت شاعريته ، متدفِّقة بانسكاب حار ، فى زهاء مائة بيت من الشعر المُوجع ألعبقرى ، فقد كان الشعر متنفسه ، مُواسيه الحادب فى محنته .

ودَعْ عنك ما حاول بعض النقاد - بُحسن نية - أن يُظْهر مدى تأثر حسن جاد (بداليَّة) ابن الرومى فى رثاء هذا الشاعر أوسط أبنائه ، مُبْديا القول بأن حسن جاد - بلا شك - قد استوعب من قبل هذه الدالية فيما استوعب من ذخائر الشعر العربى ونفائسه .

ولا عبرة فى القول بأنه ضَاهَى ، أو حتى تفَّوق على ابن الرومى بصدق التجربة الشعورية أو عمقها فالشاعر الحق (مِفَنّ) وهو فى غمرة الفيضان الشعورى ، لا يستطيع أن يعبر عن غير ذات نفسه ، ولا يمكنه استعارة أفكار الآخرين ، بله مشاعرهم - فإن لديه ما يقوله ، بل ما لا يستطيع إلا أن يقوله ، طرح لما يجيش فى وجدانه ، إثر الصدمة الشديدة التى تلقاها دون ترقب ، والتى لا يستطيع أحد أن يشاركه فيها ، أو يحس بها إحساسه .. وكما نقول فى أمثالنا السائرة : «من كانت يده فى الماء ، ليس كمن يده فى النار» فالأول لا أنين له ولا معاناة ، والثانى يعانى ذروة ما يفوق طاقة البشر . وكما لا يجتمع سيفان فى غمد ، تَبْقَى لكل شاعر ذاتيته الخاصة طالما كان صادق التجربة ، صادق الشاعرية .. وليست الثقافة الأدبية وحدها بكافية لإبداع الأوابد ، بل يقتصر الأمر على الملكة أو الموهبة فحسب ، كى تُرفد العمل الأدبى بمادة تكوينه ، وصيْرورته نتاجا - أو

وليدا جديدا ، له قسماته المتميزة ، أو طعما فريداً له نكهته الخاصة .. وقلّ مثل ذلك ، عن صاحب كل فن إنسانى خالص ، فحسن جاد ـ مفن موهوب ـ استطاع أن يسكب ذات نفسه على آفاق أحزانه ، فإحساسه وإبداعه كُلّ لا ينفصم ولا يتجزَّأ ، فهما توأمان ملتحمان فى مزاج هذا الملتاع ، مزاج لا علاقة له بإبداع من سبقه ، وهل تستعار المشاعر ؟ ، فالمصاب مصابه هو بالدرجة الأولى ، فلا يستطيع (نادب) أن يطلق زفراته ، أو يبكى بكاءه فشتان بين نائحة ثكلى ، وأخرى مستأجرة وعندى أن فجيعة ابن الرومى كانت فى (واسطة العقد) من أولاده وهى ـ على كافة الأقيسة ـ أهون من الفجيعة فيما إذا كان الفقيد هو الابن الوحيد .. ومن ثم كان الأسى وأمام صورة هذا الوحيد نجد من حسن جاد هذا الأنين :

لم يبْـق منك سوى رسم نلـــوذ به ... من لوعة القلب ، أو من حرقة الكبـد
وأى جدوى لرسم لا حيـــــاة به ... يحكيك .. لكنْ : بلا روح ولا جسد
لم تَشْف صورتك الخرساء لوعتنـــا ... هل السراب شفى يوما .. غليل صَدِى ؟!

تستذرى الدموع ، وتصوِّر مرارة الفقْد وأهواله .. بل إن ابن الرومى هو الذى تأثر بالغير فى مرثيته ، حينما قال :

فيــالك من نفس تساقــط أنــفسا ... تساقــط دُرٍّ من نظــام بلا عقـــد

فامرىء القيس يقول فى رثائه لنفسه :

فلـــو أنها نفس تموت جميعـــة ... ولــكنها : نفس تساقــط أنــفسا

ولى تجربة شخصية لا أنساها ، اتفقت لى حينما كنت فى زيارة للأديب الكبير محمد مفيد الشوباشى ، رحمه الله ، بمنزله بالقاهرة ، فى أخريات أيامه ، وتناول حديثنا معا بعض الذكريات فرويت له بيت النشار فى وحيدته السيدة رفيعة ، بعد أن هاجرت مع والدتها إلى الريف إثر اشتداد الغارات الجوية على الإسكندرية فى الحرب العالمية الثانية وبقى النشار بالاسكندرية ، بحكم وظيفته فقال :

وبخاطرى ـ من لا تغــادر خاطــرى ... إنْ تَسْلَمِى .. تحلو الحيــاةُ وتُحْمَــدُ

وقوله من قصيدة إخرى :

(رفيعة) عُودى .. إن شهريْن حطمــا ... فؤادى .. وإنى بالرثـــاء خليـــق
تعــــالى إلى أحضان من أنت بعضه ... فيسرى ـ من الرمضاء ـ فِىَّ .. حريق

وقوله فى قصيدة ثالثة :

أبوك الذى لم يجتَل النور مُفْردا كأنَّا وُلِدنا - يوم ميلاد معا

فانخرط الأستاذ الشوباشى فى بكاء مرير ، ولم أستطع معرفة سبب ذلك ، إلى أن ذكرت لى السيدة الفاضلة قرينة الأستاذ الشوباشى أن هذه هى حالته ، حينما يتذكر كريمة له ، انتقلت إلى جوار ربها ، منذ أكثر من عشرين عاما ، وكان شديد التعلق بها .. ولذلك لم أعجب من قراءة قصائد أخرى فى ديوان حسن جاد ، فى رثاء نجله ووحيده (محمد) ، بعد مرور سنوات على رحيله ، ومن ذلك قوله فى إحدى مراثيه :

على دمعى أنام أسًى وأصحو وفى قلبى من التذكار جُرح

وفى أخرى :

قالوا سينْسيك الزمانُ ، وكلما مضت الليالى .. زادت الآلام

وفى ثالثة - مناجيا طيف وحيده :

واحسرتى حين أمشى ، لا ترافقنى وكُنْتَ ظِلّىَ : أحْميه ويحمينى

وهذا البيت ، يذكرنى بقول المرحوم الدكتور عزت شندى موسى - رحمه الله - فى قصيدة بعنوان : (من وحى صورة والدى) :

هى صورة أحْيتْ بفكْرِى حقبة قضَّيْتُ من عمرى بها .. أحْلاهُ :
قد كنتُ ثالث لازمَيْن ، يضمنا حبا ، ويمنحنا جميل رضاه
كنا نُلازمه النهار .. كَظلِّه يُسْراه تهدينا إلى يمناه
فأنا أروح وأغْدى ، بجوراه أنَّى يُرى .. وكتابهُ وعصاه !

وعندى أن قلادة العقد فى شعر الدكتور حسن جاد ، رحمه الله ، هى تلك التى جادت بها شاعريته فى صديق عمره وزميل مرحلة الدراسة ، فضيلة الإمام محمد متولى الشعراوى .. وقد قَدَّم لها - نثرا - بقوله ، موضّحا أنها «من وحى الفتح الربانى ، الذى يفيضه الله على بعض عباده المخلصين» ، ثم يسوق لنا هذه القصيدة المتفردة بموسيقاها العذبة ، وصورها البديعة ، يقول فى مستهلها :

ساقِ من الخُلْد روحــى من ندامـــاهُ	تفــوح من عتــق الفـــردوْس ريَّـــاهُ
يطوف بالكأس سكــرى من أناملــه	ويسكب الــروح نشْوَى من سجايــاه
دَعْ شارب الإثم مُغتَّـــرا بنشوتـــه	وخـــلِّ ساقيــه مفتونـــا بدنيـــاه

وهذه الأبيات تذكرنا بخمرية ابن الفارض الرمزية ، التى يقول فيها :

شربنــا على ذكــر الحبــيب مُدامــةً	سَكِرنا بها .. من قبل أن يُخلق الكرْمُ

وهو ـ أى الدكتور حسن جاد ، يفرِّق ما بين خمر الدنيا المذمومة ، التى يشربها الآثمون ، وخمر الأرواح ، التى ينتشى بها العابدون ، فيقول مستطرداً :

للــروح خمــر ، وللأجســام خمــرتها	شتان بينهمــا .. والكــل قد تاهــوا
فخمـــرة الفـــم كم تهوى بشاربها	إلى حضيض من الأرجــاس مهـــواه
وخمرة الــروح كم يرْقَــى بذائقهـــا	شوق ، إلى سِدْرَةِ الــرحمن مَرْقـــاه

وكيف لا ؟ وقد وصف لنا هذه الخمر ، من قبل ، ابن العارض بقوله عنها ، إنها :

صفـــاءٌ ولا ماءٌ ، ولُطْـــف ولا هَوَا	ونـــور ولا نار ، وروح ولا جسم
ولطــف الأوانى فى الحقيقــة نابـــع	لِلُطْف المعــانى ، والمعــانى بها تنمــو

وقول حسن جاد :

ومَـــنْ يَمُت بفنــاء القُــرْب يحيــا به	فموته ـ عن حظوظ النفس ـ : مَحْياه

إلى أن ينتهى إلى هذه النجوى الرائعة :

إنْ يكـــن لِىَ من جاهٍ ليلحقنـــى	بالســالــكين ، ففــى حبـــى لهم جاه
أو كان لى من ذنـــوبى ما أنـــوءُ به	فرُبَّ ذنبٍ .. كريم الصفــح غطَّـــاه

والبيت الأول ، يذكرنا بقول الشافعى ـ رضى الله عنه :

أحب الصالحين ، ولست منهم	وأرجـــو أن أنـــال بهم شفاعـــة

ويختتم حسن جاد أبياته العامرة ، بقوله :

وَمْض من الشعلــة الــكبرى تضىء به	نفسى ، وتعرج روحـــى فوق مَرقـــاه
ونفحة من عبير القُـــدس ، تنفحنـــى	فأنْتشـــى ، وأنـــا .. بالعْطـــر تيَّـــاه
يارب بابك حِصْن ، من يلـــــوذ به	ينجو ، وتُؤْمَـــنُ فى الدارَيْـــن عقبـــاه

ويقرع الشعرُ الشعرَ فتسمو عبقرية حسن جاد حين يتحدث عن شاعر الإسلام (محمد إقبال)، فى مهرجان إقبال، الذى أقيم فى (بنى غازى) ١٩٧٣، بمناسبة مرور مائة عام على مولد إقبال، يقول:

شاقه الخُلْد: رونقا وجلالا   وشجاه: خمائلا وظلالا
تطَّبيه رُبَا الفراديس أيكاً   عبقرى الرُّؤى: سَناً وجمالا
يُطْلق الروح فى سماه، فتطوى   فى مداها: الآبال والآزالا

ثم يتحدث عن فلسفة إقبال (الذاتية)، بقوله:

فاز مَنْ واجَه الحياة قويا   لا يبالى الصِّعابَ والأهوالا
فتخطَّ العِقابَ واقْتحم الصعب   وحقِّق لذاتك استقبالا
قوة الذات للجماعة درع   تتحامى به، ويَقْوى صيالا
إنها قوة الكِيان وليس الضَّعف إلا .. تَفَتُّتاً وانخذالا

ثم يترجم قولا مشهوراً لإقبال، فى البيت التالى:

قُوَّةُ الماء ماسَةٌ حين تقوى   فَدِع الضَّعفَ واطَّرِحْ الأشكالا

فعلى الرغم من أنِ (إقبال) قد درس حضارة الغرب فى عقر دارها أثناء حياته الخصبة، وإقامته ببعض الدول الغربية السنين الطوال، أثناء عهد طلب العلم بها، إلا أنه من النادرين الذين لم يعبدوا الغرب ويلوثوا بعبادته أوطانهم فنبذ حضارته وكشف زيفها وقد تبينت له سلبياتها وزيغها وماديتها، بالقياس إلى حضارة الإسلام الأصيلة، وسماحته الخَيِّرة المؤمنة.

ومن ثم يقول د. حسن جاد، مُناجيا (إقبال):

شاعر الشرق، كم تغنَّيْتَ بالشرق، وباهيْتَ باسْمِهِ مُختالا
لا ترى فى حضارة الغرب إلا   خُلْبا، فضلَّتْ: تمزُّقا وانحلالا
أصبحتْ من ضراوة العلم غابا   وغَدَتْ من شعاره .. أذغالا
وإذا العلم كان سيف غرور   حوَّل الأرض كلها أطلالا

وكذلك كانت قبلتنا: هروشيما ونجازاكى

وكذلك ينعى ما انتهت إليه الحضارة، من استعمار واستلاب لحقوق الشعوب، فيقول:

ومتى كانت الحضارة غَدْرا؟   وانتهابا وخُدعة واحتيالا؟!
واعتداءً على الشعوب وبطشا   وانتهاكا لحقِّها، واغتيالا ..

وهذا كله يُؤذن بسقوط الحضارة الغربية وأفول نجمها ، كما تنبأ بذلك (اشبنجلر)[1] وتشف شاعرية د . حسن جاد وترف ، فى أبياته التى اتخذ لها عنوان : (حنين قلب) ، إذ يقول :

صَبـــاحين هَبَّتْ صبـــا يثْـــرب — فحَـــنَّ إلى البلـــــد الطـــيِّب
فيـــا مَنْ قصـــدت إلى أرضهـــا — وفُــــزْتَ بما رُمْـــتَ من مأرب
مَشُوقٌ يصفِّـــق بين الضلـــوع — هيامـــا .. إلى المورد الأعـــذب
بربك قبِّـــلْ ثرى طاهـــرا — تعَّطــــر من خطـــوات النبــــى
وقُـــلْ يامحمـــد نفحـــة سُقْيـــا — لظمـــآن يهفـــو .. إلى المشرب

والبيت قبل الأخير ـ يذكرنا بتهدُّجات الشاعر الراحل محمد فضل إسماعيل ، رحمه الله ، التى ترنم بها المنشدون فى أواخر أيامه والتى يقول فى بعضها :

جاءنـــا القـــرآن يطـــرى أحْمَـــدا — بالتجلِّـــى فى ثنـــاء عَطِـــر

ياشفيـــع الخلْـــق إنْ جئنـــا غدا — مالنـــا فِعْـــلٌ حميـــد الأثَـــر
صلـــــوات الله ما طير شدَا — أو تغَنَّـــى بلبـــلٌ فى السَّحَـــر
صلـــــوات الله ما طير سدَا — أو تَغَنَّـــى بلبـــلٌ فى السَّحَـــر
هل لعينـــى ، ياحبيبـــى ، أن ترى — نُورَ (طـــه) .. قبـــل فوْت الأجَلِ
واضعـــاً خدِّى على ذاك الثرى — مُمْعِنـــاً فى تُرْبِـــهِ .. بالقُبَـــلِ

وحينما كان مبعوثا للرياض ، وزار نجدا ، قال فيها د . حسن جاد ما يُعُد ذخيرة جديدة ، لما قيل فى نجد من روائع القصائد :

تلك الريـــاض وهـــذه نجْـــدُ : — الشعـــر والتـــاريخ والمجْـــدُ
ماضى العروبـــة فى مفاخرهـــا — وعلى رُباهـــا رَفْـــرَفَ الخُلْـــد
وأرومـــة الفصحـــى ، وقـــد درجت — فى حجرهـــا ، وصفـــا لها الـــوِرْدُ
شبَّ البيـــانُ العبقـــرىُّ بها — فِرَعْتـــه ـ وهـــى لعبْقـــرِ .. مَهْـــد
وعلى ثراهـــا من مشارعـــه — هَطَـــلَ الحيـــا ، وتفجَّـــر الصلـــد
كم أطْلَـــعتْ من شاعـــر ، هتـــفت — بقصيـــــده : الآرام والأُسْدُ

ومن طرائف شعره الذى ارْتجله فى تقديم (مهرجان الربيع) الذى أقامته كلية اللغة العربية ١٩٧٩ م ، وتولى د . حسن جاد تقديم الشعراء بأبيات من الشعر ، ذكر فيه اسم الشاعر ، ومزاياه .. فقال فى تقديم الشاعر : إبراهيم عيسى ، مثلا :

سماء المهرجـــــــان صفَتْ وراقتْ وأطْلــعتْ الكـــواكب والشمـــوسا
وأيك الشعـــــر صدَّاح تُغَنِّــــــى بلا بلــــــه ، فتستهوى النفـــوسا
فيـا عُرس الربيـع جَلَــوْت حتـــى جعـلت الكـون أجْمعــه : عروسا
يغـــرد فيـــه شادٍ عبقـــرى وهـل هو .. غير : (إبــراهيم عيسى) ؟

وقال فى تقديم الشاعر الدكتور مختار الوكيل ، رحمه الله :

أديبٌ شاعـــــر فذُ أصيــــل له فى فنّـــه باعٌ طويــــــل
إذا غنـــىً .. أجابتْــه الـــروابى وصفـق وِرْدُهـا وصَبَـا الخميـــل
قد اختـــار البيـــانَ له وكيـــلا لدينـا .. وهْـوَ : (مختـاز الوكيـل)

وبتقديم الشاعر محمود شاور ربيع ، رحمه الله ، قال :

ولستُ أرى الربيــــع سوى حكيم نُرجِّـى عنـده المَثَـل الرفيعـــا
تجلى فيـــه صُنْــع الله حتـــى تعـــالى صانعـــا وسما صنيعـــا
فخُــذْ عنـــه العطـــاء بلا حدود وعانِقْـه : تجِـدْ حصنـــا منيعـــا
ويامـــن أرْهَقتْــه خُطــى الليـــالى ورام مشورة .. (شاوِرْ ربيعـــا)

وقدَّم الشاعر (إبراهيم صبرى) ، بقوله :

سألت الـــطير لما يمِـــلَ صبرى وضاق من الهمـــوم الكُثْـــر صدرى
أعنـــدك أيها الشادى نشيـــد يخفــف أو يُعَـــزى أو يُسَرِّى
فقـــال : إذا فقـــدت الصبر يومـــا فرِدِّدْ شعـــرَ (إبـــــراهيم صبرى)

وقال فى تقديم الشاعرة الكبيرة عليَّة الجعار :

حلِّقـــى فى سمائك العُلْويـــة واصدحـــى فى رحابـــه الروحيـــة
وتحـــدِّى فى الحـــبِّ دنياكـــى واسـقينا شـــراب المحبـــة الفارضـيِّـــة
يا ابنـــة الحـــب أنـــت رابعـــة العصـــر وإن كنـــت فى الهـــوى مصـريـــة
إن هـــذ الربيـــع تسـبيحـــة لأمجـــاد ذاتـــه القدسيـــة
فتغنَّـــى به وأعـــذب لحـــن فى الهـــوى ما شِـــدْتِ يا صـــوفيـــة
أشـــهدينا ســـنا الجمـــال وَأذْكـــى بالمواجيـــد شـــوْقَنا يا (عليَّـــة)

وبعد أن طال بنا نفس القول ، نعود فى العدد القادم بإذن الله ــ تعالى ــ لنقدم ختام الحديث عن فقيدنا الدكتور حسن جاد ، وعن ترشيحه لعمادة الأدب العربى .

لم يبق فى الروح ما يغرى بتغريد

إلى أستاذى الراحل الدكتور الشاعر حسن جاد مع كل الألم والحزن والشعور الأسيف

للأستاذ الدكتور
سعد ظلام

لم يبق فى الروح ما يغرى بتغريد ... إلاَّ بقايا البقايا من أغار يِد
نامت على كبدى الحرّى .. موزَّعةً ... كأنها فى محيطاتٍ من البيد
يلفّها الصمتُ .. والآلام تعصفها ... عصفَ الأعاصير .. فى عسفٍ وتهديد
قد شفّها الحزنُ فارتاعت بَواسِقُها ... واستسلمت لِخريفٍ .. من مناكيد
لا الحسن فيما أراه فى الرؤى حسن ... ولا سفائنُهُ أرست على الجودى
شيخى .. وكل خطوبٍ هان موقِعُها ... إلا مُصَابى فيكم غير محدود
قد لَفّنى ما يلفُّ النفس من غسَقٍ ... لمّا تراع بتصويبٍ .. وتسديد
إذا تراءى بأبياتى دُجىً ولظًى ... فالسهم فى القلب .. والنيران فى العود
وإن بدتْ فى ثيابِ القهر راسفةً ... ففقدُها العيدَ خلاَّها من العيد
خُطى المنايا لأطيارى مُفزّعَةً ... تسير نحوى بأقدام رعاديد
وتخطف الصادح العملاق من غدِنا ... وكان منجمه مهد المواليد
ياللوداع .. وما أقسى تحمّله ... والنّفس من أسره فى قيد مفقود
هذا النّدِىّ .. ولكن أين شاعره ؟ ... وكان زهرته فى كل تغريد

وأين ياشيخنا شعر توقّعه ... كالبحترىّ بوشىٍ غير مقصودِ
نرى على وقعه الشادى خواطرَنا ... مصوّراتٍ لحالٍ غير مسعود
وأين .. أين شداة الشعر قد رحلوا ؟ ... وخلّفوه بأيدٍ .. كالرّدى سُود
قد ألبسوه لباساً غير ملبسه ... وبعثروه على إيقاع عربيد
قد كنت يا « حسن » يا « جاد » مِزْهَرَهُ ... والفنّ بعض التزامات الأماجيد
وللفنون كما للنّاسِ آصرةٌ ... بكلِّ أصلٍ ثرىٍّ بالتقاليد
يا قيّمَ الشعر هذى الضاد ملعبها ... خاوٍ .. وليس به إطلالة الجيد
فأين لمسةُ راعيه وحارسِه ؟ ... وأين للشعر منه صولةُ الجُود ؟
وأين كل جديدٍ من قريضكمُ ؟ ... قد كان نُجزى فى فنّى وعنقودى
أصبو إليه وأُسقَى من مناهله ... فناً شهىَّ الرؤى .. حُلوَ الأناشيد
ياما شدونا وكان الشعر أغْصُنَنَا ... فى دوحة « الضّاد » .. معسول العَناقيد
نذودُ كلّ دَعِىٍّ عن أصالتنا ... شلّت يداه على غىٍّ .. وتفنيد
نبوح بالشعر .. نغنى فى تذكُّرهِ ... بَوحَ العصافير فى نجوى التحاميد
وذكريات لنا مازلت أحفظها ... كالغيد فى العيد ، أو كالعيد فى الغيد
ياأيها الراحل الغالى .. على كبدى ... سلبتَ عذب أحاسيسى وتنضيدى
قد كنتُ من شعركم فى محفِلٍ عجَبٍ ... ومهرجانٍ من الإفصاح مشهود
يهزّنى حرفُك الفنّان .. مُقتبَساً ... من مهجة الحسن والوجدان مولود
وتستهيمُ ثريّاتى بِعَالَمِهِ ... وتشرئبُّ لأيْقاع الأغاريد
ورنّةُ اللحن فى القيثار أسمعها ... فتشرق الروح فى ترنيمة العود
ما كنت أحسبنى أحيا إلى زمن ... أنعى بناةَ القوافى فى أناشيدى
ومن أكون ؟ وما شعرى ؟ وما نغمى ؟ ... إلا احتشادةُ معمود لمعمود
إن أجفلوا .. أو تراخوْا فى وفائهم ... فلم أزل من وفائى فى مقاييدى
يأيها الشاعر المزجى يراعَته ... نحو السماء خيالًا غير مكدود
مازال فنك فينا .. وهو مؤتلق ... فى رونق الحسن مخضلّ الأماليد
كلى اليراعة فى أبياته سكنت ... واستوثقت بأصالاتٍ .. وتجديد
لولا التحيّز .. قلت : الشعر شعركم ... هذا الجمال به ضخم الأسانيد
ورعشة الواهب الفنّان نلمسها ... فى كلّ فنٍّ بتاج الحسن معقودِ
يدٌ صناعٌ .. وروح جدّ ملهمةٍ ... ولفظها البكر فى نظمٍ .. وتقصيد
«أبو الشمقمق» «ديك الجنّ» «أخطلهم» ... بكل ما أبدعوا .. حتى التجاعيد
صوّرتهم أُطُراً شعريّةً عَذُبت ... وأنت منهم بيان الألْسُن الصيّد

قدّمت فيهم فريقــــاً .. لم يزل غردا
منه الضحايا .. وصرعى كل تغريـد

جَسَّدت فى صُوَرٍ غُرٍّ مُنَضَدَة
بعضَ الشخوص رماها الحظّ فى البيد

أضْحَكتَنـــا ثم أبكانـــا تخيلهـــا
فكـــنتَ ناقِدَنـــا فى كل منقـــود

فأيـن يا شيخـى الأشعـارُ مطهمـة
كالخيلِ فى الركض ، أو كالسيف فى الجيد

رحـلتَ عنـا .. ولكـن لا يودّعنـا
خفـق الكمـان .. ولا نبض المواجيـد

وبوحــة النــاى نامت فوق مزهرهـا
لحناً سبوحا .. بتوقيـع .. وتنضيـدى

قد كنت متطومــةً للفـن مُزهـــرة
ما بين شعرٍ .. وتلـحين .. وتجويـد

وكـــنتَ فى روضة الآداب باسقــــةً
من الـــنّشاط بتـــزهير وتوريـــد

أنجبتَ فى درسكَ اللجـىّ ملحمـــةً
من الأئمـــةِ غُرًّا .. والصناديـــد

وكلُّهـــم فى سماءِ الضاد أجنحـــةٌ
تعلـــو بإسهامهـــا فى كلِّ موجـــود

ما أغرب الفـنَّ والفنّـان فى بلـدى
وفى جوانحه أصحـــاب أخـــدود

تَدُعُّـــــهُ عن سماه كلُّ نَاعِبَـــةٍ
فتلتقـــى فيـــه إحساسات مجلـــود

لكـم أسِفتُ لهذى الحال .. وأسفـى
وكم رثـيت لموهـــوب .. ومجهـــود

هى الحيـــاة ، وكم ضاقت بموهبـــةٍ
وطـــوقت بالسنـــا هام المطاريـــد

لم يأت فذٌّ من الأفـــذاذ مثلكـــم
بمثـــل ما جئتُـــم .. إلّا به عُودى

قد حطّمــوه أحـــاسيساً وأجنحـــةٍ
وحـــاصروه بمفئـــودٍ ومَـــوْءُودِ

وخرَّجوا وربَــه إفكـــاً .. ومنـــقصة
ما بين حمقٍ وإيـــلام وتنكيـــد

حتـــى إذا ما ثَوى هَامُـــوا بسيرتِـــه
وأمطـــروه بإطـــراءِ وتمجيـــد

لو كنت يا شيخنـــا فى غير شاطئنـــا
لَأتْرَعُـــوك بأضواء وقِنديـــلِ

وأطلقـــوا نجمك الـــلألاءَ مفخـــرةً
فى كل محفلـــةٍ مهريّـــةٍ .. قودِ

لكــــنَّ شاطـئَك الموعـــودَ شاطِئُنـــا
فكـــنتَ فيـــه غِنيًّـــا بالمواعيـــد

بكـــيتُ فيك أبـــاً لا ينتهى أبـــدًاَ
عطاؤه العـــذب .. باقِ غيْـــر محدود

إلى اللقـــاء غدا فى ظل مغفـــرةٍ
وفى نعيم .. وفى خلـــدٍ .. وتخليـــد

« الإسرائيليات فى التفسير والحديث » لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد السيد حسين الذهبى ــ رحمه الله ــ من أحدث ما نشرت سلسلة التراث بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، ومن عمل مطابعه التى تقوم بطباعة المصحف الشريف .

والأستاذ الباحث واحد من كبار العلماء الأجلاء وعضو مجمع البحوث الإسلامية ، تولى منصب وزير الأوقاف ردحاً من الزمن ، رفع خلالها أسلوب الدعوة ، ورفع من شأن رجالها . حتى اغتالته يد آثمة ، وهو يتبوأ تلك المناصب الرفيعة ــ رحمه الله ــ ونفع المسلمين بعلمه .

ولنبق مع الكتاب :

فالكتاب من القطع المتوسط ويقع فى ست وسبعين ومائتى صفحة مقسم إلى ثلاثة فصول ومقدمة .. ولقد قدم له فضيلة الأستاذ الجليل وكيل الأزهر بعبارات رشيقة موجزة على أنه نبراس يميز بين الحق والباطل ، وعين واعية متبصرة تنقى تراثنا الإسلامى مما دُسَّ فيه من خرافات وأباطيل ، وذلك بتوجيه كريم من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

وتتركز مقدمة الباحث على أن تفسير القرآن الكريم والسنة الشريفة لم يسلما من عبث العابثين ، فالتبس الصحيح بالعليل بدوافع مُبيَّتة ، سيئة الهدف ، وشارك المسلمون أنفسهم فى هذا العمل بحسن نية أو عن جهالة أو غفلة أو سذاجة . لكن الله ـ جلت قدرته ـ قيد صفوة من الأعلام لكشف هذا العبث ، فالكتب السماوية المنزلة كلها تدعو إلى الإيمان بالله والعمل بما جاء بها ، إذ العقيدة واحدة فى كل الأديان مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾

[الشورى : ١٢] .

والقرآن الكريم يجدد الدعوة إلى أصول العقيدة والشريعة بعدما تطرق التبديل والتحريف إلى الكتب السماوية السابقة .. إذ كتب له الخلود والصحة من رب العزة :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت : ٤١ ، ٤٢]

وقال عز من قائل :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾

[الحجر : ٩] .

فالقرآن مهيمن على ماعداه من الكتب السماوية بالتصديق والتصحيح لما فيها من الجانب العقائدى ويتعداه إلى الجانب التشريعى لتصحيح ما تم تحريفه أو تبديله .. وكفى به شاهداً ودليلًا .

والفصل الأول من البحث يدور حول معنى الإسرائيليات التى مفردها : إسرائيلية وهى المقولة التى تنسب إلى مصدر إسرائيلى أو يهودى ، ومثلهم أعداء الإسلام الذين يكيدون له بأساليب ماكرة على شكل روايات أو قصص تجذب الأسماع لتشويه العقيدة وتعاليم الإسلام ، ولقد تسربت هذه الإسرائيليات فى عصور ما قبل الإسلام حين اختلطت الثقافة اليهودية بالثقافة العربية ، وأثَّرت فيها ، ثم بعد ظهور الإسلام ازداد تسربها إلى كل الميادين ـ بما فيها علما : التفسير والحديث ـ بما حملته تلك الروايات والقصص من انبهار السابقين بها رغم ما تحمله من أكاذيب وخرافات وتُرَّهات ، وساعد على ذلك عدم تدوين التفسير والحديث فى عصر ظهور الإسلام ، فاختلط الصحيح بالعليل وكثر الوضع وفشا الكذب خاصة عند من لم يهتم بالأسانيد ، ولم يتحرَّ الدقة ومن أغرم بالقصص والروايات .

ولقد انتقد ابن خلدون ـ رحمه الله ، فى مقدمته ـ العرب الذين لم يكونوا أهل علم ولا ثقافة ؛ فكانوا يسألون أهل الكتاب قبلهم ويستفيدون من علمهم ، فجمعوا منهم الغث

والسمين والمقبول والمردود فى كتب التفسير والحديث دون تدقيق أو احتياط عن جهل أو غفلة أو سذاجة .

واليهود من أشد الناس عدواة وكرهاً للمسلمين فحاكوا الروايات والقصص الطريفة التى تنطلى على البسطاء والعامة ونسبوها لآل البيت والتابعين ، بل تجرأ البعض منهم إلى نسبتها إلى رسول الله ﷺ - فانتشرت تلك الإسرائيليات وشوهت وجه ديننا الحنيف بما حوته من خيالات مضللة وأباطيل . كما جاء فى تفسير القرطبى بالجزء الخامس عشر ص ٢٩٤ من أن حملة العرش أرجلهم فى الأرض ورؤوسهم تخرق العرش . وما رواه كعب الأحبار مما لا يجمل نقله . وذلك لإضعاف ثقة المسلمين بمقدساتهم وتدينهم .

أما الفصل الثانى : فقد قسم الإسرائيليات إلى صحيح وضعيف .

فالصحيح كما أخرج ابن كثير فى تفسيره حين قال عن صفة رسول الله ﷺ : إنه موصوف فى التوارة كصفته فى القرآن الكريم : « يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا ، وحرزاً للأميين ... أنت عبدى ورسولى ، اسمك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولن يقبضه الله حتى يقيم ، الملة العوجاء وبأن تقول لا إله إلا الله ، ويفتح الله به قلوباً غلفاً ، وآذاناً صمّا ، وأعينا عميا .

قال عطاء : ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك فلم يختلف حرفاً إلا أنه قال بلغته : (قلوبا غلوفيا وآذانا صموميا ، وأعينا عموميا) .

ورواه البخارى - فى صحيحه فى كتاب البيوع وزاد عليه بأنه : ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزى السيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح .. كما جاء فى تفسير ابن كثير ص ٢٥٣ جـ ١ .

أما الضعيف فهو كما جاء فى شرح سورة (ق) فى ذات الكتاب ص ٢٢١ جـ ٢ من أن (ق) اسم لجبل شاهق صفته كذا وكذا .

أمام هذه الحقائق وجب على المسلمين أن يتقبلوا ما يتفق وشريعتهم ويرفضوا ما يخالفها .. ولقد كان بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - أمثال أبى هريرة وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهم - يسألون أهل الكتاب عما فى كتبهم بمنهج دقيق فيما ينقلون ؛ أما تابعوهم من أمثال (كعب الأحبار) و (وهب بن منبه) اللذين دخلا الإسلام بعد اليهودية - فقد نسب إليها بعض الإسرائيليات ، لذا كان على المسلمين التحرى عن كل ما ينقل عنهم بدقة وروية ، دون اتهام فى ذمتهم - وكذلك الحال مع أتباعهم وأتباع أتباعهم ، فهؤلاء لهم مكانتهم فى الدين ويحتمل أن يكون ما نسب إليهم قد دُسَّ عليهم زوراً وبهتانا .

أما كيف تسللت هذه الإسرائيليات إلى كتب التفسير والحديث ؛ فمنها ما تسرب مسندا إلى راويها ، ومنها ما روى بنقد وتجريح ، ومنها ما ورد عن جهل أو غفلة أو سذاجة أو بقصد سيء ، ومنها ما ورد نتيجة لانزلاق أو تَرَدٍّ دون تحفظ .

فمما ورد مسندا إلى رواية ما جاء بتفسير الطبرى فى شرح قصة سفينة نوح - عليه

السلام ـ فقال إنها بطول ألف ومائتى ذراع وعرض ستمائة ذراع وكانت ثلاثة طوابق الأول للدواب والثانى للبشر وثالثة للطير . فلما وقع الفأر بحبل السفينة (يقرضه) . أوحى الله إلى نوح أن اضرب بين عينى الأسد فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر .. إلخ .

وهى أباطيل يردها الشرع ولا يقبلها عقل .. لكن (ابن جرير الطبرى) اكتفى بذكر أسانيدها .. بمبدأ : العهدة على الراوى .

ثم جاء فى تفسيره للآية السابقة من سورة مريم أن جبرائيل نادى زكريا : ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيًّا ﴾

فلما سمع النداء جاءه الشيطان فقال إن الصوت الذى سمعت ليس من الله وإنما من الشيطان يسخر بك ، ولو كان من الله أوحاه إليك ـ كما يوحى إليك .

فشك وقال : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ ﴾ .

ولا يخفى أن ذلك باطل ولا أصل له ؛ لأنه لا يجوز أن يشك نبى فيما أوحى إليه . وكيف يكون للشيطان سلطان على قلب نبى ؟

أما تفسير (ابن كثير) فهو يروى الإسرائيليات ولكنه يعقب عليها لبيان ما فيها من بطلان . إذ كان ـ رحمه الله ـ مؤرخاً يغلب على تفسيره الجانب الإخبارى . ولكن ملكة المحدث جعلته يتوخى فى تفسيره الصحيح ويكشف فيه عن مواطن الضعف وما يروى فيه من فساد وزيف الإسرائيليات المدسوسة .

فإذا ما تتبعنا (ابن كثير) فى تفسيره نجده ينبه إلى الإسرائيليات التى أباح الرسول ﷺ التحديث بها .

ففى قصة (البقرة) يقص قصة طويلة غريبة ، ثم يعلق عليها بأنها من كتب بنى إسرائيل .

وفى تفسيره للآية ١٠٢ من سورة (البقرة) يورد قصصاً غريبة ، لكنه ينسبها إلى أخبار بنى إسرائيل ثم ينكرها بدقة وبراعة .

وفى تفسيرة للآية ٢٢ من سورة (المائدة) ، نراه يذكر بعض ما روى على أنه كذب خارج عن الشرع .

فابن كثير يعرض عن القصص الإسرائيلى ، ويرى أن الإمساك عن ذكره خير من روايته ـ غير أنه ذكر بعض هذه الروايات فى تفسيره ، ولكنه خير من قرأنا له من حيث تفنيده للإسرائيليات إلا فى النادر القليل .

أما كتب التفسير التى حوت إسرائيليات دون نقد أو تعقيب فهى كتب (مقاتل بن سليمان بن بشير الخراسانى) المتوفى سنة ١٥٠هـ . وقد جاء فى تفسيره بعض ما دس على الإسلام من أباطيل دون أن يفندها أو حتى يسنده ؛ ومثله تفسير الثعلبى الذى تحتفظ مكتبة الأزهر بمخطوطة كاملة منه فهو يشمل خرافات وأباطيل دون تعقيب ببيان ما فيها من كذب أو اختلاق ـ رغم قسوتها وعدم موافقتها للشرع ـ وقصصه الإسرائيلية مكشوفة ومفضوحة كقصة (أهل الكهف) و (ذئب يوسف) ففيهما غث كثير .

أما تفسير الألوسى فقد حذر من تصديق الإسرائيليات وسخر منها ـ حيث كان لا يقبلها ولا يرضى بالسكوت عنها ؛ لأنها فى رأيه من صنع زنادقة أهل الكتاب .

وهناك بعض كتب التفسير التى حملت على من أغرم بالاسرائيليات فعابوهم ثم تورطوا فيما حذروا منه كتفسير السيد (محمد رشيد رضا) فى (المنار) فقد عاب على من رووا منها ، ولقد كان يقارن بعض ما يذكر منها بما فى التوراة المتداولة دليلًا على افترائها وكأن هذه التوراة هى الأصل المعتمد الذى تقاس عليه الروايات متناسياً أنها قد حرِّفت وبُدِّلت والاحتكام إليها غير صحيح .

ومن عجب أنه يرى أن بعض نصوص التوارة تصلح تفسيراً لبعض نصوص القرآن كما جاء فى تفسير الآية (١٣٣) من سورة الأعراف :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ .... ﴾الآية حين ساق ما جاء فى شأن الطوفان فى الفصل التاسع من سفر الخروج . وفيه من الأخبار الإسرائيلية مالا يقوم على دليل صحيح من القرآن والسنة (تفسير المنار جـ ٩ ص٩٠) .

ومن عجب أنهُ رد عن غفلةٍ بعض الأحاديث الشريفة بزعم أنها من قبيل الإسرائيليات ؛ بل إنه رمى صحابة رسول الله ﷺ بالغفلة عندما تعرض لحديث شريف مرفوع فى الصحيحين كما جاء فى تفسيره بالجزء التاسع ص ٣٧٣ .

ويختتم الباحث ـ رحمه الله ـ بحثه بتنبيه المفسرين باليقظة والدقة فى التحرى والنقل الصحيح السليم والإعراض عن مالا يجزم بصحته لحماية كتاب الله ـ عز وجل ـ من كل لغو . وعلى العلماء أن يلتزموا بذلك ، وأن يصنِّفوا كتب التفسير والحديث لانتقاء الصالح منها وإجازته ، وإعادة طبع كتب الصحاح من الأحاديث مع حل مشكلات الأحاديث التى بها غرابة .

ولقد اهتم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بطبع مصادر السنة ؛ والأمل فى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر أن يحرر كتب التفسير مما لحق بها من مرويات إسرائيلية ـ مهما كلف ذلك من جهد ومن مال بإعادة طبع هذه التفاسير القديمة اعتماداً على أساتذته وعلمائه ومتخصصيه ـ ليبقى الأزهر الشريف قبلة للعلم ومناراً للإسلام .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وعلى أصحابه وأتباعه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

بين المجلة والقارئ

تقديم الأستاذ عادل رفاعى خفاجة

شيوخ الأزهر

بنى الجامع الأزهر فى عهد (المعز لدين الله) الفاطمى وأقيمت أول جمعة فيه فى السابع من رمضان عام واحد وستين وثلاثمائة ٣٦١ هـ ، ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم ـ وإلى ما شاء الله ـ يفد طلاب العلم ـ من كل أنحاء العالم ـ ينهلون من معين مورده .

والأزهر قلعة صامدة تكافح وتنافح عن الإسلام والمسلمين وتصد الغزو الفكرى ، وتدفع كيد الظالمين والمعتدين .

ولشيوخ الأزهر دورهم البارز ، فى مقاومة العدوان : ما كان منه عسكرياً كالحملة الفرنسية .. وغيرها ، وما كان فكريا يهدف إلى إلقاء البلدان الإسلامية فى أتون فكر سافل من غثاء البشر وزعزعة إيمان البلدان الإسلامية وإبعادها عن دورها الريادى .

وشيخ الأزهر .. هو شيخ العلماء كافة وإمامهم الأكبر .

وأول من تولى هذا المنصب هو الشيخ محمد عبد الله الخراشى ثم توالى بعد ذلك واحد وأربعون شيخاً .. آخرهم فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق .

رحمه الله ـ تعالى ـ وأسكنه فسيح جناته .

● الشيح/ فراج حسن فراج ـ المدرس الأول بمعهد الشربينى الابتدائى الأزهرى بالزقازيق .

● الشيـــخ : رمضان إبــراهيم الأقــرع ـ إمام بطنطا .

نشكر لكما حسن ظنكما وندعو الله العظيم أن يتقبل طيب دعائكما ، ويشملنا جميعاً بلطفه ورحمته إنه قريب مجيب .

طلبتم سيادتكم أن توافيكم المجلة بذكر أسماء أصحاب الفضيلة العلمـاء الذيـن تولـوا مشيخة الجامع الأزهر وإعداد دراسة مستفيضة عنهم تخرج ضمن هدايا مجلة الأزهر .

ونحن لا يسعنا إلا أن نقدم هذا البيان المختصر آملين ان يكون كافيا ، حتى نتمكن من إعداد دراسة وافية وتسمح الظروف بنشرها .

وهم :

١ ـ الامام : محمد بن عبدالله الخراشى .
٢ ـ الامام : ابراهيم بن محمد البرماوى .
٣ ـ الشيخ : محمد النشرتى .
٤ ـ الامام : عبدالباقى القلينى .
٥ ـ الشيخ : محمد شنن .
٦ ـ الشيخ : ابراهيم بن موسى الفيومى .
٧ ـ الامام : عبـدالله بن محمـد بن عامر الشبراوى .
٨ ـ الشيخ : محمد بن سالم الحفنى .
٩ ـ الشيـــخ : عبدالــرءوف بن محمـــد السجينى .
١٠ ـ الشيخ : أحمد بن عبدالمنعم بن صيام الدمنهورى .
١١ ـ الامام : أحمد بن موسى العروسى .
١٢ ـ الشيخ : عبدالله الشرقاوى .
١٣ ـ الامـام : محمـد بن على بن منصور الشنوانى .
١٤ ـ الامام : محمد بن احمد بن موسى بن داود العروسى .
١٥ ـ الامـام : أحمد زيــن على بن احمد الدمهوجى .
١٦ ـ الشيخ : حسن بن محمد بن العطار .
١٧ ـ الامام : حسن بن درويش القويسنى .
١٨ ـ الشيـــخ : أحمد بن عبـــدالجواد السفطى .
١٩ ـ الشيخ : ابراهيم بن محمـد بن أحمد الباجورى .
٢٠ ـ الشيخ : مصطفى بن محمد بن أحمد ابن موسى بن داود العروسى .
٢١ ـ الشيـخ : محمـد المهـدى العبــاسى الحنفى .
٢٢ ـ الشيخ : شمس الدين محمد بن محمد ابن حسين الانبابى .
٢٣ ـ الشيخ : حسونة بن عبدالله النواوى .
٢٤ ـ الشيخ : عبدالرحمن القطب النواوى .
٢٥ ـ الشيخ : سليم بن أبى فراج البشرى .
٢٦ ـ الامام : على بن محمد الببلاوى .
٢٧ ـ الامام : عبدالرحمن بن محمد بن أحمد الشربينى .
٢٨ ـ الشيخ : محمد ابو الفضل الجيزاوى .
٢٩ ـ الشيخ : محمد بن مصطفى بن محمد المراغى .
٣٠ ـ الشيـخ : محمـد الأحمدى ابــراهيم الظواهرى .

٣١ ـ الشيخ : محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالرازق .

٣٢ ـ الشيخ : محمد مأمون الشناوى .

٣٣ ـ الشيخ : عبدالمجيد سليم .

٣٤ ـ الشيخ : إبراهيم حمروش .

٣٥ ـ الشيخ : محمد الخضر حسين .

٣٦ ـ الشيخ : عبدالرحمن تاج .

٣٧ ـ الشيخ : محمود شلتوت .

٣٨ ـ الشيخ : حسن مصطفى مأمون .

٣٩ ـ الامام الدكتور : محمد محمد الفحام .

٤٠ ـ الامام الدكتور : عبدالحليم محمود .

٤١ ـ الامام الأكبر الدكتور : محمد عبد الرحمن بيصار .

٤٢ ـ الامام الأكبر الشيخ : جاد الحق على جاد الحق .

فضل لا إله إلا الله

وعن فضل «لا إله إلا الله» وردت رسالة القارئة أم هاشم حسين يوسف على تقول :

روى مسلم وأحمد عن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ قال قال رسول الله ﷺ : «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة» .

وروى الحاكم وابن حبان عن أبى سعيد الخدرى ، أن النبى ﷺ قال : «قال موسى يارب علمنى شيئاً أذكرك وأدعوك به قال : قل لا إله إلا الله ، قال : يارب ، كلُّ عبادك يقولون هذا ، قال : قل لا إله إلا الله ، قال لا إله إلا أنت يارب ، إنما أريد شيئاً تخُصُّنى به ، قال : ياموسى ، لو أن السموات السبع وعامرهن ـ غيرى ـ والأرضين السبع فى كفة ، ولا إله إلا الله فى كفةٍ مالت بهم «لا إله إلا الله» .

وروى الإمام أحمد فى مسنده والطبرانى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « جددوا إيمانكم . قالوا : يارسول الله وكيف نجدد إيماننا ؟ قال : أكثروا من قول : لا إله إلا الله .

حسن الخلق

كما وردت إلينا رسالة القارئة : رجاء محمد الأسعد السروان ـ سوهاج ـ جرجا ـ ش مستشفى الحميات .

وهى بحق ـ رسالة جيدة ، بداية من حسن الخط التى كتبت به الرسالة ، وتسلسل أفكارها ثم ذكر المراجع التى اعتمدت عليها فى مقالها .

تقول :

الخلق هيئة راسخة فى النفس ، تصدر منها الأفعال الإرادية الاختيارية من حَسنَةٍ وسيئةٍ ، وجميلة وقبيحة .

فإذا ما رُبِّيت هذه الهيئة على إيثار الفضيلة والحق ، وحب المعروف ، والرغبة فى الخير ، وروِّضت على حب الجميل ، وكراهية القبيح ، وأصبح ذلك طبعاً لها ، تصدر عنه الأفعال الجميلة بسهولة ، ودون تكلف قيل فيه : خُلُقٌ حسن .

ومن هنا نوَّه الإسلام بالخلق الحسن ، ودعا إلى تربيته فى المسلمين ، وتنميته فى نفوسهم ، وأثنى الله ـ تعالى ـ على نبيه ﷺ بحسن خلقه ، فقال :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

القلم ـ ٤

وأمر بمحاسن الأخلاق فقال :

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

فصلت ـ ٣٤

وَبُعِثَ رسول الله ﷺ لإتمام حسن الخلق فقال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » رواه البخارى .

وبيَّن ﷺ فضل حسن الخُلق فقال :

« ما من شىء فى الميزان أثقل من حسن الخلق » رواه أحمد وأبو داود .

وقال الحسن البصرى فى بيان حسن الخلق : حسن الخلق : بسط الوجه ، وبذل الندى ، وكف الأذى .

وقال عبد الله بن المبارك : حسن الخلق فى ثلاث خصال : اجتناب المحارم ، وطلب الحلال ، والتوسعة على العيال .

وقال السلف الصالح : علامة حُسن الخلق : أن يكون كثير الحياء قليل الأذى ، صدوق اللسان ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل الزلل ، براً ، وَصُولاً صبوراً ، شكوراً رضياً ، حليما ، يحب فى الله ويبغض فى الله ، ويرضى فى الله ويسخط فى الله .

الإسلام يحارب التسول

وردت رسالة القارىء حبيش حسن حسين ـ طنا ـ ببا ـ بنى سويف

وقد حملت الرسالة نموذجاً لخطبة الجمعة ، اعتمدت على ثلاثة عناصر هامة هى :

ـ الإسلام دين الكرامة والعفاف .

ـ شرف العمل فى الإسلام .

ـ لمن تحل المسألة ؟

ويتميز ذلك النموذج الهادف بسهولة العبارات ، وتقديم الاستشهادات اللازمة وفيما يلى نقدم شطراً من هذه الرسالة :

الإسلام دين يوضح أن التسول وسؤال الناس لغير حاجة ضرورية من المحرمات ، والأدلة على ذلك عديدة وكثيرة منها حديث رسول الله ﷺ : « إن المسألة لا تحل إلا لثلاث : لذى فقر مدقع ـ أى شديد ـ ولذى غُرم مفظع ـ أى دَيْنٌ كبير ـ ولذى دم موجع ـ أى لدفع الدية » رواه أبو داوود والبيهقى .

وقول الرسول ﷺ : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول » أخرجه البخارى ومسلم .

ولقد حث الإسلام على العمل ، مهما كانت نوعية ذلك العمل ، لحديث رسول الله ﷺ الذى رواه الإمامان البخارى ومسلم :

« لأن يأخذ أحدكم حَبْلَهُ ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » .

وقوله ﷺ :

« من فتح على نفسه بابا من المسألة فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر » أخرجه الترمذى .

وقوله ﷺ :

« لا تزال المسألة بالعبد حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم » أخرجه البخارى .

مالك بن نبى

القارىء : طه حامد إسماعيل أفندى ـ قلما ـ قليوب أرسل إلينا هذا التعريف للأستاذ الجزائرى «مالك بن نبى» يقول :

مالك بن نبى مفكر جزائرى تخصصت كتاباته فى دراسة مشاكل العالم الإسلامى ـ وبخاصة ـ الاستعمار والقابلية للاستعمار ، واشتهر عنه قوله : إنه لكى لا نكون مستعمرين ، يجب ـ أولاً ـ ألا نكون قابلين للاستعمار .

وقد اقترح فكرة (كومنولث) إسلامى لحل مشاكل المسلمين ، ومن أشهر أقواله :

إن إرادة الشعوب طاقة كامنة لا يمكن أن يقاومها أى سد مهما كان متينا منيعاً محكما .

ولهذا الأستاذ الكبير مؤلفات عديدة .

رحم الله هذا العالم الإسلامى الجزائرى على ما قدم .

من ابداعات القراء

القـــــرآن

ياسر أنور محمد ـ حلوان .

يأيها القـــرآن يانـــور الهدى ... اقــرأ علــىَّ فلــن أمَــلَّ مذاقــا
فالنَّفْسُ تسبــحُ فى الفصاحــةِ ترتــوى ... والقـــلبُ يخشع باكيـــا رقراقـــا
فإذا أردت العلـــم كان معلمـــا ... وإذا أردت النـــفس كان رفاقـــا
وإذا أردت الديـــن كان مهذبـــا ... يسقــى الهدى ويصوغهـــا أخلاقـــا
خلـــق عظيم واستقامــــة منهج ... تعنــو الوجــوه لشرعـــه إشفاقـــا
يآيـــة القـــرآن رفقـــا إننـــى ... قلبــى أسيــفٌ قد بكـــى إشفاقـــا
أتلـــو فأسمع كلَّ شىءٍ باكيـــا ... والدمــع يـــدو سائـــلا رقراقـــا
أدركت معنـــى من جديـــد معجـــزا ... عذبـــا طريفـــا مبدعـــا ألاقـــا
حسبى خلود الذكـر فى دنيا الـــورى ... يتلى دوامـــا .. من تراه أعاقـــا ؟

ردود وتعليقات

● **القارىء : سلامة محمود إبراهيم مخلوف ـ الوادى الجديد .**

● **القارىء : عماد عبد العال ـ مدرس العلوم البيولوجية ـ أبو تيج .**

رسائلكما الخاصة بـ «هلال شوال» ، و«العيد» وصلت بعد صدور عدد شوال ، مما فوَّت المناسبة الخاصة بها . رجاء ملاحظة ذلك مستقبلاً .

● **القارىء : م . ع أويش الحجر ـ المنصورة .**

وصلتنا رسالتك بعنوان «الشرك الخفى» رجاء ذكر المراجع التى اعتمدت عليها وبخاصة أحاديث الرسول ﷺ فلابد أن تذكر مرجعها .

● **القارىء : عبد الناصر عبد ربه محمد ـ قنا ـ الدير الشرق .**

تم تحويل سؤالك إلى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف أما بخصوص الأعداد السابقة من مجلة الأزهر التى طلبتها ، فقد نفدت ، ونأسف لعدم التمكن من تلبية طلبكم .

● **القارى : عماد ميزار عبد العظيم ـ الفيوم ـ قرية الأعلام .**

وصلتنا رسائلك الثمانية ، ويمكنك مستقبلاً إرسال مثل هذه المساهمات فى مظروف واحد .

● **القارىء : حمادة محمد كمال عطية .**

مرحباً بكم صديقاً للمجلة .. ويسعدنا أن نتلقى مساهماتك .

● **القارىء : أسامة على محمد حماد ـ الأسكندرية .**

النموذج الذى أرسلته جيد ، ويظهر فيه جهد واضح ، ولكنه لا يتفق مع خطة المجلة .

● **القارىء أحمد محمود الطباخ ـ أبو حمص ـ بحيرة .**

مقترحاتكم البناءة جميعها تحت الدراسة ، ونرجو أن تراها تحققت قريباً .

● **القارىء : ربيع عبد الرؤوف الزواوى إمام وخطيب مسجد السلف الصالح ـ الهانوفيل الأسكندرية .**

تهتم إدارة المجلة بتخريج الأحاديث النبوية ، وكثيراً ، تُحجب موضوعات جيدة عن النشر ، لعَدم تخريج الأحاديث الواردة بها .

أما اقتراحكم : « تكوين لجنة من المجلة لتحقيق ما ينشر بها من أحاديث ، فهو اقتراح طيب نرجو أن يتحقق قريبا .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يستقبل السفير القطرى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر (السيد / مانع عبد الهادى الهاجرى) سفير دولة قطر بالقاهرة ، وذلك بمكتب فضيلته صباح يوم الأحد الموافق ١٥ رمضان ١٤١٦ هـ ـ ٤ فبراير ١٩٩٦ م .

تناول اللقاء بحث دعم أوجه التعاون بين الأزهر الشريف ودولة قطر ، وقد سلم السفير لفضيلة الإمام الأكبر رسالة خطية من معالى الشيخ عبد الله بن خالد آل ثانى وزير الأوقاف القطرى ، تتعلق بطلب إيفاد بعض علماء الأزهر الشريف لدولة قطر للمشاركة فى لجان تحكيم مسابقة القرآن الكريم ، والتى تقيمها سنويا دولة قطر .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بمشاركة الأزهر الشريف فى هذه المسابقة ، مؤكدا استعداد الأزهر لتقديم أى عون أو مساعدة فى هذا المجال .

وفى نهاية اللقاء أعرب سفير دولة قطر عن سعادته لموافقة الأزهر على المشاركة فى المسابقة ، حيث قدم لفضيلة الإمام شكر بلاده حكومة وشعبا على ما يقدمه الأزهر الشريف لدولة قطر من خدمات جليلة .

الإمام الأكبر يستقبل سفير باكستان بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ظهر يوم الأحد ١٥ رمضان ١٤١٦ هـ ـ ٤ فبراير ١٩٩٦ م السيد / منصور علم سفير باكستان فى القاهرة .

تناول اللقاء إبلاغ فضيلة الإمام الأكبر تحيات وتهنئة رئيس وحكومة وشعب باكستان بتمام شفائه.

كذلك تناول اللقاء بحث الزيارة المرتقبة التى من المقرر أن يقوم بها فضيلة الإمام الأكبر لباكستان ، وقد أعرب الضيف عن سعادته البالغة بهذه الزيارة ، مؤكداً على أن هذه الزيارة سيكون لها الاثر الطيب فى قلوب الشعب الباكستانى الشقيق .

تم فى هذا اللقاء بحث أوجه التعاون بين الأزهر الشريف ودولة باكستان فى شتى المجالات الثقافية والدينية ، وما يقدمه الأزهر من خدمات جليلة للإسلام والمسلمين على مستوى العالم انطلاقا من ريادته فى حمل لواء الدعوة الإسلامية ونور المعرفة الإنسانية . وقد حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير تحياته وشكره لرئيس دولة باكستان والسيدة رئيس الوزراء وحكومة وشعب باكستان الشقيق .

الإمام الأكبر يستقبل سفير جمهورية الجزائر بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر صباح يوم السبت الموافق ٢١ رمضان ١٤١٦ هـ ـ ١٠ فبراير ١٩٩٦ م السيد الدكتور / شريف مصطفى سفير جمهورية الجزائر بالقاهرة والوفد المرافق لسيادته .

فى بداية اللقاء نقل السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر تحيات وتهنئة رئيس جمهورية الجزائر وحكومة وشعب الجزائر لفضيلته بتمام الشفاء ، وحلول شهر رمضان المبارك .

وقد تناول اللقاء بحث سبل التعاون المشترك بين الأزهر الشريف وجمهورية الجزائر فى شتى المجالات الثقافية والدينية ، حيث قدم السيد السفير شكر بلاده للأزهر الشريف على خدماته للإسلام والمسلمين فى بقاع الأرض ، تأكيداً لريادته فى حمل لواء الدعوة الإسلامية .

وقد حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير تحياته وشكره للرئيس الجزائرى ، وحكومة وشعب الجزائر الشقيق .

الإمام الأكبر يستقبل وفد رجال الكنسية الأرثوذكسية بمصر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبة صباح يوم السبت ٥ شوال ١٤١٦ هـ ـ ٢٤ / ٢ / ١٩٩٦ وفد رجال الكنيسة الأرثوذكية برئاسة الأنبا موسى اسقف الشباب ، والأنبا يؤانس الأسقف العام والوفد المرافق لهما نيابة عن البابا شنودة الثالث ، وذلك لتقديم التهانى بمناسبة عيد الفطر المبارك .

وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف عن شكره للوفد ، وحملهم تحياته للبابا شنودة والأخوة المسيحيين ، داعيا الله سبحانه وتعالى أن ينعم على مصرنا الحبيبة بالخير واليمن والبركات ، وأن يحفظها من كل مكروه وسوء .

الإمام الأكبر يستقبل سفير قازاخستان بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ظهر يوم الأحد ٦ شوال ١٤١٦ هـ ـ ٢٥ فبراير ١٩٩٦ م (السيد / بولاتخان تيجان) سفير جمهورية قازاخستان بالقاهرة .

فى بداية اللقاء قدم السيد السفير التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمناسبة عيد الفطر المبارك ، ثم تم بحث أوجه التعاون بين الأزهر الشريف وقازاخستان فى مختلف النواحى الثقافية والعلمية والدينية ، وخاصة تعليم اللغة العربية لأبناء قازاخستان حتى يتمكنوا من مواصلة الدراسة بالأزهر الشريف للالتحاق بجامعته العريقة . كذلك تم بحث زيادة علماء الأزهر الشريف الموفدين ضمن بعثته لقازاخستان ، وامكانية زيادة المنح الدراسية لأبناء قازاخستان للدراسة بالأزهر ، وإمكانية إنشاء معهد أزهرى فى قازاخستان على نفقة الأزهر وتحت إشرافه ، لتعليم ابناء قازاخستان اللغة العربية ، وإمداد المدارس هناك بالمناهج وخطط الدراسة المطبقة بالأزهر ، حتى تتمكن المدارس هناك من معادلة شهاداتها وفق مناهج الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يستقبل وفد جامعة دمشق

استقبل فضيلة الإمام الأكبر ظهر يوم الإثنين ٧ شوال ١٤١٦ هـ ـ ٢٦ فبراير ١٩٩٦ م وفد جامعة دمشق برئاسة الدكتور / موفق السيد حسن والوفد المرافق لسيادته .

تم خلاله اللقاء دراسة مشروع إتفاق تعاون مشترك بين جامعة الأزهر وجامعة دمشق فى مختلف التخصصات العلمية والثقافية والدينية ، وقد تم عرض ما تم إنجازه فى هذا المشروع بمعرفة المتخصصين فى الجامعتين على فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف .

أشاد رئيس وفد جامعة دمشق بالدور الفعال الذى يقوم به الأزهر الشريف على مستوى العالم بصفة عامة ، والعالمين العربى والإسلامى بصفة خاصة .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر الجهد المبذول فى الاتفاقية المعروضة ، مؤكدا على أن سيكون لها الأثر الطيب والنفع العظيم للجانبين .

شهد اللقاء الأستاذ الدكتور حسين توفيق عويضة نائب رئيس جامعة الأزهر والأستاذ الدكتور عمر الأحمدى عميد كلية الصيدلة بالجامعة .

الإمام الأكبر يستقبل وفد رجال القضاء الفلبينى

التقى فضيلة الإمام الأكبر يوم الأربعاء الموافق ٩ شوال ١٤١٦ هـ - ٢٨ فبراير ١٩٩٦ م بوفد رجال القضاء الفلبينى برئاسة السيد / شريف زين جالى .

فى بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام بالسادة الضيوف ، وتحدث إليهم عن مصر ، والأزهر الشريف ، ونشأة القضاء فى الإسلام منذ عهد الرسول الكريم ﷺ ، والخلفاء الراشدين ، وتطور نظم القضاء حتى وقتنا هذا وفى إطار الشريعة الإسلامية الغراء المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

وتحدث فضيلته حديثا علميا عن منزلة الفتوى فى الإسلام ، وكيفية أدائها ، وأثار الكثير من التراث الإسلامى الذى ضم بين دفتيه روائع أعمال القضاة ، وحرصهم على بث العدل بين الناس واستقبال المتقاضين بالبشر والتسوية بينهم ، وإزالة اضطرابهم دون الميل لأحدهم .

فى نهاية اللقاء قدم الوفد لفضيلة الإمام الأكبر وللأزهر الشريف شكره على دوره البارز فى مجال الدعوة الإسلامية ، وما يقدمه للمسلمين على مستوى العالم وبوجه خاص للاقليات الإسلامية .

الإمام الأكبر يستقبل نائب رئيس مجلس الإنقاذ الوطنى بالنيجر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر (السيد ممادوميجا) نائب رئيس مجلس الانقاذ الوطنى لدولة النيجر وذلك بمكتب فضيلته صباح يوم الأحد ١٣ شوال ١٤١٦ هـ - ٣ مارس ١٩٩٦ م .

فى بداية اللقاء قدم الضيف والوفد المرافق له جزيل الشكر ، وعظيم الامتنان لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الاشريف على الدور الذى يقوم به الأزهر الشريف فى دعم الاشعاع الحضارى والثقافى والدينى فى إفريقيا عامة ودولة النيجر بوجه خاص ، مشيراً إلى تلقى عدد كبير من الشخصيات التى تتولى العديد من المناصب القيادية فى النيجر تعليمها فى الأزهر الشريف .

وناشد الضيف فضيلة الإمام الأكبر مزيدا من التعاون ، استمراراً لدور الأزهر الشريف ودعمه المستمر للمسلمين فى شتى انحاء العالم .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة دعم البعثة الأزهرية ، والمنح الدراسية المخصصة لدولة النيجر .

الإمام الأكبر يستقبل السيد سفير السنغال بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم الأحد الموافق ١٣ شوال ١٤١٦ هـ ـ ٣ مارس ١٩٩٦ م السيد / محمد شمس الدين سفير السنغال بالقاهرة .

فى بداية اللقاء نقل السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر تحيات وشكر السيد الرئيس عبده ضيوف رئيس دولة السنغال وتهنئته بحلول عيد الفطر المبارك ، مشيراً إلى الدور البارز الذى تقوم به بعثة الأزهر الشريف هناك فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية .

كذلك تناول اللقاء استكمال بحث ودراسة مشروع إنشاء جامعة إسلامية بالسنغال . كما تم بحث قبول عضوية السنغال بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والاغاثة .

وفى نهاية اللقاء حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير تحياته وشكره للرئيس عبده ضيوف والحكومة وشعب السنغال متمنيا له دوام التقدم والرقى .

الإمام الأكبر يشهد حفل تخرج أطباء الأزهر

شهد فضيلة الإمام الأكبر يوم الثلاثاء الموافق ٨ شوال ١٤١٦ هـ ـ ٢٧ فبراير ١٩٩٦ م حفل تخريج دفعتى عام ٩٤ ، ١٩٩٥ من كلية الطب / جامعة الأزهر الشريف ، وقد قام فضيلته بتوزيع شهادات التخرج والجوائز على أوائل الخريجين .

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر كلمة إلى الخريجين ، طالبهم فيها بأن يكونوا قدوة لإخوانهم ، وأن يرعوا الله فى تعاملهم مع المرضى والمواطنين وإبداء النصح لهم بوسيلة العلاج والشفاء من الله ـ تعالى .

كذلك حثهم فضيلته على الجد ، والاجتهاد والاخلاص ، والمحافظة على أمانة المهنة ، حتى يلحقوا بركب التقدم العلمى ، وأن يتواضعوا لله ـ تعالى ـ حتى يزيدهم علما فالعلم بحر لا ضفاف له ، والدولة لن تألو جهداً فى تقديم امكانياتها العلمية لهم .

شهد الحفل الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر والسادة نواب رئيس الجامعة . كما شهده الأستاذ الدكتور عميد كلية الطب جامعة الأزهر ووكيل الكلية والأستاذ الدكتور مدير عام المستشفيات ولفيف من أساتذة الطب بالجامعة .

الإمام الأكبر يكرم حفظة القرآن الكريم من طلاب المعاهد الأزهرية

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بتوزيع الجوائز على أوائل مسابقة حفظ وتجويد وتفسير القرآن الكريم من طلبة وطالبات الأزهر الشريف ، وذلك فى حفل كبير أقيم بمجمع المعاهد الأزهرية النموذجى بمدينة نصر .

شملت المسابقة طلبة وطالبات المعاهد الأزهرية بمراحلها الثلاث الابتدائية والاعدادية والثانوية على مستوى الجمهورية .

شهد حفل التكريم فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف ، وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية الشيخ محمد بشير .

الإمام الأكبر يستقبل مستشرقة ألمانية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ظهر يوم الأحد ٢٠ شوال ١٤١٦ هـ ـ ١٠ مارس ١٩٩٦ م السيدة آناماريا شيميل المستشرقة الألمانية التى زارت مصر فى الآونة الأخيرة .

تناول اللقاء ترحيب الأزهر الشريف بسيادتها وتقديره لجهودها وكتاباتها ، وتصديها من خلال أعمالها ومؤلفاتها للدفاع عن الإسلام ومبادئه السمحة ، وتوضيح صورته النقية أمام الغرب عامة ، والألمان خاصة .

وقد أوضحت سيادتها أن الغرب مازال يسىء فهم الدين الإسلامى ، حيث يشعر أبناؤه بالحزن من صور التطرف والتعصب والحوادث التى يقرءونها ويشاهدونها من خلال وسائل الإعلام المختلفة ، وتقول : إنها تعمل جاهدة لتصحيح هذه المفاهيم عن الإسلام .

وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر أن حوادث التطرف والارهاب التى يضخمونها فى الغرب وإن كانت تعبر عن صور إجرامية ، فإنه ليس لها علاقة بالإسلام وسماحته ويسره ، كما أن مثل هذه الأعمال تقع فى كل مكان بالعالم .

كذلك أوضح فضيلته أن الإسلام دين سماحة ويسر ، يقر العلاقات الإنسانية ، وينشر دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة .

وقد أهدى فضيلة الإمام الأكبر لسيادتها مكتبة إسلامية بعد أن قدم لها نبذة عن الأزهر الشريف ونشأته ، ودوره فى العالم ، وعلاقته بمختلف البقاع ، وذلك من خلال علمائه ، والكتب التى ينشرها ، والندوات والمؤتمرات التى يعقدها ، والمنح الدراسية التى يقدمها لأبناء وشعوب العالم الإسلامى .

المصحف الشريف هدية الأزهر الشريف فى رمضان المعظم

بتوجيه من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف قامت الادارة العامة للشئون الفنية بمكتب فضيلته بإمداد المساجد ، ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم والهيئات والمصالح والشركات التابعة لمختلف الوزرات ، وكذلك المجالس الشعبية المحلية ، ومراكز الشباب والأندية بمختلف محافظات مصر بمصحف الأزهر الشريف بمختلف أحجامه ، ومجموعات الكتب الدينية والثقافية الصادرة عن مجمع البحوث الإسلامية واللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف .

كذلك تمت الاستجابة للطلبات المقدمة من بعض الإدارات التعليمية والمناطق الأزهرية ومختلف المدارس والمعاهد والجامعات بوزارة التربية والتعليم والأزهر الشريف وإمدادها بالمصاحف والكتب دعما لمكتبات تلك الجهات مساهمة من الأزهر الشريف فى تبصير الشباب والطلاب بأمور دينهم الحنيف ومواصلة لدوره فى تثقيف أبناء مصرنا الحبيبة ، وذلك بمناسبة شهر رمضان المعظم . أعاده الله على الأمة الإسلامية بالخير واليمن والبركات إنه سميع قريب مجيب الدعاء .

فضيلة وكيل الأزهر الشريف يستقبل وفْد الكنائس العالمى

استقبل فضيلة الشيخ أحمد عطا سعود وكيل الأزهر الشريف نيابة عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهـر الشريـف بمكتبـه صبـاح يوم الثلاثـاء ٢٤ رمضان ١٤١٦ هـ ـ ١٣ فبراير ١٩٩٦ م وفـد الكنـائس العـالمى برئـاسة الـقس الدكتـور / كونـراد ريـزر الأمين العـام لمجلس الكنائس ، يرافقه القس الدكتور صموائيل حبيب رئيس الطائفة الإنجيلية بمصر ، والدكتور رياض جرجـور الأمين العـام لمجلس كنـائس الشرق الأوسط وبعض القيادات الكنسية .

فى بداية اللقاء رحب فضيلة وكيل الأزهر بالوفد وأطلعه على نشأة الأزهر الشريف وجامعته العريقة ورسالته عبر تاريخه الطويل الذى يربو على أكثر من ألف عام ، ليمثل بذلك أقدم جامعة على مستوى العالم .

وقد أكد فضيلته أن جامعة الأزهر الشريف تنهج نفس نهج الأزهر فى التعاون العلمى مع مختلف جامعات العالم فى أوروبا وأمريكا وغيرها من الدول .

وقد عبر الوفد عن شكره وامتنانه لفضيلة الإمام الأكبر وفضيلة وكيل الأزهـر ومختلـف قيادات الأزهر لإتاحة هذه الفرصة للزيـارة ، حيث حمل الضيف والوفد المرافق له فضيلة وكيل الأزهر إبلاغ تحياته والوفد لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف .

كما أعرب عن شكره وامتنانه لما يقوم به الأزهر الشريف من تعاون مع مختلف الجامعات فى أوروبا وأمريكا ، مؤكداً على أن الجامعات فى أوروبا وأمريكا مدينة بعلمها وكثير من معارفها للأزهر الشريف التى نُقلتها عنه .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدي عبد الحميد بشير

قمة صانعي السلام

أدانت قمة صانعى السلام مختلف أعمال الإرهاب بجميع أشكالها النكراء مهما كانت دوافعها وأيا كان مرتكبوها .

وأكد الرئيس مبارك أن مستقبل الشرق الأوسط مرهون بتحقيق السلام الشامل والعادل .

وقد أصدرت القمة البيان التالى :

ـ دعم الاتفاقيات الإسرائيلية الفلسطينية واستمرار عملية المفاوضات وتدعيمها سياسيا واقتصاديا ، وتعزيز الوضع الأمنى للطرفين مع توجيه اهتمام خاص للاحتياجات الاقتصادية الحالية والقادمة للفلسطينيين .

ـ دعم استمرار المفاوضات من أجل تحقيق تسوية شاملة .

ـ العمل سويا لتعزيز الأمن والاستقرار فى المنطقة لتطوير إجراءات فعالة وعملية للتعاون ومزيد من المساعدات ..

ـ دعم وتنسيق الجهود لوقف أعمال الإرهاب على المستويات الثنائية والإقليمية والدولية لضمان مثول مرتكبى هذه الأعمال أمام العدالة ومساندة جهود كافة الأطراف للحيلولة دون استغلال أراضيهم للأغراض الإرهابية ، ومنع المنظمات الإرهابية من ضم أعضاء إلى صفوفها وتدبير السلاح والحصول على التمويل .

– بذل أقصى الجهد لتحديد مصادر تمويل الجماعات الإرهابية والتعاون على وقف ضخها وتوفير التدريب والمعدات وأشكال الدعم الأخرى للأطراف التى تتخذ خطوات ضد الجماعات التى تستخدم العنف والإرهاب لتهديد السلام والأمن والاستقرار .

– تشكيل مجموعة عمل مفتوحة لكافة المشاركين فى القمة لإعداد توصيات حول أفضل الأساليب لتنفيذ فقرات البيان من خلال الجهود القائمة وتقديم تقرير للمشاركين فى القمة خلال ثلاثين يوما .

فلسطين المحتلة

شددت إسرائيل الحصار البحرى والطوق الأمنى المفروض على قطاع غزة والضفة الغربية وذكرت مصادر فلسطينية أن البحرية الإسرائيلية أطلقت النار على مجموعة من الصيادين الفلسطينيين واحتجزت عدداً من قوارب الصيد تطبيقاً للحظر الذى فرضته يوم الجمعة ١٨ شوال ١٩٩٦/٣/٨ على عمليات صيد الأسماك فى شواطىء غزة بحجة منع الفدائيين الفلسطينيين من القيام بعمليات انتحارية والهروب عن طريق البحر .

أنقـــرة

ناقش البرلمان التركى بيان الحكومة الجديدة تمهيداً لإجراء اقتراع الثقة عليها يوم الثلاثاء ٢٢ شوال ، وصرح رئيس حزب الوطن الأم ورئيس الوزراء التركى الجديد بأن حكومته حددت الخصخصه ومكافحة الإرهاب فى الداخل كأهم نقاط لبرنامجها ، إلى جانب تحسين العلاقات مع الدول العربية والإسلامية المجاورة والمعروف أن تأييد الأحزاب اليسارية أمر ضرورى للحكومة نظراً لأن عدد أعضائها المؤتلفين مع حزب الطريق القويم لا يكفى للفوز بالثقة . وينهى الائتلاف أزمة سياسية دامت ثلاثة أشهر بعد فوز حزب الرفاه الإسلامى وهو فوز لم يمكنه من تحقيق أغلبية لتشكيل حكومة بمفرده .

بـــيروت

أكد وزير الدفاع اللبنانى أن لبنان وسوريا متمسكتان بحقوقهما مهما اشتدت عليهما الضغوط ، وفى كلمة ألقاها قال : إن التنسيق بين البلدين الشقيقين مستمر ، وتساءل الوزير قائلا : من هو الإرهابى ؟! هل هو الذى يحمل بندقيته لتحرير أرضه أم الذى يحتل تلك الأرض ..؟ كما دعا وزير المغتربين اللبنانيين إلى تحديد معنى الإرهاب مؤكداً أن الإرهابى الحقيقى هو المحتل وأن المناضل من له هدف لتحرير أرضه .

هذا وتواصل إسرائيل بشكل يومى قصفها المستمر بالمدفعية الثقيلة وغارات طائراتها على مختلف مناطق جنوب لبنان ، مما يؤدى إلى وقوع أضرار مادية جسيمة ظلّ العالم إزاءها ساكناً .

دمشق

دعت سوريا كلا من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا إلى استئناف مؤتمر مدريد للسلام .

جاء ذلك فى رسالة سلمها وزير الخارجية السورى لسفير موسكو وواشنطن فى دمشق . أعرب فيها عن قلق بلاده إزاء المخاطر التى تتعرض لها مسيرة السلام حالياً .

وأكدت سوريا لراغبى السلام فى الشرق الأوسط التزامها بالعملية السلمية . والجدير بالذكر أن المفاوضات السورية الإسرائيلية فى (ولاية ميرى لاند) بأمريكا قد توقفت بعد انسحاب الوفد الإسرائيلى عائداً إلى تل أبيب للمشاركة فى الحداد على قتلى العمليات الانتحارية الخمس والتى تمت فى الذكرى الثانية لمذبحة الحرم الإبراهيمى بالخليل حين قام مستوطن يهودى بقتل عشرات المصلين وهم سجود فى صلاة فجر جمعة منتصف رمضان قبل الماضى .

جروزنى

تستمر الاشتباكات فى العاصمة الشيشانية جروزنى بين المقاتلين الشيشان والقوات الحكومية الموالية لروسيا . واعترف متحدث باسم الحكومة الشيشانية بأن عدداً غير معروف من المقاتلين الشيشان مازال يسيطر على عدد من النقاط (الاستراتيجية) بالمدينة ، وفى قرية بغرب جروزنى منعت القوات الشيوعية منظمات الإغاثة الإنسانية من دخول القرية فى الوقت الذى ذكرته شهود عيان أن جثث ضحايا المعارك مازالت متناثرة فى الشوارع ومن ناحية أخرى انتهت بسلام عملية اختطاف الطائرة التى قام بها مواطن من أصل شيشانى استسلم للسلطات الألمانية ، ونفى عن نفسه تهمة الإرهاب وقال : إنه قام باختطاف الطائرة للفت أنظار العالم إلى قضية بلاده ، وشد انتباهها إلى ما ترتكبه القوات الروسية من فظائع ومجازر فى الشيشان .

باريس

أكد الكاتب والباحث الفرنسى « لسيونبيترلان » رئيس جمعية التضامن العربى الفرنسى أن القصف العنيف للطيران الحربى الإسرائيلى لبيروت عام ١٩٨٢ – والذى صاحب الغزو الإسرائيلى للبنان وأدى إلى قتل وإصابة وتمزيق أشلاء مئات المدنيين الأبرياء – قد حفر بصماته فى ذاكرة الأجيال القادمة وقال : لقد كنا شهود عيان على هذه الأعمال الوحشية ، وأوضح أن غارات الانتقام الإسرائيلية توالت على لبنان ، ولاسيما جنوبه حتى الآن ولم نر رؤساء الدول الغربية يجتمعون لوضع حد لهذه الأعمال البربرية برغم سقوط آلاف الشهداء العرب الذين ضحوا بأرواحهم دفاعاً عن ذلك البلد الوديع المسالم .

nier dit: "Comment commettrais - je une injustice pareille, alors que j'ai entendu le Prophète (b.s.) dire: celui qui prendra injustement un empan de terre, Allah l'encerclera, le Jour Dernier, des sept terres." Puis Saïd invoqua son Seigneur et dit: "Seigneur si tu sais qu'elle a menti aveugle-la et fais que sa tombe soit dans son puits." Rapporté par Al-Bokhary.

Les jours s'écoulèrent et la femme perdit la vue un jour alors qu'elle tatonnait à travers sa maison, ses pieds la conduisirent vers le puits où elle trouva la mort; c'est ainsi que les invocations de Saïd furent exaucées. Les habitants de Médine propagèrent l'histoire, si bien qu'elle devint un proverbe et une invocation. Les gens disent: "Qu'Allah l'aveugle comme il a aveuglé 'Orwa".

Puis vint l'heure du départ de cet homme pieux dont beaucoup d'hommes ont méconnu la vie et le mérite. Un nombre d'historiens ont omis de mentionner son nom. Saïd mourut après avoir dépassé les 70 ans. Ibn Omar et Sa'ad Ibn Abou Waqas se chargèrent de procéder à la lotion funèbre et de l'ensevelir dans son linceul. Il fut enterré à Al Baki' à côté des premiers alliés et émigrés Musulmans.

Saïd Ibn Zaïd Ibn Nofaïl

Le monothéiste, fils du monothéiste

par Hoda Hussein Chaâraoui

(Suite)

— 2 —

Saïd émigra à Médine et fut l'un des dix promus pour le Paradis. Saïd assista à tous les combats avec le Prophète (b.s.) à l'exception de l'expédition de Badr; car le Prophète (b.s.) l'avait envoyé avec Talha Ibn Obaïdallah pour espionner la caravane de Koraïch arrivant d'Al-Cham. A leur retour ils éprouvèrent de la peine d'avoir manqué ce combat aux côtés du Messager d'Allah (b.s.) et des Musulmans. Mais le Messager d'Allah (b.s.) les rassura en leur garantissant qu'ils auraient une récompense pareille à celle des combattants et il leur donna leur part du butin.

Puis vint l'expédition d'Ohod où se révéla la bravoure de Saïd. Il vécut à Médine adorant Allah avec les adorateurs et luttant pour Sa cause avec les croyants. Le matin, il était le chevalier vaillant et, le soir, l'humble moine. Même après la mort du Prophète (b.s.) il assista à l'expédition d'Al-Yarmok et à l'état de siège de Damas. Saïd n'aspira jamais au pouvoir ni n'accéda à aucune responsabilité de gouvernement, ni fut nommé collecteur de la Zakat. Il passa sa vie à réciter le Coran durant le jour et pendant la nuit, si bien que le Seigneur le combla de Ses bénédictions et exauça ses prières.

Puis vint un temps où les émigrés et les alliés moururent l'un après l'autre et Marawân Ibn al Hakam fut nommé gouverneur de Médine durant le califat de Mou'awiya Ibn Abou Sufyane. On raconte qu'une femme nommée 'Orwa bent Owaïs accusa Saïd auprès de Marawân de s'être emparé de force de sa terre. Lorsque Marawân appela Saïd, ce der-

8 — Chasser le gibier (à l'exception des bêtes nuisibles). Mais la pêche est autorisée.

9 — Couper ou déraciner des arbres ou des plantes du Territoire Sacré (Al Haram).

10 — Commettre des actes de violence, se quereller ou entrer en litige avec quelqu'un.

V. Les Rites prescrits pour le Hadj.

Voici les six piliers fondamentaux du Hadj :

1 — La sacralisation avec la formulation de l'intention "Al Ihram".

2 — La présence à Arafat le 9 du mois de Dhul Hiddja durant une partie de la journée et une partie de la nuit.

3 — L'arrêt durant au moins une partie de la nuit (jusqu'après minuit) du 10 Dhul-Hiddja à Muzdalifa.

4 — Le jet des "Jamarates" (cailloux) ou lapidation de Satan dans l'ordre prescrit.

5 — Le séjour à Mina durant les nuit du 11-12 et 13 Dhul-Hiddja. On peut toutefois passer deux nuits seulement.

6 — Accomplir le "Tawaf Al Ifada" qui est un des piliers fondamentaux du Hadj.

7 — Se couper ou se raser les cheveux eu signe de désacralisation.

Enfin, avant son départ de la Mecque, le pèlerin doit accomplir la tournée processionnelle d'adieu autour de la Ka'ba ou "Tawaf Al Wida'".

Rokeya Gabr

d'Al-Tarwiya) il se remet en état d'Ihram (sans se rendre au Miqâte) à partir de son lieu de séjour et accomplit tous les rites du Hadj.

III. Al Ihram ou la Sacralisation

En Islam, l'intention ou "Niya" doit précéder l'action et qui est un engagement du Musulman vis-à-vis d'Allah pour exprimer sa foi, sa soumission et son aspiration à obtenir le pardon de son Seigneur.

Après avoir procédé au "Ghusl" on lavage total du corps, le pèlerin quitte ses vêtements pour ne porter (tant qu'il sera en état d'Ihram) que deux pièces d'étoffe blanche sans coutures. La première ou "Izar" entoure la taille comme un pagne et la seconde ou "Rida"' couvre le buste à l'exception de l'épaule droite[1]. Sa tête doit rester découverte et il porte aux pieds des sandales sans coutures. Le pèlerin fait ses ablutions, accomplit une prière de deux "rak'a" et exprime son intention d'accoumplir le Hadj ou la'Omra ou les deux à la fois.

Par son entrée en état de sacralisation, le pèlerin marque sa volonté de purifier son corps et son âme en se débarrassant de toutes les parures de ce monde. C'est l'homme, couvert de son linceul, qui va comparaître devant son Créateur, connu au jour du Jugement Dernier.

IV. Ce qu'il est interdit de faire lorsqu'on est en état d'Ihram

1 — Porter des vêtements cousus, (pour les hommes).
2 — Porter des bijoux (pour les hommes).
3 — Se couvrir la tête (on peut tenir une ombrelle).
4 — Se parfumer.
5 — Se couper un ongle.
6 — Se couper ou faire tomber des cheveux.
7 — Avoir des rapports sexuels.

---

1. Notons qu'en état d'Ihram la femme porte ses vêtements ordinaires en ne découvrant que son visage et ses mains.

2) **Miqât de lieu:** l'endroit à partir duquel le pèlerin entre en état de sacralisation dépend du lieu d'où vient le pèlerin. Ces Miqâts sont:

a - Al Djahfa: pour les pèlerins d'Egypte, de Syrie et d'Afrique du Nord.

b - Dhâtu - 'Irq: pour les pèlerins d'Iraq et de tous les pays de l'Est.

c - Dhoul - Halîfa (Abâr 'Ali) pour les habitants de Médine

d - Yalamlam pour les pèlerins de l'Inde, du Pakistan et du Yémen.

e - Qarn Al Manazil pour les habitants du Koweit et de Nadjd.

Alors que les pèlerins qui empruntent la voie terrestre commencent leur sacralisation à partir de ces lieux, les pèlerins qui se rendent à la Mecque par avion ou par bateau doivent se sacraliser dès leur départ ou, du moins, à la dernière escale de leur voyage. Toutefois, les pèlerins qui se rendent d'abord à Médine pour la visite de la tombe du Prophète Mohammad - b.s. - peuvent se sacraliser avant de quitter cette ville pour se rendre à la Mecque.

II. Les trois modalités du "Hadj"

Le pèlerin peut choisir entre trois formules :

1 — **Al Ifrâde :** lorsqu'on veut accomplir le "Hadj" séparément de la'Omra (effectuée après le Hadj). Dans ce cas le pèlerin se met en état d'Ihram, accomplit Tawaf Al Qudum (ou tournée processionnelle d'arrivée) puis le Sa'y (ou parcours rituel) entre Al Safa et Al Marwa et tous les rites du pèlerinage Ensuite il se resacralise et accomplit la'Omra.

2 — **Al Qirân:** il accomplit conjointement la'Omra et le Hadj en se sacralisant une seule fois pour les deux et en faisant un seul Sa'y et un seul Tawaf.

3 — **Al-Tamattu:** le pèlerin se sacralise au Miqâte avec l'intention d'accomplir la'Omra seule; puis, après la'Omra, il se désacralise et mène une vie normale et, le 8ème-jour de Dhul-Hiddjah. (jour

Ce qu'il faut savoir au sujet du pèlerinage

par Dr. Rokeya GABR

Le grand pèlerinage (Al Hadj) est une obligation rituelle prescrite pour ceux qui sont en mesure de l'accomplir. Toutefois, le Musulman n'est pas tenu d'accomplir ce qui est au-dessus de ses forces ou de ses moyens; aussi celui qui se trouve empêché par la pauvreté, le vieillesse ou la maladie de se rendre en pèlerinage à la Mecque ne commet point de péché.

La condition indispensable dans toute action accomplie par le pèlerin, c'est l'intention ou "niya" qui donne toute leur portée aux différents rites du pèlerinage qui commencent par la formule: "Labbayk Allahumma Labbayk" (Je viens à Toi Ô Allah! Me voici, répondant à Ton appel).

Les différents rites du Hadj sont, successivement:

1 — "Al Ihram" ou la sacralisation
2 — "Al Tawaf" ou tournée processionnelle
3 — "Al Sa'y" ou parcours rituel.
4 — La Station à Arafat.
5 — L'arrêt à Muzdalifa.
6 — Le séjour à Mina: la lapidation de Satan - l'immolation du bétail - Tawaf Al Ifada - la coupe ou le rasage des cheveux.

"Al Ihram"

C'est l'entrée en état de sacralisation en vue d'accomplir le Grand pèlerinage (Al Hadj) ou le petit pèlerinage (Al'Omra)

L'Ihram est soumis à des assignations de temps et de lieu: ce sont les "Miqâts".

1) **Miqât de temps:** le pèlerin ne peut entrer en état d'Ihram pour le Hadj qu'à partir du 1er Chawal (juste après le mois de Ramadan) et jusqu'à l'aube du 10 Dhul-Hiddjah.

REVUE AL AZHAR

Vol. 68 Part XI

Zu-l-Qeeda 1416 H // Mar. / Apr. 1996

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

linguistic meaning or function in a language may have more than one form in another.

V: The reader of the translated version:

Apart from the nature of the text and the attitude of the translator, is the reader himself, his knowledge and response to the different approaches of translators as well as his various attitudes and tastes. In some respects, these factors are parallel to those of the translator which we have been discussing, except for slight differences.

i- As for knowledge, the reader may not understand what he is reading or the circumstances of the revelation of certain verses. This would prevent him from sympathizing or siding with the translators' method of dealing with conjoined structures. In other words, since the reader is unable to grasp the intent of the original text fully, he will not be able to assess the translator's attitude as regards Coordination, nor will he be able to judge the translated version, in consequence.

ii- The order's attitude is also essential. It implies his previous knowledge of what he is going to read, his feeling about it, his opinion about the Qur'an and Islam in general and his grammatical background of which conjunctions, and particularly coordinators, occupy major part in both languages. Bearing in mind all these considerations, the reader can be able to discover the various mismatches of translators and to reject the features which he dislikes in their versions for being strange or odd when transferred into English. Some of these features which entail the use of Coordination, in preference to Subordination, for instance, and the repetition of coordinators for emphasis, may influence the effectiveness of expression and, at the same time, confuse the reader himself.

iii- Finally, the reader's taste is a crucial factor since it determines how a given translation will affect him. If he does not like or sympathize with a certain style, he may not enjoy anything relating to it. Moreover, it is to be noted that what sounds excellent in one language may be silly or dull in another.

This overlapping and wide substitution domain of coordinators in CA and English poses a complex problem for a translator. It makes him believe that it is impossible to transfer the original Qur'anic text, word by word and particle by particle into another language, including all the shades of meanings expressed by the words of the Qur'an. For this reason, Nida (1964:77) suggests that a translator.

Must make certain that in finding a cooresponding term in the receptor language he has represented not only a possible equivalent on some level, but the appropriate equivalent at the right level.

However, even though common coordinators like the/wäw/ and the /fä?/ are the easiest to classify and to understand, yet these coordinators have certain distributional patterns involving other relationships which will be covered in the following point.

IV: Functional relations with their distinctive features:

This is another criterion that determines meaningful relationships of words to one another, where such coordinators may be substituted for subordinators or sentence connectors. Yet it has been found out that substitutions could be grouped into two categories of functional mismatches. One involves simple mismatches or substitutions, more or less retaining the meaning of the original. The other involves more serious mismatches resulting in substantial or total change of meaning. Moreover, it has been realized that translors made certain additions to the original text.

There are also a number of inversions in the translation of the order of lexical items presented in the SL text. Such mismatches as Brown & Yule (1983:91) state, result from the fact that when linguists analyze the meaning of words in a language, "they are normally interested in characterizing the conceptual meaning and less concerned with the associative or stylistic meanings of words." Conceptual meaning, as Brown & Yule (1983:91) explain, "covers those basic essential components of meaning which are conveyed by the literal use of a word." Consequently, differences between both features, syntactic and functional, may in fact result in that we may have one form structure in one language that has more than one meaning and function in another: or on the contrary, one

ferent levels. For example, the /wăw/ denoting addition, may contrast with /?aw/ on one level, but includes the /fă?/ on another. Moreover, it may have a more particular as well as a more general meaning. Such ambiguities of using coordinators in CA can also exist in English. The coordinator 'and', for instance, bears more than one implication, other than addition. This mainly depends on the context in which it occurs. Examples are as follows :

1. a) Mona washed the dishes and Salma dried, (Addition)
   b) Work hard and you will get your reward. (Condition)
   c) Come and help me to lift these boxes. (Purpose)
   d) I went to the shopping centre and didn't buy any shirts. (Adversation)
   e) Try and solve the problem. (Encouragement)
   f) He said that he would try and finish the work by tomorrow. (Promise)

The coordinator 'and' in the above examples can thus express one of the following implications : addition, accompanied by a sequence of time, as in (a) which means 'then', condition, as in (b) which means 'so that' or 'in order that', purpose, as in (c) which means 'to' or 'inorder to', adversation, as in example (d) which is semantically analyzed as 'but'. It may also imply encouragement or promise, as illustrated in sentences (e&f) respectively. In this case, grammarians like Eckersley & Eckersley (1977:309, 1st ed, (1960) suggest that the expression 'try and...' can replace 'try to...'.

Similarly, the coordinator 'or' in English has several semantic implications, as illustrated in the following examples:

a- He will travel by bus or by train. (Alternation)

b - Put on this shirt or that one. (Allowability)

c - Come early or you won't be able to catch the bus. (Condition)

d - The nearest telephone is ten or fifteen mils from here. (Approximation)

are two types of analysis, the first of which is syntactic. It is mainly concerned with the associative phrase relations on the surface level, indicated by the order of words in a sentence. The other type is the semantic analysis which is mainly concerned with the functional and logical relational concepts on the deeper level, expressing the internal relations among the words and phrases within a context. Coordination on the surface level exists, not only in CA but also in English. In this respect, Lester (1976:332) states that Coordination is a process which "links two surface sentences together to form a longer single surface-sentence."

As Nida (1969:198) points out;

> "translators in general, not only must they know the rules for generating sentences in different languages, but they must also know the levels at which the rule systems correspond."

Hence, it is believed that this can only be achieved, first of all, by transmitting the SL message into some abstract form before rendering it into the TL. Having syntactic rules applied, it becomes an easy task to arrange the categories into permissible orders in actual sentences. Lexical entries from the dictionary are then inserted into such syntactic frames. Functional words are then introduced, then transformations are applicable.

III: Language of the Qur'an :

Qur'anic language owes its power not only to its structure but also to the rich vocabulary used. Nevertheless, translators mostly used words which do not have the same effect created by the original text. The same applies to coordinators such as the /wäw/ which, as previously discussed, has its own syntactic features and numerous referents. However, in most cases it has only one equivalent in English, that is 'and', but if it implies adversation then it is equivalent to 'but'. The same applies to the coordinators /fä?/ and /Θumma/. This is very evident when translating sentences having such coordinators, we discover that there are various types of ambiguity which result from differences of usage and are resolved on dif-

Finally Y. Ali and Pickthall, being Muslims, are extremely cautious in their approach to the task of translating the Qur'an. This is clear in their use of comments within brackets in their rendering of the original text, in addition to the explanations in footnotes which are extremely useful, especially to western readers. Their faithfulness is clear from the titles of their versions. Their translation of the meaning of the Qur'an and their separation of verses (i.e. each verse is written on a separate line for more accuracy) are due to their belief as Muslims that the Qur'an can never by fully translated, content as well as form. This is due to the fact that it consists of the very words of Allah and, therefore, cannot be replaced by any other words chosen by man. Both translators resort to different exegeses in an attempt to realize the different possibilities for different interpretations of the same text.

However, their concept of translation which seems to be tied up to syntactic and lexical accuracy is, at times, somewhat defective.

II: Nature of the Qur'anic text

The nature of the Qur'anic text plays a major role in the process of translation. Both Arabic and English languages have two quite different sentece structures. Consequently, many kinds of problems in translation arise from the gaps between those two structural differences. The Qur'anic language, in particular, is mainly distinguished by many features such as ellipsis (i.e. deletion of one of the lexical items) elaboration, parallelism and repetition for emphasis. although these features may not be absent in English, yet they are only likely to be unacceptable in English translations of the Qur'an, especially when they have no equivalents in the original. The use of any of these features to excess is discouraged in the style of writing. This is obvious in Y. Ali's version, where the reader may sometimes find him exaggerating and disrupting the flow of the discourse.

The question now is how to account for the grammaticality and the ungrammaticality of any given conjoined structure. According to Huddleston (1988:203), the coordinator 'and' "can coordinate elements at almost any place in the structure of sentences. The other coordinators, by contrast, are subject to such restrictions." In this respect, there

associations. In addition, they nearly succeed in most cases in presenting an approximate stylistic effect on the semantic, functional and, consequently, on the communicative level. This stylistic effect is equivalent to that of the SL text, as far as the very nature of literary translation allows, and as compared to Y. Ali's and Pickthall's failure in this field.

THIRD : From the two previous points it is deduced that the basic difference between the two groups, Pickthall and Y. Ali, on the one hand, and Arberry and Khatib, on the other, lies in the differences between the two approaches adopted in their translations, rather thatn other individual factors and personal limitations. Pickthatll's and Y. Ali's insistence upon the so called lexical or syntactic approach to translation leads to their failure on the functional and communicative level. However, Arberry's and Khatib's main interest in the communicative approach leads them to abandon some of the syntactic and stylistic factors which should be taken into consideration. Some of these factors are represented as follows :

I : Attitude of translators :

Arberry (1953:31) identifies his main aim of translating the Qur'an by trying "to show what the Koran means to the unquestioning soul of the believer." Moreover, since he believes that no translation could ever be an exact copy of the grandeur of the original text, his main concern with his "interpretation" is to produce a stylistic effect echoing, as far as possible, that of the original.

As regards Khatib's attitude, despite being a Muslim scholar, he seems to have copied Arberry's translation of several verses, particularly in "Amma" Part, not only word for word, but even punctuation marks (commas, semicolons, fullstops). Translations of the last ten Suras in "Amma" Part are cases in point with the exception of Sura 113 in which Khatib introduces few changes to Arberry's Translation. Nevertheless, these changes adopted by Khatib distort both the functional as well as the glorious style of the SL text.

Difficulties in Translating Coordination in Qur'anic Verses Part XI

By : Maha Yousry El Tagouri Ph.D.

Having presented in the previous editions some of the difficulties the four translators have faced in translating coordination with special reference to "Amma" Part, we may now attempt to sum up the basic merits and demerits of each. These can be grouped into two divisions due to their similarity in their approaches towards the translation of coordinators.

FIRST : Regarding the translations given by Pickthall and Y. Ali, we realize that they sacrifice the communicative effect of the original for the sake of accuracy on the lexial level. They seek the denotations of coordinators at the expense of connotations and the different shades of meaning. In other words, whenever there is a difference between the lexical meaning of a given coordinator such as the /wäw/, on the one hand, and its contextual meaning and communicative value, on the other hand, Y. Ali and Pickthall usually keep to the lexical and denotative meaning of the given coordinator. This takes place regardless of its associated or functional meaning of the SL text.

SECOND : From the translations given by Arberry and Khatib, we realize that, in most cases, they resort to the most appropriate functional and semantic equivalents of coordinators. These equivalents do not carry the proper referential meaning of the original text, but also the required connotations and

"Every single thing is with Him in (due) proportion" (13/8)

"And We send down water from the sky according to (due) measure" (23/18)

"Thou bringest the living out of the dead; and Thou bringest the dead out of the living" (3/27

"He causes the living to issue from the dead. And He is the One to cause the dead to issue from the living" (6/95)

"And who is it that brings the living from the dead and the dead from the living" (10/31)

"He is the One Who brings out the living from the dead, and brings out the dead from the living" (30/19)

"That sends down (from time to time) rain from the sky in due measure" (43/21)

"But We only send down thereof in due and ascertainable measure" (15/21)

"And produced therein all kinds of things in due balance" (15/19)

2 — Life cycles :

All creatures, whether animal, plant or solid are linked together in common cycles of change. Atoms and molecules are incessantly exchanged between the lifeless solids and live plants and/or animals. Examples are :

i - Decomposition and regeneration of human and animal cells.

ii - The carbon cycle between plant or animal cells and carbon dioxide of the atmosphere.

iii - The nitrogen cycle, involving live cells, atmospheric nitrogen and soil fertilizers.

The presence of these cycles is explicitly summed up in the verses :

"... He knoweth whatever there is on the earth and in the sea. Not a leaf doth fall but with His knowledge ..." (6/59).

"... Nor is hidden from Allah (so much as) the weight of an atom on the earth or in heaven. (10/61)

"The Holy Quraan, English translation of the meanings and commentary", King Fahd Holy Quraan Printing Complex.

That particular work was based on a thorough revision of a well-known much earlier interpretation:

"The Glorious Quraan, Translation and commentary", Abdalla Yousuf Ali, Dar ul-Fikr.

It is stressed here that it is almost impossible to translate the original Arabic text, such as to precisely convey the Arabic meaning. Hence, whenever necessary, some English terms have been replaced with appropriately more precise terms; and shown in ***Italic.*** For this purpose, the following references were also consulted:

"The Glorious Quraan", M. Pickthall, Taj Co., Karachi.

"The Quraan interpreted", A.J. Arberry, Oxford Univ. Press.

"(Translation) of the Glorious Quraan", Ahmad Zidan and Dina Zidan.

"Arabic-English Dictionary: The Hans-Wehr dictionary of Modern Arabic", J.M. Cowan (Editor), Spoken Language Services.

References to Quraanic verses are shown between brackets as: Surah (chapter) number / verse number.

1 — The laws of science :

Everything in the universe follows strict scientific laws and conforms to delicate equilibria, leaving no room for chance or haphazardness. That is the very essence of modern science. The Quraan repeatedly stresses these concepts :

"Verily, all things have We created in proportion and measure" (54/49)

"He is the One Who created all things, and ordered them in due proportions" (25/2)

"The sun and the moon follow courses (exactly) computed" (55/5)

"And the Heaven has He raised high, and He has set up the Balance..." (55/7)

WHY ISLAM?
Proofs of Modern Science
Part I

By Nabil Abdel-Salam Haroun

INTRODUCTION

Why should an intellectual embrace Islam? We shall try to prove herein that the truth and perfection of the Quraan, revealed between the years 611 and 632 A.C., could not have possibly been the work of Muhammad the Prophet of Islam (peace be upon him), nor of any human being in history. It could only have been an outside revelation to Muhammad from a most knowledgeable super - natural source. The role of the Prophet did not exceed that of an honest Messenger, as well as a human model for all mankind...

Our approach will be both scientific and historical. We shall repeatedly underline certain verses of the Quraan that have stated or pointed to some modern scientific facts and concepts, in unequivocally precise terms. Such facts and concepts were beyond the reach of human knowledge at the time of revelation and for centuries thereafter. This establishes beyond doubt that the source of Quraan is: Superior to mankind, Absolutely Knowledgeable, and True. Such perfection can only be possessed by the Creator of this infinite universe, the One God (in Arabic) "Allah", Praise be upon Him:

"Do they not ponder on the Quraan? Had it not been from other than Allah, they would surely found therein much discrepancy" (4/82)

Here are several pieces of evidence, each of which could prove the scientific truth of the text of the Quraan. The work is an English translation of :

"Moujaz ul-Borhan Ala Sedq Tanzeel ul-Quraan", Dar un-Nashr lel-Jameaat al-Masreyyah, 1995.

Citations from the Glorious Quraan have been quoted mainly from the recent English interpretation.

AL-AZHAR MAGAZINE

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION

Shaw'wal 1416 Hijrah,

Vol. 68 part X

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah :
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Depf . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهـــرس

● الافتتاحية

● للدكتور / على أحمد الخطيب ١٥٧٩

● الرئيس مبارك ينعى الإمام الأكبر ١٥٨١

● وصية الإمام الأكبر وجنازته ١٥٨٢

● نعيا رئيس مجلس الوزراء
ومجلس الشعب ١٥٨٣

● كلمة وكيل الأزهر ١٥٨٤

● نعى الشيخ الشعراوى ١٥٨٥

● نعى وزارة الأوقاف ١٥٨٦

● نعى رئيس جامعة الأزهر الشريف ١٥٨٨

● مناعى الهيئات الإسلامية .... ١٥٨٧ ـ ١٥٩٤

● من تراث الإمام الأكبر ●

● كلمات عن الحج ١٥٩٥

● فتوى للإمام الأكبر ١٦٠١

● مع سورة يس

أ.د. إبراهيم الدسوقى خميس ١٦٠٩

● العمل الطيب عبادة

للشيخ / على حامد عبدالرحيم ١٦١٤

● من فوائد الإنفاق

أ.د. محمود سالم الخطيب ١٦١٦

● من أعلام مدرسة الحديث

د. أحمد المعصراوى ١٦١٩

● أهداف الحج ومقاصده

للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ١٦٢٣

● نور من مكة أضاء

للشيخ أحمد بن محمد طاحون ١٦٣٠

● حق الطريق فى الإسلام

للشيخ / محمد حافظ سليمان ١٦٣٦

● المعصية بين الفرد والمجتمع

أ.د. محمود محمد رسلان ١٦٤٢

● أسد بن الفرات

للمستشار محمد عزت الطهطاوى ١٦٤٤

● استفتاءات القراء

للشيخ / السيد العراق ١٦٤٩

● طرائف ومواقف

أ./ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٦٥٤

● وداعاً شيخ الإسلام

أ.د. / مصطفى الشكعة ١٦٥٦

● الشيخ محمد الغزالى رحمه الله

أ.د. محمد رجب البيومى ١٦٦٠

● رثاء مفتى استراليا للغزالى ١٦٦٦

● باب الشعر والشعراء

إعداد د. / محمد عبدالحكيم محمد ١٦٦٧

● من روائع الماضى وأذن فى الناس بالحج

إعداد أ. / عبدالفتاح الزيات ١٦٧٢

● العلوم الكونية

من دلائل القدرة الإلهية

أ.د. / أحمد فؤاد باشا ١٦٧٦

● متاعب الثدى فى الرجال والنساء

د./ أحمد رجائى عبدالحميد ١٦٨١

● الجديد فى العلم والتقنية

د./ نجوى السيد ١٦٨٤

● الجيل الثانى من المحققين الأعلام

أ.د. / السيد الجميلى ١٦٨٨

● حسن جاد شاعرا

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ١٦٩٦

● لم يبق فى الروح ما يغرى بتغريد

للأستاذ الدكتور / سعد ظلام ١٧٠٤

● الإسرائيليات فى التفسير الحديث

عرض أ. / عبدالسلام ناصف ١٧٠٧

● بين المجلة والقارىء

إعداد أ./ عادل رفاعى خفاجة ١٧١٢

● أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين/ عمر البسطويسى
ومصطفى عبدالمجيد ١٧١٨

● أنباء العالم الإسلامى

إعداد أ./ مجدى عبدالحميد بشير ١٧٢٥

● القسم الفرنسى **١٧٣٤**

● القسم الإنجليزى **١٧٤٥**

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩م

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي عامر عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل عاصي خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير - الإدارة العامة للأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

الأئمة العباقرة

هؤلاء الأئمة الكبار : مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد ، وتلاميذهم ، هل كانَ بينهم حدود تفصل علمهم أو مجالسهم بعضهم عن بعض ، فيتقوقع بها علمُ كل منهم في كَنَفٍ يخُصُّه وتلاميذه فقط ؟.. أم كانوا حلقة مفرغة يأخذ بعضها ببعض فلا تدرى أين طرفاها ..؟

مع هؤلاء الأئمة ونوابغ تلاميذهم نعرف الإجابة ..!

هذا هو الإمام أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن حبتة تلميذ الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، وسليل الصحابي الجليل « سعد بن حبتة » الذى شارك فى مطلع شبابه فى غزوات رسول الله ﷺ فمسح رأسه ودعا له قائلا : « أسعد الله جدك » .

إلى هذا الإمام النابغة جلس الإمام أحمد بن حنبل ـ وهو ـ بعد ـ فى نحو الخامسة عشرة من عمره ـ ليتلقى دروساً فى الحديث الشريف والفقه ، وكان ذلك فى السنوات الأخيرة من عمر الإمام أبى يوسف الذى مات عام ثلاثة وثمانين ومائة ، وعمر الإمام أحمد حينئذ نحوٌ من تسعة عشر عاماً .. وإلى هذا الإمام يعود دفعُ الرأى إلى الحديث ، وعنه يقول « يحيى بن معين » أستاذ الجرح والتعديل : « أبو يوسف صاحب حديث .. وصاحب فقه .. ليس فى أصحاب الرأى أكثر حديثاً ، ولا أثبت من أبى يوسف » .

وإلى « أسد بن الفرات » جلس أبو يوسف هذا الإمام الحنفى ليتلقى عنه (موطأ مالك) الذى تلقاه أسد من مالك مباشرة .

فأما الإمام أحمد فيقول عن أستاذه أبى يوسف :

« أوَّل من كتبت الحديث عنه أبو يوسف » .

أما أبو حنيفة ـ رضى الله عنه ـ فقد مات قبل ولادة الإمام أحمد ؛ إذ كانت وفاته عام خمسين ومائة ، وولد أحمد ببغداد عام أربعة وستين ومائة من الهجرة .

ولا ندرى : هل كان صغر الإمام أحمد ، أم ضيق النفقة مانعاً له عن لُقيا الإمام مالك ـ رضى الله عنهما ..؟ بينما كان تِرْبُهُ فى التلمذة على أبى يوسف ، من بعد أبى حنيفة « الإمام محمد بن الحسن الشيبانى » ـ أوفر حظاً وأوسع مالا فتمكن من الرحيل إلى الإمام مالك ، ولازمه ثلاث سنين وبعض سنة ، فروى الحديث عنه ، وَدَوَّنَ الموطأ ، وحَدَّث به كما جاء فى « الجواهر المضيئة » . وقد طبع هذا الموطأ برواية الشيبانى فى الهند ، ثم طبعته وزارة الأوقاف المصرية بتحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف من أساتذة الأزهر .

وكانت مجالس هذه التلمذة بمسجد رسول الله ﷺ وللشيبانى هذا الإمام الحنفى الكبير أثر مُسَلَّم فى فقه المذاهب جميعاً ، وعنه أخذ الإمام أسد بن الفرات معالم كثيرة من الأسئلة التى كانت عماد ابن الفرات فى تدوينه « المدونة » لمالك ـــ رضى الله عنهم أجمعين .

على أن الدائرة كانت وثيقة الالتحام ؛ فإن الشافعي ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنه ـ كان تلميذاً لمالك وأستاذاً لأحمد ؛ فبلغ أحمد بهذه التلمذة صميم فكر مالك كما يقول أستاذنا المستشار عبدالحليم الجندى .

ذلك أن الإمام الشافعي ـ رضى الله تعالى عنه ـ ارتحل إلى الإمام مالك ، وسنه ثلاثة عشر عاما ، وذلك نحو عام ثلاثة وستين ومائة (١٦٣) ، وقد أعد نفسه إعداداً تاماً للتلمذة إذ حفظ الموطأ كله قبل قدومه عليه ، فجلس إلى مالك دارساً راغباً فقيهاً مستوعباً ، وأعجب به مالك ـ رحمه الله ـ يقول ابن فرحون : «وكان مالك يثنى على فهمه وحفظه ، ووصله بهدية جزيلة لما رحل عنه » وأما الشافعي فيقول : « مالك معلمى وأستاذى ومنه تعلمنا العلم ، وما أحدٌ أَمَنَّ علىَّ من مالك ، وجعلت مالكاً حجة فيما بينى وبين الله ـ تعالى ـ » وأشار الشافعي إلى دقة مالك فى الأخذ بحديث رسول الله ﷺ فقال : « كان مالك إذا شك فى الحديث طرحه كله » .

كذلك تزود الشافعي من فقه محمد بن الحسن الشيبانى ؛ فكتبه من أهم ما قرأ الشافعي ، فكانت ـ بالتالى ـ زاداً لأحمد ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ لاسيما ما كان من الشيبانى فى تزويد أسد بن الفرات من أسئلة كان لها رصيدها الضخم فى « المدونة » . وسئل أحمد يوماً : من أين لك هذه المسائل الدقاق ؟ فأجاب : من كتب محمد بن الحسن .

أولئك أئمتنا الذين علمونا أن نبسط أذهاننا ونحترم آراء الآخرين معتقدين : أن صوابنا يمكن أن يناله الخطأ ، وخطأ غيرنا يمكن أن يأتيه الصواب .

د. على أحمد الخطيب

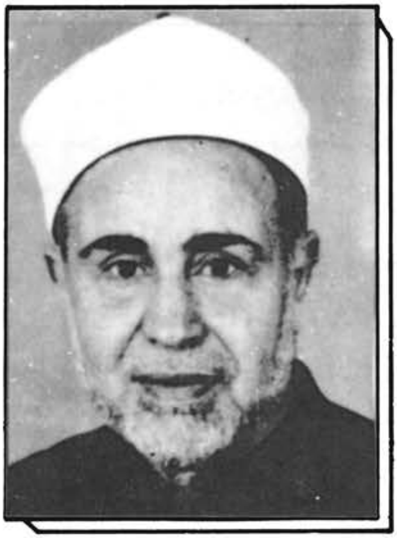

الإمام الأكبر

فضيلة الأستاذ الدكتور

محمد سيد طنطاوى

تهنئة وشكر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ومن والاه .

وبعد :

فيسعدنى ويسعد جميع العاملين بالأزهر الشريف ، أن نتقدم بخالص التهنئة إلى الشعب المصرى الكريم وإلى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بمناسبة عيد الأضحى المبارك ، داعيا المولى – عز وجل – أن يرزق الجميع نعمة الصحة والعافية ، وأن يعيد علينا جميعا أمثال هذه الأيام باليمن والإيمان والسلامة والإسلام.

وكل عام وأنتم بخير

شيخ الأزهر الشريف

(دكتور/ محمد سيد طنطاوى)

تعريف

بفضيلة الإمام الأكبر

الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى

شيخ الأزهر

١ ـ ولد فضيلته بقرية (سُلَيم) الشرقية ـ مركز طما ـ محافظة سوهاج ـ فى ٢٨ من أكتوبر سنة ١٩٢٨م .

٢ ـ تلقى تعليمه الأساسى بقريته ، وبعد أن حفظ القرآن الكريم ، التحق بمعهد الإسكندرية الدينى سنة ١٩٤٤ ، وبعد انتهاء دراسته الثانوية ، التحق بكلية أصول الدين ، وتخرج فيها سنة ١٩٥٨ ، ثم حصل على (العالمية درجة تخصص التدريس) سنة ١٩٥٩ ، ثم على الدكتوراه فى التفسير والحديث بتقدير ممتاز فى ١٩٦٦/٩/٥ .

٣ ـ عين فضيلته مدرساً بكلية أصول الدين سنة ١٩٦٨ ، ثم عميداً لكلية أصول الدين بأسيوط سنة ١٩٧٦ ، ثم عميداً لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين سنة ١٩٨٥ ، ثم مفتياً لجمهورية مصر العربية فى ١٩٨٦/١٠/٢٨ .

٤ ـ أعير خلال عمله بجامعة الأزهر إلى الجامعة الإسلامية بليبيا من سنة ١٩٧٢ إلى ١٩٧٦ ، ثم رئيساً لقسم التفسير بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من سنة ١٩٨٠ إلى سنة ١٩٨٤م .

من مؤلفاته

١ ـ « **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** » :

فى خمسة عشر مجلدا ، طبع عدة طبعات آخرها طبعة دار المعارف سنة ١٩٩٣ .

كتبه فضيلته فى بضعة عشر عاما . وقد بذل فيه أقصى جهده ، ليكون تفسيراً محرراً من الأقوال الضعيفة ، والشبه الباطلة ، والمعانى السقيمة ، والآراء التى لا سند لها من النقل الصحيح ، أو العقل السليم ، وقد كان منهجه فيه :

البدء بشرح الألفاظ القرآنية شرحاً لغوياً مناسباً ، ثم بيان سبب النزول ــ إن وجد وكان مقبولا ــ ثم ذكر المعنى الإجمالى للآية أو الآيات ، ثم تفصيل ما اشتملت عليه الآية أو الآيات ، من وجوه بلاغية ، ومن أحكام شرعية ، ومن آداب سامية ، وعظات بليغة ، وتوجيهات حكيمة ، مدعما كل ذلك بالآيات الأخرى ، وبالأحاديث النبوية الشريفة ، وبأقوال المحققين من علماء السلف والخلف .

٢ ــ « **بنو إسرائيل فى القرآن والسنة** » ويقع فى مجلدين ، طبع ــ أيضاً ــ عدة طبعات .

وقد تناول فضيلته فى المجلد الأول منه : تاريخ بنى إسرائيل فى مختلف عصورهم ، ثم تحدث عن منهاج القرآن فى دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام ومظاهر إنصافه لهم ، ثم عن مسالك اليهود فى العهد النبوى لكيد الإسلام والمسلمين . ثم عن لقاء السيف بينهم وبين المسلمين ثم عن نعم الله ــ تعالى ــ عليهم وموقفهم الجحودى من هذه النعم .

وفى المجلد الثانى تحدث فضيلته عن : رذائلهم كما صورها القرآن الكريم . ثم عن دعاوايهم الباطلة وكيف رد القرآن عليها . ثم عن وعيد الله ــ تعالى ــ وعقوباته لهم ، ثم عن فلسطين ومراحل الغزو الصهيونى لها .

٣ ــ « **معاملات البنوك وأحكامها الشرعية** » وقد طبع هذا الكتاب حتى الآن ثلاث عشرة طبعة ، تحدث فضيلته عن : الشريعة الإسلامية ــ خصائصها ــ مصادرها ــ ثم تحدث فى الفصل الثانى عن : المعاملات فى الإسلام ــ أسسها ــ آدابها ــ أنواعها ــ حاجة الناس . ثم تحدث فى الفصل الثالث عن : الربا ــ ومنهج الإسلام فى تحريمه ، واختلاف العلماء فى الربا المحرم شرعا ــ وأقوالهم فى ربا الجاهلية ــ ونماذج للربا المحرم شرعا . وفى الفصل الرابع تحدث بالتفصيل عن : القروض ــ الديون ــ الودائع ــ الاستثمار .

ثم ساق فى الفصلين الخامس والسادس أمثلة وتطبيقات للمعاملات الحلال وللمعاملات الحرام ، ثم ذكر فضيلته بالتفصيل فى الفصل السابع الحكم الشرعى للتعامل فى :

١ ــ شهادات الاستثمار ٢ ــ البنوك العقارية

٣ ــ سندات التنمية الإدارية ٤ ــ أذون الخزانة

٥ ــ صناديق التوفير

وقد أيد فضيلته ما رآه راجحاً من أقوال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وبأقوال المحققين من العلماء السابقين واللاحقين .

٤ ـ « **الدعاء** » وهو كتاب طبع أكثر من عشر طبعات ، تناول فيها فضيلته معنى : الدعاء ـ آدابه ـ فضله ـ حديث القرآن عنه ـ شروطه ـ فوائده ـ الدعاء والقضاء والقدر ـ نماذج من الدعاء المستجاب ـ جوامع الدعاء من القرآن والسنة ـ أدعية مأثورة فى أحوال مختلفة ـ خاتمة ورجاء .

٥ ـ « **السرايا الحربية فى العهد النبوى** » وهو كتاب اهتم فيه فضيلته ببيان معنى السرية والغزوة ـ وعدد الغزوات ـ والسرايا ـ وأهداف السرايا ـ وسرايا السنوات الأولى والثانية والثالثة والرابعة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة بعد الهجرة . وقد حقق فضيلته الأقوال فى عدد الغزوات والسرايا وأسبابها وأهدافها .

٦ ـ « **القصة فى القرآن الكريم** » وقد صدر منه حتى الآن كتابان : أولهما عن قصة آدم ونوح ـ عليهما السلام ـ وثانيهما عن قصة : هود وصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ـ عليهم السلام ـ وعما قريب سيصدر لفضيلته تباعاً قصص بقية الأنبياء ، وقصص غيرهم ممن تحدث القرآن الكريم عنهم .

هذا ، ولفضيلته سوى هذه المؤلفات كثير من البحوث والمقالات التى شارك بها فى المؤتمرات العلمية المتعددة ، وفى المجلات العلمية المتخصصة . ومن الله ـ تعالى ـ وحده تُسْتَمد الهداية والسداد فى القول والعمل .

جلسة الوفاء

إعداد الأستاذ
مصطفى عبدالمجيد عبدالفتاح

فى هذا اليوم من صباح الخميس التاسع من ذى القعدة ١٤١٦ هـ الموافق للثامن والعشرين من مارس ١٩٩٦م . وقبل أن يخطو فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر خُطَاهُ ليلتقى بأعضاء مجمع البحوث الإسلامية ، توجه فى هذا اليوم إلى الجامع الأزهر ليؤدى فيه ركعتين اعتاد أن يصليهما كبار علماء الأزهر فى مواقف مشهودة .

ثم التقى ـ بعد ـ بأعضاء مجمع البحوث حيث كان للأعضاء الموقرين جلسة خاصة لتأبين فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ رحمه الله ـ تعالى .

ونقدم هنا من كلمات هذا التأبين ما نرجو أن تتسع له صفحات المجلة حفظا على محتواها من المواقف التى تحفظ للعلماء العاملين خلاصة طيبة لما أدوه من جلائل الأعمال التى نرجو الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن ينفع بها المسلمين كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ليأتى بأعظم الثمار بركة ورزقا :

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف

الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى

فى جلسة مجمع البحوث الإسلامية لتأبين فضيلة الإمام الأكبر
الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين ، وبعد

فنسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى هذه الأيام المباركة أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه ، وأن يجعل أقوالنا وأعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وأن يجعل أخوتنا دائمة وباقية وفى خدمة ديننا وفى خدمة أوطاننا .

إن الإنسان منا عندما يفارق من يحبهم يشعر بالحزن العميق وبالتأثر البالغ ؛ لأن النفس الإنسانية من طبيعتها أنها تتأثر بفراق من تحبه .

ولنا فى سيدنا رسول الله ﷺ القدوة الحسنة ؛ فقد تأثر ﷺ لفقد زوجه السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ وتأثر لفقد ابنه إبراهيم وقال حديثه المشهور : « إن العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، ولكن لا نقول إلا ما يرضى الرب ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون »

وتأثر ﷺ لفقد عمه حمزة ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ ونظر إلى جبل أحد ، وقال : « يا جبل ، لو كان بك بعض ما بى لهددت » (١)

وتأثر ﷺ لفقد عدد من أصحابه غدر بهم الغادرون ، فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يدعو على أولئك الغادرين .

ونحن عندما نجلس هذا المجلس الموقر نرى أن هذا المجلس قد خلا من شخص أستاذنا وشيخنا فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر نتأثر كثيراً ونحزن كثيراً .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه .

لكننا كمسلمين وكعلماء نقرأ قرآننا ونطالع سنة نبينا ﷺ نشعر بأن هذا شأن الحياة ، وكما يقول سيدنا رسول الله ﷺ : « عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزى به » .

والقرآن الكريم قد أكد هذه الحقيقة فى آيات متعددة لعل من أوضحها تلك الآيات الكريمة التى فى سورة آل عمران ، والتى نزلت فى أعقاب غزوة أحد بعد أن أشاع المشركون أن النبى ﷺ قد قتل ، وحزن من حزن من الصحابة ، واضطرب من اضطرب منهم ، لكن القرآن الكريم

أراد أن يغرس فى نفوس أتباعه ـ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ـ أن كل موجود ـ سوى الخالق ـ عز وجل ـ مهما طال عمره ، ومهما طالت حياته ـ فإلى زوال وإلى موت وإلى نهاية : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾(٢) . ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾(٣)

أيضاً مما يعزى نفوسنا أن شيخنا وإمامنا ـ رحمه الله وطيب ثراه ـ فضيلة الأستاذ الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ قد أدى رسالته ... أداها بشرف ، وأداها بأمانة ، وأداها بنظافة يد ، وأداها بالكلمة الطيبة ، وأداها بالشعور بالمسئولية التى هى أمانة فى أعناقنا .

أداها بكل ما تحتمله كل هذه الكلمة من معان سامية ، ومن مقاصد كريمة أداها بعفاف .. أداها بطهارة ... أداها بنظافة لسان ... أداها بعقل راجح ... أداها بعزيمة صادقة وهمة عالية .

أداها بثبات على مبدئه ، وهى مبادىء ـ والحمد لله ـ مبادىء قويمة ، مبادىء رشيدة ، مبادىء سامية ، مستمدة من كتاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومن سنة سيدنا رسول الله ﷺ .
وسيدنا رسول الله ﷺ هو القائل : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »(٤) .

وقد اجتمعت هذه الأمور الثلاثة فى شيخنا ـ رحمه الله وطيب ثراه ـ اجتمعت هذه الأمور الثلاثة فى شخص فضيلته ، فقد كان سخياً بماله ينفق منه على المحتاجين فى السر أكثر مما ينفق فى العلن ، وأنا شخصياً قد صحبت فضيلته فى بعض الأسفار ، ورأيت بعينى كيف كان ـ رحمه الله ـ يبذل الكثير من ماله فى السر قبل العلن ، وكانت دائماً مواقفه مواقف تشرف الأزهر : فى عفافه ، وفى نقائه ، وفى طهارة يده ، فالصدقة الجارية ـ والحمد لله ـ تحققت فى فضيلته ، كذلك العلم الذى ننتفع به : لقد ترك علما نافعا فى مؤلفاته ، وفى كتبه ، وفى بحوثه ، وفى

---

(١) ذكره القرطبى فى التذكرة ، وانظر كشف الخفا (٢ /٧٨) ، والفوائد المجموعة (٢٥٧) ، واللآلىء المصنوعة (٢/١٦)
(٢) الزمر : ٣٠ .
(٣) الرحمن : ٢٦ ، ٣٧ .
(٤) رواه الترمذى ومسلم والبيهقى .

ندواته ، وفى دروسه ، وفيما كان يكتبه فى المجلات وفى الصحف وفى وسائل الإعلام ، وفيما كان يلقيه من أحاديث فى الإذاعات المرئية والمسموعة ؛ فالعلم الذى ينتفع به قد تحقق – والحمد لله – فى شيخنا ، فقد ترك ثروة علمية رصينة من البحوث ، ومن المؤلفات ، ومن المحاضرات ، ومن الندوات .

أما الذرية الصالحة بالنسبة لفضيلته فقد ترك ثلاثة من الأبناء البررة الذين ما عرفنا عنهم إلا كل خير ، وما سمعنا عنهم إلا كل خير ، لذا فنحن فى هذا المجلس الموقر عندما نُؤبن أستاذنا وشيخنا إنما نؤبنه بقلوبنا قبل أن نؤبنه بألسنتنا .

وإننا عندما نتحدث عن فضيلته نتحدث بلغة الإيمان الصادق ، وبلغة الإخاء الخالص لوجه الله – عز وجل – وبلغة المحبة التى ربطت بين قلوبنا جميعا ، والتى علمنا إياها ديننا الذى جعل من صفات أهل الجنة أن نزع الله – سبحانه وتعالى – من قلوبهم الغل : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾(٥)

إننا نتضرع إلى الله – سبحانه وتعالى – فى هذا المجلس الموقر الذى انعقد على طاعة الله وعلى سنة دينه ، نتضرع إلى الله – سبحانه وتعالى – أن يتغمد فقيدنا ؛ بل وفقيد الأمة الإسلامية جمعاء ، أن يتغمده برحمته ، وندعو الله – سبحانه وتعالى – فنقول : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله ، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وألحقنا به فى زمرة عبادك الصالحين ، واجعلنا ممن يسير على درب الصالحين ، واجعلنا ممن يقولون فيخلصون ، ويخلصون فيقبلون .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(٥) سورة الأعراف : آية ٤٣ .

كلمة فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

كان من المقرر أن تكون هذه الجلسة خاصة بتأبين فضيلة مولانا الإمام الراحل شيخ الأزهر ، ولكن شاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ ألا يحرمنا مقعده ، وألا يحرمنا جهد العلماء ، فشرف السيد رئيس الجمهورية السيد الإمام الأكبر الدكتور/محمد سيد طنطاوى بمشيخة الأزهر ، وهو شرف لكل عالم أن يتبوأ هذا المنصب ، إذ هو أمانة كبرى نرجو من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يعينه عليها ، وأن يسير على درب العلماء ، وأن يكون مع إخوانه أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ـ وهم أفاضل علماء مصر ، والحمد لله ـ أن يكونوا فى طريق واحد ، وعلى درب واحد ، درب الهدى والحق والصراط المستقيم ـ إن شاء الله ..

نرجو له كل توفيق ، وأن يمنحه الله ـ سبحانه وتعالى ـ القدرة على مواجهة الباطل ، وعلى الادعاءات الباطلة التى يُحارب بها المسلمون والأمة المسلمة فى كل بقاع العالم .

وفضيلة مولانا الإمام الراحل أعماله ومواقفه الخالدة لن تنسى مدى التاريخ ؛ فهو أول من أدرك خطورة وضع المسلمين فى الاتحاد السوفيتى عند تفككه ، وأرسل أول وفد إلى بلاد روسيا ليروا إخوانهم المسلمين هناك ، وكان وفداً مكوناً من عشرة علماء ، وتشرفت بأن كنت واحداً منهم .

وقمنا بالتنقل بين الجمهوريات الإسلامية ، ورأينا بأعيننا ما عليه المسلمون من ذل وضعف ومهانة ، ورفعنا تقاريرنا هذه التى لم يتوصل إليها أحد بعد ذلك من جميع الوفود إلى فضيلة الإمام الأكبر .

وفضيلته ـ طيب الله ثراه ـ أرسله إلى رئاسة الجمهورية .

فمواقفه من قضية الشيشان لا يماريه فيها أحد ، ومواقفه من مؤتمر السكان ، كان دائماً مع إخوانه أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ، وكلفهم جميعاً بأن يأخذوا ويتدارسوا ، وكان لهم صوت مسموع فى هذا المؤتمر فغيروا وجه التاريخ فيه ، وأظهروا وجه مصر الحضارى والإسلامى .

نحن لا نستطيع أن نعدد مآثره وقدرته على مواجهة الباطل مهما كان ، وقوله الحق مهما كلفه .

كل هذا كان واضحاً فيه نرجو من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يثيبه على ما قدمه ونرجو منه ـ سبحانه وتعالى ـ أن يعيننا على أن نسير على هذا الدرب .. وفقكم الله وسدد خطاكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .. وبعد :

فنحن نجتمع اليوم فى هذه الجلسة المخصصة لتأبين فضيلة الإمام الراحل **الشيخ/جاد الحق على جاد الحق** ، وهى جلسة الوفاء ولقاء الإخلاص لنتذكر مآثر هذا الإمام الجليل الذى رحل عنا منذ أيام ، والواقع أنه لا يختلف أحد على ما كان لفضيلة الإمام الراحل من مآثر عظيمة وجوانب متعددة نذكرها له بالخير .

وهو فى جانبه الإنسانى كان كل من يقترب منه ، ويتعامل معه يخصه الإمام الراحل بالود والمحبة والإخاء لدرجة أنه ربما اعتقد أنه هو المفضل عنده ، ولكنها كانت قاعدة عامة يتعامل من خلالها الإمام الراحل مع كل الناس .

وأما جانبه الإدارى فكان إداريا من الطراز الأول كما نعرفه جميعاً . يعرف كل صغيرة وكبيرة فى هذا الأزهر الشامخ فى كل مكان من أنحاء مصر .

أما الجانب العلمى والمواقف فهذه أيضاً يمكن أن يتحدث فيها المرء كثيراً ولكنى بطبيعة الحال لن أخوض فى ذلك .

إننا إذ نتحدث اليوم عن مآثر فضيلة الإمام الراحل شيخ الأزهر الشيخ/جاد الحق على جاد الحق ـ فإننا نرحب فى نفس الوقت وباغتباط وسرور أن وفق الله ـ سبحانه وتعالى ـ السيد رئيس الجمهورية لاختيار فضيلة الإمام الأكبر الجليل الدكتور/محمد سيد طنطاوى ـ وهو زميل عزيز

وعالم جليل ، له رصيد علمى كبير نذكر منه فى هذا الصدد أنه صاحب تفسير كامل للقرآن الكريم فى خمسة عشر مجلدا بالإضافة إلى مؤلفاته العديدة الأخرى وأبحاثه ومقالاته ومحاضراته وندواته فالرجل غنى عن التعريف .

تبقى كلمة أخيرة عن الأزهر كمؤسسة ، الأزهر له رصيد ضخم وتاريخ طويل حافل .. وسنة الحياة أن الإنسان ـ مهما عاش فى هذه الحياة ، فإنه سوف يرحل ... وتبقى المؤسسة ، وهى الأزهر الشامخ الذى نعتز به ...

ومن هنا فإننى أشير إلى ضخامة المسئولية وجسامة التبعة الملقاة الآن على فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى ...

نحن على ثقة تامة من أن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ/محمد سيد طنطاوى ـ سيقوم بهذه المهمة خير قيام ، ولكن هذا المجمع الموقر هو سنده ، وهو الذى يدعمه وهو قوته الذى يستمد منها المدد إن شاء الله ، بعد أن يستمد المدد من الله ـ سبحانه وتعالى ـ وسنكون جميعاً يداً واحدة نتعاون معا على الخير فى سبيل رفعة الإسلام والمسلمين حتى نعيد لهذا الأزهر أمجاده ، وحتى يؤدى رسالته على خير وجه وأسأل الله الرحمة والرضوان لفضيلة الإمام الراحل الشيخ/جاد الحق على جاد الحق ـ ونسأل الله التوفيق والسداد لفضيلة الإمام الأكبر الجليل فضيلة الدكتور/محمد سيد طنطاوى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين : سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فقد كتب الله ـ تعالى ـ على البرية الزوال والفناء ، وتفرد وحده ـ سبحانه وتعالى ـ بالخلود والبقاء ، ووقت ـ جل شأنه ـ بكل نفس ميقات أجل لا تستأجر عنه ساعة ولا تستقدم عنه أخرى ، ونعى إلينا أشرف خلق الله ، وأطهر من مشى على الأرض ، وهو سيدنا رسول الله ﷺ حين قال ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(١) ، ومن هذا المنطلق نترحم على شيخنا الجليل وإمامنا النبيل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر **جاد الحق على جاد الحق** رحمه الله رحمة واسعة .

وكم يستطيع الإنسان أن يتحدث عن هذه الشخصية العالمية التى حملت نور العلم والإسلام فى قلبها قبل أن تتحدث عنه بلسانها ، وسطرتها بخطاها الطاهرة المبرورة قبل أن تسطره كلاما فى كتب فكان حركة وموقفا .

ولنا معه ذكريات تجل عن النظير ليس المقام الآن يسمح بسردها ، ولكن حسبنا أن نذكر من تواضعه الجم كيف كان يتلقى الإنسان خارجاً من مكتبه متهللا مستبشراً بقدومه فى تواضع العلماء وشموخ العظماء .

وكيف كان فى علمه فى روية وأناة رغم أنه الإمام الأكبر ، ولكنه لا يرى فى نفسه استعلاء أن يسأل أحد زملائه ، أو أحد أبنائه ، وهو بهذا يستعيد لنا مجد سلفنا القدماء حين قال : لا يمهل الرجل حتى يأخذ العلم عما هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه ، وكم كانت له مواقفه التى تجل عن النظر ، والتى كلفنى أنا شخصياً بها والأستاذ الدكتور/مصطفى الشكعة يوم أن كنا فى مؤتمر السكان ، وحملنا عبء القضايا ننافح عنها بجسارة واقتدار وبروية وأناة حتى كان الحق الذى شاء الله ـ تعالى ـ له أن ينتصر ، وكم كانت له مواقف كثيرة فى مجالات متعددة ، وفى أسفار كثيرة أسهمنا فيها ، فى ندوات علمية لتوضيح رسالة الإسلام ورسالة الأزهر الشريف ، نذكر كل هذا بكل تقدير وإكبار فى هذا اليوم العظيم ، نذكر بالوفاء هذه الشخصية العظيمة ، ونذكر أسلافها الشوامخ الذين أسلم كل واحد منهم الراية لمن بعده منذ أول واحد فيهم إلى فضيلة الشيخ جاد الحق .

---

(١) الزمر : ٣٠ .

يُسلم كل واحد منهم الراية لمن يأتى من بعده ، وكأنى بهم ولا أمثلهم بالأنبياء فقد قال سيدنا المصطفى ﷺ : (العلماء ورثة الأنبياء)[1] .

نذكر بكل تقدير أن الأزهر إرادة إلٰهية لا يمكن أن ينطفىء له نور ، ولا يمكن أن تخمد له حركة لأنه إرادة إلٰهية ، وكما أن الكعبة فى أم القرى قبلة الصلاة فالأزهر فى كنانة الله فى أرضه مصر القبلة العلمية للعالم الإسلامى ، وللبيت رب يحميه ، فما أن ودعنا هذا العالم الشامخ العظيم إلا وأرادت الحكمة الإلـٰهية لنا بواحد من خيرة الرواد هو فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فضيلة الدكتور/محمد سيد طنطاوى الذى قدمه إلى هذا المجمع رصيده من السلوك القويم والخلق العظيم والأدب العام والذوق الرفيع والتواضع الجم الذى لا يختلف عليه اثنان فى عالم الحياة ممن يعرفونه ، يقدم على نفسه حتى من يصغره سنا وعلما ومكانة ، وهذا تواضع العلماء نموذج فريد شاءت الإرادة الإلـٰهية أن يكون .

يبعث فى القلوب الأمل ويجدد فى نفوسنا انطلاقة إلى الإمام قدمه لنا رصيد من السلوك قبل العلم ، ورصيد من الخلق قبل المؤلفات ، أما مؤلفاته ، أما رصيده العلمى ، أما تفسيره للقرآن الكريم بأجمعه فى مجلداته الضخمة أما ندواته وأحاديثه فى وسائل الإعلام ، أما موقفه لخدمة الإسلام فتحدث عن ذلك ولا حرج ، لأن الرجل اقتحم أعقد المشاكل فى عصره واقتحم كثيراً من قضايا العصر .

وشاء الله أن يكون واحدا من المجددين ومن المجتهدين ، وهو إذ يجلس هذه الجلسة اليوم نعتبر أن الله تعالى قد استجاب دعاءنا حين دعوناه ، وحين قلنا : اللهم إنا نحتسب عندك إمامنا الجليل الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، وعوضنا من يسد الفراغ فعوضنا الله تعالى من يقف ليسد الفراغ وليقود قافلة التنوير والدعوة والإسلام ورسالة الأزهر على أكمل وجه .

وواجبنا أن نكون يداً واحدة وهو أمر طبيعى وكائن والحمد لله ، وواجبنا كذلك أن ننهض وأن نضاعف الجهد خاصة أن المرحلة التى تعيشها أمتنا الإسلامية الآن مرحلة تُواجه تحديات كثيرة فى الداخل وفى الخارج ، تستوجب علينا مضاعفة الجهد فيما نبذل وفيما نقول ونحن والحمد لله جميعاً نخلص لله وحده لا شريك له ، رائدنا فى ذلك الإخلاص ، رائدنا فى ذلك حب الله وحده وحب سيدنا رسول الله ﷺ وحب عقيدتنا وديننا وحب أزهرنا الشريف الذى له تاريخه المجيد والذى له عظمته ومرجعيته .. فسلام الله عليك يا إمامنا الراحل مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ووفقك الله ـ يا إمامنا ـ فضيلة الإمام الأكبر ، فضيلة الدكتور/محمد سيد طنطاوى إلى قيادة القافلة إلى ما فيه خير أمتنا وديننا والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) رواه البخارى فى التاريخ ، والبيهقى فى السنن الكبرى .

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود

رئيس جامعة الأزهر الأسبق

بسم الله الرحمن الرحيم

شكرا لفضيلة الإمام الأكبر ، وأجد نفسى مضطرا للإيجاز لأن الأسرة الكريمة تريد أن تتحدث كلها .

وأولا أبدأ بالدعاء لك يا إمام بالتوفيق فيما أنت بصدده ، وخاصة فيما يخص مجمع البحوث الإسلامية الذى ينتظر العالم الإسلام منه كلمته فى شئون الحياة ، وإذا كان تداولنا لهذه الأمور فيما سبق ؛ فإنى أرجو أن يستمر ، وأن يزداد ، وأن يكون توجهنا إلى مستجدات الأمور ، ومستجدات الحياة لنقدم واجبنا نحو الإفتاء فيها ، وتنوير الناس بالأساس الإسلامى لما يدور فى المجتمع ، ولا أقصد المجتمع المصرى فحسب ، ولكن أقصد المجتمع الإسلامى وهو واسع ، وهو يريد منا الكلمة التى تؤكد العقيدة الإسلامية فى قلوب الناس وفى قلوب الحكام أيضاً ، وفى قلوب من بيدهم الأمر ، وخاصة نحن نواجه حملة شرسة من الذين لا يقنعون بالإسلام ، ولا أريد أن أسميهم بأسمائهم فأنتم أعلم بهم ربما أكثر منى .

حديث موجز فى أمور عرفتها عن الفقيد الراحل ـ طيب الله ثراه ـ ربما لم يعرفها غيرى أو ربما عرفها أقل القليل .

أول ما استقبلته وكنت وكيلا للأزهر سار فضيلته على سنة السلف الصالح فذهب إلى الجامع الأزهر ليؤدى صلاة شكر ، وقد فرحت فرحا شديدا عندما علمت أن فضيلتكم صنعتم هذا الصنيع فعلى سنة أسلافنا الصالحين كان فضيلة مولانا الشيخ/جاد الحق على جاد الحق ـ وعلى هذه السنة كنتم خير خلف لخير سلف .

فى ذلك الوقت أيضاً كنت أمارس إلى جانب الوظيفة أمانة الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر الشريف ، وكانت هناك هيئة اختصنى أن أدير الأمر كله من الناحية الإعلامية والناحية الثقافية

والناحية الجماهيرية للاحتفال اللائق بمكانة الأزهر الشريف بوصوله إلى سن الألف ، وكانت قد فاتت الألف بقليل فعرضت عليه وهو رئيس هذه الهيئة المؤقتة فى هذا الوقت فلم يشأ ـ رحمه الله ـ إلا أن يدعونى إلى الاستمرار فى مهمتى دون ولاية منه ولا وصاية ، ولكنى كنت دائماً أعرض عليه ما يستجد من الأمور ، وانتهى الاحتفال بخير ، والحمد لله .

وكان معنا مال نتصرف فيه أيضاً فأعددت قائمة بتوزيع المال المتبقى كمكافأة لمن عاونوه ، وتعفف هو عن أن يأخذ منه شيئاً ورده ، وحتى أكون أمينا فإنه لم يصنع صنيعة إلا الفريق/يوسف صبرى أبو طالب ـ محافظ القاهرة فى ذلك الوقت ، وهذه شهادة لوجه الله .

أوقاف الأزهر :

أول ما عنى به فضيلة الإمام الراحل أوقاف الأزهر ، فكوّن وهو وزير للأوقاف مجموعة لتسجل أوقاف الأزهر التى لدى وزارة الأوقاف عِلمٌ بها ، فلما عين شيخاً للأزهر أنشأ مجموعة أخرى هنا فى مشيخة الأزهر ، تقوم بدورها بحصر هذه الأوقاف وبالتنسيق مع المجموعة الموجودة بوزارة الأوقاف .

وأوصى فضيلة وزير الأوقاف الذى أتى بعده ـ بارك الله فى عمره ـ بأن يرعى هذه المجموعة هناك ، وأن يكلفها بما كلف به فضيلة الإمام أيام كان وزيراً للأوقاف .

ثم ماذا ، كان ـ رحمه الله ـ مشيراً بالحق والصدق ونعم المشير وإخواننا جميعاً يعرفون توجيهاته التى تأتينا فى اللجان ، أو تأتينا كأشخاص ، منها الحرص على استدامة الوسطية الإسلامية للأزهر الشريف .

وكان يستشار فنعم المستشار أيضاً تنطق محاضر الجلسات فى مجمع البحوث الإسلامية وفى اجتماعات اللجان المتعددة بهذه الإشارات والتوجيهات السديدة الرشيدة .

أذكر شيئاً شخصياً جداً ، كنت فى ذلك الوقت بدأت فى تفسير القرآن الكريم وبدأت فى إذاعته فيما يسمى « على هامش التلاوة » فطلب منى أن يعرف مواعيد الإذاعة فإذا هو بعد أسبوع يقول لى ما قاله السابقون : أذع ثم أذع ثم أذع ، فرضيت نفساً وطبت قلباً بهذا التوجيه الذى أعتز به ، وهى شهادة منه لا أزال أذكرها له بالخير دون أن أتعرف إلى أسبابها ، ثم ثقته فى كثير من الأخوة الذين بعثهم إلى بلاد مختلفة فى أوربا وفى آسيا وفى أفريقيا نالنى منها توجيه وكان توجيها صعبا أن أذهب إلى نيجيريا لأصلح بين الطائفتين المتعاديتين فى الإسلام ، وأذكر بالخير توجيهه لى بما أعالج به الأمور هناك ، وكأنه كان معنا يعرف كل صغيرة وكبيرة بين هاتين الفئتين المسلمتين مما دفعنا إلى أن نضع دستوراً لهم يلتزم به الفريقان ، وتركنا لهم الوقت ليجعلوا هذا الدستور موضع التطبيق ، ثم وجهنا إلى أن نطمئن إلى تطبيقاتهم .

وبرعاية رئيس الجمهورية هناك ذهبت مرة ثانية للاطمئنان على أنهم ارتضوا الدستور وأنهم بدأوا فى تنفيذه ورجونا لهم التوفيق ومازلنا نرجو لهم التوفيق ، ولكن الفضل كل الفضل فيما تحقق كان من توجيه فضيلة الإمام الراحل .

أما تبادل الرأى كفرد لفرد فكان هذا كثيراً .

أسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يتغمده برحمته وأن يسكنه فسيح جناته وأن يجعله مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

أما أخى الكبير فضيلة الإمام الجديد الأستاذ الشيخ الدكتور/محمد سيد طنطاوى فقد دعوت له بالتوفيق قبل أن يختار ، وكانت عبارتى التى أعتز بها أرجو أن يوفق مَن يَختار وأن يوفق من يُختار .

هذه سمعتها من ألوف ولا أقول ملايين فى لقاء مباشر وعبر الصحف أو عبر الهاتف أسأل الله لك يا فضيلة الإمام الأكبر أن توفق توفيقاً كبيراً فيما أنت بصدده ، وفيما حملت من مسئولية وإنها لمسئولية كبيرة خطيرة ، ولكن أنت لها وستجد من هذا المجمع الكريم كل معونة ومساعدة لإعزاز الإسلام فى بلاد الإسلام أولا ، وفيما وراء بلاد الإسلام ثانياً أعنى فى العالم كله إن شاء الله ، سدد الله خطاك وبارك فيك ورزقنا منك حسن المشورة كما رزقناها من قبل وشكراً ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الأستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر السابق

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فضيلة الإمام الأكبر ، السادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية أعلى مجلس على مستوى العالم العربى والإسلامى ، أحييكم جميعاً بتحية الإسلام .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخنا الجليل الشيخ جاد الحق على جاد الحق الإمام الأكبر السابق للأزهر الشريف تسامحت حيث كان التسامح عزا للإسلام ، وزدت تواضعا حيث كنت رمزاً للإسلام ، وكنت الطود الراسخ حيث كان التمسك بشرع الإسلام ، فهنيئاً لك بما خصك الله به .

شيخنا الجليل من أجل ذلك كله أبنتك مصر كلها والعالم الإسلامى والعربى كله من خلال تلك الأرض الطيبة التى أبنتك ، فكنت كالزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه .

شيخنا الجليل توليت القضاء فكنت العدل المطلوب من شرع السماء .

ثم توليت الإفتاء فكنت الصوت الحق والنور الساطع لشرع السماء .

وتوليت الأوقاف فكنت الراعى والموجه فى الأخذ بالموعظة الحسنة والدفع بالتى هى أحسن .

وتُوجت بمشيخة الأزهر فازداد انتشاره وعادت إليه هيبته وتوسعت جامعته وبلغت شأناً لم تبلغه فى أى عهد كان حيث كانت توجيهاتك السديدة والرشيدة ، فهنيئاً لك فى قبرك بما أنجزت وحققت ، وهنيئاً لك ، لكل دعوات أهل مصر والعروبة الإسلام بالرحمة والمغفرة ، واسمحوا لى أن أفيض أمامكم بشهادة كان قد طلب منى أن لا أتحدث بها وهو على قيد الحياة فأصبحت فى حِلٍّ الآن فى أن أتحدث فقد كنت رفيقاً له فى رحلة من الرحلات إلى دولة من الدول فلما كان فى مقابلة حاكمها ، قدم له شيكا بمبلغ كبير من الدولارات له شخصيا ، فأخذ الشيك ولم يتحدث فى أمره مع صاحبه ، ولكنه حينما حضر إلى هذا المقر كتب خطابا للسيد رئيس الجمهورية أخبره فيه بما تم ، وأنه أودع هذا المبلغ فى إدارة الأزهر للإنفاق منه على الموظفين والعاملين الفقراء ، فإن دل هذا على شىء إنما يدل على عزة النفس وطهارة اليد التى ينبغى أن تتوفر فى كل من يتقلد هذا المنصب ؛ لأنه رمز للإسلام ورمز للأمة الإسلامية .

أسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه ويوفق خلفه لما يحبه ويرضاه إنه سميع الدعاء .

أشكركم ....

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة

الأستاذ الدكتور أحمد كمال أبو المجد

السادة العلماء :

فى هذا الزمان الصعب ، زمان الحيرة والشك والاتهام ، كتب علينا ألا نعرف قدر كثير من الناس إلا بعد أن يرحلوا عنا .

والعلماء الذين هم ورثة الأنبياء نأخذهم نحن أبناء هذا الزمان مأخذ المسلمات حين نألف كلمتهم بيننا وبقاءهم حولنا حتى إذا رحلوا اقشعرت الأبدان ، وانزعجت الأفئدة ، واستشعرنا حجم الخسارة الكبيرة وذكرنا قول النبى ﷺ :

« إن الله لا ينزع العلم انتزاعا ، ينتزعه من الصدور ولكن ينتزعه بقبض العلماء »(١) إذا قبض عالم جزعنا وخفنا على هذا الدين .

هذا اللقاء الكريم هو وقفة يعلن فيها هذا المجمع الموقر الكبير أن المروءة لا تزال فى الناس ، وأن الوفاء لا يزال فى أهل مصر ، وفى الأزهر الشريف قيمة حية باقية ، وأنه إذا كان كثير من الناس يحسبون الوجاهة قيمة ، ويظنون المال قيمة ، فإن العارفين المحققين يعرفون فضل العلماء على سائر الناس ، وأنهم كما قال النبى ﷺ : « ورثة الأنبياء »(٢) .

ولا أريد أن أطيل ، ولكننى عرفت فضيلة الإمام الراحل الشيخ/جاد الحق على جاد الحق . عرفت فيه أمرين :

أنه كان صاحب فقه ..
وأنه كان صاحب موقف .

كان صاحب فقه بما أصدره من فتاوى وما أعلنه من آراء كان فيها محددا واضحا منضبطا وقّافا ملتزما اجتهد رأيه بقدر ما آتاه الله من عمق الرأى وسعة النظر .

ولكن الذى لا يعرفه كثير من الناس أنه كان صاحب مواقف يعرف الناس أقلها ولا يعرفون أكثرها وكنت ممن لا يعرفون هذه المواقف إلا حين أتيح لى أن أقترب منه :

أذكر أنى زرته مرة فى مرضه بأحد المستشفيات فلم يحدثنى عن مرضه إلا قليلا ، وانطلق يتحدث كمن يحمل هما ثقيلا على كتفيه عما يجرى فى الشيشان وعما يجرى فى البوسنة وكان شديد الألم ؛ لأن تعقيدات السياسة واختلاط الأوراق حالت دون أن يصل العون كما كان ينبغى أن يصل إلى أهل الشيشان ، وإلى أهل البوسنة ، ويكاد يبكى من تفرق كلمة المسلمين حكاما ومحكومين .

هذا الرجل كان قمة فى العالم ، وكان صاحب مواقف ينبغى أن نذكرها له بحق الوفاء ، وبحق الحرص على أن تبقى صورة العلم والعلماء مشرقة زاهية ، وأن يعرف الناس عنها ما لا يعرفون .

فى آخر جلسة أو فى الجلسات الأخيرة لهذا المجمع اختار الله أن تفجر قضايا تتعلق بأمر الإسلام فى عمومه ، والأزهر فى خصوصه باعتباره حصناً يحافظ على الإسلام ، وينطلق به ويحرص على هموم المسلم : أثيرت قضية الأزهر وقضية المجمع وقضية المؤسسات الدينية فى مصر وفى العالم الإسلامى والحاجة إلى وقفة يرشد بها العمل وتقوى بها الساحة وينهض بها الأزهر ، وتسترد بها المؤسسة الدينية كرامتها ، وقدرتها وسلاحها الذى به تستطيع أن تنصر الإسلام وأن تنصر المسلمين .

ثم اختار الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يقبض إليه هذا العالم الجليل وهذا الجهد لا يزال فى أوله يرعاه برفق وحرص وتشجيع وتنشيط لتنتقل الراية إلى أخ له عزيز كريم هو فضيلة العالم الجليل الأستاذ الدكتور/محمد سيد طنطاوى .

وهكذا سيدى العالم الجليل كتب الله لك وكتب عليك أن تحمل راية كريمة نبيلة لتظل تلك الراية مرفوعة ، وأن تحمل أمانة نبيلة ثقيلة هى أمانة النهوض بهذا المجمع وأمانة النهوض بهذا الأزهر فى عصر تغيرت فيه الأمور ، وتغيرت فيه النفوس ، وتبدلت كثير من القيم ولكن أقول لك :

أنك محفوف بقلوب وعقول وجهود هذا الجمع من الصفوة فى هذا المجمع ، ومجمع أكبر هو جمع ملايين المصريين الذين يحبون الله ورسوله ويعرفون أن نهضة الدنيا فى هذا الإسلام ، ويعرفون فضل الأزهر حين ينكره الكثير ، فسر على بركة الله محفوفا برعايته محفوفا بقلوب كل من عرفوك ومن عرفوا الإمام الراحل ، وكل من بقيت فى نفوسهم بقية إكبار وإجلال للعلم والعلماء وغيرة على دين الله نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل الفقيد الراحل بكل ما يتقبل به العلماء وأن ينزله منازل الصديقين والشهداء والصالحين ، وأن يمنحك قوة الكتفين وسعة الصدر وعلو الهمة والصبر على المكاره ، وأنه ما جاء أحد قومه بمثل ما يخرج به الأزهر على الناس إلا أوذى فى نفسه وماله ، ولكن الله تبارك وتعالى أحق أن نخشاه ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ . سورة الزمر ٣٦

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

نحن لا نزال فى غمرة الحزن الشديد على فراق الإمام الذى أحبنا وأحببناه ، ونحن فى موقف رثاء ، لأن الرجل أكبر من أن يرثى بمعنى أن عبارات الرثاء مهما صادفت فى البلاغة فإنها لا تستطيع أن توفيه حقه وإنما هناك مواقف ، والرجال مواقف ، ينبغى أن تذكر : بعضها معروف جملة ومجهول تفصيلا والبعض الآخر غير معروف .

سأعرض بسرعة لهذه المواقف للذكرى استجابة لقول العزيز الحكيم :

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ سورة الذاريات

الموق الأول الخالد هو موقفه رحمه الله من مجازر المسلمين فى البوسنة والهرسك حينما اتفق العالم أجمع ـ وكلمة أجمع أنا أعنيها ـ يعنى : العالم بحكوماته غير مسلمة ومسلمة على إذلال هذا الشعب وقتله وسفك دمائه وتجويعه وهتك عرضه .

المسلمون غلت الدماء فى عروقهم ، واتصل بى أخى العزيز الدكتور/عبدالصبور مرزوق تليفونياً ، وقال لى : نحن نريد أن نتناول هذه القضية ، وليس ثمة مكان صالح لها إلا الأزهر فأت لنا بإذن من شيخ الأزهر ؛ لأننا لا نستطيع أن نعقد مؤتمرا فى الأزهر إلا بإذن الشيخ ، وأنا بين الرجاء والأمل وخطورة الموقف .

الدنيا كلها ضد المسلمين فى البوسنة والهرسك كلها بلا استثناء تقدمت إلى الرجل الجليل فقال : اعقدوا المؤتمر وأنا فى الصدارة من صفوفكم ، وانعقد المؤتمر وكان أول المتكلمين ..

هذا موقف ينبغى أن يعرف للشيخ الجليل ، ثم تتابعت مواقفه بعد ذلك عن البوسنة والهرسك .

الموقف الثانى موقفه من مؤتمر السكان ، وقد كفانى أخى العزيز الدكتور أحمد عمر هاشم الحديث فيه .

وهو أكثر بيانا منى . والذى أريد أن أقوله : إن الشيخ أصدر توجيهاته بأن يكون هذا المجمع فى انعقاد دائم ، وكلف بعضنا بقراءة الوثيقة بالعربية فوجدناها مشوهة فكلف البعض بقراءتها بالإنجليزية ، وانتهينا بالبيان الدقيق الفاصل الذى تقبله العالم الإسلامى كله بالشكر .

الموقف الثالث أنه كان لا يصدر قراراً إلا باتفاق هذا المجمع ولو خالفه المجمع فى الرأى وبالفعل حينما أعد العدة للسفر إلى أمريكا استجابة لدعوة صادرة من هيئة لها صلة بالأمم المتحدة قال أعضاء المجمع : لا تسافر يا فضيلة الإمام فليسافر من ينوب عنك فنزل الرجل ـ رحمه الله ـ تعالى ـ عند إرادة المجمع .

وشرف ثلاثة من أعضاء المجمع بالسفر إلى أمريكا ، أخى العزيز معالى الدكتور/محمود زقزوق ، والمغفور له الشيخ/محمد الغزالى ، والشخص الضعيف ، ولسبب من الأسباب القاهرة لم نشرف بزمالة الدكتور/زقزوق وسافرت أنا وفضيلة الشيخ الغزالى وكان فتحا عظيما بإذن الله لكن الثمرة الكبرى هى أننا عدنا بعد دراسة الأحوال الأكاديمية للدراسات الإسلامية بضرورة أن يكون للأزهر امتداد فى واشنطن ؛ لأن فيها سبع جامعات بها أقسام تدرس الإسلام مشوها عن عمد أو جهل ، واهتم الرجل ــ طيب الله ثراه ــ وجعل الموضوع أمانة الآن فى يد أخى أحمد عمر هاشم ، ونحن نرجو الأخ العزيز الإمام الأكبر الجديد أن يضع هذا المشروع فى سويداء قلبه واهتمامه .

الشىء الآخر هو أن الرجل كان يمتد ببصره وبصيرته إلى الأفق البعيد مهما كانت المسافة ، ونتيجة لهذا أصبح فى جنوب أفريقيا معهد أزهرى يلبس أبناؤه العمامة الأزهرية فى قلب « الكيب تاون » ، والبنات يلبسن ما يلبسه بناتنا هنا فى الأزهر ، وقد رجوته فى أن يكون بدل المعهد أربعة وكتبنا له مذكرة بذلك ، ونسأل الله أن يشرح صدركم أيضاً لامتداد الأزهر ليس إلى جنوب أفريقيا فحسب ، وإنما إلى آفاق كثيرة بعيدة تفتقده وتحتاج إليه .

مواقفه من الذين ناصبوا الإسلام العداء فى مصر وغير مصر ، وكلنا يعرف أستاذاً فى جامعة ما كتب كتباً ضد الإسلام لكى يرقى بها فلم يرق فظلت جريدة كبرى لمدة أربعة أشهر كاملة وهى تجعل من هذا الرجل المنحرف على الأقل ديناً شيئاً له قيمة حتى ضج الجميع فما كان من الشيخ الجليل إلا أن اتصل برئيس الجمهورية ، وقال له : يا سيادة الرئيس الذى يحدث يضر الإسلام والمسلمين فأصدر رئيس الجمهورية أمراً إلى رئيس التحرير وأنهى هذه المهزلة ، وهكذا كان يتصدى لكل هذه المواقف التى تجرح احساس وكبرياء كل مسلم فى بلد مسلم .

ـ جائزة فيصل لابد أن أتحدث عن جائزة فيصل لأنه لم يكن هناك مفر من أن تعطى جائزة فيصل لخدمة الإسلام للشيخ ، لأن إخواننا فى السعودية عرفوا بعض ما بذله الشيخ فى مؤتمر السكان ؛ فكانت النتيجة أن منحوه هذه الجائزة التى أقول الآن أنه لم يدخل جيبه منها مليما واحدا .

وردا على الذين كانوا يقولون أُرفض الجائزة يا مولانا فى صحف عرفت بعداوتها للإسلام ومجلات عرفت بخصومتها للإسلام ، فلم يرد المبلغ إلى هناك وإنما دفعه إلى فقراء هذه الأمة الذين احتاجوه ولم يدخل جيبه ولا جيب أولاده مليما واحدا ، وهذه حقيقة ينبغى أن تذكر عن الإمام العظيم الفقيد .

سيدى الإمام الأكبر :

أنا أعرف أدبك وفضلك عن معايشة وعن تجربة ، ولذلك فإن الموقف لا يستدعينى أن أهنئك لماذا ؟ لأن التهنئة أمر قد يصدر من القلوب حينا وقد يصدر مجاملة ولا أقول نفاقا حينا آخر ، ومن ثم فأنت لست فى حاجة إلى ذلك ، ولكنك فى حاجة إلى الخوض فى الفعل الذى تعودنا أن نعامل به أحبابنا حينما تسند إليهم مخاطر الأمور ، وليس أخطر من مشيخة الإسلام ، وأنت لست فى حاجة إلى التهنئة ، ولكنك فى حاجة إلى الدعاء بالتوفيق والسداد ، وأن يكون لا أقول كل همك وإنما جل همك منصرفاً إلى هذا المجمع الذى ينبغى أن تصدر قراراته عن قلب رجل واحد وعن عقل رجل واحد وعن دين رجل واحد ، سدد الله خطاك وألهمك التوفيق ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى وزير الأوقاف الأسبق

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع سبيله واهتدى بهداه ، وبعد ..

ففى مستهل حديثى أذكر قول الله – عز وجل – لحبيبه ﷺ : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝﴾ الأنبياء وعزاؤنا دائماً فيمن نودع بما خلفوا من آثار يشعر بها القريب والبعيد .

وأنا قد عايشت فضيلة إمامنا الراحل – طيب الله ثراه وأعلى فى الجنة مثواه – ، حينما عايشته فى مستهل حياته ، كان الداعية الذى يعتلى المنابر ويقف فيها موقف الداعية المخلص .

لقد عاش – رحمه الله – يقدم النصح للمسلمين فى كل مكان ، وهو بهذا أرسى المبادىء التى نحن بحاجة إليها والعالم كله بحاجة إليها كذلك .

لقد أعطى إمامنا الراحل القدوة فى تحمل الأمانة فكان بحق خير من قام بحملها وأدائها حق الأداء .

لقد اختاره الله شيخاً للأزهر فرأيناه ينفذ بالدعوة إلى القرى وإلى النجوع عن طريق المعاهد الأزهرية ، وهى عامرة بالعلماء والدعاة الذين لا يبخلون بالكلمة الطيبة فى محيط العمل الذى يؤدونه .

لقد كان – رحمه الله – يعالج كافة المشاكل بالحكمة والحسنى ، وكان يرى أن علاج المشاكل لا يكون إطلاقاً بالصوت العالى أو القلم الشديد ولكن يُدرك بالرفق لا بالعنف .

هذا ما أردت أن أقوله بإيجاز عن المبادىء والقيم التى أرساها إمامنا الراحل – طيب الله ثراه وأعلى فى الجنة مثواه .

أيها الأخوة : لقد ساق لنا الحق – تبارك وتعالى – أخاً كريماً وشيخاً جليلا عرفناه بقدره وبصوته وبكل ما يكون به فى قمة الدين يتصدى للباطل ليدحضه وللحق ليؤيده .

وهو الأخ الفاضل الإمام الأكبر الدكتور **محمد سيد طنطاوى** – الذى أسأل الله – تعالى – أن يوفقه لما يحب ويرضاه ، وأن يكون له العون والسند ، وهو سبحانه السميع القريب المجيب الدعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة فضيلة الشيخ أحمد مسلم عضو لجنة الفتوى بالأزهر

أحمد الله تعالى واهب نعمة الحياة .

وأذكر هنا قول الله عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ سورة الأحزاب ٣٦

وهذا الأمر الذى نتحدث عنه عن فقيد الإسلام إمامنا الراحل شيخ الأزهر ـ رضى الله عنه وأحسن إليه ـ فلا يسعنا إلا أن نقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فنحن لله تعالى ملكا وخلقا وعبيدا .

فقيد الإسلام ـ رحمه الله ورضى عنه ـ كان عنواناً لمجمع من الكمالات ، عنواناً لمجمع من العلوم وأنواع الثقافات .

كان يجاهد فى سبيل الله ، يجاهد الباطل ، يجاهد الإلحاد والزنادقة ، وكان عنواناً فى التواضع والسماحة مع رفعة القدر .

أذكر أن أول اتصال بفضيلته كان فى مجلس الشعب عندما كنا نضع التقنين لأحكام الشريعة ، وكنا أحياناً نلتقى فى مكتبه فى العباسية ، وكان مفتياً للديار المصرية ، وكان يتفضل بإحضار المراجع والكتب الكبيرة الضخمة بنفسه ، وكنا نقول له يا مولانا عندك من العمال والموظفين من يستطيع إحضار ما تحتاج إليه من هذه المراجع ، ولكنه كان يحضرها بنفسه رغبة فى المثوبة من الله ـ عز وجل .

هكذا كان وأذكر أن جمعاً من العلماء الذين يعملون فى الريف زاروه فى مكتبه فبالغ فى الحفاوة بهم والإكرام والرعاية لهم فقلت له : يا مولانا ، لقد بالغت فى إكرام العلم فقال : إذا لم أكن أنا فمن يكون ؟

كان فقيدنا الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر مثلا أعلى فى النبل وفى الصبر وفى الكمال وفى رفعة الشأن .

ونحمد الله ـ تبارك وتعالى ـ أن عوضنا عنه شيخاً كبيراً وعالماً جليلا له فى التأليف وفى نشر الدعوة الإسلامية ما يشرح الصدور ، وهو فضيلة مولانا الإمام الأكبر الشيخ/محمد سيد طنطاوى أدام الله له نعمة التوفيق ، ورحم الله الراحل الذى نتحدث عنه رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ، وشكراً .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تفسير سورة الفاتحة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى

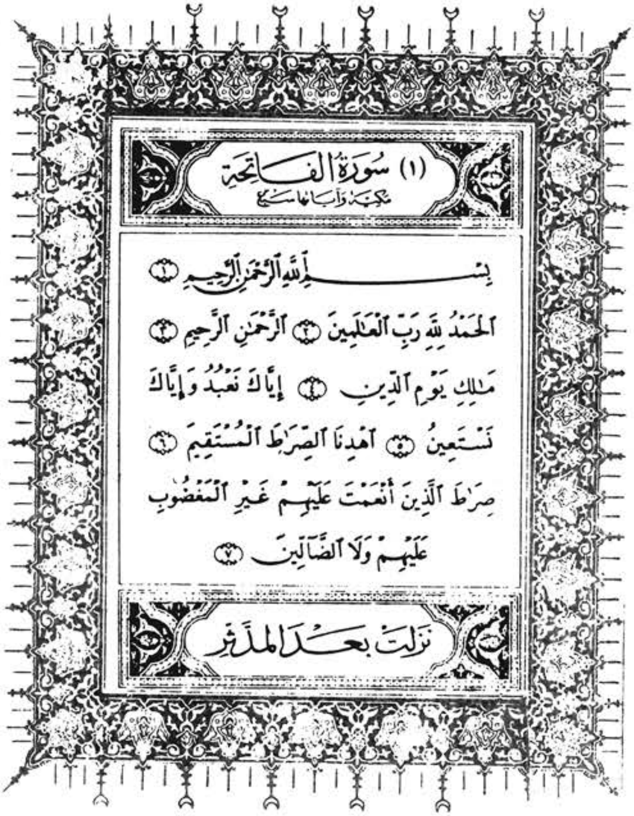
(١) سُورَةُ الفَاتِحَةِ
مَكيَّة وآياتها سبع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾
مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾
صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

نزلت بعد المدثر

سورة الفاتحة هى السورة الوحيدة التى أمر الإسلام أتباعه أن يقرأوها فى كل صلاة . وفى جميع الركعات فى كل الأوقات ، ولهذا أصبح حفظها ميسوراً لكل مؤمن .

وهذه السورة على صغر حجمها ، وقلة آياتها ، قد اشتملت بوجه إجمالى على مقاصد الدين من توحيد ، وتعبد ، وأحكام ، ووعد ووعيد .

ونرى من الخير قبل أن نبدأ فى تفسيرها بالتفصيل ، أن نمهد لذلك بالكلام عما يأتى :

أولا : متى نزلت سورة الفاتحة ؟

للإجابة على هذا السؤال نقول : إن الرأى الراجح بين المحققين من العلماء أنها نزلت بمكة ؛ بل هى من أوائل ما نزل من القرآن بمكة .

وقيل : إنها مدنية ، وقيل : إنها نزلت مرتين : مرة بمكة حين فرضت الصلاة ، ومرة بالمدينة حين حولت القبلة .

قال القرطبى : الأول أصح لقوله ـ تعالى ـ فى سورة الحجر : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ وسورة الحجر مكيــة بالإجماع . ولا خلاف فى أن فرض الصلاة كان بمكة ، وما حفظ أنه كان فى الإسلام قط صلاة بغير ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ ويدل على ذلك **قوله** ﷺ : « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب » . وهذا خبر عن الحكم لا عن الابتداء(١) .

ثانياً : عدد آياتها :

وهى سبع آيات لقوله ـ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ قال العلماء : السبع المثانى هى الفاتحة .

وقال ابن كثير : هى سبع آيات بلا خلاف : وقال عمرو بن عبيد : هى ثمانى آيات ، لأنه جعل ﴿ **إياك نعبد** » **آية . وقال حسين الجعفى : هى ست آيات وهذان القولان شاذان**(٢) .

ثالثاً : أسماؤها :

لسورة الفاتحة أسماء كثيرة من أشهرها :

١ ـ « الفاتحة أو فاتحة الكتاب » وسميت بذلك لأنه تفتتح قراءة القرآن بها لفظاً . وتفتتح بها الكتابة فى المصحف خطا ، وتفتتح بها الصلوات ، وإن لم تكن هى أول ما نزل من القرآن ، وقد اشتهرت بهذا الاسم فى أيام النبوة .

وقد أصبح هذا الاسم علماً بالغلبة لتلك الطائفة من الآيات التى مبدؤها ﴿ **الحمد لله** ﴾ .. ونهايتها .. ﴿ **ولا الضالين** ﴾ .

٢ ـ « أم القرآن أو الكتاب » وسميت بذلك لاشتمالها إجمالا على المقاصد التى ذكرت فيه تفصيلا ، أو لاشتمالها على مافيه من الثناء على الله بما هو أهله ، والتعبد بأمره ونهيه ، وبيان وعده ووعيده ، أو على جملة معانيه من الحكم النظرية ، والأحكام العملية التى هى سلوك الصراط المستقيم ، والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء .

قال ابن جرير : « والعرب تسمى كل أمر جامع أُمًّا ، وكل مقدم له توابع تتبعه « أُمًّا » فتقول للجلدة التى تجمع الدماغ : « أم الرأس » . وتُسَمِّي لواء الجيش ورايتهم التى يجتمعون تحتها « أُمًّا »(٣) .

٣ ـ « السبع المثانى » جمع مَثْنَى كَمَفْعَلَ : اسم مكان . أو مُثَنَّى ـ بالتشديد ـ من التثنية على غير قياس . وسميت بذلك ؛ لأنها سبع آيات فى الصلاة ، أى تكرر فيها ؛ أخرج الإمام أحمد ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ أنه قال : « هى أم القرآن ، وهى السبع المثانى ، وهى القرآن العظيم »(٤) .

٤ ـ وتسمى ـ أيضاً ـ سورة « الحمد » .

٥ ـ و« الكنز » .

٦ ـ و« الواقية » .

٧ ـ و« الشفاء » ، لحديث . هى الشفاء من كل داء .

٨ ـ و« الكافية » لأنها تكفى عن سواها ولا

---

(١) تفسير القرطبى . جـ ١ ص ١١٥ طبعة دار الكاتب العربى ، والحديث رواه أبوداود كما ورد بألفاظ متقاربة عند البخارى وأحمد والترمذى وابن حيان والبيهقى والحاكم فى المستدرك .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٨ طبعة عيسى الحلبى .

(٣) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ١٠٧ طبعة دار المعارف .

(٤) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٩ .

يكفى سواها عنها .

٩ ـ و« الأساس » .

١٠ ـ و« الرقية » .

هذا ، وقد ذكر القرطبى للفاتحة اثنى عشر اسماً ، كما ذكر السيوطى لها فى كتابه « الإتقان » خمسة وعشرين اسماً .

رابعاً : فضلها :

ورد فى فضل سورة الفاتحة أحاديث كثيرة منها :

ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى سعيد بن المعلى ـ رضى الله عنه ـ قال : كنت أصلى فى المسجد ، فدعانى النبى ﷺ فلم أجبه ، فقلت : يارسول الله ، إنى كنت أصلى . فقال : ألم يقل الله : ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ .

ثم قال لى : « لأعلمنك سورة هى أعظم السور فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد ؛ ثم أخذ بيدى ، فلما أراد أن يخرج ، قلت : يا رسول الله . ألم تقل : لأعلمنك سورة هى أعظم سورة فى القرآن . قال : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ ، هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته »[٥] .

وروى مسلم والنسائى ، عن ابن عباس ، قال :

« بينما جبريل قاعد عند النبى ﷺ سمع نقيضا من فوقه ـ أى : صوتاً ـ فرفع رأسه فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم ، لم يفتح قط إلا اليوم . فسلم وقال : أبشر بنورين قد أوتيتهما ، ولم يُؤْتَهُمَا نبى قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لم تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته »[٦] .

وروى مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خِدَاج (ثلاثاً) « غير تمام » فقيل لأبى هريرة : إنا نكون وراء الإمام ؟ فقال : اقرأ بها فى نفسك ؛ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله ـ تعالى ـ : « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، ولعبدى ماسأل » ، فإذا قال العبد : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ . قال الله : حمدنى عبدى ، وإذا قال : ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ . قال الله تعالى : أثنى على عبدى . وإذا قال : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ قال الله : مجدنى عبدى . فإذا قال : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ . قال الله : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل . فإذا قال : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ . **قال الله : « هذا لعبدى ولعبدى ما سأل »**[٧] .

وأخرج الإمام أحمد فى مسنده ، عن عبد الله ابن جابر ، أن رسول الله ﷺ قال له : ألا أخبرك بأخير سورة فى القرآن ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : اقرأ : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ حتى تختمها[٨] .

---

(٥) صحيح البخارى . كتاب التفسير . باب ما جاء فى فاتحة الكتاب جـ ٦ ص ٢١ .

(٦) أخرجه مسلم فى كتاب : صلاة المسافرين وقصرها جـ ٢ ص ١٩٨ .

(٧) أخرجه مسلم فى كتاب الصلاة جـ ٢ ص ٩ .

(٨) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٠ .

تلك هى بعض الأحاديث التى وردت فى فضل هذه السورة الكريمة .

● ● ●

وقد ذكر العلماء أنه يسن للمسلم قبْل القراءة أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، استجابة لقوله ــ تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[٩] .

ومعنى « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » : ألتجىء إلى الله وأتحصن به ، وأستجير بجنابه من الشيطان الرجيم أن يضرنى فى دينى أو دنياى .

قال ابن كثير : « والشيطان فى لغة العرب : كل متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شىء . وهو مشتق من شَطَنَ إذا بَعُدَ ، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر ، وبعيد بفسقه عن كل خير .

وقيل : مشتق من شَاطَ لأنه مخلوق من نار . والأول أصح إذ عليه يدل كلام العرب ، فهم : يقولون : تشيطن فلان إذا فعل أفعال الشيطان ، ولو كان من شاط . لقالوا : تَشَيَّطَ ، فالشيطان مشتق من البعد على الصحيح[١٠] .

والرجيم : فعيل بمعنى مفعول أى أنه مرجوم مطرود من رحمة الله ومن كل خير ، وقيل : رجيم بمعنى راجم لأنه يرجم الناس بالوساوس والشكوك .

قال بعض العلماء : « وإنما خصت القراءة بطلب الاستعاذة مع أنه قد أمر بها على وجه العموم فى جميع الشئون ، لأن القرآن مصدر الهداية والشيطان مصدر الضلال ، فهو يقف للإنسان بالمرصاد فى هذا الشأن على وجه خاص ، فيثير أمامه ألواناً من الشكوك فيما يقرأ ، وفيما يفيد من قراءته ، وفيما يقصد بها ، فيفوت عليه الانتفاع بهدى الله وآياته ، فعلمنا الله أن نتقى ذلك كله بهذه الاستعاذة التى هى فى الواقع عنوان صدق ، وتعبير حق ، عن امتلاء قلب المؤمن بمعنى اللجوء إلى الله ، وقوة عزيمته فى طرد الوساوس والشكوك ، واستقبال الهداية بقلب طاهر ، وعقل واع ، وإيمان ثابت[١١] .

قال القرطبى : وقد أجمع العلماء على أن التعوذ ليس من القرآن ولا آية منه ، وهو قول القارىء : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[١٢] .

والآن وبعد هذا التمهيد الموجز الذى تكلمنا فيه عن نزول سورة الفاتحة ، وعن عدد آياتها ، وعن أشهر أسمائها ، وعن بعض الأحاديث التى وردت فى فضلها نحب أن نبدأ فى تفسير السورة الكريمة فنقول ــ وبالله التوفيق ــ:

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الاسم : اللفظ الذى يدل على ذات أو معنى . وقد اختلف النحويون فى اشتقاقه على وجهين ، فقال البصريون : هو مشتق من السمو ، وهو العلو والرفعة ، فقيل : اسم ؛ لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به .

وقال الكوفيون : إنه مشتق من السمة وهى العلامة ، لأن الاسم علامة لمن وضع له ، فأصل (اسم) على هذا « وَسْم » .

---

(٩) سورة النحل الآية ٩٨ .

(١٠) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٤ .

(١١) تفسير القرآن الكريم ص ١٦ لفضيلة الإمام الأكبر المرحوم محمود شلتوت .

(١٢) تفسير القرطبى جـ ١ ص ٨٦ .

ويرى المحققون أن رأى البصريين أرجح ، لأنه يقال فى تصغير « اسم » سُمَىّ ، وفى جمعه أسماء ، والتصغير والجمع يردان الأشياء إلى أصولها ، ولو كان أصله وسم ــ كما قال الكوفيون ــ لقيل فى جمعه : أوسام ، وفى تصغيره وسيم .

ولفظ الجلالة وهو « **الله** » عَلَمٌ على ذات الخالق ــ عز وجل ــ تفرد به ــ سبحانه ــ ولا يطلق على غيره ، ولا يشاركه فيه أحد .

قال القرطبى : قوله « **الله** » هذا الاسم أكبر أسمائه ــ سبحانه ــ وأجمعها حتى قال بعض العلماء : إنه اسم الله الأعظم ، ولم يتسم به غيره ، ولذلك لم يثن ولم يجمع : فالله اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية ، المنعوت بنعوت الربوبية ، المتفرد الحقيقى ، لا إله إلا هو ــ سبحانه[١٣] .

و﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ صفتان مشتقتان من الرحمة . والرحمة فى أصل اللغة : رقة فى القلب تقتضى الإحسان ، وهذا المعنى لا يليق أن يكون وصفا لله ــ تعالى ــ ، ولذا فسرها بعض العلماء بإرادة الإحسان . وفسرها آخرون بالإحسان نفسه .

والموافق لمذهب السلف أن يقال : هى صفة قائمة بذاته ــ تعالى ــ لا نعرف حقيقتها ، وإنما نعرف أثرها الذى هو الإحسان .

وقد كثرت أقوال المفسرين فى العلاقة بين هاتين الصفتين ، فبعضهم يرى أن ﴿ **الرحمن** ﴾ هو المنعم على جميع الخلق ، وأن ﴿ **الرحيم** ﴾ هو المنعم على المؤمنين خاصة .

ويرى آخرون أن ﴿ **الرحمن** ﴾ هو المنعم بجلائل النعم ، وأن ﴿ **الرحيم** ﴾ هو المنعم بدقائقها .

ويرى فريق ثالث أن الوصفين بمعنى واحد ، وأن الثانى منهما تأكيد للأول .

والذى يراه المحققون من العلماء أن الصفتين ليستا بمعنى واحد ، بل روعى فى كل منهما معنى لم يراع فى الآخر : **فالرحمن** بمعنى عظيم الرحمة ، لأن فَعْلَان صيغة مبالغة فى كثرة الشىء وعظمته ، ويلزم منه الدوام كغضبان وسكران .. **والرحيم** بمعنى دائم الرحمة ؛ لأن صيغته (فعيل) تستعمل فى الصفات الدائمة ككريم وظريف . فكأنه قيل : العظيم الرحمة الدائمة[١٤] .

أو أن ﴿ **الرحمن** ﴾ صفة ذاتية هى مبدأ الرحمة والإحسان . و﴿ **الرحيم** ﴾ صفة فعل تدل على وصول الرحمة والإحسان وتعديهما إلى المنعم عليه .

ولعل مما يؤيد ذلك أن لفظ الرحمن لم يذكر فى القرآن إلا مجرى عليه الصفات كما هو الشأن فى أسماء الذات . قال ــ تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[١٥] ، و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[١٦] ، و﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾[١٧] ، وهكذا ..

(١٣) تفسير القرطبى جـ ١ ص ١٠٢ .

(١٤) تفسير سورة الفاتحة لفضيلة المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين . مجلة لواء الإسلام العدد الأول من السنة الأولى ص ٨ .

(١٥) أول سورة الرحمن ١ ــ ٢ .

(١٦) طه ــ ٥ .

(١٧) الإسراء ــ ١١٠ .

أما لفظ ﴿ **الرحيم** ﴾ فقد كثر فى القرآن استعماله وصفاً فعلياً ، وجاء فى الغالب بأسلوب التعدية والتعلق بالمنعم عليه . قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[18] ، ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[19] ، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[20] .. إلخ .

قال بعض العلماء « وهذا الرأى فى نظرنا هو أقوى الآراء ، فإن تخصيص أحد الوصفين بدقائق النعم ، أو ببعض المنعم عليهم لا دليل عليه ، كما أنه ليس مستساغاً أن يقال فى القرآن : إن كلمة ذكرت بعد أخرى لمجرد تأكيد المعنى المستفاد منها »[21] .

والجار والمجرور «**بسم**» متعلق بمحذوف تقديره ابتدىء .

والمعنى : ابتدىء قراءتى متبركاً ومتيمناً باسم الله الذى هو الأول والآخر ، والظاهرة والباطن ، والذى رحمته وسعت كل شىء ، وأتبرأ مما كان يفعله المشركون والضالون ، من ابتدائهم قراءتهم وأفعالهم باسم اللات أو باسم العزى أو باسم غيرهما من الآلهة الباطلة .

هذا وقد أجمع العلماء على أن البسملة جزء آية من سورة النمل فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [**النمل : ٣٠**] .

ثم اختلفوا بعد ذلك فى كونها آية مستقلة أنزلت للفصل بين السور مرة واحدة ، أو هى آية من سورة الفاتحة ومن كل سورة أ لخ .

فبعضهم يرى أن البسملة آية من الفاتحة ومن كل سورة ، ومن حججهم أن السلف قد أثبتوها فى المصحف مع الأمر بتجريد القرآن مما ليس منه ، ولذا لم يكتبوا « آمين » . فثبت بهذا أن البسملة جزء من الفاتحة ومن كل سورة .

وبهذا الرأى قال ابن عباس وابن عمر وأبو هريرة وسعيد بن جبير والشافعى ، وأحمد فى أحد قوليه .

ويرى آخرون أن البسملة ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور ، وقالوا : إنها آية فذة[22] من القرآن أنزلت للفصل والتبرك للابتداء بها ، ومن حججهم أنها لو كانت آية من الفاتحة ومن كل سورة ، لما اختلف الناس فى ذلك ، ولما اضطربت أقوالهم فى كونها آية من كل سورة أو من الفاتحة فقط .

وكما وقع الخلاف بين العلماء فى كونها آية مستقلة أو آية من كل سورة ، فقد وقع الخلاف بينهم ـ أيضاً ـ فى وجوب قراءتها فى الصلاة ، وفى الجهر بها أو الإسرار إذا قرئت .

وتحقيق القول فى ذلك مرجعه إلى كتب الفقه ، وإلى كتب التفسير التى عنيت بتفسير آيات الأحكام .

البقية فى العدد القادم

---

(١٨) البقرة ـ ١٤٣ .

(١٩) الأحزاب ـ ٤٣ .

(٢٠) الإسراء ـ ٦٦ .

(٢١) تفسير القرآن العظيم ص ٢٤ لفضيلة المرحوم الشيخ محمود شلتوت .

(٢٢) فذة : مفردة مستقلة .

مع سورة يس

بقلم أ. د

ابراهيم خميس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا
للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في
ضلال مبين ﴿٤٧﴾ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين
﴿٤٨﴾ ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون
﴿٤٩﴾ فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ﴿٥٠﴾
ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون
﴿٥١﴾ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون ﴿٥٢﴾ إن كانت إلا صيحة
واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون ﴿٥٣﴾ فاليوم لا تظلم
نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴿٥٤﴾﴾

تذكر هذه الآية الأولى جناية أخرى من جنايات الكفار وقبيحة من قبائحهم . وهى أنهم إذا أمروا بالإنفاق على الفقراء سخروا من النبى والمؤمنين وقالوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ..

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - وكان بمكة زنادقة - الزنديق من لا دين له - فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا : لا والله . أيفقره الله

ونطعمه نحن ؟ . وكان هذا الاجتماع باطلا . ولأن الله تعالى إذا ملّك عبدا مالا ثم أوجب عليه فيه حقا فكأنه انتزع ذلك القدر منه فلا معنى للاعتراض ولأن المال مال الله والإنسان مستخلف فى هذا المال .

قال تعالى :

﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ الحديد ـ ٧

وقد صدقوا فى قولهم لو شاء الله لأطعمهم ولكنهم كذبوا فى الاحتجاج به على عدم الإنفاق .

وقوله تعالى :

﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

يحتمل أن يكون من قول الكفار للمؤمنين أى فى سؤال المال وفى اتباعكم محمدا ، وأن يكون من قول اصحاب النبى ﷺ لهم ، أو من قول الله ـ تعالى ـ للكفار حين ردوا بهذا الجواب .

روى أن أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ كان يطعم المساكين المسلمين فلقيه أبو جهل فقال ياأبا بكر أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء وهو لا يطعمهم ثم تطعمهم أنت ؟ .

فنزلت هذه الآية «من القرطبى» وكأن أبا بكر فى رده هذا يعنى قول الله ـ تعالى ـ ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾ النحل ـ ٧١

وقال الحسن إن هذا القول من كلام اليهود . أمروا بإطعام الفقراء فقالوا هذا ، وكأنهم حاولوا بهذا إلزام المسلمين وقالوا : نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله .

إن قول أولئك الفجار فى الرد على الدعوة إلى الإنفاق بقولهم «أنطعم من لو يشاء الله أطعمه» جهل منهم بحكمة الله فى الحياة وتطاولهم على الداعين إلى الإنفاق بقولهم « إن أنتم إلا فى ضلال مبين » وعجز عن إدراك سنن الله فى الكون وعن إدراك حركة الحياة وناموسها الطبيعى وعن عظمة الغاية التى تتنوع من أجلها المواهب وتتوزع بسببها الأرزاق لأن الله رازق الجميع وما فى أيديهم من ثروة لم يخلقوا هم منشيئا وما هم بقادرين على خلق شىء منه ، ولكن إرادة الله فى عمارة الكون لم تشأ أن تمنح بلا كد ولا معاناة وإنما اقتضت من الناس كى ينالوا حاجاتهم أن يجدوا ويبذلوا ويجتهدوا فى النشاط ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، فهم لن ينالوا هذه الحاجات إلا بذلك الجهاد كفلاحة الأرض وصناعة الخامات وتداولها فى الأسواق ونقلها من مكان إلى آخر هكذا يقتضى قانون الاستخلاف فى الأرض والناس لا شك متفاوتون فى بذل ذلك الجهد ، فمنهم الكسول الغافل أو الخامل النائم أو الذى لا يملك الذكاء والموهبة والاستعداد الذى يمكنه من أستغلال خامات الأرض والانتفاع بها كما يمكنه من سائر عناصر الاستخلاف فى الأرض فى خضم الحياة الذى يجمع بين ثرى واحد وفقير فاقد فرضت الزكاة لإحداث التوازن فلا يحقد فاقد على واجد ولا فقير على غنى مما يؤدى إلى إفساد المجتمع والحياة معا .

فالإسلام بالزكاة يعالج هذا التناقض بحيث يظل الكد والعمل والبذل قانونا لتحويل الحياة دون أن

يتأثر بحقد حاقد أو موجدة فاقد ومن هنا جعلت الزكاة طهارة للنفس وللمال وجعلت عبادة بل ركناً من أركان الإسلام لتحقيق هذا الهدف النبيل .

وفى أمر المؤمنين الكفار بالإنفاق دلالة على أن الزكاة فرضت بمكة إلا أن تحديد القدر الواجب وبيان من تدفع إليهم كان بالمدينة ومما يدل على ذلك فى قوله تعالى

﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ الانعام ـ ١٤١

وقوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴾ المؤمنون ـ ٤

وفى الآية الثانية من هذه الآيات أنهم لم يتوقفوا عند حدود التكذيب والاستهزاء بل تجاوزوا ذلك إلى التحدى فكانوا يقولون .. متى هذا الوعد إن كنتم صادقين .

والمعنى . متى الساعة التى تتحدثون عنها ؟! ومتى يقع الموعود به ؟ ، إن كنتم صادقين فى وقوع الحشر فقولوا متى يكون ؟ ، أفصحوا إن كنتم صادقين .

والتعبير بالمضارع «ويقولون» يوحى بأن هذا هو منطق الكافرين فى وجه أنبياء الله ورسله جميعا منذ «آدم» عليه السلام إلى خاتمهم محمد ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وفى معنى هذه الآية قولهم

﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة الأنفال

والتحدى والتهكم والسخرية فى قولهم هذا أظهر وأبين .

والخطاب فى الآية مع الأنبياء والمؤمنين كانوا يتلون عليهم الآيات الدالة على البعث والآمرة بالإيمان به وقد وقع الإنكار من الكافرين بالبعث فى كثير من آى القرآن الكريم . مثل قوله تعالى :

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾
الملك ـ ٢٥

والجواب عليهم :

﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾
الملك ـ ٢٦

وفى سورة يونس :

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾
يونس ـ ٤٨

والجواب :

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾
يونس ـ ٤٩

وقوله تعالى :

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ سبأ ـ ٢٩

والجواب :

﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ سبأ ـ ٣٠

وعلم الساعة غيب من غيب الله الذى استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحد من خلفه لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾

لقمان ـ ٣٤

وقال تعالى :

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ سورة الجن

فالساعة إذا من الغيب الذى لم يطلع الله عليه أحدا أما غيرها فقد يظهر عليه من ارتضى من رسول وهذا يظهر جليا فى قوله تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

سورة الأعراف

ومن كل هذه الآيات يتبين أن وعد الله لا يستقدم لاستعجال البشر ولا يستأخر لرجائهم فى تأخيره فكل شىء عنده بمقدار وكل أمر مرهون وقته المرسوم إنما تقع الأمور فى مواعيدها وفق حكمة الله الأزلية التى تضع كل شىء فى مكانه .

﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾

جواب عن تساؤلهم فى مشهد خاطف سريع .. فما هى إلا صيحة تأخذهم وهم يتخاصمون ويتجادلون فإذا هم أموات لا يملكون حتى التوصية ولا العودة إلى أهلهم ليموتوا بين أيديهم ، وبهذا يرتسم المشهد الأول بعد الصيحة الأولى وتلك هى النفخة الأولى التى جاء ذكرها فى قوله تعالى :

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الزمر ـ ٦٨

وعند هذه الصيحة يموت أهل الأرض ، ومعنى ينظرون ينتظرون ، وإنما جعلوا منتظرين وقوعها من إنكارهم لها ـ والمنكر للشىء لا ينتظره ـ لأمرين :

الأول أنهم كانوا يعملون من الشرور والأرقام ما يستحقون به تعجيل العذاب وتقريب الساعة لولا حكم الله بأنها مؤخرة إلى وقت علمه سبحانه .

الثانى : أن قولهم ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ استفهام غير حقيقى فكان انتظارهم كذلك غير حقيقى لأن القائل «متى» يفهم منه الانتظار ، وتنكير الصيحة بوحى بعظمها ، وكذلك وصفها بواحدة فلا تحتاج إلى ثانية ، تأخذهم- تعمهم بالأخذ وتصل إلى من فى مشارق الأرض ومغاربها ، ولا شك أن مثلها لا يكون الا عظيما .

«وهم يخصمون» تعبير يوحى بعد الشدة والقوة أنها تقع وهم غافلون منشغلون بخصوماتهم فيكون الارتجاف أتم والا يخاف أعظم لعدم ورودها على خاطرهم .

قال عكرمة هى النفخة الأولى فى الصور ، وقال أبو هريرة ينفخ فى الصور والناس فى

أسواقهم فمن حالب لقحته ، ومن ذارع ثوبا ومن مار فى حاجة . وروى نعيم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فلا يطويانه حتى تقوم الساعة ، والرجل يليط حوضه ليسقى ما شيته فما يسقيها حتى تقوم الساعة ، والرجل يرفع أكلته إلى فيه فما يبتلعها حتى تقوم الساعة أخرجه البخارى .

إنها تأخذهم وهم مشغولون فى الأسواق بين بيع وشراء وغدو ورواح وأقدام تطرق الأرض ومعاول تضرب فى التربة وأفراح وأعراس ومآتم وأحزان ومهرجانات وتجميعات ومدارس ومعاهد وجامعات تزخر بالمتعلمين والمعلمين ، كل أولئك تأخذهم الصيحة تأخذهم فتملك عليهم أنفاسهم وحركتهم وقد جمدت عيونهم فى مآقيهم وانحبست فى صدورهم وتوقف نبض قلوبهم قد أخذوا بالحدث حين فقدوا القدرة على التمييز .

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾

الغرض من هذه الآية : بيان شدة الأخذ وأن الصيحة لا تمهلهم حتى يوصوا إن كانوا بين أهلهم ولا يرجعون إلى إهليهم إن كانوا خارج بيوتهم وبعد هذا توحى بأمور أخرى منها عدم الاستطاعة فإن قول القائل فلان فى هذه الحال لا يوصى دون قوله لا يستطيع التوصية لأن من لا يوصى قد يستطيعها فإذا عجزوا عن التوصية بالقول فهم عن الفعل أعجز ، واختيار كلمة «التوصية» من بين سائر الكلمات يدل على العجز التام حيث لا قدرة له على أهم الكلمات فإن الحاجة إليها عند الموت أشد وأمس ، والتنكير فى «توصية» للتعميم أى لا يقدرون على توصية «ما» ولو كانت بكلمة يسيرة ولأن التوصية قد تحصل بالإشارة فالعاجز عن الإشارة عاجز عن غيرها .

« وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ » .

تفيد معنيين : أحدهما القطع بأنهم لا يمهلون إلى أن يجتمعوا بأهاليهم وذلك يوجب الحاجة إلى الوصية ، الثانى : أنهم يموتون ولا رجوع لهم إلى الدنيا فيأتون بالوصية .

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾

هى النفخة الثانية ، والصور . القرن ، والنافخ إسرافيل ، والتعبير بالماضى «نفخ» لتحقق الوقوع ، والأجداث جمع جدث وهى القبور ، ينسلون يسرعون بطريق الجبر والقهر لا بطريق الاختيار .

والغرض من هذه الآية بيان ما بعد الصيحة الأولى . أى ونفخ فى الصور نفخة ثانية للبعث والنشور من القبور . فإذا جميع المخلوقين يخرجون من القبور يسرعون المشى إلى لقاء ربهم للحساب والجزاء ويوحى التعبير بالفاء وإذا «فإذا هم» بأن خروجهم فجأة وفى وقت واحد . كما قال تعالى :

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾
لقمان ـــ ٢٨

وقوله تعالى :

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾
الزمر ـــ ٦٨

وقال تعالى :

﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ القمر ـ ٧

وقال تعالى :

﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾

المعارج ـ ٤٣

وقال تعالى :

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾

النبأ ـ ١٧

والمراد بكل هذه الآيات النفخة الثانية التى هى نفخة البعث والنشور .

روى عن الحسن قال بين النفخيتن أربعون سنة الأولى يميت الله بها كل حى والأخرى يحيى الله بها كل ميت ، ولا منافة بين هذه الآية وبين قوله تعالى «ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون » لجواز اجتماع القيام والنظر والإسراع فى المشى فى وقت واحد .

﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾

هذه الآية تذكر ما يطرأ عليهم بعد البعث من الأهوال والمخاوف والويل والهلاك .

قالوا فى ابتداء بعثهم من القبور «ياويلنا» أى ياهلاكنا احضر فهذا أوانك ، وقيل المعنى ياقومنا انظروا ويلنا وتعجبوا منه وهى كلمة يقولها كل واحد منهم ، والمرقد . يجوز أن يكون بمعنى الرقاد أو محل الرقاد وهو القبر ، واطلاق المرقد على القبر أو على الموت من قبيل تشبيه الموت بالرقاد بجامع عدم ظهور الفعل والاستراحة من الأفعال الاختيارية ، ويجوز أن يكون المرقد على غير حقيقته ، وقالوا ذلك لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا .

وعن مجاهد أنهم يستريحون من العذاب قبيل النفخة الثانية ويذوقون طعم النوم . فالله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فإذا بعثوا فى الثانية وعاينوا أهوال القيامة دعوا بالويل ووجه ارتباط قوله «من بعثنا من مرقدنا» بقولهم «ياويلنا» : أنهم لما بعثوا تذكروا ماكانوا يسمعون من الرسل فقالوا «ياويلنا من بعثنا من مرقدنا» أبعثنا الله البعث الموعود به أم كنا نياما فنبهنا ؟ ومن هذا يتبين أنهم ترددوا بين أن يكون هذا هو البعث الموعود به أم كانوا نياما فنبهوا .

يدل على ذلك قولهم «من مرقدنا» حيث جعلوا القبور موضع الرقاد إشارة إلى أنهم شكوا فى أنهم كانوا نياما فنبهوا أو كانوا موتى وكان الغالب على ظنهم هو البعث فجمعوا بين الأمرين .

وجملة «هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » .

يجوز أن تكون من كلام الكفار . ويكون المعنى : أنهم قالوا السؤال وجوابه فلما سألوا فلم يجابوا أجابوا من تلقاء أنفسهم ، ويجوز أن تكون الجملة من كلام المؤمنين أو من كلام الملائكة أو من الله . والمعنى قال المبعوثون ياهلاكنا من الذى

بعثنا من قبورنا بعد موتنا ؟ وهى قبورهم التى كانوا يعتقدون وهم فى دار الدنيا أنهم لا يبعثون منها وظنوا لما شاهدوا من الأهوال وما استبد بهم من الفزع أنهم كانوا نياما ، وهذا لا ينفى عذابهم فى قبورهم لأنه بالنسبة إلى ما بعده فى الشدة كالرقاد .

وقوله :

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

أى هذا ما وعد به الله وصدق فى الإخبار عنه الأنبياء والمرسلون فهم رجعوا إلى أنفسهم فاعترفوا أنهم بعثوا من الموت وأقروا بصدق الرسل يوم لا ينفع التصديق فهذا الكلام من قول الكفار ويجوز أن يكون هذا جواب الملائكة أو جواب المؤمنين . كقوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾

الصافات ـ ٢٠ ـ ٢١

﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾

فى هذه الآية بيان لسرعة البعث . والمعنى ما كانت النفخة إلا صيحة واحدة لا تثنى ولا تكرر فإذا هم مجموعون لدينا بسرعة للحساب والجزاء كما قال تعالى :

﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ النحل ـ ٧٧

﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾

النازعات ١٣ ـ ١٤

وقال تعالى :

﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾

الصافات ـ ١٩

وقد قرئت «إن كانت إلا صيحة» بنصب «صيحة» ورفعها . فالرفع على أن «كان» تامة وصيحة فاعلها ، والنصب على أن «كان» ناقصة وصيحة خبرها ، واسمها ضمير يعود على النفخة المفهومة من «نفخ» أو على الواقعة المفهومة من السياق أى ما كانت الفعلة أو النفخة التى حكيت آنفا فى قوله تعالى :

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ﴾

إلا صيحة واحدة حصلت من نفخ «اسرافيل» فى الصور ، وقيل هى من قول «اسرافيل عليه السلام أيتها العظام النخرة ، والأوصال المتقطعة ، والشعور المتمزقة ، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء . وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾

«ق» ـ ٤٢

وقوله :

﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾

القمر ـ ٨

ومعنى «محضرون» مجموعون أحضروا موقف الحساب .

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

قرار علوى فى طبيعة الموقف وطبيعة الحساب والجزاء يعلن على الجميع . وهو قرار يتضمن العدل التام بين الخلائق فلا تبخس نفس شيئا من عملها مهما قل ، ولا توفون إلا ما عملتم من خير أو شر :

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾
الزلزلة ـ ٨

وقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾

النساء ـ ٤٠

وقوله ﴿لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ ليأمن المؤمن ، وقوله ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ لليأس المجرم الكافر .

يستفاد من هذه الآيات الأمور الآتية

١ ـ كان الرد الحاسم على استعجال الكفار قيام الساعة استهزاء أنها تأتى فجأة كلمح البصر أو هى أقرب وتحدث بنفخة واحدة هى نفخة إسرافيل فى وقت يختصم الناس فى أمور دينياهم فيموتون فى مكانهم وهذه نفخة الصعق .

٢ ـ من آثار الموت المفاجىء بتلك النفخة أنهم لا يتمكنون من العودة إلى ديارهم إذا كانوا خارجين منها ولا يستطيعون الإيصاء إلى غيرهم مما لهم وما عليهم وقيل لا يستطيع أن يوصى بعضهم بعضا بالتوبة بل يموتون فى أسواقهم ومواضعهم .

٣ ـ ثم تأتى النفخة الثانية وهى نفخة البعث والنشور من القبور فهما نفختان لا ثلاث يدل على ذلك قوله تعالى :

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾

وغيرها من الآيات .

٤ ـ يتعجب أهل البعث ويذهلون ويفزعون مما يرون من شدائد الأهوال فيتساءلون . من أخرجهم من قبورهم ؟ مفضلين عذاب القبر لأنه بالنسبة لما بعده فى الشدة كالرقاد .

٥ ـ النفخة ـ وهى نفخة البعث ـ سريعة جدا فإذا حدثت تجمع الناس جميعا وحضروا مسرعين إلى لقاء ربهم للحساب والجزاء .

٦ ـ الحساب حق وعدل والجزاء قائم على العدل المطلق فلا ينقص من ثواب العمل أى شىء مهما قل ولا يجزى الناس إلا على وفق ما عملاوا من خير أو شر .

وبالله التوفيق

نظــرات في ألفاظ القرآن الكريم

مادة حج

بقلم فضيلة الشيخ / عبد الفتاح السيد جمعان(ه)

ذكرت مشتقات هذه المادة فى كتاب الله عز وجل تسعا وعشرين مرة موزعة على أربع صيغ هى الحجّ والحجّة والحجة والمحاجة ، وسنتناول إن شاء الله ـ تعالى ـ الصيغة الأولى فى مقالنا هذا ؛ فنقول وبالله التوفيق :

أولا : الحجّ

مادة الكلمة ومعناها : فعلها حجّ بمعنى قصد وزار بالحاء والجيم المدغمة من باب نصر أى : مضمومة العين فى المضارع ، والمصدر حجّ ، وأصل الحج الزيارة .. يقال :رجل محجوج إذا كان مقصوداً ، ومن ذلك محجة الطريق لأنه يقصد كثيراً ليسير الناس فيه .

وفى الشرع : قصد بيت الله تعالى إقامة للنسك ، فكأن البيت لما كان مقصودا بهذا النوع من العبادة سمى ذلك حجا ، والاسم منه حج بكسر الحاء قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

آل عمران ـ آية ٩٧

ويوم الحج الأكبر هو يوم النحر أو يوم عرفة[١] .

وقيل : الحج كثرة الاختلاف إلى الشىء والتردد عليه ؛ فمن زار البيت فإنه يأتيه مرات :

(ه) الكاتب : مدير عام شئون القرآن ـ بالأزهر .

(١) بصائر ذوى التمييز للفيروز آبادى ج ٢ ص ٤٣٢ .

مرة فى القدوم ، ومرة بعد منى وعرفة لطواف الإفاضة ، ومرة عند الوداع ، وقال قطرب : الحج : الحلق يقال «احجج شجتك» وذلك بأن يقطع الشعر من نواحى الشجة ، فيكون المعنى حج فلان أى حلق ، قال القفال محتمل لقوله ـ تعالى :

﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾

الفتح ـ آية ٢٧

أى حجاجا وعمارا فعبّر عن ذلك بالحلق فلا يبعد أن يكون الحج سمى بهذا الاسم لمعنى الحلق[٢] .

واسم الفاعل : حاجّ ، وقد يراد به الجمع والفوج من الحجاج[٣] قال تعالى :

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ .

التوبة ـ آية ١٩

أى : أجعلتم أهل سقاية الحجيج وأهل العمارة كالمؤمنين بالله المجاهدين فى سبيله ، وذلك أن الكفار قالوا : عمارة بيت الله والقيام على سقاية الحجاج خير من الإيمان والجهاد فأنكر الله عليهم ذلك ونزلت هذه الآية .

ولنستعرض الآن الآيات التى وردت فيها كلمة الحج .

(١) قوله ـ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ .

البقرة ـ آية ١٥٨

---

(٢) مفاتيح الغيب للرازى ص ٥٥٥ ـ المجلد الثانى .

(٣) القاموس القويم ج ١ ص ١٤٢ .

أى إن السعى بين الصفا والمروة من المناسك ومن شعائر دين الله فى الحج والعمرة ، فلا جناح على الحاج أو المعتمر فى السعى بينهما ، ونفى الإثم والحرج يشمل الواجب والمندوب ، وذلك أنه كان على الصفا صنم اسمه أساف وعلى المروة صنم اسمه نائلة ، وكان الكفار يتبركون بهما فكره المسلمون السعى بينهما حتى لا يكونوا متشبهين بالمشركين ؛ فنزلت هذه الآية وليس فيها دلالة على أن السعى واجب أو غير واجب ، ولذا اختلف فيه العلماء : فذهب الشافعى إلى أنه ركن بدليل آخر ، وذهب أبو حنيفة إلى أنه ليس واجبا مستدلا بهذه الآية ، والخلاف يطلب فى مظانه من كتب الفقه لمن يشاء .

(٢) والآية الثانية التى ورد فيها الحج هى قوله تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ .

البقرة ــ آية ١٨٩

والآية نزلت حين وجه إلى رسول الله ﷺ سؤال فقيل له : « يارسول الله ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقا مثل الخيط ، ثم يزيد حتى يعظم ويستوى ويستدير ، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان ؟ لكن الآية لم تجب عن سؤالهم السابق ؛ بل أجابت عن السؤال الذى كان ينبغى أن يكون سؤال السائلين متجها إليه على طريقة الأسلوب الحكيم ، فبينت لهم أن الأهلة جعلها الله مواقيت للناس فى عباداتهم كالصوم والحج وتحديد حول الزكاة ومعاملاتهم فى العقود والآجال ؛ لأن التوقيت بالسنة القمرية سهل ومناسب للعرب[٤] .

(٣) والآية الثالثة التى جاء فيها كلمة الحج هى قوله تعالى :

﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ ﴾ .

سورة البقرة ــ الآية ١٩٦

والمعنى : أدوا الحج والعمرة تامّين كاملين بشروطهما وآدابهما ، فإن أحصرتم : أى منعتم من إتمامهما فلا يتحلل أحدكم من إحرامه إلا إذا قدم ما تيسر له من الهدى ناقة أو بقرة أو شاة

---

(٤) التفسير الواضح ج ٢ ص ٣٠ .

ولا يتحلل حتى يبلغ الهدى المكان الذى يذبح فيه ، فإن لم يجد شيئاً يذبحه اشترى بقيمة الذبيحة طعاماً وتصدق به ، فإن لم يجد صام ثلاثة أيام ، وللإحرام بالحج والعمرة محظورات كالحلق ولبس المخيط ؛ فمن كان به عذر فى رأسه أو جسده واضطر لفعل محظور من محظورات الحج أو فعله ناسيا فعليه فدية ؛ وهى صيام ثلاثة أيام أو اطعام ستة مساكين أو ذبح شاة .

وأفادت الآية حكما ثالثا ، وهو أن من أدى العمرة قبل الحج ثم تحلل من إحرامه وتمتع بهذا التحلل إلى أن أحرم مرة أخرى بالحج ، فعليه ما تيسر من الهدى ؛ لأنه أحرم من غير الميقات ، وأقل الهدى شاة فمن لم يجد فصيام ثلاثة فى الحج ، تنتهى بانتهاء يوم عرفة وسبعة إذا رجع إلى أهله فهذه عشرة كاملة ، وهذا الحكم خاص بمن كان من خارج مكة شرفها الله تعالى .

(٤) أما الآية الرابعة التى ذكر فيها لفظ الحج فقوله تعالى بعد الآية السابقة :

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾

سورة البقرة ــ الآية ١٩٧

وهى تفيد أن الحج له أشهر معلومة هى : شوال وذو القعدة وذو الحجة أو عشر منه بمعنى أنه لا يجوز الإحرام بالحج قبل هذه الأشهر ، وإن كانت مناسكه كلها تؤدى من الثامن إلى الثانى عشر من ذى الحجة ، فمن أوجب على نفسه الحج وجب أن يبتعد عن الجماع ومقدماته والكلام فيه فإنه رفث ويبتعد كذلك عن الفسوق والخروج عن طاعة الله فلا يأتى أى شىء محرم على المحرم كالصيد والطيب والزينة ولبس المخيط والجدال والخصام والتنابذ بالألقاب ، وكل ما يفعله الإنسان من خير فالله عليم به ويجازى بالحسنى عليه ، ثم تأمرنا الآية بالتزود بالأعمال الصالحة لأن خير الزاد التقوى عند أولى الألباب .

(٥) وخامس الآيات التى ورد فيها لفظ الحج هى قوله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

سورة آل عمران ــ آية ٩٧

فبعد أن بين الله ــ تعالى ــ قبل هذا القول الكريم أن البيت الحرام بمكة ، الذى ساقت إليه عناية الله أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام ليجدد بناءه ، فكان مصلاه ومقامه استعدادا لاستقبال الرسالة الخاتمة على يد خاتم المرسلين محمد «صلوات الله عليه» ، هذا البيت هو أول بيت وضع

للناس فى الأرض ليكون مصدر الخير ومعلم الهدى[٥] بعد أن بين الحق فى هذه الآية أن الله فرض على الناس ـ كل الناس ـ حج البيت بشرط الاستطاعة .

والآية الكريمة ساقت الأمر فى صورة الخبر ، وهو أبلغ كأن الأمر الإلهى صدر إلى الناس فامتثلوه فأخبر عن ذلك .

والاستطاعة التى قيد بها هذا الأمر استطاعة عامة تشمل القدرة المالية والجسدية وأمن الطريق .

(٦) والآية السادسة من الآيات المذكور فيها كلمة الحج هى قوله تعالى :

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

سورة التوبة ـ الآية ٣

ويوم الحج الأكبر هو يوم النحر ، لما روى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ وقف يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فيها فقال :

« أى يوم هذا ؟ قالوا : يوم النحر قال : هذا يوم الحج الأكبر » .

رواه أبو داود وابن ماجة ، وروى ذلك عن على وابن عباس ومجاهد وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين .

وسمى يوم الحج الأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر ، أو لأن ما وقع فى هذا اليوم من أعمال الحج أكبر من باقى الأعمال ، أو لأنه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين[٦] .

وقيل : إن يوم الحج الأكبر هو يوم عرفة لقول الرسول ﷺ : « الحج عرفة » .

ومعنى الآية باختصار أن الله ـ تعالى ـ بعد أن أعلم براءة الله ورسوله من المشركين ، وأمهل المعاهدين منهم أربعة أشهر ، ثم تنتهى معاهداتهم ، عاد فأكد هذه البراءة وأعلم الناس جميعا يوم الحج الأكبر الذى اجتمع فيه المسلمون والمشركون لآخر مرة أن الله سبحانه برىء من المشركين وكذا رسوله برىء منهم ومن عهودهم ، فإن تابوا من الكفر بالإيمان فذلك خير لهم ، وإن تولوا وظلوا على كفرهم فليعلموا أنهم لن يعجزوا الله أبدا ، واستحقوا عند ذلك أن يبشروا على سبيل التهكم بعذاب أليم .

(٧) والآية السابعة التى جاءت فيها كلمة الحج هى قوله تعالى فى السورة المسماة بهذا الاسم :

---

(٥) التفسير القرآنى للأستاذ عبد الكريم الخطيب بتصرف ـ مجلد ١ ص ٥٣٣ وما بعدها .

(٦) روح المعانى للألوسى ج ١٠ ص ٤٦ .

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

سورة الحج ـ الآية ٢٧

وهى خطاب لسيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ على الأرجح فبعد أن أتم البناء أمره الله تعالى أن ينادى الناس داعيا لهم إلى حج هذا البيت الذى بناه امتثالا لأمر الله ـ تعالى ـ فقال :

«يارب وما يبلغ صوتى ، فقال : ناد وعلينا البلاغ ، فقام على مقامه ، وقيل : على الحجر ، وقيل : على الصفا ، وقيل : على أبى قبيس ، وقال :

« يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه ، فيقال : إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض وأسمع من فى الأرحام والأصلاب ، وأجابه كل من سمعه من حجر وشجر ومدر ، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك » .

روى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف(٧) .

فإذا أذنت يا إبراهيم يأتيك الحجاج رجالا أى راجلين ، ويأتونك على كل بعير ضامر من طول السفر أتعبه بعد الشقة فهزله وزاد فى هزاله ، هؤلاء وأولئك يأتون من كل فج عميق أى من كل طريق واسع بعيد .

واستدل بعض العلماء بتقديم «رجالا» فى الآية على أن المشى أفضل فى الحج من الركوب .

روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : « ما آسى على شىء فاتنى إلا أنى لم أحج ماشيا حتى أدركنى الكبر اسمع الله تعالى يقول : ﴿ **يأتوك رجالا وعلى كل ضامر** ﴾ فبدأ بالرجال قبل الركبان » .

رواه البيهقى وابن أبى شيبة

وأخرج ابن سعد وابن مردويه عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة وللماشى سبعمائة حسنة من حسنات الحرم » .

قيل يا رسول الله ، وما حسنات الحرم ؟ قال :

« الحسنة مائة ألف حسنة »(٨) .

والذى عليه الأكثرون أن الحج راكباً أفضل اقتداء برسول الله ﷺ ؛ فإنه حج راكبا مع كمال قوته عليه السلام(٩) .

---

(٧) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٧ .

(٨) روح المعانى للألوسى ج ١٧ ص ١٤٤ .

(٩) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٧ .

ستر الله - عز وجل - للمؤمن

بقلم أ.د محمود سالم الخطيب

سئل عبدالله بن عمر ــ رضى الله عنهما ــ عن حديث النجوى ، فقال . قال رسول الله ﷺ :

« إن الله يدنى المؤمن ، فيضع عليه كنفه ويستره ، ويقول : أتعرف ذنب كذا .. أتعرف ذنب كذا ، فيقول : نعم ، أى رب ــ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه هلك قال : سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته .

وأما الكافر والمنافق فيقول :

« هؤلاء الذين كذبوا على ربهم . ألا لعنة الله على الظالمين »

رواه البخارى فى المظالم والتفسير والأدب والتوحيد ، وأخرجه مسلم فى التوبة ، والنسائى وابن ماجه .

النجوى : هى المسارة التى تقع بين العبد وربه يوم القيامة أو هى ما تكلم به المرء ويسمع نفسه ولا يسمع ، أو يسمع غيره سرا دون من يليه ، قال الراغب ناجيته إذا ساررته وأصله أن تخلوا فى نجوة من الأرض ، وقيل أصله النجاة وهى أن تنجو بسرك من أن يُطلع عليه (المفردات للراغب بتصرف) .

يدنى : أى يقربه ربه منه دنو كرامة ورتبة ومنزلة ، وليس المراد الدنو المكانى .

يضع عليه كنفه : الكنــف أى الجانب والستر والعون ، أو يحيطه بعنايته التامة أو يعفو عنه .

وهذه الألفاظ الثلاثة : من قبيل المتشابه الذى يلجأ فى فهم معناه إلى التأويل بما يليق بذاته ــ تعالى ، أو إلى تفويض معناه إلى علم الله

ـ تعالى ، المهم أن المؤمن ينزه الله ـ تعالى ـ عن كل ما لا يليق به أو ما يوهم مشابهته للحوادث . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال ـ تعالى :

﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾

سورة الشورى الآية ١١

ترجمة راوى الحديث

هو عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوى ، ولد سنة ثلاث من البعثة النبوية ، وهو من السابقين فى الإسلام ، شهد مع النبى ﷺ غزوة الخندق وما بعدها ولم يقبل فى بدر ولا فى أحد لصغر سنه إذ ذاك ، وكان من زهاد الصحابة وعبادهم وأعلامهم وأجوادهم وعقلائهم ، وهو من المكثرين فى رواية الحديث ، أخذ بفقهه أهل المدينة وتفرع منه مذهب الامام مالك ـ رضى الله عنه ـ وتوفى سنة ٧٣ هـ وكان عمره ٨٧ عاما .

المعنى العام للحديث

يخبر النبى ﷺ عن مدى عفو الله وسعة فضله وعظيم كرمه وحلمه بالمؤمن الذى أذنب ذنبا ثم ستره الله ـ تعالى ـ فى الدنيا ولم يطلع على ذنبه أحداً ، ففى يوم القيامة ـ عند الحساب ـ يناجيه ويدنيه منه ويجعله تحت كنفه ويقرره بذنوبه ، فيقول له فعلت ذنب كذا وذنب كذا ، فيقول العبد نعم ، وفى رواية أخرى فيقول إى ربى ـ أى نعم ـ وفى رواية أعرف ، وفى أخرى يعطى صحيفة أعماله .

فإذا أقر العبد بذنوبه التى فعلها ورأى نفسه هالكاً مستحقاً للعذاب لا محالة على ما أذنب ، فيقول ـ سبحانه وتعالى : سترت ذنوبك فى الدنيا وأنا أغفرك لك ثم يعطى كتاب حسناته .

وأما بالنسبة للكافر والمنافق فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يفضحهما على رؤوس الأشهاد ، ـ أى الملائكة ـ .

ويقول الأشهاد تبكيتا لهما : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بنسبه الولد والشريك له تعالى ، ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ ألا لعنة الله على الظالمين .

والمراد باللعن : الطرد والابعاد عن رحمة الله ـ تعالى ، والمراد بالظالمين : الكفار والمنافقين ، فلا ظلم أكثر من الكفر والنفاق ، وأتى بلفظ « ألا » لتوكيد اللعن والطرد .

ونلحظ أن الرسول ﷺ ذكر هذه الآية ضمن الحديث ليقابل بين إكرام الله للمؤمن وغضبه ومقته للكافر والمنافق .

أهمية التحلل من مظالم الدنيا

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : (من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله[1] منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه) رواه البخارى .

وكذلك أخبرنا الصادق الأمين أن المؤمن العاصى لا يدخل الجنة إلا إذا قضى ما عليه من سيئات بينه وبين غيره ، فعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : (إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون

(١) فليتحلله : أى يسأله أن يجعله فى حل ، ويطلب منه براءة ذمته

مظالم كانت بينهم فى الدنيا ، حتى إذا نقوا وهُذبوا أذن لهم بدخول الجنة ، فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أدل بمنزله كان فى الدنيا) رواه البخارى ص١٤ جـ٢ .

خلص المؤمنون : أى نجوا من الصراط ، **ويتقاصون** : من القصاص والمظالم التى كانت بينهم فى الدنيا من أنواع المظالم المتعلقة بالأبدان والأموال ، فلا يدخل الجنة أحد وعليه تبعات لأحد .

ونقوا : أى أكملوا القصاص الذى بينهم

وهذبوا : أى خلصوا من الآثام .

الذى نفسى بيده : أى روحى بقدرته .

أدل بمنزله : أى أكثر دلالة على مسكنه الذى فى الجنة فقد عرفه الله له فى البزرخ .

خطر الجهر بالمعاصى

وأما المؤمن الذى يرتكب الذنب ويستره الله فى الدنيا ثم يفضح نفسه فى الصباح فلا يستحق عفو الله ـ تعالى ـ لمجاهرته بذنبه ومباهاته به ، فإن لم يتب يعذبه الله بقدر ذنبه ثم يدخله الجنة ، وإن تاب فعسى أن يعفو الله عنه .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : (كل أمتى معاف إلا المجاهرون[٢] وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره الله عليه ويصبح يكشف ستر الله عنه) رواه البخارى .

ومعاف : أى يعفو الله عن ذنبه ولا يؤاخذ به .

المجاهــرون : أى المعلنــون لفسقهــم لاستخفافهم بحق الله تعالى ورسوله والمؤمنين .

من هذا الحديث وغيره من الأحــاديث الصحيحة نعرف أن من الذنوب ما يتعلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهى قسمان : قسم لا يجاهر صاحبه بذنبه ويتوب منه فيغفر الله له ، وقسم يجاهر بذنبه ولا يتوب منه فلا يستحق العفو من الله ـ تعالى .

ومن الذنوب ما يتعلق بالعباد بعضهم مع بعض ، وهؤلاء يتقاصون المظالم التى كانت بينهم فى الدنيا كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة ، وسبحانه يفعل باختياره ما يشاء فى عبادة يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، إن عذَّب فبمحض عدله وإن غفر فبمحض فضله .

وهذا الحديث وغيره حجة لأهل السنة من أن الله تعالى لا يخلد أحدا من المؤمنين فى النار على التفصيل السابق من المقاصة والشفاعة والعفو بشرط أن لا يعتقد المؤمن حل المعصية أو الذنب الذى ارتكبه ، وأن لا يكون هذا الذنب مكفرا ، وهو حجة على الخوارج الذين يكفرون مرتكب المعصية ويقولون بخلوده فى النار ، وحجة أيضا على المعتزلة الذين يقولون : إن مرتكب الكبيرة ليس مؤمنا مطلقا ولا كافرا مطلقا وإنما هو فى منزلة بين المنزلتين فيعذب عذاب الفساق .

جنبنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذنوب صغيرها وكبيرها ، وحفظنا من المعاصى كلها وجعل بيننا وبين النار وقاية وشملنا بعفوه ولطفه وستره ومنّه وكرمه فى الدنيا إنه سميع الدعاء .

(٢) المجاهرون : تقرأ بالنصب على الاستثناء ، وبالرفع على الابتداء ، والخبر محذوف ، تقديره : المجاهرون لا يعفو الله عنهم .

قبس من أنوار النبوة

خذوا عنى مناسككم

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : انطلق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المدينة بعدما ترجل وادَّ هن ولبس إزاره ورداءه هو وأصحابه ، فلم ينه عن شىء من الأردية والأُزر تُلبس إلا المزعفرة التى تروغُ ـ تلطخ ـ على الجلد فأصبح (بذى الحليفة) ركب راحلته حتى استوى على البيداء أهل هو وأصحابه ، وقلد بُدنه ، وذلك لخمس بقين من ذى القعدة ، فقدم مكة لأربع خلون من ذى الحجة ؛ فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ولم يحل من أجل بُدنه ، لأنه قلدها ، ثم نزل بأعلى مكة عند (الحجون) وهو مهل بالحج ، ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة ، وأقر أصحابه أن يطوفوا بالبيت وبين الصفا والمروة ثم يقصروا من رءوسهم ثم يحلوا ؛ وذلك لمن لم يكن معه بدنة قلدها ، ومن كانت معه امرأته فهى له حلال ، والطيب والثياب .. رواه البخارى .

عبر السنين والأعوام ، وفى السنة العاشرة من هجرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نعيش مع هَدْيه وأدائه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لمناسك الحج ، نستلهم الدروس النافعة ، ونأخذ القدوة الحسنة ، والأسوة الطيبة ، والالتزام

بأحكام الشرع ، والارتباط بميثاق الله ، والانضباط فى المنهج والسلوك .

ففى الإحرام رمز للمساواة ، والتجرد من شهوات النفس وسلطان المادة .

وفى التلبية إعلان عن الإذعان لله . وخروج من مشاغل الدنيا وما فيها من مشاغل ومنافسات ومنازعات ، امتثالا لقول الله — تعالى — :

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ . سورة البقرة

وفى الطواف بالكعبة المشرفة تأكيد لوحدة المسلمين على اختلاف أوطانهم وألوانهم يطوفون حول بيت واحد ، ويعبدون ربا واحدا .

وفى سعيهم بين الصفا والمروة يرفلون تحف بهم الرحمة ، ويعيشون ذكرى هاجر أم إسماعيل — عليه السلام — وقد أعوزها الماء ؛ فقامت تسعى ضارعة إلى الله لإرواء ظمئها وابنها ، وقد أجاب الله رجاءها ففجر عين زمزم فياضة النبع ذات خير عميم وعطاء كريم إلى يوم الدين .

وفى الوقوف بعرفة مؤتمر عام لذوى الخبرة من الوافدين للحج تكون القوة الكبرى بالتشاور والتحالف ، والقوة الاجتماعية بالتلاق والتعارف . والقوة الاقتصادية بالبيع والشراء ، والقوة الروحية بتعظيم شعائر الله وأداء المناسك . يعالجون فيه حاجات المسلمين

لقد أذن فى الناس أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حاج ، فقدم المدينة خلق كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله — صلى الله عليه وسلم — ويعمل مثل عمله فى أداء هذه الشعيرة .

خرج — صلوات الله وسلامه عليه — من المدينة بعد أن صلى بها الظهر أربعا إلى ذى الحليفة حيث صلى بها العصر ركعتين ، ثم تجرد فى أزار ورداء وصلى ركعتين ، وأهل محرما بالحج حين استقل ناقته القصواء ، ثم أدخل على حجه العمرة ، فكان بذلك قارنا ، ليبين لهم تشريع العمرة حيث كانوا يرون العمرة فى أشهر الحج من أفجر الفجور ، كما جاء فى رواية البخارى عن ابن عباس — رضى الله عنهما — حتى بلغ مكة فى اليوم الرابع من ذى الحجة . بادر بالذهاب إلى المسجد الحرام لطواف القدوم فبدأ من الحجر الأسود مسرعا فى الأشواط الثلاثة الأولى ، ماشيا فى الأربعة الأخيرة .

روى مسلم عن جابر — رضى الله عنه — لا .. حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل — أى أرع — ثلاثا ومشى أربعا ، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم فقرأ : واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، فجعل المقام بينه وبين البيت ، وصلى ركعتين : قرأفيهما بعد الفاتحة : قل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد . ثم رجع إلى الركن مستلما ومقبلا للحجر الأسود . ثم تضلع وشرب كثيرا من ماء زمزم مبينا لأمته أن ماء زمزم — طعام طعم ، وشفاء سقم .

ثم اتجه إلى الصفا تاليا لقول الله — تعالى — :

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ .

سورة البقرة — آية : ١٥٨

وقائلا : أبدأ بما بدأ الله به — وارتقى عليه حتى رأى البيت فوحد الله وكبره ثم نزل إلى المروة ففعل

عندها كما فعل على الصفا حتى إذا كان آخِرُ سعيه على المروة قال : لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة ؛ فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة .

قال جابر - رضى الله عنه - : فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبى - صلى الله عليه وسلم - ومن كان معه هدى فلما كان يوم التروية - الثامن من ذى الحجة توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج ، وركب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصلى - بمنى - الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس فسار حتى عرفة .. حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادى فخطب الناس ... ثم إذن ثم أقام فصلى الظهر - ركعتين - ثم أقام فصلى العصر - ركعتين - ولم يصل بينهما شيئا .. ثم ركب حتى أتى الصخرات[1] وظل يدعو حتى غربت الشمس ، فدفع من عرفات - أى أفاض - إلى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان وإقامتين ، ولم يسبح بينهما ، ثم اضطجع حتى إذا صلى الفجر أتى المشعر الحرام ، فدعا الله وكبر حتى أسفر[2] جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس ، فحرك حين أتى « مُحَسِّر » ثم سلك الطريق الوسطى حتى أتى الجمرة الكبرى فرماها بسبع حصيات كبر مع كل حصاة ، ثم انصرف إلى النحر فنحر ثلاثا وستين بدنه ، ودعا الحلاق فحلق - صلى الله عليه وسلم - شعر رأسه .. ودعا للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة . ثم ركب فأفاض إلى البيت ، وبعد أن طاف طواف الإفاضة شرب من ماء زمزم وصلى الظهر ، ثم رجع إلى منى فلما أصبح انتظر زوال الشمس فبدأ بالجمرة الأولى ثم الوسطى ثم الكبرى فرمى كل واحدة سبع حصيات يكبر مع كل حصاة .

ثم خطب فى الناس يوم النحر ، وكذلك اليوم الثانى ، ولما أكمل أيام التشريق الثلاثة أفاض بعد الظهر .. ثم نهض إلى مكة فطاف للوداع ليلا سحرا . ونادى بالرحيل راجعا إلى المدينة وكبر ثلاث مرات ، وقال : آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون . صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

(١) الصخرات : مكان أسفل جبل الرحمة .

(٢) أى أبيض النهار قبل الشروق .

الأصل الشرعى لمشروعية التأمين التبادلى

(٥)

للدكتور / عبدالله مبروك النجار

والفقهاء القائلون بجواز هذا النوع من التأمين ، قد أسسوا هذا الجواز على مصادر التشريع الإسلامى بعد دراسة مستفيضة تنم عن حقيقته ، وانتهوا إلى أنه يعد تطبيقا لمبادى الشريعة العامة ومقاصدها الكلية التى تدعوا إلى التعاون على البر والتقوى ، وتنهى عن الأثم والعدوان ، وتأمر بترابط أبناء المجتمع الإسلامى وتراحمهم وتضامنهم ، وهذه المقاصد تجد أساسا لها من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .

أما الكتاب : فيقول الله ـ تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾(١) .

حيث أمر الله ـ تعالى ـ بالتعاون على البر والتقوى ، ونهى عن التعاون على الإثم والعدوان ، ومن البر أن يتعاون الناس فى دفع الأخطار التى يمكن أن تتهدد حياتهم ، على نحو ما هو حاصل فى التأمين التبادلى أو التعاونى ، ومن مظاهر تقوى الله فى التعاون أن يخلو من كل ما يعد خروجا على ما يقتضيه حكمه ، وليس فى التأمين التبادلى على حسب ما قرر الباحثون ، خروج على ما تقتضيه الأحكام الشرعية ، وإن كان لا يخلو من غرر ، إلا أن القدر الموجود فيه منه معفو عنه ، لقيامه على التضامن والتعاون واتخاذه شكل التبرع .

ومن السنة النبوية : ما رواه البخارى عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى »(٢) .

وبما روى عن أبى هريرة ـــ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من نفس عن مؤمن كربة ، من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه »(٣) .

(١) سورة المائدة ـ آية ٢ .

(٢) مختصر صحيح البخارى ـ حديث رقم ٣٠١٨ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ـ جـ١٦ ـ ص١٤٠ ـ المطبعة المصرية ومكتبتها .

(٣) سبل السلام للصنعانى ـ جـ٤ ـ ص١٦٨ .

وبما روى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال : « من كان له فضل ظهر ، فليعد به على لا ظهر له ز ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » قال : « فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى الفضل »[٤] .

ووجه الدلالة من هذه الأحـــاديث على المطلوب : أن الحديث الأول يصور معنى التعاون فى المجتمع ، وأنه يجعل أفراده بمثابة الجسد الواحد الذى يتألم لألم أى عضو فيه ، وأن الحديث الثانى يحدد واجب التعاون وهو ما يتمثل فى تنفيس الكربة ، وأن يكون الإنسان دائما فى عون أخيه ، وأما الحديث الثالث فإنه يبرز جانبا آخر من جوانب التعاون فى المجتمع ، وهو أن يجود الواحد على من لم يجد ، والتعاون لا يخرج عن هذه المبادىء فيكون مطلوبا بتلك الأحاديث .

الغرر مغتفر فى عقود التبرع :

ولئن كانت هذه الأحاديث تدل على طلب التعاون فى الجملة ، فإن ما قد يصاحبه من تفاوت فى مقدار الأخذ والعطاء ، قد يدخل كثيرا من أنواع التعاون المطلوب شرعا تحت باب الغرر والقمار ، ولكن ما يصرف هذا النوع من التعاون عن باب الغرر المحرم شرعا : أن ذلك التفاوت فى البذل المصاحب للتعاون يقوم فى أساسه على التبرع ، وصيغة التبرع هى الصيغة التى ارتضاها الإسلام أسلوبا للتعاون والتراحم بين الناس ، لأن للتبرع لا يبغى من ورائها ربحا ، ولا يطلب عوضا ماليا مقابلا لما بذل ، وبالتالى فإن العقد المبرم لتنظيمه لا تفسده الجهالة الفاحشة[٥] .

أدلة اغتفار الغرر فى عقود التبرع :

ولئن كان الأصل أن التعامل المشوب بالغرر يكتنفه الفساد ، وتعتريه الحرمة ، فإن هذا الأصل معدول عنه فى عقد التبرع ، وليس العدول هنا بالرأى والاجتهاد ولكنه ثابت بنص هو أقوى فى العمل به من أدلة الأصل الذى يفيد التحريم ، فالعدول بالحكم هنا عن أصله إلى التحريم ، ثبت بأدلة أخرى اعتبرهـا بعض الباحـثين مما يفيـد حصول ذلك العدول فى موضوع التأمين التعاونى وهذه الأدلة ثابتة من سنة النبى ﷺ والقياس .

أما السنة النبوية فمنها :

أولا : ما رواه جابر بن عبدالله أنه قال : بعث رسول الله ﷺ بعثا قبل الساحل فأمر عليهم أباعبيدة بن الجراح ، وهـم ثلاثمائـة وأنـا منهم فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فنى الزاد ، فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش ، فجمع ذلك كله فكان مزودى تمرا ، فكان يقوتناه كل يوم قليلا قليلا حتى فنى فلم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة[٦] .

---

(٤) الفتح الكبير فى ضم الزيادة للجامع الصغير ، للسيوطى ـ جـ ٣ ـ ص ٢٣١ ـ مراجعة وترتيب الشيخ يوسف النبهانى ـ طبعة الحلبى سنة ١٣٥٠ هـ .

(٥) ويلاحظ أن هيئة الرقابة الشرعية لبنك فيصل الإسلامى السودانى ، قد أوصت فى حيثيات جوازها للتأمين التعاونى : أنه لكى يكون التأمين تعاونيا ظاهر ، يجب النص صراحة فى عقد التأمين على ان المبلغ الذى يدفعه المشترك يكزن تبرعا منه للشركة يعان منه من يحتاج إلى المعونة من المشتركين ، حسب النظام المتفق عليه بشرط ألا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية ، راجع : غريب الجمال ـ التأمين التجارى والبديل الإسلامـــى ـ ص ـ ٢٦٤ ، ٢٨٤ .

(٦) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ـ جـ ٥ ـ ص ١٢٨ رقم ٢٤٨٣ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ـ جـ ١٣ ـ ص ٨٤ وما بعدها ـ المطبعة المصرية ومكتبتها .

ووجه الدلالة فى هذا الحديث :

يقول النووى : جمع أبى عبيدة للطعام محمول على أنه جمعه برضاهم وخلطه ليبارك لهم فيه كما فعل النبى ﷺ ذلك فى مواطن ، وكما كان الأشعريون يفعلون وأثنى عليهم النبى ﷺ بذلك ، وقد قال أصحابنا ، وغيرهم من العلماء يستحب للرفقة من المسافرين خلط أزوادهم ليكون أبرك وأحسن فى العشرة ، وأن لا يختص بعضهم بأكل دون بعض [٧] .

وجمع الطعام فى السفر يدخل فى النهد ، والتناهد هو إخراج القوم نفقاتهم على قدر عدد الرفقة ، ولئن كان النووى وغيره [٨] ، قد قيده بالسفر فإن هناك رأيا آخر فى الفقه يجيز حصوله فى الحضر [٩] ، والحديث يفيد أن الاشتراك فى الأكل لا يقتضى التسوية ، لاختلاف حال الآكلين ، ولأن الذى يوضع للأكل سبيله المكارمة لا التشاح ، وقد اغتفر الربا فى النهد لثبوت الدليل على جوازه ، وذلك أن الإنسان قد يأكل أكثر أو أقل مما أخذ منه ، لكنه اغتفر هذا الفضل للدليل الدال على جوازه [١٠] ، وما حصل عن طريق النهد وإن كان لا يتم عن طريق التعاقد والالتزام بدفع شىء معين أو غير معين مقابل التزام آخر ، وإنما يتم عن طريق المواساة فى أوقات الحاجة والمجاعة .

وقياس البذل فى المال عن طريق التأمين التعاونى يمكن أن يقاس على هذا .

مناقشة الاستدلال بالحديث :

وقد نوقش الاستدلال بهذا الحديث من وجهين :

الأول : أن ما حصل فيما ذكر فيه لم يتم عن طريق التعاقد والالتزام بين أطراف عقد ؛ وإنما الأمر أمر مواساة فى أوقات الحاجة .

الثانى : أن ما ورد فيه إنما هو حالة استثنائية خاصة ، فيمكن أن يطبق حكمها على ما يماثلها فقط ، ولا يصح أن تجعل قاعدة عامة ينبنى عليها تنظيم عام كنظام التأمين التعاونى [١١] .

رد هذه المناقشة :

وهذه المناقشة مردودة بأن نفى حصول التعاقد غير مؤكد فلا يعول عليه ، وحصول الفعل يرجح وجود التعاقد الضمنى ، يقول النووى : « هذا محمول على أنه جمعه برضاهم ، وخلطه ليبارك لهم فيه كما فعل النبى ﷺ ذلك فى مواطن كما كان الأشعريون يفعلون وأثنى عليهم النبى ﷺ بذلك ، وقد قال أصحابنا وغيرهم من العلماء : يستحب للرفقة من المسافرين خلط أزوادهم ليكون أبرك وأحسن فى العشرة وأن لا يختص بعضهم بأكل دون بعض » [١٢] .

(٧) شرح النووى على صحيح مسلم ـ جـ ١٣ ـ ص ٨٥ .

(٨) النووى على صحيح مسلم المكان السابق ـ والنهاية فى غريب الحديث والأثر ـ جـ ٥ ـ ص ١٣٥ ـ تحقيق الطناحى ـ طبعة عيسى البابى الحلبى ؛ حيث قيده ابن الأثير بسفر الغزو ، وهو أن يقتسموا نفقتهم بالسوية حتى لا يتغابنوا ولا يكون لأحدهم على الآخر فضل ومنة ، والحديث لا يفيد هذا القيد .

(٩) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ـ جـ ٥ ـ ص ١٢٩ .

(١٠) فتح البارى ـ المكان السابق ـ وعمدة القارى بشرح صحيح البخارى للعينى ـ جـ ١٣ ـ ص ٤٥ وما بعدها ـ دار الفكر .

(١١) د. حمد بن حمد الحماد ـ عقود التأمين ـ حقيقتها وحكمها ـ ص ٣٣ ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة .

(١٢) النووى على صحيح مسلم ـ المكان السابق .

وأما ما قيل من أنه حالة خاصة ، فذلك ما لم يقم دليل عليه ، مع أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فقصر دلالة الحديث على تلك الحالة الخاصة يعتبر تخصيصا بلا مخصص وهو باطل ، وتقييد العلماء بالسفر جرى مجرى الغالب ، فلا يمنع من حصول النهد فى الحضر ، وقد سبق تقرير ذلك .

ثانيا : ما رواه سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه - قال : خفت أزواد القوم وأملقوا ، فأتوا النبى ﷺ فى نحر إبلهم فأذن لهم ، فلقيهم عمر فأخبروه ، فقال : ما بقاؤكم بعد إبلكم ؟ ، فدخل على النبى ﷺ فقال يا رسول الله : ما بقاؤهم بعد إبلهم ، فقال رسول الله ﷺ : « ناد فى الناس يأتون بفضل أزوادهم ، فبسط لذلك نطع وجعلوه على النطع ، فقام رسول الله ﷺ ، فدعا وبرك عليه ثم دعاهم بأوعيتهم فأحتثى الناس حتى فرغوا »[١٣] .

وقد دل هذا الحديث على جواز التعاون مع الفضل ، لأن ما مع كل واحد من الصحابة يختلف فى مقداره عن ما مع الآخر ؛ وإذا كان هذا الأمر قد ورد فى باب الطعام إلا أنه لا مانع من أن يقاس عليه غيره ، والتأمين التعاونى من هذا القبيل .

ثالثا : ما رواه أبو موسى الأشعرى قال : قال النبى ﷺ : «إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم »[١٤] .

ووجه الدلالة فى هذا الحديث :

يقول النووى : الحديث يبين فضيلة الأشعريين ، وفضيلة الإيثار والمواساة ، وفضيلة خلط الأزواد فى السفر وفضيلة جمعها فى شيء عند قلتها فى الحضر ثم يقسم ، وليس المراد بهذا القسمة المعروفة فى كتب الفقه بشروطها ، ومنعها فى الربويات واشتراط المواساة وغيرها ، وإنما المراد هنا إباحة بعضهم بعضا ومواساتهم بالموجود»[١٥] .

وإذا كان الحديث يدل على إباحة بعضهم بعضا ، فإنه يكون دالا على إباحة التأمين التعاونى ، لأن كل واحد من المؤمنين يبيح صاحبه فى ماله .

وهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن التعاون فى مقدار الالتزام الناشىء عن عقود الضمان التعاونى مما يغتفر وبالتالى يكون مباحا .

وأما القياس :

فإن التأمين التعاونى يقوم على التبرع ، ولما كان كذلك فإنه ينتفى عنه مفسدة الجهالة والغرر والغبن وشبهة الربا ، قياسا على عقود التبرع ؛ فإن الجهالة فيها لا تفسدها كما لا يفسدها الغرر ، وليس بشرط فى جواز التبرع أن يعرف للتبرع مقدار ما يتبرع به على وجه التحديد ، وهذا هو معنى قول الفقهاء : إن الغرر والجهالة يغتفران فى التبرعات

(١٣) صحيح البخارى - بشرح فتح البارى - جـ٥ - ص١٢٨ رقم ٢٤٨٤ ، وصحيح مسلم بشرح النووى جـ١ - ص٢٢٤ وما بعدها - الطبعة المشار إليها ، والإملاق : الفقر والنطع : بكسر النون وسكون الطاء أو فتحها : بساط من الجلد (القاموس المحيط - جـ٣ - ص٨٢ الطبعة الثانية) .

(١٤) الحديث متفق عليه ، راجع : صحيح البخارى بشرح فتح البارى - جـ٥ - ص١٢٨ وما بعدها رقم ٢٤٨٦ ، وصحيح مسلم بشرح النووى - جـ١٦ - ص٦١ وما بعدها .

(١٥) النووى على صحيح مسلم - السابق - ص٦٢ .

تشجيعا على فعل البر من جهة ، ولعدم تضرر المتبرع إليه بالغرر والجهالة من جهة أخرى لأنه لم يبذل عوضا فى مقابل هذا التبرع[١٦] .

الأسس التى يقوم عليها التأمين التبادلى

وحتى يقوم التأمين التبادلى برسالته كبديل للتأمين التجارى فإنه يجب أن يقوم على الأسس الآتية :

أولا : اجتماع صفة المؤمن والمؤمن له فى كل عضو :

يعتبر من أهم الأسس التى يقوم عليها التأمين التعاونى : اجتماع صفة المؤمن والمؤمن له فى كل عضو ، وذلك ليوجد تبادل المنافع والتضحيات ، والجهاز الذى يقوم بالتنسيق بين الأعضاء فى إطار الهدف التعاونى ، يوجد على شكل جمعية أو مؤسسة أو هيئة للتأمين التبادلى ، لا تعمل للربح ، فليس لها رأس مال ، وليس فيها مساهمون يتقاضون أرباحا على أسهمهم ، ويكونون هم المؤمنين ، ويكون العملاء هم المؤمن لهم ، بل إن أعضاء جمعية التأمين التعاونى يتبادلون التأمين فيما بينهم ، واجتماع صفة المؤمن والمؤمن له فى شخصية المشتركين جميعا يجعل الغبن والاستغلال منتفى ، فالأموال المرصودة من أقساط المشتركين مالها لهم ، إما على شكل أرباح تعود إليهم من خلال تخفيض الأقساط مستقبلا ، أو على شكل عائد يعود إليهم لاحقا ، فعنصر الاستغلال والمخاطرة والغرر الذى من أجله يحرم عقد التأمين التجارى منتف هنا ، وعلة تحريم التأمين التجارى منتفية ، ومتى انتفت علة التحريم يبقى أمر التأمين التعاونى على أصل الحل[١٧] .

ثانيا : التضامن بين أعضاء جمعية التأمين التبادلى :

ومن أسس التأمين التعاونى التضامن بين الأعضاء فى تغطية المخاطر التى تصيب أحدهم ، ولكن هذا التضامن يتوقف مداه على قيمة الاشتراك ، وما إذا كان مطلقا غير محدد بمبلغ ، أو نسبيا : أى محددا بحد أقصى لا يطالب المشترك بأعلى منه ، وقابلية القسط أحيانا للزيادة يجعل التأمين التعاونى مرنا ، يقوى على تغطية الأخطار المتحققة دون أن يتركها بلا تعويض .

---

(١٦) راجع الفروق – للقرافى – جـ ١ – ص ١٥١ – عالم الكتب ، د. حسين حامد حسان – السابق – ص ٤٧ ، د. عبد الناصر العطار – السابق – ص ٧١ وقد سبق أن رأينا أن مجمع البحوث الإسلامية فى مؤتمره الثانى المنعقد سنة ١٩٦٥ ، قد قرر : أن التأمين الذى تقوم به جمعيات تعاونية يشترك فيها جميع المستأمنين لتؤدى لأعضائها ما يحتاجون إليه من معونات وخدمات ، أمر مشروع وهو من التعاون على البر ، كما أكد المؤتمر الثالث المنعقد بتاريخ ١٩٦٦/١٠/٢٧ بأن التأمين التعاونى والاجتماعى وما يندرج تحتهما من التأمين المسمى ضد العجز والبطالة والشيخوخة وإصابات العمل وما إليها فقد قرر المؤتمر جوازها ؛ كما أوصى المؤتمر العالمى للاقتصاد الإسلامى المنعقد فى مكة المكرمة سنة ١٩٧٦ ، باقتراح تأليف لجنة من ذوى الاختصاص من علماء الشريعة وعلماء الاقتصاد المسلمين لاقتراح صيغة للتأمين خالية من الربا والغرر وتحقق التعاون المنشود بدلا من التأمين التجارى ، كما وافقت هيئة الرقابة الشرعية لبنك فيصل الإسلامى السودانى على إقامة شركة للتأمين التعاونى ، وجاء فى حيثيات تلك الموافقة : أن التأمين التعاونى جائز شرعا باتفاق جميع الفقهاء ، بل هو أمر مرغوب فيه لأنه قبيل التعاون على البر ، راجع : د. غريب الجمال – التأمين التجارى والبديل الإسلامى – ص ٢٦٤ وما بعدها .

(١٧) د. غريب الجمال – السابق ص ٢٥٥ وما بعدها ، وعقد التأمين – دراسة مقارنة بين القانون الوضعى والفقه الإسلامى – رسالة دكتوراه من جامعة القاهرة ، سنة ١٩٨٢ ، للدكتور محمد يوسف الزغبى – ص ٥٢١ .

الإسلام دين أكمله الله

بقلم: فضيلة الشيخ/ محمد حافظ سليمان

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ سورة المائدة (٣)

الإسلام دين الله القيِّم قد أكمل الله به الملة وأتم به النعمة فلا يقبل تبديلا ولا تعطيلا ولا تعديلا ، لأن الله شرعه لسعادة الإنسانية وإصلاح شئون البشرية واستنارة العقول الآدمية .. فهو يعرف للحياة قيمتها وللعمر قدره وللعمل الجاد النافع شأنه وأجره : يربى أتباعه على سمو الأخلاق ونبل المقصد واجتلاء الحقائق العلمية بأسلوب مهذب تزكو به ثمراتها وتعم به خيراتها : لأن المؤمن بالله لا يذل لسواه ، فهو أرفع الناس قوة وأكثرهم إحساسا بالواجب المنبعث من وجدان الإنسان صاحب السماحة والكياسة : ولن تسعد أمة إلا بمكارم أخلاقها ونبل شبابها وشيبها وهذا يتم بمراعاة الفضائل وتجنب الرذائل وسلامة الإحساس وعلو الهمة وطهارة الذمة والصدق فى الفعل والقول . والمؤمن ـ حقا ـ هو الذى يعرف فضل الله عليه وآلاءه التى بين جنبيه : ونعم الله كثيرة لا تحصى والله يقول : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) ﴾ سورة إبراهيم

الإسلام دين الأنبياء والمرسلين

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ (٢٥) ﴾ سورة الأنبياء

وفى كلمة لا إله إلا الله تكمن قوة العقيدة : لأنها أفضل ما قاله خاتم المرسلين والنبيون من قبله . منذ أن بعثهم الله مبشرين ومنذرين إلى يوم الدين ؛ لأن الرسالات الإلهية واحدة فهى تصحح الاعتقاد من الإلحاد فكل رسول كان يقول للناس :

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

سورة البقرة ـ الاية : ١٦٣

﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ ﴾ سورة الصافات

ولقد فرض الله مُتابَعَةَ الدعوة على بصيرة لإرشاد الضالين ـ وهداية الحائرين وقوام أخلاق المعوجين وإلى التى هى أقوم ليكون للحق دعاة صدقوا ما عاهدوا الله عليه فى مواجهة الكفر وصد دعاة الأباطيل والأضاليل الذين غلبت عليهم شقوتهم فاتبعوا أهواءهم ، لأن تربيتهم غير رشيدة وآراؤهم غير سديدة وقدوتهم السيئة قادتهم إلى مهاوى الانحراف والزيغ فمنهم من يرى أن الهمجية مدنية ويعتقد أن الإباحية حرية وأن

الدعارة حضارة . ومنهم من نسى الله فأنساه نفسه ، وويل لمن نسى نفسه فتجبر واختال ونسى الله الكبير المتعال فلا يعرف للخير سبيلا ولا للهداية طريقاً .

﴿ .. أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۝١٦ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ۝١٧ ﴾

سورة محمد

والدعوة إلى الله فريضة دينية وضرورة اجتماعية بدليل قوله ـ عز وجل :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .

سورة آل عمران ـ الآية ١٠٤

وفى قوله تعالى : ﴿ ولتكن ﴾ أمر إلهى للوجوب الذى جعل الله الفلاح منوطا به لقوله ـ عز وجل : ﴿ أولئك هم المفلحون ﴾ .

والمفلحون فى شتى الدهور والعصور هم الذين جاء وصفهم فى قول الله ـ جل جلاله :

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١٢ ﴾ . سورة التوبة

والبشرى إنما تكون للمفلحين دعاة الخير والبر والرشد وليس الغى والبغى والضلالة :

ثم ما هى الأمة ؟؟ هى الجماعة المكلفة بالدعوة إلى الهداية والاستقامة :

وهذا أمر يفرضه القرآن على العلماء المتفقهين فى الدين لأن مِنْ فى قوله :

ولتكن منكم ، إما أن تكون للبعض فيكون الأمر هنا فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين وهذا يتماشى مع قوله ـ تبارك وتعالى :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

سورة التوبة ـ الآية : ١٢٢

والمراد هم العلماء المتخصصون فى علوم الإسلام وهم الموثوق بهم فلا ينبغى طلب الهدى من الضلالات ولا النور من الظلمات ولا العلم من الجهالات ، وذلك ؛ لأن العلم بحر لا ساحل له وهو نور (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) ونور العلم النافع لا ينطفىء أما العلم الذى استعاذ منه الرسول الكريم يقول : « وأعوذ بك من علم لا ينفع » فهو كالمصباح الذى انقطع عنه التيار الكهربائى فانطفأ نوره فلا تنمحى به جهالة ولا ضلالة : هذا وإما أن تكون مِنْ (هنا) للبيان فى قوله ﴿ ولتكن منكم ﴾ فيكون المعنى : كونوا

أمة ... وهذا يتمشى مع قوله جل جلاله :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... ﴾ .

سورة آل عمران ـ الآية : ١١٠

وعندئذ تكون الدعوة إلى الخير ... فرض عين على الجميع : يبدأ بالنفس ثم الغير فى حدود الاستطاعة من غير غلظة تنفر السامع :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

سورة آل عمران ـ الآية : ١٥٩

وهذه صفات المؤمنين والمؤمنات حقا الذين سيرحمهم ربهم بقوله عز وجل :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

سورة التوبة ـ آية : ٧١

إنما يخشى الله من عباده العلماء

والعلماء الأتقياء هم الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل وينهون عن الفساد فى الأرض وقد جعل الله لهم فى الدنيا مقاما كريما وفى الآخرة أجرا عظيماً ؛ لأنهم يعتزون بالله وحده ولا يوادون من حاد الله ورسوله ، والله يقول لرسوله الكريم :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ ﴾ سورة آل عمران

والراسخون فى العلم هم أهل المعرفة بعلوم الدين واللغة وهم أهل الذمة والأمانة وذووا الذوق السليم والعقل القويم يراقبون ربهم سراً وعلانية فيما يستنبطونه من أحكام شرعية مصدرها القرآن والسنة المطهرة (دراية ورواية) مع العلم بالقياس وبالإجماع . والله لا يعصم من سوء التأويل إلا أصحاب تلكم المواهب الإلهية والفتوحات الربانية الواقية من أخطاء التخريج والتأويل ، والإسلام يحترم العقل الواعى ، لأن الآيات القرآنية تتلاقى مع آيات الله الكونية فبراهين القرآن واضحة والأدلة الكونية ساطعة « وما يعقلها إلا العالمون » .

الدعـــوة والقدوة

وبالدعوة والقدوة انتشر الإسلام ، وقدوة المسلمين أجمعين فى كل وقت وحين هو خاتم المرسلين المبعوث رحمة للعالمين .. سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

سورة الأحزاب ـ الآية : ٢١

الإسلام دين الفطرة

السر فى سرعة انتشار الإسلام أنه دين الفطرة (السليمة) التى فطر الله الناس عليها والله يقول :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة الروم

وما المراد بالفطرة ؟ هل الفطرة هى الإسلام ؟ أم هى الاستعداد لقبول الإسلام ؟ وهل الإنسان إذا نشأ فى شاهق جبل – كما يقول علماؤنا – أمكنه بفطرته أن يعرف الإسلام كله ؟ أم لابد من إرسال الرسل وإنزال الكتب للتوجيه والتعليم والتربية ؟

هناك أمور بديهية فطرية يشترك فى معرفتها الصغير والكبير ولا يختلف فيها اثنان كمعرفة أن كل صنعة لابد لها من صانع ، : وهذا الكون له صانع خلقه ودبر أمره وقدر الشهور والدهور وهو مخالف للحوادث وبيده ملكوت كل شيء لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو الله – عز وجل – فهو الذى ليس كمثله شيء ؛ فليس المراد أن يعرف تفاصيل الشريعة وعلوم العقيدة بفطرته وحدها ، بل المراد أن الإسلام فى عقيدته (التوحيد) هو مغروس فى الطبائع البشرية لأن للطفل معلومات غرسها الله فى فطرته كإدراك أن الجزء أقل من الكل يدرك هذا بعلمه الفطرى . فلو أعطيت طفلا نصف تفاحة لا يرضى إلا أن يأخذ واحدة صحيحة إذا رآها : يعنى أنه لو خير بين الجزء والكل لاختار الكل ؛ ولو لم يوجهه أحد إلى ذلك ، فهو أيضاً يفهم بفطرته ويعرف أن كل عمل يحتاج لوقت ما . كأن تقول له : حدث كذا وكذا فيقول لك متى كان هذا ؟ فإذا أخبرته بزمنه المعين اقتنع وسكن وسكت : وهذا أمر فطرى بديهى وهذا دليل على أن كل مولود يولد على الفطرة ...

إذا تقرر هذا فاعلم أن الاعتراف بالصانع الواحد من الأمور الفطرية لأن الأثر لا يوجد بدون مؤثر وأن الفعل لابد له من فاعل وهكذا ولكن من الناس من قد تفسد إنسانيته بفساد فطرته بعوامل البيئة أو صحبة الأشرار أو انعدام القدوة الحسنة المؤمنة فيضل عن سواء السبيل .

ومما لا ريب فيه أن التقوى تنفع الذرية

﴿ .. وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا .. ﴾ .

سورة الكهف – الآية ٨٢

وتعمر الديار وتفرج الكروب وتيسر الأرزاق والله يقول :

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ . سورة الطلاق

لابد من دين الله لدنيا الناس

إنه لا تسعد المجتمعات ولا تتقدم إلا بمكارم الأخلاق كالصدق والأمانة والصبر والحلم والعلم النافع وبأداء الواجبات والانتفاع بالأوقات ، لأن العمر فرصة وحيدة للعمل وكل غائب قد يعود إلا الوقت الضائع المفقود : ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ۝٣١ ﴾ سورة إبراهيم

وعلى المسلم أن يكون وفياً مع ربه تائباً من ذنبه قبل فوات الأوان : ﴿ **اتق الله حيثما كنت** .. ﴾ رواه الترمذى . ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾

سورة هود – الآية : ١١٤

ولقد علمتنا التجارب وحدثتنا الأيام – ماضيها وحاضرها – أن بيوت المتقين عامرة ، وديارهم صالحة ، وأن بيوت الفاسقين خاوية فقد أحلوا قومهم دار البوار لأنهم يدلوا نعمة الله كفرا (بها) : ﴿ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

سورة الأعراف – الآية : ١٤٥

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ .. ﴾

سورة النمل – الآية : ٥٢

لماذا يخاف الغرب الإسلام ؟

للأستاذ الدكتور :
محمد إبراهيم الفيومى

يمر المجتمع الإسلامى اليوم ـ شأن بقية المجتمعات ـ بمرحلة انتقال خطيرة ، غير أن الذى يميز هذا المجتمع أن أعضاءه يواجهون الحياة العصرية ، بحريتها وفرصها ، بوصفهم ورثة تراث دينى فريد منبعه : الإسلام والإيمان ، كذلك يتميز هذا المجتمع الإسلامى عن بقية المجتمعات الإنسانية بالماضى العظيم .

فأولى خصائص هذا المجتمع : أنه « مسلم » وهذه الخاصية كما يراها الاستشراق أو الغرب : هى أهم مايميز عالم الجنوب ، وذلك يعنى الكثير مما يتصل بالتاريخ الحديث من وَحْدَة ، وإيمان وعقيدة ، وتوجه نحو الارتباط بالماضى الذى يشحن النفوس بالتطلع إلى المستقبل المشرق ، وتلك هى السمات المشتركة مهما اختلف العالم الإسلامى فيما بينه وتباينت مراميه .

من هنا يرى الغرب : أن متابعة العالم الإسلامى من خلال التطورات التى تحدث فى التاريخ المعاصر ـ وهى كثيرة وجوهرية لدرجة تجعلها تدق على الفهم ـ لهم عظيم الأهمية . وذلك لا يتم إلا بدراسة الأوضاع القائمة فى الأقطار الإسلامية واحدا بعد الآخر ، وهذا هو مايجرى عليه الآن التوجه الغربى ، وإذا قامت دراسة العالم الإسلامى على هذا المنهج لتقطع بأن فهم الأحداث الجارية فيه يؤدى بالضرورة إلى فهم صفتها « الإسلامية » فيما يظنون ، لكننا نرى إنه إذا كان التاريخ من صنع الأفراد ، ومن صنع النشاط الإنسانى فهو أيضا يتأثر بحركة القوة الروحية ، وهى ولاشك تصنع النشاط الإنسانى ، فعقيدة المسلم ، تصنع إيمانه وسلوكه ، وتؤثر فى تصور مجتمعه سياسيا واقتصاديا ، وذلك ماتعنيه هذه الخاصة المميزة ، وسط ضروب الاختلاف والتباين القائمة فى أنحاء العالم الإسلامى ، وهذا هو مايبرر القول ويفزع الغرب ، بأن التاريخ الإسلامى مازال حثيث

الخطى نحو ترابط ماضيه بمستقبله .

ذلك الذى يؤرق الغرب من الإسلام فى التاريخ الحديث ألا وهو : الصفة « الإسلامية » تلك التى تتميز بها الشعوب الإسلامية ، وهـذه الصفـة بالرغم من أن عمرها خمسة عشر قرنا فمازالت تقود حركة التاريخ وتقترن بفكره المتطور .

ويظهر لنا من خلال اهتمام الغرب الثقـافى بالإسلام أنه يهدف إلى توجيه الانتباه إلى دور الإسلام فى تحول وبعث « مما كان إلى ماسيكون » غير أن الغرب يرى أنه من الصعب أن يتنبأ بما سيكون عليه الحال فى المستقبل ، ولكن فى الوقت نفسه يستطيع أن يرقب مرحلة التطور المعاصرة والتى يتكون فى أطوائها الغد المرتقب ، يستحيل فيها تراث الماضى إلى بشير المستقبل وذلك مايخاف منه الغرب .

ومما يلفت النظر فى شأن « الغرب والإسلام » أن فكرة التطور تصدق على كل مراحل التاريخ ، فلماذا يعتبرها الغـرب شيئـا خاصا بالإسلام ، ويجعل تحوله مرحلـة تحول خطير يسبب قلقـا للغرب ؟

يعرب الغرب وهو بصدد الإجابة على هذا السؤال : أنه من المتفق عليه أن كل شىء فى العالم موضع للتغير المستمر إلا أن الذى يميز هذا العصر سمتان :

الأولى : أن التحول يتم بسرعة كيفا وكما .

الثانية : أن هذا التحول أو التطور يتم على نطاق واسع وبشكل واع .

وعلى الإنسان أن يعيش حليف التحول سواء كان إلى أحسن أم إلى أسوأ .

وكما يرى الغرب أن عليه أن يسيطر على مايطرأ على حياته من تغيير يرى ـ كذلك إنه بالإضافة إلى ماسبق ـ أن الإسلام فى أسلوبه الحديث يشترك فى وضوح مع بقية عالم اليوم غير أنه يتميز باعتبارات خاصة تخصه وحده ، وهذه العوامل النوعية أو الخاصة يرى الغرب أنها لم تحظ بنصيب ملحوظ من الدارسة على حين أنه يجب عرضها بعناية وماتوليه الأزمة الحالية من اعتبار .

من هنا اشتدت وطأة الغرب على الإسلام ، وانقيادا لازدواجية الغرب الفكرية يقدم الإسلام لأهله على أنه إرهاب وبداوه ، وتطرف وعرق وجنس ، وأنه عدو التطور ، وأنه شىء جامد يعوق التقدم .

بتلك الصفات السلبية يقـدم الإسلام . فى وقت تشتد دعوات المصلحين المعتدلين إلى تجديد الفكر الإسلامى .

لو كان الأمر كذلك كما يصف الغرب الإسلام بأنه جمود وعدو الحضارة لما كان بحاجة إلى تلك الدراسة الواسعة عنه .

إنما الغرب ـ وهو يشيع ذلك عن الإسلام ـ يرى أنه فى حاجة إلى فهم شامل وواضح لماهية الإسلام ، وماهية الحياة العصرية التى تعيشهـا المجتمعات الإسلامية ، فهو يرى أن الإسلام قوة ، وفى حركة منذ خمسة عشر قرنا ، وما من شك أنه فريد فى هذه الناحية ، وتزداد حركـة التـاريخ الإسلامى فى العصر الحاضر حتى ليعتبر أن التطور

التاريخى بوجه عام يعتبر خاصا بالنسبة للإسلام .

ووجهة نظر الدارسين للإسلام فى الغرب : «أن فى الإسلام قدرات فائقة للتطور» .

وهذا يمكن إدراكه فى الدور العملى للإسلام فى التاريخ الحديث ، وهو القول بأن الإسلام : دين . هذا القول يعنى الكثير وأكثر مما قد يستطيع أحد إدراكه ، معناه : أنه يمثل النقطة التى يلتقى عندها المؤمن خلال الزاخر من التقاليد والأعراف والعقيدة بأبدية الله ، وهو الوسيلة المثلى التى بها آمن الإنسان بالله ، ومهما اختلف المسلمون : عمقا أو سطحية ، اعوجاجا أو استقامة ، إثما أو طهرا ، فالإسلام هو الحياة الدينية لكل فرد منهم .

لذلك لايكفى لمعرفة الإسلام ، الإلمام بنظمه وأنماطه وتاريخه ؛ بل يجب التعمق والإحاطة بما يعنيه هذا كله لدى معتنقيه .

وواضح أن الإسلام ـ وإن اشترك مع غيره من الأديان السماوية ـ غير أنه تميز بالمرونة وبملاءمته لظروف الحياة ، وقدرات الأفراد ، وأمانيهم المختلفة .

وهو عقيدة حية تتجدد كل صباح فى قلوب المسلمين ـ والإسلام عند المسلم (دين الله) وهذا يعنى أشياء كثيرة ، من بينها : أنه لم يبدأ فى القرن السابع الميلادى بل بدأ مع الخليفة نفسها ، أو هو سابق عليها .

نزل الإسلام الذى وجد منذ الأزل إلى التاريخ فى القرن السابع الميلادى ، وبدأ دوره النهائى الكامل بين الناس ، فى الكتاب ـ القرآن الكريم ـ وتكفل الله بحفظه فى لغة عربية فيها جمال وإعجاز ، وكان أول توجيه مثمر ونافع فى سبيل بناء الدولة الإسلامية وإقامة شأن الجماعة التى عرفت باسم : المسلمين ، وبظهور هذه الجماعة اندفعت عقيدة الإسلام «دين الإسلام» فى العالم مترجمة إلى عمل منظم مستمر الحركة ، وهكذا ولد عصر جديد فى تاريخ البشرية بقيادة محمد رسول الله ﷺ وامتدت فى موجات موفقة إلى أقاليم العالم المختلفة ، وأخذت على عاتقها تنظيم حياتها ومجتمعها وفق تعاليم الله ـ عز وجل .

أخذ شكل المجتمع المسلم يتخذ شكل القوة السياسية منذ أن هاجر الرسول ﷺ وجماعته القليلة إلى المدينة حتى جعلوا من أنفسهم مجتمعا ذا حكم ذاتى ، ومنها بدأ تاريخ الإسلام .

فالقرآن عند المسلم مقدس ، وكذلك مجتمعه وتاريخه إذ المجتمع الإسلامى مجتمع يسير وفق هداية الله ـ تعالى ـ وتعاليمه ، وعلى من يريد أن يصبح مسلما أن ينضم إلى هذا المجتمع ويشارك بقية أفراده فى العمل على تحقيق رضوان الله ـ عز وجل ـ فى هذه الأرض .

وفى هذا الاتجاه يصبح الإنسان قريبا من الله ،ويتم مصير البشرية ، بقدر ما يقرب العمل من الخير ، والخير هنا أسلوب الحياة الذى يتخذ من القرآن وحيه ، ومن المجتمع الإسلامى تعبيره .

إن التاريخ الإسلامى بالنسبة للمسلم يعتبر بمثابة القنطرة التى تصل الإنسان بماضيه ذلك هو النموذج الأمثل ، ويمثل لدى الإنسان فى السلوك الخلقى لقاء الخالق بالمخلوق .

إن للمجتمع وظيفة ضخمة وعظيمة فى الإسلام غير أنها لم تنل أهمية فى دراستها ، والتاريخ

الإسلامى هو المجتمع نفسه فحركة التاريخ هى حركة المجتمع ، وتلك الحركة تستحق التفكير وذلك مايخيف الغرب ، فالمجتمع الإسلامى فيه تضامن ملحوظ وتماسك أعضائه وولائهم شديد ، وليس المجتمع الإسلامى بالوحدة الاجتماعية فحسب ؛ ولكنه أيضا وحدة دينية تمتزج فيها الدولة بالدين ، ويقوم على العقيدة الفردية وهو ـ أى المجتمع ـ مظهر المثل الأعلى الدينى ، ومظهر عملى لعقيدة المسلم الشخصية ، فعضوية الفرد المسلم فى مجتمعه ليست بالشىء المضاف أو التابع ، إنما هى مظهر لإسلامه الشخصى .

ومما يميز الإسلام أن المسلمين قد يختلفون فيما بينهم إلا أن هذا الخلاف لم يكن يتصل بأصول الدين ، وإنما فى الغـالب يدور حول طرق ممارسته ، والمسلم الصالح هو الذى يستطيع أن يعبر عن اعتقاده تعبيرا عمليا يتفق والقانون أو الشريعة .

وإن نواحى النزاع الأساسية فى الإسلام تنصب أساسا على الاتجاه الذى يأخذ فى التطور التاريخى الإسلامى .

والفكرة الأساسية التى تحكم المجتمع الإسلامى فى حركة التطور هى : أن الفرد يجب ألايشذ عن المجموع بأن يرتد عن عقيدته .

وأن تكون القيادة فيه مسئولة عن معرفة المجموع للطريق واتباعهم إياه ، وفى سبيل هذه « المعرفة » يوجد « العالم » و « المفتى » و « القدوة » « الاتباع » ، فالحقيقة الدينية التى هى وليدة الإيمان لدى المسلم متعادلة والحقيقة التاريخية .

وتاريخ الإسلام على الأرض يمتاز فى قرونه الأولى بالعظمة والإبداع ، سواء من الناحية الدنيوية أو الناحية الروحية ، امتلأ بالغزو والفتح وهوت أمامه امبراطورية الفرس وامبراطورية الرومان ، حتى فاقت فى اتساعها امبراطورية الرومان .

ولم تكن المسألة مجرد جيوش منتصرة ومعارك وحسب ، وإنما كانت هذه الجيوش تحمل معها مدينة جديدة ، فكان ثمة تقدم فى العلوم والفنون واللغة والأدب والتشريع والإدارة والتجارة ، إلى غير ذلك من ضروب التقدم والرقى . لقد كان فتحا وبناءا تمخض عن مجتمع عظيم جديد اكتملت فيه عناصر القوة والمجد .

وكان من عوامل النجاح ذلك الحوار الثقافى الذى عقده المسلمون مع غيرهم من شعوب الأرض وثقافاتها ، كالإغريق والثقافات السامية المنحدرة من الشرق الأدنى والقديم وإيران والهند ، وعمل المسلمون على مزج هذه العناصر الثقافية مزجا متجانسا ثم ساروا بها فى تقدمهم وقد طبع الإسلام كل نواحى الحياة فى هذه العصور بطابعه . وكان التشريع الدينى مركز القوة الموحدة التى تولت تنظيم كل شىء فى الحياة فأضفى التشريع بذلك وحدة على العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه ؛ فكانت مهمة الإسلام بناء نوع من النظام الاجتماعى يتفق وأوامر الله . وبذلك يختلف الإسلام عن بقية ماتبقى من الأديان السماوية بأنه نظام دينى واجتماعى وسياسى وثقافى واقتصادى من أول مانزل .

كذب المنجمون ولو صدقوا

للشيخ : محمد محمد الحسينى

أعلن فريق من العلماء والأطباء فى الولايات المتحدة ، أن الإيمان بالتنجيم والمنجمين ، وتصديق ما ينشر حول تأثير البروج على حياة الأفراد . يتسبب فى مشاكل طبية واجتماعية . تصل أحيانا إلى حد الانتحار .. وقال العلماء فى مؤتمر انعقد فى ولاية كاليفورنيا : أن ٥٥٪ من المراهقين والمراهقات يؤمنون بالتنجيم . ومن بينهم فئة تتأثر كثيرا ، بما ينشر عن الطالع والبروج ، إلى حد يجعلهم لا يقدمون على عمل ، إلا إذا تأكدوا من موافقة الأبراج على حسن طالعهم فى هذا اليوم .. بل إن الإيمان الشديد بهذه الخرافات . يدفع البعض إلى الانتحار . حيث ثبت أن ضعاف الإرادة لم يتحملوا نتائج التنبؤات القاتمة التى تتعلق بمصيرهم . كما تحدده الأبراج ..

هذا خبر نشرته صحيفة الأخبار المصرية . فى عدد الجمعة ٢٠ شعبان ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥/٥/١٠ م .

والواقع أن هذا العصر يزخر بكثير من الأمراض النفسية ، والمساوىء الأخلاقية . والتمزق الاجتماعى ، نتيجة للبعد عن طهارة الإيمان ونقاء الروح .. وفى هذا المناخ الفاسد ، يفقد كثير من الناس ، طمأنينة القلب ، ويقين النفس ، فينتابهم القلق فى حاضرهم ، والخوف من مستقبلهم .. وتتهيأ بذلك فرصة سانحة لطائفة من الناس لا تعيش إلا على الاستغلال والانتهازية . فتركب الموجة الجامحة إلى الكسب المادى الرخيص وهكذا نسمع أو نقرأ ، بين وقت وآخر عن نشاط المنجمين . أو العلماء الروحانيين ، أو الفلكيين ، أو أشهر المتنبئين ... الخ .

ومدلول هذه الأوصاف ، ادعاء هؤلاء أن لهم قدرات متميزة ، على اكتشاف المجهول ، ويزداد نشاط هؤلاء المدعين فى أوائل العام الميلادى ، وفى المناسبات الاجتماعية ، أو الأحداث التاريخية ، وتتبارى صحافة الغرب فى نشر هذه الادعاءات . والإعلان عنها ، وتشارك فى هذا للأسف

الشديد ، بعض الصحف العربية .. ونحن نعترض على تنبؤات هؤلاء المنجمين ، فإن ما يعتبرونه يقينا فأمر .. يرفضه العقل ، ويكذبه الواقع ، منذ وجه نشاط هؤلاء ، حتى اليوم .. وربما من أجل هذا ، وأمام استمرار أكاذيب هؤلاء المنجمين .

تألفت فى أمريكا لجنة عالمية . لبحث هذا الموضوع ، وأعلنت عن مكافأة مغرية . تبلغ (٣٠٠) ألف دولار . لمن يحضر أمامها . من أى مكان فى العالم . ويقدم الدليل الحاسم على تمتعه بقدرات ، تمكنه من الكشف عن المجهول ، والعلم بالغيب ، ورغم ضخامة هذه المكافأة . لم يتقدم – حتى اليوم – سوى (٤٥) شخصا ، من كافة أنحاء الولايات المتحدة ، لإظهار ما لديهم من قدرات روحانية ، و – طبعا – أخفقوا جميعا بينما رفض آلاف المنجمين – ممن ذاعت شهرتهم فى أمريكا وبريطانيا وأوروبا عامة – الحضور أمام اللجنة ..

وعندنا – نحن المسلمين – كتاب الله الكريم ، يقرر فى حسم لا تجوز فيه : أن العلم بالغيب أمر من الأمور التى خصّ الله تعالى – بها ذاته – عز وجل .

ذلك قول الله تعالى فى سورة النمل – آية : ٦٥ .

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ .

وفى سورة يونس – آية : ٢٠ .

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾ .

وفى سورة هود – آية : ١٢٣ .

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾

وفى سورة سبأ – آية : ٤٨ .

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ .

وفى سورة فاطر – آية : ٣٨ .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

وفى سورة الحجرات – آية : ١٨ .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

وفى سورة الحشر – آية : ٢٢ .

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾

وزيادة فى تأكيد ذلك وتقريره . يوضح القرآن الكريم : أن العلم بالغيب لا يتأتى لأى مخلوق إلا لمن ارتضاه الله من رسله ، وفى أمر أو بمنع أمور معدودة ، من علم الغيب . وذلك فيقوله تعالى فى سورة الجن :

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (٢٥ – ٢٧) .

وفى سورة آل عمران ـ آية : ٤٤ .

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ ﴾

وفى سورة يوسف ـ آية : ١٠٢

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾

ومع هذا التكريم لمن ارتضاه الله من رسله ، فى بعض أمور الغيب ، الغيب ، فإن محمدا رسول الله

وخاتم الأنبياء والمرسلين . ومعه غاية التكريم الإلهى . لم يدَّع لنفسه القدرة على استكشاف الغيب . ويطلب منه رب العزة سبحانه . أن يقول هذا للناس ، حتى لا يكون هناك ، مجال لادعاء مدَّع بعلم الغيب .

ذلك قول الله فى سورة الأعراف ـ آية : ١٨٨

﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ ﴾

وقديما حاول نفر من الجن أن يستمعوا إلى غيب الله ، وتخيروا أماكن من السماء يتصنتون منها . بعيدا عن حرس السماء الشديد . فسلط الله عليهم الشهب . ترصد من يتسمع منهم فتطارده وتدمره .. ذلك قوله تعالى . فى سورة الجن :

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾

ولقد شغل هؤلاء المدعون أنفسهم بالتنبؤ بيوم القيامة ، وحدد البعض منهم موعده بالعام والشهر واليوم .. ويأتى الموعد فيفضح أكاد يبهم أمام العالم كله .. ومع هذا يعودون فى كل عام . إلى التنبؤ من جديد .

لقد شغل يوم القيامة تفكير الكفار أيام محمد ﷺ فى مظهر من مظاهر العناد والإصرار على الغى والضلال . فطلبوا من رسول الله أن يخبرهم بهذا اليوم . تحديا له ، ورد الله ـ عز وجل ـ عليهم بأن هذا اليوم من علم الغيب ، وأنه لا يعلم الغيب إلا الله .. وجاء رد القرآن الكريم من طريقين :

الطريق الأول : الربط بين يوم القيامة وعلم الغيب ، على أساس أن علم الغيب أمر يضم ـ فيما يضم ـ العلم بيوم القيامة .. وعلم الغيب كاملا غير منقوص لا يعلمه إلا الله نقرأ هذا فى قوله تعالى فى سورة النحل آية ٧٧

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

وفى سورة سبأ آية : ٣

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ .

الطريق الثانى : أن الله سبحانه وتعالى . جعل أفضلية خاصة لبعض الأمور الجليلة فى علم الغيب . لا يعلمها إلا هو ، وأولها يوم القيامة . ذلك فى قوله تعالى فى سورة الأعراف آية ١٨٧

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ .

وفى سورة لقمان آية : ٣٤

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ .

وفى سورة فصلت آية : ٤٧

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ .

ثم نقرأ قول الله تعالى ــ فى سورة الأنعام آية : ٥٩

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾

وفى سورة الرعد آية : ٨ ، ٩

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ ..

وأمام إصرار الكفار . على تحدى رسول الله ، وإلحاحهم فى السؤال عن يوم القيامة . نزل القرآن الكريم بأسلوب جديد أكثر وأشد إغراقا فى الغيب .. نرى ذلك فى قوله تعالى فى سورة النمل آية : ٦٥

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾

وفى سورة الأحزاب آية : ٦٣

﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ .

وفى سورة النحل آية : ٧٧

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وفى سورة الشورى آية : ١٧

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ .

وفى سورة الزخرف آية : ٦٦

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

وفى سورة النازعات آية : ٤٢ ــ ٤٦

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ .

ومع إخفاء القرآن الكريم الحديث عن يوم القيامة . فإن الله سبحانه . ذكر بعض الدلائل . على اقتراب ذلك اليوم . فى قوله تعالى . فى سورة يونس آية : ٢٤

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ .

ولكن تعبير القرآن الكريم : ﴿ **أتاها أمرنا ليلا أو نهارا** ﴾ لا يحدد اليوم الذى تقوم فيه الساعة . وإنما يزيد فى غموض الكشف عن هذا اليوم لحكمة لا يعلمها إلا الله .

ثم إن قدرة الإنسان على امتلاك ناصية الدنيا ، تظل عاجزة قاصرة ، مهما وصل إليه من إنجازات علمية .. وما يزال الجهد الإنسانى عاجزا عن اكتشاف كذا أو اختراع كذا . أو التحكم فى كذا . فى حياتنا الدنيا . ولن يكف الإنسان عن مواصلة الاختراع والاكتشاف . وكلما زادت مخترعاته واستكشافاته . كلما ظهر مدى عجزه عن امتلاك ناصية الأرض .

والله تعالى يقول فى سورة يونس آية : ١٠١

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

وفى سورة الأعراف آية : ١٨٥

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ .

ولم يحدد الله لنظر الإنسان فى السموات والأرض نهاية ينتهى إليها ، والذى يبدو الآن اعجازا علميا . يتحول بعد فترة إلى ابتكار متداول بين الجميع .

ومن المهم جدا . أن نشير إلى أن هذه الدلائل التى أوردها القرآن الكريم . على قرب يوم القيامة ــ بهذا الخفاء الشديد ــ تختلف عن تلك المشاهد التى تسبق لحظة قيام الساعة ، فى مثل قوله تعالى فى سورة القمر آية : ١

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾ .

وغير تلك الأحداث المذهلة التى تحدث فى ذلك اليوم ، كما صورها القرآن الكريم . أفبعد هذا ينشط المنجمون ، ويدعون العلم بالغيب ، والقدرة على تحديد يوم القيامة ؟ .

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾

استفتاءات القـــراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهـــر الشريف

يقدمها | فضيلة الشيخ : السيد العراقى

السؤال :

السؤال من السيد/ عبدالناصر عبدربه محمد ـ قنا الدير الشرقى يقول فيه ماحكم الدين فى صلاة الجماعة وتكون المسافة فيها بين الصفوف كبيرة ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد ؛ بأن المطلوب فى صلاة الجماعة أن تكون الصفوف متقاربة ليس بينها فجوات طويلة حتى تكون مثل صفوف القتال التى قال الله ـ تعالى ـ فى شأنها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ٤﴾ الصف

فهذا التباعد بين الصفوف مكروه ولكن صلاة الجميع صحيحة ؛ لأنه لم يوجد مايبطلها

والله تعالى أعلم

السؤال من السيد/ م. ف ـ شبين الكوم منوفية

هل العمل فى مجال السياحة حلال أم حرام ؟ مع العلم أننى أعمل فى الإشراف الداخلى ولاعلاقة لى بالخمور أو حملها . ولكن هناك دخل منها حيث إننى أعمل بالفندق ، فما الحكم ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد ؛ بأنه إذا كان عملك ـ أيها السائل ـ يقتضى الاشتراك فى تقديم الخمور أو إعداد الموائد التى يلعب عليها القمار فأنت شريك فى الإثم ويكون دخلك محرما أما إذا لم تشترك فى هذه الأمور وكان عملك هو الإشراف الداخلى بعيدا عن الإشراف على شاربى الخمر ولاعبى

القمار فإن عملك لايكون حراما . وإذا كان للفندق دخل من طرق أخرى سوى بيع الخمر وأجرة أماكن القمار كان الأجر الذى تأخذه ، قد اختلط فيه الحلال بالحرام فيكون الأجر مكروها، وليس حراما ؛ لأن الدخل لم يكن كله من حرام والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/ ع. خ

توضأ ، وصلى جماعة بالناس ، وظل على وضوئه ، ثم وجد على ذراعيه من قشور السمك قشرة ذات دائرة لايزيد قطرها على اثنين ملليمتر أو ثلاثة . قد لصقت بجلد ذراعه ..

هل هى من اليسير الذى يعفى عنه .. أو لا يعفى .. وماحكم صلاته ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ؛ فنفيد بأن المطلوب فى الوضوء أن يعم الماء كل أعضائه ، ومن شروط صحته : عدم الحائل ، فقطعة قشر السمك التى التصقت بالذراع بين المرفق وطرف الأصابع قد حالت دون وصول الماء إلى ماتحتها ومهمـا كانت صغيرة ؛ فإنه لايعفى عنها ،وعلى السائل أن يجدد وضوءه ويعيد هذه الصلاة .

والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/ عبدالله بن قاسم السعيطى .
أبو العدا ـ أبوالمطامير ـ بحيرة

مارأى الشريعة الإسلامية وحكمها فى :

١ ـ هل يجوز للمسلم أن يتبرع بالدم أو أعضاء جسمه كالكلى مثلا وخلافه لغير المسلمين على سبيل المثال النصارى وهل يجوزالعكس . وماالحكم ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد ؛ فنفيد . بادىء ذى بدء ، أنه لا مانع شرعامن رضاع المسلم من غير المسلمة ، ولامانع أيضا ـ من رضاع غير المسلم من المسلمة ، كما أنه لامانع من نقل دم المسلم لغير المسلم ودم غير المسلم إلى المسلم ، وكذا نقل الأعضاء ، وذلك لعدم وجود دليل على التحريم .

لكن اختلفت آراء الفقهاء ورجال القانون حول نقل عضو من شخص إلى آخر وبعد استعراض أدلتهم وماجاء فى كتب الفقه نرى مايأتى :

أولا : إذا كان المنقول منه ميتا : فإن كان قد أوصى أو أذن قبل وفاته بهذا النقل فلا مانع من ذلك ، حيث لايوجد دليل يعتمد عليه فى التحريم . وكرامة أجزاء الميت لاتمنع من انتفاع الحى بها تقديما للأهم على المهم ، والضرورات تبيح المحظورات كما هو مقرر .

وإن لم يوصِ ، أو لم يأذن قبل موته ؛ فإن أذن أولياؤه جاز ، وإن لم يأذنوا : قيل بالمنع ، وقيل

بالجواز ، ولاشك أن الضرورة فى إنقاذ الحى تبيح المحظور وهذا النقل لايصار إليه إلا للضرورة .

ثانيا : إذا كان المنقول منه حيا ، فإن كان الجزء المنقول يفضى إلى موته مثل القلب كان النقل حراما مطلقا ، أى سواء أذن فيه أو لم يأذن ؛ لأنه أن أذن كان انتحارا ، وإن لم يأذن كان قتلاً لنفس بغير حق ، وكلاهما محرم كما هو معروف . وإن لم يكن الجزء المنقول مفضيا إلى موته على معنى أنه يمكن أن يعيش بدونه فينظر :

إن كان فيه تعطيل له عن واجب ، أو إعانة على محرم كان حراما ، وذلك كاليدين معا أو الرجلين معا ، بحيث يعجز عن كسب عيشه ، أو يسلك سبلا غير مشروعه ، فى هذه الحالة يستوى فى الحرمة الإذن وعدم الإذن ، وإن لم يكن فيه ذلك كنقل إحدى الكليتين أو العينين أو الأسنان أو الدم فإن كان النقل بغير إذن حرم ، ووجب فيه العوض ، على ماهو مفصل فى كتب الفقه فى الجناية على النفس والأعضاء ، وإن كان بإذنه قال : جماعة بالتحريم ، واحتج بعضهم عليه بكرامة الآدمى التى تتنافى مع انتفاع الغير بأجزائه وبأن مايقطع منه يجب دفنه .

واحتج بعض المحرمين ــ أيضا ــ بأن جسم الإنسان ليس ملكا له فلا يجوز التصرف فيه ،

هذا هو ملخص الحكم فى موضوع نقل الدم والرضاع ونقل الأعضاء من مسلم لغير مسلم أو من مسلم لمسلم أو من غير المسلم للمسلم ، على أن الحكم فى بقاء الجسم وعدمه بعد نقل العضو منه يرجع إلى الثقات المختصين . وعلى أن يكون هناك يقين أو ظن غالب بانتفاع المنقول إليه بهذه الأجزاء ، وإلا كان النقل عبثا وإيلاما لغير حاجة ونحن نعلم أن بعض الأجسام ترفض الأجزاء المنقولة إليها ، ويحاول العلم أن يتغلب على هذا الرفض بالمنع أو الحد منه .

وإذا كنا نختار جواز النقل للأعضاء ؛ فهل يجوز أن يؤخذ عوض للعضو المنقول ؟

يرى جماعة عدم جوازه محتجين بحرمة بيع الآدمى الحر ، كله ، أو بعضه لحديث (قال الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته : رجل أعطى بى ثم غدر ــ ورجل باع حرا وأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى ولم يوفه) رواه البخارى وغيره .

ويرى آخرون : جواز أخذ العوض كثمن أو هبة ، قياسا على بيع المرضع لبنها ، ولعدم ورود دليل يحرمه ، والحديث المذكور هو للنهى عن ضرب الرق على غير الرقيق والاتجار فيه بالبيع كما كان يحصل فى الجاهلية من خطف الأحرار وبيعهم فالاستدلال بالحديث غير مسلم .

ومهما يكن من شىء فإن الأفضل عدم المساومة على العضو المنقول ، فإن إنقاذ حياة المحتاج إليه لا يعدله أى عوض ، ولكن لا مانع من قبول الهدية التى تعطى بسخاء نفس دون شرط سابق .. والله تعالى أعلم .

الشعر والشعراء

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

مع كعب بن زهير

مدح وإنابة

كعب بن زهير بن أبى سلمى المزنى ، نسبة إلى «مزينة» من قبائل «مضر» ، يعد من فحول العرب المخضرمين المجيدين ، ولد فى الجاهلية وأسلم ، ويصف الرواة شعره بقوة التماسك وجزالة اللفظ وسمو المعنى ، ويتفقون على أن الشعر لم يتصل فى ولد أحد من فحول الشعراء فى الجاهلية اتصاله فى ولد زهير .

قيل ـ للراوية خلف الأحمر : أيهما أشعر زهير أم ابنه كعب ؟ فقال : لولا قصائد لزهير يذكرها الناس ما فضلته على ابنه كعب(*) .

ويتحدث الرواة فى سبب هذه القصيدة ـ التى معنا ـ أنه اشتد على «بجير» أخيه لأنه أسلم وترك وثنيته فأرسل إليه « بجير » : أن النبى ﷺ يهم بقتل كل من يؤذيه من شعراء المشركين ، وخيَّره بين المجيىء تائباً إلى رسول الله ﷺ أو الهرب نجاة بنفسه ، فلما أتاه كتاب أخيه «بجير» ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه من القتل وهداه الله ـ تعالى ـ فآثر الإتيان إلى رسول الله ﷺ ـ تائباً مُسْلِماً ، فوثب رجل من الأنصار يريد ضرب عنقه ، فمنعه النبى ﷺ ، فأنشد كعب هذه القصيدة :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلا أغنُّ غضيض الطرف مكحول
تجلو عوارض ذى ظَلْمٍ إذا ابتسمت ... كأنهُ مَنْهل بالراح معلول
أرجو وآمل أن تدنو مودتها ... إن الأمانى والأحلام تضليل
أمست سعاد بأرض لا يبلِّغها ... إلا العتاق النجيبات المراسيل

(*) مختارات أدبية من عصرىّ : النبوة والأموى للدكتور عبد الحميد شيحة (١٩٨٢) .

يسعى الوشاة بجنبيها وقولهم إنك يا ابن أبى سلمى لمقتول
وقال كل خليل كنت آمله لا ألهينك إنى عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلى لا أبا لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول
أنبئت أن رسول الله أوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذى أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت فى الأقاويل
إنى أقوم مقاماً لو يقوم به أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
لظل يرعد إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تنويل
مازلت أقتطع البيداء مدرعاً جنح الظلام وثوب الليل مسبول
إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

النبى محمد ﷺ للإمام البوصيرى

محمد أشرف الأعراب والعجم محمد خير من يمشى على قدم
محمد باسط المعروف جامعة محمد صاحب الإحسان والكرم
محمد تاج رسل الله قاطبة محمد صادق الأقوال والكلم
محمد ثابت الميثاق حافظه محمد طيب الأخلاق والشيم
محمد حاكم بالعدل ذو شرف محمد معدن الإنعام والحكم
محمد خير خلق الله من مضر محمد خير رسل الله كلهم
محمد دينه حق ندين به محمد مجملاً حقا على علم
محمد ذكره روح لأنفسنا محمد شكره فرض على الأمم
محمد زينة الدنيا وبهجتها محمد كاشف الغمات والظلم
محمد سيد طابت مناقبه محمد صاغه الرحمن بالنعم
محمد صفوة البارى وخيرته محمد طاهر من سائر التهم
محمد ضاحك للضيف مكرمه محمد جاره والله لم يضم
محمد طابت الدنيا ببعثته محمد نوره الهادى من الظلم
محمد قائم لله ذو همم محمد خاتم للرسل كلهم

من وحي الحرم

للشاعر بهاء الدين رجب إبراهيم(*)

حَيَّاك رب العـرش أسْمـىَ مسجـدٍ … تصفـو بك الأرواح عنـد المَوْرِدِ
فيك التـواصل والـتسامح والسنـا … فيكَ الأمـانُ لِعابـدٍ متهجـدِ
دَلَـجَتْ لك الأشواق فى أفراحهـا … تهفـو إلى روض الغفـور المنجـدِ
تجفـو المضاجـع والمرابـع فى رِضَى … والله يقبـل من يفـى بالموعِـدِ
لبّـوا نِداءَ الله فى عَلْيائـه … فسعوا إليك ـ إلى الوصال الخالِـدِ
وحـدتهم تحت اللـواءِ فأصبـحت … كل الخلائـق فى صعيـدٍ واحِـدِ
ساويت بينهمـو فصاروا صحبـة … فى روضةٍ من راكـعٍ أو ساجـدِ
أنّـى نظـرت فطائـف ومهـرول … ومسبـحٌ للمستعـان الواحِـدِ

(*) موجه لغة انجليزية بإدارة أجا التعليمية .

يدعو الخليل : وديعتى أسكَنْتُها | بجوار بيتك في أمانِ المرقَدِ
فاجعل جموعَ المؤمنين تعودهم | وارزقهمو من فيضك المُتَفَرِّدِ
فالأرض قَفْرٌ والحياة ضَنِينَةٌ | والأمر أمرك ياغياث المسْهَدِ

● ● ●

أبشر خليلَ الله فاضت زمزمُ | بُشرَاكِ هَاجَرُ فَاطْمَئنى وأسعدى
يا دعوةَ الخلِّ الكريمِ لَكِ الوَفَا | من رامَ وَجْهَ الله دَوْمَاً يَهْتَدى
جَاء النِّداءُ من السماوات العُلَىَ | هيا اعمروا بيتى لأكرم وافِدِ
إذ يرفع الخلُّ الكريم عِمَادَهُ | يرجو القبول من القويِ الأمجد
ها قد بَنَيْتُ فما عَسَاىَ بفاعل | كيف السبيل إلى حجيج فى غدِ
وإذا برب العرش يوحِى أمرهُ | أذّنْ تجد من كل فج عُوَّدِ
ياللجلال العبقرى وسحره | والكعبةُ الغراءُ أبهى مشهدِ
وقلوب أهل الأرض فى أستارها | والكعبةُ الغراءُ أبهى مشهدِ
وقلوب أهل الأرض فى أستارها | يتعلقون بعبرة وتَنَهُّدِ
جاءوا إلى باب الكريم بتوبةٍ | وضراعةٍ ـ لله درُّ العائِدِ

● ● ●

هَذى الرحابُ تعيش مِلء خواطرى | فياضةً بالحب والكرمِ النَّدِى
فى كل صوب جنة من سندس | أجْرِى بها الرحمن أصفى مَوْرِدِ
يارب هب للعالمين زيارةً | للمصطفى والبيت أول مسجد
وأرزقهمو من فيض جودك توبة | أنتَ الملاذُ من الجحيم المجهدِ
والقدس ياربّاه فى أصفادها | تشكو إليك من الغوِى المعتدى
فافْدِ العباد لوحدة ـ ولِعِزَّةٍ | والعز منك ـ به نعيش ونهتدى

لبيك يارب

للشاعر : رشاد محمد يوسف

أصداء « لبيك » عبر الأفق تلقانى … تفيض أنوارها ، تسمو بوجدانى
أصداء « لبيك » تكسو الكون ضارعة … تتوق للرى من عفو وغفران
أم القرى فى ثياب العرس رافلة … وزمزم فى حناياها كل إنسان
زهت أساريرها والبيت فى ألق … يفيض بالعطر من روح وريحان
ترتج آفاقها مَعْ كل تلبية … تصافح الكون فى ود وتحنان
والركن والساحة البيضاء عامرة … تموج كالبحر يجرى دون شطآن
حدائق النور يسرى عطرها عبقاً … يضوع فى كل آفاق وأكوان
لبيك يا رب تسمو كل جارحة … وكل جانحة تعنو بإذعان
لبيك يا رب أنفاس وأفئدة … وأعين ضوأت من نور إيمان
وأدمع تغسل الأعماق تائبة … عن أى ذنب مضى أو أى نسيان
من كل فج عميق أقبلوا زمرا … مهللين بأعتاب وأركان
تخففوا من قيود الأرض وارتفعوا … إلى سماء الهدى من غير أبدان

● ● ●

وخلفهم خلفوا دنيا بزخرفها … وخلفوا كل أصحاب وأقران
جاؤوا عراة تقاة ليس يسترهم … سوى التقى والرضا من كف رحمٰن
عيونهم كحلت من فيض لهفتهم … فما بدت أعين من غير تحنان
أكفهم تطرق الآفاق ضارعة … وقد ندت دعوة من كل شريان
وفى الحنايا جراحات مخضبة … مغلفات بأشجان وأحزان
رحماك يا رب هذا الأفق معتكر … مجلل بسحابات وأشجان
ولفها ألف إعصار وعاصفة … وحاطها ألف بركان وطوفان
فكيف يارب والمختار قدوتنا … نسير خلف أباطيل وبهتان ؟
وكيف يارب نرضى عن تخلفنا … وكيف نغفو وفينا هدى قرآن
ضيوف بيتك يا رحمن ضارعة … بكل ماحملت أشواق إنسان
ندعوك أن تكشف البلوى وتغمرنا … بجود كفك من فضل وإحسان

وداعاً.. شيخ الأزهر

بسماحـة الإسلام كنت موائمـاً ... بين الحيـاة وبين قدس المسجـد
ما مات من غمـر المحافـل علمُـه ... بسطـوع برهـان وفقـه مجدد
رحل الإمـام وغـاب عن أبصارنـا ... لكنـه فى قلب كل موحـد

●●●

رحم الله الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، كان باحثاً إسلاميا نادرا ، وعالماً فذاً ، وداعية متمكناً ، أنفق عمره فى خير ما تنفق الأعمار ، وكان أكثر حركة ونشاطا ومشاركة فى العمل الإسلامى محليا وإقليميا ودوليا ، ويذكر له العالم الإسلامى مواقفه الفذة فى كل ما عرض للمسلمين من جديد ، وكل مارُزِئُوا به من أرزاء .

رحل فضيلته بعد جهاد طويل فى حقل الدعوة الإسلامية ، فمنذ تولى مشيخة الأزهر فى مارس ١٩٨٢ ــ وكان من قبل مفتيا للديار المصرية ثم وزيراً للأوقاف ــ وهو يحمل رسالة الأزهر خلفاً للدكتور محمد عبد الرحيم بيصار ــ (١٩٧٩ ــ ١٩٨٢) ــ ويواصل مسيرة السلف علما وجهاداً وعطاءً ونضالا ، إلى أن وافته منيته فى ساعة مبكرة من فجر الجمعة ٢٥ شوال ١٤١٦ ــ الموافق ١٥ مارس ١٩٩٦ م . فجزاه الله خير ما جازى به عالماً عن علمه وأستاذاً عن تلاميذه ومجاهداً فى سبيل نصرة الإسلام وعز المسلمين ، هذا وتجدر الإشارة إلى أن باب الشعر تلقى العديد من قصائد الرثاء التى تعبر عن فجيعة أصحابها فى الإمام الراحل ، حال دون نشرها ضيق المساحة ، وعسى أن تجد طريقها فى كتاب يصدر قريبا عن الإمام الراحل ، خالص تقديرنا لمشاعرهم وقدرتهم على التصوير والتعبير .. **المحرر** .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

صفات سيدنا عمر – رضى الله عنه –

قال معاوية بن أبى سفيان – رضى الله عنه – لصعصعة بن صوجان : صف لى عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فقال :

كان عالما برعيته ؛ عادلا فى قضيته ، عاريا عن الكبر ، قبولا للعذر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحريا للصواب ، رفيقا بالضعيف ، غير محاب للقريب ، ولا جاف للغريب .

«حقائق»

لاتتهافت على اللئيم فتتهم فى مروءتك ، ولا على الغنى فتتهم فى عفتك ، ولا على الجاهل فتتهم فى فطنتك .

«كيف أصبحت ؟»

قيل لأحد العلماء الأئمة – رضى الله عنهم : كيف أصبحت ؟

قال : أصبحت تطلبى ثمانية : الله تبارك وتعالى – بالفروض ، ورسوله – عليه الصلاة والسلام – بالسنة ، والدهر بصروفه ، والعيال بقوتهم ، والحفظة بما ينطق لسانى ، والشيطانى بالمعاصى ، والنفس بالشهوات ، وملك الموت بقبض روحى .

«المراتب ثلاث»

أخسها : أن تشكو الله إلى خلقه .

وأوسطها : أن تشكو خلقه إليه .

وأعلاها : أن تشكو نفسك إليه .

« كيف تركت الناس فى بلدك ؟ »

خرج عمر بن عبدالعزيز يوما متنكرا إلى مفارق طرق تعبرها قوافل المسافرين . فسأل أحدهم : كيف تركت الناس فى بلدك ؟ فأجابه : تركت البلاد ؛ الظالم فيها مقهور ، والمظلوم منصور ، والغنى موفق ، والفقير مجبور .

وابتعد – رضى الله عنه – ودموع الشكر فى عينيه قائلا لغلامه :

والله لئن البلاد كلها على ماوصف هذا الرجل ، أحب إلى مما طلعت عليه الشمس .

« خير الزاد »

خطب أبوذر – رضى الله عنه – عند الكعبة فقال :

أليس إذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ؟ فقالوا : نعم . فقال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون .

فقالوا : دلنا على زاده . فقال : حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين فى وحشة الليل لظلمة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور .

أعجب شىء !!

قيل لرجل من الصالحين : أى شىء أعجب عندك ؟

قال : قلب عرف الله – تعالى – ثم عصاه .

« حقا »

قيل لأعرابى : ما السقم الذى لايبرأ ؛ والجرح الذى لايندمل ؟

قال : حاجة الكريم إلى اللئيم .

« إذا لم يحفظ ثلاثا »

قال الشاعر :

إذا ما المرء لم يحفظ ثلاثا
فبعه ولو بكف من رماد
وفاء للصديق وبذل مال
وكتمان السرائر فى الفؤاد

« أقبح الأعمال »

قال يحيى بن خالد البرمكى :

أقبح عمل الظافرين : الانتقام .
وأقبح عمل الواعدين : البخل .
وأقبح عمل القادرين : الظلم .
وأقبح عمل المؤمنين : الخيانة .
وأقبح عمل الأشراف : الكبر .
وأقبح عمل السلطان : الجور .

دعـــاء

اللهم أيقظنا من رقدات الغفلة ، ووفقنا للتزود قبل النقلة ، وألهمنا اغتنام الزمان وقت المهلة .

اللهم الطف بنا فى قضائك ، وهب لنا ما وهبت لأوليائك ، واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك .

من أعلام الأزهر

الشيخ محمد الغزالى رحمه الله ٢

للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى

هكذا مضى الغزالى يتتبع عثرات المستشرق المجرى خطوة خطوة ، فوقف وقفة ناقدة عند قول الباحث إن الإسلام ليس من صنع محمد . ولكنه من صنع الأجيال بعده وأن رسول الله جاء بتعاليم استقاها من اليهودية والمسيحية حين اتصل بهما ؟ أما كيف اتصل بهما على الوجه المثبت لانتفاعه بتعاليمهما فهذا مما يعجز المؤلف عن إثباته ، ثم يجول المؤلف فى إيضاح فروق بين التشريع المدنى والمكى ، لا لينتهى إلى ما قرره الفقهاء ومؤرخو التشريع بشأن هذه الفروق ، بل ليقول بتأثير اليهود فى شريعة محمد واتجاهه ؟ ولا أطيل فى تسجيل هذه العورات فقد كشف عنها الغزالى بما جعلها رمادا تذروه الريح .

وهكذا ـ مرة أخرى ـ مضى الغزالى يشرح فى خلال نقوده الحاسمة رسالة الإسلام الخاتمة ، ويدفع الهجوم الظالم على السنة المطهرة ، ومحاولة توهين مصادرها ذات الأصل الراسخ متحدثا عن رأى الإسلام فى مسائل القضاء والقدر والجبر والاختيار ، ومجال العقل ومجال الوحى ، وموقف جولد تسهير من علم الكلام ، وتتبعه أقوال المبتدعة والمنحرفين ليلصقها بالإسلام لصقا مكرها كله احتيالٌ وتعمل ، حتى انتهى الناقد إلى ايضاح مرونة الفكر الإسلامى ، ومدى

الحكام ، والوحدة الإسلامية ، ولابد لقارىء كتاب الحقيقة والشريعة الذى ألفه المنقود الجرىء أن يتابع نقد الغزالى فى كتابه ليقذف الله بالحق على الباطل فيمحوه .

أما كتاب (التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام) فقد كتبه الأستاذ الغزالى على مضض ، لأنه لا يريد إثارة الشدائد بين عنصرى الأمة المصرية ، فالغزالى فى كل اتجاهاته داعية وفاق لا شقاق ، ولكنه وجد كاتبا يثير الشقاق إلى درجة الالتهاب ، ويقذف بالاتهامات الظالمة فى وجوه المسلمين من المصريين منذ دخل عمرو بن العاص الكنانة فاتحا حتى عهد المؤلف المتعصب ، ولم يدع سطرا من السطور فى أسفار التاريخ البعيدة والقريبة يُشَمُّ منها تنابذ بين العنصرين : إلا جسده وغلظه ، ونادى به من فوق مرتفع شاهق ليسمعه جميع الناس ، وقد غفل غفلة مقصودة عن مظاهر الالتحام بين العنصرين كما سجلتها كتب التاريخ التى بحث فيها عن الهنات ليلتقطها متعسفا وليبالغ فى تحليلها مبالغة تدعو القارىء المحايد إلى النفور والانقباض ، وما هكذا سبيل البحث التاريخى النزيه ! وقد ذكر الأستاذ الغزالى فى مقدمته أن ناصحا أمينا حدثه بشأن العرض فقال : « قد طلب إلى أن التزم حسن العرض ، وأن أكتفى بتنحية القذى عن طريق الإسلام دون غضب أو تحد ، وقد بذلت الجهد فى إجابة نصحه ، وإن كنت أشعر أحيانا بسورات الغيظ تملكنى وتجرفنى إذ أجد حقا يغطى الهوى وجهه المبين ، وعسفا يراد فرضه على الطريق المستقيم ، وما كان الإسلام ينتظر ممن أحسن لهم فى أرضه أن يتربصوا به ، ويعينوا عليه ، أو يتلمسوا لأهله الأبرياء العيوب » .

وفصول الكتاب قوية منصفة ، فقد تحدثت عن الإسلام بين العصبية والتعصب ، وعن المسلمين وأهل الذمة وعن مسلك عمر الفاروق فى معاملة أهل الكتاب ، وعن الفتح الإسلامى فى العصر الأول ، وعن أسلوب التوسع والمعاملة فى تاريخ الديانتين ، ووقف وقفات متأنية فى الحديث عن دخول المسيحية فى مصر وكيف دخلها الإسلام . مسجلا موقف الصليبيين من نصارى الشرق ، وموقف الأقباط من الاحتلال الفرنسى ، وفى هذه العناصر ما يعطى فكرة كافية عن الكتاب السديد .

أما كتاب (من هنا نعلم) الخاص بنقد كتاب (من هنا نبدأ) فيسرنا أن نعلن أن الكاتب الكبير الأستاذ خالد محمد خالد مؤلف الكتاب قد رجع عن كل سطر قاله فيه وألف كتابا آخر تحت عنوان (دين ودولة) يمضى مع كتاب الأستاذ الغزالى فى كل حقائقه ، وقد رجع الكاتب إلى الحق بعد بحث شاق متصل فأعطى مثلا صادقا لمن يكتبون الخطأ ثم يبادرون إلى تصحيحه ، وأعجب العجب أن ذيول الشيوعيين فى مصر كانوا يصفقون للأستاذ خالد محمد خالد ، وينعتونه بالكاتب الكبير ، وينقلون ما جاء به فى كتابه محتفلين منوهين ، حتى إذا ألف الأستاذ كتابه الجديد همدت حماستهم تلقاءه ، وضاع وصف الكاتب الكبير الذى كانوا يصفونه به ، ولم يدعوا

الكتاب بعد أن نقده مؤلفه ، بل حرصوا على إذاعة ما دون فيه ، ولذلك سيظل كتاب (من هنا نعلم) يؤدى رسالته فى تسفيه من يعتنقون الضلال عن عمد راسخ .

لقد كان من خطأ الأستاذ خالد فى كتابه أنه اعتقد أن الإسلام كالمسيحية ، لا صلة له بأمور الدنيا ، وهو خطأ جوهرى عرفه الأستاذ فيما بعد فتجافى عنه ، كما جعل فى الإسلام رؤساء من رجال الدين يحللون ويحرمون ، كما يفعل البابوات فى كنائس أوربا ، والإسلام برىء من سيطرة إنسان يحلل ويحرم دون اعتماد على نص من الكتاب والسنة وما أجمع عليه الفقهاء ، وإذا جد حدث لم يأت من قبل ، فلدينا القياس وهو من أوسع أبواب الاجتهاد فى الفقه الإسلامى ، كل ذلك مقرر مدروس ، وقد أجاد الغزالى فى تأييده ، بحيث أدى رسالة ضرورية كان من المحتم أداؤها ، واذكر أن الكاتب الكبير الأستاذ محمد فريد وجدى ـ رحمه الله ـ قد نقد كتاب الأستاذ خالد نقدا واعيا على صفحات مجلة الأزهر فى حلقات متتابعة لم تجمع فى كتاب مستقل ، وقد قرأت ما كتبه الأستاذ وجدى ـ وهو من الغزالى بمنزلة الأستاذ ، بسبقه المحمود فى حلبة الجهاد العلمى النزيه ـ فوجدت توافقا كبيرا فى الحقائق العلمية التى اهتدى إليها الرجلان الفاضلان ، لا لأن أحدهما قد نقل عن الآخر ، فمنطق البحثين لا يوحى باطلاع أحدهما على ما قال صاحبه ، ولكن حقائق الإسلام وحدها كانت من الرسوخ لديهما بحيث استطاعا أن يتحدثا عنها حديث الرجل الواحد ، وهذا مما يؤيد أن الحق أبلج لا مرية فيه ، وأن النفوس إذا خلت من الغرض أتضح لها وجه الحقيقة بعد البحث الجاد دون لبس أو تدليس ، وقد كان فيما كتبه الباحثان الكبيران مقنع لمن يعرف الحق ، أو يسعى إلى معرفته ، ولكننا نرى كتبا ضالة تظهر متحدية الحقائق الصريحة لتعلن انفصال الدين عن السياسة ، وتجد هذه الكتب من وسائل الإعلام والتنويه فى الصحف والإذاعات المختلفة ماتضيق به الصدور ، ولكن العجب حقا أن هذه الدعاية الواسعة على هذا النحو الممتد الفسيح ، لم تحظ بقبول الجماهير القارئة ، فهم يميزون بين الطيب والخبيث عن نظر بصير .

هذا بعض ما اتجه إليه الأستاذ الغزالى فى تفنيد أباطيل خدعت الناس ، ورانت على عقولهم ، فطلبوا الاهتداء إلى الحق ، ووجدوا لدى الأستاذ ما يريح ، وهو كدأبه يتحسس أماكن الحاجة إلى التثقيف الضرورى للمسلم ، ينهض إلى ساحاتها غير وان ! لقد لمس تصورا شنيعا فى توضيح عقيدة المسلم حيث اقتصرت معرفة هذه العقيدة على ما جاء فى كتب علم الكلام ، المسمى بعلم التوحيد ، وهذه الكتب فى تراثها الماضى لم تعد تؤدى رسالتها فى إحياء العقيدة ، وإذكائها فى نفس المسلم على وضع يجعلها تترقرق دما فى عروقه ، لأن هذه الكتب تعرضت لآفات كثيرة ، أهمها أنها سلكت سبيل الفلاسفة فى تقرير حقائقها الإيمانية فجعلت المنطق الأرسطى سبيل التدليل وآية الاقناع ، والمنطق الجدلى ـ كما نشهد فى أمور كثيرة ـ يثبت الشىء ونقيضه ، لأنه يفترض صحة المقدمات ولا يهتم إلا بالنتائج ، وإذ ذاك تجىء النتيجة باطلة وفق المقدمة إذا كانت باطلة ، كما أنه

فرع من البحث يؤدى إلى الجفاف الفكرى ، وغايته أن يكون تمرينا عقليا ، لا اهتداء قلبيا ، لذلك يشك الشاكون عن وسوسة الشيطان ثم يقدمون إلى هذه الكتب آملين أن يجدوا بها برد اليقين ، فتزيدهم غليلا ، ومن أراد التعمق فى المطولات الكبيرة بدل المختصرات الموجزة فماذا يجد ؟ يجد حربا ضروسا بين طوائف مختلفة عفى عليها الزمن ولم يعد لها وجود بيننا الآن ، هذه الطوائف تتنازع فى أمور عقلية أو سياسية لم تعد مجال التنازع اليوم ، وقد حرص مؤلفوا علم الكلام على تتبع أقوالها ، وترداد أدلتها ، والقارىء المعاصر تحوطه الشبه فى كل اتجاه ، شبه الكفرة من الماديين والملاحدة والعلمانيين ولا تجد فى كتب التوحيد ما يشفى الغلة لذلك شاء الأستاذ الغزالى أن يضع ما يعرف بعلم التوحيد وضعا جديدا ، يقنع العقل ، ويرضى العاطفة معا ، وضعا يأخذ أدلته من كتاب الله وسنة رسوله ، ثم من المشاهد المحسوس فى ملكوت السموات والأرض ، فبدأ كتاب (عقيدة المسلم) بحديث مقنع عن أدلة وجود الله عز وجل بدأه بقوله (وجود الله من البداهات التى يدركها الإنسان بفطرته ، ويهتدى إليها بطبيعته ، وليس من وسائل العلوم المعقدة ولا من حقائق التفكير العريضة ، ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء ، واقتراب المسافة جدا قد يعطل الرؤية ، ما اختلف على ذلك مؤمن أو ملحد ، ثم قال :

وقد اقترنت حضارة الغرب . التى تسود العالم اليوم . بنزوع حاد إلى المماراة فى وجود الله ، والنظر إلى الأديان جملة نظرة متنقص ، أو قبولها كمسكنات اجتماعية لأنصارها والعاطفين عليها ، ولا شك أن المحنة التى يعانيها العالم الآن أزمة روحية منشؤها كفره بالمثل العليا ، فلا نجاة له مما يرتكس فيها إلا بالعودة إلى هذه المثل ، يهتدى إليها بفطرته ، كما يهتدى سبيله الجنين فى ولادته ، والفرخ فى بيضته ..

بهذا الأسلوب النير سار الأستاذ فى فصول الكتاب ، حين تحدث عن العالم وهل خلق صدفة ؟ وعن صفات الخالق جل علاه ، وعن الوحدة المطلقة ، وعن القضاء والقدر ، والجبر والاختيار ، وقيمة العمل ومنزلته من الإيمان ، وعن الخطيئة والمتاب ، وعن النبوة والوحى والعصمة والمعجزة ، وعن الحياة الأخرى فيما وراء الحياة الدنيا ، وعن البعث والجزاء ، ولا يكفى القارىء أن يعلم رءوس هذه الموضوعات ، بل من واجبه أن يسارع إلى قراءتها ليجد العقيدة الإسلامية قد برزت فى ثوب قشيب .

ولم ينس الأستاذ أن يكتب عن السلوك فى الحياة كتابا رائعا تحت عنوان : (خلق المسلم) كما كتب مؤلفه عن (عقيدة المسلم) وهو بهذا يهيىء الاطمئنان النفسى للمسلم روحيا وعمليا ، فاقتناعه بما جاء فى كتاب العقيدة سبيل إلى الاطمئنان الروحى واقتناعه بما كتب فى (خلق المسلم) سبيل إلى الاهتداء العملى فى دروب الحياة .

لقد درس الأستاذ الغزالى كتب الأخلاق فى مظانها المختلفة ، وألمّ بما ذكره الفلاسفة والعلماء عن الخير والشر من لدن أفلاطون ولا بد لمن يكتب كتابا فى الأخلاق أن يدرس هذه الدراسة

المستوعبة ، غير أن المؤلف لا يفاجئك بآراء الأخلاقيين ، ولا يصدمك بالمصطلحات العلمية ، وكلها منطقى جاف ، ولا يحشد لك النقول الصافية ، لأن مطالعات الغزالى قد تفاعلت واختمرت ، حتى أصبحت فكرا هادئة مرتبطة بالتوجيه الإسلامى للأخلاق فهو فى تحليله الهادىء يبرز ثمار معارفه ، وقد تمثلت فى نفسه ، فكادت تكون مادة أخرى بعد أن صهرت فى بوتقة الذاتية دون أن يفقد القارىء الحصيف بذور آرائه ، ومقدماته الأصيلة ، وقد يقول قائل : إنه يكتب الأخلاق من زاوية الإسلام فلا صلة له بآراء الفلاسفة وعلماء الأخلاق ، ولكننا نعلم أن الأخلاق الإسلامية نهضت قمة عالية تضم فى لبناتها المتراصة أجزاء من الفكرة الإنسانية العامة التى تهدف إلى الحق والخير وإلى الجمال فهى فى نسقها القرآنى مجال للدراسة والموازنة والتحليل .

وكتاب (خلق المسلم) يؤدى رسالة دائمة لا تتقيد بزمان أو مكان ، فهو دستور المسلم أنى وجد ، وحيث كان ، وهو بهذا الوضع لا يغفل حاجات عصره ، وأخطاء زمنه ، بل يتخذ منها أمثلة يكشف بها القناع عما يريد فهو حين يتحدث عن الصدق يوضح ما تجره الصحافة الكاذبة من نكبات ، إذ يتسع ضررها ويمتد حتى تشمل الكذبة الواحدة آلاف القراء ، ثم يتكلم عن الانتخاب البرلمانى فيرى فى تزكية غير الكفء كذبا وزورا أى زور ، وحين يتحدث عن الأمانة يرى من الخيانة إسناد المناصب فى الدولة إلى غير أربابها ، كما يشوى الوساطات والشفاعات والمحسوبية بسياط ملهبة ، ثم حين يتكلم عن الوفاء بالعهد يعلن أن الشروط المكتوبة لا حرمة لها إذا تعارضت مع الدين ، وحين يتحدث عن القصد والعفاف ينعى على الشباب ما فتن به من الأناقة والطراوة والولوع بالمظهر واللباس ، حتى صار الواحد منهم معرضا للأزياء ، وهكذا يطارد الكاتب أوبئة العصر فى علاج شامل لما يتعاقب من الأجيال ، لأن الداء ممتد يستطيل .

وإذا جاز أن تكون هناك كتب للقراءة ذات الموضوع الواحد لطلاب المدارس الثانوية فمن الخير لهؤلاء الطلاب أن يكون كتاب (خلق المسلم) أحد هذه الكتب التى تقدم لهم ، لأنه جمع الأسلوب الجيد ، والنصوص الأدبية المنتقاة من كتاب الله وسنة الرسول ، وله بعد ذلك صحة الهدف ، ونبل الغاية وشرفها ، إذ يرسم الطريق إلى حياة صحيحة ، وسلوك سليم ، مع وضوح التعبير ، بل مع إشراقه الوضىء .

لقد سئل الأستاذ الغزالى عن أحب كتبه إلى نفسه فلم يذكر كتابا من الكتب التى تعرضت لها فى هذه العجالة ببعض التحليل ، ولكنه ذكر كتاب (فقه السيرة) وهو كتاب خاص بتدوين سيرة رسول الله مشفوعة بما نفحه إيمان الكاتب من التحليل الشارح ، والتعليل الموجه ، وأشهد أن كتاب فقه السيرة يمس شغاف قارئه مسا قويا ، لأن حب الكاتب لرسوله قد تجسد فى كل كلمة خطها ، وليس هذا مأخذا ، لأن الحب يكون مأخذا منحازا إذا كان حبا أعمى لا يعتمد

على دليل صادق ، أو برهان كاشف ، أما إذا كان الحب وليد اعتقاد قوى راسخ الأركان وطيد البناء فإنه يدفع قلم الكاتب دفعا إلى تسطير عواطفه المؤمنة دون تريث ، إذ يجد من فيضها الزاخر ما يتيح له أن يسود عشر صفحات فى مجلس واد فالينبوع دافق والمعانى واضحة لامعة ، والإعجاب دافع سائق ، وأذكر أنى قرأت عشرات الكتب عن السيرة المطهرة ، ومازلت أقرأ كل ما يقع فى يدى من حديث هذه السيرة مما يكتبه الفضلاء ذوو العطاء السخى المشبع ، ولكنى وقفت فيما قرأت عند كتابين قد احتلا مكانتهما الكبيرة فى نفسى ، إذ وجدت فيهما ما لا أجد فى سواهما ، فكتاب عبقرية محمد للأستاذ العقاد على صغر حجمه يعطيه من المعانى المبتكرة النادرة ما لا تكاد تجده فى سواه لأن ملكة التحليل العقلى التى اشتهر بها الكاتب قد بدت فى تألقها الزاهر وضيئة فيما كتب عن رسول الله تحليلا وتدليلا واستكناها ، ومأخذه الأوحد ـ إن عد هذا مأخذا ـ هو الصرامة الجافة فى الإيجاز لأن بعض البسط كان يشفى الغلة قطعا ، أما الكتاب الثانى فهو فقه السيرة للأستاذ الغزالى حيث أتم رسالة العقاد من ناحية ثانية لأن العقاد قد اهتم بالنظر العقلى ، والصيال الفكرى دون أن يلتفت إلى سبحات الروح ، وخلجات النفس وهذا ما التفت إليه الأستاذ الغزالى فجاء كتابه جامعا بين منطق العقاد وروحانية الغزالى الداعية المتصوف ، وأقول المتصوف عن عمد لأن تصوف الغزالى تصوف عملى مكافح يدفع إلى التأمل ، ويدعو إلى البناء ، فى ظل من حب الله ، وخشية من عقابه ، ولم يكن الغزالى بعيدا عن رسول الله حين كتب مؤلفاته الأخرى فالرسول ﷺ ماثل بروحه فى كل خط كتبه الغزالى توجيها وطاعة وامتثالا ، ولكن كتابة سيرته المطهرة بقلم الغزالى قد ساعدت على إكمال الصورة الجميلة التى يراها الأستاذ لنبيه الكريم .

قلت إن الغزالى أديب مطبوع ، لو ترك له المجال للعكوف على الأدب وحده لكان أديبا من طراز حجة الأدب ونابغة الإسلام الأستاذ مصطفى صادق الرافعى ـ رحمه الله ـ ولكن مشيئة الله قد وجهته إلى الدعوة والنضال فى حومة الأفكار المتصارعة ، فكان أديب دعوة ، وأديب الدعوة الإسلامية أشمل وأعم وأوفى من أديب ، إنه دعوة أخرى لأن دعوة الإسلام هى دعوة الحياة .

وبعد فهل ترانى ـ فى هذا البحث السريع ـ قد بلغت بعض ما أريد من جولتى الخاطفة فى بعض كتب الغزالى ، أشهد أنى قصرت ـ لأن الحديث الطائر عن بعض الكتب الغزالية لا يغنى عن التحليل الدقيق لكل كتاب على حدة ، وأذكر أنى كتبت منذ زمن بعيد تحليلا وافيا لكتاب (كفاح دين) للأستاذ الغزالى ، ووجدت من الأوفق أن أخصه فيما بعد بمقال منفرد فى غير هذا المكان ليكون نموذجا متواضعا للحديث عن منهج الغزالى ، كما أراه على قدر ما فى طاقتى من توضيح !!

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

سوانح ونصائح

لصاحب الفضيلة الشيخ يوسف الدجوى

إعداد وتقديم : د. عبد الفتاح حسين الزيات

ما بال ابن آدم يهوى الجدال بغير علم ، ويهرف بما لا يعرف ، ويحاول أن يسبح فى بحر متلاطم الأمواج ، وهو فاقد لفن السباحة ؛ فتراه تارة يقحم نفسه فى مساجلات لا يعرف عنها إلا القليل ، وتارة يرمى بنفسه فى مناظرات لا يدرى ما الغرض منها ، ويشارك فى معارك كلامية مع افتقاده لأدواتها . فهل هو حب الظهور والغوغائية ، أم محاولة إثبات لوجوده ؟! .

سواء كان هذا أو ذاك فإن الأمر جد خطير ؛ فلماذا لا يأخذ الإنسان نفسه بالموضوعية والعقلانية والاتزان فى كل ما يأتى أو يدع ، ويترك كل صنعة لصانعها فهذا خير له ألف مرة من خبط العشواء واتباع الأهواء ، وليأخذ العبرة من قول سيدنا رسول الله ﷺ : « أخوف ما أخاف على أمتى ثلاث : ضلالة الأهواء ، واتباع الشهوات فى البطن والفرج ، والعُجب » رواه الحكيم عن أفلح - رضى الله عنه - وهو مولى رسول الله ﷺ .

قال الشيخ - رحمه الله :

سوانح ونصائح

١ - المجادلات لا توصل إلى الحق ، والكلام لا ينتهى ولا يفرغ مهما كان الحق واضحا لمن أراد أن يشاغب . وإنك لتعلم أن إبليس لم يخضع للأمر الإلهى ، بل جادل كل المجادلة فى سجوده لآدم ،

ولم يقتنع بشيء مع كون خصمه هو الله . وقد قال – تعالى – فى حق قوم من المعاندين :

﴿ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ سورة الأعراف ١٤٦

وقال :

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ١٥ ﴾ سورة الحجر

وقال فى المتعنتين أيضاً :

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ ﴾ سورة الأنعام ١١١

... إلى آخر ما جاء فى القرآن وهو كثير . ومن درس استعداد الإنسان عرف أنه مجمع العجائب والغرائب ، ومظهر المتضادات والمتناقضات .

٢ – المحبة ، أو نقول العواطف والأميال ، تجعلك عميا عن كل شيء إلا ما يوافق هواك ونزعاتك . وقد قال الله فى حق قوم :

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ سورة الإسراء ٤٦

فإذا كان هذا فى حق القرآن الذى هو آيات بينات فكيف بغيره !

٣ – عرفتنا الحوادث السياسية بعد الحوادث التاريخية كيف تضل الأمم فى الواضحات ولا تدرك الجليات . وبهذا عرفنا مقدار الأنبياء وقوة استشعارهم بالحق ، حتى لم يؤثر فيهم الوسط الذى هم فيه ، ولم يرعهم إجماع البيئة التى نشئوا فيها ، ولم تشككهم مخالفة جميع الناس لهم ، ولا أوحشهم انفرادهم فى طريق الهدى ، والناس مطبقون على الضلال يسيرون على غير هدى ولا بصيرة كأنهم لايبصرون ولايعقلون . فانظر كيف لم تتسرب الوساوس إلى نفوسهم – عليهم السلام – مع كونهم يرون إطباق الناس على الباطل ، بل اعتقدوا بقوة نور بصيرتهم أن الناس سائرون فى الظلمات ، فهم مساكين يرثى لهم ، وجهلة يبكى عليهم ، حيث إنهم يجهلون ولا يعلمون أنهم يجهلون .

فليت شعرى ما مقدار ذلك النور الذى لم تؤثر فيه تلك الظلمات ، ولا أطفأته عواصف الشكوك والشبهات ، ولا قوة المخاصمات والمجادلات ، ولا كثرة الوجدانات والاعتقادات . وكأنهم يرون الغيب شهادة ، وما وراء الطبيعة محسوسا ، حتى قبل الرسالة والوحى ، بفضل ما أوتوا من استعداد رفيع وطهارة ذاتية : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) .

فحاذر أن يغرك إجماع ذوى الجهالات وإطباق ذوى الظلمات ، واعرف استعداد الإنسان واعتقد أنه قابل لكل شيء من الحق والباطل والضلال والهدى.. الخ ، فلا نحترمهم فى السياسات ولا فى الطبيعيات ، ولا فى شيء من الأشياء إلا بالبرهان الساطع ، وسل الله التأييد والتسديد .

٤ – يمكنك أن تعيش فى عصر السلف الأول ؛ بل فى عصر النبى ﷺ ، وذلك بقصرك نفسك على كتب الدين وسيرة الصالحين . ويمكنك أن تعيش فى أى عصر من العصور بتلك الوسيلة . فإن

الإنسان ليس إلا عبارة عما يُنْقَش فى نفسه ، وما يصدر منه إنما هو مقتضى تلك النقوش .

٥ ـ لا عبرة بغير الأشياء العملية واكتساب العلم الصحيح ، وتكوينُ ملكته فى النفوس لا يكون بغير العمل . ولاقيمة لتلك النظريات وإن تبعها كثير من التشدق والثرثرة . وما الانسان إلا صورة مما يحيط به وينقشه فى نفسه . فمن الغلط البين اغترار كثير من الناس بالعلوم النظرية ، حتى يظن ذووها أنهم اتصفوا بها وفازوا بثمرتها . مع أن هذا الصنف من الناس فى علمه هو بمنزلة من قال الله فيهم :

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ سورة الحجرات (١٤)

وقد قالوا : العلم يهتف بالعمل ، فإن أجاب وإلا ارتحل . فذوق العلم وتكيف النفس به لا يكون إلا بالعمل ، وإلا كان شقشقة فى العلماء تشبه النفاق فى المؤمنين ، وكان ممن حق عليهم قول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ سورة الصف

وقد أذكرنى هذا لمناسبة ماّ ، ما يحكى من أن الشيخ محيى الدين بن العربى رأى جنازة الفليسوف ابن رشد ومؤلفاته محملة أمامه ،فسأل عنه ، فقيل : إنه الإمام ابن رشد وهذه كتبه ، فقال :

هذا الإمام وهذه أعماله
ياليت شعرى هل أتت آماله

يريد بذلك أن هناك فرقا كبيرا بين العلم العملى الذى يسيطر على القلوب وتكيف به الأذواق وتنصبغ به النفوس ، وبين العلم النظرى الذى تؤديه الألسنة ويبرع فيه المتشدقون :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ (٢٠٤) ﴾ سورة البقرة

ومن ذلك الوادى ما يزعمه كثير من الجهلة أو من ذوى الأغراض الخبيثة من تحبيذ السفور والاختلاط ، خصوصا فى المتعلمات ، اعتمادا على ما تلقنّه فى تعليمهن من تلك النظريات التى لا تسمن ولا تغنى .

وهؤلاء المغرورون كأنهم ليسوا فى الوجود ، فلم يعتبروا بالتجربة والمشاهدة والنتائج السيئة التى نراها كل يوم من جراء ذلك الاختلاط ، فقد جهلوا الفلسفة والدين ، فإن الأمر طبيعى شديد له أكبر سلطان على النفوس بمقتضى الغريزة والنظريات لا تقاوم الطبيعيات . ولكن ما لهم ولتلك التحليلات الفلسفية وهم أرباب شهوات وأهواء لا دين وفلسفة ! ولهذا لم يكتف الله تعالى بالعظات النيرات والزواجر البالغات ، بل شرع الحدود والتعذيرات ، علما منه بما جبلت عليه النفوس البشرية .

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٤) ﴾ سورة الملك

وقد كان عندنا وظيفة تسمى وظيفة الحسبة ولعلنا نكتب فيها بعد .

أسال الله أن يهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم ، وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين بمنه وكرمه ؟

العلوم الكونية

من دلائل القدرة الإلهية

فى بعض الظواهر البحرية

ظلمات البحار وتراكب الأمواج (٢)

بقلم أ. د أحمد فؤاد باشا

قال تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾[١]

يبين الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة أن حياة الكافرين وأعمالهم أشبه بظلمات البحار والمحيطات العميقة ، حيث يزداد الظلام وتسود العتمة الشديدة نتيجة لتراكم الأمواج الهائجة فوق بعضها ، وحيث تخيم السحب الكثيفة المعتمة إلى حد انعدام رؤية الأجسام ، فيتعذر على المرء أن يرى حتى يده التى فى جسده . ذلك أنه لا هداية لبشر بدون النور الإلهى الأعظم .

ولقد أودع الخالق العظيم هذا النور الهادى فى قرآنه الكريم ، وأرسل نبيه العربى الأمى الصادق الأمين ليبلغه إلى العالمين ، ويدعوهم إلى اتباع طريقه الأقوم وسبيله الأرشد وصراطه المستقيم . ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[٢] . وقد جاء فى كتب التفسير أن الكافر يتقلب فى خمس من الظلم : فكلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار[٣].

---

(١) سورة النور : ٤٠ .

(٢) سورة الأنعام : ١٥٣ .

(٣) الطبرى ١١٦/١٨ ، عن : صفوة التفاسير ، محمد على الصابونى ، القسم العاشر ، ص٢٣ . ومختصر تفسير ابن كثير ، محمد على الصابونى ، المجلد الثانى ، ص ٦١١ .

فنسأل الله العظيم أن يجعل فى قلوبنا نوراً ، وعن أيماننا نوراً ، وعن شمائلنا نوراً ، وأن يعظم لنا نوراً .

كذلك أودع الله ـ سبحانه وتعالى ـ نوره الهادى فى آياته الكونية الباهرة ونواميسه المنبثة فى جنبات الوجود ، وجعل البحث عن هذه الآيات والنواميس فى الآفاق وفى الأنفس طريقاً مؤدية إلى معرفة الحق وموصلة إلى الإيمان الخالص بالخالق الواحد على هدى وبصيرة ، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾(٤).

ولعل فى هذا المعنى ما يوضح طبيعة العلاقة بين القرآن والعلم ، ويؤكد حقيقة التكامل والتوافق التامين بين الوحى والكون باعتبارهما مصدرين متكاملين للمعرفة الصحيحة ، ولا ينبغى لعاقل أن ينشد الحق إلا فيهما طبقاً للأصول المنهجية السليمة فى التعامل معهما .

وتظل علاقة التوافق والانسجام بين القرآن والعلم قائمة طالما كان المفسرون والعلماء مدركين لحدود علمهم فى فهم الآيات القرآنية والآيات الكونية فى الآفاق وفى الأنفس . فما كان من حقائق العلم قطعياً لا شبهة فيه ، لزم تصديقه والتسليم به وتغليبه على ما كان ظنى الدلالة ، لأن ما كان ظنى الدلالة يحتمل التأويل على وجهين أو أكثر . والإيمان بوحدة المصدر والغاية للآيات القرآنية والآيات الكونية يقتضى بالضرورة العقلية أن يكون ما هو قطعى الدلالة فى كتاب الله موافقاً لقطعى البرهان والثبوت فى العلم ، ويقتضى بالضرورة العقلية أيضا أن نسخر التقدم العلمى ليساعد على فهم أعمق لمعانى القرآن الكريم ويزيد من تمسك المسلم بدينه القويم . أما إذا ضل العلم البشرى طريقه وغايته ، فإنه لا محالة مخفق فى مهمته ، خاصة إذا ما حاول البعض ـ عن قصد أو غير قصد ـ أن يربط بين ظنيات العلم من جهة ، وبين القطعى المصرح به أو المسكوت عنه فى الدين من جهة أخرى ، وعندئذ فقط ينشأ التعارض بين العلم والدين ، ويكون التصادم بين العقل والنقل .

ماذا يقول العلم عن ظلمات البحار وتراكب الأمواج ؟! :

يمدنا العلم الحديث ببعض الحقائق التى تلقى مزيداً من الضوء على معانى الآية ٤٠ من سورة النور ، فيخبرنا علماء البحار(٥) بأن درجة الحرارة فى الأعماق التى تزيد على الألف متر تتراوح بين ١ ـ ٢ درجة مئوية ، أى أعلى بدرجة أو اثنتين فقط من درجة الصفر المئوى التى يتجمد عندها الماء العذب . ويلاحظ أن ماء البحر ـ على خلاف الماء العذب ـ لا يتجمد عند درجة الصفر المئوى ، بل عند درجة أدنى بكثير من ذلك ، لأن الأملاح الذائبة فى الماء تزيد من كثافته وتمنعه من التجمد عند درجة الصفر المذكورة ، وتتميز البيئة البحرية على هذه الأعماق البعيدة بأنها لا تعرف تقلبات الفصول من صيف وخريف وشتاء وربيع ، مثلما هى لا تعرف ضوء النهار ولا تصلها أشعة الشمس ، فضلا عن أنها بيئة

(٤) سورة فصلت : ٥٣ .

(٥) د. أنور عبدالعليم ، أضواء على قاع البحر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ .

باردة فى برودة الثلج ، لا تتأثر بموقعها من خطوط العرض المختلفة بين القطبين وخط الاستواء ، ومن ثم فهى بيئة متجانسة الخصائص إلى حد كبير .

وفى أوائل هذا القرن تمكن العلماء من اكتشاف نوع من الأمواج الداخلية العملاقة غير الأمواج السطحية التى نراها واضحة أمامنا على الشاطىء ، وتؤثر مباشرة على هدوء السطح أو اضطرابه . وقد دعمت أبحاث الأقمار الصناعية هذا الاكتشاف باستخدام تقنية « الاستشعار عن بعد » سنة ١٩٧٣م . وأمكن بالفعل تصوير أمواج البحر الداخلية والتأكد من وجودها عمليا عند السطح البينى Interface الذى يفصل بين الطبقة الكثيفة السفلى فى البحر والطبقة العليا الأقل كثافة[٦] .

ويعزى اختلاف كثافة كل من الطبقتين إلى اختلافهما فى درجة الحرارة ودرجة الملوحة[٧] . وهناك عدة عوامل تسبب اندفاع الماء فى أمواج داخلية بالبحر أهمها : تغير الضغط الجوى وحدوث المد والجزر ، واختلاف شدة الرياح من مكان لآخر .

ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من الأمواج الداخلية يسود فى البحار والمحيطات العميقة ، مثل المحيط الهادى الذى يعتبر أكثر محيطات العالم عمقا ، وفيه أخدود « الماريانـاز » Marianas Trench الذى يبلغ عمقه نحو أحد عشر كيلو مترا .

وهنا نتأمل دقة التعبير القرآنى الذى تحدث عن وجود هذه الظاهرة فى « بحر لجى » ، أى عميق كثير الماء ، كالمحيط الهادى ، وليس أى بحر .

من ناحية أخرى ، نعرف أن مناطق البحار والمحيطات العميقة يخيم عليها دائما سحب كثيفة معتمة بسبب عمليات التبخير المستمر ، ومن يتتبع مسار الأشعة الضوئية القادمة من الشمس فى هذه المناطق يجد أن جزءاً كبيرا منها يتم انعكاسه أو امتصاصه بواسطة السحاب ، ثم ينعكس جزء آخر بواسطة موجات البحر السطحية التى تعمل بسبب ميلها كأنها مرايا عاكسة ، ويتم امتصاص الجزء الباقى من الأشعة الضوئية بواسطة طبقات مياه البحر الداخلية على أبعاد معينة تحت السطح ، حيث يبدأ امتصاص ألوان الطيف المرئى تباعا حسب أطوالها الموجبة ، فتُمتص الأشعة الحمراء ذات الموجات الطويلة قريبا من سطح البحر لعدم مقدرتها على اختراق الماء إلى أعماق كبيرة ، وفى أغلب الأحيان يتم امتصاص الأشعة الحمراء فى العشرين مترا الأولى تحت سطح البحر ، ويحدث عندئذ ما يمكن أن نسميه « إظلام اللون الأحمر» ، ونعنى به انعدام رؤية الأجسام

---

(٦) د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر ، الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ٣٢ وما بعدها .

د. محمد عبدالله الشرقاوى ، القرآن والكون ، دراسة تبين الصلة الوثقى بين العقيدة والنظر فى الآفاق والأنفس ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، بدون تاريخ للنشر ، وفيه نقل الدكتور شوق أبو خليل عن الدكتور فاروق الباز قوله : « إن التصوير الذى خرق المياه ليصور تضاريس قاع المحيطات أثبت كحقيقة علمية أن الأمواج والتيارات العميقة هى أضخم وأكبر من أمواج السطح » (شوق أبو خليل ، مجلة العلم والإيمان ، ١٥٨٤ ص ١٢ تونس) .

الشيخ عبدالمجيد الزندانى ، الإسلام أو الضياع ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، تاريخ الإيداع ١٩٩٣ م .

(٧) إذا أخذنا لترا واحدا من ماء البحر فى وعاء وسخناه حتى يتبخر جميع الماء منه فإن مقدار ما يتبقى من أملاح فى الوعاء بالجرامات يسمى « درجة ملوحة البحر » ، وهى فى البحار المفتوحة بعيداً عن الساحل حوالى ٣٥ جراما من الأملاح لكل لتر ، وفى البحر الأحمر تبلغ ٤١ جراما من الأملاح فى اللتر الواحد ، بينما تبلغ فى البحر الميت ٢٧٥ جراما من الأملاح لكل لتر ، أى نحو ثمانية أضعاف ملوحة البحار العادية .

الحمراء ، فلو كان هناك غواص يسبح على عمق حوالى ٢٠ مترا فإنه لا يرى الدم الذى ينزف من جرح فى يده مثلا . ويتوالى بعد ذلك امتصاص باقى ألوان الطيف المرئى : البرتقالى ، الأصفر ، الأخضر ، الأزرق ، النيلى ، البنفسجى ، وتتكون ظلمات بعضها فوق بعض ، ويتلاشى أثر الضوء بعد ذلك ، بحيث يخيم الظلام الدامس فى المناطق اللجية (أى العميقة) من البحر أو المحيط ، ولا يستطيع العيش هناك إلا كائنات حية عمياء لا حاجة لها إلى عيون الإبصار ، مثل حيوان الإسفنج وبعض أنواع الأسماك .

ولقد أمكن التأكد عملياً من هذه الحقائق العلمية عام ١٩٣٤م، بعد أن تمكن عالمان أمريكيان ، أحدهما مهندس يدعى « بارتون » O Barton والآخر عالم فى الأحياء البحرية يدعى « بيبى » W. Beebe ، من تصميم كرة معدنية تتحمل ضغوطاً عالية ، بها نافذة من البللور السميك محكمة القفل ، ليهبطا بها إلى قاع البحر على أغوار بعيدة ، وليدرسا طبيعة الأحياء الموجودة هناك(٨) .

وهبط العالمان بهذه الكرة التى أطلق عليها اسم « الباتيسفير » Bathysphere ، أو كرة الأعماق ، إلى عمق ٩٠٨ أمتار بالقرب من جزيرة برمودا فى المحيط الأطلسى . وقد ورد فى تقرير العالم « بيبى » ، وهو يصف ما شاهده من نافذة الكرة أثناء هبوطها فى رائعة النهار ، قوله : « عند عمق نحو ١٨ متراً اختفى الضوء الأحمر ، وعلى عمق ١٠٠ متر كان الضوء الأصفر قد اختفى هو الآخر ، وعند عمق ٢٤٠ متراً تلاشى ذلك الجزء الأخضر والأزرق من ألوان الطيف ، وعندما هبطنا إلى أبعد من ذلك لم نجد وصفاً لما حولنا أبلغ من القول بأنه لون أزرق غامق عميق ، ثم إنه بين عمق ٥٢٠ متراً إلى ٥٨٠ متراً كان ما يكتنفنا هو الظلام الدامس بعينه »(٩) .

إن هذه الحقائق العلمية القطعية هى مما يمكن أن يفاد منه فى بيان جوانب الإعجاز القرآنى ، فمن الثابت قطعاً أن رسول الله ﷺ لم يسافر قط عبر تلك المحيطات العميقة حتى يذكر مثل هذا الوصف العلمى الدقيق « لظلمات بعضها فوق بعض » ، أو يرى ما تم اكتشافه حديثاً من أمواج داخلية عملاقة ، من فوقها أمواج سطحية ، من فوقها سحاب . وهكذا نجد أن معجزة القرآن الخالدة تتجدد مع تقدم العلوم الكونية ، وكشف المزيد من حقائقها القطعية ، وكأنما رسول الإسلام – عليه الصلاة والسلام – قائم فى كل عصر يدعو الناس إلى دين الله ، ويريهم الدليل إثر الدليل على أن خالق الكون هو منزل القرآن الكريم ، ﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١٠) صدق الله العظيم .

وللحديث بقية فى العدد القادم إن شاء الله .

---

(٨) هذه الكرة مصنوعة من قطعة واحدة من الصلب قطرها نحو متر ونصف متر ، وتزن نحو ٢٢٥٠ كيلومتر ، وسمك جدارها ثلاثة سنتيمترات ، ولها باب من الصلب يزن وحده ١٨٠ كيلوجراما .

وهى مزودة من الداخل باسطوانات الهواء اللازمة للتنفس ، وبها مواد تمتص الرطوبة ، ولها مقعدان يجلس فيهما العالمان قبالة بعضهما ليشاهدا من خلال نافذة البللور أغوار البحر من حول الكرة .

ونظراً لقلة الضوء تحت سطح الماء فقد زودت الكرة بالكشافات الكهربائية لتنير جوف البحر أو المحيط من حولها . وهى مشدودة بأفراس وحبال متينة إلى سطح سفينة ، حتى إذا ما هيئت للاستعمال أدليت فى البحر إلى العمق المطلوب بواسطة تلك الحبال (راجع : د. أنور عبدالعليم ، مرجع سابق) .

(٩) د. أنور عبدالعليم ، مرجع سابق .

(١٠) سورة السجدة : ١ – ٢ .

متاعب الثدى فى النساء

للدكتور/ أحمد رجائى عبد الحميد

الثدى فى النساء :

متاعبه :

الثدى فى المرأة فى سن الإخصاب الذى يمتد على مدى فترة تتراوح بين سن الرابعة عشرة وسن التاسعة والأربعين يتخذ شكلا نصف كروى ، ويمتد أمام القفص الصدرى من الضلع الثانى إلى الضلع السادس فى الاتجاه الرأسى .. ومن حافة عظمة القفص إلى قرب الإبط فى الاتجاه الأفقى على كلا الجانبين .

وتقع حلمة الثدى تحت مركز السطح الأمامى للثدى بقليل ، وبين الضلع الرابع والضلع الخامس ، وتحاط بهالة يميل لونها إلى اللون الوردى فى السيدات التى لم يسبق لهن الحمل ، ثم يتحول إلى اللون الأسمر مع حدوث الحمل وتكراره .

ويتكون الثدى من فصوص يتراوح عددها بين خمسة عشر وأربعة وعشرين•ولكل فص قناة تفتح بفتحة مستقلة على سطح حلمة الثدى . وكل فص من هذه الفصوص يتكون من فصيصات صغيرة تحتوى على الحويصلات التى تقوم بإفراز اللبن عند حدوث الحمل والولادة تحت تأثير (هرمونات) معينة ، ويحيط بفصوص الثدى نسيج ضام يربطها بعضها ببعض ، كما تتراكم فيه الدهون التى تعطى للثدى شكله العام وملمسه .

وتنتشر أعصاب الإحساس فى جلد الثدى ، وتتركز المستقبلات الحسية فى منطقة الحلمة مما يجعلها أكثر حساسية .

أورام الثدى

من أكثر الأورام انتشاراً لدى الإناث أورام الثدى ، وهى نوعان :

ـ أورام حميدة : وهى التى لا يوجد لها مضاعفات ، ولكن لابد من متابعتها .

ـ أورام سرطانية (خبيثة) : وهى التى تصاحبها مضاعفات ، وتحتاج إلى تدخل طبى سريع .

أولاً : الأورام الحميدة :

تنقسم الأورام الحميدة إلى :

ـ أورام غددية ليفية .

ـ أورام القناة اللبنية الناقلة .

ـ الأورام الغددية المتحوصلة .

وفيما يلى نفصل بعض هذه الأورام .

الأورام الغددية الليفية :

تتكون من نوعين :

نوع صلب ونوع غير صلب ، ولا يوجد سبب معروف لحدوث هذه الحالة ولكن يرجع أنها تتسبب عن اختلال فى (هرمون الاستروجين) الأنثوى .

أ ـ النوع الصلب (المحيط بالقنوات) :

تكتشف السيدة الورم ـ حين يشاء الله ـ تعالى ـ فتصادفها معرفته حيث، إنه ينمو ببطء ويكون صغير الحجم ويتحرك الورم بحرية داخل الثدى ، إذْ أنه غير مثبت بأنسجة الثدى أو الحلمة أو الأنسجة خلف الثدى ، ويطلق عليه «فأر الثدى» حيث إنه سهل الحركة ، ويكون صلب الملمس ولا توجد غدد ليمفاوية متضخمة بالإبط .

● العلاج :

الاستئصال الجراحى والتحليل الباثولوجى .

ب ـ النوع غير الصلب (داخل القنوات) :

هذا النوع قليل الحدوث ويحدث فى أعمار تتراوح بين ثلاثين وخمسين ، وينمو هذا النوع من الأورام بسرعة ، وقد يصل إلى حجم كبير جداً ، وقد يضغط على الجلد من الداخل ثم ينفجر للخارج ، ويكون الورم غير صلب وقد تكون هناك أجزاء بها تكيس وهو أكثر تعرضاً للتحول إلى أورام خبيثة .

ويتم العلاج إما بالاستئصال الجراحى للورم إذا كان صغيراً ، أو باستئصال الثدى إذ كان كبيراً ، ويجب التحليل (الباثولوجى) الذى يفضل أن يكون أثناء إجراء العملية بحيث أنه فى حالة وجود

تحولات خبيثة يتم استئصال جذرى للثدى والأنسجة المحيطة والمتعلقة والغدد الليمفاوية .

أورام القناة اللبنية الناقلة :

يحدث فى الإناث فى سن الأربعين ، ويتكون الورم من الخلايا العمودية المبطنة للقنوات اللبنية الناقلة الرئيسية بالقرب من الحلمة ، وقد يكون واحداً أو أكثر ، ويكون طرى الملمس ، ويبرز داخل القناة . وهذا الورم قابل للتحول إلى النوع الخبيث ، وكذلك حدوث نزيف من الحلمة وقد يسد القناة اللبنية مما يؤدى إلى تكون حويصلة دموية ، كما أنه من الممكن حدوث (خُرَّاج) خلف الورم فى حالة حدوث عدوى ، وفى هذه الحالة تشكو المريضة من نزف من حلمة الثدى ، وقد تحس بوجود ورم فى حالة حدوث تجمع دموى (حويصلة) .

ويتم العلاج باستئصال الجزء الموجود به الورم والأنسجة المحيطة به ، وعمل تحليل (باثولوجى) للتأكد من عدم وجود تحول لورم خبيث .

الأورام الغددية المتحوصلة

والورم الغددى المتحوصل نادر الحدوث ، ويكون متحوصلاً (أى محاطا بغلاف) وهو ينمو بسرعة كبيرة حتى أنه قد يحتل كل الثدى وربما ينفجر خارج الثدى وهذا الورم لديه القابلية للتحول إلى النوع الخبيث .

والعلاج هو الاستئصال الجراحى البسيط للثدى مع إجراء تحليل للورم للتأكد من عدم وجود تحولات سرطانية .

ثانياً : الأورام الخبيثة للثدى

تحدث الأورام الخبيثة فى حوالى أربعة فى المائة من النساء ، ولا توجد سن محددة لذلك ، ولكن يكثر فى السيدات بعد سن الأربعين ، ولا يوجد سبب معروف حتى الآن ، ولكن هناك نظريات تشير إلى اضطرابات فى (التوازن الهرمونى) خصوصا فى حالة زيادة نسبة الاستروجين ويوجد منه أنواع أهمها :

١ ـ سرطان الخلايا الغددية :

ويوجد منه نوع صلب ، ضامر ، ونوع طرىّ وهو الذى قد يلتهب أثناء الحمل والرضاعة

٢ ـ سرطان الخلايا الغددية :

ومنه سرطان القنوات اللبنية الناقلة ، وسرطان داخل الحويصلات الغددية .

٣ ـ سرطان حلمة الثدى (مرض باجيت) :

ومن أهم مضاعفات هذا المرض انتشاره إلى أجزاء أخرى من الثدى ، وأماكن كثيرة من الجسم أهمها : الكبد وأنسجة المخ .

وقد يحدث انفجار الورم للخارج وحدوث قرحة سرطانية ، أو حدوث نزيف كما قد تحدث عدوى ثانوية لأنسجة الثدى مع حدوث تقيّح ، وقد يحدث أن يمتص الجسم هذه الأنسجة والخلايا التالفة مما يسبب حدوث تسمم بالجسم كما قد تحدث (أنيميا) وضعف عام شديدان .

ويتم التشخيص بوجود ورم فى الثدى عندما تكتشفه المريضة أثناء أخذ حمام ـ مثلا .

ـ وجود تضخم بالثدى فوق الورم عند رفع الذراع لأعلى .

ـ تضخم بحجم الثدى ووضع الحلمة .

– وجود تضخم بالغدد الليمفاوية تحت الإبط .
– وجود الورم فى صورة أشعة سينية على الصدر (الماموجرام) .

وينقسم المرض إلى أربع مراحل حسب حجم الورم ومدى انتشاره .

● العلاج :

يعتمد العلاج على سن المريضة ، وحالتها الصحية العامة ، ومرحلة المرض .

المرأة فى سن الخصوبة :

يفضل استئصال المبيضين مع العلاج الجراحى للثدى .

المرحلة الأولى والثانية :

استئصال جذرى للثدى ، والعلاج بالإشعاع العلاجى بعد الجراحة ، والعلاج الهرمونى والأدوية المضادة للخلايا السرطانية .

المرحلة الثالثة والرابعة :

يكون فيها استئصال الثدى والغدد الليمفاوية الإبطية مع إعطاء علاج هرمونى وإشعاعى ومضاد للخلايا السرطانية .

إفرازات الثدى غير الطبيعية

الإفرازات غير الطبيعية من الثدى هى أى إفرازات من الثدى فى غير أوقات الرضاعة ، أو أثناء الرضاعة مع تغير خواص لبن الأم .

أنواعه :

١ – الإفراز اللبنى أو المائى فى غير وقت الرضاعة :

قد يحدث أن يفرز الثدى إفرازات لبنية مع توقف أو عدم وجود رضاعة على الإطلاق وهذه الحالة قد يكون سببها زيادة نسبة (هرمون البرولاكتين) فى الدم وهذه الحالة تكون غالبا مصحوبة بعقم (تأخر حمل) ، كما قد يكون سببها تكون نوع من الحويصلات اللبنية فى الثدى .

٢ – الإفراز الصديدى :

ويحدث غالبا فى حالات التهابات الثدى الحادة وخُرَّاج الثدى .

٣ – الإفرازات الدموية :

وهى الإفرازات التى تكون مختلطة بلون أحمر دموى، أو إفرازات دموية وغالبا ما تحدث نتيجة لوجود أورام فى القنوات، وغالبا ما تكون حميدة. وقد تنزل هذه الإفرازات تلقائيا بدون ضغط فتجد السيدة ملابسها الداخلية ملوثة بالدماء، وأحيانا أخرى لا تنزل إلا بالضغط على جزء معين مما يسهل تشخيص الحالة .

مما سبق يتضح أن إفرازات الثدى أغلبها لا يحمل أى خطورة، ولكن يجب الفحص الجيد للثدى فى هذه الحالة، وتشخيص السبب، وإعطاء العلاج المناسب إما بالأدوية كما فى حالات الاضطرابات الهرمونية ، أو الالتهاب الحاد بالثدى ، أو بالجراحة فى حالة وجود خراج أو أورام .

الفحص الذاتى للصدر

من المهم الفحص الدورى للثدى ، وهذا قد يسبب حرجا لبعض السيدات ، كما أنه يشكل عبئا اقتصاديا عليهن ، وأهمية الفحص الدورى تكمن فى القدرة على الاكتشاف المبكر لأى تغييرات فى الثدى قد تؤدى إلى وجود أورام ، كما أن اكتشاف

الأورام مبكراً قد يؤدى إلى تبسيط العلاج ، ولهذه الأسباب ولسهولة عملية الفحص الذاتى يمكن للسيدة أن تفحص نفسها ، وإذا وجدت أى تغييرات عليها بالتوجه الفورى إلى الطبيب لكى يزيل - أو يتأكد من - شكوكها .

طريقة الفحص الذاتى :

١ - يتم تعرية النصف الأعلى من الجسم .

٢ - تقف السيدة امام المرآة مدلاة الذراعين وتلاحظ وجود أية تغييرات وبالذات بالمقارنة بالمرة السابقة مثل تغيير حجم أحد الثديين أو كلاهما ، أو وجود تجعدات أو بروز بمنطقة سطح الصدر أو تغيير وضع الحلمة .

٣ - رفع الذراعين إلى أعلى وملاحظة حركة الثديين ، أو بروز منطقة معينة .

٤ - مع رفع الذراعين تستدير السيدة من ناحية إلى أخرى لرؤية الثدى من جميع الزوايا مع البحث عن وجود أية تغييرات لم تكن موجودة فى المرة السابقة .

٥ - تستلقى السيدة على السرير وتضع وسادة صغيرة تحت الكتف الأيسر مما يسهل عملية الفحص حيث إنه يساعد على فرد أنسجة الثدى ثم تضع السيدة يدها اليسرى تحت رأسها.وتستخدم اليد اليمنى لفحص ثديها الأيسر .

٦ - تبدأ السيدة بوضع كامل الكف على الثدى لملاحظة وجود أى أجسام صلبة أو طرية داخل نسيج الثدى .

٧ - تقوم السيدة بعد ذلك بتخيل أن الثدى ينقسم إلى أربعة أجزاء متساوية من دائرة وعليها البدء فى فحص هذه الأجزاء بنظام .

٨ - من المستحسن أن تبدأ الفحص بالربع العلوى الداخلى ، وتبدأ الفحص من خارج الثدى مَن الضلوع التى تعلوه ، ومن عَظْمةِ القص التى توجد فى منتصف الصدر ، وتضغط برفق ، وهى تخرج أصابعها تجاه الحلمة .

٩ - تقوم السيدة بفحص المنطقة المحيطة بالحلمة .

١٠ - بنفس الطريقة تفحص السيدة الربع السفلى الداخلى بداية من عظمة القص ومن الضلوع التى أسفل الثدى .

١١ - يتم تحريك الذراع الأيسر من تحت الرأس إلى الجنب لإتمام فحص الرُبعَيْن الآخرين .

١٢ - بعد ذلك تمد السيدة يدها إلى تحت الإبط لتحسس وجود أى غدد ليمفاوية متضخمة .

١٣ - بذلك ينتهى فحص الثدى الأيسر وبنفس الخطوات السابقة يتم فحص الثدى الأيمن ، ويستحسن أن يتم الفحص مرة واحدة شهرياً .

استدراك

«نشرت فى العدد الماضى قصيدة الأستاذ الدكتور/ سعد ظلام - عميد كلية اللغة العربية بالقاهرة تحت عنوان « لم يبق فى الروح مايغرى بتفريد ، وصحتها «الدوح» لذا لزم التنويه » .

«وَيخلق مَا لا تعلمُونَ...»

الجديد في العلم والتقنية

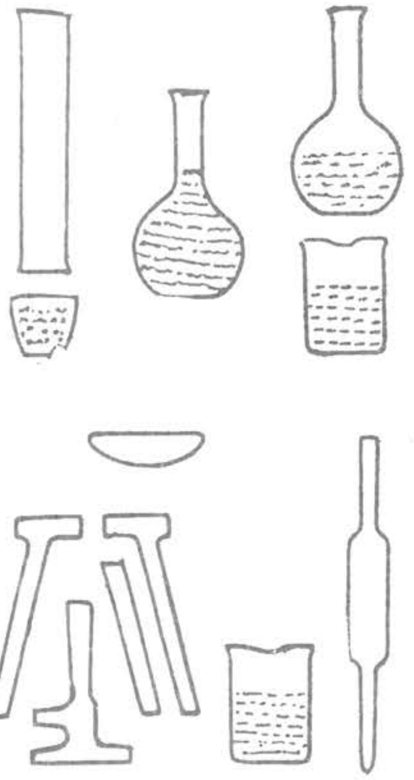

إعداد

د. نجوى السيد أحمد

جهاز الكترونى لمراقبة الصيانة

ابتكرت شركة أمريكية للإلكترونيات أحدث جهاز الكترونى يقوم بعملية القياسات والمتابعة والاتصال لمراقبة الصيانة وضبط الأجهزة ، والتحكم فى جميع أنواع الإنشاءات وجميع المسجلات القياسية فى الصناعة ، ويتميز الجهاز بتكيفه مع جميع أنواع مسجلات القياس والمقاومات والذبذبات والإنذارات ، ويسمح بتقويم وتخزين قياسات درجة الحرارة ونسبة الرطوبة والضغط والسرعة والتلوث وغيرها من العوامل المحيطة الأخرى .

أستاذ باحث مساعد ـ المركز القومى للبحوث ـ الدق

جهاز آلى يقيس طلاء الفولاذ والحديد

طورت شركة بريطانية جهازاً آلياً لقياس سمك الأصباغ والبلاستيك المستخدم فى طلاء الفولاذ والحديد ، والجهاز سهل الحمل والنقل لصغر حجمه ، ويمكنه إعطاء ٣٥ قراءة فى الدقيقة الواحدة ، كما يتميز بدقته العالية ، ويمكن توصيله بجهاز حاسب آلى وطابع الكترونى للحصول على البيانات والقراءات مكتوبة .

أنابيب تنقل ضوء الشمس للمنازل

أنتجت إحدى الشركات العالمية أنبوبة من الألومنيوم قطرها حوالى ٣٠ سنتيمتر ، يمكنها نقل ضوء الشمس من خارج المنزل إلى داخله ، وتوزيعه على جميع الحجرات ، حتى فى عدم وجود نوافذ بالمنزل ، وتعمل الأنبوبة بواسطة مواد عاكسة موجودة بداخلها تمتص أشعة الشمس ، ثم تعكسها داخل المكان المراد إضاءته ، ويوجد مع الأنبوبة غطاء يعمل كفلتر لأشعة الشمس للتقليل من شدة الضوء حسب رغبة أصحاب المنزل .

تبطين الحوائط بألواح وقائية

صممت إحدى شركات البناء الأوربية ألواحاً متعددة الألوان يمكن تثبيتها بسهولة لتبطين الحوائط وحمايتها من مشاكل الشقوق والتشوهات وتقشير الدهانات والرطوبة فى المبانى العامة والخاصة ، وتستخدم أيضاً كعازل للصوت والحرارة ، ويمكن تركيب وحدات إضاءة عليها لأنها تقاوم الحرارة ، وتتميز بسهولة تركيبها وفكها ونظافتها بواسطة غسلها بالماء ، حيث إنها غير منفذة للماء .

تحويل عادم السيارات إلى مواد غير ضارة

بدأت إحدى الشركات الأمريكية فى إنتاج جهاز يحول عادم السيارات إلى مواد غير ضارة بالبيئة ، والجهاز به مواد حافزة تعمل على تحويل عوادم الغازات التى تحدث التلوث الضار بالبيئة إلى مركبات غير ملوثة من ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء ، وتؤدى إلى تخفيض مادة أكسيد النيتروجين ، ويعمل الجهاز على تقليل درجات الحرارة القصوى للاحتراق ، ويقلل الغازات العضوية غير المثالية إلى النصف تقريباً ، وهى الغازات الناتجة عن المركبات البترولية التى لم تحرق تماما .

جهاز جديد لتعقيم غرف العمليات

قامت شركة أوربية بتصنيع وتسويق جهاز لتطهير الجو وتعقيم غرف العمليات فى خلال ساعات ، ومزود بمنظم قوة للحصول على أقصى عائد ، إلى جانب وجود مفتاح لتحديد البرنامج المرغوب فيه بعد تشغيل الجهاز ، ولا يحتاج إلى أية صيانة ، كما أنه صغير الحجم ، مركب فوق أربع عجلات ليسهل نقله إلى المكان المراد تنقيته ، والجهاز يمكن استخدامه فى مختلف المجالات الطبية مثل حجرة العمليات ووحدات الإسعاف المتنقلة وغرف العناية المركزة .

تحذير من استعمال ألعاب « الكمبيوتر » أثناء الطيران

تحاول شركات الطيران أن تفرض حظرا على الركاب الذين يمارسون ألعاب « الكمبيوتر » وذلك وسط تخوفات من أن ذلك قد يتداخل مع عمل أجهزة القيادة فى الطائرة ، وتقول رابطة النقل الدولية : إن هناك دليلا يدعو للقلق على أن الألعاب الالكترونيــة ، و « الكمبيوتــرات » الصغيرة يمكن أن تؤثر سلباً على أنظمة الملاحة الجوية و « كمبيوترات » الطيران ، ومن المحتمل أن توصى بحظر استعمال الأدوات والأجهزة التى تعطى إشارات الكترونية أثناء إقلاع الطائرة وهبوطها فى المطار .

عزلُ « جين » جديد يسبب سرطان الثدى

نجح فريق من العلماء البريطانيين فى معهد أبحاث السرطان بلندن فى عزل « جين » وراثى يسبب سرطان الثدى ينتقل من جيل إلى جيل فى بعض العائلات التى ظهر فيها هذا المرض ، ويعتقد أيضاً أن هذا الجين هو المسئول عن إصابة بعض الرجال فى بريطانيا بسرطان الثدى .

دواء جديد يعمل على التئام الجروح

أنتجت شركة أمريكية لتصنيع الدواء علاجا جديدا يعمل على التئام الجروح فى أقل من دقيقتين ، والمنتج عبارة عن « كولاجين » طبيعى درجة نقاوته عالية ، يستطيع الجسم أن يمتصه فى خلال أسبوعين ، وسوف يستخدم هذا العلاج بصورة كبيرة فى التئام جروح الساق الناتجة من دخول قسطرة توسيع الشرايين ، بدلاً من استخدام الأسلوب القديم الذى يعتمد على قيام الممرضة بالضغط على ساق المريض بعد إزالة القسطرة لإيقاف النزيف من شريان الساق .

حقنة بدون إبرة

تمكن الباحثون فى أحد المعامل الأمريكية للعلوم الحيوية من تطوير حقنة تعتمد على تقنية الطلقات فوق السمعية (موجات صوتية عالية التردد) كبديل عن الإبرة ، ومن ثم لن يشعر متلقيها إلا بمجرد لمسة خفيفة لجلده ، إذ أنّ الطلقة الفوق السمعية ستتكفل بقذف الدواء مباشرة داخل الجسد ، وتتميز الحقنة الجديدة بأنها تلاشى أى احتمال لإدخال هواء إلى الأوعية الدموية أثناء الحقن ، كما أنها تعتبر اقتصادية حيث يمكن حقن بودرة الدواء مباشرة ، والأكثر ثباتاً كيميائياً دون الحاجة إلى تحويلها إلى سائل للحقن .

دراسة تؤكد خطورة الديدان الطفيلية على التلاميذ

قامت مجموعة من العلماء البريطانيين بدراسة طبية على الأطفال لمعرفة مدى خطورة الديدان الطفيلية على التلاميذ ، وأكدت النتائج أن الديدان الطفيلية المعوية تؤثر على النشاط الذهنى للأطفال وعلى نموهم الجسدى ، وأن مجموعة الأطفال التى تم علاجها بمضادات الديدان أصبحت أكثر نشاطاً وقدرة على التركيز والتذكر وتحسن أداؤها ، ووصل إلى درجة الأطفال الذين لم يصابوا أصلا بالديدان .

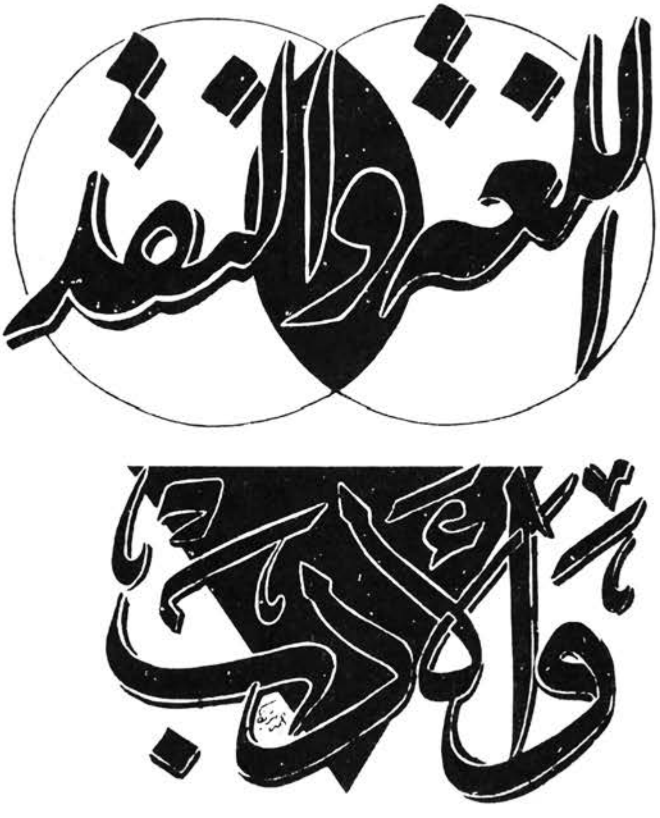
اللغة والنقد
والأدب

ابن دريد

ومنهجه فى جمهرة اللغة

د/ محمد رياض السيد كريم

الفصل الأخير

٢ – صعوبة البحث فى الكتاب ، إذ على الرغم من أن ابن دريد وضع (نظام التقليبات الهجائية) وطبقه فى كتابه تيسيرا على الخاصة والعامة ، وتخفيفا من عبء (نظام التقليبات الصوتية) الذى وضعه الخليل بن أحمد فى كتاب العين ، إلا أنه فى تطبيق هذا المنهج سلك مسلكا صعبا حال دون ذلك ، مما جعل نظام التقليبات الصوتية يكاد يكون أخف وطأة من نظام التقليبات الهجائية الذى طبقه ابن دريد فى معجمه ، والذى كنا نتوقع أن يكون أيسر وأسهل ، وذلك للتعقيد الناشىء عن كثرة التقسيمات للأبنية وتشعبها فى كتابه ، وإدخال بعض المواد فى بعضها ، إلى جانب الملحقات التى جاءت فى آخر كتابه ، والتى لا تخضع لنظام معجمى محكم .

٣ – مخالفة منهجه الذى ذكره فى مقدمة كتابه ، وهو إلغاء الوحشى المستنكر واختيار الجمهور من كلام العرب ، إذا لم يلتزم بذلك فى كتابه ، فقد وقع فيه منه الكثير ، من ذلك قوله : « الطَّغزية ، زعموا : الهزء والسخرية ، ولا أدرى ما حقيقته »[1] . وقوله : « العَزلبة ، زعموا يكنى به عن النكاح ، ولا أحقه »[2] .

ولذا قال فى ختام كتابه : « إنما كان غرضنا فى هذا الكتاب قصد جمهور اللغة وإلغاء الوحشى المستنكر ، فإن كنا أغفلنا من ذلك شيئا لم ينكر علينا ذلك ، لأنا أمليناه حفظا ، والشذوذ مع الإملاء لا تدفع[3] » .

٤ – النقص فى الاستشهاد على الرغم من اعتنائه به ، وذلك ظاهر فى تصريحه بأن اللفظ ورد فى الشعر . ثم لا يذكر هذا الشعر الذى ورد فيه ، من ذلك قوله : « لؤلؤ جمع لؤلؤة ، معروف ، واللؤلؤان ذكره ابن أحمر فى شعرُه »[4] .

ولم يذكر شعر ابن أحمر ، وهو قوله كما فى اللسان :

مارِيَّـةٌ لؤلـؤانُ اللـون أَوْرَدَهـا
طَلٌّ وبَـنَّسَ عنها فَرْقَـدٌ خصِرُ[5]

---

(١) الجمهرة : ٣/٣١٠ .

(٢) الجمهرة : ٣/٣١٠ .

(٣) الجمهرة : ٣/٥١٤ .

(٤) الجمهرة : ١/١٦٤ ، ١٦٥ .

(٥) اللسان : (لألأ) وفيه بعد البيت : « أراد لؤلؤيّةُ : بُرّاقه » . وقول ابن أحمر فى اللسان أيضا فى مادة (ب ن س) وبَنّسَ : تأخر .

وقوله : « هَيْجَبُوس : خسيس دنىء ، وقد جاء فى الشعر الفصيح »[٦] . ولم يذكر الشعر الذى ورد فيه ذلك ، وهو موجود فى اللسان ، ففيه نقلا عن التهذيب : « الهَيْجَبُوسُ : الرجل الأهوج الجافى ، وأنشد :

أحقُّ ما يُبْلِغُنِى ابنُ تُرْنَى
من الأقوامِ أهْوجُ هَيْجَبُوسُ ؟[٧]

وقوله : « فأما قوله : الصَّيْدَنُ الثعلب فليس بشىء ، ولم يجىء إلا فى شعر كُثَيِّر[٨] ، ولم يروه الأصمعى ، وقال : ليس بشىء »[٩] . ولم يذكر شعر كُثَيِّر الذى ورد فيه هذا ، وقد جاء فى اللسان ، وهو قوله يصف ناقة :

كأنّ خَلِيفَىْ زَوْرِها وَرَحاهُما
بُنَى مَكَوَيْنِ ثُلِمّا بعد صَيْدَنِ[١٠]

وقوله فى أبواب الثلاثى الصحيح : « جاء أمية ابن أبى الصلت[١١] فى شعره بالشَّيْتَعُورِ ، وزعم قوم أنه الشعير ، ولا أدرى ما صحته »[١٢] .

وفى أبواب الخماسى ذكر (الشيتعور) أيضا ، وقال : « الشيتعور وهو الشعير ، وقد جاء فى الشعر الفصيح »[١٣] . ولم يظهر هنا شكه فى صحته ، ولم يذكر الشعر الذى ورد فيه فى الموضعين .

قال الصاغانى[١٤] فى التكملة والذيل والصلة : « قال ابن دريد : وجاء أمية بن أبى الصلت فى شعره بالشيتعور ، وزعم أنه الشعير ، ولم يذكر ابن دريد الشعر[١٥] .

وفى تاج العروس للزبيدى[١٦] : « الشيتعور أهمله الجوهرى[١٧] ، وقال ابن دريد : زعموا أنه الشعير ، قال : وقد جاء فى الشعر الفصيح ابن أبى الصلت ، فقال : « ولم أجده فى شعره »[١٨] .

وقد بحثت عنه فى شرح ديوانه[١٩] فلم أجده أيضا .

ومن ذلك أيضا قوله : « الطَّيْثارُ : البعوض ، وقد جاء فى الشعر الفصيح ، وقد جاء فى بعض الشعر : الطَّيْثارُ الأسد ، وما أدرى ما صحته »[٢٠] . ولم يذكر الشعر الذى ورد فيه هذا .

---

(٦) الجمهرة : ٤٠٣/٣ .
(٧) اللسان : هـ ج ب س .
(٨) هو كثيّر بن عبد الرحمن الخزاعى المعروف بكثيّر عزة . مات سنة ١٠٥ هـ (معجم الشعراء : ص ٣٠) .
(٩) الجمهرة : ٣٥٦/٣ .
(١٠) اللسان : (خ ل ف ـ ص د ن) . وفيه : خليفا الناقة : إبطاها . والمكا : حجر الثعلب والأرنب ونحوه . والرَّحَى : الكركرة . وبُنَى جمع بُنية .
(١١) هو أمية بن عبد الله بن أبى الصلت الثقفى مات سنة ٥ هـ . (الأعلام : ٢٣/٢) .
(١٢) الجمهرة : ٤٣٢/٢ ، ٣٤٣ .
(١٣) الجمهرة : ٤٠٣/٣ .
(١٤) هو الحسن بن محمد الصاغانى الهندى : مات سنة ٦٥٠ هـ (هدية العارفين : ٢٨١/١) .
(١٥) التكملة والذيل والصلة للصغانى : ٤٨/٣ .
(١٦) هو محمد بن محمد الزبيدى الملقب بمرتضى المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ . (الأعلام : ٧٠/٧) .
(١٧) هو إسماعيل بن حماد الجوهرى . مات سنة ٣٩٨ هـ . (هدية العارفين ٢٠٩/١) .
(١٨) تاج العروس : ش ت ع ر .
(١٩) شرح ديوان أمية بن أبى الصلت بتعليق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب ـ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت .
(٢٠) الجمهرة : ٣٩/٢ .

وقوله : « قد قالوا : رحيق ورُحاق ، وقد جاء رُحاق فى الشعر الفصيح ، ولم أسمع له فعلا متصرفا »[٢١] . ولم يذكر الشعر الفصيح الذى ورد فيه هذا أيضا .

وقوله : « الحُنجودُ : السَّفَطُ أو الوعاء كالسفط ، وقد جاء فى بعض الرجز الفصيح »[٢٢] . وقال فى موضع آخر : « حُنجود اسم ، وأحسبه دويبة ، وقال بعضهم : هو السُّفَيْطُ الصغير ، وقد جاء فى الرجز »[٢٣] . ولم يذكر الرجز فى الموضعين .

ولم يقتصر مسلك ابن دريد هذا على الاستشهاد بالشعر ، بل تجاوزه إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث ، من ذلك قوله : « ترِب الرجل إذا افتقر ، وأترب إذا استغنى ، والمتربة : الفقر ، وكذلك فُسّر فى التنزيل »[٢٤] . ولم يذكر الآية التى ورد فيها لفظ المتربة ، وقد ورد فى قوله ـ تعالى ـ فى سورة البلد :

﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾[٢٥] .

وقوله : « ومن معكوسه (أى الرش) : الشرّ وهو ضد الخير ، ورجل شِرّير : كثير الشر ، وزعم بعض أهل اللغة أن الشر يجمع شرورا ، فأما شرار النار ، فيقال : شَرَرَة وشَرَارة ، فمن قال شررة قال فى الجمع شَرَر ، وكذلك جاء فى التنزيل ـ والله أعلم ـ ومن قال شرارة قال شرار فى الجمع »[٢٦] . ولم يذكر الشاهد من القرآن الكريم كما ترى ، واكتفى بالإشارة إليه ، وقد جاء فى سورة المرسلات فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾[٢٧] .

وقوله : « الشِّرْبُ : الحظ من الماء ، وكذلك فُسّر فى التنزيل ، والله أعلم »[٢٨] . ولم يذكر الشاهد من القرآن الكريم أيضا ، وهو فى سورة الشعراء فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾[٢٩]

وفى سورة القمر فى قوله تعالى :

﴿ **وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الماء قِسْمَةٌ بينهم كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ** ﴾[٣٠] .

وقوله : « والبَرَدَةُ : التُّخَمَة ، وكذلك فُسّر فى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه[٣١] ، أى من داء البَرَدَة »[٣٢] . ولم يذكر حديث ابن مسعود رضى الله عنه . وقد ورد الحديث فى الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى[٣٣] والنهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، ولفظه فيهما : (أصلُ كُلِّ داءٍ البَرَدَةُ)[٣٤] .

(٢١) الجمهرة : ١٤٠/٢ .
(٢٢) الجمهرة : ٣١٩/٣ .
(٢٣) الجمهرة : ٣٧٩/٣ .
(٢٤) الجمهرة : ١٩٤/١ .
(٢٥) آية : ١٦ .
(٢٦) الجمهرة : ٨٢/١ .
(٢٧) آية : ٣٢ .
(٢٨) الجمهرة : ٢٥٨/١ .
(٢٩) آية : ١٥٥ .
(٣٠) آية : ٢٨ .
(٣١) صحابى جليل مات سنة ٣٢ هـ . (الإصابة : ٣٦٨/٢ هـ) .
(٣٢) الجمهرة : ٢٤١/١ .
(٣٣) هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ (هدية العارفين : ٤٠٢/٢) .
(٣٤) الفائق : ١٠٢/١ والنهاية : ١١٥/١ .

٥ ـ تفسيره الشيء بأنه معروف ، وما يكون معروفا لديه أو فى عصره قد يكون غير معروف عند غيره ، وفى غير عصره ، ومن ذلك قوله : « اليُؤيؤ عربى معروف »[٣٥] .

فمن الذى يعرف اليؤيؤ اليوم دون الرجوع إلى معاجم اللغة ؟

وقد ورد اليؤيؤ فى اللسان وله معنيان : الأول : طائر يشبه الباشَق من الجوارح . والثانى عن أبى عمرو : رأس المُكْحُلَة . فأيهما يقصد ابن دريد ؟

٦ ـ إهماله بعض تقليبات المواد المستعملة وعدم ذكرها ، من ذلك إهمال بناء (ل س م) من تقليبات (س ل م) الثلاثى وهو مستعمل ، وقد نص على استعماله الخليَل بن أحمد فى كتابه العين ، ففيه : « لسم : ألسمته حجته : ألزمته إياها ، كما يُلسَم ولدُ المنتوجة ضَرْعَها »[٣٦] .

وهو موجود فى اللسان أيضا ، ففيه : « لسم ـ ألسمه حُجته : ألزمه ، كما يُلسَم ولدُ المنتوجة ضَرْعها ، وقال ابن شُمَيْل[٣٧] : الإلسام : إلقام الفصيل الضرع أول ما يولد ، ويقال : ألسمته إلساما ، فهو مُلْسَمٌ . ويقال : ألسمتهُ حُجَّتَه إلساما ، أى لقَّنتُهُ إياها ، وأنشد :

لا يُلْسَمَنَّ أبا عمران حُجَّتَهُ
فلا تكونَنْ له عَوْناً على عُمرا

ابن الأعرابى[٣٨] : اللُّسْمُ : السكوت حياء لا عقلا »[٣٩] .

● ● ●

وبعد ، فتلك المآخذ لا تقلل من قيمة الكتاب أو قدر صاحبه ، فإن (كتاب الجمهرة) من تلك الكتب التى رسمت معلماً من معالم التأليف المعجمى ، ونهجت نهجا جديدا فيه جدة وابتكار ، ولقيمته اللغوية عرف قدره « وأثنى عليه كثير من العلماء ... وقال بعضهم : إنه من أحسن الكتب المؤلفة على الحروف ، وأصحها لغة ، وقد أخذه أبو على الفارسى النحوى ، وأبو على البغدادى القالى ، وأبو سعيد السيرافى النحوى ، وغيرهم من الأئمة »[٤٠] .

وكان أبو على القالى يحرص على اقتنائه ، « قال بعضهم : كان لأبى على القالى نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها ، وكان قد أعطى بها ثلاثمائة مثقال فأبى ، فاشتدت به الحاجة ، فباعها بأربعين مثقالا ، وكتب عليها هذه الأبيات :

أنستُ بها عشرين عاما وبعتها
وقد طال وجدى بعدها وحنينى
وما كان ظنى أننى سأبيعها
ولو خلدتنى فى السجون ديونى

---

(٣٥) الجمهرة : ٢٩٢/٣ .

فى الحق ليس ذلك لدى ابن دريد فقط ، فكم من نبات ـ بعد الحيوان أيضاً ـ يقال فيه فى المعاجم : نبت معروف ، ولا نجد من يعرفه ونسأل الله ـ تعالى ـ أن يشاء فيدفع بعض الناس إلى تصوير النباتات العربية بألوانها الذاتية فتعرف ... مجلة الأزهر .

(٣٦) العين : ٢٨٦/٦ .

(٣٧) هو النضر بن شميل تلميذ الخليل ـ مات سنة ٢٠٣ هـ (الفهرست : ص٧٧) .

(٣٨) هو محمد بن زياد الأعرابى المتوفى سنة ٢٣١ هـ (الفهرست ص١٠٢) .

(٣٩) اللسان : ل س م .

(٤٠) المزهر : ٨٩/١ .

ولكن لعجز وافتقار وصبية
صغار عليهم تستهل شئـــونى
فقلت ـ ولم أملك سوابق عبرتى ـ
مقالة مكوىّ الفؤاد حزيـن
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك
كرائم من ربّ بهن ضنين

قال : فأرسلها الذى اشتراها ، وأرسل معها أربعين دينارا أخرى »[٤١] .

رحم الله ابن دريد ، وجزاه خيرا ، جزاء ما قدم من خدمات للغة القرآن الكريم .

المراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر للبناء الدمياطى تصحيح وتعليق على الضباع ـ طبع ونشر مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى .

٣ ـ الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ـ ط مطبعة السعادة بالقاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ .

٤ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى تحقيق محمد أبو الفضل نشر دار الفكر العربى بالقاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦ م .

٥ ـ بغية الوعاة للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل ـ ط عيسى الحلبى ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤م.

٦ ـ تاج العروس للزبيدى ط المطبعة الخيرية بالقاهرة ١٣٠٧ هـ .

٧ ـ التكملة والذيل والصلة للصغانى تحقيق محمد أبو الفضل ـ مطبعة دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٧٣ م .

٨ ـ تهذيب اللغة للأزهرى تحقيق عبدالسلام هارون ـ دار القومية العربية للطباعة بالقاهرة سنة ١٩٦٤ م .

٩ ـ جمهرة اللغة لابن دريد ـ دار صادر ببيروت .

١٠ ـ حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام تأليف عبدالقادر البغدادى تحقيق نظيف محرم ـ مطابع دار صادر بيروت ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

١١ ـ حسن المحاضرة للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل ط عيسى الحلبى ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧ م .

١٢ ـ الخصائص لابن جنى تحقيق محمد النجار ـ دار الهدى للطباعة والنشر بيروت ـ الطبعة الثانية .

١٣ ـ شرح درة الغواص لشهاب الدين الخفاجى تحقيق د. محمد رياض كريم (رسالة دكتوراه) .

---

(٤١) المزهر : ٩٥/١ .

١٤ ـ شرح ديوان أمية بن أبي الصلت بتعليق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام ـ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت .
١٥ ـ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف تحقيق عبدالعزيز أحمد ـ ط مصطفى الحلبي ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠ م .
١٦ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد شاكر ـ دار المعارف ـ الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٧ م .
١٧ ـ العين للخليل بن أحمد تحقيق د. مهدى المخزومى ود. إبراهيم السامرائى ـ دار الرشيد للنشر سنة ١٩٨٢ م .
١٨ ـ الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى تحقيق على البجاوى ومحمد أبو الفضل ـ ط عيسى الحلبى ـ الطبعة الثانية .
١٩ ـ الفهرست لابن النديم ـ دار المعرفة ببيروت .
٢٠ ـ القاموس المحيط للفيروزآبادى ـ مطبعة مصطفى الحلبى ـ الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م .
٢١ ـ كشف الظنون لحاجى خليفة ـ منشورات مكتبة المثنى ببغداد .
٢٢ ـ لسان العرب لابن منظور تحقيق عبدالله الكبير وآخرين ـ ط دار المعارف .
٢٣ ـ مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى تحقيق محمد أبو الفضل ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة .
٢٤ ـ المزهر للسيوطى تحقيق محمد جاد المولى وآخرين ـ دار إحياء الكتب العربية .
٢٥ ـ مشاهير علماء الأمصار لمحمد بن حيان البستى بتصحيح م . فلا يشهمر ـ دار الكتب العلمية ببيروت .
٢٦ ـ المصباح المنير للفيومى تحقيق د. عبدالعظيم الشناوى ـ دار المعارف .
٢٧ ـ معاجم اللغة العربية د. محمد حسن جبل (مكتوب بالآلة الكاتبة) .
٢٨ ـ معجم الأباء لياقوت الحموى ـ دار إحياء التراث العربى ببيروت .
٢٩ ـ معجم الشعراء للمرزبانى بتصحيح د. ف . كرنكو ـ دار الكتب العلمية ببيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .
٣٠ ـ المعجم العربى د. حسين نصار ـ دار مصر للطباعة .
٣١ ـ نزهة الألباء لأبى البركات الأنبارى تحقيق محمد أبو الفضل ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة .
٣٢ ـ النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير تحقيق طاهر الزاوى ومحمود الطناحى ـ دار الفكر ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .
٣٣ ـ هدية العارفين للبغدادى ـ منشورات مكتبة المثنى ببغداد .
٣٤ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق محمد محيى الدين ـ مطبعة السعادة بالقاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٤٨ م .

الدكتور حسن جاد .. أديباً

تتمـــة

بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

هناك واقعة أدبية هامة ، ونقطة ارتكاز جوهرية ، تصادفنا ونحن نتتبَّع السيرة الذاتية للدكتور حسن جاد رحمه الله ، يتعين الوقوف عندها مليًّا ، لندرك مدى المنزلة الأدبية الرفيعة ، التى احتلَّها فى حقل الأدب والثقافة .. فقد حدث أن أُقيم مهرجان شعرى كبير فى جامعة الأزهر ضم صفوة من كبار الشعراء والنقاد ، فى أوائل إبريل ١٩٧٨ م ، استقر الرأى فيه بالإجماع ، على اختيار الدكتور حسن جاد ، أميرا للشعراء ، وعميدا للأدب فى الأزهر ..، بل وذهب البعض إلى تنصيبه عميدا للأدب العربى بأسره ، خلفا للدكتور طه حسين عميد الأدب العربى ، بعد مرور خمسة أعوام على رحيله ..

وقد أحدث ذلك كله ضجة كبرى فى الصحف المصرية والعربية ، ووسائل الإعلام عامة ، خاصة بعد أن نشرت جريدة الأخبار القاهرية نبأ مثيرا بالخط العريض فى عددها الصادر فى ١٢

من إبريل ١٩٧٨ م : الدكتور حسن جاد يعلن رفضه للتيارات الوافدة التى تتمثل فى الشعر الحر ، أو الشعر المُرّ ! كما يُسمِّيه .. ويستطرد فيقول : إن الأزهر سيظل ـ بدينه ولغته وشريعته ـ لا تزعجه الأحداث ، ولا تُغريه الأهواء ولا (الموضات) الوافدة .. كما أوْردت الجريدة رأى الشاعر الكبير «إبراهيم عيسى» ، الذى أعلن فيه تأييده لما قاله الدكتور حسن جاد : أى أن الشعر عندنا الآن ، هو الشعر المر فعلا ..

وبالنسبة لتنصيب الدكتور حسن جاد عميدا للأدب العربى ، عادت (الأخبار) فى عددها الصادر ، بعد ذلك ، فى يوم ١٩ من إبريل ١٩٧٨ ، بصفحة الأدب ، فنشرت له مقالا إضافيا ، تحت العنوان التالى :

عمادة الأدب : بين الحقيقة والدعاية

عقَّب فيه بموضوعية وتجرد وتواضع ، على ما نُصِّب له .. ولأهمية هذا التعقيب ، كوثيقة بارزة لشخصيته ، تظهر بجلاء ووضوح رأيه العلمى الممتاز فى هذا الموضوع ، بل وفى طبيعة العمادة الأدبية على إطلاقها ، بتفهم عميق صحيح ، يتعين علينا أن نثبت هذا الرأى بُرمَّته ، للحقيقة والتاريخ ، وقد جاء فيه قوله :

فوجئت ـ فى خجل شديد ، واستحياء جم ، بما نُشر فى جريدة الأخبار من ادعاء تنصيبى عميداً للأدب العربى ، والسر فى هذه المفاجأة ، وذلك الخجل ، أننى لم أفكر ـ مجرد تفكير ـ فى أنْ أكون أهلا لهذا الشرف ، أو أتطاول إلى أن أكون جديرا به .. ثم يروى أن (القصة) : « تتلخص فى أن أدباء الأزهر وشعراءه ، أقاموا مهرجانا شعريا ، فاجأونى فيه بالإصرار على أن أُقدِّمه [أى المهرجان] .. فتناولت فى تقديمه له ، بعض القضايا الأدبية ، ثم نهض أحد المعلقين ، فخلع علَىَّ لقب : (عمادة الأدب) .. بالأزهر » ثم استطرد قائلا : « هى إذن عمادة محلية ، لست أدَّعى أنى أهل لها ، فلست أفضل من زملائى فى جامعة الأزهر ، ولا أجدر منهم بهذا اللقب .. إنْ لم أكن أقلهم وأدناهم ..

ثم ينتقل إلى إبداء رأيه الثاقب الصريح ، فى عمادة الأدب عامة ، بقوله :

« فما لك بعمادة تتسع آفاقها ، وتمتد أطرافها ، حتى تشمل الأدب العربى كله ، فى سائر البلاد العربية ؟! .

أين أنا من أساتذة الأدب والنقد فى جامعاتنا العربية ، وفى غير الجامعات ، ممن يملأون المكتبات الأدبية بنتاجهم الغزير ؟ ...

أنا لست أكثر من أستاذ فى جامعة الأزهر (كان عميداً لكلية اللغة العربية فى ذلك الوقت) .. وكل ما أتمتع به ، إنما هو الثقة والحب من تلاميذى ، الذين تخرَّجوا على يدىّ ، على مَدَى أجيال طويلة ، حتى لا يكاد يخلو منهم معهد أو جامعة ، فى جميع البلاد العربية والإسلامية .. ثم إن

إشرافى على أكثر من خمسين رسالة فى الأدب العربى ، ومتابعتى المضنية لهذه الرسائل ، تَحُول بينى وبين كثرة التأليف .

هذه هى الحقيقة ...

ثم أبدى رأيه فى عمادة العرب فقال :

لقد كانت إمارة شوق للشعر العربى ، فى عَرَاقته وأصالته ، إلى جانب ما استوعبه من الجديد فى عصره ـ وعلى هذا النحو كانت عمادة الدكتور طه حسين للأدب العربى(*) ..

ويختتم مقاله ، أو (وثيقته) ، تحت عنوان (أنا لست جديراً بالعمادة) فيقول : « فإذا جاز أن تكون هناك إمارة ، أو عمادة فى الجيل الماضى ـ حيث كانت الثقافة العربية الأصيلة غالبة ، والاتجاهات والمدارس الجديدة محدودة ـ فإنى لا أتصور تلك الإمارة ، ولا هذه العمادة .. الآن » ثم يُورد القول الفصل فى النهاية ، بقوله :

« لقد تعدَّدت الاتجاهات الشعرية والأدبية والنقدية اليوم ، بحيث لا يمكن أن نجد من يستوعبها ويمثِّلها ، ويكون أميرا أو عميدا لها ..

إنَّ السِّمَةَ الغالبة الآن ، هى التخصص فى فروع النقد والأدب ، فكيف يمكن أن يكون عميدا .. مَنْ تخصَّص فى ناحية من النواحى ؟

لقد استوعب (شوق) معظم الاتجاهات الشعرية فى عصره ، واستوعب (طه حسين) الاتجاهات الأدبية كذلك .. فلم تكن هناك غضاضة فى أن يكونا أميرين أوعميدين ..

(*) لا نشك فى أن د / طه حسين كتب أعمالا غيرت شيئا من اتجاهاته الأولى .. هذه الاتجاهات التى تناول عنها فى حينها مضطرا تحت أمر النيابة ، وكم كنا نود لو أنه أعلن خطأه فيما كتبه فى الشعر الجاهلى .. وأمثاله .. لاسيما ، وقد دالت الأيام ، وأخذ النابشون يستخرجون القديم على ما هو عليه ويعيدون نشره ، ولو أنه ـ رحمه الله تعالى ـ أعلن خطأه فيه وتبرأ منه لما كان له صدى ، وإذا كان الدكتور طه قد سبقنا إلى المولى ـ عز وجل ـ فإننا نسأل الله لنا وله المغفرة ، فإن رعاية الأدب تعنى ـ فى المقدمة ـ الحفاظ على قومية ، وليس فيما نشر بالشعر الجاهلى حفاظ على قومية ، ولا رعاية لتراث .. يغفر الله لنا وله .. الخطيب .

أما الآن :

أما الآن ، فإنى لا أتصور هذه الإمارة ، أو العمادة .. على أن (العبقرية) فلْتة من الفلتات الطبيعية ، قلما تتكرر ..

وبعد :

فلعلى بهذه الكلمة الموجزة ، قد كشفت عن حقيقة هذه الضجة ، وأوضحت رأيى فيه . .

ثم يعقب بالقول الفصل الذى نؤيده فيه كل التأييد : « وأخيرا ، فإذا جاز أن نتصور العمادة فى هذه الأيام ، فإنما يمكن أن نتصورها : (عمادة معنوية) ، تتمثل فى (الأزهر الشريف) ، الذى أصبح الآن ، هو : الحصن الحصين الوفى ، للتراث العربى الأصيل ، واللغة العربية الفصحى .. وهو الجبهة الصامدة ، التى تقاوم كل التيارات المنحرفة الوافدة ، فى مجال الدين والعقيدة واللغة » .

مؤلفاته :

١ ــ الأدب العربى / بين الجاهلية والإسلام .
٢ ــ الأدب العربى / فى ظلال الأمويين ..
٣ ــ الأدب العربى / فى المهجر .
٤ ــ دراسات فى النقد العربى القديم .
٥ ــ الأدب المقارن .
٦ ــ ميزان الشاعر فى العروض والقوافى (بالاشتراك مع الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى) .
٧ ــ مناهج البحث الأدبى .
٨ ــ ابن زيدون (عصره وحياته وأدبه) .

وقد نال الدكتور حسن جاد بهذا الكتاب درجة الدكتوراه ، وفيه يَزفُ (الأندلس) بعبارات نثرية ، مضمخة بعبير الشعر وأريجه ، إذ يقول عنها إنها «كلمة تدل على طبيعة ، هى بين طبائع البلدان ، كطبيعة الربيع بين الفصول والأيام ، صاغها الله آية سامية ، من فرائد آياته .. ومثلا رائعا ، من بدائع آثاره ، فجاءت ــ كما يشاء الفن الطبيعى الرفيع : عروس الكون ، وغرَّة البلاد ، وقَيْنة الآفاق ، ودُمْية الجمال ، ومَجْلَى البهجة ، وأغنية الوجود» .

ثم يصف الطبيعة بأنها « تُرسل النسمات أنفاسا موسيقية ، تؤخذ شعرا ، وتُلفظ ألحانا .. تفرض نفسها على الناس فرْضا ، حتى على مَنْ لم يكن فى طَبْعه الشعر أو مَلكته » .

ثم يقول فى وصف أنهارها أنها تلتف كالأساور على معاصم الهضاب .. وفى كل ذلك ، ما يستوقف الشاعر ، فيقول له : «أنا الخيال والجمال ، والسحر والإلهام .. فَاسْتوْحِنىَ ! » .

عضوية لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب :

.. ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى

ولم يقتصر التكريم الذى ظفر به الدكتور حسن جاد على محاولة تنصيبه عميدا للأدب ، فقد سبق أن عُيِّن ١٩٧٦ عضوا بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، عن جدارة واستحقاق ، كما أنه بعد تقاعده عن العمل لبلوغ السن القانونية ، منحه الرئيس الراحل أنور السادات وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى ، عام ١٩٨١ ، وجاء به ما نصه : « من أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية ، إلى فضيلة الدكتور حسن جاد عميد كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر سابقا ، تقديرا لحميد صفاتكم وجليل خدماتكم للأزهر ، وقد منحناكم وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ، وأمرنا بإصدار هذه البراءة إيذانا بذلك فى ٣٠ / ٣ / ١٩٨١ » .

وفى ختام هذا البحث يطيب لنا أن نقدم إضمامة من شعره ـ مستثنين من هذه الإضمامة ـ شعره فى الهجاء الذى كان شديداً فيه ـ ونقتطف غيره من الشعر ، الذى يصوِّر بعض وقائع حياته ، وخاصة بعد أن أصيب بضعف شديد فى النظر فى أخريات أيامه ، مما كان يحدو كاتب هذه السطور إلى تابط ساعده عند السير معا فى الطريق العام ، ولعل هذا كان دافعه إلى نظم قصيدته التى اختار لها عنوان (الكفيف) ، والتى يقول فى مستهلها :

مَنْ لسَارٍ فى الليـــــل طال سُراهُ ضَلَّ فى دَرْبـه وطـــالت خُطـــاه ؟
كل ليـــل يمضى فياليــت شعــرى ليلــه السَّرمـــدىُّ ما .. مُنْتهاه ؟
الضحـــى والأصيــل والصبـــح والليــل تساوتْ ، فكلهـــا أشبـــاه
وضُرُوب الألـــوان مُتَّفقـــاتٌ فى سَوَادٍ تَمَلُّـــــه مُقْلتـــــاه
لا يرى جَلْــوة الربيـــع إذا اختـــا ل ،ولا البـــدر حين يـــدو سنـــاه
لا ولا يجْـتلى سنـــا الشمس رَقْـــرَا قًا ، إذا فَضْفَضَ الوجـــود ضُحـــاه

وبرغم ذلك ، فقد كان كثيرا ما يتفكَّه ويميل إلى الدعابة فى شعره ، ومن ذلك قوله فى رثاء (ديك رومى) ، دعاه إليه صديق له ، وفى ليلة الوليمة المنتظرة ، مات الديك وهم يزقُّونَه بالحَبّ ! فقال شاعرنا :

ياسليـــل الـــروم القيـــاصر نَفْـدِيك ، ونفْـــدى من أجـــلك الـــرُّومَ طُرًّا
أيـــن منك الداوجـــن الغُـــرْب ، لا بل أيـــن من قيصر الدواجـــن .. كسرى ؟!
ياطويـــل النجـــاد تبكـــيك بطْـــن أنت خَلَّفْتَهـــا من الجوع حرَّى !
إن (عبـــد الحميـــد) أكْـــرم مثْـــوا ك ، ولم يألُ فى شرائك سعــــــرا
لم يردْ أن تموت من وفـــرة الـــحَبِّ ، ولكـــن .. قد يُعْـــقِب الخيـــرُ .. شرا !

وهذا يذكّرنا بشاعر آخر ، لعله (عبد الحميد الديب) رفيق الصبا لحسن جاد ، حين قال فى موضوع مماثل :

أُعـــانى من ديـــوك الـــروم صدًّا ولكنـــى أراهـــا فى المنـــام !
فيـــا مَنْ رُمْتَ روميـــا كبيرا لذيـــذ الطعـــم .. بَلِّغْـــه سلامـــى !

وقال د . حسن جاد فى (أُكُول) :

استَجَرْنـــا بالله منـــه أكـــولا عمـــرك الله .. هل رأيت الغُـــولا ؟!
تفـــزعُ الأرضُ والخلائـــق منـــه مثلمـــا يفزعـــون من عِزْريـــلا
لم ينَـــمْ عمـــره ، حفاظـــا على الأكل ، وخوفـــا من نومـــه أن يطـــولا
لو عَرَاه الإغمـــاء يومـــا لسُقْـــم شَمَّمُـــوُه : كوارعـــا أو بُقُـــولاً ! .

وله مسرحية طريفة ، فكاهية أيضاً ، نظمها عام ١٩٥٥ ، بعنوان : (محكمة المجاذيب)[1] .

وله طائفة من القصائد اتخذ لها عنوان : (سوط النقد : مواقف ونماذج) تحمل عناوين : (الأقنعة الزائفة) و (العبيد) و (الأحمق الحقود) و (صريع الغرور) و (وسام الجهل) و (يسين البوَّاب) و (كافور الجديد)[2] .

وصفوة القول أن الدكتور حسن جاد كان شديد الاعجاب بشعر (شوقى) ، ويستظهر الكثير من قصائده ، إلا أن إعجابه هذا لم يجىء على حساب استقلاله الفنى ، كما يقول الدكتور حسن عبد القادر (بالعدد الثانى من مجلة اللغة العربية بالمنصورة) : « فلم يقف موقف المحاكاة والتقليد ، وكان له ذوقه الشخصى ، ومَلَكَتَه الفنية ، وثقافته العربية الواسعة ، ونظرته المتأنِّيَّة فى تناول الحياة والمجتمع ، والإحساس بهما إحساسا أصيلا وعميقا ،يكفل له استقلالية الشاعر وذاتية الفنان » .

رحم الله الدكتور حسن جاد رحمة واسعة .

---

(١) أعطى د / حسن جاد هذه المسرحية للباحث محمد خضير الذى أعد بحث الماجستير عن الدكتور « حسن جاد .. حياته وشعره » .

(٢) هذه القصائد مودعة فى الجزء الثانى من رسالة الماجستير المذكورة ، هذا الجزء الذى جعله الباحث وقفا على شعره .

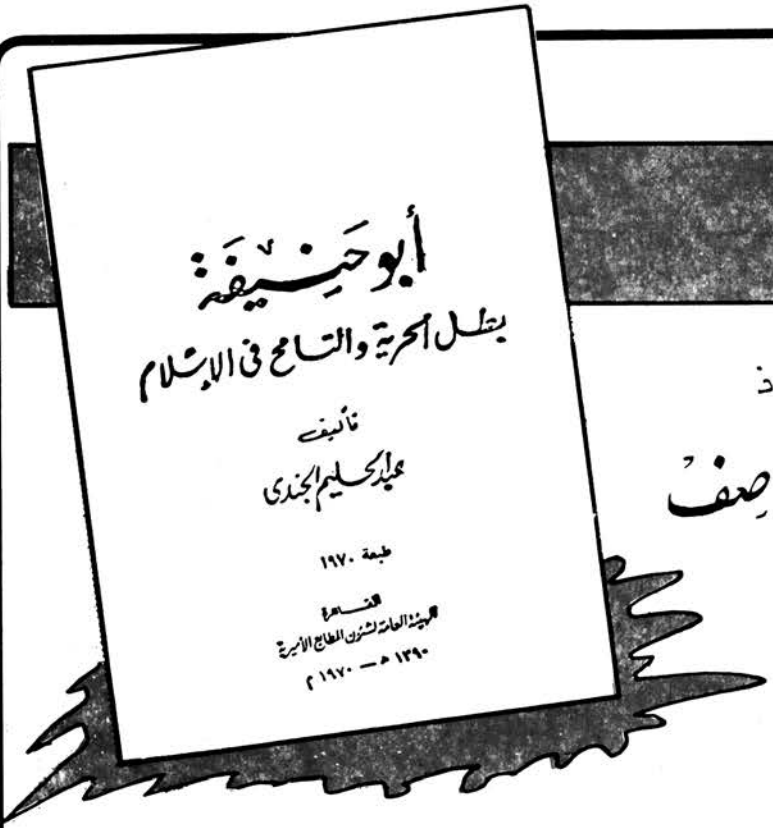

عرض الأستاذ

عبد السلام ناصف

أبو حنيفة .. بطل الحرية والتسامح فى الإسلام لمؤلفه الأستاذ المستشار عبد الحليم الجندى عضو مجمع اللغة العربية ومجمع البحوث الإسلامية الذى ترجم للأئمة الأربعة الكبار ترجمة على مستوى علمى رفيع ، والكتاب من القطع الكبير ويقع فى أربع عشرة وثلاثمائة صفحة من طباعة المطابع الأميرية ببولاق عام ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م .

أخرجه مؤلفه فى عشرة أبواب عدا مقدمة وخاتمة ، يتضمن سيرة الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان بطل الحرية والتسامح بدءًا من مولده حتى وفاته ــ رضى الله عنه ــ وهو كتاب يلزم لدارس هذا الإمام العظيم النعمان بن ثابت .. المكنى بأبى حنيفة .. أخلد رجال الإسلام بما مكن للشريعة السمحة من أسباب التعميم والانتشار .. فقد أسس مذهبا تدين به الدنيا . ولد بالعراق فى العام الثمانين للهجرة ونشأ فى جو رهيب خلفه الحجاج بن يوسف الثقفى ببطشه وجبروته ، ولم يلتحق بمدرسة أو جامعة وإنما التحق بالمسجد الجامع بالكوفة ، وتخرج فى مدرسة الدنيا ، وحين لاحت نجابته دعاه الإمام الشعبى إلى مجالسته ومجالسة العلماء .

ولقد بدأ بدراسة «علم الكلام» أعنى «علم التوحيد» بما فيه من جدال ونقاش ونزل إلى معاركه فى بلد كانت السياسة فيه هى الخبز

اليومى .. فجلس إلى أستاذ الأساتذة آنذاك أبى اسماعيل بن سليمان الكوفى وانفرد به وطفقا يجلسان لنفسيهما عشر سنوات ، توثقت بينهما العرى حتى أنابه فى حلقته ، فأقبل عليه الناس يستفتونه فى أشياء لم يحفظها عن الشيخ ، فأجاب عن بعضها وأرجأ البعض حتى عاد أستاذه فوافقه على إجابته فى أربعين مسألة وأنكر عشرين .. وكانت بداية التدوين وأخذ نفسه بالاستبحار فى العلم والدين حتى وجد الناس عنده ما لم يجدوه عند غيره فى كل أبواب الفقه فلزموه خاصة بعد وفاة أستاذه وغدت حلقته أعظم حلقة وأوسعها فى الجواب ، فذاع صيته وأكرمه الحكام وكثر حساده .

وكان شديد الورع ، طويل الصمت ، دائم الفكر ، ذا علم واسع ولم يكن مهزاراً ولا ثرثاراً ، لا يميل إلى طمع ، ولا يذكر الناس إلا بخير ، كان قرة عينه فى الصلاة ، يتعبد ، ويتهجد ، ويصلى ، ويبكى ، ويدعو ربه ، ختم القرآن الكريم سبعة آلاف ختمة وختمه فى رمضان ستين ختمة ، وذاعت فى الناس أحاديث تقواه ، وكان يصلى العشاء والفجر بوضوء واحد ، لذا سمى (الوتد) وكان يصلى معطراً ، إذ كان يرى أن التزين لله أولى من التزين للناس .

وكان جم الوفاء ، كثير العطاء سخيا كأن عطاءه مصدر غناه ، وكان أرحب الناس صدراً فلا يجهل ولا يتعصب ، وإنما يحلم ويصبر حتى سما إلى الذروة خلقا وخلقا ، سمتا ونطقا ، صلة بالناس وبالله حتى صار فخار الأمة الإسلامية .

والباب الثانى يفرده مؤلفه لأبى حنيفة التاجر الذى كان يتجر فى الحرير الخالص ، وكان موفقا فى فكره وفى تجارته . وحل بالجمع بينهما العقدة التى يقف بإزائها المفكرون حتى أصبح من أكبر تجار الكوفة ، ومن أعلم علمائها وأفقه فقائها ... فَبَعُد عن الحاجة وقربت فتواه من الله، وكلما أغناه الخالق قربه إلى الحق .. ولعل هذا ما دعا الشافعى إلى أن يقول بعد نصف قرن: (لا تشاور من ليس فى بيته دقيق ، فإنه موله العقل) .

ولقد كان متجره حسن الترتيب ، يفوح العطر من زواياه ، يعلن حريره الحر عن نفسه ، وكان يأسر الناس بصدق كلماته ونزاهته ونقاء معاملته ، وكانت بضاعته نادرة لا يجلبها غيره ولا تعرض فى حوانيت أخرى ، فكما كان التفكير أداته فى الفقه كان الفكر أداته فى التجارة ، ولقد ربطت التجارة بين دنيا الفقه ودنيا الناس فى أفكاره . فغدا فقهه فقه الحياة ووفق بين العلم والعمل والمعقول والمنقول ، وامتد بصره فشمل المستقبل ووضع لاحتمالاته ما يحكمها من الأصول متحرزاً من البلاء قبل نزوله .

كان ينصف البائع له ، والمشترى منه ، وينصف من لا يبيع له أو يشترى منه فى لين ، وخفض جناح ، وسلامة طبع وسلامة أسلوب ورقة حس ودقة نفس فى ورع حق .

كان وسيما أمينا ازدهرت تجارته فحارب الفقر ونشر العلم وأجزل العطايا والصدقات ، وكانت أعماله قدوة للعالمين قبل علمه ، وكان يرى الله ولا يرى البشر . ويفتى للناس ، ولا يرى لنفسه الرخص ولا المنادح إذ كان يأخذ من الدنيا سبيلا للآخرة ، لا يعرف الرهبة ولا الطقوس وإنما يجاهد النفس ويجاهد الكفر ، فالدين عنده جهاد واجتهاد .

أما الباب الثالث فقد خصصه المؤلف للمسجد الذى يؤمـه النـاس للطهـارة والصلاة والتعـليم والتقاضى والعزاء ولقد أتخذ أبو حنيفـة حلقـة بالمسجد الجامع بالكوفة لتدريس فقهه .

وكان ـ رضى الله عنه ـ يتمسك بالاستياك عند كل صلاة ، ولقد كانت المسائل تعرض على الحلقة وتستمر مناقشتها أياماً طوالاً ومنها مايستمر شهوراً عدة تنقيبا وتخريجا ـ لقد كان وجه العلم لديهم هو وجه الله يولون وجوههم شطره فى المحراب أو فى الحلقة . وكان تلاميـذه يجلونـه ويحترمونه لعلمه بما لا يعلمون ، كانوا خشعا فى محراب العلم يأخذ ألبابهم جلال الدرس وكان إذا تحدث تفتحت الآذان والأذهان ، فلحلقته قانون مهيب فى القلوب ؛ إذ الفقه أرفع العلوم وأسماها وأولاها بالتهيب والاستعداد والحرص والتدقيق وكأنها فى مؤتمر دائم .

ولم يكن يهوى الهزل أو المزاح ، وكان يقسم حياته بين يدى الله فى داره بين العلم والعبادة والعمل والجد والنوم اليسير ولم ير ضاحكا مقهقها ـ كان مجلسه مهيب الجانب وكلماته قطرات تهب عليها نفحة من منطق الرسول وكان يدلى برأيه وفقهه كالسيل المنهمر .

وظلت حلقته ثلاثين عاما تعمل فى مؤتمرها الدائم لتخريج المسائل الفقهية واستنباط أحكامها . تتلقى المسألة فتقسمها أقساماً ثم تحللها وتعللها وتحدد أسبابها وتضع لها الفروض والحلول الممكنة بحكمة بعد دراسة تمحيص .

وكان أبو حنيفة دائم الزيارة لمكة والمدينة فقد حج أكثر من خمسين حجة التقى خلالها بأعظم علماء وفقهاء الإسلام وكان الناس يزدحمون حوله فى المسجد الحرام يفتيهم وكأن الاجابات فى كمه . ولقد التقى بالإمام مالك فى المدينة وناقشه وجادله وتدارس معه فى حوار المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وساعـد طول العمـر ، وارتفـاع المكانـة ، وأسفار الشيخ على اتساع الدائرة واشتهار مدرسته فجمع خلاصة الفكر فى الامبراطورية الإسلامية ولقحها بلقاح جديد ليطبعها بالشمول والتعميم .

أما الباب الرابع فيفرده المؤلف لأبى حنيفة المفكر الذى جاء بما لم يأت به غيره من العلماء ، فنشر التسامح والتيسير والحريـة ، تسامح بين الإنسان وأخيه ، وحرية فى الرأى لا يحدها إلا العقل والعدل وعمارة الدنيا .

فالدين عنده يسر ، ولا قنوط من رحمة الله فالأمل فى الله وفى مغفرته كبير ومن قال لا إله إلا الله فقد عصم نفسه وحسابه على الله ... ويتوب الله على الناس .. هذا هو تسامح أبى حنيفة .

وهو ينادى بترك الأمر لله ، والله يغفر لمن يشاء . فبث الأمل والأمان فى النفوس وزرع فلسفة التيسير والتسامح فى الأقوال والأفعال والآراء والعبادات والمعاملات فقال : **اللهم من ضاق بنا صدره ، فإن قلوبنا قد اتسعت له ، ومن جاءنا برأى أحسن من رأينا قبلناه** .

وبهذه الحرية سمت آراؤه وانتشرت وارتفعت مكانتها ، أليس هو الذى قال بعدم جواز الحجر على السفيه حفاظا على آدميته ، وهو الذى قال بحق عمل المرأة فى القضاء وفى حقها فى اختيار من تتزوج بكراً كانت أوثيبا وتعّدت آراؤه فى الحرية إلى عالم الاقتصاد ، فأقر قانون : العرض والطلب وإن كان لا يبيح الاحتكار .. وكان

يخفف على الناس فى الكثير من المعاملات والعبادات وبحسبه أنه أنشأ مدرسة الرأى لتكون أم الفقه على مر الدهور وكان أسلوبه يضاهى الأسلوب العلمى فى أحدث الجامعات اليوم من حيث التحليل، والتعليل وتأصيل الأصول وترتيب النتائج مع التجرد الذاتى فطبق التجارب على الوقائع الحية، لأن العمل يثبت العلم ويثبته - كما يجرى فى المعامل وفى قاعات البحث .

والباب الخامس يعرض لتلاميذ أبى حنيفة الذين كان يقدم لهم العلم فى وعاء من الحب، وكانوا يقتدون بأدبه وعلمه وخلقه وسلوكه، ولقد استولى على أرواحهم وبعث فى نفوسهم شعاعا دافئا دافقا وسيطر عليهم فى ترفق وترفع، فملك ألبابهم وبهر أبصارهم حتى تيقنوا أن العلم والمحبة صنوان يسقيان من ماء التسامح والإخاء .. ولما كان متواضعا لله فقد رفعه الله، وكان يسأل عمن يغيب، ويعود من يمرض منهم، ومن سواهم، وكان يعاملهم معاملة ولده .

هذه مدرسة أبى حنيفة فى كلمات يضيق المجال عن الاستفاضة بها - والتى كان يمولها ماليا وتعليميا وتهذيبيا كأنها نوع من العبادة لله . لقد بنى رجالاً كباراً عظماء وأورثهم من علمه ومن نفسه ما ورثهم فى جهد جهيد متصل، يهدف إلى غاية كبرى تتجمع عندها أهداف كما تتجمع الفروع وتتلاقى الينابيع فى النهر لتصير فيضانا هادراً، فكون مدرسة لها طنين فى سمع التاريخ، فخرجت القضاة والفقهاء والنساك والزهاد ولعل أبا يوسف ومحمد بن الحسن وزفر بن الهزيل وحماد ولده ومن تبعهم من فطاحل الرجال قد احدثوا اتجاها فكريا خالداً مدوّنا كتب له البقاء ودان بمذهبهم أكثر من ثلثى المسلمين فى شتى أنحاء المعمورة .. لقد كانوا كأطيار الفجر يبشرون بالنور الذى سيجىء .

والباب السادس من الكتاب يحكى حال العراق فى عصره وما شهده من خلافات وصراعات وفتن بين المذاهب والأحزاب والفرق وما تبع ذلك من نهضة علمية فكرية .

دوّى صوت أبى حنيفة عالياً فى النصف الأول من القرن الثانى للهجرة بعلم جديد قيدته العناية الإلهية لنصرة دين الإسلام، وبلغ أوج عظمته فى مسجد الكوفة .. ألا وهو علم الفقه .. الذى سبق كل العلوم فى تلك النهضة واستمرت حلقاته أكثر من ستة عشر عاماً حتى أصبح العراق جوهرة التاج ومفخرة الخلفاء .

أما الباب السابع فقد خصصه أستاذنا لمدينة الكوفة التى تعتز باختيار - الإمام على - رضى الله عنه - لها بأن تكون (قصبة الخلافة) فكانت تعتز بذاتها ورجالها . وكان الاجتهاد ميراث أهلها فى تسامح فكانت مدرسة الكوفة على يد شيخها الإمام الأعظم أبى حنيفة تقول بالخلق والابتكار متمسكا بالرأى والتشدد فى قبول الأحاديث ورواتها .. وكان منهجه معارضا لمنهج علماء المدينة فتحولت المعارضة إلى خلاف فقهى، ثم إلى خصام فأعلنت حرب المذاهب وغدا فقه العراق الجديد همّ الحجاز المقيم المعقد - وتأرجح المفكرون بين الآراء حتى

ذهب الزبد جفاء ومكث ما ينفع الناس فى الأرض ، وأنزل الله على قلوب الحزبين سكينة وأمنا .. وغدت وجوه النزاع سباقا لنصرة الله ونصرة دينه .. فقال الإمام مالك : (اختلاف العلماء رحمة من الله ، كلٌ يتبع ما صحّ عنده ، وكلٌ على هدى) .

وقال الخليفة عمر بن عبد العزيز : (لو لم يختلفوا .. لم تكن رخصة) .

ويعرض الباب الثامن للفقيه أبى حنيفة الذى كان يرى ويؤمن ثم يتخذ مما يرى ويؤمن أسلوبا ومنهاجاً لفكره . إذ كان مصدر آرائه آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم ﷺ وأحاديث أصحابه ويتحوط لأحاديث من سواهم من النابغين ، فيأخذ أقوالهم بحذر إذ هو يجتهد كما اجتهدوا ..وبذا برز ما عرف بالاتجاه العلمى للمجتهدين ، فقد نادى بالاجتهاد والتفكير وتمحيص النصوص قبل ابداء الرأى بغية الفتيا فالمجتهد فى رأيه مثاب، وقال : (المجتهدان مصيبان والحق واحد) .

ففض بذلك الحجب وجأر بقول : (إنى أرى) . إذ كان لا يحتج إلا بالثابت من قول النبى ﷺ وأصحابه الثقات.. ثم يوجب البحث والتدقيق والاجتهاد وإعمال الفكر فى اختيار ما يتفق مع الشريعة وأحكامها ، أما ما خالفها فله أن يستبعدها وقال : (عندى صناديق من الحديث ما أخرجت منها إلا اليسير الذى ينتفع به) .

لقد أدخل الاجتهاد والتدوين فى الفقه .. فحماه ونقله للأجيال اللاحقة وربط اسمه بالقلم والدواة ، بل أن تكنيته بأبى حنيفة تعود إلى ملازمته للدواة التى كانت تسمى بالحنيفة فى لغة أهل العراق ــ ولذا تنسب النهضة الرائعة فى التدوين إليه ، وإلى تلاميذه فقد دون الفقه ورتبه مبتدئا بالطهارة ثم بالصلاة ، ثم بسائر العبادات ثم بالمعاملات وانتهاءاً بالمواريث :

وهو أول من وضع كتاب الفرائض وكتاب الشروط . روى عن مالك ــ رضى الله عنه ــ أنه قال : وضع ابو حنيفة ستين ألف مسألة ، وقيل ثلاثة وثمانين ألف أصل فى العبادات وخمسة وأربعين الف أصل فى المعاملات وقيل بل خمسمائة ألف .

كان يقيس المسألة على أخرى ليردها إلى أصل من أصول الكتاب أو السنة أو اتفاق الأئمة فيجتهد ويدور حول الاتباع .

أما الباب التاسع فيدور حول كونه إمام أهل الرأى إذ هو القائل :(عليكم بالكتاب والسنة والاجماع وإلا فردوه إلى النظائر ، واستشهدوا عليه الأصول ، ثم اعملوا بما كان إلى الأصول أقرب وبها أشبه). فقد كان القياس هو النبع الذى سال منه فقه أبى حنيفة فبلغ شأنا بعيداً من التفصيل والشمول والانتشار وأضحى فى متناول الكافة حلولا لكل ما يعرض لهم من شئون المعاش والعبادات .

وكان الناس فى حاجة إلى معالم توضح لهم طريقهم فى الحياة ــ وكان الاجتهاد ضرورة للعالم والقاضى والفقيه ، بل للكافة وذلك باستنباط القواعد العامة من الشريعة لتقاس عليها المسائل

التى تحدث للناس . والقياس فى كتاب الله كثير ، وفى السنة اجتهادات وقياسات .

جاء أبو حنيفة ووضع يده على القياس أو الاستنتاج أو الاجتهاد أو الرأى وقلبه فى كفه كعصا موسى فجاء بالأعاجيب ــ وسار الأئمة على نهجه بعده وإذا بالفقه يرتفع إلى أعلى مستوى . ومن ثم قال الإمام الشافعى : (من أراد أن يعرف الفقه فليلزم أبا حنيفة وأصحابه، فإن الناس كلهم عيال عليه فى الفقه) .

ولقد انتقلت عصاه السحرية إلى اللغة وإلى النحو كما يذيع الخير ويشيع النور فإذا بالقياس فى البصرة والكوفة يهب اللغة العربية طرازات جديدة كأنها الاختراعات .

فالقياس الصحيح دائر مع أوامر الشريعة ونواهيها وجوداً أو عدما ، كما أن المعقول دائر مع أخبارها وجوداً وعدماً . فلم يخبر الله ولا رسوله ﷺ بما يناقض صريح العقل ولم يشرع ما يناقض العدل ــ وعلى ذلك ففى كل ما يحدث حكم سواء بنص أو باجتهاد حيث لا نص .

وإذن فليعمل المفكرون للتعرف على العلل وإضافة الأحكام إليها وضبط النتائج ــ فلما نزل أبو حنيفة ميدان الاجتهاد أثمر جهده بما لا يمكن حصره. ويتصل بمذهبه فى القياس مذهبه فى الاستحسان وهو الأخذ بمصلحة جزئية فى مقابل دليل كلى ، يلجأ إليه إذا كانت نتائج القياس لا تستساغ ولقد قال الإمام مالك بعده : (تسعة اعشار العلم .. الاستحسان) .

ولكن القياس والاستحسان يحتاجان إلى فكر ثاقب وعين باصرة وهكذا كان ابو حنيفة ــ رضى الله عنه ــ الذى وضع يده على أداة الاجتهاد وأداة القياس والاستحسان وصارتا كالمولد للقوى وجرى اسمهما على أنهما (الرأى) وأصبحا إسمين لمعنى واحد يهب الفقه حياته حتى اليوم ، فالعقل والنقل أو الفكر والنص هما الأساس الذى يبنى عليه أصول الفقه .

ترى ماذا كان مصير الحضارة الإسلامية إذا لم تستند إلى قواعد مستنبطة من المنقول والمعقول من أصول الحنفية السمحة التى يهدف إلى نشرها هذا الدين ؟

لقد قال ابو حنيفة : (أرى) أو (رأيت) فرفع الفقه على عمد الحرية فلم يبق فى الأمة مشاكل بلا حلول ، ولم يعد الفقه محجوراً عليه وستذكر الإنسانية هذا الفضل له ما بقيت .

ولقد أتهم باتهامات شتى هو منها براء نعفى القارىء من ذكرها والرد عليها .

والباب الأخير من الكتاب فى القضاء صدره الكاتب بمقولة أبى حنيفة التى تقول : (كن من السلطان كما أنت من النار ، تنتفع منها وتتباعد عنها ، ولا تدن منها فإنك تحترق) . فلقد كان الولاة يرغبون فى أن يستقضوا أفقه الفقهاء .. ومن ثم كان طبيعيا أن تشرئب أعناق الولاة إلى أبى حنيفة ليتولى منصب القضاء ، فاتجه إليه عامل مروان على العراق يعرضه عليه لكنه أبى فسجنه وعذبه فترك الكوفة إلى مكة المكرمة سنة ثلاثين ومائة وبقى إلى جوار بيت الله الحرام بضع سنين حتى تولى الخلافة أبو جعفر المنصور ، فبد له أن يبنى عاصمة للدولة غير الكوفة وكانت (بغداد) فَحَشَرَ إليها العلماء والفقهاء والشعراء ــ ثم دعا أبا حنيفة إلى ولاية القضاء ، وقيل دعاه ليوليه قضاء القضاة فحزم أمره واستخار الله ورفض ما طلبه

إليه أمير المؤمنين فغضب لذلك وداروا به فى الأسواق ثم ردوه إلى السجن .. وأن كان قد أمر بإخراجه من السجن وجعله فى بيته ومنعه من الفتوى والخروج من المنزل . فما لبث كذلك حتى مات .

ويختتم المؤلف بأن نظريات أبى حنيفة فى الإيمان والحرية وفى الاجتهاد بالرأى قد سمت إلى أسمى ذرا المجد حتى تبوأ منزلة الإمام الأعظم لأهل الإسلام . ولقد انتهت حياته نهاية بائسة بسبب الحرية ، تلك التى قضت على حياته .

لقد وافته المنية فى أحد أيام شهر رجب من عام خمسين ومائة بعد الهجرة الشريفة بعد سبعين عاماً قضاها مجاهدا مجتهدا ينشر الحرية والتسامح والتيسير أينما حل وأينما أقام – وتجرد عن الدنيا فزهد فيها وأنفق أمواله الطائلة على البائسين والمحتاجين . فقد سما بالوجود الإنسانى إلى مستوى يرتفع عن المستوى البشرى – لقد اختارت له السماء (مجد الخلود) على مجد السلطان .

ولقد سجد حين أحس بالموت فصعدت روحه وهو ساجد وكأنه وكان يسابق ملك الموت إلى لقاء ربه فى الصلاة . وغسله قاضى بغداد ، وصلىّ عليه أكثر من خمسين الفا أو يزيدون وأعيدت الصلاة عليه ست مرات – ومكث الناس يصلون عليه أكثر من عشرين يوما متتالية . ودفن بالخيزران كوصيته – ورثاه المسلمون فى كل بقاع الدنيا ولقد شيِّد لقبره مشهد وقبة ومدرسة للحنفية ولا يزال قبره مزارا للمسلمين حتى اليوم ولقد زاره الإمام الشافعى .

وبعــد ..

فقد شاءت إرادة الله – سبحانه وتعالى – وحده أن أعرض سيرة الإمام أحمد ابن حنبل ومناقبه فى بداية عرض سير وتراجم الأئمة الأربعة الكبار – رضى الله عنهم أجمعين – ثم عرضت سيرة الإمام الشافعى فالإمام مالك وانتهيت لعرض سيرة الإمام أبى حنيفة النعمان .

أسس كل منهم مذهبه الذى يتبعه الملايين من المسلمين فى المشرق والمغرب – ولكل منهم تراثه الفقهى الذى ابتغى صالح البشر وتيسير العبادات والمعاملات – ولعل قول الإمام مالك فى هذا المقام خير دليل وبرهان على ما نقول – فلقد قال : اختلاف العلماء رحمة من الله على هذه الأمة كل يتبع ما صح عنده وكلٌّ على هدى وكل يريد الله تعالى .

والكتاب ذو أسلوب بلاغى هادف رفيع ، يعرض للحوادث بثقة وأمانة فدخلت معانيه الجذلة لب القلوب – ولا غرو فهو المستشار الحاذق الذى تناول سير هؤلاء الأئمة الأفذاذ بحب وعلم ودراسة وتمحيص .

ولقد كنا نأمل أن يكفينا – سيادته – مشكلة البحث والتنقيب عن تاريخ ميلاد الإمام الأعظم – الذى بين أيدينا – لكنه أكتفى بالعام الذى ولد فيه – ولعله تدارك ذلك فى تاريخ وفاته فذكره شهرا وعاما .

أثابه الله عن عمله خيرا ورحم الله أئمتنا الكبار ورضى عنهم – فقد خلدوا الفقه الإسلامى ورفعوه بين العلوم عالى القدر – وتدارسه الناس لتحديد معالم طريقهم فى الحياة الدنيا واتخذوا منه سبيلا لآخرتهم ونفعنا الله بعلمهم . إنه نعم المولى ونعم النصير .

مفهوم الإيمان

فضيلة الشيخ : طوسون إبراهيم هواش(*)

لا شك أن الإيمان بالله ـ تعالى ـ الإله الحق الذى لا إله غيره ولا ربَّ سواه .. هو الإيمان الفاصل بين عقيدة الإيمان وعقيدة الكفر .

لقد كثر استعمال لفظ الإيمان مرتبطا بمسميات مختلفة كالديمقراطية والرأسمالية والحرية وغيرها .. وهذه المسميات جميعا لا تعنى شيئا ما .. يرتبط بالإيمان الدينى ، ذلك أن هذا الإيمان فى مفهومه الحقيقى يعنى الإيمان بالله وحده ، ذلك الإيمان الذى صحب البشرية منذ خلق الله سيدنا آدم أبا البشرية ، ولم يفارقها ، بل ولن يفارقها إلى يوم الساعة بما أودع الله ـ تعالى ـ فيها ـ من فطرة الإيمان به ..

هذا هو الإيمان الذى تجسَّد فى رسالة سيدنا محمد الخاتمة ـ صلوات الله وسلامه على صاحبها ـ كما بين ذلك القرآن الكريم ، والسنة الشريفة .

هذا الإيمان الذى جاء به السابقون من الرسل ، ولم يكن أبدا من مستحدثات الرسالة الخاتمة

يقول بعض العلماء : « إنها العقيدة المصفاة التى بعث بها أنبياء الله جميعاً ،

ونزلت بها كتب السماء قاطبة ، قبل أن ينال منها التحريف والتبديل ، إنها الحقائق التى لا تتطور ولا تتغير .:. عن حقيقة هذه الحياة ودور الإنسان فيها وعاقبته بعدها .

إنها الحقائق التى علمها آدم لبنيه ، وأعلنها نوح فى قومه ، ودعا إليها هود وصالح .. عاد وثمود ، ونادى بها إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وغيرهم من رسل الله . وأكدها موسى فى توراته وداود فى زبوره ، وعيسى فى إنجيله ـ صلواتِ الله عليهم أجمعين .

الإيمان بين الشكل والجوهر

ونحن نريد أن نسأل هل الإيمان بالله مجرد قول أو عمل خال من اليقين المطلق ؟ .

والجواب : إن الإيمان لابد فيه من التصديق القلبى المبنى على اليقين الجازم ، والقول المؤكد لهذا اليقين ، والعمل الذى يدل على صدق اليقين وصحة القول .

(*) الكاتب مدير سلسلة إحياء التراث بالأزهر .

لقد قالت الأعراب لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « آمنا » فهل دل ذلك على إيمانهم ، وهل عبر ذلك عن صدقهم ، وهل دل هذا القول المجرد على أن الإيمان أخذ من وجدانهم ما يجعلهم يتأثرون به عملا وتطبيقاً .

لما كان قولهم هذا مجردا من التصديق كان رد القرآن الحاسم المبين لموقفهم فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾

سورة الحجرات ـ آية : ١٤

أي لم تؤمنوا حقيقة بالإسلام ، وإنما أعلنتم ذلك القول أمام الناس ، إما خوفا أو طمعا فى دنيا .

مطالب الإيمان :

والإيمان له مطالب تستوجب التضحية ، بالنفس والمال والولد ، وليس الإيمان لمجرد النفع والمغانم ، وليس سبيلا وطريقا إلى الحياة ومتعها الفانية ، يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ .

الحجرات ـ ١٥

وهذا الرد ـ إذا تأملناه ـ يجعل من الإيمان رسالة وهدفا ، وليس وسيلة ولا طريقا إلى غاية أخرى .

وسبل الإيمان لا تخلو من الصعاب والمحن والأزمات .. يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾

آل عمران ـ ١٨٦

ونحن نرى فى هذه الأيام كثيرا ممن يقول آمنا حتى أصبحت الكلمات التى تنسب إلى الإسلام عنوانا على بعض السلع ، يقصد بها ربح زائل وكسب لا يغنى يوم القيامة .

يقول ـ سبحانه :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ .

البقرة ـ ٨ ـ ٩

ولقد كان المنافقون يقومون بأعمال كثيرة من صلاة وصيام ، يقوم بها الدجالون والمخادعون وقلوبهم خاوية من الإيمان ، خراب من الصلاح والإخلاص ، يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

النساء ـ ١٤٢

نماذج تحتذى من الرجال :

ولنضرب مثلا لرجل ملك الإيمان عليه كل جوارحه وأحاسيسه ، أنه ـ من خوفه لله عز وجل ـ يرفض الولاية ، وما يتبعها من مال

وجاه وسلطان ، ويبيع نفسه فداء لدينه ، وطلبا للشهادة ، هذا الرجل هو الصحابى الجليل « **النعمان بن مقرن** » ـ رضى الله عنه ـ .

لقد كان النعمان بن مقرن ـ فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ واليا على (كسكر)[1] والولاية منصب تتطلع إليه النفوس البشرية وتحرص عليه ، بل ربما بذلت فى سبيل الحصول عليه ما يتعارض مع تعاليم الشريعة ، ولكن النعمان ـ رضى الله عنه ـ ضاق بهذا المنصب ، واحتقر ما يحيط به من جاه ونفوذ ، وأرسل إلى الخليفة الثانى «عمر بن الخطاب» رسالة يقول فيها : (يا أمير المؤمنين) إن مثلى ومثل الولاية التى أنا فيها كمثل شاب عند امرأة جميلة تراوده عن نفسه لكى يرتكب معها الفاحشة وهو ممتنع عن ذلك ، وإنى أناشدك الله يا أمير المؤمنين أن تعزلنى عن هذه الرئاسة وأن ترسلنى فى جيش من جيوش المسلمين لأقاتل فى سبيل إعلاء كلمة الله ، وبعد الحاح استجاب أمير المؤمنين عمر ـ رضى الله عنه ـ وأرسله قائدا لجيش المسلمين فى إحدى المعارك التى دارت بينهم وبين الفرس ، واستشهد النعمان فى هذه المعركة بعد أن انتصر المسلمون ، هذا هو الإيمان الذى هان فى سبيله كل شىء حتى الروح .

فهل لنا أن نصحح فهمنا ونضع كلمة الإيمان موضعها اللائق بها فنترفع عن أن نبتذلها من أجل عرض زائل ، ودنيا فانية ، مدركين أن الله مطلع على السرائر وهو ـ سبحانه ـ علام الغيوب .

وهذا نموذج آخر جدير بالاحتذاء ، ألم نقرأ ونسمع عن : صهيب الرومى ، عندما أراد الهجرة إلى المدينة: وقف المشركون فى طريقه وقالوا له إذا أردت الخروج فاعطنا ما معك من مال ، فقد جئتنا فقيرا لا مال لك فاخرج كما جئت .

فقال لهم : إن أعطيتكم مالى خليتم بينى وبين دينى ؟ .

قالوا نعم : فأعطاهم صهيب ماله وهو سعيد بذلك سعادة لا حدود لها ، لأنه يدرك تماما أنه الرابح فى هذه الصفقة ، فالمال يكسبه الرجال ، والإيمان يصنع الرجال فالفرق كبير بين هذا وذاك .

وبعـد ...

إن العاقل هو الذى يدرك أن عرض الدنيا مهما كانت كثرته لا يساوى سجدة صادقة لله الواحد الأحد ، لقد قرأت ضمن ما قرأت أن سليمان ـ عليه السلام ـ مرَّ فى جمع من جنوده على شيخ عجوز فلما رأى ما فيه سليمان من ملك قال : لقد أوتى ابن داود ملكاً عظيماً ، فقال ـ عليه السلام ـ: ياعم والله لتسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أوتى ابن داود . اللهم اهدنا ووفقنا وارزقنا كمال الإيمان .

---

(١) كسكر : بلدة على الشاطىء الغربى من دجلة بين بغداد والبصرة .

عرض وتقديم الأستاذ/أحمد تقى الدين

من الحقائق المؤكدة : أنه قد انقضى ذلك العصر الذى اعتبر فيه التاريخ مجرد سرد للحوادث الماضية ، أو أنه نوع من الثقافة العامة اللازمة لإعداد الرجال للحياة السياسية أو الحربية ، فقد استقر رأى العلماء مع بدايات القرن العشرين على أن التاريخ نوع من أنواع البحث العلمى له أصوله وطرائقه ومناهجه ، ووجد بذلك (البحث العلمى التاريخى) ذلك الميدان الرحب الذى طرقه العديد من الدارسين العرب والمسلمين ، بعد أن كان وقفا على الغربيين فقط .

وتعتبر الوثائق ودراستها ومحتوياتها ونقدها العمود الفقرى للتاريخ ودراسته دراسة علمية موضوعية ، بحيث صح القول بأنه (لا تاريخ بدون وثائق) .

والوثيقة لغة : هى الشىء الموثوق الذى يمكن الركون إليه أو الإعتماد على ما يحويه من معلومات ؛ وهى مشتقة من مصدر الثقة والوثوق ، وكلها كلمات توحى بالصدق والاعتماد على الشىء الموصوف به .

والوثيقة فنياً : صك يحوى معلومات تصدرها هيئة رسمية معترف بها ومعترف لها بالحق بإصدار مثل هذه الأشياء ، وتحمل من السمات العائدة إلى تلك الهيئة ما يمكن من الاطمئنان إلى صحة صدورها عن تلك الهيئة ويقطع دابر تزويرها .

من هنا جاء تناولنا لمؤلف الدكتور محمد ماهر حماده ، الوثائق السياسية والإدارية فى ثمانية أجزاء جمعها عنوان جانبى صغير : « سلسلة وثائق الإسلام » .

جاء الجزء الأول بعنوان : الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموى ٤٠ ـ ١٣٢هـ / ٦٦١ ـ ٧٥٠م . (٦١٣ صفحة) .

والثانى : الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسى الأول ـ دراسة ونصوص (٤٤٥ صفحة) .

والثالث : الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة ٢٤٧ ـ ٦٥٦هـ / ٨٦١ ـ ١٢٥٨م . (٥١٦ صفحة) .

والرابع : الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية ـ دراسة ونصوص . (٤٤٥ صفحة) .

وحمل الجزء الخامس عنوان : وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولى للعالم الإسلامى . (٤٨٨ صفحة) .

ثم تلاه الجزء السادس : الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكى ٦٥٦ ـ ٩٢٢هـ / ١٢٥٨ ـ ١٥١٦م . (٥٤٠ صفحة) .

واشتمل الجزء السابع على : الوثائق السياسية والإدارية فى الأندلس وشمالى إفريقية . (٦٠٥ صفحات) .

ثم الجزء الثامن والأخير : الوثائق السياسية والإدارية العائدة للجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية المتتابعة . (٣٧٢ صفحة) .

وفى عرضنا لهذا المؤلف القيم لن نتناول كل جزء على حدة حيث التزم الباحث الدكتور محمد ماهر حماده منهجاً علمياً واحداً بما يمكننا من عرض سفره إطار شمولى واحد .

حاجة ملحة :

سار الباحث فى مؤلفه وجمع مادته وعرضها على نسق واحد لم يحد عنه ، حيث جمع ألوف الوثائق الإسلامية المنتشرة فى بطون كتب التراث وقام بدراستها وترتيبها بداية من عصر الدولة الأموية وانتهاء بالسيطرة العثمانية على سورية ومصر .

فى أكثر من موضع وأشار الباحث إلى أن الدارس للتاريخ الإسلامى بشكل خاص يستشعر حاجته الملحة إلى الوثائق التى تبحث فى تاريخ العصور الإسلامية والتى تعطى صورة أقرب إلى الصحة من المعلومات التى تستقى عادة من المصادر المعروفة ؛ ولكن ـ والكلام للباحث ـ يغمرنا الأسف عندما نذكر أنه لايوجد فى العالم الإسلامى عدد كبير من الوثائق الأصلية العائدة لعصور الإسلام الأولى ، بل والتالية عليها ، باستثناء أوراق البردى العربية التى اكتشفت فى مصر والعائدة للعصر الأموى وأوائل العصر العباسى ، إذيمكن اعتبارها وثائق أصلية .

ندرة الوثائق :

ويتعجب الدكتور محمد ماهر حماده من قلة أو ندرة الوثائق التاريخية الإسلامية برغم أن العرب كما هو معلوم كانت لهم دواوين رسمية تحفظ سجلاتهم كديوان الخراج وديوان الرسائل وغيرهما من الدواوين ، وقد كانت تحفظ فيها الوثائق الرسمية . وقد أكد ذلك المؤرخون ، والأخبار التى وصلتنا عن تلك العهود . يذكر الجاحظ فى كتابه (الحيوان) : « ذكر الهيثم بن عدى عن أبى يعقوب الثقفى عن عبد الملك بن عمير قال : رأيت فى ديوان معاوية بعد موته كتابا من ملك الصين » .

ويرى الباحث أن ندرة الوثائق تعود بالدرجة الأولى إلى أن التراث الإسلامى فقد منه جانب

ضخم فى المصائب والكوارث التى مرت على العالم الإسلامى زمن الحروب الصليبية، وغزوات المغول وتدمير الحضارة الإسلامية على أيدى أولئك الغزاة . بل تعرضت وثائق التاريخ الأندلسى للنهب والإحراق فى ظلال محاكم التفتيش الشهيرة بحيث لم يبق منها إلا النذر اليسير ، ولكن ليس فى خزائن المسلمين، وإنما فى بعض الكنائس والأديرة الإسبانية .

إهمال هنا .. واهتمام هناك

يقول الباحث : « ولسوء الحظ فإن الوثائق فى العالم العربى قليلة كل القلة وقسم كبير منها دمره الجهل والإهمال وسوء الاستعمال ، ولا سيما فى العصور الغابرة، حيث لم يكن القوم يدركون أهمية هذه المواد فأهملوها إهمالا أدى إلى تلفها تلفا كليا .

ولم يبدأ الاهتمام بالوثائق وجمعها ودراستها إلا فى العصور الحديثة ، وأول من اهتم بجمع وثائقنا وتراثنا بشكل عام هم الأوربيون الذين أغاروا منذ أواخر القرن الثامن عشر على العالم العربى الإسلامى ، وبدأوا التنقيب والجمع والدراسة والشحن إلى أوربا ، وإذا قدر لأحدنا أن يزور متاحف أوروبا أو إحدى مكتباتها أو إحدى دور محفوظاتها ، فإنه سيجد أن الوثائق المأخوذة من العالم العربى سواء كانت لوحات فخارية أم أوراق بردى أم مخطوطات تملأ تلك المؤسسات الثقافية وتشكل أوفى وأثمن وأجمل مجموعة مما تملكه تلك المعاهد من وثائق فى حين أن معاهدنا ومؤسساتنا الثقافية تخلو أو تكاد من مثل هذه النفائس .

فالمتحف البريطانى فى لندن يمتلك أثمن وأضخم وأكمل مجموعة من اللوحات الفخارية المستخرجة من بلاد الرافدين بخاصة . كذلك تمتلك مكتبته مجموعة رائعة من أوراق البردى المكتشفة فى أرض النيل ، وهى تمتلك مجموعة رائعة جدا ، وثمينة جدا ، ونادرة كل الندرة من المخطوطات العربية والفارسية والتركية وحتى الصينية . والشىء نفسه صحيح لبقية المؤسسات العلمية الأهلية فى فيينا وبقية مكتبات العالم الأوربى .

الغارة الأوروبية

ويرى المؤلف أن هذا هو الوضع الطبيعى بالنسبة للعالم العربى الإسلامى ، الذى لم يستيقظ من غفلته إلا مؤخرا . ولذلك لم يكن هذا العالم فى وضع يمكنه من اكتشاف تراثه والحفاظ عليه . وكان الأوروبيون آنذاك متعلمين وأقوياء ومهتمين بمثل هذه الموضوعات ، وكانوا قد بدأوا الإغارة على الشرق لاحتلاله واستعباد شعوبه واستثمار خيراته . ولذلك كان من البديهى أن يبدأ القوم بدراسة الشرق واستكشافه ومعرفة كنوزه حتى يتمكنوا من معرفة مواطن الضعف فيزيدوها ضعفا ومواطن القوة ليضعفوها .

وهكذا استكشف الأوربيون الشرق واستغلوه ودرسوه أفضل دراسة ممكنة وجمعوا ما وصلت أيديهم إليه من تراثه ونقلوه إلى بلادهم ، وكان موقفهم فى هذا المجال موقف من يمتلك بقرة حلوباً اهتم بها لا لمصلحتها بل لمصلحته الخاصة به .

الوثائق السياسية والادارية

والوثائق التى جمعها المؤلف هى فى أغلبها سياسية وإدارية ، وهذا شىء طبيعى ومتوقع لأن

اهتمام المؤرخين الأوائل كان اهتماماً سياسياً بالدرجة الأولى ؛ فسجلوا أحداث الملوك والخلفاء ووقائعهم وحروبهم وأعمالهم بالتفصيل ، على حين أغفلوا النواحي الأخرى للحياة العربية ، مما يعطى انطباعا سيئاً عن تلك الحضارة وعن التاريخ الإسلامى كله وكأن التاريخ الإسلامى كله مجموع وقائع وحروب ولا شيء أكثر .

وعلى الرغم من أن الحقيقة تخالف ذلك كل المخالفة إذ العرب المسلمون بنوا حضارة عظيمة لعبت دوراً ممتازاً فى تاريخ الحضارة العالمية وكانت الأساس الذى استندت إليه النهضة الأوربية فى العصور الحديثة ، إلا أن المصادر لم تعط إلا الوثائق ذات الطابع الحربى والسياسى والإدارى وتهمل - كما لاحظ المؤلف - الوثائق الأخرى، وبالتالى فقد جاء بحث الدكتور محمد ماهر حماده قاصرا على النواحى السياسية والإدارية .

أما أنواع الوثائق التى ضمنها الباحث كتابه فقد تمثلت فى : الخطب ، والرسائل ، والعهود ، والحوارات ، والمناظرات ، والوصايا وقد تركز اهتمام المؤلف على الخطب والرسائل والعهود والمواثيق لأنها بطبيعتها أقرب إلى المفهوم العلمى للوثائق من الحوار والمناظرات ذلك أن الخطاب أو الرسالة أو العهد شيء محدد يقوم به شخص واحد معروف أو هيئة محددة على حين أن الحوار يكون بين شخصين على الأقل ، وقد يشترك فيه عدد كبير من الأشخاص .

تعقيب :

والمؤكد أننا عبر هذه الصفحات لايمكننا عرض محتويات كل الكتاب لضخامته من ناحية ولاعتماده على الوثائق فقط لذا نكتفى بتقديم ملاحظاتنا على هذا المؤلف .

بداية عنوان الكتاب ، استخدم المؤلف عنوانا جانبياً صغيرا (سلسلة وثائق الإسلام) كان هو الرابط بين أجزاء الكتاب ، ثم استخدم عنواناً رئيسياً كبيراً توحد فقط فى جزء منه (الوثائق السياسية والإدارية) ماعدا الجزء الخامس — واختلف الجزء الثانى من العنوان تبعاً لتغير العصور الإسلامية ، ولست أدرى لم لم يستخدم الباحث عنواناً رئيسياً كبيراً موحداً وليكن : (الوثائق السياسية والإدارية للعصور الإسلامية المتتابعة) ثم يستخدم عنواناً آخر صغيرا يوضح العصر الذى يدرسه كل جزء على حده .

ملاحظة أخرى وهى لماذا بدأ الدكتور محمد ماهر حماده دراسته بالوثائق المتعلقة بالعصر الأموى ؟ وهو تساؤل يجيب عنه المؤلف إجابة رائعة تعد نموذجا يحتذى به فى حقل الدراسات التاريخية إذ قال فى جـ٨ : (هذا وإن بدأنا عملنا مع الوثائق العائدة للعصر الأموى ، فأخرجنا بهذا الوثائق العائدة للعهد النبوى والخلافة الراشدة وذلك بسبب أن هذا العمل أنجز أو أنجز القسم الأكبر منه ، فقد جمع الدكتور محمد حميد الله هذه الوثائق فى كتابه الموسوم باسم : (مجموعة الوثائق السياسية لعصر النبوة والخلافة الراشدة) .. لذا رأينا من الأفضل تجنب التكرار فبدأنا عملنا مع العهد الأموى وتابعنا سيرنا مع مسيرة التاريخ الإسلامى .. حتى انتهى بنا المطاف مع الفتح العثمانى لسورية ومصر) .

فهذا الموقف أكثر من رائع وهو أن تبدأ من حيث انتهى الآخرون ولكن كان الأجدر به أن يورد تلك الملاحظة الهامة والجوهرية فى جزء كتابه الأول وليس فى الجزء الأخير .

وكم كان مستغربا أن يفرد الباحث فصلاً تمهيدياً لكل جزء من أجزاء كتابه خاصة وأن هذا الفصل خصصه الباحث للحديث عن صعوبة البحث ومشكلاته وناقش فيه كذلك المصادر التى استقى منها وثائقه متناولاً سيرة مؤلفيها ومنهجهم فى البحث ومزايا مؤلفاتهم وعيوبها فهو - مثلا - تناول بالحديث مؤلف محمد بن جرير الطبرى (تاريخ الأمم والملوك) فى معظم أجزاء كتابه وكذلك فعل مع كتاب (الكامل فى التاريخ) لابن الأثير .. وغيره فكان يمكن أن يفرد الباحث مقدمة واحدة يناقش فيها مشكلات بحثه ومصادره ويكتفى فقط بتمهيد تاريخى فى بداية كل جزء .

ويلاحظ أن الدكتور محمد ماهر حماده أورد ملاحظة فى سائر أجزاء كتابه إذ يقول فى جـ٣ ص١٥ : « نحب أن نؤكد عدم مسؤوليتنا عن هذه الوثائق ومدى صحتها ، إذ أن همنا فقط هو جمع الوثائق بصرف النظر عن طبيعتها ، أو محتوياتها ، وما إذا كانت منحولة أم صادقة ، أم تمثل رأيا معيناً ، أم فكرة معينة . أما قضية إظهار صدقها من زيفها وبيان أصالتها من تزويرها فتقع على عاتق البحاثة الذين سعينا هو تقديم المادة اللازمة لهم وجعلها فى متناول أيديهم » . إذا فما هو هدف البحث

أعتقد أن البحث فى المصادر أفضل من ناحية حتى تقف أجيالنا على حقيقة جهد ضخم بذله علماء أفذاذ نذروا أنفسهم للإسلام من خلال تسجيل حقائقه ووقائعه، هؤلاء العلماء لابد للباحث ، أى باحث أن يقلب نتاجهم وينظر فيه حتى لانجد أنفسنا أمام واقع - بدأ للأسف يترسخ - وهو الاغتراب عن الأصول والمصادر فكتاب الطبرى مثلا (تاريخ الأمم والملوك) كيف يمكن تخيل أن يكون هناك باحث فى التاريخ لم يطلع عليه ، ويطلع عوضاً عنه على وثائق

والمؤكد أن الكتاب على حالته جاء بمثابة مال مكتنز لم يزك عنه صاحبه فالمؤلف جمع فى خزينته - أو كتابه - ثروة علمية بذل فيها جهدا ولا شك ولكنه بخل بالزكاة فلم يسع إلى نقد الوثائق من حيث إثبات صحتها ، وتعيين شخصية المؤلف وتحديد زمان التدوين ومكانه ، وتحرى نصوص الأصول وتحديد العلاقة بينها ، لم يقم بتحليل النص التاريخى ، وتحديد المعنى الحرفى للألفاظ ، والمعنى الحقيقى وغرض الكاتب ، لماذا إذن لم يحاول المؤلف أن يجلو الحقائق

فالتعرف على المصادر ودراسة محتوياتها ومنهج ا بحث فيها يشكل استفادة لاتعدلها استفادة ولا أعتقد أنه يوجد مؤلف واحد يغنى عن مصادر هامة مثل (تاريخ الأمم والملوك) لمحمد بن جرير الطبرى ، أو (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة ، أو كتاب القلقشندى المسمى بـ (صبح الأعشى فى صناعة الإنشا)

بين المجلة والقراء

تقديم الأستاذ عادل رفاعى خفاجة

حج البيت

قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

سئل النبى ﷺ : أى الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله . قيل ثم ماذا ؟
قال : جهاد فى سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟
قال : حج مبرور .

رواه البخارى

وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : سمعت النبى ﷺ يقول :
« من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمُّه » .

رواه البخارى

وقد ورد إلى الباب ـ بهذه المناسبة الطيبة ـ العديد من المساهمات ، نقدم أجزاء منها بقدر ما يسع المقام . وبهذه المناسبة الطيبة نتقدم إلى قرائنا والعالم الإسلامى أجمع بأخلص التهانى وأمنياتنا الصادقة بأن يعز الله الإسلام والمسلمين ، وأن تعلو رايات الحق والسلام ديار المسلمين فى العالم أجمع .

المحرر

الحج رحلة إيمانية

أرسل القارىء : يحيى السيد النجار ـ دمياط يشارك فى هذه المناسبة الطيبة يقول :

الحج رحلة إيمانية ، وقد شرع الله الحج ، فحدد زمانه ومكانه ومدته ووسائله وأهدافه ، وذكر ذلك فى سور : البقرة وآل عمران والحج .

والحج يربى الإنسان على العطاء والارتقاء والطهر والتزكية والصفاء .. بعيداً عن المصالح أو السمعة أو الرياء .. وفيه اجتماع أبناء الأمة لوحدانية الله ـ عز وجل ـ

وفى الحج يوم مشهود هو يوم عرفة ـ تكفر فيه

الذنـوب .. ويُذكِّـر الأمـة بسنـة الأضحيـة ، والمكافأة الإلهية بفداء إسماعيل – على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام – ومن ذبح الأضحية تأتى التوسعة على الفقراء .

وللمتقى الحج النفع الكثير فى الحيـاة الدنيـا والآخرة والحج ركنٌ يدعو أبناء الأمة لليقظة والتخلص من الأحقاد والخلافات .

أما القارىء / محمد محمد السيد مرسى – المدرس بمعهد القنطرة شرق فقد ارسل كلمة يقول فيها :

ونحن فى أيام الحج المباركة يجمل بنا أن نذكر عباداً خُلَّصاً ومؤمنين على حق ، حتى تتشبع أرواحنا بأنوارهم .. ثم يسرد قصة نبى الله إبراهيم – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – مع السيدة هاجر ، وكيف تركها وابنه فى أرض لا نبات فيها ولا ماء استجابة لأمر الله تعالى ، وامتثالها للأمر بعد ما علمت أنه أمر الله .

ويختتم رسالته بقوله :

إن إبراهيم – عليه السلام – يأتمر بأمر الله – تعالى – كما أن السيدة هاجر تأتمر بأمر الله – تعالى – فنور الله قلبه كما نور قلبها ، فجاء فعلهما نوراً فى فم الزمان ، ودرساً للأزواج والزوجات على مدى الأيام .

الحجر الأسود

أما رسالة القارىء محروس عبد الفتاح يس – الاسماعيلية حى السلام ، فجاءت تحمل كلمة عن الحجر الأسود .

يقول فيها :

الحجر الأسود حجر مبارك ، نلثمه ونقبله اقتداء برسولنا ﷺ .

ومن لم يستطع تقبيله واستلامه ؛ لشدة ما يكون فى الحج من زحام فيكتفى أن يشير إليه بيده .

والحجر الأسود أحد أحجار الجنة ، فعن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : أنزل الحجر من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن ، فسوَّدته خطايا بنى آدم[1] .

مجلة الأزهر :

ما من صلاة يصليها المسلم والمسلمة ، ويسجد لها بأية أرض إلا كانت هذه الأرض شاهدة له بنص قوله تعالى عن – (الأرض) – بسورة الزلزلة :

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾

والطـواف حول الكعبـة عبـادة ، ولما كان الطواف لا يضع فيه الطائف جبهته ولا يديه على الأرض كان لابد له من شاهد يسجل له هذه العبادة ، فكان تقبيل الحجر أو استلامه أو الاشارة إليه .. كل شاهد له بهذه العبادة التى ينفرد به البيت الحرام .

المؤمنون وفرحة العيد

ويشارك القارىء : عماد الدين عبد المنعم – دار طباعة النقود بهذه الكلمة عن العيد يقول :

ليس العيد لمن لبس الجديد ، إنما العيد لمن أمن الوعيد ، ليس العيد لمن لبس الملابس الفاخرة ، وإنما العيد لمن بَعُد عن عذاب الآخرة .

والله – تعالى – يمن على المؤمنين – بعد قضاء أركان المناسك والعبادات من صيام وحج بأعياد لهم يتزاورون فيها ، ويهنىء بعضهم بعضاً ، راجين الخير والسعادة فيحلُّ لهم ما حرَّمهُ عليهم أثناء أداء هذه العبادات : كالإمساك عن الطعام والشراب طوال نهار رمضان ، والالتزام بملابس الإحرام في الحج وسائر ما كان يتعين على الحاج عمله أثناء حجه .

فعلى المؤمنين أن يلتزموا فى فرحهم بما أمر الله تعالى .

القارىء : صلاح محمد ديش محمد على . السايس . بمعهد محمد أحمد عثمان الثانوى – بالحرانية جيزة

أرسل ينعى وفاة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق إلى المسلمين ، ومما قاله :

إننا لا نقول إلا ما يرضى ربنا – تبارك وتعالى – «إنا لله وإنا إليه راجعون» .

أما القارىء : فتوح السيد على الأنصارى قرية دونية – محافظة كفر الشيخ .

فأرسل «رسالة رثاء» لكل من العالمين الجليلين الإمام الأكبر والشيخ الغزالى يقول فيها :

لقد جاهد كل من هذين العالمين فى سبيل الله جهاداً عظيماً ، وكنا نراهما يجاهدان فى هذه الحياة ؛ لنشر العلم فى جميع أنحاء العالم ، ونشر كلمة التوحيد ، إنها حقيقة ، نسأل الله – تعالى – أن يجعل الجنة مثواهما ، فكلنا كان يسمع أن الإمام الأكبر قد قام بافتتاح مجمع علم فى بلد كذا وبلد كذا ، وأنه قد ألقى محاضرة فى بلد كذا ، وأنه كان يشجع الأطفال على حفظ القرآن الكريم ، ويعطيهم الجوائز القيمة ، وصدق الله تعالى إذ يقول :

﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾

سورة البقرة / ٥

وصدق الشاعر حينما قال فى حقه :

ياقوم جاد الحق بالرجل الذى
قد يلتقى بالأمر غير ميسر

أسموه «جاد الحق» نعم اسماً له
نعم المسمى للإمام الأكبر

وهو التقى ويرتجى من ربه
خير الجوائز عند يوم المحشر

لقد كان العالمان الكريمان لا يدخران وسعاً فى تبليغ كلمة الله – تعالى – إلى العالم كله .

ومهما تكتب الأقلام وتتبارى القرائح مادحة ومتحدثة عنهما فسنظل جميعاً كأن لم يبرحا مكانهما ، ولم يصمت بالقول لسانهما .

وصدق الله – تعالى – إذ يقول فى مثل هؤلاء :

﴿ أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده ﴾ .

(١) رواه الترمذى وقال حسن صحيح .

ردود وتعليقـــــات

القارىء : حسن رمضان فتوح واعظ مركز مغاغة ـ المنيا .

ليس لدى المجلة مانع من نشر كل ما هو جيد ويخدم الدعوة ، ولكننا لا نعد بالنشر قبل الاطلاع على المادة كاملة قبل النشر .

القارىء : عالب رباح ـ شارع عبد السلام ب ٦ رقم ٣٣ تفرت ٣٠٢٠٠ ـ الجزائر .

عن طريقة وثمن الاشتراك بمجلة الأزهر نفيد بأنه يمكنك الاتصال بقسم الاشتراكات بالأهرام وعنوانها كالتالى .

جريدة الأهرام ـ قسم الاشتراكات ـ شارع الجلاء ـ القاهرة ج . م . ع .

القارىء : عبد الرازق كامل حسن مبروك فاقوس ـ شرقية .

نسأل الله ـ تعالى ـ أن تتوفر دراسات مبسطة ومتميزة عن الموضوعات التى تود قراءتها فى المجلة . والتى منها : أسباب النزول .

القارىء : وسيم عبد العليم عزب شمال سيناء ـ العريش ـ مدرسة خيرى ع . م .

يمكنك صياغة موضوع يتضمن هذه الحقائق ، موثقة وسنقوم بنشرها ـ بإذن الله تعالى ـ وهذا أوقع لتصحيح الأوضاع . المهم التوثيق .

القارىء عبد رب النبى عبد رب الرسول محمد على ـ الأسكندرية .

تتساءل : أيـــن أبـــواب السيرة والحديث والتاريخ .. بمجلة الأزهر ؟

نقول : هى متوفرة بالمجلة بعناوين أخر

أما اقتراحك بإضافة مواد بعينها ضمن أبواب المجلة كالمسابقات مثلاً .

فالمجلة : لا تستطيع أن تعد بشىء لا يمكننا تنفيذه .

أما اقتراحك بإعادة نشر جميع هدايا المجلة السابقة ، فهـذا اقتـراح يحتـاج إلى سنـوات ، ونتيجته أننا ننشر ما سبق نشره ولا نقدم للقارىء جديداً .

القارئة : نشوى أحمد محمود أحمد ـ الطالبة بمعهد فتيات أبو دشيشة ـ بلقاس ـ دقهلية

قصيدتك موضوع دراسة سترين نتيجتها قريبا .

القارىء : محمد أحمد جمعه السحرى بلقينا م المحلة الكبرى ـ غربية .

أهلاً ومرحباً بك وبكل تعليقاتك فى كل المجالات والمجلة على استعداد لنشر ما تراه مناسباً لقرائها .

القارىء : خيرى محمد أبو الروس ـ بلقاس ـ دقهلية .

وصلتنا رسالتك بعنوان «وداعاً شيخ الأزهر» نشكر لك هذه المساهمة وقد تكاثرت هذه الخطابات بطريقة صارت أضخم من مساحة النشر ، ونسأل الله أن يرحم شيخنا رحمة واسعة ويسكنه فسيح جناته .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذ / عمر البسطويسى

الدكتور طنطاوى شيخاً للأزهر الشريف

أصدر الرئيس محمد حسنى مبارك القرار الجمهورى رقم ١١٢ لسنة ١٩٩٦ بتعيين فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخاً للأزهر الشريف .

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر الشكر للسيد الرئيس مبارك على الثقة التى أولاها سيادته لفضيلته موضحاً أن وظيفة شيخ الأزهر لها مسئولياتها الجسيمة ، ولكن عندما تكون المقاصد شريفة والنيات طيبة والخطة حكيمة ؛ فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يحول العسير إلى يسير ويحول البعيد إلى قريب .

● باشر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر عمله بمكتبه فى ساعة مبكرة من صباح الخميس الموافق التاسع من ذى القعدة ١٤١٦هـ الثامن والعشرين من مارس ١٩٩٦م .

كان فى استقبال فضيلته : فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر ، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، ولفيف من قيادات الأزهر الشريف والعاملين به ، وجمع غفير من رجال الصحافة والإعلام ، وقد ألقى فضيلته كلمة فى جموع مستقبليه شكرهم فيها على حسن استقباله داعيا المولى ـ عز وجل ـ أن يحفظ أزهرنا الشريف ومصرنا الحبيبة من كل سوء .

● واستقبل فضيلته السيد الأستاذ عمر عبد الآخر محافظ القاهرة ، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمود

حمدى زقزوق وزير الأوقاف ، والدكتور/ محمود شريف وزير الإدارة المحلية ، وفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ، والسادة نواب رئيس الجامعة وأساتذة وعمداء الكليات بالجامعة .

● كذلك استقبل فضيلته على مدى أسبوع كامل جمع كبير من المهنئين منهم الأستاذ الدكتور فتحى سرور رئيس مجلس الشعب ، والدكتور مصطفى كمال حلمى رئيس مجلس الشورى ، والسيد اللواء حسن الألفى وزير الداخلية ، والأستاذ الدكتور إسماعيل سلام وزير الصحة ، والدكتور عبدالمنعم عمارة والسيد سليمان متولى وزير النقل والمواصلات ، والسادة الوزراء والمحافظون والسفراء ، والعلماء وعلى رأسهم فضيلة الداعية الكبير فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

● كذلك استقبل فضيلته وفداً من رجال الكنائس المصرية على رأسهم رؤساؤها وقادتها حيث قدموا لفضيلته التهنئة بتوليه منصب شيخ الأزهر .

كذلك استقبل فضيلته السيد الأستاذ عبدالرحمن عبدالهادى مدير بيت الزكاة الكويتى ، والسيد السفير فيصل الخالد سفير دولة الكويت بالقاهرة ، والسيد المستشار حمود الروضان القائم بالأعمال الكويتى ، والسفير عبدالرازق الكندرى سفير دولة الكويت بلبنان .

وقد نقل السيد سفير الكويت بالقاهرة لفضيلة الإمام الأكبر تهنئة الكويت حكومة وشعباً لفضيلته باختياره شيخاً للأزهر .

كذلك استقبل فضيلته سفراء دول ماليزيا / الجزائر / الكاميرون / النيجر / مالى / تشاد / اليمن / نيجيريا / زيمبابوى / موريشيوس / بوركينافاسو / غينيا حيث قدموا جميعاً التهنئة لفضيلته .

شهد اللقاءات فضيلته الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر ، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف الأمين لعام للمجلس الأعلى للأزهر ، ولفيف من قيادات الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يستقبل السيد وزير الإعلام

● واستقبل فضيلته السيد الأستاذ صفوت الشريف وزير الإعلام ، الذى حضر لتقديم التهنئة لفضيلته مؤكداً على أن وزارة الإعلام برجالها ووسائلها الإعلامية دائما فى خدمة الإسلام والأزهر الشريف ورسالته المجيدة ، وتمنى سيادته للأزهر فى عهد فضيلته مزيداً من التقدم والأزدهار فى حمل رسالة الدعوة الإسلامية فى مختلف ربوع الأرض على مر الزمان .

وقد شكر فضيلته الإمام الأكبر السيد وزير الإعلام على تهنئته الرقيقة .

الإمام الأكبر يستقبل سفير الصومال فى القاهرة

● استقبل فضيلته صباح الأربعاء الموافق ١٥ ذو القعدة ١٤١٦هـ ٣ أبريل ١٩٩٦م السيد عبدالله حسن محمود سفير الصومال بالقاهرة ومندوبها الدائم لدى جامعة الدول العربية ، وذلك لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمناسبة تعيينه شيخاً للأزهر الشريف .

وقد أحاط سعادته فضيلة الإمام الأكبر علما بما يجرى حاليا بالصومال ، حيث تجتمع جميع فصائل الشعب الصومالى للاتفاق على كلمة سواء تمهيداً لاستقرار الوضع فى الصومال وتشكيل حكومة وطنية .

وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على التهنئة ، ودعا الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن ينعم على شعب الصومال الشقيق بنعمة السلام والأمان وأن يوحد صفوفهم فتستقر أوضاعهم . فالإسلام يدعو إلى الوحدة ، وبالنيات الطيبة والمقاصد الشريفة يصبح العسير يسيراً والصعب سهلا .

الإمام الأكبر يستقبل سفير سلطنة عمان بالقاهرة

● كذلك استقبل فضيلته السبت الموافق ١٨ ذو القعدة ١٤١٦هـ ٦ أبريل ١٩٩٦م السيد السفير عبدالله البوسعيدى سفير سلطنة عمان بالقاهرة الذى حمل تهنئة شفهية من جلالة السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان للثقة الغالية التى أولاها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك لفضيلته وتعيينه شيخاً للأزهر الشريف مع تمنيات جلالة السلطان لفضيلته بالتوفيق والسداد .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير على زيارته وتهنئة جلالة السلطان قابوس لفضيلته ، وحمله رسالة شفهية تضمنت شكر وتقدير فضيلته للمشاعر الطيبة التى تجمع بين سلطنة عمان ومصر الأزهر معربا عن حرص فضيلته على استكمال مسيرة التعاون الوثيق بين الأزهر الشريف وسلطنة عمان وأمتنا العربية الإسلامية .

تصريح للإمام الأكبر

أكد فضيلة الإمام الأكبر فى تصريح صحفى على : حرص الأزهر على التعاون والتنسيق مع كل المؤسسات الإسلامية فى مختلف أنحاء العالم لصالح الإسلام والمسلمين والارتقاء بمسيرة العمل الإسلامى فى مختلف المجالات .

وقال فضيلته فى حديث نشرته صحيفة (الاتحاد) الاماراتية فى عددها الصادر فى أول أبريل ١٩٩٦ : إن علماء الأزهر يؤدون واجبهم فى هذا المجال على أفضل وجه لرفع راية الإسلام والدفاع عن قضايا المسلمين ومناصرتهم فى جميع الميادين .

وأكد فضيلته أن القدس أمانة فى أعناق المسلمين مشيرا إلى أن التاريخ شاهد صدق على أنها مدينة إسلامية ، وأنها فى ظل الحكم الإسلامى كانت مفتوحة أمام أصحاب الديانات الثلاث (الإسلام ـ المسيحية ـ اليهودية) .

الإمام الأكبر يفتتح برنامج الدراسات الإسلامية الحرة

وافتتح فضيلة الإمام الأكبر ظهر الإثنين الموافق ١٣ ذو القعدة ١٤١٦هـ ١ أبريل ١٩٩٦م بمسجد الجامع الأزهر برنامج الدراسات الإسلامية الحرة التى تنظمها جامعة الأزهر الشريف برئاسة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس الجامعة الذى أعلن بدء البرنامج بصحن الأزهر الشريف ابتداء من يوم الاثنين ١٣ ذو القعدة الموافق ١/٤/١٩٩٦م عقب صلاة ظهر نفس اليوم دون شرط للسن أو المؤهل أو النوع أو الجنسية أو الدين استمرارا لرسالة الأزهر الشريف منذ بدأ فى أول عهوده الماضية التى تربو على أكثر من ألف عام وأعلن فضيلته كذلك أن برنامج الدراسات الحرة تحدد ليكون أيام السبت والإثنين والأربعاء للرجال ، وأيام الاحد والثلاثاء والخميس للنساء .

وقال فضيلة رئيس الجامعة : إنه سيقوم بالتدريس نخبة مختارة من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر من أساتذة العقيدة والتفسير والحديث والفقه والأخلاق والتاريخ الإسلامى ، وأشار فضيلته إلى أن الدراسة ستستمر طوال العام على أن تبدأ عقب صلاة الظهر وحتى صلاة المغرب بإشراف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة حيا فيها الجمع الحضور ، وفى مقدمتهم فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس الجامعة ، وأعضاء هيئة التدريس بها لجهودهم فى خدمة العلم والدين ، وحيا فضيلته قرار الجامعة بعودة الدراسات الحرة إلى الأزهر كسابق عهدها الأول وعودة الحلقات الدراسية بصحن الأزهر على يد علمائه الأجلاء .

وأعلن فضيلة الإمام الأكبر أن مشيخة الأزهر الشريف بعلمائها تتضافر جهودها مع جامعة الأزهر الشريف للسير قدما فى هذا المضمار الهام ، وفى هذه المرحلة الهامة من أجل خدمة العلم والدين ونشر رسالة الإسلام بالعلم النافع ، فالأزهر له السبق فى ذلك منذ أكثر من ألف عام ، والأمم إنما تقاس وتحترم بعلمها ومنهجها الصحيح ، يستوى فى ذلك الرجل والمرأة ، الفقير والغنى .

وأكد فضيلته على أن الدراسات الحرة التى تبدأ اليوم هى فتح للعقول والقلوب وإبلاغ رسالة الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وشكر فضيلته جامعة الأزهر الشريف على ماقدمته اليوم وما تقدمه فى كل وقت وحين على امتداد مسيرتها الطويلة وباعها الأمثل ولخدمة أزهرنا الشريف ومصر الحبيبة ووطننا العربى العزيز وأمتنا الإسلامية والعالم أجمع فى ظل القيادة الرشيدة للرئيس محمد حسنى مبارك .

الإمام الأكبر يشهد
ندوة «الإسلام وصحة الإنسان»

شهد فضيلة الإمام الأكبر الندوة التى أقامتها جامعة الإسكندرية برعاية السيد الوزير محافظ الإسكندرية بعنوان «الإسلام وصحة الإنسان» ضمن خطة البرنامج الثقافى للجامعة عن العام الجامعى ١٩٩٦/٩٥ .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر محاضرة بهذا الشأن ، وأجاب فضيلته عن الأسئلة التى وجهت إليه . كما تناول فضيلته بالشرح تطور الأزهر الشريف .

حضر الندوة عمداء وأساتذة كليات جامعة الإسكندرية ولفيف من المهتمين بالثقافة وصحة الإنسان .

وأثناء وجود فضيلة الإمام الأكبر بمدينة الإسكندرية قام فضيلته بزيارة لكلية الدراسات الإسلامية جامعة الأزهر فرع الإسكندرية ، والتقى فضيلته بعميد وأساتذة الكلية والطلاب بها .

ثم قام فضيلته بزيارة لمقر منطقة الإسكندرية الأزهرية ، وزار عدداً من المعاهد الأزهرية بالإسكندرية .

رافق فضيلته أثناء الجولة علماء وقيادات من الأزهر الشريف بالإسكندرية .

تهنئة الإمام الأكبر للإخوة النصارى بأعياد الفصح

كما وجه فضيلة الإمام الأكبر كلمة تهنئة للأخوة النصارى بمختلف مشارق الأرض ومغاربها بمناسبة الاحتفال بأعياد الفصح عبر القناة الفضائية بالتليفزيون الإيطالى .

وقد ألقى فضيلته الكلمة من ساحة الأزهر الشريف الذى يضرب بجذوره فى أعماق التاريخ لأكثر من ألف عام ، وهو يشع نوره فى الأرض معرباً عن تهنئته القلبية للأخوة النصارى فى قارات العالم أجمع ، وهم يستقبلون أعيادهم الدينية المجيدة داعيا الله ــ سبحانه وتعالى ــ أن يعيد عليهم أمثال هذه الأيام المباركة الطيبة بالسلام والأمان والرخاء والاستقرار ، تلك الأيام التى يتوافد فيها المسلمون على بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج .

كما دعا فضيلته الأخوة النصارى ، وهم يحتفلون بأعيادهم أن يقفوا إلى جانب المظلومين فى فلسطين والشيشان والبوسنة والهرسك وجنوب لبنان وكشمير والفلبين وغيرها من جماعات الأقليات الإسلامية التى تعانى من الاضطهاد والظلم .

فالأعياد مناسبة عظيمة وفرصة كبيرة لتعاون الجميع على نشر روح المحبة والمودة والإخاء والسلام والعدل ، واختتم فضيلته كلمته بالدعوة إلى الله ــ سبحانه وتعالى ــ أن يعيد أمثال هذه الأيام على العالم أجمع بالسلام والاخاء والاستقرار .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس دولة المالديف

كذلك استقبل فضيلته بمكتبه ظهر يوم الثلاثاء الموافق ٢٠ ذو القعدة ١٤١٦هـ ٩ أبريل ١٩٩٦م فخامة الرئيس / مأمون عبدالقيوم رئيس دولة المالديف الذى زار القاهرة مؤخراً لتهنئة فضيلة الإمام الأكبر بمناسبة اختياره شيخاً للأزهر الشريف والثقة لغالية التى أولاها الرئيس محمد حسنى مبارك استكمالا لدعم الرسالة السامية التى يحملها الأزهر ، ولريادته فى نشر الثقافة والدعوة الإسلامية فى العالم أجمع من خلال بعثاته التى يوفدها لمختلف الأقطار وبوجه خاص لدولة المالديف .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بفخامة الرئيس مأمون عبدالقيوم والوفد المرافق لسيادته ، وشكره على زيارته للأزهر وتهنئته الرقيقة معربا عن سعادته بهذا اللقاء الأخوى ، ودعا فضيلته المولى ـ عز وجل ـ أن ينعم على شعب المالديف بالسلام والرخاء والأمن والأمان فى ظل القيادة الحكيمة للرئيس مأمون عبدالقيوم .

هذا وقد وجه فخامة الرئيس مأمون عبدالقيوم الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة المالديف حيث وعد فضيلته بتلبية الدعوة فى الوقت المناسب ـ إن شاء الله .

الإمام الأكبر يشهد ندوة (دعوة الأديان لمحو الأمية)

شهد فضيلة الإمام الأكبر الندوة التى نظمها معهد الأهرام الإقليمى للصحافة تحت عنوان (دعوة الأديان لمحو الأمية) .

وقد دعا فضيلته فى الكلمة التى ألقاها أمام الندوة إلى الاهتمام بقضية محو الأمية لتحقيق تقدم المجتمع ورقيه مؤكداً على أن الأديان حريصة كل الحرص على الدعوة للعلم والتعليم ، لأن الذين يخدمون أوطانهم عن طريق العلم والثقافة لايقلون منزلة عند الله تعالى عن الذين يقدمون أرواحهم وأموالهم لخدمة الوطن وإعلاء كلمة الحق .

وأضاف فضيلته أن كلمة العلم ومشتقاتها وردت فى القرآن فى أكثر من ثلثمائة موضع مشيراً إلى أن تفضيل أبينا آدم على الملائكة كان بسبب العلم .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

دمشق :

ذكرت وسائل الإعلام السورية أن موافقة تركيا ـ الجارة المسلمة ـ على السماح للقوات الجوية الإسرائيلية بالتدريب فى أجوائها تشكل تهديدا لأمن سوريا ، وتقويضاً لأواصر علاقاتها مع تركيا .

وذكرت الإذاعة السورية نقلا عن صحيفة «تشرين» تعليقا على الاتفاقية المذكورة التى أعلنت يوم الجمعة ١٧ من ذى القعدة الماضى والتى يتم بموجبها تبادل تدريب القوات ، واستخدام القواعد الجوية فى كلا البلدين بأن هذه الاتفاقية تعد تحديا صارخا لمشاعر المسلمين فى تركيا .

ليبيا :

صرح وزير الخارجية المصرى السيد عمرو موسى أنه ليست لدى مصر أية أدلة ملموسة على الاعتقاد بأن ليبيا تقوم بإنشاء مصنع ضخم لإنتاج الأسلحة الكيماوية سراً فى «ترهونا» التى تبعد عن طرابلس بمقدار ٦٥ كم ، ونفت ليبيا أيضا ـ بشدة ـ اتهامات وزير الدفاع الأمريكى أثناء زيارته للقاهرة فى ١٥ من ذى القعدة الماضى ، وهى الذريعة التى تريد أن تستند إليها أمريكا فى توجيه ضربات جوية لليبيا ، وهو الأمر الذى حذر منه الرئيس حسنى مبارك .

القاهرة :

فى مؤتمر صحفى أعلن الرئيس الفرنسى شيراك الذى زار مصر فى الفترة من ١٨ ـ ٢٠ من ذى القعدة الماضى : أن بلاده تعتزم القيام بدور أكبر فى عملية سلام الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل ، وقد عقد سيادته محادثات رسمية مع الرئيس حسنى مبارك وأكد أن الشواغل الأمنية يجب أن ترتبط بالتنمية الاقتصادية للمناطق الفلسطينية ودعا لاجتماع قمة لدول حوض البحر المتوسط ، وإنشاء منطقة للسلام والتنمية ، كما التقى أثناء زيارته بالأمين العام للجامعة العربية ،

ووجه خطابا للشباب من جامعة القاهرة ـ كما زار الاسكندرية فى إطار تنمية العلاقات الثقافية ، كذلك وقد شارك الرئيس الفرنسى فى افتتاح قصر العينى الذى بنى بخبرة فرنسية بتكلفة ٦٠٠ مليون جنيه والمرحلة الجديدة من مترو الانفاق ـ من رمسيس إلى شبرا الخيمة ـ والـذى أقيم بخبرة فرنسية .

فلسطين :

قام الرئيس الفلسطينى بزيارة إلى السعودية وصرح لوكالة الأنباء الفرنسية بأنـه طلب من مضيفـه تأييـد جهـوده الراميـة لرفـع الحصار الإسرائيلى المفروض على الضفة والقطـاع منـذ شوال الماضى ، وهــو ما أصاب الاقــتصاد الفلسطينى المهترىء بالشلل وحرم ٦٠ ألف عامل فلسطينى من دخول مالية .

البوسنة :

قال المسئول عن تطبيق الجوانب المدنية لاتفاق دايتون للسلام فى البوسنة أن عدم تسليم صرب البوسنة لما لديهم من أسرى حرب سيحرمهم من حضور المؤتمر الدولى لإعمار البوسنة ، والمعروف أن صرب البوسنة يحتجزون الكثير من أسرى البوسنة حيث لم يفرجوا عنهم بزعم ارتكابهم جرائم حرب ، وقال المسئول المذكور فى حديث لـ B.B.C أنه إذا لم يتغير الوضع فسيأمر باستبعاد الصرب من المؤتمر المزمع لإعادة إعمار البوسنة .

الشيشان :

بعث الرئيس الروسى رسالة إلى جوهر داود زعيم المقاومة الشيشانية مقراً فيها ببطلان الخيار العسكرى ، وأنه لا بديل عن التحاور بين الجانبين المتحاربين لحل الأزمة المستعصية عبر وسطاء ، وقال أنه رشح رئيسى جمهوريتى « كازاخستان وتتارستان» كوسيطين .

وأكـدت أنبـاء الجمهوريـة الشيشانيــة أن العمليات العسكرية الوحشية للجيش الروسى على أشدها بزعم وقف إطلاق النار الذى زعمه الرئيس الروسى الشهر الماضى ، ويرى المحللون السياسيون فى المبادرة الروسية الأخيرة أنها تنطوى على مناورة سياسية مفضوحة تهدف إلى إنقاذ مستقبل يلسين السياسى ، حيث إن الانتخابات الرياسية فى روسيا تجرى الشهر القادم ، فهل يصدق يلسين فى نيته ؟

قطر :

اتفقت السعودية وقطر على إتمام ترسيم الحدود بينهما ، وهى المشكلة التى كانت مثار خلاف استمر لأكثر من ثلاثين عاما ، أعلن عن ذلك بعد محادثات فى الرياض بين ولى العهد السعودى ووزير الخارجية القطرى .

ثبت أسماء الكتاب
للعام الهجرى ١٤١٦هـ

إعداد
أ: عز الرجال المرسى سلام
أ. محيى الدين حسين يوسف

الاسم	الموضوع	الصفحة
	حرف الألف	
إبراهيم الدسوقى محمد خميس	مع سورة الفاتحة	٢٠
(الدكتور)	« « «	١٧٣
	مع سورة يس	٣١٥
	« « «	٦٣٠
	« « «	٨٠٣
	« « «	٩٦٣
	« « «	١٠٩٥
	« « «	١٢٧٩
	« « «	١٤٥٢
	« « «	١٦٠٩ ، ١٧٨٠
إبراهيم عيسى	الملك لك	٢١٤
(الشاعر)	ماذا يقول لدى الخلود رثائى	١٣٤٦
أحمد أبو الفضل عوض الله (الأستاذ)	عرض : « شرح ومعانى جزء عم »	١٣٨٢
أحمد السيد أحمد حطيبة	الإمام شعبة بن الحجاج بن الورد	٤٨٩
(الدكتور)	الإمام سفيان الثورى	٦٤٢
	الإمام الزهرى	٨٢٧
		٩٨١
أحمد السيد تقى الدين	الوثائق السياسية والإدارية	١٨٧٤
أحمد المعصراوى (الدكتور)	من أعلام مدرسة الحديث بالحجاز	١٦١٩
أحمد بن محمد طاحون	الوصية بالوالدين	٦٦٦
(الشيخ)	نور من مكة أضاء ﷺ	١٦٣٠

أحمد رجائى عبد الحميد	سن اليأس	١٣٥٤ ١٥٣٨
(الدكتور)	متاعب الثدى فى الرجال والنساء	١٦٨١ ، ١٨٤٣
أحمد فؤاد باشا	البيمارستانات فى الحضارة الإسلامية	٨٤
(الدكتور)	الحسن بن أحمد الهمدانى	٢١٩
		٣١٨
	عطارد أقرب الكواكب للشمس	٥٤٤
	تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية	٧٠١
	العلوم التقنية فى التراث الإسلامى	٨٧١
		١٠٢٢
		١١٨٦
	قراءة إسلامية فى كتاب الكون	١٣٤٩
	مشكلة المياه وحلولها فى التراث الإسلامى	١٥٣٢
	من دلائل القدرة الإلهية بحرياً	١٦٧٦ ، ١٨٣٩
أحمد محمود كريمة	زكاة المدين فى الشريعة	١١٣٠
(الدكتور)		
أحمد مصطفى حافظ	مع الدكتور عبد الوهاب عزام	١٠٢
(الأستاذ)		٢٣٦ ، ٢٩٢ ، ٥٥٨ ، ٧٢٩
		٩٠٠ ، ١٠٣٦ ، ١٢١١
	عرض كتاب : الصراع الأدبى بين القديم والجديد .	١٣٧٦
	مع الدكتور حسن جاد	١٥٢٢
		١٦٩٦ ، ١٨٥٨
أحمد مصطفى عبد الحميد	ولاية عقد النكاح فى الشريعة الإسلامية	٣٣١
(الأستاذ)		
البسيونى قنعان	خواطر على أرض الرسول ﷺ	٥٢٩
(الشاعر)		
السيد إبراهيم الجميلى	(طبقات المحققين والمصححين)	١٠٣٢
		١٢٠٦
(الدكتور)		١٣٦٧

١٥٥٠
١٦٨٨
السيد الصديق حافظ (الشاعر) — عتاب (قصيدة) ٨٢
السيد شمس الدين العراق (الشيخ) — استفتاءات القراء ١٣٢٨
١٥١٢
١٦٤٩
السيد يحيى الزيات — استخدامات الليزر فى طب العيون ٧٠٥

حرف التاء

نوفيق إسلام يحيى (الشيخ) — شيخ الإسلام مصطفى صبرى ٥٣٩
٨٦٣

حرف الثاء

ثريا محمد مصطفى (الأستاذة) — الشيخ سيد بن على المرصفى ٢٤١

حرف الجيم

جاد الحق على جاد الحق (الإمام الأكبر الراحل)
فى الهجرة فقه وقيم ٤
لأبد من وقفة مع الأصدقاء ٨
كلمة فى ختام دورة الأئمة ١١٨
سياسة العقاب فى التشريع الإسلامى ١٤٨
أولو الأمر وواجبهم (فتوى) ١٥٥
ذكرى ميلاد الرسول ﷺ ٢٩٦
إثبات إسلام المتوفى بإقراره (فتوى) ٣٠١
كلمة فى الاحتفال بالمولد ٤٥٨
بث الفرقة بين الجاليات الإسلامية (فتوى) ٤٦٠
أين حقوق الإنسان يا بنى الإنسان ٤٧٣
حكم الخنثى (فتوى) ٦٦٢
دور الاجتهاد فى الغرب (فتوى) ٧٨٤
مرور خمسين عاما على إنشاء الأمم المتحدة ٧٨٨
بيان عن القدس للأمة الإسلامية ٩٥٢

	إزالة البكارة بغير الوطء الفعلى وآثاره	٩٥٦
	الإسراء والمعراج	١٠٨٦
	ليلة النصف من شعبان	١٠٨٨
	ميراث الولد العاق (فتوى)	١٠٩١
	رمضان موسم الصفاء	١٢٦٤
	حكم مختلس أموال الزكاة (فتوى)	١٢٦٩
	فى الاحتفال بمؤسسة أم حبيبة (كيب تاون)	١٢٧٢
	عيد الفطر جائزة الله للصائمين	١٤٣٨
	زواج المسلمة بغير المسلم (فتوى)	١٤٤٠
	كلمات عن الحج	١٥٩٥
	حكم رجل أنكر نسب أحد المقيمين (فتوى) ...	١٦٠١
جليلة رضا (الشاعرة)	وصية أم عربية (قصيدة)	٦٩٤
جيهان أحمد مصطفى (الطبيبة)	فقـر الـدم	٩٠
		٢٢٩ ، ٣٧٧ ، ٥٤٨ ، ٧١٢ ، ٨٨٣ ، ١٠٢٦ ، ١٠٩٢
جمال الدين جودة اللبان (المستشار)	أملاك الدولة فى صدر الإسلام	٥٠٤
		٦٦١

حــرف الحـاء

حسن محمد وجيه (الدكتور)	قراءة فى قرار الكونجرس	٦٩٠
		١١٦٠

حـــرف الـــراء

رشاد محمد يوسف (الشاعر)	شاهد من الهجرة	٧٨
	يا رحمة الرحمن (قصيدة)	٣٥٨
	لبيك يا رب (قصيدة)	
رمضان أبو غالية (الشاعر)	هو الإحسان فالزم (قصيدة)	٥٣١
رمضان حافظ السيوطى (الدكتور)	البيوع التى تضر بالدين	١١١٩

حرف الزاى

زكريا أحمد نور (الشيخ) — الرجعة ٩٩٧

حرف السين

سعد عبد المقصود ظلام (الدكتور) — رثاء الدكتور حسن جاد (قصيدة) ١٧٠٤

سناء السعيد (الأستاذة)
- حوار مع الإمام الأكبر حول القدس ١٢
- حوار مع الإمام الأكبر حول قضية الأسرى ٧٩٥
- حوار حول التعايش السلمى مع إسرائيل ١٤٤٩

السيد العراقى (الشيخ) — استفتاءات القراء ١٣٢٨ ، ١٥١٢ ، ١٦٤٩ ، ١٨١٨

سيف النصر عبد العزيز المجلى (الشيخ) — مع الشيخ عبد العزيز عيسى ٦٨٣

حرف الصاد

صابر أحمد تعلب (الأستاذ) — رؤية للولايات المتحدة ٧٣٣

صادق عرجون — روح الإسلام (من روائع الماضى) ١١٨١

صلاح موسى البربرى (الأستاذ) — النجاة والاحتجاج بالقرآن ٥٥٤
٧١٩

حرف الطاء

طوسون إبراهيم هواش (الشيخ) — عرض كتاب الصيام من البداية حتى الإسلام ١٣٦٠ ، ١٨٧١

حرف العين

عادل رفاعى خفاجة (الأستاذ) سكرتير التحرير
- المجتمع السواحيلى أصوله ومجموعاته ١٠٦
- ثقافة المجتمع السواحيلى ٢٤٤
- الأزهر : مجلة فى جنوب أفريقيا ٣٠٦
- الأخلاق للبنات : عرض كتاب ٥٧٦
- نظرة فى مؤتمر بكين ٦٦٩
- الزلازل بين القدرة والعبرة ٨٨٧

القدس وأموال العرب المغتصبة ١٠١٠

عقيدة السلف وأصحاب الحديث
عرض كتاب (بين المجلة والقارىء) ١٢٢٠
شهر الصوم وشهر البركات ١٣٩٠
كيف ترقى الأمم ١٥٥٩
شيوخ الأزهر ١٧١٢
حج البيت ١٨٧٩

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى الشواهد النحوية بين اللغة والأدب ٩٦
(الشيخ) ٣٨٦
١٣٦٢

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم طرائف ومواقف ٦٢
(الأستاذ) ٢٠٤ ، ٣٥٤ ، ٥٣٢ ، ٦٨٨
٨٥٤ ، ١٠٢٠ ، ١١٧٠ ،
١٣٣٠ ، ١٥٢٠ ، ١٦٥٤ ، ١٨٢٨

عبد السلام إبراهيم ناصف ابن حنبل : عرض كتاب ٢٤٩
(الأستاذ) ٤٠٢
رؤى للإمام الأكبر ٧٩١
الإسرائيليات : عرض كتاب ١٧٠٧
بين الإمام وكبير الأساقفة ١٢٩٦
الإمام أحمد : عرض كتاب ٥٧٢
٧٣٨
الإمام مالك : عرض كتاب ١٢١٦
الإمام الشافعى : عرض كتاب ١٠٤٢
الإمام أبو حنيفة : عرض كتاب .... ١٠٤٢ ، ١٨٦٤

عبد العزيز أحمد رضوان هجرة الرسول ﷺ ٣٤
(الشيخ) اللهو والمباح فى الأعياد ١٤٨٢

عبد العزيز اسماعيل الإسلام والطب الحديث ٨٦٧
(الدكتور)

عبد العزيز بن عبد الله بن باز أهداف الحج ومقاصده ١٦٢٢
(الشيخ)

عبد الفتاح أبو سنة	تفسير غضب موسى الكليم وأثره	٢٤
(الدكتور)		
عبد الفتاح حسين الزيات	(من روائع الماضى)	٧٠
(الأستاذ)		٣٦٢ ، ٥٣٤ ، ٨٦٧ ، ١٠١٧
		١١٨١ ، ١٣٣٢، ١٥٢٦
		١٦٧٢ ، ١٨٣٦
عبد الفتاح إبراهيم سلامة	رخصة الفطر للمسافرين	١٢٩٩
(الدكتور)		
عبد الفتاح سيد جمعان	تسبيح الكائنات	٨٠٩
(الشيخ)	نظرات فى ألفاظ القرآن الكريم	١٤٥٨ ، ١٧٨٨
عبد الله المراغى	الاجتهاد والتقليد (من روائع الماضى)	١٥٢٦
(الشيخ)		
عبد الله مبروك النجار	التأمين عقده ومشروعيته	٣٧
(الدكتور)		١٨٣ ، ٨٤٠ ، ١١٣٤ ، ١٣١٧ ، ١٨٠٠
عبد الله نجيب محمد	زعيم (برنو) المجاهد	١٩٨
(الدكتور)	الإرساليات الأمريكية فى أفريقيا	١٤٤٩
عبد المنعم فودة	إعداد الفتاوى	٦٠
(الأستاذ)		٢٠١
		٣٤٥
		٥٢٦
		٦٨٠
عبير محمد عبد الواحد	الإسلام والمرأة والتاريخ	٥٢٢
(الأستاذة)		٦٧٣
		١١٧٢
على أحمد الخطيب	حضارة التعليم فى الإسلام	١
(الدكتور)		١٤٥
رئيس التحرير	الأزهر والثقافة الجنسية	٢٩٣
	النبوة والبشر	٤٤٥

عالم الغيب ٦٢١
مجلة الأزهر وقراؤها ٧٨١
الشمس والهلال والنجم ومواقعها ٩٤١
هل من حلقة أخيرة بشأن القدس ١٠٨٣
غزوة بدر ١٢٥٩
لعلم الإنسان حدود ١٤٣٥
إلى الرحمن الرحيم أيها الراحل الكريم ١٥٧٩
الأئمة العباقرة ١٧٤٧

على حامد عبد الرحيم (الشيخ) مدير التحرير
(قبس من أنوار النبوة)
الرسول يحذر أمته من مزالق الشيطان ٢٨
كيف نشكر الله على نعمائه ٣٢٢
الصبر على البلايا وعاقبته ٤٨٦
يا خيل الله اركبى ٦٣٩
روابط المجتمع الإسلامى ٨٢٠
استفت قلبك ٩٧٥
الآيات البينات ١١٠٤
الأعمال عند الله ــ سبحانه ــ سبعة ١٢٨٦
المروءة ١٤٦٩
العمل الطيب عبادة ١٦١٤
خذوا عنى مناسككم ١٧٩٧

ستر الله ــ عز وجل ــ للمؤمن ١٧٩٤

عمر البسطويسى على (الأستاذ)
على هامش مؤتمر الجامعات الإسلامية الخامس ١٢٢
أنباء مكتب الإمام الأكبر بالاشتراك
مع الأستاذ مصطفى عبد المجيد ٢٥٩
٤١٧ ، ٥٨٧ ، ٧٥٠ ، ٩١٣
١٠٥٣ ، ١٢٢٩ ، ١٣٩٧
١٥٦٤ ، ١٧١٨ ، ١٨٧٩

حـرف الفـاء

فاطمة عمر نصيف (الدكتورة)	خلق المسلم فى ضوء الكتاب والسنة	٥٤ ٣٣٩ ٨٤٨ ١١٤٥ ١٤٩١
فطيم سلامة (المدرس)	حوار مع نائب رئيس جامعة الأزهر	٣٤٧
فوزى محمد طايل (الدكتور)	منهج الإسلام فى اتخاذ القرار	١٩٢

حـرف اللام

لطفى محمد متولى (الشاعر)	أرى مولاى (قصيدة)	٢١٥

حـرف الميم

مجدى عبد الحميد بشير (الأستاذ)	أنباء العالم الإسلامى	١٢٤ ٢٦٤ ، ٤٢٢ ، ٥٩١ ، ٧٥٣ ، ٩١٧ ١٠٥٨ ، ١٢٣٤ ، ١٤٠٤ ، ١٥٦٨ ١٧٢٥ ، ١٨٨٩
محمد أبو المكارم	أين شاطىء النجاه (من روائع الماضى)	٧٠
محمد إبراهيم الدمرداش (الأستاذ)	من أئمة الفقه والحديث	١١٢
محمد إبراهيم الفيومى (الدكتور)	ادب الكاتب لابن قتيبة	٣٩٨
	إسلام الدين	٩٥٧
	الإسلام ونهضة الأمة	١٤٨٥
	لماذا يخاف الغرب من الإسلام ؟	١٨٠٩
محمد حافظ سليمان (الشيخ)	دلالات الهجرة	٦٧٦
	الصبر على البلاء	٨١٦
	محاسبة النفس	١١٤١

	أثر الصوم فى الفرد والمجتمع	١٣٠٩
	حق الطريق فى الإسلام	١٦٣٦
	الإسلام دين أكمله الله	١٨٠٥
محمد حسنى مبارك	كلمة الاحتفال بالمولد النبوى	٤٤٨
(الرئيس)	نعى شيخ الأزهر الراحل إلى الأمة الإسلامية	١٥٨١
محمد رياض السيد كريم	ابن دريد ومنهجه فى جمهرة اللغة	٧٢٣
(الدكتور)		٨٩٤
		١٢٠٠
		١٥٤٤ ، ١٨٥٢
محمد رجب البيومى	شيخ الإسلام مصطفى صبرى	٦٤
(الدكتور)	الداعية فى موقف الضيق	٤٩٩
	الإقناع العقلى قبل رسالة إبراهيم	٦٥٦
		٦٦٩
	محمد بخيت المطيعى	١١٧٥
		١٣٢٣
	الشيخ محمد الغزالى	١٦٦٠ ، ١٨٣٠
محمد زين العابدين العزازى	الخطبة الجامعة فى حجة الوداع	٣٢٥
(الشيخ)		
محمد سيد طنطاوى	تهنئة وشكر	١٧٥٠
(الإمام الأكبر)	تفسير سورة الفاتحة	١٧٧٤
محمد عبدالغنى شامة	الإسلام يحرر الإنسان	٥١٧
(الدكتور)		
محمد عبد الحكيم محمد	(بين المجلة والقارىء)	١١٠
(الدكتور)	(من أعـــلام الأزهـــر)	
	د. محمد محمود فرغلى الفقيه المجتهد	٢٠٦
	(بين المجلـــة والقـــارىء)	
	هل نحن اليوم أمة ..؟	٢٥٤
	الدعاة ومنهج الدعوة	٤١٠
	دعوة إلى حسن الخلق	٥٨١

	أدب الخطاب مع النبى ﷺ	٧٤٣
	الدعاء والقضاء والقدر	٩٠٦
	نحو وعى بالاقتصاد الإسلامى	١٠٤٨
	ضوابط الإسلام فى الأمر والنهى	١٢٢٣
	(إعداد وتقديم باب الشعر والشعراء)	
	رؤية تراثية فى الشعر العربى	١٣٤١
	إن من الشعر لحكمة	١٥١٥
	مع البوصيرى والمتنبى	١٦٦٧
	وداعا .. شيخ الأزهر	١٨٢١
محمد عبدالرحمن صان الدين (الشاعر)	أتدرى من أنت (قصيدة)	٢١٧
	القطة الواعظة (قصيدة)	٣٦٠
	جبال المغنطيس (قصيدة)	٦٩٢
	إلى الصرح الخالد (قصيدة)	١٦١٧
محمد عبدالوهاب عبداللطيف (الدكتور)	الرجوع إلى الحق فضيلة	٣١
محمد عبدالوهاب جنيدى (الأستاذ)	مع ديوان أنا مسلم لمحمد التهامى	٥٦٣
	حول شاهنامة الفردوس	١٥٥٦
محمد عزت الطهطاوى (الاستاذ)	مواجهة الأزهر لنابليون وحملته	٨٥٦
	أسد بن الفرات	١٦٤٤
محمد فتحى عبدالصادق (الشيخ)	سبيل المؤمنين الصادقين	٣٣٦
محمد فخر الدين القعقاع (طبيب شاعر)	مرحبا ياشهر الرضا	١٣٤٨
محمد فريد وجدى (الشيخ)	هل للمرأة أن تتعلم ؟ (من روائع الماضى)	٦٩٥
	ذكرى المولد النبوى (من روائع الماضى)	٣٦٢
	وأذن فى الناس بالحج (من روائع الماضى)	١٦٧٢
محمدى حسن الشافعى (الشاعر)	فى حب النبى ﷺ (قصيدة)	٢١٦

محمود حمدى زقزوق	المسجد الأقصى فى الكتاب والسنة	٥١٠
(الدكتور)		
محمود سالم الخطيب	حرمة المساجد وصيانتها	١٨١
(الدكتور)	الحلف حنث أو ندم	٣١٩
	ثلاث لايغل عليهن قلب المؤمن	٤٨١
	الحدود بين العفو والوجوب	٦٣٦
	أجر من عزى مصابا	٨٢٢
	راويان وحديثان	٩٧٧
	الإخلاص لله عز وجل	١١١٠١
	أرفع الأعمال	١٢٨٩
	الإيمان برسالة النبى ﷺ	١٤٦٦
	من فوائد الإنفاق،	١٦١٦
	ستر الله ـ عز وجل ـ للمؤمن	١٧٩٤
محمود عبدالجواد الفشنى	كلمة شيخ الأزهر فى مؤتمر التحديات المعاصرة	
(الأستاذ)	للاقتصاد الإسلامى	٢٦٦
محمود عبدالمتجلى خليفة	المدونة الكبرى فى الفقه الإسلامى .... ،	٤٩٠
(الدكتور)		
		٦٥٠، ٨٣١
		٩٨٧، ١١٠٨
	مذكرة لكل صائم	١٢٩٢
	الأصول التى بنى عليها مالك مذهبه	١٤٧٢
محمد محمد الحسينى	....	١٨١٣
محمود محمد رسلان	تحذير المسلمين من الغزو الفكرى	٤٩
(الدكتور)	المعصية بين الفرد والمجتمع	١٦٤٢
مصطفى دسوق كسبة	القدس مفتاح السلام فى الشرق الأوسط	١١٥١
(الأستاذ)		١٥٠٣
مصطفى محمد الشكعة	الرسول ﷺ وأدب الحوار	١٠٠١
(الدكتور)	وداعا شيخ الإسلام	١٦٥٦

معوض عوض إبراهيم	الزهد وتوازن الإسلام	١٠٠٨
(الشيخ)	الإشاعة بضاعة المنافقين	١٣١٤
مجمع البحوث الإسلامية	بيان لصيانة المقدسات من العبث	٣٠٤
	بيان بمناسبة انعقاد مؤتمر المرأة فى بيكين	٤٦٥
		٤٦٩

حـــرف النـــون

نبيل صلاح محمود العربى	برامج الحاسوب فى مجال الشريعة	٢٢٤
ا(الأستاذ)	مشكاة السنة بين أصابعك	٣٧٢
نجاة شاور ربيع	ميلاد النبى ﷺ (قصيدة)	٣٥٧
(الشاعرة)		
نجوى السيد أحمد	الجديد فى العلم والتقنية	٩٣
(الدكتورة)		٢٣٣
		٣٨١
		٥٢٢
		٧١٥
		٨٨٦
		١٠٢٩
		١١٩٦
		١٣٥٦
		١٥٤٠
		١٦٨٤
		١٨٤٨

حــرف اليــاء

ياسر صلاح قطامش (الشاعرة)	ابتهال (قصيدة)	١٦٧٠
يحيى عبدالله المعلمى (الأستاذ)	قواعد السلوك فى سورة الحجرات	١٧٧
	غاية شوط	٣٨٤
	قواعد السلوك فى سورة الحجرات	٤٧٦
	الرحمة (من روائع الماضى)	٥٣٤
يوسف الدجوى	النبى الفليسوف (من روائع الماضى)................	١٣٣٢

فهرس الهدية للعام الهجرى ١٤١٦ هـ

الشهر	الموضوع	المؤلف
هدية شهر المحرم	شيخ الأزهر فى السنغال	قسم التحرير بالمجلة
هدية شهر صفر	اتفاقية القضاء على أشكال التمييز ضد المرأة	للإمام الراحل جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الأسبق
هدية ربيع الأول	خصائص التربية الإسلامية عند الإمام ابى حامد الغزالى	الدكتور أحمد عرفات القاضى
هدية ربيع الآخر	الطفولة فى ظل الشريعة الإسلامية	شيخ الأزهر الأسبق
هدية جمادى الأولى	الاكتساب فى الرزق المستطاب	الإمام محمد بن الحسن الشيبانى
هدية جمادى الآخرة	الإمام الأكبر فى أندونيسيا	قسم التحرير المجلة
هدية رجب	الاكتساب فى الرزق المستطاب	الإمام محمد بن الحسن الشيبانى تعليق الأستاذ محمود عرنوس
هدية شعبان	المركز القانونى الدولى للقدس	للدكتور جعفر عبدالسلام
هدية رمضان	المسجد رسالة وتاريخا	شيخ الأزهر الأسبق
هدية شوال	الاكتساب فى الرزق المستطاب	الإمام محمد بن الحسن الشيبانى تعليق الأستاذ محمد عرنوس
هدية ذى العقدة	المسائل الفقهية التى لايعذر فيها بالجهل	للإمام محمد الأمير السنباوى تعليق الشيخ إبراهيم الزيلعى
هدية ذى الحجة	سجود الشكر وأحكامه فى الفقه الإسلامى دراسة فقهية مقارنة	للدكتور أحمد محمد كريمة

ثبـــت الموضـــوعات للعام الهجرى ١٤١٦ هـ

إعـــداد
أ. محمـــود الفشـــنى
أ/أيمـــن ســـعد زغلـــول

الموضـــوع	اسـم الكاتـب	الصفحة
حـرف الألف		

الموضوع	اسم الكاتب	الصفحة
الائمة العباقرة	د. على أحمد الخطيب	١٧٤٧
ابن حنبل (الإمام)	أ. عبد السلام إبراهيم ناصف	٢٤٩
		٤٠٢
ابن دريد (العالم اللغوى)	د. محمد رياض السيد كريم	٧٢٣
		٨٩٤
		١٢٠٠
		١٥٤٤
ابتهال	أ. ياسر صلاح قطامش	١٦٧٠
أبو حنيفة	الأستاذ عبدالسلام إبراهيم ناصف	١٨٦٤
أثر الصوم فى بناء الفرد والمجتمع	الشيخ حافظ سليمان	١٣٠٩
أجر من عزى مصابا	أ.د محمود سالم الخطيب	٨٢٢
الأخلاق للبنات	أ. عادل رفاعى خفاجة	٥٧٦
الإخلاص لله عز وجل	أ.د محمود سالم الخطيب	١١٠١
آراء ورؤى لفضيلة الإمام الأكبر	أ. عبد السلام ناصف	٧٩١
الإرساليات الأمريكية فى أفريقيا	أ.د عبد الله نجيب محمد	١١٤٩
أرفع الأعمال	أ.د محمود سالم الخطيب	١٢٨٩
أرى مولاى (قصيدة)	أ. لطفى محمد متولى	٢١٥
الأزهر وشيخه	أ. محمود محمد شرف الدين	٦٩٠
الأزهر والثقافة الجنسية	أ.د على أحمد الخطيب	٢٩٣
إزالة الزوج بكارة زوجته بغير الوطء (فتوى)	فضيلة الإمام الأكبر	٩٥٦
استفتاءات القراء	الشيخ السيد العراقى	١٣٢٨
		١٥١٢- ١٨١٨

أسد بن الفرات	المستشار محمد عزت الطهطاوى	١٦٤٤
استفت قلبك	الشيخ على حامد عبد الرحيم	٩٧٥
الإسراء والمعراج	للإمام الأكبر	١٠٨٦
الإسلام دين أكمله الله	الشيخ محمد حافظ سليمان	١٨٠٥
إن من الشعر لحكمة	أ.د محمد عبد الحكيم محمد	١٥١٦
الإسرائيليات فى التفسير والحديث	أ. عبد السلام ناصف	١٧٠٧
إسلام الدين	أ.د محمد إبراهيم الفيومى	٩٥٧
الإسلام ونهضة الأمة	أ.د محمد إبراهيم الفيومى	١٤٨٥
الإسلام يحرر الإنسان	أ.د محمد شامة	٥١٧
الإسلام والمرأة	أ. عبير محمد عبد الواحد	٥٢٢
		٦٧٣
		١١٧٢
الإشاعة بضاعة المنافقين	الشيخ معوض عوض إبراهيم	١٣١٤
الاصل الشرعى لمشروعية التأمين التبادلى	ا. د. عبد الله مبروك النجار	١٨٠٠
الأصول التى بنى عليها الإمام مالك مذهبه	أ.د محمود عبد المتجلى خليفة	١٤٧٢
الأعمال عند الله ببعة	الشيخ على حامد عبد الرحيم	١٢٨٦
الإقناع العقلى قبل رسالة إبراهيم	أ.د محمد رجب البيومى	٦٥٦
		٩٦٩
إلى الرحمن الرحيم أيها الراحل الكريم	د. على أحمد الخطيب	١٥٧٩
إلى الصرح الخالد (قصيدة)	الشاعر محمد صان الدين	١٦٧١
أملاك الدولة فى صدر الإسلام	المستشار جمال جودة اللبان	٥٠٤
		٦٦١
إنما الحلف حنث أو نديم	أ.د محمود سالم الخطيب	٣١٩
أنباء العالم الإسلامى	أ. مجدى عبد الحميد بشير	١٢٤
		٢٦٤ ، ٤٢٢ ، ٥٩١
		٧٥٣ ، ٩١٧ ، ١٠٥٨
		١٣٣٤ ، ١٤٠٤ ، ١٥٦٨
		١٧٢٥ ، ١٨٨٩
أنباء مكتب الإمام الأكبر	أ. عمر بسطويسى أ. مصطفى عبدالمجيد	١١٨

، ٢٥٩ ، ٤١٧ ، ٥٨٧
٢٥٠ ، ٩١٣ ، ١٠٥٣ ، ١٢٢٩
١٣٩٧ ، ١٥٦٤ ، ١٧١٨ ، ١٨٨٣

أهداف الحج ومقاصده	الشيخ عبد العزيز بن باز	١٦٢٢
أولو الأمر وواجبهم (فتوى)	الإمام الأكبر	١٥٥
الآيات البينات	الشيخ على حامد عبد الرحيم	١١٠٤
الإيمان برسالة محمد ﷺ	أ.د محمود سالم الخطيب	١٤٦٦
أين حقوق الإنسان (عتاب)	الإمام الأكبر	٤٧٣
أيها المسلم أتدرى من أنت (قصيدة)	أ. محمد عبد الرحمن صان الدين	٢١٤

حـرف البـاء

بعض استخدامات الليزر فى طب العيون	د. السيد يحيى الزيات	٧٠٥
بيان بشأن صيانة المقدسات الإسلامية	مجمع البحوث	٣٠٤
بيان بشأن مؤتمر بكين للمرأة	مجمع البحوث	٤١٥
		٤٦٩
بيان دور الاجتهاد فى الغرب (فتوى)	الإمام الأكبر	٧٨٤
بيان بعض أحكام الخنثى (فتوى)	الإمام الأكبر	٦٢٦
بيان فى شأن القدس	الإمام الأكبر	٧٩٩
بيان حكم رجل أنكر نسب أحد المقيمين معه (فتوى)	الإمام الأكبر	١٦٠١
البيمارستانات فى عهد الحضارة الإسلامية	أ.د أحمد فؤاد باشا	٨٤
بين المجلة والقارىء	د. محمد عبد الحكيم	١١٠

١٥٤ ، ٤١٠ ، ٥٨١ ، ٧٤٣
١٠٤٨ ، ١٢٢٣ ، ١٣٩٠
١٥٥٩ ، ١٧١٢ ، ١٨٧٩

بين المجلة والقارىء	أ. عادل خفاجة	١٣٩٠

١٧١٢ ، ١٨٧٩

البيوع التى تضر بالدين	أ.د رمضان السيوطى	١١١٩
برامج الحاسوب فى مجال العلوم الشرعية	أ. نبيل العربى	٢٢٤

حـرف التـاء

التأمين ومدى مشروعيته	أ.د عبدالله مبروك النجار	٣٧
تحذير المسلمين من الغزو الفكرى	د. محمود محمد رسلان	٤٩
تسبيح الكائنات	الشيخ عبد الفتاح جمعان	٨٠٩
التعايش السلمى مع إسرائيل	السيدة سناء السعيد	١٩٤٩
تعريف بفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى	مصطفى عبدالمجيد	١٧٥١
تفسير سورة الفاتحة	الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى	١٧٧٤
تفسير غضب موسى الكليم	د. عبد الفتاح أبو سنة	٢٤
تهنئة وشكر	الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى	١٧٥٠

حـرف الثـاء

ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن	أ.د محمود سالم الخطيب	٤٨١
ثقافة المجتمع السواحيلى	أ. عادل خفاجة	٢٤٤
تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية	أ.د أحمد فؤاد باشا	٧٠١

حـرف الجيم

جبال المغنطيس (قصيدة)	أ. محمد صان الدين	٦٩٢
الجديد فى العالم والتقنية	د. نجوى السيد أحمد	٩٣
		٢٢٣ ، ٣٨١ ، ٥٢٢ ، ٧١٥
		٨٨٦ ، ١٠٢٩ ، ١١٩٦ ، ١٣٥٦
		١٥٤٠ ، ١٦٨٤ ، ١٨٤٨
جلسة الوفاء	مصطفى عبدالمجيد	١٧٥٤

حـرف الحـاء

الحدود بين العفو والوجوب	أ.د محمود سالم الخطيب	٦٣٦
حرمة المساجد	أ.د محمود سالم الخطيب	١٨١
حسن جاد (دكتور)	أ. أحمد مصطفى حافظ	١٥٢٢
		١٦٩٦
حكم بث الفرقة بين الجاليات الإسلامية (فتوى)	الإمام الأكبر	٦٤٠

الحسن بن أحمد الهمدانى	أ.د أحمد فؤاد باشا	٢١٩
		٣٦٨
حضارة التعليم فى هذا الدين القيم	أ.د على أحمد الخطيب	١
		١٤٥
حسن جاد أديبا	الأستاذ أحمد مصطفى حافظ	١٨٥٨
حق الطريق فى الإسلام	الشيخ محمد حافظ سليمان	١٦٣٦
حقيقة التأمين وأركانه	د. عبد الله مبروك النجار	١٨٣
		٨٤٠ ، ١١٣٤ ، ١٣١٧
		، ١٨٠٠
حكم مختلس أموال الزكاة	الإمام الأكبر	١٢٦٩
حكم ميراث الولد العاق	الإمام الأكبر	١٠٩١
حوار مع نائب رئيس جامعة الأزهر	أ. فطيم سلامة	٣٤٧
فى حب النبى ﷺ (قصيدة)	أ. محمدى حسن الشافعى	٢١٦

حـرف الخـاء

خذوا عنى مناسككم	الشيخ على حامد عبدالرحيم	١٧٩٧
الخطبة الجامعة فى حجة الوداع	الشيخ محمد زين العابدين العزازى	٣٢٥
خلق المسلم	أ.د فاطمة عمر نصيف	٥٤
		٣٣٩ ، ٨٤٨
		١١٤٥ ، ١٤٩١
خواطر على أرض الرسول (قصيدة)	البسيونى قنعان	٢٥٩

حـرف الـدال

الداعية فى موقف الضيق	أ.د محمد رجب البيومى	٤٤٩
الدعاء والقضاء والقدر	د. محمد عبد الحكيم محمد	٩٠٦

حـرف الـذال

ذكرى ميلاد الرسول	فضيلة الإمام الأكبر	٢٩٦
ذكرياتى مع الشيخ عبد العزيز عيسى	أ. سيف النصر عبدالعزيز المجّلى	٦٨٣

حـرف الـراء

روابط المجتمع الإسلامى	الشيخ على حامد عبد الرحيم	٨٢٠

راويان وحديثان	أ.د محمود سالم الخطيب	٩٧٧
رثاء للشيخ الغزالى	مفتى استراليا	١٦٦٦
الرجعة	الشيخ زكريا أحمد نور	٩٩٧
الرجوع إلى الحق فضيلة	أ.د محمد عبدالوهاب عبداللطيف	٣١
رخصة الفطر للمسافرين	د. عبد الفتاح إبراهيم سلامة	١٢٩٩
الرسول يحذر أمته مزالق الشيطان	الشيخ على حامد عبد الرحيم	٢٨
الرسول وأدب الحوار	أ.د مصطفى محمد على الشكعة	١٠٠١
رمضان موسم الصفاء والنقاء	فضيلة الإمام الأكبر	١٢٦٤
رؤية تراثية فى الشعر العربى	د. محمد عبدالحكيم محمد	١٣٤١
رثاء فضيلة الإمام	رئيس الجمهورية	١٥٨١

حـرف الزين

زعيم (بَرْنو) المجاهد	د. عبدالله نجيب محمد	١٩٨
زكاة المدين فى الشريعة الإسلامية	د. أحمد محمود كريمة	١١٣٠
الزلازل بين القدرة والعبرة	أ. عادل خفاجة	٨٧٧
الزهد والتوازن فى الإسلام	الشيخ معوض عوض إبراهيم	١٠٠٨
الزهرى (الإمام)	أ.د أحمد السيد حطيبة	٧٣٧
		٩٨١

حـرف السـين

ستر الله ـ عز وجل ـ للمؤمن	د. محمود سالم الخطيب	١٧٩٤
سفيان الثورى (الإمام)	د. أحمد السيد أحمد حطيبة	٦٤٢
سن اليأس	د. أحمد رجائى	١٣٥٤
		١٥٣٨
سوانح ونصائح	الشيخ يوسف الدجوى	١٨٣٦
سياسة وأدب العقاب	الإمام الأكبر	١٤٨

حـرف الشـين

الشافعى الإمام	أ. عبد السلام ناصف	١٠٤٢
شرح ومعانى جزء عم	الشيخ أحمد أبوالفضل عوض الله	١٣٨٢
شعبة بن الحجاج بن الورد	أ.د أحمد السيد حطيبة	٤٨٩

الشمس والهلال والنجم ومواقعها فى الإسلام	أ.د على أحمد الخطيب	٩٤١
شهر شعبان وليلة النصف منه	فضيلة الإمام الأكبر	١٠٨٨
الشواهد النحوية بين اللغة والأدب	الشيخ عبد الحفيظ فرغلى	٩٦
		٣٨٦
		١٣٦٢
شيخ أدباء مصر	أ. ثريا محمد مصطفى	٢٤١
شيخ الأزهر وزيارة ناجحة للسنغال	السفير محمد عبد الرحمن دياب	١٨

حـرف الصـاد

الصبر على البلايا	الشيخ على حامد عبد الرحيم	٤٨٦
الصبر على البلاء	أ. محمد حافظ سليمان	٨١٦
الصراع الأدبى بين القديم والجديد	أ. أحمد مصطفى حافظ	١٣٧٦
الصيام من البداية حتى الإسلام	الشيخ طوسون إبراهيم حواش	١٣٦٠

حـرف الطـاء

طبقات المحققين والمصححين	د. السيد الجميلى	١٠٣٢
-أحمد زكى باشا وأحمد تيمور باشا وأمين الخانجى		١٢٠٦
دراسة وتقويم		١٠٣٢
إبراهيم الابيارى ، محمد محيى الدين		١٣٦٧
عبدالسلام محمد هارون		١٥٥٠
-أحمد محمد شاكر ومحمود محمد شاكر		١٦٨٨
طرائف ومواقف	أ. عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٦٢ ، ٢٠٤ ، ٣٥٤ ، ٥٣٢ ، ٦٨٨ ، ٨٥٤ ، ١٠٢٠ ، ١١٧٠ ، ١٣٣٠ ، ١٥٢٠ ، ١٦٥٤ ، ١٨٢٨

حـرف العين

عالم الغيب	أ.د على أحمد الخطيب	٦٢١
عتاب (قصيدة)	أ. السيد الصديق حافظ	٨٢
عطارد أقرب الكواكب إلى الشمس	أ.د أحمد فؤاد باشا	٥٤٤
عقد زواج المرأة المسلمة (فتوى)	الإمام الأكبر	١٤٤٠
عقيدة السلف وأصحاب الحديث	أ. عادل رفاعى خفاجة	١٢٢٠
العلوم التقنية فى التراث الإسلامى	أ.د أحمد فؤاد باشا	٨٧١
		١٠٢٢
		١١٨٦
على هامش المؤتمر الخامس للجامعات الإسلامية	أ. عمر البسطويسى	١٢٢
العمل الطيب عبادة	الشيخ على حامد عبد الرحيم	١٦١٤
عيد الفطر جائزة	الإمام الأكبر	١٤٣٨

حـرف الغين

غزوة بدر	د. على أحمد الخطيب	١٢٥٩
غاية تشوط (أدب)	الفريق يحيى المعلمى	٣٨٤

حـرف الفـاء

الفتاوى	أ. عبد المنعم فودة	٦٠
		٢٠١
		٣٤٥
		٥٢٦
		٦٨٠
فقر الدم الناجم عن تحلل الدم	د. جيهان أحمد مصطفى	٩٠
		٢٢٩ ، ٣٧٧ ، ٥٤٨ ، ٧١٢
		٨٨٣ ، ١٠٢٦ ، ١١٩٢٠
فلسطين فى لسان أبنائها (قصيدة)	أ. هشام أبو عيشة	١١٦

حـرف القـاف

القدس فى حديث مع الإمام الأكبر	أ. سناء السعيد	١٢

القدس مفتاح السلام والحرب فى الشرق الأوسط	أ. مصطفى دسوقى كسبة	١١٥١
		١٥٠٣
القدس وأموال العرب المغتصبة	أ. عادل خفاجة	١٠١٠
قراءة إسلامية فى كتاب الكون	أ.د أحمد فؤاد باشا	١٣٤٩
قراءة فى قرار الكونجرس الأمريكى	أ.د حسن محمد وجيه	١١٦٠
قضية الأسرى المصريين	أ. سناء السعيد	٧٩٥
القطة الواعظة (قصيدة)	أ. محمد صان الدين	٣٦٠
قواعد السلوك الاجتماعى	أ. الفريق يحيى المعلمى	١٧٧
		٤٧٦

حـرف الكاف

كذب المنجمون ولو صدقوا	الشيخ محمد محمد الحسينى	١٨١٣
كلمة رئيس الجمهورية فى المولد النبوى	الرئيس محمد حسنى مبارك	٤٤٨
كلمة الإمام الأكبر فى المولد النبوى	شيخ الأزهر	٤٥٨
كلمة الإمام الأكبر فى مؤسسة أم حبيبة	شيخ الأزهر	١٢٧٢
كلمة الإمام الأكبر عن الحج	شيخ الأزهر	١٥٩٥
كلمة الإمام الأكبر فى ختام دورة الأئمة	شيخ الأزهر	١١٨
كلمة الإمام الأكبر فى القضايا الجارية	شيخ الأزهر	٢٥٨
كلمة الإمام الأكبر فى الأمم المتحدة	شيخ الأزهر	٧٨٨
كيف نشكر الله على نعمائه	الشيخ على حامد عبد الرحيم	٣٢٢
كلمات فى رثاء الإمام الأكبر	هيئات مختلفة	١٥٨٦ ، ١٥٩٤
كيف واجه الأزهر نابلبون	المستشار محمد عزت الطهطاوى	٨٥٦

حـرف اللام

لعلم الإنسان حدود	د. على أحمد الخطيب	١٤٣٥
لم يبق فى الدوح (قصيدة)	ا. د. سعد ظلام	١٧٠٤
لماذا يخاف الغرب من الإسلام	ا. د محمد إبراهيم الفيومى	١٨٠٩
لمحات مما دار بين فضيلة الإمام الأكبر وكبير اساقفة لندن	ا. عبدالسلام ناصف	١٢٧٦

حـرف الميـم

مادار فى مؤتمر التحديات المعاصرة	**ا. محمود عبدالجواد الفشنى**	**٢٦٦**
ماذا يقول لدى الخلود رثائى (قصيدة)	ا. إبراهيم عيسى	١٣٤٦
مالك ـ تجارب حياة ـ	ا. عبدالسلام ناصف	١٢١٦
متاعب الثدى	د. أحمد رجائى عبدالحميد	١٦٨١، ١٨٤٣
المجتمع السواحيلى	ا. عادل خفاجة	١٠٦
مجلة الأزهر وقراؤها	ا. د. على أحمد الخطيب	٧٨١
محاسبة النفس	الشيخ محمد حافظ سليمان	١١٤١
محبة الله ورسوله	الشيخ محمد فتحى عبدالصادق	٣٣٦
محمد الغزالى (الشيخ)	ا. د. محمد رجب البيومى	١٦٦٠
محمد محمود فرغلى (الدكتور)	ا. د. محمد عبدالحكيم محمد	٢٠٦
محمد بخيت المطيعى	ا. د. محمد رجب البيومى	١١٧٥ ، ١٣٢٣
مدرسة الحديث بالحجاز	ا. د. أحمد المعصراوى	١٦١٩
المدونة الكبرى فى الفقه الإسلامى	ا. د محمود عبدالمتجلى خليفة	٤٩٠ ، ٦٥٠ ، ٨٣١ ، ٩٨٧ ، ١١٠٨
مذكرة لكل صائم	ا. د محمود عبدالمتجلى خليفة	١٢٩٢
مرحبا ياشهر الرضا (قصيدة)	د. محمد فخر الدين القعقاع	١٣٤٨
المروءة	الشيخ على حامد عبدالرحيم	١٤٦٩
المسجد الأقصى فى الكتاب والسنة	ا. د. محمود حمدى زقزوق	٥١٠
مشكاة السنة النبوية	ا. صلاح محمود العربى	٣٧٢
مشكلة المياه وحلولها	ا. د. أحمد فؤاد باشا	١٥٣٢
مصطفى صبرى شيخ الإسلام	ا. د. محمد رجب البيومى	٦٤
مصطفى صبرى شيخ الإسلام	ا. د. توفيق إسلام يحيى	٨٦٣
مع أدب الكاتب	ا. محمد ابراهيم الفيومى	٣٩٩
مع التقدير والإنصاف	ا. صابر أحمد تعلب	٧٣٣
مع الدكتور عبدالوهاب عزام	ا. أحمد مصطفى حافظ	١٠٢ ، ٢٣٦ ، ٣٩٢ ، ٥٥٨ ، ٧٢٩ ، ٩٠٠ ، ١٠٣٦ ، ١٢١١ ،

المعصية بين الفرد والمجتمع	د. محمود محمد رسلان	١٦٤٢
مع سورة الفاتحة	ا. د. إبراهيم خميس	٢٠ ، ١٧٣ ، ٣١٥ ، ٦٣٠ ، ٨٠٣
مع سورة يس	ا. د. إبراهيم خميس	٩٦٣ ، ١٠٩٥ ، ١٢٧٩ ، ١٤٥٢ ، ١٦٠٩ ، ١٧٨٠
مفهوم الإيمان	الشيخ طوسون إبراهيم هواش	١٨٧١
من أئمة الفقه	ا. محمد إبراهيم الدمرداش	١١٢
مناقب الإمام أحمد بن حنبل	ا. عبدالسلام ناصف	٥٧٢ ، ٧٣٨
من دلائل القدرة الإلهية	ا. د. أحمد فؤاد باشا	١٦٧٦ ، ١٨٣٩
من دلالة الهجرة النبوية	الشيخ محمد حافظ سليمان	٦٧٦
من ذكريات الأعياد	الشيخ عبدالعزيز رضوان	١٤٨٢
من سيرة شيخ الإسلام مصطفى صبرى	الشيخ توفيق إسلام يحيى	٥٣٩
الملك لك (قصيدة)	الشاعر إبراهيم عيسى	٢١٤
من فوائد الإنفاق	ا. د محمود سالم الخطيب	١٦١٦
المنهاج الإسلامى فى صنع القرار	ا. لواء فوزى محمد طايل	١٩٢
من وحى هجرة الرسول ﷺ	**الشيخ عبدالعزيز أحمد رضوان**	**٣٤**
موقف النحاةمن الاحتجاج بالقرآن	**ا. صلاح موسى البربرى**	**٥٥٤ ، ٧١٩**
ميلاد النبى ﷺ	**ا. نجاة شاور ربيع**	**٣٥٧**

حـــرف النــون

نظرات فى ألفاظ القرآن الكريم	الشيخ عبدالفتاح جمعان	١٤٥٨، ١٧٨٨
نظرة فى مؤتمر بكين	ا. عادل خفاجة	٦٦٩
نور من مكة ﷺ	الشيخ أحمد بن محمد طاحون	١٦٣٠
النبوة والبشر	ا. د. على أحمد الخطيب	٤٤٥
نداء وبيان عن القدس	الإمام الأكبر	٩٥٢
نظرات حول الشهنامة	ا. محمد عبدالوهاب	١٥٥٦

حـرف الهـاء

هو الإحسان فالزم (قصيدة)	ا. رمضان ابو غالى	٥٣١
هل من حلقة أخيرة بشأن القدس	ا. د. على أحمد الخطيب	١٠٨٣
وأذن فى الناس بالحج	ا. عبدالفتاح الزيات	١٦٧٢
وثيقة الزواج الجديدة	ا. هشام العجمى	١٦٤
وداعا شيخ الإسلام	ا. د. مصطفى الشكعة	١٦٥٦
وصية أم عربية (قصيدة)	للشاعرة جليلة رضا	٩٦٤
وصية الإمام الأكبر	شيخ الأزهر	١٥٨٢
الوصية بالوالدين	الشيخ أحمد بن محمد طاحون	٦٦٦
وقفة مع ديوان أنا مسلم	ا. محمد عبدالوهاب	٥٦٣
ولاية عقد النكاح	ا. أحمد مصطفى عبدالحميد	٣٣١

حـرف اليـاء

ياخيل الله اركبى	الشيخ على حامد عبدالرحيم	٦٣٩
يارحمة الرحمن (قصيدة)	ا. رشاد محمد يوسف	٣٥٨

حـرف الـواو

الوثائق السياسية والإدارية	أحمد السيد تقى الدين	·١٨٧٤

RAMADAN 1416 H. (Janvier-Février - 1996)

1. **Les preuves scientifiques de l'Islam Extrait de l'ouvrage (suite)**
   traduit par Dr. Rokeya Gabr
2. **Le Jeûne en Islam**
   par Dr. Amr Ahmad Mokhtar

CHAWAL 1416 H. (Février-Mars - 1996)

ZHOUL KEIDA 1416 H. (Mars-Avril - 1996)

1. **Ce qu'il faut savoir au sujet du pèlerinage**
   par Dr. Rokeya Gabr
2. **Said Ibn Zaid Ibn Nofail (suite)**
   par Hoda Hussein Chaaraoui

ZHOUL HIGJA 1416 H. (Avril-1996)

1. **Les pèlerins à Mina**
   par Dr. Rokeya Gabr
2. **Le mérite des dix promus pour le Paradis**
   par Hoda Hussein Chaaraoui

Mohammad Omar Mohammad

2. **Les preuves scientifiques de l'Islam**
   Extrait de l'ouvrage (suite)
   traduit par Dr. Rokeya Gabr
3. **Abdel Rahman Ibn Awf**
   par Hoda Hussein CHaaraoui

GUMADI AL OULA 1416 H. (Octobre-1995)

1. **Les preuves scientifiques de l'Islam**
   Extrait de l'ouvrage (suite)
   traduit par Dr. Rokeya Gabr
2. **Abdel Rahman Ibn Awf (suite)**
   par Hoda Hussein Chaaraoui

GUMADI AL AKHIRA 1416 H. (Novembre-1995)

1. **Les preuves scientifiques de l'Islam**
   Extrait de l'ouvrage (suite)
   traduit par Dr. Rokeya Gabr
2. **Sa'ad Ibn Abou Waqas**
   par Hoda Hussein Chaaraoui

RAGAB 1416 H. (Décembre-1995)

1. **Les preuves scientifiques de l'Islam**
   Extrait de l'ouvrage (suite)
   traduit par Dr. Rokeya Gabr
2. **Sa'ad Ibn Abou Waqas (suite)**
   par Hoda Hussein Chaaraoui

CHAABAN 1416 H. (Décembre-Janvier - 1996)

1. **Les preuves scientifiques de l'Islam**
   Extrait de l'ouvrage (suite)
   traduit par Dr. Rokeya Gabr
2. **Said Ibn Zaid Ibn Nofail**
   par Hoda Hussein Chaaraoui

LA REVUE D'AL AZHAR

EN 1416 H. (1995-1996)

AL MOHARRAM 1416 H. (Juin-1995)

1. **Talha Ibn Aubaidallah**
   Qu'Allah soit Satisfait de lui
   par Hoda Hussein Chaaraoui
2. **Si tu veux te rapprocher d'Allah**
   Prosterne-toi
   par Islam Abdel Raouf Mohammad

SAFAR 1416 H. (Juillet-1995)

1. **Az-Zoubair Ibn Al-A'wam**
   L'apôtre du Messager d'Allah
   par Hoda Hussein Chaaraoui
2. **Les plantes dans le Coran**
   par Ghada Abdallah

RABEI AL AWAL 1416 H. (Août-1995)

1. **Les preuves scientifiques de l'Islam**
   Extrait de l'ouvrage
   traduit par Dr. Rokeya Gabr
2. **Les descriptions du paradis dans le Coran**
   par Amina Soliman

RABEI AL AKHIR 1416 H. (Septembre-1995)

1. **Communiqué de l'Académie de Recherches Islamiques d'Al Azhar à l'occasion de la 4ème Conférence mondiale sur les femmes, à Pékin, en septembre 1995**

Prophète (b.s.) lors de l'émigration pour Médine. Allah a voulu graver cela dans le souvenir des générations futures grâce à Sa Parole révélée :

[Allah l'a déjà secouru, lorsque les incroyants l'ont renvoyé; il était lui et le deuxième des deux (compagnons) quand ils se trouvaient dans la grotte et qu'il disait à son compagnon: "Ne t'affige pas, car Allah est avec nous !".]

Sourate (9) "Al-Tawba" (Le Repentir), v.40.

Le Prophète (b.s.) dit alors à Abu Bakr : "Tu étais mon compagnon dans la caverne et tu seras mon compagnon près du Bassin, le Jour du Jugement Dernier." (Hadith rapporté par Al Tirmidhi).

Celui qui s'est distingué par sa générosité et ses dépenses pour la cause d'Allah, fut Othmân qui acheta le puits de Ruma[1] et équipa l'armée musulmane pour la bataille de Tabuk[2].

On peut citer une multitude d'autres exemples, en fait ces hommes n'étaient qu'un exemple de ce qu'étaient les compagnons du Prophète (b.s.). Si Allah leur a annoncé le Paradis, cela ne veut pas dire que les autres en seront privés; car si l'un est décoré pour son courage, cela ne signifie pas que les autres sont lâches. Ces dix sont pourvus de certaines qualités qui les rendent aptes à gouverner l'état; c'est pour cela qu'on trouve parmi eux les quatre califes ainsi que les six du Conseil de consultation qu'Omar choisit pour accéder au califat après lui.

Ces hommes et ces femmes éduqués par le Messager d'Alah (b.s.) formaient le type même de la société islamique. Après la mort du Messager d'Allah (b.s.) c'est eux qui ont oeuvré en vue d'instaurer une société qui, par sa foi et sa législation, mettait en application les enseignements de l'Islam.

Note (1) Lorsque les musulmans émigrèrent à Médine ils étaient pauvres. Un juif détenait le puits de Ruma et l'exploitait en leur vendant l'outre en échange d'une grande somme d'argent. Alors le Prophète (b.s.) souhaite qu'un de ses compagnons l'achetât pour faciliter la vie des musulmans : Othmân s'empressa de répondre à ce souhait.

Note (2) La bataille de Tabuk eut lieu durant l'été torride d'une année de sécheresse et de disette. Les musulmans manquaient d'équipement ... C'est pourquoi le Prophète (b.s.) incita à participer à cette bataille et à approvisionner l'armée. Chaque musulman donna selon ses moyens; même les femmes firent don de tous leurs bijoux; mais cela ne suffisait pas, alors le Prophète (b.s.) prononça sa fameuse parole : "Celui qui équipe l'armée en ces moments difficiles (Al 'Usra) obtiendra le Pardon d'Allah." Ce fut Othmân qui répondit à l'appel et qui mérita donc cet honneur et cette gratification.

Jardins sous lesquels coulent les rivières, et ils y demeureront éternellement. Voilà l'énorme succés].

Sourate (9) "Al-Tawba" (Le Repentir), v.100.

L'annonce de la bonne nouvelle a été aussi faite à ceux qui ont juré fidélité au Prophète (b.s.) sous l'arbre baptisé (Ridhuâne) Allah a dit à leur sujet :

[Allah a très certainement agréé les croyants quand ils t'ont prêté le serment d'allégeance sous l'arbre. Il a su ce qu'il y avait dans leurs coeurs et a fait descendre sur eux la quiétude et Il les a récompensés par une victoire proche].

Sourate (48) "Al-Fath" (La Victoire échatante), v.18.

Ainsi l'annonce de la bonne nouvelle s'adresse à tous les émigrés et à tous les alliés, Allah dit en leur faveur :

[Allah a agréé le repentir du Prophète, celui des émigrés et des alliés qui l'ont suivi dans un moment difficile, après que les coeurs d'un groupe d'entre eux étaient sur le point de faiblir. Puis Il accueillit leur repentir car Il est Compâtissant et Miséricordieux à leur égard.]

Sourate (9) "Al Tawba" (Le Repentir), v.117.

Néanmoins les dix promus pour Le Paradis se distinguent tout particulièrement par quatre qualités. La première de ces qualités c'est qu'ils ont été les premiers à embrasser l'Islam. Nous savons que dès que le Prophète (b.s.) annonça sa mission, Abu Bakr fut le premier homme à répondre à son appel et à adhérer à l'Islam. Puis suivirent Ali Ibn Abou Taleb, Sa'ad Ibn Abou Wakas était le quatrième des musulmans. La deuxième qualité c'est l'émigration: tous les dix ont émigré pour Médine. La troisième qualité c'est le combat pour la cause d'Allah: les dix ont combattu, ils étaient derrière le Prophète (b.s.) dans la prière, mais le dévançaient dans les combats. Enfin la dernière qualité c'est que l'annonce de la rétribution par le Paradis ne les a pas tous inclus dans un même Hadith; mais chacun séparément dans une circonstance particulière ... ainsi, par exemple, nous citans Abu Bakr qui accompagna le

Le mérite des dix promus pour le Paradis

par Hoda Hussein Chaâraoui

Les articles que nous avons mis entre les mains des lecteurs - durant plusieurs semaines - ont révélé les côtés lumineux et les attitudes glorieuses - dans les circonstances les plus difficiles - d'une petit groupe d'hommes qui ont vécu du temps du Prophète Mohammad (b.s.)

Ce sont les meilleurs de ses compagnons ... Ils ont cru en lui, l'ont assisté, soutenu et ont suivi la lumière de la Vérité qu'il apportait avec lui. C'étaient des hommes qui étaient restés fidèles au pacte qu'ils avaient conclu avec Allah. Qui sont-ils ? D'abord les quatre Califes: Abu Bakr, Omar, Othmân et 'Ali. Viennent ensuite les six autres: Abu 'Ubaïda Ibn Al Garrah, Talha Ibn 'Ubaïdallah, Az-Zobaïr Ibn Al-Awam, Abd Ar-Rahman Ibn Ouf, Sa'ad Ibn Abu Wakas et Saïd Ibn Zaïd Ibn Nufaïl.

En fait, ils n'étaient pas dix seulement, mais ils étaient bien plus nombreux. A travers leur portrait, nous pouvons reconnaître celui de tous les autres compagnons qui ont été promus pour le Paradis et dont ils ne sont que les représentants. Allah - qu'Il soit exalté - a également promis le Paradis aux émigrés et aux alliés (Muhadjerines et Ançars) Il a dit à leur sujet:

[Les tout premiers croyant parmi les émigrés et les alliés et ceux qui les ont suivis dans un beau comportement, Allah les agrée et ils l'agréent. Il a préparé pour eux des

Section Française

Les pèlerins à Mina

Après la station à 'Arafat, les pèlerins déferlent sur la vallée de Muzdalifa où ils accomplissent-en les groupant-les prières du coucher du soleil (Al Maghrib) et celle la nuit close (Al 'Isha'). C'est à Muzdalifa qu'ils doivent ramasser quarante-neuf cailloux avec lesquels ils lapident les stèles de Satan. Ensuite, après avoir passé une grande partie de la nuit dans cette vallée, ils se dirigent vers Mina.

Comme la station de 'Arafat, le séjour à Mina est l'un des piliers fondamentaux du Hadj (ou Grand Pèlerinage). Les pèlerins passent au moins deux jours, trois de préférence: (du 10 au 12 ou même au 13) du mois de Dhul-Hiddjah à Mina. Ce sont en fait les trois premiers jours de la Fête du Sacrifice" ("Id Al Adha").

Durant ces trois journées appelées "Ayam Al Tachriq" les pèlerins viennent lancer les caillaux (Al Jamarates) pour lapider Satan symbolisé par trois stèles: ils expriment par ce geste symbolique leur volonté de résister à toutes les tentations de Satan visant à les écarter du Droit Chemin.

Durant l'une de ces trois journées, les pèlerins se rendent à la Mecque en vue d'accomplir la tournée processionnelle autour de la Ka'ba. Cette circumambulation appelée "Tawaf al Ifada" est l'un des rites fondamentaux du Hadj. Après l'avoir accompli et avoir immolé son offrande, le pèlerin se désacralise entièrement et peut reprendre sa vie normale.

Ô Allah, agrée le pèlerinage de Tes pieux serviteurs, fais qu'ils rentrent dans leur pays laves de leurs souillures et pardonne leurs péchés.

par Dr. Rokeya Gabr.

7. **The Issues of the Hour**
The aliments of the African Continent
By : Nahed Mohamed Wasfi Ph.D.
P. 137

8. **The Religion of Islam**
By : Sheikh Muhammed M. Geme'a
P. 1250

9. **The Speech of his Eminence Sheikh Gad El-Haq Ali Gad El-Haq on the occasion of the one Hundredth Anniversary festival of Om Habiba Masjid (South Africa)**
P. .... 1432.

10. **Why Islam ?**
Proofs of Modern Science
Part I 1744
Part II 1925

Index 1416 H

1. **Difficulties in translating coordination in Qur'anic verses**
By : Maha Yousry El-Tagoury Ph.D.
P. P. 142, 283, 436, 611, 769, 931, 1074, 1256, 1421, 1576, 1741.

2. **Fasting : The fourth pillar of Islam**
By : Sheikh Muhammed M. Geme'a
P. 1426

3. **Islam as a source of balance and unity**
By : The Late Grand Sheikh Gad El-Haq Ali Gad El-Haq.
P. 1931

4. **Statment of the Islamic Research Academy Pertaining to the fourth International Conference on the Status of Women to be held in Beijing 1995 A.D.**
P. 618

5. **The Final Troop.**
By : Amr Abdel Taw'wab Alian.
P. 1571

6. **The Great Battles of Islam**
By : Nahed Mohamed Wasfi Ph.D.
The Battle of "Badr" 290
The Battle of Uhud 442
The Battle of the Clans 778
The Hudaybiyya Peace Treaty
and the Conquest of Mecca 938
The Defeat and Fall of Khaibar 1080

day to the Prophet about being badly treated by his nextdoor neighbour. The Prophet sent three of His most important companions — Abu Bark. Omar and Ali — to annouce at the doors of the mosque that "even 40 houses away, people are still neighbours" and that "a man who frightens his neighbour will not go to heaven".

Islam says neighbours are supposed to help and look after each other, whatever their race or religion. The Prophet blessed and consecrated the tie between neighbours in a famous Hadith: "The angel Gabriel urged me so strongly to look after my neighbour that it seemed he wanted me to make him my heir." Islam also decrees a family which is bound by sufficiently strong blood and spiritual ties to act as a safety valve for society.

Islam is above all a humanitarian religion which can raise humanity to the greatest heights of morality and civilization. It is like a cloth coloured black, white and red.

No sorrow or pain

Because of its balance between materialism and spirituality, Islam has united humanity in solidarity and love. If governments followed its principles, people would be much happier and more prospegrous and communications between them-the inhabitants of this "global village" -would throb flawlessly and joyously with life. There would be no sorrow or pain. It would unite, not divide, and recall the blessing of Allah as described in the Holy Koran: "O mankind, we have created you male and female, and appointed you races and tribes, that you may know one another. Surely the noblest among you in the sight of Allah is the most righteous of you. Allah is All-knowing, All-aware.[5]

---

5. Sura XLIX, Apartments, verse 13.

rituality through marriage, productive work and the strengthening of social relations. So a fin balance has been struck between the spiritual and the material. It has made secular and religious actions complementary instead of antagonistic.

Islam encourages young people to marry quite early, so as to protect their chastity and encourage them to have children to people the world and stimulate life on earth. It extols work and prefers the worker to the idle person.

Allah founded rites such as prayer, zakat, fasting and pilgrimage to Mecca so as to maintain His link to each human being, making a person think night and day of the blessings of the Almighty, to protect him from error, encourage him to do good and to prevent him from sliding into the abyss of corruption.

So Islam has devised a marvellous whole by trying to blend the material and the spiritual, and action and worship, while encouraging people to enjoy life on earth and to build the world. As the Holy Koran says: "Say: 'Who has forbidden the ornament of Allah which He brought forth for His servants, and the good things of His providing?"[4]

Islam has thus forged solid ties of friendship, love sympathy and altruism between people, putting aside differences of colour, race or religion.

A neighbourhood acts as a bond between people through houses and work in fields, factories or offices. So Islam has laid down clear rules for governing relations between neighbours, especially between households.

He who goes to sleep after eating well while his neighbour has no food is not a good Muslim, any more than someone who harms his neighbour.

Islam says that your neighbour is not just the person who lives next door. A neighbour is anyone living in the 40 houses nearest to yours. The life of the Prophet tells us of the man who complained one

4. Sura VII, The Battlements, verse 32.

The Islamic constitution, which has been tried and tested over a long period, is in the best position to be applied because it guarantees the right of all to a life of dignity, equality pursuit of knowledge as the duty of all Muslim men and women. It also guarantees freedom of thought, which some Islamic thinkers have considered a religious requirement. Islam has also stipulated equal rights and duties between men and women. It considers women a haven of peace and a source of tenderness and compassion for men.

Many other tenets have been developed by Islam to ensure the happiness of people, and the most effective is the wonderful balance between the material and the spiritual.

The five sins

Human happiness cannot of course be based just on material preoccupations, like making money by all means legal or illegal, or like leading a dissolute life of alcohol, gambling, drugs or lust, all of which are now common. Social life today has become sad and miserabe, unemployment has risen, bringing despair and suicide. Virtue is in decline. Abortions among girls have increased, as has homosexuality among boys. Deadly epidemics are spreading and the science of man has not yet managed to defeat them. The Prophet foresaw this when He spoke of the "five sins which will precede your fall and sow among you plague and suffering."

Just as excessive materialism eats away at human societies, so excessive spirituality limits the ability to work and the potential for creativity. Devoting oneself to religion and not marrying is an obstacle to society's well-being, development and prosperity. Exaggerated devotion, which scorns life's material necessities, harms human communities just as excessive pursuit of material goods without religious activity does.

The abyss of corruption

Based on these tolerant principles, Islam has overcome the obstacle of materialism through devoutness, as it has broken excessive spi-

towards the noble goal of making every human being happy, whatever his colour, sex, race or religion.

This respect for human beings which we preach for the good of humanity is called for by the Islamic faith, as revealed by Allah in the Holy Koran: "We have honoured the Children of Adam and carried them on land and sea, and provided them with good things, and preferred them greatly over many of those We created."[1]

This praise of the Sons of Adam extended as far as Allah preferring them to the angels who sung His praises. Did He not command them to bow down before Adam? "And when We said to the angels, 'Bow yourselves to Adam', so they bowed themselves, save Iblis; he refused and waxed proud, and so he became one of the unbelivers."[2]

Differences of colour and language are some of the prejudices human communities use against others, but these differences are seen by Islam as a manifestation of Allah and a marvel of the Creator. Allah tells us in the Holy Koran: "And of His signs is the creation of the heavens and earth and the variety of your tongues and lives. Surely in that are signs for all living beings."[3] The Prophet Muhammad said in His Holy Hadith that "the only difference between an Arab and a stranger, between a black and a white person, is in his degree of piety".

So there is complete equality between all people. Islam has laid this down, built it up and applied it to everyone who has lived under the protection of the Islamic state, regardless of their beliefs, colour or languauge. We should remember the story of the young Egyptian Christian who complained to the Caliph Omar after being attacked by a son of the Islamic ruler of Egypt, Amr Ibn al-A'ass. The Caliph addressed the following memorable words to the governor and his son: "By what right do you enslave people? Were they not born free?" And he gave a whip to the young Copt and ordered him to chastise the governor's son, saying twice: "Strike this noble's son."

---

1. Sura XVII, The Night Journey, verse 70 (interpretation by Arthir J. Arberry).
2. Sura II, The Cow, verse 34.
3. Sura XXX, The Greeks, verse 22.

Islam as a source of balance and unity

By the Late Grand Sheikh Gad Al-Haq Ali Gad Al-Haq

Neither the market economy, scientific and technological progress nor democratization have been harnessed to serve humanity. (A presentation of the dossier's theme preceded, Ed.)

We see just the contrary with ambiguities and questions surrounding the market economy as it benefits one sector of humanity at the expense of another. For the rich get richer while the poor stay hungry, despite owning and producing the world's raw materials. It is disgraceful that millions of people die of hunger every year while a few thousand rich people die of indigestion. Scientific and teehnological progress would be a wonderful feature of civilization if it was not used to wipe out human beings, start wars, destroy property and distort the image Allah has created of man. Such progress is infinitely more harmful than good.

Democratic but racist

As for democracy, some countries boast of it while denying it to developing peoples by methods well-known to sharp-eyed observers. And some countries even call themselves democratic while continuing to discriminate on the basis of colour, race and religion. This is happening in Bosnia-Herzegovina, Chechnya, Palestine, Kashmir and other places and is a black mark against supposed democracy.

Man is the basis of the world's prosperity. Allah has chosen him from all the other creatures which He made to serve and comfort Him. So man is the cornerstone of the planet. Which means that any reform is in vain as long as one human being is deprived of his rights, his freedom and his ability to decide for himself. Since our job is to tell the truth, we must grasp the rudder of humanity and guide it

• Verily a Day *with* thy Lord is like a thousand years of your reckoning• [22/47]

• Then it *winds* (unto) him, on a day the measure of which is a thousand years of your reckoning• [32/5]

• The angels and the Spirit *wind* (unto) Him in a Day the measure whereof is (as) fifty thousand years• [70/4]

7- The Sun and the moon :

The sun is an incandescent star that supplies light and thermal energy to the surrounding planets. The cold moon surface reflects solar light that illuminates the earth nights. This contrast in nature and role between the sun and the moon is quite defined in the Qur'anic texts :

• And placed therein a blazing lamp• [78/13]

• Blessed is He Who made constellations in the *Heaven* and placed therein a lamp and a Moon giving light• [25/61]

• And made the moon a light in their midst, and made the sun as a (glorious) lamp• [71/16]

The apparent shape of the moon changes in a cyclic fashion each lunar month, from crescent to quarter to gibbous to full moon. These phases are a resuit of the relative positions of the moon to both the sun and the earth. The Qur'an says :

• And the moon to be a light (of beauty), and measured out stages for it• [10/5]

• And the moon We have measured for *its* stations to traverse• [36/39]

A solar year = 365.2422 days, while a lunar year = 354.6036 days. Hence, 300 solar years precisely equal 309 lunar years, to the fourth decimal, no more no less. How precise is the Qur'an in stating that the People of the Cave stayed there for 300 years; that are also 300 "and" 9 more years, i.e. 300 solar years or 309 lunar years :

• So they stayed in their cave three hundred years, and Nine more• [18/25]

(To be Continued)

Other verses in the Qur'an refer to the continuous penetration of the earth atmosphere by meteors. These are counted in billions daily, and are of widely varying sizes. Most of these are burnt away before striking the earth, as these verses indicate :

*** But any that gains a hearing by stealth, is pursued by a firey** *meteor,* **bright (to see)* [15/18]**

*** And we pried into the (secrets of) heaven; but we found it filled with stern guards and** *meteors** **[72/8]**

The Quraan also describes the hardships exercised during rising to high altitudes, such as chest narrowness and difficulty of respiration :

*** Those whom He willeth to leave straying, - He maketh their breast close and constricted, as if they had to climb up to the skies* [6/125]**

Reference is also made to vision impairment as a possible effect of space travel. Such symptoms have been reported by space astronauts during space swimming experiments outside space vehicles :

*** Even if We opened out to them a gate from heaven, and they were to continue (All day) ascending therein, They would only say: "Our eyes have been intoxicated: Nay, we have been bewitched by sorcery"* [15/14-15]**

6- Time relativilty :

On earth, time is measured by the rotation of the earth around its own axis (days), and its orbiting around the sun (years); or by the rotation of moon around the earth (lunar months and years). Other units of time e.g. solar months, hours, minutes and seconds; are all conventional units devised by us; to subdivide the naturally observed days and years into appropriate units. However, all these units are peculiar to our planet earth. They have no physical meaning anywhere else outside. In the universe at large, time is only relative. This concept of relativity of time in the universe is underlined in the following Qur'anic statements :

Parts of this "smoke" has condensed (and some are still condensing) into galaxies of stars, planets and moons.

According to recent measurements and calculations, the whole universe is continuously expanding. This was referred to in the following verse:

"We have built the Heaven with might and We indeed are extending (it)" (51/47)

5- Space travel :

Everything in space: the stars; the planets; or the moons are continuously moving in well defined trajectories and speeds. According to the General Relativity theory, the direct path between any two moving points in the universe should be curvilinear. The Qur'an describes such motion in space by the word "urooj", which in Arabic means: winding, deflection or curving :

*** ... what comes down from the heaven and what *winds (up)* to it* [57/4]**

*** All that comes down from the *Heaven* and all that *winds (up)* thereto* [34/2]**

*** *(A penalty) from Allah, Lord of the windings.* The angels and the Spirit *wind* (unto) Him in a Day the measure whereof is (as) fifty thousand years* [70/3-4]**

The Qur'an points out to the possibility, in principle, of human travel into space, once the necessary power and technological capabilities are acquired. However, risks e.g. meteors and radiation are expected and are also referred to in the verses :

*** O ye assembly of Jinns and men! If it be ye can pass beyond the zones of the heavens and the earth, pass ye! Not without authority *(through science or knowledge)* shall ye be able to pass!* [55/33]**

*** On you will be sent (O ye evil ones twain!) a flame of fire (to burn) and a (flash of) molten brass. No defence will ye have* [55/35]**

"The angels and the Spirit ascend unto Him in a Day the measure whereof is (as) fifty thousand years" (70/4)

The non-central role of the earth is consistently implied in the Quraanic expressions. Whenever the words "earth" and "heavens" come adjacently in the Quraan, "heavens" comes first (174 different verses). An example is:

"We created not the heavens and the earth and all between but with just ends, and for a term appointed" (46/3)

Obviously, an endless universe should contain endless types of creatures and forms of life, beyong what we could possibly imagine. Life is not confined to the human and other biologic forms of earthly life. This is what the following verses imply:

"And among His Signs is the creation of the heavens and the earth and the living creatures that He has scattered through them" (42/29)

"And to Allah doth prostrate all that is in the heavens and on earth, whether moving creatures or the angels" (16/49)

"The Trumpet will (just) be sounded, when all that are in the heavens and on earth will swoon" (39/68)

The origin of earth, as well as the whole of the visible universe, is believed to be a high density material that have exploded; through what scientists nowadays call: the "big-bang". This concept agrees with the verse:

"Do not unbelievers see that the heavens and the earth were joined together (as one unit of creation), before We clove them asunder?" (21/30)

The exploded mass formed large nebulae of dust and gas that spread in space, as the following verse states:

"Then He turned to the Heaven, and it had been (as) smoke. He said to it and to the earth: "Come ye together, willingly or unwillingly". They said: "We do come (together), in willing obedience"." (41/11)

WHY ISLAM
Proofs of Modern Science
Part II

by Nabil Abdel-Salam Haroun

More Proofs

3 — pairity of creatures:

The Quraan states in an affirmative manner that "everything" in nature exists in pairs :

"And of everything We have created pairs" (51/49)

We now know that this applies to the whole animal kingdom; the hugest creatures as well as the infinitesimally small i.e. viruses, bacteria and microbes, all being in pairs: male and female. Pairity also applies to plants that have stamens carrying pollen (male) grains and carpels whose ovule carries (female) eggs, a fact that was not known at the time of the revelation of the Quraan:

"and fruit of every kind He made in pairs, two and two" (13/3)

Pairity even applies to solid matter. On the smaller end, we have atoms consisting of positively charged protons and negatively charged electrons, in pairs. The existence of negative anti-protons and positive electrons (positrons), as well as several pair varieties of other nuclear particles has been verified. On the other end of the scale, in the universe at large, cosmic bodies are believed to have their "negative" counterparts; the so called "black holes"

4 — The nature of the cosmos:

The planet earth is not - as the ancient Greek philosophers believed -the centre of the universe. Rather, it is no more than a tiny spot in the limitless universe. Limitlessness is expressed by the verse:

AL-AZHAR MAGAZINE

Zu - 1 - Hejja 1416 H

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION

Vol . 68 Part XII

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah : .
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Depf . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهـــــرس

● الافتتاحية الأئمة العباقرة
للدكتور على أحمد الخطيب ١٧٤٧
● تهنئة وشكر لفضيلة الإمام الأكبر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ... ١٧٥٠
● تعريف بفضيلة الإمام الأكبر ١٧٥١
● جلسة الوفاء
إعداد الأستاذ مصطفى عبدالمجيد ١٧٥٤
● تفسير سورة الفاتحة
لفضيلة الإمام الأكبر ١٧٧٤
● مع سورة ياسين
للدكتور إبراهيم خميس ١٧٨٠
● نظرات فى ألفاظ القرآن الكريم
لفضيلة الشيخ عبدالفتاح السيد جمعان .. ١٧٨٨
● ستر الله ـ عز وجل ـ للمؤمن
للدكتور محمود سالم الخطيب ١٧٩٤
● قبس من أنوار النبوة
للشيخ على حامد عبدالرحيم ١٧٩٧
● الأصل الشرعى لمشروعية التأمين التبادلى (٥)
للدكتور عبدالله مبروك النجار ١٨٠٠
● الإسلام دين أكمله الله
لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان ١٨٠٥
● لماذا يخاف الغرب الإسلام ؟
للأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومى .. ١٨٠٩
● كذب المنجمون ولوصدقوا
للشيخ محمد محمد الحسينى ١٨١٣
● استفتاءات القراء
يقدمها الشيخ : السيد العراقى ١٨١٨
● الشعر والشعراء ●
إشراف د. محمد عبدالحكيم ١٨٢١
● طرائف ومواقف
للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٨٢٨
● من أعلام الأزهر : الشيخ محمد الغزالى
للدكتور محمد رجب البيومى ١٨٣٠
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
إعداد وتقديم الأستاذ عبدالفتاح الزيات . ١٨٣٦
● من دلائل القدرة الإلهية (٢)
للدكتور أحمد فؤاد باشا ١٨٣٩
● متاعب الثدى فى النساء
للدكتور أحمد رجائى عبدالحميد ١٨٤٣
● الجديد فى العلم والتقنية
للدكتورة نجوى السيد أحمد ١٨٤٨
● ابن دريد ومنهجه فى جمهرة اللغة
للدكتور محمد رياض السيد ١٨٥٢
● الدكتور حسن جاد ... أديبا
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ١٨٥٨
● أبو حنيفة
تقديم الأستاذ عبدالسلام ناصف ١٨٦٤
● مفهوم الإيمان
للشيخ طوسون إبراهيم هواش ١٨٧١
● الوثائق السياسية والإدارية
دراسة بقلم : أحمد تقى الدين ١٨٧٤
● بين المجلة والقارىء
تقديم الأستاذ : عادل خفاجة ١٨٧٩
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
تقديم الأستاذ : عمر البسطويسى ١٨٨٣
● أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ مجدى بشير ١٨٨٩
● القسم الفرنسى ١٩٢٤
● القسم الانجليزى ١٩٣٧